3694
SIA

فهرست الجزء الاول من كتاب الخطط للعلامة المقريزى

تمت فهرست الجزء الاول من كتاب الخطط

بيان الخطا والصواب فى الجزء الاوّل من هذا الكتاب

خطا	صواب	صحيفه	سطر
به رامقه	به وامقه	۲	۱۷
قددثرت بعده معظم	قد ثر بعده مغظم	۵	۱۸
وخيره	وصيره	۷	۲۵
فالماء يجرى من قلب سال	لعل صوابه يقلب سال لانه من مخلع البسيط	۸	۱٤
والفرع المقدّم والفرع المؤخر	والفرغ المقدّم والفرغ المؤخر	۹	۰۵
كالمخ	كالمح	۹	۱۳ و۱۵
ريقراطس	ديمقراطس	۹	۱۸
تدبير	تدوير	۹	۲۱
ضرر قوتها غير ساكنة	ضرر قربها عن ساكنيه	۱۰	۱۱
تمنع من سلوك الجبال	تمنع من سلوكها الجبال	۱۱	۳۹
صارت السنة	صارت القسمة	۱۲	۱٦
يحسب بين	يحسب بقى	۱۲	۱۸
ومن السماوة	ومنه السماوة	۱۳	۰۷
يلاد البيت	يلاد التبت	۱۳	۲۱
والصيصة	والمصيصة	۱۳	۲٤
ومن السياة	ومن السيارة	۱۳	۲۷
الاقسام السبعة	الاقاليم السبعة	۱٤	۲۵
تشريفا	تشريقا	۱٤	۳۳
المهالك	الممالك	۱٤	۳۷
متشرّف	لعله (متسرّب)	۱۵	۳۵
بلا الصين	بلاد الصين	۱٦	۳٦
التعبر من بلاد كران	التبير من بلاد مكران	۱٦	۳۷
النحيه	البجه	۱۷	۰۷
نهر يردع مهران	يردع نهر مهران	۱۷	۱۰
البرّ الرومى	البحر الرومى	۱۸	۰۹
معدونية	مقدونية	۱۸	۳۵
ابنته قليمون	ابنة قليمون	۱۹	۱۱
عامر	عابر	۱۹	۱٦

خطا	صواب	صحيفه	سطر
وأولاد الافارق	ووالد الافارقة	۱۹	۲۷
ان عبد شمش بن يشحب	ان عبد شمس بن يشجب	۱۹	۳۸
البراى الى يمونية	البرارى الى قونية	۲۰	۸
تجميع	بجميع	۲۰	۸
فى البأس يعبروا	فى الناس يجتروا	۲۰	۱٤
ويل بن حمير	وائل بن حمير	۲۰	۲٤
سلينك	السكسك	۲۰	۲٤
فلم يجبه أحد	فلم يجبه ولا أحد	۲۰	۳۷ و۳۸
ابى لهيعة	ابن لهيعة	۲۱	۰۵
أسماء للبلد	اسما البلد	۲۱	۳٦
وهو مذكر اسم	وهو اسم مذكر	۲۱	۳٦
أدخلوا مصران شاء الله آمنين	ادخلوا مصران شاء الله آمنين	۲۱	۳۸
فى كتاب ليس أحد	فى كتاب ليس ليس أحد	۲۲	۰۷
ثم رباالله	ثم ربى الله	۲۲	۱۵
قضى لستة ايام من خليقته	قضى لستة ايام خليقته	۲۲	۲۱
صلعة	ضلعه	۲۲	۲٤
اجلا	اكلا	۲۲	۲۷
ابو نضرة	ابو بصرة	۲۲	۳٤
فأغاثه الله	فأغاث الله	۲۲	۳۵
قال ذيبان	يال ذبيان	۲۲	۳۷
ويأخذ منكم من حب كايتار مصر	(هكذا فى النسخ وهو محل تأمل)	۲۲	۳۸
أن منّ	ان ثمن	۲٤	۰٤
السفاد	الفساد	۲٤	۱۷
الجند العربىّ	الجند الغربىّ	۲٤	۲٤
فاذا رأيتم رجلان	فاذا رأيتم رجلين	۲٤	۳٦
والطرمدة	والطرمذة	۲٦	۰۱
الحافرى	الغافرى	۲٦	۰۲
بكل ساحر	بكل سحار	۲۷	۲۸
مدر الكعبة	جدر الكعبة	۲۸	۳۹

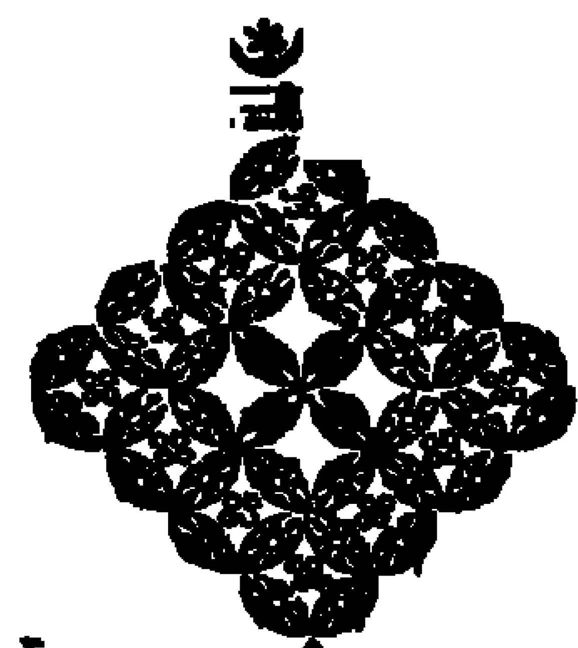
خطا	صواب	صحيفه	سطر
الكافى الله به فقدما سواه	الكافى لنبيه عما سواه (هكذا فى بعض النسخ فليتأمل)	٢٩	١٠
ويترك اصحابه	وينزل اصحابه	٢٩	٢٤
ثم شرحه	ثم سرحه	٢٩	٣٠
ثم دعا رجلا عاقلا ثم لم يدع الخ	(هكذا فى النسخ وفيه تأمل)	٢٩	٣٦
ابو يعقوب	انبأنا يعقوب	٣٠	٠٤
اسمه ابن عبد الله	اسمه جبير بن عبد الله	٣٠	٠٧
لمسلمة بن محمد	لمحمد بن مسلمة	٣٠	١٣
ولا يتغتر	ولا يتغير	٣٢	٣٧
جزأ	جزء	٣٣	٠١
جارويه	خمارويه	٣٤	٣٧
اذا اخرج	اذا أخرج	٣٧	٣٤
غطاه	تخطاه	٣٧	٣٨
بيت	يثب	٣٨	١٣
واحذر	واجدر	٣٩	٢٥
يعضدها	يقصدها	٣٩	٣٩
واجربة	واجرنة	٤١	٠٥
وآمنت بنوا اسرائيل بما ءالته	وآمنت بنوا اسرائيل عائلته	٤٢	١٩
من الصيف	من الصنف	٤٢	٢٩
مصروا اذا	مصرا اذا	٤٣	١٨
اخبار البلدان	اخبار البلدان	٤٤	٢٤
النبيذ	كالنبيذ	٤٤	٣٦
وكثيرا	وكثير	٤٥	٠١
ضعيفة	صيفية	٤٦	١٢
واحد	وافد	٤٧	١٧
بموضع جرب	بموضع خرب	٤٧	٢٢
سيرهم	سفرهم	٤٧	٢٦
يعرض الهواء	يعرّض للهواء	٤٧	٣٢
تعذباقية	بعدباقية	٤٨	٠٧
القرينة	القريبة	٤٨	١٩
الابدان ان فى	الابدان فى	٤٨	٢٠
قوة علية	قوة عليه	٤٩	٠٣

خطا	صواب	صحيفه	سطر
ثم تمتد حتى تنتهى	ثم يمتد حتى ينتهى	٥١	٢٩
وفى جودة القمر	وفى جزيرة القمر	٥٢	٠٨
وكذلك اغضوا عنه	ولذلك اغضوا عنه	٥٢	٢١
وكان فيما يذكر الخ	لعله (فانه كان فيما يذكر الخ) ليكون جوابا لأمّا	٥٣	١٣
كتاب جعفر	كتاب جغرافيا	٥٣	٥٢
لان نسبة	لانسبة	٥٥	٣٠
وانما استدلاله	وأما استدلاله	٥٦	٢٥
الى بناء على	الى ما	٥٦	٢٩
العزيز لدين الله	المعز لدين الله	٦١	٠٨
والجزيرة يعرف	والجزيرة التى تعرف	٦١	٣٣
والجزيرة أيضا	والجيزة أيضا	٦١	٣٤
منها	منهما	٦١	٣٤
يفترغ	تفترع	٦٢	٢٩
الموزون من الدستورات المنتجة	لعله (الوزن من الدستورات المنتخبة)	٦٢	٣١
مستكا	مصطكا	٦٣	٢٨
حيث الغشمة فى التمثيل معتزل	حيث العشة فى التمثيل معترك	٦٤	٠٧
لامن دمة الشفق	ملقى فى دم الشفق	٦٤	٠٩
مداراة نفسه	مداواة نفسه	٦٤	١٩
بماء يتز	بما يتز	٦٥	٢٢
اناء مخترقة	اناء مخترق	٦٦	٣٢
ذلك الخراريب	تلك الخراريب	٦٨	٢٥
نيلا كاف	نيلا غير كاف	٦٨	٢٩
اصناف الكواكب	اصنام الكواكب	٧٠	٢٩
تسمى المنهل	تسمى المنهى	٧١	٢٢
خمس ومائة	خمسين ومائة	٧١	٣٧
بن نسبب	بن شيث	٧٢	١٨
الشراك والقرى	الشراك تسع قرى	٧٣	١٤
وهى من قوص	وهى عمل قوص	٧٤	٠٥

خطا	صواب	صحيفه	سطر
فـدّان والباقى	(وفى بعض النسخ) فدّان ويقال ان احمد ابن مدبر اعتبر ما يصلح للزراعة بأرض مصر فوجده أربعة وعشرين ألف ألف والباقى	٧٥	٠٩
الشريف الحرّانى	الشريف الجوّانى	٧٥	٢٧
له الامراء	له الامر	٧٧	٠٥
تنوديمى	تنوونى	٧٩	٢٦
وخرج بجيش رجل	وخرج بجنس رجل	٧٩	٢٩
بعبد الملك	عبد الملك	٧٩	٣٠
فقتل بجيش	فقتل بجنس	٧٩	٣٠
بضرابة	بضرائب	٨٢	٠٩
القاتل	القائد	٨٣	٠٤
غيرها	عبرتها	٨٣	١٤
الاميرين	الامرين	٨٤	١٤ و ٣١

هذا ما وجدناه فى الملازم الاول من الجزء الاول مما يلزم التنبيه عليه وأغلبه من تحريف نسخ الاصل التى طبع منها هذا الكتاب كما يعلم بالوقوف عليها والله اعلم بالصواب

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار يختص
ذلك باخبار اقليم مصر والنيل وذكر القاهرة
وما يتعلق بها وباقليمها تاليف سيدنا الشيخ
الامام علامة الانام تقي الدين احمد بن
على بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه
الله ونفع بعلومه
امين



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى عرّف وفهم وعلم الانسان مالم يكن يعلم وأسبغ على عباده نعما باطنة وظاهره ووالى عليهم من
مزيد آلائه مننا متظافرة متواتره وبثهم فى ارضه حينا يتقلبون واستخلفهم فى ماله فهم به يتنعمون وهدى
قوما الى اقتناص شوارد المعارف والعلوم وشوّقهم للتفنن فى مسارح التدبر والركض بميادين الفهوم
وأرشد قوما الى الانقطاع من دون الخلق اليه ووفقهم للاعتماد فى كل امر عليه وصرف آخرين عن كل
مكرمة وفضيله وقيض لهم قرناء قادوهم الى كل ذميمة من الاخلاق ورذيله وطبع على قلوب آخرين
فلا يكادون يفقهون قولا وثبطهم عن سبل الخيرات فما استطاعوا قوة ولا حولا ثم حكم على الكل بالفناء
ونقلهم جميعا من دار التمحيص والابتلاء الى برزخ البيود والبلاء وسيحشرهم اجمعين الى دار الجزاء ليوفى
كل عامل منهم عمله ويسأله عما اعطاه وخوّله وعن موقفه بين يديه سبحانه وما اعدّله لا يسأل عما يفعل
وهم يسئلون احمده سبحانه حمد من علم أنه الا لا يعبد الا اياه ولا خالق للخلق سواه حمدا يقتضى المزيد
من النعماء ويوالى المنن بتجدد الالاء وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله ونبيه وخليله سيد البشر
وأفضل من مضى وغبر الجامع لمحاسن الاخلاق والسير والمستحق لاسم الكمال على الاطلاق من البشر
الذى كان نبيا وآدم بين الماء والطين ورقم اسمه من الازل فى عليين ثم تنقل من الاصلاب الفاخرة الزكيه
الى الارحام الطاهرة المرضيه حتى بعثه الله عزوجل الى الخلائق اجمعين وختم به الانبياء والمرسلين
وأعطاه مالم يعط أحدا من العالمين وعلى آله وصحابته والتابعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين * وبعد
فان علم التاريخ من اجل العلوم قدرا وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطرا لما يحويه من المواعظ والانذار
بالرحيل الى الآخرة عن هذه الدار والاطلاع على مكارم الاخلاق ليقتدى بها واستعلام مذامّ الفعال
ليرغب عنها اولوا النهى لاجرم ان كانت الانفس الفاضلة به رامقه والهمم العالية اليه مائلة وله عاشقه
وقد صنف فيه الائمة كثيرا وضمن الاجلة كتبهم منه شيأ كبيرا وكانت مصر هى مسقط راسى وملعب اترابى
ومجمع ناسى ومغنى عشيرتى وحامتى وموطن خاصتى وعامتى وجؤجؤى الذى ربى جناحى فى وكره وعش
مأربى فلا تهوى الانفس غير ذكره لازلت مذ شذوت العلم وآتانى ربى الفطانة والفهم ارغب فى معرفة
اخبارها وأحب الاشراف على الاغتراف من آبارها وأهوى مسائلة الركبان عن سكان ديارها

فقيدت بخطى فى الاعوام الكثيرة وجمعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب او يحويها العزتها وغرابتها اهاب الا انها ليست بمرتبة على مثال ولا مهذبة بطريقة ما نسج على منوال فأردت أن الخص منها انباء ما بديار مصر من الآثار الباقيه عن الامم الماضية والقرون الخاليه وما بقى بفسطاط مصر من المعاهد غير ما كاد يفنيه البلى والقدم ولم يبق الا ان يمحو رسمها الفناء والعدم واذكر ما بمدينة القاهره من آثار القصور الزاهره وما اشتملت عليه من الخطط والاصقاع وحوته من المبانى البديعة الاوضاع مع التعريف بحال من اسس ذلك من اعيان الاماثل والتنويه بذكر الذى شادها من سراة الاعاظم والافاضل وأنثر خلال ذلك نكتا لطيفه وحكما بديعة شريفه من غير اطالة ولا اكثار ولا اجحاف مخل بالغرض ولا اختصار بل وسط بين الطرفين وطريق بين بين فلهذا سميته (كتاب المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار) وانى لارجو أن يحظى ان شاء الله تعالى عند الملوك ولا ينبو عنه طباع العامى والصعلوك ويجله العالم المنتهى ويعجب به الطالب المبتدى وترضاه خلائق العابد الناسك ولا يمجه سمع الخليع الفاتك ويتخذه اهل البطالة والرفاهية سمرا ويعده اولوا الرأى والتدبير موعظة وعبرا يستبدلون به على عظيم قدرة الله تعالى فى تبديل الابدال ويعرفون به عجائب صنع ربنا سبحانه من تنقل الامور الى حال بعد حال فان كنت احسنت فيما جمعت وأصبت فى الذى صنعت ووضعت فذلك من عميم منّ الله تعالى وجزيل فضله وعظيم انعمه على وجليل طوله وان أنا اسأت فيما فعلت واخطأت اذ وضعت فما اجدر الانسان بالاساءة والعيوب اذا لم يعصمه ويحفظه علام الغيوب

وما أبرئ نفسى اننى بشر * اسهو وأخطئ ما لم يحمنى قدر
ولا ترى عذرا اولى بذى زلل * من أن يقول مقرّا اننى بشر

فليسبل الناظر فى هذا التأليف على مؤلفه ذيل ستره ان مرت به هفوه وليغض تجاوزا وصفحا ان وقف منه على كبوة اونبوه فأى جواد وان عتق ما يكبو وأى عضب مهند لا يكل ولا ينبو لا سيما والخاطر بالافكار مشغول والعزم لالتواء الامور وتعسرها فاتر محلول والذهن من خطوب هذا الزمن المتطوب كليل والقلب لتوالى المحن وتواتر الاحن عليل

يعاندنى دهرى كأنى عدوه * وفى كل يوم بالكريهة يلقانى
فان رمت شيأ جاءنى منه ضده * وان راق لى يوما تكدر فى الثانى

اللهم غفرا ما هذا من التبرم بالقضاء ولا التضجر بالمقدور بل أنه سقيم ونفثة مصدور يستروح ان ابدى التوجع والانين ويجد خفا من ثقله اذا باح بالشكوى والحنين

ولو نظروا بين الجوانح والحشا * رأوا من كتاب الحب فى كبدى سطرا
ولو جربوا ما قد لقيت من الهوى * اذا عذرونى أو جعلت لهم عذرا

والله اسأل أن يحلى هذا الكتاب بالقبول عند الجلة والعلماء كما اعوذ به من تطرق ايدى الحساد اليه والجهلاء وأن يهدينى فيه وفيما سواه من الاقوال والافعال الى سواء السبيل انه حسبنا ونعم الوكيل وفيه جلت قدرته لى سلو من كل حادث وعليه عز وجل اتوكل فى جميع الحوادث لا اله الا هو ولا معبود سواه

(ذكر الرؤس الثمانيه)

اعلم أن عادة القدماء من المعلمين قد جرت أن يأتوا بالرؤس الثمانية قبل افتتاح كل كتاب وهى الغرض والعنوان والمنفعة والمرتبة وصحة الكتاب ومن أى صناعة هو وكم فيه من اجزاء وأى انحاء التعاليم المستعملة فيه فنقول (أما الغرض) فى هذا التأليف فانه جمع ما تفرق من اخبار أرض مصر وأحوال سكانها كى يلتئم من مجموعها معرفة جمل اخبار اقليم مصر وهى التى اذا حصلت فى ذهن انسان اقتدر على أن يخبر فى كل وقت بما كان فى ارض مصر من الآثار الباقية والبائدة ويقص احوال من ابتدأها ومن حلها وكيف كانت مصاير امورهم وما يتصل بذلك على سبيل الاتباع لها بحسب ما تحصل به الفائدة الكلية بذلك الاثر (وأما عنوان هذا الكتاب) اعنى الذى وسمته به فانى لما لخصت من اخبار مصر وجدتها مختلطة متفرقة فلم يتهيأ لى اذ جمعتها أن أجعل وضعها مرتبا على السنين لعدم ضبط وقت كل حادثة لا سيما فى الاعصر الخالية ولا أن اضعها على اسماء الناس

لعلل اخر تظهر عند تصفح هذا التأليف فلهذا افرقتها فى ذكر الخطط والآثار فاحتوى كل فصل منها على ما يلايمه ويشا كله وصار بهذا الاعتبار قد جمع ما تفرق وتبدد من اخبار مصر ولم اتحاش من تكرار الخبر اذا احتجت اليه بطريقة يستحسنها الاريب ولا يستهجنها الفطن الاديب كى يستغنى مطالع كل فصل بما فيه عما فى غيره من الفصول فلذلك سميته (كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار * (وأما منفعة هذا الكتاب) فان الامر فيها يتبين من الغرض فى وضعه ومن عنوانه اعنى أن منفعته هى أن يشرف المرء فى زمن قصير على ما كان فى ارض مصر من الحوادث والتغييرات فى الازمنة المتطاولة والاعوام الكثيرة فتتهذب بتدبر ذلك نفسه وترتاض اخلاقه فيحب الخير ويفعله ويكره الشر ويتجنبه ويعرف فناء الدنيا فيحظى بالاعراض عنها والاقبال على ما يبقى (وأما مرتبة هذا الكتاب) فانه من جملة أحد قسمى العلم اللذين هما العقلى والنقلى فينبغى أن يتفرغ لمطالعته وتدبر مواعظه بعد اتقان ما يجب معرفته من العلوم النقلية والعقلية فانه يحصل بتدبره لمن ازال الله اكنة قلبه وغشاوة بصره نتيجة العلم بما صار اليه أبناء جنسه بعد التخول فى الاموال والجنود من الفناء والبيود فاذا مرتبته بعد معرفة اقسام العلوم العقلية والنقلية ليعرف منه كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبل (وأما واضع هذا الكتاب ومرتبه) فاسمه احمد بن على بن عبد القادر بن محمد ويعرف بالمقريزى رحمه الله تعالى ولد بالقاهرة المعزية من ديار مصر بعد سنة ستين وسبعمائة من سنى الهجرة المحمدية ورتبته من العلوم ما يدل عليه هذا الكتاب وغيره مما جمعه وألفه (وأما من أى علم هذا الكتاب) فانه من علم الاخبار وبها عرفت شرائع الله تعالى التى شرعها وحفظت سنن انبيائه ورسله ودوّن هداهم الذى يقتدى به من وفقه الله تعالى الى عبادته وهداه الى طاعته وحفظه من مخالفته وبها نقلت اخبار من مضى من الملوك والفراعنة وكيف حل بهم سخط الله تعالى لما اتوا ما نهوا عنه وبها اقتدر الخليقة من ابناء البشر على معرفة ما دوّنوه من العلوم والصنائع وتأتى لهم علم ما غاب عنهم من الاقطار الشاسعة والامصار النائية وغير ذلك مما لا ينكر فضله ولكل امة من امم العرب والعجم على تباين آرائهم واختلاف عقائدهم اخبار عندهم معروفة مشهورة ذائعة بينهم ولكل مصر من الامصار المعمورة حوادث قد مرت به يعرفها علماء ذلك المصر فى كل عصر ولو استقصيت ما صنف علماء العرب والعجم فى ذلك لتجاوز حد الكثرة وعجزت القدرة البشرية عن حصره (وأما أجزاء هذا الكتاب فانها سبعة) * اولها يشتمل على جمل من اخبار أرض مصر وأحوال نيلها وخراجها وجبالها * وثانيها يشتمل على كثير من مدنها واجناس اهلها * وثالثها يشتمل على اخبار فسطاط مصر ومن ملكها * ورابعها يشتمل على أخبار القاهرة وخلفائها وما كان لهم من الآثار * وخامسها يشتمل على ذكر ما أدركت عليه القاهرة وظواهرها من الاحوال * وسادسها يشتمل على ذكر قلعة الجبل وملوكها * وسابعها يشتمل على ذكر الاسباب التى نشأ عنها خراب اقليم مصر * وقد تضمن كل جزء من هذه الاجزاء السبعة عدة اقسام * وأما أى انحاء التعاليم التى قصدت فى هذا الكتاب) فانى سلكت فيه ثلاثة انحاء وهى النقل من الكتب المصنفة فى العلوم والرواية عمن ادركت من شيخة العلم وجلة الناس والمشاهدة لما عاينته ورأيته * فأما النقل من دواوين العلماء التى صنفوها فى انواع العلوم فأنى اعزو كل نقل الى الكتاب الذى نقلته منه لاخلص من عهدته وأبرأ من جريرته فكثيرا ممن ضمنى واياه العصر واشتمل علينا المصر صار لقلة اشرافه على العلوم وقصور باعه فى معرفة علوم التاريخ وجهل مقالات الناس يهجم بالانكار على ما لا يعرفه ولو أنصف لعلم أن العجز من قبله وليس ما تضمنه هذا الكتاب من العلم الذى يقطع عليه ولا يحتاج فى الشريعة اليه وحسب العالم أن يعلم ما قيل فى ذلك ويقف عليه * وأما الرواية عمن ادركت من الجلة والمشايخ فأنى فى الغالب والاكثر اصرح باسم من حدثنى الا ان لا يحتاج الى تعيينه أو اكون قد أنسيته وقل ما يتفق مثل ذلك * وأما ما شاهدته فأنى ارجو أن اكون ولله الحمد غير متهم ولا ظنين * وقد قلت فى هذه الروس الثمانية ما فيه قنع وكفاية ولم يبق الا أن اشرع فيما قصدت وعزمى أن اجعل الكلام فى كل خط من الاخطاط وفى كل اثر من الآثار على حدة ليكون العلم بما يشتمل عليه من الاخبار أجمع واكثر فائدة واسهل تناولا والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وفوق كل ذى علم عليم

(فصل) اول من رتب خطط مصر وآثارها وذكر أسبابها فى ديوان جمعه أبو عمر محمد بن يوسف الكندى ثم كتب

بعده القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى كتابه المنعوت بالمختار فى ذكر الخطط والآثار ومات فى سنة سبع وخمسين واربعمائة قبل سنى الشدة فدثر أكثرما ذكراه ولم يبق الا بلقع وموضع بلقع بساحل مصر من سنى الشدة المستنصرية من سنة سبع وخمسين الى سنة اربع وستين واربعمائة من الغلاء والوباء فمات اهلها وخربت ديارها وتغيرت احوالها واستولى الخراب على عمل فوق من الطرفين بجانبى الفسطاط الغربى والشرقى فأما الغربى فمن قنطرة بنى وائل حيث الوراقات الآن قريبا من باب القنطرة خارج مدينة مصر الى الشرف المعروف الآن بالرصد وانت مار الى القرافة الكبرى وأما الشرقى فمن طرف بركة الحبش التى تلى القرافة الى نحو جامع احمد بن طولون ثم دخل امير الجيوش بدر الجمالى مصر فى سنة ست وستين واربعمائة وهذه المواضع خاوية على عروشها خالية من سكانها وأنيسها قد أبادهم الوباء والتباب وشتتهم الموت والخراب ولم يبق بمصر الا بقايا من الناس كأنهم اموات قد اصفرت وجوههم وتغيرت سحنهم من غلاء الاسعار وكثرة الخوف من العسكرية وفساد طوائف العبيد والملحية ولم يجد من يزرع الاراضى هذا والطرقات قد انقطعت بحرا وبرا الا بخفارة وكلفة كثيرة وصارت القاهرة أيضا يبابا داثرة فأباح للناس من العسكرية والملحية والارمن وكل من وصلت قدرته الى عمارة أن يعمر ماشاء فى القاهرة مما خلا من دور الفسطاط بموت اهلها فأخذ الناس فى هدم المساكن ونحوها بمصر وعمروا بها فى القاهرة وكان هذا أول وقت اختط الناس فيه بالقاهرة ثم كان المنبه بعد القضاعى على الخطط والتعريف بها تلميذه أبو عبد الله محمد بن بركات النحوى فى تاليف لطيف نبه فيه الافضل أبا القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى على مواضع قد اغتصبت وتملكت بعد ما كانت احباسا ثم كتب الشريف محمد بن اسعد الجوانى كتاب النقط بعجم ما اشكل من الخطط نبه فيه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت وآخر من كتب فى ذلك القاضى تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج كتاب ايعاظ المتأمل وايقاظ المتغفل فى الخططين فيه جملا من احوال مصر وخططها الى اعوام بضع وعشرين وسبعمائة قد دثرت بعده معظم ذلك فى وباء سنة تسع وأربعين وسبعمائة ثم فى وباء سنة احدى وستين ثم فى غلاء سنة ست وسبعين وسبعمائة وكتب القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتاب الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة ففتح فيه بابا كانت الحاجة داعية اليه ثم تزايدت العمارة من بعده فى الايام الناصرية محمد بن قلاوون بالقاهرة وظواهرها الى ان كادت تضيق على اهلها حتى حل بها وباء سنة تسع واربعين وسنة احدى وستين ثم غلاء سنة ست وسبعين فخربت بها عدة اماكن فلما كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة شمل الخراب القاهرة ومصر وعامة الاقليم وسأورد من ذكر الخطط ما تصل اليه قدرتى ان شاء الله تعالى

(ذكر طرف من هيئة الافلاك)

اعلم انه لما كانت مصر قطعة من الارض تعين قبل التعريف بموقعها من الارض وتبيين موضع الارض من الفلك ان اذكر طرفا من هيئة الافلاك ثم اذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها واذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقاليم واذكر حدودها واشتقاقها وفضائلها وعجائبها وكنوزها وأخلاق اهلها واذكر نيلها وخلجانها وكورها ومبلغ خراجها وغير ذلك مما يتعلق بها قبل الشروع فى ذكر خطط مصر والقاهرة فأقول علم النجوم ثلاثة اقسام الاول معرفة تركيب الافلاك وكمية الكواكب واقسام البروج وأبعادها وعظمها وحركتها ويقال لهذا القسم علم الهيئة والقسم الثانى علم الزيج وعلم التقويم والقسم الثالث معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج على الحوادث قبل كونها ويسمى هذا القسم علم الاحكام والغرض هنا ايراد نبذ من علم الهيئة تكون توطئة لما يأتى ذكره * اعلم أن الكواكب اجسام كريات والذى ادرك منها الحكماء بالرصد ألف كوكب وتسعة وعشرون كوكبا وهى على قسمين سيارة وثابتة فالسيارة سبعة وهى زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وقد نظمت فى بيت واحد وهو

زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت بعطارد الاقمار

ويقال لهذه السبعة الخنس وقيل انها التى عناها الله تعالى بقوله فلا اقسم بالخنس الجوارى الكنس والتى عناها الله تعالى بقوله فالمدبرات أمرا وقيل لها الخنس لاستقامتها فى سيرها ورجوعها وقيل لها الكنس لانها تجرى فى البروج ثم تكنس أى تستتر كما يكنس الظبى وقيل الكنس والخنس منها خمسة وهى ما سوى الشمس

والقمر سميت بذلك من الانخناس وهو الانقباض وفى الحديث الشيطان يوسوس للعبد فاذا ذكر الله خنس أى انقبض ورجع فيكون الخنس على هذا فى الكواكب بمعنى الرجوع وسميت بالكنس من قولهم كنس الظبى اذا دخل الكناس وهو مقره فالكنس على هذا فى الكواكب بمعنى اختفائها تحت ضوء الشمس ويقال لهذه الكواكب المتحيرة لانها ترجع أحيانا عن سمت مسيرها بالحركة الشرقية وتتبع الغربية فى رأى العين فيكون هذا الارتداد لها شبه التحير وهذه الاسماء التى لهذه الكواكب يقال انها مشتقة من صفاتها فزحل مشتق من زحل فلان اذا أبطأ سمى بذلك لبطء سيره وقيل الزحل والزحل الحقد وهو بزعمهم يدل على ذلك ويقال انه المراد فى قوله تعالى والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب والمشترى سمى بذلك لحسنه كانه اشترى الحسن لنفسه وقيل لانه نجم الشراء والبيع ودليل الربح والمال فى قولهم والمريخ مأخوذ من المرخ وهو شجر يحتك بعض اغصانه ببعض فيورى نارا سمى بذلك لاحمراره وقيل المريخ سهم لاريش له اذا رمى به لايستوى فى مرّه وكذا المريخ فيه التواء كثير فى سيره ودلالته بزعمهم نشبه ذلك والشمس لما كانت واسطة بين ثلاثة كواكب علوية لانهم من فوقها وثلاثة سفلية لانهم من تحتها سميت بذلك لان الواسطة التى فى المخنقة تسمى شمسة والزهرة من الزاهر وهو الابيض النير من كل شئ وعطارد هو النافذ فى كل الامور ولذلك يقال له أيضا الكاتب فانه كثير التصرف مع ما يقارنه ويلابسه من الكواكب والقمر مأخوذ من القمرة وهى البياض والاقمر الابيض ويقال لزحل كيوان وللمشترى تير والبرجيس أيضا وللمريخ بهرام وللشمس مهر وللزهرة اناهيد وسدحت أيضا ولعطارد هرمس وللقمر ماه وقد جمعت فى بيت واحد وهو هذا

لازلت تبقى وترقى للعلى ابدا * مادام للسبعة الافلاك احكام

مهر وماه وكيوان وتير معا * وهرمس وأناهيد وبهرام

ويقال لما عدا هذه الكواكب السبعة من بقية نجوم السماء الكواكب الثابتة سميت بذلك لثباتها فى الفلك بموضع واحد وقيل لبطء حركتها فانها تقطع الفلك بزعمهم بعد كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة * ولكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة فلك من الافلاك يخصه والافلاك اجسام كريات مشفات بعضها فى جوف بعض وهى تسعة اقربها الينا فلك القمر وبعده فلك عطارد ثم بعده فلك الزهرة وبعده فلك الشمس وفوقه فلك المريخ ثم فلك المشترى وفوقه فلك زحل ثم فلك الثوابت وفيه كل كوكب يرى فى السماء سوى السبعة السيارة ومن فوق فلك الثوابت الفلك المحيط وهو الفلك التاسع ويسمى الاطلس وفلك الافلاك وفلك الكل وقد اختلف فى الافلاك فقيل هى السموات وقيل بل السموات غيرها وقيل بل هى كرية وقيل غير ذلك وقيل الفلك الثامن هو الكرسى والفلك التاسع هو العرش وقيل غير ذلك وهذا الفلك التاسع دائم الدوران كالدولاب ويدور فى كل اربعة وعشرين ساعة مستوية دورة واحدة ودورانه يكون ابدا من المشرق الى المغرب ويدور بدورانه جميع الافلاك الثمانية وما حوته من الكواكب دورا ناحركته قسرية لادارة التاسع لها وعن حركة التاسع المذكور يكون الليل والنهار فالنهار مدة بقاء الشمس فوق افق الارض والليل مدة غيبوبة الشمس تحت افق الارض وفلك الكواكب الثابتة مقسوم باثنى عشر قسما كحز البطيخة كل قسم منها يقال له برج وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وكل برج من هذه البروج الاثنى عشر ينقسم ثلاثين قسما يقال لكل قسم منها درجة وكل درجة من هذه الثلاثين مقسومة ستين قسما يقال لكل قسم منها دقيقة وكل دقيقة من هذه الستين مقسومة ستين قسما يقال لكل قسم منها ثانية وهكذا الى الثوالث والروابع والخوامس الى الثوانى عشر وما فوقها من الاجزاء وكل ثلاثة بروج تسمى فصلا فالزمان على ذلك اربعة فصول وهى الربيع والصيف والخريف والشتاء * وجهات الاقطار اربعة الشرق والغرب والشمال والجنوب * والاركان اربعة النار والهواء والماء والتراب * والطبائع اربعة الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة * والاخلاط اربعة الصفراء والسوداء والبلغم والدم * والرياح اربعة الصبا والدبور والشمال والجنوب * فالبروج منها ثلاثة ربيعية صاعدة فى الشمال زائدة النهار على الليل وهى الحمل والثور والجوزا وثلاثة صيفية هابطة فى الشمال آخذة الليل من النهار وهى السرطان والاسد

والسنبلة وثلاثة خريفية هابطة في الجنوب زائدة الليل على النهار وهي الميزان والعقرب والقوس وثلاثة شتوية صاعدة في الجنوب آخذة النهار من الليل وهي الجدي والدلو والحوت * والفلك المحيط كما تقدم دائم الدوران كالدولاب يدور أبدا من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحتها فيكون دائما نصف الفلك وهو ستة بروج بمائة وثمانين درجة فوق الارض ونصفه الآخر وهو ستة بروج بمائة وثمانين درجة تحت الارض وكلما طلعت من أفق المشرق درجة من درجات الفلك التي عدتها ثلثمائة وستون درجة غرب نظيرها في أفق المغرب من البرج السابع فلا يزال دائما ستة بروج طلوعها بالنهار وستة بروج طلوعها بالليل * والافق عبارة عن الحد الفاصل من الارض بين المرئي والخفي من السماء والفلك يدور على قطبين شمالي وجنوبي كما يدور الحق على قطبي المخروطة ويقسم الفلك خط من دائرة تقسمه نصفين متساويين بعدهما من كلا القطبين سواء وتسمى هذه الدائرة دائرة معدل النهار فهي تقاطع فلك البروج ودائرة فلك البروج تقاطع دائرة معدل النهار ويميل نصفها الى الجانب الشمالي بقدر أربع وعشرين درجة تقريبا وهذا النصف فيه قسمة البروج الستة الشمالية وهي من أول الحمل الى آخر السنبلة ويميل نصفها الثاني عنها الى الجنوب بمثل ذلك وفيه قسمة البروج الستة الجنوبية وهي من أول برج الميزان الى آخر برج الحوت وموضع تقاطع هاتين الدائرتين اعني دائرة معدل النهار ودائرة فلك البروج من الجانبين هما نقطتا الاعتدالين اعني رأس الحمل ورأس الميزان ومدار الشمس والقمر وسائر النجوم على محاذاة دائرة فلك البروج دون دائرة معدل النهار وتمر الشمس على دائرة معدل النهار عند حلولها بنقطتي الاعتدالين فقط لانها موضع تقاطع الدائرتين وهذا هو خط الاستواء الذي لا يختلف فيه الزمان بزيادة الليل على النهار ولا النهار على الليل لان ميل الشمس عنه الى كلا الجانبين الشمالي والجنوبي سواء فالشمس تدور الفلك وتقطع الاثني عشر برجا في مدة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم بالتقريب وهذه هي مدة السنة الشمسية وتقيم في كل برج ثلاثين يوما وكسرا من يوم وتكون ابدا بالنهار ظاهرة فوق الارض وبالليل بخلاف ذلك واذا حلت في البروج الستة الشمالية التي هي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة فانها تكون مرتفعة في الهواء قريبة من سمت رؤسنا وذلك زمن فصل الربيع وفصل الصيف واذا حلت في البروج الجنوبية وهي الميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت كان فصل الخريف وفصل الشتاء وانحطت الشمس وبعدت عن سمت الرؤس وزعم وهب بن منبه أن أول ما خلق الله تعالى من الازمنة الاربعة الشتاء فجعله باردا رطبا وخلق الربيع فجعله حارا رطبا وخلق الصيف فجعله حارا يابسا وخلق الخريف فجعله باردا يابسا وأول الفصول عند أهل زماننا الربيع ويكون فصل الربيع عندما تنتقل الشمس من برج الحوت وقد اختلف القدماء في البداية من الفصول فمنهم من اختار فصل الربيع وخيره أول السنة ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الصيفي ومنهم من اختار تقديم الاعتدال الخريفي ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الشتوي فاذا حلت أول جزء من برج الحمل استوى الليل والنهار واعتدل الزمان وانصرف الشتاء ودخل الربيع وطاب الهواء وهب النسيم وذاب الثلج وسالت الاودية ومدت الانهار فيما عدا مصر ونبت العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلألأ الزهر وأورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الارض وتنتجت البهائم ودرت الضروع وأخرجت الارض زخرفها وازينت وصارت كصبية شابة قد تزينت للناظرين ولله در القائل وهو الحافظ جمال الدين يوسف بن احمد اليعمري رحمه الله تعالى

واستنشقوا لهوا الربيع فانه * نعم النسيم وعنده ألطاف
يغذي الجسوم نسيمه وكأنه * روح حواها جوهر شفاف

وقال ابن قتيبة ومن ذلك الربيع يذهب الناس الى انه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه النور والورد ولا يعرفون الربيع غيره والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتاء بعده ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه العامة الربيع ثم فصل القيظ وهو الذي تدعوه العامة الصيف ومن العرب من يسمي الفصل الذي يعتدل وتدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الاول ويسمي الفصل الذي يتلوه الشتاء ويأتي فيه الكمام والنور الربيع الثاني وكلهم مجمعون على أن الربيع هو الخريف فاذا حلت الشمس آخر برج الجوزاء وأول برج السرطان تناهى طول النهار وقصر الليل وابتدأ نقص النهار وزيادة

الليل وانصرم فصل الربيع ودخل فصل الصيف واشتد الحر وحمي الهواء وهبت السمائم ونقصت المياه الا بعضا ويبس العشب واستحكم الحب وأدرك حصاد الغلال ونضجت الثمار وسمنت البهائم واشتدت قوة الابدان ودرت أخلاف النعم وصارت الارض كأنها عروس فاذا بلغت آخر برج السنبلة وأول برج الميزان تساوى الليل والنهار مرة ثانية وأخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان وانصرم فصل الصيف ودخل فصل الخريف فبرد الهواء وهبت الرياح وتغير الزمان وجفت الانهار وغارت العيون واصفر ورق الشجر وصرمت الثمار ودرست البيادر واختزن الحب واقتنى العشب واغبر وجه الارض الا بعضا وهزلت البهائم وماتت الهوام وانجحرت الحشرات وانصرف الطير والوحش يريد البلاد الدافئة وأخذ الناس يخزنون القوت للشتاء وصارت الدنيا كأنها امرأة كهلة قد أدبرت وأخذ شبابها يولي ولله در القائل وهو الامام عز الدين أبو الحسن أحمد بن علي ابن معقل الازدي المهلبي الحمصي حيث يقول

لله فصل الخريف المستلذ به * برد الهواء لقد أبدى لنا عجبا
اهدى الى الارض من اوراقه ذهبا * والارض من شأنها أن تهدي الذهبا

وقال أيضا

لله فصل الخريف فصلا * رقت حواشيه فهو رائق
فالماء يجري من قلب سال * والدمع يبدو بوجه عاشق
فبرد هذا ولون هذا * يلذه ذائق ووامق

وقال أيضا

اتى فصل الخريف بكل طيب * وحسن معجب قلبا وعينا
ارانا الدوح مصفرا نضارا * وصافي الماء مبيضا لجينا
فأحسن كل احسان الينا * وانعم كل انعام علينا

وقال آخر يذم الخريف

خذ في التدثر في الخريف فانه * مستوبل ونسيمه خطاف
يجري مع الاجسام جري حياتها * كصديقها ومن الصديق يخاف

وقال آخر

ناعما بافصل الخريف وغائبا * عن فضله في ذمه لزمانه
لاشيء ألطف منه عندي موقعا * ابدا يعري الغصن من قمصانه
وتراه يفرش تحته أثوابه * فاعجب لرأفته وفرط حنانه
وألذ ساعات الوصال اذا دنا * وقت الرحيل وحان حين اوانه

فاذا حلت الشمس آخر برج القوس وأول برج الجدي تناهى طول الليل وقصر النهار وأخذ النهار في الزيادة والليل في النقصان وانصرم فصل الخريف وحل فصل الشتاء واشتد البرد وخشن الهواء وتساقط ورق الشجر ومات اكثر النبات وغارت الحيوانات في جوف الارض وضعف قوى الابدان وعري وجه الارض من الزينة ونشأت الغيوم وكثرت الانداء وأظلم الجو وكلح وجه الارض الا بعضا وامتنع الناس من التصرف وصارت الدنيا كأنها عجوز هرمة قد دنا منها الموت فاذا بلغت آخر برج الحوت وأول برج الحمل عاد الزمان كما كان عام أول وهذا دأبه ذلك تقدير العزيز العليم وتدبير الخبير الحكيم لا اله الا هو وقد شبه بطليموس فصل الربيع بزمان الطفولية وفصل الصيف بالشباب والخريف بالكهولة والشتاء بالشيخوخة وعن حركة الشمس وتنقلها في البروج الاثني عشر المذكورة تكون ازمان السنة وأوقات اليوم من الليل والنهار وساعاتهما وعن حركة القمر في البروج الاثني عشر تكون الشهور القمرية والسنة القمرية فالقمر يدور البروج الاثني عشر ويقطع الفلك كله في مدة ثمانية وعشرين يوما وبعض يوم ويقيم في كل برج يومين وثلث يوم بالتقريب ويقيم في كل منزلة من منازل القمر الثمانية والعشرين منزلة يوما وليلة فيظهر عند اهلاله من ناحية الغرب بعد غروب جرم الشمس ويزيد نوره في كل ليلة قدر نصف سبع حتى يكمل نوره ويمتلئ في ليلة الرابع عشر من اهلاله ثم يأخذ من الليلة الخامسة عشر

فى النقصان فينقص من نوره فى كل ليلة نصف سبع كما بدا الى أن يمحق نوره فى آخر الثمانية وعشرين يوما من اهلاله ويمر فى هذه المدة منذ يفارق الشمس ويبدو فى ناحية الغرب ويستمر الى أن يجامعها بثمانية وعشرين منزلة وهى السرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعوا والسماك والغفر والزبانا والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر وبطن الحوت * ولحساب ذلك كتب موضوعة وفيما ذكر كفاية والله يعلم وانتم لاتعلمون

(ذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها)

ولما تقدم فى الافلاك من القول ما يتبين به لمن ألهمه الله تعالى كيف تكون الحركة التى بها الليل والنهار وتركب الشهور والاعوام منهما جاز حينئذ الكلام على الارض فأقول * الجهات من حيث هى ست الشرق وهو حيث تطلع الشمس والقمر وسائر الكواكب فى كل قطر من الافق والغرب وهو حيث تغرب والشمال وهو حيث مدار الجدى والفرقدين والجنوب وهو حيث مدار سهيل والفوق وهو مما يلى السماء والتحت وهو مما يلى مركز الارض * والارض جسم مستدير كالكرة وقيل ليست بكرية الشكل وهى واقفة فى الهواء بجميع جبالها وبحارها وعامرها وغامرها والهواء محيط بها من جميع جهاتها كالمخ فى جوف البيضة وبعدها من السماء متساو من جميع الجهات واسفل الارض ما تحقيقه هو عمق باطنها مما يلى مركزها من أى جانب كان ذهب الجمهور الى أن الارض كالكرة موضوعة فى جوف الفلك كالمخ فى البيضة وأنها فى الوسط وبعدها فى الفلك من جميع الجهات على التساوى وزعم هشام بن الحكم أن تحت الارض جسما من شأنه الارتفاع وهو المانع للارض من الانحدار وهو ليس محتاجا الى ما يعمده لانه ليس يطلب الانحدار بل الارتفاع وقال ان الله تعالى وقفها بلا عماد وقال ديمقراطس انها تقوم على الماء وقد حصر الماء تحتها حتى لا يجد مخرجا فيضطر الى الانتقال وقال آخر هى واقفة على الوسط على مقدار واحد من كل جانب والفلك يجذبها من كل وجه فلذلك لاتميل الى ناحية من الفلك دون ناحية لان قوة الاجزاء متكافئة وذلك كحجر المغناطيس فى جذبه الحديد فان الفلك بالطبع مغناطيس الارض فهو يجذبها فهى واقفة فى الوسط وسبب وقوفها فى الوسط سرعة تدبير الفلك ودفعه اياها من كل جهة الى الوسط كما اذا وضعت ترابا فى قارورة وأدرتها بقوة فان التراب يقوم فى الوسط وقال محمد بن احمد الخوارزمى الارض فى وسط السماء والوسط هو السفلى بالحقيقة وهى مدورة مضرسة من جهة الجبال البارزة والوهاد الغائرة وذلك لا يخرجها عن الكرية اذا اعتبرت جملتها لان مقادير الجبال وان شمخت يسيرة بالقياس الى كرة الارض فان الكرة التى قطرها ذراع أو ذراعان مثلا اذا نتأ منها اشياء او غار فيها لا يخرجها عن الكرية ولا هذه التضاريس لاحاطة الماء بها من جميع جوانبها وغمرها بحيث لا يظهر منها شئ فحينئذ تبطل الحكمة المؤدية المودعة فى المعادن والنبات والحيوان فسبحان من لا يعلم أسرار حكمه الاهو * وأما سطحها الظاهر المماس للهواء من جميع الجهات فانه فوق والهواء فوق الارض يحيط بها ويجذبها من سائر الجهات وفوق الهواء الافلاك المذكورة فيما تقدم واحدا فوق آخر الى الفلك التاسع الذى هو أعلى الافلاك ونهاية المخلوقات بأسرها وقد اختلف فيما وراء ذلك فقيل خلاء وقيل ملاء وقيل لا خلاء ولا ملاء وكل موضع يقف فيه الانسان من سطح الارض فان رأسه ابدا يكون مما يلى السماء الى فوق ورجلاه ابدا تكون اسفل مما يلى مركز الارض وهو دائما يرى من السماء نصفها ويستتر عنه النصف الآخر بحدبة الارض وكلما انتقل من موضع الى آخر ظهر له من السماء بقدر ما خفى عنه * والارض غامرة بالماء كعنبة طافية فوق الماء قد انحسر عنها نحو النصف وانغمر النصف الآخر فى الارض وصار المنكشف من الارض نصفين كما تقاسم بخط مسامت لخط معدل النهار يمر تحت دائرته وجميع البلاد التى على هذا الخط لا عرض لها البتة والقطبان غير مرئيين فيها ويكونان هنالك على دائرة الافق من الجانبين وكلما بعد موضع بلد عن هذا الخط الى ناحية الشمال قدر درجة ارتفع القطب الشمالى الذى هو الجدى على اهل ذلك البلد درجة وانخفض القطب الجنوبى الذى هو سهيل درجة وهكذا ما زاد ويكون الامر فيما بعد من البلاد الواقعة فى ناحية الجنوب كذلك من ارتفاع القطب الجنوبى وانحطاط القطب الشمالى وبهذا عرف عرض البلدان وصار عرض

البلد عبارة عن مثل دائرة معدل النهار عن سمت رؤس اهله وارتفاع القطب عليهم وهو أيضا بعد ما بين سمت رؤس اهل ذلك البلد وسمت رؤس اهل بلد لا عرض له فأما ما انكشف من الارض مما يلي الجنوب من خط الاستواء فانه خراب والنصف الآخر الذي يلي الشمال من خط الاستواء فهو الربع العامر وهو المسكون من الارض وخط الاستواء لا وجود له في الخارج وانما هو فرض بوهمنا أنه خط ابتداؤه من المشرق الى المغرب تحت مدار رأس الحمل وسمي بذلك من اجل أن النهار والليل هنالك ابدا سواء لا يزيد ولا ينقص أحدهما عن الآخر شيأ البتة في سائر أوقات السنة كلها ونقطتا هذا الخط ملازمتان للافق احداهما على مدار سهيل في ناحية الجنوب والاخرى مما يلي الجدي في ناحية الشمال * والعمارة من المشرق الى المغرب مائة وثمانون درجة من الجنوب الى الشمال من خط اريس الى بنات نعش ثمان واربعون درجة وهو مقدار ميل الشمس مرتين وخلف خط أرين وهو مقدار ستة عشر درجة وجملة معمور الارض نحو من سبعين درجة لاعتدال مسير الشمس في هذا الوسط ومرورها على ما وراء الحمل والميزان مرتين في السنة وأما الشمال والجنوب فالشمس لا تحاذيهما الا مرة واحدة ولان اوج الشمس مرتين في جهة الشمال كانت العمارة فيه لارتفاعها وانتفاء ضرر قوتها غير ساكنة ولان حضيضها في الجنوب عدمت العمارة هنالك * وقد اختلف الناس في مسافة الارض فقيل مسافتها خمسمائة عام ثلث عمران وثلث خراب وثلث بحار وقيل المعمور من الارض مائة وعشرون سنة تسعون ليأجوج ومأجوج واثنا عشر للسودان وثمانية للروم وثلاثة للعرب وسبعة لسائر الامم وقيل الدنيا سبعة اجزاء ستة ليأجوج ومأجوج وواحد لسائر الناس وقيل الارض خمسمائة عام البحار ثلثمائة ومائة خراب ومائة عمران وقيل الارض اربعة وعشرون ألف فرسخ للسودان اثنا عشر ألف وللروم ثمانية آلاف ولفارس ثلاثة آلاف وللعرب ألف * وعن وهب بن منبه ما العمارة من الدنيا في الخراب الا كفسطاط في الصحراء وقال ازدشير بن بابك الارض اربعة اجزاء جزء منها للترك وجزء للعرب وجزء للفرس وجزء للسودان وقيل الاقاليم سبعة والاطراف اربعة والنواحي خمسة واربعون والمداين عشرة آلاف والرساتيق مائتا ألف وستة وخمسون ألفا وقيل المدن والحصون أحد وعشرون ألفا وستمائة مدينة وحصن ففي الاقليم الاول ثلاثة آلاف ومائة مدينة كبيرة وفي الثاني ألفان وسبعمائة وثلاثة عشر مدينة وقرية كبيرة وفي الثالث ثلاثة آلاف وتسع وسبعون مدينة وقرية وفي الرابع وهو بابل ألفان وتسعمائة وأربع وسبعون مدينة وفي الخامس ثلاثة آلاف مدينة وست مدائن وفي السادس ثلاثة آلاف واربعمائة وثمان مدن وفي السابع ثلاثة آلاف وثلاثمائة مدينة في الجزائر وقال الخوارزمي قطر الارض سبعة آلاف فرسخ وهو نصف سدس الارض والجبال والمفاوز والبحار والباقي خراب يباب لا نبات فيه ولا حيوان وقيل المعمور من الارض مثل طائر رأسه الصين والجناح الايمن الهند والسند والجناح الايسر الخزر وصدره مكة والعراق والشام ومصر وذنبه الغرب * وقيل قطر الارض سبعة آلاف وأربعمائة واربعة عشر ميلا ودورها عشرون ألف ميل واربعمائة ميل وذلك جميع ما احاطت به من بر وبحر * وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي طول الارض من اقصى المشرق الى اقصى المغرب نحو أربعمائة مرحلة وعرضها من حيث العمران الذي من جهة الشمال وهو مساكن يأجوج ومأجوج الى حيث العمران الذي من جهة الجنوب وهو مساكن السودان مائتان وعشرون مرحلة وما بين براري يأجوج ومأجوج الى البحر المحيط في الشمال وما بين براري السودان والبحر المحيط في الجنوب خراب ليس فيه عمارة ويقال أن مسافة ذلك خمسة آلاف فرسخ وهذه اقوال لا دليل على صدقها والطريق في معرفة مساحة الارض أنا لو سرنا على خط نصف النهار من الجنوب الى الشمال بقدر ميل دائرة معدل النهار عن سمت رؤسنا الى الجنوب درجة من درج الفلك التي هي جزء من ثلاثمائة وستين جزأ وارتفع القطب علينا درجة نظير تلك الدرجة فأنا نعلم أنا قد قطعنا من محيط جرم الارض جزأ من ثلاثمائة وستين جزأ وهو نظير ذلك الجزء من الفلك فلو قسنا من ابتداء مسيرنا الى انتهاء مكاننا الذي وصلنا اليه حيث ارتفع القطب علينا درجة فانا نجد حقيقة الدرجة الواحدة من الفلك قد قطعت من الارض ستة وخمسين ميلا وثلثي ميل عنها خمسة وعشرون فرسخا فاذا ضربنا مساحة الدرجة الواحدة وهو ما ذكر من الاميال في ثلاثمائة وستين خرج من الضرب عشرون ألفا وأربعمائة ميل وذلك مساحة دور الارض فاذا قسمنا هذه الاميال التي هي مساحة دور الارض

على ثلاثة وسبع خرج من القسمة ستة آلاف وأربعمائة وأربعون ميلا وهى مساحة قطر الارض فلو ضربنا هذا القطر فى مبلغ دور الارض لبلغت مساحة بسط الارض بالتكسير مائة ألف ألف واثنين وثلاثين ألف ألف وستمائة ألف ميل بالتقريب فعلى هذا مساحة ربع الارض المسكون بالتكسير ثلاثة وثلاثون ألف ألف ميل ومائة وخمسون ألف ميل وعرض المسكون من هذا الربع بقدر بعد مدار السرطان عن القطب وهو خمسة وخمسون جزءا وسدس جزء وهذا هو سدس الارض وانتهاؤه الى جزيرة تولى فى برطانية وهى آخر المعمور من الشمال وهو من الاميال ثلاثة آلاف وسبعمائة وأربعة وستون ميلا فاذا ضربنا هذا السدس الذى هو مساحة عرض الارض فى النصف وهو مقدار الطول كان المعمور من الشمال قدر نصف سدس الارض واما الطول فانه يقل لتضايق اقسام كرة الارض ومقداره مثل خمس الدور وهو بالتقريب اربعة آلاف وثمانون ميلا وفى الربع المسكون من الارض سبعة أبحر كبار وفى كل بحر منها عدة جزائر وفيه خمسة عشر بحيرة منها ملح وعذب وفيه مائتا جبل طوال ومائتا نهر وأربعون نهرا طوالا ويشتمل على سبعة اقاليم تحتوى على سبعة عشر ألف مدينة كبيرة * وقال فى كتاب هروشيوس لما استقامت طاعة يوليس الملقب قيصر الملك فى عامة الدنيا تخير أربعة من الفلاسفة سماهم فأمرهم أن يأخذوا له وصف حدود الدنيا وعدة بحارها وكورها ارباعا فولى أحدهم أخذ وصف جزء المشرق وولى آخر أخذ وصف جزء المغرب وولى الثالث أخذ وصف جزء الشمال وولى الرابع أخذ وصف جزء الجنوب فتمت كتابة الجميع على ايديهم فى نحو من ثلاثين سنة فكانت جملة البحار المسماة فى الدنيا تسعة وعشرين بحرا قد سموها منها بجزء الشرق ثمانية وبجزء الغرب ثمانية وبجزء الشمال أحد عشر وبجزء الجنوب اثنان وعدة الجزائر المعروفة الامهات احدى وسبعون جزيرة منها فى الشرق ثمان وفى الغرب ست عشرة وفى جهة الشمال احدى وثلاثون وفى جهة الجنوب ست عشرة وعدة الجبال الكبار المعروفة فى جميع الدنيا ستة وثلاثون وهى أمهات الجبال وقد سموها فيما فسر ومنها فى جهة الشرق سبعة وفى جهة الغرب خمسة عشر وفى الشمال اثنا عشر وفى الجنوب اثنان والبلدان الكبار ثلاثة وستون منها فى المشرق سبعة وفى المغرب خمسة وعشرون وفى الشمال تسعة عشر وفى الجنوب اثنا عشر وقد سموها والكور الكبار المعروفة تسع ومائتان منها فى المشرق خمس وسبعون وفى المغرب ست وستون وفى الشمال ست وفى الجنوب اثنان وستون والانهار الكبار المعروفة فى جميع الدنيا ستة وخمسون منها لجزء الشرق سبعة عشر ولجزء الغرب ثلاثة عشر ولجزء الشمال تسعة عشر ولجزء الجنوب سبعة والاقاليم السبعة كل اقليم منها كانه بساط مفروش قد مد طوله من الشرق الى الغرب وعرضه من الشمال الى الجنوب وهذه الاقاليم مختلفة الطول والعرض فالاقليم الاوّل منها يمرّ وسطه بالمواضع التى طول نهارها الاطول ثلاثة عشر ساعة والسابع منها يمرّ وسطه بالمواضع التى طول نهارها الاطول ست عشر ساعة لانّ ما حاذى حدّ الاقليم الاوّل الذى نحو الجنوب يشتمل عليه البحر ولا عمارة فيه وما حاذى الاقليم السابع الى الشمال لا يعلم فيه عمارة فجعل طول الاقاليم السبعة من الشرق الى الغرب مسافة اثنتى عشرة ساعة من دور الفلك وصارت عروضها تتفاضل نصف ساعة من ساعات النهار الاطول فأطولها وأعرضها الاقليم الاوّل وطوله من المشرق الى المغرب نحو ثلاثة آلاف فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب مائة وخمسون فرسخا وأقصرها طولا وعرضا الاقليم السابع وطوله من الشرق الى الغرب ألف وخمسمائة فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو من سبعين فرسخا وبقية الاقاليم الخمسة فيما بين ذلك وهذه الاقاليم خطوط متوهمة لا وجود لها فى الخارج وضعها القدماء الذين جالوا فى الارض ليقفوا على حقيقة حدودها ويتيقنوا مواضع البلدان منها ويعرفوا طرق مسالكها هذا حال الربع المسكون وأما الثلاثة الارباع الباقية فانها خراب فجهة الشمال واقعة تحت مدار الجدى قد أفرط هنالك البرد وصارت ستة اشهر ليلا مستمرا وهى مدّة الشتاء عندهم لا يعرف فيها نهار ويظلم الهواء ظلمة شديدة وتجمد المياه لقوّة البرد فلا يكون هنالك نبات ولا حيوان ويقابل هذه الجهة الشمالية ناحية الجنوب حيث مدار سهيل فيكون النهار ستة اشهر بغير ليل وهى مدّة الصيف عندهم فيحمى الهواء ويصير سموما محرقا يهلك بشدّة حره الحيوان والنبات فلا يمكن سلوكه ولا السكنى فيه وأما ناحية الغرب فيمنع البحر المحيط من السلوك فيه لتلاطم امواجه وشدّة ظلماته وناحية الشرق تمنع من سلوكها الجبال الشامخة وصار الناس اجمعهم قد انحصروا فى الربع المسكون من الارض

ولا علم لاحد منهم بالارض أى بالثلاثة الارباع الباقية والارض كلها بجميع ما عليها من الجبال والبحار نسبتها الى الفلك كنقطة فى دائرة وقد اعتبرت حدود الاقاليم السبعة بساعات النهار وذلك أن الشمس اذا حلت برأس الحمل تساوى طول النهار والليل فى سائر الاقاليم كلها فاذا انتقلت فى درجات برج الحمل والثور والجوزاء اختلفت ساعات نهار كل اقليم فاذا بلغت آخر الجوزاء وأول برج السرطان بلغ طول النهار فى وسط الاقليم الاول ثلاث عشرة ساعة سواء وصارت فى وسط الاقليم الثانى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة وفى وسط الاقليم الثالث اربع عشرة ساعة وفى وسط الاقليم الرابع اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفى وسط الاقليم الخامس خمس عشرة ساعة وفى وسط الاقليم السادس خمس عشرة ساعة ونصف ساعة وفى وسط الاقليم السابع ست عشرة ساعة سواء ومازاد على ذلك الى عرض تسعين درجة يصير نهارا كله * ومعنى طول البلد هو بعدها من اقصى العمارة فى الغرب وعرضها هو بعدها عن خط الاستواء وخط الاستواء كما تقدم هو الموضع الذى يكون فيه الليل والنهار طول الزمان سواء فكل بلد على هذا الخط لا عرض له وكل بلد فى اقصى الغرب لا طول له ومن اقصى الغرب الى اقصى الشرق مائة وثمانون درجة وكل بلد يكون طوله تسعين درجة فانه فى وسط ما بين الشرق والغرب وكل بلد كان طوله اقل من تسعين درجة فانه اقرب الى الغرب وأبعد من الشرق وما كان طوله من البلاد اكثر من تسعين درجة فانه أبعد عن الغرب واقرب الى الشرق * وقد ذكر القدماء أن العالم السفلى مقسوم سبعة اقسام كل قسم يقال له اقليم فأقليم الهند لزحل واقليم بابل للمشترى واقليم الترك للمريخ واقليم الروم للشمس واقليم مصر لعطارد واقليم الصين للقمر * وقال قوم الحمل والمشترى لبابل والجدى وعطارد للهند والاسد والمريخ للترك والميزان والشمس للروم ثم صارت السنة على اثنى عشر برجا فالحمل ومثلاه للمشرق والثور ومثلاه للجنوب والجوزاء ومثلاها للمغرب والسرطان ومثلاه للشمال قالوا وفى كل اقليم مدينتان عظيمتان بحسب بين كل كوكب الاقاليم الشمس واقليم القمر فانه ليس فى كل اقليم منهما سوى مدينة واحدة عظيمة وجميع مدائن الاقاليم السبعة وحصونها أحد وعشرون ألف مدينة وستمائة مدينة وحصن بقدر دقائق درج الفلك وقال هرمس اذا جعلت هذه الدقائق روابع كانت اناس هذه الاقاليم واذا مات أحد ولد نظيره ويقال أن عدد مدن الاقليم الاول من مطلع الشمس وقراها ثلاثة آلاف ومائة مدينة وقرية كبيرة وأن فى الثانى ألفان وسبعمائة وثلاث عشرة مدينة وقرية كبيرة وفى الثالث ثلاثة آلاف وتسع وسبعون وفى الرابع وهو بابل ألفان وتسعمائة وأربع وسبعون وفى الخامس ثلاثة آلاف وست مدن وفى السادس ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان مدن وفى السابع ثلاثة آلاف وثلاثمائة مدينة وقرية كبيرة فى الجزائر * فالاقليم الاول يمر وسطه بالمواضع التى طول نهارها الاطول ثلاث عشرة ساعة ويرتفع القطب الشمالى فيها عن الافق ست عشرة درجة وثلثا درجة وهو العرض وابتداء عرض هذا الاقليم من حيث يكون طول النهار الاطول فيه ثلاث عشرة ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض عشرون درجة ونصف درجة وهو مسافة اربعمائة واربعين ميلا وابتداؤه من أقصى بلاد الصين فيمر فيها الى ما يلى الجنوب ويمر بسواحل الهند ثم بلاد السند ويمر فى البحر على جزيرة العرب وارض اليمن ويقطع بحر القلزم فيمر ببلاد الحبشة ويقطع نيل مصر الى بلاد الحبشة ومدينة دنقلة من ارض النوبة ويمر فى ارض المغرب على جنوب بلاد البربر الى نحو البحر المحيط وفى هذا الاقليم عشرون جبلا فيها ما طوله من عشرين فرسخا الى ألف فرسخ وفيه ثلاثون نهرا طويلا منها ما طوله ألف فرسخ الى عشرين فرسخا وفيه خمسون مدينة كبيرة وعامة اهل هذا الاقليم سود الالوان ولهذا الاقليم من البروج الحمل والقوس وله من الكواكب السيارة المشترى وهو مع فرط حرارته كثير المياه كثير المروج وزرع اهله الذرة والارز الا أن الاعتدال عندهم معدوم فلا يثمر عندهم كرم ولا حنطة والبقر عندهم كثير لكثرة المروج وفى مشرقه البحر الخارج وراء خط الاستوا بثلاث عشرة درجة وفى مغربه النيل وبحر الغرب ومن هذا الاقليم يأتى نيل مصر وشرقيهم معمور بالبحر الشرقى الذى هو بحر الهند واليمن * والاقليم الثانى حيث يكون طول النهار الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف ويرتفع القطب الشمالى فيه قدر أربعة وعشرين جزأ وعشر جزء وعرضه من حد الاقليم الاول الى حيث يكون النهار الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض سبعة وعشرون درجة ونصف درجة ومساحة هذا الاقليم أربعمائة ميل

ويبتدئ من بلاد الشرق مارا ببلاد الصين الى بلاد الهند والسند ثم يلتقى البحر الاخضر وبحر البصرة ويقطع جزيرة العرب فى أرض نجد وتهامة فيدخل فى هذا الاقليم اليمامة والبحران وهجر ومكة والمدينة والطائف وأرض الحجاز ويقطع بحر القلزم فيمر بصعيد مصر الاعلى ويقطع النيل فيصير فيه مدينة قوص واخميم واسنى وأنصنا واسوان و يمر فى ارض المغرب على وسط بلاد أفريقية فيمر على بلاد البربر الى البحر فى المغرب وفى هذا الاقليم سبعة عشر جبلا وسبعة عشر نهرا طوالا واربعمائة وخمسون مدينة كبيرة وألوان اهل هذا الاقليم ما بين السمرة والسواد وله من البروج الجدى ومن السيارة زحل ويسكن هذا الاقليم الرحالة ففى المغرب منهم حداله وصنهاجه ولمتونه ومسوفه ويتصل بهم رحالة مصر من الواح وفى هذا الاقليم يكون نخل وفيه مكة والمدينة ومن السماوة من اهل العراق الى رحالة الترك * والاقليم الثالث وسطه حيث يكون طول النهار الاطول اربع عشرة ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلاثون درجة ونصف وخمس درجة وعرض هذا الاقليم من حد الاقليم الثانى الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلاث وثلاثون درجة ومسافته ثلاثمائة وخمسون ميلا ويبتدئ من الشرق فيمر بشمال الصين وبلاد الهند وفيه مدينة الهندهار ثم بشمال السند وبلاد كابل وكرمان وسجستان الى سواحل بحر البصرة وفيه اصطخر وسابور وشيراز وسيراف ويمر بالاهواز والعراق والبصرة وواسط وبغداد والكوفة والانبار وهيت ويمر ببلاد الشام الى سلمية وصور وعكا ودمشق وطبرية وقيسارية وبيت المقدس وعسقلان وغزة ومدين والقلزم ويقطع اسفل ارض مصر من شمال انصنا الى فسطاط مصر وسواحل البحر وفيه الفيوم والاسكندرية والعرما وتنيس ودمياط ويمر ببلاد برقة الى افريقة فيدخل فيه القيروان وينتهى فى البحر الى الغرب وبهذا الاقليم ثلاث وثلاثون جبلا كبارا واثنان وعشرون نهرا طوالا ومائة وثمانية وعشرون مدينة واهله سمر الالوان وله من البروج العقرب ومن السيارة الزهره وفى هذا الاقليم العمائر المتواصلة من أوله الى آخره اه * والاقليم الرابع وسطه حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض ست وثلاثون درجة وخمس درجة وحد هذا الاقليم من حد الاقليم الثالث الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف وربع ساعة والعرض تسعا وعشرين درجة وثلث درجة ومسافة هذا الاقليم ثلاثمائة ميل ويبتدئ من الشرق فيمر ببلاد التبت وخراسان وخجنده وفرغانه وسمرقند وبخارى وهراه ومرو والروذ وسرخس وطوس ونيسابور وجرجان وقومس وطبرستان وقزوين والديلم والرى واصفهان وهمذان ونهاوند ودينور والموصل ونصيبين وآمد ورأس العين وشمشاط والرقة ويمر ببلاد الشام فيدخل فيه بالس ومنبج وملطية وحلب وانطاكيه وطرابلس والمصيصة وحماه وصيدا وطرسوس وعمورية واللاذقية ويقطع بحر الشام على جزيرة قبرس وردوس ويمر ببلاد طنجه فينتهى الى بحر المغرب وفى هذا الاقليم خمسة وعشرون جبلا كبارا وخمسة وعشرون نهرا طوالا ومائتا مدينة واثنتا عشرة مدينة وألوان اهله ما بين السمرة والبياض وله من البروج الجوزاء ومن السيارة عطارد وفيه البحر الرومى من مغربه الى القسطنطينية ومن هذا الاقليم ظهرت الانبياء والرسل صلوات الله عليهم اجمعين ومنه انتشر الحكماء والعلماء فانه وسط الاقاليم ثلاثة جنوبية وثلاثة شمالية وهو فى قسم الشمس وبعده فى الفضيلة الاقليم الثالث والخامس فانهما على جنبيه وبقية الاقاليم منحطة اهلوها ناقصون ومنحطون عن الفضيلة لسماجة صورهم وتوحش اخلاقهم كالزنج والحبشة واكثر ام الاقليم الاول والثانى والسادس والسابع ياجوج ومأجوج والتغرغر والصقالبة ونحوهم * والاقليم الخامس وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض احدى واربعون درجة وثلث درجة وابتداؤه من نهاية عرض الاقليم الرابع الى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة والعرض ثلاثا واربعين درجة ومسافته خمسون ومائتا ميل ويبتدئ من المشرق الى بلاد يأجوج ومأجوج ويمر بشمال خراسان وفيه خوارزم واسبيجاب واذربيجان وبردعه وسجستان وأردن وخلاط ويمر على بلاد الروم الى رومية الكبرى والاندلس حتى ينتهى الى البحر الذى فى المغرب وفى هذا الاقليم من الجبال الطوال ثلاثون جبلا ومن الانهار الكبار خمسة عشر نهرا ومن المدائن الكبار مائتا مدينة واكثر أهله بيض الالوان وله من البروج الدلو ومن السيارة القمر * والاقليم السادس وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض خمسا

واربعين درجة وخمسي درجة وابتداؤه من حد نهاية عرض الاقليم الخامس الى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف وربع ساعة والعرض سبعا وأربعين درجة وربع درجة ومسافة هذا الاقليم مائتا ميل وعشرة اميال ويبتدئ من المشرق فيمرّ بمساكن الترك من ايحرخير والتغرغر الى بلاد الخزر من شمال بحرهم على اللان والشرير وارض برجان والقسطنطينية وشمال الاندلس الى البحر المحيط الغربي وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال اثنان وعشرون جبلا ومن الانهار الطوال اثنان وثلاثون نهرا ومن المدن الكبار تسعون مدينة واكثر أهل هذا الاقليم ألوانهم مابين الشقرة والبياض وله من البروج السرطان ومن السيارة المريخ * والاقليم السابع وسطه حيث يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة سواء وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض ثمانيا واربعين درجة وثلثي درجة وابتداء هذا الاقليم من حد نهاية الاقليم السادس الى حيث يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة وربع ساعة والعرض خمسين درجة ونصف درجة ومسافته مائة وخمسة وثمانون ميلا فتبين أن مابين أول حد الاقليم الاول وآخر حد الاقليم السابع ثلاث ساعات ونصف وأن ارتفاع القطب الشمالى ثمانية وثلاثون درجة تكون من الاميال ألفين ومائة واربعين ميلا ويبتدئ الاقليم السابع من المشرق على بلاد يأجوج ومأجوج ويمرّ ببلاد الترك على سواحل بحر جرجان مما يلي الشمال ويقطع بحر الروم على بلاد جرجان والصقالبة الى أن ينتهي الى البحر المحيط في المغرب وبهذا الاقليم عشرة جبال طوال واربعون نهرا طوالا واثنتان وعشرون مدينة كبيرة وأهله شقر الالوان وله من البروج الميزان ومن السيارة الشمس وفي كل اقليم من هذه الاقاليم السبعة امم مختلفة الالسن والالوان وغير ذلك من الطبائع والاخلاق والآراء والديانات والمذاهب والعقائد والاعمال والصنائع والعادات والعبادات لا يشبه بعضهم بعضا وكذلك الحيوانات والمعادن والنبات مختلفة في الشكل والطعم واللون والريح بحسب اختلاف اهوية البلدان وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها على ما اقتضته طوالع كل بلد من البروج على افقه وممرّ الكواكب على مسامتة البقاع من الارض ومطارح شعاعاتها على المواضع كما هو مقرر في مواضعه من كتب الحكمة ليتدبر أولوا النهى ويعتبر ذووا الحجى بتدبير الله في خلقه وتقديره لما يشاء وفعله لما يريد لا اله الا هو ومع ذلك فأن الربع المسكون من الارض على تفاوت اقطاره مقسوم بين سبع امم كبار وهم الصين والهند والسودان والبربر والروم والترك والفرس فجنوب مشرق الارض في يد الصين وشماله في يد الترك ووسط جنوب الارض في يد الهند وفي وسط شمال الارض الروم وفي جنوب مغرب الارض السودان وفي شمال مغرب الارض البربر وكانت الفرس في وسط هذه الممالك قد أحاطت بهم الامم الست

* (ذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقسام السبعة) *

واذ يسر الله سبحانه بذكر جمل احوال الارض ومعرفة ما في كل اقليم من اقاليم الارض فلنذكر محل مصر من ذلك فنقول ديار مصر بعضها واقع في الاقليم الثاني وبعضها واقع في الاقليم الثالث فما كان منها في الصعيد الاعلى كقوص واخميم واسنى وأنصنا واسوان فان ذلك واقع في اقسام الاقليم الثاني وما كان من ديار مصر في جهة الشمال من انصنا وهو الصعيد الادنى من سيوط الى فسطاط مصر والفيوم والقاهرة والاسكندرية والفرما وتنيس ودمياط فان ذلك من اقسام الاقليم الثالث وطول مدينة مصر الفسطاط والقاهرة وهو بعدهما من أول العمارة في جهة المغرب خمس وخمسون درجة والعرض وهو البعد من خط الاستواء ثلاثون درجة وطول النهار الاطول اربع عشرة ساعة وغاية ارتفاع الشمس في الفلك بها ثلاث وثمانون درجة وثلث وربع درجة وفسطاط مصر مع القاهرة من مكة شرّفها الله تعالى واقعان في الربع الجنوبي الشرقي والصعيد الاعلى اشدّ تشريقا لبعده عن مدينة الفسطاط بأيام عديدة في جهة الجنوب فيكون على ذلك مقابلا لمكة من غربيها ومصر لا يتوصل اليها الا من مفازة ففي شرقيها بحر القلزم من وراء الجبل الشرقي وفي غربيها صحراء المغرب وفي جنوبها مفازة النوبة والحبشة وفي شمالها البحر الشامي والرمال التي فيما بين بحر الروم وبحر القلزم وبين مصر وبغداد على ما ذكره ابن جرداذبه في كتاب الممالك والمسالك ألف وسبعمائة وعشرة اميال يكون خمسمائة وسبعين فرسخا ومائة وبضعا وأربعين بريدا وبين مصر والشام اعني دمشق ثلاثمائة وخمسة وستون ميلا تكون من الفراسخ مائة واحدى وعشرين فرسخا وثلثي فرسخ عنها ثلاثون بريدا وكسر وقال ابن جرداذبه ارض الحبشة

والسودان منبرة سبع سنين وأرض مصر جزء واحد من ستين جزأ من أرض السودان وارض السودان جزء واحد من الارض كلها وفى كتاب هردوشيش بلد مصر الادنى شرقه فلسطين وغربه ارض لبيسه وارض مصر الاعلى تمتد الى ناحية الشرق وحده فى الشمال خليج الغرب وفى الجنوب البحر المحيط وفى الغرب مصر الادنى وفى الشرق بحر القلزم وفيه من الاجناس ثمانية وعشرون جنسا

(ذكر حدود مصر وجهاتها)

اعلم أن التحديد هو صفة المحدود على ماهو عليه والحد هو نهاية الشئ والحدود تكثر وتقل بحسب الحدود والجهات التى تحتويها المساكن والبقاع اربع جهات وهى جهة الشمال التى هى اشارة الى موضع قطب الفلك الشمالى المعروف من كواكبه الجدى والفرقدان ويقابل جهة الشمال الجهة الجنوبية والجنوب عبارة عن موضع قطب الفلك الجنوبى الذى يقرب منه سهيل ومايتبعه من كواكب السفينة والجهة الثالثة جهة المشرق وهو مشرق الشمس فى الاعتدالين اللذين هما رأس الحمل أول فصل الربيع ورأس الميزان أول فصل الخريف والجهة الرابعة جهة المغرب وهو مغرب الشمس فى الاعتدالين المذكورين فهذه الجهات الاربع ثابتة بثبوت الفلك غير متغيرة بتغير الاوقات وبها تحد الاراضى ونحوها من المساكن وبها يهتدى التائه فى أسفارهم وبها يستخرجون سمت محاريبهم فالمشرق والمغرب معروفان والشمال والجنوب جهتان مقاطعتان لجهتى المشرق والمغرب على تربيع الفلك فالخط المار بنقطتى الشمال والجنوب يسمى خط نصف النهار وهو مقاطع للخط المار بنقطتى المشرق والمغرب المسمى بخط الاستواء على زوايا قائمة وأبعاد مابين هذين الخطين متساوية فالمستقبل للجنوب يكون أبدا مستدبر الشمال ويصير المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره وهذه الجهات الاربع هى التى ينسب اليها مايحد من البلاد والاراضى والدور الآن أهل مصر يستعملون فى تحديدهم بدلا من الجهة الجنوبية لفظة القبلية فيقولون الحد القبلى ينتهى الى كذا ولا يقولون الحد الجنوبى وكذلك يقولون الحد البحرى ينتهى الى كذا ويريدون بالبحرى الحد الشمالى وقد يقع فى هاتين الجهتين الغلط فى بعض البلاد وذلك أن البلاد التى توافق عروضها عرض مكة اذا كانت اطوالها اقل من طول مكة فان القبلة تكون فى هذه البلاد نفس الشرق بخلاف التى توافق عروضها عرض مكة الا أن اطوالها اطول من طول مكة فان القبلة فى هذه البلاد تكون نفس الغرب فمن حدد فى شئ من هذه البلاد ارضا أومسكنا بحدود أربعة فانه يصير حدان منها حدا واحدا وكذلك جهة البحر لما جعلوها قبالة جهة القبلة وحددوا ما بينهما من الاراضى والدور بما يسامتها منه فانهم أيضا بما غلطوا وذلك أن القبلة والبحر يكونان فى بعض البلاد فى جهة واحدة فاذا عرفت ذلك فاعلم أن ارض مصر لها حد يأخذ من بحر الروم من الاسكندرية وزعم قوم من برقه فى البر حتى ينتهى الى ظهر الواحات ويمتد الى بلد النوبة ثم يعطف على حدود النوبة فى حد اسوان على حد أرض السجنة فى قبلى اسوان حتى ينتهى الى بحر القلزم ثم يمتد على بحر القلزم ويجاوز القلزم الى طور سينا ويعطف على تيه بنى اسرائيل مارا الى بحر الروم فى الجفار خلف العريش ورفح ويرجع الى الساحل مارا على بحر الروم الى الاسكندرية ويتصل بالحد الذى قدمت ذكره من نواحى برقه وقال أبو الصلت امية بن عبد العزيز فى رسالته المصرية ارض مصر بأسرها واقعة فى المعمورة فى قسمى الاقليم الثانى والاقليم الثالث ومعظمها فى الثالث وحكى المعتنون باخبارها وتواريخها أن حدها فى الطول من مدينة برقة التى فى جنوب البحر الرومى الى ايلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين ومسافة ذلك قريب من اربعين يوما وحدها فى العرض من مدينة اسوان وماسامتها من الصعيد الاعلى المتاخم لارض النوبة الى رشيد وماحاذاها من مساقط النيل فى البحر الرومى ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوما ويكتنفها فى العرض الى منتهاها جبلان أحدهما فى الضفة الشرقية من النيل وهو المقطم والآخر فى الضفة الغربية منه والنيل منسرب فيما بينهما وهما جبلان أجردان غير شامخين يتقاربان جدا فى وضعهما من لدن اسوان الى أن ينتهيا الى الفسطاط ثم يتسع ما بينهما وينفرج قليلا ويأخذ المقطم منهما مشرقا والآخر مغربا على وراب فى مأخذيهما وتفريج فى مسلكيهما فتتسع ارض مصر من الفسطاط الى ساحل البحر الرومى الذى عليه الفرما وتنيس ودمياط ورشيد والاسكندرية فهنالك تنقطع فى عرضها الذى هو مسافة ما بين اوغلها فى الجنوب وأوغلها فى الشمال واذا نظرنا بالطريق البرهانية فى مقدار

هذه المسافة من الاميال لم تبلغ ثلاثين ميلا بل تنقص عنها نقصانا ماله قدر وذلك لان فضل ما بين عرض مدينة اسوان التى هى اوغلها فى الجنوب وعرض مدينة تنيس التى هى اوغلها فى الشمال تسعة اجزاء ونحو سدس جزء وليس بين طوليها فضل له قدر يعتد به وينوب ذلك نحو خمسمائة وعشرين ميلا بالتقريب وذلك مسافة عشرين يوما أو قريب منها وفى هذه المدة من الزمان تقطع السفار ما بين البلدين بالسير المعتدل أو اكثر من ذلك لما فى الطريق من التعويج وعدم الاستقامة وقال القضاعى الذى يقع عليه اسم مصر من العريش الى آخر لوبيه ومراقيه وفى آخر أرض مراقيه تلقى ارض انطابلس وهى برقة ومن العريش فصاعدا يكون ذلك مسيرة اربعين ليلة وهو ساحل كله على البحر الرومى وهو بحرى ارض مصر وهو مهب الشمال منها الى القبلة شيأ ما فاذا بلغت آخر أرض مراقية عدت ذات الشمال واستقبلت الجنوب وتسير فى الرمل وانت متوجه الى القبلة يكون الرمل من مصبه عن يمينك الى أفريقية وعن يسارك من ارض مصر الى ارض الفيوم منها وأرض الواحات الاربعة فذلك غربى مصر وهو ما استقبلته منه ثم تعوج من آخر أرض الوحات وتستقبل المشرق سائرا الى النيل تسير ثمانى مراحل الى النيل ثم على النيل فصاعدا وهى آخر أرض الاسلام هنالك ويليها بلاد النوبة ثم يقطع النيل فتأخذ من اسوان فى المشرق منكبا عن بلد اسوان الى عيذاب ساحل البحر الحجازى تمن اسوان الى عيذاب خمس عشرة مرحلة وذلك كله قبلى ارض مصر ومهب الجنوب منها ثم يقطع البحر الملح من عيذاب الى أرض الحجاز فينزل الحوراء أول ارض مصر وهى متصلة باعراض مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا البحر المحدود هو بحر القلزم وهو داخل فى ارض مصر بشرقيه وغربيه وبحريه فالشرقى منه ارض الحوراء وطنسه والنبك وارض مدين وارض ايلة فصاعدا الى المقطم بمصر والغربى منه ساحل عيذاب الى بحر النعام الى المقطم والبحرى منه مدينة القلزم وجبل الطور ومن القلزم الى الفرماء مسيرة يوم وليلة وهو الحاجز فيما بين البحرين بحر الحجاز وبحر الروم وهذا كله شرقى ارض مصر من الحوراء الى العريش وهو مهب الصبا منها فهذا المحدود من ارض مصر وما كان بعد هذا من الحد الغربى فمن فتوح اهل مصر وثغورهم من البرقة الى الاندلس

(ذكر بحر القلزم)

القلازم الدواهى والمضايقة ومنه بحر القلزم لانه مضيق بين جبال ولما كانت ارض مصر محصورة بين بحرين هما بحر القلزم من شرقيها وبحر الروم من شماليها وكان بحر القلزم داخلا فى ارض مصر كما تقدم صار من شرط هذا الكتاب التعريف به فنقول هذا البحر انما عرف فى ناحية ديار مصر بالقلزم لانه كان بساحله الغربى فى شرقى ارض مصر مدينة تسمى القلزم وقد خربت كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى فى موضعه من هذا الكتاب عند ذكرى قرى مصر ومدنها فسمى هذا البحر باسم تلك المدينة وقيل له بحر القلزم على الاضافة ويقال له بالعبرانية يم سوب وهذا البحر انما هو خليج يخرج من البحر الكبير المحيط بالارض الذى يقال له بحر اقيانس ويعرف أيضا ببحر الظلمات لتكاثف البخار المتصاعد منه وضعف الشمس عن حله فيغلظ وتشتد الظلمة ويعظم موج هذا البحر وتكثر اهواله ولم يوقف من خبره الا على ما عرف من بعض سواحله وما قرب من جزائره وفى جانب هذا البحر الغربى الذى يخرج منه البحر الرومى الآتى ذكره ان شاء الله الجزائر الخالدات وهى فيما يقال ست جزائر يسكنها قوم متوحشون وفى جانب هذا البحر الشرقى مما يلى الصين ست جزائر أيضا تعرف بجزائر السيلى نزلها بعض العلويين فى أول الاسلام خوفا على انفسهم من القتل ويخرج من هذا المحيط ستة ابحر أعظمها اثنان وهما اللذان عناهما الله تعالى بقوله مرج البحرين يلتقيان وقوله وجعل بين البحرين حاجزا فأحدهما من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب فالخارج من جهة الشرق يقال له البحر الصينى والبحر الهندى والبحر الفارسى والبحر اليمنى والبحر الحبشى بحسب ما يمر عليه من البلدان وأما الخارج من الغرب فيقال له البحر الرومى فأما البحر الهندى الخارج من جهة الشرق فان مبدأ خروجه من مشرق الصين وراء خط الاستواء بثلاثة عشر درجة ويجرى الى ناحية الغرب فيمر على بلاد الصين وبلاد الهند الى مدينة كنبانه والى التعير من بلاد كران فاذا صار الى بلاد كران ينقسم هنالك قسمين أحدهما يسمى بحر فارس والآخر يسمى بحر اليمن فيخرج بحر اليمن من ركن جبل خارج فى البحر يسمى هذا الركن رأس الجمجمة فيمتد من هنالك الى مدينة ظفار ويسير الى المسجر وساحل بلاد حضرموت الى عدن والى باب المندب وطول هذا البحر الهندى ثمانية

آلاف ميل فى عرض ألف وسبعمائة ميل عند بعض المواضع وربما ضاق عن هذا القدر من العرض فاذا انتهى الى باب المندب يخرج الى بحر القلزم والمندب جبل طوله اثنا عشر ميلا وسعة فوهته قدر ما يرى الرجل الآخر من البر تجاهه فاذا فارق باب المندب مر فى جهة الشمال بساحلى زبيد والحرون الى عثر وكانت عثر مقر الملك فى القديم ويمر من هنالك على حلى الى عسفان والى تمار وهى فرضة المدينة النبوية على الحال بها افضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام ومنها على ما يقابل الجحفة حيث يسمى اليوم رابغ الى الحوراء ومدين وايلة والطور وفاران ومدينة القلزم فاذا وصل الى القلزم انعطف من جهة الجنوب ومر الى القصير وهى فرضة قوص ومن القصير الى عيذاب وهى فرضة النصبة ويمتد من عيذاب الى بلاد الزيلع وهو ساحل بلاد الحبشة ويتصل ببربر وطول هذا البحر ألف وخمسمائة ميل وعرضه من أربعمائة ميل الى ما دونها وهو بحر كريه المنظر والرائحة وفى هذا البحر مصب دجلة والفرات وعلى اطرافه بلاد السند وبلاد اليمن كأنها اجزائر احاط بها الماء من جهاتها الثلاث وهو نهر يردع مهران كردع البحر الرومى لنيل مصر وفيه فيما بين مدينة القلزم ومدينة ايلة مكان يعرف بمدينة فاران وعندها جبل لا يكاد ينجو منه مركب لشدة اختلاف الريح وقوة ممرها من بين شعبتى جبلين وهى بركة سعتها ستة اميال تعرف ببركة الغرندل يقال أن فرعون غرق فيها فاذا هبت ريح الجنوب لا يمكن سلوك هذه البركة ويقال أن الغرندل اسم صنم كان فى القديم هنالك قد وضع ليحبس من خرج من ارض مصر مغاضبا للملك أو فارا منه وأن موسى عليه السلام لما خرج ببنى اسرائيل من مصر وسار بهم مشرقا امره الله سبحانه وتعالى أن ينزل تجاه هذا الصنم فلما بلغ ذلك فرعون ظن أن الصنم قد حبس موسى ومن معه ومنعهم من المسير كما يعهدونه منه فخرج بجنوده فى طلب موسى وقومه ليأخذهم بزعمه فكان من غرقه ما قصه الله تعالى وسيرد خبر موسى عليه السلام عند ذكر كنيسة دموه من هذا الكتاب فى ذكر كنائس اليهود وفى بحر القلزم هذا خمس عشرة جزيرة منها أربع عامرات وهى جزيرة دهلك وجزيرة سواكن وجزيرة النعمان وجزيرة السامرى ويخرج من هذا البحر خليجان خليج لطيف ببلاد الهند المتصلة بالبحر الاعظم وخليج يحول بين بلاد السودان وبلاد اليمن عرض دقاقه نحو من فرسخين ويقرب هذا البحر من البحر الرومى فى اعمال بلاد الشام وديار مصر حتى يكون بينهما نحو يوم

(ذكر البحر الرومى)

ولما كانت عدة بلاد من ارض مصر مطلة على البحر الرومى كمدينة الاسكندرية ودمياط وتنيس والفرماء والعريش وغير ذلك وكان حد أرض مصر ينتهى فى الجهة الشمالية الى هذا البحر وهو نهاية مصب النيل حسن التعريف بشئ من اخباره وقد تقدم أن مخرج البحر الرومى هذا من جهة الغرب وهو يخرج فى الاقليم الرابع بين الاندلس والغرب سائرا الى القسطنطينية ويقال أن اسكندر الجبار حفره وأجراه من البحر المحيط الغربى وأن جزيرة الاندلس وبلاد البربر كانت أرضا واحدة يسكنها البربر والاشبان فكان بعضهم يغير على بعض الى أن ملك اسكندر الجبار بن سلقوس بن اعريقس بن دوبان فرغب اليه الاشبان فى أن يجعل بينهم وبين البربر خليجا من البحر يكون به احتراز كل طائفة عن الاخرى فخرق زقاقا طوله ثمانية عشر ميلا فى عرض اثنى عشر ميلا وبنى بجانبيه سكرين وعقد بينهما قنطرة يجاز عليها وجعل عندها حرسا يمنعون البربر من الجواز عليها الا باذن وكان قاموس البحر أعلى من ارض هذا الزقاق فطما الماء حتى غطى السكرين مع القنطرة وساق بين يديه بلادا كثيرة وطغى على عدة بلاد ويقال أن المسافرين فى هذا الزقاق بالبحر يخبرون أن المراكب فى بعض الاوقات يتوقف سيرها مع وجود الريح فيجدون المانع لها كونها قد سلكت بين شرافات السور وبين حائطين ثم عظم هذا الزقاق فى الطول والعرض حتى صار بحرا عرضه ثمانية عشر ميلا ويذكرون أن البحر اذا جزر ترى القنطرة حينئذ وهذا الخبر أظنه غير صحيح فان أخبار هذا البحر وكونه بسواحل مصر لم يزل ذكره فى الدهر الاول قبل اسكندر بزمان طويل فاما أن يكون ذلك قد كان فى أول الدهر مما عمله بعض الاوائل وأما أن يكون خبرا واهيا والافزمان اسكندر حادث بعد كون هذا البحر والله اعلم * وهذا الزقاق صعب السلوك شديد الهول متلاطم الامواج واذا خرج البحر من هذا الزقاق مر مشرقا فى بلاد البربر وشمال الغرب الاقصى الى وسط بلاد المغرب على افريقة وبرقة والاسكندرية وشمال التيه وارض فلسطين والسواحل من بلاد الشام ثم يعطف

من هنالك الى العلايا وانطاكيه الى ظهر بلاد القسطنطينية حتى ينتهى الى البحر المحيط الذى خرج منه وطول هذا البحر خمسة آلاف ميل وقيل ستة آلاف ميل وعرضه من سبعمائة ميل الى ثلاثمائة ميل وفيه مائة وسبعون جزيرة عامرة فيها امم كثيرة معروفة الا انه ليس من شرط هذا الكتاب منها صقلية وصورقه واقريطش وقبالة البحر الهندى من جهة المغرب بحر خارج من المحيط فى مغرب بلاد الزنج ينتهى الى قريب من جبل القمر وفيه مصب النيل المار على بلاد الحبشة وفى اسفله جزائر الخالدات التى هى منتهى الطول فى المغرب ويقابل البحر الشامى من ناحية المشرق بحر جرجان وقيل انه يتصل بالبحر المحيط من بين جبال شامخة وبحر الصقلب بحر يخرج من جهة المغرب بين الاقليم السادس والاقليم السابع وهو متسع وفيه جزائر كثيرة ومنها جزيرة الاندلس الا انها تتصل بالبر الكبير وهو جبل كالذراع يتصل بهذا البر عند برسلونه ولهم بحر يعرف بأجوج ومأجوج غزير وفيه عجائب الا انه ليس من شرط هذا الكتاب ذكرها ويقال ان مسافة هذا البر الرومى نحو أربعة اشهر وقال أبو الريحان محمد بن احمد البيرونى فى كتاب تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن وقد كان حرض بعض ملوك الفرس فى بعض استيلائهم على مصر على أن يحفروا ما بين البحرين القلزم والرومى ويرفعوا من بينهما البرزخ وكان أولهم شاسيس بن طراطس الملك ثم من بعده دارنوش الملك فلم تمكن لهم ذلك لارتفاع ماء القلزم على ارض مصر فلما كانت دولة اليونانيين جاء بطليموس الثالث ففعل ذلك على يد أرسمدس بحيث يحصل الغرض بلا ضرر فلما كانت دولة الروم القياصرة طموه منعا لمن يصل اليهم من اعدائهم وذكر بعض اصحاب السير من الفلاسفة أن ما بين الاسكندرية وبلادها وبين القسطنطينية كان فى قديم الزمان ارضا تنبت الجميز وكانت مسكونة وخمة وكان اهلها من اليونانية وأن الاسكندر خرق اليها البحر فغلب على تلك الارض وكان بها فيما يزعمون الطائر الذى يقال له ققنس وهو طائر حسن الصوت واذا حان موته زاد حسن صوته قبل ذلك بسبعة ايام حتى لا يمكن أحد يسمع صوته لانه يغلب على قلبه من حسن صوته ما يميت السامع وأنه يدركه قبل موته بأيام طرب عظيم وسرور فلا يهدأ من الصياح وزعموا أن عامل الموسيقى من الفلاسفة أراد أن يسمع صوت ققنس فى تلك الحال فخشى ان هجم عليه أن يقتله حسن صوته فسد اذنيه سدا محكما ثم قرب اليه فجعل يفتح من اذنيه شيأ بعد شئ حتى استكمل فتح الاذنين فى ثلاثة ايام يريد أن يتوصل الى سماعه رتبة بعد رتبة فلا يبغته حسنه فى أول مرة فيأتى عليه وزعموا أن ذلك الطائر هلك ولم يبق منه ولا من فراخه شئ بسبب هجوم ماء البحر عليه وعلى رهطه بالليل فى الاوكار فلم يبق له بقية ويقال ان بعض الفلاسفة اراد ملك من الملوك قتله فأعطاه قدحا فيه سم ليشربه فأعلمه بذلك فظهر منه مسرة وفرح فقال له ما هذا أيها الحكيم فقال هل اعجز أن اكون مثل ققنس

* (ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعداد أسمائها) *

ويقال كان اسمها فى الدهر الاول قبل الطوفان جزله ثم سميت مصر وقد اختلف اهل العلم فى المعنى الذى من اجله سميت هذه الارض بمصر فقال قوم سميت بمصر ابن مركابيل بن دوابيل بن عرياب بن آدم وهو مصر الاول وقيل بل سميت بمصر الثانى وهو مصرام بن يعراوش الجبار بن مصريم الاول وبه سمى مصر بن بنصر بن حام بعد الطوفان وقيل بل سميت بمصر الثالث وهو مصر بن بنصر بن حام بن نوح وهو اسم اعجمى لا ينصرف وقال آخرون هى اسم عربى مشتق فأما من ذهب الى أن مصر اسم اعجمى فانه استدل بما رواه اهل العلم بالاخبار من نزول مصر بن بنصر بهذه الارض وقسمها بين اولاده فعرفت به اهـ وذكر الحسن بن احمد الهمدانى أن مصر ابن حام وهو مصريم وقيل أن بنصر بن هرمس بن هردوس جد الاسكندر قال ونلع لوما بن حام بنت شاويل ابن يافث بن نوح فولدت له بوقير وقبط أبا القبط قبط مصر ومن ههنا أن مصر بن حام وانما هو مصر بن هرمس ابن هردش بن بيطون بن روى بن ليطى بن يونان وبه سميت مصر فهى معدونية وذكر أبو الحسن المسعودى فى كتاب أخبار الزمان أن بنى آدم لما تحاسدوا وبغى عليهم بنو قابيل بن آدم ركب بقراوس الجبار ابن مصريم ابن مركابيل بن دوابيل بن عرياب بن آدم عليه السلام فى نيف وسبعين راكبا من بنى عرياب جبابرة كلهم يطلبون موضعا من الارض يقطنون فيه فرارا من بنى ابيهم فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا الى النيل فأطالوا المشى عليه فلما رأوا سعة البلد فيه وحسنه اعجبهم وقالوا هذه بلد زرع وعمارة فأقطنوا فيه واستوطنوا وبنوا فيه الابنية

الحكمة والصنائع العجيبة وبنى نقراوس مصر وسماها باسم ابيه مصريم وكان نقراوس جبارا له قوة وكان مع ذلك عالما وله اتخر الجن فى هلاك بنى ابيه ولم يزل مطاعا وقد كان وقع اليه من العلوم التى كان زواميل علمها لآدم عليه السلام ماقهر به الجبابرة الذين كانوا قبله وملوكهم ثم امر حين ملك بيناء مدينة فى موضع خيمته فقطعوا له الصخور من الجبال وأثاروا معادن الرصاص وبنوا مدينة سماها امسوس وأقاموا فيها أعلاما طول كل علم منها مائة ذراع وزرعوا وعمروا الارض ثم امرهم ببناء المدائن والقرى وأسكن كل ناحية من الارض من رأى ثم حفروا النيل حتى أجروا ماءه اليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى انما كان ينبطح ويتفرق فى الارض حتى يتوجه الى النوبة فهندسوه وساقوا منه انهارا الى مواضع كثيرة من مدنهم التى بنوها وساقوا منه نهرا الى مدينتهم امسوس يجرى فى وسطها ثم سميت مصر بعد الطوفان بمصر بن بنصر بن حام بن نوح وذلك أن قليمون الكاهن خرج من مصر ولحق بنوح عليه السلام وآمن به هو وأهله وولده وتلامذته وركب معه فى السفينة وزوج ابنته من بنصر بن حام بن نوح فلما خرج نوح من السفينة وقسم الارض بين اولاده وكانت ابنته قليمون قد ولدت لبنصر ولدا سماه مصرايم فقال قليمون لنوح ابعث معى يا نبى الله ابنى حتى امضى به بلدى واظهره على كنوزى وأوقفه على علومه ورموزه فأنفذه معه فى جماعة من اهل بيته وكان غلاما مراهقا فلما قرب من مصر بنى له عريشا من اغصان الشجر وستره بحشيش الارض ثم بنى له بعد ذلك فى هذا الموضع مدينة وسماها درسان اى باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والاجنة من درسان الى البحر فصارت هنالك زروع وأجنة وعمارة وكان الذى مع مصرايم جبابرة فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع وأقاموا فى أرغد عيش ويقال ان اهل مصر أقاموا عليهم مصرايم بن بنصر ملكا فى ايام تالغ بن عامر بن شالخ ابن أرفخشد بن سام بن نوح فملك مصر وهى مدينة منيعة على النيل وسماها باسمه ويقال أن مصرايم غرس الاشجار بيده وكانت ثمارها عظيمة بحيث يشق الاترجة نصفين فيحمل على البعير نصفها وكان القثاء فى طول أربعة عشر شبرا ويقال انه أول من صنع السفن بالنيل وان أول سفينة كانت ثلثمائة ذراع طولا فى عرض مائة ذراع ويقال أن مصرايم نكح امرأة من بنى الكهنة فولدت له ولدا فسماه قبطيم ونكح قبطيم بعد سبعين سنة من عمره امرأة ولدت له أربعة نفر قبطيم واشمون وأتريب وصا فكثروا وعمروا الارض وبورك لهم فيها وقيل أنه كان عدد من وصل معهم ثلاثين رجلا فبنوا مدينة سموها نافة ومعنى نافة ثلاثون بلغتهم وهى منف وكشف اصحاب قليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم وأثاروا المعادن وعلوهم علم الطلسمات ووضعوا لهم علم الصنعة وبنوا على غير البحر مدنا منها رقودة مكان الاسكندرية ولما حضر مصرايم الوفاة عهد الى ابنه قبطيم وكان قد قسم ارض مصر بين بنيه فجعل لقبطيم من قفط الى اسوان ولاشمون من اشمون الى منف ولاتريب الحوف كله ولصا من ناحية صا البحرية الى قرب برقة وقال لاخيه فارق لك من برقة الى الغرب فهو صاحب افريقة واولاد الافارق وامر كل واحد من بنيه أن يبنى لنفسه مدينة فى موضعه وامرهم عند موته أن يحفروا له فى الارض سربا وان يفرشوه بالمرمر الابيض ويجعلوا فيه جسده ويدفنوا معه جميع ما فى خزائنه من الذهب والجوهر ويزبروا عليه اسماء الله تعالى المانعة من اخذه فحفروا له سربا طوله مائة وخمسون ذراعا وجعلوا فى وسطه مجلسا مصفحا بصفائح الذهب وجعلوا اربعة ابواب على كل باب منها تمثال من ذهب عليه تاج مرصع بالجوهر وهو جالس على كرسى من ذهب قوائمه من زبرجد وزبروا فى صدر كل تمثال آيات مانعة وجعلوا جسده فى جدمر مصفح بالذهب وزبروا على مجلسه مات مصرايم بن بنصر ابن حام بن نوح بعد سبعمائة عام مضت من ايام الطوفان ولم يعبد الاصنام اذ لاهرم ولا سقام ولاحزن ولا اهتمام وحصنه باسماء الله العظام ولا يصل اليه الاملاك ولا ته سبعة ملوك تدين بدين الملك الديان ويؤمن بالمبعوث بالفرقان الداعى الى الايمان آخر الزمان وجعلوا معه فى ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد المخروط وألف تمثال من الجوهر النفيس وألف برنية مملوءة من الدر الفاخر والصنعة الالاهية والعقاقير والطلسمات العجيبة وسبائك الذهب وسقفوا ذلك بالصخور وهالوا فوقها الرمال بين جبلين وولى ابنه قبطيم الملك قال أبو محمد عبد الملك بن هشام فى كتاب التحائف أن عبد شمس بن يشحب بن يعرب بن قحطان بن هود أخى عاد ابن عامر ابن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام واسم عبد شمس هذا عامر وعرف بعبد شمس لانه أول من عبد

من هنا الى قوله وقال ابو القاسم ساقطة من كثير من النسخ فلعلها من زيادة من اطلع على الكتاب

الشمس وقيل له أيضا سبا لانه أول من سبا وهو سبا الاكبر ابو حمير وكهلان ملك بعد أبيه يشجب بأرض اليمن جمع بنى قحطان وبنى هود عليه السلام وحثهم على الغزو ثم سار بهم الى ارض بابل ففتحها وقتل من كان بها من الثوار حتى بلغ ارض ارمينية وملك ارض بنى يافث بن نوح وأراد أن يعبر من هنالك الى الشام وأرض الجزيرة فقيل له ليس لك مجاز غير الرجوع فى طريقك فبنى قنطرة على البحر وجاز عليها الى الشام فأخذ تلك الاراضى الى الدرب ولم يمكن خلف الدرب اذ ذاك أحد ثم نهض يريد بلاد العرب فنزل على النيل وجمع اهل مشورته وقال لهم انى رأيت أن أبنى مصرا الى حد بين هذين البحرين يعنى بحر الروم وبحر القلزم فيكون فاصلا بين الشرق والغرب فقالوا نعم الرأى أيها الملك فبنى مدينة سماها مصر وولى عليها ابنه بابليون ومضى الى بنى حام بن نوح وهم نزول فى البراى الى بمونية ويعمونية القبط فاوقع بجميع تلك الطوائف وسبى ذراريهم كما فعل ببلاد الشرق فقيل له من اجل ذلك سبا ثم عاد الى مصر ومضى فيها الى الشام يريد الحجاز وأوصى ابنه بابليون عند رحيله اه

الا قل لبابليون والقول حكمة * ملكت زمام الشرق والغرب فاجمل
وخذ لبنى حام من الامر وسطه * فان صدفوا يوما عن الحق فاقبل
وان جنحوا بالقول للرفق طاعة * يريدون وجه الحق والعدل فاعدل
ولا تظهرن الرأى فى البأس يعبروا * عليك به واجعله ضربة فيصل
ولا تأخذن المال فى غير حقه * وان جاء لاتدنيه نحولك وابذل
وداوى ذوى الاحقاد بالسيف انه * متى يلق منك العزم ذوا الحقد يجمل
وجد لذوى الاحساب لينا وشدة * ولاتك جبار اعليهم وأجمل
وكن لسؤال الناس غوثا ورحمة * ومن يك ذا عرف من الناس يسأل
واياك والسفر القريب فانه * سيغنى بما توليه فى كل منهل

ثم عاد الى اليمن وبنى سد مارب وهو سد فيه سبعون نهرا و يصل اليه السيل من مسيرة ثلاثة اشهر فى مثلها ثم مات عن خمسمائة سنة وقام من بعده ابنه حمير بن سبا فعتا بنو حام على بابليون وأرادوا تخريب مصر فاستدعى أخاه حمير لينجده عليهم فقدم عليه مصر ومضى الى بلاد المغرب فأقام بها مائة عام يبنى المدائن و يتخذ المصانع فمات بابليون بن سبا بمصر وولى بعده ابنه امرئ القيس بابليون ثم مات حمير بن سبا عن اربعمائة سنة وخمس واربعين سنة منها فى الملك اربعمائة سنة وأقام من بعده ويل بن حمير ثم مات فقام من بعده ابنه سلنبك بن وائل الذى يقال له مقعقع الحدو قد افترق ملك حمير فحارب الثوار وسار الى الشام فلقيه عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبا بالرملة وقد ملك بعد ابيه وقدم له هدية فأقره على مصر حتى قدم عليه ابراهيم الخليل عليه السلام ووهبه هاجر *
وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر وأخبارها عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال كان لنوح عليه السلام أربعة من الولد سام وحام ويافث ويحطون وأن نوحا رغب الى الله عز وجل وسأله أن يرزقه الاجابة فى ولده وذريته حين تكاملوا بالنماء والبركة فوعده ذلك فنادى نوح ولده وهم نيام عند السحر فنادى ساما فأجابه يسعى وصاح سام فى ولده فلم يجبه أحد منهم الا ابنه أرنخشد فانطلق به معه حتى أتياه فوضع نوح يمينه على سام وشماله على أرنخشد بن سام وسأل الله عز وجل أن يبارك فى سام افضل البركة وأن يجعل الملك والنبوة فى ولد أرنخشد ثم نادى حاما وتلفت يمينا وشمالا فلم يجبه ولم يقم اليه هو ولا أحد من ولده فدعا الله عز وجل نوح أن يجعل ولده أذلاء وأن يجعلهم عبيد الولد سام وكان مصر بن بنصر بن حام نائما الى جنب جده فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعى الى نوح وقال ياجدى قد أجبتك اذ لم يجبك جدى ولا أحد من ولده فاجعل لى دعوة من دعائك ففرح نوح ووضع يده على رأسه وقال اللهم انه قد اجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الارض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد التى نهرها افضل انهار الدنيا واجعل فيها أفضل البركات وسخر له ولولده الارض وذللها لهم وقوهم عليها ثم دعا ابنه يافث فلم يجبه أحد من ولده فدعا الله عليهم أن يجعلهم شرار الخلق وعاش سام مباركا الى أن مات وعاش ابنه أرنخشد بن سام مباركا حتى مات وكان الملك الذى يحبه الله والنبوة والبركة فى ولد أرنخشد بن سام وكان اكبر ولد حام

كنعان بن حام وهو الذى حمل به فى الرجرفى الفلك فدعا عليه نوح فخرج أسود وكان فى ولده الملك والجبروت والجفاء وهو أبو السودان والحبش كلهم وابنه الثانى كوش بن حام وهو أبو السند والهند وابنه الثالث قوط بن حام وهو أبو البربر وابنه الاصغر الرابع بنصر بن حام وهو أبو القبط كلهم فولد بنصر بن حام أربعة مصر بن بنصر وهو أكبرهم والذى دعا له نوح بما دعا له وفارق بن بنصر وماح بن بنصر وقيل ولد مصر أربعة قفط بن مصر وأشمن بن مصر واتريب ابن مصر وصا بن مصر وعن أبى لهيعة وعبد الله بن خالد أول من سكن مصر بنصر بن حام بن نوح عليه السلام بعد أن اغرق الله تعالى قومه وأول مدينة عمرت بمصر منف فسكنها بنصر بولده وهم ثلاثون نفسا منهم أربعة اولاد له قد بلغوا وتزوجوا وهم مصر وفارق وياح وماح وكان مصرا اكبرهم فبنوا امصر وكان اقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم ونقروا هنالك منازل كثيرة وكان نوح عليه السلام قد دعا لمصر أن يسكنه الله الارض الطيبة المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد ونهرها افضل الانهار ويجعل له فيها افضل البركات ويسخر له الارض ولولده ويذللها لهم ويقويهم عليها فسأله عنها فوصفها له وأخبره بها قالوا وكان مصر بن بنصر مع نوح فى السفينة لما دعا له وكان بنصر بن حام قد كبر وضعف فساق ولده مصر وجميع اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر فلما قر قرار بنصر وبنيه بمصر قال لمصر اخوته فارق وماح وياح بنوا بنصر قد علمنا أنك اكبرنا وأفضلنا وأن هذه الارض التى اسكنك اياها جدك نوح ونحن نضيق عليك أرضك وذلك حين كثر ولده وأولادهم ونحن نطلب اليك البركة التى جعلها فيك جدنا نوح أن تبارك لنا فى ارض نلحق بها ونسكنها وتكون لنا ولاولادنا فقال نعم عليكم بأقرب البلاد الى ولا تباعدوا منى فان لى فى بلادى مسيرة شهر من أربعة وجوه أحوزها لنفسى فتكون لى ولولدى ولاولادهم فحاز مصر ابن بنصر لنفسه ما بين الشجرتين التى بالعريش الى اسوان طولا ومن برقة الى ايلة عرضا وحاز فارق لنفسه ما بين برقة الى أفريقية وكان ولده الافارقة ولذلك سميت افريقية وذلك مسيرة شهر وحاز ماح ما بين الشجرتين من منتهى حد مصر الى الجزيرة مسيرة شهر وهو أبو قبط الشام وحاز ياح ما وراء الجزيرة كلها ما بين البحر الى الشرق مسيرة شهر وهو أبو قبط العراق ثم توفى بنصر بن حام ودفن فى موضع دير ابى هرميس غربى الاهرام فهى أول مقبرة قبر فيها بأرض مصر وكثر أولاد مصر وكان الاكابر منهم قفط واتريب واشمن وصا والقبط من ولده صرهذا ويقال أن قبط أخو قفط وهو بلسانهم قفطيم وقبطيم ومصرايم قال ثم أن بنصر بن حام توفى واستخلف ابنه مصر وحاز كل واحد من اخوة مصر قطعة من الارض لنفسه سوى ارض مصر التى حازها لنفسه ولولده فلما كثر ولد مصر واولاده واولادهم قطع مصر لكل واحد من ولده قطيعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه قفط موضع قفط فسكنها وبه سميت قفط وما فوقها الى اسوان وما دونها الى اشمون فى الشرق والغرب وقطع لاشمن من اشمون فما دونها الى منف فى الشرق والغرب فسكن اشمن اشمون فسميت به وقطع لاتريب ما بين منف الى صا فسكن اتريب فسميت به وقطع لصا ما بين صا الى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على أربعة اجزاء جزءين بالصعيد وجزءين بأسفل الارض قال البكرى ومصر مؤنثة قال تعالى أليس لى ملك مصر وقال ادخلوا مصر وقال عامر بن ابى واثلة الكنانى لمعاوية أما عمرو بن العاص فأقطعته مصر وأما قوله سبحانه اهبطوا امصرا فانه اراد مصرا من الامصار وقرأ سليم الاعمش اهبطوا مصر وقال هى مصر التى عليها سليم بن على فلم يجزها وقال القضاعى وكان بنصر بن حام قد كبر وضعف فساق ولده مصر وجميع اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر وهو اسم لا ينصرف فى المعرفة لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينة فاجتمع فيها التأنيث والتعريف فمنعاها الصرف ثم قيل لكل مدينة عظيمة يطرقها السفار مصر فاذا اريد مصر من الامصار صرف لزوال احدى العلتين وهى التعريف وأما قوله تعالى اخبارا عن موسى عليه السلام اهبطوا مصرا فأن لكم ما سألتم فانه مصروف فى قراءة سائر القراء وفى قراءة الحسن والاعمش غير مصروف فمن صرفها فله وجهان أحدهما انه اراد اهبطوا مصرا من الامصار لانهم كانوا يومئذ فى التيه والآخر أنه اراد مصر هذه بعينها وصرفها لانه جعل مصرا أسماء للبلد وهو مذكر واسم سمى به مذكر فلم يمنعه الصرف وأما من لم يصرفه فانه اراد بمصر هذه المدينة وكذلك قوله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام أدخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقول فرعون أليس لى ملك مصر انما اراد به مصر هذه فاما المصر فى كلام العرب فهو الحد بين الارضين ويقال ان اهل هجر يقولون اشتريت الدار بمصورها أى بحدودها وقال الجاحظ

فى كتاب مدح مصر انما سميت مصر بمصر لمصير الناس اليها واجتماعهم بها كما سمى مصير الجوف مصيرا ومصرا انا المصير الطعام اليه قال وجمع المصر من البلدان أمصار وجمع مصير الطعام مصران وليس لمصر هذه جمع لانها واحدة قال وقال الاخطل هممت بالاسلام ثم توقفت عنه قيل ولم ذلك قال اتيت امرأة لى وأنا جائع فقلت أطعمينى شيأ فقالت يا جارية ضعى لابى مالك مصيرا فى النار ففعلت فاستعجلتها بالطعام فقالت يا جارية ابن مصيرا أبى مالك قالت فى النار قال فتطيرت وهممت بأن اسلم فتوقفت وقال الجوهرى فى كتاب الصحاح مصر هى المدينة المعروفة تذكر وتؤنث عن ابن السراج والمصران الكوفة والبصرة وقال ابن خالويه فى كتاب ليس أحد فسر لنا لم سميت مصر مقدونية قديما الا فى اللسان العبرانى قال مقدونية مغيث وانما سميت مصر لما سكنها بنصر بن حام وتزعم الروم أن بلاد مقدونية جميعا وقف على الكنيسة العظمى التى بالقسطنطينية ويسمون بلاد مقدونية الاوصفية وهى عندهم الاسكندرية وما يضاف اليها وهى مصر كلها بأسرها الا الصعيد الاعلى ويقال المصر ام خنور وتفسيره النعمة والمصر الفرق بين الشيئين قال الشاعر يصف الله تعالى

وجاعل الشمس مصرا لاخفاء به * بين النهار وبين الليل قد فصلا

هذا البيت قائله عدى بن زيد العبادى ويروى لامية بن الصلب الثقفى وهو من ابيات أولها

اسمع حديثا كما يوما تحدثه * عن ظهر غيب اذا ما سائل سألا
كيف بدا ثم ربالله نعمته * فينا وعلمنا آياته الاولا
كانت رياح وسيل ذو كرانية * وظلمة لم تدع فتقا ولا خللا
فأمر الظلمة السوداء فانكشفت * وعزل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الارض بسطا ثم قدرها * تحت السماء سواميل وما نقلا
وجاعل الشمس مصرا لاخفاء به * بين النهار وبين الليل قد فصلا
وفى السماء مصابيح تضىء لنا * ما ان تكلفنا زيتا ولا فتلا
قضى لستة ايام من خليقته * وكان آخر شئ صور الرجلا
فأخذ الله من طين فصوره * لما رأى أنه قد تم واعتدلا
دعاه آدم صوتا فاستجاب له * فنفخ الروح فى الجسم الذى جبلا
ثمة اورثه الفردوس يسكنها * وزوجه ضلعة من جنبه جعلا
لم ينهه ربه عن غير واحدة * من شجر طيب ان شم اوأكلا
وكانت الحية الرقشاء اذ خلقت * كما ترى ناقة فى الخلق او جملا
فلامها الله اذ أطغت خليفته * طول الليالى ولم يجعل لها اجلا
تمشى على بطنها فى الارض ما عمرت * والترب تأكله حزنا وان سهلا

وقال الحافظ أبو الخطاب مجد الدين عمر بن دحية ومصر أخصب بلاد الله وسماها الله بمصر وهى هذه دون غيرها باجماع القراء على ترك صرفها وهى اسم لا ينصرف فى معرفة لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينة واجتمع فيه التأنيث والتعريف فمنعاه الصرف وهى عندنا مشتقة من مصرت الشاة اذا أخذت من ضرعها اللبن فسميت مصر لكثرة ما فيها من الخير عما ليس فى غيرها فلا يخلو ساكنها من خير يدر عليه منها كالشاة التى ينتفع بلبنها وصوفها وولادتها وقال ابن الاعرابى المصر الوعاء ويقال للمعا المصير وجمعه مصران ومصارين وكذلك هى خزائن الارض قال أبو نضرة الغفارى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصر خزائن الارض كلها ألا ترى الى قول يوسف عليه السلام اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم فأغاثه الله بمصر يومئذ وخزائنها كل حاضر وباد ذكره الحوفى فى تفسيره وقال البكرى أم خنور بفتح أوله وتشديد ثانيه وبالراء المهملة اسم لمصر وقال أرطاه بن شهبة قال ذبيان ذودوا عن دمائكم * ولا تكونوا كقوم أم خنور يقول لا تكونوا أذلاء يناكم من اراد ويأخذ منكم من حب كما يمتار مصر وهى أم خنور قال كراع أم خنور النعمة ولذلك سميت مصر أم خنور لكثرة خيرها وقال على بن حمزة سميت أم خنور لانها يساق اليها

القصار الاعمار ويقال للضيع خنور وخنوز بالراء والزاى وقال ابن قتيبة فى غرائب الحديث ومصر الحد واهل هجر يكتبون فى شروطهم اشترى فلان الدار بمصورها كلها أى بحدودها وقال عدى بن زيد
وجاعل الشمس مصر الاخفاء به * بين النهار وبين الليل قد فصلا
أى حدا

(ذكر طرف من فضائل مصر)

ولمصر فضائل كثيرة منها ان الله عزوجل ذكرها فى كتابه العزيز بضعا وعشرين مرة تارة بصريح الذكر وتارة ايماء * قال تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ماسألتم قال أبو محمد عبد الحق بن عطية فى تفسيره وجمهور الناس يقرؤن مصرا بالتنوين وهو خط المصاحف الا ما حكى عن بعض مصاحف عثمان رضى الله عنه وقال مجاهد وغيره من صرفها اراد مصرا من الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القرآن من امرهم بدخول القرية وبما تظاهرت به الرواية أنهم سكنوا الشام بعد التيه وقالت طائفة ممن صرفها اراد مصر فرعون بعينها واستدلوا بما فى القرآن ان الله تعالى اورث بنى اسرائيل ديار فرعون وآثاره وأجازوا صرفها قال الاخفش لخفتها وشبهها بهند ودعد وسيبويه لا يجيز هذا وقال غير الاخفش اراد المكان فصرف وقرأ الحسن وابان بن تغلب وغيرهما اهبطوا مصر بترك الصرف وكذلك هى فى مصحف أبى بن كعب وقالوا هى مصر فرعون قال الاعمش هى مصر التى عليها صالح بن على وقال اشهب قال لى مالك هى عندى مصر قريتك مسكن فرعون قال تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن فرقد السبخى قال خرج يوسف عليه السلام يتلقى يعقوب عليه السلام وركب اهل مصر مع يوسف وكانوا يعظمونه فلما دنا أحدهما من صاحبه وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على رجل من ولده يقال له يهوذا فنظر يعقوب الى الخيل والى الناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه قال يعقوب عليه السلام عليك يا ذاهب الاحزان عنى * هكذا قال يا ذاهب الاحزان عنى وقال تعالى وأوحينا الى موسى واخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة قال الطبرى عن ابن عباس وغيره كانت بنو اسرائيل تخاف فرعون فأمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها قال قتادة وذلك حين منعهم فرعون الصلاة فأمروا أن يجعلوا مساجدهم فى بيوتهم وأن يوجهوا نحو القبلة وعن مجاهد بيوتكم قبلة قال نحو الكعبة حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا فى الكنائس الجامعة فأمروا أن يجعلوا فى بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا وعن مجاهد فى قوله أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا قال مصر الاسكندرية * وقال تعالى مخبرا عن فرعون انه قال أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون قال ابن عبد الحكم وأبو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس وغيرهما عن ابى زهم السماعى انه قال فى قوله تعالى أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى قال ولم يكن يومئذ فى الارض ملك اعظم من ملك مصر وكان جميع اهل الارض يحتاجون الى مصر وأما الانهار فكانت قناطر وجسورا بتقدير وتدبير حتى أن الماء يجرى من تحت منازلها وأفنيتها فيحبسونه كيف شاؤا فهذا ما ذكره الله سبحانه فى مصر من آى الكتاب العزيز بصريح الذكر (وأما) ما وقعت اليها الاشارة فيه من الايات فعدة * قال تعالى ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق وقال تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال ابن عباس وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه هى مصر وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابيه هى الاسكندرية وقال تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم وقال تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين قال ابن يونس فى قول الله سبحانه فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قال أبو زهم كانت الجنات بحافتى النيل من أوله الى آخره من الجانبين ما بين اسوان الى رشيد وسبعة خلج خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ وزروع ما بين الجبلين كله من أول مصر الى آخرها مما يبلغه الماء وكان جميع ارض مصر كلها تروى يومئذ من ستة عشر ذراعا لما قدروا من قناطرها وجسورها قال والمقام الكريم المنابر كان بها ألف منبر وقال مجاهد وسعيد بن جبير المقام الكريم المنابر وقال قتادة ومقام كريم أى حسن ونعمة كانوا فيها فاكهين

ناعمين قال أى والله أخرجه الله من جنانه وعيونه وزروعه حتى ورطه فى البحر وقال سعيد بن كثير بن عفير كنا بقبة الهواء عند المأمون لما قدم مصر فقال لنا ما أدرى ما أعجب فرعون من مصر حيث يقول أليس لى ملك مصر فقلت اقول يا امير المؤمنين فقال قل يا سعيد فقلت ان الذى ترى بقية مدمّر لان الله عز وجل يقول ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون قال صدقت ثم أمسك وقال تعالى ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكّن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقال تعالى مخبرا عن فرعون انه قال يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وقال تعالى مخبرا عن قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض يعنى ارض مصر وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام انه قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم روى ابن يونس عن أبى نضرة الغفارى رضى الله عنه قال مصر خزائن الارض كلها وسلطانها سلطان الارض كلها ألا ترى الى قول يوسف عليه السلام لملك مصر اجعلنى على خزائن الارض ففعل فاغيث بمصر وخزائنها يومئذ كل حاضر وباد من جميع الارض وقال تعالى وكذلك مكنّا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء فكان ليوسف بسلطانه بمصر جميع سلطان الارض كلها لحاجتهم اليه والى ما تحت يديه وقال تعالى مخبرا عن موسى عليه السلام انه قال ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وقال تعالى عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون وقال تعالى وقال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه انى اخاف أن يبدّل دينكم او أن يظهر فى الارض الفساد يعنى ارض مصر وقال تعالى ان فرعون علا فى الارض يعنى ارض مصر وقال تعالى حكاية عن بعض اخوة يوسف عليه السلام فلن ابرح الارض يعنى ارض مصر وقال تعالى أن تريد الا أن تكون جبارا فى الارض يعنى ارض مصر قال ابن عباس رضى الله عنه سميت مصر بالارض كلها فى عشرة مواضع من القرآن فهذا ما يحضرنى مما ذكرت فيه مصر من آى كتاب الله العزيز * وقد جاء فى فضل مصر أحاديث روى عبد الله بن لهيعة من حديث عمرو بن العاص انه قال حدثنى عمر أمير المؤمنين رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم بعدى مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الارض قال أبو بكر رضى الله عنه ولم ذلك يا رسول الله قال لانهم فى رباط الى يوم القيامة وعن عمرو بن الحمق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكون فتنة اسلم الناس فيها أو خير الناس فيها الجند الغربى قال فلذلك قدمت عليكم مصر وعن تبيع بن عامر الكلاعى قال اقبلت من الصائفة فلقيت أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه فقال لى من اين انت فقلت من اهل مصر قال من الجند الغربى فقلت نعم قال الجند الضعيف قال قلت اهو الضعيف قال نعم قال أما انه ما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤنته اذهب الى معاذ بن جبل حتى يحدثك قال فذهبت الى معاذ بن جبل فقال لى ما قال لك الشيخ فاخبرته فقال لى وأى شئ تذهب به الى بلادك أحسن من هذا الحديث اكتبت فى أسفل ألواحك فلما رجعت الى معاذ أخبرنى أن بذلك اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن وهب من حديث صفوان بن عسال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتح الله بابا للتوبة فى الغرب عرضه سبعون عاما لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه وروى ابن لهيعة من حديث عمرو بن العاص حدثنى عمر امير المؤمنين رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم منكم صهرا وذمة وروى ابن وهب قال اخبرنى حرملة ابن عمران التجيبى عن عبد الرحمن بن شماسة المهرى قال سمعت أبا ذر رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما فاذا رأيتم رجلان يقتتلان فى موضع لبنة فاخرجوا منها قال فمر بربيعة وعبد الرحمن ابنى شرحبيل يتنازعان فى موضع لبنة فخرج منها وفى رواية ستفتحون مصر وهى ارض يسمى فيها القيراط فاذا فتحتموها فأحسنوا الى اهلها فان لهم ذمة ورحما أو قال ذمة وصهرا الحديث ورواه مالك والليث وزاد فاستوصوا بالقبط خيرا اخرجه مسلم فى الصحيح عن أبى الطاهر عن ابن وهب قال ابن شهاب وكان يقال ان أم اسماعيل منهم قال الليث بن سعد

قلت لابن شهاب ما رحمهم قال ان أمّ اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما منهم وقال محمد بن اسحاق قلت للزهرى ما الرحم التى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت هاجر أمّ اسماعيل منهم وروى ابن لهيعة من حديث ابى سالم الجيشانى أن بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستكونون اجنادا وان خير أجنادكم اهل الغرب منكم فاتقوا الله فى القبط لا تأكلوهم أكل الخضر وعن مسلم بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استوصوا بالقبط خيرا فانكم ستجدونهم نعم الاعوان على قتال العدو وعن يزيد بن ابى حبيب أن ابا سلمة ابن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصى عند وفاته أن تخرج اليهود من جزيرة العرب وقال الله الله فى قبط مصر فانكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة واعوانا فى سبيل الله وروى ابن وهب عن موسى بن ايوب الغافقى عن رجل من الزند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فاغمى عليه ثم افاق فقال استوصوا بالادم الجعد ثم اغمى عليه الثانية ثم افاق فقال مثل ذلك ثم اغمى عليه الثالثة فقال مثل ذلك فقال القوم لو سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الادم الجعد فافاق فسألوه فقال قبط مصر فانهم اخوال واصهار وهم اعوانكم على عدوكم واعوانكم على دينكم قالوا كيف يكونون اعواننا على ديننا يا رسول الله قال يكفونكم اعمال الدنيا وتتفرغون للعبادة فالراضى بما يؤتى اليهم كالفاعل بهم والكاره لما يؤتى اليهم من الظلم كالمتنزه عنهم وعن عمرو بن حريب وابى عبد الرحمن الحلبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم ستقدمون على قوم جعد رؤسهم فاستوصوا بهم خيرا فانهم قوة لكم وبلاغ الى عدوكم باذن الله يعنى قبط مصر وعن ابن لهيعة حدثنى مولى غفرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله الله فى اهل المدرة السوداء السحم الجعاد فان لهم نسبا وصهرا قال عمرو مولى عفرة صهرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرّى فيهم ونسبهم ان امّ اسماعيل عليه السلام منهم قال ابن وهب فاخبرنى ابن لهيعة ان امّ اسماعيل هاجر من امّ العرب قرية كانت امام الفرما من مصر وقال مروان القصاص صاهر الى القبط من الانبياء ثلاثة ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام تسرّى هاجر ويوسف تزوّج بنت صاحب عين شمس ورسول الله صلى الله عليه وسلم تسرّى مارية وقال يزيد بن ابى حبيب قرية هاجر باق التى عندها امّ دنين وقال هشام العرب تقول هاجر وآجر فيبدلون من الهاء الالف كما قالوا هراق الماء وأراق الماء ونحوه وعن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه انه قال الامصار سبعة * فالمدينة مصر والشأم مصر ومصر والجزيرة والبحرين والبصرة والكوفة وقال مكحول اول الارض خرابا ارمينية ثم مصر وقال عبد الله بن عمرو قبط مصر اكرم الاعاجم كلها واسمحهم يدا وافضلهم عنصرا وأقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة ومن اراد أن يذكر الفردوس او ينظر الى مثلها فى الدنيا فلينظر الى ارض مصر حين يخضر زرعها وتنور ثمارها وقال كعب الاحبار من اراد أن ينظر الى شبه الجنة فلينظر الى مصر اذا اخرفت وفى رواية اذا ازهرت * (ومن فضائل مصر) * انه كان من اهلها السحرة وقد آمنوا جميعا فى ساعة واحدة ولا يعلم جماعة اسلمت فى ساعة واحدة اكثر من جماعة القبط وكانوا فى قول يزيد بن ابى حبيب وغيره اثنى عشر ساحرا رؤساء تحت يد كل ساحر منهم عشرون عريفا تحت يد كل عريف منهم ألف من السحرة فكان جميع السحرة مائتى الف واربعين الفا ومائتين واثنين وخمسين انسانا بالرؤساء والعرفاء فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أن ذلك من السماء وأن السحر لا يقوم لامر الله فخر الرؤساء الاثنا عشر عند ذلك سجدا فاتبعهم العرفاء واتبع العرفاء من بقى وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال تبيع كانوا من اصحاب موسى عليه السلام ولم يفتتن منهم احد مع من افتتن من بنى اسرائيل فى عبادة العجل قال تبيع ما آمن جماعة قط فى ساعة واحدة مثل جماعة القبط وقال كعب الاحبار مثل قبط مصر كالغيضة كلما قطعت نبتت حتى يخرب الله عز وجل بهم وبصناعتهم جزائر الروم وقال عبد الله بن عمرو خلقت الدنيا على خمس صور على صورة الطير برأسه وصدره وجناحيه وذنبه فالرأس مكة والمدينة واليمن والصدر الشأم ومصر والجناح الايمن العراق وخلف العراق امة يقال لها واق وخلف واق امة يقال لها واق واق وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه الا الله عز وجل والجناح الايسر السند الهند وخلف الهند امة يقال لها ناسك وخلف ناسك امة يقال لها منسك وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه الا الله عز وجل والذنب من ذات الحمام الى مغرب الشمس وشرّ ما فى الطير الذنب وقال الجاحظ الامصار عشرة * الصناعة بالبصرة * والفصاحة بالكوفة

والتضنيث ببغداد * والبيّ بالري * والجفا بنيسابور * والحسن بهراة * والطرمذة بسمرقند * والمروءة ببلخ والتجارة بمصر * والبخل بمرو الطرمذة كلام ليس له فعل وعن يحيى بن داخر الحافري انه سمع عمرو بن العاص يقول في خطبته واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم ولاشراف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية وعن عبد الرحمن بن غنم الاشعري انه قدم من الشأم الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ما اقدمك الى بلادنا قال كنت تحدثني ان مصر أسرع الارض خرابا ثم اراك قد اتخذت منها وبنيت فيها القصور واطمأننت فيها قال ان مصر قد أوفت خرابها حطمها البخت نصر فلم يدع فيها الا السباع والضباع فهي اليوم اطيب الارضين ترابا وأبعدها خرابا ولا يزال فيها بركة مادام في شئ من الارض بركة ويقال مصر متوسطة الدنيا قد سلمت من حر الاقليم الاول والثاني ومن برد الاقليم السادس والسابع ووقعت في الاقليم الثالث فطاب هواؤها وضعف حرها وخف بردها وسلم أهلها من مشاتي الاهواز * ومصايف عمان * وصواعق تهامة * ودماميل الجزيرة * وجرب اليمن وطواعين الشأم * وبرسام العراق * وعقارب عسكر مكرم * وطحال البحرين * وحمى خيبر * وأمنوا من غارات الترك * وجيوش الروم * وهجوم العرب * ومكايد الديلم * وسرايا القرامطة * ونزف الانهار * وقحط الامطار وبها ثمانون كورة ما فيها كورة الا وبها طرائف وعجائب من انواع البز والابنية والطعام والشراب والفاكهة وسائر ما تنتفع به الناس وتدخره الملوك يعرف بكل كورة وجهاتها وينسب كل لون الى كورة فصعيدها ارض حجازية حره حر العراق وينبت النخل والاراك والقرظ والدوم والعشر واسفل ارضها شامي يمطر مطر الشأم وينبت ثمار الشأم من الكروم والزيتون واللوز والتين والجوز وسائر الفواكه والبقول والرياحين ويقع به الثلج والبرد * وكورة الاسكندرية ولوبية ومراقية براري وجبال وغياض تنبت الزيتون والاعناب وهي بلاد ابل وماشية وعسل ولبن وفي كل كورة من كور مصر مدينة في كل مدينة منها آثار كريمة من الابنية والصخور والرخام والعجائب وفي نيلها السفن التي تحمل السفينة الواحدة منها ما يحمله خمسمائة بعير وكل قرية من قرى مصر تصلح أن تكون مدينة يؤيد ذلك قول الله سبحانه وتعالى وابعث في المدائن حاشرين ويعمل بمصر معامل كالتنانير يعمل بها البيض بصنعة يوقد عليه فيها كنار الطبيعة في حضانة الدجاجة لبيضها ويخرج من تلك المعامل الفراريج وهي معظم دجاج مصر ولا يتم عمل هذا بغير مصر وقال عمر بن ميمون خرج موسى عليه السلام ببني اسرائيل فلما اصبح فرعون امر بشاة فأتي بها فأمر بها أن تذبح ثم قال لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع عندي خمسمائة ألف من القبط فاجتمعوا اليه فقال لهم فرعون ان هؤلاء لشرذمة قليلون وكان اصحاب موسى عليه السلام ستمائة ألف وسبعين ألفا ووصف بعضهم مصر فقال ثلاثة اشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة اشهر مسكة سوداء وثلاثة اشهر زمردة خضراء وثلاثة اشهر سبيكة ذهب حمراء فأما اللؤلؤة البيضاء فان مصر في اشهر ابيب ومسرى وتوت يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وضياعها على روابي وتلال مثل الكواكب قد احيطت بها المياه من كل وجه فلا سبيل الى قرية من قراها الا في الزوارق واما المسكة السوداء فان في اشهر بابه وهاتور وكيهك ينكشف الماء عن الارض فتصير أرضا سوداء وفي هذه الاشهر تقع الزراعات وأما الزمردة الخضراء فان في اشهر طوبه وامشير وبرمهات يكثر نبات الارض وربيعها فتصير خضراء كأنها زمردة وأما السبيكة الحمراء فان في اشهر برمودة وبشنس وبؤنة يتورد العشب ويبلغ الزرع الحصاد فيكون كالسبيكة التي من الذهب منظرا ومنفعة * وسأل بعض الخلفاء الليث بن سعد عن الوقت الذي تطيب فيه مصر فقال اذا غاض ماؤها وارتفع وباؤها وجف ثراها وأمكن مرعاها * وقال آخر نيلها عجب وأرضها ذهب وخيرها جلب * وملكها سلب ومالها رغب وفي أهلها صخب وطاعتهم رهب وسلامهم شغب * وحربهم حرب * وهي لمن غلب * وقال آخر مصر من سادات القرى ورؤساء المدن * وقال زيد بن اسلم في قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل هي مصر ان لم يصبها مطر أزكت وان اصابها امطار اضعفت قاله المسعودي في تاريخه ويقال لما خلق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبلها وانهارها وبحارها وبناءها وخرابها ومن يسكنها من الامم ومن يملكها من الملوك فلما رأى مصر ارضا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تنحدر فيه البركة ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا لا يخلو من نظر الرب اليه بالرحمة في سفحه اشجار مثمرة وفروعها في الجنة تسقى بماء الرحمة فدعا آدم عليه السلام في النيل

بالبركة

بالبركة ودعا فى ارض مصر بالرحمة والبرّ والتقوى وبارك فى نيلها وجبلها سبع مرّات وقال يا أيها الجبل المرحوم سفحك جنة وتربتك مسكة يدفن فيها غراس الجنة ارض حافظة مطيعة رحيمة لا خلتك يا مصر بركة ولا زال بك حفظ ولا زال منك ملك وعز يا ارض مصر فيك الخبايا والكنوز ولك البرّ والثروة وسال نهرك عسلا كثر الله زرعك ودرّ ضرعك وزكى نباتك وعظمت بركتك وخصبت ولا زال فيك خير ما لم تجبرى وتتكبرى او تخونى فاذا فعلت ذلك عدا الشر ثم يغور خيرك فكان آدم اوّل من دعا لها بالرحمة والخصب والرأفة والبركة * وعن ابن عباس ان نوحا عليه السلام دعا لمصر بن بيصر بن حام فقال اللهمّ انه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الارض المباركة التى هى ام البلاد وغوث العباد التى نهرها أفضل انهار الدنيا واجعل فيها افضل البركات وسخر له ولولده الارض وذللها لهم وقوّهم عليها * وقال كعب الاحبار لولا رغبتى فى بيت المقدس لما سكنت الا مصر فقيل له لم فقال لانها بلد معافاة من الفتن ومن ارادها بسوء أكبه الله على وجهه وهو بلد مبارك لاهله فيه وقال ابن وهب اخبرنى يحيى بن ايوب عن خالد بن يزيد عن ابن ابى هلال ان كعب الاحبار كان يقول انى لاحب مصر واهلها الان مصر بلد معافاة واهلها اصحاب عافية وهم بذلك مفارقون ويقال ان فى بعض الكتب الالاهية مصر خزائن الارض كلها فمن ارادها بسوء قصمه الله تعالى * وقال عمرو بن العاص ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة يعنى اذا جمع الخراج مع الامارة * وقال احمد بن مدبر تحتاج مصر الى ثمانية وعشرين الف الف فدان وانما يعمر منها الف الف فدان وقد كشفت ارض مصر فوجدت غامرها اضعاف عامرها ولو اشتغل السلطان بعمارتها لوفت له بخراج الدنيا وقال بعضهم ان خراج العراق لم يكن قط اوفر منه فى ايام عمر ابن عبد العزيز فانه بلغ الف الف درهم وسبعة عشر الف الف درهم ولم تكن مصر قط اقل من خراجها فى ايام عمرو بن العاص وانه بلغ اثنى عشر الف الف دينار وكانت الشامات باربعة عشر الف الف سوى الثغور * ومن فضائل مصر أنه ولد بها من الانبياء موسى وهارون ويوشع عليهم السلام ويقال ان عيسى بن مريم صلوات الله عليه أخذ على سفح الجبل المقطم وهو سائر الى الشام فالتفت الى امه وقال يا اماه هذه مقبرة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويذكر أنه ولد فى قرية اهناس من نواحى صعيد مصر وانه كانت به نخلة يقال انها النخلة المذكورة فى القرآن بقوله سبحانه وتعالى وهزى اليك بجذع النخلة وهذا القول وهم فانه لا خلاف بين علماء الاحبار من أهل الكتاب ومن يعتمد عليه من علماء المسلمين ان عيسى صلوات الله عليه ولد بقرية بيت لحم من بيت المقدس ودخل مصر من الانبياء ابراهيم خليل الرحمن وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر خليج القاهرة من هذا الكتاب ودخلها أيضا يعقوب ويوسف والاسباط وقد ذكر ذلك فى خبر الفيوم ودخلها ارميا وكان من أهلها مؤمن آل فرعون الذى اثنى عليه الله جلّ جلاله فى القرآن ويقال انه ابن فرعون لصلبه وأظنه انه غير صحيح وكان منها جلساء فرعون الذين أبان الله فضيلة عقلهم بحسن مشورتهم فى امر موسى وهارون عليهما السلام لما استشارهم فرعون فى امرهما فقال تعالى قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم واين هذا من قول اصحاب النمرود فى ابراهيم صلوات الله عليه حيث اشاروا بقتله قال تعالى حكاية عنهم قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين * ومن اهل مصر امرأة فرعون التى مدحها الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين ومن اهلها ماشطة بنت فرعون وآمنت بموسى عليه السلام فمشطها فرعون بامشاط الحديد كما يمشط الكتان وهى ثابتة على ايمانها بالله * وقال صاعد اللغوى فى كتاب طبقات الامم ان جميع العلوم التى ظهرت قبل الطوفان انما صدرت عن هرمس الاوّل الساكن بصعيد مصر الاعلى وهو أوّل من تكلم فى الجواهر العلوية والحركات النجومية وهو أوّل من ابتنى الهياكل ومجد الله فيها واوّل من نظر فى علم الطب وألف لاهل زمانه قصائد موزونة فى الاشياء الارضية والسماوية وقالوا انه اوّل من انذر بالطوفان ورأى ان آفة سماوية تصيب الارض من الماء او النار فخاف ذهاب العلم واندراس الصنائع فبنى الاهرام والبرابى التى فى صعيد مصر الاعلى وصوّر فيها جميع الصنائع والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا على تخليدها لمن بعده وخيفة أن يذهب رسمها من العالم وهرمس هذا هو ادريس عليه السلام وقال أبو محمد الحسن بن اسماعيل بن

القرات فى اخبار مصر ان الخضر جاز البحر مع موسى عليه السلام وكان مقدما عنده وكان بمصر من الحكماء جماعة ممن عمرت الدنيا بكلامهم وحكمهم وتدبيرهم وكان من علومهم علم الطب وعلم النجوم وعلم المساحة وعلم الهندسة وعلم الكيمياء وعلم الطلسمات ويقال كانت مصر فى الزمن الاول يسير اليها طلاب العلوم لتزكو عقولهم وتجود أذهانهم وتميز عندهم الذكاء وتدق الفطنة * ومن فضائل مصر انها تميرا اهل الحرمين وتوسع عليهم ومصر فرضة الدنيا يحمل خيرها الى ماسواها فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه الى الحرمين واليمن والهند والصين وعمان والسند والشحر وساحلها من جهة تنيس ودمياط والفرما فرضة بلاد الروم والافرنج وسواحل الشام والثغور الى حدود العراق وثغر اسكندرية فرضة اقريطش وصقلية وبلاد المغرب ومن جهة الصعيد يحمل الى بلاد الغرب والنوبة والبجه والحبشة والحجاز واليمن وبمصر عدة من الثغور المعدة للرباط فى سبيل الله تعالى وهى البرلس ورشيد والاسكندرية وذات الحمام والبحيرة واخنا ودمياط وشطا وتنيس والاشتوم والفرما والواردة والعريش واسوان وقوص والواحات فيغزى من هذه الثغور الروم والفرنج والبربر والنوبة والحبشة والسودان وبمصر عدة مشاهد وكثير من المساجد وبها النيل والاهرام والبرابى والاديار والكنائس واهلها يستغنون بها عن كل بلد حتى انه لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور لاستغنى اهلها بما فيها عن جميع البلاد وبمصر دهن البلسان الذى عظمت منفعته وصارت ملوك الارض تطلبه من مصر وتعتنى به وملوك النصرانية تترامى على طلبه والنصارى كافة تعتقد تعظيمه وترى انه لا يتم تنصير نصرانى الا بوضع شئ من دهن البلسان فى ماء المعمودية عند تغطيسه فيها وبها السقنقور ومنافعه لا تنكر وبها النمس والعرس ولهما فى اكل الثعابين فضيلة لا تنكر فقد قيل لولا العرس والنمس لما سكنت مصر من كثرة الثعابين وبها السمكة الرعادة ونفعها فى البرء من الحمى اذا علقت على المحموم عجيب وبمصر حطب السنط ولا نظير له فى معناه فلو وقد منه تحت قدر يوما كاملا لما بقى منه رماد وهو مع ذلك صلب الكسر سريع الاشتعال بطىء الخمود ويقال انه ابنوس غيرته بقعة مصر فصار أحمر وبها الافيون عصارة الخشخاش ولا يجهل منافعه الا جاهل وبها البلح وهو ثمر قدر اللوز الاخضر كان من محاسن مصر الا انه انقطع قبل سنة سبعمائة من الهجرة وبها الاترج قال أبو داود صاحب السنن فى كتاب الزكاة شبرت قثاءة بمصر ثلاثة عشر شبرا ورأيت اترجة على بعير قطعتين وصيرت مثل عدلين قال المسعودى فى التاريخ والاترج المدور حمل من ارض الهند بعد الثلثمائة من سنى الهجرة وزرع بعمان ثم نقل منها الى البصرة والعراق والشام حتى كثر فى دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية وفى انطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف فعدمت منه الاراجيح الحمراء الطيبة واللون الحسن الذى كان فيه بارض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة وخاصية البلد وفى مصر معدن الزمرد ومعدن النفط والشب والبرام ومقاطع الرخام ويقال كان بمصر من المعادن ثلاثون معدنا وأهل مصر يأكلون صيد بحر الروم وصيد بحر اليمن طريا لان بين البحرين مسافة ما بين مدينة القلزم والفرما وذلك يوم وليلة وهو الحاجز المذكور فى القرآن قال تعالى وجعل بين البحرين حاجزا قيل هما بحر الروم وبحر القلزم وقال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان قال بعض المفسرين البرزخ ما بين القلزم والفرما ومن محاسن مصر انه يوجد بها فى كل شهر من شهور السنة القبطية صنف من المأكول والمشموم دون ما عداه من بقية الشهور فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبه وخروف امشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل أبيب وعنب مسرى * ومنها ان صيفها خريف لكثرة فواكهه وشتاءها ربيع لما يكون بمصر حينئذ من القرط والكتان ومن محاسنها ان الذى ينقطع من الفواكه فى سائر البلدان ايام الشتاء يوجد حينئذ بمصر ومنها ان أهل مصر لا يحتاجون فى حر الصيف الى استعمال الخيش والدخول فى جوف الارض كما يعانيه أهل بغداد ولا يحتاجون فى برد الشتاء الى لبس الفرو والاصطلاء بالنار الذى لا يستغنى عنه أهل الشام كما انهم أيضا فى الصيف غير محتاجين الى استعمال الثلج ويقال زبرجد مصر وقباطى مصر وحمير مصر وثعابين مصر ومنافعها فى الدرياق جليلة ومن فضائل مصر ان الرخامة التى فى الحجر من الكعبة من مصر بعث بها محمد بن طريف مولى العباس بن محمد فى سنة احدى واربعين ومائتين مع رخامة اخرى خضراء هدية للحجر فجعلت احدى الرخامتين على سطح مدر الكعبة وهما من احسن الرخام فى المسجد خضرة وكان المتولى

عليهما عبد الله بن محمد بن داود ذرعها ذراع وثلاث اصابع قاله القاكهى فى اخبار مكه * ومن فضائل مصر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى من اهلها وولد له صلى الله عليه وسلم من نساء مصر ولم يولد له ولد من غير
نساء العرب الا من نساء مصر * قال ابن عبد الحكم لما كانت سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية بعث الى الملوك فمضى حاطب بن ابى بلتعة بكتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى الاسكندرية وجد المقوقس فى مجلس مشرف على البحر فركب البحر فلما حاذى
مجلسه اشار بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصبعيه فلما رآه امر بالكتاب فقبض وأمر به فأوصل اليه
فلما قرأ الكتاب قال مامنعه ان كان نبيا أن يدعو على فيسلط على فقال له حاطب مامنع عيسى بن مريم
أن يدعو على من ابى عليه ان يفعل به ويفعل فوجم ساعة ثم استعادها فأعادها عليه حاطب فسكت فقال له
حاطب انه قد كان قبلك رجل زعم انه الرب الاعلى فانتقم الله به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا تعتبر بك وان لك
دينا لن تدعه الا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافى الله به فقد ما سواه وما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة
عيسى بمحمد وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك اهل التوراة الى الانجيل ولسنا ننهاك عن دين المسيح
ولكنا نأمرك به * ثم قرأ الكتاب فاذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط
سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام فأسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين ويا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) فلما قرأه اخذه فجعله فى حق من عاج وختم عليه * وعن ابان بن صالح
قال ارسل المقوقس الى حاطب ليلة وليس عنده احد الا الترجمان فقال له ألا تخبرنى عن امور اسألك عنها فانى
اعلم ان صاحبك قد تخيرك حين بعثك قلت لا تسألنى عن شئ الا صدقتك قال الى ما يدعو محمد قال الى ان تعبد
الله ولا تشرك به شيأ وتخلع ما سواه ويأمر بالصلاة قال فكم تصلون قال خمس صلوات فى اليوم والليلة وصيام
شهر رمضان وحج البيت والوفاء بالعهد وينهى عن اكل الميتة والدم قال من اتباعه قال الفتيان من قومه
وغيرهم قال وهل يقبل قوله قال نعم قال صفه لى قال فوصفته بصفة من صفته ولم آت عليها قال قد بقيت اشياء
لم ارك ذكرتها فى عينيه حمرة قل ما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزى بالتمرات
والكسر لا يبالى من لاقى من عم ولا ابن عم قلت هذه صفته قال قد كنت اعلم ان نبيا بقى وقد كنت اظن ان مخرجه
الشام وهنالك كانت تخرج الانبياء من قبله فأراه قد خرج فى ارض العرب فى ارض جهد وبؤس والقبط
لا تطاوعنى فى اتباعه ولا احب أن تعلم بمحاورتى اياك وسيظهر على البلاد وينزل اصحابه من بعده بساحتنا هذه
حتى يظهروا على ما ههنا وأنا لا اذكر للقبط من هذا حرفا فارجع الى صاحبك قال ثم دعى كاتبا يكتب بالعربية
فكتب (لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو
اليه وقد علمت ان نبيا قد بقى وقد كنت اظن ان نبيا يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين
لهما مكان فى القبط عظيم وبكسوة واهديت اليك بغلة لتركبها والسلام) * وعن عبد الرحمن بن عبد القارى
قال لما مضى حاطب بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المقوقس الكتاب واكرم حاطبا واحسن نزله
ثم سرحه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له كسوة وبغلة بسرجها وجاريتين احداهما ام ابراهيم
ووهب الاخرى لجهم بن قيس العبدرى فهى ام زكريا بن جهم الذى كان خليفة عمرو بن العاص على مصر
ويقال بل وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة الانصارى ويقال بل لدحية بن خليفة الكلبى
وقيل بل لحسان بن ثابت * وعن يزيد بن ابى حبيب أن المقوقس لما اتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمه
الى صدره وقال هذا زمان يخرج فيه النبى الذى نجد نعته وصفته فى كتاب الله تعالى وانا لنجد صفته انه لا يجمع
بين اختين فى ملك يمين ولا نكاح وانه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة وان جلساءه المساكين وان خاتم النبوة بين
كتفيه ثم دعا رجلا عاقلا ثم لم يدع بمصر احسن ولا اجمل من مارية واختها وهما من اهل حفن بفتح اوله وسكون
ثانيه ثم نون بعده من كورة انصنا فبعث بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له بغلة شهباء وحمارا
اشهب وثيابا من قباطى مصر وعسلا من عسل بنها وبعث اليه بمال صدقة ويقال ان المقوقس اهدى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم اربع جوارى وقيل جاريتين وبغلة اسمها الدلدل وحمارا اسمه يعفور وقباء وألف مثقال

ذهبا وعشرين ثوبا من قباطي مصر وخصيا يسمى مابور ويقال انه ابن عم مارية وفرسا يقال له اللزاز وقدحا من زجاج وعسلا من عسل بنها فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ودعا فيه بالبركة وقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه فان المقوقس قال خيرا واكرم حاطب ابن ابي بلتعة وقارب الامر ولم يسلم * وقال ابن سعد اخبرنا محمد بن عمر الواقدي ابو يعقوب ابن محمد بن ابي صعصعة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي صعصعة قال اهدى المقوقس صاحب الاسكندرية الى النبي صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من الهجرة مارية واختها سيرين وألف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا وبغلته الدلدل وحماره عفيرا وخصيا يقال له مابور فعرض حاطب على مارية الاسلام فأسلمت هي واختها ثم اسلم الخصي بعد وكان الذي بعثه المقوقس مع مارية اسمه ابن عبد الله القبطي مولى بني غفار قال ابن عبد الحكم وامر رسوله أن ينظر من جلسائه وينظر الى ظهره هل يرى شامة كبيرة ذات شعر ففعل ذلك الرسول فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم اليه الاختين والدابتين والعسل والثياب وأعلمه ان ذلك كله هدية فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية وكان لا يرد هامن احد من الناس قال فلما نظر الى مارية واختها اعجبتاه وكره ان يجمع بينهما وكانت احداهما تشبه الاخرى فقال اللهم اختر لنبيك فاختار الله له مارية وذلك انه لما قال لهما اشهدا ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فبادرت مارية فشهدت وآمنت قبل اختها ومكثت اختها ساعة ثم تشهدت وآمنت فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختها لمسلمة بن محمد الانصاري وقال بعضهم بل وهبها لدحية بن خليفة الكلبي * وعن يزيد بن ابي حبيب عن عبد الرحمن بن شامة المهري عن عبد الله بن عمر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام ابراهيم ام ولده القبطية فوجد عندها نسيبا لها كان قدم معها من مصر وكان كثيرا ما يدخل عليها فوقع في نفسه شيء فرجع فلقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعرف ذلك في وجهه فسأله فاخبره فاخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقريبها عندها فأهوى اليه بالسيف فلما رأى ذلك كشف عن نفسه وكان مجبوبا ليس بين رجليه شيء فلما رآه عمر رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتاني فاخبرني ان الله عز وجل قد برأها وقريبها وان في بطنها غلاما مني وانه اشبه الخلق بي وأمرني ان اسميه ابرهيم وكناني بأبي ابرهيم * وقال الزهري عن انس لما ولدت ام ابراهيم ابراهيم كانه وقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء حتى جاءه جبريل فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم ويقال ان المقوقس بعث معها بخصي كان يأوي اليها وقيل ان المقوقس اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جواري منهن ام ابراهيم وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي جهم بن حذيفة وواحدة وهبها لحسان بن ثابت فولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم وكان احب الناس اليه حتى مات فوجد به وكان سنه يوم مات ستة عشر شهرا وكانت البغلة والحمار أحب دوابه اليه وسمى البغلة الدلدل وسمى الحمار يعفورا وأعجبه العسل فدعا في عسل بنها بالبركة وبقيت تلك الثياب حتى كفن في بعضها صلى الله عليه وسلم وكان اسم اخت مارية قيصر وقيل بل كان اسمها سيرين وقيل حنة * وكلم الحسن بن علي معوية بن ابي سفيان في ان يضع الجزية عن جميع قرية ام ابراهيم لحرمتها ففعل ووضع الخراج عنهم فلم يكن على احد منهم خراج وكان جميع اهل القرية من اهلها وأقربائها فانقطعوا * ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو بقي ابراهيم ما تركت قبطيا الا وضعت عنه الجزية وماتت مارية في محرم سنة خمس عشرة بالمدينة وقال ابن وهب اخبرني يحيى بن ايوب وابن لهيعة عن عقيل عن الزهري عن يعقوب بن عبد الله بن المغيرة بن الاخنس عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال دخل ابليس العراق فقضى حاجته منها ثم دخل الشام فطردوه حتى دخل جبل شاق ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عبقريه حديث صحيح غريب وقد عاب بعضهم مصر فقال محاسنها المجلوبة اليها حتى العناصر الاربعة الماء وهو في النيل مجلوب من الجنوب والتراب مجلوب في حمل الماء والا فهي رمل محض لا تنبت الزرع والنار لا يوجد بها شجرها والهواء لا يهب بها الا من احد البحرين اما من الرومي واما من القلزم وقد زاد هذا في تحامله * وقال كعب الاحبار الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينه ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة والكوفة آمنة من الخراب حتى تكون الملحمة

* (ذكر العجائب التي كانت بمصر من الطلسمات والبرابي ونحو ذلك) *

ذكر في كتاب عجائب الحكايات وغرائب الماجريات انه كان بمصر حجر من جمع كفيه عليه تقيأ جميع ما في جوفه

قال القضاعى ذكر الجاحظ وغيره أن عجائب الدنيا ثلاثون اعجوبة منها بسائر الدنيا عشر اعجوبات وهى مسجد دمشق وكنيسة الرها وقنطرة سنجر وقصر غمدان وكنيسة رومية وصنم الزيتون وايوان كسرى بالمدائن وبيت الريح بتدمر والخورنق والسدير بالحيرة والثلاثة الاحجار ببعلبك وذكر انها بيت المشترى والزهره وانه كان لكل كوكب من السبعة بيت فيها فتهدمت (ومنها بمصر عشرون اعجوبة) فمن ذلك الهرمان وهما اطول بناء وأعجبه ليس على وجه الدنيا بناء باليد حجر على حجر أطول منهما واذا رأيتهما ظننت انهما جبلان موضوعان ولذلك قال بعض من رآهما ليس من شئ الا وانا ارحمه من الدهر الا الهرمين فانى لأرحم الدهر منهما * ومن ذلك صنم الهرمين وهو بلهوية ويقال بلهيت ويقال انه طلسم للرمل لئلا يغلب على ابليز الجيزه * ومن ذلك بربا سمنود وهو من اعاجيبها وذكر عن ابى عمرو الكندى انه قال رأيته وقد خزن فيه بعض عمالها قرظا فرأيت الجمل اذا دنا من بابه بحمله واراد ان يدخله سقط كل دبيب فى القرظ لم يدخل منه شئ الى البربا ثم خرب عند الخمسين والثلثمائة * ومن ذلك بربا اخميم عجب من العجائب بما فيه من الصور واعاجيب وصور الملوك الذين يملكون مصر وكان ذو النون الاخميى يقرأ البرابى فرأى فيها حكما عظيمة فأفسد أكثرها * ومن ذلك بربا دندره وهو بربا عجيب فيه ثمانون ومائة كوة تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ثم الثانية حتى تنتهى الى آخرها ثم تكرر راجعة الى موضع بدائها * ومن ذلك حائط العجوز من العريش الى اسوان يحيط بأرض مصر شرقا وغربا * ومن ذلك الاسكندرية وما فيها من العجائب فمن عجائبها المنارة والسوارى والملعب الذى كانوا يجتمعون فيه فى يوم من السنة ثم يرمون بكرة فلا تقع فى حجر أحد الا ملك مصر وحضر عيدا من أعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الكرة فى حجره فملك البلد بعد ذلك فى الاسلام ثم يحضر هذا الملعب ألف ألف من الناس فلا يكون فيهم احد الا وهو ينظر فى وجه صاحبه ثم ان قرئ كتاب سمعوه جميعا اولعب نوع من انواع اللعب رأوه عن آخرهم لا يتطاولون فيه بأكثر من المراتب العالية والسفلية * ومن عجائبها المسلتان وهما جبلان قائمان على سرطانات نحاس فى اركانها كل ركن على سرطان فلو أراد مريد أن يدخل تحتها شيأ حتى يعبره من جانبه الآخر لفعل * ومن عجائبها عمودا الاعيا وهما عمودان ملقيان وراء كل عمود منهما جبل حصبا كصبر الجمار يعنى يقبل المعنى اتعب النصب بسبع حصيات حتى يلتقى على احدهما ثم يرمى وراءه السبع ويقوم فلا يلتفت ويمضى لطيته فكأنما يحمل حملا لا يحس بشئ من تعبه ومن عجائبها القبة الخضراء وهى اعجب قبة ملبسة نحاسا كأنه الذهب الابريز لا يبليه القدم ولا يخلقه الدهر * ومن عجائبها منية عقبة وقصر فارس وكنيسة اسفل الارض ثم هى مدينة على مدينة ليس على وجه الارض مدينة بهذه الصفة سواها ويقال انها ارم ذات العماد سميت بذلك لان عمدها ورخامها من البد نجنا والاصطنيدس المخطط طولا وعرضا * ومن عجائب مصر أيضا الجبال التى هى بصعيدها على نيلها وهى ثلاثة اجبل فمنها جبل الكهف ويقال الكف ومنها الطيلمون ومنها جبل زماجيز الساحرة يقال ان فيه حلقة من الجبل ظاهرة مشرفة على النيل لا يصل اليها احد يلوح فيها خط مخلوق باسمك اللهم * ومن عجائبها شعب البوقيرات بناحية اشمون من ارض الصعيد وهو شعب فى جبل فيه صدع تأتيه البوقيرات فى يوم من السنة كان معروفا فتعرض انفسها على الصدع فكلما ادخل بوقير منها منقاره فى الصدع مضى لسبيله فلا يزال يفعل ذلك حتى يلتقى الصدع على بوقير منها فيحبسه وتمضى كلها ولا يزال ذلك الذى يحبسه متعلقا حتى يتساقط ويتلاشى * ومن عجائبها عين شمس وهى هيكل الشمس وبها العمودان اللذان لم ير أعجب منهما ولا من شأنهما طولهما فى السماء نحو من خمسين ذراعا وهما محمولان على وجه الارض وفيهما صورة انسان على دابة وعلى رأسهما شبه الصومعتين من نحاس فاذا جاء النيل قطر من رأسهما ماء وتستبينه وتراه منهما واضحا ينبع حتى يجرى فى اسفلهما فينبت فى اصلهما العوسج وغيره واذا حلت الشمس دقيقة من الجدى وهو اقصر يوم فى السنه انتهت الى الجنوبى منها فطلعت عليه على قمة رأسه وهى منتهى الميلين وخط الاستواء فى الواسطة منهما ثم خطرت بينهما ذاهبة وجائية سائر السنة كذا يقول اهل العلم بذلك * ومن عجائبها منف وعجائبها وأصنامها وأبنيتها ودفائنها وكنوزها وما يذكر فيها اكثر من ان يحصى من آثار الملوك والحكماء والانبياء لا يدفع ذلك * ومن عجائبها الفرما وهى اكثر عجائبا واكثر آثارا * ومن عجائبها الفيوم * ومن عجائبها نيلها ومن عجائبها الحجر المعروف بحجر الخل يدفو على الخل ويسبح فيه كأنه سمكة

وكان يوجد بها حجر اذا أمسكه الانسان بكلتا يديه تقايأ كل شئ فى بطنه وكان بها خرزة تجعلها المرأة على حقوها فلا تحبل وكان بها حجر يوضع على حرف التنور فيتساقط خبزه وكان يوجد بصعيدها حجارة رخوة تكسر فتتقد كالمصابيح * ومن عجائبها حوض كان بدلالات تدور من حجارة يركب فيها الواحد والاربعة ويحركون الماء بشئ فيعبرون من جانب الى جانب لا يعلم من عمله فأخذه كافور الاخشيدى الى مصر فنظر اليه ثم اخرج من الماء فالق فى البر وكان فى اسفله كتابة لا يدرى ماهى ثم بطل * ومن عجائبها ان بصعيدها ضيعة تعرف بدشنى فيها سنطة اذا تهددت بالقطع تذبل وتجتمع وتضمر فيقال لها قد عفونا عنك وتركناك فتتراجع والمشهور وهو الموجود الآن سنطة فى الصعيد اذا نزلت اليد عليها ذبلت واذا رفعت عنها تراجعت وقد حملت الى مصر وشوهدت وبها نوع من الخشب يرسب فى الماء كالابنوس وبها الخشب السنط الذى يوقد منه القدر الكبيرة فى الزمن الطويل فلا يوجد له رماد * وذكر ابن نصر المصرى انه كان على باب القصر الكبير الذى يقال له باب الريحان عند الكنيسة المعلقة صنم من نحاس على خلقة الجمل وعليه رجل راكب عليه عمامة متنكب قوساعربية وفى رجليه نعلان كانت الروم والقبط وغيرهم اذا تظالموا بينهم واعتدى بعضهم على بعض تجاروا اليه حتى يقفوا بين يدى ذلك الجمل فيقول المظلوم لظالم انصفنى قبل ان يخرج هذا الراكب الجمل فيأخذ الحق لى منك شئت ام ابيت يعنون بالراكب النبى محمدا صلى الله عليه وسلم فلما قدم عمرو بن العاص غيبت الروم ذلك الجمل لئلا يكون شاهدا عليهم قال ابن لهيعه بلغنى ان تلك الصورة فى ذلك الموضع قد أتى الآن عليها سنين لا يدرى من عملها * قال القضاعى فهذه عشرون اعجوبة من جملتها ما يتضمن عدة عجائب فلو بسطت لجاء منها عدد كثير ويقال ليس من بلد فيه شئ غريب الا وفى مصر مثله او شبيه به * ثم تفضل مصر على البلدان بعجائبها التى ليست فى بلد سواها وفى كتاب تحفة الالباب انه كان بمصر بيت تحت الارض فيه رهبان من النصارى وفى البيت سرير صغير من خشب تحت صبى ميت ملفوف فى نطع اديم مشدود بحبل وعلى السرير مثل الباطية فيها انبوب من نحاس فيه فتيل اذا اشتعل الفتيل بالنار وصار سراجا خرج من ذلك الانبوب الزيت الصافى الحسن الفائق حتى تمتلئ تلك الباطية وينطفى السراج بكثرة الزيت فاذا انطفأ لم يخرج من الدهن شئ فاذا خرج الصبى الميت من تحت السرير لم يخرج من الزيت شئ والباطية يريقها الانسان فلا يرى تحتها شيأ ولا موضعا فيه ثقب واولئك الرهبان يتعيشون من ذلك الزيت يشتريه الناس منهم فينتفعون به * وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه عديم الملك ابن تنطريم كان جبار الايطاق عظيم الخلق فأمر بقطع الصخور ليعمل هرما كما عمل الاولون وكان فى وقته الملكان اللذان اهبطا من السماء وكانا فى بئر يقال له افتاره وكانا يعلمان اهل مصر السحر وكان يقال ان الملك عديم بن البودشير استكثر من علمهما ثم انتقلا الى بابل واهل مصر من القبط يقولون انهما شيطانان يقال لهما مهله وبهاله وليس هما الملكين والملكان ببابل فى بئر هنالك يغشاها السحرة الى ان تقوم الساعة ومن ذلك الوقت عبدت الاصنام وقال قوم كان الشيطان يظهر وينصبها لهم وقال قوم اول من نصبها بدوره واول صنم اقامه صنم الشمس وقال آخرون بل النمرود الاول امر الملوك بنصبها وعبادتها وعديم اول من صلب وذلك ان امرأة زنت برجل من اهل الصناعات وكان لها زوج من اصحاب الملك فأمر بصلبهما على منارين وجعل ظهر كل واحد منهما الى ظهر الآخر وزبر على المنارين اسمهما وما فعلاه وتاريخ الوقت الذى عمل ذلك بهما فيه فانتهى الناس عن الزنى وبنى اربع مداين وأودعها صنوفا كثيرة من عجائب الاعمال والطلسمات وكنز فيها كنوزا كثيرة وعمل فى الشرق منارا وأقام على رأسه صنما موجها الى الشرق مادا يديه يمنع دواب البحر والرمال ان تتجاوز حده وزبر فى صدره تاريخ الوقت الذى نصبه فيه ويقال ان هذا المنار قائم الى وقتنا هذا ولولا هذا لغلب الماء الملح من البحر الشرقى على ارض مصر وعمل على النيل قنطرة فى اول بلد النوبة ونصب عليها اربعة اصنام موجهة الى اربع جهات الدنيا فى يدى كل واحد من الاصنام حربتان يضرب بهما اذا أتاهم آت من تلك الجهة فلم تزل بحالها الى ان هدمها فرعون موسى عليه السلام وعمل البربا على باب النوبة وهو هنالك الى وقتنا هذا وعمل فى احدى المداين الاربع التى ذكرناها حوضا من صوان اسود مملوء ماء لا ينقص طول الدهر ولا يتغير ماؤه لانه اجتلب اليه من رطوبة الهواء وكان اهل تلك الناحية واهل تلك المدينة يشربون منه ولا ينقص ماؤه وعمل ذلك لبعدهم عن النيل وذكر بعض كهنة القبط ان ذلك الماء ثم لقربه من البحر الملح فان الشمس ترفع بحرها بخار البحر فينحصر

من ذلك

من ذلك الغبار جزأ بالهندسة اوبالسحر وتجعله يحط ذلك فى ذلك الموضع بالجوهر مثل الظل وتمده بالهواء
فلا ينقص بذلك ماؤه على الدهر ولو شرب منه العالم وعمل قدحا لطيفا على مثل هذا العمل وأهداه حوميل
الملك الى اسكندر اليونانى وملكهم عديم مائة واربعين سنة ومات وهو ابن سبعمائة وثلاثين سنة ودفن
فى احدى المدائن ذات العجائب وقيل فى صحراء قفط * وذكر بعض القبط أن ناووس عديم عمل فى صحراء قفط
على وجه الارض تحت قبة عظيمة من زجاج اخضر براق معقود على رأسها كرة من ذهب عليها طائر من
ذهب موشح بجوهر منشور الجناحين يمنع من الدخول الى القبة وكان قطرهما مائة ذراع فى مثلها وجعل
جسده فى وسطها على سرير من ذهب مشبك وهو مكشوف الوجه وعليه ثياب منسوجة بالذهب المغروز
بالجوهر المنظوم وطول القبة اربعون ذراعا وجعل فى القبة مائة وسبعين مصحفا من مصاحف الحكمة وسبع
موائد بأوانيها مائدة من در رمانى احمر واوانيها منها ومائدة من ذهب قلمونى اوانيها منها ومائدة من
حجر الشمس المضىء بآنيتها وهو الزبرجد الذى اذا نظرت اليه الافاعى سالت اعينها ومائدة من كبريت احمر
مدبر بآنيتها ومائدة من ملح ابيض مدبر براق بآنيتها ومائدة من زيبق معقود وجعل فى القبة جواهر كثيرة
وبرابى صنعة مدبرة وحوله سبعة اسياف وأتراس من حديد أبيض مدبر وتماثيل افراس من ذهب عليها سروج
من ذهب وسبعة توابيت من دنانير عليها صورته وجعل معه من اصناف العقاقير والسمومات والادوية فى برابى
من حجارة وقد ذكر من رأى هذه القبة أنهم أقاموا اياما فما قدروا على الوصول اليها وانهم اذا قصدوها وكانوا منها
على ثمانية اذرع دارت القبة عن ايمانهم أو عن شمائلهم * ومن اعجب ما ذكروه انهم كانوا يحاذون آزاجها ازجا
ازجا فلا يرون غير الصورة التى يرونها من الازج الآخر على معنى واحد وذكروا انهم رأوا وجه الملك قدر
ذراع ونصف بالكبير ولحيته كبيرة مكشوفة وقدروا طول بدنه عشرة اذرع وزيادة وذكر هؤلاء الذين رأوها
انهم خرجوا الحاجة فوجدوها اتفاقا وانهم سألوا اهل قفط عنها فلم يجدوا احدا يعرفها سوى شيخ منهم وأوصى
عديم الملك ابنه شداب بن عديم ان ينصب فى كل حيز من احياز ولايته منارا ويزبر عليه اسمه فانحدر الى
الاشمونين وعمل منارا بها وزبر عليها اسمه وعمل بها ملاعب وعمل فى صحرائها منارا اقام عليه صنما برأسين
على اسم كوكبين كانا مقترنين فى الوقت الذى خرج فيه الى اتريب وبنى فيها قبة عظيمة مرتفعة على عمد وأساطين
بعضها فوق بعض وعلى رأسها صنما صغيرا من ذهب وعمل هيكلا للكواكب ومضى الى حيز صا فعمل فيه
منارا على رأسه مرآة من اخلاط تورى الاقاليم ورجع وعمل شداب بن عديم هيكل ارمنت وأقام فيه اصناما
باسماء الكواكب من جميع المعادن وزينه باحسن الزينة ونقشه بالجواهر والزجاج الملون وكساه الوشى
والديباج وعمل فى المدائن الداخلة من انصنا هيكلا وأقام فيه باتريب وهيكلا شرقى الاسكندرية وأقام صنما من
صوان اسود باسم زحل على عبرة النيل من الجانب الغربى وبنى فى الجانب الشرقى سداين فى احداها صورة صنم
قائم وله احليل اذا أتاه المعقود والمسحور ومن لا يتنشر ذكره فمسحه بكلتى يديه انتشر ذكره وقوى على الباه
وفى احداها بقرة لها ضرعان كبيران اذا انعقد لبن امرأة اتتها ومسحتها بيديها فانه يدر لبنها وجمع التماسيح
بطلسم عمله بناحية اسيوط فكانت تنصب من النيل الى اخميم انصبابا فيقتلها ويستعملها جلودا فى السفن وغيرها
* وعمل منقاوس الملك بيتا تدور به تماثيل بجميع العلل وكتب على رأس كل تمثال مايصلح من العلاج فانتفع
الناس بها زمانا الى ان افسدها بعض الملوك وعمل صورة امرأة متبسمة لا يراها مهموم الا زال همه ونسيه فكان
الناس يتناوبونها ويطوفون حولها ثم عبدوها من جملة ما عبدوه بعد ذلك * وعمل تمثالا من صفر مذهب بجناحين
لا يمر به زان ولا زانية الا كشف عورته بيده وكان الناس يمتحنون به الزناة فامتنعوا من الزنا فرقا منه فلما ملك
كلكن عشقت حظية عنده رجلا من خدمه وخافت ان تمتحن بذلك الصنم فأخذت فى ذكر الزوانى مع الملك
وأكثرت من سبهن وذمهن فذكر كلكن ذلك الصنم وما فيه من المنافع فقالت صدق الملك غير أن منقاوس لم يصب
فى امره لانه اتعب نفسه وحكماءه فيما جعله لاصلاح العامة دون نفسه وكان حكم هذا ان ينصب فى دار الملك حيث
يكون نساؤه وجواريه فان اقترفت احداهن ذنبا علم بها فيكون رادعا لهن متى عرض بقلوبهن شئ من الشهوة
فقال كلكن صدقت وظن ان هذا منها نصح فأمر بنزع الصنم من موضعه ونقله الى داره فبطل عمله وعملت
المرأة ما كانت همت به * وبنى هيكلا على جبل القصير للسحرة فكانوا لا يطلقون الرياح للمراكب المقلعة الا

بضريبة يأخذونها منهم للملك * وبنى مناوس بن منقاوس فى صحرا الغرب مدينة بالقرب من مدينة السحرة تعرف
بقنطرة ذات عجائب وجعل بوسطها قبة عليها كالسحابة تمطر شتاء وصيفا مطرا خفيفا وتحت القبة مطهرة فيها ماء
اخضر يداوى به من كل داء فيبريه وعمل فى شرقيها بربا لطيفا له اربعة ابواب لكل باب عضادتان فى كل عضادة
صورة وجه يخاطب كل واحد منهما صاحبه بما يحدث فى يومه فمن دخل البربا على غير طهارة نفخا فى وجهه
فأصابه رعدة قطيعة لا تفارقه حتى يموت وكانوا يقولون ان فى وسطه مهبط النور وفى صورة العمود من اعتنقه
لم يحتجب عن نظره شئ من الروحانية وسمع كلامهم ورأى ما يعملون وعلى كل باب من أبواب هذه المدينة صورة
راهب فى يده مصحف فيه علم من العلوم فمن احب معرفة ذلك العلم اتى تلك الصورة فمسحها بيديه وأمرهما على
صدره فيثبت ذلك العلم فى صدره ويقال ان هاتين المدينتين بنيتا على اسم هرمس وهو عطارد وأنهما بحالهما
(وحكى عن رجل انه اتى عبد العزيز بن مروان وهو أمير مصر فعرفه انه تاه فى صحراء الشرق فوقع على مدينة
خراب فيها شجرة تحمل كل صنف من الفاكهة وأنه اكل منها وتزود فقال له رجل من القبط هذه احدى مدينتى
هرمس وفيها كنوز كثيرة فوجه عبد العزيز معه جماعة معهم ماء وزاد فأقاموا يطوفون تلك الصحارى شهرا
فلم يقفوا لها على اثر * وعملت ام ميلاطس الملك بركة عظيمة فى صحراء الغرب وجعلت فى وسطها عمودا طوله ثلاثون
ذراعا وفى اعلاه قصعة من حجارة يفور منها الماء فلا ينقص ابدا وجعلت حول البركة اصناما من حجارة ملونة
على صور الحيوانات من الوحش والطير والبهائم فكان كل جنس يأتى الى صورته ويألفها فيؤخذ باليد
وينتفع به * وعملت لابنها متنزها لانه كان يحب الصيد فجعلت فيه مجالس مركبة على اساطين من مرمر مصفح
بالذهب مرصع بالجوهر والزجاج الملون وزخرفته بالتصاوير العجيبة والنقوش فكان الماء يطلع من فورات
وينصب الى انهار قد صفحت بالفضة تجرى الى حدائق فيها بديع الفروشات وقد أقيم حولها تماثيل تصفر
بانواع اللغات وأرخت على المجلس ستورا من ديباج واختارت لابنها من حسان بنات عمه وبنات الملوك
وازوجته وحولته الى هذه الجنة وبنت حول الجنة مجالس للوزراء والكهنة وأشراف اهل الصناعات فكانوا
يرفعون اليه جميع ما يعملونه فاذا فرغوا من اعمالهم حمل اليهم الطعام والشراب وكان ميلاطس تقلد الملك بعد
ابيه مرقوه وهو صبى وكانت امه مدبرة الملك وهى حازمة مجربة فأجرت الامور على ما كانت عليه فى حياة ابيه
واحسنت وعدلت فى الرعية ووضعت عنهم بعض الخراج وكانت ايامه سعيدة كلها فى الخصب الكثير والسعة
للناس والعدل وكان له يوم يخرج فيه الى الصيد ويرجع الى جنته فيأمر لكل من معه بالجوائز والاطعمة ويجلس
للنظر يوما فى مصالح الناس وقضاء حوائجهم ويخلو يوما بنسائه وكان ملكه ثلاث عشرة سنة وجدر فمات
* وعمل فرسون بن قيلون بن اتريب منارا على بحر القلزم وعلى رأسه مرآة تجتذب بها المراكب الى شاطئ البحر
فلا يمكنها ان تبرح الا ان تعشر فاذا عشرت سترت المرآة حتى تجوز المراكب وأقام فرسون مائتى سنة وستين سنة
وعمل لنفسه ناووسا خلف الجبل الاسود الشرقى فى وسطه قبة حولها اثنا عشر بيتا فى كل بيت اعجوبة لا تشبه
الاخرى وزبر عليها اسمه ومدة ملكه * وكان مرقونس الملك حكيما محبا للنجوم والعلوم والحكمة فعمل
فى ايامه درهما اذا ابتاع به صاحبه شيأ اشترط ان يزن له ما يبتاعه منه بوزن الدرهم ولا يطالب عليه زيادة فيغتر
البائع بذلك ويقبل الشرط فاذا تم ذلك بينهما وقع فى وزن الدرهم ارطال كثيرة تساوى عشرة اضعافه وكان
اذا احب أن يدخل فى وزنه اضعاف تلك الارطال دخل وقد وجد هذا الدرهم فى كنوزهم ثم فى خزائن بنى امية
وكان الناس يتعجبون منه ووجدوا دراهم اخر قيل انها عملت فى وقته ايضا فيكون الدرهم منها فى ميزان الرجل
فاذا اراد أن يبتاع حاجة اخذ ذلك الدرهم وقبله وقال اذكر العهد وابتاع به ما اراد فاذا اخذ السلعة ومضى
الى بيته وجد الدرهم قد سبقه الى منزله ويجد البائع موضع ذلك الدرهم ورقة آس او قرطاسا او مثل ذلك بدور
الدرهم وفى وقته عملت الآنية الزجاج التى توزن فاذا ملئت ماء وغيره ثم وزنت لم تزد عن وزنها الاول شيأ وعمل
فى وقته الآنية التى اذا جعل فيها الماء صار خمرا فى لونه ورائحته وفعله وقد وجد من هذه الآنية باطفيح فى امارة
هارون بن جارويه بن احمد بن طولون شربة جزع بعروة زرقاء ببياض وكان الذى وجدها ابو الحسن الصائغ
الخراسانى هو ونفر معه فأكلوا على شاطئ النيل وشربوا بها الماء فوجدوه خمرا فسكروا منه وقاموا ليرقصوا
فوقعت الشربة فانكسرت عدة قطع فاغتم الرجل وجاء بها الى هارون فاسف عليها وقال لو كانت صحيحة لاشتريتها

ببعض ملكى * واما الآنية النحاسية التى تجعل الماء خمرا فانها منسوبة الى قلوبطرة بنت بطليوس ملكة الاسكندرية فكثير وفى وقته عملت الصور الحجمية من الضفادع والخنافس والذباب والعقارب وسائر الحشرات وكانت اذا جعلت فى موضع اجتمع اليها ذلك الجنس ولا يقدر على مفارقة تلك الصورة حتى يقتل وكانه يعمل اعماله كلها بصور دوج الفلك واسمائها وطوالعها فيتم له من ذلك ما يريده * وعمل فى صحراء الغرب ملعبا من زجاج ملون فى وسطه قبة من زجاج اخضر صافى اللون فاذا طلعت عليها الشمس ألقت شعاعها على مواضع بعيدة وعمل فى جوانبه الاربعة اربعة مجالس عالية من زجاج كل مجلس لون ونقش عليها بغير لونها طلسمات عجيبة ونقوشات غريبة وصورا بديعة كل ذلك من زجاج مطلق يشف وكان يقيم فى هذا الملعب الايام وعمل له ثلاثة اعياد فى كل سنة فكان الناس يحجون اليه فى كل عيد ويذبحون له ويقيمون فيه سبعة ايام ولم يزل هذا الملعب تقصده الامم فانه لم يكن له نظير ولا عمل فى العالم مثله الى ان هدمه بعض الملوك لعجزه عن عمل مثله * وكانت ام مرقونس ابنة ملك النوبة وكان ابوها يعبد الكوكب الذى يقال له السها ويسميه الها سألت ابنها ان يعمل لها هيكلا يفردها به فعمله وصفحه بالذهب والفضة وأقام فيه صنما وأرخى عليه الستور الحرير فكانت تدخل اليه بجواريها وحشمها وتسجد له فى كل يوم ثلاث مرات وعملت لكل شهر عيدا تقرب له قرابين وتبخره ليله ونهاره ونصبت له كاهنا من النوبة يقوم به ويقرب له ويبخره ولم تزل بابنها حتى سجد له ودعى الى عبادته فلما رأى الكاهن الامر فى عبادة الكواكب قد تم واحكم من جهة الملك احب ان يكون لكوكب السها مثالا فى الارض على صورة حيوان يتعبد له فأقام يعمل الحيلة فى ذلك الى ان اتفق ان العقبان كثرت بمصر وأضرت بالناس فأحضر الملك هذا الكاهن وسأله عن سبب كثرتها فقال ان الهك ارسلها لتعمل لها تظيرا لتسجد له فقال مرقونس ان كان يرضيه ذلك فأنا فاعله فقال ان ذلك رضاه فأمر بعمل عقاب طوله ذراعان فى عرض ذراع من ذهب مسبوك وعمل عينيه من ياقوتتين وعمل له وشاحين من لؤلؤ منظوم على انابيب جوهر أخضر وفى منقاره درة معلقة وسروله بالدر الاحمر وأقامه على قاعدة من فضة منقوشة قد ركبت على قائمة زجاج ازرق وجعله فى ازج عن يمين الهيكل وألقى عليه ستور الحرير وجعل له دخنة من جميع الافاويه والصموغ وقرب له عجلا اسود وبكارة الفراريج وباكورة الفواكه والرياحين فلما تمت له سبعة ايام دعاهم الى السجود اليه فأجابه الناس ولم يزل الكاهن يجهد نفسه فى عبادة العقاب وعمل له عيدا فلما تم لذلك اربعون يوما نطق الشيطان من جوفه .. وكان اول ما دعاهم اليه ان يبخر له فى انصاف الشهور بالمندل ويرش الهيكل بالخمر العتيقة التى تؤخذ من رؤس الخوابى وعرفهم انه قد ازال عنهم العقبان وضررها وكذلك يفعل فى غيرها مما يخافون فسر الكاهن بذلك وتوجه الى ام الملك يعرفها ذلك فسارت الى الهيكل وسمعت كلام العقاب فسرها ذلك واعظمته وبلغ الملك فركب الى الهيكل حتى خاطبه وامره ونهاه فسجد له وأقام له سدنة وأمر أن يزين باصناف الزينة وكان مرقونس يقوم بهذا الهيكل ويسجد لتلك الصورة ويسألها عما يريد فتخبره * وعمل من الكيمياء ما لم يعمله احد من الملوك فيقال انه دفن فى صحراء الغرب خمسمائة دفين * ويقال انه عمل على باب مدينة صا عمودا عليه صنم فى صورة امرأة جالسة وفى يدها مرآة تنظر اليها وكان العليل يأتى الى هذه المرآة وينظر فيها او ينظر له احد فيها فان كان يموت من علته تلك رؤى ميتا وان كان يعيش رآه حيا وينظر فيها ايضا للمسافر فان رأوه مقبلا بوجهه علموا انه راجع وان رأوه موليا علموا انه يتمادى فى سفره وان كان مريضا او ميتا رأوه كذلك فى المرآة * وعمل بالاسكندرية صورة راهب جالس على قاعدة وعلى رأسه كالبرنس وفى يده كالعكاز فاذا مر به تاجر جعل بين يديه شيأ من المال على قدر بضاعته فان تجاوزه ولو عن بعد من غير أن يضع بين يديه المال لم يقدر على الجواز وثبت قائما مكانه فكان يجتمع من ذلك مال عظيم يفرق فى الزمنى والضعفاء والفقراء * وعمل فى زمنه كل اعجوبة ظريفة وامر ان يزبر اسمه عليها وعلى كل علم وكل طلسم وكل صنم * وعمل لنفسه ناووسا فى داخل الارض عند جبل يقال له سدام وعمل تحته ازجا يقال ان طوله مائة ذراع وارتفاعه ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وصفحه بالمرمر والزجاج الملون وسقفه بالحجارة وعمل فيها دائرة مساطب مبلطة بزجاج على كل مسطبة اعجوبة وفى وسط الازج دكة من زجاج على كل ركن من اركانها صورة تمنع الدنو اليها وبين كل صورتين منارة عليها حجر مضئ * وفى وسط الدكة حوض من ذهب فيه جسده بعد ما ضمده بالادوية الماسكة ونقل اليه ذخائره من الذهب والجوهر وغيره وسد باب الازج

بالصخور والرصاص وهيل عليها الرمال وكان ملكه ثلاثا وسبعين سنة وعمره مائتين واربعين سنة وكان جميلا ذا وفرة حسنة فتنسكت نساؤه ولزمن الهيكل من بعده وملك بعده ابنه ايساد ثم صا بن ايساد وقيل صا بن مرقونس اخو ايساد فعمل مرآة فى مدينة منف ترى الاوقات التى تخصب فيها مصر وتجدب وبنى بداخل الواحات مدينة ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة * وعمل خلف المقطم صنما يقال له صنم الحيلة فكان كل من تعذر عليه امر يأتيه ويبخره فيتيسر ذلك الامر له وجعل بحافة البحر الملح منارا يعلم منه امر البحر وما يحدث فيه من اقصى ما يصل اليه البصر على مسيرة ايام وهو اوّل من اتخذها ويقال انه بنى اكثر مدينة منف وكل بنيان عظيم بالاسكندرية * ولما ملك بدارس بن صا الاحياز كلها بعد ابيه وصفا له ملك مصر بنى فى غربى مدينة منف بيتا عظيما لكوكب الزهرة وأقام فيه صنما عظيما من لازورد مذهب وتوجه بذهب يلوح بزرقة وسوّره بسوارين من زبرجد أخضر وكان الصنم فى صورة امرأة لها ضفيرتان من ذهب اسود مدبر وفى رجليها خلخالان من حجر احمر شفاف ونعلان من ذهب وبيدها قضيب مرجان وهى تشير بسبابتها كأنها مسلمة على من فى الهيكل وجعل بحذائها تمثال بقرة ذات قرنين وضرعين من نحاس احمر مموّه بذهب موشحة بحجر اللازورد ووجه البقرة تجاه وجه الزهرة وبينهما مطهرة من اخلاط الاجساد على عمود رخام مجزع وفى المطهرة ماء مدبر يستشفى به من كل داء وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يبدلونها فى كل سبعة ايام وجعل فى الهيكل كراسى للكهنة قد صفحت بالذهب والفضة وقرب لهذا الصنم ألف رأس من الضأن والمعز والوحش والطير وكان يحضر يوم الزهرة ويطوف به وفرش الهيكل وستره وجعل فيه تحت قبة صورة رجل راكب على فرس له جناحان ومعه حربة فى سنانها رأس انسان معلق ولم يزل هذا الهيكل الى ان هدمه بخت نصر فى ايام ماليق بن تدارس وكان موحدا على دين قبطيم ومصرايم خرج فى جيش عظيم فى البر والبحر فغزا البربر وأرض افريقية وبلاد الاندلس وارض الافرنج الى البحر وعمل فى البحر اعلاما مزبر عليها اسمه ومسيره ورجع فهابه ملوك الارض وكان فى غربى مصر مدينة يقال لها قرميده بها قوم قد ملكوا عليهم امرأة ساحرة فغزاهم فلم ينل منهم قصدا ورجع فأرادت ملكتهم افساد مصر فعملت من سحرها وامرت فألقى فى النيل ففاض الماء على المزارع حتى افسدها وكثرت التماسيح والضفادع وفشت الامراض فى الناس وانبثت فيهم الثعابين والعقارب فاحضر ماليق الكهنة والحكماء فى دار حكمتهم وألزمهم بالنظر لذلك فنظروا فى نجومهم فرأوا ان هذه الآفة اتتهم من ناحية الغرب وان امرأة عملته وألقته فى النيل فعلوا حينئذ أنه من فعل تلك الساحرة واجتهدوا فى دفع ذلك بما عندهم من العلم حتى انكشف عنهم الماء الفاسد وهلكت الدواب المضرة وجهزوا قائدا فى جيش الى المدينة فلم يجدوا بها غير رجل واحد فأخذوا من الاموال والجواهر والاصنام ما لا يحصى * فمن ذلك صورة كاهن من زبرجد اخضر على قائمة من حجر الاسباديم وصورة روحانى من ذهب رأسه من جوهر أحمر وله جناحان من درّ وفى يده مصحف فيه كثير من علومهم فى دفتين مرصعتين بجوهر ومطهرة من ياقوت ازرق على قاعدة زجاج اخضر فيها ماء لدفع الاسقام وفرس من فضة اذا عزم عليه بعزائمه ودخن بدخنته وركبه احد طاربه فأحضر ذلك وغيره من عجائب السحرة وأصنامهم والاموال والجواهر الى مصر ومعهم الرجل فسأله الملك عن أعجب اعمالهم قال قصدهم بعض ملوك البربر بجمع كثيف وتخاييل هائلة فأغلق اهل مدينتنا حصنهم ولجوا الى الاصنام فأتى الكاهن الى بركة عظيمة بعيدة القعر كانوا يشربون منها فجلس على حافتها وأحاط رؤساء الكهنة بها واخذ يزمزم على الماء حتى فار وخرج من وسطه نار فى وسطها وجه كدارة الشمس لها ضوء فخرّ الجماعة لها سجودا وتلك الصورة تعظم حتى صعدت وخرقت القبة وسمع منها قد كفيتم شرّ عدوّكم فقاموا واذا بعدوّهم قد هلك وسائر من معه وذلك ان صورة الشمس التى ظهرت من الماء مرّت فصاحت عليهم صيحة هلكوا بها * ولما ملك كلكن مصر بعد أبيه خربيا كان النمرود فى وقته فاتصل بنمرود خبر حكمته وسحره فاستزاره ووجه اليه ان يلقاه وكان النمرود يسكن سواد العراق وغلب على كثير من الامم فأقبل كلكن على اربعة افراس تحملها اجنحة قد أحاطت به كالنار وحوله صور هائلة فدخل بها وهو متوشح ثعبان ومحزم ببعضه وذلك التنين فاغر فاه ومعه قضيب آس اخضر كلما حرّك التنين رأسه ضربه بالقضيب فلما رأى النمرود ذلك هاله واعترف له بجليل الحكم * وتقول القبط ان كلكن كان يرتفع فيجلس على الهرم الغربى فى قبة تلوح على رأسه وكان اهل البلد اذا دهمهم امر اجتمعوا حول الهرم

ويقولون

ويقولون انه ربما اقام على رأس الهرم اياما لا يأكل ولا يشرب ثم انه استتر مدة حتى توهموا انه هلك فطمع الملوك في مصر وقصدها ملك من المغرب يقال له سادوم في جيش عظيم الى ان بلغ وادي هيب فأقبل كلكن وجللهم من سحره بشئ كالغمام شديد الحرارة وهم تحته اياما لا يدرون اين يتوجهون ثم ارتفع وصار بمصر يعرفهم ما عمل وامرهم فخرجوا فاذا بالقوم ودوابهم قد ماتوا فهابه جميع الكهنة وصوروه في سائر الهياكل وبنى هيكلا لزحل من صوان اسود في ناحية الغرب وجعل له عيدا * (وفي ايام دارم بن الريان) وهو الفرعون الرابع الذي يقال له عند القبط دريوش ظهر معدن فضة على ثلاثة ايام من النيل فاثاروا منه شيأ عظيما وعمل صنما على اسم القمر لان طالعه كان برج السرطان ونصبه على القصر الرخام الذي بناه ابوه في شرقي النيل ونصب حوله اصناما كلها من الفضة وألبسها الحرير الاحمر وعمل للصنم عيدا كلما دخل برج السرطان ولما ولي اكسايس الملك بعد أبيه معدان بن معادوس بن دارم بن دريوس وهو الفرعون السادس اقام اعلاما كثيرة حول منف وجعل عليها اساطين يمشي من بعضها الى بعض وعمل برقودة وصا وسدانك الصعيد واسفل الارض أعلاما ومنائر للوقود وطلسمات كثيرة وعمل كودة من فضة ونقش عليها صورة الكواكب ودهنها بالدهن الصيني وأقامها على منار في وسط منف وعمل في هيكل ابيه روحاني زحل من ذهب اسود مدبر وعمل في وقته ميزانا يعتبر به الناس كفتاه من ذهب وعلاقته من فضة وسلاسله من ذهب فكان معلقا في هيكل الشمس وكتب على احدى كفتيه حق والاخرى باطل وتحته فصوص قد نقش عليها اسماء الكواكب فيدخل الظالم والمظلوم يأخذ كل منهما فصا من تلك الفصوص ويسمي عليه ما يريده ويجعل احد الفصين في كفة والآخر في كفة فتثقل كفة الظالم وترتفع كفة المظلوم ومن أراد سفرا أخذ فصين وذكر على أحدهما اسم السفر وعلى الآخر الاقامة وجعل كل واحد في كفة فان ثقلا جميعا ولم يرتفع أحدهما على الآخر لم يسافر وان ارتفعا سافر وان ارتفع أحدهما أخر السفر ثم سافر وكذا من عليه دين ومن له غائب أو ينظر في صلاح أمره وفساده * ويقال ان بخت نصر لما دخل الى مصر حمل هذا الميزان معه فيما حمل الى بابل وجعله في بيت من بيوت النار وعمل في ايامه تنورا أيضا يشوي فيه من غير نار ويطبخ فيه بغير نار وسكينا تنصب فاذا رآها شئ من البهائم أقبل حتى يذبح نفسه بها وعمل ماء يستحيل نارا وزجاجا يستحيل هواء وشيأ من النيرنجيات والنواميس * (واما البرابي) فذكر ابن وصيف شاه أن سوريد الذي بنى الاهرام هو الذي بنى البرابي كلها وعمل فيها الكنوز وزبر عليها علوما ووكل بها روحانية تحفظها ممن يقصدها وقال في كتاب الفهرست وبمصر أبنية يقال لها البرابي من الحجارة العظيمة الكبيرة وهي على اشكال مختلفة وفيها مواضع الصحن والسحق والحل والعقد والتقطير تدل على انها عملت لصناعة الكيمياء وفي هذه الابنية نقوش وكتابات لا يدرى ماهي وقد أصيبت تحت الارض فيها هذه العلوم مكتوبة في التوز وهي صفائح الذهب والنحاس وفي الحجارة * وذكر الحسن بن احمد الهمداني أن برابي مصر تنسب الى براب بن الدرمسيل بن محويل بن خنوخ بن قار بن آدم عليه السلام * وذكر ابو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتاب الاشارات الباقية عن القرون الخالية أن كنيسة في بعض قرى مصر قد شاهدها الموثوق بقولهم المأخوذ برأيهم المأمون من جهتهم الرواية عنهم فيها سرداب ينزل اليه بنيف وعشرين مرقاة وفيه سرير تحته رجل وصبي مشدودين في نطع وفوقه ثور رخام في جوفه باطية زجاج يدخلها قنينة من نحاس في جوفها قنديل كان توقد فيصب فيها زيت فلا يلبث الا ان تمتلئ الباطية الزجاج زيتا وتفيض الى الثور الرخام فينفق على تلك الكنيسة وقناديلها * وذكر الجيهاني أنه صار اليه من وثق به ورفع الباطية عن الثور وأفرغ الزيت من الباطية والثور جميعا وأطفأ النار وأعادها جميعا الا الزيت فانه صب زيتا من عنده وأبدله قنيلة اخرى وأشعلها فما لبث المزيت ان فاض الى الباطية الزجاج ثم فاض الى الثور الرخام من غير مدد ولا عنصر * وذكر الجيهاني انه اذا اخرج الميت من تحت السرير انطفأت النار ولم يفض الزيت * وذكر عن اهل القرية أن المرأة المتوهمة في نفسها حملا تحمل ذلك الصبي وتضعه في حجرها فيتحرك ولدها في البطن ان كان الحمل حقيقة أو تيأس ان لم تحس بحركة * قال المؤلف رحمه الله أخبرني داود بن رزق الله بن عبد الله وكانت له سياحات كثيرة بأراضي مصر ومعرفة احوالها أنه عبر في مغارة كبيرة يقال لها مغارة شقلقيل بالوجه القبلي فاذا فيها كوم عظيم من سندروس وانه غطاه ومضى فاذا شئ كثير الى الغاية من السمك وجميعها ملفوفة بثياب كأنها قد كفنت بعد الموت وانه أخذ منها سمكة وفتشها

فاذا فى فمها دينار عليه كتابة لا يحسن قراءتها وانه صار يأخذ هاسمكة سمكة ويخرج من فم كل واحدة دينارا حتى اجتمع له من ذلك عدة دنانير وانه أخذ تلك الدنانير ورجع ليخرج حتى جاء الى الكوم السندروس واذا به ارتفع حتى سدّ عليه الموضع فعاد الى السمك وأعاد الدنانير الى مواضعها وخرج فاذا السندروس كما كان اولا بحيث يتجاوزه ويخرج فعاد وأخذ الدنانير ومشى يخرج بها فاذا السندروس قد ارتفع حتى سدّ عليه الموضع فعاد الى السمك وأعاد الدنانير الى موضعها وخرج فاذا السندروس على حاله كما كان اولا بحيث يتجاوزه ويخرج وأنه كرّر أخذ الدنانير واعادتها مرارا والحال على ماذكر حتى خشى الهلاك فتركها وخرج فلما كان مدة سكن موضعها فرأى حجرا فى جدار وقد قوّر ووضع حجر آخر فحاول الحجر الآخر حتى رفعه فاذا تحته ستة دنانير من تلك الدنانير التى وجدها فى افواه السمك فأخذ منها واحدا وترك البقية فى موضعها وأعاد الحجر على الحجر وقدّر الله بعد ذلك أنه ركب النيل ليعدّى من البرّ الشرقى الى البرّ الغربى قال فلما توسط البحر واذا بالاسماك تثب من الماء وتلقى انفسها فى المركب حتى كدنا نغرق من كثرتها فصاح الركاب خوفا من الهلاك قال فتذكرت الدينار الذى معى وان هذا ربما كان بسببه فأخرجته من جيبى وألقيته فى الماء فتواثبت الاسماك من المركب وألقت نفسها فى الماء حتى لم يبق منها شئ * قلت واخبرنى قد يما بعض من لا اتهمه أنه ظفر بطلسم من هذا المعنى وانه عنده وأراد أن يرينى السمك يثب من الماء فلم يقدر لى أن أرى ذلك قال ابن عبد الحكم لما أغرق الله آل فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من اشراف أهلها احد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فاتفق من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهن يقال لها دلوكة بنت زبا وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت فى شرف منهن وموضع وهى يومئذ بنت مائة وستين سنة فملكوها فخافت أن يتناولها الملوك فجمعت نساء الاشراف وقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد ولا يمدّ عينه اليها وقد هلك اكابرنا وأشرافنا وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أبنى حصنا احدق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فانا لا نأمن أن يطمع فينا الناس فبنت جدارا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجرى فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلاثة اميال محرس ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت فى كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم ان يحرسوا بالاجراس فاذا أتاهم آت يخافونه ضرب بعضهم الى بعض الاجراس فأتاهم الخبر من اى وجه كان فى ساعة واحدة فنظروا فى ذلك فمنعت بذلك مصر ممن ارادها وفرغت من بنائه فى ستة اشهر وهو الجدار الذى يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كثيرة قال المسعودى وقيل انما بنته خوفا على ولدها وكان كثير القنص فخافت عليه سباع البرّ والبحر واغتيال من جاور أرضهم من الملوك والبوادى فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها وقد قيل غير ما وصفنا فملكتهم ثلاثين سنة فى قول قال المؤلف رحمه الله قد بقى من حائط العجوز هذا فى بلاد الصعيد بقايا أخبرنى الشيخ المعمر محمد بن المسعودى انه سار فى بلاد الصعيد على حائط العجوز ومعه رفقة فاقتلع أحدهم منها لبنة فاذا هى كبيرة جدا تخالف المعهود الآن من اللبن فى المقدار فتنا ولها القوم واحدا بعد واحد يتأملونها وبينما هم فى رؤيتها اذ سقطت الى الارض فانفلقت عن حبة فول فى غاية الكبر الذى يتعجب منه لعدم مثله فى زماننا فقشروا ما عليها فوجدوها سالمة من السوس والعيب كأنها قريبة عهد بحصادها لم يتغير فيها شئ ألبتة فأكلها الجماعة قطعة قطعة وكأنها انما خبئت لهم من الزمن القديم والاعصر الخالية انه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها * قال ابن عبد الحكم وكان ثم عجوز ساحرة يقال لها بدورو وكانت السحرة تعظمها وتقدمها فى علمهم وسحرهم فبعثت اليها دلوكة ابنة زبا انا قد احتجنا الى سحرك وفزعنا اليك ولا نأمن أن يطمع فينا الملوك فاعملى لنا شيأ نغلب به من حولنا فقد كان فرعون يحتاج اليك فكيف وقد ذهب اكابرنا يعنى فى الغرق مع فرعون موسى وبقى أقلنا فعملت بربا من حجارة فى وسط مدينة منف وجعلت له أربعة ابواب كل باب منها الى جهة القبلة والبحر والغرب والشرق وصورت فيه صور الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال وقالت لهم قد عملت لكم عملا يهلك به كل من أرادكم من كل جهة تؤتون منها برّا أو بحرا وهذا يغنيكم عن الحصن ويقطع عنكم مؤنة من أتاكم من كل جهة فانهم ان كانوا فى البرّ على خيل او بغال أو ابل أو فى سفن او رجالة تحركت هذه الصور من جهتهم التى يأتون

منها فما علم بالصور من شئ اصابهم ذلك فى انفسهم على ما تفعلون بهم فلما بلغ الملوك حولهم أن امرهم قد صار الى ولاية النساء طمعوا فيهم وتوجهوا اليهم فلما دنوا من عمل مصر تحركت تلك الصور التى فى البربا فطفقوا لا يهيجون تلك الصور بشئ ولا يفعلون بها شيأ الا اصاب ذلك الجيش الذى كان اقبل اليهم مثله ان كان خيلا فما فعلوا بتلك الخيل المصورة فى البربا من قطع رؤسها وسوقها او فقء عيونها او بقر بطونها اثر مثل ذلك بالخيل التى ارادتهم وان كانت سفنا أو رجالة فمثل ذلك وكانوا أعلم الناس بالسحر وأقواهم عليه وانتشر ذلك فتبادرهم الناس وكان نساء اهل مصر حين غرق فرعون وقومه ولم يبق الا العبيد والاجراء لم يصبرن عن الرجال فطفقت المرأة تعتق عبدها وتتزوجه وتتزوج الاخرى اجيرها وشرطن على الرجال أن لا يفعلوا شيأ الا باذنهن فاجابوهن فى ذلك فكان امر النساء على الرجال قال يزيد بن ابى حبيب ان نساء القبط على ذلك الى اليوم اتباعا لمن مضى منهم لا يبيع احد منهم ولا يشترى الا قال استأمر امرأتى فملكتهم دلوكة بنت زبا عشرين سنة تدبر أمرهم بمصر حتى بلغ صبى من ابناء اكابرهم واشرافهم يقال له دركون بن بلوطس فملكوه عليهم فلم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحوا من اربعمائة سنة وكلما انهدم من ذلك البربا الذى صور فيه الصور لم يقدر أحد على اصلاحه الا تلك العجوز وولدها وولد ولدها وكانوا اهل بيت لا يعرف ذلك غيرهم فانقطع اهل ذلك البيت وانهدم من البربا موضع فى زمان لقاس بن مرينوس فلم يقدر أحد على اصلاحه ومعرفة علمه وبقى على حاله وانقطع ما كان يقهرون به الناس وبقوا كغيرهم الأن الجمع كثير والمال عندهم فلما قدم بخت نصر بيت المقدس وظهر على بنى اسرائيل وسباهم وخرج بهم الى ارض بابل قصد مصر وخرب مدائنها وقراها وسبى جميع اهلها ولم يترك بها شيأ حتى بقيت مصر اربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن يجرى نيلها ويذهب لا ينتفع به ثم رد أهل مصر اليها بعد أربعين سنة فعمروها ولم تزل مقهورة من يومئذ * وقال بعض الحكماء رأيت البرابى وأخذت أتأملها فوجدتها مستحكمة على جميع اشكال الفلك والذى ظهر لى أنه لم يعملها حكيم واحد بل تولى عملها قوم بعد قوم حتى تكاملت فى دور كامل وهو ستة وثلاثون الف سنة شمسية لان مثل هذه الاعمال لا تعمل الا بالارصاد ولا يتكامل رصد المجموع فى اقل من هذه المدة المذكورة وكانوا يجعلون الكتاب حفرا ونقرا فى الصخور ونقشا فى الحجارة وحلقة مركبة فى البنيان وربما كان الكتاب هو الحفر اذا كان متضمنا لامر جسيم او عهد لامر عظيم او موعظة يرتجى نفعها او احياء شرف يريدون تخليد ذكره وقد كتب غير المصريين كذلك كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مارب وعلى ركن المستقر وعلى الابلق الفرد وعلى باب الرها وكانوا يعمدون الى الاماكن الشريفة والمواضع المذكورة فيضعون الخط فى ابعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأحذر أن يراها من مر بها ولا ينسى على طول الدهر * وقال المسعودى واتخذت دلوكة بمصر البرابى والصور وأحكمت آلات السحر وجعلت فى البرابى صور من يرد من كل ناحية ودوابهم ابلا كانت او خيلا وصورت فيها من يرد من البحر فى المراكب من بحر الغرب والشام وجمعت فى هذه البرابى العظيمة المشيدة البنيان اسرار الطبيعة وخواص الاحجار والنباتات والحيوانات وجعلت ذلك فى اوقات فلكية واتصالها بالمؤثرات العلوية وكانوا اذا ورد اليهم جيش من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الصور التى فى البربا من الابل وغيرها فيتعور ما فى ذلك الجيش وينقطع عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشام فعل فى تلك الصور التى من تلك الجهة التى أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا فيحدث فى ذلك الجيش من الافات فى ناسه وحيوانه ما صنع فى تلك الصور التى من تلك الجهة وكذلك من ورد من جيوش الغرب ومن ورد فى البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك فهابهم الملوك والامم ومنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقانها الزم انظار المملكة واحكامها السياسة * (وقد تكلم من سلف وخلف فى هذه الخواص واسرار الطبيعة التى كانت ببلاد مصر وهذا الخبر من فعل العجوز مستفيض لا يشكون فيه والبرابى بمصر من صعيدها وغيره باقية الى هذا الوقت وفيها انواع الصور مما اذا صورت فى بعض الاشياء احدثت افعالا على حسب ما رسمت له وصنعت من اجله على حسب قولهم فى الطبائع والله اعلم بكيفية ذلك (قال) وأخبرنى غير واحد من بلاد اخميم من صعيد مصر عن ابى الفيض ذى النون بن ابراهيم المصرى الاخميمى الزاهد وكان حكيما وكانت له طريقة يأتيها ونحلة يعضدها وكان ممن يقرأ على اخبار هذه البرابى وامتحن كثيرا مما صور فيها

ورسم عليهامن الكتابة والصور قال رأيت فى بعض البرابى كتابا تدبرته فاذا هو احذر العبيد المعتقين والاحداث والجند المتعبدين والنبط المستعربين ورأيت فى بعضها كتابا تدبرته فاذا فيه يقدر المقدر والقضاء يضحك وفى آخره كتابة تثبتها فى ذلك العلم فوجدتها   تدبر بالنجوم ولست تدرى * ورب النجم يفعل مايريد

قال وكانت هذه الامة التى اتخذت هذه البرابى لهجة بالنظر فى احكام النجوم من المواظبين على معرفة اسرار الطبيعة وكان عندها مما دلت عليه احكام النجوم أن طوفانا سيكون فى الارض ولم يقطع على ذلك الطوفان ماهو أنار تأتى على الارض فتحرق ماعليها اوماء يغرقها اوسيف يبيد أهلها فخافت دثور العلوم وفناءها بفناء اهلها فاتخذت هذه البرابى ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة وجعلت بنيانها نوعين طينا وحجارة وفرزت مابنى بالطين مما بنى بالحجارة وقالت ان كان هذا الطوفان نارا استحجر مابنى بالطين وان كان الطوفان الوارد ماء أذهب مابنينا بالطين ويبقى مابنى بالحجارة وان كان الطوفان سيفا بقى كل من النوعين مما هو من الطين ومما هو من الحجر وهذا ماقيل والله أعلم انه كان قبل الطوفان وان الطوفان الذى كانوا يرقبونه ولم يعينوه أنار هو أم ماء أم سيف كان سيفا اتى على جميع اهل مصر من امة غشيتها وملك نزل عليها فأباد أهلها ومنهم من رأى أن ذلك الطوفان كان وباء عم اهلها ومصداق ذلك ماوجد ببلاد تنيس من التلال المتقذرة من الناس من صغير وكبير وذكر وانثى كالجبال العظام وهى المعروفة ببلاد تنيس من ارض مصر بذات الكوم وماوجد ببلاد مصر وصعيدها من الناس المكسين بعضهم على بعض فى الكهوف والغيران والنواويس ومواضع كثيرة من الارض لايدرى من اى الامم هم فلا النصارى تخبر عنهم انهم من اسلافهم ولا اليهود تقول انهم من اوائلهم ولا المسلمون يدرون من هؤلاء ولا تاريخ ينبىء عن حالهم وعليهم أثوابهم وكثيرا ماوجد فى تلك البرابى والجبال من حليتهم * والبرابى ببلاد مصر بنيان قائم عجيب كالبربا التى بأخميم والتى بسمنود وغير ذلك

(ذكر الدفائن والكنوز التى تسميها اهل مصر المطالب)

الاصل فى جواز تتبع الدفائن مارواه ابو عمرو بن عبد البر والبيهقى فى الدلائل من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف مر بقبر أبى رغال فقال هذا قبر ابى رغال وهو ابو ثقيف كان اذا هلك قوم صالح فى الحرم فمنعه الله فلما خرج من الحرم رماه بقارعة وآية ذلك أنه دفن معه عمود من ذهب فابتدر المسلمون قبره فنبشوه واستخرجوا العمود منه ومن حديث عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه الى الطائف فمررنا بقبر فقال هذا قبر أبى رغال وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج اصابته النقمة التى اصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك انه دفن معه عصا من ذهب ان نبشتم عليه اصبتموه معه فابتدره الناس فأخرجوا العصا الذى كان معه * وبمصر كنوز يوسف عليه السلام وكنوز الملوك من قبله والملوك من بعده لانه كان يكنز مايفضل عن النفقات والمؤن لنوائب الدهر وهو قول الله عز وجل فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ويقال ان علم الكنوز فى كنيسة القسطنطينية نقلت اليها من طلطلة ويقال ان الروم لما خرجت من الشام ومصر اكتنزت كثيرا من اموالها فى مواضع اعدتها لذلك وكتبت كتبا بأعلام مواضعها وطرق الوصول اليها واودعت هذه الكتب قسطنطينية ومنها يستفاد معرفة ذلك وقيل ان الروم لم تكتب وانما ظفرت بكتب معالم كنوز من ملك قبلها من اليونانيين والكلدانيين والقبط فلما خرجوا من مصر والشام حملوا تلك الكتب معهم وجعلوها فى الكنيسة وقيل انه لايعطى من ذلك احد حتى يخدم الكنيسة مدة فيدفع اليه ورقة تكون حظه قال المسعودى ولمصر اخبار عجيبة من الدفائن والبنيان ومايوجد فى الدفائن من ذخائر الملوك التى استودعوها الارض وغيرهم من الامم ممن سكن تلك الارض وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا * (فمن اخبارها) ماذكره يحيى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لاخيه عبد الملك ابن مروان فأتاه رجل متنصح فسأله عن نصحه فقال بالقبة الفلانية كنز عظيم قال عبد العزيز ومامصداق ذلك قال هو أن يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يسير من الحفر ثم ينتهى بنا الحفر الى باب من الصفر تحته عمود من الذهب على اعلاه ديك عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا وجناحاه مضرجان بالياقوت والزمرذ ورأسه على صفائح من الذهب على اعلى ذلك العمود فأمر له عبد العزيز بنفقة لاجرة من يحفر من الرجال

في ذلك ويعمل فيه وكان هنالك تل عظيم فاحتفروا حفيرة عظيمة في الارض والدلائل المقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك وأوسع في النفقة واكثر من الرجالة ثم انتهوا في حفرهم الى ظهور رأس الديك فبرق عند ظهوره لمعان عظيم لما في عينيه من الياقوت ثم بان جناحاه ثم بانت قوائمه وظهر حول العمود عمود من البنيان بأنواع الحجارة والرخام وقناطر مقنطرة وطاقات على ابواب معقودة ولاحت منها تماثيل وصور اشخاص من انواع الصور الذهب وأجربة من الاحجار قد أطبق عليها أغطيتها وسبكت فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع فنظر الى ما ظهر من ذلك فأسرع بعضهم ووضع قدمه على درجة من نحاس ينتهي الى ما هنالك فلما استقرت قدماه على المرقاة ظهر سيفان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها فالتقيا على الرجل فلم يدرك حتى جزآه قطعا وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود وصفر الديك صفيرا عجيبا اسمع من كان بالبعد من هنالك وحرك جناحيه وظهرت من تحته اصوات عجيبة قد عملت بالكواكب والحركات اذا مال وقع على بعض تلك الدرج شئ او ماسها شئ انقلبت فتهاوى من هنالك من الرجال الى اسفل تلك الحفرة وكان فيها ممن يحفر ويعمل وينقل التراب وينظر ويحول ويأمر وينهى نحو ألف رجل فهلكوا جميعا فجزع عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الامر ممنوع النيل نعوذ بالله منه وامر جماعة من الناس فطرحوا ما اخرج من هنالك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع قبرا لهم * قال المسعودي وقد كان جماعة من اهل الدفائن والمطالب ومن قد اعتنى وأغرى بحفر الحفائر وطلب الكنوز وذخائر الملوك والامم السالفة المستودعة بطن الارض ببلاد مصر قد وقع اليهم كتاب ببعض الاقلام السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على اذرع يسيرة من بعض الاهرام بأن فيه مطلبا عجيبا فأخبروا الاخشيد محمد بن طغج بذلك فأمرهم بحفره وأباحهم استعمال الحيلة في اخراجه فحفروا حفرا عظيما الى ان انتهوا الى ازج واقباء وحجارة مجوفة في صخرة منقور فيها تماثيل قائمة على ارجلها من الخشب قد طلي بالاطلية المانعة من سرعة البلاء وتفرق الاجزاء والصور مختلفة فيها صور شيوخ وشبان ونساء وأطفال اعينهم من انواع الجواهر كالياقوت والزمرد والزبرجد والفيروزج ومنها ما وجوهها ذهب وفضة فكسر بعض تلك التماثيل فوجدوا في اجوافها رمما بالية واجساما فانية والى جانب كل تمثال منها نوع من الآنية كالبرابي وغيرها من المرمر والرخام وفيه من الطلي الذي قد طلي منه ذلك الميت الموضوع في التماثيل الخشب والطلاء دواء مسحوق واخلاط معمولة لا رائحة لها فجعل منه على النار شئ ففاح منه ريح طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من انواع الطيب وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف اسنانهم ومقادير أعمارهم وتباين صورهم وبازاء كل تمثال تمثال من الحجر المرمر أو من الرخام الاخضر على هيئة الصنم على حسب عباداتهم للتماثيل والصور عليها انواع من الكتابات لم يقف احد على استخراجها من اهل الملل وزعم قوم من اهل الدراية ان لذلك القلم منذ فقد من ارض مصر أربعة آلاف سنة وفيما ذكرناه دلالة على ان هؤلاء ليسوا بيهود ولا نصارى ولم يؤدهم الحفر الا لما ذكرناه من هذه التماثيل وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وقد كان من سلف وخلف من ولاة مصر من احمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة ثنتين وثلاثين وثلثمائة لهم اخبار عجيبة فيما استخرج في ايامهم من الدفائن والاموال والجواهر وما اصيب في هذه المطالب من القبور وقد أتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا * (وركب) احمد بن طولون يوما الى الاهرام فأتاه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف ومعهم المساحي والمعاول فسألهم عن ما يعملون فقالوا نحن قوم نطلب المطالب فقال لهم لا تخرجوا بعدها الا بمشورتي او رجل من قبلي وأخبروه أن في سمت الاهرام مطلبا قد عجزوا عنه فضم اليهم الرافقي وتقدم الى عامل الجيزة في اعانتهم بالرجال والنفقات وانصرف فأقاموا مدة يعملون حتى ظهر لهم فركب احمد بن طولون اليهم وهم يحفرون فكشفوا عن حوض مملوء دنانير وعليه غطاء مكتوب عليه بالبربطية فأحضر من قرأه فاذا فيه انا فلان بن فلان الملك الذي ميز الذهب من غشه ودنسه فمن اراد أن يعلم فضل ملكي على ملكه فلينظر الى فضل عيار ديناري على عيار ديناره فان مخلص الذهب من الغش مخلص في حياته وبعد وفاته فقال احمد ابن طولون الحمد لله ان ما نبهتني عليه هذه الكتابة احب الي من المال ثم أمر لكل من القوم المطالبية بمائتي دينار منه ولكل من الصناع بخمسة دنانير بعد توفية اجرة عمله وللرافقي بثلثمائة دينار وللنسيم الخادم بألف

دينار وحمل باقى الدنانير فوجدها اجود من كل عيار وشدد من حينئذ فى العيار بمصر حتى صار عيار دينار الذى عرف بالاحمدى اجود عيار وكان لا يطلى الا به

(ذكر هلاك اموال اهل مصر)

قال الله عز وجل وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاءه زينة واموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما هذا دعاء من موسى عليه السلام على فرعون وقومه من اهل مصر لكفرهم أن يهلك الله اموالهم قال الزجاج طمس الشئ اذهابه عن صورته * عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وعن محمد بن كعب القرظى انهما قالا صارت اموال اهل مصر ودراهمهم حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وأثلاثا وأنصافا فلم يبق معدن الا طمس الله عليه فلم ينتفع به احد بعدهم وقال قتادة بلغنا ان اموالهم وزروعهم صارت حجارة وقال مجاهد وعطية اهلكها الله تعالى حتى لا ترى يقال عين مطموسة اى ذاهبة وطمس الموضع اذا عفا ودرس وقال ابن زيد صارت دنانيرهم ودراهمهم وفرشهم وكل شئ لهم حجارة وقال محمد بن كعب وكان الرجل منهم يكون مع اهله وفراشه وقد صارا حجرين قال وقد سألنى عمر بن عبد العزيز فذكرت ذلك فدعا بخريطة اصيبت بمصر فأخرج منها الفواكه والدراهم والدنانير وانها لحجارة وقال محمد بن شهاب الزهرى دخلت على عمر بن عبد العزيز فقال يا غلام ائتنى بالخريطة فجاء بخريطة ثم رما فيها فاذا فيها دراهم ودنانير وتمر وجوز وعدس وفول فقال كل يا ابن شهاب فأهويت فاذا هو حجارة فقلت ماهذا يا امير المؤمنين قال هذا مما اصاب عبد العزيز بن مروان فى مصر اذ كان عليها واليا وهو مما طمس الله عليه من اموالهم وقال المضارب بن عبد الله الشامى اخبرنى من رأى النخلة بمصر مصروعة وانها لحجر ولقد رأيت ناسا كثيرا قياما وقعودا فى اعمالهم لو رأيتهم ماشككت فيهم قبل ان تدنو منهم أنهم اناس وانهم لحجارة ولقد رأيت الرجل من رقيقهم وانه لحارث على ثورين وانه وثوريه لحجارة ونقل وسيمة بن موسى فى قصص الانبياء أن فرعون لما هلك وقومه وآمنت بنو اسرائيل بما تلته ندب موسى عليه السلام من نقبائه الاثنى عشر نقيبين احدهما كالب بن موقيا والآخر يوشع بن نون مع كل واحد من سبطه اثنا عشر ألفا وأرسلهما الى مصر وقد خلت من حاميها الغرق اهلها مع فرعون فأخذوا دخائر فرعون وكنوزه وعادوا الى موسى فذلك توريثهم أرض مصر يعنى قول الله عز وجل عن قوم فرعون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها قوما آخرين وقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها يعنى ارض مصر أورثناها بنى اسرائيل لانهم هم المستضعفون الذين كانوا فيها بدليل قوله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض * قال جامعه ومؤلفه رحمه الله تعالى أخبرنى داود بن رزق بن عبد الله وكانت له سياحات كثيرة بأرض مصر أنه عبر الى واد بالقرب من القلمون بالوجه القبلى فرأى فيه مقاتات كثيرة ما بين بطيخ وقثاء وتفاح وكلها حجارة وكان قد أخبرنى قديما بعض الاعيان أنه شاهد فى سفره الى البلاد من أرض مصر بطيخا كثيرا كله حجارة وكذلك البطيخ من الصيف الذى يقال له العبدلى

(ذكر اخلاق اهل مصر وطبائعهم وأمزجتهم)

قال ابو الحسن على بن رضوان الطبيب مصر اسم فيما نقلت الرواة يدل على احد اولاد نوح النبى عليه السلام فانهم ذكروا أن مصر هذا نزل بهذه الارض فأنسل فيها وعمرها فسميت باسمه والذى يدل عليه هذا الاسم اليوم هو الارض التى يفيض عليها النيل ويحيط بها حدود أربعة وهى أن الشمس تشرق على أقصى العمارة بالشرق قبل ان تغيب عن آخر العمارة بالغرب بثلاث ساعات وثلثى ساعة فيجب من ذلك أن تكون هذه الارض فى النصف الغربى من الربع العامر والنصف الغربى من الربع العامر على ما قال أبقراط وبطلموس اقل حرارة واكثر رطوبة من النصف الشرقى لانه قسم كوكب القمر والنصف الشرقى فى قسم كوكب الشمس وذلك ان الشمس تشرق على النصف الشرقى قبل شروقها على النصف الغربى والقمر يهل على النصف الغربى قبل النصف الشرقى وقد زعم قوم من القدماء أن ارض مصر فى وسط الربع من المعمور من الارض بالطبع فأما بالقياس فعلى ما ذكرنا من انها فى النصف الغربى والحد الثالث هو أن اول بعد هذه الارض عن خط الاستواء

فى جهة الجنوب اسوان وبعدها عن خط الاستواء اثنان وعشرون درجة ونصف فالشمس تسامت رؤس
اهلها مرتين فى السنة عند كونها فى آخر الجوزاء اوفى اول السرطان وفى هذين الوقتين لا يكون للقائم
باسوان نصف النهار ظل اصلا فالحرارة واليبس والاحراق غالب على مزاجها لان الشمس تنشف رطوباتها
ولذلك صارت ألوانهم سودا وشعورهم جعدة لاحتراق ارضهم والحد الرابع هو آخر بعد أرض مصر عن خط
الاستواء فى جهة الشمال طرف بحر الروم وعليه من أرض مصر بلدان كثيرة كالاسكندرية ورشيد
ودمياط وتنيس والفرما وبعد دمياط عن خط الاستواء فى الشمال احد وثلاثون جزأ وثلث وهذا البعد هو
آخر الاقليم الثالث وأول الاقليم الرابع فالشمس لا تبعد عنهم كل البعد ولا تقرب منهم كل القرب فالغالب عليهم
الاعتدال مع ميل يسير الى الحرارة فان الموضع المعتدل على الصحة من البلدان العامرة وهو أول وسط الاقليم
الرابع وأيضا فمجاورة دمياط للبحر واحاطته بها تجعلها معتدلة بين الحر والبرد خارجة عن الاعتدال الى
الرطوبة فيكون الغالب عليها المزاج الرطب الذى ليس بحار ولا بارد ولذلك صارت ألوانهم سمرا وأخلاقهم سهلة
وشعورهم سبطة واذا كان اول مصر من جهة الجنوب الغالب عليه الاحتراق وآخرها من جهة الشمال
الغالب عليها الاعتدال مع ميل يسير نحو الحرارة فما بين هذين الموضعين من أرض مصر الغالب عليه
الحرارة وتكون قوة حرارته بقدر بعده من اسوان وقربه من بحر الروم ومن أجل هذا قال أبقراط وجالينوس
ان المزاج الغالب على ارض مصر الحرارة قال وجبل لوقا فى مشرق هذه الارض يعوق عنها ريح الصبا فانه
لم يوجد بفسطاط مصر صبا خالصة لكن متى هبت الصبا عندهم هبت نكباء بين المشرق والشمال او المشرق
والجنوب وهذه الرياح يابسة مانعة من العفن وقد عدمت اهل مصر هذه الفضيلة ومن اجل ذلك صارت
المواضع التى تهب فيها ريح الصبا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها كالاسكندرية وتنيس ويعوق
أيضا هذا الجبل اشراق الشمس على أرض مصر واذا كانت على الافق فيكون زمان لبث الشعاع على
هذه الارض أقل من الطبيعى ومثل هذه الحال سبب ركود الهواء وغلظه وأرض مصر أرض كثيرة
الحيوان والنبات جدا لا تكاد تجد فيها موضعا خلوا من الحيوان والنبات وهى أرض متخلخلة فانك تراها
عند انصراف النيل بمنزلة الحمأة فاذا حلت الحرارة ما فيها من الرطوبة تشققت شقوقا عظاما والمواضع الكثيرة
الحيوان والنبات أرض كثيرة العفونة وقد اجتمع على أرض مصر حرارة مزاجها وكثرة ما فيها من
الحيوان والنبات فأوجب ذلك احتراقها وسواد طينها فصارت أرضا سوداء وما قرب منها من الجبل سبخ
اما بورقى اومالح ويظهر من أرض مصر بالعشيات بخار أسود أو أغبر وخاصة فى ايام الصيف وأرض مصر
ذات اجزاء كثيرة ويختص كل جزء منها بشئ دون غيره وعلة ذلك ضيق عرضها واشتمال طولها على عرض الاقليم
الثانى والثالث فان الصعيد فيه من النخل والسنط وآجام القصب والبردى ومواضع احراق الفحم وغير ذلك
شئ كثير والفيوم فيه من النقائع وآجام القصب ومواضع تعطين الكتان شئ كثير وأسفل أرض مصر فيه
من النبات انواع كثيرة كالقلقاس والموز وغير ذلك وبالجملة فكل بقعة من أرض مصر لها اشياء تختص بها
وتنفصل عن غيرها قال والنيل يرطب يبس الصيف والخريف فقد استبان ان المزاج الغالب على أرض مصر
الحرارة والرطوبة الفضلية وانها ذات اجزاء كثيرة وأن هواءها وماءها رديئان وقد بين الاوائل أن المواضع
الكثيرة العفن يتحلل منها فى الهواء فضول كثيرة لا تدعه يستقر على حال لاختلاف تصعدها وقد كان استبان
أن هواء أرض مصر يسرع اليه التغير لان الشمس لا يثبت على أرض مصر شعاعها المدة الطبيعية فمن اجل
هذين كثر اختلاف هواء أرض مصر فصار يوجد فى اليوم الواحد على حالات مختلفة مرة حر ومرة برد
ومرة يابس واخرى رطب ومرة متحرك واخرى ساكن ومرة الشمس صاحية ومرة قد سترها الغيم وبالجملة هواء
مصر كثير الاختلاف غير لازم لطريقة واحدة فيصير من اجل ذلك فى الاوعية والعروق من اخلاط البدن
لا يلزم حدا واحدا وأيضا فان ما يتحلل كل يوم من البخار الرطب بأرض مصر يعوقه اختلاف الهواء وقلة
سمك الجبال وكثرة حرارة الارض عن الاجتماع فى الجو فاذا برد الهواء ببرد الليل انحدر هذا البخار على
وجه الارض فيتولد عنه الضباب الذى يحدث عنه الطل والندا وربما تحلل هذا البخار بالتحلل الخفى فاذا
يتحلل كل يوم ما كان اجتمع من البخار فى اليوم الذى قبله فمن أجل هذا لا يجتمع الغيم الممطر بأرض مصر

الا في الندرة وظاهر أيضا أن أرض مصر يترطب هواؤها في كل يوم بما يترقى اليه من البخار الرطب وما يتحلل (وقد قال) بعض الناس ان الضباب يتكون من استحالة الهواء الى طبيعة الماء فاذا انضاف هذا الى ماقلناه كان ازيد في بيان سرعة تغير الهواء بأرض مصر وكثرة العفونة فيها وقد استبان أن أرض مصر كثيرة الاختلاف كثيرة الرطوبة الفضلية التي يسرع اليها العفن (والعلة القصوى في جميع ذلك هو أن أخص الاوقات بالجفاف في الارض كلها يكثر فيه بمصر الرطوبة لانها تترطب في الصيف والخريف بمد النيل وفيضه وهذا بخلاف ماعليه البلدان الاخر * وقد علمنا أبقراط أن رطوبة الصيف والخريف فضلية أعني خارجة عن المجرى الطبيعي كرطوبة المطر الحادث في الصيف ومن أجل هذه قلنا ان رطوبة مصر فضلية وذلك أن الحرارة واليبس هو بالحقيقة مزاج مصر الطبيعي وانما عرض له ما اخرجه عن اليبس الى الرطوبة الفضلية بمد النيل في الصيف والخريف ولذلك كثرت العفونات بهذه الارض فهذا هو السبب الاعظم في أن صارت أرض مصر على ماهي عليه من سخافة الارض وكثرة العفن ورداءة الماء والهواء الآن هذه الاشياء لا تحدث في ابدان المصريين استحالة محسوسة اذا جرت على عادتها من اجل الف المصريين لهذه الحال ومشاكلة ابدانهم لها فان كل مايتولد بأرض مصر من الحيوان والنبات مشابه لما عليه مصر في سخافة الابدان وضعف القوى وكثرة التغير وسرعة الوقوع في الامراض وقصر المدة كالحنطة بمصر فانها وشيكة الزوال سريع اليها العفن في المدة اليسيرة ولا مطعن أن أبدان الناس وغيرهم تخالف ماعليه الحنطة من سرعة الاستحالة وكيف لايكون الامر كذلك وأبدانهم مبنية من هذه الاشياء فحال ماينولد بأرض مصر من من النبات والحيوان في السخافة وكثرة الفضول والعفن وسرعة الوقوع في الامراض كحال سخافة أرضها وعفنها وفضولها وسرعة استحالتها لان النسبة واحدة ولذلك امكن حياة الحيوان فيها ونبات النبات بها فان هذه الاشياء من حيث ناسبتها ولم تبعد من مشاكلتها أمكن حياتها (فأما) الاشياء الغريبة فانها اذا دخلت الى مصر تغيرت في أول لقائها لهذا الهواء حتى اذا استقرت وألفت الهواء واستقرت عليه صحت مشاكلة لارض مصر * قال وأما جنس مايؤكل ويشرب بأرض مصر فان الغلات سريعة التغير سخيفة متخلخلة تفسد في الزمان اليسير كالحنطة والشعير والعدس والحمص والباقلاء والجلبان فان هذه تسوس في المدة القليلة ليس لشيء من الاغذية التي تعمل منها اللذاذة ما لنظيره في البلدان الاخر وذلك أن الخبز المعمول من الحنطة بمصر متى لبث يوما واحدا بليلته لا يؤكل وان اكل لم يوجد له لذاذة ولا تماسك لبعضه ببعض ولا يوجد فيه علوكة ولكنه يتكرج في الزمان اليسير وكذلك الدقيق وهذا خلاف اخبار البلدان الاخر وكذلك الحال في جميع غلات مصر وفواكهها ومايعمل فيها فانها وشيكة الزوال سريعة الاستحالة والتغير فأما مايحمل من هذه الى مصر فظاهر أن مزاجها يتبدل باختلاف الهواء عليها ويستحيل عما كانت عليه الى مشاكلة ارض مصر الا ان ما كان حديثا قريب العهد بالسفر فقد بقيت فيه من جودته بقايا صالحة فهذا حال الغلات (وأما) الحيوان الذي يأكله الناس فالبلدي منه مزاجه مشاكل لمزاج الناس بهذه الاراضي في السخافة وسرعة الاستحالة فهو على هذا ملايم لطبائعهم والمجلوب كالكباش البرقية فالسفر يحدث في ابدانها تحللا ويساوا خلاطها الانسان كل اخلاط المصريين ولهذا اذا دخلت مصر مرض اكثرها فاذا استقرت زمانا صالحا تبدل مزاجها ووافق مزاج المصريين (وأهل مصر) يشرب الجمهور منهم من ماء النيل وقد قلنا في ماء النيل مافيه كفاية وبعضهم يشرب مياه الآبار وهي قريبة من مشاكلتهم والمياه المخزونة فقل من يشربها بأرض مصر وأجود الاشربة عندهم الشمسي لان العسل الذي فيه يحفظ قوته ولايدعه يتغير بسرعة والزمان الذي يعمل فيه خالص الحر فهو ينضجه والزبيب الذي يعمل منه مجلوب من بلاد أجود هواء (وأما الخمر) فقل من يعتصرها الا ويلقي معها عسلا وهي معتصرة من كرومهم فتكون مشاكلة لهم ولهذا صاروا يختارون الشمسي عليها وماعدا الشمسي والخمر من الشراب بأرض مصر فردىء لاخير فيه لسرعة استحالته من فساد مادته النبيذ التمري والمطبوخ والمزر المعمول من الحنطة * وأغذية اهل مصر مختلفة فان اهل الصعيد يغتذون كثيرا بتمر النخل والحلاوة المعمولة من قصب السكر ويحملونها الى الفسطاط وغيرها فتباع هناك وتؤكل وأهل اسفل الارض يغتذون كثيرا بالقلقاس والجلبان ويحملون ذلك الى مدينة الفسطاط وغيرها فتباع هناك وتؤكل وكثير من اهل مصر يكثرون اكل

السمك طريا ومالحا وكثيرا يكثرون اكل الالبان وما يعمل منها وعند فلاحيهم نوع من الخبز يدعى كعكا يعمل من بجريش الحنطة ويجفف وهو اكثرا كلهم السنة كلها وبالجملة فكل قوم منهم قد ابتنت ابدانهم من اشياء بأعيانها وألفتها ونشأت عليها الا أن الغالب على أهل مصر الاغذية الرديئة وليست تغير مزاجهم مادامت جارية على العادة وهذا أيضا مما يؤكد امرهم فى السخافة وسرعة الوقوع فى الامراض وأهل الريف اكثر حركة ورياضة من أهل المدن ولذلك هم أصح ابدانا لان الرياضة تصلب أعضاءهم وتقويها وأهل الصعيد اخلاطهم أرق وأكثر دخانية وتحللا وسخافة لشدة حرارة أرضهم من أسفل الارض وأهل أسفل الارض بمصر اكثر استفراغ فضولهم بالبراز والبول لفتور حرارة ارضهم واستعمالهم للاشياء الباردة والغليظة كالقلقاس (واما اخلاط المصريين فبعضها شبيه ببعض لان قوى النفس تابعة لمزاج البدن وابدانهم سخيفة سريعة التغير قليلة الصبر والجلد وكذلك اخلاقهم يغلب عليها الاستحالة والتنقل من شئ الى شئ والدعة والجبن والقنوط والشح وقلة الصبر والرغبة فى العلم وسرعة الخوف والحسد والنميمة والكذب والسعى الى السلطان وذم الناس وبالجملة فيغلب عليهم الشرور الدنية التى تكون من دناءة الانفس وليس هذه الشرور عامة فيهم ولكنها موجودة فى اكثرهم ومنهم من خصه الله بالفضل وحسن الخلق وبرأه من الشرور ومن أجل توليد أرض مصر الجبن والشرور الدنيئة فى النفس لم تسكنها الاسد واذا دخلت ذلت ولم تتناسل وكلابها اقل جراءة من كلاب غيرها من البلدان وكذلك سائر مافيها اضعف من نظيره فى البلدان الاخر ماخلا ما كان منها فى طبعه ملايمة لهذه الحال كالحمار والارنب * وقال ان جالينوس يرى أن فصل الربيع طبيعته الاعتدال ويناقض من ظن أنه حار رطب ومن شأن هذا الفصل أن تصح فيه الابدان ويجود هضمها وتنتشر الحرارة الغريزية فيه ويصفو الروح الحيوانى لاعتدال الهواء وصفائه ومساواة ليله لنهاره وغلبة الدم والهواء المعتدل هو الذى لا يحس فيه ببرد ظاهر ولا حر ولا رطوبة ولا يبس ويكون فى نفسه صافيا نقيا فيقوى فيه الروح الحيوانى لهذا السبب وتصح الابدان ويكثر نشاط الحيوان وتنمو الاشياء وتزيد وتتوالد واذا طلبنا بأرض مصر مثل هذا الهواء لم نجده فى وقت من السنة الا فى امشير وبرمهات وبرمودة وبشنس عندما تكون الشمس فى النصف الاخير من الدلو والحوت والحمل والثور فانا نجد بمصر فى هذا الزمان اياما معتدلة نقية صافية لا يحس فيها بحر ظاهر ولا برد ولا رطوبة ولا يبوسة وتكون الشمس فيها نقية من الغيوم والهواء ساكنا لا يتحرك الا أن يكون ذلك فى برمودة وبشنس فانه يحتاج الى أن تهب ريح الشمال ليعتدل ببردها حر الشمس وفى هذا الزمان تكثر حركة الحيوان وسفاده وتحسن اصواته وتورق الاشجار ويعقد الزهر وتقوى القوة المولدة ويغلب كيموس الدم وهذا الفصل فى ارض مصر يتقدم زمانه الطبيعى بمقدار ما ينقص عن آخره وعلة ذلك قوة حرارة هذه الارض وقد يعرض فى اول هذا الفصل ايام شديدة البرد وذلك فى امشير اذا هبت ريح الشمال وكانت الشمس غير نقية من الغيوم وعلة ذلك دخول فصل الربيع فى فصل الشتاء فاذا هبت ريح الشمال برد ببردها الهواء فأعادته بعد الاعتدال الى البرد ولكثرة مايصعد من الارض فى هذا الزمان من البخار الرطب يرطب الهواء ويعود الى حاله فى فصل الشتاء وربما برد الهواء من هبوب رياح اخر فان ريح الجنوب التى هى اشد الرياح حرارة اذا هبت فى هذا الزمان اكتسبت برودة من الارض والماء الذين قد بردهما هواء الشتاء فاذا مرت بشئ بردته ببرودتها العرضية حتى اذا دام هبوبها اياما كثيرة متوالية عادت الى حرارتها وأسخنت الهواء وأحدثت فيه يبسا والدليل على ان برد رياح الجنوب التى تعرفها المصريون بالمريسى يتولد من برد مياه مصر وأرضها لا بشئ طبيعى لها أنه لا يجتمع فى الجو فى ايام هبوبها الضباب الذى يجتمع من تحليل الحرارة للبخار الرطب بالنهار وجمع البرودة له بالليل فحرارة ريح الجنوب تفرق البرودة عن جمعه وتبدده فى الهواء واذا دام هبوب هذه الريح أسخنت الماء والارض وعادت الى طبيعتها فى الحرارة واذا كان فصل الربيع يتقدم زمانه الطبيعى ويختلف هذا الاختلاف والهواء فى الاصل بمصر يختلف بكثرة استحالته وما يرقى اليه من البخار فما ظنك بغيره من الفصول ولذلك كثرت فيه الرياح وأخر الاطباء فيه سقى الادوية المسهلة الى أن يستقر أمره فى شمس الحمل مع الثور ثم يدخل فصل الصيف فى آخر بشنس وبؤنة وابيب وبعض مسرى عندما تكون الشمس فى الجوزاء والسرطان والاسد وبعض السنبلة فيشتد الحر واليبس فى هذا الزمان وتجف الغلات وتنضج الثمار ويجتمع من اكلها فى الابدان كيموسات رديئة واذا نزلت الشمس فى السرطان

أخذ النيل فى الزيادة والفيض على أرض مصر فيتغير مزاج الصيف الطبيعى بكثرة مايترقى الى الهواء من بخار الماء ويوجد فى اوّل هذا الفصل عند ماتكون الشمس فى الجوزاء ايام ديشا كل هواؤها هواء الربيع عند ماتكون الشمس مستورة بالغيوم اوتكون الريح الشمال هابة ولهذا يغلط كثير من الاطباء ويسقى الادوية المسهلة فى هذا الزمان لظنه أن فصل الربيع لم يخرج الامن كان منهم احذق فهو يختار ما كان من هذه الايام اسكن حرارة والاكثر لايشعرون ألبتة بهذه الحال * وفى آخر الصيف يكون فيض النيل فظاهر أن هذا الفصل يتقدم دخوله الزمان الطبيعى بقدر مايتقدم آخره وانه كثير الاضطراب بكثرة مايرقى اليه من بخار الارض فلولا استمرار ابدانهم على هذا الاختلاف ومشاكلتهم لهذه الحال لحدثت فيهم الامراض التى ذكرا بقراط انها تحدث اذا كان الصيف رطبا * ثم يدخل فصل الخريف وطبيعته يابسة من النصف الاخير من مسرى ثم توت وبابة وبعض ايام هاتور وتكون الشمس فى آخر السنبلة والميزان والعقرب فتكمل زيادة النيل فى اول هذا الفصل ويطلق على الارضين فطبق ارض مصر ويرتفع منه فى الجو بخار كثير فينتقل مزاج الخريف عن اليبس الى الرطوبة حتى انه ربما وقع فيه الامطار وكثرة الغيم فى الجو ويوجد فى هذا الفصل ايام شديدة الحر لانها على الحقيقة ضعيفة فاذا نقى الجو من البخار الرطب عادت الى طبيعتها من الحرارة وفيه أيضا ايام شديدة الشبه بأيام الربيع تكون عند مايساوى الليل النهار ويرطب الماء ييبس الهواء ويشتد فى هذا الفصل اضطراب الهواء بكثرة مايرتقى اليه من البخار الرطب فيكون مرة حارا واخرى باردا ومرة يابسا واكثر أوقاته يغلب عليه الرطوبة فلايزال كذلك يتزج حتى يغلب عليه رطوبة الماء فى آخر الامر ويصاد فى ايام الخريف من النيل اسماك كثيرة جدا يولدا كلها فى الابدان اخلاطا لزجة وكثيرا مايستحيل الى الصفرا اذا صادفت فى البدن خلطا صفراويا فمن اجل ذلك يضطرب مافى الابدان من الروح الحيوانى وتهيج الاخلاط ويفسد الهضم فى البطون والاوعية والعروق ويتولد من ذلك كيموسات رديئة كثيرة الاخلاط بعضها مرة صفراء وبعضها مرة سوداء وبعضها بلغم لزج وبعضها خلط خام وبعضها مرة محترقة وكثير منها يتركب من هذه الاشياء فتثير الامراض حتى اذا انصرف النيل فى آخر الخريف وانكشفت الارض وبرد الهواء وكثرت الاسماك واحتقن البخار وكثر مايرتفع به من الارض من العفونة واستحكم عند ذلك وجود العفن تزايدت الامراض ولولا الف أهل مصر لهذه الاشياء لكان مايحدث فيهم من الامراض اكثر من ذلك ثم يدخل فصل الشتاء وطبيعته باردة رطبة من النصف الآخر من هاتور ثم كيهك وطوبة وذلك عند ماتكون الشمس فى القوس والجدى وبعض الدلو وذلك اقل من ثلاثة اشهر والعلة فى ذلك قوة حرارة ارض مصر وكون الابدان مضطربة وتنكشف الارض فى اول هذا الفصل وتحرث وتعفن بالجملة لكثرة مايلقى فيها من البزور ومافيها من ازبال الحيوان وفضولها ولانها سخيفة وهى كالحمأة فى هذا الزمان فيتولد فيها من انواع الفار والدود والنبات والعشب وغير ذلك مالايحصى كثرة وينحل منها فى الجو أبخرة كثيرة حتى يصير الضباب بالغدوات ساترا للابصار عن الالوان القريبة ويصاد أيضا من الاسماك المحبوسة فى المياه المخزونة شئ كثير وقد داخلها العفن لقلة حركتها فيولدا كلها فى الابدان فضولا كثيرة لزجة شديدة الاستعداد للعفن فتقوى الامراض فى اول هذا الفصل حتى اذا اشتد البرد وقوى الهضم فى الابدان واستقر الهواء على شئ واحد وعادت الحرارة الغريزية الى داخل وتطبقت الارض بالنبات وسكنت عفونتها صحت عند ذلك الابدان وهذا يكون فى آخر كيهك اوفى طوبة فقد استبان أن الفصول بارض مصر كثيرة الاختلاف وأن اردأ أوقات السنة عندهم واكثرها امراضا هو آخر الخريف واول الشتاء وذلك فى شهرى هاتور وكيهك فاذا اختلاف الفصول مشاكل لما عليه ارضهم من الرداءة خضرة الفصول اذا بالابدان فى ارض مصر اقل منها فى البلدان الاخر اذا اختلفت هذا الاختلاف واستبان ايضا أن السبب الاول فى ذلك هو مد النيل فى ايام الصيف وتطبيقه الارض فى ايام الخريف بخلاف ماعليه مياه الانهار فى العمارة كلها فانها انما تمتد فى اخص الاوقات بالرطوبة وهو الشتاء والربيع * قال وقد استبان مما تقدم أن الرطوبة الفضلية بأرض مصر كثيرة وظاهر أن امراضهم البلدية تكون من نوع هذه الرطوبة فانى انا قلما رأيت امراضهم البلدية تكون من نوع هذه كلها الايشوبها فى اول امرها البلغم والخلط الخام والامراض كلها تحدث عندهم فى الاوقات كلها كما قال ابقراط واكثر امراضهم هى الفضلية اعنى العفنة من اخلاط صفراوية وبلغمية على مايشاكل مزاج

ارضهم

ارضهم وماذكرناه فيما تقدم يوجب حدوث الامراض كثيرا الا ان مشاكلة هذه بعضها بعضا واتفاقها فى سنة واحدة تمنع من أن تكون فى انفسها ممرضة متى لزمت العادة فأما اذا خرجت عن عادتها فهى تحدث مرضا وخروجها عن عادتها بمصر هو الذى اعتده اختلافا ممرضا الا الاختلاف الموجود فيها على الدائم والنيل ليس يحدث فى الابدان كل سنة مرضا ولكنه اذا أفرطت زيادته ودام مدة تزيد على العادة كان ذلك سببا لحدوث المرض الوافد فان قيل اذا كانت ابدان الناس بأرض مصر من السخافة على ماذكرت فلعلها فى مرض دائم فالجواب لسنا نبالى بهذا كيف كان لان المرض هو مايضر بالفعل ضررا محسوسا من غير توسط فمن اجل ذلك ليس ابدان المصريين فى مرض دائم ولكنها كثيرة الاستعداد نحو الامراض قال أما امراض مصر البلدية فقد ذكرنا من امرها مافيه كفاية وظهر ان اكثرها الامراض الفضلية التى يشوبها صفراء وخام على ان باقى الامراض تحدث عندهم بسرعة وقرب وخاصة فى آخر الخريف واول الشتاء *

وأما الامراض الوافدة ومعنى المرض الوافد هو مايعم خلقا كثيرا فى بلد واحد وزمان واحد ومنه نوع يقال له الموتان وهو الذى يكثر معه الموت وحدوث الامراض الوافدة تكون عن اسباب كثيرة يجمع فى اجناس اربعة وهى تغير كيفية الهواء وتغير كيفية الماء وتغير كيفية الاغذية وتغير كيفية الاحداث النفسانية فالهواء تغير كيفيته على ضربين احدهما تغيره الذى جرت به العادة وهذا لايحدث مرضا وافدا وليس تغيرا ممرضا والثانى التغير الخارج عن مجرى العادة وهذا هو الذى يحدث المرض الوافد وكذلك الحال فى الاجناس الباقية وخروج تغير الهواء عن عادته يكون اما بأن يسخن اكثر أو يبرد أو يرطب او يجفف أو يخالطه حال عفنة والحالة العفنة اما أن تكون قريبة او بعيدة فان ابقراط وجالينوس يقولان انه ليس يمنع مانع من أن يحدث ببلد اليونانيين مرض واحد عن عفونة اجتمعت فى بلاد الحبشة وتراقت الى الجو وانحدرت على اليونانيين فأحدثت فيهم المرض الوافد وقد يتغير أيضا مزاج الهواء عن العادة بأن يصل وفد كثير قد أنهك ابدانهم طول السفر وساءت اخلاطهم فيخالط الهواء منها شئ كثير ويقع الاعداء فى الناس ويظهر المرض الوافد والماء أيضا قد يحدث المرض الوافد امابأن يفرط مقداره فى الزيادة او النقصان او يخالطه حال عفنة ويضطر الناس الى شربه ويعفن به أيضا الهواء المحيط بأبدانهم وبهذه الحال تخالطه اما قريبا او بعيدا بمنزلة ماء يمر فى جريانه بموضع بجرب قد اجتمع فيه من جيف الموتى شئ كثيرا أو بماء نقائع عفنة فيحدرها معه ويخالط جسمه والاغذية تحدث المرض الوافد اما اذا لحقها اليرقان وارتفعت اسعارها واضطر الناس الى اكلها واما اذا اكثر الناس منها فى وقت واحد كالذى يكون فى الاعياد فيكثر فيهم التخم ويمرضون مرضا متشابها واما من قبيل فساد مرعى الحيوان الذى يؤكل اوفساد الماء الذى يشرب والاحداث النفسانية تحدث المرض الوافد متى حدث فى الناس خوف عام من بعض الملوك فيطول سهرهم وتفكرهم فى الخلاص منه وفى وقوع البلاء فيسوء هضمهم وتتغير حرارتهم الغريزية وربما اضطروا الى حركة عنيفة فى هذه الحال او يتوقعوا القحط بعض السنين فيكثرون الحركة والاجتهاد فى ادخار الاشياء ويشتد غمهم بما سيحدث فجميع هذه الاشياء تحدث فى ابدان الناس المرض الوافد متى كان المتعرض لها خلق كثير فى بلد واحد ووقت واحد وظاهر أنه اذا كثر فى وقت واحد المرضى بمدينة واحدة ارتفع من ابدانهم بخار كثير فيتغير مزاج الهواء فاذا صادف بدنا مستعدا امرضه وان كان صاحبه لم يتعرض لما يتعرض اليه الناس فالامراض الوافدة بمصر تحدث اما عن فساد لم تجر به العادة يعرض الهواء سواء كان مادة فساده من أرض مصر أو من البلاد التى تجاورها كالسودان والحجاز والشام وبرقة او يعرض للنيل بأن تفرط زيادته فتكثر زيادة الرطوبة والعفن اوتقل زيادته جدا فيجف الهواء عن مقدار العادة ويضطر الناس الى شرب مياه رديئة او يخالطه عفونة تحدث عن جرب يكون بأرض مصر أو ببلاد السودان أو غيرها يموت فيها خلق كثير ويرتفع بخار جيفهم فى الهواء فيعفنه وتتصل عفنه اليهم أو بسيل الماء ويحمل معه العفن او يغلو السعر أو يلحق الغلات آفة او يدخل على الكباش ونحوها مضرة او يلحق الناس خوف عام او قنوط وكل واحد من هذه الاسباب يحدث فى ارض مصر مرضا وافدا يكون قوته بمقدار قوة السبب المحدث له وان كان اكثر من سبب واحد كان ذلك المرض أشد واقوى وأسرع فى القتل * قال فمزاج ارض مصر حار رطب بالرطوبة الفضلية وماقرب من الجنوب بارض مصر كان اسخن وأقل عفنا فى ماء النيل

مما كان منها فى الشمال ولا سيما من كان فى شمال الفسطاط مثل أهل البشمور فان طباعهم اغلظ والبله عليهم اغلب وذلك انهم يستعملون اغذية غليظة جدا ويشربون من الماء الردئ * وأما اسكندرية وتنيس وامثال هذه فقربها من البحر وسكون الحرارة والبرد عنهم وظهور الصبا فيهم مما يصلح امرهم ويرق طباعهم ويرفع هممهم ولا يعرض لهم ما يعرض لاهل البشمور من غلظ الطبع والجمادية واحاطة البحر بمدينة تنيس توجب غلبة الرطوبة عليها وما يسر اخلاق أهلها قال انه لما كانت ارض مصر وجميع مافيها خفيفة الاجسام سريعا اليها التغير والعفن وجب على الطبيب أن يختار من الاغذية والادوية ما كان قريب العهد حديثا لان قوته تعد باقية عليه لم تتغير كل التغير وأن يجعل علاجه ملائما لما عليه الابدان بأرض مصر ويجتهد فى أن يجعل ذلك الى الجهة المضادة أميل قليلا ويتجنب الادوية القوية الاسهال وكل ماله قوة مفرطة وان نكاية هذه الابدان سريعة سيما ابدان المصريين سريعة الوقوع فى النكايات ويختار مايكون من الادوية المسهلة وغيرها ألين قوة حتى لا يكون على طبيعة المصريين منها كلفة ولا يلحق ابدانهم مضرة ولا يقدم على الادوية الموجودة فى كتب اطباء اليونانين والفرس فان اكثرها عملت لابدان قوية البنية عظيمة الاخلاط وهذه الاشياء قلما توجد بمصر فلذلك يجب على الطبيب أن يتوقف فى اعطاء هذه الادوية للمرضى ويختار ألينها وينقص عن مقدار شرباتها ويبدل كثيرا منها بما يقوم مقامه ويكون الين منه فيتخذ السكنجبين السكرى فى مقام العسلى والجلاب بدلا من ماء العسل واعلم ان هواء مصر يعمل فى المعجونات وسائر الادوية ضعفا فى قوتها فأعمار الادوية المفردة والمركبة المعجون منها وغير المعجون بمصر اقصر من اعمارها فى غير مصر فيحتاج الطبيب بمصر الى تقدير ذلك وتمييزه حتى لا يشتبه عليه شئ مما يحتاج اليه واذا لم يكتف فى تنقية البدن بالدواء المسهل دفعة واحدة فلا بأس باعادته بعد أيام فان ذلك احمد من ايراد الدواء الشديد القوة فى دفعة واحدة قال ولكون ارض مصر تولد فى الاجسام سخافة وسرعة قبول للمرض وجب أن تكون الابدان على الهيئة الفاضلة بأرض مصر قليلة جدا فأما الابدان الباقية فكثيرة وأن تكون الصحة التامة عندهم على الامر الاكثر فى القريبة من الهيئة الفاضلة والطريق الاولى التى تدبر بها الابدان ان فى الهيئة الفاضلة يحتاج فيها بأرض مصر الى أن يدبر الهواء والغذاء والماء وسائر الاشياء تدبيرا يصير به فى غاية الاعتدال ولان الهضم كثيرا ما يسوء بأرض مصر وكذلك الروح الحيوانى فيجب صرف العناية الى مراعاة امر القلب والدماغ والكبد والمعدة والعروق وسائر الاعضاء الباطنة فى تجويد الهضم واصلاح امر الروح الحيوانى وتنظيف الاوساخ الاتحة وقال فى شرح كتاب الاربع لبطليموس وأما سائر اجزاء الربع الذى يميل الى وسط جميع الارض المسكونة اعنى بلاد برقة وسواحل البحر من مربوط الى الاسكندرية ورشيد ودمياط وتنيس والفرما وأسفل الارض بمصر ونواحى مدينة منف ومدينة الفسطاط ومايلى شرقى النيل من صعيد مصر والفيوم الى اعلى الصعيد مما فى غرب النيل وارض الواحات وارض النوبة والبجة والارض التى على البحر فى شرقى بلاد النوبة والحبشة فان هذه البلاد موضوعة فى الزاوية التى تؤثر فى جميع الربع الموضوع فيما بين الدبور والجنوب وهى من جملة النصف الغربى من الربع المعمور والكواكب الخمسة المتحيرة تشترك فى تدبيرها فصار اهلها محبين لله ويعظمون الجن ويحبون النوح ويدفنون موتاهم فى الارض ويخفونهم ويستعملون سننا مختلفة وعادات وآراء شتى لميلهم الى الاسرار التى تدعو كل طائفة منهم الى امر من الامور الخفية فيعتقده ويوافقه جماعة ومن اجل هذه الاسرار كان المستخرج للعلوم الدقيقة كالهندسة والنجوم وغيرها فى الزمان الاول اهل مصر ومنهم تفرقت فى العالم واذا ساسهم غيرهم كانوا اذلاء والغالب عليهم الجبن والاستخذاء فى الكلام واذا ساسوا غيرهم كانت انفسهم طيبة وهممهم كثيرة ورجالهم يتخذون نساء كثيرة وكذلك نساؤهم يتخذن عدة رجال وهم منهمكون فى الجماع ورجالهم كثيرو النسل ونساؤهم سريعات الحمل وكثير من ذكرانهم تكون انفسهم ضعيفة مؤنثة * وقال أبو الصلت وأما سكان ارض مصر فأخلاط من الناس مختلفوا الاصناف والاجناس من قبط وروم وعرب وأكراد وديلم وحبشان وغير ذلك من الاصناف الا أن جمهورهم قبط قالوا والسبب فى اختلاطهم تداول المالكين لها والمتغلبين عليها من العمالقة واليونانيين والروم وغيرهم فلهذا اختلطت انسابهم واقتصروا من التعريف بأنفسهم على الاشارة الى مواضعهم والانتماء الى مساقط هم فيها وحكى انهم كانوا فى الزمن السالف عباد اصنام ومدبري هيا كل

الى أن ظهر دين النصرانية وغلب على ارض مصر قنصروا وبقوا على ذلك الى أن فتحها المسلمون فأسلم بعضهم وبقي بعضهم على دين النصرانية وأما اخلاقهم فالغالب عليها اتباع الشهوات والانهماك فى اللذات والاشتغال بالترهات والتصديق بالمحالات وضعف المرائر والعزمات ولهم خبرة بالكيد والمكر وفيهم بالفطرة قوة على التلطف فيه وهداية اليه لما فى اخلاقهم من الملق والبشاشة التى أربوا فيها على من تقدم وتأخر وخصوا بالافراط فى مهادون جميع الامم حتى صار أمرهم فى ذلك مشهورا والمثل بهم مضروبا وفى خبثهم ومكرهم يقول أبو نواس

محضتكم يا أهل مصر نصيحتى * الا فخذوا من ناصح بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية * أكول لحيات البلاد شروب

فان يك باق أفك فرعون فيكم * فان عصا موسى بكف خصيب

قال مؤلفه رحمه الله تعالى وقد مر لى قديما ان منطقة الجوزاء تسامت رؤس اهل مصر فلذلك يتحدثون بالاشياء قبل كونها ويخبرون بما يكون وينذرون بالامور المستقبلة ولهم فى هذا الباب اخبار مشهورة (قال ابن الطوير وقد ذكر استيلاء الفرنج على مدينة صور فعادا الحفظ والحراسة على مدينة عسقلان فازالت محمية بالابدال المجردة اليها من العساكر والاساطيل والدولة تضعف اولا فأولا باختلاف الآراء فثقلت على الاجناد وكبراءهم اعاندهم واشتغلوا عنها فضايقها الفرنج حتى اخذوها فى سنة ثمان واربعين وخمسمائة ولقد سمعت رجلا قبل ذلك بسنين يحدث بهذه الامور ويقول فى سنة ثمان تؤخذ عسقلان بالامان * ومن هذا الباب واقعة الكنائس التى للنصارى وذلك انه لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وسبعمائة والناس فى صلاة الجمعة كانما نودى فى اقليم مصر كله من قوص الى الاسكندرية بهدم الكنائس فهدم فى تلك الساعة بهذه المسافة الكبيرة عدد كثير من الكنائس كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب عند ذكر كنائس النصارى ومن هذا الباب واقعة ألدمر وذلك انه خرج الامير ألدمر امير جندار بريد الحج من القاهرة فى سنة ثلاثين وسبعمائة وكانت فتنة بمكة قتل فيها ألدمر يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة فاشيع فى هذا اليوم بعينه فى القاهرة ومصر وقلعة الجبل بأن وقعة كانت بمكة قتل فيها الدمر فطار هذا الخبر فى ريف مصر واشتهر فلم يكترث الملك الناصر محمد بن قلاون بهذا الخبر فلما قدم المبشرون على العادة اخبروا بالواقعة وقتل الامير سيف الدين ألدمر فى ذلك اليوم الذى كانت الاشاعة فيه بالقاهرة قال جامع السيرة الناصرية كنت مع الامير علم الدين الخازن فى الغربية وقد خرج اليها كاشفا فلما صليت انا وهو صلاة الجمعة وعدنا الى البيت قدم بعض غلمانه من القاهرة فأخبرنا انه اشيع بأن فتنة كانت بمكة قتل فيها جماعة من الاجناد وقتل فيها الامير الدمر أمير جندار فقال له الامير علم الدين هل حضر احد من الحجاز بهذا الخبر قال لا فقال ويحك الناس ماتحضر من منى بمكة الا ثالث يوم بعد عيد النحر فكيف سمع هذا الخبر الذى لا يسمعه عاقل فقال قد استفيض ذلك وكان الامر كما اشيع (ووقع لى فى شهر رمضان من شهور سنة احدى وتسعين وسبعمائة انى مررت فى الشارع بين القصرين بالقاهرة بعد العتمة فاذا العامة تتحدث بأن الملك الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك واجتمع عليه الناس فضبطت ذلك فكان اليوم الذى خرج فيه من السجن وفى هذا الباب من هذا كثير * (ومن اخلاق أهل مصر قلة الغيرة وكفاك بما قصه الله سبحانه وتعالى من خبر يوسف عليه السلام ومراودة امرأة العزيز له عن نفسه وشهادة شاهد من أهلها عليها بما بين لزوجها منها السوء فلم يعاقبها على ذلك بسوى قوله استغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين * وقال ابن عبد الحكم وكان نساء أهل مصر حين غرق من غرق منهم مع فرعون ولم يبق الا العبيد والاجراء لم يصبروا عن الرجال فطفقت المرأة تعتق عبدها وتتزوجه وتتزوج الاخرى اجيرها وشرطن على الرجال أن لا يفعلوا شيأ الا باذنهن فأجابوهن الى ذلك فكان امر النساء على الرجال فحدثنى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب ان نساء القبط على ذلك الى اليوم اتباعا لمن مضى منهم لا يبيع احدهم ولا يشترى الا قال أستأمر امرأتى وقال ان فرعون لما غرق ومعه أشراف مصر لم يبق من الرجال من يصلح للمملكة فعدد الناس فى مراتبهم بنت الملك ملكة وبنت الوزير وزيرة وبنت الوالى وبنت الحاكم على هذا الحكم وكذلك بنات القواد والاجناد فاستولت النساء على المملكة مدة سنين وتزوجن بالعبيد واشترطن عليهم ان الحكم والتصرف لهن فاستمر ذلك مدة من الزمان ولهذا صارت الوان أهل مصر سمرا من اجل انهم اولاد العبيد السود الذين نكحوا نساء القبط بعد الغرق واستولدوهن

وأخبرني الامير الفاضل الثقة ناصر الدين محمد بن محمد بن الغرابيلي الكركي رحمه الله تعالى انه منذ سكن مصر يجد من نفسه رياضة في اخلاقه وترخصا لاهله ولينا ورقة طبع من قلة الغيرة ومما نزل نسمعه دائما بين الناس ان شرب ماء النيل ينسي الغريب وطنه * ومن اخلاق أهل مصر الاعراض عن النظر في العواقب (فلا تجدهم يدخرون عندهم زادا كما هي عادة غيرهم من سكان البلدان بل يتناولون اغذية كل يوم من الاسواق بكرة وعشيا ومن اخلاقهم الانهماك في الشهوات والامعان من الملاذ وكثرة الاستهتار وعدم المبالاة قال لي شيخنا الاستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى أهل مصر كأنما فرغوا من الحساب وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سأل كعب الاحبار عن طبائع البلدان واخلاق سكانها فقال ان الله تعالى لما خلق الاشياء جعل كل شيء لشيء فقال العقل انا لاحق بالشام فقالت الفتنة وانا معك وقال الخصب أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الشقاء أنا لاحق بالبادية فقالت الصحة وأنا معك * ويقال لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة اخلاق الايمان والحياء والنجدة والفتنة والكبر والنفاق والغنى والفقر والذل والشقاء فقال الايمان أنا لاحق باليمن فقال الحياء وأنا معك وقالت النجدة أنا لاحقة بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الكبر أنا لاحق بالعراق فقال النفاق وأنا معك وقال الغنى أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الفقر أنا لاحق بالبادية فقال الشقاء وأنا معك وعن ابن عباس رضي الله عنهما المكر عشرة اجزا تسعة منها في القبط وواحد في سائر الناس ويقال اربعة لا تعرف في اربعة السخاء في الروم والوفاء في الترك والشجاعة في القبط والغم في الزنج * ووصف ابن العربية أهل مصر فقال عبيد لمن غلب أكيس الناس صغارا وأجهلهم كبارا (وقال المسعودي) لما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك كتب الى حكيم من حكماء العصر انا ناس عرب قد فتح الله علينا البلاد ونريد ان نتبوأ الارض ونسكن البلاد والامصار فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره الترب والاهوية في سكانها فكتب اليه وأما ارض مصر فأرض قوراء غوراء ديار الفراعنة ومساكن الجبابرة ذمها اكثر من مدحها هواؤها كدر وحرها زائد وشرها مائد تكدر الالوان والفطن وتركب الاحن وهي معدن الذهب والجوهر ومغارس الغلات غير أنها تسمن الابدان وتسود الانسان وتنمو فيها الاعمار وفي أهلها مكر ورياء وخبث ودهاء وخديعة وهي بلدة مكسب ليست بلدة مسكن لترادف فتنها واتصال شرورها وقال عمر بن شبه ذكر ابن عبيدة في كتاب اخبار البصرة عن كعب الاحبار خير نساء على وجه الارض نساء أهل البصرة الا ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من نساء قريش وشر نساء على وجه الارض نساء أهل مصر وقال عبد الله بن عمرو لما اهبط ابليس وضع قدمه بالبصرة وفرخ بمصر وقال كعب الاحبار ومصر ارض نجسة كالمرأة العاذل يطهرها النيل كل عام * وقال معاوية بن أبي سفيان وجدت أهل مصر ثلاثة اصناف فثلث ناس وثلث يشبه الناس وثلث لا ناس فأما الثلث الذين هم الناس فالعرب والثلث الذين يشبهون الناس فالموالي والثلث الذين لا ناس المسالمة يعني القبط

* (ذكر شيء من فضائل النيل) *

اخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه في حديث المعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم رفعت لي سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قلت ماذا يا جبريل قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وفي التوراة وخلق فردوسا في عدن وجعل الانسان فيه واخرج منه نهران فقسمهما اربعة اجزاء جيحون المحيط بأرض حويلا وسيحون المحيط بأرض كوش وهو نيل مصر ودجلة الاخذ الى العراق والفرات * وروى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب فاذا اراد الله أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فمدته الانهار بمائها وفجر الله له الارض عيونا فأجرته الى ما اراد الله عز وجل فاذا انتهت جريته اوحى الى كل ماء أن يرجع الى عنصره وعن يزيد بن ابي حبيب ان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سأل كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبرا قال اي والذي فلق البحر لموسى اني لاجده في كتاب الله ان الله يوحي اليه في كل عام مرتين يوحي اليه عند جريته ان الله يأمرك أن تجري فيجري ما كتب الله له ثم يوحي اليه بعد ذلك يا نيل عد حميدا وعن كعب الاحبار أنه قال اربعة انهار من الجنة وضعها الله

فى الدنيا النيل نهر العسل فى الجنة والفرات نهر الخمر فى الجنة وسيحان نهر الماء فى الجنة وجيحان نهر اللبن فى الجنة
وقال المسعودى نهر النيل من سادات الانهار وأشراف البحار لانه يخرج من الجنة على ماورد به خبر الشريعة وقد
قال ان النيل اذا زاد غاضت له الانهار والاعين والآبار واذا غاض زادت فزيادته من غيضها وغيضه من زيادتها
وليس فى انهار الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل مصر لكبره واستبحاره * وقال ابن قتيبة فى كتاب غريب الحديث
وفى حديثه عليه السلام نهران مؤمنان ونهران كافران أما المؤمنان فالنيل والفرات وأما الكافران
فدجلة ونهر بلخ انما جعل النيل والفرات مؤمنين على التشبيه لانهما يفيضان على الارض ويسقيان الحرث
والشجر بلا تعب فى ذلك ولا مؤنة وجعل دجلة ونهر بلخ كافرين لانهما لا يفيضان على الارض ولا يسقيان الاشيأ
قليلا وذلك القليل بتعب ومؤنة فهذان فى الخير والنفع كالمؤمنين وهذان فى قلة الخير والنفع كالكافرين

(ذكر مخرج النيل وانبعاثه)

اعلم ان البحر المحيط بالمعمور اذا خرج منه نهر الهند افترق قطعا كما تقدم وكان منه قطعة تسمى بحر الزنج وهى مما يلى
بلاد اليمن وبحر بربر وفى هذه القطعة عدة جزائر منها جزيرة القمر بضم القاف واسكان الميم وراء مهملة ويقال
لهذه الجزيرة أيضا جزيرة ملاى وطولها اربعة اشهر فى عرض عشرين يوما الى أقل من ذلك وهذه الجزيرة
تحاذى جزيرة سرنديب وفيها عدة بلاد كثيرة منها قرية واليها ينسب الطائر القمرى ويقال ان بهذه الجزيرة
خشب ينحت من الخشبة ساق طوله ستون ذراعا يحذف على ظهره مائة وستون رجلا وان هذه الجزيرة ضاقت
بأهلها فبنوا على الساحل محلات يسكنونها فى سفح جبل يعرف بهم يقال له جبل القمر * واعلم ان الجبال
كلها متشعبة من الجبل المستدير بغالب معمور الارض وهو المسمى بجبل قاف وهو أم الجبال كلها تتشعب منه
فيتصل فى موضع وينقطع فى آخر وهو كالدائرة لا يعرف له اول اذ كان كالحلقة المستديرة لا يعرف طرفاها وان
لم يكن استدارة كرية ولكنها استدارة احاطة وزعم قوم ان امهات الجبال جبلان خرج أحدهما من البحر
المحيط فى المغرب آخذا جنوبا وخرج الآخر من البحر الرومى آخذا شمالا حتى تلاقيا عند السد وسموا الجنوبى
قاف وسموا الشمالى قاقونا والاظهر انه جبل واحد ومحيط بغالب بسيط المعمور وانه هو الذى يسمى بجبل قاف
فيعرف بذلك فى الجنوب ويعرف فى الشمال بجبل قاقونا ومبدأ هذا الجبل المحيط من كتف السد آخذا من وراء
صنم الخط المشجوج الى شعبته الخارجة منه المعمول بها باب الصين آخذا على غربى صين الصين ثم ينعطف
على جنوبه مستقيما فى نهاية الشرق على جانب البحر المحيط مع الفرجة المنفرجة بينه وبين البحر الهندى
الداخلة ثم ينقطع عند مخرج البحر الهندى المحيط مع خط الاستواء حيث الطول مائة وسبعون درجة ثم يتصل
من شعبة البحر الهندى الملاقى لشعبة المحيط الخارجة الى بحر الظلمات من الشرق بجنوب كثير من وراء مخرج البحر
الهندى فى الجنوب ويبقى الظلمات من هاتين الشعبتين شعبة المحيط الجائية على جنوب الظلمات شرقا مغربا
ومخرج البحر الهندى الجائية على الظلمات حتى تتلاقى الشعبتان عند مخرج هذا الجبل كتفصيل السراويل
ثم ينفرج برأس البحرين شعبتان على مبدأ هذا الجبل ويبقى الجبل بينهما كأنه خارج من نفس الماء ومبدأ هذا
الجبل هنا وراء قبة ارين عن شرقيها وبعده منها خمس عشرة درجة ويقال لهذا الجبل فى اوله الجرد ثم تمتد حتى
تنتهى فى القسم الغربى الى طوله الى خمس وستين درجة من اول المغرب وهنالك يتشعب من الجبل المذكور جبل
القمر وينصب منه النيل وبه احجار براقة كالفضة تتلألأ تسمى ضحكة الباهت كل من نظرها ضحك والتصق
بها حتى يموت ويسمى مغناطيس الناس ويتشعب منه شعب تسمى اسيقى اهله كالوحوش ثم ينفرج منه فرجة
ويمر منه شعب الى نهاية المغرب فى البحر المحيط يسمى جبل وحشية به سباع لها قرون طوال لا تطاق وينعطف
دون تلك الفرجة من جبل قاف شعاب منها شعبتان الى خط الاستواء يكتنفان مجرى النيل من الشرق والغرب
فالشرقى يعرف بجبل قاقول وينقطع عند خط الاستواء والغربى يعرف بادمرية يجرى عليه نيل السودان
المسمى بحر الدمادم وينقطع تلقاء مجالات الحبشة ما بين مدينة سفرة وحمى ووراء هذه الشعبة يمتد منه شعبة
هى الام من الموضع المعروف فيه الجبل بأسيقى المذكور الى خط الاستواء حيث الطول هنالك عشرون
درجة ويعرف هنالك بجبل كرسقا بجوبه وحوش ضارية ثم ينتهى الى البحر المحيط وينقطع دونه بفرجة وذلك وراء
التكرور وعند مدينة قلتبور او وراء هذا الجبل سودان يقال لهم تمتم يأكلون الناس ثم تتصل الام من ساحل

البحر الشامى فى شماله شرقى رومية الكبرى مسامتا الشعبة المسماة ادمدمه المنقطعة بين سمرة وحيى لا يكاد يخطوها حيث الطول خمس وثلاثون درجة ويقع منشأ اتصال هذه الام على عرض خمسين درجة وكذلك تقع شعبها الآخذة فى الجنوب على عرض خمسين درجة عند آخرها ما بين سردانة وبلنسية وتناهى وصلة هذه الام الى البحر المحيط فى نهاية الشمال قبالة جزيرة بركانية وتبقى سوسية داخل الجبل ثم تمتد هذه الام بعد انقطاع لطيف وينعطف انعطاف خرجة البحر المحيط فى المغرب على الصقلب المسماة ببحر الانقلشين تمتد الى غاية المشرق ويسمى هنالك بجبل قاقونا ويبقى وراءه البحر جامدا لشدة البرد ثم ينعطف من الشمال الى المشرق جنوبا بتغريب الى كتف السد الشمالى فيتلاقى هنالك الطوفان وبينهما فى الفرجة المنفرجة سوى ذو القرنين بين الصدفين وفى جودة القمر ثلاثة انهار أحدها فى شرقيها من قنطورا ومعلا وثانيها فى غربيها ينصب من جبل قدم آدم على مدينة سبا ويأخذ مارا على مدينة فردرا وبحر هنالك بحيرة فى جنوبها مدينة كما حيث محل السودان الذين يأكلون الناس وثالثها فى غربيها ايضا ويخرج من الجبل المشمه ماء محدودب الذيل يطوف بمدينة دهما فتبقى مدينة دهما فى جزيرة بينهما يكون هو محيطا بها شرقا وجنوبا وغربا ويصير لذلك كالجزيرة ويتصل شمالها بالبحر الهندى وتقع مدينة قواره فى غربيه حيث يصب فى البحر الهندى * ومن جبل القمر يخرج نهر النيل وقد كان يتبدد على وجه الارض فلما قدم نقراوش الجبار ابن مصريم الاول بن مركايل بن دوابيل ابن عرباب ابن آدم عليه السلام الى ارض مصر ومعه عدة من بنى عرباب واستوطنوها وبنوا بها مدينة امسوس وغيرها من المداين حفروا النيل حتى اجروا ماءه اليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى بل ينبطح ويتفرق فى الارض حتى وجه الى النوبة الملك نقراوش فهندسوه وساقوا منه انهارا الى مواضع كثيرة من مدنهم التى بنوها وساقوا منه نهرا الى مدينة امسوس ثم لما خربت ارض مصر بالطوفان وكانت ايام البودشير بن قفط بن مصر بن بيصر بن حام ابن نوح عليه السلام عدل جانبى النيل تعديلا ثانيا بعدما اتلفه الطوفان * قال الاستاذ ابراهيم ابن وصيف شاه ملك البودشير وتجبر وهو أول من تكهن وعمل بالسحر واحتجب عن العيون وقد كانت اعمامه اشمن واتريب وصا ملوكا على احيازهم الا انه قهرهم بجبروته وقوته فكان الذكر له كما تجبر ابوه على من قبله لانه كان اكبرهم وكذلك اغضوا عنه فيقال انه ارسل هرمس الكاهن المصرى الى جبل القمر الذى يخرج النيل من تحته حتى عمل هنالك التماثيل النحاس وعدل البطيحة التى ينصب فيها ماء النيل ويقال انه الذى عدل جانبى النيل وقد كان يفيض وربما انقطع فى مواضع وهذا القصر الذى فيه تماثيل النحاس يشتمل على خمس وثمانين صورة جعلها هرمس جامعة لما يخرج من ماء النيل بمعاقد ومصاب مدورة وقنوات يجرى فيها الماء وينصب اليها اذا خرج من تحت جبل القمر حتى يدخل من تلك الصور ويخرج من حلوقها وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع واذرع مقدرة وجعل ما يخرج من هذه الصور من الماء ينصب الى الانهار ثم يصير منها الى بطيحتين ويخرج منهما حتى ينتهى الى البطيحة الجامعة للماء الذى يخرج من تحت الجبل وعمل لتلك الصور مقادير من الماء الذى يكون معه الصلاح بأرض مصر وينتفع به أهلها دون الفساد وذلك الانتهاء المصلح ثمانية عشر ذراعا بالذراع الذى مقداره اثنان وثلاثون اصبعا وما فضل عن ذلك عدل عن يمين تلك الصور وشمالها الى مسارب يخرج ويصب فى رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء ولولا ذلك لغرق ماء النيل البلدان التى يمر عليها * قال وكان الوليد بن درمع العمليقى قد خرج فى جيش كثيف يتنقل فى البلدان ويقهر ملوكها ليسكن ما يوافقه منها فلما صار الى الشام انتهى اليه خبر مصر وعظم قدرها وان امرها قد صار الى النساء وباد ملوكها فوجه غلاما له يقال له عون الى مصر وسار اليها بعده واستباح أهلها وأخذ الاموال وقتل جماعة من كهنتها ثم سنح له أن يخرج ليقف على مصب النيل فيعرف ما بحافتيه من الامم فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه وخرج فى جيش عظيم فلم يمر بأمة الا ابادها ومر على امم السودان وجاوزهم ومر على ارض الذهب فرأى فيها قضبانا نابتة من ذهب ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التى ينصب ماء النيل فيها من الانهار التى تخرج من تحت جبل القمر وسار حتى بلغ هيكل الشمس وتجاوزه حتى بلغ جبل القمر وهو جبل عال وانما سمى جبل القمر لان القمر لا يطلع عليه لانه خارج من تحت خط الاستواء ونظر الى النيل يخرج من تحته فيمر فى طرايق وأنهار دقاق حتى ينتهى الى حظيرتين ثم يخرج منهما فى نهرين حتى ينتهى الى حظيرة اخرى فاذا جاوز خط الاستواء مدته

عين تخرج من ناحية نهر مكران بالهند وتلك العين أيضا تخرج من تحت جبل القمر الى ذلك الوجه ويقال ان نهر مكران مثل النيل يزيد وينقص وفيه التماسيح والاسماك التي مثل اسماك النيل ووجد الوليد بن دومع القصر الذي فيه التماثيل النحاس التي عملها هرمس الاول في وقت البودشير بن قنطريم بن قبطيم ابن مصرايم وقد ذكر قوم من اهل الاثر أن الانهار الاربعة تخرج من اصل واحد من قبة في ارض الذهب التي من وراء البحر المظلم وهي سيحون وجيحون والفرات والنيل وأن تلك الارض من ارض الجنة وأن تلك القبة من زبرجد وأنها قبل ان تسلك البحر المظلم احلى من العسل وأطيب رايحة من الكافور وممن جاء بهذا رجل من ولد العيص بن اسحاق ابن ابراهيم عليهما السلام وصل الى تلك القبة وقطع البحر المظلم وكان يقال له حايد وقال آخرون تنقسم هذه الانهار على اثنين وسبعين قسما حذاء اثنين وسبعين لسانا باللام وقال آخرون هذه الانهار من ثلوج تكاثف ويذيبها الحر فتسيل الى هذه الانهار وتسقي من عليها لما يريد الله عز وجل من تدبير خلقه قالوا ولما بلغ الوليد جبل القمر رأى جبلا عاليا فعمل حيلة الى ان صعد اليه ليرى ما خلفه فأشرف على البحر الاسود الزفتي المنتن ونظر الى النيل يجرى عليه كالانهار الدقاق فأتته من ذلك البحر روايح منتنة هلك كثير من اصحابه من اجلها فأسرع النزول بعد أن كاد يهلك * وذكر قوم انهم لم يروا هنالك شمسا ولا قمرا الا نورا أحمر كنور الشمس عند غيابها وأما ما ذكر عن حايد وقطعه البحر المظلم ماشيا عليه لا يلصق بقدمه منه شئ وكان فيما يذكر نبيا واوتي حكمة وانه سأل الله تعالى ان يريه منتهى النيل فاعطاه قوة على ذلك فيقال انه اقام يمشي عليه ثلاثين سنة في عمران وعشرين سنة في خراب قالوا وأقام الوليد في غيبته اربعين سنة وعاد ودخل منف وأقام بمصر فاستعبد أهلها واستباح حريمهم واموالهم وملكهم مائة وعشرين سنة فأبغضوه وسئموه الى ان ركب في بعض ايامه متصيدا فألقاه فرسه في وهدة فقتله واستراح الناس منه

وقال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج انبعاث النيل من جبل القمر وراء خط الاستواء من عين تجرى منها عشرة انهار كل خمسة منها تصب الى بطيحة ثم يخرج من كل بطيحة نهران وتجرى الانهار الاربعة الى بطيحة كبيرة في الاقليم الاول ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل وقال في كتاب نزهة المشتاق الى اختراق الآفاق ان هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولها متوحشين يأكلون من وقع اليهم من الناس ومن هذه البحيرة يخرج لهم نهر غانة وبحر الحبشة فاذا خرج النيل منها يشق بلاد كورى وبلاد ينه وهم طائفة من السودان بين كانم والنوبة فاذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربيها وانحدر الى الاقليم الثاني فيكون على شطيه عمارة النوبة وفيه هنالك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرق الى الجنادل * وقال المسعودي رحمه الله تعالى رأيت في كتاب جعفر النيل مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر ومنبعه ومبدأ ظهوره من اثنتي عشرة عينا فتصب تلك المياه الى بحيرتين هنالك كالبطائح ثم يجتمع الماء منهما جاريا فيمر برمال هنالك وجبال ويخرق ارض السودان فيما يلي بلاد الزنج فيتشعب منه خليج يصب في بحر الزنج ويجرى على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل ألف فرسخ في عامر وغامر من عمران وخراب حتى يأتي اسوان من صعيد مصر * وقال في كتاب هردسوس نهر النيل مخرجه من ريف بحر القلزم ثم يميل الى ناحية الغرب فيصير في وسطه جزيرة وآخر ذلك يميل الى ناحية الشمال فيسقي ارض مصر وقيل ان مخرجه من عين فيما يجاوز الجبل ثم يغيب في الرمال ثم يخرج غير بعيد فيصير له محبس عظيم ثم يساير البحر المحيط على قفار الحبشة ثم يميل على اليسار الى ارض مصر فيحق ما يظن بهذا النهر أنه عظيم اذ كان مجراه على ما حكيناه قال ونهر النيل وهو الذي يسمى باون مخرجه خفي ولكن ظاهر اقباله من ارض الحبشة ويصير له هنالك محبس عظيم مجراه اليه مائتا ميل وذكر مخرجه حتى ينتهي الى البحر قال وكثيرا ما يوجد في نهر النيل التماسيح واقبال النيل من ارض الحبشة ليس يختلف فيه أحد وعدة أمياله من مخرجه المعروف الى موقفه مائة ألف وتسعون الفا وتسعمائة وثلاثون ميلا وماء النيل عكر مع عذب وفي منتهى والنيل اذا وصل الى الجنادل كان عند انتهاء مراكب النوبة انحدارا ومراكب الصعيد اقلاعا وهنالك حجارة مضرسة لا مرور للمراكب عليها الا في ايام زيادة النيل ثم يأخذ على الشمال فيكون على شرقيه اسوان من الصعيد الاعلى ويمر بين جبلين يكتنفان اعمال مصر أحدهما شرقي والآخر غربي حتى يأتي مدينة فسطاط مصر فتكون في بره الشرقي فاذا تجاوز فسطاط مصر بمسافة يوم صار فرقتين فرقة تمر

حتى تصب فى بحر الروم عند دمياط وتسمى هذه الفرقة بحر الشرق والفرقة الاخرى هى عمود النيل ومعظمه يقال لها بحر الغرب تمر حتى تصب فى بحر الروم ايضا عند رشيد وكانت مدينة كبيرة فى قديم الزمان * ويقال ان مسافة النيل من منبعه الى ان يصب فى البحر عند رشيد سبعمائة وثمانية واربعون فرسخا وانه يجرى فى الخراب اربعة اشهر وفى بلاد السودان شهرين وفى بلاد الاسلام مسافة شهر * وذهب بعضهم الى ان زيادة ماء النيل انما تكون بسبب المد الذى يكون فى البحر فاذا فاض ماؤه تراجع النيل وفاض على الاراضى ووضع فى ذلك كتابا حاصله ان حركة البحر التى يقال لها المد والجزر توجد فى كل يوم وليلة مرتين وفى كل شهر قمرى مرتين وفى كل سنة مرتين * فالمد والجزر اليومى تابع لقرص القمر ويخرج الشعاع عنه من جنبتى جرم الماء فاذا كان القمر وسط السماء كان البحر فى غاية المد وكذا اذا كان القمر فى وتد الارض فاذا بزغ القمر طالعا من الشرق اوغرب كان الجزر والمد الشهرى يكون عند استقبال القمر للشمس فى نصف الشهر ويقال له الامتلاء ايضا عند الاجتماع ويقال له السرار والجزر يكون ايضا فى وقتين عند تربيع القمر للشمس فى سابع الشهر وفى ثانى عشريه * والمد السنوى يكون ايضا فى وقتين احدهما عند حلول الشمس آخر برج السنبلة والآخر عند حلول الشمس بآخر برج الحوت فان اتفق ان يكون ذلك فى وقت الامتلاء او الاجتماع فانه حينئذ يجتمع الامتلاآن الشهرى والسنوى ويكون عند ذلك البحر فى غاية الفيض لاسيما ان وقع الاجتماع او الامتلاء فى وسط السماء ووقع مع النيرين اومع احدهما احد الكواكب السيارة فانه يعظم الفيض فان وقع كوكب فصاعدا مع احد النيرين تزايد عظم الفيض وكانت زيادة النيل تلك السنة عظيمة جدا وزاد أيضا نهر مهران. فان كان الاجتماع او الامتلاء زائلا عن وسط السماء وليس مع احد النيرين كوكب فان النيل ونهر مهران لا يبلغان غاية زيادتهما لعدم الانوار التى تثير المياه ويكون بمصر فى السنة الغلا والجزر السنوى يكون عند حلول الشمس برأسى الجدى والسرطان فأما المد اليومى الدافع من البحر المحيط فانه لا ينتهى فى البحر الخارج من المحيط اكثر من درجة واحدة فلكية ومساحتها من الارض نحو من ستين ميلا ثم ينصرف وانصرافه هو الجزر وكذلك الاودية اذا كانت الارض وهدة والمد الشهرى ينتهى الى اقاصى البحار وهو يمسكها حتى لا تنصب فى البحر المحيط وحيث ينتهى المد الشهرى فهناك منتهى ذلك البحر وطرفه واما المد السنوى فانه يزيد فى البحار الخارجة عن البحر المحيط زيادة بينة ومن هذه الزيادة تكون زيادة النيل وامتلاؤه وامتلاء نهر مهران والديتلو الذى ببلاد السند (قال ولما جاء ارسطو الى مصر مع الاسكندر ورأى مصب النيل وعلم ان من المحال ان يكون النيل فى اسوان وادمن الاودية وكلما انحل اتسع حتى ان عرضه فى اسفل ديار مصر لينتهى الى مائة ميل عند غاية الفيض وله افواه كثيرة شارعة فى البحر تسع كل ما يهبط من الميزان فى ذلك الصنع فرأى محالا ان يكون الوادى بحيث يضيق اسفله عن حمل ما يأتى به اعلاه مع ضيق اعلاه وسعة اسفله فلما رأى ذلك قال ان رياحا تستقبل جرية الماء وتردعه فيفيض لذلك وقال الاسكندر ان من المحال ان يكون الريح يردع الماء السائل فى الوادى حتى يفيض اكثر من مائة ميل ولو كانت الريح تفعل ذلك لكان الماء ينفلت من اسفل الوادى ويسيل الى البحر لان البحر لا يمسك الا اعلاه ولكن الرياح تقذف الرمل فى افواه تلك الشوارع التى تفضى الى البحر فيعثر بها شبه الردم فيفيض قال واغفل ان الرمل جسم متخلخل فالماء يتخلله وينفذه سائلا الى البحر مع ان الرمل لم يعتل اعتلاء يظهر للحس والماء سائل فى كل حين على حلق تنيس ودمياط وحلق رشيد وحلق الاسكندرية ففطنوا الاستحالة كونه سائلا عن سيل حامل ونسبوا توقفه الى الريح والرمل وهم استقصوا الهواء واستقصوا الارض واغفلوا الاستقصاء الثالث الذى هو الماء لانهم لم يعرفوا حركة البحر السنوية لانها لا تبلغ الغاية الا فى ثلاثة اشهر فلا يظهر مقدار صعودها فى كل يوم للحس ولذلك وضع امير مصر المقياس بديار مصر * قال والمد كله واحد وهو أن القمر يقابل الماء كما تقابل الشمس الارض فنور القمر اذا قابل كرة الارض سخنها كما تسخن الشمس الهواء المحيط فيعترى الهواء المحيط بالماء بعض تسخين يذيب الماء فيفيض وينمى بخاصته كالمرآة المحرقة الملهبة للجو حتى تحرق القطنة الموضوعة بين المرآة والشمس فهذا مثاله فى المقابلة ومثاله فى المسرار كون الزجاجة المملوءة ماء يلقى الشعاع الى حلقها فتحترق القطنة ايضا فالقمر جسم نورى باكتسابه ذلك من الشمس فاذا حال بين الشمس والارض خرج عن جانبى الماء شعاع نافذ يمر مع جنبى الماء فيسخن ما قابله فينمو والماء جسم شفاف عن جانبيه

يخرج الشعاع كما يخرج عن جانبي الزجاجة فيحدث لها نور يسخن الهواء الذي يحيط بالزجاجة او بالارض فيقترف الماء شبه تسخين يغلى به ويزيد وذلك قبالة القرص وقبالة مخرج الشعاع من قبالة وتد القمر فهذا هو المدّ دائما ويستدير باستدارة الفلك وتدويره اطلاك القمر وتدوير فلك القمر للقمر والمدّ الشهرى هو أن يقابل القمر الشمس او يستتر تحتها لانه ليس الا كون القمر قبالة الشمس لكونه فى تربيع الشمس اضعف وفى المقابلة اقوى وكذلك اذا قابلها على وسط كرة الارض بحيث تكون الحركة اشد والا كتناف للماء والارض اعم فذلك هو المدّ السنوى

(فصل فى الردّ على من اعتقد ان النيل من سيل يفيض)

أما العامة فليس عندهم ما يجيء على وجه الارض انه سيل ومن تفطن الى عظمه واتساعه فى اسفله وضيقه فى اعلاه ولم ينظر الى ماء ولا ارض ولا هواء نسب ذلك الى الخيال المحض كما فعل صاحب كتاب المسالك والممالك الذى زعم ان الماء يسافر من كل ارض وموطن الى النيل تحت الارض فيمده لان النيل انما يفيض فى الخريف والعيون والآبار فى ذلك الوقت يقل ماؤها والنيل يكثر فرأوا كثرة وقلة فأضافوا احدهما الى الآخر بالخيال ومما يدل ذلك على انه ليس عن سيل يفيض ان السيل يكون فى غير وقت فيض البحر ولا يفيض النيل لكون البحر فى الجزر فيصل السيل ويمرّ نحو البحر فلا يرده رادع (ومنها ان فيض النيل على تدريج مدة ثلاثة اشهر من حلول الشمس رأس السرطان الى حلولها بآخر برج السنبلة والناس يحسبون به قبل فيضه بمدة شهرين ولعامل مصر فى وسط النيل مقياس موضوع وهو سارية فيها خطوط يسمونها اذرعا يعلم بها مقدار صعوده فى كل يوم (ومنها ان فيضه ابدا فى وقت واحد فلو كان بالسيل لاختلف بعض الاختلاف (ومنها انه قد يجيء السيل فى غير هذا الوقت فلا يفيض (ومنها ان الحذاق بمصر اذا رأوا الحر يزيد علموا أن النيل سيزيد لان شدة الحر تذيب الهواء فيذوب الماء ولا يكون الا عن زيادة كوكب ودتونور ومنها أن موضع مصبه من أسوان انما هو واد من الاودية وما اسحل اتسع حتى يكون عرض اتساعه نحوا من مائة ميل واسوان هو منتهى بلوغ الردع فما ظنك بسيل مسيره نصف شهر لان نسبة بين مصب اعلاه واسفله كيف كان يكون اعلاه لو كان امتلاء اسفله عن السيل ومنها ان اهل اسوان انما يرقبون بلوغ الردع اليهم مراقبة ويحافظون عليه بالنهار محافظة فاذا جنّ الليل اخذوا حقة خزف فوضعوا فيها مصباحا ثم يضعونه على حجر معدّ عندهم لذلك وجعلوا يرقبونه فاذا طفئ المصباح بطفو الماء عليه علموا أن الردع قد وصل غايته المعهودة عندهم بأخذه فى الجزر فيكتبوا بذلك الى امير مصر يعلموه ان الردع قد وصل غايته المعهودة عندهم وانهم قد اخذوا بقسطهم من الشرب فحينئذ يأمر بكسر الاسداد التى على افواه قرص المشارب فيفيض الماء على ارض مصر دفعة واحدة (ومنها أن جميع تلك المشارب تسدّ عند ابتداء النيل بالخشب والتراب ليجتمع ما يسيل من الماء العذب فى النيل ويكثر ويعم جميع ارضهم ويمنع بجملته دخول الماء الملح عليه فلو كان سيلا ما احتاج الى ذلك ولفتحت له افواه قرص المشارب عند ابتداء ظهوره (ومنها ان الخلجان اذا اسدت ولم يكن لها رادع من البحر كان السيل من جنبه الى البحر اذ أسفل النيل اوسع وأخفض من اعلاه (ومنها ان ماء البحر يصعد اكثر من عشرين ميلا فى حلق رشيد وتنيس ودمياط كما يفعل فى سائر الاودية التى تدخل المدّ والجزر فلو كان النيل خاليا من الماء العذب وصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع لان الماء يطلب بطبعه ما انخفض من الارض وان يكون فى صفحة كرة مستوية الخطوط الخارجة من النقطة الى المحيط متساوية (ومنها انها اذا فتحت تلك الاسداد وكسرت الخلج وفاض النيل على بطائح ارض مصر شعر بذلك اهل اسوان للحين وقالوا فى هذه الساعة كسرت الخلج وفاض ماء النيل على ارض مصر لان ذلك يتبين لهم بتحوّل الماء دفعة فلو كان سيلا وهم على اعلى المصب لقالوا قد ارتفع المطر عن الارض التى يسيل منها السيل (ومنها ان قسيمه الذى يمرّ ببلاد الحبشة المنبعث واياه من جبل القمر لا يفيض كمدة فيض النيل ثلاثة اشهر ولا يقيم على وجه الارض مدة مقامه لكنه اذا كثر فيه السيل غمر جوانبه على قدر انبساطها واذا نضبت مادته ارتدع عليه فلو كان فيض النيل عن السيل وهما من شعب واحد لكان شأنهما واحدا ولا نقول ان فيض النيل بسبب فيض البحر فقط اذ لولا كونه سيل ماء لما دخل ردع البحر اليه ولكان شاطئ ديار مصر كسائر السواحل المجاورة له ولولا السيل السائل فيه لردمه البحر اذ عادة البحر ردم السواحل وانما دخل

الشك على اهل مصر فى ايام النيل لانهم لم يشاهدوا منشأه ولا عاينوا مبدأه من جبل القمر لانه فى موضع لا ساكن عليه ولا تحققوا المد السنوى الرادع له فلم يتحققوا شيأ من امره لانه بعيد من اذهان العامة ان يعلموا ان ماء البحر يعظم فى ايام الصيف لان المعهود عندهم فى البحر ان يعظم فى ايام الشتاء وطمو البحر فى الشتاء انما يكون عن الرياح الهابة عليه من احد جانبيه فيفيض ويخرج الى الجانب الآخر الا ما كان من البحر المحيط فانه يتحرك ابدا من داخل البحر الى البر وهو أن المحيط يطلب بطبعه ان يكون على وجه الارض والارض ليست بسيطة فهى مانعة بما فيها من التركيب فهو يطلب ابدا ان يعلوها ويركبها بيردها قال والسبب فى عظم المد والجزر كثرة الاشعة فاذا ازاحت الشمس والقمر الكواكب السيارة عظم فيض البحر واذا عظم فيض البحر فاضت الانهار وكذلك اذا نهض القمر لمقابلة احد السيارة ارتفع البخار وصعد الى كورة الزمهرير ونزل المطر فاذا فارق القمر الكواكب ارتفع المطر لكثرة التحليل كما يكون فى نصف النهار عند توسط الشمس لرؤس الخلق وكما يكون عند حلول الكواكب الكبيرة على وسط خط ارين والله تعالى اعلم بالصواب

قال مؤلفه رحمه الله تعالى الذى تحصل من هذا القول ان النيل مخرجه من جبل القمر وان زيادته انما هى من فيض البحر عند المد فاما كون مخرجه من جبل القمر فمسلم اذ لا نزاع فى ذلك وأما كون زيادته لا تكون الا من ردع البحر له بما حصل فيه من المد فليس كذلك نعم توالى هبوب الرياح الشمالية على وفور الزيادة وردع البحر له اعانة على الزيادة ومن تامل النيل علم ان سيلا سال فيه ولا بد فانه لا يزال ايام الشتاء واوائل فصل الربيع ماؤه صافيا من الكدرة فاذا فرغت ايام زيادته وكان فى غاية نقصه تغير طعمه ومال لونه الى الخضرة وصار بحيث اذا وضع فى اناء رسب منه شبه اجزاء صغيرة من طحلب وسبب ذلك ان البطيحة التى فى اعالى الجنوب تردها الفيلة ونحوها من الوحوش حتى يتغير ماؤها فاذا كثرت امطار الجنوب فى فصل الصيف وعظمت السيول الهابطة فى هذه البطيحة فاض منها ما تغير من الماء وجرى الى ارض مصر فيقال عند ذلك توحم النيل ولا يزال الماء كذلك حتى يعقبه ماء متغير ويزداد عكره بزيادة الماء فاذا وضع منه ايام الزيادة شئ فى اناء رسب بأسفله طين لم يعهد فيه قبل ايام الزيادة وهذا الطين هو الذى تحمله السيول التى تنصب فى النيل حتى تكون زيادته منها وفيه يكون الزرع بعد هبوط النيل والا فارض مصر سبخة لا تنبت ولا ينبت منها الا ما مر عليه ماء النيل وركد منه هذا الطين وقوله ان السيل يكون فى غير وقت فيض البحر ولا يفيض النيل لكون البحر فى الجزر فيصل السيل ويمر نحو البحر فلا يردعه رادع غير مسلم وان العادة ان السيول التى عليها زيادة ماء النيل لا تكون الا عن غزارة الامطار ببلاد الجنوب وامطار الجنوب لا تكون الا فى ايام الصيف ولم يعهد قط زيادة النيل فى الشتاء وأول دليل على ان كون زيادته عن سيل يسيل فيه انما يزيد بتدريج على قدر ما يهبط فيه من السيول وانما استدلاله بصب النيل فى اسوان واتساعه اسفل الارض فانما ذلك لانه يصب من علو فى مخرق بين جبلين يقال لهما الجنادل وينبطح فى الارض حتى يصب فى البحر فاتساعه حيث لا يجد حاجزا يحجزه عن الانبساط وأما قوله ان الاسداد اذا كثرت فاض الماء على الارض دفعة فليس كذلك بل يصير الماء عند كسر كل سد من الاسداد فى خليج ثم يفتح ترع من الخليج الى الخليج الى بناء على جانبيه من الاراضى حتى يروى فمن تلك الاراضى ما يروى سريعا ومنها ما يروى بعد ايام ومنها ما لا يروى لعلوه واما قوله ان جميع تلك المشارب تستد عند ابتداء صعود النيل ليجتمع ما يسيل من الماء فى النيل ويكثر فيعم جميع ارضهم ويمنع بجملته دخول الماء الملح عليه فغير مسلم ان تكون السداد كما ذكر بل اراضى مصر اقسام كثيرة منها عال لا يصل اليه الماء الا من زيادة كثيرة ومنها منخفض يروى من يسير الزيادة والاراضى متفاوتة فى الارتفاع والانخفاض تفاوتا كثيرا ولذلك احتيج فى بلاد الصعيد الى حفر الترع وفى اسفل الارض الى عمل الجسور حتى يحبس الماء ليروى اهل النواحى على قدر حاجتهم اليه عند الاحتياج والا فهو يزيد اولا فى غير سقى الاراضى حتى اذا اجتمع من زيادته المقدار الذى هو كفاية الاراضى فى وقت خلو الاراضى من الغلال وذلك غالبا فى اثناء شهر مسرى فتح سد الخليج حتى يجرى فيه الماء الى حد معلوم ووقف حتى يروى ما تحت ذلك الحد الذى وقف عنده الماء من الارض ثم فتح ذلك الحد فى يوم النيروز حتى يجرى الى حد آخر ويقف عنده حتى يروى ما تحت هذا الحد الثانى من الاراضى ثم يفتح هذا الحد فى يوم عيد الصليب بعد النوروز بسبعة عشر يوما حتى يجرى الماء ويقف على حد ثالث حتى يروى ما تحت هذا الحد من الاراضى

ثم يفتح هذا الخد فيجرى الماء ويروى ماهنالك من الاراضى ويصب فى البحر الملح هذا هو الحال فى سدود أراضى مصر وقوله ان ماء البحر يصعد أكثر من عشرين ميلا فى حلق رشيد وتنيس ودمياط فلو كان خاليا من الماء العذب لوصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع فنقول هذا قول من لم يعرف أرض مصر فان النيل عند مصبه بأعالى اسوان يكون أعلى منه عند كونه أسفل الارض بقامات عديدة فاذا فاض ماء البحر حبسه أن يتدافع هو وماء النيل وربما غلب ماء البحر ماء النيل فى أيام نقصان النيل حتى يملح ماء النيل فيما بين دمياط وفارس كور وأما فى أيام زيادة النيل فانى شاهدت مصب النيل فى البحر من دمياط وكل منهما يدافع الآخر فلا يطيقه حتى صار اماتمانعين عبرة لمن اعتبر وقوله ان الاسداد اذا فتحت علم أهل اسوان بذلك فى الحال غير مسلم بل لم نزل نشاهد النيل فى الاعوام الكثيرة اذا افتتح منه خليج أوانقطع مقطع فأغرق ماؤه أراضى كثيرة لا يظهر النقص فيه الا فيما قرب من ذلك الموضع ومابرح المفرد يخرج من قوص ببشارة وفاء النيل وقد أوفى عندهم ستة عشر ذراعا فلا يوفى فى ذلك المقياس بمصر الا بعد ثلاثة أيام ونحوها وأما قوله ان ما كان من النيل يمر ببلاد الحبشة يخالفه فليس كذلك بل الزيادة فى النيل أيام زيادته تكون ببلاد النوبة وماوراءها فى الجنوب كما تكون فى أرض مصر ولا فرق بينهما الا فى شيئين أحدهما انه فى أرض مصر يجرى فى حدود وهنالك يتبدد على الاراضى والثانى أن زيادته تعتبر بالقياس فى أرض مصر وهنالك لا يمكن قياسه لتبدده ومن عرف أخبار مصر علم أن زيادة ماء النيل تكون عن امطار الجنوب * ويقال ان النيل ينصب من عشرة انهار من جبل القمر المتقدم ذكره كل خمسة انهار من شعبة ثم تنحصر تلك الانهار العشرة فى بحرين كل خمسة انهار تنحصر بحيرة بذاتها ثم يخرج من البحيرة الشرقية بحر لطيف يأخذ شرقا على جبل قاقولى ويمتد الى مدن هنالك ثم يصب فى البحر الهندى ويخرج من البحرتين ستة انهار من كل بحيرة ثلاثة انهار وتجتمع الانهار الستة فى بحيرة متسعة تسمى البطيحة وفيها جبل يفرق الماء نصفين يخرج أحدهما من غرب البطيحة وهو نيل السودان ويسير نهرا يسمى بحر الدمادم ويأخذ مغربا ما بين سمغرة وغانة على جنوبى سمغرة وشمالى غانة ثم ينعطف هنالك منه فرقة ترجع جنوبا الى غانة ثم تمر على مدينة برنسه وتأخذ تحت جبل فى جنوبها مارح خط الاستواء الى زفيلة ثم تنحصر فى بحيرة هنالك وتستمر الفرقة الثانية مغربة الى بلاد مالى والتكرور حتى تنصب فى البحر المحيط شمالى مدينة قلبتو ويخرج النصف الآخر متشاملا آخذا على الشمال الى شرقى مدينة حيا ثم يتشعب منه هنالك شعبة تأخذ شرقا الى مدينة سحرت ثم ترجع جنوبا ثم تعطف شرقا بجنوب الى مدينة سحرته ثم الى مدينة مركه وتنتهى الى خط الاستواء حيث الطول خمس وستون درجة وتنحصر هنالك بحيرة ويسمى عمود النيل من قبالة تلك الشعبة شرقى مدينة شيمى متشاملا آخذا على أطراف بلاد الحبشة ثم يتشامل على بلاد السودان الى مدينة دنقلة حتى يرمى على الجنادل الى اسوان وينحدر وهو يشق بلاد الصعيد الى مدينة فسطاط مصر ويمر حتى يصب فى البحر الشامى وقد استفيض ببلاد السودان أن النيل ينحدر من جبال سود يبين على بعد كأن عليها الغمام ثم يتفرق نهرين يصب أحدهما فى البحر المحيط الى جهة بحر الظلمة الجنوبى والآخر يتصل الى مصر حتى يصب فى البحر الشامى ويقال انه فى الجنوب يتفرق سبعة أنهار تدخل فى صحراء منقطعة ثم تجتمع الانهار السبعة وتخرج من تلك الصحراء نهرا واحدا فى بلاد السودان

(ذكر مقاييس النيل وزيادته)

قال ابن عبد الحكم أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام ووضع مقياسا بمنف ثم وضعت العجوز دلوكة ابنة زباوهى صاحبة حائط العجوز مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع ومقياسا باخميم ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وهو صغير ووضع أسامة بن زيد التنوخى فى خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة وهو أكبرها قال يحيى بن بكير أدركت القياس يقيس فى مقياس منف ويدخل بزيادته الى الفسطاط * وقال القضاعى كان أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام وبنى مقياسا بمنف وهو أول مقياس وضعه عليه السلام وقيل ان النيل كان يقاس بمصر بأرض علوة الى أن بنى مقياس منف وان القبط كانت تقيس عليه الى أن بطل ومن بعده دلوكة العجوز بنت مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع وآخر باخميم وهى التى بنت الحائط المحيط بمصر وقيل انهم كانوا يقيسون الماء قبل أن يوضع المقياس بالرصاصة فلم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقيسارية الاكسية

ومعالمه هناك الى أن ابتنى المسلمون بين الحصن والبحر أبنيتهم الباقية الآن وكان للروم أيضا مقياس بالقصر خلف الباب يمنة من دخل منه فى داخل الزقاق اثره قائم الى اليوم وقد بنى عليه وحواليه * ثم بنى عمرو بن العاص عند فتحه مصر مقياسا باسوان ثم بنى بموضع يقال له دندرة ثم بنى فى أيام معاوية مقياس بانصنا فلم يزل يقاس عليه الى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وكانت منزله وكان هذا المقياس صغير الذرع فأما المقياس القديم الذى بنى فى الجزيرة فالذى وضعه أسامة بن زيد وقيل انه كسر فيه ألفى اوقية وهو الذى بنى بيت المال بمصر ثم كتب أسامة بن زيد التنوخى عامل خراج مصر لسليمان بن عبد الملك بطلانه فكتب اليه سليمان بان يبنى مقياسا فى الجزيرة فبناه فى سنة سبع وتسعين ثم بنى المتوكل فيها مقياسا فى أول سنة سبع وأربعين ومائتين فى ولاية يزيد بن عبد الله التركى على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد وأمر بأن يعزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله التركى على المقياس أبا الرداد المعلم واسمه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى الرداد المؤذن كان يقول القمى أصله بالبصرة قدم مصر وحدث بها وجعل على قياس النيل وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة دنانير فى كل شهر فلم يزل المقياس من ذلك الوقت فى يد أبى الرداد وولده الى اليوم وتوفى أبو الرداد سنة ست وستين ومائتين * ثم ركب أحمد بن طولون سنة تسع وخمسين ومائتين ومعه أبو أيوب صاحب خراجه وبكار بن قتيبة القاضى فنظر الى المقياس وأمر باصلاحه وقدر له ألف دينار فعمر وبنى الحارث فى الصناعة مقياسا واثره باق لايعتمد عليه * وقال ابن عبد الحكم ولما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها الى عمرو حين دخل بؤنة من اشهر العجم فقالوا له أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة لايجرى الابها فقال لهم وماذاك قالوا انه اذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر من ابويها فأرضينا ابويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب افضل مايكون ثم ألقيناها فى النيل فقال لهم عمرو ان هذا لايكون فى الاسلام وان الاسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا بؤنة وابيب ومسرى وهو لايجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فلما رأى عمرو ذلك كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك فكتب اليه عمر أن قد اصبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك بطاقة فألقها فى داخل النيل اذا اتاك كتابى فلما قدم الكتاب الى عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لايقوم بمصلحتهم فيها الا النيل واصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا فى ليلة وقطع تلك السنة السوء عن أهل مصر * وذكر بعضهم أن جالا الصدفى هو الذى جاء ببطاقة عمر رضى الله عنه الى النيل حين توقف فجرى باذن الله تعالى وقال يزيد بن أبى حبيب ان موسى عليه السلام دعا على آل فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء فطلبوا الى موسى أن يدعو الله فدعا الله رجاء أن يؤمنوا وذلك ليلة الصليب فاصبحوا وقد أجراه الله فى تلك الساعة ستة عشر ذراعا فاستجاب الله بطوله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام قال القضاعى ووجدت فى رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد بن عبد المنعم قال لما فتحت العرب مصر عرف عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ما يلقى أهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن حده فى مقياس لهم فضلا عن تقاصره وان فرط الاستشعار يدعوهم الى الاحتكار وان الاحتكار يدعو الى تصاعد الاسعار بغير قحط فكتب عمر الى عمرو يسأله عن شرح الحال فاجابه انى وجدت ماتروى به مصر حتى لايقحط أهلها أربعة عشر ذراعا والحد الذى يروى منه سائرها حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعا والنهايتان المخوفتان فى الزيادة والنقصان وهما الظمأ والاستبحار اثنا عشر ذراعا فى النقصان وثمانية عشر ذراعا فى الزيادة هذا والبلد فى ذلك الوقت محفور الانهار معقود الجسور عندما تسلموه من القبط وخميرة العمارة فيه فاستشار أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه عليا رضى الله عنه فى ذلك فأمره أن يكتب اليه أن يبنى مقياسا وأن ينقص ذراعين من اثنى عشر ذراعا وأن يقر مابعدها على الاصل وأن ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعا اصبعين ففعل ذلك وبناه بحلوان فاجتمع له بذلك كل ماأراد من حل الارجاف وزوال مامنه كان يخاف بأن جعل الاثنى عشر ذراعا أربع عشرة لان كل ذراع أربع وعشرون اصبعا فجعلها ثمانيا وعشرين من أولها الى الاثنى عشر

ذراعا

ذراعا يكون مبلغ الزيادة على الاثنى عشر ثمانيا وأربعين اصبعا وهى الذراعان وجعل الاربع عشرة ست عشرة والست عشرة ثمانى عشرة والثمانى عشرة عشرين * قال القضاعى وفى هذا الحساب تطرفى وقت الزيادة فساد الانهار وانتقاض الاحوال وشاهد ذلك أن المقاييس القديمة الصعيدية من أولها الى آخرها أربع وعشرون اصبعا كل ذراع والمقاييس الاسلامية على ماذكرنها المقياس الذى بناه اسامة بن زيد التنوخى بالجزيرة وهو الذى هدمه الماء وبنى المأمون آخر باسفل الارض بالبروذات وبنى المتوكل آخر بالجزيرة وهو الذى يقاس عليه الماء الآن وقد تقدم ذكره * قال ابن عفير عن القبط المتقدمين اذا كان الماء فى اثنى عشر يوما من مسرى اثنتى عشرة ذراعا فهى سنة ماء والا فالماء ناقص واذا تم ست عشرة ذراعا قبل النوروز فالماء يتم فاعلم ذلك وقال أبو الصلت وأما النيل وينبوعه فهو من وراء خط الاستواء من جبل هناك يعرف بجبل القمر فانه يبتدئ فى التزايد فى شهر ابيب والمصريون يقولون اذا دخل ابيب كان للماء دبيب وعند ابتدائه فى التزايد يتغير جميع كيفياته ويفسد والسبب فى ذلك مروره بنقائع مياه آجنة يخالطها فيحتملها معه الى غير ذلك مما يحتمله فاذا بلغ الماء خمسة عشر ذراعا وزاد من السادس عشر اصبعا واحدا كسر الخليج ولكسره يوم معدود ومقام مشهود ومجتمع خاص يحضره العام والخاص فاذا كسر فتحت الترع وهى فوهات الخلجان ففاض الماء وساح وغمر القيعان والبطاح وانضم الناس الى اعالى مساكنهم من الضياع والمنازل وهى على آكام وربا لا يتنهى الماء اليها ولا يتسلط السيل عليها فتعود أرض مصر بأسرها عند ذلك بحرا غامرا لما بين جبليها ريثما يبلغ الحد المحدود فى مشيئة الله عز وجل له واكثر ذلك يحوم حول ثمانى عشرة ذراعا ثم يأخذ عائدا فى صبه الى مجرى النيل ومسربه فينضب اوّلا عما كان من الارض عاليا ويصير فيما كان منها متطامنا فيترك كل قرارة كالدرهم ويغادر كل ملقة كالبرد المسهم وقال القاضى ابو الحسن على بن محمد الماوردى فى كتاب الاحكام السلطانية وأما الذراع السوداء فهى اطول من ذراع الدور بأصبع وثلثى اصبع واوّل من وضعها امير المؤمنين هارون الرشيد قدرها بذراع خادم اسود كان على رأسه قائما وهى التى تتعامل الناس بها فى ذرع البز والتجارة والابنية وقياس نيل مصر * واكثر ما وجد فى القياس من النقصان سنة سبع وتسعين ومائة وجد فى المقياس تسعة اذرع وأحد وعشرون اصبعا واقل ما وجد منه سنة خمس وستين ومائة فانه وجد فيه ذراع واحد وعشر أصابع وأكثر ما بلغ فى الزيادة سنة تسع وتسعين ومائة فانه بلغ ثمانية عشر ذراعا وتسعة عشر اصبعا وأقل ما كان فى سنة ست وخمسين وثلثمائة الهلالية فانه بلغ اثنى عشر ذراعا وتسع عشرة اصبعا وهى أيام كافور الاخشيدى * والمقياس عمود رخام ابيض مثمن فى موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه اليه وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعا كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسما متساوية تعرف بالاصابع ماعدا الاثنى عشر ذراعا الاولى فانها مفصلة على ثمان وعشرين اصبعا كل ذراع * وقال المسعودى قالت الهند زيادة النيل ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك بتوالى الانواء وكثرة الامطار * وقالت الروم لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته ونقصانه من عيون كثرت واتصلت * وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون فى شاطئه يراها من سافر ولحق بأعاليه وقيل لم يزد قط وانما زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت تحبسه فيفيض على وجه الارض وقال قوم سبب زيادته هبوب ريح تسمى ريح الملتن وذلك انها تحمل السحاب الماطر من خلف خط الاستواء فيمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة فيأتى مدده الى أرض مصر بزيادة النيل ومع ذلك فان البحر الملح يقف ماؤه على وجه النيل فيتوقف حتى يروى البلاد وفى ذلك يقول

فاسمع فللسامع اعلى يدا * عندى وأسمى من يد المحسن * فالنيل ذو فضل ولكنه * الشكر فى ذلك للملتن

ويبتدئ النيل بالتنفس والزيادة بقية بؤنة وهو حزيران وابيب وهو تموز ومسرى وهو آب فاذا كان الماء زائدا زاد شهر توت كله وهو ايلول الى انقضائه فاذا انتهت الزيادة الى الذراع الثامن عشر ففيه تمام الخراج وخصب الارض وهو ضار بالبهائم لعدم الرعى والكلا * وأتم الزيادات كلها العامة النفع للبلد كله سبعة عشر ذراعا وفى ذلك كفايتها ورى جميع ارضها واذا زاد على ذلك و بلغ ثمانية عشر ذراعا وغلقها استبحر من أرض مصر الربع وفى ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من الاستبحار واذا كانت الزيادة على ثمانية عشر ذراعا كانت العاقبة فى انصرافه حدوث وباء واكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعا * وقد بلغ فى خلافة عمر بن عبد العزيز

اثنى عشر ذراعا ومساحة الذراع الى أن يبلغ اثنى عشرة ذراعا ثمان وعشرون اصبعا ومن اثنى عشرة ذراعا
الى مافوق ذلك يكون الذراع أربعا وعشرين اصبعا وأقل ما يبقى فى قاع المقياس من الماء ثلاثة اذرع وفى تلك
السنة يكون الماء قليلا والاذرع التى يستسقى عليها بمصر هى ذراعان تسميان منكرا ونكيرا وهى الذراع
الثالث عشر والذراع الرابع عشر فاذا انصرف الماء عن هذين الذراعين وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة
استسقى الناس بمصر فكان الضرر الشامل لكل البلدان واذا تم خمس عشرة ودخل فى ست عشرة ذراعا كان
فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه وكان ذلك نقصا من خراج السلطان والنبيذ يتخذ بمصر من ماء
طوبة وهو كانون الثانى بعد الغطاس وهو لعشرة تمضى من طوبة وأصفى مايكون ماء النيل فى ذلك الوقت
وأهل مصر يفتخرون بصفاء ماء النيل فى هذا الوقت وفيه يخزن الماء أهل تنيس ودمياط وتونة وسائر قرى
البحيرة * وقد كانت مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعا غامرها وعامرها لما أحكموا من جسورها وبناء
قناطرها وتنقية خلجانها وكان الماء اذا بلغ فى زيادته تسع أذرع دخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج
سردوس وخليج سخا * قال والمعمول عليه فى وقتنا هذا وهو سنة خمس وأربعين وثلثمائة انه ان زاد على الستة
عشر ذراعا او نقص عنها نقص من خراج السلطان وقد تغير فى زماننا هذا عامة ماتقدم ذكره لفساد حال الجسور
والترع والخلجان وقانونه اليوم انه يزيد فى القيظ اذا حلت الشمس برج السرطان والاسد والسنبلة حين تنقص
عامة الانهار التى فى المعمور ولذلك قيل ان الانهار تمده بمائها عند غيضها فتكون زيادته وتبتدئ الزيادة من
خامس بؤنة وتظهر فى ثانى عشره وأول دفعه فى الثانى من ابيب وتنتهى زيادته فى ثامن بابه ويأخذ فى النقصان
من العشرين منه فتكون مدة زيادته من ابتدائها الى أن ينقص ثلاثة اشهر وخمسة وعشرين يوما وهى ابيب
ومسرى وتوت وعشرون يوما من بابه ومدة مكثه بعد انتهاء زيادته اثنا عشر يوما ثم يأخذ فى النقصان * ومن
العادة أن ينادى عليه دائما فى اليوم السابع والعشرين من بؤنة بعد ما يؤخذ قاعه وهو ما بقى من الماء القديم
فى ثالث عشر بؤنة ويفتح الخليج الكبير اذا أكمل الماء ستة عشر ذراعا وأدركت الناس يقولون نعوذ بالله من
اصبع من عشرين وكنا نعهد الماء اذا بلغ أصابع من عشرين ذراعا فاض ماء النيل وغرق الضياع والبساتين
وفارت البلاليع وها نحن فى زمن منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة اذا بلغ الماء فى سنة اصبعا
من عشرين لا يعم الارض كلها لما قد فسد من الجسور وكان الى ما بعد الخمسمائة من الهجرة قانون النيل ستة
عشر ذراعا فى مقياس الجزيرة وهى فى الحقيقة ثمانية عشر ذراعا وكانوا يقولون اذا زاد على ذلك ذراعا واحدة
زاد خراج مصر مائة ألف دينار لما يروى من الاراضى العالية فان بلغ ثمانية عشر ذراعا كانت الغاية القصوى
فان الثمانية عشر ذراعا فى مقياس الجزيرة اثنان وعشرون ذراعا فى الصعيد الاعلى فان زاد على الثمانية عشر
ذراعا واحدا نقص من الخراج مائة ألف دينار لما يستبحر من الارض المنخفضة * قال ابن ميسر فى حوادث
سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وفيها بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر ذراعا وأربعة أصابع وبلغ الماء الباب
الجديد أول الشارع خارج القاهرة وكان الناس يتوجهون الى القاهرة من مصر من ناحية المقابر فلما
بلغ الخليفة الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد بن محمد أن الماء وصل الى الباب الجديد أظهر الحزن والانقطاع
فدخل اليه بعض خواصه وسأله عن السبب فاخرج له كتابا فاذا فيه اذا وصل الماء الباب الجديد انتقل الامام
عبد المجيد ثم قال هذا الكتاب الذى نعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا وما يأتى بعد فمرض الحافظ فى آخر
هذه السنة ومات فى أول سنة أربع وأربعين وخمسمائة * وقال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وسبعين
وخمسمائة وفى يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر ربيع الاول وهو السادس عشر من مسرى وفى النيل
على ستة عشر ذراعا وهو الوفاء ولا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ فى زمن متقدم وهذا أيضا مما تغير فيه قانون
النيل فى زماننا فانه صار يوفى فى أوائل مسرى ولقد كان الوفاء فى سنة اثنى عشرة وثمانمائة فى اليوم التاسع
والعشرين من ابيب قبل مسرى بيوم وهذا من أعجب ما يؤرخ فى زيادات النيل واتفق أن فى الحادى عشر
من جمادى الاولى سنة تسع وسبعمائة وفى النيل وكان ذلك اليوم التاسع عشر من بابه بعد النوروز بتسعة
وأربعين يوما قال وفى تاسع عشره يعنى شوال سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كسر بحر ابى المنجى وباشر الملك العزيز
عثمان كسره وزاد النيل فيه اصبعا وهى الاصبع الثامنة عشرة من ثمان عشرة ذراعا وهذا الحد يسمى عند أهل

قوله فتكون مدة زيادته الخ
هو غير موافق لما قبله بل
مقتضى ماذكره من التفصيل
قبله أن مدة الزيادة من
ابتدائها الى أن ينقص
أربعة اشهر وخمسة عشر
يوما فليتأمل اه مصححه

مصر اللجة الكبرى فانظر كيف يسمى القاضى الفاضل هذا القدر اللجة الكبرى وانه والعياذ بالله لو بلغ ماء النيل فى سنة هذا القدر فقط لحل بالبلاد غلاء يخاف منه أن يهلك فيه الناس وماذاك الا لما اهمل من عمل الجسور ويحصل لاهل مصر بوفاء النيل ست عشرة ذراعا فرح عظيم فان ذلك كان قانون الرى فى القديم واستمر ذلك الى يومنا هذا ويتخذ ذلك اليوم عيدا يركب فيه السلطان بعساكره وينزل فى المراكب لتخليق المقياس * وقد ذكرنا ما كان فى الدولة الفاطمية من الاهتمام بفتح الخليج عند ذكر مناظر اللؤلؤة وقال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى ان يوم الوفا هو اليوم الذى وعد فرعون موسى عليه السلام بالاجتماع فى قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقد جرت العادة ان اجتماع الناس للتخليق يكون فى هذا الوقت * ومن احسن السياسات فى امر النداء على النيل ما حكاه الفقيه ابن زولاق فى سيرة العزيز لدين الله قال وفى هذا الشهر يعنى شوال سنة اثنتين وستين وثلثمائة منع المعز لدين الله من النداء بزيادة النيل وان لا يكتب بذلك الا اليه والى القائد جوهر فلما تم اباح النداء يعنى لما تم ست عشرة ذراعا وكسر الخليج فتأمل ما أبدع هذه السياسة فان الناس دائما اذا توقف النيل فى أيام زيادته أو زاد قليلا يقلقون ويحدثون انفسهم بعدم طلوع النيل فيقبضون ايديهم على الغلال ويمتنعون من بيعها رجاء ارتفاع السعر ويجتهد من عنده مال فى خزن الغلة اما لطلب السعر أو لطلب ادخار قوت عياله فيحدث بهذا الغلاء فان زاد الماء انحل السعر والا كان الجدب والقحط ففى كتمان الزيادة عن العامة اعظم فائدة وأجل عائدة وقال المسبحى فى تاريخ مصر وخرج امر صاحب القصر الى ابن حيران بتحرير ما يستفتح به القياسون كلامهم اذا نادوا على النيل فقال نعم لا تحصى من خزائن الله لا تفنى زاد الله فى النيل المبارك كذا ومن عادة نيل مصر اذا كان عند ابتداء زيادته اخضر ماؤه فتقول عامة اهل مصر قد توحم النيل ويرون أن الشرب منه حينئذ مضر ويقال فى سبب اخضراره ان الوحوش سيما الفيلة ترد البطيحات التى فى أعالى النيل وتستنقع فيها مع كثرة عددها الشدة الحر هنالك فيتغير ماء تلك البطيحات فاذا وقع المطر فى الجهة الجنوبية فى أوقاته عندهم تكاثرت السيول حينئذ فى البطيحات فخرج ما كان فيها من الماء الذى قد تغير ومر الى مصر وجاء عقيبه الماء الجديد وهو الزيادة بمصر وحينئذ يكون الماء محمرا لما يخالطه من الطين الذى تأتى به السيول فاذا تناهت زيادته غشى أرض مصر فتصير القرى التى فى الاقاليم فوق التلال والروابى وقد أحاط بها الماء فلا يتوصل اليها الا فى المراكب او من فوق الجسور الممتدة التى يصرف عليها اذا عملت كما ينبغى ربع الخراج ليحفظ عند ذلك ماء النيل حتى ينتهى رى كل مكان الى الحد المحتاج اليه فاذا تكامل رى ناحية من النواحى قطع اهلها الجسور المحيطة بها من أمكنة معروفة عند خولة البلاد ومشايخها فى اوقات محدودة لا تتقدم ولا تتأخر عن أوقاتها المعتادة على حسب ما يشهد به قوانين كل ناحية من النواحى فتروى كل جهة مما يليها مع ما يجتمع فيها من الماء المختص ولولا اتقان ما هنالك من الجسور وحفر الترع والخلجان لقل الانتفاع بماء النيل كما قد جرى فى زماننا هذا وقد حكى أنه كان يرصد لعمارة جسور أراضى مصر فى كل سنة ثلث الخراج لعنايتهم فى القديم بها من أجل أنه يترتب على عملها رى البلاد الذى به مصالح العباد وستقف ان شاء الله تعالى عن قريب على ما كان من اعمال القدماء ومن بعدهم فى ذلك وكان للمقياس فى الدولة الفاطمية رسوم لكنس مجارى الماء خمسون دينارا فى كل سنة تطلق لابن ابى الرداد

(ذكر الجسر الذى كان يعبر عليه فى النيل)

اعلم انه كان فى النيل جسر من سفن فيما بين الفسطاط والجزيرة يعرف اليوم بالروضة وكان فيما بين الجزيرة والجزيرة أيضا جسر فى كل جسر منها ثلاثون سفينة

(ذكر ما قيل فى ماء النيل من مدح وذم)

قال الرئيس ابو على ابن سيناء عفا الله عنه وقوم يفرطون فى مدح النيل افراطا شديدا ويجمعون محامده فى أربعة بعد منبعه وطيب مسلكه وغموره وأخذه الى الشمال عن الجنوب فأخذه الى الشمال عن الجنوب ملطف لما يجرى فيه من المياه وأما غموره فيشاركه فيها غيره قال فأفضل المياه مياه العيون ولا كل العيون ولكن مياه العيون الحرة الارض التى لا يغلب على تربتها شئ من الاحوال والكيفيات الغريبة اوتكون حجرية

فتكون اولى بأن لا تعفن عفونة الارضية لكن التى هى من طينة حرة خير من الحجرية ولا كل عين حرة بل التى هى مع ذلك جارية ولا كل جارية بل الجارية المكشوفة للشمس والرياح وان هذا مما يكتسب الجارية فضيلة وأما الراكدة فربما اكتسبت بالكشف رداءة لا تكسبها بالغور والستر * واعلم أن المياه التى تكون طيبة المسيل خير من التى تجرى على الاحجار فان الطين ينقى الماء ويأخذ منه الممزوجات الغريبة ويروقه والحجارة لا تفعل ذلك لكنه يجب أن يكون طين مسيله حر الاحمأة ولا سبخة ولا غير ذلك فان اتفق ان كان هذا الماء غمرا شديد الجرية يحيل بكثرة ما يخالطه الى طبيعته فان كان يأخذ الى الشمس فى جريانه فيجرى الى المشرق وخصوصا الى الصيفى منه فهو أفضل لا سيما اذا بعد جدا من مبدائه ثم ما يتوجه الى الشمال والمتوجه الى المغرب والجنوب ردىء خصوصا عند هبوب ريح الجنوب والذى ينحدر من مواضع عالية مع سائر الفضل افضل وما كان بهذه الصفة كان عذبا يخيل انه حلو ولا يحتمل الخمر اذا مزج به منه الا قليلا وكان خفيف الوزن سريع البرد والتسخين لتخلخله باردا فى الشتا حارا فى الصيف لا يغلب عليه طعم ألبتة ولا رائحة ويكون سريع الانحدار من الشراسيف سريع الهرى ما يهرى فيه وطبخ ما يطبخ فيه قال الرئيس علاء الدين على بن ابى الحرم بن نفيس فى شرح القانون هذه المحامد التى ذكرها ليست علامات للحمد بل هى من الاشياء الموجبة لكونه محمودا وأحد هذه الاربعة بعد منبعه وقد بينا أن ذلك يوجب لطافة الماء بسبب كثرة حركته واعلم أن منبع النيل من جبل يقال له جبل القمر وهذا الجبل وراء خط الاستواء بأحدى عشرة درجة وثلاثين دقيقة فاوه اعظم دائرة فى الارض بثلاثمائة درجة وستين وابتداء هذا الجبل من السادسة والاربعين درجة وثلاثين دقيقة من اوّل العمارة من جهة المغرب وآخره عند آخر احدى وستين درجة وخمسين دقيقة فيكون امتداد هذا الجبل مقدار خمس عشرة درجة وعشرين دقيقة مما به اعظم دائرة فى الارض ثلثمائة وستون درجة ويخرج من هذا الجبل عشرة انهار من اعين فيه ترمى كل خمسة منها الى بحيرة عظيمة مدوّرة واحدى هاتين البحيرتين مركزها حيث البعد من ابتداء العمارة بالمغرب خمسون درجة والبعد من خط الاستواء فى الجنوب سبع درج واحدى وثلاثون دقيقة ومركز الثانية حيث البعد عن اوّل العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجة وحيث البعد من خط الاستواء فى الجنوب سبع درج واحدى وثلاثون دقيقة وهاتان البحيرتان متساويتان وقطر كل واحدة منهما مقدار خمس درج ويخرج من كل واحدة من البحيرتين اربعة انهار ترمى الى بحيرة صغيرة مدوّرة فى الاقليم الاوّل بعد مركزها عن اوّل العمارة بالمغرب ثلاث وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعن خط الاستواء من الشمال درجتان من الاقليم الاوّل ومقدار قطرها درجتان ويصب كل واحد من الانهار الثمانية فى بحيرة وفى هذه البحيرة نهر واحد وهو نيل مصر ويمر ببلاد النوبة نهر آخر ابتداؤه من غير مركزها على خط الاستواء كبيرة مستديرة مقدار قطرها ثلاث درج وبعد مركزها من اوّل العمارة بالمغرب ثلاث واربعون درجة ويلتقى نهر هذه العين لنهر النيل حيث البعد من اوّل العمارة بالمغرب ثلاث واربعون دقيقة واذا تعدى النيل مدينة مصر الى بلد يقال له شطنوف يفرق هنالك الى نهرين يرميان الى البحر المالح احدهما يعرف بحر رشيد ومنه يكون خليج الاسكندرية وثانيهما يعرف بحر دمياط وهذا البحر اذا وصل الى المنصورة يفترع منه نهر يعرف بحر اشموم يرمى الى بحيرة هنالك وباقيه يرمى الى البحر المالح عند دمياط وزيادة النيل هى من امطار كثيرة ببلاد الحبشة والله اعلم (واعلم أن الموزون من الدستورات المنجحة من حال الماء فان الاخف فى اكثر الاحوال افضل فهذا ما ذكره الرئيس ابن سيناء من صفات المياه الفاضلة واعتبر ما قاله تجد ذلك قد اجتمع فى ماء النيل * فأوله أن ماء النيل عين تمر على اراضى حرة ولا يغلب على تربه ما يمر به شئ من الاحوال والكيفيات الردية كمعادن النفط والشب والاملاح والكباريت ونحوها بل يمر على الاراضى التى تنبت الذهب بدليل ما يظهر فى الشطوط من قراضات الذهب وقد عانى جماعة تصويل الذهب من الرمل المأخوذ من شطوط النيل فربحوا منه مالا وفضيلة كون الذهب فى المال لا تنكر * الثانى أن النيل فى جريانه ابدا مكشوف للشمس والرياح * الثالث أن طينه من طين مسيل مياه مجتمعة من امطار تمر على اراضى حرة ويظهر لك ذلك من عطرية روائح الطين اذا نديته بماء * الرابع غمورة ماء النيل وشدة جريته التى تكاد تقصف العمد اذا اعترضتها وتدفع الاثقال العظيمة اذا عارضتها * الخامس بعد مبدا خروجه من مصبه فى البحر المالح وقد تقدم

من طول مسافته مالا تجده فى نهر غيره من انهار المعمور * السادس انحداره من علو فان الجنوب مرتفع عن الشمال لاسيما اذا صار الى الجنادل انحط من اعلى جبل مرتفع الى وادى مصر * وذكر ابن قتيبة فى كتاب غريب الحديث من حديث جرير بن عبد الله البجلى حين سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منزله بيلنسة فذكره الى أن قال وماؤنا يمتنع ان يجرى من علو فقال النبى صلى الله عليه وسلم خير الماء السنم اى ما كان ظاهرا على وجه الارض والسنم الماء على وجه الارض وكل شئ علا شيأ فقد تسنمه مأخوذ من سنام البعير لعلوه وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى ومزاجه من تسنيم اى يمزج بما ينزل من علو * السابع أنه يمر من الجنوب الى الشمال فتستقبله ريح الشمال الطيبة دائما * الثامن خفته فى الوزن وقد اعتبر ذلك غير مرة مع غيره من المياه فخف عنها فى الوزن * التاسع عذوبة طعمه وحسن اثره فى هضم الغذاء وانحداره عن المعدة بحيث انه يحدث بعد شربه جشاء وهذه صفات ان كنت ممن مارس العلم الطبيعى وعرف الطب فانه يعظم عندك قدر ماء النيل ويتبين لك غزارة نفعه وكثرة محاسنه * ويقال ان ذا القرنين كتب كتابا فيه ما شاهده من عجائب الدنيا فضمنه كل اعجوبة ثم قال فى آخره وليس ذلك بعجب بل العجب نيل مصر وقال بعض الحكماء لولا ما جعل الله فى نيل مصر من حكمة الزيادة فى زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل رى البلاد وهبوط الماء عنها عند بدء الزراعة لفسد اقليم مصر وتعذر سكناه لانه ليس فيه امطار كافية ولا عيون جارية تعم ارضه الا بعض اقليم الفيوم ولله در القائل

واها لهذا النيل اى عجيبة * بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى فى العام وهو مسلم * حتى اذا ما مل عاد يودع
مستقبل مثل الهلال فدهره * ابدا يزيد كما يريد ويرجع

وقال آخر

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى حين حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

وقال تميم بن المعز

يوم لنا بالنيل مختصر * ولكل يوم مسرة قصر
والسفن تجرى كالخيول بنا * صعدا وجيش الماء منحدر
وكأنما امواجه عكن * وكأنما داراته سرر

وقال ايضا

اما ترى الرعد بكى واشتكى * والبرق قد أومض واستضحكا
فاشرب على غيم بصنع الدجى * يضحك وجه الارض لما بكى
وانظر لماء النيل فى مده * كأنما صندل او مسكا

وقال آخر

والله مجرى النيل منه اذا الصبا * ارتنا به من برها عسكرا مجرا
بشط بنهر السمهرية ذبلا * وموج بنهر البيض هندية بترا
اذا مد حاكى الورد غضا وان صفا * حكى ماءه لونا ولو بعده مرا

وقال ابو الحسن محمد بن الوزير فى تدريج زيادة النيل وعظم منفعته

ارى ابدا كثيرا من قليل * وبدرا فى الحقيقة من هلال
فلا تعجب فكل خليج ماء * بمصر مسبب بخليج مال
زيادة اصبع فى كل يوم * زيادة اذرع فى حسن حال

وقال الشهاب احمد بن فضل الله العمرى

بمصر فضل باهر * لعيشها الرغد النضر
فى سفح روض يلتقى * ماء الحياة والخضر

وقال ابن قلاقس

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة * وانظر لما بعدها من حمرة الشفق
غابت وألقت شعاعا منه يخلفها * كأنما احترقت بالماء فى الغرق
وللهلال فهل وافى لينقذها * فى اثرها زورق قد صيغ من ورق

وقال بشر الملك ابن المنجم

يارب سامية فى الجو قمت بها * امد طرفى فى ارض من الافق
حيث الغشية فى التمثيل معتزل * اذا رآها جبان مات للفرق
للشمس غاربة للغرب ذاهبة * بالنيل مصفرة من هجمة الغسق
وللهلال انعطاف كالسنان بدا * من سورة الطعن لا من دمة الشفق

وقال القاضى الفاضل رحمة الله تعالى عليه وأما النيل فقد ملأ البقاع وانتقل من الاصبع الى الذراع فكأنما غار على الارض فغطاها وأغار عليها فاستقعدها وما تخطاها فما يوجد بمصر قاطع طريق سواه ولا مرغوب مرهوب الا اياه * ونيل مصر مخالف فى جريه لغالب الانهار فانه يجرى من الجنوب الى الشمال وغيره ليس كذلك الانهران فانهما يجريان كما يجرى النيل وهما نهر مكران بالسند ونهر الاربط وهو الذى يعرف اليوم بنهر العاصى فى حماة احد مدائن الشام * وقد عاب ماء النيل قوم قال ابو بكر ابن وحشية فى كتاب الفلاحة النبطية وأما ماء النيل فمخرجه من جبال وراء بلاد السودان يقال لها جبال القمر وحلاوته وزيادته يدلان على موقعه من الشمس أنها احرقته لا كل الاحراق بل أسخنته اسخانا طويلا لينا لا تزعجه الحرارة ولا تقوى عليه بحيث تبدد أجزاءه الرطبة وتبقى اجزاءه الراسخة بل يعتدل عليه فصار ماؤه لذلك حلوا جدا وصار كثرة شربه يعفن البدن ويحدث البثور والدماميل والقروح وصار أهل مصر الشاربون منه دمويين محتاجين الى استفراغ الدم عن ابدانهم فى كل مدة قصيرة فمن كان عالما منهم بالطبيعة فهو يحسن مداراة نفسه حتى يدفع عن جسمه ضرر ماء النيل والا فهو يقع فيما ذكرنا من العفونات وانتشار البثر والدماميل وذلك أن هذا الماء ناقص البرد عن سائر المياه قد صيرله الطبخ قواما هو أثخن من قوام الماء فصار اذا خالط الطعام فى الابدان كثر فيها الفضول الردية العفنة فيحدث من ذلك ما ذكرناه ودواء اهل مصر الذى يدفع عنهم ضرر ماء النيل ادمان شرب ربوب الفاكهة الحامضة القابضة وأخذ الادوية المستفرغة للفضول ولو زادت حرارة الشمس على ماء النيل وطال طبخها له لصار مالحا بمنزلة ماء البحار الراكدة التى لا حركة لها الا وقت جزر البحر وهبوب الرياح وهو أوفق للزروع والمنابت من الحيوان وقال ابن رضوان والنيل يمر بأمم كثيرة من السودان ثم يصير الى أرض مصر وقد غسل ما فى بلاد السودان من العفونات والاوساخ ويشق مارا بوسط أرض مصر من الجنوب الى الشمال الى أن يصب فى بحر الروم ومبدأ زيادته فى فصل الصيف وتنتهى زيادته فى فصل الخريف ويرتقى فى الجو منه فى اوقات مده رطوبات كثيرة بالتحلل الخفى فيرطب ذلك يبس الصيف والخريف واذا امتد النهر فاض على أرض مصر فغسل ما فيها من الاوساخ نحو جيف الحيوانات وأزبالها وفضول الآجام والنبات ومياه النقاع واحدر جميع ذلك معه وخالطه من تراب هذه الارض وطينها مقدار كثير من اجل سخافتها وباض فيه من السمك الذى تربى فيه وفى مياه النقائع ومن قبل ذلك تراه فى اول مدة يخضر لونه بكثرة ما يخالطه من مياه النقائع العفنة التى قد اجتمع فيها العرمض والطحلب واخضر لونها من عفنها ثم يتعكر حتى يصير آخر أمره مثل الحماة واذا صفا اجتمع منه فى الاناء طين كثير ورطوبة لزجة لها سهوكة ورائحة منكرة وهذا من اوكد الاشياء فى ظهور رداءة هذا الماء وعفنه وقد بين بقراط وجالينوس أن أسرع المياه الى العفن ما لطفته الشمس بمياه الامطار ومن شأن هذا الماء أن يصل الى أرض مصر وهو فى الغاية من اللطافة من شدة حرارة بلاد السودان فاذا اختلط به عفونات أرض مصر زاد ذلك فى استحالته ولذلك يتولد منه من انواع السمك شئ كثير جدا فان فضول الحيوانات والنبات وعفونة هذا الماء وبيض السمك يصير جميعها موادا فى تكون هذه الاسماك كما قال ارسطاطاليس فى كتاب الحيوان وذلك شئ ظاهر للحس فان كل شئ يتعفن يتولد من عفونته الحيوان ولهذا صار ما يتولد من الدود والفأر والثعابين والعقارب والزنابير والذباب وغيرها بأرض مصر كثيرا فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة

والرطوبة

والرطوبة الفضلية وانها ذات اجزاء كثيرة وان هواءها وماءها ارديان وربما انقطع النيل فى آخر الربيع واول الصيف من جهة الفسطاط فيعفن بكثرة ما يلقى فيه الى ان يبلغ عفنه الى أن يصير له رائحة منكرة محسوسة وظاهر أن هذا الماء اذا صار على هذه الحالة غير مزاج الناس تغيرا محسوسا وينبغى أن يستقى ماء النيل من الموضع الذى فيه جريه أشدّ والعفونة فيه أقل ويصفى كل انسان هذا الماء بحسب ما يوافق مزاجه أما المحرورون فى ايام الصيف فبالطباشير والطين الارمنى والمغرة والنبق المرضوض والزعرور المرضوض والخل وأما المبرودون فى ايام الشتاء فباللوز المر وداخل نوى المشمش والصعتر والشب وينبغى أن ينظف ما يروق ويشرب وان شئت أن تصفيه بأن تجعله فى آنية الخزف والفخار والجلود وما يحصل من ذلك بالرشح وان شئت طبخته بالنار وجعلته فى هواء الليل حتى يروق ثم تلطف منه ما يروق واستعمله * واذا ظهرت فيه كيفيات رديات فاطبخه بالنار ثم برده تحت السماء فى برودة الليل وصفه باخلاط الادوية التى ذكرتها وأجود ما اتخذ هذا الماء أن يصفى مرارا وذلك بأن يسخنه او يطبخه ثم يبرده فى هواء الليل ويلطف ما يروق منه فتصفيه أيضا بعض الادوية ثم تأخذ ما يروق فتجعله فى آنية تحصل فى برد الليل وتأخذ الرشح فتشربه واجعل آنية هذا الماء فى الصيف الخزف والفخار المعمولين فى طوبة والظروف الجرية والقرب ونحوها مما يبرد وفى الشتاء الانية الزجاج والمدهون وما يعمل فى الصيف من الفخار والخزف ويكون موضعه فى الصيف تحت الاسراب وفى مخاريق ريح الشمال وفى الشتاء بالمواضع الحارة ويبرد فى الصيف بأن يخلط معه ماء الورد ويؤخذ خرقة نظيفة ويشد فيها طباشير وبزر رجلة او خشخاش ابيض أو طين ارمنى أو مغرة ويلقى فيه كما يأخذ من بردها ولا يخالطه جسمها وتغسل ظروفه فى الصيف بالخزف المدقوق وبدقيق الشعير والباقلاء والصندل وفى الشتاء بالاشنان والسعد ويبخر بالمصطكى والعود وأردأ ما يكون ماء النيل بمصر عند فيضه وعند وقوف حركته فعند ذلك ينبغى ان يطبخ ويبالغ فى تصفيته بقلوب نوى المشمش وسائر ما يقطع لزوجته وأجود ما يكون فى طوبة عند تكامل البرد ومن اجل هذا عرفت المصريون بالتجربة أن ماء طوبة اجود المياه حتى صار كثير منهم يخزنه فى القوارير الزجاج والصينى ويشربه السنة كلها ويزعم انه لا يتغير وصاروا أيضا الا يصفونه فى هذا الزمان لظنهم أنه على غاية الخلاص وأما أنت فلا تسكن الى ذلك وصفه على اى حالة كان فالماء المخزون لا بدّ أن يتغير فهذا ما عندى من ذم ماء النيل وحاصله أن الماء تتغير كيفيته بما يمر عليه لا أن ذاته ردية فلا يهولنك ما تسمع فالامر الاما قلت لك واذا كان الضرر بحسب ما تغير من كيفيته لا من كميته فقد عرفت ما تعالجه به كى يزول ما يخالطه من الكيفيات الردية والله الموفق بمنه وكرمه

(ذكر عجائب النيل)

ومن عجائب النيل فرس البحر قال عبد الله بن احمد بن سليم الاسوانى فى كتاب اخبار النوبة ومسافة ما بين دنقلة الى اول بلد علوة اكثر مما بين دنقلة واسوان وفى ذلك من القرى والضياع والجزائر والمواشى والنخل والشجر والمقل والزرع والكرم اضعاف ما فى الجانب الذى يلى أرض الاسلام * وفى هذه الاماكن جزائر عظام مسيرة ايام فيها الجبال والوحوش والسباع ومفاوز يخاف فيها العطش وماء النيل ينعطف من هذه النواحى الى مطلع الشمس والى مغربها مسافة ايام حتى يصير الصعيد كالمنحدر وهى الناحية التى تبلغ العطوف من النيل الى المعدن المعروف بالشنكة وهى بلد معروف بشنقير ومنه يخرج القمرى وفرس البحر يكثر فى هذا الموضع * وحدثنى سيمون صاحب عهد علوة أنه أحصى فى جزيرة سبعين دابة منها وهى من دواب الشطوط فى خلق الفرس فى غلظ الجاموس قصيرة القوائم لها خف وهى فى ألوان الخيل بأعراف وآذان صغار كآذان الخيل وأعناقها كذلك وأذنابها مثل اذناب الجواميس ولها خرطوم عريض يظن الناظر اليها أن عليها مخلاة لها صهيل وأنياب لا يقوم حذاءها تمساح وتعترض المراكب عند الغضب فتغرقها ورعيها فى البر العشب وجلدها فيه متانة عظيمة يتخذ منه دبابيس انتهى * وهو كفرس البر الا انه اكبر عرفا وذنبا وأحسن لونا وحافره مشقوق كحافر البقر وجثته أكبر من الحمار بقليل وهو يأكل التمساح أكلا ذريعا ويقوى عليه قوة ظاهرة وربما خرج من الماء ونزا على فرس البر فيتولد بينهما فرس فى غاية الحسن * واتفق أن بعض الناس نزل على طرف النيل ومعه حجرة فخرج من الماء فرس أدهم عليه نقط بيض فنزا على الحجرة فحملت منه وولدت مهرا

عجيب الصورة فطمع فى مهر آخر فجاء بالحجرة والمهر الى ذلك الموضع فخرج الفرس من الماء وشم المهر ساعة ثم وثب الى الماء ومعه المهر فصار الرجل يتعهد ذلك المكان كثيرا فلم يعد الفرس ولا المهر اليه * (قال المسعودى) وفى نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من الحيوانات فمن ذلك السمك المعروف بالرعاد والواحدة فهو الذراع اذا وقعت فى شبكة الصياد ارتعدت يده وعضده فيعلم بوقوعها فيبادر الى أخذها واخراجها من شبكته ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك وقد ذكرها جالينوس وانها ان جعلت على رأس من به صداع شديد أو شقيقة وهى فى الحياة هدأ من ساعته قال ابن البيطار عن جالينوس هو الحيوان البحرى الذى يحدث الخدر وزعم قوم انه اذا ادنى من رأس من يشتكى الصداع سكن صداعه وان أدنى من مقعدة من انقلبت مقعدته اصلحها ولكن انا جربت الامرين جميعا فلم أجده يفعل ولا واحدا منهما فذكرت انى ادنيته من رأس المصدوع والحيوان ما هو حى لانى ظننت انه على هذه الحال يكون دواء يمكن أن يسكن الصداع بمنزلة الادوية فوجدته ينفع ما دام حيا قال ديسقوريدوس هو سمكة بحرية مخدرة اذا وضعت على الرأس الذى عرض له الصداع المزمن سكن شدة وجعه واذا احتمله ذو المقعدة التى تبرز الى خارج اصلحها وقال يونس الزيت الذى يطبخ فيه يسكن اوجاع المفاصل الحريفة اذا دهنت به قال ابن البيطار رأيت بساحل مدينة مالقة من بلاد الاندلس سمكة عريضة لون ظاهرها لون رعاد مصر سواء وباطنها أبيض وفعلها فى تخدير ماسكها كفعل رعاد مصر أو اشد الا انها لا تؤكل ألبتة وقال بعضهم اذا علقت المرأة شيأ من الرعاد عليها لم يطق زوجها البعد عنها وكذلك ان علق منها الرجل عليه لم تكد المرأة ان تفارقه * والسقنقور وهو صنف يتولد من السمك والتمساح فلا يشاكل السمك لان له يدين ورجلين ولا يشاكل التمساح لان ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرس وذنب التمساح مضرس ويتعالج بشحم السقنقور الجماع ولا يكون بمكان الا فى النيل وفى نهر مهران من أرض الهند ولقد بلغنى أن أقواما شووها وأكلوا منها فماتوا كلهم فى ساعة واحدة * والسقنقور قال ابن سيناء هو ورن يصاد من نيل مصر يقولون انه من نسل التمساح وأجود ما يصطاد فى الربيع وقال آخر انه فرخ التمساح فاذا خرج من البيض فما قصد الماء صار تمساحا وما قصد الرمل صار سقنقورا وقال ابن البيطار هو جنس من الجراد يجفف فى الخريف اذا شرب منه وزن درهمين من الموضع الذى يلى كلاه بشراب انهض الجماع وهو شديد الشبه بالورن يوجد بالرمال التى تلى نيل مصر فى نواحى صعيدها وهو مما يسعى فى البر ويدخل فى الماء يعنى النيل ولهذا قيل له الورن المائى لشبهه به ولدخوله فى الماء وهو يتولد من ذكر وانثى ويوجد للذكر خصيتان كخصيتى الديك فى خلقهما وموضعهما وانائه تبيض فوق العشرين بيضة وتدفنها فى الرمل وللذكر من السقنقور احليلان وللانثى فرجان والسقنقور يعض الانسان ويطلب الماء فان وجده دخل فيه وان لم يجده بال وتمرغ فى بوله واذا فعل ذلك مات المعضوض لوقته وسلم السقنقور فان اتفق ان سبق المعضوض الى الماء فدخله قبل دخول السقنقور الماء وتمرغه فى بوله مات السقنقور لوقته وسلم المعضوض والافضل الذكر منه والابلغ فى نفع الباه بل هو المخصوص بذلك دون الانثى والمختار من أعضائه ما يلى اصل ذنبه ويحاذى سرته والوقت الذى يصاد فيه الربيع فانه يكون فيه هائجا للسفاد فيكون فى هذا الوقت ابلغ نفعا فاذا أخذ ذكى فى يوم صيده فانه ان ترك حيا زال شحمه وهزل لحمه وضعف فعله ثم يقطع رأسه وطرف ذنبه من غير استئصال ويشق جوفه طولا ويلقى ما فيه الا كلاه وكيسه فاذا انظف حشى ملحا وخيط الشق وعلق منكوسا فى ظل معتدل الهواء حتى يجف ويؤمن فساده ثم يرفع فى اناء متخرقة للهواء كالسلال المضفورة من قضبان شجر الصفصاف والخوص ونحوه الى وقت الحاجة ولحمه طريا حار رطب والمجفف أشد حرارة وأقل رطوبة ولا يوافق استعماله من مزاجه حار يابس وانما يوافق ذوى الامزجة الباردة الرطبة وخاصة لحمه وشحمه انهاض شهوة الجماع ويهيج الشبق ويقوى الانعاظ وينفع امراض العصب الباردة وخاصة ما يلى سرته ويحاذى ذنبه وينفع مفردا ومركبا واستعماله مفردا أبلغ والمقدار منه بعد تجفيفه من مثقال الى ثلاثة مثاقيل بحسب السن والمزاج والبلد والوقت الحاضر يسحق ويذاب بشراب أو ماء العسل او نقيع الزبيب او يذر على صفرة بيض الدجاج النيمرشت ويحسى وكذلك يفعل بلحمه اذا أخذ منه من درهم الى درهمين وذر على صفرة البيض بمفرده او مع مثله بزر جرجير مسحوق ولا يوجد السقنقور الا فى بلاد الفيوم خاصة واكثر صيده فى الاربعينات اذا اشتد البرد وخرج

من الماء الى البر فحينئذ يصاد * وقال المسعودى والفرس الذى يكون فى نيل مصر اذا خرج من الماء وانتهى وطؤه الى بعض المواضع من الارض علم لاهل مصر أن النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه لا يختلف ذلك عندهم لطول العادات والتجارب وفى ظهوره من الماء ضرر بأرباب الارض والغلات لرعيه الزرع وذلك أنه يظهر من الماء فى الليل فينتهى الى موضع من الزرع ثم يولى عائدا الى الماء فيرعى فى حال رجوعه من الموضع الذى انتهى اليه مسيره ولا يرعى من ذلك الذى قد رعاه شيأ فى ممره واذا رعى ورد الماء وشرب ثم قذف ما فى جوفه فى مواضع شتى فينبت ذلك مرة ثانية واذا كثر ذلك من فعله واتصل ضرره بأرباب الضياع طرحوا له من الترمس فى الموضع الذى يعرف خروجه منه مكاكى كثيرة مبذرا مبسوطا فيأكله ثم يعود الى الماء فاذا شرب منه ربا الترمس فى جوفه وانتفخ فينشق جوفه منه ويموت ويطفو على الماء ويقذف به الى الساحل والموضع الذى يرى فيه لا يرى به تمساح وهو على صورة الفرس الا ان حوافره وذنبه بخلاف ذلك وجبهته واسعة * وقال المسبحى ان الصنف المعروف بالبلطى من اصناف السمك اول ما عرف بنيل مصر فى ايام الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ولم يكن يعرف قبله فى النيل وظهر فى ايامه أيضا سمك يعرف بالبيس وتماسحى بالبيس لانه يشبه البورى الذى بالبحر الملح فالتبس به وغالب الظن انهما من اسماك البحر الملح دخلت فى الحلو * ومن حيوان البحر التمساح قال ابن البيطار التمساح حيوان معروف يكون فى الانهار الكبار وفى النيل كثيرا ويوجد فى نهر مهران وقد يوجد فى بلاد السودان وهو الورن النيلى * وقال بن زهران كل حيوان يحرك فكه الاسفل اذا اكل ما خلا التمساح فانه يحرك فكه الاعلى دون الاسفل وشحم التمساح اذا عجن بالسمن وجعل فيه فتيلة واسرج فى نهر أو أجمة لم ينعق ضفادعها ما دامت تقد وان طيف بجلد تمساح حول قرية ثم علق على سطح دهليز لم يقع البرد فى تلك القرية واذا عض التمساح انسانا فوضع على العضة شحم التمساح برأ من ساعته وان لطخ بشحمه جبهة كبش نطاح نفر كل كبش يناطحه وهرب منه ومرارته يكتحل بها للبياض فى العين فيذهبه وكبده يبخر بها المجنون فيبرأ وزبل التمساح يزيل البياض من العين الحديث والقديم وان قلعت عيناه وهو حى وعلقت على من به جذام أوقفه ولم يزد عليه شئ وان علق شئ من التى بالجانب الايمن على رجل زاد فى جماعه وعينه اليمنى لمن يشتكى عينه اليمنى وعينه اليسرى لمن يشتكى عينه اليسرى وشحمه اذا اذيب بدهن ورد نفع من وجع الصلب والكليتين وزاد فى الباه واذا أخذ دم التمساح وخلط به هليلج واملج وطلى به على الوضح أذهبه وغير لونه واذا طلى به على الجبهة والصدغين نفع من وجع الشقيقة واذا أكل لحمه اسفيدباجا سمن البدن النحيف وشحمه اذا قطر بعد أن يذاب فى الاذن الوجعة نفعها وان أدمن تقطيره فى الاذن نفع من الصمم واذا دهن به صاحب حى الربع سكنت عنه ولحمه ردىء الكيموس وقال المسعودى وكذلك التمساح آفته من دويبة تكون فى سواحل النيل وجزائره وهو أن التمساح لا دبر له وما يأكله يتكون فى بطنه دودا فاذا اذاه ذلك خرج الى البر فاستلقى على قفاه فاغرا فاه فينتقض اليه طير الماء وقد اعتاد ذلك منه فيأكل ما يظهر من جوفه من ذلك الدود العظيم وتكون تلك الدويبة قد كمنت فى الرمل فتثب الى حلقه وتصير الى جوفه وتخرج فيخبط بنفسه الى الارض ويطلب قعر النيل حتى تأتى الدويبة على حشو جوفه ثم تخرق جوفه وتخرج وربما قتل نفسه قبل أن تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدويبة تكون نحو الذراع على صورة ابن عرس ذات قوائم شتى ومخالب ويقال ان بجبال فسطاط مصر طلسم معمول بها وكان التمساح لا يستطيع القرب حوله بل كان اذا بلغ حدوده انقلب واستلقى على ظهره فيعبث به الصبيان الى أن يجاوز نهاية المدينة ثم يعود مستويا ويعود الى طباعه ثم ان هذا الطلسم كسر فبطل فعله ويقال ان التمساح يبيض كبيض الاوز وربما وجد فيه جرادين صغار ثم تكبر حتى يبلغ طولها عشرة اذرع وتزداد طولا كلما عمرت والتمساح يعيش ستين مرة فى حركة واحدة ومحل واحد وسنه اليسرى نافعة للنافض

* (ذكر طرف من تقدمة المعرفة بحال النيل فى كل سنة) *

قال ابن رضوان فى شرح الاربع وقد يحتاج امر النيل الى شروط منها أن تكون الامطار متوالية فى نواحى الجنوب قبل مده وفى وقت مده ولذلك وجب ان يكون النيل متى كانت الزهرة وعطارد مقترنين فى مدخل الصيف كثير الزيادة لرطوبة الهواء ومتى كان المريخ او بعض المنازل فى ناحية الجنوب فى مدخل الربيع

او الصيف كان قليلا لقلة الامطار فى تلك الناحية ومنها أن تكون الرياح شمالية لتوقف جريه فأما الجنوبية فانها تسرع انحداره ولا تدعه يلبث فاذا علمت ما يكون فى ناحية الجنوب من كثرة الامطار او قلتها وفى ناحية مصر من هبوب الرياح فى فصلى الربيع والصيف فقد علمت حال النيل كيف يكون وتعلم من حاله ما يعرض بمصر من الخصب والجدب وقال ابو سامر ابن يونس المنجم عن بطليموس اذا أردت أن تعلم مقدار النيل فى الزيادة والنقصان فانظر حين تحل الشمس برج السرطان الى الزهرة وعطارد والقمر فان كانت احوالها جيدة وهى برية من النحوس فالنيل يمتد ويبلغ الحاجة به وان كانت احوالها بخلاف ذلك وهى ضعيفة فانكس القول فان ضعف بعضها وصلح البعض توسط الحال فى النيل والضابط أن قوة الثلاثة تدل على تمام النيل وضعفها على توسطه وانتحاسها او احتراقها أو وقوعها فى بعدها الابعد من الارض على النقص وانه قليل جدا الا أن احتراق الزهرة فى برج الاسد يستنزل الماء من الجنوب وقال ابو معشر ينظر عند انتقال الشمس الى برج السرطان الى الزهرة وعطارد والقمر فان كانت فى سيرها الاكبر فان زيادة النيل عظيمة وان كانت فى سيرها الاوسط فاعرف كم اكثر مسيرها وكم اقله وانسبه بحسب ما تراه وان كانت بطيئة السير فزيادة النيل قليلة وان اختلف مسير هذه الثلاثة فكان بعضها فى مسيره الاكبر وبعضها بطىء السير فغلب اقواها وامزج الدلالة وقل بحسب ذلك * وقالت القبط ينظر أول يوم من شهر برمودة ما الذى يوافقه من ايام الشهر العربى فما كان من الايام فزد عليه خمسة وثمانين فما بلغ خذ سدسه فانه يكون عدد مبلغ النيل من الاذرع فى تلك السنة قالوا ومن المعتبر أيضا فى امر النيل أن تنظر اليوم الذى تفطر فيه النصارى اليعاقبة بمصر وما بقى من الشهر العربى فزد عليها اربعا وثلاثين فما بلغ أسقطه اثنى عشر فان بقى بعد ذلك الاسقاط من العدد زيادة على اثنى عشر فهو زيادة النيل من الاذرع فى تلك السنة مع الاثنى عشر وان بقى اثنى عشر فهى سنة رديئة قالوا واذا كان العاشر من الشهر العربى موافقا لشهر أبيب والقمر فى برج العقرب فان كان مقارنا لقلب العقرب كان النيل مقصرا والا فهو جيد قالوا وينظر اول يوم من بؤنة فان هبت الريح شمالا فى بكرة النهار كان النيل عاليا وان هبت وسط النهار فانه متوسط وان هبت آخر النهار كان نيلا قاصرا وان لم تهب لم يطلع تلك السنة وقيل يعتبر هكذا اول خميس من بؤنة * ومن المعتبر الذى جربته أناسنين وأخبرنى بعض شيوخنا أنه جربه وأخبره به من جربه فصح أن ينظر اول يوم من مسرى كم مبلغ النيل فزد عليه ثمانية اذرع فما بلغ فهو زيادة النيل فى تلك السنة ومما اشتهر عند اهل مصر وجربته ايضا فصح أن يؤخذ قبل عيد ميكائيل بيوم فى وقت الظهر من الطين الذى مر عليه ماء النيل قطعة زنتها ستة عشر درهما سواء وترفع فى اناء مغطى الى بكرة يوم عيد ميكائيل وتوزن فما زاد على وزنها من الخراريب كان مبلغ النيل فى تلك السنة بقدر عدد ذلك الخراريب لكل خروبة ذراع ومن ذلك أخذ شئ من دقيق القمح وعجنه بماء النيل فى اناء فخار وقد عمل من طين مر عليه النيل وتركه مغطى طول ليلة عيد ميكائيل فاذا وجد بكرة يوم العيد قد اختمر بنفسه كان النيل تاما وافيا وان وجد لم يختمر دل على قصور هذا النيل ثم ينظرون مع ذلك بكرة يوم عيد ميكائيل الى الهواء فان هبت طيابا فهو نيل كبير وان هبت غير طياب فهو نيل مقصر لاسيما ان هبت مريسيا فانه يكون نيلا كافا والشان عندهم انما هو فى دلالة العلامات الثلاث على شئ واحد فأما اذا اختلف فالحكم لا يكاد يصح * وقال ابو الريحان محمد بن احمد البيرونى فى كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية وذكر اصحاب التجارب أنه اذا تقدم فعمد الى لوح وزرع عليه من كل زرع ونبات حتى اذا كانت الليلة الخامسة والعشرون من شهر تموز أحد شهور الروم وهى آخر أيام الباحور ثم وضع اللوح بارزا لطلوع الكواكب وغروبها لا يحول بينه وبين السماء شئ فان كل ما لا يزكو فى تلك السنة من الزروع تصبح اصفر وما يصلح ريعه منها يبقى أخضر وكذلك كانت القبط تفعل ذلك وقد جربت انا على ما أفادنيه بعض الكتاب انه اذا حصل مطر ولو قل فى شهر بابة ينظر ما ذلك اليوم من الشهر القبطى فانه يبلغ سعر الويبة القمح تلك السنة من الدراهم بعدد ما مضى من ايام شهر بابة وأول ما جربت هذا انه وقع مطر فى بابة يوم الخميس الخامس عشر منه فبيعت الويبة تلك السنة بخمسة عشر درهما

* (ذكر عيد الشهيد) *

ومما كان يعمل بمصر عيد الشهيد وكان من انزه فرج مصر وهو اليوم الثامن من بشنس احد شهور القبط

ويزعمون

ويزعمون أن النيل بمصر لا يزيد فى كل سنة حتى يلقى النصارى فيه تابوتا من خشب فيه اصبع من اصابع اسلافهم الموتى ويكون ذلك اليوم عيدا ترحل اليه النصارى من جميع القرى ويركبون فيه الخيل ويلعبون عليها ويخرج عامة اهل القاهرة ومصر على اختلاف طبقاتهم وينصبون الخيم على شطوط النيل وفى الجزائر ولا يبقى مغنٍّ ولا مغنية ولا صاحب لهو ولا رب ملعوب ولا بغيّ ولا مخنث ولا ماجن ولا خليع ولا فاتك ولا فاسق الا ويخرج لهذا العيد فيجتمع عالم عظيم لا يحصيهم الا خالقهم وتصرف اموال لا تنحصر ويتجاهر هنالك بما لا يحتمل من المعاصى والفسوق وتثور فتن وتقتل اناس ويباع من الخمر خاصة فى ذلك اليوم بما ينيف على مائة ألف درهم فضة عنها خمسة آلاف دينار ذهبا وباع نصرانى فى يوم واحد باثنى عشر ألف درهم فضة من الخمر وكان اجتماع الناس لعيد الشهيد دائما بناحية شبرى من ضواحى القاهرة وكان اعتماد فلاحى شبرى دائما فى وفاء الخراج على ما يبيعونه من الخمر فى عيد الشهيد ولم يزل الحال على ما ذكر من الاجتماع كذلك الى أن كانت سنة اثنتين وسبعمائة والسلطان يومئذ بديار مصر الملك الناصر محمد بن قلاون والقائم بتدبير الدولة الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو يومئذ استادار السلطان والامير سيف الدين سلار نائب السلطنة بديار مصر فقام الامير بيبرس فى ابطال ذلك قياما عظيما وكان اليه امور ديار مصر هو والامير سلار والناصر تحت حجرهما لا يقدر على شبع بطنه الا من تحت ايديهما فتقدم امر الامير بيبرس أن لا يرمى اصبع فى النيل ولا يعمل له عيد وندب الحجاب ووالى القاهرة لمنع الناس من الاجتماع بشبرى على عادتهم وخرج البريد الى سائر أعمال مصر ومعهم الكتب الى الولاة باجهار النداء واعلانه فى الاقاليم بأن لا يخرج احد من النصارى ولا يحضر لعمل عيد الشهيد فشق ذلك على اقباط مصر كلهم من اظهر الاسلام منهم وزعم أنه مسلم ومن هو باق على نصرانيته ومشى بعضهم الى بعض وكان منهم رجل يعرف بالتاج بن سعيد الدولة يعانى الكتابة وهو يومئذ فى خدمة الامير بيبرس وقد احتوى على عقله واستولى على جميع اموره كما هى عادة ملوك مصر وامرائها من الاتراك فى الانقياد لكتابهم من القبط سواء منهم من أسرّ الكفر ومن جهر به * ومازال الاقباط بالتاج الى أن تحدث مع مخدومه الامير بيبرس فى ذلك وخيل له من تلف مال الخراج اذا بطل هذا العيد فان اكثر خراج شبرا انما يحصل من ذلك وقال له متى لم يعمل العيد لم يطلع النيل ابدا ويخرب اقليم مصر لعدم طلوع النيل ونحو ذلك من هتف القول وتمويه المكر فثبت الله الامير بيبرس وقواه حتى اعرض عن جميع ما زخرفه من القول واستمر على منع عمل العيد وقال للتاج ان كان النيل لا يطلع الا بهذا الاصبع فلا يطلع وان كان الله سبحانه هو المتصرف فيه فنكذب النصارى فبطل العيد من تلك السنة ولم يزل منقطعا الى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وعمر الملك الناصر محمد بن قلاون الجسر فى بحر النيل ليرمى قوة التيار عن بر القاهرة الى ناحية الجيزة كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب فطلب الامير يلبغا اليحياوى والامير الطنبغا الماردينى من السلطان أن يخرجا الى الصيد ويغيبا مدة فلم تطب نفسه بذلك لشدة غرامه بهما وتهتكه فى محبتهما وأراد صرفهما عن السفر فقال لهما نحن نعيد عمل عيد الشهيد فيكون تفرجكما عليه أنزه من خروجكما الى الصيد وكان قد قرب اوان وقت عيد الشهيد فرضيا منه بذلك وأشيع فى الاقليم اعادة عمل عيد الشهيد فلما كان اليوم الذى كانت العادة بعمله فيه ركب الامراء النيل فى الشخاتير بغير حراريق واجتمع الناس من كل جهة وبرز أرباب الغناء وأصحاب اللهو والخلاعة فركبوا النيل وتجاهروا بما كانت عادتهم المجاهرة به من انواع المنكرات وتوسع الامراء فى تنوع الاطعمة والحلاوات وغيرها توسعا خرجوا فيه عن الحد فى الكثرة البالغة وعم الناس منهم ما لا يمكن وصفه لكثرته واستمروا على ذلك ثلاثة ايام وكانت مدة انقطاع عمل عيد الشهيد منذ أبطله الامير بيبرس الى أن أعاده الملك الناصر ستا وثلاثين سنة واستمر عمله فى كل سنة بعد ذلك الى أن كانت سنة خمس وخمسين وسبعمائة تحرك المسلمون على النصارى وعملت اوراق بما قد وقف من اراضى مصر على كنائس النصارى ودياراتهم وألزم كتاب الامراء بحمل ذلك وحمل الاوراق الى ديوان الاحباس فلما تحررت الاوراق اشتملت على خمسة وعشرين ألف فدان كلها موقوفة على الديارات والكنائس فعرضت على امراء الدولة القائمين بتدبير الدولة فى ايام الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاون وهم الامير شيخو العمرى والامير صرغتمش والامير طاز فتقرر الحال على أن ينعم بذلك على الامراء زيادة على اقطاعاتهم وألزم النصارى بما يلزمهم من الصغار وهدمت لهم عدة كنائس كما هو مذكور فى موضعه من هذا الكتاب

فى سنة ٦٦ ست وخمس مائة وكان على حفره أبو المنجا بن شعيا اليهودى فعرف به وقد ذكر خبر هذا الخليج عند ذكر مناظر الخلفاء ومواضع نزههم من هذا الكتاب (الخليج الناصرى) هذا الخليج فى ظاهر المقس حفره الناصر محمد بن قلاوون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد ذكر فى موضعه من هذا الكتاب

(ذكر ما كانت عليه ارض مصر فى الزمن الاول)

قال المسعودى وقد كانت ارض مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية بأخبار شأن العالم يركب ارضها ماء النيل و ينبسط على بلاد الصعيد الى أسفل الارض وموضع الفسطاط فى وقتنا هذا وكان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل بين اسوان والنوبة الى أن عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه وما يتصل من النوبة بتياره من موضع الى موضع فنضب الماء عن بعض المواضع من بلاد مصر وسكن الناس بلاد مصر ولم يزل الماء ينضب عن ارضها قليلا قليلا حتى امتلأت ارض مصر من المدن والعمائر وطرقوا الماء وحفروا له الخلجان وعقدوا فى وجهه المسنيات الى أن خفى ذلك على ساكنيها لان طول الزمان ذهب بمعرفة اول سكناهم كيف كان انتهى قلت ومما ذكر أرسطاليس فى كتاب الآثار العلوية ان ارض مصر كان النيل ينبسط عليها فيطبقها كأنها بحر ولم يزل الماء ينضب عنها و ييبس ما علا منها اولا فاولا ويسكن الى أن امتلأت بالمدن والقرى والناس ويقال ان الناس كانوا قبل سكنى مدينة منف يسكنون بسفح الجبل المقطم فى منازل كثيرة نقروها وهى المغاير التى فى الجبل المقابل لمنف من قبلى المقطم فى الجبل المتصل بدير القصير الذى يعرف بدير البغل المطل على ناحية طرى ومن وقف عند اهرام نهيارأى المغاير فى الشرقى و بينهما النيل ومن صعد من طرا الى الجبل وسار فيه دخلها وهى مغاير متسعة وفيها مغاير تنفذ الى القلزم تسع المغارة منها أهل مدينة واذا دخلها أحد ولم يهتد على ما يدله على المخرج هلك فى تحيره ويقال كانت مصر جرداء لا نبات بها فاقطعها متوشلخ بن اخنوخ بن برد بن مهلاييل بن قينان ابن انوش بن شيث بن آدم لطائفة من اولاده فلما نزلوها وجدوا انيلها قد سد ما بين الجبلين فنضب الماء عن ارض زروعها فأخرجت الارض بركاتها ثم بعد زمان اخذها عنقام الاول بن عرياب ابن آدم بالغلبة ونسل بها خلقا عظيما وجهز لقتال اولاد برد سبعين ألف مقاتل وحفر من البحر الى الجبل نهرا عرضه اربعون قصبة ليمنع من يأتيه فأتاه بنو برد فلم يجدوا اليه سبيلا ففزعوا الى الله تعالى فبعث على ارض مصر نارا

(ذكر اعمال الديار المصرية وكورها)

اعلم ان ارض مصر كانت فى الزمن الاول الغابر مائة وثلاثا وخمسين كورة فى كل كورة مدينة وثلثمائة وخمس وستون كورة فلما عمرت ارض مصر بعد بخت نصر صارت على خمس وثمانين كورة ثم تناقصت حتى جاء الاسلام وفيها اربعون عامرة بجميع قراها لاتنقص شيأ ثم استقرت ارض مصر كلها فى الجملة على قسمين الوجه القبلى وهو ما كان فى جهة الجنوب من مدينة مصر والوجه البحرى وهو ما كان فى شمال مدينة مصر * وقد قسمت الارض جميعها قبليها وبحريها على ستة وعشرين عملا وهى الشرقية والمرتاحية والدقهلية والابوانية وثغر دمياط * الوجه البحرى جزيرة قويسنا والغربية والسمنودية والدنجاوية والمنوفية والستراوية وفوه والمزاحمتين وجزيرة بنى نصر والبحيرة واسكندرية وضواحيها وحوف دمسيس * والوجه القبلى الجيزة والاطفيحية والبوصيرية والفيومية والبهنساوية والاشمونين والمنفلوطية والاسيوطية والاخميمة والقوصية وهى أيضا ثلاثون كورة وهى كورة الفيوم وفيها مائة وست وخمسون قرية ويقال انها كانت ثلثمائة وستين قرية وكورة منف ووسيم خمس وخمسون قرية وكورة الشرقية وتعرف بالاطفيحية سبع عشرة قرية وقرى اهناس ومنها تمن ثمانى قرى وكورتا دلاص وبوصير ست قرى وكورة اهناس خمس وتسعون قرية سوى الكفور وكورة البهنسا مائة وعشرون قرية وكورة القشن سبع وثلاثون قرية وكورة طحا سبع وثلاثون قرية وحوز سنودة ثمان قرى وكورة الاشمونين مائة وثلاث وثلاثون قرية وكورة أسفل انصنا احدى عشرة قرية وكورة سيوط سبع وثلاثون قرية وكورة شطب ثمان قرى وكورة اعلا انصنا ثنتا عشرة قرية وكورة قهقوه سبع وثلاثون قرية وكورة اخميم والدير ثلاث وستون قرية وكورة السبابة والواحات ثلاث وستون قرية سوى الكفور وكورة هو عشرون قرية وكورة فاو ثمان قرى وكورة قنا سبع قرى وكورة دندرة عشر قرى وكورة قفط ثنتان وعشرون قرية وكورة الاقصر خمس قرى وكورة اسنا خمس قرى وكورة أرمنت سبع قرى وكورة

اسوان سبع قرى فجميع قرى الصعيد ألف وثلاث واربعون قرية سوى المنى والكفور فى ثلاثين كورة * كورة أسفل الارض الحوف الشرقى خمس وستون قرية كورة اتريب مائة وثمان قرى سوى المنى والكفور كورة بنو سبع وثمانون قرية سوى المنى والكفور كورة ثمانمائة وخمسون قرية سوى المنى والكفور كورة بسطة تسع وثلاثون قرية كورة طرابية ثمان وعشرون قرية منها السدير والهامة وفاقوس كورة هربيط ثمان عشرة قرية سوى المنى والكفور كورة صا وابليل ست واربعون قرية منها سنهور والفرما والعريش فجميع قرى الحوف الشرقى خمسمائة وتسع وعشرون قرية سوى المنى فى سبع كور بطن الريف كورتا دمسيس ومنوف مائة واربع قرى سوى المنى والكفور كورة تاطورة منوف اثنتان وسبعون قرية سوى المنى والكفور كورة سخا مائة وخمس عشرة قرية كورة بيده والافراحون ثلاث وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة البشرود أربع وعشرون قرية كورة نقرا ثنتا عشرة قرية سوى المنى كورة بيا وبوصير ثمان وثمانون قرية سوى المنى والكفور كورة سمنود مائة وثمان وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة نوسا احدى وعشرون قرية سوى المنى كورة الاوسية اربعون قرية سوى المنى كورة النجوم اربعون قرية سوى المنى تنيس ودمياط ثلاث عشرة قرية سوى المنى وهى شئ كثير * الاسكندرية الحوف الغربى كورة صا ثلاث وسبعون قرية سوى المنى والكفور كورة شباس اثنان وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة البدقون ثلاث وأربعون قرية سوى المنا والكفور وحيز البدقون تسع وعشرون قرية سوى المنا والكفور الشراك والقرى كورة ترنوط ثمان قرى كورة خربتا اثنان وستون قرية سوى المنا والكفور كورة قرطسا اثنان وعشرون قرية سوى المنا والكفور كورتا مصيل والمليدس تسع وأربعون قرية سوى المنا كورتا احنور ورشيد سبع عشرة قرية البحيرا والحصص بالاسكندرية والكرومات والبعل ومريوط ومدينة الاسكندرية ولوبية ومراقبه مائة وأربع وعشرون قرية سوى المنى فالحوف الغربى أربعمائة وتسع وأربعون قرية سوى المنى فى ثلاث عشرة كورة قال المسبحى فى تاريخه تصير قرى مصر أسفل الارض الفا وأربعمائة وتسعا وثلاثين قرية ويكون جميع ذلك بالصعيد وأسفل الارض ألفين وثلثمائة وخمسا وتسعين قرية * وقال القاضى أبو عبد الله محمد ابن سلامة القضاعى أرض مصر قسمين فمن ذلك صعيدها وهو ما يلى مهب الجنوب منها وأسفل ارضها وهو ما يلى مهب الشمال منها فقسم الصعيد على ثمان وعشرين كورة فمن ذلك كورة الفيوم كلها وكورتا منف ووسيم وكورة الشرقية وكورتا دلاص وأبوصير وكورة اهناس وكورتا القشن والبهنسا وكورة طحا وحيز سنوده وكورة بويط وكورتا الاشمونين وأسفل انصنا وأعلاها وشطب قوص قام وكورة سيوط وكورة قهقوه وكورتا اخميم والدير وابشاية وكورة هو وأقناو وفاوودندرة وكورة قفط والاقصر وكورة اسنا وارمنت وكورة اسوان فهذه كور الصعيد ومن ذلك كور اسفل الارض وهى خمس وعشرون كورة وفى نسخة ثلاث وثلاثون كورة وفى نسخة ثمان وثلاثون كورة فمن ذلك كور الحوف الشرقى كورتا اتريب وعين شمس وكورتا بنى ونى وكورتا بسطه وطرابية وكورة هربيط وكورة صا وابليل وكورة الفرما والعريش والجفار ومن ذلك كور بطن الريف من أسفل الارض كورة بيا وبوصير وكورتا سمنود وبوسا وكورتا الاوسية والنجوم وكورة دقهلة وكورتا تنيس ودمياط ومنها كورة الجزيرة من أسفل الارض وكورة دمسيس ومنوف وكورة طوه ومنوف وكورة سخا وبيدة والافراحون وكورة نقين وديصا وكورة البشرود * ومن ذلك كور الحوف الغربى كورة صا وكورة شباس وكورة البدقون وحيزها وكورة الخيس والشراك وكورة خربتا وكورة قرطسا ومصيل والمليدس وكورتا اخنا والبحيرة ورشيد وكورة الاسكندرية وكورة مريوط وكورة لوبية ومراقية * ومن كور القبلة كرى الحجاز وهى كورة الطور وفاران وكورة راية والقلزم وكورة ايلة وحيزها ومدين وحيزها والعونيد والحوراء وحيزها ثم كورة بدا وشغب * وذكر من له معرفة بالخراج وأمر الديوان انه وقف على جريدة عتيقة بخط ابن عيسى بقطر ابن شغا الكاتب القبطى المعروف بالبولس متولى خراج مصر للدولة الاخشيدية يشتمل على ذكر كور مصر وقراها الى سنة خمس وأربعين وثلثمائة ان قرى مصر بالصعيدين وأسفل الارض ألفان وثلثمائة وخمس وتسعون قرية منها بالصعيد تسعمائة وست وخمسون قرية وبأسفل الارض ألف وأربعمائة وتسع وثلاثون قرية وهذا عددها فى الوقت الذى جردت فيه الجرايد المذكورة وقد تغيرت بعد ذلك بخراب ما خرب منها * وقال

ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد رضى الله عنه لما ولى الوليد بن رفاعة مصر خرج ليحصى عدة أهلها وينظر فى تعديل الخراج عليهم فأقام فى ذلك ستة أشهر بالصعيد حتى بلغ اسوان ومعه جماعة من الكتاب والاعوان يكفونه ذلك بجد وتشمير وثلاثة أشهر باسفل الارض وأحصوا من القرى اكثر من عشرة آلاف قرية فلم يحصر فى أصغر قرية منها أقل من خمسمائة جمجمة من الرجال الذين تفرض عليهم الجزية يكون جملة ذلك خمسة آلاف ألف رجل والذى استقر عليه الحال فى دولة الناصر محمد بن قلاوون ان الوجه القبلى ستة اعمال وهى من قوص وهو أجلها ومنه اسوان وغرب قوله وعمل اخميم وعمل سيوط وعمل منفلوط وعمل الاشمونين وبها الطحاوية وعمل البهنساوية الغربى وهو عبارة عن قرى على غربى المنهى المار الى الفيوم وعمل الفيوم وعمل اطفيح وعمل الجيزة * والوجه البحرى ستة اعمال عمل البحيرا وهو متصل البر بالاسكندرية وبرقة وعمل الغربية جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين وهما البحر المار مسكبه عند دمياط ويسمى الشرقى والبحر الثانى مسكبه عند رشيد ويسمى الغربى والمنوفية ومنها ابيار وجزيرة بنى نصر وعمل قليوب وعمل الشرقية وعمل اشموم طناح ومنها الدقهلية والمرتاحية وهنالك موقع ثغر البرلس وثغر رشيد والمنصورة وفى هذا الوجه الاسكندرية ودمياط ولا عمل لهما * واما الواحات فنقطعة وراء الوجه القبلى مغاربة لم تعد فى الولايات ولا فى الاعمال ولا يحكم عليها والى السلطان وانما يحكم عليها من قبل مقطعها والله تعالى أعلم

ذكر ما كان يعمل فى اراضى مصر من حفر الترع وعمارة الجسور ونحو ذلك من أجل ضبط ماء النيل وتصريفه فى اوقاته

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبى حبيب وكانت فريضة مصر بحفر خليجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة ألف وعشرين ألفا معهم المساحى والطوريات والاداة يعتقبون ذلك لا يدعونه شتاء ولا صيفا * وعن أبى قبيل قال زعم بعض مشايخ أهل مصر أن الذى كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها انهم كانوا يقرّون القرى فى ايدى أهلها كل قرية بكراء معلوم لا ينقص عنهم الا فى كل أربع سنين من اجل الظمأ وتنقل اليسار فاذا مضت أربع سنين نقض ذلك وعدّل تعديلا جديدا فيرفق بمن استحق الرفق ويزاد على من احتمل الزيادة ولا يحمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم فاذا جبى الخراج وجمع كان للملك من ذلك الربع خالصا لنفسه يصنع به ما يريد والربع الثانى لجنده ومن يقوى به على حربه وجباية خراجه ودفع عدوه والربع الثالث فى مصلحة الارض وما تحتاج اليه من جسورها وحفر خليجها وبناء قناطرها والقوة للزارعين على زرعهم وعمارة أرضهم والربع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كل قرية من خراجها فيدفن ذلك لنائبة تنزل او جائحة باهل القرية فكانوا على ذلك والذى يدفن فى كل قرية من خراجها هى كنوز فرعون التى يتحدث الناس بها انها ستظهر فيطلبها الذين يتبعون الكنوز * وذكر ان بعض فراعنة مصر جبى خراج مصر اثنين وسبعين ألف ألف دينار وان من عمارته انه ارسل وبيته الى أسفل الارض والى الصعيد فى وقت تنظيف الارض والترع من العمارة فلم يوجد لها أرض فارغة تزرع فيها وذكر انه كان عند تناهى العمارة يرسل باربع وبيات برسيم الى الصعيد والى أسفل الارض والى أى كورة فان وجد لها موضعا خاليا فزرعت فيه ضرب عنق صاحب الكورة وكانت مصر يومئذ عمارتها متصلة أربعين فرسخا فى مثلها والفرسخ ثلاثة اميال والبريد أربعة فراسخ فتكون عشرة برد فى مثلها ولم تزل الفراعنة تسلك هذا المسلك الى أيام فرعون موسى فانه عمرها عدلا وسماحة وتتابع الظمأ ثلاث سنين فى أيامه فترك لاهل مصر خراج ثلاث سنين وأنفق على نفسه وعساكره من خزائنه ولما كان فى السنة الرابعة اضعف الخراج واستمر فاعتاض ما انفق * وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص رضى الله عنه ان اسئل المقوقس عن مصر من اين تأتى عمارتها وخرابها فسأله عمرو فقال له المقوقس عمارتها وخرابها من وجوه خمسة ان يستخرج خراجها فى ابان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم ويرفع خراجها فى ابان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم ويحفر فى كل سنة خلجانها وتسد ترعها وجسورها ولا يقبل مطل أهلها يريد البغى فاذا فعل هذا فيها عمرت وان عمل فيها بخلافه خربت * وعن زيد ابن أسلم عن أبيه قال لما استبطأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن العاص رضى الله عنه فى الخراج كتب اليه ان ابعث الى رجلا من أهل مصر فبعث اليه رجلا قديما من القبطة فاستخبره عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن

مصر وخراجها قبل الاسلام فقال يا أمير المؤمنين كان لا يؤخذ منها شئ الا بعد عمارتها وعاملك لا ينظر الى العمارة وانما يأخذ ما ظهر له كأنه لا يريدها الا لعام واحد فعرف عمر رضي الله عنه ما قال وقبل من عمرو ما كان يعتذر به * وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه للمقوقس انت وليت مصر فبم تكون عمارتها قال بخصال ان تحفر خلجانها وتسد جسورها وترعها ولا يؤخذ خراجها الا من غلتها ولا يقبل مطل أهلها ويوفى لهم بالشروط ويدر الارزاق على العمال لئلا يرتشوا ويرتفع عن أهلها المعاون والهدايا ليكون قوة لهم فبذلك تعمر ويرجى خراجها * ويقال ان ملوك مصر من القبط كانوا يقسمون الخراج أربعة اقسام قسم لخاصة الملك وقسم لارزاق الجند وقسم لمصالح الارض وقسم يدخر لحادثة تحدث فينفق فيها * ولما ولى عبيد الله ابن الحبحاب خراج مصر لهشام بن عبد الملك خرج بنفسه فمسح ارض مصر كلها عامرها وغامرها مما يركبه النيل فوجد فيها مائة ألف ألف فدان والباقي استبحر وتلف واعتبر مدة الحرث فوجدها ستين يوما والحراث يحرث خمسين فدانا وكانت محتاجة الى أربعمائة ألف وثمانين ألف حراث

(ذكر مقدار خراج مصر في الزمن الاول)

قال ابن وصيف شاه وكان منقاوس قسم خراج البلاد أرباعا فربع للملك خاصة يعمل فيه ما يريد وربع ينفق في مصالح الارض وما تحتاج اليه من عمل الجسور وحفر الخلج وتقوية أهلها على العمارة وربع يدفن لحادثة تحدث أو نازلة تنزل وربع للجند وكان خراج البلد ذلك الوقت مائة ألف ألف وثلاثة آلاف ألف دينار وقسمها على مائة وثلاث كور بعدة الآلاف ويقال ان كل دينار عشرة مثاقيل من مثاقيلنا الاسلامية وهي اليوم خمس وثمانون كورة أسفل الارض خمس وأربعون كورة والصعيد أربعون كورة وفي كل كورة كاهن يدبرها وصاحب حرب وارتفع مال البلد على يد ندارس بن صا مائتى ألف ألف دينار وخمسين ألف ألف دينار وفي ايام كلكن بن خربتا بن ماليق بن ندارس مائة ألف ألف دينار وبضعة عشر ألف ألف دينار ولما زالت دولة القبط الاولى من مصر وملكها العمالقة أختل أمرها وكان فرعون الاول يجبيها تسعين ألف ألف دينار يخرج من ذلك عشرة آلاف ألف دينار لمصالح البلد وعشرة آلاف ألف دينار لمصالح الناس من أولاد الملوك وأهل التعفف وعشرة آلاف ألف دينار لاولياء الامر والجند والكتاب وعشرة آلاف ألف دينار لمصالح فرعون ويكنزون لفرعون خمسين ألف ألف دينار * وبلغ خراج مصر في أيام الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف عليه السلام سبعة وتسعين ألف ألف دينار فاحب ان يتمه مائة ألف ألف دينار فأمر بوجوه العمارات واصلاح جسور البلد والزيادة في استنباط الارض حتى بلغ ذلك وزاد عليه * وقال ابن دحية وجبيت مصر في أيام الفراعنة فبلغت تسعين ألف ألف دينار بالدينار الفرعوني وهو ثلاثة مثاقيل من مثقالنا المعروف الآن بمصر الذي هو أربعة وعشرون قيراطا كل قيراط ثلاث حبات من قمح فيكون بحساب ذلك مائتى ألف ألف وسبعين ألف ألف دينار مصرية وذكر الشريف الحراني انه وجد في بعض البرابي بالصعيد مكتوبا باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف عليه السلام وهو الريان بن الوليد من أموال مصر بحق الخراج مما يوجبه الخراج وسائر وجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير تأول ولا اصطهاد ولا مشاحة على عظيم فضل كان في يد المؤدي لرسمه وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظرا للعاملين وتقوية لحالهم من العين أربعة وعشرون ألف ألف دينار واربعمائة ألف دينار وذكر ما فيه كما في خبر الحسن بن على الاسدي * وقال الحسن بن على الاسدي اخبرني أبي قال وجدت في كتاب قبطي باللغة الصعيدية مما نقل الى اللغة العربية ان مبلغ ما كان يستخرج لفرعون مصر بحق الخراج الذي يوجد وسائر وجوه الجبايات لسنة كاملة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير اصطهاد ولا مناقشة على عظيم فضل كان في يد المؤدي لرسمه وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان رفقا بالمعاملين وتقوية لهم من العين أربعة وعشرين ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار من جهات مصر وذلك ما يصرف في عمارة البلاد لحفر الخلج واتقان الجسور وسد الترع اصلاح السبل والساعة ثم في تقوية من يحتاج التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة في البذار وغير ذلك وثمن الآلات واجرة من يستعان به من الاجراء لحمل الاصناف وسائر نفقات تطريق أراضيهم من العين ثمانمائة ألف دينار ولما يصرف في ارزاق الاولياء الموسومين بالسلاح وحملته والغلمان واشياعهم مع ألف كاتب موسومين

بالدواوين سوى اتباعهم من الخزان ومن يجرى مجراهم وعدتهم مائة ألف وأحد عشر ألف رجل من العين ثمانية آلاف ألف دينار ولما يصرف فى الارامل والايتام فرضا لهم من بيت المال وان كانوا غير محتاجين اليه حتى لا تخلو آمالهم من بر يصل اليهم من العين اربعمائة ألف دينار ولما يصرف فى كهنة برابيهم وأئمتهم وسائر بيوت صلواتهم من العين مائة ألف دينار ولما يصرف فى الصدقات وينادى فى الناس برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة فليحضر فلا يرد عند ذلك أحد والامناء جلوس فاذا روى رجل لم تجر عادته بذلك افرد بعد قبض ما يقبضه حتى اذا فرق المال واجتمع من هذه الطائفة عدة دخل امناء فرعون اليه وهنوه بتفرقة المال ودعوا له بالبقا والسلامة وأنهوا حال الطائفة المذكورة فيأمر بتغيير شعثها بالحمام واللباس ويمد الاسمطة ويأكلون ويشربون ثم يستعلم من كل واحد سبب فاقته فان كان من آفة الزمان رد عليه مثل ما كان واكثر وان كان عن سوء رأى وضعف تدبير ضمه الى من يشرف عليه ويقوم بالامر الذى يصلح له من العين مائتا ألف دينار فذلك جملة ما تبين وفصل فى هذه الجهات المذكورة من العين تسعة آلاف ألف وثمانمائة ألف دينار ويحصل بعد ذلك ما يتسلمه فرعون فى بيوت أمواله عدة لنوائب الدهر وحادثات الزمان من الاموال أربعة عشر ألف ألف دينار وستمائة ألف دينار وقيل لبعضهم متى عقدت مصر تسعين ألف ألف دينار قال فى الوقت الذى ارسل فرعون يوبية مح الى اسفل الارض والى الصعيد فلم يجد لها موضعا تبذر فيه لشغل جميع البلاد بالعمارة

* (ذكر ما عمله المسلمون عند فتح مصر فى الخراج وما كان من أمر مصر فى ذلك مع القبط) *

قال زهير بن معاوية حدثنا سهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مدها ودينارها ومنعت مصر أردبها وعدتم من حيث بدأتم قال أبو عبيد قد اخبر صلى الله عليه وسلم بما لم يكن وهو فى علم الله كائن فخرج لفظه على لفظ الماضى لانه ماض فى علم الله وفى اعلامه بهذا قبل وقوعه ما دل على اثبات نبوته ودل على رضاه من عمر رضى الله عنه ما وظفه على الكفرة من الخراج فى الامصار * وفى تفسير المنع وجهان * أحدهما انه علم انهم سيسلمون ويسقط عنهم ما وظف عليهم فصاروا مانعين باسلامهم ما وظف عليهم تدل عليه قوله وعدتم من حيث بدأتم * وقيل معناه انهم يرجعون عن الطاعة والاول احسن * وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن لهيعة لما فتح عمرو بن العاص مصر صولح على جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا صبى ولا شيخ على دينارين دينارين فأحصوا ذلك فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف وعن هشام بن أبى رقية اللخمى ان عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر ان من كتمنى كنزا عنده فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من أرض الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فارسل اليه فسأله فأنكر وجحد فحبسه فى السجن وعمرو يسأل عنه هل تسمعونه يسأل عن أحد فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب فى الطور فأرسل عمرو الى بطرس فنزع خاتمه ثم كتب الى ذلك الراهب ان ابعث الى بما عندك وختمه بخاتمه فجاء الرسول بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها مالكم تحت الفسقية الكبيرة فأرسل عمرو الى الفسقية فحبس عنها الماء ثم قلع البلاط الذى تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا ذهبا مصريا مضروبة فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد فاخرج القبط كنوزهم شفقا ان يبغى على أحد منهم فيقتل كما قتل بطرس * وعن يزيد بن أبى حبيب ان عمرو بن العاص استحل مال قبطى من قبط مصر لانه استقر عنده انه يظهر الروم على عورات المسلمين ويكتب اليهم بذلك فاستخرج منه بضعا وخمسين أردبا دنانير قال ابن عبد الحكم وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه يبعث الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه وكانت فريضة مصر لحفر خلجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة ألف وعشرين ألفا معهم الطور والمساحى والاداة يعتقبون ذلك لا يدعون ذلك صيفا ولا شتاء ثم كتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان تختم فى رقاب أهل الذمة بالرصاص ويظهروا مناطقهم ويجزوا نواصيهم ويركبوا على الاكف عرضا ولا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه الموسى ولا يضربوا على النساء ولا على الولدان ولا تدعهم يتشبهون بالمسلمين فى ملبوسهم * وعن يزيد بن أسلم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى امراء الاجناد ان لا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه الموسى وجزيتهم أربعون درهما على أهل الورق وأربعة دنانير على أهل الذهب وعليهم من ارزاق المسلمين من الحنطة والزيت مدان من حنطة وثلاثة

اقساط من زيت فى كل شهر لكل انسان من أهل الشام والجزيرة وودك وعسل لا ادرى كم هو ومن كان من أهل مصر فأردب فى كل شهر لكل انسان ولا أدرى كم الودك والعسل وعليهم من البز الكسوة التى يكسوها أمير المؤمنين الناس ويضيفون من نزل بهم من أهل الاسلام ثلاثة أيام وعلى أهل العراق خمسة عشر صاعا لكل انسان ولا ادرى كم لهم من الودك وكان لا يضرب الجزية على النساء والصبيان وكان يختم فى اعناق رجال أهل الجزية وكانت ويبة عمر فى ولاية عمرو بن العاص ستة امداد قال وكان عمرو بن العاص لما استوثق له الامر أقر قبطها على جباية الروم فكانت جبايتهم بالتعديل اذا عمرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم وان قل أهلها وخربت نقصوا فيجتمع عرافوا كل قرية وامراءها ورؤساء أهلها فيتناظرون فى العمارة والخراب حتى اذا أقروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة الى الكور ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع ثم يجتمع كل قرية بقسمهم فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الارض العامرة فيبتدئون ويخرجون من الارض فدادين لكنائسهم وحماماتهم ومعدياتهم من جملة الارض ثم يخرج منها عدد الضيافة للمسلمين ونزول السلطان فاذا فرغوا انظروا لما فى كل قرية من الصناع والاجراء فقسموا عليهم بقدر احتمالهم فان كانت فيهم جالية قسموا عليها بقدر احتمالها وقلما كانت تكون الا للرجل الشاب أو المتزوج ثم ينظرون ما بقى من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الارض ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم فان عجز أحد منهم وشكا ضعفا عن زرع أرضه وزعوا ما عجز عنه على ذوى الاحتمال وان كان منهم من يريد الزيادة اعطى ما عجز عنه أهل الضعف فان تشاحوا قسموا ذلك على عدتهم وكانت قسمتهم على قراريط الدنانير أربعة وعشرين قيراطا يقسمون الارض على ذلك ولذلك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا وجعل لكل فدان عليهم نصف أردب قمح وويبتين من شعير الا القرظ فلم يكن عليه ضريبة والويبة ستة امداد وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأخذ ممن صالحه من المعاهدين ما سمى على نفسه لا يضع من ذلك شيأ ولا يزيد عليه ومن نزل منهم على الجزية ولم يسم شيأ يؤديه نظر عمر فى امره فاذا احتاجوا خفف عنهم وان استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم * وقال هشام ابن ابى رقية اللخمى قدم صاحب اخنا على عمرو بن العاص رضى الله عنه فقال له اخبرنا ما على أحدنا من الجزية فنصبر لها فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة لو أعطيتنى من الارض الى السقف ما أخبرتك ما عليك انما انتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم ومن ذهب الى هذا الحديث ذهب الى ان مصر فتحت عنوة * وعن يزيد بن ابى حبيب قال قال عمر بن عبد العزيز ايما ذمى أسلم فان اسلامه يحرز له نفسه وماله وما كان من أرض فانها من فىء الله على المسلمين وايما قوم صالحوا على جزية يعطونها فمن أسلم منهم كانت داره وارضه لبقيتهم * وقال الليث كتب الى يحيى بن سعيد أن ما باع القبط فى جزيتهم وما يؤخذون به من الحق الذى عليهم من عبد أو وليدة او بعير أو بقرة او دابة فان ذلك جائز عليهم فمن ابتاعه منهم فهو غير مردود عليهم ان أيسروا وما أكروا من أرضهم فجائز كراؤه الا ان يكون يضر بالجزية التى عليهم فلعل الارض ان ترد عليهم ان اضرت بجزيتهم وان كان فضلا بعد الجزية فانا نرى كراءها جائزا لمن يكراها منهم قال يحيى فنحن نقول الجزية جزيتان جزية على رؤس الرجال وجزية جملة تكون على أهل القرية يؤخذ بها اهل القرية فمن هلك من اهل القرية التى عليهم جزية مسماة على القرية ليست على رؤس الرجال فانا نرى أن من هلك من أهل القرية ممن لا ولد له ولا وارث ان أرضه ترجع الى قريته فى جملة ما عليهم من الجزية ومن هلك ممن جزيته على رؤس الرجال ولم يدع وارثا فان أرضه للمسلمين وقال الليث عن عمر بن عبد العزيز الجزية على الرؤس وليست على الارضين يريد أهل الذمة * وكتب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح أن يجعل جزية موتى القبط على احيائهم وهذا يدل على أن عمر كان يرى أن ارض مصر فتحت عنوة وان الجزية انما هى على القرى فمن مات من اهل القرى كانت تلك الجزية ثابتة عليهم وان موت من مات منهم لا يضع عنهم من الجزية شيأ قال ويحتمل أن تكون مصر فتحت بصلح فذلك الصلح ثابت على من بقى منهم وان موت من مات منهم لا يضع عنهم مما صالحوا عليه شيأ * قال الليث وضع عمر بن عبد العزيز الجزية على من أسلم من اهل الذمة من اهل مصر وألحق فى الديوان صلح من أسلم منهم فى عشائر من اسلموا على يديه وكانت تؤخذ قبل ذلك ممن أسلم وأول من اخذ الجزية ممن أسلم من اهل الذمة الحجاج بن يوسف ثم كتب عبد الملك بن مروان الى

عبد العزيز بن مروان ان يضع الجزية على من اسلم من اهل الذمة فكلمه ابن حجيرة فى ذلك فقال اعيذك بالله
ايها الامير أن تكون اول من سن ذلك بمصر فوالله ان اهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم فكيف نضعها
على من أسلم منهم فتركهم عند ذلك * وكتب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح أن تضع الجزية عمن اسلم
من اهل الذمة فان الله تبارك وتعالى قال فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور
رحيم وقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين
الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون * وكتب حيان بن شريح الى عمر بن
عبد العزيز اما بعد فان الاسلام قد أضر بالجزية حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشرين ألف دينارا تممت
بها عطاء اهل الديوان فان رأى امير المؤمنين ان يامر بقضائها فعل * فكتب اليه عمر اما بعد فقد بلغنى كتابك
وقد وليتك جند مصر وانا عارف بضعفك وقد أمرت رسولى بضربك على رأسك عشرين سوطا فضع الجزية عن
من اسلم قبح الله رأيك فان الله انما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جابيا ولعمرى لعمر أشقى من
أن يدخل الناس كلهم الاسلام على يديه قال ولما استبطأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخراج من قبل عمرو
ابن العاص كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر امير المؤمنين الى عمرو بن العاص سلام
الله عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فانى فكرت فى امرك والذى انت عليه فاذا ارضك
ارض واسعة عريضة رفيعة وقد أعطى الله أهلها عددا وجلدا وقوة فى بر وبحر وأنها قد عالجتها الفراعنة
وعملوا فيها عملا محكما مع شدة عتوهم وكفرهم فعجبت من ذلك وأعجب مما عجبت انها لا تؤدى نصف ما كانت
تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جدب ولقد اكثرت فى مكاتبتك فى الذى على ارضك من الخراج
وظننت أن ذلك سيأتينا على غير نزر ورجوت أن تفيق فترفع الى ذلك فاذا أنت تأتينى بمعاريض تعبأ بها
لا توافق الذى فى نفسى لست قابلا منك دون الذى كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك ولست أدرى مع ذلك
ما الذى نفرك من كتابى وقبضك فلئن كنت مجزيا كافيا صحيحا ان البراءة لنافعة وان كنت مضيعا نطعا ان الامر
لعلى غير ما تحدث به نفسك وقد تركت ان ابتلى ذلك منك فى العام الماضى رجاء أن تفيق فترفع الى ذلك وقد
علمت انه لم يمنعك من ذلك الا أن عمالك عمال السوء وما توالس عليك وتلفف اتخذوك كهفا وعندى باذن الله دواء
فيه شفاء عما أسألك فيه فلا تجزع ابا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاه فان النهر يخرج الدر والحق أبلج
ودعنى وما عنه تلجلج فانه قد برح الخفا والسلام * فكتب اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعبد
الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص سلام الله عليك فانى احمد الله الذى لا اله الا هو اما بعد فقد بلغنى
كتابك أمير المؤمنين فى الذى استبطأنى فيه من الخراج والذى ذكر فيها من عمل الفراعنة قبلى واعجابه من
خراجها على ايديهم ونقص ذلك منها مذ كان الاسلام ولعمرى للخراج يومئذ أوفر واكثر والارض اعمر لانهم
كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب فى عمارة أرضهم منا مذ كان الاسلام وذكرت ان النهر يخرج الدر فحلبتها حلبا
قطع درها واكثرت فى كتابك وانبت وعرضت وتربت وعلمت أن ذلك عن شئ تخفيه على غير خبر فجئت لعمرى
بالمقطعات المقذعات ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق ولقد عملنا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولمن بعده فكنا نحمد الله مؤدين لاماناتنا حافظين لما عظم الله من حق ائمتنا نرى غير ذلك قبيحا
والعمل به شينا فتعرف ذلك لنا وتصدق فيه قلبنا معاذ الله من تلك الطعم ومن شر الشيم والاجتراء على كل مأثم
فأمض عملك فان الله قد نزهنى عن تلك الطعم الدنية والرغبة فيها بعد كتابك الذى لم تستبق فيه عرضا ولم تكرم فيه اخا
والله يا ابن الخطاب لانا حين يراد ذلك منى أشد غضبا لنفسى ولها انزاها واكراما وما عملت من عمل ارى عليه فيه
متعلقا ولكنى حفظت ما لم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت يغفر الله لك ولنا وسكت عن اشياء كنت بها عالما
وكان اللسان بها منى ذلولا ولكن الله عظم من حقك ما لا يجهل * فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه من
عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فانى قد عجبت من
كثرة كتبى اليك فى ابطائك بالخراج وكتابك الى بثنيات الطرق وقد علمت انى لست أرضى منك الا بالحق البين
ولم اقدمك الى مصر أجعلها لك طعمة ولا لقومك ولكنى وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن
سياستك فاذا اتاك كتابى هذا فاحمل الخراج فانما هو فئ المسلمين وعندى من قد تعلم قوم محصورون والسلام *

فكتب اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فقد أتانى كتاب امير المؤمنين يستبطئنى فى الخراج ويزعم انى احيد عن الحق وانكث عن الطريق وانى والله ما ارغب عن صالح ما تعلم ولكن اهل الارض استنظرونى الى ان تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيرا من أن نخرق بهم فيصيروا الى بيع ما لا غنى بهم عنه والسلام * وقال الليث بن سعد رضى الله عنه جباها عمرو بن العاص رضى الله عنه اثنى عشر ألف ألف دينار وجباها المقوقس قبله لسنة عشرين الف الف دينار فعند ذلك كتب اليه عمر بن الخطاب بما كتب وجباها عبد الله بن سعد بن سرح حين استعمله عثمان رضى الله عنه على مصر أربعة عشر الف الف دينار فقال عثمان لعمرو بن العاص بعد ما عزله عن مصر يا أبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الاول قال أضررتم بولدها فقال ذلك ان لم يمت الفصيل * وكتب معاوية بن ابى سفيان الى وردان وكان قد ولى خراج مصر أن زد على كل رجل من القبط قيراطا فكتب اليه وردان كيف نزيد عليهم وفى عهدهم أن لا يزاد عليهم شئ فعزله معاوية وقيل فى عزل وردان غير ذلك * وقال ابن لهيعة كان الديوان فى زمان معاوية أربعين ألفا وكان منهم اربعة آلاف فى مائتين مائتين فأعطى مسلمة بن مخلد أهل الديوان عطياتهم وعطيات عيالهم وارزاقهم ونوائب البلاد من الجسور وأرزاق الكتبة وحملان القمح الى الحجاز ثم بعث الى معاوية بستمائة ألف دينار فضل * وقال ابن عفير فلما نهضت الابل لقيهم برح بن كسحل المهرى فقال ما هذا ما بال مالنا يخرج من بلادنا ردوه فردوه حتى وقف على باب المسجد فقال أخذتم عطياتكم وأرزاقكم وعطاء عيالكم ونوائبكم قالوا نعم قال لا بارك الله لهم فيه خذوه فساروا به * وقال بعضهم جبى عمرو بن العاص عشرة آلاف دينار فكتب اليه عمر بن الخطاب بعجزه ويقول له جباية الروم عشرون ألف ألف دينار فلما كان العام المقبل جباه عمرو اثنى عشر ألف ألف دينار * وقال ابن لهيعة جبى عمرو بن العاص الاسكندرية الجزية ستمائة ألف دينار لانه وجد فيها ثلاثمائة ألف من اهل الذمة فرض عليهم دينارين دينارين والله تعالى أعلم

(ذكر انتقاض القبط وما كان من الاحداث فى ذلك)

خرج الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال كيف أنتم اذا لم تجبوا دينارا ولا درهما قالوا وكيف نرى ذلك كائنا يا ابا هريرة قال اى والذى نفس أبى هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق قالوا عم ذلك قال تنتهك ذمة الله وذمة رسوله فيشد الله عز وجل قلوب اهل الذمة فيمنعون ما فى أيديهم قال ابو عمرو محمد بن يوسف الكندى فى كتاب امراء مصر وفى امرة الحر بن يوسف أمير مصر كتب عبد الله بن الحبحاب صاحب خراجها الى هشام بن عبد الملك بأن ارض مصر تحتمل الزيادة فزاد على كل دينار قيراطا فانتقضت كورة تنو وتمى وقربيط وطرابيه وعامة الحوف الشرقى فبعث اليهم الحر بأهل الديوان فحاربوهم فقتل منهم بشر كثير وذلك اول انتقاض القبط بمصر وكان انتقاضهم فى سنة سبع ومائة ورابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة أشهر ثم انتقض اهل الصعيد وحارب القبط عمالهم فى سنة احدى وعشرين ومائة فبعث اليهم حنظلة بن صفوان أمير مصر اهل الديوان فقتلوا من القبط ناسا كثيرا وظفر بهم وخرج بحيش رجل من القبط فى سمنود فبعث اليه بعبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير امير مصر فقتل يحنس فى كثير من اصحابه وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة وخالفت القبط برشيد فبعث اليهم مروان بن محمد الجعدى لما دخل مصر فارا من بنى العباس بعثمان بن ابى نسعة فهزمهم وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابى صفرة أمير مصر بناحية سخا ونابذوا العمال وأخرجوهم وذلك فى سنة خمسين ومائة وصاروا الى شبرا سنباط وانضم اليهم اهل البشرود والاريسية والنجوم فأتى الخبر يزيد بن حاتم فعقد لنصر بن حبيب المهلبى على أهل الديوان ووجوه مصر فخرجوا اليهم فبيتهم القبط وقتلوا من المسلمين فألقى المسلمون النار فى عسكر القبط وانصرف المسلمون الى مصر منهزمين وفى ولاية موسى بن على بن رباح على مصر خرج القبط ببلهيب فى سنة ست وخمسين ومائة فخرج اليهم عسكر فهزمهم ثم انتقضوا مع من انتقض فى سنة ست عشرة ومائتين فأوقع بهم الافشين فى ناحية البشرود حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين عبد الله المأمون فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فبيعوا وسبى اكثرهم ومن حينئذ أذل الله القبط فى جميع أرض مصر وخذل شوكتهم فلم

يقدر أحد منهم على الخروج ولا القيام على السلطان وغلب المسلمون على القرى فعاد القبط من بعد ذلك الى كيد الاسلام وأهله باعمال الحيلة واستعمال المكر وتمكنوا من النكاية بوضع أيديهم فى كتاب الخراج وكان للمسلمين فيهم وقائع يأتى خبرها فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

(ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع معاشا وما كان فى نزولهم من الاحداث)

قال الكندى وفى ولاية الوليد بن رفاعة الفهمى على مصر نقلت قيس الى مصر فى سنة تسع ومائة ولم يكن بها أحد منهم قبل ذلك الا ما كان من فهم وعدوان فوفد ابن الحبحاب على هشام بن عبد الملك فسأله أن ينقل الى مصر منهم ابياتا فأذن له هشام فى لحاق ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم الى مصر على أن لا ينزلهم بالفسطاط فعرض لهم ابن الحبحاب وقدم بهم فانزلهم الحوف الشرقى وفرقهم فيه ويقال ان عبيد الله بن الحبحاب لما ولاه هشام بن عبد الملك مصر قال ما أرى لقيس فيها حظا الا لناس من جديلة وهم فهم وعدوان فكتب الى هشام ان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرف هذا الحى من قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم وانى قدمت مصر ولم أر لهم حظا الا ابياتا من فهم وفيها كور ليس فيها أحد وليس يضر بأهلها نزولهم معهم ولا يكسر ذلك خراجا وهى بلبيس فان رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحى من قيس فليفعل فكتب اليه هشام انت وذاك فبعث الى البادية فقدم عليه مائة أهل بيت من بنى نصر ومائة أهل بيت من بنى سليم فأنزلهم بلبيس وأمرهم بالزرع ونظر الى الصدقة من العشور فصرفها اليهم فاشتروا ابلا فكانوا يحملون الطعام الى القلزم وكان الرجل يصيب فى الشهر العشرة دنانير واكثر ثم أمرهم باشتراء الخيول فجعل الرجل يشترى المهر فلا يمكث الاشهرا حتى يركب وليس عليهم مؤونة فى علف ابلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحملوا اليهم فوصل اليهم خمسمائة أهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك فأقاموا سنة فأتاهم نحو من خمسمائة أهل بيت فصار ببلبيس ألف وخمسمائة اهل بيت من قيس حتى اذا كان زمن مروان بن محمد وولى الحوثرة بن سهيل الباهلى مصر مالت اليه قيس فمات مروان وبها ثلاثة آلاف اهل بيت ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم * وفى سنة ثمان وسبعين ومائة كشف اسحاق بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس أمير مصر أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة اجحفت بهم فخرج عليه اهل الحوف وعسكروا فبعث اليهم الجيوش وحاربهم فقتل من الجيش جماعة فكتب الى أمير المؤمنين هارون الرشيد يخبره بذلك فعقد لهرثمة بن اعين فى جيش عظيم وبعث به الى مصر فنزل الحوف وتلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا بأداء الخراج فقبل هرثمة منهم واستخرج خراجه كله ثم ان اهل الحوف خرجوا على الليث بن الفضل البيودى أمير مصر وذلك انه بعث بمساح يمسحون عليهم أراضى زرعهم فانتقصوا من القصبة اصابع فتظلم الناس الى الليث فلم يسمع منهم فعسكروا وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم الليث فى أربعة آلاف من جند مصر فى شعبان سنة ست وثمانين ومائة فالتقى معهم فى رمضان فانهزم عنه الجند فى ثانى عشره وبقى فى نحو المائتين فحمل بمن معه على اهل الحوف فهزمهم حتى بلغ بهم غيفة وكان التقاؤهم على أرض جب عميرة وبعث الليث الى الفسطاط بثمانين رأسا من رؤس القيسية ورجع الى الفسطاط وعاد اهل الحوف الى منازلهم ومنعوا الخراج فخرج ليث الى أمير المؤمنين هارون الرشيد فى محرم سنة سبع وثمانين ومائة وسأله أن يبعث معه بالجيوش فانه لا يقدر على استخراج الخراج من اهل الحوف الا بجيش يبعث معه وكان محفوظ بن سليم بباب الرشيد فرفع محفوظ الى الرشيد يضمن له خراج مصر عن آخره بلا سوط ولا عصا فولاه الخراج وصرف ليث بن الفضل عن صلات مصر وخراجها وفى ولاية الحسين بن جميل امتنع اهل الحوف من اداء الخراج فبعث امير المؤمنين هارون الرشيد يحيى بن معاذ فى امرهم فنزل بلبيس فى شوال سنة احدى وتسعين ومائة وصرف الحسين بن جميل عن امارة مصر فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة وولى مالك بن دلهم وفرغ يحيى بن معاذ من امر الحوف وقدم الفسطاط فى جمادى الآخرة فورد عليه كتاب الرشيد يأمره بالخروج اليه فكتب الى اهل الحوف ان اقدموا حتى أوصى بكم مالك بن دلهم وأدخل بينكم وبينه فى أمر خراجكم فدخل كل رئيس منهم من اليمانية والقيسية وقد أعد لهم القيود فأمر بالابواب فأخذت ثم دعا بالحديد فقيدهم وتوجه بهم للنصف من رجب منها * وفى امارة عيسى بن يزيد الجلودى على مصر ظلم صالح ابن شيرزاد عامل الخراج الناس وزاد عليهم فى خراجهم فانتقض أهل اسفل الارض وعسكروا فبعث

عيسى بابنه محمد فى جيش لقتالهم فنزل بلبيس وحاربهم فحاص من المعركة بنفسه ولم ينج أحد من اصحابه وذلك فى صفر سنة اربع عشرة ومائتين فعزل عيسى عن مصر وولى عمير بن الوليد التميمى فاستعد لحرب اهل الحوف وسار فى جيوشه فى ربيع الآخر فزحفوا عليه واقتتلوا فقتل من اهل الحوف جمع وانهزموا فتبعهم عمير فى طائفة من اصحابه فعطف عليه كمين لاهل الحوف فقتلوه لست عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر فولى عيسى الجلودى ثانيا وسار اليهم فلقيهم بمنية مطر فكانت بينهم وقعة آلت الى أن انهزم منهم الى الفسطاط واحرق ما ثقل عليه من رحله وخندق على الفسطاط وذلك فى رجب وقدم ابواسحاق بن الرشيد من العراق فنزل الحوف وأرسل الى أهله فامتنعوا من طاعته فقاتلهم فى شعبان ودخل وقد ظفر بعدة من وجوههم الى الفسطاط فى شوال ثم عاد الى العراق فى المحرم سنة خمس عشرة ومائتين بجمع من الاسارى فلما كان فى جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين انتقض أسفل الارض بأسره عرب البلاد وقبطها واخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لسوء سيرة عمال السلطان فيهم فكانت بينهم وبين عساكر الفسطاط حروب امتدت الى أن قدم الخليفة عبد الله أمير المؤمنين المأمون الى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى بن منصور الرافقى وكان على امارة مصر وأمر بحل لوائه وأخذه بلباس البياض عقوبة له وقال لم يكن هذا الحدث العظيم الاعن فعلك وفعل عمالك حملتم الناس ما لا يطيقون وكتمتنى الخبر حتى تفاقم الامر واضطرب البلد * ثم عقد المأمون على جيش بعث به الى الصعيد وارتحل هو الى سخا وبعث بالافشين الى القبط وقد خلعوا الطاعة فأوقع بهم فى ناحية البشرود وحصرهم حتى نزلوا على حكم امير المؤمنين فحكم فيهم المأمون بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فسبى أكثرهم وتتبع المأمون كل من يومى اليه بخلاف فقتل ناسا كثيرا ورجع الى الفسطاط فى صفر ومضى الى حلوان وعاد فارتحل لثمان عشرة خلت من صفر وكان مقامه بالفسطاط وسخا وحلوان تسعة واربعين يوما وكان خراج مصر قد بلغ فى ايام المأمون على حكم الانصاف فى الجباية اربعة آلاف ألف دينار ومائتى ألف دينار وسبعة وخمسين ألف دينار * ويقال ان المأمون لما سار فى قرى مصر كان يبنى له بكل قرية دكة يضرب عليها سرادقه والعساكر من حوله وكان يقيم فى القرية يوما وليلة فمر بقرية يقال لها طاء النمل فلم يدخلها لحقارتها فلما تجاوزها خرجت اليه عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهى تصيح فظنها المأمون مستغيثة متظلمة فوقف لها وكان لا يمشى أبدا الا والتراجمة بين يديه من كل جنس فذكروا له ان القبطية قالت يا أمير المؤمنين نزلت فى كل ضيعة وتجاوزت ضيعتى والقبط تعيرنى بذلك وانا اسأل أمير المؤمنين ان يشرفنى بحلوله فى ضيعتى ليكون لى الشرف ولعقبى ولا تشمت الاعداء بى وبكت بكاء كثيرا فرق لها المأمون وثنى عنان فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وسأله كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفاكهة والعلوفة وغير ذلك مما جرت به عادته فأحضر جميع ذلك اليه بزيادة وكان مع المأمون اخوه المعتصم وابنه العباس وأولاد أخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكثم والقاضى أحمد بن داود فأحضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ولم تكل أحدا منهم ولا من القواد الى غيره ثم أحضرت للمأمون من فاخر الطعام ولذيذه شيأ كثيرا حتى انه استعظم ذلك فلما اصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها عشر وصائف مع كل وصيفة طبق فلما عاينها المأمون من بعد قال لمن حضر قد جاءتكم القبطية بهدية الريف الكامخ والصحناة والصبر فلما وضعت ذلك بين يديه اذا فى كل طبق كيس من ذهب فاستحسن ذلك وأمرها باعادته فقالت لا والله لا أفعل فتأمل الذهب فاذا به ضرب عام واحد كله فقال هذا والله اعجب ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت يا أمير المؤمنين لا تكسر قلوبنا ولا تحتقر بنا فقال ان فى بعض ما صنعت لكفاية ولا نحب التثقيل عليك فردى مالك بارك الله فيك فأخذت قطعة من الارض وقالت يا أمير المؤمنين هذا واشارت الى الذهب من هذا واشارت الى الطينة التى تناولتها من الارض ثم من عدلك يا أمير المؤمنين وعندى من هذا شئ كثير فأمر به فأخذ منها وأقطعها عدة ضياع وأعطاها من قريتها طاء النمل مائتى فدان بغير خراج وانصرف متعجبا من كبر مروءتها وسعة حالها

ذكر قبالات اراضى مصر بعد ما فشا الاسلام فى القبط ونزول العرب فى القرى وما كان من ذلك الى الروك الاخير الناصرى

وكان من خير أراضي مصر بعد نزول العرب بأريافها واستيطانهم واهاليهم فيها واتخاذهم الزرع معاشا وكسبا
وانقياد جمهور القبط الى اظهار الاسلام واختلاط أنسابهم بأنساب المسلمين لنكاحهم المسلمات أن متولي خراج
مصر كان يجلس في جامع عمرو بن العاص من الفسطاط في الوقت الذي تتهيأ فيه قبالة الاراضي وقد اجتمع الناس
من القرى والمدن فيقوم رجل ينادي على البلاد صفقات صفقات وكتاب الخراج بين يدي متولي الخراج يكتبون
ما ينتهي اليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالاربع سنين
لاجل الظمأ والاستبحار وغير ذلك فاذا انقضى هذا الامر خرج كل من كان تقبل أرضا وضمنها الى ناحيته
فيتولى زراعتها واصلاح جسورها وسائر وجوه اعمالها بنفسه وأهله ومن ينتدبه لذلك ويحمل ما عليه من
الخراج في ابانه على اقساط ويحسب له من مبلغ قبالته وضمانه لتلك الاراضي ما ينفقه على عمارة جسورها
وسد ترعها وحفر خلجها بضرائب مقدرة في ديوان الخراج ويتأخر من مبلغ الخراج في كل سنة في جهات الضمان
والمتقبلين بقايا لما تأخر من مال الخراج البواقي وكانت الولاة تشدد في طلب ذلك مرة وتسامح به مرة فاذا
مضى من الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة وراكوا البلاد كلها وعدلوها تعديلا جديدا فزيد فيما يحتمل الزيادة
من غير ضمان البلاد ونقص فيما يحتاج الى التنقيص منها ولم يزل ذلك يعمل في جامع عمرو بن العاص الى ان
عمر أحمد بن طولون جامعه وصار العسكر منزلا لامراء مصر فنقل الديوان الى جامع أحمد بن طولون ثم نقل
ايام العزيز بالله نزار الى دار الوزير يعقوب بن كلس فلما مات الوزير نقل الديوان الى القصر بالقاهرة واستمر به مدة
الدولة الفاطمية ثم نقل منه بعدها وسأتلوا عليك من نبأ ذلك ما يتضح به ما ذكرت قال ابن ذولاق في كتاب اخبار
الماردانيين كتاب مصر وحضر أبو الحسن وهب بن اسماعيل مجلس ابي بكر بن علي المارداني في المسجد
الجامع وهو يعقد الضياع فقال له أبو بكر الساعة آمر بالنداء على صفقة فخذها شركة بيني وبينك فنودي على
صفقة فقال أبو بكر اعقدوها على أبي الحسن فعقدت عليه وتحملها فأفضلت له اربعين ألف دينار فاستنض
عشرين ألف دينار ولم يدر ما يعمل فيها الى ان اجتمع مع أبي يعقوب كاتب أبي بكر ليتحدثا فقال أبو يعقوب
رأيت الشيخ يعني أبا بكر المارداني في اليوم مشغول القلب اراد جمع مال وقد عجز عنه فقال له أبو الحسن
عندي نحو عشرين ألف دينار فقال جئني بها فأنفذها اليه وجاءه خطه بالمبلغ فاتفق ان مضى أبو الحسن
الى أبي بكر المارداني فقال له تلك الصفقة قد غلقت ما عليها وفضل اربعون ألف دينار وقد حصل عندي
عشرون ألف دينار حملتها الى ابي يعقوب وأرسلت في استخراج الباقي فاحله فقال المارداني ما هذا العجز
انما قلت لك تكون بيني وبينك خوفا من تفريطك وانما اردت حفظ المال عليك ثم امر أبا يعقوب أن يرد عليه
ما دفعه اليه وقال لابي الحسن رد عليه خطه فقبض ما دفعه الى أبي يعقوب وبلغ خراج مصر في السنة التي
دخل فيها جوهر القائد ثلاثة الاف ألف دينار واربعمائة ألف دينار ونيفا وقال في كتاب سيرة المعز لدين الله
معد ولست عشرة بقيت من المحرم سنة ثلاث وستين وثلثمائة قلد المعز لدين الله الخراج ووجوه الاموال وغير
ذلك يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن وجلسا في هذا اليوم في دار الامارة في جامع ابن طولون للنداء على
الضياع وسائر وجوه الاموال وحضر الناس للقبالات وطلبوا البقايا من الاموال مما على المالكين والمتقبلين
والعمال وقال جامع سيرة الوزير الناصر للدين الحسن بن علي اليازوري واراد أن يعرف قدر ارتفاع الدولة
وما عليها من النفقات ليقايس بينهما فتقدم الى اصحاب الدواوين بأن يعمل كل منهم ارتفاع ما يجري في ديوانه
وما عليه من النفقات فعمل ذلك وسلمه الى متولي ديوان المجلس وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملا جامعا
وأحضره اياه فرأى ارتفاع الدولة ألفي ألف دينار منها الشام ألف ألف دينار ونفقاته بازاء ارتفاعه ومنها
الريف وباقي الدولة ألف ألف دينار يقف منها عن معلول ومنكسر على موتى وهراب ومفقود مائتا ألف دينار
ويبقى ثمانمائة ألف دينار يصرف منها للرجال عن واجباتهم وكساويهم ثلثمائة ألف دينار وعن غلة للقصور
مائة ألف دينار وعن نفقات القصور مائتا ألف دينار وعن عمائر وما يقام للضيوف الواصلين من الملوك
وغيرهم مائة ألف دينار ويبقى بعد ذلك مائتا ألف دينار حاصلة يحملها كل سنة الى بيت المال المصون فحظي
بذلك عند سلطانه وخف على قلبه قال وانتهى ارتفاع الارض السفلى الى ما لا نسبة له من ارتفاعها الاول يعني
بعد موت اليازوري وحدوث الفتن وهو قبل سني هذه الفتن يعني في ايام اليازوري ستمائة ألف دينار

كانت تحمل فى دفعتين فى السنة فى مستهل رجب ثلاثمائة الف دينار وفى مستهل المحرّم ثلثمائة ألف دينار فاتضع الارتفاع وعظمت الواجبات وقال ابن ميسرة وأمر الافضل بن أمير الجيوش بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر فجاء خمسة آلاف ألف دينار وكان متحصل الاهراء ألف ألف اردب وقال الامير جمال الدين والملك موسى بن المأمون البطائحى فى تاريخه من حوادث سنة احدى وخمسمائة ثم رأى القائل أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحى من اختلال احوال الرجال العسكرية والمقطعين وتضررهم من كون اقطاعاتهم قد خس ارتفاعها وساءت احوالهم لقلة المتحصل منها وان اقطاعات الامراء قد تضاعف ارتفاعها وازدادت عن غيرها وان فى كل ناحية من الفواضل للديوان جملة تجىء بالعسف وبتردّد الرسل من الديوان الشريف بسببها فخاطب الافضل ابن أمير الجيوش فى أن يحل الاقطاعات جميعها ويروكها وعرّفه ان المصلحة فى ذلك تعود على المقطعين والديوان لان الديوان يتحصل له من هذه الفواضل جملة يحصل بها بلاد مقورة فأجاب الى ذلك وحل جميع الاقطاعات وراكها وأخذ كل من الاقوياء والمميزين يتضررون ويذكرون ان لهم بساتين واملاكا ومعاصر فى نواحيهم فقال له من كان له ملك فهو باق عليه لا يدخل فى الاقطاع وهو محكم ان شاء باعه وان شاء آجره فلما حلت الاقطاعات أمر الضعفاء من الاجناد أن يتزايدوا فيها فوقعت الزيادة فى اقطاعات الاقوياء الى أن انتهت الى مبلغ معلوم وكتبت السجلات بأنها باقية فى ايديهم الى مدة ثلاثين سنة لا يقبل عليهم فيها زائد وأحضر الاقوياء وقال لهم ما تكرهون من الاقطاعات التى كانت بيد الاجناد قالوا كثرة غيرها وقلة متحصلها وخرابها وقلة الساكن بها فقال لهم ابذلوا فى كل ناحية ما تحمله وتقوى رغبتكم فيه ولا تنظروا فى العبرة الاولى فعند ذلك طابت نفوسهم وتزايدوا فيها الى أن بلغت الى الحدّ الذى رغب كل منهم فيه فأقطعوا به وكتب لهم السجلات على الحكم المتقدم فشملت المصلحة الفريقين وطابت نفوسهم وحصل للديوان بلاد مقورة بما كان مفرّقا فى الاقطاعات بما مبلغه خمسون ألف دينار * وقال فى حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان قد تقدّم امر الاجل المأمون بعمل حساب الدولة من الهلالى والخراجى وجعل نظمه على جملتين احداهما الى سنة عشر وخمسمائة الهلالية الخراجية والجملة الثانية الى آخر سنة خمس عشرة وخمسمائة هلالية وما يوافقها من الخراجية فعقدت على جملة كثيرة من العين والاصناف وشرحت بأسماء اربابها وتعيين بلادها فلما احضرت أمر بكتب سجل يتضمن المسامحة بالبواقى الى آخر سنة عشر وخمسمائة ونسخته بعد التصدير ولما انتهى الينا حال المعاملين والضمناء والمتصرفين وما فى جهاتهم من بقايا معاملاتهم انعمنا بما تضمنه هذا السجل من المسامحة قصدا فى استخلاص ضامن طالت غفلته وخربت ذمته وانقاذ عامل اجحف به من الديوان طلبته وتوفير الرغبة على عمارتها وجريها فيها على قديم عادتها ولما كان ذلك من جميل الاحدوثة التى لم نسبق اليها ولا شاركنا ملك فيها اقتضت الحال ايرادها فى هذا الكتاب وايداعها هذا الباب لما اطلعنا عليه مما انتهت اليه احوال الضمناء والمعاملين بالمملكة من الاختلال وتجمد البقايا فى جهاتهم والاموال عطفنا عليهم برأفة ورحمة وطالعنا المقام الاشرف النبوى بالتفصيل من امورهم والجملة واستخرجنا الامر العالى بوضع ذلك فى الحال وانشأ السجلات الكريمة مقصورة على ذكر هذا الاحسان وتنفيذها الى جميع البلدان ليقرأ على رؤس الاشهاد بسائر البلاد ومبلغ ما انتهت اليه هذه المسامحة الى حين ختم هذا السجل من العين ألفا ألف وسبعمائة ألف وعشرون ألفا وسبعمائة وسبعة وستون دينارا ونصف وثلث وثلثان وربع قيراط ومن الفضة النقرة اربعة دراهم ومن الورق سبعة وستون ألفا وخمسة دراهم ونصف وسدس درهم ومن الغلة ثلاثة آلاف ألف وثمان مائة ألف وعشرة آلاف ومائتان وتسعة وثلاثون اردبا وثمن ونصف سدس وثلثا قيراط ومن العناب ربع اردب ومن ورق الصباغ ألفان وأربعمائة وثلاثة ارادب ونصف ومن زريعة الوسمة عشرة ارادب وربع ومن الصباغ ألف واربعمائة وثمانون قنطارا ورطل ونصف ومن القوّة اربعمائة وسبعون رطلا ومن الشب تسعمائة وثلاثة عشر قنطارا ونصف ومن الحديد خمسمائة رطل واحد وثلاثون رطلا ومن الزفت ألف وثلثمائة وثلاثة ارطال وربع وسدس ومن القطران تسعة عشر رطلا وثلث ومن الثياب الحلبى ثلاثة اثواب ومن المشاور مائة مئزر صوف ومن الغرابيل مائة وسبعون غربالا ومن الاغنام مائتا ألف وخمسة وثلاثون ألفا وثلثمائة وخمسة ارؤس ومن البسر ثلثمائة وثلاثة عشر قنطارا وثمانية وثلاثون رطلا ومن السحيل ثلاثمائة ألف

وخمسة وسبعون ألفا وخمسمائة وخمسون باعا ومن الجريد اربعمائة ألف وثمانية وثلاثون ألفا وسبعمائة وثلاثة وخمسون جريدة ومن السلب ألف واربعمائة وثلاثة وعشرون سلبة ومن الاطراف ستة آلاف وسبعمائة وثلاثة اطراف ومن الملح ألفان وسبعمائة وثلاثة وتسعون اردبا وثلث ومن الاشنان أحد عشر اردبا ومن الرمان ألف حبة ومن العسل النحل خمسمائة واحد واربعون قنطارا وسدس ومن الشهد اثنان وثلاثون زيرا وقادوسا واحدا ومن الشمع اربعمائة واربعون رطلا ومن الخلايا ثلاثة آلاف واربعمائة وخليتان ومن عسل القصب مائة وثمانية وثلاثون قنطارا ومن الابقار اثنان وعشرون ألفا ومائة واربعة وستون رأسا ومن الدواب اربعة وسبعون رأسا ومن السمن ألفان وتسعمائة وستة وتسعون مطرا وسدس وثمن ومن الجبن ثلثمائة وعشرون رطلا ومن الصوف اربعة آلاف ومائة وثلاثة وعشرون جزة ومن الشعر ستة آلاف وخمسون رطلا وربع ومن بيوت الشعر بيتان وفصل ذلك بجهاته ومعاملاته قال ولما انتهى الى المأمون مايعتمد فى الدواوين من قبول الزيادات وفسخ عقود الضمانات وانتزاعها ممن كابد فيها المشقة والتعب وتسليمها الى باذل الزيادة من غير كلفة ولا نصب انكر ذلك ومنع من ارتكابه ونهى عن الولوج فى بابه وخرج امره باعفاء الكافة اجمعين والضمناء والمعاملين من قبول الزيادة فيما يتصرفون فيه ويستولون عليه ماداموا مغلقين وبأقساطهم قائمين وتضمن ذلك منشور قرئ فى الجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وديوانى المجلس والخاص الامرين السعيدين ونسخته بعد التصدير * ولما انتهى الى حضرتنا مايعتمد فى الدواوين ويقصده جماعة من المتصرفين والمستخدمين من تضمين الابواب والرباع والبساتين والحمامات والقياسر والمساكن وغير ذلك من الضمانات للراغبين فيها ممن تستمر معاملته ولا تنكر طريقته فما هو الا أن يحضر من يزيد عليه فى ضمانه حتى قد نقض عليه حكم الضمان وقبل مايبذل من الزيادة كائنا من كان وقبضت يد الضامن الاول عن التصرف ومكن الضامن الثانى من التصرف من غير رعاية للعقد على الضامن الاول ولا تحرز فى فسخه الذى لايبيحه الشرع ولا يتأول انكرنا ذلك على معتمديه وذممنا من قصدنا عليه ومرتكبيه اذ كان للحق مجانبا وعن مذهب الصواب ذاهبا وعرضنا ذلك بالمواقف المقدسة المطهرة ضاعف الله انوارها واعلى ابدا منارها واستخرجنا الاوامر المطاعة فى كتب هذا المنشور الى سائر الاعمال بأنه اى أحد من الناس ضمن ضمانا من باب اوربع اوبستان اوناحية اوكفر وكان لاقساط ضمانه مؤديا ولما يلزمه من ذلك مبديا وللحق متبعا فان ضمانه باق فى يده لاتقبل زيادة عليه مدة ضمانه على العقد المعقود عملا بالواجب والنظام المحمود واتباعا لما امر الله تعالى به فى كتابه المجيد اذ يقول جل من قائل ياايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الى أن تنقضى مدة الضمان ويزول حكمها ويذهب وضعها ورسمها حملا على قضية الواجب وسننها واعتمادا على حكم الشريعة التى ماضل من اهتدى بفرائضها وسننها وأما من ضمن ضمانا ولم يقم بما يجب عليه فيه وأصر على المدافعة والمغالطة التى لايعتمدها الا كل ذميم الطباع سفيه فذلك الذى فسخ حكم ضمانه بنقضه الشروط المشروطة عليه وحكمه حكم من اذا زيد عليه فى ضمانه نقل عنه واخرج من يديه لانه الذى بدأ بالفسخ وأوجد السبيل اليه فليعتمد كافة ارباب الدواوين وجميع المتصرفين والمستخدمين العمل بما تضمنه هذا المنشور وامتثال المأمور وحمل هؤلاء الضمناء والمعاملين على مانص فيه والحذر من تجاوزه وتعديه بعد ثبوته فى ديوانى المجلس والخاص الامرين السعيدين وبحيث يثبت مثله ان شاء الله تعالى قال ووصلته المكاتبة من الوالى والمشارف ومن كان ندب صحبته لكشف الاراضى والسواقى ومساحتها متضمنة ماظهره الكشف واوضحته المساحة على من بيده السواقى وهم عدة كثيرة ومن جملتها ساقية مساحتها ثلثمائة وستون فدانا تشتمل على النخل والكرم وقصب السكر بمدينة اسنا خراجها فى السنة عشرة دنانير ومايجرى فى الاعمال هذا المجرى وانهم وضعوا يد الديوان على جميعها وطلبوا من ارباب السواقى مايدل على ماباديهم فذكروا أنها انتقلت اليهم ولم يظهروا مايدل عليها وقد سيروا املاكها الى الباب تحت الحوطة ليخرج الامر بما يعتمد عليه فى امرهم وعند وصولهم اوقع الترسيم عليهم الى أن يقوموا بما يجب من الخراج عن هذه السواقى فان الاملاك بجملتها لاتقوم بما يجب عليها فوقف المذكورون للمأمون فى يوم جلوسه للمظالم فأمر بحضورهم بين يديه وتقدم الى القاضى جلال الملك أبو الحجاج يوسف بن أبى ايوب المغربى وهو يومئذ قاضى القضاة لمحاكمتهم فجرى له معهم

مفاوضة اوجبت الحق عليهم وألزمهم بالقيام بما يستغرق اموالهم واملاكهم فحصل من تضررهم ما اوجب العاطفة عليهم واخذهم بالخراج من بعد وأن يضرب عما تقدم صفحا وكتب منشور نسخته قد علم الكافة ماتراه من افاضة سحب العدل عليهم والاحسان والنظر فى مصالح كل قاص منهم ودان وانا لاندع ضررا يتوجه الى أحد من الرعية الاحسمناه ولانعلم صلاحا يعود نفعه عليه الاقوينا سببه ووصلناه حسب مايتعين على رعاة الامم وعملا بالواجب فى البعيد والامم وسلوكا لمحجة الدولة الفاطمية خلد الله ملكها القويمة واستمرارا على قضاياها وسجاياها الكريمة ولما كانرى النظر فى مصالح الرعايا امرا واجبا ونصرف الى سياستهم همونا ماضيا ورأيا ثاقبا كذلك نرى النظر فى امور الدواوين واستيفاء حقوقها المصروفة الى حماية البيضة والمحاماة عن الدين وجهاد الكفرة والملحدين ليكون ماتراعيه وننظر فيه جاريا على سنن الواجب محروسا من الخلل باذن الله من جميع الجوانب * ومن الله نستمد مواد التوفيق فى الحل والعقد * ونسأله الارشاد الى سواء السبيل والقصد وما توفيقنا الابالله عليه نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل * وكان القاضى الرشيد بن الزبير ايام مشارفته الصعيد الاعلى قد طالع المجلس الافضلى بحال ارباب الاملاك هنالك وانهم قد استضافوا الى اماكنهم من املاك الدواوين اراضى اغتصبوها ومواضع مجاورة لاملاكهم تعدوا عليها وخلطوها بها وحازوها ورسم له كشفها وتظم المشاريع بها وارتجاعها للديوان وان يعتمد فى ذلك مايوجبه حكم العدل المثبت فى كل قطر ومكان وبآخر ذلك سيرنا من الباب من يكشف ذلك على حقيقته وانهائه على طيته فاعتمدوا ماامروا به من الكشف فى هذه الاملاك ووردت المطالعة منهم بأنهم التمسوا ممن بيده ملك اوساقية مايشهد بصحة ملكه ومبلغ فدنه وذكر حدوده فلم يحضر أحد منهم كتابا ولا أوضح جوابا وأصدروا الى الديوان المشاريع بما كشفوه وأوضحوه فوجدوا التعدى فيه ظاهرا وباب الحيف والظلم غير متقاصر والشرع يوجب وضع اليد على ماهذه حاله ومطالبة صاحبه بريعه واستغلاله لاسيما وليس بيده كتاب يشهد بصحة الملك رأسا ولا يستند فى ذلك الى حجة اذخرها احترازا عن مجاهدة سبيله واحتراسا ولكن نحكم بماتراه من المصلحة للرعية والعدل الذى اقمنا مناره واحيينا معالمه وآثاره مع الرغبة فى عمارة البلاد ومصالح احوالها واستنباط الارضين الداثرة وانشاء الغروس واقامة السواقى بها امرنا بكتب هذا المنشور وتلاوته بأعمال الصعيد الاعلى باقرار جميع الاملاك والارضين والسواقى بايدى اربابها الآن من غير انتزاع شئ منها ولا ارتجاعه وأن يقرر عليها من الخراج مايجب تقريره ويشهد الديوان على امثالهم بمثله احسانا اليهم لم نزل نتابع مثله ونواليه وانما مابرحنا نعيده عليهم ونبديه وقد أنعمنا وتجاوزنا عما سلف ونهينا من يستأنف وسامحنا من خرج عن التعدى الى المألوف وجرينا على سنننا فى العفو والمعروف وجعلناها توبة مقبولة من الجماعة الجانين ومن عاد من الكافة اجمعين فلينتقم الله منه وطولب بمستأنفه وأمسه وبرئت الذمة من ماله ونفسه وتضاعفت عليه الغرامة والعقوبة وسدّت فى وجهه أبواب الشفاعة والسلامة وقد فسحنا مع ذلك لكل من يرغب فى عمارة ارض حلفاء داثرة وادارة بئر مهجورة معطلة فى أن يسلم اليه ذلك ويقاس عليه ولا يؤخذ منه خراج الافى السنة الرابعة من تسليمه اياه وان يكون المقرّر على كل فدان ماتوجبه زراعته لمثله خراجا مؤبدا وأمرا مؤكدا فليعتمد ذلك النوّاب وحكام البلاد ومن جرت العادة بحضوره عقد مجلس واحضار جميع ارباب الاملاك والسواقى واشعارهم ماشملهم من هذا الاحسان الذى تجاوز آمالهم فى اجابتهم الى ما كانوا يسألون فيه وتقرير مايجب على الاملاك المذكورة من الخراج على الوضع الذى مثلناه ويجيز الديوان تقريره ويرضاه مع تضمين الاراضى الداثرة والآبار المعطلة لمن يرغب فى ضمانها وتظم المشاريع بذلك واصدارها الى الديوان ليخلد فيه على حكم امثالها بعد ثبوت هذا المنشور بحيث يثبت مثله قال ولما سرت هذه المصالح الى جميع أهل هذه الاعمال حصل الاجتهاد فى تحصيل مال الديوان وعمارة البلاد * واعلم انه لم يكن فى الدولة الفاطمية بديار مصر ولا فيما مضى قبلها من دول أمراء مصر لعساكر البلاد اقطاعات بمعنى ماعليه الحال اليوم فى اجناد الدولة التركية وانما كانت البلاد تضمن بقبالات معروفة لمن شاء من الامراء والاجناد والوجوه وأهل النواحى من العرب والقبط وغيرهم لايعرف هذه الابدة التى يقال لها اليوم الفلاحة ويسمى المزارع المقيم بالبلد فلاحا قرارا فيصير عبدا قنا لمن اقطع تلك الناحية الا انه لايرجو قط ان يباع ولا ان يعتق بل هو قن مابقى ومن ولد له كذلك بل كان من اختار زراعة أرض يقبلها كما تقدم وحمل ما عليه لبيت المال فاذا صار مال

الخراج بالديوان اتفق فى طوائف العسكر من الخزائن وكان مع ذلك اذا انحط ماء النيل عن الاراضى وتعلقت نواحى مصر باصناف الزراعات ندب من الحضرة من فيه نباهة وخرج معه عدول يوثق بهم وكانت لهم معرفة بعلم الخراج وكثيرا ما كان هذا الكاتب من النصارى الاقباط و يخرج الى كل ناحية من ذكرنا فيحررون مساحة ماشمله الرى من الاراضى مما لعله بار اوشرق ويكتب بذلك مكلفات واضحة بالفدن والقطائع على جميع الاصناف المزروعة و يحضر الى دواوين الباب فاذا مضى من السنة القبطية أربعة اشهر ندب من الاجناد من عرف بالحماسة وقوة البطش وعين معه من الكتاب العدول من قد اشتهر بالامانة وكاتب من نصارى القبط غير من خرج عند المساحة وساروا الى كل ناحية كذلك فاستخرج مباشروا كل بلد ثلث ما وجب من مال الخراج على ماشهدت به المكلفات فاذا احضر هذا الثلث صرف فى واجبات العساكر وهكذا العمل فى استخراج كل قسط طول الزمان من كل سنة وكانت تبقى فى جهات الضمان والمتقبلين جملة بواق وكانت بلاد مصر اذ ذاك تقبل بعين وغلة واصناف وقد عرف ذلك من نسخة المسموح الذى تضمن ترك البواقى فى ايام الخليفة الآمر بأحكام الله ووزارة المامون البطائحى ورأيت بخط الاسعد بن مهذب بن زكريا بن مماتى الكاتب المصرى سألت القاضى الفاضل عبد الرحيم كم كانت عدة العساكر فى عرض ديوان الجيش لما كان سيدنا يتولى ذلك فى أيام رزيك ابن الصالح فقال أربعين ألف فارس ونيفا وثلاثين ألف راجل من السودان وقال أبو عمرو عثمان النابلسى فى كتاب حسن السريرة فى اتخاذ الحصن بالجزيرة ان ضرغاما لما ثار على شاور وفر شاور الى السلطان نور الدين محمود بن زنكى بدمشق يستنجد به على ضرغام و يعده بأنه يكون نائبا عنه بمصر ويحمل اليه الخراج انشأ لنور الدين عزما لم يكن فجهز ألف فارس وقدم عليهم اسد الدين شيركوه وأمره بالتوجه فأبى وقال لا امضى أبدا فان هلاكى ومن معى وسوء ما سمعه السلطان معلوم من هنا وكيف امضى بالف فارس الى اقليم فيه عشرة آلاف فارس ومائة سپهبد فيها عشرة آلاف مقاتل وأربعون الف عبد وقوم مستوطنون فى اوطانهم فرأيت حواشيهم ونحن نأتيهم من تعب السفر بهذه العدة القليلة قال ثم اجابه بعد ذلك هذا اعزك الله بعد ما كانت عساكر أحمد بن طولون ماستراه فى ذكر القطائع ان شاء الله تعالى ثم ما كان من عساكر الامير أبى بكر محمد بن طغج الاخشيد وهى على ماحكاه غير واحد منهم ابن خلكان انها كانت اربعمائة ألف ولما انقضت دولة الفاطميين بدخول الغز من بلاد الشام واستولى صلاح الدين يوسف بن ايوب على مملكة مصر تغير الحال بعض التغير لا كله * قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة فى ثامن المحرم خرجت الاوامر الصلاحية بركوب العساكر قديمها وجديدها بعد أن اندر حاضرها وغائبها وتوافى وصولها وتكامل سلاحها وخيولها فحضر فى هذا اليوم جوع شهد كل من علا سنه وقرطس ظنه ان ملكا من ملوك الاسلام لم يحز مثلها وشاهدت رسل الروم والفرنج ما أرغم انوف الكفرة ولم يتكامل اجتياز العساكر موكبا بعد موكب وطلبا بعد طلب والطلب بلغة الغز هو الامير المقدم الذى له علم معقود وبوق مضروب وعدة من مائتى فارس الى مائة فارس الى سبعين فارسا الى ان انقضى النهار ودخل الليل وعاد ولم يكمل عرضهم وكانت العدة الحاضرة مائة وسبعة وأربعين طلبا والغائب منها عشرون طلبا وتقدير العدة بناهز أربعة عشر ألف فارس اكثرها طواشية والطواشى من رزقه من سبعمائة الى ألف الى مائة وعشرين وما بين ذلك وله برك من عشرة رؤس الى مادونها ما بين فرس و برذون و بغل و جمل وله غلام يحمل سلاحه وقراغلامية تتمة الجملة قال وفى هذه السفرة عرض العربان الخدامين فكانت عدتهم سبعة آلاف فارس واستقرت عدتهم على ألف وثلثمائة فارس لا غير وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب وكان اصله ألف ألف دينار على حكم الاعتداد الذى يتأصل ولا يتحصل وكلف التغالبة ذلك فامتعضوا ولوحوا بالتحيز الى الفرنج * وقال فى متجددات شهر رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة استمر انتصاب السلطان صلاح الدين فى هذه السنة للنظر فى أمور الاقطاعات ومعرفة عبرها والنقص منها والزيادة فيها واثبات المحروم وزيادة المشكور والى ان استقرت العدة على ثمانية آلاف وستمائة وأربعين فارسا امراء مائة وأحد عشر أميرا طواشية ستة آلاف وتسعمائة وستة وسبعون قراغلامية ألف وخمسمائة وثلاثة وخمسون والمستقر لهم من المال ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف وسبعون الفا وخمسمائة دينار وذلك خارج عن المحلولين من الاجناد الموسومين بالحوالة على العشر وعن عدة العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة وعن الكنانيين والمصريين والفقهاء

والقضاة والصوفية ومما يجرى بالديوان ولا يقصر عن ألف ألف دينار * وقال فى متجددات سنة خمس وثمانين وخمسمائة اوراق بما استقر عليه عبر البلاد من اسكندرية الى عيذاب الى آخر الرابع والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة خارجا عن الثغور وابواب الاموال الديوانية والاحكار والحبس ومنفلوط ومنقباط وعدة نواح اوردت اسماءها ولم يعين لها فى الديوان عبرة من جملة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف وثلاثة وخمسين ألفا وتسعة عشر دينارا بعد ما يجرى فى الديوان العادلى السعيد وغيره عن الشرقية والمرتاحية والدقهلية وبوش وغير ذلك وهو ألف ألف ومائة ألف وتسعون ألفا وتسعمائة وثلاثة وعشرون دينارا (تفصيل ذلك) الديوان العادلى سبعمائة ألف وثمانية وعشرون ألفا ومائتان وثمانية واربعون دينارا الامراء والاجناد المرسوم بابقاء اقطاعاتهم بالاعمال المذكورة مائة ألف وثمانية وخمسون ألفا ومائتان وثلاثة دنانير ديوان السور المبارك والاشراف ثلاثة عشر الفا وثمانمائة وأربعة دنانير العربان مائتا ألف واربعة وثلاثون ألفا ومائتان وستة وتسعون دينارا الكنانية خمسة وعشرون ألفا وأربعمائة واثنا عشر دينارا القضاة والشيوخ سبعة آلاف واربعمائة وثلاثة دنانير القيمارية والصالحية والاجناد المصريون اثنا عشر ألفا وخمسمائة وأربعة دنانير الغزاة والعساقلة المركزة بدمياط وتنيس وغيرهم عشرة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرون دينارا البارز ثلاثة آلاف ألف وار بعمائة ألف واثنان وستون ألفا وخمسة وتسعون دينارا (الوجه البحرى) ألف ألف ومائة ألف واحد وخمسون الفا وستمائة وثلاثة وخمسون دينارا (تفصيله) ضواحى ثغر الاسكندرية ثمانمائة ألف ومائة وثمانية وثلاثون دينارا ثغر رشيد ألفا دينار البحيرة مائة ألف وخمسة عشر ألفا وخمسمائة وستة وسبعون دينارا حوف رمسيس اثنان وتسعون ألفا وأربعمائة وثلاثة دنانير فوه والمزاحمتين عشرة آلاف ومائة وخمسة وعشرون دينارا النبراوية خمسة عشر ألفا وثلثمائة وخمسة دنانير جزيرة بنى نصر مائة ألف واثنا عشر ألفا وستمائة وستة واربعون دينارا جزيرة قوسنيا مائة الف وثلاثون الفا وخمسمائة واثنان وتسعون دينارا الغربية ستمائة الف واربعة وسبعون الفا وستمائة وخمسة دنانير السمنودية مائتا الف وخمسة واربعون الفا واربعمائة وتسعة وسبعون دينارا الدنجاوية ستة واربعون ألفا ومائتان واربعة وسبعون دينارا المنوفية مائة الف وثمانية وأربعون الفا وثلثمائة وسبعة وأربعون دينارا (الوجه القبلى) ألف ألف وستمائة الف وعشرة آلاف واربعمائة واحد واربعون دينارا (تفصيل ذلك) الجيزة مائة ألف وثلاثة وخمسون الفا ومائتان وأربعة دنانير الاطفيحية تسعة وخمسون الفا وسبعمائة وثمانية وعشرون دينارا البوصيرية ستون الفا وار بعمائة وستة وستون دينارا الفيومية مائة الف واثنان وخمسون الفا وستمائة وأربعة وثلاثون دينارا البهنسية ثلثمائة ألف واثنان وخمسون ألفا وستمائة وأربعة وثلاثون دينارا الواحات الداخلة والخارجتين وواح البهنسا خمسة وعشرون ألف دينار الاشمونين مائة ألف وسبعة وأربعون الفا وسبعمائة واثنان وثلاثون دينارا السيوطية خارجا عن منفلوط ومنقباط اثنان وسبعون ألفا وخمسمائة وأربعة دنانير الاخميمية مائة ألف وثمانية آلاف وثمانمائة واثنا عشر دينارا الاعمال القوصية ثلثمائة ألف واثنان وستون ألفا وخمسمائة دينار ثغر اسوان خمسة وعشرون ألف دينار ثغر عيذاب يجرى فى غير هذا الديوان * وقال فى متجددات سنة ثمان وثمانين وخمسمائة والذى انعقد عليه ارتفاع الديوان السلطانى ثلثمائة ألف وأربعة وخمسون ألفا وأربعة واربعون دينارا والذى يميز زائد الارتفاع لسنة سبع وثمانين وخمسمائة على ارتفاع سنة ست وثمانين اثنان وعشرون ألفا واربعمائة وخمسة وأربعون دينارا والذى انساق من البواقى للسنة المذكورة أحد وثلاثون ألفا وستمائة واثنان وعشرون دينارا والذى اشتمل عليه متحصل ديوان الخاص الملكى الناصرى بالديار المصرية لسنة سبع وثمانين وخمسمائة ثلثمائة ألف واربعة وخمسون الفا وأربعمائة واربعة وخمسون دينارا ونصف وثلث وثمن

(ذكر الروك الاخير الناصرى)

وكان الجندى اقطاعه بمفرده وله تسع واحد من عشرين ألف درهم الى ثلاثين وفيهم من اقطاعه خمسة عشر ألفا واقلهم عشرة آلاف وذلك سوى الضيافة وبلغ خمسة آلاف درهم فى الاقطاع الثقيل وكان الجندى يخرج الى السكان بطوالة خيل ويخرج مقدم الحلقة كامير عشرة وتكون مضافته اذا نزل حوله واكثرهم يأكل على سماطه

ولا يمكن الاميران يأكل الا وجميع اجناده معه ويأخذ غلمان اجناده كل يوم الطعام من مطبخه واذا رأى نارا توقد سأل عنها فيقال ان فلانا اشتهى كذا فيغضب ممن لا يأكل عنده ومع ذلك كانت اشكالهم بشعة وملابسهم غير طائلة فلما افضت السلطنة الى المنصور لاجين راك البلاد وذلك ان أرض مصر كانت أربعة وعشرين قيراطا فيختص السلطان منها بأربعة قراريط ويختص الاجناد بعشرة قراريط ويختص الامراء بعشرة قراريط وكان الامراء يأخذون كثيرا من اقطاعات الاجناد فلا يصل الى الاجناد منها شئ ويصير ذلك الاقطاع فى دواوين الامراء ويحتمى بها قطاع الطريق وتثور بها الفتن ويقوم بها الهوشات ويمنع منها الحقوق والمقررات الديوانية وتصير مأكلة لاعوان الامراء ومستخدميهم ومضرة على أهل البلاد التى تجاورها فأبطل السلطان ذلك ورد تلك الاقطاعات على اربابها وأخرجها بأسرها من دواوين الامراء وأول ما بدأ به ديوان الامير سيف الدين منكوتمر نائب السلطنة فأخرج منه ما كان فيه من هذه الاقطاعات وكان يتحصل له منها مائة الف أردب غلة فى كل سنة واقتدى به جميع الامراء واخرجوا ما فى اقطاعاتهم من ذلك فبطلت الحمايات وجعل السلطان فى هذا الروك للامراء والاجناد أحد عشر قيراطا وأفرد تسعة قراريط ليخدم بها عسكرا ويقطعهم اياها ثم رتب اوراقا بكفية الامراء والاجناد بعشرة قراريط ووفر قيراطا لزيادة من عساه يطلب زيادة لقلة متحصل اقطاعه وأفرد لخاص السلطان عدة اعمال جليلة وأفرد للنائب منكوتمر لتفرقة المثالات فى تابعيه فتنكرت قلوب الامراء حتى كان من المنصور لاجين ونائبه منكوتمر ما كان فلما كانت الايام الناصرية راك الناصر محمد البلاد

قال جامع السيرة الناصرية وفى سنة خمس عشرة وسبعمائة اختار السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ان يروك الديار المصرية وان يبطل منها مكوسا كثيرة ويفضل لخاص مملكته شيأ كثيرا من اراضى مصر وكان سبب ذلك انه اعتبر كثيرا من اخباز المماليك والحاشية الذين كانوا للملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير والامير سلار وسائر المماليك البرجية فاذا هى ما بين ألف دينار الى ثمانمائة دينار وخشى من قطع اخباز المذكورين فولد له الرأى مع القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش ان يروك ديار مصر ويقرر اقطاعات مما يختار ويكتب بها مثالات سلطانية فتقدم الفخر ناظر الجيش فعمل أوراقا بما عليه عبر النواحى ومساحتها وعين السلطان لكل اقليم من أقاليم ديار مصر اناسا وكتب مرسوما للامير بدر الدين جنكل بن البابا ان يخرج لناحية الغربية ومعه اعزل الحاجب ومن الكتاب المكين بن قروينه وان يخرج الامير عز الدين ايدمر الخطيرى الى ناحية الشرقية ومعه الامير ايتمش المحمدى ومن الكتاب امين الدولة ابن قرموط وان يخرج الامير بلبان الصرخدى والقليجى وابن طرنطاى وبيبرس الجدار الى ناحية المنوفية والبحيرة وان يخرج البليلى والمرتينى الى الوجه القبلى وندب معهم كتابا ومستوفين وقياسين فساروا الى حيث ذكر فكان كل منهم اذا نزل بأول عمله طلب مشايخ كل بلد ودلالها وعدولها وقضاتها وسجلاتها التى بأيدى مقطعيها وفحص عن متحصلها من عين وغلة واصناف ومقدار ما تحتوى عليه من الفدن ومزروعها وبورها وما فيها من ترايب وبواق وغرس ومستبحر وعبرة الناحية وما على مقطعيها من غلة ودجاج وخراف وبرسيم وكشك وكعك وغير ذلك من الضيافة فاذا حرر ذلك كله ابتدأ بقياس تلك الناحية وضبط بالعدول والقياسين وقاضى العمل ما يظهر بالقياس الصحيح وطلب مكلفات تلك القرية وغنداقها وفضل ما فيها من الخاص السلطانى وبلاد الامراء واقطاعات الاجناد والرزق حتى ينتهى الى آخر عمله ثم حضروا بعد خمسة وسبعين يوما وقد تحرر فى الاوراق المحضرة حال جميع ضياع أرض مصر ومساحتها وعبرة أراضيها وما يتحصل عن كل قرية من عين وغلة وصنف فطلب السلطان الفخر ناظر الجيش والتقى الاسعد بن أمين الملك المعروف بكاتب سرلغى وسائر مستوفى الدولة وألزمهم بعمل اوراق تشتمل على بلاد الخاص السلطانى التى عينها لهم وعلى اقطاعات الامراء وأضاف على عبرة كل بلد ما كان على فلاحيها من ضيافة لمقطعيها واضاف الى العبرة ما فى الاقطاع من الجوالى وكتب مثالات للاجناد باقطاعات على هذا الحكم فاعتمد منها بما كان يصرف فى كلف حمل الغلال من النواحى الى ساحل القاهرة وما كان عليها من المكس وابطل السلطان عدة مكوس منها مكس ساحل الغلة وكان حمل متحصل الديوان وعليه اقطاعات الامراء والاجناد ويتحصل منه فى السنة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف درهم وعليه اربعمائة مقطع لكل منهم من عشرة آلاف الى ثلاثة آلاف ولكل من الامراء من اربعين ألفا الى عشرة آلاف وكانت جهة عظيمة لها متحصل كثير جدا وينال القبط

منها

منها منافع كثيرة لا تحصى ويحل بالناس من ذلك بلاء شديد وتعب عظيم من المغارم والظلم فان مظالمها كانت تتعدد ما بين نواتية تسرق وكيالين تبخس وشادين وكتاب يريد كل منهم شيأ وكان مقرر الاردب درهمين للسلطان ويلحقه نصف درهم غيرما ينهب ويسرق وكان لهذه الجهة مكان يعرف بخص الكيالة فى ساحل بولاق يجلس فيه شاد وستون متعمما ما بين كتاب ومستوفين وناظر وثلاثون جنديا مباشرون ولا يمكن احدا من الناس أن يبيع قدحا من غلة فى سائر النواحى بل تحمل الغلات حتى تباع فى خص الكيالة ببولاق ومما ابطل أيضا نصف السمسرة وهو عبارة عن أن من باع شيأ من الاشياء فانه يعطى أجرة الدلال على ما تقرر من قديم عن كل مائة درهم درهمين فلما ولى ناصر الدين الشيخى الوزارة قرر على كل دلال من دلالته درهما من كل درهمين فصار الدلال يعمل معدله ويجتهد حتى ينال عادته وتصير الغرامة على البائع فتضرر الناس من ذلك واوذوا فلم يغاثوا حتى ابطل ذلك السلطان ومما ابطل رسوم الولاية وكانت جهة تتعلق بالولاة والمقدمين فيجبيها المذكورون من عرفاء الاسواق وبيوت الفواحش ولهذه الجهة ضامن وتحت يده عدة صبيان وعليها جند مستقطعون وامراء وغيرهم وكانت تشتمل على ظلم شنيع وفساد قبيح وهتك قوم مستورين وهجم بيوت اكثر الناس ومما ابطل مقرر الحوائص والبغال من المدينة وسائر أعمال مصر كلها من الوجه القبلى والبحرى فكان على كل من الولاة والمقدمين مقرر يحمل فى كل قسط من أقساط السنة الى بيت المال عن ثمن حياصة ثلثمائة درهم وعن ثمن بغل خمسمائة درهم وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويفضل منها ما يحمل وكان يصيب الناس من هذه الجهة ما لا يوصف ويحل بهم من عسف الرقاصين ما يهون معه الموت ومن ذلك مقرر السجون وهو عبارة عما ٢
يؤخذ من كل من يسجن فللسجان على حكم المقرر ستة دراهم سوى كلف اخرى وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويرغب فيها الضمان ويتزايدون فى مبلغ ضمانها لكثرة ما يتحصل منها فانه كان لو تخاصم رجل مع امرأته اوابنه رفعه الوالى الى السجن فبمجرد ما يدخل السجن ولو لم يقم به الا لحظة واحدة اخذ منه المقرر وكذلك كان على سجن القضاة أيضا * (ومن ذلك مقرر طرح الفراريج) ولها ضمان عدة فى سائر نواحى أرض مصر يطرحون على الناس الفراريج فيمر بضعفاء الناس من ذلك بلاء عظيم وتقاسى الارامل من العسف والظلم شيأ كثيرا وكان على هذه الجهة عدة مقطعين ولا يمكن احدا من الناس فى جميع الاقاليم أن يشترى فروجا فما فوقه الا من الضامن ومن عثر عليه أنه اشترى أو باع فروجا من سوى الضامن جاءه الموت من كل مكان وما هو بميت * (ومن ذلك مقرر الفرسان) وهو عبارة عما يجبيه ولاة النواحى من سائر البلاد فلا يؤخذ درهم مقرر حتى يغرم عليه صاحبه درهمين ويقاسى الناس فيه اهوالا صعبة * (ومن ذلك مقرر الاقصاب والمعاصر) وهو ما يجبى من مزارعى قصب السكر ومن المعاصر ورجال المعاصر * (ومن ذلك مقرر رسوم الافراح) ويجبى من سائر النواحى ولهذه الجهة عدة ضمان ولا يعرف لهذه الجهة اصل البتة وانما يجبى بضرائب ينال الناس فيها مع المقرر غرامات وروعات * (ومن ذلك حماية المراكب) وهى عبارة عما يؤخذ من كل مركب بتقرير معين يعرف بمقرر الحماية وكانت هذه الجهة اشد ما ظلم به الناس فيؤخذ من كل من ركب البحر للسفر حتى من السؤال والمكدين * (ومن ذلك حقوق القينات) وهو عبارة عما يجمع من الفواحش والمنكرات فيجبيه مهتار الطشتخاناه السلطانية من اوباش الناس * (ومن ذلك شد الزعماء) وهى جهة مفردة وحقوق السودان وكشف المراكب ومقرر ما على كل جارية اوعبد حين نزولهم بالخانات لعمل الفاحشة فيؤخذ من كل ذكر وانثى مقرر معين ومتوفر الجراريف وهو ما يجبى من سائر النواحى فيحمل ذلك مهندسوا البلاد الى بيت المال باعانة الولاة لهم فى تحصيل ذلك وعلى هذه الجهة عدة مقطعين من الجند ومقرر المشاعلية وهو عبارة عما يؤخذ عن كسح الافنية وحمل ما يخرج منها من الوسخ الى الكيمان فكان اذا امتلأ سراب جامع اومدرسة اومسمط اوتربة اومنزل من منازل سائر الناس لا يمكنه ولو بلغ من العظمة ما عسى أن يبلغ التعرض لذلك حتى يأتيه ضامن الجهة ويقاوله على كسح ذلك بما يريد وكان من عادة الضامن الاشطاط فى السوم وطلب اضعاف القيمة فان لم يرض رب المنزل بما طلب الضامن والا تركه وانصرف فلا يقدر على مقاساة ترك الوسخ ويضطر الى سؤاله ثانيا فيعظم تحكمه ويشتد باسه الى أن يرضيه بما يختار حتى يتمكن من كسح فنائه ورفع ما هنالك من الاقذار * (ومن ذلك ابطال المباشرين من النواحى) وكانت بلاد مصر كلها من الوجهين القبلى

والبحرى ما من بلد صغير وكبير الا وفيه عدّة من كتاب وشادّ ونحو ذلك فأبطل السلطان المباشرين وتقدّم منعهم من مباشرة النواحى الامن بلد فيها مال السلطان فقط فأراح الله سبحانه الخلق بابطال هذه الجهات من بلاء لا يقدر قدره ولا يمكن وصفه * ولما ابطل السلطان هذه الجهات وفرغ من تعيين الاقطاعات للامراء والاجناد افرز لخاص السلطان من بلاد ارض مصر عدّة نواح مما كان فى اقطاعات البرجية وهى الجيزة واعمالها وهو والكوم الاحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وغير ذلك مما بلغ عشرة قراريط من الاقليم وصار لاقطاعات الامراء والاجناد وغيرهم أربعة عشر قيراطا ومكر الاقباط فيما أمكنهم المكر فيه فبدؤا بأن اضعفوا عسكر مصر ففرّقوا الاقطاع الواحد فى عدّة جهات فصار بعض الجبى فى الصعيد وبعضه فى الشرقية وبعضه فى الغربية اتعابا للجندى وتكثيرا للكلفة وأفردوا جوالى الذمّة من الخاص وفرّقوها فى البلاد التى اقطعت للامراء والاجناد فان النصارى كانوا مجتمعين فى ديوان واحد كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى فصار نصارى كل بلد يدفعون جاليتهم الى مقطع تلك الضيعة فاتسع مجال النصارى وصاروا يتنقلون فى القرى ولا يدفعون من جزيتهم الا ما يريدون فقلّ متحصل هذه الجهة بعد كثرته وافردوا ما بقى من جهات المكوس برسم الحوائج خاناه التى تصرف للسماط ليتناولوا ذلك ويوردوا منه ما شاؤا ثم يتولوا صرف ما يحصل منه فى جهات تستهلك بالاكل وصارت جهات المكوس مما يتحدّث فيه الوزير وشاد الدواوين * ثم نظر السلطان فيما كان بيد الاميرين بيبرس الجاشنكير وسلار نائب السلطنة من البلاد فأخذ ما كان باسم كل منهما وباسم حواشيه ولم يدع من ذلك شيأ مما كانوا اقدوقفوه حتى حله وجعل الجميع اقطاعات واعتدّ فى سائر الاقطاعات بما كان يستهديه المقطع من فلاحه فحسب ذلك وأقامه من جملة عبرة الاقطاع وأبطل الهدية فلم يتهيأ له الفراغ من ذلك الى آخر السنة فلما أهلّ المحرّم من سنة ست عشرة وسبعمائة وقد نظمت الحسبانات على ثلث مغلّ سنة خمس عشرة جلس السلطان فى الايوان الذى استجدّه بقلعة الجبل وقد تقدّم لسائر نقباء الاجناد على لسان نقيب الجيش بالحضور باجنادهم وجعل للعرض فى كل يوم أميرين من الامراء المقدّمين بمضافيهما فكان الامير مقدّم الالف يقف ومعه مضافوه وناظر الجيش يستدعيهم من تقدمة ذلك الامير باسمائهم على قدر منازلهم فيقدّم نقيب الجيش الواحد بعد الواحد من يد نقيبه الى ما بين يدى السلطان فاذا مثل بحضرته سأله السلطان بنفسه من غير واسطة عن اسمه وأصله وجنسه ووقت حضوره الى ديار مصر ومع من قدم والى من صار من الامراء وغيرهم وعن مشاهده التى حضرها فى الغزو وعما يعرفه من صناعة الحرب وغير ذلك من الاستقصاء فاذا انتهى استفهامه اياه ناوله بيده مثالا من غير تأمّل بحسب ما قسم الله له فلم يعرّبه فى مدّة العرض احد الا وقد عرفه وأشار الى الامراء بذكر شئ من خبره هذا وقد تقدّم الى سائر الامراء بأسرهم بأن يحضروا الى الايوان عند العرض ولا يعارض احد منهم السلطان فى شئ يفعله فكانوا يحضرون وهم سكوت لا يتكلم احد منهم خوفا من مخالفة السلطان لما يقوله وأخذ السلطان فى مواربة الامراء فما أثنوا على احد فى مجلس العرض الا وأعطاه السلطان مثالا باقطاع ردىء فلما علموا ذلك أمسكوا عن الكلام معه جملة وانفرد بالاستبداد باموره دونهم فما عرف منه أنه قدّم اليه احد الا وسأله ان كان مملوكا عمن اقدمه من التجار وسائر ما تقدّم وان كان شيخا فعن أصله وسنه وكم مصاف حضرها حتى أتى على الجميع وأفرد المشايخ العاجزين فلم يعطهم اقطاعات وجعل لكل منهم مرتبا يقوم به فانتهى العرض فى طول المحرّم ووفر كثير من مثالات الاجناد فبلغ عدّة مائتى مثال ثم أخذ فى عرض أطباق المماليك السلطانية ووفر من جوامكهم كثيرا وقطع عدّة رواتب من رواتبهم وعوّضهم عن ذلك اقطاعات وجعل جهة مكس قطيا لضعفاء الاجناد ممن قطع خبزه فجعل لكل منهم فى السنة ثلاثة آلاف درهم * وكان لبيبرس وسلار الجوكندار تعلقات كثيرة فى بيت المال وفى الاعمال كالجيزة والاسكندرية من متجر وحمايات فارتجع ذلك وأبطله وما شابهه وأضاف ما لم يقطعه الى ديوان الخاص ومما أمر به فى مدّة العرض أن لا يردّ أحد مثالا أخذه من السلطان ولو استقله ولا يشفع أمير فى جندى وان من خالف ذلك ضرب وحبس ونفى وقطع خبزه فعظمت مهابة السلطان وقويت حرمته ولم يجسر أحد أن يردّ عليه مثالا اخذه من السلطان ولا استطاع امير أن يتكلم لاحد وصار كثير ممن كان اقطاعه مثلا الف دينار الى اقطاع مائتى دينار ونحوها وكثير ممن كان اقطاعه قليلا الى اقطاع معتبر فانه كان يعطى المثال

من غير تأمل كيفما وقعت يده عليه وقدر الله سبحانه وتعالى أن السلطان كان من جملة صبيان مطبخه رجل مضحك يهزل بحضرته فيضحك منه ويعجب به ولا يعترض فيما يقول من السخف فجلس السلطان في بعض أيام العرض في البستان بقلعة الجبل وعنده الخاصة من الامراء فدخل هذا المضحك وأخذ في السخرية على عادته ليضحك السلطان الى أن قال وجدت بعض اجناد الرولك الناصري وهو راكب الا كديش وخرجه خلفه ورمحه فوق كتفه يقصد بهذا السخرية والطعن فغضب السلطان غضبا شديدا وصاح خذوه وعروه ثيابه فتبادره الاعوان وجروه برجله ونزعوا ثيابه وربطوه في الساقية مع القواديس وأكثروا من ضرب الابقار حتى اسرعت بدوران الساقية فصار المسكين ينقلب مع القواديس ويغطس في الماء تارة ويرقى اخرى ثم ينتكس والماء يمر عليه مقدار ساعة الى أن انقطع حسه وأشرف على الهلاك واشتد رعب الامراء لما رأوا من قوة غضب السلطان ثم تقدم الامير طغاي الدوادار في طائفة من الامراء الخاصكية واعتذروا عن هذا المسكين بأنه لم يرد الا أن يضحك السلطان من كلامه ولم يقصد عيب الاجناد ولا انتقاصهم ونحو هذا من القول الى أن أمر بحله فاذا ليس فيه حركة فسحب ورسم السلطان بأنه ان كان حيا لا يبيت بديار مصر فأخرج من وقته منفيا وحمد الله كل من الامراء على ما وفقه من السكوت عن الكلام في حال العرض ومازال الامر بمصر على ما رسمه الملك الناصر في هذا الرولك الى أن زالت دولة بني قلاون بالملك الظاهر برقوق في شهر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعمائة فأبقى الامر على ذلك الا أن اشياء منه اخذت تتلاشى قليلا قليلا الى ان كانت الحوادث والمحن في سنة ست وثمانمائة حيث حدث من انواع التغيرات وتنوع الظلم ما لم يخطر ببال أحد وسيمر بك جمل من ذلك عند ذكر أسباب خراب اقليم مصر ان شاء الله تعالى وكانت لاراضي مصر تقاو مخلدة في نواحيها وهي على قسمين تقاو سلطانية وتقاو بلدية فالتقاوي السلطانية وضعها الملوك في النواحي وكان الامير أو الجندي عند ما يستقر على الاقطاع يقبض ماله من التقاوي السلطانية فاذا اخرج عنه طولب بها فلما كان الرولك الناصري خلدت تقاوي كل ناحية بها وضبطت في الديوان السلطاني فبلغت جملتها مائة الف وستين ألف أردب سوى التقاوي البلدية

(ذكر الديوان)

قال أقضى القضاة ابو الحسن الماوردي الديوان موضوع لحفظ ما تعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال وفي تسميته ديوانا وجهان احدهما أن كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع انفسهم فقال ديوانه اي مجانين فسمي موضعهم بهذا الاسم ثم حذفت الهاء عند كثرة الاستعمال تخفيفا للاسم فقيل ديوان والثاني أن الديوان اسم بالفارسية للشياطين فسمي الكتاب باسمهم لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلي والخفي وجمعهم لما شذ وتفرق واطلاعهم على ما قرب وبعد ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقيل ديوان انتهى واعلم أن كتابة الديوان على ثلاثة أقسام كتابة الجيوش وكتابة الخراج وكتابة الانشاء والمكاتبات ولابد لكل دولة من استعمال هذه الاقسام الثلاثة وقد افرد العلماء في كتابة الخراج وفي كتابة الانشاء عدة مصنفات ولم أر أحدا جمع شيأ في كتابة الجيوش والعساكر وكانت كتابة الدواوين في صدر الاسلام أن يجعل ما يكتب فيه صحفا مدرجة فلما انقضت ايام بني أمية وقام عبد الله بن محمد ابو العباس السفاح استوزر خالد بن برمك بعد أبي سلمة حفص بن سليمان الخلال فجعل الدفاتر في الدواوين من الجلود وكتب فيها وترك الدروج الى أن تصرف جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك في الامور أيام الرشيد فاتخذ الكاغد وتداوله الناس من بعده الى اليوم * وذكر ابو الغر الوراق قال حدثني ابو حازم القاضي قال قال لي ابو الحسن بن المدبر لو عمرت مصر كلها لوفت بأعمال الدنيا وقال ان أرض مصر مساحتها للزراعة ثمانية وعشرون ألف ألف فدان وانما المعمر منها ألف ألف فدان قال وقال لي ابن المدبر انه كان يتقلد ديوان المشرق وديوان المغرب قال ولم أبت قط ليلة من الليالي حتى أنهيه ولا بقية وتقلدت مصر فكنت ربما نمت وقد بقي علي شئ من العمل فاستتمه اذا اصبحت

(ذكر ديوان العساكر والجيوش)

يقال ان أول من وضع ديوان الجند بخيلهم كيهراسف أحد ملوك الطبقة الثانية من الفرس وان كيقباذ قبل

كان قد أخذ العشر من الغلات وصرفه فى ارزاق جنده وأما فى الاسلام فما أخرجه البخارى ومسلم من حديث حذيفة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم اكتبوا الى من تلفظ بالاسلام من الناس فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل الحديث ذكره البخارى فى باب كتابة الامام الناس وللبخارى من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا وامرأتى حاجة قال ارجع فاحجج مع امرأتك وقال عمرو بن منبه عن معمر عن قتادة قال آخر ما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم ثمانمائة ألف درهم من البحرين فما قام من مجلسه حتى أمضاه ولم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا لأبى بكر وأول من اتخذ بيت مال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال ابن شهاب عمر أول من دوّن الدواوين وروى ابن سعد عن عائشة رضى الله عنها قالت قسم أبى الفىء عام اول فأعطى الحر عشرة والمملوك عشرة والمرأة عشرة وأمتها عشرة ثم قسم العام الثانى فأعطاهم عشرين عشرين فقيل ان سببه أن أباهريرة رضى الله عنه قدم على عمر رضى الله عنه بمال من البحرين فقال له عمر ماذا جئت به فقال خمسمائة ألف درهم فاستكثره عمر وقال أتدرى ما تقول قال نعم مائة ألف خمس مرات فقال عمر أطيب هو قال لا أدرى فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس قد جاءنا مال كثير فان شئتم كلنا لكم كيلا وان شئتم عددنا لكم عدا فقام اليه رجل فقال يا امير المؤمنين قد رأيت الاعاجم يدوّنون ديوانا لهم فدوّن أنت ديوانا فدوّن عمر * وقيل بل سببه أن عمر بعث بعثا وعنده الهرمزان فقال لعمر هذا بعث قد أعطيت اهله الاموال فان تخلف منهم رجل من اين يعلم صاحبك به فأثبت لهم ديوانا فسأله عن الديوان حتى فسره له فاستشار المسلمين فى تدوين الدواوين فقال له على بن ابى طالب تقسم كل سنة ما اجتمع عندك من المال ولا تمسك منه شيأ وقال عثمان رضى الله عنه أرى مالا كثيرا يسع الناس فان لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الامر وقال خالد بن الوليد رضى الله عنه قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دوّنوا ديوانا وجندوا جنودا فدوّن ديوانا وجند جنودا فأخذ بقوله ودعا عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا كتاب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فبدؤا ببنى هاشم وكتبوهم ثم اتبعوهم اولاد أبى بكر وقومه ثم عمر وقومه وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة ثم رفعوا ذلك الى عمر رضى الله عنه فلما نظر فيه قال لا ولكن ابدؤا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله فشكره العباس رضى الله عنه على ذلك وقال وصلت رحمك وقد اختلف فى السنة التى فرض فيها عمر رضى الله عنه الاعطية ودوّن الدواوين فقال الكلبى فى سنة خمس عشرة وحكى ابن سعد عن عمر الواقدى أنه جعل ذلك فى سنة عشرين قال الزهرى وكان ذلك فى المحرم سنة عشرين من الهجرة وقيل لما فتح الله على المسلمين القادسية وقدمت على عمر رضى الله عنه الفتوح من الشام جمع المسلمين وقال ما يحل للوالى من هذا المال فقالوا جميعا أما الخاصة فقوته وقوت عياله لا وكس ولا شطط وكسوته وكسوتهم للشتاء والصيف ودابتان الى جهاده وحوائجه وحملانه الى حجته وعمرته والقسم بالسوية وأن يعطى اهل البلاد على قدر بلادهم ويرم امور الناس بعد ويتعاهدهم فى الشدائد والنوازل حتى تنكشف ويبدأ بأهل الفىء ثم يجوزهم الى كل مغلوب ما بلغ الفىء وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما لما افتتحت القادسية وصالح من صالح من اهل السواد وافتتحت دمشق وصالح اهل الشام قال عمر رضى الله عنه للناس اجتمعوا فأحضرونى علمكم فيما أفاء الله على اهل القادسية واهل الشام فاجتمع رأى على وعمر رضى الله عنهما أن يأخذوه من قبل القرآن فقالوا ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى يعنى من الخمس فلله وللرسول يعنى من الله الامر وعلى الرسول القسم ولذى القربى واليتامى والمساكين ثم فسروا ذلك بالآية الاخرى التى تليها للفقراء المهاجرين الآية فأخذوا اربعة الاخماس على ما قسم عليه الخمس فيمن بدئ به وثنى وثلث وأربعة أخماس لمن أفاء الله عليه المغنم ثم استشهدوا على ذلك بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه الآية من تلك الطبقات الثلاث وأربعة أخماس لمن افاء الله عليه فقسم الاخماس على ذلك فاجتمع على ذلك عمر وعلى وعمل به المسلمون بعد ذلك فبدأ بالمهاجرين ثم الانصار ثم التابعين الذين شهدوا معهم وأعانوهم ثم فرض الاعطية من الجزا على من صالح اودعا الى الصلح من جرايه فرده عليهم بالمعروف وليس فى الجزا أخماس الجزا لمن منع الذمة ووفى لهم ممن ولى ذلك منهم ولمن لحق بهم

قوله وقال الضحاك الخ لا تخلو هذه العبارة عن نظر اه

فأعانهم بأسوة الأأن يواسوا بفضله عن طيب انفس منهم من لم ينل مثل الذى نالوا وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال عمر رضى الله عنه انى مجند المسلمين على الاعطية ومدونهم ومتحرى الحق فقال عبد الرحمن بن عوف وعثمان وعلى رضى الله عنهم ابدأ بنفسك قال لا أبدأ الابعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب منهم من رسول الله ففرض للعباس وبدأ به ثم فرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ثم فرض لمن بعد بدر الى الحديبية أربعة آلاف اربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية الى أن اقلع ابو بكر رضى الله عنه عن اهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ودخل فى ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ومن ولى الايام قبل القادسية كل هؤلاء على ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لاهل القادسية وأهل الشام اصحاب اليرموك ألفين ألفين وفرض لاهل البلاد النازح منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة فقيل له لو ألحقت أهل القادسية بأهل الايام فقال لم أكن لالحقهم بدرجة من لم يدركوا لاها الله اذن وقيل له قد سوّيتهم على بعد دارهم بمن قد قربت داره وقاتل عن فنائه فقال هم كانوا أحق بالزيادة لانهم كانوا رداء الحتوف وشجى للعدو وايم الله ماسويتهم حتى استطبتهم فهلا قال المهاجرون مثل قولهم حين سوّينا بين السابقين من المهاجرين وبين الانصار وقد كانت نصرة الانصار بفنائهم وهاجر اليهم المهاجرون من بعد وفرض للروادف الذين ردفوا بعد افتتاح القادسية واليرموك بعد الفتح ثلثمائة ثلثمائة سوى كل طبقة فى العطاء ليس بينهم تفاضل قويهم وضعيفهم عربيهم وأعجميهم فى طبقاتهم سواء حتى اذا حوى اهل الامصار من حووا من سباياهم وردفت المربع من الروادف فرض لهم على خمسين ومائتين وفرض لمن ردف من الروادف الخمس على مائتين فكان آخر من فرض له عمر رضى الله عنه اهل هجر على مائتين ومات عمر على ذلك وأدخل فى أهل بدر أربعة من غير اهل بدر الحسن والحسين وأباذر وسلمان وقال ابو سلمة فرض عمر للعباس على خمسة وعشرين ألفا وقال الزهرى على اثنى عشر ألفا وجعل نساء اهل بدر الى الحديبية على اربعمائة اربعمائة ونساء من بعد ذلك الى الايام قبل القادسية على ثلثمائة ثلثمائة ثم نساء اهل القادسية على مائتين مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل للصبيان من اهل بدر وغيرهم مائة مائة ثم دعا ستين مسكينا فأطعمهم خبزا بلح فأحصوا ما اكلوه فوجدوه يخرج من جريتين ففرض لكل انسان يقوم بالامر له ولعياله جريتين جريتين فى كل شهر مسلمهم وكافرهم وفرض لازواج النبى صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف الامن جرى عليه البيع فقالت امهات المؤمنين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهن فى القسمة ولكن كان يسوى بيننا فسوّ بيننا فجعلهن على عشرة آلاف عشرة آلاف وفضل عائشة رضى الله عنها بألفين فأبت فقال لفضل منزلتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا اخذتها فشأنك وكان الناس اعشارا فكانت العرفاء ثلاثة آلاف عريف كل عريف على عشرة ورزق الخيل على اعرافها فما زالوا كذلك حتى اختطت الكوفة والبصرة فغيرت العرفاء والاعشار وجعلت اسباعا وجعل مائة عريف على كل مائة ألف درهم عريف وكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة واربعين رجلا وثلاثا واربعين امرأة وخمسين من العيال لهم مائة ألف درهم وكل عرافة من أهل الايام عشرين رجلا على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة ولكل عيل مائة على مائة ألف درهم وكل عرافة من الرادفة الاولى ستين رجلا وستين امرأة واربعين من العيال ممن كان رجالهم الحقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم وكان العطاء يدفع الى امراء الاسباع واصحاب الرايات والرايات على ايادى العرب فيدفعونه الى العرفاء والنقباء والامناء فيدفعونه الى أهله فى دورهم فمات عمر رضى الله عنه والامر على ذلك وقد عزم قبل موته أن يجعل العطاء اربعة آلاف اربعة آلاف وقال لقد هممت أن أجعل العطاء اربعة آلاف اربعة آلاف ألف يخلفها الرجل فى أهله وألف يتزودها معه فى سفره وألف يتجهزبها وألف يترفق بها فمات وهو فى ارتياد ذلك قبل أن يفعل وكان يقرى البعوث على قدر المسافة ان كان بعيدا فسنة وان كان دون ذلك فستة اشهر فاذا اخل الرجل بثغره نزعت عمامته واقيم فى مسجد حيه فقيل هذا فلان قد أخل وقال سيف بن عمر أول عطاء أخذ سنة خمس عشرة وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه يبعث من مصر الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه فلما استخلف عثمان رضى الله عنه لثلاث مضين من المحرم سنة اربع وعشرين زاد الناس مائة وكان اول من زاد ورفد أهل الامصار وهو اول من رفدهم وصنع فيهم الصنائع فاستن به الخلفاء فى الزيادة وكان عمر قد فرض لكل نفس منفوسة من اهل الفىء فى رمضان

درهما فى كل يوم وفرض لامهات المؤمنين درهمين فقيل له لو صنعت لهم به طعاما فجمعتهم عليه فقال
اشبعوا الناس فى بيوتهم فأقر عثمان رضى الله عنه ذلك وزاد فوضع لهم طعام رمضان وقال هو للمتعبد الذى
يتخلف فى المسجد ولابن السبيل وللمعترين بالناس فى رمضان فاقتدى به الخلفاء من بعده * وكان بمصر
فى خلافة معاوية بن أبى سفيان اربعون ألفا وكان منهم اربعة آلاف فى مائتين مائتين وكان انما يحمل الى
معاوية ستمائة ألف دينار عن فضل اعطيات الجند وما يصرف الى الناس وكان معاوية قد جعل على كل قبيلة
من قبائل العرب بمصر رجلا يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول هل ولد الليلة فيكم مولود وهل نزل بكم
نازل فيقال ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيكتب اسماءهم ويقال نزل بهم رجل من أهل كذا بعياله فيسميه
وعياله فاذا فرغ من القبيل اتى الديوان حتى يثبت ذلك واعطى مسلمة بن مخلد الانصارى امير مصر اهل الديوان
اعطياتهم واعطيات عيالهم وارزاقهم ونوائبهم ونوائب البلاد من الجسور وأرزاق الكتبة وحملان القمح الى
الحجاز وبعث الى معاوية بستمائة الف دينار فضلا واول تدوين كان بمصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه
ثم دون عبد العزيز بن مروان تدوينا ثانيا ودون قرة بن شريك التدوين الثالث ثم دون بشر بن صفوان تدوينا
رابعا ثم لم يكن بعد تدوين بشر شئ له ذكر الا ما كان من الحاق قيس بالديوان فى خلافة هشام بن عبد الملك بن
مروان فلما انقرضت دولة بنى امية وغلبت المسوّدة بنو العباس احدثوا اشياء حتى اذا مات عبد الله المأمون بن
هرون الرشيد لسبع خلون من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين وبويع اخوه المعتصم أبو اسحاق محمد بن هرون
كتب الى كندر بن نصر الصفدى امير مصر يامره باسقاط من فى ديوان مصر من العرب وقطع العطاء عنهم ففعل
ذلك وكان مروان بن محمد الجعدى آخر خلائف بنى أمية قطع عن أهل مصر العطاء سنة ثم كتب اليهم
كتابا يعتذر فيه انى انما حبست عنكم العطاء فى السنة الماضية لعدو حضرنى فاحتجت الى المال وقد وجهت
اليكم بعطاء السنة الماضية وعطاء هذه السنة فكلوه هنيأ مريأ وأعوذ بالله أن أكون أنا الذى يجرى الله
قطع العطاء على يديه ولما قطع كندر عطاء أهل مصر خرج يحيى بن الوزير الجروى فى جمع من لخم وجذام وقال له
هذا امر لا يقوم فينا افضل منه لانا منعنا حقنا وفيئنا فاجتمع اليه نحو خمسمائة رجل ومات كندر فى ربيع الآخر
سنة تسع عشرة ومائتين وولى ابنه المظفر مصر من بعده فسار الى يحيى وقاتله فى بحيرة تنيس وأخذه اسيرا
فانقرضت دولة العرب من مصر وصار جندها العجم والموالى من عهد المعتصم الى أن ولى الامير ابو العباس احمد
ابن طولون مصر فاستكثر من العبيد وبلغت عدتهم زيادة على أربعة وعشرين ألف غلام تركى وأربعين
ألف اسود وسبعة آلاف حر مرتزق ثم استجد ابنه الامير ابو الجيش خمارويه بعده عدة من شناترة حوف ٢
مصر فلما كانت امارة الامير ابى بكر محمد بن طغج الاخشيد على مصر بلغت عدة عساكره بمصر والشام
اربعمائة ألف تشتمل على عدة طوائف ثم ان الاستاذ أبا المسك كافورا الاخشيدى استجد عدة من السودان
فى ايام تحكمه بمصر فلما تغلب الامام المعز لدين الله ابو تميم معد الفاطمى على مصر صارت عساكرها ما بين
كتامة وزويلة ونحوها من طوائف البربر وفيهم الروم والصقالبة وهم فى العدد كما قيل * ومنهم مدد * ولم
تكن جيوشه تعد * ولا لما اوتيه كان حد * من كل ما يسعد فيه جد * وحتى قيل انه لم يطأ الارض بعد جيش
الاسكندر بن فليبش المقدونى اكثر عددا من جيوش المعز فلما قام فى الخلافة بمصر من بعده ابنه العزيز بالله
ابو منصور نزار استخدم الديلم والاتراك واختص بهم * وذكر الامير المختار عبد الملك المسبحى فى تاريخه أن خزانة
الخاص حملها لما خرج العزيز الى الشام عشرون ألف جمل خارجا عن خزائن القواد واكابر الدولة * وذكر ابن
ميسر فى تاريخه أن عبيد السيدة أم المستنصر بالله ابى تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله ابى الحسن على بن
الحاكم بامر الله ابى على منصور بن العزيز بالله خاصة كانت عدتهم خمسين ألف عبد سوى طوائف العسكر
ورأيت بخط الاسعد بن مماتى ان عدة الجيوش بمصر فى ايام رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك كانت أربعين ألف
فارس وستة وثلاثين ألف راجل وزاد غيره وعشرة شوانى بحرية فيها عشرة آلاف مقاتل وهذا عند انقراض
الدولة الفاطمية فلما زالت دولتهم على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب أزال جند مصر
من العبيد السود والامراء المصريين والعربان والارمن وغيرهم واستجد عسكرا من الاكراد والاتراك خاصة
وبلغت عدة عساكره بمصر اثنى عشر ألف فارس لا غير فلما مات افترقت من بعده ولم يبق بمصر مع ابنه الملك

العزيز عثمان سوى ثمانية آلاف فارس وخمسمائة فارس الا أن فيهم من له عشرة اتباع وفيهم من له عشرون وفيهم من لها كثر من ذلك الى مائة تبع لرجل واحد من الجند فكانوا اذا ركبوا ظاهر القاهرة يزيدون على مائتي ألف ثم لم يزالوا فى افتراق واختلاف حتى زالت دولتهم بقيام عبيدهم المماليك الاتراك فخذوا حذو مواليهم بنى ايوب واقتصروا على الاتراك وشيء من الاكراد واستجدوا من المماليك التى تجلب من بلاد الترك شيأ كثيرا حتى يقال ان عدة مماليك الملك المنصور قلاوون كانت سبعة آلاف مملوك ويقال اثنى عشر ألفا وكانت عدة مماليك ولده الاشرف خليل بن قلاون اثنى عشر ألف مملوك ثم لم تبلغ بعد ذلك قريبا من هذا الى ان زالت دولة بنى قلاون فى شهر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعمائة بالملك الظاهر برقوق فاخذ فى محو المماليك الاشرفية وانشأ لنفسه دولة من المماليك الجركسية بلغت عدتهم ما بين مشترى ومستخدم اربعة آلاف او تزيد قليلا فلما قام من بعده ابنه الناصر فرج افترقوا واختلفوا فلم يقتل حتى هلك كثير منهم بالقتل وغيره وعساكر مصر فى الدولة التركية على قسمين اجناد الحلقة والمماليك السلطانية واكثر ما كانت اجناد الحلقة فى ايام الناصر محمد بن قلاون فانها بلغت على ما رايته فى جرائد ديوان الجيش بأوراق الروك الناصرى اربعة وعشرين ألف فارس ثم مازالت تنقص حتى صارت اليوم مع قلة عدتها سواء منها الالف والواحد فانها لا تنفع ولا تدفع واما المماليك فانها اليوم قليل عددها بحيث لو جمعت اجناد الحلقة مع المماليك السلطانية لا تكاد أن تبلغ خمسة آلاف فارس يصلح منها الان يباشر القتال ألف او دونها وهى اليوم قسمان اجناد الحلقة والمماليك السلطانية والمماليك السلطانية ثلاثة اقسام ظاهرية وناصرية ومؤيدية والمؤيدية ما بين حكمية ونوروزية ومن استجده المؤيد وان خوفى لكثر أن يكون الحال بعد الملك المؤيد أبى النصر شيخ خلد الله ملكه يتلاشى الى أن يؤيد الله الملك بابنه الامير صارم الدين ابراهيم شد الله به ازره فانه فتح من البلاد الرومية ما لا ملكه أحد من ملوك مصر فى الدولة الاسلامية قبله * والشبل فى المخبر مثل الاسد * وابن السرى اذا سرى اسراهما * ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده * بأبه اقتدى عدى فى الكرم * ومن يشابه أبه فما ظلم * ان الاصول عليها ينبت الشجر * ثم لما ملك الاشرف برسباى صارت المماليك سبع طوائف ظاهرية وناصرية ومؤيدية ونوروزية وحكمية وططرية واشرفية كل طائفة منها مباينة لجميعها فلذلك اضمحلت شوكتهم وانكسرت حدتهم وأمنت على السلطان غائلتهم ولم يخف ثورتهم لتفرقهم وان كانوا مجتمعين وتباينهم وان كانوا فى الظاهر متفقين واعلم انه كانت عادة الخلفاء من بنى امية وبنى العباس والفاطميين من لدن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تجبى اموال الخراج ثم تفرق من الديوان فى الامراء او العمال والاجناد على قدر رتبهم وبحسب مقاديرهم وكان يقال لذلك فى صدر الاسلام العطاء ومازال الامر على ذلك الى أن كانت دولة العجم فغيرهذا الرسم وفرقت الاراضى اقطاعات على الجند واول من عرف انه فرق الاقطاعات على الجند نظام الملك ابو على الحسن بن على بن اسحاق بن العباس الطوسى وزير البرشلان ابن داود بن ميكال بن سلجوق ثم وزر ابنه ملكشاه بن البرشلان وذلك ان مملكته اتسعت فرأى أن يسلم الى كل مقطع قرية او اكثر او اقل على قدر اقطاعه لانه رأى ان فى تسليم الاراضى الى المقطعين عمارتها لاعتناء مقطعيها بأمرها بخلاف ما اذا شمل جميع اعمال المملكة ديوان واحد فان الخرق يتسع ويدخل الخلل فى البلاد ففعل نظام الملك ذلك وعمرت به البلاد وكثرت الغلات واقتدى بفعله من جاء بعده من الملوك من اعوام بضع وثمانين واربعمائة الى يومنا هذا وكانت الخلفاء ترزق من بيت المال فذكر عطاء بن السائب فى حديث ان أبا بكر رضى الله عنه لما استخلف فرض له كل يوم شطر شاة وما يكسى به الرأس والبطن وذكر عن حميد بن هلال انه فرض له بردان اذا اخلقهما وضعهما وأخذ مثلهما وظهره اذا سافر ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف وذكر ابن الاثير فى تاريخه ان الذى فرضوا له ستة آلاف درهم فى السنة وفرض لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لما استخلف ما يصلحه ويصلح عياله بالمعروف وقال له على رضى الله عنه ليس لك غيره فقال القوم القول ما قال على يأخذ قوته وفرض عمر لمعوية بن ابى سفيان على عمله فى الشام عشرة الاف دينار فى السنة وقيل بل رزقه ألف دينار وهو اشبه

* (ذكر القطائع والاقطاعات) *

يقال اقتطع طائفة من الشئ اخذها والقطيعة ما اقتطعه منه وأقطعنى اياها اذن لى فى اقتطاعها واستقطعه اياها

سأله أن يقطعه اياها وأقطعه نهرا وأرضا اباح له ذلك وقد أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتألف على الاسلام
قوما وأقطع الخلفاء من بعده من رأوا فى اقطاعه صلاحا * روى ابن ابى نجيح عن عمرو بن شعيب عن ابيه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع أناسا من مزينة او جهينة ارضا فلم يعمروها فجاء قوم فعمروها فخاصمهم
الجهنيون او المزنيون الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمر لو كانت منى او من ابى بكر لرددتها ولكنها قطيعة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من كانت له ارض ثم تركها ثلاث سنين لا يعمرها فعمرها قوم آخرون
فهم أحق بها * وقال هشام بن عروة عن أبيه اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أرضا فيها نخل من اموال
بنى النضير وذكر انها ارض يقال لها الجرف * وذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقطع العقيق أجمع
الناس حتى جازت قطيعة عروة فقال ابن الزبير المستقطعون فند اليوم فان يك فيه خير فتحت قدمى قال خوات
ابن جبير أقطعنيه فأقطعه اياه وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم
المدينة اقطع أبابكر وأقطع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وقال اشعث بن سوار عن حبيب بن أبى ثابت عن
صلت المكى عن أبى رافع قال اعطى النبى صلى الله عليه وسلم قوما ارضا فعجزوا عن عمارتها فباعوها فى زمن عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه بثمانية آلاف دينار او بثمانمائة الف درهم فوضعوا اموالهم عند على بن أبى طالب رضى
الله عنه فلما اخذوها وجدوها ناقصة فقالوا هذا ناقص قال احسبوا زكاته قال فحسبوا زكاته فوجدوه وافيا
فقال احسبتم أن امسك مالا ولا ازكيه وقد سأل تميم الدارى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطعه عيون
البلد الذى كان منه بالشام قبل فتحه ففعل وسأله أبو ثعلبة الخشنى أن يقطعه ارضا كانت بيد الروم فأعجبه
ذلك وقال ألا تسمعون ما يقول فقال والذى بعثك بالحق ليفتحن عليك فكتب له بذلك كتابا وقال ثابت بن سعد عن
أبيه عن جده ان الابيض بن جمال استقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملح مارب فأقطعه فقال الاقرع بن
حابس التميمى يا رسول الله انى وردت هذا الملح فى الجاهلية وهو بأرض ليس فيها ملح من ورده أخذه وهو مثل
الماء العذب بالارض فاستقال الابيض فقال قد أقلتك على أن تجعله منى صدقة فقال النبى صلى الله عليه وسلم
هو منك صدقة وهو مثل الماء العذب من ورده اخذه وقال كثير بن عبد الله بن عوف المزنى عن أبيه عن جده
اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث المعادن القبلية جلسيها وغوريها وقال مالك عن ربيعة
عن قوم من علمائهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطع بلال بن الحرث المزنى معادن بناحية الفرع * وعن
ربيعة عن الحرث بن بلال عن أبيه بلال بن الحرث ان النبى صلى الله عليه وسلم اقطعه العقيق اجمع وعن حماد بن
سلمة عن أبى مكين عن أبى عكرمة مولى بلال بن الحرث قال أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ارضا فيها
جبل معدن فباع بنو بلال عمر بن عبد العزيز ارضا منها فظهر فيها معدن او قال معدنان فقالوا انما بعناك ارض
حرث ولم نبعك المعادن وجاؤا بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم لهم فى جريدة فقبلها عمر وفتح ومسح بها عينيه وقال لقيمه
انظر ما خرج منها وما انفقت فقاصهم بالنفقة ورد عليهم الفضل واصطفى عمر بن الخطاب رضى الله عنه من ارض
السواد أموال كسرى وأهل بيته وما هرب عنه اربابه او هلكوا فكان مبلغ غلته تسعة آلاف ألف درهم كان
يصرفها فى مصالح المسلمين ولم يقطع شيأ منها ثم ان عثمان رضى الله عنه اقطعها لانه رأى اقطاعها اوفر لغلتها
من تعطيلها وشرط على من اقطعها أن يأخذ منه حق الفىء فكان مبلغ غلته خمسين ألف ألف درهم فكان
منها صلاته وعطاياه ثم تناقلها الخلفاء بعده فلما كان عام الجماجم سنة اثنتين وثمانين فى فتنة عبد الرحمن بن الاشعث
احرق الديوان واخذ كل قوم ما يليهم وأقطع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابن سندر منية الاصبغ فحازها
لنفسه ألف فدان وقال وكيع عن سفيان عن جابر الجعفى عن عامر لم يقطع ابو بكر ولا عمر ولا على رضى الله عنهم
واول من اقطع القطائع عثمان رضى الله عنه وبيعت الارضون فى خلافة عثمان قال الليث بن سعد ولم يبلغنا ان
عمر بن الخطاب اقطع أحدا من الناس شيأ من ارض مصر الا ابن سندر فانه اقطعه ارض منية الاصبغ فلم تزل له
حتى مات فاشتراها الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان من ورثته فليس بمصر قطيعة اقدم منها ولا أفضل
وقال الاعمش عن ابراهيم بن المهاجر عن موسى بن طلحة قال اقطع عثمان رضى الله عنه عبد الله بن مسعود
النهرين وعمار بن ياسر اسنسا واقطع خبابا وصهيبا واقطع سعد بن أبى وقاص قرية هرمز وكان عبد الله ٩
ابن مسعود وسعد يعطيان ارضهما بالثلث والربع * وقال سيف بن عمر عن عمرو بن محمد عن عامر

قال

قال اقطع الزبير وخباب وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وابن هبار ازمان عثمان فان يكن عثمان اخطأ فالذين قبلوا منه الخطأ اخطأوا وهم الذين اخذنا عنهم ديننا واقطع عمر بن الخطاب رضى الله عنه طلحة وجرير ابن عبد الله والربيل بن عمرو واقطع أبا مفرز دار النيل فى عدة ممن أخذنا عنه وانما القطائع على وجه النفل من خمس ما أفاء الله وكتب عمر رضى الله عنه الى عثمان بن حنيف مع جرير بن عبد الله البجلى أما بعد فأقطع جرير ابن عبد الله قدر ما يقوته لا وكس ولا شطط فكتب عثمان الى عمر ان جريرا قدم على بكتاب منك تقطعه ما يقوته فكرهت أن أمضى ذلك حتى اراجعك فيه فكتب اليه صدق جرير فأنفذ ذلك وقد أحسنت فى مؤامرتى وأقطع أبو موسى الاشعرى وأقطع على بن أبى طالب رحبة كردوس بن هانى وأقطع سويد بن غفلة الجعفى قال سيف ٢
عن ثابت بن هريمة عن سويد بن غفلة قال استقطعت عليا فقال اكتب هذا ما أقطع على سويدا ارض الدوابة ما بين كذا الى كذا ما شاء الله وذكر أبو القسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ما اقطعه معاوية بن أبى سفيان ومن بعده من الخلفاء من دور مصر فأورد شيأ كثيرا * وقد كان خلفاء بنى امية وخلفاء بنى العباس يقطعون الاراضى من ارض مصر النفر من خواصهم لا كما هو الحال اليوم بل يكون مال خراج ارض مصر يصرف منه اعطية الجند وسائر الكلف ويحمل ما يفضل الى بيت المال وما اقطع من الاراضى فانه بيد من اقطعه وأما منذ كانت ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب الى يومنا هذا فان اراضى مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده * وارض مصر اليوم على سبعة اقسام قسم يجرى فى ديوان السلطان وهذا القسم ثلاثة اقسام منه ما يجرى فى ديوان الخاص ومنه ما يجرى فى الديوان المفرد وقسم من اراضى مصر قد اقطع للامراء والاجناد وقد ذكر تفصيل ذلك عند ذكر الروك الناصرى وقسم ثالث جعل وقفا محبسا على الجوامع والمدارس والخوانك وعلى جهات البر وعلى ذرارى واقفى تلك الاراضى وعتقائهم وقسم رابع يقال له الاحباس يجرى فيه اراض بأيدى قوم يأكلونها اما عن قيامهم بمصالح مسجد أو جامع واما يكون لهم لافى مقابلة عمل * وقسم خامس قد صار ملكا يباع ويشترى ويورث ويوهب لكونه اشترى من بيت المال * وقسم سادس لا يزرع للعجز عن زراعته فترعاه المواشى او ينبت الحطب ونحوه * وقسم سابع لا يشمله ماء النيل فهو قفر وهذا القسم منه ما لم يزل كذلك منذ عرفت احوال الخليقة ومنه ما كان عامرا فى الدهر الاول ثم خرب وسائر هذه الاقسام مذكورة اخبارها فى هذا الكتاب تجدها ان أنت تأملته ان شاء الله تعالى وقال أبو عبد الله القاسم بن سلام فى كتاب الاموال فى الكلام على حديث معمر عن عبد الله بن طاوس عن أبيه طاوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عادى الارض لله ولرسوله ثم هى لكم قلت ما معنى ذلك قال تكون اقطاعا هذا الخبر أصل فى الاقطاع والعادى كل ارض كان لها سكان فانقرضوا أى فصارت خرابا فان حكمها الى الامام قال وأما الارض التى جعلها النبى صلى الله عليه وسلم لبعض الناس وهى عامرة لها أهل فاعطاء الامام يكون على وجه النفل ومن ذلك ما اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم تميما الدارى فانه اعطاه ارضا بالشام من قبل أن يفتح الشام وقبل ان يملكها المسلمون فجعلها له نفلا من اموال أهل الحرب اذا ظهر عليهم كما فعل نائبه نفيلة لما وهبها الشيبانى قبل افتتاح الحيرة فامضاها له خالد بن الوليد رضى الله عنه وكذلك امضى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لتميم الدارى لما فتحت فلسطين ما كان النبى صلى الله عليه وسلم نفله انتهى فقد خرج أبو عبد الله هذه العطية المعلقة مخرج النفل الذى ينفله الامام بعض المقاتلة * وقال أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى فى الاحكام السلطانية والاقطاع ضربان اقطاع استغلال واقطاع تمليك والثانى ينقسم الى موات وعامر والثانى ضربان أحدهما ما يتعين مالكه ولا نظر للسلطان فيه الا تلك الارض فى حق لبيت المال اذا كانت فى دار الاسلام فان كانت فى دار الحرب حيث لم يثبت للمسلمين عليها يد فأراد الامام أن يقطعها ليملكها المقطع عند الظفر بها فانه يجوز فقد سأل تميم الدارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيه عيون البلد الذى كان منه قبل ان يفتح الشام ففعل وسأله أبو ثعلبة الخشنى أن يقطعه ارضا كانت بيد الروم فأعجبه ذلك وقال ألا تسمعون ما يقول هذا فقال والذى بعثك بالحق ليفتحن عليك فكتب له بذلك كتابا قال الماوردى وهكذا لو استوهب أحد من الامام مالا فى دار الحرب وهو على ملك أهلها أو استوهبه شيأ من سبيها أو ذرارها ليكون احق به اذا فتحت جاز وصحت العطية منه مع الجهالة بها لتعلقها بالامور العامة * وقد روى الشعبى ان خزيمة بن اوس الطائى قال للنبى صلى الله عليه

وسلم ان فتح الله عليك الحيرة فأعطنى بنت نفيلة فلما أراد خالد صلح أهل الحيرة قال له خزيمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطانى بنت نفيلة فلا تدخلها فى صلحك فشهد له بشر بن سعد ومحمد بن مسلمة فاستثناها من الصلح ودفعها الى خزيمة فاشتريت بألف درهم وكانت عجزت وحالت عما عهد منها فقيل له قد ارخصتها وكان أهلها يدفعون لك اضعاف ماسألت فقال ما كنت اظن ان عددا يكون اكثر من ألف قال الماوردى واذا صح الاقطاع والتمليك على هذا الوجه نظر حال الفتح فان كان صلحا خلصت الارض لمقطعها وكانت خارجة عن حكم الصلح بالاقطاع السابق وان كان الفتح عنوة كان المقطع والمستوهب احق بما استقطعه واستوهبه من الغانمين ونظر فى الغانمين فان كانوا اعلموا بالاقطاع أو الهبة قبل الفتح فليس لهم المطالبة بعوض وان لم يعلموا حتى فتحوا عاوضهم الامام بما يستطيب نفوسهم من غير ذلك من الغنائم وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يلزم الامام استطابة نفوسهم منه ولا من غيره من الغنائم اذا رأى المصلحة فى ذلك

(ذكر ديوان الخراج والاموال)

يقال لكتابة الخراج قلم التصريف وأول مادون هذا الديوان فى الاسلام بدمشق والعراق على ما كان عليه قبل الاسلام وكان ديوان الشام بالرومية وديوان العراق بالفارسية وديوان مصر بالقبطية فنقلت دواوين هذه الامصار الى العربية والذى نقل ديوان مصر من القبطية الى العربية عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر فى خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين ونسخها بالعربية وصرف اثناس عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزارى من أهل حمص واول من نقل الدواوين من الفارسية الى العربية الوليد بن هشام بن مخزوم ابن سليمان بن ذكوان وتوفى سنة اثنتين وعشرين ومائتين والاكثرون على ان الذى نقل ديوان العراق الى العربية صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان مولى لبنى سعد وهو يومئذ صاحب دواوين العراق وذلك بعد سنة ثمانين وسبب ذلك ان صالح بن عبد الرحمن هذا كان أبوه من سبى سجستان ومهر صالح فى الكتابة وكتب لزادان فروخ كاتب الحجاج بن يوسف الثقفى وخط بين يديه بالفارسية والعربية فخف على قلب الحجاج فخاف من زادان وقال له انت الذى رقيتنى حتى وصلت الى الامير واراه قد استخفنى ولا آمن أن يقدمنى عليك فتسقط منزلتك فقال زادان لا تظن ذلك هو أحوج الى منى اليه لانه لا يجد من يكفيه حسابه غيرى فقال صالح والله لو شئت ان احول الحساب الى العربية لحولته قال فحول منه اسطرا حتى أرى ففعل فقال له تمارض فتمارض فبعث اليه الحجاج بطبيبه فشق ذلك على زادان وأمره ان لا يظهر للحجاج فاتفق عقيب ذلك ان زادان قتل فى فتنة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وهو خارج من موضع كان فيه الى منزله فاستكتب الحجاج بعده صالحا فأعلم الحجاج بما جرى له مع زادان فى نقل الديوان فأعجبه ذلك وعزم عليه فى امضائه فنقله من الفارسية الى العربية وشق ذلك على الفرس وبذلوا له مائة ألف درهم على أن لا يظهر النقل فأبى عليهم فقال له مروان شاه بن زادان فروخ قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما اعظم منته على الكتاب وأما ديوان الشام فان الذى نقله من الرومية الى العربية أبو ثابت سليمان بن سعد كاتب الرسائل واختلف فى وقت نقله فقيل نقل فى خلافة عبد الملك بن مروان وقيل فى خلافة هشام بن عبد الملك وكان الذى يكتب على ديوان الشام سرجون بن منصور النصرانى فى أيام معاوية بن أبى سفيان ثم كتب بعده ابنه منصور ابن سرجون

(ذكر خراج مصر فى الاسلام)

اول من جبى خراج مصر فى الاسلام عمرو بن العاص رضى الله عنه فكانت جبايته اثنى عشر ألف ألف دينار بفريضة دينارين دينارين من كل رجل ثم جبى عبد الله بن سعد بن أبى سرح مصر أربعة عشر ألف ألف دينار فقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله درت اللقحة باكثر من درها الاول فقال اضررتم بولدها وهذا الذى جباه عمرو ثم عبد الله انما هو من الجماجم خاصة دون الخراج وانحط خراج مصر بعدهما لنمو الفساد مع الزمان وسريان الخراب فى اكثر الارض ووقوع الحروب فلم يجبها بنو امية وخلفاء بنى العباس الادون الثلاثة آلاف ألف ما خلا أيام هشام بن عبد الملك فانه وصى عبيد الله بن الحبحاب عامل مصر بالعمارة

فيقال

فيقال انه لم يظهر من خراج مصر بعد تناقصه كثرة الافى وقتين * أحدهما فى خلافة هشام بن عبد الملك عند ماولى الخراج عبيدالله بن الحبحاب فخرج بنفسه ومسح العامر من أراضى مصر والغامر مما يركبه ماء النيل فوجد فانون ذلك ثلاثين ألف ألف فدان سوى ارتفاع الجرف ووسخ الارض فراكها كلها وعدلها غاية التعديل فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينار هذا والسعر راخ والبلد بغير مكس ولاضريبة وفى سنة سبع ومائة لاول أيام هشام بن عبد الملك وظف ابن الحبحاب بمصر طبقات معلومة منسوبة فى الدواوين ولم تزل الى ما بعد ذهاب بنى امية ومبلغها ألف ألف ديناروسبعمائة ألف دينار وثمانمائة وسبعة وثلاثون دينارامنها على كور الصعيد ألف ألف وار بعمائة دينار وعشرون دينارا ونصف والباقى على كور اسفل الارض ويقال ان اسامة بن زيد جباها فى خلافة سليمان بن عبد الملك مبلغ اثنى عشر ألف ألف دينار * والوقت الثانى فى امارة أحمد بن طولون لما تسلم أرض مصر من أحمد بن محمد بن مدبر وقد خربت أرض مصر حتى بقى خراجها ثمانمائة ألف ألف دينار فاستقصى أحمد بن طولون فى العمارة وبالغ فيها فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار وجباها ابنه الامير أبو الجيش خمارويه بن أحمد اربعة آلاف ألف دينار مع رخاء الاسعار ايامئذ فانه ربما بيع فى الايام الطولونية القمح كل عشرة أرادب بدينار * وذكر ابن خردادبه ان خراج مصر فى ايام فرعون كان ستة وتسعين ألف ألف دينار وان ابن الحبحاب جباها الفى ألف وسبعمائة ألف وثلاثة وعشرين الفا وثمانمائة وتسعة وثلاثين دينارا وهذا وهم منه فان هذا القدر هو ما حمله الى بيت المال بدمشق بعد أعطية أهل مصر وكلفها قال وحمل منها موسى بن عيسى الهاشمى "ألفى ألف" ومائة ألف وثمانين ألف دينار يعنى بعد العطاء والمؤن وسائر الكلف قال وكان خراج مصر اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا وعشر اصابع أربعة آلاف ألف دينار ومائتى ألف وسبعة وخمسين ألف دينار والمقبوض عن الفدان دينارين فى خلافة المامون وغيره وبلغ خراج مصر فى أيام الامير أبى بكر محمد بن طغج الاخشيد الفى ألف دينار سوى ضياعه التى كانت ملكاله والاخشيد أول من عمل الرواتب بمصر وكان كاتبه ابن كلا قد عمل تقديرا عجز فيه المرتب عن الارتفاع مائتى ألف دينار فقال له الاخشيد كيف نعمل قال حط من الجرايات والارزاق فليس هؤلاء اولى من الواجب فقال غدا تجيئنى وندبر هذا فلما تامن الغد قال له الاخشيد قد فكرت فيما قلت فاذا اصحاب الرواتب الضعفاء وفيهم المستورون وأبناء النعم ولست آخذ هذا النقص الامنك فقال ابن كلا سبحان الله فقال تسبيحا وما زال به الاخشيد حتى أخذ خطه بالقيام بذلك فعوتب على ماصنعه فقال ياقوم اسمعوا ايش كان يعمل جاء أحمد بن محمد بن الماردانى فقال له ما بينى وبين السلطان معاملة ولا للاخشيد على طريق وهذه هدية عشرة آلاف دينار للاخشيد وألف دينار لك فجاءنى وقال لك قبل ابن الماردانى مطالبة فقلت لا نقال هذه ألف دينار قد جاءتك على وجه الماء فاعطانى ألفا وأخذ عشرة آلاف دينار واهدى الى محمد بن على الماردانى فى وقت عشرين ألف دينار على يده فاستقللتها فلما اجتمعنا عاتبته فقال لى ارسلت اليك مائة ألف دينار ولابن كلا كاتبك عشرين ألف دينار فأخذ المائة واعطانى العشرين القافذكرت قول محمد بن على له فقال ما ابرد هذا حفظت لك المائة ألف لوقت حاجتك تريدها خذها وانا اعلم انك تتلفها * (وبلغت الرواتب) فى ايام كافور الاخشيدى خمسمائة ألف دينار فى السنة لارباب النعم والمستورين واجناس الناس ليس فيهم أحد من الجيش ولامن الحاشية ولامن المتصرفين فى الاعمال فحسن له على بن صالح الروذبادى الكاتب ان يوفر من مال الرواتب شيأ ينتقصه من ارزاق الناس فساعة جلس يعمل حكه جبينه فحكه بقلمه والحكاك يزيد به الى ان قطع العمل وقام لمابه فعولج حينئذ بالحديد حتى مات فى رمضان سنة سبع وأربعين وثلثمائة وهذه موعظة من الله لمن توسط للناس بالسوء قال تعالى ولا يحيق المكر السيىء الا باهله * ولما مات كافور نزلت محن شديدة كثيرة بمصر من الغلاء والفناء والفتن فاتضع خراجها الى ان قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بعساكر مولاه المعز لدين الله أبى تميم معد فجبى الخراج لسنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثلاثة آلاف ألف دينار واربعمائة ألف دينار ونيفا وأمر الوزير الناصر للدين أبو الحسين عبد الرحمن اليازورى وزير مصر فى خلافة المستنصر بالله بن الظاهر ان يعمل قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات فعمل ارباب كل ديوان ارتفاعه وما عليه وسلم الجميع لمتولى ديوان المجلس وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملا جامعا وأتاه به فوجد ارتفاع

الدولة ألفى ألف دينار منها الشام ألف ألف دينار ونفقاته بازاء ارتفاعه والريف وباقى الدولة ألف ألف دينار * قال القاضى أبو الحسن فى كتاب المنهاج فى علم الخراج وقفت على مقايسة عملت لامير الجيوش بدر الجمالى حين قدم مصر فى ايام الخليفة المستنصر وغلب على امرها وقهر من كان بها من المفسدين شرح فيها ان الذى اشتمل عليه الارتفاع فى الهلالى لسنة ثلاث وثمانين واربعمائة وفى الخراجى على ما يقتضيه الديوان فيه مما كان جاريا فى الاعمال المصرية من الخراج وما يجرى معه والمضمون والمقطع والمورد بغيره والمحلول بالقاهرة ومصر وضواحيهما وناحيتى الشرقية والغربية من أسفل الارض واعمالها وتنيس ودمياط واعمالهما والاسكندرية والبحيرة والاعمال الصعيدية العالية والدانية وواحات وعيذاب لسنة ثمانين واربعمائة الخراجية على الرسوم المصرية وما كان من الاعمال الشامية التى اولها من حد الشجرتين وهو أول الاعمال الفلسطينية والاعمال الطرابلسية ولسنة ثمان وسبعين وأربعمائة الخراجية على ما استقرت عليه الجملة عينا ثلاثة آلاف ألف ومائة ألف دينار وان الذى استقر عليه جملة ما كان يتأدى فى سنة ست وستين وأربعمائة الهلالية قبل نظر أمير الجيوش الموافقة لسنة ثلاث وستين واربعمائة الخراجية فكان مبلغها ألفى ألف وثمانمائة ألف دينار وكان الزائد للسنة الجيوشية عما قبلها ثلثمائة ألف دينار مما اعرب عنه حسن العمارة وشمول العدل وكان نظم هذه المقايسة سنة ثلاث وثمانين واربعمائة * وذكر ابن ميسر ان الافضل بن أمير الجيوش أمر بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر فجاء خمسة آلاف ألف دينار * وذكر القاضى الفاضل فى متجددات سنة عبر البلاد من اسكندرية الى عيذاب لسنة خمس وثمانين وخمسمائة خارجا عن الثغور وارباب الاموال الديوانية وعدة نواح اربعة آلاف ألف وستمائة ألف وثلاثة وخمسين ألفا وتسعة وعشرين دينارا ثم تقاصرت الى ان جباها القاضى الموفق أبو الكرم بن معصوم العاصمى التنيسى عينا خالصا الى بيت المال بعد المؤن والكلف ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار الى آخر سنة اربعين وخمسمائة ثم بعده لم يجبها هذه الجباية أحد حتى انقرضت الدولة الفاطمية * وسبب اتضاع خراج مصر بعد ما بلغ مع الروم فى آخر سنة ملكوا قبل فتح مصر عشرين ألف ألف دينار أن الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق فى كلف عمارة الارض فانها تحتاج ان ينفق عليها ما بين ربع متحصلها الى ثلثه وآخر ما اعتبر حال ارض مصر فوجد مدة حرثها ستين يوما ومساحة ارضها مائة ألف ألف وثمانين ألف فدان يزرع منها فى مباشرة ابن مدبر أربعة وعشرون ألف ألف فدان وانه لا يتم خراجها حتى يكون فيها اربعمائة ألف وثمانون ألف حراث يلزمون العمل فيها دائما فاذا اقيم بها هذا القدر من العمال فى الارض تمت عمارتها وكمل خراجها وآخر ما كان بها مائة ألف وعشرون ألف مزارع فى الصعيد سبعون ألفا وفى أسفل الارض خمسون ألفا وقد تغير الآن جميع ما كان بها من الاوضاع القديمة واختلت اختلالا فاحشا

(ذكر أصناف اراضى مصر واقسام زراعتها)

اعلم ان اراضى مصر عدة اصناف اعلاها قيمة وأوفاها سعرا وأعلاها قطيعة الباق وهو أثر القرط والمقاثى فانه يصلح لزراعة القمح وبعد الباق رى الشراقى وهو الارض التى ظمئت فى الخالية فلما رويت فى الآتية وصارت مستريحة من الزرع وزرعت أنجب زرعها والبرايب وهو أثر القمح والشعير وسعرها دون الباق لضعف الارض بزراعة هذين الصنفين فمتى زرعت على اثر أحدهما لم ينجب كنجابة الباق والبرايب صالح لزراعة القرط والقطانى والمقاثى فان الارض تستريح بزراعة هذه الاصناف وتصير فى القابل ارض باق والسقماهية اثر الكتان فان زرعت قمحا خسر والشتونية اثر ما روى وبار فى السنة الماضية وهو دون الشراقى والسلايح ما روى وبار فحرث وتعطل وهو مثل رى الشراقى فان زرعه يكون ناجبا والنقا كل ارض خلت من اثر ما زرع فيها ولم يبق بها شاغل عن قبول ما يزرع فيها من اصناف الزراعات والوسخ كل ارض استحكم وسخها ولم يقدر الزارعون على ازاحته كله منها بل حرثوا وزرعوا فيها فجاء زرعها مختلطا بالحلفاء ونحوها والغالب كل ارض حصل فيها نبات شغلها عن قبول الزراعة ومنع كثرته من زراعتها وصارت مراعى والخرس كل ارض فسدت بما استحكم فيها من موانع قبول الزرع وكانت بها مراع وهو أشد من الوسخ الغالب واذا ادمن على ازالة ما فيها من الموانع تهيأ صلاحها والشراقى كل ارض لم يصل اليها الماء اما لتقصير ماء النيل أو علو الارض أو سد طريق الماء عنها أو غير ذلك

والمستبحر كل ارض وطيئة حصل بها الماء ولم يجد مصرفا حتى فات اوان الزرع وهو باق فى الارض والسباخ كل ارض غلب عليها الملح حتى ملحت ولم ينتفع بها فى زراعة الحبوب ور بما زرعت مالم يستحكم السباخ فيها غير الحبوب كالهليون والباذنجان ويزرع فيها القصب الفارسى * ومما لاغنى لاراضى مصر عنه الجسور وهى على قسمين سلطانية وبلدية فالجسور السلطانية هى العامة النفع فى حفظ النيل على البلاد كافة الى حين يستغنى عنه ولها رسوم موظفة على الاعمال الشرقية والاعمال الغربية وكانت فى القديم تعمل من أموال النواحى ويتولى عملها مستقبلو الاراضى ويعتد لهم بما صرف عليها مما عليهم من قبالات الاراضى ثم صار بعد ذلك يستخرج برسم عملها من هذين العملين مال بايدى المستخدمين من الديوان ويصرف عليها ويفضل من المال بقية تحمل الى بيت المال ثم صار يتولى ذلك اعيان امراء الدولة الى أن حدثت الحوادث فى ايام الناصر فرج فصار يجبى من البلاد مال عظيم ولا يصرف منه شئ البتة بل يرفع الى السلطان ويتفرق كثير منه بايدى الاعوان ويسخر أهل البلاد فى عمل الجسور فيجئ الخلل كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر اسباب الخراب * وأما الجسور البلدية فانها عبارة عما يخص نفعها ناحية دون ناحية ويتولى اقامتها المقطعون والفلاحون من اصل مال الناحية ومحل الجسور السلطانية من القرى محل سور المدينة الذى يتعين على السلطان الاهتمام بعمارته وكفاية الرعية امره ومحل الجسور البلدية محل الدور التى من داخل السور فيلزم صاحب كل دار أن يصلحها ويزيل ضررها ومن العادة أن المقطع اذا انفصل وكان قد انفق شيأ من مال اقطاعه فى اقامة جسر لاجل عمارة السنة التى انتقل الاقطاع عنه فيها فان له أن يستعيد من المقطع الثانى نظير ما انفقه من مال سنته فى عمارة سنة غيره * واصلح مازرع القمح فى اثر الباق والشراقى وكان يزرع بالصعيد القمح على اثر القمح لكثرة الطرح ور بما زرع هناك على اثر الكتان والشعير ويزرع القمح من نصف شهر بابه الى آخر هتور وهذا فى العوالى من الارض التى تخرج بدريا وأما البحائر المتأخرة فيمتد وقت الزرع فيها الى آخر كيهك ومقدار ما يحتاج اليه الفدان الواحد من بذر القمح يختلف بحسب قوة الارض وضعفها ورقتها وتوسطها ومايزرع فى اللوق ومايزرع فى الحرث واكثر البذر من اردب الى خمس ويبات وأربع ويبات أيضا ويوجد فى الصعيد اراض تحتمل دون هذا وفى حوف رمسيس اراض يكفى الفدان منها نحو الويبتين ويدرك الزرع بمصر فى بشنس وهو نيسان ويختلف ما يخرج من فدان القمح بحسب الاراضى فيرمى من اردبين الى عشرين اردبا وقال ابو بكر بن وحشية فى كتاب الفلاحة وذكر أن فى مصر اذا زرعوا يخرج من المد ثلثمائة مد والعلة فى ذلك حرارة هواء بلادهم مع سمن أرضهم وكثرة كدورة ماء النيل * ولما كان فى سنة ست وثمانمائة انحسر الماء عن قطعة أرض من بركة الفيوم التى يقال لها اليوم بحر يوسف فزرعت وجاء زرعها عجيبا رمى الفدان منها أحدا وسبعين اردبا من شعير بكيل الفيوم وأردبها تسع ويبات وكانت قطيعة فدان القمح ببلاد الصعيد فى ايام الفاطمية ثلاثة أرادب فلما مسحت البلاد فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة تقرر على كل فدان اردبان ونصف ثم صار يؤخذ اردبان عن الفدان وأما أراضى اسفل الارض فيؤخذ عنها عين لاغلة * ويزرع الشعير فى أثر القمح وغيره فى الارض التى غرقت وهى رطبة ويتقدم زراعته على زراعة القمح بأيام وكذلك حصاده فانه يحصد قبل القمح ويحتاج الفدان منه أن يبذر فيه بحسب الارض ويخرج اكثر من القمح ويكون ادراكه فى برموده وهو أدار * ويزرع الفول فى الحرث اثر البرايب من اول شهر بابه ويؤكل وهو أخضر فى شهر كيهك ويحتاج الفدان من البذر منه الى ثلاث ويبات ونحوها ويدرك فى برموده ويتحصل من فدانه ما بين عشرين اردبا الى مادون ذلك * ويزرع العدس والحمص من هتور الى كيهك والجلبان لايزرع الا فى أرق الاراضى حرثا من الارض العالية ويزرع تلويقا فى الاراضى الخرس ويبذر فى كل فدان من الحمص من اردب الى ثمان ويبات ومن الجلبان من اردب الى أربع ويبات ومن العدس من ويبتين الى مادونهما وتدرك هذه الاصناف فى برموده ويتحصل من فدان الحمص من أربعة ارادب الى عشرة ومن الجلبان من عشرة ارادب الى مادونها والعدس من عشرين اردبا فما دونها * وأنجب مايكون الكتان اذا زرع فى البرش ويحتاج أن يسبخ بتراب سباخ وهو اذا طال رقد ويقلع قضبانا ويسمى حينئذ اسلافا وينشر فى موضعه حتى يجف فاذا جف حل وهدر وعزل جوزه فيخرج منه بزر الكتان ويستخرج منه الزيت

الحار ويزرع الكتان فى شهر هتور ويحتاج الفدان أن يذرفيه من البزر مابين اردب وثلث الى مادون ذلك ويدرك فى شهر برموده ويخرج من الفدان مابين ثلاثين شدة الى مادون ذلك ومن البزر من ستة أرادب الى مادونها وكانت قطيعة الفدان منه فى القديم بأرض الصعيد من خمسة دنانير الى ثلاثة وفى دلاص ثلاثة عشر دينارا * وفيما عدا ذلك ثلاثة دنانير * ويزرع القرط عند أخذ ماء النيل فى النقصان ولا ينبغى تأخير زرعه الى أوان هبوب الريح الجنوبية التى يقال لها المريسية وأول مايبذر فى شهر بابه وربما زرع بعد النوروز والحراثى منه يزرع فى كيهك وطوبه ويزرع أحيانا فى هتور ويبذر فى كل فدان من ويبتين ونصف الى ماحولها ويدرك الاخضر منه فى آخر شهر كيهك ويدرك الحراثى فى طوبه وأمشير ويتحصل من الفدان الحراثى مابين اردبين الى أربع ويبات * ويزرع البصل والثوم من شهر هتور الى نصف كيهك ويبذر فى فدان البصل من نصف وربع ويبة الى ويبة والثوم من مائة حزمة الى مائة وخمسين حزمة ويدرك ذلك فى برموده والبصل الذى يخرج لبزرع زريعة فانه يزرع من اول كيهك الى العاشر من طوبه ويخرج من زريعته عشرة ارادب من الفدان ويدرك فى بشنس * ويزرع الترمس فى طوبه وزريعته لكل فدان اردب ويدرك فى برموده ويتحصل من الفدان مابين عشرين اردبا الى مادونها وهذه هى الاصناف الشتوية * (وأما الاصناف الصيفية) فان البطيخ واللوبيا يزرعان من نصف برمهات الى نصف برموده * ويزرع فى الفدان قدحان ويدرك فى بشنس * ويزرع السمسم فى برموده وزريعته ربع ويبة للفدان ويدرك فى أبيب ومسرى ويتحصل من الفدان مابين اردب الى ستة ارادب * ويزرع القطن فى برموده وزريعته أربع ويبات حب للفدان ويدرك فى توت فيخرج من الفدان من ثمانية قناطير بالجروى الى مادونها * ويزرع قصب السكر من نصف برمهات فى اثر الباق والبرش وتبرش ارضه سبع سكك وأنجبه ماتكامل له ثلاث عزقات قبل انقضاء شهر بشنس ومقدار زريعته ثمن فدان وماحوله لكل فدان ويحتاج القصب الى أرض جيدة دمثة قد شملها الرى وعلاها ماء النيل وقلع مابها من الحلفاء وتظفت ثم برشت بالمقلقلات وهى محاريث كبار ستة وجوه وتجرف حتى تقهد ثم تبرش ستة وجوه اخرى وتجرف ومعنى البرش الحرث فاذا اصلحت الارض وطابت ونعمت وصارت ترابا ناعما وتساوت بالتجريف شقت حينئذ بالمقلقلات ويرمى فيها القصب قطعتين قطعة مثناة وقطعة مفردة بعد أن تجعل الارض أحواضا وتفرزها جداول يصل الماء منها الى الاحواض ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاثة أنابيب كوامل وبعض انبوبة من اعلى القطعة وبعض اخرى من أسفلها ويختار ماقصرت انابيبه وكثرت كعوبه من القصب ويقال لهذا الفعل النصب فاذا كمل نصب القصب اعيد التراب عليه ولا بدّ فى النصب أن تكون القطعة ملقاة لا قائمة ثم يسقى من حين نصبه فى اول فصل الربيع لكل سبعة ايام مرة فاذا نبت القصب وصار أوراقا ظاهرة نبتت معه الحلفاء والبقلة الحمقاء التى يسميها اهل مصر الرجلة فعند ذلك تعزق أرضه ومعنى العزاق أن تنكش أرض القصب وينظف مانبت مع القصب ولا يزال يتعاهد ذلك حتى يغزر القصب ويقوى ويتكاثف فيقال عند ذلك طرد القصب عزاقه فانه لا يمكن عزاق الارض ولا يكون هذا حتى يبرز الانبوب منه ومجموع مايسقى بالقادوس ثمانية وعشرون ماء والعادة أن الذى ينصب من الاقصاب على كل مجال بحرانى أى مجاور للبحر اذا كانت مزاحة العلة بالابقار الجياد مع قرب رشا الآبار ثمانية أفدنة ويحتاج الى ثمانية ارؤس بقر فان كانت الآبار بعيدة عن مجرى النيل لا يمكن حينئذ أن يقوم المجال بأكثر من ستة أفدنة الى أربعة فاذا طلع النيل وارتفع سقى القصب عند ذلك ماء الراحة وصفة ذلك أن يقطع عليه من جانب جسر يكون قد أدير عليه ليقيه من الغرق عند ارتفاع النيل بالزيادة فيدخل الماء من ثلمه فى ذلك الجسر حتى يعلو على أرض القصب نحو شبر ثم يسد عنه الماء حتى لا يصل اليه ويترك الماء فوق الارض قدر ساعتين أو ثلاث الى أن يسخن ثم يصرف من جانب آخر حتى ينضب كله ويجدد عليه ماء آخر كذلك فيتعاهد ماذكرنا مرارا فى أيام متفرقة بقدر معلوم ثم يقطع بعد ذلك فاذا عمل ماقلناه وفى القصب حقه فان نقص عن ذلك حصل فيه الخلل ولا بدّ للقصب من القطران قبل أن يحلو حتى لا يسوّس ويكسر القصب فى كيهك ولا بدّ من حرق آثار القصب بالنار ثم سقيه وعزقه كما تقدم فينبت قصبا يقال له الخلفة ويسمى الاول الرأس وقنود الخلفة أجود غالبا من قنود الرأس ووقت ادراك الرأس فى طوبه والخلفة فى نصف هتور وغاية ادارة معاصر القصب الى النوروز ويحصل من الفدان مابين

أربعين ابلوجة قند الى ثمانين أبلوجة والابلوجة تسع قنطارا فما حوله * ويزرع القلقاس مع القصب ولكل فدان عشرة قناطير قلقاس بجرويه ويدرك فى هتور * ويزرع الباذنجان فى برمهات وبرموده وبشنس وبؤونة ويدرك من بؤونة الى مسرى * وتزرع النيلة من بشنس والزريعة للفدان وبية ويدرك من أبيب * ويزرع الفجل طول السنة وزريعة الفدان من قدح واحد الى قدحين * ويزرع اللفت فى أبيب وزريعة الفدان قدح واحد ويدرك بعد أربعين يوما * ويزرع الخس فى طوبه شتلا ويؤكل بعد شهرين * ويزرع الكرنب فى توت شتلا ويدرك فى هتور * ويغرس الكرم فى امشير نقلا وتحويلا * ويغرس التين والتفاح فى أمشير * ويقلم التوت فى برمهات * ويغرس ويبل اللوز والخوخ والمشمش فى ماء طوبة ثلاثة ايام وهى قضبان ثم يغرس ويحوّل شجرها فى طوبة * ويزرع نوى التمر ثم يحوّل ودياً فينقل * ويدفن بصل النرجس فى مسرى * ويزرع الياسمين فى أيام النسىء وفى أمشير * ويزرع المرسين فى طوبه وامشير غرسا * ويزرع الريحان فى برموده * ويزرع حب المنثور فى أيام النيل * ويزرع الموز الشتوى فى طوبة والصيفى فى أمشير * ويحوّل الخيارشنبر فى برمهات * وتقلم الكروم على ريح الشمال الى ليال من برمهات حتى تخرج العين منها * وتقلم الاشجار فى طوبه وامشير الا السدر وهو شجر النبق فانه يقلم فى برموده * وتسقى الاشجار فى طوبة ماء واحدا ويسمونه ماء الحياة وتسقى فى أمشير ثانيا عند خروج الزهر وتسقى فى برمهات ماءين آخرين الى أن ينعقد التمر وتسقى فى بشنس ثلاث مياه وتسقى فى بؤونة وأبيب ومسرى ماء فى كل سبعة أيام وتسقى فى توت وبابة مرّة واحدة تغريقا من ماء النيل وتسقى فى هتور من ماء النيل بتغريق المساطب ويسقى البعل من الكروم فى هتور من ماء النيل مرّة واحدة تغريقا * وجميع أراضى مصر تقاس بالفدان وهو عبارة عن أربعمائة قصبة حاكمية طولا فى عرض قصبة واحدة والقصبة ستة اذرع وثلثا ذراع بذراع القماش وخمسة اذرع بذراع النجار تقريبا وقال القاضى ابو الحسن فى كتاب المنهاج خراج مصر قد ضرب على قصبة فى المساحة اصطلح عليها زرع المزارع على حكمها وتكسير الفدان اربعمائة قصبة لانه عشرون قصبة طولا فى عشرين قصبة عرضا وقصبة المساحة تعرف بالحاكمية وهى تقارب خمسة اذرع بالنجارى

(ذكر أقسام مال مصر)

اعلم أن مال مصر فى زمننا ينقسم قسمين أحدهما يقال له خراجى والآخر يقال له هلالى فالمال الخراجى ما يؤخذ مسانهة من الاراضى التى تزرع حبوبا ونخلا وعنبا وفاكهة وما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج والكشك وغيره من طرف الريف * والمال الهلالى عدّة ابواب كلها أحدثها ولاة السوء شيأ بعد شئ وأصل ذلك فى الاسلام أن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه أن تجارا من المسلمين يأتون أرض الهند فيأخذون منهم العشر فكتب الى ابى موسى الاشعرى وهو على البصرة أن خذ من كل تاجر يمر بك من المسلمين من كل مائتى درهم خمسة دراهم وخذ من كل تاجر من تجار العهد يعنى اهل الذمة من كل عشرين درهما درهما ومن تجار الحرب من كل عشرة دراهم درهما وقيل لابن عمر كان عمر يأخذ من المسلمين العشر قال لا ونهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك وكتب ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه البخس * وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتاه ناس من اهل الشام فقالوا أصبنا دواب وأموالا انخذ منها صدقة تطهرنا بها فقال كيف أفعل مالم يفعل من كان قبلى وشاور فقال على بن ابى طالب رضى الله عنه لا بأس به ان لم يأخذه من بعدك فأخذ عن العبد عشرة دراهم وكذلك عن الفرس وعن الهجين ثمانية وعن البرذون والبغل خمسة * واوّل من وضع على الحوانيت الخراج فى الاسلام أمير المؤمنين ابو عبد الله محمد بن ابى جعفر المنصور فى سنة سبع وستين ومائة وولى ذلك سعيد الجرسى * واوّل من احدث مالا سوى مال الخراج بمصر احمد بن محمد بن مدبر لما ولى خراج مصر بعد سنة خمسين ومائتين فانه كان من دهاة الناس وشياطين الكتاب فابتدع فى مصر بدعا صارت مستمرّة من بعده لا تنتقض فأحاط بالنطرون وحجر عليه بعد ما كان مباحا لجميع الناس وقرّر على الكلأ الذى ترعاه البهائم مالا اسماه المراعى وقرّر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصايد الى غير ذلك فانقسم حينئذ مال مصر الى خراجى وهلالى وكان الهلالى يعرف فى زمنه وما بعده بالمرافق والمعاون فلما ولى الامير ابو العباس احمد بن طولون امارة مصر وأضاف اليه امير المؤمنين المعتمد على الله

الخراج والثغور الشامية رغب وتنزه عن أدناس المعاون والمرافق وكتب باسقاطها في جميع أعماله وكانت تبلغ بمصر خاصة مائة ألف دينار في كل سنة وله في ذلك خبر فيه اكبر معتبر قد ذكرته عند ذكر أخبار الجامع الطولوني من هذا الكتاب ثم اعيدت الاموال الهلالية في اثناء الدولة الفاطمية عند ما ضعفت وصارت تعرف بالمكوس فلما استبد السلطان الناصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب بملك مصر أمر باسقاط مكوس مصر والقاهرة فكتب عنه القاضي الفاضل مرسوما بذلك وكان جملة ذلك في كل سنة مائة ألف دينار تفصيلها مكس البهار وعمالته ثلاثة وثلاثون ألفا وثلثمائة وأربعة وستون دينارا مكس البضائع والقوافل وعمالتها تسعة آلاف وثلثمائة وخمسون دينارا منفلت الصناعة عن مكس البز الوارد اليها والنحاس والقزدير والمرجان والفاضلات خمسة آلاف ومائة وثلاثة وتسعون دينارا الصادر عن الصناعة بمصر ستة آلاف وسبعمائة وستة وستون دينارا سمسرة التمر ثلثمائة دينار الفندق بالمنية عن مكس البضائع ثمانمائة دينار وستة وخمسون دينارا رسوم دار القند ثلاثة آلاف ومائة وثمانية دنانير رسوم الخشب الطويل والملح ستمائة وستة وسبعون دينارا رسوم العلب المنسوبة الى بلبيس والبورى مائة دينار رسوم التفتيش بالصناعة عن البهار وغيره مائتان وسبعة عشر دينارا خمية أرمنت عن الوارد اليها سبعة وستون دينارا فندق القطن ألفا دينار سوق الغنم بالقاهرة ومصر والسمسرة وعبور الاغنام بالجيزة ثلاثة آلاف وثلثمائة واحد عشر دينارا عبور الاغنام والكتان والابقار بباب القنطرة ألف ومائتا دينار واجب ماورد من الكتان الحطب الى الصناعة مائتا دينار ورسوم واجب الغلات كالحبوب الواردة الى الصناعة والمقس والمنية والجسر والتبانين ومفالت جزيرة الذهب وطموه ومنبر الدرج ستة آلاف دينار مكس مايرد الى الصناعة من الاغنام ستة وثلاثون دينارا الاغنام البيتوتية اثنا عشر دينارا العرصة والسرسناوى بالجيزة ومكس الاغنام مائة وتسعون دينارا منفلت الفيوم عما يرد من الكتان من القبلة ومن البضائع الواردة من الفيوم وغيره أربعة آلاف ومائة وستون دينارا مكس الورق المجلوب الى الصناعة ورسم التفتيش مائتا دينار الحصة بساحل الغلة والاقوات والرسائل سبعمائة وثمانية وستون دينارا دار التفاح والرطب بمصر والعرصة بالقاهرة ألف وسبعمائة دينار رسم ابن الملبجى مائتا دينار دار الجبن ألف دينار مشارفة الخزائن مائتان وأربعون دينارا واجب الحلى الوارد من الوجه البحرى والقطن ألف وعشرون دينارا رسم سمسرة الصفا ألف ومائتا دينار منفلت الصعيد مائة وأحد وستون دينارا خاتم الشرب والدبيقى ألف وخمسمائة دينار مكس الصوف مائتا دينار نصف الموردة بساحل المقس أربعة عشر دينارا دكة السمسار ثلثمائة وخمسون دينارا منفلت العريف بالصناعة وحملة البهار والبضائع مائتان وستة عشر دينارا الحلفاء الواردة من القبلة مائة وخمسة وثلاثون دينارا الوقد والسرقين والطم بدار التفاح ومنفلت القبلة بالتبانين والجسر خمسة وثلاثون دينارا رسوم الصفا والحراء ورسوم دار الكتان ستون دينارا حماية الغلات بالمقس ودار الجبن مائة وأربعون دينار الحلفاء الواردة على الجسر ومعدية المقياس مائة دينار خمس البرنية بالجيزة عشرون دينارا تل التعريف بالصناعة ثمانية وعشرون دينارا منفلت الغلات بمعدية جزيرة الذهب عشرة دنانير رسوم الحمام بساحل الغلة خمسمائة وأربعة وثلاثون دينارا واجب الحناء الواردة في البر ثمانمائة دينار واجب الحلفاء والقصاب ثلاثة وستون دينارا مكس مايرد من البضائع الى المنية مائة وأربعة وثمانون دينارا مسلخة شطنوف والبرانية مائتا دينار سوق السكريين خمسون دينارا رسوم خمية الحلى بالشارع وسوق وردان تسعة عشر دينارا واجب الفحم الوارد الى القاهرة عشرة دنانير معدية الجسر بالجيزة مائة وعشرون دينارا خمية البقرى أربعون دينارا الخمية بدار الدباغة تسعة عشر دينارا سمسرة الجبس الجيوشى ثلثمائة واثنا عشر دينارا دكان الدهن ومعصرة الشيرج والخل بالقاهرة خمسمائة دينار الخل الحامض ومامعه أربعمائة دينار بيوت الغزل والمصطبة ثلثمائة وخمسون دينارا ذبائح الابقار ألف دينار سوق السمك بالقاهرة ومصر ألف ومائتا دينار رسوم الدلالة ثلثمائة دينار سمسرة الكتان ثلثمائة دينار رسوم حماية الصناعتين أربعمائة دينار ربعة العسل مائتان واثنان وثلاثون دينارا معادى جزيرة الذهب وغيرها ثلثمائة دينار خاتم الشمع بالقاهرة ثلاثة وستون دينارا زريبة الذبيحة سبعمائة دينار معدية المقياس وانبابة مائتا دينار جولة السلجم ثلثمائة وثلاثون دينارا دكة الدباغ ثمانمائة دينار سوق الرقيق خمسمائة دينار معمل الطبرى

مائتان

مائتان وأربعون دينارا سوق منبوبة مائة وأربعة وستون دينارا ذبائح الضأن بالجيزة ورسوم ساحل السنط عشرة دنانير فخ السمك خمسة دنانير تنور الشوى مائة دينار نصف الرطل من مطابخ السكر مائة وخمسة وثلاثون دينارا سوق الدواب بالقاهرة ومصر أربعمائة دينار سوق الجمال مائتان وخمسون دينارا قبان الحناء ثلاثون دينارا واجب طاقات الادم ستة وثلاثون دينارا منفلت الحمام بالشاشيين ثلاثة وثلاثون دينارا أنولة القصار أربعون دينارا بيوت الفروج ثلاثون دينارا الشعر والطارات أربعة دنانير رسوم الصبغ والحرير ثلثمائة وأربعة وثلاثون دينارا وزن الطفل مائة وأربعون دينارا معمل المزر أربعة وثمانون دينارا الفاخور بمصر والقاهرة مائتان وستة وثلاثون دينارا * وذكر ابن ابى طى أن الذى أسقطه السلطان صلاح الدين والذى سامح به لعدة سنين آخرها سنة أربع وستين وخمسمائة مبلغه عن نيف ألف ألف دينار وألفى ألف اردب سامح بذلك وأبطله من الدواوين وأسقطه عن المعاملين فلما ولى السلطان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف أعاد المكوس وزاد فى شناعتها قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة تسعين وخمسمائة وكان قد تتابع فى شعبان اهل مصر والقاهرة فى اظهار المنكرات وترك الانكار لها واباحة اهل الامر والنهى لها وتفاحش الامر فيها الى أن غلا سعر العنب لكثرة من يعصره واقيمت طاحون بحارة المحمودية لطحن حشيش المزر وافردت برسمه وحميت بيوت المزر واقيمت عليها الضرائب الثقيلة فنها ما انتهى أمره فى كل يوم الى ستة عشر دينارا ومنع المزر البيوتى ليتوفر الشراء من البيوت المحمية وحملت اوانى الخمر على رؤس الاشهاد وفى الاسواق من غير منكر وظهر من عاجل عقوبة الله عزوجل وقوف زيادة النيل عن معتادها وزيادة سعر الغلة فى وقت ميسورها * وقال فى متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وآل الامر الى وقوف وظيفة الدار العزيزية من خبز ولحم الى أن يتحمل فى بعض الاوقات لا كلها البعض ما تبلغ به من خبز وكثر ضجيجهم وشكواهم فلم يسمع ووقف الحال فيما ينفق فى دار السلطان وفيما يصرف الى عياله وفيما يقتات به اولاده وما يغصب من أربابه وأفضى هذا الى غلاء الاسعار فان المتعيشين من ارباب الدكاكين يزيدون فى أسعار المأكولات العامة بمقدار ما يؤخذ منهم للدار السلطانية فأفضى ذلك الى النظر فى المكاسب الخبيثة وضمن المزر والخمر باثنى عشر ألف دينار وفسح فى اظهار منكره والاعلان به والبيع له فى القاعات والحوانيت مع قرب استهلال رجب وما استطاع احد من العامة الانكار لا باليد ولا باللسان وصار هذا السحت مما ينفرد السلطان به لنفقته وطعامه وانتقل مال الثغور ومال الجوالى الحل الطيب الى أن يصير حوالات لمن لا يبالى من اين أخذ المال ولا يفرق بين الحرام والحلال وفى شهر رمضان غلا سعر الاعناب لكثرة العصر منها وتظاهر به أربابه لتحكير تضمينه السلطانى واستيفاء رسمه بأيدى مستخدميه وبلغ ضمانه سبعة عشر الف دينار وحصل منه شئ حمل اليه فبلغنى أنه صنع به آلات للشراب ذهبيات وفضيات وكثر اجتماع النساء والرجال فى شهر رمضان لاسيما على الخليج لما فتح وعلى مصر لما زاد الماء وتلقى فيه النيل بمعاص نسأل الله أن لا يؤاخذنا بها وأن لا يعاقبنا على اجتراء أهلها * وقال جامع السيرة التركية ولما استقل الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى الصالحى بمملكة مصر فى سنة خمسين وستمائة بعد انقراض دولة بنى ايوب استوزر شخصا من تطار الدواوين يعرف بشرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى احد كتاب الاقباط وكان قد أظهر الاسلام من ايام الملك الكامل وترقى فى خدمة الكتابة فقرر فى وزارته اموالا على التجار وذوى اليسار وأرباب العقار ورتب مكوسا وضمانات سموها حقوقا ومعاملات ولما ولى الملك المظفر سيف الدين قطز مملكة مصر بعد خلعه الملك المنصور على بن المعز أيبك احدث عند سفره الذى قتل فيه مظالم كثيرة لاجل جمع المال وصرفه فى الحركة لقتال جموع التتر منها تصقيع الاملاك وتقويمها وزكاتها وأحدث على كل انسان دينارا يؤخذ منه وأخذ ثلث التركات الاهلية فبلغ ذلك ستمائة الف دينار فى كل سنة فلما قتل قطز وجلس الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بعده على سرير الملك بقلعة الجبل ابطل ذلك جميعه وكتب به مساميح قرئت على المنابر ثم أبطل ضمان المزر وجهاته فى سنة اثنتين وستين وستمائة وكتب وهو بالشام الى الامير عز الدين الحلى نائب السلطنة بمصر أن يبطل بيوت المزر ويعفى آثاره ويخرب بيوته ويكسر مواعينه ويسقط ارتفاعه من الديوان فان بعض الصالحين تحدث معى فى ذلك وقال القمح الذى جعله الله تعالى قوتا للعالم يداس بالارجل وقد تقربت الى الله تعالى بابطاله ومن ترك شيأ لله عوضه

خيرامنه ومن كان له على هذه الجهة شئ يعوضه الله من المال الحلال فأبطل الحلي ذلك وعوض المقطعين عليه بدله وفى سنة ثلاث وستين أبطل حراسة النهار بالقاهرة ومصر وكانت جملة مستكثرة وكتب بذلك توقيع وأبطل من أعمال الدقهلية والمرتاحية عن رسوم الولاية أربعة وعشرين ألف دينار وفى خامس عشرى شهر رمضان سنة اثنتين وستين وستمائة قرئ بجامع مصر مكتوب بابطال ما قرر على رسوم ولاية مصر من الرسوم وهى مائة ألف درهم مصرية فبطل ذلك وابطل ضمان الحشيش من ديار مصر كلها فى سنة خمس وستين وستمائة وأمر باراقة الخمور وابطال المنكرات وتعفية بيوت المسكرات ومنع الخانات والخواطئ بجميع اقطار مملكة مصر والشام فطهرت من ذلك البقاع ولما وردت المراسيم بذلك على القاضى ناصر الدين احمد بن المنير قال

ليس لابليس عندنا أرب * غير بلاد الامير مأواه

حرمته الخمر والحشيش معا * حرمتا ماؤه ومرعاه

وقال الاديب الفاضل ابوالحسين الجزار

قد عطل الكوب من حبابه * واخلى الثغر من رضابه

وأصبح الشيخ وهو يبكى * على الذى فات من شبابه

وفى تاسع جمادى الآخرة سنة ست وستين وستمائة أمر الملك الظاهر بيبرس باراقة الخمور وابطال الفساد ومنع النساء الخواطئ من التعرض للبغاء من جميع القاهرة ومصر وسائر الاعمال المصرية فتطهرت أرض مصر من هذا المنكر ونهبت الخانات التى كانت معدة لذلك وسلب اهلها جميع ما كان لهم ونفى بعضهم وحبست النساء حتى يتزوجن وكتب الى جميع البلاد بمثل ذلك وحط المال المقرر على البغايا من الديوان وعوض الحاشية من جهات حل بنظيره وفى سابع عشر ذى الحجة سنة تسع وستين وستمائة اريقت الخمور وأبطل ضمانها وكان كل يوم ألف دينار وكتب توقيع بذلك قرئ على المنابر وافتتح سنة سبعين باراقة الخمور والتشدد فى ازالة المنكرات وكان يوما مشهودا بالقاهرة وبلغه فى سنة اربع وسبعين عن الطواشى شجاع الدين عنبرا المعروف بصدر الباز وكان قد تمكن منه تمكنا كثيرا أنه يشرب الخمر فشنقه تحت قلعة الجبل * ولما ولى الملك المنصور سيف الدين قلاون الالفى مملكة مصر أبطل زكاة الدولة وهو ما كان يؤخذ من الرجل عن زكاة ماله أبدا ولو عدم منه واذا مات يؤخذ من ورثته وابطل ما كان يجبى من اهل اقليم مصر كله اذا حضر مبشر بفتح حصن اونحوه فيؤخذ من الناس بالقاهرة ومصر على قدر طبقاتهم ويجتمع من ذلك مال كثير وأبطل ما كان يجبى من اهل الذمة وهو دينار سوى الجالية برسم نفقة الاجناد فى كل سنة وأبطل مقرر جباية الدينار من التجار عند سفر العسكر والغزاة وكان يؤخذ من جميع تجار القاهرة ومصر من كل تاجر دينار وابطل ما كان يجبى عند وفاء النيل مما يعمل به شوى وحلوى وفاكهة فى المقياس وجعل مصرف ذلك من بيت المال وأبطل اشياء كثيرة من هذا النمط * وابطل الملك الناصر محمد بن قلاون عدة جهات قد ذكرت فى الروك الناصرى وآخر ما أدركنا ابطاله ضمان الاغانى وضمان القراريط فى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة على يد الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون * فأما ضمان الاغانى فكان بلاء عظيما وهو عبارة عن أخذ مال من النساء البغايا فلو خرجت اجل امرأة فى مصر تريد البغاء حتى نزلت اسمها عند الضامنة وقامت بما يلزمها لما قدر أكبر أهل مصر على منعها من عمل الفاحشة وكان على النساء اذا تنفس او عرس امرأة او خضبت امرأة يدها بحناء او أراد أحد أن يعمل فرحا لابد من مال يقرر تأخذه الضامنة ومن فعل فرحا أغان اونفس امرأة من غير اذن الضامنة حل به بلاء لا يوصف * وأما ضمان القراريط فانه كان يؤخذ من كل من باع ملكا عن كل الف درهم عشرون درهما وكان يتحصل هاتين الجهتين مال كثير جدا * وأبطل الملك الظاهر برقوق ما كان يؤخذ من اهل البرلس وشورى وبلطيم شبه الجالية فى كل سنة ستين الف درهم وأبطل ما كان على القمح من مكس يؤخذ من الفقراء بثغر دمياط ممن يبتاع من اردبين فمادونهما وأبطل ما كان يؤخذ مكسا من معمل الفروج بالنحريرية والاعمال الغربية وأبطل ما كان يؤخذ تقدمة لمن يسرح الى العباسة من الخيل والجمال والغنم وغير ذلك وأبطل ما كان يؤخذ على الدريس والحلفاء بباب النصر خارج القاهرة وأبطل ضمان الاغانى بمنية ابن خصيب بأعمال الاشمونين وبزفتا بالاعمال الغربية

وأبطل الابقار التى كانت ترمى بالوجه البحرى عند فراغ الجسور وأبطل الامير يلبغا السالمى لما ولى استادار السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق فى سنة احدى وثمانمائة تعريف الغلال بمنية ابن خصيب وضمان العرصة بها وأخصاص الغسالين وكانت من المظالم القبيحة وأبطل من القاهرة ضمان بحيرة البقر ثم اعاده القبط من بعده * وقد بقيت الى الآن من المكوس بقايا أخبرنى الامير الوزير المشير الاستادار يلبغا السالمى فى ايام وزارته أن جهات المكوس بديار مصر تبلغ فى كل يوم بضعا وسبعين ألف درهم وانه اعتبرها فلم يجدها تصرف فى شئ من مصالح الدولة بل انما هى منافع للقبط وحواشيهم وكان قد عزم على ابطال المكوس فلم يمهل * (والمال الهلالى) عبارة عما يستأدى مشاهرة كاجر الاملاك المسقفة من الآدر والحوانيت والحمامات والافران والطواحين وعداد الغنم والجهة الهوائية المضمونة والمحلولة وعدّ بعض الكتاب احكار البيوت وريع البساتين التى تستخرج اجرها مشاهرة ومصايد السمك ومعاصر الشيرج والزيت فى المال الهلالى * ومن اصطلاح كتاب مصر القدماء أن تورد جزية اهل الذمة من اليهود والنصارى قلما واحدا مستقلا بذاته بعد الهلالى وقبل الخراجى وذلك انها تستأدى مسانهة وكانوا يرون وجوبها مشاهرة وفائدته فيمن أسلم اومات أثناء الحول فانهم كانوا يلزمونه بقدر ما مضى من السنة قبل اسلامه أو وفاته فلذلك أوردت فيما بين الهلالى والخراجى * وكانوا فى الاقطاعات الجيشية يجرونها مجرى المال الهلالى عند خروج اقطاع من يقطع ودخول آخر على ذلك الاقطاع فانها كانت تستخرج على حكم الشهور الهلالية لا الشمسية بحيث لو تحلها مقطع فى غرة السنة على العادة فى ذلك وخرج الاقطاع عنه فى اثناء السنة بوفاة أو نقله الى غيره استحق منها نظير ما مضى من شهور السنة الى حين انتقال الاقطاع عنه لا على حكم ما استحق من المغل ويستحق المتصل من استقبال تاريخ منشوره كعادة النقود والمتخلل بينهما من المدة مستحق ذلك الديوان فيرد من جملة المحلولات من الاقطاعات وكان من ابواب الهلالى جهات تسمى المعاملات وهى الزكاة والمواريث والثغور والمتجر والشب والنطرون والجبس الجيوشى ودار الضرب ودار العيار والجاموس وأبقار الجبس والاغنام والغروس والبساتين والاحكار والرباع والمراكب ومايستأدى من الذمة غير الجوالى وساحل السنط والخراج والقرظ ومقرر الجسور وموظف الاتبان ومقرر القصب ومقرر البريد ومقرر البسط وعشر العرق وغير ذلك من جهات المكوس فأما الجزية وتعرف فى زمننا بالجوالى فانها تستخرج سلفا وتعجيلا فى غرة السنة وكان يتحصل منها مال كثير فيما مضى * قال القاضى الفاضل فى متجددات الحوادث الذى انعقد عليه ارتفاع الجوالى لسنة سبع وثمانين وخمسمائة مائة الف وثلاثون الف دينار وأما فى وقتنا هذا فان الجوالى قلت جدا لكثرة اظهار النصارى للاسلام فى الحوادث التى مرت بهم ولما استبد السلطان الملك المؤيد شيخ بملك مصر بعد الخليفة العباس بن محمد امير المؤمنين المستعين بالله ولى رجلا جباية الجوالى فكثر الاستقصاء عن الذمة والكد فى الاستخراج منهم فبلغت الجوالى فى سنة ست عشرة وثمانمائة احد عشر الف دينار وأربعمائة دينار سوى ما غرم للاعوان وهو قدر كثير * وأما المراعى وهو الكلأ المطلق المباح الذى أنبته الله تعالى لرعى دواب بنى آدم فأول من ادخلها الديوان بمصر احمد بن مدبر لما ولى الخراج وصير لذلك ديوانا وعاملا جلدا يحظر على الناس أن يتبايعوا المراعى أو يشتروها الامن جهته وادركنا المراعى ببلاد الصعيد مما يضاف الى الاقطاعات فيأخذ الامير ممن يرعى دوابه فى أرض بلده الكتيج فى كل سنة مالا عن كل رأس فيجبى من صاحب الماشية بعدد أنعامه فلما اختل امر الصعيد فى الحوادث الكائنة منذ سنة ست وثمانمائة تلاشى الامر فى ذلك وكانت العادة القديمة أن يندب للمراعى مشدّ وشهود وكاتب فيعدّون المواشى ويستخرجون من اربابها عن كل رأس شيأ ولا يكون ذلك الابعد هبوط النيل ونبات الكلأ واستهلاكه للمرعى * وأما المصايد فهى ما اطعم الله سبحانه وتعالى من صيد البحر وأول من ادخلها الديوان أيضا ابن مدبر وصير لها ديوانا واحتشم من ذكر المصايد وشناعة القول فيها فأمر أن يكتب فى الديوان خراج مضارب الاوتار ومغارس الشباك فاستمر ذلك وكان يندب لمباشرتها مشدّ وشهود وكاتب الى عدة جهات مثل خليج الاسكندرية وبحيرة الاسكندرية وبحيرة نسترو وثغر دمياط وجنادل ثغر اسوان وغير ذلك من البرك والبحيرات فيخرجون عند هبوط النيل ورجوع الماء من المزارع الى بحر النيل بعد ما تكون افواه الترع قد سكرت وأبواب القناطر قد سدت عند انتهاء زيادة النيل كيما يتراجع

الماء وبتكاثف مما يلي المزارع ثم تنصب شباك وتصرف المياه فيأتي السمك وقد اندفع مع الماء الجاري فتصده الشباك عن الانحدار مع الماء ويجتمع فيها فيخرج الى البر ويوضع على انخاخ ويملح ويوضع في الامطار فاذا استوى بيع وقيل له الملوحة والصير ولا يكون ذلك الا فيما كان من السمك في قدر الاصبع فما دونه ويسمون هذا الصنف اذا كان طريا البسارية فتؤكل مشوية ومقلية ويصاد من بحيرة نسترو وبحيرة تنيس وبحيرة الاسكندرية اسماك تعرف بالبوري وقيل لها ذلك لانها كانت تصاد عند قرية من قرى تنيس يقال لها بورة وقد خربت والنسبة اليها البوري ونسب اليها جماعة من الناس منهم بنو البوري وقيل لهذا السمك البوري اضافة الى القرية المذكورة وقد بطل في زمننا اليوم أمر هذه المصايد الا من بحيرة نسترو بالبرلس وبحيرة تنيس بدمياط فقط وهاتان البحيرتان تجريان في ديوان الخاص وهما مضمنتان وما يخرج منهما من البوري وغيره من انواع السمك فللسلطان لا يقدر أحد أن يتعرض لصيد شئ منه الا أن يكون من صياديهما القائمين بالضمان وما عدا هاتين البحيرتين من البرك والاملاق والخلجان فليست للسلطان وأما بحيرة اسكندرية فقد جفت رؤغر اسوان فقد خرج عن يد السلطنة وتغلب عليه اولاد الكفرة وثم برك بأيدي اقوام كبركة الفيل بيد أولاد الملك الظاهر بيبرس وبركة الرطلي بيد أولاد الامير بكتمر الحاجب وغير ذلك فان أسماكها مضمنة لهم يبيعونها ومع ذلك لا يمنع أحد الصيد منها * وأما بحر النيل فما يصيد منه يحمل الى دار السمك بالقاهرة فيباع ويؤخذ منه مكس السلطان الآتي الامير جمال الدين يوسف الاستادار زاد فيما كان يؤخذ من الصيادين مكسا ومن حينئذ قل السمك بالقاهرة وغلا سعره وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس في تاريخ مصر ان صنما كان بالاسكندرية يقال له شراحيل على حشفة من حشاف البحر مستقبلا باصبع من كفه قسطنطينية لا يدرى اكان مما عمله سليمان النبي ام عمله الاسكندر فكانت الحيتان تدور بالاسكندرية وتصاد عنده فيما زعموا قال زيد ابن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم اخبرني ابي عن ابيه انه انبطح على بطنه ومد يديه ورجليه فكان طوله طول قدم الصنم فكتب رجل يقال له أسامة بن زيد كان عاملا على مصر للوليد بن عبد الملك امير المؤمنين ان عندنا بالاسكندرية صنما يقال له شراحيل من نحاس وقد غلت علينا الفلوس فان رأى أمير المؤمنين أن ينزله ويضربه فلوسا فعل وان رأى غير ذلك فليكتب الي من امره فكتب اليه لا تنزله حتى أبعث اليك ضمناء يحضرونه فبعث اليه رجالا امناء حتى انزل من الحشفة فوجدوا عينيه ياقوتتين حمراوين ليس لهما قيمة فضربه فلوسا فانقطعت الحيتان فلم ترجع الى ما هنالك * وأما الزكاة فان السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب اول من جباها بمصر قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة ثالث عشر ربيع الآخر فرقت الزكوات بعد ما جمعت على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والغارمين بعد أن رفع الى بيت المال السهام الاربعة وهي سهام العاملين والمؤلفة وفي سبيل الله وفي الرقاب وقررت لهم فريضة واستودى على الاموال والبضائع وعلى ما يتقرر عليه من المواشي والنخل والخضراوات قال والذي انعقد عليه ارتفاع الجوالي لسنة سبع وثمانين وخمسمائة ثلاثون ألف دينار والزائد في معاملة الزكاة ودار الضرب لسنتي ست وسبع وثمانين وخمسمائة احد وعشرون الف دينار وثمانمائة واحد وستون دينارا وقال في سنة ثمان وثمانين واستخدم ابن حمدان في ديوان الزكاة وكتب خطه بما مبلغه اثنان وخمسون الف دينار لسنة واحدة من مال الزكاة وجعل الطواشي قراغش الشاد في هذا المال وأن لا يتصرف فيه بل يكون في صندوق مودعا للمهمات التي يؤمر بها ولما قدم ابن عنين الشاعر من عند الملك العزيز سيف الاسلام طغتكين بن نجم الدين ايوب بن شادي ملك اليمن الى مصر وقد أجزل صلته عندما وفد عليه وفارقه وقد أثرى ثراء كثيرا قبض ارباب ديوان الزكاة بمصر على ما قدم به من المتجر وطالبوه بزكاة ما معه وكان ذلك في ايام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادي فقال

ما كل من يتسمى بالعزيز لها * أهل ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين فرق في فعالهما * هذا يعطي وهذا يأخذ الصدقة

ثم ان العزيز كشف عما يستأدى من الزكاة فانه انتهى اليه فيها اقوال شنيعة منها انه أخذ من رجل فقير يبيع الملح في قفة على رأسه زكاة عما في القفة وأنه بيع جمل بخمسة دنانير ذهب فأخذ زكاتها خمسة دراهم فأمر بتفويض

امرها الى ارباب الاموال ومن وجب عليه حق ثم لما كانت سلطنة الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل ابي بكر بن أيوب اخرج من زكاة الاموال التي كانت تجبى من الناس سهمى الفقراء والمساكين وأمر بصرفهما فى مصارفهما الشرعية ورتب من جملة هذين السهمين معاليم للفقهاء والصلحاء واهل الخير تجرى عليهم فاستحسن ذلك من فعله وحمله الى ديوان الزكاة قبل منه ومن لم يحمل لايتعرض اليه فحل الاغنياء بزكاة اموالهم حتى تضرر الفقراء والمساكين وأخذ السعاة يبذلون فى ضمانها الاموال لتعود الى ما كانت عليه فولى النظر فى ديوان الزكاة القاضى الاسعد شرف الدين ابو المكارم أسعد بن مهذب بن مماتى فاستخرج الزكاة من أربابها ثم ضمنت بمال كثير وعاد الامر فيها الى ما كان عليه من العسف والجور وكانت أعوان متولى الزكاة تخرج الى منية ابن خصيب واخميم وقوص لكشف أحوال المسافرين من التجار والحجاج وغيرهم فيبحثون عن جميع مامعهم ويدخلون أيديهم اوساط الرجال خشية أن يكون معهم مال ويحلفون الجميع بالايمان الحرجة على مابأيديهم وماعندهم غيرما وجدوه وتقوم طائفة من مردة هذه الاعوان وبأيديهم المسال الطوال ذوات الانصبة فيصعدون الى المراكب ويجسون بها الهم جميع مافيها من الاحمال والغرائر مخافة أن يكون فيها شئ من بضاعة اومال فيبالغون فى البحث والاستقصاء بحيث يقبح ويستشنع فعلهم ويقف الحجاج بين يدى هؤلاء الاعوان مواقف خزى ومهانة لما يصدر منهم عند تفتيش اوساطهم وغرائر أزوادهم ويحل بهم من العسف وسوء المعاملة مالا يوصف وكذلك يفعل فى جميع أرض مصر منذ عهد السلطان صلاح الدين ابن أيوب * وأما الثغور فهى دمياط وتنيس ورشيد وعيذاب واسوان والاسكندرية وهى أعظمها قدرا فانه كان فيها عدة جهات منها الخمس والمتجر فالخمس مايستأدى من تجار الروم الواردين فى البحر عما معهم من البضائع للمتجر بمقتضى ماصولحوا عليه وربما بلغ مايستخرج منهم ماقيمته مائة دينار ومائتان وخمسة وثلاثون دينارا وربما انحط عن عشرين دينارا ويسمى كلاهما خمسا ومن أجناس الروم من يؤخذ منهم العشر ولذلك ضرائب مقررة وقال القاضى الفاضل والحاصل من خمس الاسكندرية فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة ثمانية وعشرون ألف دينار وستمائة وثلاثة عشر دينارا والمتجر عبارة عما يبتاع للديوان من بضائع تدعو اليها الحاجة ويقتضيه طلب الفائدة * قال جامع سيرة الوزير اليازورى وقصر النيل بمصر فى سنة أربع وأربعين وأربعمائة ولم يكن فى مخازن الغلات شئ فاشتدت المسغبة بمصر وكان لخلو المخازن سبب أوجب ذلك وهو أن الوزير الناصر للدين لما اضيف اليه القضاء فى أيام ابى البركات الوزير كان يبتاع للسلطان فى كل سنة غلة بمائة ألف درهم وتجعل متجرا فمثل القاضى بحضرة الخليفة المستنصر بالله وعرفه أن المتجر الذى يقام بالغلة فيه أوفى مضرة على المسلمين وربما انحط السعر عن مشتراها فلا يمكن بيعها فتتعفن فى المخازن وتتلف وانه يقيم متجرا لا كلفة فيه على الناس ويفيد اضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغيره فى المخازن ولا انحطاط سعره وهو الخشب والصابون والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك فأمضى السلطان له مارآه واستمر ذلك ودام الرخاء على الناس فوسعوا فيه مدة سنين ثم عمل الملوك بعد ذلك ديوانا للمتجر وآخر من عمله الظاهر برقوق * وأما الشب فان معادنه بالصعيد وكانت عادة الديوان الانفاق فى تحصيل القنطار منه بالليثى يبلغ ثلاثين درهما وكانت العربان تحضره من معادنه الى ساحل اخميم وسيوط والبهنسا ليحمل الى الاسكندرية ايام النيل فى الخليج ويشترى بالقنطار الليثى ويباع بالقنطار الجروى فيباع منه على تجار الروم قدر اثنى عشر ألف قنطار بالجروى بسعر أربعة دنانير كل قنطار الى ستة دنانير ويباع منه بمصر على اللبوديين والصباغين نحو الثمانين قنطارا بالجروى بسعر ستة دنانير ونصف القنطار ولا يقدر أحد على ابتياعه من العربان ولا غيرهم فان عثر على أحد أنه اشترى منه شيأ أو باعه سوى الديوان نكل به واستهلك ماوجد معه منه وقد بطل هذا * (وأما النطرون) فيوجد فى البر الغربى من أرض مصر بناحية الطرانة وهو أحمر وأخضر ويوجد منه بالفاقوسية شئ دون مايوجد فى الطرانة وهو أيضا مما حظر عليه ابن مدبر من الاشياء التى كانت مباحة وجعله فى ديوان السلطان وكان من بعده على ذلك الى اليوم وقد كان الرسم فيه بالديوان أن يحمل منه فى كل سنة عشرة الاف قنطار ويعطى الضمان منها فى كل سنة قدر ثلاثين قنطارا يتسلمونها من الطرانة فتباع فى مصر بالقنطار المصرى وفى بحر الشرق والصعيد بالجروى وفى دمياط بالليثى قال القاضى الفاضل وباب النطرون كان مضمونا الى آخر سنة

خمس وثمانين وخمسمائة بمبلغ خمسة عشر ألفا وخمسمائة دينار وحصل منه فى سنة ست وثمانين مبلغ سبعة آلاف وثمانمائة دينار وأدركنا النطرون اقطاعا لعدّة أجناد * فلما ولى الامير محمود بن على الاستادارية وصار مدبر الدولة فى أيام الظاهر برقوق حاز النطرون وجعل له مكانا لا يباع فى غيره وهو الى الآن على ذلك * (وأما الحبس الجيوشى) فكان فى البرين الشرقى والغربى ففى الشرقى بهتين والاميرية والمنية وكانت تسجل هذه النواحى بعين وفى الغربى سفط ونهيا ووسيم وهذه النواحى حبسها أمير الجيوش بدر الجمالى على عقبه هى والبساتين ظاهر باب الفتوح فلما مات وطال العهد استأجرها الوزراء بأجرة يسيرة طلبا للفائدة ثم ادخلت فى الديوان قال ابن المأمون فى تاريخه وجميع البساتين المختصة بالورثة الجيوشية مع البلاد التى لهم لم تزل فى مدة ايام الوزير المأمون البطائحى بأيديهم لم تخرج عنهم بضمان ولا بغيره فلما توفى الخليفة الآمر بأحكام الله وجلس ابو على بن الافضل بن امير الجيوش فى الوزارة أعاد الجميع الى الملاك لكون نصيبه فى ذلك الاوفر فلما اقتل واستبدّ الخليفة الحافظ لدين الله امر بالقبض على جميع الاملاك وحل الاحباس المختصة بأمير الجيوش فلم يزل يأنس به لانه غلام الافضل والوزير فى ذلك الوقت وعز الملك غلام الاوحد بن امير الجيوش يتلطفان ويراجعان الخليفة مع الكتب التى أظهرها الورثة وعليها خطوط الخلفاء الى أن أبقاها عليهم ولم يخرجها عنهم ثم ارتفعت الحوطة عنها فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة للديوان الحافظى والمخدم الخطير والمرتضى فى سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فى وزارة رضوان بن ولخشى أعاد البساتين خاصة دون البلاد على الورثة بحكم ما آل أمرها اليه من الاختلال ونقص الارتفاع ولما انقرض عقب أمير الجيوش ولم يبق منه سوى امرأة كبيرة أفتى فقهاء ذلك العصر ببطلان الحبس فقبضت النواحى وصارت من جملة الاموال السلطانية فمنها ماهو اليوم فى الديوان السلطانى ومنها ماصار وقفا ورزقا أحباسية وغير ذلك * (وأما دار الضرب) فكان بالقاهرة دار الضرب وبالاسكندرية دار الضرب وبقوص دار الضرب ولا يتولى عيار دار الضرب الا قاضى القضاة أو من يستخلفه ثم وذلك فى زمننا حتى صار يليها مسالمة فسقة اليهود المصريين على الفسق مع ادّعائهم الاسلام وكان يجتهد فى خلاص الذهب وتحرير عياره الى أن افسد الناصر فرج ذلك بعمل الدنانير الناصرية فجاءت غير خالصة وكانت بمصر المعاملة بالورق فأبطلها الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب فى سنة بضع وعشرين وضرب الدرهم المدوّر الذى يقال له الكاملى وجعل فيه من النحاس قدر الثلث ومن الفضة الثلثين ولم يزل يضرب بالقاهرة الى أن اكثر الامير محمود الاستادار من ضرب الفلوس بالقاهرة والاسكندرية فبطلت الدراهم من مصر وصارت معاملة اهلها الى اليوم بالفلوس وبها يقوّم الذهب وسائر المبيعات وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر اسباب خراب مصر وكانت دار الضرب يحصل منها للسلطان مال كثير فقل فى زماننا لقلة الاموال ودار الضرب اليوم جارية فى ديوان الخاص * (وأما دار العيار) فكانت مكانا يحتاط فيه للرعية وتصلح موازينهم ومكاييلهم به ويحصل منها للسلطان مال وجعلها السلطان صلاح الدين من جملة أوقاف سور القاهرة وقد ذكرت فى خطط القاهرة من هذا الكتاب * (وأما الاحكار) فانها اجر مقررة على ساحات بمصر والقاهرة فمنها ماصار دورا للسكنى ومنها ما انشئ بساتين وكانت تلك الاجر من جملة الاموال السلطانية وقد بطل ذلك من ديوان السلطان وصارت احكار مصر والقاهرة ومابينهما اوقافا على جهات متعدّدة * (وأما الغروس) فكانت فى الغربية فقط عدّة أراض يؤخذ منها شبه الحكر عن كل فدان مقرر معلوم وقد بطل ذلك من الديوان * (وأما مقرّر الجسور) فكان على كل ناحية تقرير بعدّة قطع معلومة يجبى منها عن كل قطعة عشرة دنانير لتصرف فى عمل الجسور فيفضل منها مال كثير يحمل الى بيت المال وقد بطل هذا أيضا وجدّد الناصر فرج على الجسور حوادث قد ذكرت فى اسباب الخراب * (وأما موظف الاتبان) فكان جميع تبن أرض مصر على ثلاثة أقسام قسم للديوان وقسم للمقطع وقسم للفلاح فيجبى التبن على هذا الحكم من سائر الاقاليم ويؤخذ فى التبن عن كل مائة حمل أربعة دنانير وسدس دينار فيحصل من ذلك مال كثير وقد بطل هذا أيضا من الديوان * (وأما الخراج) فانه كان فى البهنساوية وسفط ريشين والاشمونين والاسيوطية والاخميمية والقوصية اشجار لا تحصى من سنط لها حراس يحمونها حتى يعمل منها مراكب الاسطول فلا يقطع منها الا ما تدعو الحاجة اليه وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار * وكان يستخرج من هذه النواحى مال يقال له رسم

الخراج ويحتج فى جبايته بانه نظير ما تقطعه أهل النواحى وتنتفع به من اخشاب السنط فى عمائرها ومقرر آخر كان يجبى منهم يعرف بمقرر السنط فيصرف من هذا المقرر أجرة قطع الخشب وحزه بضريبة عن كل مائة حمل دينار وعلى المستخدمين فى ذلك أن لا يقطعوا من السنط ما يصلح لعمل مراكب الاسطول لكنهم انما يقطعون الاطراف التى ينتفع بها فى الوقود فقط ويقال لهذا الذى يقطع حطب النار فيباع على التجار منه كل مائة حمل بأربعة دنانير ويكتب على ايديهم زنة ما بيع عليهم فاذا وردت المراكب بالحطب الى ساحل مصر اعتبرت عليهم وقوبل ما فيها بما عين فى الرسالة الواردة واستخرج الثمن على ما فى الرسالة وكانت العادة أنه لا يباع مما فى البهنسا الا ما فضل عن احتياج المصالح السلطانية وقد بطل هذا بجمعه واستولت الايدى على تلك الاشجار فلم يبق منها شئ البتة ونسى هذا من الديوان * (وأما القرظ) فانه ثمر شجر السنط وكان لا يتصرف فيه الا الديوان ومتى وجد منه مع أحد شئ اشتراه من غير الديوان نكل به واستهلك ما وجد معه منه فاذا اجتمع مال القرظ أقيم منه مراكب تباع ويؤخذ من ثمنها الربع عند ما تصل الى ساحل مصر بعد ما تقوم أو ينادى عليها وكان فيها حيف كبير وقد بطل ذلك * (وأما ما يستأدى من اهل الذمة) فانه كان يؤخذ منهم عما يرد ويصدر معهم من البضائع فى مصر والاسكندرية والخيم خاصة دون بقية البلاد ضرائب تقرر فى الديوان وقد بطل ذلك أيضا * (وأما مقرر الجاموس ومقرر بقر الخيس ومقرر الاغنام) فانه كان للسلطان من هذه الاصناف شئ كثير جدا فيؤخذ من الجاموس للدايون على كل رأس من الراتب فى نظير ما يتحصل منه فى كل سنة من خمسة دنانير الى ثلاثة دنانير ومن اللاحق بحق النصف من الراتب وأقل ما تنتج كل مائة خمسون الى غير ذلك من ضرائب مقررة على الجاموس وعلى أبقار الخيس وعلى الغنم البيض والغنم الشعارى وعلى النحل وقد بطل ذلك جميعه لقلة مال السلطان واعراضه عن العمارة وأسبابها وتعاطى أسباب الخراب * (وأما المواريث) فانها فى الدولة الفاطمية لم تكن كما هى اليوم من أجل أن مذهبهم توريث ذوى الارحام وأن البنت اذا انفردت استحقت المال بأجمعه فلما انقضت أيامهم واستولت الايوبية ثم الدولة التركية صار من جملة اموال السلطان مال المواريث الحشرية وهى التى يستحقها بيت المال عند عدم الوارث فتعدل فيها الوزارة مرة وتظلم اخرى (وأما المكوس) فقد تقدم حدوثها وما كان من الملوك فيها والذى بقى منها الى الآن بديار مصر يلى أمره الوزير وفى الحقيقة انما هو نفع للاقباط يتخولون فيه بغير حق وقد تضاعفت المكوس فى زمننا عما كنا نعهده منذ عهد تحدث الامير جمال الدين يوسف الاستادار فى الاموال السلطانية كما ذكر فى اسباب الخراب * (وأما البراطيل) وهى الاموال التى تؤخذ من ولاة البلاد ومحتسبيها وقضاتها وعمالها فأول من عمل ذلك بمصر الصالح بن رزيك فى ولاة النواحى فقط ثم بطل وعمل فى ايام العزيز بن صلاح الدين أحيانا وعمله الامير شيخون فى الولاة فقط ثم أفحش فيه الظاهر برقوق كما يأتى فى أسباب الخراب (وأما الحمايات والمستأجرات) فشئ حدث فى أيام الناصر فرج وصار لذلك ديوان ومباشرون وعمل مثل ذلك الامراء وهو من أعظم اسباب الخراب كما يذكر فى موضعه ان شاء الله تعالى

(ذكر الاهرام)

اعلم أن الاهرام كانت بأرض مصر كثيرة جدا منها بناحية بوصير شئ كثير بعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن واكثرها حجر وبعضها مدرج واكثرها مخروط املس وقد كان منها بالجيزة تجاه مدينة مصر عدة كثيرة كلها صغار هدمت فى ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على يد قراقوش وبنى بها قلعة الجبل والسور المحيط بالقاهرة ومصر والقناطر التى بالجيزة وأعظم الاهرام الثلاثة التى هى اليوم قائمة تجاه مصر وقد اختلف الناس فى وقت بنائها واسم بانيها والسبب فى بنائها وقالوا فى ذلك اقوالا متباينة اكثرها غير صحيح وسأقص عليك من نبأ ذلك ما يشفى ويكفى ان شاء الله تعالى * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب فى أخبار مصر وعجائبها فى اخبار سوريد بن سهلوق بن سرياق بن توميدون بن بدرسان بن هوصال أحد ملوك مصر قبل الطوفان الذين كانوا يسكنون فى مدينة أمسوس الآتى ذكرها عند ذكر مدائن مصر من هذا الكتاب وهو الذى بنى الهرمين العظيمين بمصر المنسوبين الى شداد بن عاد والقبط تنكر أن تكون العادية دخلت بلادهم لقوة سحرهم وسبب بناء الهرمين أنه كان قبل الطوفان بثلثمائة سنة قد رأى سوريد فى منامه

كأن الارض انقلبت بأهلها وكأن الناس قد هربوا على وجوههم وكأن الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة فغمه ذلك ولم يذكره لاحد وعلم أنه سيحدث فى العالم أمر عظيم ثم رأى بعد ذلك بايام كأن الكواكب الثابتة نزلت الى الارض فى صور طيور بيض وكأنها تختطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكأن الجبلين قد انطبقا عليهم وكأن الكواكب المنيرة مظلمة مكسوفة فانتبه مرعوبا مذعورا ودخل الى هيكل الشمس وتضرع ومرغ خديه على التراب وبكى فلما اصبح جمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر وكانوا مائة وثلاثين كاهنا فخلا بهم وحدثهم مارآه اولا وآخرا فأولوه بأمر عظيم يحدث فى العالم فقال عظيم الكهان ويقال له افليمون ان أحلام الملوك لا تجرى على محال لعظم أقدارهم وأنا أخبر الملك برؤيا رأيتها منذ سنة ولم اذكرها لاحد من الناس رأيت كأنى قاعد مع الملك على وسط المنار الذى بامسوس وكأن الفلك قد انحط من موضعه حتى قارب رؤسنا وكان علينا كالقبة المحيطة بنا وكأن الملك قد رفع يديه نحو السماء وكواكبها قد خالطتنا فى صور شتى مختلفة الاشكال وكأن الناس قد جفلوا الى قصر الملك وهم يستغيثون به وكأن الملك قد رفع يديه حتى بلغتا رأسه وامرنى أن افعل كما فعل ونحن على وجل شديد اذ رأينا منها موضعا قد انفتح وخرج منه نور مضىء وطلعت علينا منه الشمس وكأنا استغثنا بالشمس فخاطبتنا ان الفلك سيعود الى موضعه فانتبهت مرعوبا ثم نمت فرأيت كأن مدينة أمسوس قد انقلبت بأهلها والاصنام تهوى على رؤسها وكأن اناسا نزلوا من السماء بأيديهم مقامع من حديد يضربون الناس بها فقلت لهم ولم تفعلون بالناس كذا قالوا لانهم كفروا بالههم قلت فما بقى لهم من خلاص قالوا نعم من أراد الخلاص فليلحق بصاحب السفينة فانتبهت مرعوبا فقال الملك خذوا الارتفاع للكواكب وانظروا هل من حادث فبلغوا غايتهم فى استقصاء ذلك وأخبروا بأمر الطوفان وبعده بالنار التى تخرج من برج الاسد تحرق العالم فقال الملك انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا فقالوا نعم تاتى فى الطوفان على اكثره ويلحقه خراب يقيم عدة سنين قال فانظروا هل يعود عامرا كما كان او يبقى مغمورا بالماء دائما قالوا بل تعود البلاد كما كانت وتعمر قال ثم ماذا قالوا يقصدها ملك يقتل اهلها ويغنم مالها قال ثم ماذا قالوا يقصدها قوم مشوهون من ناحية جبل النيل ويملكون اكثرها قال ثم ماذا قالوا ينقطع نيلها وتخلو من اهلها فأمر عند ذلك بعمل الاهرام وأن يعمل لها مسارب يدخل منها النيل الى مكان بعينه ثم يفيض الى مواضع من أرض الغرب وأرض الصعيد وملأها طلسمات وعجائب واموالا وأصناما وأجساد ملوكهم وأمر الكهان فزبروا عليها جميع ما قالته الحكماء وزبر فيها وفى سقوفها وحيطانها واسطواناتها جميع العلوم الغامضة التى يدعيها اهل مصر وصوّر فيها صور الكواكب كلها وزبر عليها اسماء العقاقير ومنافعها ومضارها وعلم الطلسمات وعلم الحساب والهندسة وجميع علومهم مفسرا لمن يعرف كتابتهم ولغتهم * ولما شرع فى بنائها أمر بقطع الاسطوانات العظيمة ونشر البلاط الهائل واستخراج الرصاص من أرض المغرب واحضار الصخور من ناحية اسوان فبنى بها أساس الاهرام الثلاثة الشرقى والغربى والملوّن وكانت لهم صحائف وعليها كتابة اذا قطع الحجر وتم احكامه وضعوا عليه تلك الصحائف وضربوه فيبعد بتلك الضربة قدر مائة سهم ثم يعاودون ذلك حتى يصل الحجر الى الاهرام وكانوا يمدون البلاطة ويجعلون فى ثقب بوسطها قطبا من حديد قائما ثم يركبون عليها بلاطة اخرى مثقوبة الوسط ويدخلون القطب فيها ثم يذاب الرصاص ويصب فى القطب حول البلاطة بهندام واتقان الى أن كملت وجعل لها ابوابا تحت الارض بأربعين ذراعا فأما باب الهرم الشرقى فانه من الناحية الشرقية على مقدار مائة ذراع من وسط حائط الهرم وأما باب الهرم الغربى فانه من الناحية الغربية على مقدار مائة ذراع من وسط الحائط وأما باب الهرم الملوّن فانه من الناحية الجنوبية على مقدار مائة ذراع من وسط الحائط فاذا حفر بعد هذا القياس وصل الى باب الازج المبنى ويدخل الى باب الهرم وجعل ارتفاع كل واحد من الاهرام فى الهواء مائة ذراع بالذراع الملكى وهو بذراعهم خمسمائة ذراع بذراعنا الآن وجعل طول كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع بذراعهم ثم هندسها من كل جانب حتى تحددت أعاليها من آخر طولها على ثمانية اذرع بذراعنا وكان ابتداء بنائها فى طالع سعيد اجتمعوا عليه وتخيروه فلما فرغت كساها ديباجا ملونا من فوقها الى أسفلها وعمل لها عيدا حضره اهل مملكته بأجمعهم ثم عمل فى الهرم الغربى ثلاثين مخزنا من حجارة صوّان ملون وملئت بالاموال الجمة والآلات والتماثيل المعمولة من

الجواهر النفيسة وآلات الحديد الفاخر من السلاح الذى لا يصدأ والزجاج الذى ينطوى ولا ينكسر والطلسمات الغريبة وأصناف العقاقير المفردة والمؤلفة والسموم القاتلة وعمل فى الهرم الشرقى أصناف القباب الفلكية والكواكب وما عمله أجداده من التماثيل والدخن التى يتقرب بها الى الكواكب ومصاحفها وكون الكواكب الثابتة وما يحدث فى أدوارها وقتا وقتا وما عمل لها من التواريخ والحوادث التى مضت والأوقات التى ينتظر فيها ما يحدث وكل من يلى مصر الى آخر الزمان وجعل فيها المطاهر التى فيها المياه المدبرة وما أشبه ذلك وجعل فى الهرم الملون أجساد الكهنة فى توابيت من صوان أسود ومع كل كاهن مصحف فيه عجائب صناعاته وأعماله وسيرته وما عمل فى وقته وما كان وما يكون من أول الزمان الى آخره وجعل فى الحيطان من كل جانب أصناما تعمل بأيديها جميع الصنائع على مراتبها وأقدارها وصفة كل صنعة وعلاجها وما يصلح لها ولم يترك علما من العلوم حتى زبره ورسمه وجعل فيها أموال الكواكب التى اهديت الى الكواكب وأموال الكهنة وهو شئ عظيم لا يحصى وجعل لكل هرم منها خادما فخادم الهرم الغربى صنم من حجارة صوان مجزع وهو واقف ومعه شبه حربة وعلى رأسه حية قد تطوق بها من قرب منه وثبت اليه وطوّقت على عنقه وقتلته ثم تعود الى مكانها وجعل خادم الهرم الشرقى صنما من جزع أسود مجزع بأسود وأبيض له عينان مفتوحتان براقتان وهو جالس على كرسى ومعه حربة اذا نظر أحد اليه سمع من جهته صوتا يفزع منه فيخر على وجهه ولا يبرح حتى يموت وجعل خادم الهرم الملون صنما من حجر البهت على قاعدة منه من نظر اليه جذبه حتى يلتصق به فلا يفارقه حتى يموت فلما فرغ من ذلك حصن الأهرام بالأرواح الروحانية وذبح لها الذبائح لتمنع عن أنفسها من أرادها الا من عمل لها أعمال الوصول اليها * وذكر القبط فى كتبهم أن عليها منقوشا تفسيره بالعربية أنا سوريد الملك بنيت هذه الأهرام فى وقت كذا وكذا وأتممت بناءها فى ست سنين فمن أتى بعدى وزعم أنه ملك مثلى فليهدمها فى ستمائة سنة وقد علم أن الهدم أيسر من البنيان وانى كسوتها عند فراغى بالديباج فليكسها بالحصر فنظروا فوجدوا أنه لا يقوم بهدمها شئ من الأزمان الطوال * وحكى القبط فى كتبهم أن روحانية الهرم الشمالى غلام أمرد أصفر اللون عريان فى فمه أنياب كبار وروحانية الهرم الجنوبى امرأة عريانة بادية الفرج حسناء فى فمها أنياب كبار تستهوى الانسان اذا رأته وتضحك له حتى يدنو منها فتسلبه عقله وروحانية الهرم الملون شيخ فى يده مجمرة من مجامر الكنائس يبخر بها وقد رأى غير واحد من الناس هذه الروحانيات مرارا وهى تطوف حول الأهرام وقت القائلة وعند غروب الشمس قال ولما مات سوريد دفن فى الهرم ومعه أمواله وكنوزه وقالت القبط ان سوريد هو الذى بنى البرابى وأودع فيها كنوزا وزبر عليها علوما ووكل بها روحانيات تحفظها ممن قصدها قال وأما الأهرام الدهشورية فيقال ان شدات بن عديم هو الذى بناها من الحجارة التى كانت قد قطعت فى زمن أبيه وشدات هذا يزعم بعض الناس أنه شداد بن عاد وقال من أنكر أن يكون العادية دخلت مصر انما غلطوا باسم شدات ابن عديم فقالوا شداد بن عاد لكثرة ما يجرى على ألسنتهم شداد بن عاد وقلة ما يجرى على ألسنتهم شدات بن عديم والا فما قدر أحد من الملوك يدخل مصر ولا قوى على أهلها غير بخت نصر والله أعلم * وذكر أبو الحسن المسعودى فى كتابه أخبار الزمان ومن أباده الحدثان ان الخليفة عبد الله المأمون بن هارون الرشيد لما قدم مصر وأتى على الأهرام أحب أن يهدم أحدها ليعلم ما فيها فقيل له انك لا تقدر على ذلك فقال لا بد من فتح شئ منه ففتحت له الثلمة المفتوحة الآن بنار توقد وخل يرش ومعاول وحدادين يعملون فيها حتى انفق عليها أموالا عظيمة فوجدوا عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا فلما انتهوا الى آخر الحائط وجدوا خلف النقب مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب وزن كل دينار أوقية وكان عددها ألف دينار فجعل المأمون يتعجب من ذلك الذهب ومن جودته ثم أمر بجملة ما أنفق على الثلمة فوجدوا الذهب الذى أصابوه لا يزيد على ما أنفقوه ولا ينقص فعجب من معرفتهم بمقدار ما ينفق عليه ومن تركهم ما يوازيه فى الموضع عجبا عظيما وقيل ان المطهرة التى وجد فيها الذهب كانت من زبرجد فأمر المأمون بحملها الى خزانته وكان آخر ما عمل من عجائب مصر وأقام الناس سنين يقصدونه وينزلون فيه الزلاقة التى فيه فمنهم من يسلم ومنهم من يهلك فاتفق عشرون من الأحداث على دخوله وأعدوا لذلك ما يحتاجون من طعام وشراب وحبال وشمع ونحوه ونزلوا فى الزلاقة فرأوا فيها من الخفاش ما يكون كالعقبان يضرب وجوههم ثم انهم أدلوا أحدهم بالحبال فانطبق عليه المكان وحاولوا اجتذابه حتى أعياهم فسمعوا صوتا

اربعهم فغشى عليهم ثم قاموا وخرجوا من الهرم فبيناهم جلوس يتعجبون مما وقع لهم اذا خرجت الارض صاحبهم حيا من بين ايديهم يتكلم بكلام لم يعرفوه ثم سقط ميتا فحملوه ومضوا به فأخذهم الخفراء واتوا بهم الى الوالى فحدثوه خبرهم ثم سألوا عن الكلام الذى قال صاحبهم قبل موته فقيل لهم معناه هذا جزاء من طلب ماليس له وكان الذى فسر لهم معناه بعض أهل الصعيد * وقال على بن رضوان الطبيب فكرت فى بناء الاهرام فأوجب علم الهندسة العملية ورفع الثقيل الى فوق أن يكون القوم هندسوا سطحا مربعا ونحتوا الحجارة ذكرا وانثى ورصوها بالجبس البحرى الى أن ارتفع البناء مقدارا ما يمكن رفع الثقيل وكانوا كلما صعدوا ضموا البناء حتى يكون السطح الموازى للمربع الاسفل مربعا أصغر من المربع السفلانى ثم عملوا فى السطح المربع الفوقانى مربعا أصغر بمقدار ما يبقى فى الحاشية ما يمكن رفع الثقيل اليه وكلما رفعوا حجرا مهندما وصوه اليه ذكرا وانثى الى أن ارتفع مقدار مثل المقدار الاول ولم يزالوا يفعلون ذلك الى أن بلغوا غاية لا يمكنهم بعدها أن يفعلوا ذلك فقطعوا الارتفاع ونحتوا الجوانب البارزة التى فرضوها لرفع الثقيل ونزلوا فى النحت من فوق الى اسفل وصار الجميع هرما واحدا * وقياس الهرم الاول بالذراع التى تقاس بها اليوم الابنية بمصر كل حاشية منه اربعمائة ذراع يكون بالذراع السوداء التى طول كل ذراع منها أربعة وعشرون اصبعا خمسمائة ذراع وذلك أن قاعدته مربع متساوى الاضلاع والزوايا ضلعان منهما على خط نصف النهار وضلعان على خط المشرق والمغرب وكل ضلع بالذراع السوداء خمسمائة ذراع والخط المنحدر على استقامة من رأس الهرم الى نصف ضلع المربع اربعمائة وسبعون ذراعا يكون اذا تم ايضا خمسمائة ذراع وأحيط بالهرم اربع مثلثات ومربع كل مثلث منها متساوى الساقين كل ساق منه اذا تم خمسمائة وستون ذراعا والمثلثات الاربعة تجتمع رؤسها عند نقطة واحدة وهى رأس الهرم اذا تم فيلزم أن يكون عموده اربعمائة وثلاثين ذراعا وعلى هذا العمود مراكز اثقاله ويكون تكسير كل مثلث من مثلثاته مائة وخمسة وعشرين ألف ذراع اذا اجتمع تكاسيرها كان مبلغ تكسير سطح هذا الهرم خمسمائة ألف ذراع بالسوداء وما احسب على وجه الارض بناء اعظم منه ولا احسن هندسة ولا اطول والله أعلم * وقد فتح المامون نقبا من هذا الهرم فوجد فيه زلاقة تصعد الى بيت مربع مكعب ووجد فى سطحه قبر رخام وهو باق فيه الى اليوم ولم يقدر أحد يخطه وبذلك اخبر جالينوس انها قبور فقال فى آخر الخامسة من تدبير الصحة بهذا اللفظ وهم يسمون من كان فى هذا السن الهرم وهو اسم مشتق من الاهرام التى هم اليها صائرون عن قريب وقال الحوقلى فى صفة مصر وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الارض لهما نظير فى ملك مسلم ولا كافر ولا عمل ولا يعمل لهما وقرأ بعض بنى العباس على أحدهما انى قد بنيتهما فمن كان يدعى قوة فى ملكه فليهدمهما فالهدم ايسر من البنيان فهم بذلك وأظنه المأمون أو المعتصم فاذا خراج مصر لا يقوم به يومئذ وكان خراجها على عهده بالانصاف فى الجباية وتوخى الرفق بالرعية والمعدلة اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع اربعة آلاف ألف ومائتى ألف وسبعة وخمسين ألف دينار والمقبوض على الفدان دينارين فأعرض عن ذلك ولم يعد فيه شيأ * وفى حد الفسطاط فى غربى النيل ابنية عظام يكثر عددها مفترشة فى سائر الصعيد تدعى الاهرام وليست كالهرمين اللذين تجاه الفسطاط وعلى فرسخين منها ارتفاع كل واحد منهما اربعمائة ذراع وعرضه كارتفاعه مبنى بحجارة الكدان التى سمك الحجر وطوله وعرضه من العشر اذرع الى الثمان بحسب مادعت الحاجة الى وضعه فى زيادته ونقصه وأوجبته الهندسة عندهم لانهما كلما ارتفعا فى البناء ضاقا حتى يصير اعلاهما من كل واحد منهما مثل مبرك جمل وقد ملئت حيطانهما بالكتابة اليونانية وقد ذكر قوم انهما قبران وليس كذلك وانما حمل صاحبهما على عملهما انه قضى بالطوفان انه يهلك جميع ما على وجه الارض الا ما حصن فى مثلهما فخزن ذخائره وأمواله فيهما واتى الطوفان ثم نضب فصار ما كان فيهما الى بيصر بن مصرايم بن حام بن نوح وقد خزن فيهما بعض الملوك المتأخرين وجعلهما هراء والله أعلم * وقال أبو يعقوب محمد بن اسحاق النديم الوراق فى كتاب الفهرست وقد ذكر هرمس البابلى قد اختلف فى أمره فقيل انه كان أحد السدنة السبعة الذين رتبوا لحفظ البيوت السبعة وانه كان لترتيب عطارد وباسمه سمى فان عطارد باللغة الكلدانية هرمس وقيل انه انتقل الى أرض مصر بأسباب وانه ملكها وكان له أولاد منهم طاوصا وأشمن واتريب وقفط وانه كان حكيم زمانه وانه لما توفى دفن فى البناء الذى يعرف بمدينة مصر بأبى هرميس ويعرفه العامة بالهرمين فان أحدهما قبره والآخر قبر زوجته وقيل قبر ابنه الذى خلفه بعد موته

وهذه البنية يعني الاهرام طولها بالذراع الهاشمي اربعمائة ذراع وثمانون ذراعا على مساحة أربعمائة وثمانين ذراعا ثم ينخرط البناء فاذا حصل الانسان في رأسه كان مقدار سطحه أربعين ذراعا هذا بالهندسة وفي وسط هذا السطح قبة لطيفة في وسطها شبيهة بالمقبرة وعند رأس ذلك القبر صخرتان في نهاية النظافة والحسن وكثرة التلون وعلى كل واحدة منهما شخصان من حجارة صورة ذكر وانثى وقد تلاقيا بوجهيهما وبيد الذكر لوح من حجارة فيه كتابة وبيد الانثى مرآة والرف ذهب نقشه نقاش وبين الصخرتين برنية من حجارة على رأسها غطاء ذهب فلما قلع فاذا فيها شبيه بالقار بغير رائحة قد يبس وفيها حقة ذهب فنزع رأسها فاذا فيها دم عبيط ساعة قرعه الهواء جمد كما يجمد الدم وجف وعلى القبور اغطية حجارة فلما قلعت اذا رجل نائم على قفاه على نهاية الصحة والجفاف بين الخلقة ظاهر الشعور والى جنبه امرأة على هيئته قال وذلك السطح منقر نحو قامة كما يدور مثل المسمار ذات آزاج من حجارة فيها صور وتماثيل مطروحة وقائمة وغير ذلك من الالة التي لا تعرف أشكالها * وقال العلامة موفق الدين عبد اللطيف بن أبي العز يوسف بن أبي البركات محمد بن علي بن سعد البغدادي المعروف بابن المطحن في سيرته وجاء رجل جاهل عجمي تخيل الى الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف أن الهرم الصغير تحته مطلب فاخرج اليه الحجارين واكثر العسكر وأخذوا في هدمه واقاموا على ذلك شهورا ثم تركوه عن عجز وخسران مبين في المال والعقل ومن يرى حجارة الهرم يقول انه قد استوصل الهرم ومن يرى الهرم لا يجد به الا تشعيثا يسيرا وقد أشرفت على الحجارين فقلت لمقدمهم هل تقدرون على اعادته فقال لو بذل لنا السلطان عن كل حجر ألف دينار لم يمكنا ذلك * وقال أبو الحسن المسعودي في مروج الذهب وأما الاهرام فطولها عظيم وبنيانها عجيب عليها انواع من الكتابات باقلام الامم السالفة والممالك الدائرة لا يدري ما تلك الكتابة ولا المراد بها وقد قال من عني بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع الهرم الكبير ذهابا في الجو نحو أربعمائة ذراع أو اكثر وكلما صعد دق ذلك والعرض نحو ما وصفنا وعليها من الرسوم علوم وخواص وسحر وأسرار الطبيعة وان من تلك الكتابة مكتوبا انا بنيناها فمن يدعي موازاتنا في الملك وبلوغ القدرة وانتهاء أمر السلطان فليهدمها وليزل رسمها فان الهدم أيسر من البناء والتفريق اسهل من التأليف * وقد ذكر ان بعض ملوك الاسلام شرع يهدم بعضها فاذا خراج مصر لا يفي بقلعها وهي من الحجر والرخام وأنها قبور الملوك وكان الملك منهم اذا مات وضع في حوض من حجارة ويسمى بمصر والشام الجرون واطبق عليه ثم بني من الهرم على مقدار ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض ويوضع وسط الهرم ثم يقنطر عليه البنيان ثم يرفعون البناء على المقدار الذي يرونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق في الارض ويعقد أزج طوله تحت الارض مائة ذراع أو اكثر ولكل هرم من هذه الاهرام باب مدخله على ما وصفت قال وكان القوم يبنون الهرم من هذه الاهرام مدرجا ذا مراق كالدرج فاذا فرغوا نحتوه من فوق الى أسفل فهذه كانت جبلتهم وكانوا مع ذلك لهم قوة وصبر وطاعة * وقال في كتاب البنية والاشراف والهرمان اللذان في الجانب الغربي من فسطاط مصر هما من عجائب بنيان العالم كل واحد منهما اربعمائة ذراع في سمك مثل ذلك مبنيان بالحجر العظيم على الرياح الاربع كل ركن من اركانهما يقابل ريحا منها وأعظمها فيهما تأثيرا ريح الجنوب وهي المريسي وأحد هذين الهرمين قبر اغاذيمون والآخر قبر هرمس وبينهما نحو ألف سنة وأغاذيمون المتقدم وكان سكان مصر وهم الاقباط يعتقدون نبوتهما قبل ظهور النصرانية فيهم على ما يوجبه رأي الصابئين في النبوات لا على طريق الوحي بل هم عندهم نفوس طاهرة صفت وتهذبت من ادناس هذا العالم فاتحدت بهم مواد علوية فأخبروا عن الكائنات قبل كونها وعن سرائر العالم وغير ذلك وفي العرب من اليمانية من يرى انهما قبر شداد ابن عاد وغيره من ملوكهم السالفة الذين غلبوا على بلاد مصر في قديم الدهر وهم العرب العاربة من العماليق وغيرهم وهي عند من ذكرنا من الصابئين قبور أجساد طاهرة * وذكر أبو زيد البلخي انه وجد مكتوبا على الاهرام بكتابتهم خط فعرب فاذا هو بني هذان الهرمان والنسر الواقع في السرطان فحسبوا من ذلك الوقت الى الهجرة النبوية فاذا هو ست وثلاثون ألف سنة شمسية مرتين يكون اثنتين وسبعين ألف سنة شمسية * وقال الهمداني في كتاب الاكليل لم يوجد مما كان تحت الماء وقت الغرق من القرى قرية فيها بقية سوى نهاوند وجدت كما هي اليوم لم تتغير واهرام الصعيد من أرض مصر * وذكر أبو محمد عبد الله بن عبد الرحيم القيسي

فى كتاب تحفة الالباب ان الاهرام مربعة الجملة مثلثة الوجوه وعددها ثمانية عشر هرما فى مقابلة مصر الفسطاط
ثلاثة اهرام اكبرها دوره الفاذراع فى كل وجه خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وكل حجر من حجارتهما ثلاثون
ذراعا فى غلظ عشرة اذرع قد احكم الصاقه ونحته ومنها عند مدينة فرعون يوسف هرم اعظم واكبر دوره ثلاثة
آلاف ذراع وعلوه سبعمائة من حجارة كل حجر خمسون ذراعا وعند مدينة فرعون موسى أهرام اكبر واعظم
وهرم آخر يعرف بهرم مدون كانه جبل وهو خمس طبقات وفتح المامون الهرم الكبير الذى تجاه الفسطاط قال
وقد دخلت فى داخله فرأيت قبة مربعة الاسفل مدورة الاعلى كبيرة فى وسطها بئر عمقها عشرة اذرع وهى مربعة
ينزل الانسان فيها فيجد فى كل وجه من تربيع البئر بابا يفضى الى دار كبيرة فيها موتى من بنى آدم عليهم
اكفان كثيرة اكثر من مائة ثوب على كل واحد قد بليت بطول الزمان واسودت واجسامهم مثلنا ليسوا طوالا
ولم يسقط من اجسامهم ولا من شعورهم شئ وليس فيهم شيخ ولا من شعره ابيض واجسادهم قوية لا يقدر
الانسان أن يزيل عضوا من أعضائهم البتة ولكنهم خفوا حتى صاروا كالغثا لطول الزمان وفى تلك البئر أربعة
من الدور مملوءة باجساد الموتى وفيها خفافش كثير وكانوا يدفنون أيضا جميع الحيوان فى الرمال ولقد وجدت ثيابا
ملفوفة كثيرا مقدار حجمها اكثر من ذراع وقد احترقت تلك الثياب من القدم فازلت الثياب الى أن ظهرت خرق ٤
صحاح قوية بيض من كتان أمثال العصائب فيها أعلام من الحرير الاحمر وفى داخلها هدهد ميت لم يتناثر من
ريشه ولا من جسده شئ كأنه قدمات الآن * وفى القبة التى فى الهرم باب يفضى الى علو الهرم وليس فيه درج
عرضه نحو خمسة اشبار يقال انه صعد فيها فى زمان المامون فأفضوا الى قبة صغيرة فيها صورة آدمى من حجر أخضر
كالدهنج فاخرجت الى المامون فاذا هى مطبقة فلما فتحت وجد فيها جسد آدمى عليه درع من ذهب مزين
بأنواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف لا قيمة له وعند رأسه حجر ياقوت أحمر كبيضة الدجاجة يضئ كلهب النار
فأخذه المامون * وقد رأيت الصنم الذى اخرج منه ذلك الميت ملقى عند باب دار الملك بمصر فى سنة احدى
عشرة وخمسمائة * وقال القاضى الجليل أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى روى على بن الحسن بن خلف
ابن قديد عن يحيى بن عثمان بن صالح عن محمد بن على بن صخر التميمى قال حدثنى رجل من عجم مصر من قرية
من قراها تدعى قفط وكان عالما بأمور مصر وأحوالها وطالبا لكتبها القديمة ومعادنها قال وجدنا فى كتبنا القديمة
قال وأما الاهرام فان قوما احتفروا قبرا فى دير أبى هرميس فوجدوا فيه ميتا فى اكفانه وعلى صدره قرطاس
ملفوف فى خرق فاستخرجوه من الخرق فرأوا كتابا لا يعرفونه وكان الكتاب بالقبطية الاولى فطلبوا من يقرأه لهم
فلم يقدروا عليه فقيل لهم ان بدير القلمون من أرض الفيوم راهبا يقرأه فخرجوا اليه وقد ظنوا انه فى الضيعة ٣١
فقرأه لهم وكان فيه كتب هذا الكتاب فى اول سنة من ملك ديقلطيانس الملك وانا استنسخناه من كتاب نسخ
فى اول سنة من ملك فيلبش الملك وان فيلبش استنسخه من صحيفة من ذهب فرق كاتبها حرفا حرفا وكان من
الكتاب الاول ترجمه له اخوان من القبط يقال لاحدهما ايلو والآخر ناوان الملك فيلبش سألهما عن سبب
معرفتهما بما جهله الناس من قراءته فذكرا انهما من ولد رجل من أهل مصر الاول لم ينج من الطوفان من أهل مصر
أحد غيره وكان سبب نجاته انه اتى نوحا عليه السلام فآمن به ولم يأته من أهل مصر غيره فحمله معه فى السفينة فلما
نضب ماء الطوفان أتى مصر ومعه نفر من ولد حام بن نوح وكان بها حتى هلك فورث ولده علم كتاب أهل مصر الاول
فورثناه عنه كابرا عن كابر وكان تاريخه الذى مضى الى أن استنسخه فيلبش ألفا وثلثمائة واثنتين وسبعين سنة وان
الذى استنسخه فى صحيفة من ذهب فرق كاتبها حرفا حرفا على ما وجده فيلبش وان تاريخه الى أن استنسخه ألف
وسبعمائة سنة وخمس وثمانون سنة * وكان الكتاب المنسوخ انا نظرنا فيما تدل عليه النجوم فرأينا أن آفة
نازلة من السماء وخارجة من الارض فلما بان لنا الكون نظرنا ما هو فوجدناه ماء مفسدا للارض وحيوانها ونباتها
فلما تم اليقين من ذلك عندنا قلنا لمكاسور يد بن سهلوق مر ببناء افروشات وقبر لك وقبر لاهل بيتك فبنى لهم الهرم
الشرقى وبنى لاخيه هوحيت الهرم الغربى وبنى لابن هوحيت الهرم الملون وبنيت افروشات فى أسفل مصر ٣١
واعلاه فكتبنا فى حيطانها علم غامض أمر النجوم وعللها والصنعة والهندسة والطب وغير ذلك مما ينفع ويضر
ملخصا مفسرا لمن عرف كلامنا وكتابتنا وان هذه الآفة نازلة باقطار العالم وذلك عند نزول قلب الاسد فى اول
دقيقة من رأس السرطان ويكون الكوكب عند نزوله اياها فى هذه المواضع من الفلك الشمس والقمر فى اول

دقيقة من رأس الحمل وقوريس فى درجة وثمان وعشرين دقيقة من الحمل وراويس فى الحوت فى تسع وعشرين
درجة وثمان وعشرين دقيقة وآويس فى الحوت فى تسع وعشرين درجة وثلاث دقائق وأفرودبطن فى الحوت
فى ثمان وعشرين درجة ودقائق وهرمس فى الحوت فى سبع وعشرين ودقائق والجوزهر فى الميزان واوج القمر
فى الاسد فى خمس درجات ودقائق * ثم نظرنا هل يكون بعد هذه الآفة كون مضر بالعالم فأصبنا الكواكب تدل
على أن آفة نازلة من السماء الى الارض وانها ضد الآفة الاولى وهى نار محرقة اقطار العالم ثم نظرنا متى يكون
هذا الكون المضر فرأيناه يكون عند حلول قلب الاسد فى آخر دقيقة من الدرجة الخامسة عشر من الاسد
ويكون ايليس معه فى دقيقة واحدة متصلة بقوريس من تثليث الرامى ويكون راويس مشترى فى اول الاسد فى
آخر احتراقه ومعه آويس فى دقيقة ويكون سليس فى الدلو مقابلا لايليس الشمس ومعه الذنب فى اثنتين وعشرين
ويكون كسوف شديد له مكث يوازى القمر ويكون هرمس عطارد فى بعده الابعد أمامها مقبلين أما افرودبطن ٢
فللاستقامة وأما هرمس فللرجعة * قال الملك فهل عندكم من خبر توقفونا عليه غير هاتين الآفتين قالوا اذا
قطع قلب الاسد ثانى سدس ادواره لم يبق من حيوان الارض متحرك الا تلف فاذا استتم ادواره تحللت عقد
الفلك وسقط على الارض قال لهم واى يوم فيه انحلال الفلك قالوا اليوم الثانى من بدو حركة الفلك فهذا ما كان
فى القرطاس * فلما مات الملك سوريد بن سهلوق دفن فى الهرم الشرقى ودفن هوجيت فى الهرم الغربى ودفن
كرورس فى الهرم الذى اسفله من حجارة اسوان واعلاه كدان * ولهذه الاهرام ابواب فى ازج تحت الارض
طول كل ازج مائة وخمسون ذراعا * فأما باب الهرم الشرقى فمن الناحية البحرية وأما باب ازج الهرم الموزر ٢
فمن الناحية القبلية * وفى الاهرام من الذهب وحجارة الزمرذ ما لا يحتمله الوصف * وان مترجم هذا
الكتاب من القبطى الى العربى اجمل التاريخين الى اول يوم من توت وهو يوم الاحد طلوع شمسه سنة خمس
وعشرين ومائتين من سنى العرب فبلغت اربعة آلاف وثلثمائة واحدى وعشرين سنة لسنى الشمس ثم نظر كم
مضى للطوفان الى يومه هذا فوجده ألفا وسبعمائة واحدى وأربعين سنة وتسعة وخمسين يوما وثلاث عشرة
ساعة وأربعة اخماس ساعة وتسعة وخمسين جزأ من أربعمائة جزء من ساعة فألقاها من الجملة فبقى معه
ثلثمائة وتسع وتسعون سنة ومائتان وخمسة ايام وعشر ساعات وأحد وعشرون جزءا من أربعمائة جزء من
ساعة فعلم أن هذا الكتاب المؤرخ كتب قبل الطوفان بهذه السنين والايام والساعات والكسر من الساعة *
وأما الهرم الذى بدير أبى هرميس فانه قبر قرياس وكان فارس اهل مصر وكان يعد بألف فارس فاذا لقيهم
لم يقوموا به وانهزموا وانه مات فجزع الملك عليه جزعا بلغ منه واكتأبت لموته الرعية فدفنوه بدير هرميس
وبنوا عليه الهرم مدرجا وكان طينه الذى بنى به مع الحجارة من الفيوم وهذا معروف اذا نظر الى طينه لم يعرف له
معدن الا بالفيوم وليس بعنف ووسيم له شبه من الطين * وأما قبر الملك صاحب قرياس هذا فانه الهرم
الكبير من الاهرام التى فى بحرى دير أبى هرميس وعلى بابه لوح كدان مكتوب فيه باللازورد طول اللوح ذراعان
فى ذراع وكله مملوء كتبا مثل كتب البرابى يصعد الى باب الهرم بدرج بعضها صحيح لم ينخرم وفى هذا الهرم ذخائر
صاحبه من الذهب وحجارة الزمرذ وانما سد بابه حجارة سقطت من اعاليه ومن وقف عليه رآه بيتا * وقال
ابن عفير عن اشياخه ان جياد بن مياد بن شمر بن شداد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ملك
الاسكندرية وكانت تسمى ارم ذات العماد فطال ملكه وبلغ ثلثمائة سنة وهو الذى سار وبنى الاهرام وزبر فيها
انا جياد بن مياد بن شمر بن شداد الشاد بزراعة الواد المؤيد الاوتاد الجامع الصخر فى البلاد المجند الاجناد
الناصب العماد الكند الكناد تخرجه امة اسم نبيها حماد آية ذلك اذا غشى بلد البلاد سبعة ملوك اجناس
السواد تاريخ هذا الزبر ألف سنة وأربعمائة سنة عداد * وقال ابن عفير وابن عبد الحكم وفى زمان شداد
ابن عاد بنيت الاهرام فيما ذكر بعض المحدثين ولم نجد عند احد من اهل العلم من اهل مصر معرفة فى الاهرام
ولا خبر ثبت * وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ما أحسب الاهرام بنيت الا قبل الطوفان لانها لو بنيت
بعده لكان علمها عند الناس * وقال عبد الله بن شبرمة الجرهمى لما نزلت العماليق أرض مصر حين أخرجها
جرهم من مكة بنت الاهرام واتخذت لها المصانع وبنت فيها العجائب ولم تزل بمصر حتى أخرجها مالك بن دعر
الخزاعى * وقال محمد بن عبد الحكم كان من وراء الاهرام الى المغرب أربعمائة مدينة سوى القرى من مصر الى

المغرب في غربي الاهرام * وقال ابن عفير ولم يزل مشايخنا من اهل مصر يقولون الاهرام بناها شداد بن عاد وهو الذي بنى المغار وجند الاجناد فالمغار والاجناد هي الدفائن وكانوا يقولون بالرجعة واذا مات احدهم دفن معه ماله كائنا ما كان وان كان صانعا دفن معه آلة صنعته وكانت الصابئة تحج الى الاهرام * وقال ابو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية والفرس والمجوس تنكر الطوفان وأقر به بعض الفرس لكنهم قالوا كان بالشام والمغرب منه شئ في زمان طمهورث ولكنه لم يعم العمران كله ولم يتجاوز عقبة حلوان ولم يبلغ ممالك الشرق وان اهل المغرب لما انذر به حكماؤهم بنوا ابنية كالهرمين بمصر ليدخلوها عند الآفة وان آثار ماء الطوفان وتأثيرات الامواج كانت بينة على أنصاف الهرمين لم تتجاوزهما انتهى ويقال ان الطوفان لما انضب ماؤه لم يوجد تحت الماء قرية سوى نهاوند وجدت كما هي واهرام مصر وبرابيها وهي التي بناها هرميس الاول الذي تسميه العرب ادريس وكان قد الهمه الله علم النجوم فدلته على أنه سينزل بالارض آفة وانه سيبقى بقية من العالم يحتاجون فيها الى علم فبنى هو وأهل عصره الاهرام والبرابي وكتب علمه فيها * وقال ابو الصلت الاندلسي في رسالته وقد ذكر أخلاق اهل مصر الا انه يظهر من امرهم انه كان فيهم طائفة من ذوي المعارف والعلوم وخصوصا علم الهندسة والنجوم ويدل على ذلك ما خلفوه من الصنائع البديعة المعجزة كالاهرام والبرابي فانها من الآثار التي حيرت الاذهان الثاقبة واستعجزت الافكار الراجحة وتركت لها شغلا بالتعجب منها والتفكر فيها وفي مثلها يقول ابو العلاء احمد بن سليمان المعري من قصيدته التي يرثي بها اباه

تضل العقول الهبرزيات رشدها * ولا يسلم الرأي القويم من الافن
وقد كان ارباب الفصاحة كلما * رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن

وأي شئ أعجب وأغرب بعد مقدورات الله عز وجل ومصنوعاته من القدرة على بناء جسم جسيم من اعظم الحجارة مربع القاعدة مخروط الشكل ارتفاع عموده ثلثمائة ذراع وتسعة عشر ذراعا يحيط به اربعة سطوح مثلثات متساويات الاضلاع طول كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون وهو مع العظم من احكام الصنعة واتقان الهندام وحسن التقدير بحيث لم يتأثر الى هلم جرا بعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل وهذه صفة كل واحد من الهرمين المحاذيين للفسطاط من الجانب الغربي على ما شاهدناه منهما وقد ذكرت عجائب مصر وان ما على وجه الارض بنية الا وانا أرثي لها من الليل والنهار الا الهرمان فأنا أرثي لليل والنهار منهما وهذان الهرمان لهما اشراف على أرض مصر واطلال على بطائحها واصعاد في جوفها وهما اللذان أراد أبو الطيب المتنبي بقوله شعر

اين الذي الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتتبع

واتفق يوما انا خرجنا اليهما فلما طفنا بهما واستدرنا حولهما كثر التعجب منهما فقال بعضنا

بعيشك هل ابصرت اعجب منظرا * على طول ما ابصرت من هرمي مصر
انافا عنانا للسماء وأشرفا * على الجو اشراف السماك او النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا * كأنهما نهدان قاما على صدر

وزعم قوم ان الاهرام قبور ملوك عظام آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور * ولما وصل الخليفة المامون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد وعناء طويل فوجدوا داخله مهاوي ومراقي يهول امرها ويعسر السلوك فيها ووجدوا في اعلاها بيتا مكعبا طول كل ضلع من أضلاعه نحو من ثمانية اذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غير رمة بالية قد أتت عليها العصور الخالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه ويقال ان النفقة على نقبه كانت عظيمة والمؤنة شديدة * ومن الناس من زعم أن هرمس الاول المدعو بالمثلث بالنبوة والملك والحكمة وهو الذي تسميه العبرانيون خنوخ بن برد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليه السلام وهو ادريس عليه السلام استدل من احوال الكواكب على كون الطوفان يعم الارض فأكثر من بنيان الاهرام وايداعها الاموال وصحائف العلوم وما يشفق عليه من

الذهاب والدروس حفظا لها واحتياطا عليها ويقال ان الذى بناها ملك اسمه سوريد بن سهلوق بن سرياق وقال آخرون ان الذى بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط شداد بن عاد لرؤيا رآها والقبط تنكر دخول العمالقة بلد مصر وتحقق أن بانيهما سوريد لرؤيا رآها وهى أن آفة تنزل من السماء وهى الطوفان وقالوا انه بناهما فى مدة ستة أشهر وغشاهما بالديباج الملون وكتب عليهما قد بنيناهما فى ستة أشهر قل لمن يأتى من بعدنا يهدمهما فى ستمائة سنة فالهدم أيسر من البنيان وكسوناهما الديباج الملون فليكسهما حصرا فالحصر أهون من الديباج ورأينا سطوح كل واحد من هذين الهرمين مخطوطة من أعلاها الى أسفلها بسطور متضايقة متوازية من كتابة بانيها لا تعرف اليوم أحرفها ولا تفهم معانيها وبالجملة الامر فيها عجيب حتى ان غاية الوصف لها والاغراق فى العبارة عنها وعن حقيقة الموصوف منها بخلاف ما قاله على بن العباس الرومى وان تباعد الموصوفان وتباين المقصودان اذ يقول

اذا ما وصفت امرأ لامرئ * فلا تغل فى وصفه واقصد
فانك ان تغل تغل الظنو * ن فيه الى الغرض الابعد
فيصغر من حيث عظمته * لفضل المغيب على المشهد

ويقال ان المأمون أمر من صعد الهرم الكبير أن يدلى حبلا فكان طوله ألف ذراع بالذراع الملكى وهو ذراع وخمسان وتربيعه أربعمائة ذراع فى مثلها وكان صعوده فى ثلاث ساعات من النهار وانه وجد مقدار رأس الهرم قدر مبرك ثمانية جمال * ويقال انه وجد على المقبور فى الهرم حلة قد بليت ولم يبق منها سوى سلوكها من الذهب وأن نخالة الطلاء الذى عليه قدر شبر من مر وصبر * ويقال انه وجد فى موضع من هذا الهرم ايوان فى صدره ثلاثة ابواب على ثلاثة بيوت طول كل باب منها عشرة اذرع فى عرض خمسة اذرع من رخام منحوت محكم الهندام وعلى صفحاته خط أزرق لم يحسنوا قراءته وانهم أقاموا ثلاثة أيام يعملون الحيلة فى فتح هذه الابواب الى أن رأوا أمامها على عشرة اذرع منها ثلاثة أعمدة من مرمر وفى كل عمود خرق فى طوله وفى وسط الخرق صورة طائر ففى الاول من هذه العمد صورة حمام من حجر أخضر وفى الاوسط صورة بازى من حجر أصفر وفى العمود الثالث صورة ديك من حجر أحمر فحركوا البازى فتحرك الباب الاول الذى فى مقابلته فرفعوا البازى قليلا فارتفع الباب وكان بحيث لا يرفعه مائة رجل من عظمه فرفعوا التمثالين الآخرين فارتفع البابان الآخران فدخلوا الى البيت الاوسط فوجدوا فيه ثلاثة سرر من حجارة شفافة مضيئة وعليها ثلاثة من الاموات على كل ميت ثلاث حلل وعند رأسه مصحف بخط مجهول ووجدوا فى البيت الآخر عدة رفوف من حجارة عليها أسفاط من حجارة فيها أوان من الذهب عجيبة الصنعة مرصعة بأنواع الجواهر ووجدوا فى البيت الثالث عدة رفوف من حجارة عليها أسفاط من حجارة فيها آلات الحرب وعدد السلاح فقيس منها سيف فكان طوله سبعة أشبار وكل درع من تلك الدروع اثناعشر شبرا فأمر المأمون بحمل ما وجد فى البيوت وأمر فحطت العمد فانطبقت الابواب كما كانت * ويقال كانت عدة الاهرام ثمانية عشر هرما منها تجاه مدينة الفسطاط ثلاثة اكبرها دوره ألفا ذراع وهو مربع فى كل وجه من وجوهه الاربعة خمسمائة ذراع ويقال ان المأمون لما فتحه وجد فيه حوضا من حجر مغطى بلوح من رخام وهو مملوء بالذهب وعلى اللوح مكتوب بقلم عرب فكان انا عمرناه هذا الهرم فى ألف يوم وأبحنا لمن يهدمه فى ألف سنة والهدم أسهل من العمارة وكسوناه جميعه بالديباج وأبحنا لمن يكسوه الحصر والحصر ايسر من الديباج وجعلنا فى كل جهة من جهاته مالا بقدر ما يصرف على الوصول اليه فأمر المأمون أن يحسب ما صرف على النقب فبلغ قدر ما وجد فى الحوض من غير زيادة ولا نقص * ويقال انه وجد فيه صورة آدمى من حجر أخضر كالدهنج فيها طبق كالدواة ففتح فاذا فيه جسد آدمى عليه درع من ذهب مزين بأنواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف لا قيمة له وعند رأسه حجر من ياقوت أحمر فى قدر بيضة الدجاجة فأخذه المأمون وقال هذا خير من خراج الذهب * وذكر بعض مؤرخى مصر أن هذا الصنم الاخضر الذى وجدت الرمة فيه لم يزل معلقا عند دار الملك بمدينة مصر الى سنة احدى عشرة وستمائة من سنى الهجرة * وكان عند مدينة فرعون هرمان وعند ميدوم هرم وهذا آخرها * وفى سنة تسع وسبعين وخمسمائة من سنى الهجرة ظهر بتربة بوصير من ناحية الجيزة بيت هرميس ففتحه القاضى ابن الشهرزورى

وأخذ منه اشياء من جملتها كباش وقرود وضفادع من حجر بازهر وقوارير من دهنج وأصنام من نحاس * وقال ابن خرداذبه من عجيب البنيان أن الهرمين بمصر سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع وكلما ارتفع دق وهما من رخام ومرمر والطول أربعمائة ذراع فى عرض أربعمائة ذراع مكتوب عليهما بالمسند كل سحر وكل عجيب من الطب ومكتوب عليهما انى بنيتهما فمن يدعى قوة فى ملكه فليهدمهما فان الهدم أيسر من البناء فاعتبر ذلك فاذا خراج الدنيا لا يفى بهدمهما * وقال فى كتاب عجائب البنيان عن الاهرام قد انفردت مصر بهذه الاشكال فليس لها بغيرها تمثال يظنهما الناظر للديار المصرية نهدين ويحسبهما القابل أن مكارم اهلها قد أعدتهما التكرم ابلوجين تراهما العين على بعد المسافة واذا حدثت عن عجائبهما يظن انه حديث خرافة وقد اكثر الناس فى ذكر الاهرام ووصفها ومساحتها وهى كثيرة العدد جدا وكلها ببر الجيزة على سمت مصر القديمة تمتد نحوا من مسافة ثلاثة أيام وفى بوصير منها شئ كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين وبعضها لبن واكثرها حجر وبعضها مدرج واكثرها مخروط أملس * وقد كان منها بالجيزة عدد كثير كلها صغار هدمت فى زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على يد الطواشى بهاء الدين قراقوش اخذ حجارتها وبنى بها القناطر فى الجيزة وقد بقى من هذه الاهرام المهدومة تلها * وأما الاهرام المحدث عنها فهى ثلاثة اهرام موضوعة على خط مستقيم بالجيزة قبالة الفسطاط وبينها مسافات كثيرة وزوايا متقابلة نحو الشرق واثنان عظيمان جدا فى قدر واحد وهما متقاربان ومبنيان بالحجارة البيض وأما الثالث فصغير عنهما نحو الربع لكنه مبنى بحجارة الصوان الاحمر المنقط الشديد القوة والصلابة ولا يكاد يؤثر فيه الحديد الا فى الزمان الطويل وتجده صغيرا بالقياس الى ذينك فاذا أتيت اليه وافردته بالنظر هالك مرآه وحير النظر فى تأمله * وقد سلك فى بناء الاهرام طريق عجيب من الشكل والاتقان ولذلك صبرت على ممر الايام لا بل على ممرها صبر الزمان فانك اذا تأملتها وجدت الاذهان الشريفة قد استهلكت فيها والعقول الصافية قد افرغت عليها مجهودها والانفس النيرة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها والملكات الهندسية قد أخرجتها الى الفعل مثالا فى غاية امكانها حتى انها تكاد تحدث عن قوة قومها وتخبر عن سيرتهم وتنطق عن علومهم واذهانهم وتترجم عن سيرهم وأخبارهم وذلك أن وضعها على شكل مخروط ويبتدئ من قاعدة مربعة وينتهى الى نقطة * ومن خواص الشكل المخروط أن مركز ثقله فى وسطه يتساند على نفسه ويتواقع على ذاته ويتحامل بعضه على بعض وليس له جهة اخرى يتساقط عليها * ومن عجيب وضعه أنه شكل مربع قد قوبل بزواياه مهاب الرياح الاربع فان الريح تنكسر سورتها عند مسامتتها الزاوية وليست كذلك عندما تلقى السطح * وذكر المساح أن قاعدة كل من الهرمين العظيمين أربعمائة ذراع بالذراع السوداء وينقطع المخروط فى أعلاه عند سطح مساحته عشرة اذرع فى مثلها وذكر أن بعض الرماة رمى سهما فى قطر أحدهما وفى سمكه فسقط السهم دون نصف المسافة وذكر أن ذرع سطحها أحد عشر ذراعا بذراع اليد وفى أحد هذين الهرمين مدخل يلجه الناس يفضى بهم الى مسالك ضيقة وأسراب متنافذة وآبار ومهالك وغير ذلك على ما يحكيه من يلجه وان اناسا كثيرين لهم غرام به وتخيل فيه فيتوغلون فى أعماقه ولا بد أن ينتهوا الى ما يعجزون عن سلوكه * وأما المسلوك المطروق كثيرا فزلاقة تفضى الى أعلاه فيوجد فيه بيت مربع فيه ناوس من حجر وهذا المدخل ليس هو الباب فى اصل البناء وانما هو منقوب نقبا صادف اتفاقا وذكر ان المأمون فتحه * وحكى من دخله وصعد الى البيت الذى فى أعلاه فلما نزلوا حدثوا بعظيم ما شاهدوه وانه مملوء بالخفافيش وأبوالها وتعظم فيه حتى تكون قدر الحمام وفيه طاقات وروازن نحو أعلاه كأنها عملت مسالك للريح ومنافذ للضوء بحجارة جافية طول الحجر منها من عشرة اذرع الى عشرين ذراعا وسمكه من ذراعين الى ثلاثة اذرع وعرضه نحو ذلك * والعجب كل العجب من وضع الحجر على الحجر بهندام ليس فى الامكان أصح منه بحيث لا تجد بينهما مدخل ابرة ولا خلل شعرة وبينهما طين لونه الزرقة لا يدرى ما هو ولا صفته وعلى تلك الحجارة كتابات بالقلم القديم المجهول الذى لم يوجد بديار مصر من يزعم أنه سمع من يعرفه وهذه الكتابات كثيرة جدا حتى لو نقل ما عليها الى صحف لكانت قدر عشرة آلاف صحيفة وقرأت فى بعض كتب الصابئة القديمة أن أحد هذين الهرمين قبر أغاذيمون والآخر قبر هرمس ويزعمون أنهما نبيان عظيمان وان أغاذيمون أقدم وأعظم وانه كان يحج اليهما ويهدى اليهما من أقطار البلاد * وكان

الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما استقل بالملك بعد أبيه سوّل له جهلة اصحابه أن يهدم هذه الاهرام فبدأ بالصغير الاحمر فأخرج اليه النقابين والحجارين وجماعة من امراء دولته وعظماء مملكته وأمرهم بهدمه فخيموا عنده وحشروا الرجال والصناع ووفروا عليهم النفقات وأقاموا نحو ثمانية أشهر بخيلهم ورجلهم يهدمون كل يوم بعد الجهد واستفراغ بذل الوسع الحجر والحجرين فقوم من فوق يدفعونه بالاسافين وقوم من أسفل يجذبونه بالقلوس والاشطان فاذا سقط سمع له وجبة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترجف الجبال وتزلزل الارض ويغوص فى الرمل فيتعبون تعبا آخر حتى يخرجوه ويضربون فيه بالاسافين بعدما يثقبون لها موضعا ويثبتونها فيه فيتقطع قطعا وتسحب كل قطعة على العجل حتى يلقى فى ذيل الجبل وهى مسافة قريبة فلما طال ثواؤهم ونفدت نفقاتهم وتضاعف نصبهم ووهت عزائمهم كفوا محسورين لم ينالوا بغية بل شوّهوا الهرم وأبانوا عن عجز وفشل وكان ذلك فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ومع ذلك فان الرائى لحجارة الهرم يظن أنه قد استؤصل فاذا عاين الهرم ظن أنه لم يهدم منه شئ وانما سقط بعض جانب منه وحين ما شوهدت المشقة التى يجدونها فى هدم كل حجر سئل مقدم الحجارين فقيل له لو بذل لكم السلطان ألف دينار على أن تردوا حجرا واحدا الى مكانه وهندامه هل كان يمكنكم فأقسم بالله انهم ليعجزون عنه ولو بذل لهم أضعاف ذلك * وبازاء الاهرام مغاير كثيرة العدد كبيرة المقدار عميقة الاغوار لعل الفارس يدخلها برمحه ويتخللها يوما اجمع ولا ينتهى الى آخرها وسعتها وبعدها ويظهر من حالها انها مقاطع لحجارة الاهرام * وأما مقاطع حجارة الهرم الاحمر فيقال انها بالقلزم وباسوان وعند هذه الاهرام آثار أبنية جبارة ومغاير كثيرة منقبة وقلما ترى من ذلك شيأ الا وترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول ولله در الفقيه عمارة اليمنى حيث يقول

خليلىّ ما تحت السماء بنية * تماثل فى اتقانها هرمى مصر
بناء يخاف الدهر منه وكل ما * على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفى فى بديع بنائها * ولم يتنزه فى المراد بها فكرى

اخذ هذا من قول بعض الحكماء كل شئ يخشى عليه من الدهر الا الاهرام فانه يخشى على الدهر منها وقال عبد الوهاب بن حسن بن جعفر بن الحاجب ومات فى سنة سبع وثمانين وثلثمائة

انظر الى الهرمين اذ برزا * للعين فى علو وفى صعد
وكأنما الارض العريضة قد * ظمئت لطول حرارة الكبد
حسرت عن الثديين بارزة * تدعو الاله لفرقة الولد
فأجابها بالنيل يشبعها * ريا وينقذها من الكمد
لكرامة المولى المقيم بها * خير الانام مقوم الاود

وقال سيف الدين بن جبارة

لله اى عجيبة وغريبة * فى صنعة الاهرام للالباب
اخفت عن الاسماع قصة اهلها * ونضت عن الابداع كل نقاب
فكأنما هى كالخيام مقامة * من غير ما عمد ولا اطناب

وقال آخر

انظر الى الهرمين واسمع منهما * ما يرويان عن الزمان الغابر
وانظر الى سر الليالى فيهما * نظرا بعين القلب لا بالناظر
لو ينطقان لخبرانا بالذى * فعل الزمان بأول وبآخر
واذا هما بديا لعينى ناظر * وصفا له اذنى جواد عاثر

وقال الامام ابو العباس احمد بن يوسف التيفاشى

الست ترى الاهرام دام بناؤها * ويفنى لديها العالم الانس والجن
كأن رحى الافلاك اكوارها على * قواعدها الاهرام والعالم الطحن

وقال

قد كان للماضين من * سكان مصرهم * فالفضل عنهم فضلة * والعلم فيهم علم
ثم انقضت أعلامهم * وعلمهم واحتطموا * وانظر تراها ظاهرا * باد عليها الهرم

وقال

خليلى لا باق على الحدثان * من الاول الباقى فيحدث ثانى
الى هرمى مصر تناهت قوى الورى * وقد هرمت فى دهرها الهرمان
فلا تعجبا أن قد هرمت فانما * رمانى بفقدان الشباب زمانى
٢ وعوجا بقرطاجنة فانظرا بها * جنايتى العادين تنتحبان
وايوان كسرى فانظراه فانه * يخبركما بالصدق كل اوان
فلا تحسبا أن الفناء يخصنى * ألا كل ما فوق البسيطة فانى

ووجدت بخط الشيخ شهاب الدين احمد بن يحيى بن ابى حجلة التلمسانى أنشدنى القاضى فخر الدين عبد الوهاب المصرى لنفسه فى الاهرام سنة خمس وخمسين وسبعمائة وأجاد

أمبانى الاهرام كم من واعظ * صدع القلوب ولم يفه بلسانه
اذكرنى قولا تقادم عهده * اين الذى الهرمان من بنيانه
هن الجبال الشامخات تكاد أن * تمتد فوق الارض عن كيوانه
لو أن كسرى جالس فى سفحها * لاجل مجلسه على ايوانه
ثبتت على حر الزمان وبرده * مددا ولم تأسف على حدثانه
والشمس فى احراقها والريح عند هبوبها والسيل فى جريانه
٢ هل عابد قد خصها بعبادة * فبانى الاهرام من اوثانه
أو قائل يقضى برجعى نفسه * من بعد فرقته الى جثمانه
فاختارها للكنوز ولجسمه * قبرا ليأمن من أذى طوفانه
او أنها للسائرات مراصد * يختار راصدها اعز مكانه
٢ او أنها وصفت شؤون كواكب * احكام فرس الدهر أو يونانه
او أنهم نقشوا على حيطانها * علما يحار الفكر فى تبيانه
فى قلب رائيها العليم نقوشها * فكر يعض عليه طرف بنانه

(ذكر الصنم الذى يقال له ابو الهول)

هذا الصنم بين الهرمين عرف اولا بلهيب وتقول اهل مصر اليوم ابو الهول * قال القضاعى صنم الهرمين وهو بلهويه صنم كبير من حجارة فيما بين الهرمين لا يظهر منه سوى رأسه فقط تسميه العامة بابى الهول ويقال بلهيب ويقال انه طلسم للرمل لئلا يغلب على ابليز الجيزة * وقال فى كتاب عجائب البنيان وعند الاهرام رأس وعنق بارزة من الارض فى غاية العظم تسميه الناس أبا الهول ويزعمون أن جثته مدفونة تحت الارض ويقتضى القياس بالنسبة الى رأسه أن يكون طوله سبعين ذراعا فصاعدا وفى وجهه حمرة ودهان يلمع عليه رونق الطراوة وهو حسن الصورة مقبولها عليه مسحة بهاء وجمال كانه يضحك تبسما * وسئل بعض الفضلاء عن عجيب ما رآى فقال تناسب وجه ابى الهول فان أعضاء وجهه كالانف والعين والاذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة فان انف الطفل مثلا مناسب له وهو حسن به حتى لو كان ذلك الانف لرجل كان مشوّها وكذلك انف الرجل لو كان لصبى لتشوّهت صورته وعلى هذا سائر الاعضاء فكل عضو ينبغى أن يكون على مقدار ماهيته بالقياس الى الصورة وعلى نسبتها والعجب من مصوّر كيف قدر أن يحفظ التناسب للاعضاء مع عظمها وانه ليس فى أعمال الطبيعة ما يحاكيه * ويقابله فى برّ مصر قريبا من دار الملك صنم عظيم الخلقة والهيئة متناسب الاعضاء كما وصف وفى حجره مولود وعلى رأسه ماجور الجميع صوّان ماتع يزعم الناس أنه امرأة وانها سرّية ابى الهول المذكور وهى بدرب منسوب اليها ويقال لو وضع على رأس ابى الهول خيط ومدّ الى سرّيته لكان على رأسها مستقيما ويقال ان ابا الهول طلسم الرمل يمنعه عن

النيل وان السرية طلسم الماء يمنعه عن مصر * وقال ابن المتوج زقاق الصنم هو الزقاق الشارع أوله باول السوق الكبير بجوار درب عمار ويعرف الصنم بسرية فرعون وذكر أنه طلسم النيل لئلا يغلب على البلد وقيل ان بلهيب الذى عند الاهرام يقابله وان ظهر بلهيب الى الرمل وظهر هذا الى النيل وكل منهما مستقبل الشرق وقد نزل فى سنة احدى عشرة وسبعمائة امير يعرف بيلاط فى نفر من الجارين والقطاعين وكسروا الصنم المعروف بالسرية وقطعوه أعتابا وقواعد ظنا أن يكون تحته مال فلم يوجد سوى أعتاب من حجر عظيمة فحفر تحتها الى الماء فلم يوجد شئ وجعل من حجره قواعد تحتانية للعمد الصوان التى بالجامع المستجد بظاهر مصر المعروف بالجامع الجديد الناصرى وأزيل عين هذا الصنم من مكانه والله اعلم * وفى زمننا كان شخص يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر من جملة صوفية الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء قام فى نحو من سنة ثمانين وسبعمائة لتغيير اشياء من المنكرات وسار الى الاهرام وشوه وجه ابى الهول وشعثه فهو على ذلك الى اليوم ومن حينئذ غلب الرمل على أراض كثيرة من الجيزة واهل تلك النواحى يرون أن سبب غلبة الرمل على الاراضى فساد وجه أبى الهول ولله عاقبة الامور وما أحسن قول ظافر الحداد

تأمل هيئة الهرمين واعجب * وبينهما ابو الهول العجيب
كعماريتن على رحيل * بمحبوبين بينهما رقيب
وماء النيل تحتهما دموع * وصوت الريح عندهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب * تخلف فهو محزون كئيب

ويقال ان اتريب بن قبط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح أوصى أخاه صا عند موته أن يحمله فى سفينة ويدفنه بجزيرة فى وسط البحر فلما مات فعل ذلك من غير أن يعلم به اهل مصر فاتهمه الناس بقتل اتريب وحاربوه تسع سنين فلما مضى من حربهم خمس سنين مضى بهم حتى أوقفهم على قبر اتريب فحفروه فلم يجدوا به شيأ وقد نقلته الشياطين الى موضع أبى الهول ودفنته هناك بجانب قبر أبيه وجده بيصر فازدادوا له تهمة وعادوا الى مدينة منف وتحاربوا فأتاهم ابليس فدلهم على قبر اتريب حيث نقله فأخرجوه من قبره ووضعوه على سرير فتكلم لهم الشيطان على لسانه حتى افتتنوا به وسجدوا له وعبدوه فيما عبدوا من الاصنام وقتلوا صاو دفنوه على شاطئ النيل فكان النيل اذا زاد لا يعلو قبره فافتتن به طائفة وقالوا اقد قتل صا ظلما وصاروا يسجدون لقبره كما يسجد اولئك لاتريب فعمد آخرون الى حجر فنحتوه على صورة اشموم وكان يقال له ابو الهول ونصبوه بين الهرمين وجعلوا يسجدون له فصار أهل مصر ثلاث فرق ولم تزل الصابئة تعظم أبا الهول وتقرب له الديكة البيض وتبخره بالصندروس

(ذكر الجبال)

اعلم ان أرض مصر بأسرها محصورة بين جبلين آخذين من الجنوب الى الشمال قليلى الارتفاع وأحدهما أعظم من الآخر والاعظم منهما هو الجبل الشرقى المعروف بجبل لوقا والغربى جبل صغير وبعضه غير متصل ببعض والمسافة بينهما تضيق فى بعض المواضع وتتسع فى بعضها وأوسع ما يكون باسفل أرض مصر وهذان الجبلان اقرعان لا ينبت فيهما نبات كما يكون فى جبال البلدان الاخر وعلة ذلك انهما بورقيان مالحان لان قوة طين مصر تجذب منهما الرطوبات الموافقة فى التكوين ولان قوة الحرارة تحلل منهما الجوهر اللطيف العذب وكذلك مياه الآبار منهما مالحة وهذان الجبلان يجففان ما يدفن فيهما فان أرض مصر بالطبع قليلة الامطار * وجبل لوقا فى مشرق أرض مصر يعوق عنها ريح الصبا فعدمت مصر هذا الريح ويعوق أيضا اشراق الشمس على أرض مصر اذا كانت على الافق وتتعدد اسماء هذين الجبلين بحسب مواضعهما من الاقاليم فيطل على الفسطاط وعلى القاهرة الجبل المقطم

(ذكر الجبل المقطم)

اعلم أن الجبل المقطم اوله من الشرق من الصين حيث البحر المحيط ويمر على بلاد الططر حتى يأتى فرغانة الى جبال البتم المنقدبها نهر السغد الى أن يصل الجبل الى جيحون فيقطعه ويمضى فى وسطه بين شعبتين منه وكأنه قطع ثم فى وسطه ويستمر الجبل الى الجورجان ويأخذ على الطالقان الى أعمال مرو الرود الى طوس فيكون جميع مدن طوس فيه ويتصل به جبال أصبهان وشيراز الى أن يصل الى البحر الهندى وينعطف هذا الجبل ويمتد الى شهرزور فيمر على

الدجلة ويتصل بجبل الجودي موقف سفينة نوح عليه السلام في الطوفان ولا يزال هذا الجبل مستمرا من
أعمال آمد وميافارقين حتى يمر بثغور حلب فيسمى هنالك جبل اللكام الى أن يتعدى الثغور فيسمى بهرا حتى
يجاوز حمص فيسمى لبنان ثم يمتد على الشام حتى ينتهي الى بحر القلزم من جهة ويتصل من الجهة الاخرى ويسمى
المقطم ثم يتشعب ويتصل اواخر شعبه بنهاية الغرب ويقال انه عرف بمقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه
السلام * وجبل المقطم يمر على جانبي النيل الى النوبة ويعبر من فوق الفيوم فيتصل بالغرب الى أرض مقراوة
ويمضي مغربا الى سجلماسة ومنها الى البحر المحيط مسيرة خمسة اشهر * وقال ابراهيم بن وصيف شاه وذكر مجيء
مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح الى أرض مصر وكشف اصحاب اقليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم التي
هي بخط البرابي وآثارهم والمعادن من الذهب والزبرجد والفيروزج وغير ذلك ووصفوا لهم عمل الصنعة يعني
الكيمياء فجعل مصرايم امرها الى رجل من اهل بيعة يقال له مقيطام الحكيم فكان يعمل الكيمياء في الجبل
الشرقي فسمي به المقطم من أجل أن مقيطام الحكيم كان يعمل فيه الكيمياء واختصر من اسمه وبقي مايدل عليه
فقيل له جبل المقطم يعني جبل مقيطام الحكيم وقال البكري رحمة الله تعالى عليه المقطم بضم اوله وفتح ثانيه
وتشديد الطاء المهملة وفتحها جبل متصل بمصر يوارون فيه موتاهم وقال القضاعي المقطم ذكر أبو عبد الله
اليمني ان هذا الجبل نسب الى المقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح وكان عبدا صالحا فانفرد بعبادة الله عز
وجل فيه فسمي الجبل باسمه وليس هذا بصحيح لانه لا يعرف لمصر ولد اسمه المقطم * والذي ذكره العلماء أن المقطم
مأخوذ من القطم وهو القطع فكأنه لما كان منقطع الشجر والنبات سمي مقطما ذكر ذلك علي بن الحسن الهناءى
الدوسي المنبوذ بكراع وغيره * وروى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم عن الليث بن سعد رضي الله عنه قال
سال المقوقس عمرو بن العاص رضي الله عنه أن يبيعه سفح الجبل المقطم بسبعين ألف دينار وفي نسخة بعشرين
ألف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال أكتب بذلك الى أمير المؤمنين فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فكتب اليه عمر سله لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تزرع ولا يستنبط بها ماء فسأله فقال انا لنجد صفتها في الكتب
أن فيها غراس الجنة فكتب بذلك الى عمر فكتب اليه انا لا نعلم غراس الجنة الا المؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك
من المؤمنين ولا تبعه بشيء فكان اول من قبر فيها رجلا من المعافر يقال له عامر فقيل عمرت فقال المقوقس لعمرو
وما ذلك وما على هذا عاهدتنا فقطع لهم الحد الذي بين المقبرة وبينهم * وذكر عمر بن ابي عمر الكندي في فضائل
مصر أن عمرو بن العاص رضي الله عنه سار في سفح الجبل المقطم ومعه المقوقس فقال له ما لجبلكم هذا أقرع
ليس به نبات كجبال الشام فلو شققنا في أسفله نهرا من النيل وغرسناه نخلا فقال المقوقس وجدنا في الكتب
انه كان اكثر الجبال اشجارا ونباتا وفاكهة وكان منزل المقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام
فلما كانت الليلة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام اوحى الله الى الجبال اني مكلم نبيا من انبيائي على جبل منكم
فسمت الجبال كلها وتشامخت الا جبل بيت المقدس فانه هبط وتصاغر فأوحى الله اليه لم فعلت ذلك وهو به أخبر
قال اعظاما واجلالا لك يارب قال فأمر الله سبحانه الجبال أن يحبوه كل جبل بما عليه من النبت فجاد له
المقطم بكل ما عليه من النبت حتى بقي كما ترى فأوحى الله اليه اني معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غراس الجنة
فكتب بذلك عمرو بن العاص رضي الله عنه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليه عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اني لا أعلم شجر الجنة غير المؤمنين فاجعله لهم مقبرة ففعل فغضب المقوقس من ذلك وقال لعمرو
ما على هذا صالحتني فقطع له عمر قطيعا نحو الحبش تدفن فيه النصارى قال وروى أن موسى عليه السلام
سجد فسجد معه كل شجرة من المقطم الى طرا * وروى أنه مكتوب واذا فتح مقدسي بريد وادي مسجد موسى
عليه السلام بالمقطم عند مقطع الحجارة فان موسى عليه السلام كان يناجي ربه بذلك الوادي * وروى أسد بن
موسى قال شهدت جنازة مع موسى بن لهيعة فجلسنا حوله فرفع رأسه فنظر الى الجبل فقال ان عيسى ابن مريم
عليه السلام مر بسفح هذا الجبل وعليه جبة صوف وقد شد وسطه بشريط واسه الى جانبه فالتفت اليها وقال
يا امه هذه مقبرة امة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عبد الله بن لهيعة عن عياش بن عباس أن كعب الاحبار رضي
الله عنه سأل رجلا يريد مصر فقال له أهد لي تربة من سفح مقطمها فأتاه منه بجراب فلما حضرت كعبا الوفاة
امر به فجعل في لحده تحت جنبه * وروى عن كعب انه سئل عن جبل مصر فقال انه لمقدس ما بين القصير الى

اليحموم

اليحموم قال ابن لهيعة والمقطم ما بين القصير الى مقطع الحجارة وما بعد ذلك فمن اليحموم وفى هذا الجبل حجر الجوهر وشئ من الفولاذ وهو يمتد الى اقاصى بلاد السودان

(الجبل الاحمر)

هذا الجبل مطل على القاهرة من شرقيها الشمالى ويعرف باليحموم قال القضاعى اليحاميم هى الجبال المتفرقة المطلة على القاهرة من جانبها الشرقى وجبابها وتنتهى هذه الجبال الى بعض طرق الجب وقيل لها اليحاميم لاختلاف ألوانها واليحموم فى كلام العرب الاسود المظلم * وقال ابن عبد الحكم عن سعى بن عبيد انه لما قدم مصر وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بحذاء ساقية أبى عون التى فى العسكر فقال مالهم وضعوا مصلاهم فى الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس يعنى المقطم * وقال ابن عبد الظاهر الجبل الاحمر ذكر القضاعى أن اليحموم هو الجبل المطل على القاهرة ولا أرى جبلا يطل على القاهرة غيره * وقال البكرى اليحموم بفتح اوله واسكان ثانيه قال الحربى اليحموم جبل بمصر * وروى من طريق أبى قبيل عن عبد الله بن عمرو أنه سأل كعبا عن المقطم الملعون قال ليس بملعون ولكنه مقدس من القصير الى اليحموم * وذكر البكرى أيضا أن عابدا بالباء الموحدة والدال المهملة على وزن فاعل جبل بمصر قبل المقطم ٢

(جبل يشكر)

هذا الجبل فيما بين القاهرة ومصر عليه الجامع الطولونى قال القضاعى جبل يشكر هو يشكر بن جديلة من لخم وهو الذى عليه جامع ابن طولون ويشكر بن جديلة قبيلة من قبائل العرب اختطت عند الفتح بهذا الجبل فعرف بجبل يشكر لذلك * قال ابن عبد الظاهر وجامع ابن طولون على جبل يشكر وهو مكان مشهور باجابة الدعاء ومكان مبارك وقيل ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات وكان هذا الجبل يشرف على النيل وليس بينه وبين النيل شئ وكان يشرف على البركتين اعنى بركة الفيل والبركة التى تعرف اليوم ببركة قارون وعلى هذا الجبل كانت تنصب المجانيق التى تجرب قبل ارسالها الى الثغور * (الكبش) هو جبل بجوار يشكر كان قديما يشرف على النيل من غربيه ثم لما اختط المسلمون مدينة الفسطاط بعد فتح أرض مصر صار الكبش من جملة خطة الحمراء القصوى وسمى الكبش *(الشرف) اسم لثلاثة مواضع فاثنان منها فيما بين القاهرة ومصر وواحد فيما بين بركة الحبش وفسطاط مصر فاما الذى بظاهر القاهرة فأحدهما عليه الآن قلعة الجبل وهو من جملة الجبل المقطم والآخر فيما بين الجامع الطولونى ومصر فيشرف غربيه على جهة الخليج الكبير ويصير فيما بين كوم الجارح وخط الجامع الطولونى وكان من خطة تجيب ثم صار من جملة العسكر وأما الشرف الثالث فيعرف اليوم بالرصد وهو يشرف على راشدة وكان يقال للشرف سند والسند ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح ويقال فلان سند أى معتمد

(ذكر الرصد)

هذا المكان شرف يطل من غربيه على راشدة ومن قبليه على بركة الحبش فيحسبه من رآه من جهة راشدة جبلا وهو من شرقيه سهل يتوصل اليه من القرافة بغير ارتقاء ولا صعود وهو محاذ للشرف الذى كان من جملة العسكر والشرف الذى يعرف اليوم بالكبش وكان يقال له قديما الجرف ثم عرف بالرصد من أجل أن الافضل أبا القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى أقام فوقه كرة لرصد الكواكب فعرف من حينئذ بالرصد قال فى كتاب عمل الرصد وحمل الى الافضل شاهنشاه بن امير الجيوش بدر من الشام تقاويم لما يستأنف من السنين لاستقبال سنة خمسمائة من سنى الهجرة قبل مائة تقويم او نحوها وكان منجمو الحضرة يومئذ ابن الحلبى وابن الهيثمى وسهلون وغيرهم يطلق لهم الجارى فى كل شهر والرسوم والكسوة على عمل التقويم فى كل سنة وكان كل منهم يجتهد فى حسابه وما تصل قدرته اليه فاذا كان فى غرة السنة حمل كل منهم تقويمه فيقابل بينها وبين التقويمات المحضرة من الشام فيوجد بينها اختلاف كثير فانكر ذلك فلما كان غرة ثلاث عشرة وخمسمائة عند احضار التقاويم على العادة جمع المنجمين والحساب واهل العلم وسألهم عن السبب فى الخلف بين التقاويم فقالوا الشامى يحسب ويعمل على رأى الزيج المهجور المأمونى ونحن نعمل على رأى الزيج الحاكمى لقرب عهده وبين المتقدم والمتأخر تفاوت وخلف وقد اجمع القدماء أن القريب العهد أصح من المتقدم لتنقل الكواكب وتغير الحساب وتحدثوا فى معنى ذلك بما هو مذكور فى موضعه وأشاروا عليه بعمل رصد

مستجد يصحح به الحساب ويخرج به المعور والتفاوت وتحصل به المنفعه العظيمة والفائدة الجليلة والسمعة الشريفة والذكر الباقي فقال من يتولى ذلك فقال صاحب دسته ومشيره الشيخ الاجل ابو الحسن بن أبي أسامة هذا القاضي ابن أبي العيش الطرابلسي المهندس العالم الفاضل وكان ابن أبي العيش صهره زوج ابنته وهو شيخ كبير السن والقدر كثير المال وساعده على ذلك القائد أبو عبد الله الذي تقلد الوزارة بعد الافضل ودعي بالمأمون بن البطائحي فاستصوب الافضل ذلك وقال مروه يهتم بذلك ويستدعي ما يحتاج اليه فكان أول ما بدأ به لما حصل ذلك أن مدح نفسه وكان الافضل غيورا على كل شئ أشد ما عليه من يفتخر أو يلبس ثيابا مذكورة ثم قال هذه الآلات عظيمة وخطرها جسيم ولا كل أحد يقوم عليها ولا يحسنها وأكثر الكلام والتوسعة وقال يحتاج أن الذي يتولى ذلك يعتمد معه الانعام والاكرام لتطيب نفسه للمباشرة وينشرح صدره ويقدح خاطره لما يعمل في حقه فضجر الافضل من ذلك وقال لقد اكثر في مدح نفسه ولدده وما يعاملنا بعد لا حاجة الى معاملته فأشار القائد بن البطائحي وقال هنا من يبلغ الغرض بأسهل مأخذ وأقرب وقت وأسرعه وألطف معنى ابو سعيد بن قرقة الطبيب متولي خزائن السلاح والسروج والصناعات وغير ذلك فأحضره للوقت فاتفق له من الحديث الحسن السهل وما سبب عمل الآلات ومن ابتدأها من الاول وذكر القدماء في العلم ومن رصد منهم واحدا واحدا الى آخرهم شرحا مستوفيا كأنه يحفظه ظاهرا او يقرأه من كتاب فأعجب الافضل والحاضرين وقال اي شئ تحتاج فقال ما أحتاج كبير أمر والامور سهلة وكل ما أحتاجه في خزائن السلطان خلد الله ملكه النحاس والرصاص والآلات وكل ما أحتاج أستدعيه اولا اولا الا النفقات وأجرة الصناع فيتولاها غيري فأعجب به وقال يطلق له جار لنفسه فقال أنا مستخدم في عدة خدم بجواري تكفيني فأنا مملوك الدولة ما أحتاج الى جار واذا بلغت الغرض وأنهيت الاشغال فهو المقصود وكان قيل للافضل هذا الرصد يحتاج الى اموال عظيمة فقال كم تقول يحتاج اليه فقال ما ينفق عليه الامثل ما ينفق على مسجد أو مستنظر فرجع يكرر عليه القول فقال هاتوا ورقة فكتب فيها المملوك يقبل الارض وينهي دعت الحاجة الى خروج الامر العالي الى دار الوكالة باطلاق مائتي قنطار من النحاس النجر وثمانين قنطارا من النحاس القضيب الاندلسي وأربعين قنطارا من النحاس الاحمر ومن الرصاص ألف قنطار ومن
٢ الحطب ومن الحديد والفولاذ من الصناعة ما لعله يحتاج اليه ومن الاخشاب ومن النفقة مائة دينار على يد شاهد ينفق عليه فاذا فرغت أستدعي غيرها واختار موضعا يصلح الرصد فيه ويكون العمل والصناعة فيه ومباشرة السلطان فيما يتوقف عليه وما يستأمر فيه فاستصوب الافضل جميع ذلك وأراد أن يخلع عليه فقال القائد هذا فيما بعد اذا شوهدت أعماله تخدم من اول الحال الى آخرها ولم يحصل له الدرهم الفرد لانه كان يستحي أن يطلب وهو مستخدم عندهم وكانوا بأجمعهم يؤملون طول المدة والبقاء فقتل الافضل ثاني سنة وتغيرت الاحوال ثم انهم اختاروا للرصد مسجد التنور فوق المقطم فوجدوه بعيدا عن الحوائج فأجمعوا على سطح الجرف بالمسجد المعروف بالفيلة الكبير وكان قد صرف على المسجد خاصة ستة آلاف دينار فحفروا في مسجد الفيلة نقرا في الجبل مكان الصهريج الآن فعمل فيه قالب الحلقة الكبيرة وقطرها عشرة اذرع ودورها ثلاثون ذراعا وهندموه وحرروه أياما وعمل حوله عشر هرج على كل هرجة منفاخان وفي كل هرجة أحد عشر قنطارا نحاسا وأقل وأكثر والجميع مائة قنطار وكسر قسموها على الهرج وطرح فيها النار من العصر ونفخوا الى الثانية من النهار وحضر الافضل بكرة وجلس على كرسي فلما تهيأت الهرج ودارت أمر الافضل بفتحها وقد وقف على كل هرجة رجل وأمروا بفتحها في لحظة ففتحت وسال النحاس كالماء الى القالب وكان قد بقي فيه بعض النداوة فلما استقر به النحاس بحرارته تقعقع المكان الندي فلم تتم الحلقة ولما بردت وكشف عنها اذ هي تامة ما خلا المكان الندي فضجر الافضل وضاق صدره ورمى الصناع بكيس فيه ألف درهم وغضب وركب فلاطفه ابن قرقة وقال مثل هذه الآلة العظيمة التي ما سمع قط بمثلها لو أعيد سبكها عشر مرات حتى تصح ما كان كثيرا فقال له الافضل اهتم في اعادتها فسبكت وصحت ولم يحضر الافضل في المرة الثانية ففرح بصحتها وعملت ورفعت الى سطح مسجد الفيلة وأحضر لها جميع صناع النحاس وعمل لها بركار خشب من السنديان وهو بركار عجيب وبني في وسط الحلقة مسطبة حجارة منقبة لرجل البركار وهو قائم مثل عروس الطاحون وفيه

ساعد

ساعد مثل ناف الطاحون وقد لبس بالحديد والجميع سند يان جيد وطرف الساعد مهيأ لعدة فنون تارة لتصحيح وسط الحلقة وتارة لتعديل الاجناب وتارة للخطوط والحزوز وأقام في التصحيح فيها وأخذ زوائدها بالمبارد مدة طويلة وجماعة الصناع والمهندسين وأرباب هذا العلم حاضرون واستدعى لهم خيمة عظيمة ضربت على الجميع وعقد تحت الحلقة اقباء وثيقة وأرادوا اقباءها على سطح مسجد القيلة فلم يتهيأ لهم فانهم وجدوا المشرق لاول بروز الشمس مسدودا فاتفقوا على نقلها الى المسجد الجيوشي بجاور الانطاكي المعروف أيضا بالرصد وكان الافضل بناه ألطف من جامع الفيلة ولم يكمل فلما صار برسم الرصد كمل فحضر الافضل في نقل الحلقة من جامع الفيلة الى المسجد الجيوشي وقد احضرت الصوارى الطوال العظام والسرياقات والنحاسات من الاسكندرية وغيرها وجمعت الاسطولية ورجال السودان وبعض اصحاب الركاب والجند حتى ادلوه وحملوه على العجل الى مسجد الرصد الجيوشي وثاني يوم حضروا بأجمعهم حتى رفعوه الى السطح وكلوه وأقاموا الحلقة وجعلوا تحت أكتافها عمودين من رخام سبكوهما بالرصاص من أسفلهما وأعلاهما حتى لا ترتخي ثقل النحاس وجعل في الوسط عمود رخام وبأعلاه قطب العضادة مسبوك بالنحاس الكثير لتدور عليه العضادة وعملت من نحاس فما تمارست ولا دارت فعملوها من خشب ساج وقطبها واطرافها من نحاس صفائح ليخف الدوران ثم رصدوا بها الشمس بعد كلفة وكانت الحلقة ترخى الدرجة والدقائق كل وقت للثقل فعمل عمود من نحاس فوق عمود الرخام ليمسك رخوها وغلبوا بعد ذلك فكانت تختلف لشدة ما كانوا يحترزونها بالشواقيل وعضادة الخشب وتردد اليها الافضل مع كبر سنه وهو يرتعش والقائد يحمله الى فوق ويقعد زمانا من التعب لا يتكلم ويده ترتعش فرصد واقدامه وفي خلال ذلك قتل الافضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة ٢
وخمسمائة وقيل للافضل عن ابن قرقة انه اسرف في كبر الحلقة وعظم مقدارها فقال له الافضل لو اختصرت منها كان أهون فقال وحق نعمتك لو أمكنني أن أعمل حلقة تكون رجلها الواحدة على الاهرام والاخرى على التنور فعلت فكلما كبرت الآلة صح التحرير وأين هذا في العالم العلوى ثم اكثروا عليه فعمل حلقة دونها في الموضع المهندم بالطوب الاحمر تحت المسجد الجيوشي كان قطرها أقل من سبعة اذرع ودورها نحو احد وعشرين ذراعا فلما كملت قتل الافضل ولم ينفق من مال السلطان في الاجرة والمؤن ومالا بد منه سوى نحو مائة وستين دينارا فلما تمت الوزارة للمأمون البطائحي أحب أن يكملها ويقال له الرصد المأموني المصحح كما قيل للاول الرصد المأموني الممتحن فأخرج الامر بنقل الرصد الى باب النصر بالقاهرة فنقل على الطريقة الاولى بالعتالين والاسطولية وطوائف الرجال وكان يدفع لهم كل يوم برسم الغداء جملة دراهم فلما صار فرق العجل مضوا به على الخندق من وراء الفتح على المشاهد الى مسجد الذخيرة من ظاهر القاهرة وتعبوا في دخوله من باب النصر تعبا عظيما لخوفهم أن يصدم فيتغير فنصبوا الصوارى على عقد باب النصر من داخل الباب وتكاثر الرجال في جذب المساحين من أسفل ومن فوق حتى وصل الى السطح الكبير ثم نقلوه من السطح الكبير ٢
الى السطح الفوقاني وأوقفوا له العمد كما تقدم ذكره ورصدوا بالحلقة الكبرى كما رصدوا بها على سطح الجرف فصح لهم ما أرادوا من حال الشمس فقط ثم اهتموا بعمل ذات حلق يكون قطرها خمسة اذرع وسبكت في فندق بالاطوفية من القاهرة وكان الامر فيهما سهلا عندما لحقهم من العناء العظيم في الحلقة الكبيرة والحلقة الوسطى وتجرد المأمون لعملها والحث فيها وكان ابن قرقة يحضر كل يوم دفعتين ويحضر أبو جعفر بن حسنداى وابو البركات بن ابي الليث صاحب الديوان وبيده الحل والعقد فقال له المأمون اطلع اليهم كل يوم واى شئ طلبوه وقع لهم به من غير مؤامرة وكان قصده ما أطمعوه فيه من أن يقال الرصد المأموني المصحح فاتى أراد الله أن يبقى المأمون قليلا كان كمل جميع رصد الكواكب لكنه قبض عليه ليلة السبت ثالث شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة وكان من جملة ما عدد من ذنوبه عمل الرصد المذكور والاجتهاد فيه وقيل أطمعته نفسه في الخلافة بكونه سماه الرصد المأموني ونسبه الى نفسه ولم ينسبه الى الخليفة الآمر بأحكام الله وأما العامة والغوغاء فكانوا يقولون أرادوا أن يخاطبوا زحل وأرادوا أن يعلموا الغيب وقال اخرون منهم عمل هذا للسحر ونحو ذلك من الشناعات فلما قبض على المأمون بطل وأنكر الخليفة على عمله فلم يتجاسر أحد أن يذكره وأمر فكسر وحمل الى المناخات وهرب المستخدمون ومن كان فيه من الخاص وكان فيه من المهندسين

برسم خدمته وملازمته فى كل يوم بحيث لايتأخر منهم أحد الشيخ ابو جعفر بن حسنداى والقاضى بن ابى العيش والخطيب ابو الحسن على بن سليمان بن ايوب والشيخ ابو النجا بن سند الساعاتى الاسكندرانى المهندس وابو محمد عبد الكريم الصقلى المهندس وغيرهم من الحساب والمنجمين كابن الحلبى وابن الهيثمى وابى نصر تلميذ سهلون وابن دياب والقلعى وجماعة يحضرون كل يوم الى ضحوة النهار فيحضر صاحب الديوان ابن أبى الليث وكان ابن حسنداى ربما تأخر فى بعض الايام فانه كان امرأ عظيما صاحب كبرياء وهيبة وفى كل يوم يبعث المأمون من يتفقد الجماعة ويطالعه بمن غاب منهم لانه كان كثير التفقد للامور كلها وله غمازون واصحاب أخبار لاتنام ولايكاد يفوته شئ من احوال الخاصة والعامة بمصر والقاهرة ومن يتحدث وجعل فى كل بلد من الاعمال من يأتيه بسائر أخبارها وانا أدركت هذا الموضع الذى يعرف اليوم بالرصد حيث جامع القرافة عامرا فيه عدة مساكن ومساجد وبه اناس مقيمون دائما وقد خرب ماهنالك وصار لاانيس به وكان الملك الناصر محمد بن قلاون قد أنشأ فيه سواقى لنقل الماء من اماكن قد حفرلها خليج من البحر بجوار رباط الآثار النبوية فاذا صار الماء فى سفح هذا الجرف المسمى بالرصد نقل بسواق هنالك قد انشئت الى أن يصير الى القلعة فمات ولم يكمل ماأراده من ذلك كما ذكر فى أخبار قلعة الجبل من هذا الكتاب ومازال موضع هذا الرصد متنزها لاهل مصر ويقال ان المعز لدين الله معد لما قدم من بلاد المغرب الى القاهرة لم يعجبه مكانها وقال للقائد جوهر فاتك بناء القاهرة على النيل فهلا كنت بنيتها على الجرف يعنى هذا المكان ويقال ان اللحم علق بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة وعلق بقلعة الجبل فتغير بعد يومين وليلتين وعلق فى موضع الرصد فلم يتغير ثلاثة ايام ولياليها لطيب هوائه ولله در القائل

يا ليلة عاش مسرورى بها * ومات من يحسدنا بالكمد
وبت بالمعشوق فى المشتهى * وبات من يرقبنا بالرصد

(ذكر مدائن أرض مصر)

قال ابن سيده مدن بالمكان أقام والمدينة الحصن يبنى فى اسطمة الارض مشتق من ذلك والجمع مدائن ومدن ومن هنا حكم ابو الحسن فيما حكى الفارسى عنه أن مدينة فعيلة وقال العلامة اثير الدين ابو حيان المدينة معروفة مشتقة من مدن فهى فعيلة ومن ذهب الى انها مفعلة من دان فقوله ضعيف لاجماع العرب على الهمز فى جمعها فانهم قالوا مدائن بالهمز ولا يحفظ مداين بالياء ولاضرورة تدعو الى انها مفعلة من دان ويقطع بأنها فعيلة جمعهم لها على فعل فانهم قالوا مدن كما قالوا صحف فى صحيفة واعلم أن مدائن مصر كثيرة منها مادثر وجهل اسمه ورسمه ومنها ماعرف اسمه وبقى رسمه ومنها ماهو عامر * وأول مدينة عرف اسمها فى أرض مصر مدينة امسوس وقد محا الطوفان رسمها ولها أخبار معروفة وبها كان ملك مصر قبل الطوفان ثم صارت مدينة مصر بعد الطوفان مدينة منف وكان بها ملك القبط والفراعنة الى أن خربها بخت نصر فلما قدم الاسكندر بن فيلبش المقدونى من مملكة الروم عمر مدينة الاسكندرية عمارة جديدة وصارت دار المملكة بمصر الى أن قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين وفتح أرض مصر فاختط فسطاط مصر وصارت مدينة مصر الى أن قدم جوهر القائد من الغرب بعساكر المعز لدين الله أبى تميم معد وملك مصر واختط القاهرة فصارت دار المملكة بمصر الى أن زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فبنى قلعة الجبل وصارت القاهرة مدينة مصر الى يومنا هذا * وفى أرض مصر عدة مدائن ليست دار ملك وهى مدينة الفيوم ومدينة دلاص ومدينة اهناس ومدينة البهنسا ومدينة القيس ومدينة طحا ومدينة الاشمونين ومدينة انصنا ومدينة قوص ومدينة سيوط ومدينة فاو ومدينة اخميم ومدينة البلينا ومدينة هو ومدينة قنا ومدينة دندره ومدينة قفط ومدينة الاقصر ومدينة اسنا ومدينة أرمنت ومدينة ادفو وثغر اسوان وادركنا مدينة هذه مدائن الوجه القبلى وكان اهل مصر يسمون من سكن من القبط بالصعيد المريس ومن سكن منهم أسفل الارض يسمونه البيما وفى الوجه البحرى مدينة نوب من الحوف الشرقى بأسفل الارض ومدينة عين شمس ومدينة اتريب ومدينة تنوا ومن قراها ناحية زنكلون ومدينة تمى ومدينة بسطه ويعرف اليوم موضعها بتل بسطه ومدينة قربيط ومدينة البتنون ومدينة منوف ومدينة طره ومدينة منوف

أيضا ومدينة سخا ومدينة الاوسه وهى دميره ومدينة تيدة ومدينة الافراحون ومن جملة قراها نشا
ومدينة بقيره ومدينة بنا ومدينة شبراساط ومدينة سمنود ومدينة نوسا ومدينة سبتى ومدينة النجوم
وقد غلب على مدينة النجوم الرمال والسباخ ويعرف اليوم منها قرية أدكو على ساحل البحر بين اسكندرية ورشيد
ومدينة تنيس ومدينة دمياط ومدينه الفرما ومدينة العريش ومدينة صا ومدينة برنوط ومدينة قرطسا
ومدينة أخنو ومدينة رشيد ومدينة مريوط ومدينة لوبية ومراقية وليس بعد لوبية ومراقية الا أرض
انطابلس وهى برية وفى كور القبلة مدينة فاران ومدينة القلزم ومدينة رايه ومدينة ايله ومدينة مدين
واكثر هذه المدائن قد خرب ومنها ماله أخبار معروفة وقد استحدث فى الاسلام بعض مدائن وسيأتى من
أخبار ذلك ان شاء الله ما يكفى * وديار مصر اليوم وجهان قبلى وبحرى جملتهما خمس عشرة ولاية * فالوجه
القبلى اكبرهما وهو تسعة أعمال عمل قوص وهو اجلها ومنه اسوان وغرب قولة واسوان حد المملكة
من الجنوب وعمل أخميم وعمل سيوط وعمل منفلوط وعمل الاشمونين وبها الطحاوية وعمل البهنسا وعمل الفيوم
وعمل اطفيح وعمل الجيزة * والوجه البحرى ستة أعمال عمل البحيرة وهو متصل البر بالاسكندرية وبرقة وعمل
الغربية وهى جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين بحر دمياط وبحر رشيد والمنوفية ومنها ابيار التى تسمى
جزيرة بنى نصر وعمل قليوب وعمل الشرقية وعمل اشموم طناح ومنها الدقهلية والمرتاحية وهنا موضع ثغر
البرلس وثغر رشيد والمنصورة وفى هذا الوجه الاسكندرية ودمياط وهما مدينتان لاعمل لهما * وذكر
ابو الحسن المسعودى فى كتاب أخبار الزمان أن الكوكة وهى امة من اهل ايلة ملكوا الارض وقسموا الصعيد على
ثمانين كورة وجعلوه اربعة أقسام وكان عدد مدن مصر الداخلة فى كورها ثلاثين مدينة فيها جميع العجائب
والكور مثل اخميم وقفط وقوص والفيوم ويقال ان مصر بن بيصر قسم الارض بين اولاده فأعطى ولده
أشمون من حد بلده الى رأس البحر الى دمياط وأعطى ولده انصنا من حد أنصنا الى الجنادل وأعطى لولده صا
من صا أسفل الارض الى الاسكندرية وأعطى لولده منوف وسط الارض السفلى منف وما حولها وأعطى لولده
قفط غربى الصعيد الى الجنادل وأعطى لولده اتريب شرقى الارض الى البرية برية فاران وأعطى لبناته الثلاثة
وهن الفرما وسريام وبدورة بقاعا من أرض مصر محددة فيما بين اخوتهن

* (ذكر مدينة أمسوس وعجائبها وملوكها) *

قال الاستاذ ابرهيم بن وصيف شاه الكاتب فى كتاب أخبار مصر وعجائبها وكانت مصر القديمة اسمها
أمسوس وأول من ملك أرض مصر نقراوش الجبار بن مصرايم ومعنى نقراوش ملك قومه الاول ابن مركابيل
ابن دوابيل بن عرياب بن آدم عليه السلام ركب فى نيف وسبعين راكبا من بنى عرياب جبابرة كلهم يطلبون موضعا
يقطنون فيه فرارا من بنى أبيهم عندما بغى بعضهم على بعض وتحاسدوا وبغى عليهم بنو قابيل بن آدم فلم يزالوا
يمشون حتى وصلوا الى النيل فلما راوا سعة البلد فيه وحسنه اعجبهم فأقاموا فيه وبنوا الابنية المحكمة وبنى
نقراوش مصر وسماها باسم أبيه مصرايم ثم تركها وأمر ببناء مدينة سماها أمسوس وقال ابن وصيف شاه وكان
قد وقع اليه علم ذلك من العلوم التى تعلمها دوابيل من آدم عليه السلام فبنى الاعلام وأقام الاساطين وعمل
المصانع واستخرج المعادن ووضع الطلسمات وشق الانهار وبنى المدائن فكل علم جليل كان فى ايدى
المصريين انما هو من فضل علم نقراوش واصحابه كان ذلك مرموزا على الحجارة ففسره قليمون الكاهن الذى
ركب مع نوح عليه السلام فى السفينة ونقراوش هو الذى بنى مدينة أمسوس وعمل بها عجائب كثيرة منها طائر
يصفر كل يوم عند طلوع الشمس مرتين وعند غروبها مرتين فيستدلون بصفيره على ما يكون من الحوادث حتى
يتهيأون لها ومنها صنم من حجر أسود فى وسط المدينة تجاهه صنم مثله اذا دخل الى المدينة سارق لا يقدر أن
يزول حتى يسلك بينهما فاذا دخل بينهما اطبقا عليه فيؤخذ وعمل صورة من نحاس على منار عال لا يزال عليها
سحاب يطلع فكل من استمطرها أمطرت عليه ما شاء وعمل على حد البلاد أصناما من نحاس مجوفة وملأها
كبريتا ووكل بها روحانية النار فكانت اذا قصدهم قاصد ارسلت تلك الاصنام من أفواهها نارا احرقته وعمل
فوق جبل بطرس منارا يفور بالماء ويسقى ما حوله من المزارع ولم تزل هذه الآثار حتى أزالها الطوفان
ويقال انه هو الذى أصلح مجرى النيل وكان قبله يتفرق بين الجبلين وانه وجه الى بلاد النوبة جماعة هندسوه

وشقوا نهرا عظيما منه بنوا عليه المدن وغرسوا الغروس وأحب أن يعرف مخرج النيل فسار حتى بلغ خلف خط الاستواء ووقف على البحر الاسود الزفتى ورأى النيل يجرى على البحر مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر ويخرج منه الى بطائح ويقال انه هو الذى عمل التماثيل التى هنالك وعاد الى أمسوس وقسم البلاد بين أولاده فجعل لابنه الاكبر واسمه نقاوش الجانب الغربى ولابنه شورب الجانب الشرقى وبنى لابنه الاصغر واسمه مصرايم مدينة برسان وأسكنه فيها وأقام ملكا على مصر مائة وثمانين سنة ولما مات لطخ جسده بأدوية ماسكة وجعل فى تابوت من ذهب وعمل له ناوس مصفح بالذهب ووضع فيه ومعه كنوز واكسير وأوان من ذهب لا يحصى ذلك لكثرته وزبروا على الناوس تاريخ موته وأقاموا عليه طلسما يمنعه من الحشرات المفسدة * وملك بعده ابنه نقاوش بن نقراوش وكان كأبيه فى علم الكهانة والطلسمات وهو أول من عمل بمصر هيكلا وجعل فيه صور الكواكب السبعة وكتب على هيكل كل كوكب منافعه ومضاره وألبسها كلها الثياب الفاخرة وأقام لها خدمة وسدنة وخرج من أمسوس مغربا حتى بلغ البحر المحيط وأقام عليه أساطين على رؤسها أصنام تسرج عيونها فى الليل ومضى على بلاد السودان الى النيل وأمر ببناء حائط على جنب النيل وعمل له ابوابا يخرج منها الماء وبنى فى صحراء الغرب خلف الواحات ثلاث مدن على أساطين مشرفات من حجارة ملونة شفافة وفى كل مدينة عدة خزائن من الحكمة وفى احداها صنم للشمس على صورة انسان وجسد طائر من ذهب وعيناه من جوهر أصفر وهو جالس على سرير من مغناطيس وفى يده مصحف العلوم وفى احداها صنم رأسه رأس انسان بجسد طائر ومعه صورة امرأة جالسة قد عملت من زئبق معقود لها ذوائبان فى يدها مرآة وعلى رأسها صورة كوكب وقد رفعت المرآة بيديها الى وجهها وفى احداها مطهرة فيها سبعة ألوان من سائل يردائها ولا يغير بعضها لون بعض وفى بعضها صورة شيخ جالس قد عمل من الفيروزج وبين يديه صبية جلوس كلهم من عقيق وفى بعضها صورة هرمس يعنى عطارد وهو ينظر الى مائدة بين يديه من نوشادر على قوائم من كبريت أحمر وفى وسطها مصحفة من جوهر وجعل فيها صورة عقاب من زبرجد أخضر وعيناه من ياقوت أصفر وبين يديه حية زرقاء من فضة قد لوت ذنبها على رجليه ورفعت رأسها كانها تنفخ عليه وجعل فيها صفة المريخ وهو راكب على فرس وفى يده سيف مسلول من حديد أخضر وجعل فيها عمودا من جوهر أحمر وعليه قبة من ذهب فيها صورة المشترى وجعل فيها قبة من آنك على أربعة أعمدة من جزع أزرق وفى سقفها صورة الشمس والقمر متحاذيين فى صورة رجل وامرأة يتحادثان وجعل فيها قبة من كبريت احمر فيها صورة الزهرة على هيئة امرأة ممسكة بضفائرها وتحتها رجل من زبرجد أخضر فى يده كتاب فيه علم من علومهم كأنه يقرأ فيه عليها وجعل فى بقية الخزائن من كنوز الاموال والجواهر والحلى واكسير الصنعة وصنوف الادوية والسموم القاتلة ما لا يحصى كثرة وجعل على باب كل مدينة طلسما يمنع من دخولها وأنفذ لها مسارب تحت الارض ينفذ بعضها الى بعض طول كل سرب ثلاثة اميال وبنى أيضا مدينة بأرض مصر اسمها حليمة وعمل فيها جنة صفح حيطانها بالجواهر الملونة بالذهب وغرس فيها أصناف الاشجار واجرى تحتها الانهار وغرس فيها شجرة مولدة تطعم سائر الفواكه وعمل فيها قبة من رخام أحمر على رأسها صنم يدور مع الشمس ووكل بها شياطين اذا خرج أحد من بيته فى الليل هلك وأقام بها أساطين زبر عليها جميع العلوم وصور العقاقير ومنافعها ومضارها وجعل لهذه المدينة مسارب تتصل بمسارب تلك المدن الثلاث بين كل سرب منها وبين هذه المدينة عشرون ميلا فلم تزل هذه المدائن حتى افسدها الطوفان ولما مات بعد مائة وتسع سنين من ملكه على مصر جعل فى ناوس وطلسم ودفن فيه * وملك بعده أخوه مصرام بن نقراوش الجبار بن مصرايم ويقال به سميت مصر وكان حكيما فعمل هيكلا للشمس من مرمر مموه بذهب احمر وفى وسطه فرس من جوهر أزرق عليه صورة الشمس من ذهب أحمر وعلى رأسه قنديل من الزجاج فيه حجر مدبر يضئ أكثر من السراج ثم انه ذلل الاسد وركبها وسار الى البحر المحيط وجعل فى وسطه قلعة بيضاء عليها صنم للشمس وزبر عليه اسمه وصفته وعمل صنما من نحاس زبر عليه أنا مصرام الجبار كاشف الاسرار الغالب القهار وضعت الطلسمات الصادقة وأقمت الصور الناطقة ونصبت الاعلام الهائلة على البحار السائلة ليعلم من بعدى انه لا يملك أحد أشد من ايدى وعاد الى أمسوس واحتجب عن الناس ثلاثين سنة واستخلف رجلا يقال له عيقام من ولد عرياب بن

آدم وكان كاهنا ساحرا فلما مضت المدة أحب أهل مصر أن يروه فجمعهم عيقام بعد ما أعلم مصرام فظهر لهم في أعلى مجلس مزين بأصناف الزينة في صورة هائلة ملأت قلوبهم رعبا فخروا له ساجدين ودعوا له ثم أحضر اليهم الطعام فأكلوا وشربوا وأمرهم بالرجوع الى مواضعهم ولم يروه بعدها * فملك بعده خليفته عيقام وقد حكى عنه اهل مصر حكايات لا تصدقها العقول ويقال ان ادريس عليه السلام رفع في أيامه وانه رأى في علمه كون الطوفان فبنى خلف خط الاستواء في سفح جبل القمر قصرا من نحاس وجعل فيه خمسة وثمانين تمثالا من نحاس يخرج ماء النيل من حلوقها ويصب في بطحاء تنتهي الى مصر وسار اليه من أمسوس فشاهد حكمة بنيانه وزخرفة حيطانه وما فيها من النقوش من صور الافلاك وغيرها وكان قصرا تسرج فيه المصابيح وتنصب فيه الموائد وعليها من كل الاطعمة الفاخرة في الاواني النفيسة ما لو اكل منها عسكر لما نقصت ذرة ولا يعرف من عملها ولا من وضعها وفي وسط القصر بركة من ماء جامد الظاهر وترى حركته من وراء ما جمد منه فأعجب بما رأى وعاد الى امسوس واستخلف ابنه عرياق وقلده الملك وأوصاه وعاد الى ذلك القصر وأقام به حتى هلك والى عيقام هذا يعزى مصحف القبط الذي فيه تواريخهم وجميع ما يجري في آخر الزمان * فقام من بعده ابنه عرياق ويقال أرياق بن عيقام ويقال له الاثيم فعمل أعمالا عجيبة منها شجرة صفراء لها أغصان من حديد بخطاطيف اذا قرب الظالم منها أخذته تلك الخطاطيف ولا تفارقه حتى يقر بظلمه ويخرج منه لخصمه ومنها صنم من كدان اسود سماه عبد زحل كانوا يتحاكمون اليه فمن زاغ عن الحق ثبت في مكانه ولم يقدر على الخروج منه حتى ينصف خصمه من نفسه ولو أقام سنة ومن كانت له حاجة قام ليلا ونظر الى الكوكب وتضرع وذكر اسم عرياق فاذا اصبح وجد حاجته على بابه وعمل شجرة من حديد ذات أغصان ولطخها بدواء مدبر فكانت تجلب كل صنف من الدواب والسباع والوحوش اليها حتى يتمكن من صيدها وكان اذا غضب على اهل أقليم سلط عليهم الوحوش والسباع وتارة يجعل ماءهم من الايداق ويقال ان هاروت وماروت كانا في زمانه وانه بنى جنة عظيمة واغتصب النساء الحسان واسكنهن فيها فعملت عليه امرأة منهن وسمته فهلك * وملك بعده لوجيم بن نقاوش ويقال بل هو من بني نقراوش الجبار ويعرف بلوجيم الفتى وهو الذي اخذ الملك من عرياق بن عيقام الكاهن ورده لبني نقراوش بعد ما خرج منهم بلا حرب ولا قتل وكان عالما بالكهانة والطلسمات فعمل أعمالا عجيبة منها أن الغداف والغراب كثر في ايامه وأتلف الزرع فعمل أربع منارات في جوانب مدينة أمسوس الاربعة وعلى كل منارة صورة غراب في فمه حية قد التوت عليه فنفرت عنهم الطيور المضرة من حينئذ ولم تقربهم حتى زالت المنارات بالطوفان وكان حسن السيرة منصفا للرعية عادلا مقربا للكهنة ولما مات دفن في ناوس ومعه كنوزه وعمل عليه طلسم يمنعه * وملك بعده ابنه خصليم وكان فاضلا عالما كاهنا فعمل اعمالا عجيبة وهو أول من عمل مقياسا لزيادة ماء النيل بأن جمع أرباب العلوم والهندسة فقدروا بيتا من رخام على حافة النيل وفي وسطه بركة صغيرة من نحاس فيها ماء موزون وعليها من جانبيها عقابان من نحاس احدهما ذكر والآخر انثى فاذا كان أول الشهر الذي يزيد فيه النيل فتح هذا البيت وجمع الكهان فيه بين يديه وزمزم الكهان بكلامهم حتى يصفر أحد العقابين فان صفر الذكر كان الماء تاما وان صفرت الانثى كان الماء ناقصا فيستعدون عند ذلك لغلاء الاسعار بما يصلحون به شأنهم وهو الذي بنى القنطرة ببلاد النوبة على النيل ولما مات جعل في ناوس ومعه كنوزه وعمل عليه طلسم * وملك بعده ابنه هوصال ويقال بوصال ومعناه خادم الزهرة ويقال سومال بن لوجيم الملك النقراوشي من بني نقراوش الجبار ويقال ان نوحا عليه السلام ولد في ايامه وكان فاضلا كاهنا عالما بالسحر والطلسمات فعمل عجائب منها أنه بنى مدينة عمل في وسطها صنما للشمس يدور بدورانها ويبيت مغربا ويصبح مشرقا وعمل سربا تحت النيل فشق الارض وخرج منه متنكرا حتى بلغ مدينة بابل وكشف أعمال الملوك وكان نوح عليه السلام في زمانه وولد له عشرون ولدا فجعل مع كل ولد منهم قطرا وهو رأس الكهنة وأقام في الملك مائة وسبع عشرة سنة ثم لزم الهيا كل وأقام اولاده على حالهم كل منهم في قسمه الذي أعطاه اياه أبوه مدة سبع سنين * ثم اجتمعوا على واحد منهم وملكوه عليهم وكان اسمه تدرشان وقيل تدرسان فلما ملك نفى جميع اخوته الى المدائن الداخلة في الغرب واقتصر على امرأة من بنات عمه وكانت ساحرة وعمل له قصرا من خشب منقوشا فيه صورة الكواكب وبسطه بأحسن الفرش وحمله على الماء وصار

يجلس فيه فبينما هو فيه ذات يوم اذ هبت ريح شديدة اضطرب منها الماء فانقلب القصر وتكسر فغرق هو ومن كان معه في القصر * وملك بعده أخوه نمرود الجبار ويقال شمرود بن هوصال فأحسن السيرة وأنصف الرعية وبسط العدل وجمع اخوته وفرق عليهم كنوز أخيهم فسر الناس به وطلب امرأة أخيه الساحرة ففرت منه بابنها الى مدينة ببلاد الصعيد وامتنعت عليه بسحرها وأقامت مدة واجتمع السحرة الى ابنها وكان اسمه توميدون وجاؤوا على طلب الملك فسار وخرج اليه شمرود واخوته فاقتتلوا اقتتالا عظيما كان فيه الظفر لتوميدون فقتله * وملك من بعده فقام توميدون بن تدرسان بالملك في مدينة أمسوس وكان عالما فاضلا فتقوى بسحر أمه وعملت له أعمالا عجيبة منها قبة من زجاج على هيئة الكرة تدور بدوران الفلك وصورت فيها صور الكواكب فكانوا يعرفون بها أسرار الطبائع وعلوم العالم فلما ماتت امه الساحرة بعد ستين سنة من ملكه طلى جسدها بما يدفع عنه النتن والحشرات ودفنت تحت صنم القمر ويقال انها كانت بعد موتها يسمع من عندها صوت بعض الارواح وتخبرهم بعجائب وتجيب عما تسأل عنه ولما مات توميدون بعد مائة سنة من ملكه عمل له صورة من زجاج مقسومة نصفين وأدخل فيها بعدما طلي بالادوية المانعة من النتن وأطبقت الصورة عليه حتى التحمت واقيم في هيكل الاصنام ودفنت كنوزه عنده وصار يعمل له في كل سنة عيد * وملك بعده ابنه شرياق ويقال له سرياق بن توميدون بن تدرسان بن هوصال وكان كأبيه في علم الكهانة والسحر والطلسمات فعمل أعمالا عجيبة منها على باب مدينة أمسوس هيئة بطة من نحاس قائمة على اسطوانة اذا دخل غريب من ناحية من النواحي صفقت بجناحيها وصرخت فيؤخذ ذلك الغريب ويكشف أمره حتى يعرف فيما قدم وشق من النيل نهرا يمر الى مدائن الغرب وبنى عليه أعلاما ومدنا ومنتزهات وسار ملك من بني فراني بن آدم ويقال من بني صوابيتي بن آدم خرج من ناحية العراق في أيامه وغلب على بلاد الشام وقصد مصر ليأخذ ملكها فقيل له انك لا تقدر عليها لسحر أهلها فتنكر ودخل في جماعة من خواصه ليكشف حال اهل مصر فلما وصل الى أول حد مصر حبسه الموكلون بذلك الحد هو ومن معه حتى يأمر الملك فيهم بأمره وبعثوا اليه بصفتهم وكان قد رأى في منامه كأنه على منار عال وكأن طائرا عظيما انقض عليه ليخطفه فحاد عنه حتى كاد يسقط من المنار فجاوزه الطائر وسلم منه فانتبه مذعورا وقص رؤياه على كبير الكهنة فقال يطلبك ملك ولا يقدر عليك ونظر في نجومه فرأى الملك الذي يطلب ملكه قد دخل الى مصر وكان ذلك هو الوقت الذي قدم عليه فيه الرسل بصفات الذين وصلوا الى حد مصر فأمر باحضارهم اليه بعدما يطاف بهم على عجائب مصر كلها ليروها فأوثقوهم وساروا بهم وأوقفوهم على عجائب أرض مصر وما فيها من الطلسمات حتى بلغوا الى الاسكندرية ثم الى أمسوس ثم الى الجنة التي عملها مصرام وكان الملك شرياق مقيما بها فعندما وصلوا اليها أظهرت السحرة التماثيل العجيبة قد خلوا عليه وحوله الكهنة وبين يديه نار لا يصل اليه احد حتى يخوضها فمن كان بريئا لم تضره ومن كان يريد بالملك سوءا او أضمر له مكروها أخذته النار فشق القوم في وسط النار واحدا بعد واحد من غير أن تضرهم حتى انتهى الامر الى ملك العراق فعندما دنا من النار أخذته بجرها فولى هاربا فاتبعوه حتى أخذوه وأوقفوه بين يدي شرياق فلم يزل به حتى اعترف فامر بصلبه فصلب على الحصن الذي أخذ منه ونودي عليه هذا جزاء من طلب ما لا يصل اليه وعفا عن الباقين فساروا من مصر وتحدثوا بما رأوه من العجائب فانقطع طمع ملوك الارض عن طلب ملك مصر ومات شرياق بعدما ملك مصر مائة وثلاثين سنة فجعل في ناوس ومعه امواله وطلسم يحفظه ممن يقصده * وملك بعده ابنه شهلوق وكان عالما بالكهانة والطلسمات فقسم ماء النيل موزونا يصرف الى كل ناحية قسطها ورتب الدولة وعمل بيت نار وهو أول من عبد النار وعمل بأمسوس عجائب منها شجرة على أعلى الجبال تقسم بها الرياح التي تمنع من أراد مصر بأذى أو فساد من جني أو انسي أو سبع او طائر وعمل بالمدينة قبة مركبة على سبعة أركان ولها سبعة ابواب على كل ركن باب وفي وسط القبة قبة من صفر وفي أعلاها صور الكواكب السبعة وتحت القبة قبة اخرى معلقة على سبع أساطين وعلى الباب الاول من القبة أسد ولبوة من صفر وهما رابضان كان يذبح لهما جروا أسود ويبخرهما بشعره وعلى الباب الثاني ثور وبقرة يذبح لهما عجلا ويبخرهما بشعره وعلى الباب الثالث خنزير وخنزيرة يذبح لهما خنوصا ويبخرهما بشعره وعلى الباب الرابع كبش وشاة يذبح لهما سخلة ويبخرهما بشعرها وعلى الباب الخامس ثعلب وثعلبة يذبح لهما فرخ

ثعلب ويبخرهما بشعره وعلى الباب السادس عقاب واتناه يذبح لهما فرخ عقاب ويبخرهما بريشه وعلى الباب
السابع نسر واتناه يذبح لهما فرخ نسر ويبخرهما بريشه ويلطخ كلامنهما بدم ماذبح له وتحرق سائر القرابين
ويوضع رمادها تحت عتبات ابواب القبة وجعل لهذه القبة سدنة يشعلون المصابيح ليلا ونهارا وقسم الناس بمصر
سبع مراتب لكل مرتبة منهم باب من ابواب تلك القبة فكان الخصم اذا تقدم الى شئ من تلك الصور وكان ظالما
فانه يلتصق بها ولا يتخلص منها حتى يخرج من الحق الذى عليه الذكر للذكر والانثى للانثى فيعرفون بذلك
الظالم من المظلوم ولم تزل هذه القبة بأمسوس حتى أزالها الطوفان ويقال انه رأى أباه فى النوم وهو يأمره
أن ينطلق الى جبل وصفه له من جبال مصر فان فيه كوة صفتها كذا على بابها أفعى لها رأسان اذا اقبل اليها
كشرت فى وجهه فخذ معك طائرين صغيرين ذكرا وانثى فاذبحهما لها وألقمها اياهما فانها تأخذ برأسيهما
وتنحى بهما الى سرب فاذا غابت ادخل الكوة تجد فيها امرأة عظيمة من نور حار يابس فانها تسطع لك وتحس
بحرارتها فلا تدن منها تحترق ولكن اقعد حذاءها وسلم عليها فانها تخاطبك فافهم ما تقول لك واعمل به فانك
تشرف بذلك وتدلك على كنوز جدك مصرام فانها حافظة لها فلما اتبه عمل ما امره ابوه فلما اقعد بجانب المرأة
وسلم قالت له أتعرفنى قال لا قالت أنا صورة النار المعبودة فى الامم الخالية وقد أردت أن تحيى ذكرى وتجدد لى
بيتا تقدلى فيه نارا دائمة بقدر واحد وتتخذ لها عيدا فى كل سنة تحضره أنت وقومك فانك تتخذ بذلك عندى يدا
انيلك بها شرفا الى شرفك وملكا الى ملكك وأمنع عنك من يطلبك بسوء وأدلك على كنوز جدك مصرام فضمن
لها أن يفعل كل ما أمرته به فدلته على الكنوز التى تحت المدائن المعلقة وعلمته كيف يصير اليها وكيف يحترس من
الارواح الموكلة بها وما ينجيه منها ثم قال لها كيف لى بأن أراك فى وقت آخر قالت لا تعد فانى الافى لا تمكنك
ولكن بخرفى بيتك بكذا فانى آتيك فسر بذلك وغابت عنه وخرج ففعل ما أمرته به من عمل بيت النار وأخذ
كنوز مصرام ولما مات جعل فى ناوس ومعه سائر امواله وكنوزه وجعل عليه طلسم يحفظه ممن يقصده *
وملك بعده ابنه سوريد وكان حكيما فاضلا وهو أول من جبى الخراج بمصر وأول من امر بالانفاق على المرضى
والزمنى من خزائنه وأول من سن رقعة الصباح وعمل أعمالا عجيبة منها مرآة من أخلاط كان ينظر فيها الى ٢
الاقاليم فيعرف فيها ما حدث من الحوادث وما يخصب منها وما يجدب وأقام هذه المرآة فى وسط مدينة أمسوس
وكانت من نحاس وعمل فى أمسوس صورة امرأة جالسة فى حجرها صبى ترضعه وكانت المرأة من نساء مصر
اذا أصابتها علة فى موضع من جسمها أتت هذه الصورة ومسحت ذلك الموضع من جسدها بمثل ذلك الموضع
من الصورة فتزول عنها العلة وان قل لبنها مسحت ثديها بثدى الصورة فيغزر لبنها وان قل حيضها مسحت
فرجها بفرج الصورة فيكثر حيضها وان كثردمها مسحت أسفل ركبها بمثل ذلك من الصورة وان عسرت ولادة
امرأة مسحت رأس الصبى الذى فى حجر الصورة فتضع حملها وان أرادت التحبب الى زوجها مسحت وجهها
وتقول افعل لى كذا وكذا فاذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تتوب ولم تزل هذه الصورة الى أن أزالها
الطوفان وفى كتب القبط انها وجدت بعد الطوفان وأن اكثر الناس عبدوها وعمل سوريد صنما من أخلاط كثيرة
فكان من أصابته علة فى موضع من جسده غسل ذلك الموضع من الصنم بماء وشرب الماء فانه يبرأ وسوريد
هذا هو الذى بنى الهرمين العظيمين بمصر المنسوبين الى شداد بن عاد والقبط تنكر أن تكون العادية دخلت
بلادهم لقوة سحرهم ولما مات سوريد دفن فى الهرم ومعه كنوزه ويقال انه كان قبل الطوفان بثلثمائة سنة وانه ملك
مائة سنة وتسعين سنة * فملك بعده ابنه هرجيب وكان كأبيه حكيما فاضلا فى علم السحر والطلسمات فعمل
أعمالا عجيبة واستخرج معادن كثيرة واظهر علم الكيمياء وبنى اهرام دهشور وحمل اليها اموالا عظيمة وجواهر
نفيسة وعقاقير وسمومات وجعل عليها روحانيات تحفظها وشج رجل رجلا فأمر بقطع اصابعه وسرق رجل مالا
فملك المسروق له رق السارق ولما مات دفن فى الهرم ومعه جميع امواله وذخائره * وملك بعده ابنه مناوس
ويقال منقاوس وكان كأبيه فى الحكمة الا انه كان جبارا فاسقا سفاكا للدماء ينتزع النساء من ازواجهن
ويبيح ذلك لخواصه وعمل أعمالا عجيبة واستخرج كنوزا وبنى قصورا من ذهب وفضة وأجرى فيها الانهار وجعل
حصباءها من اصناف الجواهر النفيسة وسلط رجلا جبارا اسمه قرنامس على الناس ووجههم لمحاربة الامم الغريبة
فقتل منهم خلائق ولما مات دفن فى بعض قصوره ومعه امواله وعمل عليه طلسم يحفظه ويمنعه من كل طالب

* وملك بعده ابنه افروس وكان كأبيه فى العلم والحكمة ولما ملك أظهر العدل وأحسن السيرة ورد النساء اللاتى غصبن فى ايام أبيه على ازواجهن وعمل قبة طولها خمسون ذراعا فى عرض مائة ذراع وركب فى جوانبها طيورا من صفر تصفر بأصوات مختلفة مطربة لا تفتر ساعة وعمل فى وسط مدينة أمسوس منارا عليه راس انسان من صفر كلما مضى من النهار أو الليل ساعة صاح صيحة يعلم من سمعها بمضى ساعة وعمل منارا عليه قبة من صفر مذهب ولطخها بالطوخات فاذا غربت الشمس فى كل ليلة اشتعلت القبة نورا تضىء له مدينة أمسوس طول الليل حتى يصير مثل النهار لا تطفئها الرياح ولا الامطار فاذا طلع النهار خمد ضوءها وأهدى لبعض ملوك بابل مدهنا من زبرجد قطره خمسة اشبار ويقال انه وجد بعد الطوفان وعمل فى الجبل الشرقى صنما عظيما قائما على قاعدة وهو مصبوغ مصفر بالذهب ووجهه الى الشمس يدور معها حتى تغرب ثم يدور ليلا حتى يحاذى المشرق مع الفجر فاذا اشرقت الشمس استقبلها بوجهه وبنى بصحراء الغرب مدنا كثيرة وأودعها كنوزا عظيمة ونكح ثلثمائة امرأة ولم يولد له ولد فان الله تعالى كان قد أعقم الارحام لما يريد من اهلاك العالم بالطوفان ووقع الموت فى الناس والبهائم ولما مات وضع فى ناوس بالجبل الشرقى ومعه امواله وطلسم عليه * وملك بعده ارمالينوس فعمل أعمالا عجيبة وبنى مدنا ومصانع وجدد الطلسمات وكان له ابن عم يسمى فرعان وكان جبارا فأبعده وجعله على جيش سار به عنه فقهر ملوكا وقتل اممًا عظيمة وغنم اموالا كثيرة وعاد فشغفت به امرأة من نساء الملك ومازالت به حتى اجتمع بها وتآلفا وأقاما على ذلك مدة فخافا الملك أن يفطن بهما فعملت المرأة لارمالينوس سما فى شرابه هلك منه * وملك بعده ابن عمه فرعان بن مشور فلم ينازعه احد لشجاعته وسياسته ولم تطل اعوامه حتى رأى قليمون الكاهن كأن طيورا بيضا قد نزلت من السماء وهى تقول من أراد النجاة فليلحق بصاحب السفينة وكان عندهم علم بحدوث الطوفان من أيام سوريد وبنائه الاهرام لاجل ذلك واتخذ الناس سراديب تحت الارض مصفحة بالزجاج قد حبست الرياح فيها بتدبير وعمل منها فرعان لنفسه ولاهله عدة فما كذب أن جمع اهله وولده وتلامذه ولحق بنوح عليه السلام وآمن به وأقام معه حتى ركب فى السفينة وجاء الطوفان فى ايام فرعان فأغرق أرض مصر كلها وخرب عمائرها وأزال تلك المعالم كلها وأقام الماء عليها ستة اشهر ووصل الى أنصاف الهرمين العظيمين وسيأتى خبر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر محن مصر من هذا الكتاب ويقال ان فرعان كان عاتيا متجبرا يغصب الاموال والنساء وانه كتب الى الدرشيل بن لحويل ببابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام وانه استخف بالكهنة والهياكل فتفسدت فى أيامه أرض مصر ونقص الزرع وأجدبت النواحى لانهماكه فى ضلاله وظلمه واقباله على لهوه ولعبه وان الناس اقتدوا به ففشا ظلم بعضهم لبعض وانه لما اقبل الطوفان وسحت الامطار قام سكران يريد الهرب الى الهرم فتخلخلت الارض به وطلب الابواب فخانته رجلاه وسقط يخور حتى هلك وهلك من دخل الاسراب بالغم والله تعالى أعلم

* (ذكر مدينة منف وملوكها) *

هذه المدينة كانت فى غربى النيل على مسافة اثنى عشر ميلا من مدينة فسطاط مصر وهى اول مدينة عمرت بأرض مصر بعد الطوفان وصارت دار المملكة بعد مدينة امسوس التى تقدم ذكرها الى أن اخربها بخت نصر وقد ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها قال الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى كتاب جامع البيان فى تفسير القرآن عن السدى أنه قال كان موسى عليه السلام حين كبر يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ما يلبس وكان انما يدعى ابن فرعون ثم ان فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى عليه السلام قيل له ان فرعون قد ركب فركب فى اثره فأدركه المقيل فى أرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد تغلقت اسواقها وليس فى طرقها أحد وهى التى يقول الله جل ذكره ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن لهيعة اول من سكن بمصر بعد أن أغرق الله قوم نوح عليه السلام بيصر بن حام بن نوح فسكن منف وهى اول مدينة عمرت بعد الطوفان هو وولده وهم ثلاثون نفسا منهم أربعة اولاد قد بلغوا وتزوجوا وهم مصر وفارق وماح وياح بنو بيصر وكان مصر اكبرهم فبذلك سميت مافه ومافه بلسان القبط ثلاثون وكانت اقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم ونقروا هنالك منازل كثيرة وقال ابن خرداذبه فى كتاب المسالك والممالك ومدينة منف هى مدينة فرعون التى كان ينزلها واتخذ لها

سبعين بابا من حديد وجعل حيطان المدينة من الحديد والصفر وفيها كانت الانهار تجرى من تحت سريره وهى أربعة ويروى أن مدينة منف كانت قناطر وجسورا بتدبير وتقدير حتى ان الماء ليجرى تحت منازلها وأفنيتها فيحبسونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا فذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون وكان بها كثير من الاصنام لم تزل قائمة الى أن سقطت فيما سقط من الاصنام فى الساعة التى أشار فيها النبى صلى الله عليه وسلم الى الاصنام يوم فتح مكة بقضيب فى يده وهو يطوف حولها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فما أشار الى صنم منها فى وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم الا وقع وفى تلك الساعة سقطت أصنام الارض من الشرق الى الغرب وبقى اصحابها متعجبين لا يعلمون لها سببا اوجب سقوطها وبقيت أصنام مدينة منف ساقطة من ساعته وفيها الصنمان الكبيران المجاوران للبيت الاخضر الذى كان به صنم العزيز وكان من ذهب وعيناه ياقوتتان لا يقدر على مثلهما ثم قطعت الاصنام والبيت الاخضر من بعد سنة ستمائة * ويقال كانت منف ثلاثين ميلا طولا فى عشرين ميلا عرضا وان بعض بنى يافث بن نوح عمل فى ايام مصرايم آلة تحمل الماء حتى تلقيه على أعلى سور مدينة منف وذلك انه جعلها درجا مجوفة كلما وصل الماء الى درجة امتلأت الاخرى حتى يصعد الماء الى أعلى السور ثم ينحط فيدخل جميع بيوت المدينة ثم يخرج من موضع الى خارج المدينة * وكان بمنف بيت من الصوان الاخضر المانع الذى لا يعمل فيه الحديد قطعة واحدة وفيه صور منقوشة وكتابة وعلى وجه بابه صور حيات ناشرة صدورها لو اجتمع ألوف من الناس على تحريكه ما قدروا لعظمه وثقله والصابئة تقول انه بيت القمر وكان هذا البيت من جملة سبعة بيوت كانت بمنف للكواكب السبعة وهذا البيت الاخضر هدمه الامير سيف الدين شيخون العمرى بعد سنة خمسين وسبعمائة ومنه شئ فى خانقاهه وجامعه الذى بخط الصليبة خارج القاهرة وقال ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القيسى فى كتابه تحفة الالباب ورأيت فى قصر فرعون موسى بيتا كبيرا من صخرة واحدة اخضر كالآس فيه صورة الافلاك والنجوم لم نر عجبا احسن منه * وقال ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسى وكانت دار الملك بمصر فى قديم الدهر مدينة منف وهى فى غربى النيل على مسافة اثنى عشر ميلا من الفسطاط فلما بنى الاسكندر مدينة الاسكندرية رغب الناس فى عمارتها فكانت دار العلم ومقر الحكمة الى أن فتحها المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه واختط عمرو بن العاص مدينته المعروفة بالفسطاط فانتشر أهل مصر وغيرهم من العرب والعجم الى سكناها فصارت قاعدة ديار مصر ومركزها الى وقتنا هذا * وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب وقد ذكر أخبار مدينة أمسوس وخراب عمائر أرض مصر بطوفان نوح عليه السلام ولما نزل الماء كان اول من ملك مصر بعد الطوفان بيصر بن حام بن نوح وكان معه ثلاثون من الجبابرة من اهله وولده فاجتمعوا وبنوا مدينة منف ونزلوا بها وكان فليمون الكاهن الذى تقدم ذكره فى خبر مدينة أمسوس من جملتهم وكان قد زوج ابنته ببيصر المذكور وجاءت معه الى مصر وولدت منه ولدا اسماه مصرايم فلما مات بيصر دفن فى موضع دير أبى هرميس ويقال دير أبى هرميس غربى الاهرام ويقال انها اول مقبرة دفن بها بأرض مصر وكان موته بعد ألف وثمانمائة وست سنين مضت من وقت الطوفان وقال غيره ثم بنى مصرايم مدينة سماها باسمه فجاءه رجل من بنى يافث فعمل له سورا قائما وصنع له درجا وأجرى الماء الى أن بقى يصعد الى أعلى السور بحكمة اتقنها ثم ينزل ذلك الماء من اعلى السور الى المدينة فينتفع به فيها بغير مشقة ولا كلفة ثم يخرج من ناحية أخرى وكتب على السور هذه صنعة من يموت لا صنعة من يدوم * وملك بعد بيصر ابنه مصرايم (ويقال له مصر) بن بيصر فأظهره فليمون الكاهن على كنوز مصر وعلمه قراءة خطهم وأطلعه على حكمهم وبنى مصرايم المدن وشق الانهار وغرس الاشجار وبنى مدينة عظيمة سماها درسان وهى العريش ونكح امرأة من اولاد الكهنة فولدت له ابنا سماه قفطيم وبنى مدينة رقودة مكان الاسكندرية ولما مات مصرايم جعل له سرب طوله مائة وخمسون ذراعا وبسط بالمرمر الابيض وعمل فى وسطه مجلس مصفح بصفائح الذهب وله أربعة ابواب على كل باب تمثال من ذهب على رأسه تاج من ذهب وهو جالس على كرسى من ذهب قوائمه من زبرجد ونقش فى صدر كل تمثال آيات مانعة وحبسوا جسده فى جسد من زبرجد أخضر شبه تابوت طوله اربعون ذراعا دفن فيه ومعه جميع ما كان فى خزائنه من ذهب وفضة وجوهر

منها ألف قطعة من زبرجد مخروط وألف تمثال من جوهر نفيس وألف برنية من ذهب مملوءة درا نفيسا وألف آنية من ذهب وعدة سبائك من فضة وعمل عليه طلسم مانع من الوصول اليه وزبروا عليه مات مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح بعد ألفين وستمائة عام وقيل بعد سبعمائة سنة مضت من الطوفان ولم يعبد الاصنام فصار الى جنة لا هرم فيها ولا سقم ولا هم ولا حزن وكتب اسم الله الاعظم عليه حتى لا يصل اليه احد الا ملك يأتى فى آخر الزمان يدين بدين الملك الديان ويؤمن بالبعث والفرقان والنبى الداعى الى الايمان فى آخر الزمان وسقفوا فوق السرب بالصخور العظام وهالوا عليه الرمال حتى سدوا بين جبلين متقابلين * ويقال كان مصر بن بيصر مع جده أبيه نوح عليه السلام فى السفينة فدعا له أن يسكنه الله الارض الطيبة المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد ونهرها أفضل الانهار ويجعل له فيها افضل البركات ويسخر له الارض ولولده ويذللها ويقويهم عليها فسأله عنها فوصفها له وأخبره بها وكان بيصر بن حام قد كبر وضعف فساقه ولده مصرايم وجميع اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر * وملك بعده ابنه قبطيم (ويقال له قفط) بن مصرايم وهو اول من عمل العجائب بعد الطوفان فاستخرج المعادن وشق الانهار ونصب الاعلام والمنارات وعمل الطلسمات * ويقال ان مصرايم لما مات اختلف اولاده من بعده وكان قفط اصغرهم فاجتمعوا عند الاهرام ورضوا بأن من غلب منهم أخاه أخذ الملك فحارب اشموم واتريب فغلب اتريب ثم تحارب صا هو وأشموم فغلب اشموم ثم تحارب قفط وصا فغلب قفط فأخذ قفط الملك بعد ابيه وأطاعه اخوته وسكن مدينة منف دار مملكة أبيه وتزوج امرأة ولدت له اربعة اولادهم قفطريم وأشمون واتريب وصا فتناسلوا وكثروا وعمروا البلاد ثم انه قسم الارض بين اولاده الاربعة عند وفاته فجعل لولده قفطريم من اسوان الى قفط وجعل لولده أشمون من مدينة قفط الى مدينة منف وجعل لولده اتريب الحوف كله وجعل لولده صا من ناحية البحيرة الى الغرب وجعل أمرهم الى قفطريم وامر كل واحد منهم أن يبنى لنفسه مدينة فى حيزه وجعل لنفسه سربا تحت الجبل الكبير وصفحه بالمرمر وعمل فيه منافذ للريح فصارت تخترق فيه بدوى عظيم وأقام فى السرب رؤسا من نحاس مطلية تضىء كالسرج ليلا ونهارا ولما مات وضع جسده بهذا السرب فى جرن من ذهب بعدما البس ثيابا منسوجة بالدر والمرجان واقيم عند رأسه عمود من مرمر عليه جوهرة تضىء وعمل حول الجرن توابيت من حجارة ملونة حولها مصاحف الحكمة ووضعت عنده امواله وكنوزه وذخائره وزبروا عليه كما زبروا على ابيه وانتقل كل من اولاده الى حيزه فانتقل صا بأهله وأولاده وسكن مدينة صا الآتى ذكرها * ويقال كانت البلبلة فى ايام قفط وانه ألهمه الله تعالى اللغة القبطية وانه أقام ملكا اربعمائة وثمانين سنة ومات فدفن بأرض الواحات وملك بعده أخوه اشمن بن مصر وقيل بل اسكن فى حياته ابنه قفطريم فى حيزه فشرع فى العمارة وكان جبارا عظيم الخلقة فأثار من المعادن ما لم يثره أحد قبله وبنى مدينة دندرة وعمل فى جبل قفط منارا عاليا يرى منه البحر الشرقى ووجد هنالك معادن من الزيبق وعمل البركة التى سماها صيادة الطير وهلك عاد بالريح فى آخر ايامه وفى ايامه اثارت الشياطين الاصنام التى أغرقها الطوفان فعبدت وأقام ملكا اربعمائة وثمانين سنة ومات * وذكر ابن عبد الحكم بعد مصر بن بيصر قفط ابن مصر وأن الذى ملك بعد قفط اخوه اشمن ثم اتريب بن مصر ثم صا بن مصر ثم ابنه تدراس بن صا ثم ابنه ماليق ابن تدراس ثم ابنه حزايا بن ماليق ثم ابنه كلكلى بن حزايا ويقال ان أشمن لما ملك بعد أخيه سار اليه شداد ابن هداد بن شداد بن عاد وملك أرض مصر وهدم مبانيها وبنى أهراما ومضى الى موضع الاسكندرية فبناها وأقام دهرا ثم خرجت العادية من أرض مصر فعاد اشمن الى ملكه وانه ملك بعده أخوه صا ثم ملك بعد صا ابنه تدراس وفى ايامه بعث الله صالحا الى ثمود ومات * فملك ابنه ماليق البودسير وكان من الجبابرة العظام عمل أعمالا عظيمة منها منار فوقه قبة لها أربعة اركان فى كل ركن كوة يخرج منها فى يوم معلوم عندهم من كل سنة دخان ملتف فى ألوان شتى يستدل بكل لون على شئ فان خرج الدخان اخضر دل على العمارة والخصب فى تلك السنة وان خرج ابيض دل على الجدب وقلة الخير وان خرج احمر دل على الحروب وقصد الاعداء وان خرج اصفر دل على النيران وآفات تحدث من الملك وان خرج اسود دل على الامطار والسيول وفساد بعض الارض وان خرج مختلطا دل على كثرة الظلم وبغى الناس بعضهم على بعض وعمل شجرة من نحاس تجذب سائر الوحوش حتى تصل اليها فلا تستطيع الحركة الى أن تؤخذ فشبع اهل مصر من لحوم الوحوش واتفق أن غرابا نقر عين صبى

من اولاد الكهنة فقلعها فعمل شجرة من نحاس عليها غراب منشور الجناحين وفى منقاره حية وعلى ظهره اسطر فكانت الغربان تقع على هذه الشجرة ولا تبرح حتى تموت وكانت الرمال قد كثرت فى ايامه على أرض مصر من ناحية الغرب فعمل صنما من صوان اسود على قاعدة منه وفوق كتفه قفة فيها مسحاة ونقش على وجهه وصدره وذراعيه كتابة وجعل وجهه الى الغرب فانكشفت الرمال ورجعت بها الرياح الى ورائها وصارت تلالا عالية وبعث بهرمس الحكيم الى جبل القمر الذى يخرج منه النيل فعمل تماثيل النحاس وعدل جانبى النيل وكان قبله يفيض فى مواضع وينقطع فى مواضع وسار مغربا بالنظر ماوراء ذلك فوقع على أرض واسعة يتخرق فيها الماء والاشجار فبنى فيها منتزهات وأقام بها وحوّل اليها عدة من اهله فعمروا تلك النواحى حتى صارت أرض الغرب كلها معمورة ثم خالطتهم البربر وجرت بينهم حروب كثيرة افنتهم فخربت تلك البلاد ولم يبق منها الا الواحات ثم ان البودسير احتجب عن الناس وصار يبرز وجهه من مقعده فى النادر وربما خاطبهم من حيث لا يرونه * وذكر ابو الحسن المسعودى فى كتاب أخبار الزمان أن اول من تحقق بالكهانة وغير الدين وعبد الكواكب البودسير وتزعم القبط أن الكواكب كانت تخاطبه وأن له عجائب كثيرة منها انه استتر عن الناس عدة سنين من ملكه وكان يظهر لهم وقتا بعد وقت مرة فى كل سنة وهو حلول الشمس فى برج الحمل ويدخل الناس اليه فيخاطبهم وهم يرونه فيأمرهم وينهاهم ويحذرهم مخالفة امره ثم بنيت له قبة من فضة مطلية بذهب فصار يجلس فى اعلاها وله وجه عظيم فيخاطبهم *(فلما مات ملك بعده ابنه ارقليمون) وكان كاهنا ساحرا فعمل أعمالا عظيمة منها أنه كان يجلس فى السحاب فيرونه فى صورة انسان عظيم وأقام مدة على ذلك ثم انه غاب عن اهل مصر وصاروا بغير ملك ثم رأوا صورة بحذاء جرم الشمس عند حلولها اول برج الحمل فامرهم أن يقلدوا الملك عديم بن قفطيم وأعلمهم أنه مابقى يعود اليهم * (فولوا عليهم عديم بن قفطيم) وكان جبارا عظيما وهو اول من صلب بمصر وذلك أن امرأة ورجلا زنيا فصلبهما وجعل ظهر كل منهما لظهر الآخر وبنى اربع مدائن أودعها كنوزا عظيمة وجعل عليها طلسمات وعدة عجائب وعمل منارا على البحر الشرقى وعليه صنم الى الشرق حتى لا يغلب البحر على أرض مصر وعمل قنطرة على النيل فى ارض النوبة وأقام ملكا مائة واربعين سنة ومات وعمره سبعمائة وثلاثون سنة *(وملك بعده ابنه شداد بن عديم) وهو الذى تسميه العامة شداد بن عاد وكان عالما كاهنا ساحرا ويقال انه هو الذى بنى الاهرام الدهشورية وعمل أعمالا عظيمة وطلسمات عجيبة وبنى فى الجانب الشرقى مدائن وفى ايامه بنيت قوص وغزا الحبشة وسباهم وأقام ملكا تسعين سنة وهو اول من اتخذ الجوارح وصاد بها وولد الكلاب السلوقية وعمل فى بركة سيوط تماسيح منصوبة تنصب اليها التماسيح من النيل انصبابا فيقتلها ويعلق جلودها فى السفن واتفق أنه طرد صيدا فكبابه فرسه فى وهدة فهلك وكان قد غضب على بعض خدمه فرماه من جبل عال فتقطع فرأى أنه يصيبه مثل ذلك ولما هلك وضع فى ناوس ودفنت معه امواله وعمل عليه طلسم يمنعه ممن يقصده وكتب عليه لا ينبغى لذى القدرة أن يخرج عن الواجب ولا يفعل مالا يجوز له فعله فيجازى بعدله هذا ناوس بن شداد بن عديم فعل مالا يحل له فعله فكوفىء عليه بمثله *(وملك بعده ابنه منقاوش) وكان حكيما فاضلا كاهنا عمل أعمالا عجيبة وبنى اشياء معجبة منها انه عمل هيكلا لصور الكواكب على ثمانية فراسخ من منف وكنز من الاموال مالا يحصى وفتح عليه من المعادن مالم يفتح به على غيره وسار فى الجنوب يوما ثم سار مغربا يوما وبعض آخر فانتهى فى اليوم الثالث الى جبل اسود فعمل تحته أسرابا ومغاير ودفن فيها امواله وزبر عليها حتى انه من كثرتها يقال انه دفن حمل اثنى عشر ألف عجلة ذهبا وجواهر وأقام اربع سنين يرسل فى كل سنة عجلا كثيرة يدفنها وبقيت آثار العجل ترى فيما بين منف والمغرب زمانا طويلا وبنى هيكلا للقمر ويقال انه هو الذى بنى مدينة منف لبناته وكن ثلاثين بنتا وانه ألزم الناس بعمل الكيمياء فكانوا لا يفترون عن عملها ليلا ولا نهارا حتى اجتمع عنده مال عظيم وجوهر كثير وهو الذى بنى مدينة عين شمس وقسم خراج مصر أرباعا جعل الربع للملك والربع للجند والربع ينفق فى مصالح الارض والربع الرابع يدفن لحادثة تحدث وهو الذى قسم أرض مصر على مائة وثلاثين كورة وأقام ملكا احدى وتسعين سنة ومات *(فملك بعده ابنه عديم بن منقاوش) وكان جبارا لا يطاق وفى ايامه كان نزول الملكين اللذين يعلمان الناس السحر والقبط تزعم انهما نزلا بأرض مصر ثم نقلا الى بابل * (ثم ملك بعده أخوه مناوش بن منقاوش وكان عالما كاهنا

فاضلا بنى مواضع كثيرة فى الجبال والصحارى وكنز فيها كنوزا عظيمة وأقام عليها أعلاما وبنى فى صحراء الغرب مدينة وأقام لها منارا وكنز حولها كنوزا عظيمة وجعل فيها شجرة تطلع كل لون من الفاكهة وهو أول من عبد البقر بمصر وكان يطلب الحكمة ويستخرج كتبها وكذا كان كل من ملك منهم يجتهد فى أن يعمل له غريبة من الاعمال لم تعمل لمن كان قبله وتثبت فى كتبهم وتزبر على الحجارة * (ولما مات ملك بعده ابنه هرميس) وكان قليل الحكمة فلم يعمل شيأ مما عمله آباؤه ومات وقد أقام احدى عشرة سنة * (فملك بعده اشمون بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح وكان حيزه من اشمون الى منف فى الغرب وحيزه فى الشرق الى حد البحر الملح مما يحاذى برقة وهو آخر حد مصر ومن بلاد الصعيد الى حدود اخميم وكانت منزله بمدينة الاشمونين وكان طولها اثنى عشر ميلا فى مثلها وبنى فى شرقى النيل مدينة انصنا وبنى بها قصرا عظيما واتخذ بها أبنية وملاعب وعجائب كثيرة وبنى مدينة طهراطيس وهو أول من لعب بالكرة والصولجان ويقال انه بنى مدنا كثيرة عمل فيها عجائب منها مدينة فى سفح الجبل لها أربعة ابواب من كل ناحية باب فعلى الباب الشرقى صورة عقاب وعلى الباب الغربى صورة ثور وعلى الباب الشمالى صورة أسد وعلى الباب الجنوبى صورة كلب وفى هذه الصور روحانيات تنطق فاذا اقدم غريب لايقدر على الدخول اليها الاباذن الموكلين بها ودفن تحت كل شكل من هذه الاشكال الاربعة صنفا من الكنوز وغرس فى هذه المدينة شجرة مولدة تثمر كل لون من الفاكهة ونصب منارا طوله ثمانون ذراعا فوقه قبة تتلوّن كل يوم لونا حتى تمضى سبعة ايام ثم تعود الى اللون الاول فكانت تلك المدينة تكتسى من تلك الالوان شعاعا مثل لونها واجرى حول المنار ماء شقه من النيل وجعل فيه سمكا من كل لون وأقام حول المدينة طلسمات فى هيئة اناس رؤسها كالقردة وأسكن هذه المدينة السحرة فعرفت بمدينة السحرة وكانوا يعملون فيها أصناف السحر وبنى بالقرب منها مدينة عرفت بذات العجائب وبنى مجالس مصفحة بزجاج ملوّن فى وسط النيل وبنى سربا تحت الارض من الاشمونين الى انصنا وقيل انه هو الذى بنى مدينة عين شمس وانه ملك ثمانمائة سنة وان قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستمائة سنة وأقاموا بمصر تسعين سنة فأصابهم وباء فخرجوا منه الى المدينة بطريق الحجاز الى وادى القرى فعاد أشمون بعد خروج العادية الى ملك مصر وهو اول من عمل النوروز بمصر وفى زمانه بنيت مدينة البهنسا ولما مات جعل له ناوس فى آخر حد الاشمونين ودفن فيه ومعه كنوزه العظيمة وعجائبه الكثيرة منها ألف برنية من العقاقير المدبرة لفنون الاعمال وزبروا على ناوسه اسمه ونسبه وجعل عليه طلسم يمنعه ممن يقصده * (وملك بعده ابنه صا) ثم بعد صا ابنه تدراس * (وقيل ملك مناقيوش) وكان شجاعا فاضلا فاستأنف العمارة وبنى القرى ونصب الاعلام وعمل العجائب الهائلة وبنى مدائن منها مدينة اخميم وحوّل الكهنة اليها وأقام ملكا نيفا وأربعين سنة ومات فدفن فى الهرم الشرقى ومعه كنوزه * (وملك بعده ابنه وقد اختلف فى اسمه وكان فاضلا حازما معظما عند أهل مصر وهو أول من عمل المارستان وأول من عمل الميدان للرياضة وفى ايامه بنيت مدينة سنتريه فى صحراء الواحات ثم ان نساءه تغايرن عليه فقتلته احداهن بسكين فدفن فى ناوس ومعه امواله وعمل عليه طلسم يحفظه * (وملك بعده ابنه مرقوره) وكان حكيما كاهنا وهو أول من ذلل السباع وركبها وبنى المدن وعمر الهيا كل وأقام الاصنام ولما مات جعل له ناوس فى صحراء الغرب ودفن معه ماله * (وملك بعده ابنه بلاطس) وكان صبيا فدبرت امه أمر الملك وكانت حازمة فأجرت الامور على أحسن ما يكون وأظهرت العدل ووضعت عن الناس الخراج فأحبوها ولما كبر ابنها أحب الصيد فعملت له امه أعمالا عجيبة وأقام ملكا ثلاث عشرة سنة وجذر فمات وانتقل الملك الى أعمامه * فملك بعده اتريب بن قبطيم بن مصرايم وهو الثالث عشر من ملوك مصر بعد الطوفان وهو الذى بنى مدينة اتريب وعاش خمسمائة سنة منها مدة ملكه ثلثمائة وستون سنة ويقال ان النيل وقف فى أيام اتريب مائة واربعين سنة حتى اكلت البهائم بأرض مصر ولم يبق بها بهيمة وروى اتريب ماشيا وهو يبسط يديه ويقبضهما من الجوع ومات عامة اهل مصر جوعا ثم اغيثوا بعد ذلك وكثر الرخاء ودام مدة مائتى سنة وبيع كل أردب بدانق وأقل ولما مات اتهم اخوه صا بقتله وحاربه اهل مصر تسع سنين وقتلوه * (فملكت بعده ابنته تدورة) وكانت كاهنة ساحرة فساست الملك احسن سياسة ودبرت الملك أجود تدبير وعملت طلسمات عجيبة منها طلسم منع الوحش والطير أن يشرب من النيل حتى مات اكثرها عطشا

ووقعت فى زمانها صيحة ارتجت لها الارض فهلكت *(وملك بعدها أخوها قليمون بن تريب) وكان حكيما فاضلا فبنى البنيان وعمل الطلسمات وفى أيامه بنيت مدينة تنيس الاولى وبنيت مدينة دمياط وأقام ملكا تسعين سنة ومات فدفن فى ناوس *(وملك بعده ابنه فرسون) وكان فاضلا كاهنا بنى المدائن وجدد الهيا كل وكان حدثا فقصده بعض ملوك حمير فى جموع عظيمة فخرج اليهم ولقيه بمدينة ايليا وقاتله قتالا شديدا حتى تفانى من الفريقين معظمهما وأظهر المصريون اشياء من سحرهم فانهزم الحميرى فى طائفة يسيرة وقتل فرسون عامة اصحابه وأخذ ما كان معهم وعاد مظفرا الى مدينة منف وعمل منارا على بحر القلزم فى رأسه مرآة تجذب المراكب الى الساحل حتى يؤخذ منها ما هو مقرر عليها من المال وأقام ملكا مائتى سنة وستين سنة ومات فدفن فى ناوس خلف الجبل الاسود الشرقى وعمل فيه قبة تحتوى على اثنى عشر بيتا فى كل بيت اعجوبة ودفن معه ماله وعمل عليه طلسم يحفظه *(وملك بعده نحو أربعة وصار الملك الى صا ابن قبطيم) وكان اصغر ولد أبيه وأحبهم اليه *(ولما مات ملك بعده نوبية الكاهنة) وكانت ساحرة فكانت تجلس على سرير من نار فاذا تحاكم اليها أحد وكان صادقا شق تلك النار من غير أن تضره وان كان كاذبا أخذته تلك النار وكانت تتصور كل يوم فى صور كثيرة الاشكال ثم بنت قصرا واحتجبت فيه وجعلت فى سوره أنابيب من نحاس مجوفة وكتبت على كل أنبوب فنا من الفنون التى يتحاكم الناس بها اليها فكان من أتاها فى محاكمة وقف عند الانبوب الذى فيه محاكمته وتكلم بما يريده وسأل عنه بصوت خفى فاذا فرغ جعل اذنه فى الانبوب فيأتيه منه جواب ماسأل ولم يزل هذا القصر والانابيب حتى أتلفه بخت نصر *(وملك بعدها مرقونس) وكان فاضلا حكيما وكانت امه بنت ملك النوبة فعملت عجائب وصنع فى أيامه كل غريبة وملك ثلاثا وسبعين سنة ومات وعمره مائتان وأربعون سنة *(فملك بعده ابنه ايساد وهو ابن خمس وأربعين سنة) وكان جبارا طماح العين فانتزى امرأة أبيه وانكشف أمره معها وكان اكبر همه اللهو واللعب فجمع كل ملة فى مملكته ورفض العلوم وأهمل أمر الهياكل والكهنة وترك النظر فى أحوال الناس وبنى قصورا على النيل ليتنزه فيها وأتلف اكثر الاموال فى اللعب فكرهه الناس وكرههم الى أن سموه فمات عن مائة وعشرين سنة *(وملك بعده ابنه صا) ويقال ان صا هو ابن مرقونس وهو أخو ايساد ولما ملك سكن منف ووعد الناس بخير وملك الاحياز كلها وعمل بها عجائب وطلسمات ورد الكهنة الى مراتبهم ونفى الملهين وأهل الشر ونصب العقاب الذى عمله أبوه وشرف هيكله ودعا اليه وبنى بداخل الواحات مدينة ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة وجعل على الاطراف اصحاب أخبار يرفعون اليه ما يجرى فى حدودهم وعمل على حافتى النيل منابر يوقد عليها اذا حزبهم أمر أو قصدهم أحد وجعل بحافة بحر الملح منارا يعلم به أمر البحر ويقال انه بنى اكثر مدينة منف وكل بنيان عظيم بالاسكندرية وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء ونظر فى النجوم وكان بها حاذقا فرأى أن مصر لابد أن تغرق من نيلها وانها تخرب على يد رجل يأتى من ناحية الشام فجمع كل فاعل بمصر وبنى مدينة فى الواح الاقصى وقصده ملك الافرنجة وملك منه مدينة منف وقدم معه ألف مركب وهدم اكثر الاسكندرية ودخل الى النيل من رشيد حتى أخذ منف وفر منه صا الى المدائن الداخلة وتحصن بها من عدوه فامتنعت بالطلسمات أياما كثيرة ثم كانت العاقبة له وعاد عدوه منهزما ورجع الى منف فتتبع الكهنة وقتل منهم كثيرا وأقام ملكا سبعا وستين سنة وعاش مائة وسبعين سنة *(وملك ابنه تدراس واستولى على الاحياز كلها وصفا له الوقت وملك مصر وكان محتكما مجربا ذا أيد وقوة ومعرفة بالامور فأظهر العدل وأقام الهياكل واهلها قياما حسنا وبنى بيتا للزهرة وحفر خليج سخا وحارب بعض عمالقة الشام ودخل الى فلسطين وقتل بها خلقا وسبى بعض اهلها الى مصر وغزا السودان من الزنج والحبشة ووجه فى النيل بثلثمائة سفينة فلقى السودان وكانوا زهاء ألف ألف فهزمهم وقتل اكثرهم وأسر منهم خلقا كثيرا وساق الفيلة والنمور الى مصر وعمل على حدود بلده منارات زبر عليها اسمه ومسيره وظفره وفى أيامه بعث الله نبيه صالحا الى ثمود ويقال انه هو الذى انزل النوبة حيث هى وذلك أنه لما أوغل فى أرض الحبشة وقتل امم السودان وجد فيهم امة تقرأ صحف آدم وشيث وادريس فمن عليها وأنزلها على نحو من شهر من أرض مصر فسموا النوبة ومات بمنف *(فملك بعده ابنه ماليق) وكان عاقلا كريما حسن الصورة مجربا مخالفا لابيه وأهل مصر فى عبادة الكواكب والبقر ويقال انه كان موحدا على دين أجداده

قبطيم ومصرايم وكانت القبط تذمه لذلك وأمر الناس باتخاذ كل فاره من الخيل واقتنى السلاح وأكثر الاسفار وانشأ في بحر المغرب مائتي سفينة وخرج في جيش عظيم في البرّ والبحر وأتى البربر فهزمهم واستاصل اكثرهم وبلغ أفريقية وسار الى الاندلس يريد الافرنجة فلم يمرّ بامة الا أبادها فحشد له ملك الافرنجة وحاربه شهرا ثم طلب صلحه وأهدى اليه فسار عنه ودوّخ الامم المتصلة بالبحر الاخضر والقبط تذكر أنه رأى سبعين أعجوبة وعمل أعمالا على البحر وزبر عليها اسمه ومسيره وخرّب مدن البربر ورجع فتلقاه اهل مصر بأصناف الرياحين وأنواع اللهو وفرشت له الطرقات فهابه الملوك وحملوا اليه الهدايا ومازال موحدا حتى مات * (فملك بعده ابنه حزابا) وكان لينا سهل الخلق قد عرّفه ابوه التوحيد ونهاه عن عبادة الاصنام فرجع عن ذلك بعده الى دين قومه وغزا الهند والسودان بعدما عمل مائة سفينة على شكل سفن الهند وتجهز وحمل معه امرأته ووجوه اصحابه واستخلف ابنه كلكلي على مصر وكان صبيا وجعل معه وزيرا كاهنا ثم على ساحل اليمن وعاث في مدائنه وبلغ سرنديب وأوقع بأهلها وبلغ جزيرة بين الهند والصين فأذعن له اهلها وتنقل في تلك الجزائر سنين فيقال انه أقام في سفره سبع عشرة سنة ورجع غانما فهابه الملوك وبنى عدة هياكل وأقام بها الاصنام للكواكب ثم غزا نواحي الشام فأطاعه اهله ورجع فغزا النوبة والسودان وضرب عليهم خراجا يحملونه اليه ورفع أقدار الكهنة ومصاحفهم وكان يرى أن هذا الظفر بمعونة الكواكب له ومات وقد ملك خمسا وسبعين سنة *فقام ابنه كلكلي) وعقدله بالاسكندرية فأقام بها اشهرا ثم قدم الى منف وكان أصنا ميا فسرّ به اهل مصر وكان يحب الحكمة واظهار العجائب ويقرّب اهلها ويجيزهم وعمل الكيمياء وخزن اموالا عظيمة بصحارى الغرب وهو أوّل من أظهر علم الكيمياء بمصر وكان علمها مكتوما وكان من تقدّمه من الملوك امروا بترك صنعتها فعملها كلكلي وملأ دور الحكمة منها حتى لم يكن الذهب في زمن بمصر اكثر منه في وقته ولا الخراج لانه كان مائة ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف مثقال فاستغنوا عن اثارة المعادن وعمل أيضا من الحجارة الملوّنة التي تشف شيأ كثيرا وعمل من الفيروزج وغيره اشياء واخترع امورا تخرج عن حدّ العقل حتى سمي حكيم الملوك وغلب جميع الكهنة في علومهم وكان يخبرهم بما يغيب عنهم وكان نمرود ابراهيم عليه السلام في وقته فاتصل بنمرود خبر حكمته وسحره فاستزاره وكان النمرود جبارا مشوّه الخلق يسكن السواد من العراق وآتاه الله قوّة وقدرة وبطشا فغلب على كثير من الامم فتقول القبط انّ النمرود لما استزار كلكلي وجه اليه أن يلقاه بموضع كذا فسار الى الموضع على أربعة أفراس تحمله ذوات أجنحة وقد أحاط به نور كالنار وحوله صور هائلة وقد خيل بها وهو متوشح بثعبان متحزم ببعضه وقد فغرفاه وهو يضربه بقضيب آس فلما رآه النمرود هاله وأقرّ له بجليل الحكمة وسأله أن يكون ظهيرا له ويقال انه كان يرتفع ويجلس على الهرم الغربي في قبة تلوح على رأسه فاذا دهم اهل البلد امر اجتمعوا حول الهرم فيقيم اياما لا يأكل ولا يشرب ثم استتر مدّة حتى توهموا أنه هلك فطمع فيه الملوك وقصده ملك من الغرب في جيش عظيم حتى قدم وادي هبيب فأقبل حتى جللهم من سحره بشئ كالغمام شديد الحرّ فأقاموا تحته أياما متحيرين ثم طار الى مصر وأمرهم بالخروج الى الجيش فوجدوهم قد ماتوا هم ودوابهم فهابه الكهنة مهابة لم يهابوها أحدا قبله وعمر طويلا وغاب فلم يعلم خبره * وقال ابن عبد الحكم انّ كلكلي ابن حزابا ملكهم نحو مائة سنة ثم مات ولا ولد له * (فملك أخوه ماليا بن حزابا قال ابن وصيف شاه وقام اخوه ماليا) وكان شرها كثير الاكل والشرب منفردا بالرفاهية غير ناظر في شئ من الحكمة وجعل أمر البلد الى وزيره واشتغل بالنساء وكان له من النساء ثمانون امرأة فهجم عليه ابنه طوطيس وهو سكران فقتله وقتل امرأة كانت عنده * (وملك بعده ابنه طوطيس) ويقال انه عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ويقال الوليد بن الريان وانه أحد فراعنة مصر من ولد دان بن فهلوج بن امراز بن أشود بن سام ابن نوح وقيل فراعنة مصر من ولد عملاق الاوّل بن لاود بن سام بن نوح وكان جبارا جريأ شديد الباس مهابا والقبط تزعم أنه اوّل الفراعنة بمصر وهو فرعون ابراهيم عليه السلام ويقال ان الفراعنة سبعة هو اوّلهم وحفر نهرا في شرقيّ مصر بسفح الجبل حتى ينتهي الى مرفا السفن في البحر الملح وكان يحمل الى هاجر أمّ اسماعيل التي أعطاها ابراهيم عليه السلام الحنطة وأصناف الغلات فتصل الى جدّة فأحيى بلد الحجاز مدّة ويقال ان كل ما حليت به الكعبة في ذلك العصر مما أهداه ملك مصر واكثره ما حمل الى الحجاز سمته العرب من جرهم

الصادوق * وفي كتاب هروشيش أن سلطان المصريين في زمن ابراهيم الخليل عليه السلام كان بأيدي قوم يدعون بني فاليق بن دارش ودام ملكهم بمصر مائة وعشرين سنة وقال ابن اسحق عن بعضهم ان فراعنة مصر من ولد دان بن فهلوج بن اصراز بن اشود بن سام بن نوح قال والمشهور أنهم من العماليق منهم الريان بن الوليد ويقال الوليد بن الريان فرعون يوسف والوليد بن مصعب فرعون موسى ومنهم سنان بن علوان قال ابن وصيف شاه وانما قيل له فرعون لانه اكثر القتل ولم يرزق غير ابنة وكانت عاقلة فخافت لكثرة قتله الناس فقتلته بسم وله في الملك مائة وسبعون سنة * (وملكت بعده جورياق) فوعدت الناس بالاحسان وجمعت الاموال وقدمت الكهنة واهل الحكمة ورؤساء السحرة ورفعت أقدارهم وجددت الهياكل وصار من لم يرضها الى مدينة اتريب وملكوا رجلا من ولد اتريب وقد تقدم خبره في الاسكندرية وجورياق أول امرأة ملكت مصر من ولد نوح عليه السلام وماتت * (فملكت بعدها ابنة عمها زلفى بنت مامون) وكانت عذراء عاقلة فوعدت الناس بالجميل وقام عليها أيمن الاتريبي واستنصر بملك العمالقة فسير معه قائدا فأخرجت اليه جيشا فالتقوا بالعريش واقتتلوا حتى فني منهم كثير من الناس ثم انهزم اصحاب زلفى الى منف وهم في أقفيتهم فخرجت زلفى الى الصعيد ونزلت الاشمونين فكان بينها وبين عساكر العمالقة حروب انهزموا فيها وخرجوا عن منف بعدما عاثوا فيها وعدوا الى الجرف فاشتغلوا به وصارت مصر بينهم نصفين ثم ان زلفى عاودت الحرب فاستمرت ثلاثة اشهر حتى انهزمت الى قوص وأيمن خلفها فلما أيقنت انها تؤخذ سمت نفسها فهلكت وقال ابن عبد الحكم ثم توفى طوطيس بن ماليا فاستخلفت ابنته جورياق ابنة طوطيس ولم يكن له ولد غيرها ثم توفيت جورياق فاستخلفت ابنة عمها زلفى ابنة مامون بن ماليا فعمرت دهرا طويلا وكثروا ونموا وملأوا أرض مصر كلها فطمعت فيهم العمالقة فغزاهم الوليد بن دومع فقاتلهم قتالا عظيما ثم رضوا أن يملكوه عليهم فملكهم نحوا من مائة سنة فطغى وتكبر وأظهر الفاحشة فسلط الله عليه سبعا فافترسه واكل لحمه * والذي ملك مصر من الفراعنة خمسة * وملك ايمن وتجبر وقتل خلقا ممن حاربه وكان الوليد بن دومع العمليقي قد خرج في جيش كثيف فبعث غلاما يقال له فرعون الى مصر ففتحها ثم قدم بعده واستباح اهل مصر وأخذ أموالهم ثم خرج ليقف على مصب النيل فرأى جبل القمر وأقام في غيبته أربعين سنة ورجع الى مصر وقد خالفه فرعون وفر منه فاستعبد اهل مصر وملكهم مائة وعشرين سنة حتى هلك * (وملك ابنه الريان بن الوليد بن دومع) أحد العمالقة وكان أقوى اهل الارض في زمانه وأعظمهم ملكا * والعمالقة ولد عمليق بن لاود بن سام بن نوح وهو فرعون يوسف عليه السلام والقبط تسميه نهراوش وقيل فرعون يوسف اسمه الريان بن الوليد بن ليث بن فاران ابن عمرو بن عمليق بن بلقع بن عابر بن اشليخا بن لود بن سام بن نوح وقيل فرعون يوسف هو جد فرعون موسى ابو أبيه واسمه برخو وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا فوعد الناس الجميل وأسقط عنهم الخراج لثلاث سنين وفرق المال فيهم * وملك رجلا من اهل بيته يقال له اطفين وهو الذي يقال له العزيز وكان عاقلا أديبا مستعملا للعدل والعمارة فأمر أن ينصب له سرير من فضة في قصر الملك يجلس عليه ويخرج وجميع الكتاب والوزراء بين يديه فكفى نهراوش ما خلف ستره وقام بجميع اموره وخلاه للذاته فأقام على قصفه مدة والبلد عامر فقصده رجل من العمالقة وسار الى مصر في جيوشه فخرج اليه وقاتله وهزمه وسار خلفه ودخل الشام وعاث هنالك فهابته الملوك ولاطفته وقيل انه بلغ الموصل وضرب على اهل الشام خراجا وخرج لغزو بلاد المغرب في تسعمائة ألف ومر بأرض البربر وجلا كثيرا منهم ومر الى البحر الاخضر وسار الى الجنوب فقدم النوبة وعاد الى مدينة منف وكان من خبر يوسف معه ما ذكر عند ذكر الفيوم * (وملك بعده ابنه دريموش) ويقال له دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع فخالف سنة أبيه وكان يوسف خليفته فيقبل منه تارة ويخالفه تارة وظهر في أيامه معدن فضة فأثار منه شيأ عظيما وفي أيامه مات يوسف عليه السلام فاستوزر بعده رجلا حمله على أذى الناس وأخذ اموالهم فبلغ ذلك منهم مبلغا عظيما ثم زاد في التجري حتى اقتلع كل امرأة جميلة بمدينة منف من اهلها فكان لا يسمع بامرأة حسناء في موضع الا وجه اليها فحملت اليه فاضطرب الناس وشنعوا عليه وعطلوا الصنائع والاعمال والاسواق فعدا عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وزاد الامر حتى اجتمعوا على خلعه فبرز لهم وأسقط عنهم خراج ثلاث سنين وانفق فيهم مالا فسكتوا وفي أيامه ثار القبط على بني اسرائيل وطلبوا

من الوزير أن يخرجهم من مصر فما زال بهم حتى أمسكوا وبلغ الملك ذلك وكان قد خرج الى الصعيد فتوعد أهل مصر فشغبوا عليه وحشد واله وحاربوه فقتل منهم خلقا كثيرا وظفر بمن بقي فقتلهم وصلبهم على حافتي النيل وعاد الى أعظم ما كان عليه من أخذ الاموال والنساء واستخدام أشراف القبط وبني اسرائيل فأجمع الكل على ذمه فركب النيل للنزهة وثار به ريح عاصف فغرق فلم يوجد الا بناحية شطنوف وقيل فيما بين طرا وحلوان * (فقدم الوزير ابنه معاديوس) وكان صبيا ويقال له معدان فأسقط عن الناس ما أسقطه ابوه من الخراج ووعد بالاحسان فاستقام له الامر وورث نساء الناس وهو خامس الفراعنة وحدث في زمانه طوفان مصر وكثر بنوا اسرائيل وعابوا الاصنام فأفردوا ناحية عن البلد بحيث لا يختلط بهم غيرهم وأقطعوا موضعا في قبلي منف فاجتمعوا فيه وبنوا فيه معبدا وغلب بعض الكنعانيين على الشام ومنع من الضريبة التي كانت على اهل الشام للملك بمصر فاجتمع الناس الى معدان وحثوه على المسير لحربه فامتنع من المسير ولزم الهيكل فزعموا أنه قام في هيكل زحل للعبادة فتجلى له زحل وخاطبه وقال له قد جعلتك ربا على أهل بلادك وحبوتك بالقدرة عليهم وعلى غيرهم وسأرفعك الي فلا تخل من ذكري فعظم عند نفسه وتجبر وأمر الناس أن يسموه ربا وترفع عن أن ينظر في شئ من امر الملك وجعل عليه ابنه اكسامس * (فقام ابنه اكسامس في الملك) ويقال كاسم بن معدان فرتب الناس مراتب وقسم الكور والاعمال وأمر باستنباط العمارات واظهار الصناعات ووسع على الناس في أرزاقهم وأمر بتنظيف الهياكل وتجديد لباسها وأوانيها وزاد في القرابين وهو الذي يقال له كاشم بن معدان ابن دارم بن الريان بن الوليد بن دومع العمليقي وهو سادس الفراعنة وسموا فراعنة بفرعان الاول فصار اسما لكل من تجبر وعلا أمره فطال ملكه وأقام أعلاما كثيرة حول منف وعمل مدنا كثيرة ومنابر للوقودات وطلسمات وأقام سبع سنين بأجل امر فلما مات وزير أبيه استخلف رجلا من اهل بيت المملكة يقال له ظلما ابن قومس وكان شجاعا ساحرا كاهنا كاتبا حكيما متصرفا في كل فن وكانت نفسه تنازعه الملك فأصلح أمر الملك وبني مدنا من الجانبين ورأى في نجومه أنه سيكون حدث فبنى بناحية رقودة والصعيد ملاعب ومصانع وشكا اليه القبط من الاسرائيليين فقال هم عبيدكم فأذلوهم من حينئذ وخرج الى ناحية البربر فعاث وقتل وسبي وفي ايامه بنيت منارة الاسكندرية وهاج البحر الملح فغرق كثيرا من القرى والجنان والمصانع ومات اكسامس وكان ملكه احدى وثلاثين سنة منها احدى عشرة سنة يدبر أمره ظلما فلما مات اضطرب الناس واتهموا ظلما أنه سمه فقام * وولي لاطيس بن اكسامس) وكان جريا معجبا صلفا فأمر ونهى وألزم الناس أعمالهم وقال أنا مستقيم ما استقمتم وان ملتم عن الواجب ملت عنكم وحط جماعة عن مراتبهم وصرف ظلما عن خلافته واستخلف غيره وأنفذ ظلما الى الصعيد في جماعة من الاسرائيليين وجدد بناء الهياكل وبنى القرى وأثار معادن كثيرة وكنزا في صحراء الشرق عدة كنوز وكان يحب الحكمة ثم تجبر وعلا أمره وأمر أن لا يجلس احد في مجلسه ولا في قصر الملك لا كاهن ولا غيره بل يقومون على أرجلهم حتى يمضوا وزاد في أذى الناس والعنف بهم ومنع فضول ما بأيديهم وقصرهم على القوت وجمع اموالهم وطلب النساء وانتزع كثيرا منهن وفعل اكثر مما فعله من تقدم قبله واستعبد بني اسرائيل وقتل جماعة من الكهنة فأبغضه الخاص والعام وثار ظلما بالصعيد وكاتب وجوه الناس فكتب لاطيس بصرفه عن العمل فامتنع وحارب عساكره وزحف حتى دخل منف * ظلما بن قومس فرعون موسى يقال ان اسمه الوليد بن مصعب بن اراهون بن الهلوت بن قاران بن عمرو ابن عمليق بن بلقع بن عابر بن اشليخا بن لود بن سام بن نوح وانه من العمالقة وكان قصيرا طويل اللحية أشهل العين اليمنى صغير العين اليسرى اعرج وزعم قوم انه من القبط وان نسبه ونسب اهل بيته مشهور عندهم وقيل غير ذلك وكان من خبره ما ذكرناه في كنيسة دموه وقال ابن عبد الحكم ولما أغرق الله فرعون بقيت مصر بعد غرقه ليس فيها من أشراف اهلها احد ولم يبق الا العبيد والاجراء والنساء فأعظم أشراف من بمصر من النساء أن يولين منهم احدا وأجمع رأيهن أن يولين امرأة يقال لها دلوكة * (فملكت دلوكة ابنة زبا) ويقال دلوكة بنت قاران وكان لها عقل وتجارب ومعرفة وكانت في شرف منهن وهي يومئذ بنت مائة وستين سنة فبنت جدارا حصنت به مصر من الاعداء وكان من حد زنج الى افريقية الى الواحات الى بلد النوبة على كل موضع منه حرس قيام ليلهم ونهارهم يقدون النار وقود الا يطفأ أبدا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها

فيه

في ستة أشهر وهو حائط العجوز وفي أيامها بنت تدورة الساحرة البرابي في وسط منف فملكتهم دلوكة عشرين سنة حتى بلغ صبي من أبناء أكابرهم يقال له * دركون بن بلاطس ثم مات واستخلف ابنه بودست ثم توفي بودست بن دركون فاستخلف أدقاش فلم يملك الا ثلاث سنين حتى مات فاستخلف أخوه مرينا بن مرينوس ثم توفي فاستخلف استادس بن مرينا فطغى وتكبر وسفك الدم وأظهر الفاحشة فخلعوه وقتلوه وبايعوا رجلا من أشرافهم يقال له بلطوس بن ميناكيل فملكهم أربعين سنة ثم توفي فقام ابنه مالوس ثم توفي مالوس فاستخلف أخوه ميناكيل بن بلطوس بن ميناكيل فملكهم زمانا ثم توفي واستخلف ابنه بولة بن ميناكيل فملكهم مائة وعشرين سنة وهو الاعرج الذي سبى ملك بيت المقدس وقدم به الى مصر وكان قد تمكن وطغى وبلغ مبلغا لم يبلغه احد ممن قبله بعد فرعون فصرعته دابته فمات وقيل له الاعرج لانه لما غزا اهل بيت المقدس ونهبهم وسبى ملكهم يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا هم أن يصعد على كرسي نبي الله سليمان بن داود وكان بلولب لا يمكن أحدا أن يصعد عليه الا برجليه جميعا فصعد برجل واحدة وهي اليمنى فدار اللولب على ساقه الاخرى فاندقت فلم يزل يخمع بها الى أن مات فلذلك سمي الاعرج * فاستخلف مرينوس بن بولة فملكهم زمانا ثم توفي واستخلف ابنه قرقورة فملكهم ستين سنة ثم توفي واستخلف أخوه نقاس بن مرينوس وانهدم البربا في زمنه فلم يقدر أحد على اصلاحه ثم توفي نقاس واستخلف ابنه قوميس بن نقاس فملكهم دهرا وحاربه بخت نصر وقتله وخرب مدينة منف وغيرها من المدائن وسبى اهل مصر ولم يترك بها أحدا حتى بقيت أرض مصر أربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن * وذكر في ترجمة كتاب هروشيش الاندلسي في وصف الدول والحروب أن فيما بين غرق فرعون موسى الى مائة وسبع سنين كان بمصر ملك يسمى نوشردس كان يقتل الغرباء والاضياف ويذبحهم لاوثانه ويجعل دماءهم قربانا لها وأن بعد غرق فرعون الى ثلثمائة وثمان وعشرين سنة كان بمصر ملك يسمى بروبه وكان عظيم المملكة قوي السلطان أخذ بالحرب اكثر نواحي الجنوب برا وبحرا وهو أول من حارب الروم الذين قيل لهم بعد ذلك الغوط وكان قد أرسل اليهم يدعوهم الى طاعته ويخوفهم حربه فجاوبوه ليس من الرأي المحمود للملك الغني محاربة قوم فقراء لكثرة نوازل الحروب واختلاف حوادثها بالظفر والهلاك وانا لا ننتظر مجيئك بل نسرع لغارتك وأتبعوا قولهم عملا وخرج فرعون اليهم فخرجوا مسرعين اليه وهزموا جيوشه ونهبوا عساكره وامواله وعدده وجميع ذخائره ومضوا فنهبوا أرض مصر حتى كادوا يغلبون عليها لولا وحول عرضت لهم منعتهم مما خلفها ثم انصرفوا الى بلاد الشام بحروب متصلة حتى أذلوا اهلها وجعلوهم يؤدون اليهم المغارم وأقاموا محاربين لمن خالفهم في غزوتهم خمس عشرة سنة ولم ينصرفوا الى بلادهم حتى اتتهم من نسائهم من يقول لهم اما أن تنصرفوا واما أن نتخذ الازواج ونطلب النسل من عند المجاورين لنا فعند ذلك انصرفوا الى بلادهم وقد امتلأت ايديهم اموالا وأوقارا جمة وقد خلفوا وراءهم ذكرا مفزعا ويقال ان ملوك مدين ملكوا مصر خمسمائة عام بعد غرق فرعون وهلاك دلوكة حتى اخرجهم منها نبي الله سليمان بن داود فعاد الملك بعدهم الى القبط وان جالوت ابن بالوت لما قتله داود سار ابنه جالوت بن جالوت الى مصر وبها ملوك مدين فأنزله ملك مصر بالجانب الغربي فأقام بها مدة ثم سار الى بلاد الغرب ويقال ان القبط ملكوا مصر بعد دلوكة وابنها مدة ستمائة سنة وعشرين سنة وعدتهم سبعة وعشرون ملكا منهم دبوسه ولبطاو ومدته ثمان وسبعون سنة وقيل ثمان وثمانون سنة ثم ملك بعده سماتادوس ستا وعشرين سنة وقام بعده سوماناس مدة مائة سنة ثم ملك مفغراس أربع سنين ثم ملك اماناقوناس تسع سنين ثم امحوريس ست سنين ثم فسيناخس تسع سنين ثم فسوسانس خمسا وثلاثين سنة ثم ملك سوناخوسيس احدى وعشرين سنة ثم ملك اسابيون خمس عشرة سنة ثم طافالونيس ثلاث عشرة سنة ثم نطافاناسطلس خمسا وعشرين سنة ثم اساراؤن تسع سنين ثم ملك فسامرس عشر سنين ثم اوفايتواس أربعا وأربعين سنة ثم ساباقور ثنتي عشرة سنة ثم سخس الحبشي ثنتي عشرة سنة ثم طراحوش الحبشي عشرين سنة ثم امراس الحبشي ثنتي عشرة سنة ثم استاطفيناس سبع سنين ثم باخفاسوس ست سنين ثم باخو ثمان سنين ثم فساماملطيقوش أربعا وأربعين سنة ثم بخنوفا ست سنين ثم فسامرتاس سبع عشرة سنة ثم وافرس خمسا وعشرين سنة ثم أماساس اثنتين وأربعين سنة * وملك بعد هؤلاء

مصر خمسة ملوك من ملوك بابل وهم امر طوش ست سنين ثم مافرطاس سبع سنين ثم اوخرس اثنتى عشرة سنة ثم فساموت مدة سنتين ثم ملك موتاطوس سبع سنين * ثم ملك ثلاثة ملوك من اثوروهم الجرامقة الذين ملكوا الموصل والجزيرة وهم نافاطانبوش ثلاث عشرة سنة ثم طوس سبع سنين ثم نافاطانداس ثمان عشرة سنة * ثم انتقل ملك مصر منهم الى الاسكندربن فيلبش اليونانى وهذه اسماء رومية ولعلها اوبعضها متداخل فيما تقدم ذكره ممن ملك بعد دلوكة وبين بخت نصر وبين الطوفان ألفا سنة وثلثمائة وست وخمسون سنة واشهر ويجتمع من حساب ماوقع فى التوراة أن بين الطوفان وبين خراب بيت المقدس على يد بخت نصر من السنين ألفاوستمائة وأربعاوثمانين سنة وهذا خلاف مانقله المسعودى والله تعالى أعلم بالصواب

(ذكر مدينة الاسكندرية)

هذه المدينة من اعظم مدائن الدنيا وأقدمها وضعا وقد بنيت غير مرة فأول مابنيت بعد كون الطوفان فى زمان مصرايم بن بيصر بن نوح وكان يقال لها اذ ذاك مدينة رقودة ثم بنيت بعد ذلك مرتين فلما كان فى ايام اليونانيين جددها الاسكندر بن فيلبش المقدونى الذى قهر دارا وملك ممالك الفرس بعد تخريب بخت نصر مدينة منف بمائة وعشرين سنة شمسية فعرفت به ومنذ جددها الاسكندر المذكور انتقل تخت المملكة من مدينة منف الى الاسكندرية فصارت دار المملكة بديار مصر ولم تزل على ذلك حتى ظهر دين الاسلام وقدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين وفتح الحصن والاسكندرية وصارت ديار مصر أرض اسلام فانتقل تخت الملك حينئذ من الاسكندرية الى فسطاط مصر وصار الفسطاط من بعد الاسكندرية دار مملكة ديار مصر * وسأقص عليك من أخبار الاسكندرية ماوصل اليه علمى ان شاء الله تعالى *(ذكر أبو الحسن المسعودى فى كتاب اخبار الزمان أن الكوكة وهى امة فى غابر الدهر من اهل ايلة ملكوا الارض وقسموها على ثلاثين كورة واربعة أقسام كل قسم عمل وبنوا فى كل عمل مدينة بها ملك يجلس على منبر من ذهب وله بربا وهى بيت الحكمة وله هيكل على اسم كوكب فيه اصنام من ذهب وجعلوا الاسكندرية واسمها رقودة خمس عشرة كورة وجعلوا فيها كبار الكهنة ونصبوا فى هيا كلها من أصنام الذهب اكثر مما نصبوا فى غيرها فكان مابها اما تاصنم من ذهب وقسموا الصعيد ثمانين كورة على أربعة اقسام وثلاثين مدينة فيها جميع العجائب * وذكر بطليموس فى كتاب الاقاليم ووصف الجزائر والبحار والمدن أن مدينة الاسكندرية لبرج الاسد ودليلها المريخ وساعاتها اربع عشرة ساعة وطولها ستون درجة ونصف درجة يكون ذلك أربع ساعات مستوية وثلث عشر ساعة * وقال ابن وصيف شاه فى ذكر أخبار مصرايم بن بيصر بن نوح وعلمهم ايضا عمل الطلسمات وكانت تخرج من البحر دواب تفسد زرعهم وجناتهم وبنيانهم فعملوا لها الطلسمات فغابت ولم تعد وبنوا على غير البحر مدنا منها مدينة رقودة مكان الاسكندرية وجعلوا فى وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب والقبة مذهبة ونصبوا فوقها مرآة من اخلاط شتى قطرها خمسة أشبار وارتفاع القبة مائة ذراع فكانوا اذا قصدهم قاصد من الامم التى حولهم فان كان مما يهمهم وكان من البحر عملوا لتلك المرآة عملا فألقت شعاعها على ذلك الشئ فأحرقته فلم تزل الى أن غلب البحر عليها ويقال ان الاسكندر انما عمل المنارة تشبيها بها وكان عليها أيضا مرآة يرى فيها من يقصدهم من بلاد الروم فاحتال عليهم بعض ملوكهم ووجه اليها من أزالها وكانت من زجاج مدبر * قال وذكر بعض القبط أن رجلا من بنى الكهنة الذين قتلهم ايساد ملك مصر صار الى ملك كان فى بلاد الافرنجة فذكر له كثرة كنوز مصر وعجائبها وضمن له أن يوصله الى ملكها وأموالها ويرفع عنه أذى طلسماتها حتى يبلغ جميع مايريد فلما اتصل بصا بن مرقونس أخى ايساد وهو ملك مصر يومئذ أن صاحب بلاد الافرنجة يتجهز اليه عمد الى جبل بين البحر الملح وشرقى النيل فأصعد اليه اكثر كنوزه وبنى عليها قبابا مصفحة بالرصاص وظهر صاحب بلاد الافرنجة فى ألف مركب فكان لا يمر بشئ من أعلام مصر ومنازلها الا هدمه وكسر الاصنام بمعونة ذلك الكاهن حتى اتى الاسكندرية الاولى فعاث فيها وفيما حولها وهدم اكثر معالمها الى أن دخل النيل من ناحية رشيد وصعد الى منف واهل النواحى يحاربونه وهو ينهب مامر به ويقتل ماقدر عليه الى أن طلب المدائن الداخلة

لاخذ كنوزها فوجدها ممتنعة بالطلسمات الشداد والمياه العميقة والخنادق والشداخات فأقام عليها أياما كثيرة فلم يمكنه الوصول اليها وغضب على الكاهن فقتله من أجل أن جماعة من اصحابه هلكوا فاجتمع اهل النواحى وقتلوا من اصحابه الذين بالمراكب خلقا وأحرقوا بعض المراكب وقام اهل مصر بسحرهم وتهاويلهم فأتت رياح اغرقت اكثر مراكبه حتى نجا بنفسه وقد خرج فعاد الناس الى منازلهم وقراهم ورجع الملك صا الى مدينة منف وأقام بها وتجهز لغزو بلدان الروم وبعث اليها وخرب الجزائر فيها بنه الملوك وتتبع الكهنة فقتل منهم خلقا كثيرا وأقام ملكا سبعا وستين سنة ومات وعمره مائة وسبعون سنة ودفن بمنف فى وسطها تحت الارض ومعه الاموال والجواهر والتماثيل والطلسمات كما فعل آباؤه منها أربعة آلاف مثقال ذهبا على صور حيوانات برية وبحرية وتمثال عقاب من حجر أخضر وتمثال تنين من ذهب وزبروا عليها اسمه وغلبته الملوك وسيرته وعهد الى ابنه تدراس قال ولما جلست جورياق ابنة طوطيس اول فراعنة مصر وهو فرعون ابراهيم الخليل عليه السلام على سرير الملك بعد قتلها الأبيها وعدت الناس بالاحسان وأخذت فى جمع الاموال فاجتمع لها مالم يجتمع للملك وقدمت الكهنة واهل الحكمة ورؤساء السحرة ورفعت أقدارهم وأمرت بتجديد الهياكل وصار من لم يرضها الى مدينة اتريب وملكوا عليهم رجلا من ولد اتريب يقال له ايداخس فعقد على رأسه تاجا واجتمع اليه جماعة فأنفذت اليه جيشا فهزموه وقتلوا اكثر أصحابه فهرب الى الشام وبها الكنعانيون فاستغاث بملكهم فجهزه بجيش عظيم ففتحت جورياق الخزائن وفرقت الاموال وقوت السحرة فعملوا أعمالهم وتقدم ايداخس بجيوش الكنعانيين وعليها قائد منهم يقال له جبرون فلما نزلوا أرض مصر بعثت ظئرا لها من عقلاء النساء الى القائد سرا عن ايداخس تعرفه رغبتها فى تزوجه وانها لاتختار أحدا من اهل بيتها وأنه ان قتل ايداخس تزوجت به وسلمته ملك مصر ففرح بذلك وسم ايداخس بسم أنفذته اليه فقتله وبعثت اليه بعد قتل ايداخس أنه لايجوز أن أتزوجك حتى يظهر قومك فى بلدى وتبنى لى مدينة عجيبة وكان افتخارهم حينئذ بالبنيان وأقامة الاعلام وعمل العجائب وقالت انتقل من موضعك الى غربى بلدى فثم آثار لنا كثيرة فاقتف تلك الاعمال وابن عليها ففعل وبنى مدينة فى صحراء الغرب يقال لها قيدومة وأجرى اليها من النيل نهرا وغرس حولها غروسا كثيرة وأقام بها منارا عاليا فوقه منظر مصفح بالذهب والفضة والزجاج والرخام وهى تمده بالاموال وتكاتب صاحبه عنه وتهاديه وهو لايعلم فلما فرغ منها قالت له ان لنا مدينة اخرى حصينة كانت لاوائلنا وقد خربت منها أمكنة وتشعث حصنها فامض اليها واعمل فى اصلاحها حتى أنتقل انا الى هذه المدينة التى بنيتها فاذا فرغت من اصلاح تلك المدينة فأنفذ الى جيشك حتى اصير اليك وأبعد عن مدينتى وأهل بيتى فانى اكره أن تدخل على بالقرب منهم فمضى وجد فى عمل الاسكندرية الثانية * وأهل التاريخ يذكرون أن الذى قصدها الوليد بن دومع العمليقى ثانى الفراعنة وكان سبب قصدها أنه كان به علة فوجه الى الاقطار ليحمل اليه من مائها حتى يرى مايلائمه فوجه الى مملكة مصر غلاما فوقف على كثرة خيراتها وحمل اليه من مائها وألطافها وعاد اليه فعرفه حال مصر فسار اليها فى جيش كثيف وكاتب الملكة يخطبها لنفسه فأجابته وشرطت عليه أن يبنى لها مدينة يظهر فيها ايده وقوته ويجعلها لها مهرا فأجابها وشق مصر الى ناحية الغرب فبعثت اليه أصناف الرياحين والفواكه وخلقت وجوه الدواب فمضى الى الاسكندرية وقد خربت بعد خروج العادية منها فنقل ماكان من حجارتها ومعالمها وعمدها ووضع أساس مدينة عظيمة وبعث اليها مائة ألف فاعل وأقام فى بنائها مدة وأنفق جميع ماكان معه من المال وكلما بنى شيأ خرج من البحر دواب فتقلعه فاذا اصبح لم يجد من البناء شيأ فاهتم لذلك وكانت جورياق قد أنفذت اليه ألف رأس من المعز اللبون يستعمل ألبانها فى مطبخه وكانت مع راع تثق به يرعاها هنالك فكان اذا أراد أن ينصرف عند المساء خرجت اليه من البحر جارية حسناء فتتوق نفسه اليها فاذا كلمها شرطت عليه أن تصارعه فان صرعها كانت له وان صرعته أخذت من المعز رأسين فكانت طول الايام تصرعه وتأخذ الغنم حتى أخذت اكثر من نصفها وتغير باقيها لشغله بحب الجارية عن رعيها ونحل جسمه فرآه صاحبه وسأله عن حاله فأخبره الخبر فخوفا من سطوته فلبس ثياب الراعى وتولى رعى الغنم يومه الى المساء فخرجت اليه الجارية وشرطت عليه الشرط فأجابها وصارعها فصرعها وشدها فقالت ان كان ولابد من أخذى فسلمنى لصاحبى الاول فانه ألطف بى وقد عذبته مدة فردها اليه وقال له سلها عن هذا البنيان الذى

بنيه ويزال من ليلته من يفعل ذلك وهل فى بنائه من حيلة فسألها الراعى عن ذلك فقالت ان دواب البحر التى تنزع بنيانكم فقال فهل من حيلة قالت نعم تعملون توابيت من زجاج كثيف بأغطية وتجعلون فيها أقواما يحسنون التصوير ويكون معهم صحف وأنقاش وزاد يكفيهم أياما وتحمل التوابيت فى المراكب بعد ما تشد بالحبال فاذا توسطوا الماء أمروا المصورين أن يصوروا جميع ما يمر بهم ثم ترفع تلك التوابيت فاذا وقفتم على تلك الصور فاعملوا لها أشباها من صفر أو حجارة أو رصاص وانصبوها قدام البنيان الذى تبنونه من جانب البحر فان تلك الدواب اذا خرجت ورأت صورها هربت ولم تعد فعرف الراعى صاحبه ذلك ففعله وتم البنيان وبنى المدينة * وقال قوم ان صاحب البناء والغنم هو جيرون كان قصدهم قبل الوليد وانما تاهم الوليد بعد جورياق وقهرهم وملك مصر * وذكروا أن الاموال التى كانت مع جيرون نفدت كلها فى تلك المدينة ولم تتم فأمر الراعى أن يخبر الجارية فقالت ان فى المدينة التى خربت ملعبا مستديرا حوله سبعة عمد على رؤسها تماثيل من صفر قيام فقرب لكل تمثال منها ثورا سمينا ولطخ العمود الذى تحته من دم الثور وبخره بشعر من ذنبه وشئ من نحاتة قرونه وأظلافه وقل له هذا قربانك فأطلق لى ما عندك ثم قس من كل عمود الى الجهة التى يتوجه اليها وجه التمثال مائة ذراع واحفر عند امتلاء القمر واستقامة زحل فانك تنتهى بعد خمسين ذراعا الى بلاطة عظيمة فلطخها بمرارة الثور واقلها فانك تنزل الى سرب طوله خمسون ذراعا فى آخره خزانة مقفلة ومفتاح القفل تحت عتبة الباب فخذه ولطخ الباب ببقية المرارة ودم الثور وبخره بنحاتة قرونه وأظلافه وشعر ذنبه وادخل فانه يستقبلك صنم فى عنقه لوح من صفر مكتوب فيه جميع ما فى الخزانة فخذ ما شئت ولا تعترض ميتا تجده ولا ما عليه وكذلك كل عمود وتمثاله فانك تجد مثل تلك الخزانة وهذه نواويس سبعة من الملوك وكنوزهم فلما سمع ذلك سر به وامتثله فوجد ما لا يدرك وصفه ووجد من العجائب شيأ كثيرا فتم بناء المدينة وبلغ ذلك جورياق فساءها وكانت قد أرادت اتعابه وهلاكه بالحيلة ويقال انه وجد فيما وجد درجا من ذهب مختوما فيه مكحلة زبرجد فيها ذرور اخضر ومعها عرق احمر من اكتحل من ذلك الذرور بالعرق وكان اشيب عاد شابا واسود شعره وأضاء بصره حتى يدرك الروحانيين ووجد تمثالا من ذهب اذا ظهر عمت السماء وأمطرت ومثال غراب من حجر اذا سئل عن شئ صوت وأجاب عنه ووجد فى كل خزانة عشر اعجوبات * فلما فرغ من بناء المدينة وجه الى جورياق يحثها على القدوم اليه فحملت اليه فرشا فاخرا يبسطه فى المجلس الذى يجلس فيه وقالت له اقسم جيشك أثلاثا فأنفذ الى ثلثه حتى اذا بلغت ثلث الطريق فأنفذ الثلث الآخر فاذا جرت نصف الطريق فأنفذ الثلث الباقى ليكونوا من وراءى لئلا يرانى احد اذا دخلت عليك ولا يكون عندك الاصبية تثق بهم يخدمونك فانى اوانيك فى جوار تكفيك الخدمة ولا احتشمهن ففعل وأقامت تحمل الجهاز اليه والاموال حتى علم بمسيرها فوجه اليها ثلث جيشه فحملت لهم الاطعمة والاشربة المسمومة وأنزلهم جواريها وحشمها وقدموا اليهم الاطعمة والاشربة والطيب وأنواع اللهو فلم يصبح منهم احد حيا وسارت فلقيها الثلث الآخر ففعلت به مثل ذلك وهى توجه اليه انها انفذت جيشه الى قصرها وعملكتها يحفظونهما وسارت حتى دخلت عليه هى وظئرها وجواريها فنفخت ظئرها فى وجهه نفخة بهتت اليها ورشت عليه ما كان معها فارتعدت أعضاؤه وقال من ظن أنه يغلب النساء فقد كذبته نفسه وغلبته النساء ثم انها فصدت عروقه وقالت دماء الملوك شفاء وأخذت رأسه ووجهت به الى قصرها ونصبته عليه وحولت تلك الاموال الى مدينة منف وبنت منارا بالاسكندرية وزبرت عليه اسمها واسمه وما فعلت به وتاريخ الوقت فلما بلغ خبرها الملوك هابوها وأطاعوها وهادوها وعملت بمصر عجائب كثيرة وبنت على حد مصر من ناحية النوبة حصنا وقنطرة يجرى ماء النيل من تحتها واعتلت فقلدت ابنة عمها زلفى بنت مامون وماتت * وقال ابن جرداويه روى أن الاسكندرية بنيت فى ثلثمائة سنة وأن اهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار الا بخرق سود مخافة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها ومنارتها العجيبة على سرطان زجاج فى البحر وانه كان فيها سوى اهلها ستمائة ألف من اليهود خول لاهلها * وقال ابن وصيف شاه وكانت العمارة ممتدة فى رمال رشيد والاسكندرية الى برقة فكان الرجل يسير فى أرض مصر فلا يحتاج الى زاد لكثرة الفواكه والخيرات ولا يسير الا فى ظلال تستره من حر الشمس وعمل الملك صا بن قبطيم فى تلك الصحارى قصورا وغرس فيها غروسا وساق اليها من النيل أنهارا فكان يسلك من الجانب الغربى الى حد

الغرب فى عمارة متصلة فلما انقرض اولئك القوم بقيت آثارهم فى تلك الصحارى وخربت تلك المنازل وباد أهلها ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكى ما رآه فيها من الآثار والعجائب * وقال ابن عبد الحكم وكان الذى بنى الاسكندرية وأسس بناءها ذو القرنين الرومى واسمه الاسكندر وبه سميت الاسكندرية وهو أوّل من عمل الوشى وكان أبوه اوّل القياصرة وقيل انه رجل من اهل مصر اسمه مرزبا بن مرزبه اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح صلى الله عليه وسلم وقيل كان من أهل لوبية كورة من كور مصر الغربية وقال ابن لهيعة وأهلها روم ويقال هو رجل من حمير قال تبع

قد كان ذو القرنين جدّى مسلما * ملكا تدين له الملوك بحشد
بلغ المغارب والمشارق يبتغى * أسباب علم من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها * فى عين ذى خلب وثأط حرمد

ويروى قد كان ذو القرنين قبلى مسلما وحدّثنى عثمان بن صالح حدّثنى عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم عن سعد بن مسعود التجيبى عن شيخين من قومه قالا كنا بالاسكندرية فاستطلنا يومنا فقلنا لو انطلقنا الى عقبة بن عامر نتحدث عنده فانطلقنا اليه فوجدناه جالسا فى داره فأخبرناه انا استطلنا يومنا فقال وأنا مثل ذلك انما خرجت حين استطلته ثم أقبل علينا فقال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخدمه فاذا أنا برجال من اهل الكتاب معهم مصاحف او كتب فقالوا استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرفت اليه فأخبرته بمكانهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى ولهم يسألونى عما لا أدرى انما أنا عبد لا أعلم الا ما علمنى ربى ثم قال ابغنى وضوءا فتوضأ ثم قام الى مسجد بيته فركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرفت السرور فى وجهه والبشر ثم انصرف فقال أدخلهم ومن وجدت بالباب من اصحابى فأدخلته قال فأدخلتهم فلما وقفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ان شئتم أخبرتكم عما أردتم أن تسألونى قبل أن تتكلموا وان احببتم تكلمتم وأخبرتكم قالوا بلى أخبرنا قبل أن نتكلم قال احببتم أن تسألونى عن ذى القرنين وسأخبركم عما تجدونه مكتوبا عندكم ان اول امره انه غلام من الروم اعطى ملكا فسار حتى أتى ساحل البحر من أرض مصر فابتنى عنده مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فعرج به حتى استقله فرفعه فقال انظر ما تحتك فقال أرى مدينتى وأرى مدائن معها ثم عرج به فقال انظر فقال قد اختلطت مدينتى مع المدائن فلا اعرفها ثم زاد فقال انظر فقال أرى مدينتى وحدها ولا ارى غيرها قال له الملك انما تلك الارض كلها والذى ترى يحيط بها هو البحر وانما أراد ربك أن يريك الارض وقد جعل لك سلطانا فيها سوف يعلم الجاهل ويثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ثم أتى السدّين وهما جبلان لينان يزلق عنهما كل شئ فبنى السدّ ثم جاز يأجوج ومأجوج فوجد قوما وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد امّة قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ووجد أمّة من الغرانيق يقاتلون القوم القصار ثم مضى فوجد أمّة من الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة ثم افضى الى البحر المدير بالارض فقالوا نشهد أن امره هكذا كما ذكرت وانا نجده هكذا فى كتابنا * وعن خالد بن معدان الكلاعى انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب قال خالد وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بالانبياء حتى تسميتم بالملائكة * وقال قتادة عن الحسن كان ذو القرنين ملكا وكان رجلا صالحا قال وانما سمى ذا القرنين لانّ عليا رضى الله عنه سئل عن ذى القرنين فقال لم يكن ملكا ولا نبيا ولكن كان عبدا صالحا أحب الله فأحبه الله ونصح لله فنصحه الله بعثه الله عز وجل الى قومه فضربوه على قرنيه فمات فسمى ذا القرنين ويقال انما سمى ذا القرنين لانه جاوز قرنى الشمس من المغرب والمشرق ويقال انما سمى ذا القرنين لانه كان له غديرتان من شعر رأسه يطأ فيهما وقيل بل كان له قرنان صغيران تواريهما العمامة * وعن ابن شهاب انما سمى ذا القرنين لانه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مشرقها * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال كان اوّل شان الاسكندرية أنّ فرعون اتخذ بها مصانع ومجالس وكان اوّل من عمرها وبنى فيها فلم تزل على بنائه ومصانعه ثم تداولها ملوك مصر بعده فبنت دلوكة ابنة زبا منارة الاسكندرية ومنارة بوقير بعد فرعون فلما ظهر سليمان بن داود عليهما السلام على الارض اتخذ بها مجلسا

وبنى فيها مسجدا ثم ان ذا القرنين ملكها فهدم ما كان من بناء الملوك والفراعنة وغيرهم الا بناء سليمان لم يهدمه ولم يغيره واصلح ما كان رث منه وأقر المنارة على حالها ثم بنى الاسكندرية من أولها بناء يشبه بعضه بعضا ثم تداولها الملوك بعده من الروم وغيرهم ليس من ملك الا يكون له بها بناء يضعه بالاسكندرية يعرف به وينسب اليه * قال ابن لهيعة وبلغنى أنه وجد بالاسكندرية حجر مكتوب فيه أنا شداد بن عاد وأنا الذى نصب العماد وحيد الاحياد وشد بذراعه الواد بنيتهن اذ لا شيب ولا موت واذ الحجارة فى اللين مثل الطين وفى رواية وكنزت فى البحر كنزا على اثنى عشر ذراعا لن يخرجه أحد حتى تخرجه أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن لهيعة والاحياد كالمغار وقال ابو على القالى فى كتاب الامالى وأنشد ابن الاعرابى وغيره

تسألنى عن السنين كم لى * فقلت لو عمرت عمر الحسل * او عمر نوح زمن الفطحل

لو أننى اوتيت علم الحكل * وعشت دهرا زمن الفطحل * لكنت رهن هرم اوقتل

وفى رواية

علم سليمان كلام النمل * ايام كان الصخر مثل الوحل

وقال آخر زمن الفطحل اذ السلام رطاب * وعندهم ان زمن الفطحل زمان كان بعد الطوفان عظم فيه الخصب وحسنت احوال اهله وقال بعضهم زمن الفطحل زمن لم يخلق بعد وقوله علم الحكل الحكل ما لا يسمع صوته من الحيوان وهذا الرجز لروبة بن العجاج بن روبة بن لبيد بن صخر بن كثيف بن حى بن بكر بن ربيعة بن سعد ابن مالك بن زيد مناه بن تميم وذلك أنه ورد ماء لعكل فرأى فتاة فأعجبته فخطبها فقالت أرى سنا فهل من مال قال نعم قطعة من ابل قالت فهل من ورق قال لا قالت يا آل عكل اكبرا وامعارا فقال روبة

لما ازدرت قدرى وقلت ابلى * تألفت واتصلت بعكل * خطبى وهزت رأسها تستبلى

تسألنى عن السنين كم لى * فقلت لو عمرت عمر الحسل * او عمر نوح زمن الفطحل

والصخر مبتل كطين الوحل

وفى رواية

لو اننى اوتيت علم الحكل * علم سليمان كلام النمل

وسألت أبا بكر بن دريد عن زمن الفطحل فقال تزعم العرب أنه زمان كانت فيه الحجارة رطبة * قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذى بنى الاسكندرية شداد بن عاد والله أعلم * وكانت الاسكندرية ثلاث مدن بعضها الى جنب بعض منيعة وهى موضع المنارة وما والاها والاسكندرية وهى موضع قصبة الاسكندرية اليوم ونقيطة وكان على كل واحدة منهن سور وسور من خلف ذلك على الثلاث مدن يحيط بهن جميعا وقيل كان على الاسكندرية سبعة حصون منيعة وسبعة خنادق قال وان ذا القرنين لما بنى الاسكندرية رخمها بالرخام الابيض جدرها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد والحمرة فمن قبل ذلك لبس الرهبان السواد من نصوع بياض الرخام ولم يكونوا يسرجون فيها بالليل من بياض الرخام واذا كان القمر أدخل الرجل الذى يخيط بالليل فى ضوء القمر مع بياض الرخام الخيط فى ثقب الابرة * ويقال بنيت الاسكندرية فى ثلثمائة سنة وسكنت ثلثمائه سنة وخربت ثلثمائه سنة ولقد مكثت سبعين سنة ما يدخلها أحد الا وعلى بصره خرقة سوداء من بياض جصها وبلاطها واقد مكثت سبعين سنة ما يستسرج فيها قال وكانت الاسكندرية بيضاء تضىء بالليل والنهار وكانوا اذا غربت الشمس لم يخرج احد من بيته ومن خرج اختطف وكان منهم راع يرعى على شاطئ البحر فكان يخرج من البحر شئ فيأخذ من غنمه فكمن له الراعى فى موضع حتى خرج فاذا جارية قد نفشت شعرها ومانعته عن نفسها فقوى عليها فذهب بها الى منزله فأنست به فرأتهم لا يخرجون بعد غروب الشمس فسألتهم فقالوا من خرج منا اختطف فهيأت لهم الطلسمات فكانت اول من وضع الطلسمات بمصر فى الاسكندرية وقيل كان الرخام قد سخر لهم حتى يكون من بكرة النهار كالعجين فاذا انتصف النهار اشتد * وقال المسعودى ذكر جماعة من اهل العلم أن الاسكندر المقدونى لما استقام ملكه فى بلاده وسار حتى يختار أرضا صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فأصاب فيها اثر بنيان وعمدا كثيرة من الرخام وفى وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند وهو القلم الاول من أقلام حمير وملوك عاد أنا شداد بن عاد شددت بساعدى الواد وقطعت عظيم

العماد وشوامخ الجبال والاطواد وبنيت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وأردت أن أبني هنا
مدينة كارم وأنقل اليها كل ذي قدم وكرم من جميع العشائر والامم وذلك اذلاخوف ولاهرم ولااهتمام
ولاسقم فأصابني ما اعجلني وعما أردت قطعني ومع وقوعه طال همي وشجني وقل نومي وسكني فارتحلت
بالامس عن داري لالقهر ملك جبار ولالخوف جيش جرار ولا عن رغبة ولا عن صغار ولكن لتمام المقدار
وانقطاع الآثار وسلطان العزيز الجبار فمن رأى اثري وعرف خبري وطول عمري ونفاذ بصري وشدة
حذري فلا يغتر بالدنيا بعدي فانها غرارة غدارة تأخذ منه ما تعطي ونسترجع منه ما توتي وكلام كثير يري
فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون اليها * فنزل الاسكندر مفكرا يتدبر هذا الكلام ويعتبره ثم بعث
بحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها أميالا وجمع اليها العمد والرخام وأتته المراكب
فيها انواع الرخام وانواع المرمر والاحجار من جزيرة صقلية وبلاد افريقية واقريطش واقاصي بحر الروم مما يلي
مصبه بحر اقيانوس وحمل اليه أيضا من جزيرة رودس وأمر الفعلة والصناع أن يدوروا بما رسم لهم من
أساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قائمة وجعل من الخشبة الى الخشبة حبالا
منوطة بعضها ببعض وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام وكان أمام مضربه وعلق على العمود جرسا عظيما
مصوتا وأمر الناس والقوام على البنائين والفعلة والصناع انهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت
الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرسا صغيرا حرصوا على أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة من سائر
أقطارها وأحب الاسكندر أن يجعل ذلك في وقت يختاره وطالع سعد فحرك الاسكندر رأسه وأخذته نعسة في
حال ارتقابه الوقت المحمود فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير الذي فوق العمود فحركه وخرج صوت
الجرس وتحركت الحبال وخفق ما عليها من الاجراس الصغار وكان ذلك معمولا بحركات هندسية وحيل
حكمية فلما رأى الصناع تلك الحبال قد تحركت وسمعوا الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع
الضجيج بالتحميد والتقديس فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسأل عن الخبر فأخبر بذلك فأعجب وقال أردت امرا
وأراد الله غيره ويأبى الله الاما يريد أردت طول بقائها وأراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول الملوك اياها وان
الاسكندر لما أحكم بناءها وثبت أساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب البحر فأتت على جميع البنيان فقال
الاسكندر حين أصبح هذا بدء الخراب في عمارتها وتحقق مراد الباري سبحانه من زوالها فتطير من فعل الدواب فلم
تزل البناة في كل يوم تبني وتحكم ويوكل من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصبحون وقد خرجت وخربت
البنيان فقلق الاسكندر لذلك وراعه ما رأى من البحر فأقبل يفكر ما الذي يصنع وأي حيلة تنفع في ذلك حتى
تدفع الاذية عن المدينة فسنحت له الحيلة عند خلوته بنفسه وايراده الامور واصدارها فلما أصبح دعا الصناع
فاتخذوا له تابوتا من الخشب طوله عشرة اذرع في عرض خمسة اذرع وجعلت فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها
خشب التابوت باستدارتها وقد أمسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الاطلية الدافعة للماء حذرا من دخول
الماء الى التابوت وقد جعل فيها مواضع للحبال ودخل الاسكندر في التابوت ورجلان من كتابه ممن له علم باتقان
التصوير وأمر أن تسد عليه الابواب وأن تطلى بما ذكرنا من الاطلية وأمر بمركبين عظيمين فأخرجا الى لجة البحر
وعلق في التابوت من اسفله مثقلات الرصاص والحديد والحجارة لتهوي بالتابوت سفلا وجعل التابوت بين
المركبين وألصقهما بخشب بينهما لئلا يفترقا وشد حبال التابوت الى المركبين وطول حباله فغاص التابوت
حتى انتهى الى قرار البحر فنظروا الى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشفاف في صفاء ماء البحر فاذا بصور
الشياطين على مثال الناس وفيهم من له مثل رؤس السباع وفي أيديهم الفوس مع بعضهم وفي ايدي بعضهم
المناشير والمقامع يحكون بذلك صناع المدينة والفعلة وما في أيديهم من آلات البناء فأثبت الاسكندر ومن معه
تلك الصور وحكوها بالتصوير في القراطيس على اختلاف انواعها وتشوه خلقها وقدودها ثم حرك الحبال فلما
أحس بذلك من في المركبين جذبوا الحبال واخرجوا التابوت فخرج الاسكندر وأمر صناع الحديد والنحاس
والحجارة فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما صور فلما فرغوا منها وضعت على العمد بشاطئ البحر ثم أمرهم فبنوا
فلما جن الليل ظهرت الدواب والآفات من البحر فنظرت الى صورها على العمد مقابلة الى البحر فرجعت ولم تعد
بعد ذلك فبنيت الاسكندرية وشيدت وأمر الاسكندر أن يكتب على ابوابها هذه الاسكندرية أردت أن

أبنيها على الفلاح والنجاح واليمن والسعادة والسرور والثبات فى الدهور ولم يرد البارى عز وجل ملك السموات والارض ومفنى الامم أن يثبتها كذلك فبنيتها وأحكمت بنيانها وشيدت سورها وآتانى الله عز وجل من كل شئ علما وحكمة وسهل لى وجوه الاسباب فلم يتعذر على فى العالم شئ مما أردته ولا امتنع عنى شئ مما طلبته لطفا من الله عز وجل وصنعا لى وصلاحا لعباده من اهل عصرى والحمد لله رب العالمين لا اله الا هو رب كل شئ ورسم بعد هذه الكتابة كل ما يحدث ببلده من الاحداث بعده فى مستقبل الزمان من الآفات والعمران والخراب ومايؤول امرها اليه الى وقت دثور العالم * (وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة عليها دور المدينة يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا تضيق به حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التى تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق ومتنفسات للضياء ومنافذ للهواء وقد كانت الاسكندرية تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر وكانت اسواقها وشوارعها وأزقتها مقنطرة كلها لا يصيب اهلها شئ من المطر وكان عليها سبعة اسوار من انواع الحجارة المختلفة الالوان بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربما تعلق فى المدينة شقاق الحرير الاخضر لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه فلما أحكم بناءها وسكنها اهلها كانت آفات البحر وسكانه على مازعم الاخباريون من المصريين والاسكندريين تختطف بالليل اهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير فلما علم بذلك الاسكندر اتخذ الطلسمات على اعمدة هنالك تدعى المسال وهى باقية الى هذه الغاية كل واحد من هذه الاعمدة على هيئة السروة وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا على عمد من نحاس وجعل تحتها صورا وأشكالا وكتابة * قال مؤلفه رحمه الله فيما تقدم من حكاية ابن وصيف شاه ما يتبين به وهم ما نقله المسعودى من أن الاسكندر هو الذى عمل التابوت حتى صور أشكال حيوانات البحر فان ابن وصيف شاه اعرف بأخبار أهل مصر وكذلك ماذكره المسعودى من أن المسال من عمل الاسكندر وهم أيضا بل هذه المسال هى المنابر التى كان ينور عليها والاعلام التى كانت ملوك مصر القدماء تنصبها وهى من أعمال ملوك القبط الاول ومن أعمال الفراعنة الذين ملكوا مصر من قديم الزمان

(ذكر الاسكندر)

هو الاسكندر بن فليبش بن آمنته (ويقال آمنتاس) بن هركلش (ويقال هرقول) الجبار الذى هو ابن الاسكندر الاعظم ولى ابوه فليبش الملك فى بلد مجدونية (ويقال مقدونية) خمسا وعشرين سنة استنبط فيها ضروبا من المكر وابتدع انواعا من الشر تقدم فيها كل من ولى الملك بها قبله * وكان فى اول امره قد جعله أخوه الاسكندر رهينة عند أمير من الروم فأقام عنده ثلاث سنين وكان فيلسوفا فتعلم عنده ضروب الفلسفة فلما قتل أخوه الاسكندر واجتمع الناس على تولية فليبش فولوه أميرا فقام فى السلطان مقاما عظيما فحارب الروم وغلب عليهم ومضى الى البرية فقتل بها من الناس آلافا وغلب على مدائن فاجتمع له جمع لا يقاد وجيش لا يرام فأذل جميع الروم وذهبت عينه فى بعض الحروب وغمر البلدان والمدائن عمارة وهدما وسبيا واتهابا ثم حشد جميع اهل بلاد الروم وعبى عسكرا فيه مائتا ألف راجل وخمسون ألف فارس سوى من كان فيه من اصحابه المقدونيين ومن غيرهم من اجناس اليونانيين يريد غزو الفرس * فبيناهو يجمع هذا الجمع نظر فى تزويج ابنة له يقال لها قلوبطره من ختنه أخى امرأته وخال ولده الاسكندر وجلس قبل العرس بيومين يحدث قواده اذ سئل عن اى الموتات احق أن يتمناها الانسان فقال الواجب على الرجل القوى الظافر المجرب يريد نفسه أن لا يتمنى الموت الا بالسيف فجأة لئلا يعذبه المرض وتحل قوته الاوجاع فجعل له ما تمنى فى ذلك العرس وذلك أنه حضر لعبا كان على الخيل بين ولده الاسكندر وختنه الاسكندر فبينما هو فى ذلك غافلا أحد أحداث الروم بطعنة فقتله بها ثائرا بأبيه عندما تمكن منه منفردا فولى الاسكندر الملك بعد أبيه فليبش وكان اول شئ اظهر فيه قوته وعزمه فى بلد الروم وكانوا قد خرجوا عن طاعة المقدونيين الى طاعة الفرس فدرسهم واستأصلهم وخرب مدنهم وجعلهم سبايا مبيعا وجعل سائر بلادهم وكورهم تؤدى اليه الخراج ثم قتل جميع أختانه واكثر أقاربه فى وقت تعبيته لمحاربة الفرس وكان جميع عسكره اثنين وعشرين ألف فارس وستين ألف راجل وكانت مراكبه خمسمائة مركب وثمانين مركبا فخرج بهذه العدة كبار ملوك الدنيا وسار الى الاسكندرية

ودخل بيت المقدس وقرّب فيه لله تعالى قربانا وخرج يريد محاربة دارا وكان فى عسكر دارا ملك الفرس فى اوّل
ملاقاته اياه ستمائة ألف مقاتل فغلبه الاسكندر وكانت اذ ذاك على الفرس وقعة شنعاء ونكبة دهياء قتل
فيها منهم عدد لا يحصى ولم يقتل من عسكر الاسكندر الامائة وعشرون فارسا وتسعون راجلا * ومضى
الاسكندر ففتح مدائن وانتهب ما فيها فبلغه أنّ دارا قد عبى وأقبل نحوه بجمع عظيم فخاف أن يلحقه فى ضيق
الجبال التى كان فيها فقطع نحوا من مائة ميل فى سرعة عجيبة حتى بلغ مدينة طرسوس وكاد يهلك لفرط
البرد حتى انقبض عصبه فلاقاه دارا فى ثلثمائة ألف راجل ومائة ألف فارس فلما التقى الجمعان كاد الاسكندر
يفرّ لكثرة ما كان فيه دارا وقلة ما كان فيه ووقع القتال بينهما وباشر القوّاد الحرب بأنفسهم وتنازل الابطال
واختلف الطعن والضرب وضاق الفضاء بأهله فباشر كلا الملكين الحرب بأنفسهما دارا والاسكندر وكان
الاسكندر اكمل اهل زمانه فروسية واشجعهم وأقواهم جسما فباشرا حتى جرحا جميعا وتمادى الحرب بينهما
حتى انهزم دارا ونزلت الوقيعة بالفرس فقتل من راجلهم نحو من ثمانين ألفا ومن فرسانهم نحو من عشرة آلاف
وأسر منهم نحو من اربعين ألفا ولم يسقط من عسكر الاسكندر الا مائتان وثلاثون راجلا ومائة وخمسون فارسا
فانتهب الاسكندر جميع عسكر الفرس وأصاب فيه من الذهب والفضة والامتعة الشريفة ما لا يحصى كثرة
وأصيب من جملة الاسارى أم دارا وزوجته واخته وابنتاه فطلب دارا من الاسكندر فديتهنّ بنصف ملكه
فلم يجبه الى ذلك فعبى دارا مرّة ثالثة وحشد الفرس عن آخرهم واستجاش بكل من قدر عليه من الامم فبعث
الاسكندر رقائدا فى أسطول للغارة على بلد الفرس ومضى الاسكندر الى الشام فتلقاه هنالك ملوك الدنيا خاضعين
له فعفا عن بعض ونفى بعضا وقتل بعضا ومضى الى احراز طرسوس وكانت مدينة زاهرة قديمة عظيمة الشان
وأهلها قد تقوا بعون اهل أفريقية لهم لصهر كان بينهم فحاصرهم فيها حتى افتتحها ومضى منها الى رودس والى
مصر فانتهب الجميع وبنى مدينة الاسكندرية بأرض مصر وقال هروشيوش وله فى بنيانها أخبار طويلة
وسياسات ذكرهنا تطويل لكتابنا * ثم انّ دارا لما يئس من مصالحته أقبل فى أربعمائة ألف راجل
ومائة ألف فارس فتلقى الاسكندر مقبلا من ناحية مصر فى أعمال مدينة طرسوس فكانت بينهما معركة عجيبة
شنيعة اجتهادا من الروم على ما كانوا اخبروه واعتادوا من الغلبة والظفر واجتهادا من الفرس بالتوطين
على الهلاك وتفضيل الموت على الرق والعبودية فقلما يحكى عن معركة كان القتل فيها اكثر منه فى تلك المعركة
فلما نظر دارا الى اصحابه يتغلب عليهم ويهزمون عزم على استعجال الموت فى تلك الحرب بالمباشرة لها بنفسه والصبر
حتى يقتل معترضا للقتل فلطف به بعض قوّاده حتى سلوه فانهزم وذهبت قوّة الفرس وعزهم وذل بعدها سلطانهم
وصار بلد المشرق كله فى طاعة الروم وانقطع ملك الفرس مدة أربعمائة عام وخمسين عاما واشتغل الاسكندر
بتحصيل ما أصاب فى عسكر الفرس والنظر فيه وقسمته على عسكره ثلاثين يوما ثم مضى الى مدينة الفرس التى
كانت رأس مملكتهم والتى اجتمعت فيها اموال الدنيا ونعمها فهدمها ونهب ما فيها فبلغه عن دارا أنه صار عند
قوم مكبلا فى كبول من فضة فتهيأ وخرج فى ستة آلاف فوجده بالطريق مجروحا جراحات كثيرة فلم يلبث أن
هلك منها فأظهر الاسكندر الحزن عليه والمرثية له وأمر بدفنه فى مقابر الملوك من اهل مملكته وكان فى أمر هذه
الثلاث معارك عبرة لمن اعتبر ووعظ لمن اتعظ اذ قتل فيها من اهل مملكة واحدة نحو من خمسة عشر ألف ألف بين
راكب وراجل من اهل بلد آسيا وهى العراق وقد كان قتل من اهل تلك المملكة قبل ذلك بنحو من ستين سنة
نحو تسعة عشر ألف ألف الى ألف ألف ما بين راكب وراجل من اهل بلد العراق والشام وطرسوس ومصر
وجزيرة رودس وجميع البلدان الذين دوّخهم الاسكندر أجمعين وكان سلطان الدنيا مقسوما بين قوّاده بعد
ما زلزل بدواهيه العظيمة العالم كله وعمّ اهله بعضا بالمنايا القطيعة وبعضا بالتوطين عليها والمباشرة لاهوالها وأوصى
عند وفاته أن يلقب كل قائم فى اليونانيين بعده بيطلميوس تهويلا للاعداء لانّ معناه الحربى * فهذا هو الصحيح
من خبر الاسكندر فلا يلتفت الى ما خالفه * ويقال انه كان أشقر أزرق وهو أوّل من سمر بالليل وكان له قوم
يضحكونه ويحكون له الخرافات يريد بذلك حفظ ملكه وحراسة نفسه لا اللذة وبه اقتدى الملوك فى السمر واتخاذ
المضحكين والمخرفين

(ذكر تاريخ الاسكندر)

قال ابو الريحان محمد بن احمد البيروني " تاريخ الاسكندر اليوناني " الذي يلقبه بعضهم بذي القرنين على سني الروم
وعليه عمل اكثر الامم لما خرج من بلاد يونان وهو ابن ست وعشرين سنة لقتال دارا ملك الفرس * ولما ورد بيت
المقدس أمر اليهود بترك تاريخ داود وموسى عليهما السلام والتحول الى تاريخه فأجابوه وانتقلوا الى تاريخه
واستعملوه فيما يحتاجون اليه بعد أن عملوه من السنة السادسة والعشرين لميلاده وهو اول وقت تحركه ليتموا
ألف سنة من لدن موسى عليه السلام وبقوا معتصمين بهذا التاريخ ومستعملين له وعليه عمل اليونانيين
وكانوا قبله يؤرخون بخروج يونان بن نورس من بابل الى المغرب * وأول تاريخ الاسكندر يوم الاثنين اول
تشرين الاول وموافقه اليوم الرابع من بابه ومبادى الايام عندهم من وقت طلوع الشمس الى وقت غروبها والى
أن يصبح الصباح وتطلع الشمس فقد كل يوم بليلته ومبادى الشهور ترجع الى عدد واحد له نظم يجري عليه
دائما وعدد شهور سنتهم اثنا عشر شهرا يخالف بعضها بعضا في العدد وهذه أسماؤها وعدد أيام كل شهر منها
(تشرين الاول) أحد وثلاثون يوما (تشرين الثاني) ثلاثون يوما (كانون الاول) أحد وثلاثون يوما (كانون
الثاني) أحد وثلاثون يوما (شباط) ثمانية وعشرون يوما وربع (آذار) أحد وثلاثون يوما (نيسان) ثلاثون
يوما (ايار) أحد وثلاثون يوما (حزيران) ثلاثون يوما (تموز) أحد وثلاثون يوما (آب) أحد وثلاثون
يوما (أيلول) ثلاثون يوما فسبعة أشهر كل شهر منها أحد وثلاثون يوما وأربعة أشهر كل شهر منها ثلاثون يوما
وشهر واحد ثمانية وعشرون يوما وربع يوم وذلك انهم جعلوا شباط كل ثلاث سنين متواليات ثمانية وعشرين
يوما وجعلوه في السنة الرابعة تسعة وعشرين يوما فيكون عدد أيام سنتهم ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع
يوم ويجعلون السنة الرابعة ثلثمائة وستة وستين يوما ويسمونها السنة الكبيسة وانما زادوا الربع في كل
سنة ليقرب عدد أيام سنتهم من عدد أيام السنة الشمسية حتى تبقى امورهم على نظام واحد فتكون شهور
البرد وشهور الحر وأوان الزرع ولقاح الشجر وجني الثمر في وقت معلوم من السنة لا يتغير وقت شيء من ذلك
البتة وكان ابتداء الكبيس في السنة الثالثة من ملك الاسكندر وبين يوم الاثنين اول يوم من تاريخ الاسكندر
هذا وبين يوم الخميس اول شهر المحرم من السنة التي هاجر نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسعمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة ومائة وخمسة وخمسون يوما وبينه وبين
يوم الجمعة اول يوم من الطوفان ألفا سنة وسبعمائة سنة واثنتان وتسعون سنة ومائة وثلاثة وتسعون يوما
وبين ابتداء ملك بخت نصر وبين اول تاريخ الاسكندر أربعمائة وخمس وثلاثون سنة شمسية ومائتا يوم
وثمانية وثلاثون يوما * وقال ابو بكر احمد بن علي بن قيس بن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية الشهر المسمى
تموز فيما ذكر القبط بحسب ما وجدت في كتبهم اسم رجل كانت له قصة عجيبة طويلة وهو أنه دعا ملكا الى عبادة
الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر وان الملك قتله وعاش بعد القتلة ثم قتله قتلات بعد ذلك قبيحة وفي كلها
يعيش ثم مات في آخرها وان شهورهم هذه كل واحد منها اسم رجل فاضل عالم كان في القديم من النبط الذين
كانوا مكان اقليم بابل قبل الكسدانيين وذلك أن تموز هذا ليس من الكسدانيين ولا الكنعانيين ولا العبرانيين
ولا الجرامقة وانما هو من الحزناسيين الاولين ولذلك يقولون في كل شهورهم انها اسماء رجال مضوا وان تشرين
الاول وتشرين الثاني اسما أخوين كانا فاضلين في العلوم وكذلك كان كانون الاول وكانون الثاني وان شباط
اسم رجل نكح ألف امرأة أبكارا كلهن ولم ينسل نسلا ولا ولد ولدا فجعلوه في آخر الشهور لنقصانه عن النسل
فصار النقصان من العدد فيه والصابئون من البابليين والحزناسيين جميعا الى وقتنا هذا ينوحون ويبكون على
تموز في الشهر المسمى تموز في عيد لهم فيه منسوب الى تموز ويعددون تعديدا عظيما وخاصة النساء فانهن يقمن
ههنا جميعا وينحن ويبكين على تموز ويهذين في أمره هذيانا طويلا وليس عندهم علم من أمره اكثر من أن يقولوا
هكذا وجدنا اسلافنا ينوحون ويبكون على تموز في هذا العيد المنسوب الى تموز والنصارى تذكر أنهم يعملونه
لرجل يسمى جورجيس أحد حواري عيسى عليه السلام دعا ملكا من الملوك الى دين النصرانية فعذبه الملك بتلك
القتلات فلا أدري وقع الى النصارى قصة تموز فأبدلوا مكانها اسم جورجيس وخالفوا الصابئين في الوقت لان
الصابئين يعملون ذكر تموز اول يوم من شهر تموز والنصارى يعملون لجورجيس في آخر نيسان ويقال ان
بعض ملوك رومية زاد في شهور الروم كانون الثاني وشباط فان شهورهم كانت الى زمانه عشرة اشهر كل شهر

ستة وثلاثون يوما * ويقال ان فيوفيوس اول من ملك مدينة رومية وانه أقام ملكا ثلاثا وأربعين سنة وزاد كانون الثانى وشباط فى شهور الروم بحكم انهما كانت الى ذلك الزمان عشرة اشهر كل شهر ستة وثلاثون يوما وكان سبب تنقص شباط يومين وتنوع غارة فى ايام فيطن رئيس جيش الروم مع خلف وحروب بينه وبين فريوريوس آلت الى نصرة فيطن وأخذه مملكة الروم واحرقه بفريوريوس فنودى عليه اعيا مر ديا وتفسيره اخرج يا شباط ثم غرق فى البحر وسموا شهر شباط فريوريوس ليكون تذكارسوء له فان هذا الفعل كان فى يومى التاسع والعشرين والثلاثين من شباط فنقصوهما من شباط وزادوهما فى تموز وكانون الثانى فجعلوا كل شهر منهما احدا وثلاثين يوما ثم بعد زمان جاء ملك آخر فقال لا يحسن أن يكون شباط فى وسط السنة فنقله الى آخرها ولم يزل الروم من ذلك الوقت يتطيرون من شباط

* ذكر الفرق بين الاسكندر وذى القرنين وانهما رجلان *

اعلم أن التحقيق عند علماء الاخبار أن ذا القرنين الذى ذكره الله فى كتابه العزيز فقال ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكناله فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا الآيات عربى قد كثر ذكره فى أشعار العرب وأن اسمه الصعب بن ذى مراثد بن الحارث الرائش بن الهمال ذى سدد بن عاد ذى منخ بن عامر الملطاط ابن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وانه ملك من ملوك حمير وهم العرب العاربة ويقال لهم ايضا العرب العرباء وكان ذو القرنين تبعا متوجا ولما ولى الملك تجبر ثم تواضع لله واجتمع بالخضر وقد غلط من ظن أن الاسكندر بن فيلبش هو ذو القرنين الذى بنى السد فان لفظة ذو عربية وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن وذاك رومى يونانى قال ابو جعفر الطبرى وكان الخضر فى ايام افريدون الملك بن الضحاك فى قول عامة علماء اهل الكتاب الاول وقبل موسى بن عمران عليه السلام وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان على أيام ابراهيم الخليل عليه السلام وان الخضر بلغ مع ذى القرنين أيام مسيره فى البلاد نهر الحياة فشرب من مائه وهو لا يعلم به ذو القرنين ولا من معه فخلد وهو حى عندهم الى الآن وقال آخرون ان ذا القرنين الذى كان على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام هو افريدون بن الضحاك وعلى مقدمته كان الخضر * وقال ابو محمد عبد الملك بن هشام فى كتاب التيجان فى معرفة ملوك الزمان بعد ما ذكر نسب ذى القرنين الذى ذكرناه وكان تبعا متوجا لما ولى الملك تجبر ثم تواضع واجتمع بالخضر ببيت المقدس وسار معه مشارق الارض ومغاربها وأوتى من كل شئ سببا كما اخبر الله تعالى وبنى السد على ياجوج ومأجوج ومات بالعراق * وأما الاسكندر فانه يونانى ويعرف بالاسكندر المجدونى (ويقال المقدونى) سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن ذى القرنين ممن كان فقال من حمير وهو الصعب بن ذى مراثد الذى مكنه الله تعالى فى الارض وآتاه من كل شئ سببا فبلغ قرنى الشمس وراس الارض وبنى السد على ياجوج ومأجوج قيل له فالاسكندر قال كان رجلا صالحا روميا حكيما بنى على البحر فى افريقية منارا وأخذ أرض رومة وأتى بحر الغرب وأكثر عمل الآثار فى الغرب من المصانع والمدن * وسئل كعب الاحبار عن ذى القرنين فقال الصحيح عندنا من أحبارنا وأسلافنا انه من حمير وانه الصعب بن ذى مراثد والاسكندر كان رجلا من يونان من ولد عيصو بن اسحق بن ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهما ورجال الاسكندر أدركوا المسيح ابن مريم منهم جالينوس وأرسطاطاليس * وقال الهمدانى فى كتاب الانساب وولد كهلان بن سبأ زيدا فولد زيد عريبا ومالكا وغالبا وعميكرب وقال الهيثم عميكرب بن سبأ أخو حمير وكهلان فولد عميكرب أبا مالك فدرحا ومهيليل ابنى عميكرب وولد غالب جنادة بن غالب وقد ملك بعد مهيليل بن عميكرب بن سبأ وولد عريب عمرا فولد عمرو زيدا والهميسع ويكنى أبا الصعب وهو ذو القرنين الاول وهو المساح والبناء وفيه يقول النعمان بن بشير

فمن ذا يعادد نامن الناس معشرا * كراما فذو القرنين منا وحاتم

وفيه يقول الحارثى

سموا لنا واحدا منكم فنعرفه * فى الجاهلية لاسم الملك محتملا

كالتبعين وذى القرنين يقبله * اهل الحجى فأحق القول ما قبلا

وفيه يقول ابن ابى ذئب الخزاعى

ومنا الذى بالخافقين تغربا * واصعد فى كل البلاد وصوبا
فقد نال قرن الشمس شرقا ومغربا * وفى ردم يأجوج بنى ثم نصبا
وذلك ذو القرنين تفخر حمير * بعسكر قيل ليس يحصى فيحسبا

قال الهمدانى وعلماء همدان تقول ذو القرنين الصعب بن مالك بن الحارث الاعلى بن ربيعة بن الجبار بن مالك وفى ذى القرنين أقاويل كثيرة وقال الامام فخر الدين الرازى فى كتاب تفسير القرآن الكريم ومما يعترض به على من قال ان الاسكندر هو ذو القرنين أن معلم الاسكندر كان ارسطاطاليس بأمره يأتمر وبنهيه ينتهى واعتقاد ارسطاطاليس مشهور وذو القرنين نبى فكيف يقتدى نبى بأمر كافر فى هذا اشكال * وقال الجاحظ فى كتاب الحيوان ان ذا القرنين كانت أمه آدمية وابوه من الملائكة ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا ينادى رجلا ياذا القرنين قال افرغتم من اسماء الانبياء فارتفعتم الى اسماء الملائكة وروى المختار ابن ابى عبيد ان عليا رضى الله عنه كان اذا ذكر ذا القرنين قال ذلك الملك الامرط والله اعلم

* (ذكر من ولى الملك بالاسكندرية بعد الاسكندر) *

قال فى كتاب هروشيوش ان الاسكندر ملك الدنيا اثنتى عشرة سنة فكانت الدنيا ماسورة بين يديه طول ولايته فلما مات تركها بين يدى قواده المستخلفين تحته فكان مثله معهم كمثل الاسد الذى ألقى صيده بين يدى اشباله فتقاتلت عليه تلك الاشبال بعده وذلك انهم اقتسموا البلاد فصارت مصر وافريقية كلها وبلاد الغرب الى قائده وصاحب خيله الذى ولى مكانه وهو بطليموس بن لاوى ويقال بطليموس بن ارنبا المنطقى وذكر بقية ممالك القواد من اقصى بلاد الهند الى آخر بلاد المغرب ثم قال فثارت بينهم حروب وسببها رسالة كانت خرجت من عند الاسكندر بأن يرجع جميع الغرباء المنفيين الى بلادهم ويسقط عنهم الرق والعبودية فاستثقل ذلك ملك بلاد الروم اذ خاف أن يكون الغرباء والمنفيون اذا رجعوا الى بلدانهم ومواطنهم يطلبون النقمة لانفسهم فكان هذا الامر سبب خروجهم عن طاعة سلطان المجدونيين * وقال غيره وبطليموس هذا سبى بنى معد بعد ماغزا فلسطين ثم اطلقهم وحباهم بآنية جوهر وضعت فى بيت المقدس وملك عشرين سنة وقال غيره ولى اربعين سنة وقيل ثمانيا وثلاثين سنة وقيل ان اسمه فيلدلفوس وهو محب الاب وكان مجدونيا وهو الذى غنم اليهود وقتل كثيرا منهم الى مصر وفى زمانه كان زينون الفيلسوف وكان هذا الملك فيلسوفا واقبل برديقا أحد قواد الاسكندر الى مصر بعسكر عظيم وجيش عرمرم فتفرق سلطان مجدونية على قسمين ثم ان بطليموس جمع عساكر مصر وافريقية ولاقى برديقا فهزمه وأصاب عسكره ثم قتله وأصاب ما كان معه وحارب عدة من قواد الاسكندر * وقال غيره وكان بطليموس هذا حكيما عالما شابا مدبرا وهو أول من اقتنى البزاة ولعب بها وضراها وكان من قبله من الملوك لايلعب بها * ولما مات ملك الاسكندرية بعده بطليموس الثانى واسمه فيلوذوفوس ويقال له محب الاخ وكانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وهو الذى أطلق اليهود الذين كانوا مأسورين بأرض مصر ورد الاوانى المقدسة على عزير النبى وهو الذى تخير السبعين مترجما من علماء اليهود الذين ترجموا كتب التوراة والانبياء من اللسان العبرانى الى اللسان الرومى اليونانى واللاطينى وكان فيلسوفا منجما ومات فولى بعده ابنه بطليموس اورا خيطس المعروف بمحب الاب ستا وعشرين سنة * ثم ولى بعده أخوه بطليموس فيلو بطور سبع عشرة سنة وهو الذى قتل من اليهود نحوا من ستين ألفا وتغلب عليهم ويقال انه صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطى * ثم ملك بعده ابنه بطليموس أسفاميش محب الام أربعا وعشرين سنة * ثم ولى بعده ابنه بطليموس فلوناطره وهو الصانع خمسا وثلاثين سنة وهو الذى غلب ملك الشام وحمل اليهود انواع البلاء والعذاب * ثم ملك الاسكندرية بعده ابنه بطليموس ابرياطيش وهو الاسكندرانى تسعا وعشرين سنة وفى زمانه غلب الرومانيون على الاندلس واحترقت مدينة قرطاجنة بالنار وأقامت النار فيها سبعة عشر يوما فهدمت وحولت أساساتها حتى صار رخام أسوارها غبارا وذلك الى تسعمائة سنة من وقت بنيانها وبيع جميع اهلها رقيقا الا قليلا من خيارهم وأشرافهم وكان المتولى لتخريبها قواد رومة * ثم ولى بعده ابنه بطليموس شوطارا الذى يقال له الحديد سبع عشرة سنة وكان قبيح السيرة تزوج بأخته ثم فارقها على أقبح حال مما تزوجها عليه فى خبر له ثم تزوج ربيبته التى كانت بنت

أخته ثم زوجها من ابنه المولود له من أخته وكثرت فواحشه حتى نفاه اهل الاسكندرية فمات منفيا * وولى أخوه بطليموس الاسكندر وهو الجوال عشر سنين * ثم ولى بعده ابنه بطليموس ديونيشيش ثمانيا وثلاثين سنة وفى زمانه غلب قائد الرومانيين على بيت المقدس وجعل اليهود يؤدون اليه الجزية * وظهرت فى ذلك الزمان علامات فى السماء مهولة منها انه ظهر فى السماء بناحية مطلع الشمس من مدينة رومة مما يلى ناحية الجنوب نار ملتهبة عظيمة وكسر قوم خبزا فى صنع لهم فانفجر من الخبز دم سائل ونزل بمدينة رومة مدة سبعة ايام متوالية برد كان يوجد فى داخله حجارة وشقاف وانفتحت الارض فصار فيها غور عظيم وخرج منه لهب اشتعل حتى ظنوه بلغ السماء ونظر أهل رومة يومئذ الى عمود من الارض الى السماء لونه لون الذهب وكان من عظمه تكاد الشمس أن تغيب منه * ثم ولى الاسكندرية بعده كلوباطرة سنتين فدامت مملكة الاسكندرية وهى الدولة الجدونية الى اول ملوك قيصر الذى هو أول ملوك الرومانيين مائتين واحدى وثمانين سنة فبعث قيصر قائدين بعساكر كثيرة لفتح مصر فتزوج أحدهما كلوباطرة ابنة ديونيشيش الملقب بطليموس وقتل القائد الآخر وخالف قيصر فسار اليه قيصر بنفسه وجرت امور آلت الى فتح الاسكندرية بعد حروب واستولى قيصر على مملكة مصر وقتل كلوباطرة وولديها وقتل القائد الذى تزوجها ويقال بل سمت نفسها عندما تيقنت غلبة قيصر لها ويقال انها كانت ذات حزم ومعرفة وتدبير وانها حفرت خليج الاسكندرية وأجرت فيه الماء من مصر وبنت بالاسكندرية أبنية عجيبة منها هيكل زحل وعملت فيه صنما من نحاس اسود وكان اهل مصر والاسكندرية يعملون له عيدا فى اليوم الثانى والعشرين من هتور ويحج اليه اليونانيون من سائر الاقطار ويذبحون له ذبائح لا تحصى كثرة فلما ظهرت ملة النصارى فى الاسكندرية جعلوا هيكل زحل كنيسة ولم تزل الى أن هدمها جيوش المعز لدين الله عند قدومهم من المغرب الى أرض مصر فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة من سنى الهجرة النبوية * ويقال ان كلوباطرة هى التى بنت حائط العجوز بمصر ويشبه أن يكون هذا غير صحيح ويقال انها بنت مقياسا بمدينة اخميم ومقياسا آخر بأنصنا ويقال كانت مدة ملكها ثلاثين سنة وليس بصحيح وبموت كلوباطرة انقطعت مملكة مصر وصارت تحت يد ملوك الروم من اهل مدينة رومة ثم تحت يد ملوك الروم من اهل قسطنطينية فلم تزل تحت أيديهم يولون فيها من قبلهم من شاءوا فيصير الى الاسكندرية ويقيم بها الى أن قدم عمرو بن العاص بالمسلمين وفتح الله على يده الحصن والاسكندرية وجميع أرض مصر ويقال معنى كلوباطرة الباكية فكان جميع المدة التى ما بين ذهاب دولة البطالسة من الاسكندرية وقدوم عمرو بن العاص الى مصر وفتحها ستمائة سنة وبضعا وسبعين سنة وفى خلال هذه المدة قوى جانب ملوك الفرس على القياصرة وملكوا منهم بلاد الشام واستولوا على أرض مصر والاسكندرية فى أيام كسرى أبرويز بن هرمز فبعث قائدا الى مصر وملك الاسكندرية وقتل الروم وأقاموا بالاسكندرية مدة عشر سنين فلما استبد هرقل بمملكة الروم وخرج من القسطنطينية لجمع الاموال من سائر مملكته اخذ حماه ودمشق وسار الى بيت المقدس وقد خربها الفرس فأمر ببنائها وسار منها الى أرض مصر ودخل الاسكندرية وقتل من بها من الفرس وأقام بها بطريقا ثم عاد الى قسطنطينية فاستمرت مصر بعده تحت ايالة الروم حتى ملكها المسلمون ويقال ان كل بناء بمصر من آجر فهو للفرس وما فيها من بناء بحجر فهو للروم والله أعلم

(ذكر منارة الاسكندرية)

قال المسعودى فأما منارة الاسكندرية فذهب الاكثرون من المصريين والاسكندرانيين ممن عنى بأخبار بلدهم أن الاسكندر بن فيلبش المقدونى هو الذى بناها ومنهم من رأى أن دلوكة الملكة بنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو الى بلدهم ومن الناس من رأى أن العاشر من فراعنة مصر هو الذى بناها ومنهم من رأى أن الذى بنى مدينة رومة هو الذى بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها والاهرام بمصر وانما اضيفت الاسكندرية الى الاسكندر لشهرته باستيلائه على الاكثر من ممالك العالم فشهرت به وذكروا فى ذلك أخبارا كثيرة يستدلون بها على ما قالوا والاسكندر لم يطرقه فى هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه فى بلده ويغزوه فى داره فيكون هو الذى جعلها مرقبا وان الذى بناها جعلها على كرسى من الزجاج على هيئة السرطان فى جوف البحر وعلى طرف اللسان الذى هو داخل فى البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره منها تمثال قد أشار بسبابته من يده

اليمنى نحو الشمس اينما كانت من الفلك واذا علت فى الفلك فأصبعه يشير بها نحوها فاذا انخفضت صارت يده سفلا تدورمعها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى البحر اذا صار العدو منه على نحو من ليلة فاذا دنا وجاز أن يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من مسيرة ميلين او ثلاثة فيعلم اهل المدينة أن العدو قد دنا منهم فيرمقونه بأبصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل او النهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت فى الساعة التى قبلها وصوته مطرب * وقد كان ملك الروم فى ملك الوليد بن عبد الملك بن مروان أنفذ خادما من خواص خدمه ذا رأى ودهاء فجاء مستأمنا الى بعض الثغور فورد بآلة حسنة ومعه جماعة فجاء الى الوليد فأخبره أنه من خواص الملك وانه أراد قتله لموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها اصل وانه استوحش ورغب فى الاسلام فأسلم على يد الوليد وتقرب من قلبه وتنصح اليه فى دفائن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفائن فلما صارت الى الوليد تلك الاموال والجواهر شرهت نفسه واستحكم طمعه فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان ههنا اموالا وجواهر ودفائن للملوك فسأله الوليد عن الخبر فقال تحت منارة الاسكندرية اموال ملوك الارض وذلك أن الاسكندر احتوى على الاموال والجواهر التى كانت لشداد بن عاد وملوك مصر فبنى لها ازجا تحت الارض وقنطر لها الاقباء والقناطر والسراديب وأودعها تلك الذخائر من العين والورق والجوهر وبنى فوق ذلك هذه المنارة وكان طولها فى الهواء ألف ذراع والمرآة فى علوه والديادبة جلوس حوله فاذا نظروا الى العدو فى البحر فى ضوء تلك المرآة صوتوا لمن قرب منهم ونشروا أعلاما فيراها من بعد منهم فتحذر الناس وتنذر البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش واناس من ثقاته وخواصه فهدم نصف المنارة من اعلاها وازيلت المرآة فضج الناس من هذا وعلموا انها مكيدة وحيلة فى امرها فلما علم الخادم استفاضة ذلك وانه سينم الى الوليد وانه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب فى الليل فى مركب كان قد أعده وواطأ على ذلك فتمت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان حوالى منارة الاسكندرية فى البحر مغاص يخرج منه قطع من الجوهر يتخذ منه فصوص للخواتم انواعا من الجواهر يقال ان ذلك من آلات اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتها أمه ورمت بها فى تلك المواضع من البحر ومنهم من رأى أن الاسكندر اتخذ ذلك النوع من الجواهر وغرقه حول المنارة لكيلا تخلو من الناس حولها الان من شأن الجوهر أن يكون مطلوبا أبدا فى كل عصر ويقال ان هذه المنارة انما جعلت المرآة فى اعلاها الان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر والاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك المرآة ترى من يرد فى البحر من عدوهم وكان من يدخلها يتيه فيها الا أن يكون عارفا بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وممراتها وقد ذكر أن المغاربة حين وافوا فى خلافة المقتدر فى جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم على خيولهم الى المنارة فتاهوا فيها وفى طرق تؤول الى مهاو تهوى الى السرطان الزجاج وفيه مخارق الى البحر فتهورت دوابهم وفقد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل ان تهورهم كان على كرسى لها قدامها وفى المنارة مسجد فى هذا الوقت يرابط فيه مطوعة المصريين وغيرهم وفى سنة سبع وسبعين وسبعمائة سقط راس المنارة من زلزلة ويقال ان منارة الاسكندرية كانت مبنية بحجارة مهندمة مضببة برصاص على قناطر من الزجاج وتلك القناطر على ظهر سرطان وكان فى المنارة ثلثمائة بيت بعضها فوق بعض وكانت الدابة تصعد بحملها الى سائر البيوت من داخل المنارة ولهذه البيوت طاقات تشرف على البحر وكان على الجانب الشرقى من المنارة كتابة عربت فاذا هى بنت هذه المنظرة قريبا بنت مرينوس اليونانية لرصد الكواكب * وقال ابن وصيف شاه وقد ذكر أخبار مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وبنوا على البحر مدنا منها رقودة مكان الاسكندرية وجعلوا فى وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب والقبة مذهبة ونصبوا فوقها منارة عليها مرآة من اخلاط شتى قطرها خمسة اشبار وكان ارتفاع القبة مائة ذراع فكانوا اذا قصدهم قاصد من الامم التى حولهم فان كان مما يهمهم او من البحر عملوا لتلك المرآة عملا فألقت شعاعها على ذلك الشئ فاحرقته فلم تزل على حالها الى أن غلب عليها البحر فنسفها ويقال ان الاسكندر انما عمل المنار الذى كان شبيها بها وقد كان ايضا عليه مرآة يرى فيها من يقصدهم من بلاد الروم فاحتال بعض ملوك الروم فوجه من أزالها وكانت من زجاج مدبر * وقال المسعودى فى كتاب التنبيه والاشراف وقد كان وزير المتوكل عبيد الله بن

يحيى بن خاقان لما أمر المستعين بنفيه الى برقة فى سنة ثمان وأربعين ومائتين صار الى الاسكندرية من بلاد مصر فرأى حمرة الشمس على علو المنارة التى بها وقت المغيب فقدر أنه يلزمه أن لا يفطر اذا كان صائما وتغرب الشمس من جميع أقطار الارض فأمر انسانا أن يصعد الى اعلى منارة الاسكندرية ومعه حجر وأن يتأمل موضع سقوط الشمس فاذا سقطت رمى بالحجر ففعل الرجل ذلك فوصل الحجر الى قرار الارض بعد صلاة العشاء الآخرة فجعل افطاره بعد صلاة العشاء الآخرة فيما بعد اذا صام فى مثل ذلك الوقت وكان عند رجوعه الى سر من رآى لا يفطر الا بعد عشاء الآخرة وعنده أن هذا فرضه وان الوقتين متساويان وهذا غاية ما يكون من قلة العلم بالفرض ومجارى الشرق والغرب وقد ذكر ارسطاطاليس فى كتاب الآثار العلوية أن بناحية المشرق الصيفى جبلا شامخا جدا وان من علامة ارتفاعه أن الشمس لا تغيب عنه الى ثلاث ساعات من الليل وتشرق عليه قبل الصبح بثلاث ساعات * ومنارة الاسكندرية أحد بنيان العالم العجيب بناها بعض البطالسة ملوك اليونانيين بعد وفاة الاسكندر بن فيلبش الملك لما كان بينهم وبين ملوك رومة من الحروب فى البر والبحر فجعلوا هذه المنارة مرقبا فى أعاليها مرآة عظيمة من نوع الاحجار المشفة ليشاهد منها مراكب البحر اذا اقبلت من رومة على مسافة تعجز الابصار عن ادراكها فكانوا يراعون ذلك فى تلك المرآة فيستعدون لهم قبل ورودهم وطول المنارة فى هذا الوقت على التقريب مائتان وثلاثون ذراعا وكان طولها قديما نحوا من أربعمائة ذراع فهدمت على طول الازمان وترادف الزلازل والامطار لان بلد الاسكندرية تمطر وليس سبيلها سبيل فسطاط مصر اذ كان الاغلب عليها أن لا تمطر الا اليسير وبناؤها ثلاثة اشكال فقريب من النصف وأكثر من الثلث مربع الشكل بناؤه بأحجار بيض يكون نحوا من مائة ذراع وعشرة أذرع على التقريب ثم من بعد ذلك مثمن الشكل مبنى بالحجر والجص نحو من نيف وستين ذراعا وحواليه فضاء يدور فيه الانسان وأعلاها مدور * وكان احمد بن طولون رم شيأ منها وجعل فى اعلاه قبة من الخشب ليصعد اليها من داخلها وهى مبسوطة موربة بغير درج وفى الجهة الشمالية من المنارة كتابة برصاص مدفون بقلم يونانى طول كل حرف ذراع فى عرض شبر ومقدارها على جهة الارض نحو من مائة ذراع وماء البحر قد بلغ اصلها وقد كان تهدم احد اركانها الغربية مما يلى البحر فبناها ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون وبينها وبين مدينة الاسكندرية فى هذا الوقت نحو من ميل وهى على طرف لسان من الارض قد ركب البحر جنبتيه وهى مبنية على فم مينا الاسكندرية وليس بالمينا القديم لان القديم فى المدينة العتيقة لا ترسى فيه المراكب لبعده عن العمران والمينا هو الموضع الذى ترسى فيه مراكب البحر * وأهل الاسكندرية يخبرون عن اسلافهم انهم شاهدوا بين المنارة وبين البحر نحوا مما بين المدينة والمنارة فى هذا الوقت فغلب عليه ماء البحر فى المدة اليسيرة وان ذلك فى زيادة قال وتهدم فى شهر رمضان سنة اربع وأربعين وثلثمائة نحو من ثلاثين ذراعا من اعاليها بالزلزلة التى كانت ببلاد مصر وكثير من بلاد الشام والمغرب فى ساعة واحدة على ماوردت به علينا الاخبار المتواترة ونحن بفسطاط مصر وكانت عظيمة جدا مهولة فظيعة اقامت نحو نصف ساعة زمانية وذلك لنصف يوم السبت لثمان عشرة ليلة خلت من هذا الشهر وهو الخامس من كانون الآخر والتاسع من طوبة وكان لهذه المنارة مجمع فى يوم خميس العدس يخرج سائر أهل الاسكندرية الى المنارة من مساكنهم بمآكلهم ولا بد أن يكون فيها عدس فيفتح باب المنار ويدخله الناس فمنهم من يذكر الله ومنهم من يصلى ومنهم من يلهو ولا يزالون الى نصف النهار ثم ينصرفون ومن ذلك اليوم يحترس على البحر من هجوم العدو * وكان فى المنارة قوم مرتبون لوقود النار طول الليل فيقصد ركاب السفن تلك النار على بعد فاذا رأى اهل المنار ما يريبهم اشعلوا النار من جهة المدينة فاذا رآها الحرس ضربوا الابواق والاجراس فيتحرك عند ذلك الناس لمحاربة العدو * ويقال ان المنار كان بعيدا عن البحر فلما كان فى أيام قسطنطين بن قسطنطين هاج البحر وغرق مواضع كثيرة وكنائس عديدة بمدينة الاسكندرية ولم يزل يغلب عليها بعد ذلك ويأخذ منها شيأ بعد شئ * وذكر بعضهم أنه قاسه فكان مائتى ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعا وهى ثلاث طبقات الطبقة الاولى مربعة وهى مائة واحدى وعشرون ذراعا ونصف ذراع والطبقة الثانية مثمنة وهى احدى وثمانون ذراعا ونصف ذراع والطبقة الثالثة مدورة وهى احدى وثلاثون ذراعا ونصف ذراع * وذكر ابن جبير فى رحلته أن منار الاسكندرية يظهر على ازيد من سبعين ميلا وانه ذرع احد جوانبه الاربعة

فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة فأناف على خمسين ذراعا وان طول المنار أزيد من مائة وخمسين قامة وفى اعلاه مسجد يتبرك الناس بالصلاة فيه * وقال ابن عبد الحكم ويقال ان الذى بنى منار الاسكندرية كلوباطرة الملكة وهى التى ساقت خليجها حتى ادخلته الاسكندرية ولم يكن يبلغها انما كان يعدل من قرية يقال لها كسا قبالة الكريون فحفرته حتى ادخلته الاسكندرية وهى التى بلطت قاعه * ولما استولى احمد بن طولون على الاسكندرية بنى فى أعلى المنار قبة من خشب فأخذتها الرياح وفى أيام الظاهر بيبرس تداعى بعض اركان المنار وسقط فأمر ببناء ما انهدم منه فى سنة ثلاث وسبعين وستمائة وبنى مكان هذا القبة مسجدا وهدم فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة عند حدوث الزلزلة ثم بنى فى شهور سنة ثلاث وسبعمائة على يد الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو باق الى يومنا هذا ولله در الوجيه الدروى حيث يقول فى منار الاسكندرية

وسامية الارجاء تهدى أخا السرى * ضياء اذا ما حندس الليل أظلما
لبست بها بردا من الانس صافيا * فكان بتذكار الاحبة معلما
وقد ظللتنى من ذراها بقبة * ألاحظ فيها من صحابى انجما
تخيل أن البحر تحتى غمامة * وأنى قد خيمت فى كبد السما

وقال ابن قلاقس من ابيات

ومنزل جاوز الجوزاء مرتقيا * كأنما فيه للنسرين اوكار
راسى القرارة سامى الفرع فى يده * للنون والنور أخبار واخبار
اطلقت فيه عنان النظم فاطردت * خيل لها فى بديع الشعر مضمار

وقال الوزير أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد ربه

لله در منار اسكندرية كم * يسمو اليه على بعد من الحدق
من شامخ الانف فى عرنينه شمم * كأنه باهت فى دارة الافق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته * كموقع النوم فى أجفان ذى أرق

وقال عمر بن ابى عمر الكندى فى فضائل مصر ذكر اهل العلم أن المنارة كانت فى وسط الاسكندرية حتى غلب عليها البحر فصارت فى جوفه ألا ترى الابنية والاساسات فى البحر الى الآن عيانا * وقال عبد الله بن عمرو عجائب الدنيا أربعة مرآة كانت معلقة بمنارة الاسكندرية فكان يجلس الجالس تحتها فيرى من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر وذكر الثلاثة

(ذكر الملعب الذى كان بالاسكندرية وغيره من العجائب)

قال القضاعى ومن عجائب مصر الاسكندرية وما بها من العجائب فمن عجائبها المنارة والسوارى والملعب الذى كانوا يجتمعون فيه فى يوم من السنة ثم يرمون بأكرة فلا تقع فى حجر أحد الا ملك مصر وحضر عيدا من أعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الاكرة فى حجره فملك البلد بعد ذلك فى الاسلام ثم حضر هذا الملعب ألف ألف من الناس فلا يكون فيهم أحد الا وهو ينظر فى وجه صاحبه ثم ان قرئ كتاب سمعوه جميعا ولعب لون من اللعب رأوه عن آخرهم لا يتظالمون فيه باكثر من مراتب العلية والسفلية * وقال ابن عبد الحكم فلما كانت سنة ثمان عشرة من الهجرة وقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجابية خلا به عمرو بن العاص واستأذنه فى المسير الى مصر وكان عمرو قد دخل فى الجاهلية مصر وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها وكان سبب دخوله اياها أنه قدم الى بيت المقدس لتجارة فى نفر من قريش فاذا هم بشماس من شمامسة الروم من اهل الاسكندرية قدم للصلاة فى بيت المقدس فخرج فى بعض جبالها يسيح وكان عمرو يرعى ابله وابل اصحابه وكانت رعية الابل نوبا بينهم فبينا عمرو يرعى ابله اذ مر به ذلك الشماس وقد أصابه عطش شديد فى يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاه فسقاه عمرو من قربة له فشرب حتى روى ونام الشماس مكانه وكانت الى جنب الشماس حيث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة فبصر بها عمرو فنزع لها بسهم فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر الى حية عظيمة قد انجاه الله منها فقال لعمرو ما هذه فأخبره عمرو انه رماها فقتلها فأقبل الى عمرو فقبل رأسه وقال قد أحيانى الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية فما اقدمك هذه البلاد قال قدمت مع اصحاب لى نطلب الفضل فى تجارتنا فقال له

الشماس وكم تراك ترجو أن تصيب فى تجارتك قال رجاءى أن اصيب ما اشترى به بعيرا فانى لا املك الا بعيرين فآمل أن اصيب بعيرا آخر فتكون ثلاثة أبعرة فقال له الشماس ارأيت دية احدكم بينكم كم هى قال مائة من الابل فقال له الشماس لسنا اصحاب ابل انما نحن اصحاب دنانير قال تكون ألف دينار فقال له الشماس انى رجل غريب فى هذه البلاد وانما قدمت أصلى فى كنيسة بيت المقدس وأسيح فى هذه الجبال شهرا جعلت ذلك نذرا على نفسى وقد قضيت ذلك وأنا اريد الرجوع الى بلادى فهل لك أن تتبعنى الى بلادى ولك على عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين لان الله عز وجل احيانى بك مرتين فقال له عمرو اين بلادك قال مصر فى مدينة يقال لها الاسكندرية فقال له عمرو لا أعرفها ولم ادخلها قط فقال له الشماس لو دخلتها لعلمت انك لم تدخل قط مثلها فقال له عمرو وتفى لى بما تقول ولى عليك بذلك العهد والميثاق فقال له الشماس نعم لك والله على العهد والميثاق أن افى لك وأن أردك الى اصحابك فقال له عمرو وكم يكون مكثى فى ذلك قال شهرا تنطلق معى ذاهبا عشرا وتقيم عندنا عشرا وترجع فى عشر ولك على أن أحفظك ذاهبا وأن أبعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو أنظرنى حتى اشاور أصحابى فى ذلك فانطلق عمرو الى اصحابه فأخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لهم تقيمون على حتى ارجع اليكم ولكم على العهد أن أعطيكم شطر ذلك على أن يصحبنى رجل منكم آنس به فقالوا نعم وبعثوا معه رجلا منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس حتى انتهوا الى مصر فرأى عمرو من عمارتها وكثرة اهلها وما بها من الاموال والخير ما أعجبه فقال عمرو للشماس ما رأيت مثل ذلك ومضى الى الاسكندرية فنظر عمرو الى كثرة ما فيها من الاموال والعمارة وجودة بنائها وكثرة اهلها فازداد عجبا ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيه ملوكهم وأشرافهم ولهم كرة من ذهب مكللة يترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها بأكمامهم وفيما اختبروا من تلك الكرة على ما وصفها من مضى منهم انها من وقعت الكرة فى كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم * فلما قدم عمرو الاسكندرية اكرمه الشماس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج ألبسه اياه وجلس عمرو والشماس مع الناس فى ذلك المجلس حيث يترامون بالكرة وهم يتلقونها بأكمامهم فرمى بها رجل منهم فأقبلت تهوى حتى وقعت فى كم عمرو فعجبوا من ذلك وقالوا ما كذبتنا هذه الكرة قط الا هذه المرة أترى هذا الاعرابى يملكنا هذا ما لا يكون أبدا وان ذلك الشماس مشى فى اهل الاسكندرية وأعلمهم أن عمرا أحياه مرتين وانه قد ضمن له ألفى دينار وسألهم أن يجمعوا ذلك له فيما بينهم ففعلوا ودفعوها الى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا وزودهما وأكرمهما حتى رجع هو وصاحبه الى اصحابهما فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها ورأى منها ما علم انها أفضل البلاد وأكثرها اموالا فلما رجع عمرو الى اصحابه دفع اليهم فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه ألفا قال عمرو وكان اول مال اعتقدته وتأثلته

* (ذكر عمود السوارى) *

هذا العمود حجر أحمر منقط وهو من الصوان المانع كان حوله نحو أربعمائة عمود كسرها قراجا والى الاسكندرية فى ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ورماها بشاطئ البحر ليوعر على العدو سلوكه اذا قدموا ويذكر أن هذا العمود من جملة أعمدة كانت تحمل رواق ارسطاطاليس الذى كان يدرس به الحكمة وانه كان دار علم وفيه خزانة كتب أحرقها عمرو بن العاص باشارة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويقال ان ارتفاع هذا العمود سبعون ذراعا وقطره خمسة اذرع وذكر بعضهم أن طوله بقاعدتيه اثنان وستون ذراعا وسدس ذراع وهو على نشز طوله ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف ذراع فجملة ذلك خمسة وثمانون ذراعا وثلثا ذراع وطول قاعدته السفلى اثنا عشر ذراعا وطول القاعدة العليا سبعة اذرع ونصف * قال المسعودى وفى الجانب الغربى من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمد وغيرها وكانوا يحملون ما عملوا بعد النقر فاما العمد والقواعد والرؤس التى يسميها اهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون قبل حدوث النصرانية بمئين من السنين ومنها العمد التى بالاسكندرية والعمود بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله وقد رأيت فى جبل اسوان أخا هذا العمود وقد هندس ونقر ولم يفصل من الجبل ولم يحمل ما ظهر منه وانما كانوا ينتظرون به أن يفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم انتهى * وكان بالاسكندرية من العمد العظام وأنواع الحجارة والرخام الذى لا تقل القطعة منه الا بألوف من الناس وقد علقت بين السماء والارض على فوق

المائةذراع وفوق رؤس أساطين دائر الاسطوانة ما بين الخمسة عشر ذراعا الى العشرين ذراعا والحجر فوقه عشرة اذرع فى عشرة اذرع فى سمك عشرة اذرع بغرائب الالوان * وكان بالاسكندرية قصر عظيم لانظير له فى معمور الارض على ربوة عظيمة بازاء باب البلد طوله خمسمائة ذراع وعرضه على النصف من ذلك وبابه من اعظم بناء واتقنه كل عضادة منه حجر واحد وعتبته حجر واحد وكان فيه نحو مائة اسطوانة وبازائه اسطوانة عظيمة لم يسمع بمثلها غلظها ستة وثلاثون شبرا وعلوها بحيث لايدرك أعلاها قاذف حجر وعليها رأس محكم الصناعة يدل على انه كان فوق ذلك بناء وتحتها قاعدة حجر أحمر محكم الصناعة عرض كل ضلع منه عشرون شبرا فى ارتفاع ثمانية اشبار والاسطوانة منزلة فى عمود من حديد قد خرقت به الارض فاذا اشتدت الرياح رأيتها تتحرك وربما وضع تحتها الحجارة فطحنتها لشدة حركتها وكانت هذه الاسطوانة احدى عجائب الدنيا وقد زعم قوم انها مما عمله الجن لسليمان بن داود عليهما السلام كما هى عادتهم فى نسبة كل ما يستعظمون عمله الى انه من صنيع الجن وليس كذلك بل كانت مما عمله القدماء من اهل مصر * وكان فى وسطه قبة ومن حولها أساطين وعلى الجميع قبة من حجر واحد رخام ابيض كأحسن ما أنت راء من الصنائع * ويقال ان بعض ملوك مصر دخل الاسكندرية فأعجبه هذا القصر وأراد أن يبنى مثله فجمع الصناع والمهندسين ليقيموا له قصرا عظيما على هيئته فما منهم الا من اعترف بعجزه عن مثله الاشيخا منهم فانه التزم أن يصنع مثله فسر الملك ذلك وأذن له فى طلب ما يحتاج اليه من المؤن والالات والرجال فقال ائتونى بثورين مطيقين وبعجلة كبيرة فلما أتى بذلك مضى الى المقابر القديمة وحفر منها قبرا أخرج منه جمجمة عظيمة رفعها عدة من الرجال على العجلة فما جرها الثوران مع قوتهما الا بعد جهد وعناء فلما وقف بها بين يدى الملك قال أصلح الله سيدنا ان أتيتنى بقوم رؤسهم مثل هذا الرأس عملت لك مثل هذا القصر فتيقن الملك عند ذلك عجز أهل زمانه عن اقامة مثل ذلك القصر * وقد ذكر أنه كان بالاسكندرية ضرس انسان عند قصاب يزن به اللحم زنته ثمانية ارطال * ويقال ان عمود السوارى الموجود الآن خارج مدينة الاسكندرية أحد سبعة أعمدة أتى بأحدها البثون بن مرة العادى وهو يحمله تحت ابطه من جبل يرم الاحمر قبلى اسوان الى الاسكندرية فانكسر ضلعه لانه كان ضعيف القوى فى قومه فشق ذلك على بعمر بن شداد بن عاد وقال ليتنى فديته بنصف ملكى وجاء بعمود آخر جحدر بن سنان الثمودى وكان قويا فحمله من اسوان تحت ابطه وجاء بقية رجالهم كل رجل بعمود فأقام العمد السبعة الجارود بن قطن المؤتفكى وكان بناءها بعد أن اختاروا لها طالعا سعيدا كما هى عادتهم فى عامة أعمالهم وقد ذكر غير واحد أن الصخور فى القديم من الدهر كانت تلين فعمل منها أعمدة ناعط ومارب وبينون ومآثر اليمن وأعمدة دمشق ومصر ومدين وتدمر وان كل شئ كان يتكلم قال أمية بن ابى الصلت

واذهم لالبوس لهم عراة * واذ صخر السلام لهم رطاب

وقال قوم عمود السوارى من جملة أعمدة كانت تحمل رواقا يقال له بيت الحكمة وذلك حيث انتهت علوم اهل العرب الى خمس فرق وهم اصحاب الرواق هذا وأصحاب الاسطوانة وكانوا ببعلبك واصحاب المظال وهم بأنطاكية واصحاب البرابى وكانوا بصعيد مصر والمشاؤون وكانوا بمقدونية وكانى بمن قل علمه ينكر على ايراد هذا الفصل ويراه من قبيل المحال ومما وضعه القصاص ويجزم بكذبه فلا يوحشنك حكايتى له واسمع قول الله تعالى عن عاد قوم هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة اى طولا وعظم جسم قال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا وهذه الزيادة كانت على خلق آبائهم وقيل على خلق قوم نوح وقال وهب بن منبه كان رأس أحدهم مثل قبة عظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وروى شهر بن حوشب عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال ان كان الرجل من قوم عاد ليحمل المصراعين لو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الامة لم يطيقوه وان كان أحدهم ليغمز بقدمه الارض فيدخل فيها وروى عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافرى عن ابن حجيرة قال استظل سبعون رجلا من قوم موسى عليه السلام فى خف رجل من العماليق وعن زيد بن أسلم بلغنى أن الضبعة وأولادها رابضين فى حجاج عين رجل من العماليق وقال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد قال المبرد وقولها يعنى الخنساء رفيع العماد انما تريد الطول يقال رجل معمد يريد طويلا ومنه قوله تعالى ارم ذات

العماد أى الطوال وقال البغوى سموا ذات العماد لانهم كانوا اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبى ورواية عطاء عن ابن عباس وقال بعضهم سموا ذات العماد لطول قاماتهم قال ابن عباس يعنى طولهم مثل العماد قال مقاتل كان طول أحدهم اثنى عشر ذراعا وفى كشاف الزمخشرى لم يخلق مثلها مثل عاد فى البلاد عظم أجرام وقوة كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتى الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحى فيهلكهم وقد ذكر غير واحد أنه وجد فى خلافة المقتدر بالله أبى الفضل جعفر بن المعتضد كنز بمصر فيه ضلع انسان طوله أربعة عشر شبرا فى عرض ثلاثة اشبار * واعلم أن أعين بنى آدم ضيقة وقد نشأت نفوسهم فى محل صغير فاذا حدث القوم بما يتجاوز مقدار عقولهم أومبلغ أجسامهم مما ليس له عندهم اصل يقيسونه عليه الامما يشاهدونه أويألفونه عجلوا الى الارتياب فيه وسارعوا الى الشك فى الخبر عنه الامن كان معه علم وفهم فانه يفحص عما يبلغه من ذلك حتى يجد دليلا على قبوله أورده وكيف يرد مثل هذه الاخبار وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم طوله ستون ذراعا فى السماء ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن وذكر محمد ابن عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسى الغرناطى فى كتاب تحفة الالباب قال نقل الشعبى فى كتاب سير الملوك أن الضحاك بن علوان لما هرب منه لام بن عامر الى ناحية الشمال أرسل فى طلبه أميرين مع كل أمير طائفة من الجبارين خرج أحدهما قاصدا الى بلغار والآخر الى باشقرد فأقام اولئك الجبارون فى أرض بلغار وفى باشقرد قال الاقليشى وقد رأيت صورهم فى باشقرد ورأيت قبورهم بها فكان مما رأيته ثنية أحدهم طولها أربعة اشبار وعرضها شبران وقد كان عندى فى باشقرد نصف اصل الثنية أخرجت لى من فكه الاسفل فكان عرضها شبرا ووزنها ألف مثقال ومائتا مثقال انا وزنتها بيدى وهى الآن فى دارى فى باشقرد وكان دور فلك ذات العادى سبعة عشر ذراعا وفى بيت بعض أصحابى فى باشقرد عضد أحدهم طوله ثمانية وعشرون ذراعا وأضلاعه كل ضلع عرضه ثلاثة اشبار واكثر كاللوح الرخام وأخرج الى نصف رسغ يد أحدهم فكنت لا أقدر أن ارفعه بيد واحدة حتى ارفعه بيدى جميعا قال ولقد رأيت فى بلد بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل العاديين رجلا طوالا كان طوله اكثر من سبعة اذرع وكان يسمى دنقى وكان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الطفل الصغير وكان اذا وقع القتال بتلك الناحية يقاتل بشجرة من شجر البلوط يمسكها كالعصا فى يده لوضرب بها الفيل قتله وكان خيرا متواضعا كلما التقانى سلم على ورحب بى واكرمنى وكان رأسى لا يصل الى حقوه وكان له اخت على طوله رأيتها فى بلغار مرارا عدة قال لى القاضى يعقوب بن النعمان يعنى قاضى بلغار ان هذه المرأة الطويلة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان من أقوى اهل بلغار ضمته الى صدرها فكسرت اضلاعه فمات من ساعته قال ولم يكن فى بلغار حمام تسعهم الاحمام واحدة واسعة الابواب انتهى * وقد حدثنى الحافظ ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد الفريابى عن أبيه أنه شاهد قبرا احتفر بمدينة قرطاجنة من افريقية فاذا جثة رجل قدر عظم رأسه كسور بن عظيمين ووجد معه لوح مكتوب بالقلم المسند وهو قلم عاد وحروفه مقطعة مانصه انا كوش بن كنعان ابن الملوك من آل عاد ملكت بهذه الارض ألف مدينة وبنيت بها على ألف بكر وركبت من الخيل العتاق سبعة آلاف حمر وصفر وشهب وبيض ودهم ثم لم يغن عنى ذلك شيأ وجاءنى صائح فصاح بى صيحة أخرجتنى من الدنيا فمن كان عاقلا ممن جاء بعدى فليعتبر بى وأنشد

يا واقفا ربعى السهى * برسم ربع قد وهى
قف واستمع ثم اعتبر * ان كنت من اهل النهى
بالامس كنا فوقها * واليوم صرنا تحتها
لكل حد غاية * لكل امر منتهى

قال فأمر السلطان ابو بكر بن يحيى الحفصى صاحب تونس بطمه فطم القبر قال مؤلفه رحمه الله تعالى وأنا أدركت شيأ من ذلك وهو أنه ترافع فى بعض الايام طائفة من الحجارين الى السلطان الملك الظاهر برقوق أعوام بضع وتسعين وسبعمائة وقد اختلفوا على مال وجدوه بجبل المقطم وهو أنهم كانوا يقطعون الحجارة من مغار فيما يلى قلعة الجبل من بحريها فانكشف لهم حجر أسود عليه كتابة فاجتمعوا على قطع ما بين يدى هذا الحجر طمعا فى وجود مال فانتهى بهم القطع الى عمود عظيم قائم فى قلب الجبل فلما جاءتهم أقبلوا جميعا ولهم عليه حتى تكسر قطعا فاذا

هو مجوف وانسان قائم على قدميه بطوله وتناثر لهم من جهة رأسه دنانير كثيرة فاقتسموها وتنافسوا فى قسمتها واختلفوا حتى اشتهر أمرهم وترافعوا الى السلطان فبعث من كشف المغار فوجدا الحجر والعمود وقد تكسر فاخذ منهم ماوجد بأيديهم من الدنانير ولم يجد من يعرف ماقد كتب على الحجر وتسامع الناس بالخبر فأقبلوا الى المغار وعبثوا برمّة الميت فأخبرنى من شاهد سنا من اسنان هذا الميت انها سوداء بقدر الباذنجانة وان عظم ساقه فيما بين قدمه الى ركبته خمسة اذرع فيجىء هذا من حساب طوله عشرين ذراعا وأزيد ودماغ سن واحدة من اسنانه فى قدر الباذنجانة ماهو الا كالقبة الكبيرة وأخبرنى السيد الشريف قاضى القضاة بدمشق شهاب الدين احمد بن على بن ابراهيم الحسينى المعروف بابن عدنان وبابن أبى الجن انه وقف فى سنة أربع عشرة وثمانمائة بمقبرة باب الصغير من دمشق على قبر ليدفن فيه ميت لهم فلما تهيأ القبر ولم يبق الا أن يدلى فيه الميت انخسف وخرج من الخسف ذباب كثير كبار زرق الالوان حتى كادت تظلهم فنزل الحفار فى الخسف فاذا قبر طوله اثنان وعشرون ذراعا وفيه بطوله ميت قد صار كالرماد وأخبرنى أيضا انه شاهد بهذه المقبرة ضرس انسان وله ثلاث شعب وقد سقطت منه قطعة وهو فى قدر البطيخة وانه وزن بحضرته فبلغ رطلين وتسع اواق بالرطل الشامى وان القطعة التى انكسرت منه نحو اوقيتين بالشامى فيكون على هذا زنة هذا الضرس نحو اثنى عشر رطلا بالمصرى والله تعالى أعلم

* (ذكر طرف مما قيل فى الاسكندرية) *

قال ابو عمرو الكندى أجمع الناس انه ليس فى الدنيا مدينة على ثلاث طبقات غير الاسكندرية ولما دخل عبد العزيز بن مروان الاسكندرية سأل رجلا من علماء الروم عنها وعن عدد أهلها فقال والله أيها الامير ما أدرك علم هذا أحد من الملوك والذى أخبرك كم كان فيها من اليهود فان ملك الروم أمر باحصائهم فكانوا ستمائة ألف قال فما هذا الخراب الذى فى اطرافها قال بلغنى عن بعض ملوك فارس حين ملكوا مصر انه أمر بفرض دينار على كل محتلم لعمران الاسكندرية فأتاه كبراء أهلها وعلماؤهم وقالوا أيها الملك لا تتعب فان الاسكندرية أقام الاسكندر على بنائها ثلثمائة سنة وعمرت ثلثمائة سنة وانها لخراب منذ ثلثمائة سنة ولقد أقام أهلها سبعين سنة لا يمشون فيها نهارا الا بخرق سود فى أيديهم خوفا على أبصارهم من شدة بياضها * ومن فضائلها ما قاله بعض المفسرين من أهل العلم انها المدينة التى وصفها الله عز وجل فى كتابه العزيز فقال ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وقال احمد بن صالح قال لى سفيان بن عيينة يا مصرى أين تسكن قلت أسكن الفسطاط فقال أتأتى الاسكندرية قلت نعم قال تلك كنانة الله يجعل فيها خيار سهامه * وقال عبد الله بن مرزوق الصدفى لما نعى لى ابن عمى خالد بن يزيد وكان قد توفى بالاسكندرية لقينى موسى بن على بن رباح وعبد الله بن لهيعة والليث ابن سعد متفرقين كلهم يقول أليس مات بالاسكندرية فأقول نعم فيقولون هو حى عند الله يرزق ويجرى عليه أجر رباطه ما أقامت الدنيا وله اجر شهيد حتى يحشر على ذلك وقال الذين ينظرون فى الاهوية والبلدان وترتيب الاقاليم والامصار انه لم تطل أعمار الناس فى بلد من البلدان طولها بمريوط من كورة الاسكندرية ووادى فرغانة وقال الحسن بن صفوان وأما الاسكندرية وتنيس وأمثالهما فقربها من البحر وسكون الحرارة والبرد عندهم وظهور ريح الصبا فيهم مما يصلح أمرهم ويرق طباعهم ويرفع هممهم وليس يعرض لهم ما يعرض لاهل اليشمون من غلظ الطبع والجبارية وقد وصف أهل الاسكندرية بالبخل قال جلال الدين بن مكرم بن أبى الحسن بن احمد الخزرجى ملك الحفاظ

نزيل سكندرية ليس يقرى * بغير الماء اونعت السوارى
ويتحف حين يكرم بالهواء الـ * ـملائى والاشارة للمنار
وذكر البحر والامواج فيه * ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يطمع نزيلهم بخبز * فما فيها لذاك الحرف قارى

وقال احمد بن خرداذبه من الفسطاط الى ذوات الساحل أربعة وعشرون ميلا ثم الى مريوط ثلاثون ميلا ثم الى كوم شريك ثلاثون ميلا ثم الى كريون أربعة وعشرون ميلا ثم الى الاسكندرية أربعة وعشرون ميلا وقال آخر وطريق الاسكندرية اذا نضب ماء النيل يأخذ بين المدائن والضياع وذلك اذا أخذت من شطنوف الى

سبك العبيد فهو منزل فيه منية لطيفة و بينهما اثنا عشر سقسا ومن سبك الى مدينة منوف وهي كبيرة فيها ٢
حمامات وأسواق وبها قوم فيهم يسار ووجوه من الناس وبينهما ستة عشر سقسا ومن منوف الى محلة صرد
وفيها منبر وحمام وفنادق وسوق صالح ستة عشر سقسا ومن محلة صرد الى سخا وهي مدينة كبيرة ذات حمامات
وأسواق وعمل واسع واقليم جليل له عامل بعسكر وجند وبه الكتان الكثير وزيت الفجل وقموح عظيمة ستة
عشر سقسا ومن سخا الى شبركيه وهي مدينة كبيرة بها جامع واسواق ستة عشر سقسا ومن شبركيه الى مسير
وهي مدينة بها جامع واسواق ستة عشر سقسا ومن مسير الى سنهور وهي مدينة ذات اقليم كبير وبها
حمامات وأسواق وعمل كبير ستة عشر سقسا ومن سنهور الى النخوم وهي اقليم وبها حمامات وفنادق وأسواق
ستة عشر سقسا ومن النخوم الى نسترو وكانت مدينة عظيمة حسنة على بحيرة البشمون عشرون سقسا ومن
نسترو الى البرلس وهي مدينة كثيرة الصيد فى البحيرة وبها حمامات عشر سقسات ومن البرلس الى اخنا وهي
حصن على شط بحر الملح عشر سقسات ومن اخنا الى رشيد وهي مدينة على النيل ومنها يصب النيل فى البحر من
فوهة تعرف بالاشتوم وهي المدخل ثلاثون سقسا وكان بها أسواق صالحة وحمام وبها النخيل وضريبة
على ما يحمل من الاسكندرية * وهذا الطريق الآخذ من شطنوف الى رشيد ربما امتنع سلوكه عند زيادة
النيل والثياب المنسوجة بالاسكندرية لا نظير لها وتحمل الى أقطار الارض وفى ثياب الاسكندرية ما يباع
الكتان منه اذا عمل ثيابا يقال لها الشرب كل زنة درهم بدرهم فضة وما يدخل فى الطرز فيباع بنظير وزنه مرات
عديدة

(ذكر فتح الاسكندرية)

قال أبو عمرو الكندى لما حاز المسلمون الحصن بما فيه أجمع عمرو على المسير الى الاسكندرية فسار اليها فى ربيع
الاول سنة عشرين وقال غيره بل سار فى جمادى الآخرة منها * وذكر سيف بن عمر أن عمرو بن العاص بعث
الى الاسكندرية وهو على عين شمس عوف بن مالك فنزل عليها وبعث يقول لاهلها ان شئتم أن تنزلوا فلكم الامان
فقالوا نعم فراسلهم وتربصوا أهل عين شمس وسار المسلمون من بين ذلك * وقال ابن عبد الحكم ويقال ان المقوقس ١٨
انما صالح عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية حاصر اهلها ثلاثة اشهر وألح عليهم فخافوه وسأله المقوقس الصلح عنهم
كما صالحه على القبط على أن يستنظر رأى الملك فحدثنا يزيد بن أبى حبيب ان المقوقس الرومى الذى كان ملكا على
مصر صالح عمرو بن العاص على أن يسير من أراد من الروم المسير ويقر من أراد من الروم على أمر قد سماه فبلغ ذلك
هرقل ملك الروم فسخط أشد السخط وأنكر أشد الانكار وبعث الجيوش فأغلقوا أبواب الاسكندرية وآذنوا
عمرا بالحرب فخرج اليه المقوقس فقال أسألك ثلاثا قال ماهن قال لا تبذل للروم ما بذلت لى فانى قد نصحت لهم
فاستغشونى ولا تنقض القبط فان النقض لم يأت من قبلهم وأن تأمر بى اذا مت فادفنى فى يحنس فقال عمرو هذه
أهونهن علينا قال فخرج عمرو بالمسلمين حين أمكنهم الخروج وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم
الطرق وأقاموا لهم الجسور والاسواق وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم وسمعت بذلك
الروم فاستعدت واستجاشت وقدمت عليهم مراكب من أرض الروم فيها جمع عظيم من الروم بالعدة والسلاح
فخرج اليهم عمرو من الفسطاط متوجها الى الاسكندرية فلم يرمنهم أحدا حتى بلغ مريوط فلقى فيها طائفة من
الروم فقاتلهم قتالا خفيفا فهزمهم الله ومضى عمرو بمن معه حتى لقى جمع الروم بكوم شريك فاقتتلوا ثلاثة أيام ثم
فتح الله على المسلمين وولى الروم أكتافهم * ويقال بل أرسل عمرو بن العاص شريك بن سمى فى آثارهم فأدركهم
عند الكوم الذى يقال له كوم شريك فهزمهم وكان على مقدمة عمرو وعمرو بمريوط فالجأوه الى الكوم فاعتصم به
وأحاطت به الروم فلما رأى ذلك شريك بن سمى أمر ابا ناعمة مالك بن ناعمة الصدفى وهو صاحب الفرس الاشقر
الذى يقال له أشقر صدف وكان لا يجارى سرعة فانحط عليهم من الكوم وطلبته الروم فلم تدركه حتى أتى عمرا
فأخبره فأقبل عمرو متوجها وسمعت به الروم فانصرفت ثم التقوا بسلطيس فاقتتلوا قتالا شديدا ثم هزمهم الله
تعالى ثم التقوا بالكريون فاقتتلوا بها بضعة عشر يوما وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء يومئذ
وردان مولى عمرو فأصابت عبد الله بن عمرو جراحات كثيرة فقال يا وردان لو تقهقرت قليلا نصيب الروح فقال
وردان الروح تريد الروح امامك وليس خلفك فتقدم عبد الله فجاءه رسول أبيه يسأله عن جراحه فقال

أقول لها اذا جشأت وجاشت * رويدك تحمدى أو تستريحى

وهذا البيت لعمرو ابن الاطنابة وهو أن رجلا من بنى النجار كان مجاورا لمعاذ بن النعمان فقتل فقال معاذ لا أقتل الا عمرو ابن الاطنابة وهو يومئذ أشرف الخزرج فقال عمرو

ألا من مبلغ الاكفاء عنى * وقد تهدى النصيحة للنصيح
بأنكم وما تزجون شطرى * من القول المرغى والصريح
سيقدم بعضكم عجلا عليه * وما أثر اللسان الى الجروح
أبت لى عفتى وأبى بلائى * وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واعطائى على المكروه مالى * واقدامى على البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى
لادفع عن مآثر صالحات * وأحمى بعد عن عرض صحيح
بذى شطب كلون الملح صاف * ونفس لم تقر على القبيح

الشطب سعف النخل الاخضر الواحدة شطبة وجشأت ارتفعت من حزن اوفزع وجاشت دارت للغثيان وقيل هما بمعنى ارتفع والمشيح البارد المنكمش * فرجع الرسول الى عمرو فأخبره بما قال فقال عمرو هو ابنى حقا وصلى عمرو يومئذ صلاة الخوف ثم فتح الله للمسلمين وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الاسكندرية فتحصن بها الروم وكان عليها حصون متينة لا ترام حصن دون حصن فنزل المسلمون ومعهم رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفة فأقاموا اشهرين ثم تحول فخرجت عليه خيل من ناحية البحيرة مستترة بالحصن فواقعوه فقتل يومئذ من المسلمين اثنا عشر رجلا ورسل ملك الروم تختلف الى الاسكندرية فى المراكب بمادة الروم * وكان ملك الروم يقول لئن ظهرت العرب على الاسكندرية ففى ذلك انقطاع الروم وهلاكهم لانه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الاسكندرية وانما كان عيد الروم حين غلبت العرب على الشام بالاسكندرية فقال الملك لئن غلبونا على الاسكندرية هلكت الروم وانقطع ملكها فأمر بجهازه ومصلحته لخروجه الى الاسكندرية حتى يباشر قتالها بنفسه فلما فرغ من جهازه صرعه الله عز وجل فأماته وكفى المسلمين مؤنته وكان موته فى سنة تسع عشرة فكسر الله بموته شوكة الروم فرجع جمع كثير ممن كان قد توجه * وقال الليث مات هرقل فى سنة عشرين وفيها فتحت قيسارية الشام قال واستأسدت العرب عند ذلك وألحت بالقتال على اهل الاسكندرية فقاتلوهم قتالا شديدا وخرج طرف من الروم من باب حصن الاسكندرية فحملوا على الناس فقتلوا رجلا من مهرة واحتزوا رأسه ومضوا به فجعل المهريون يتغضبون ويقولون لاندفنه الا برأسه فقال عمرو تتغضبون كأنكم تتغضبون على من يبالى بغضبكم احملوا على القوم اذا خرجوا فاقتلوا منهم رجلا ثم ارموا برأسه يرمونكم برأس صاحبكم فخرجت الروم اليهم فاقتتلوا فقتل من الروم رجل من بطارقتهم فاحتزوا رأسه ورموا به الروم فرمت الروم برأس المهرى اليهم فقال دونكم الآن فادفنوا صاحبكم * وكان عمرو يقول ثلاث قبائل من مصر أما مهرة فقوم يقتلون ولا يقتلون وأما غافق فقوم يقتلون ولا يقتلون وأما بلى فأكثرها رجلا صحب النبى صلى الله عليه وسلم وأفضلها فارسا وقال رجل لعمرو لو جعلت المنجنيق ورميتهم به لهدم حائطهم فقال عمرو تستطيع أن يغنى مقامك من الصف وقيل له ان العدو قد غشوك ونحن نخاف على رابطة يريدون امر أنه قتال اذا تتخذوا ارباطا كثيرة . ولما استحر القتال بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد فصرعه الرومى وألقاه عن فرسه وهوى اليه ليقتله حتى حماه رجل من اصحابه وكان مسلمة لا يقاوم ولكنها مقادير ففرحت بذلك الروم وشق على المسلمين وغضب عمرو بن العاص لذلك وكان مسلمة كثير اللحم ثقيل البدن فقال عمرو عند ذلك ما بال الرجل الستة الذى يشبه النساء يتعرض مداخل الرجال ويتشبه بهم فغضب من ذلك مسلمة ولم يراجعه ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن الاسكندرية فقاتلهم العرب فى الحصن ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعا من الحصن الا اربعة نفر تفرقوا فى الحصن وأغلقوا عليهم باب الحصن أحدهم عمرو بن العاص والآخر مسلمة ولم نحفظ الآخرين وحالوا بينهم وبين اصحابهم ولا يدرى الروم من هم فلما رأى ذلك عمرو بن العاص وأصحابه التجأوا الى ديماس من حماماتهم فدخلوا فيه فاحترزوا به فأمروا روميا أن يكلمهم بالعربية فقال لهم انكم قد صرتم بأيدينا

اسارى فاستأسروا ولا تقتلوا أنفسكم فامتنعوا عليه ثم قال لهم ان فى ايدى اصحابكم منا رجالا أسروهم ونحن نعطيكم العهود نفادى بكم أصحابنا ولا نقتلكم فأبوا عليه فلما رأى ذلك الرومى منهم قال لهم هل لكم الى خصلة وهى نصف فان غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنا وأمكنتونا من أنفسكم وان غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سبيلكم الى اصحابكم فرضوا بذلك وتعاهدوا عليه وعمرو ومسلمة وصاحبا هما فى الحصن فى الديماس فتداعوا الى البراز فبرز رجل من الروم وقد وثقت الروم بنجدته وشدته وقالوا يبرز رجل منكم لصاحبنا فأراد عمرو أن يبرز فمنعه مسلمة وقال ما هذا تخطئ مرتين تشذ من اصحابك وأنت امير وانما قوامهم بك وقلوبهم معلقة نحولك لا يدرون ما أمرك ولا ترضى حتى تبارز وتتعرض للقتل فان قتلت كان ذلك بلاء على أصحابك مكانك وانا اكفيك ان شاء الله تعالى فقال عمرو دونك فربما فرجها الله بك فبرز مسلمة للرومى فتجاولا ساعة ثم اعانه الله عليه فقتله فكبر مسلمة وأصحابه ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا ولا يدرى الروم أن أمير القوم فيهم حتى بلغهم بعد ذلك فأسفوا على ذلك وأكلوا أيديهم تغيظا على ما فاتهم فلما خرجوا استحيى عمرو مما كان قال لمسلمة حين غضب فقال عمرو عند ذلك استغفر لى ما كنت قلت لك فاستغفر له وقال عمرو ما أفحشت قط الا ثلاث مرار مرتين فى الجاهلية وهذه الثالثة وما منهن مرة الا وقد ندمت وما استحييت من واحدة منهن أشد مما استحييت مما قلت لك ووالله انى لارجو أن لا أعود الى الرابعة ما بقيت قال وأقام عمرو محاصر الاسكندرية أشهرا فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ما أبطؤا بالفتح الا لما أحدثوا وكتب الى عمرو بن العاص أما بعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم منذ سنين وما ذاك الا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم فان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوما الا بصدق نياتهم وقد كنت وجهت اليك أربعة نفر وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف الا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم فاذا أتاك كتابى هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم فى الصبر والنية وقدم اولئك الاربعة فى صدور الناس ومر الناس جميعا أن يكونوا لهم صدمة واحدة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة وليعج الناس الى الله ويسألوه النصر على عدوهم فلما أتى عمرو بن العاص رضى الله عنه الكتاب جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر رضى الله عنه ثم دعا اولئك النفر فقدمهم أمام الناس وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين ثم يرغبوا الى الله تعالى ويسألوه النصر ففعلوا ففتح الله عليهم * ويقال ان عمرو بن العاص استشار مسلمة فقال أشر على فى قتال هؤلاء فقال له مسلمة أرى أن تنظر الى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعقد له على الناس فيكون هو الذى يباشر القتال ويكفيكه فقال عمرو من ذلك قال عبادة بن الصامت فدعاه عمرو فأتاه وهو راكب على فرسه فلما دنا منه أراد النزول فقال له عمرو عزمت عليك ان نزلت ناولنى سنان رمحك فناوله اياه فنزع عمرو عمامته عن رأسه وعقد له وولاه قتال الروم فتقدم عبادة مكانه فصادف الروم وقاتلهم ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومهم ذلك وكان حصار الاسكندرية بعد موت هرقل تسعة أشهر وخمسة أشهر قبل ذلك وفتحت يوم الجمعة لمستهل المحرم سنة احدى وعشرين وقال ابو عمرو الكندى وحاصر عمرو الاسكندرية ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها عمرو لمستهل المحرم سنة احدى وعشرين * قال القضاعى عن الليث أقام عمرو بالاسكندرية فى حصارها وفتحها ستة أشهر ثم انتقل الى الفسطاط فاتخذها دارا فى ذى القعدة * وقال ابن عبد الحكم فلما هزم الله تعالى الروم وفتح الاسكندرية هرب الروم فى البر والبحر فخلف عمرو بالاسكندرية ألف رجل من أصحابه ومضى ومن معه فى طلب من هرب من الروم فى البر فرجع من كان هرب من الروم فى البحر الى الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين الا من هرب منهم وبلغ ذلك عمرا فكر راجعا ففتحها وأقام بها وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الله قد فتح علينا الاسكندرية بغير عقد ولا عهد فكتب اليه عمر رضى الله عنه يقبح رأيه ويأمره أن لا يجاوزها قال ابن لهيعة وهو فتح الاسكندرية الثانى وكان سبب فتحها هذا أن رجلا يقال له ابن بسامة كان بوابا فسأل عمرا أن يؤمنه على نفسه وأرضه وأهل بيته ويفتح له الباب فأجابه عمرو الى ذلك ففتح له ابن بسامة الباب فدخل عمرو وقتل من المسلمين من حين كان من أمر الاسكندرية ما كان الى أن فتحت اثنان

وعشرون رجلا و بعث عمرو بن العاص معاوية بن خديج وافدا الى عمر بن الخطاب بشيرا له بالفتح فقال له معاوية ألا تكتب معى فقال له عمرو وما أصنع بالكتاب ألست رجلا عربيا تبلغ الرسالة وما رأيت وحضرت * فلما قدم على عمر أخبره بفتح الاسكندرية فخر عمر ساجدا وقال الحمد لله وقال معاوية بن خديج بعثنى عمرو بن العاص الى عمر رضى الله عنه بفتح الاسكندرية فقدمت المدينة فى الظهيرة فأنخت راحلتى بباب المسجد ثم دخلت المسجد فبينا أنا قاعد فيه اذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرأتنى شاحبا على ثياب السفر فأتتنى وقالت من أنت فقلت أنا معاوية بن خديج رسول عمرو بن العاص فانصرفت عنى ثم أقبلت تشتد أسمع حفيف ازارها على ساقها حتى دنت منى ثم قالت قم فأجب أمير المؤمنين يدعوك فتبعتها فلما دخلت فاذا بعمر يتناول رداءه باحدى يديه ويشد ازاره بالأخرى فقال ما عندك فقلت خيرا يا أمير المؤمنين فتح الله الاسكندرية فخرج معى الى المسجد فقال للمؤذن أذن فى الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس ثم قال لى قم فاخبر أصحابك فقمت فأخبرتهم ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس فقال يا جارية هل من طعام فأتت بخبز وزيت فقال كل فأكلت حياء ثم قال كل فان المسافر يحب الطعام فلو كنت آكلا لأكلت معك فأصبت على حياء ثم قال يا جارية هل من تمر فأتت بتمر فى طبق فقال كل فأكلت على حياء ثم قال ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد قال قلت أمير المؤمنين قائل قال بئس ما قلت أو بئس ما ظننت لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية * ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك الى عمر بن الخطاب أما بعد فانى فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أنى أصبت فيها اربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية وأربعمائة ملهى للملوك وعن أبى قبيل ان عمرا لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثنى عشر ألف بقال يبيعون البقل الاخضر وترحل من الاسكندرية فى الليلة التى دخلها عمرو وفى الليلة التى خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودى * وكان بالاسكندرية فيما أحصى من الحمامات اثنا عشر ألف ديماس أصغر ديماس منها يسع ألف مجلس كل مجلس يسع جماعة نفر وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتى ألف رجل فلحق بأرض الروم اهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون ألفا مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والاهل وبقى من بقى من الأسارى من بلغ الخراج فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو فى قسمها فكان اكثر الناس يريدون قسمها فقال عمرو لا أقدر على قسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشأنها و يعلمه أن المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر لا تقسمها وذرها يكون خراجها فيأ للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر صلحا كلها بفريضة دينارين على كل رجل لا يزاد على أحد منهم فى جزية رأسه اكثر من دينارين الا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة * وقد كانت قرى من قرى مصر قاتلت فسبوا منها قرية يقال لها بلهيب وقرية يقال لها الخيس وقرية يقال لها سلطيس فوقع سباياهم بالمدينة وغيرها فردهم عمر ابن الخطاب الى قراهم وصيرهم وجماعة القبط اهل ذمة * وعن يزيد بن أبى حبيب ان عمرا سبى اهل بلهيب وسلطيس وقرطيا وسخا فتفرقوا وبلغ اولهم المدينة حين نقضوا ثم كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بردهم فرد من وجد منهم وفى رواية ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب فى اهل سلطيس خاصة من كان منهم فى أيديكم فخيروه بين الاسلام فان أسلم فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم وان اختار دينه فخلوا بينه و بين قريته فكان البلهيبى خير يومئذ فاختار الاسلام * وفى رواية ان اهل سلطيس وصا وبلهيب ظاهروا الروم على المسلمين فى جمع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون استحلوهم وقالوا هؤلاء لنا فىء مع الاسكندرية فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر أن تجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين وتضرب عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولا يجعلون فيئا ولا عبيدا ففعل ذلك * و يقال انما ردهم عمر رضى الله عنه لعهد كان تقدم لهم وقال ابن لهيعة جبى عمرو جزية الاسكندرية ستمائة ألف دينار لانه وجد ثلثمائة ألف من أهل الذمة فقدر عليهم دينارين دينارين فبلغت ذلك وقيل كانت جزية الاسكندرية

ثمانية عشر ألف دينار فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك بلغت ستة وثلاثين ألف دينار ويقال ان عمرو ابن العاص استبق اهل الاسكندرية فلم يقتل ولم يسب بل جعلهم ذمة كاهل النوبة

(ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية وانتقاض الروم)

قال ابن عبد الحكم فأمّا الاسكندرية فلم يكن بها خطط وانما كانت أخائذ من أخذ منزلا نزل فيه هو وبنو ابيه وانّ عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية أقبل هو وعبادة بن الصامت حتى علوا الكوم الذى فيه مسجد عمرو ابن العاص فقال معاوية بن خديج تنزل فنزل عمرو القصر ونزل أبوذر منزلا كان غربى المصلى الذى عند مسجد عمرو مما يلى البحر وقد انهدم ونزل معاوية بن خديج فوق التل وضرب عبادة بن الصامت خباء فلم يزل فيه حتى خرج من الاسكندرية ويقال انّ أبا الدرداء كان معه والله أعلم قال فلما استقامت لهم البلاد قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس وربعا فى السواحل والنصف مقيمون معه وكان يصير بالاسكندرية خاصة الربع فى الصيف بقدر ستة أشهر ويعقب بعدهم شاتية ستة أشهر وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه واتخذوا فيه أخائذ * وعن يزيد بن أبى حبيب أن المسلمين لما سكنوا الاسكندرية فى رباطهم ثم قفلوا ثم غزوا ابتدروا فكان الرجل منهم يأتى المنزل الذى كان فيه صاحبه قبل ذلك فيبتدره فيسكنه فلما غزوا قال عمرو انى أخاف أن تخربوا المنازل اذا كنتم تتعاورونها فلما كان عند الكريون قال لهم سيروا على بركة الله فمن ركز منكم رمحه فى دار فهى له ولبنى ابيه فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه فى منزل منها ثم يأتى الآخر فيركز رمحه فى بعض بيوت الدار فكانت الدار تكون لقبيلتين وثلاث وكانوا يسكنونها حتى اذا قفلوا سكنها الروم وعليهم مرمتها وكان يزيد بن أبى حبيب يقول لا يحل من كرائها شئ ولا يبعها ولا يورث منها شئ انما كانت لهم يسكنونها فى رباطهم * وعن يزيد بن أبى حبيب انّ عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها همّ أن يسكنها وقال ما كن قد كفيناها فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستأذنه فى ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بينى وبين المسلمين ماء قال نعم يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو انى لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم شتاء ولا صيفا فتحوّل عمرو بن العاص الى القسطاط قال وكتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص وهو نازل بمدائن كسرى والى عامله بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجعلوا بينى وبينكم ماء متى ما أردت أن أركب اليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت فتحوّل سعد بن أبى وقاص من مدائن كسرى الى الكوفة وتحوّل صاحب البصرة من المكان الذى كان فيه فنزل البصرة وتحوّل عمرو ابن العاص من الاسكندرية الى القسطاط وكان عمر بن الخطاب يبعث فى كل سنة غازية من اهل المدينة ترابط بالاسكندرية وكان على الولاة لا يغفلها ويكثف مرابطها ولا يأمن الروم عليها * وكتب عثمان رضى الله عنه الى عبد الله بن سعد بن أبى سرح قد علمت كيف كان همّ أمير المؤمنين بالاسكندرية وقد نقضت الروم مرّتين فألزم الاسكندرية مرابطها ثم أجر عليهم ارزاقهم وأعقب بينهم فى كل ستة أشهر قال وكانت الاسكندرية انتقضت وجاءت الروم عليهم منويل الخصى فى المراكب حتى أرسوا بالاسكندرية فأجابهم من بها من الروم ولم يكن المقوقس تحرّك ولا نكث وقد كان عثمان رضى الله عنه عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله ابن سعد بن أبى سرح فلما نزلت الروم سال اهل مصر عثمان أن يقرّ عمرا حتى يفرغ من قتال الروم فانّ له معرفة بالحرب وهيبة فى العدوّ ففعل وكان على الاسكندرية سورها فحلف عمرو بن العاص لئن أظفره الله عليهم ليهدمن سورها حتى يكون مثل بيت الزانية يؤتى من كل مكان فخرج اليهم عمرو فى البرّ والبحر فضموا الى المقوقس من أطاعه من القبط وأمّا الروم فلم يطعه منهم أحد فقال خارجة بن حذافة لعمرو ناهضهم قبل أن يكثر مددهم فلا آمن أن تنتقض مصر كلها فقال عمرو لا ولكن أدعهم حتى يسيروا الىّ فانهم يصيبون من مرّوا به فيخزى الله بعضهم ببعض فخرجوا من الاسكندرية ومعهم من نقض من اهل القرى فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمورها ويأكلون أطعمتها وينتهبون ما مرّوا به فلم يتعرض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس فلقوهم فى البرّ والبحر فبدأت الروم القبط فرموا بالنشاب فى الماء رميا شديدا حتى أصابت النشاب يومئذ فرس عمرو فى لبته وهو فى البرّ فعقر فنزل عنه عمرو ثم خرجوا من البحر فاجتمعوا هم والذين فى البرّ فنضحوا المسلمين بالنشاب فاستأخر المسلمون عنهم

شيأ وحملوا على المسلمين حملة ولى المسلمون منها وانهزم شريك بن سمى فى خيله وكانت الروم قد جعلت صفوفا خلف صفوف وبرز يومئذ بطريق ممن جاء من ارض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب فدعا الى البراز فبرز اليه رجل من زبيد يقال له حومل يكنى أبا مذحج فاقتتلا طويلا برمحين يتطاردان ثم ألقى البطريق الرمح وأخذ السيف فألقى حومل رمحه وأخذ سيفه وكان يعرف بالنجدة فجعل عمرو يصيح أبا مذحج فيجيبه لبيك والناس على شاطئ النيل فى البر على تعبيتهم وصفوفهم فتجاولا ساعة بالسيف ثم حمل عليه البطريق فاحتمله وكان نحيفا فاخترط حومل خنجرا كان فى منطقته او فى ذراعه فضرب به نحر العلج او ترقوته فأثبته ووقع عليه فأخذ سلبه ثم مات حومل بعد ذلك بأيام رحمه الله فرىء عمرو يحمل سريره بين عمودى نعشه حتى دفنه بالمقطم ثم شد المسلمون عليهم فكانت هزيمتهم فطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالاسكندرية ففتح الله عليهم وقتل منويل الخصى وقتلهم عمرو حتى أمعن فى مدينتهم فكلم فى ذلك فأمر برفع السيف عنهم وبنى فى ذلك الموضع الذى رفع فيه السيف مسجدا وهو المسجد الذى بالاسكندرية الذى يقال له مسجد الرحمة سمى بذلك لرفع عمرو السيف هنالك وهدم سورها كله وجمع ما أصاب منهم فجاءه اهل تلك القرى ممن لم يكن نقض فقالوا قد كنا على صلحنا وقد مر علينا هؤلاء اللصوص فأخذوا متاعنا ودوابنا وهو قائم فى يديك فرد عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه وأقاموا عليه البينة وقال بعضهم لعمرو ما حل لك ما صنعت بنا كان لنا أن تقاتل عنا لانا فى ذمتك ولم تنقض فأما من نقض فأبعده الله فندم عمرو وقال يا ليتنى كنت لقيتهم حين خرجوا من الاسكندرية وكان سبب نقض الاسكندرية هذا أن ظلما صاحب اخنا قدم على عمرو فقال أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فنصبر لها فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة لو أعطيتنى من الركن الى السقف ما أخبرتك انما أنتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم فغضب صاحب اخنا وخرج الى الروم فقدم بهم فهزمهم الله تعالى وأسر فأتى به الى عمرو فقال له الناس اقتله فقال لا بل انطلق فجئنا بجيش آخر وسوره وتوجه وكساه برنس أرجوان فرضى باداء الجزية فقيل له لو أتيت ملك الروم فقال لو أتيته لقتلنى وقال قتلت اصحابى وعن أبى قبيل أن عتبة ابن أبى سفيان عقد لعلقمة القطيفى على الاسكندرية وبعث معه اثنى عشر ألفا فكتب علقمة الى معاوية ابن أبى سفيان يشكو عتبة حين غرر به وبمن معه فكتب اليه معاوية انى قد أمددتك بعشرة آلاف من اهل الشام وبخمسة آلاف من اهل المدينة فكان فى الاسكندرية سبعة وعشرون ألفا وفى رواية أن علقمة بن يزيد كان على الاسكندرية ومعه اثنا عشر ألفا فكتب الى معاوية انك خلفتنى بالاسكندرية وليس معى الا اثنا عشر ألفا ما يكاد بعضنا يرى بعضا من القلة فكتب اليه معاوية انى قد أمددتك بعبد الله بن مطيع فى أربعة آلاف من اهل المدينة وأمرت معن بن يزيد السلمى أن يكون بالرملة فى أربعة آلاف ممسكين بأعنة خيولهم متى بلغهم عنك فزع يعبروا اليك قال ابن لهيعة وقد كان عمرو بن العاص يقول ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة * وكان عمرو حين توجه الى الاسكندرية خرب القرية التى تعرف اليوم بخربة وردان * واختلف علينا السبب الذى خربت له فحدثنا سعيد بن عفير أن عمرا لما توجه الى نقيوس لقتال الروم عدل وردان لقضاء حاجته عند الصبح فاختطفه اهل الخربة فغيبوه ففقده عمرو وسأل عنه وقفا أثره فوجده فى بعض دورهم فأمر باخرابها واخراجهم منها وقيل كان اهل الخربة رهبانا كلهم فغدروا بقوم من ساقة عمرو فقتلوهم بعد أن بلغ عمرو الكريون فأقام عمرو ووجه اليهم وردان فقتلهم وخربها فهى خراب الى اليوم وقيل كان اهل الخربة اهل نوبت وخبت فارسل عمرو الى أرضهم فأخذ له منها جراب فيه تراب من ترابها فكلمهم فلم يجيبوه الى شئ فأمر باخراجهم ثم أمر بالتراب ففرش تحت مصلاه ثم قعد عليه ثم دعاهم فكلمهم فأجابوه الى ما أحب ثم أمر بالتراب فرفع ثم دعاهم فلم يجيبوه الى شئ فعل ذلك مرارا فلما رأى عمرو ذلك قال هذه بلدة لا يصلح أن توطأ فأمر باخرابها فلما هزم الله الروم أراد عثمان رضى الله عنه أن يكون عمرو بن العاص على الحرب وعبد الله بن سعد على الخراج فقال عمرو انا اذا كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها فأبى عمرو وكان فتح عمرو هذا عنوة قسرا فى خلافة عثمان سنة خمس وعشرين وبينه وبين الفتح الاول أربع سنين وقال الليث كان فتح الاسكندرية الاول سنة اثنتين وعشرين وكان فتحها الآخر سنة خمس وعشرين وأقامت الحبش (٣) من السماء يقاتلون الناس سبع سنين بعد أن فتحت مصر مما يفتحون عليهم من تلك المياه والغياض قال ثم غزا

٣) قوله وأقامت الخ هكذا فى الاصول التى بيدى وانظر ما معنى هذه العبارة فانها لا تخلو عن سقط او تحريف فاحش وكذا قوله قبلها باسطر اهل نوبت وخبت فانه بعد المراجعة لم يفهم له معنى ولعله تحرف عن برنة وجبت ومعناهما الخذانة بالامر والسحر وحرر اهـ

عبد الله بن سعد بن ابى سرح ذا الصوارى فى سنة أربع وثلاثين وكان من حديث هذه الغزوة ان عبد الله
ابن سعد لما نزل ذو الصوارى أنزل نصف الناس مع بسر بن ارطاة فى البر فلما مضوا أتى آت الى عبد الله
ابن سعد فقال ما كنت فاعلا حين ينزل بك ابن هرقل فى ألف مركب فافعله الساعة وكانت مراكب المسلمين
مائتى مركب ونيفا فقام عبد الله بن سعد بين ظهرانى الناس فقال بلغنى أن ابن هرقل قد أقبل اليكم فى ألف
مركب فأشيروا على فما كلمه رجل من المسلمين فجلس قليلا لترجع اليهم أفئدتهم ثم قام الثانية فكلمهم فما كلمه
أحد فجلس ثم قام الثالثة فقال انه لم يبق شئ فأشيروا على فقام رجل من اهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله
ابن سعد فقال أيها الامير ان الله جل ثناؤه يقول كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
فقال عبد الله اركبوا فركبوا وانما فى كل مركب نصف شحنته لانه قد خرج النصف الآخر الى البر مع بسر
فلقوهم فاقتتلوا بالنبل والنشاب وتأخر ابن هرقل لئلا تصيبه الهزيمة وجعلت القوارب تختلف اليه بالاخبار
فقال ما فعلوا قالوا قد اقتتلوا بالنبل والنشاب فقال غلبت الروم ثم أتوه فقال ما فعلوا قالوا قد نفد النبل والنشاب
فهم يرمون بالحجارة فقال غلبت الروم ثم أتوه فقال ما فعلوا قالوا قد نفدت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض
يقتتلون بالسيوف قال غلبت الروم وكانت السفن اذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال قال فقرن مركب عبد الله
يومئذ وهو الامير بمركب من مراكب العدو فكان مركب العدو يجتر مركب عبد الله اليهم فقام علقمة بن يزيد
القطيفى وكان مع عبد الله بن سعد فى المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها فسأل عبد الله امرأته بعد ذلك
بسيسة ابنة حمزة بن يشرح وكانت مع عبد الله يومئذ وكان الناس يغزون بنسائهم فى المراكب من رأيت أشد قتالا
قالت علقمة صاحب السلسلة وكان عبد الله قد خطب بسيسة الى ابيها فقال له ان علقمة قد خطبها وله على فيها
رأى فان تركها أفعل فكلم عبد الله علقمة فتركها فتزوجها عبد الله بن سعد ثم هلك عنها عبد الله فتزوجها بعده
علقمة بن يزيد ثم هلك عنها علقمة فتزوجها بعده كريب بن أبرهة وماتت تحته وقيل مشت الروم الى قسطنطين
ابن هرقل فى سنة خمس وثلاثين فقالوا أنترك الاسكندرية فى أيدى العرب وهى مدينتنا الكبرى فقال
ما أصنع بكم ما تقدرون أن تمالكوا ساعة اذا لقيتم العرب قالوا اخرج على انا نموت فتبايعوا على ذلك فخرج
فى ألف مركب يريد الاسكندرية فسار فى أيام غالبة الرياح فبعث الله عليهم ريحا فغرقتهم الا قسطنطين فانه
نجا بمركبه فألقته الريح بصقلية فسألوه عن أمره فأخبرهم فقالوا شتت النصرانية وأفنيت رجالها ولو دخلت
العرب علينا لم نجد من يردهم فقال خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا فصنعوا له الحمام ودخلوا عليه فقال
ويلكم يذهب رجالكم وتقتلون ملككم قالوا كانه غرق معهم ثم قتلوه وخلوا من كان معه فى المركب
قال ابو عمرو الكندى وانما سميت غزوة ذى الصوارى لكثرة صوارى المراكب واجتماعها

(ذكر بحيرة الاسكندرية)

قال ابن عبد الحكم كانت بحيرة الاسكندرية كروما كلها لامرأة المقوقس فكانت تأخذ خراجها منهم الخمر
بفريضة عليهم فكثر الخمر عليها حتى ضاقت به ذرعا فقالت لا حاجة لى فى الخمر أعطونى دنانير فقالوا ليس عندنا
فأرسلت اليهم الماء فغرقتها فصارت بحيرة يصاد فيها الحيتان حتى استخرجها الخلفاء من بنى العباس فسدوا
جسورها وزرعوها ثم صارت بحيرة طولها اقلاع يوم فى عرض يوم ويصير اليها الماء من اشتوم فى البحر الرومى
ويخرج منها الى بحيرة دونها فى خليج عليه مدينتان احداهما الحدية والأخرى اتكو وهى كثيرة المقاثى والنخل
وكلها فى الرمل ويصب فى هذه البحيرة خليج من النيل يسمى الحافر طوله نصف يوم اقلاعا وهو كثير الطير والسمك
والعشب وكان السمك بوجود هذه البحيرة فى الاسكندرية غاية فى الكثرة يباع بأقل القيم وأبخس الاثمان
ثم انقطع الماء عن هذه البحيرة منذ ٢

(ذكر خليج الاسكندرية)

يقال ان كلوباطرة الملكة هى التى ساقت خليج الاسكندرية حتى ادخلته اليها ولم يكن يبلغها الماء فحفرته حتى
ادخلته الاسكندرية وبلطت قاعه بالرخام من اوله الى آخره ولم يزل يوجد ذلك فيه وقال ابو الحسن المخزومى
فى كتاب المنهاج أما خليج الاسكندرية فانه من فوهة الخليج الى ترعة بودرة ليس على شئ منها سد يومخرج محلة ٢

بتولا امينة اوربن محلة فرنو محلة حسن منية طراد وتعرف بالقاعة محلة النصر ومسروق فأما ترعة لقانة فانها تفتح بعد سبعة أيام من توت والترعة الجديدة تفتح فى السادس عشر من توت وترعة بودرة تفتح بعد سبعة أيام من توت وترعة بويحيي وترعة بوالسحما وترعة القهوقية ليس على شئ من ذلك سد وترعة الشرالة تفتح بعد سبعة أيام من توت وترعة بوخراشة وترعة البربيط يشرب منها ديسو وسمخراط وشبرنوبه ومنية حماد وسنادة وبعض محلة مارية وترعة فيشة بلخا تفتح فى ثانى عشر توت وجرت العادة أن تفتح فى النوروز ترعة بويط ومقطع سمديسة يفتح فى الثانى والعشرين من توت ومقطع ياطس يفتح فى تاسع عشر توت ولما سد المقطع المذكور عملت بعد ذلك ترعة تروى الصفقة القبلية منها فتفتح فى يوم النوروز ولما استحدثت ترعة افلاقة وخرجت فى ارض ياطس جرت العادة اذا رويت الصفقة القبلية من افلاقة تطلق الترعة المذكورة على القسم البحرى من ياطس الى أن يروى وترعة القارورة محدثة وترعة بفوها تفتح فى ثانى عشر توت وترعة افلاقة تفتح فى عاشر توت وترعة اسكنيدة تفتح فى سادس توت * تراع بحر دمنهور تفتح فى العشرين من مسرى الى سادس توت و يروى منها بعض طاموس وبعض كنيسة الغيط وبعض قرطسا ودمنهور * ترعة القواديس منها تشرب شبرا النخلة وكوم التلول وتراع شبرا النخلة تفتح على أعاليها من اول توت وترعة بسطرى تفتح فى خامس عشر مسرى وترعة مسيد تفتح فى ثامن توت وترعة سنتويه تفتح فى ثامن عشر توت وبحر دمشويه يفتح فى العشرين من مسرى ومنه تشرب منية رزقون وسفط كرداسة ودمشويه ومحلة الشيخ ومصيل وترعة دمشويه تفتح فى تاسع توت ويقيم الماء عليها سبعة عشر يوما وتفتح الى محلة الشيخ ومصيل يقيم الماء عليها ثلاثين يوما ويسد بعد ذلك على دمشويه سبعة أيام وعلى سفط ومنية رزقون ترعة برسيق كانت تفتح فى اول توت * محلة برسيق ليس عليها سد * محلة الكروم تفتح فى ثامن توت ومنها تشرب عدة أماكن وهى محلة الكروم وكفورها وهى دنيسة وكوم الولائد وكوم الصخرة وديرامس والصفاصف وما يخرج عن كفورها وهى تلسا والجلمون من حقوق محلة كيل ومنها تشرب الجهة الغربية * شبرابار ليس عليها سد وترعة قافلة كانت تفتح فى ثامن توت وليس عليها الآن سد وترعة بلقطر وكفورها كانت تفتح فى تاسع توت وليس عليها الآن سد * ترعة الراهب ليس عليها سد وترعة دسونس المقاريضى تسقى الحلفاية وتفتح فى ثامن توت وكذلك ترعة مرحنا والملعقية وترعة نيلامة و بيشاى وآخر تراع الجيجة وترعة الكربون تفتح فى ثامن توت وترعة السلقون كانت تفتح فى سادس توت وليس عليها الآن سد وترعة ارمياخ تفتح فى ثانى عشر توت وترعة ابلوق تفتح فى سادس توت وأما جون رمسيس فان بحر رمسيس كان يضرب السد فيه على تراع رمسيس من اول النيل الى سابع عشر توت والذى يشرب من السد المذكور من النواحى والكفور رمسيس ومحلة جعفر وفليشان وبعض أبنية البعيدى وبعض خربتا وبعض البلكوس وبعض بولين وبعض محلة وافد والبيضاء وبعض طيلاس ثم يفتح سد دكدولة وهو محدث يقيم الماء عليه عشرة أيام وتشرب منه دكدولة ومحلة معن ومنية أسامى وبعض صيفيسة ثم يقطع سد القطامى وهو محدث ومنه يشرب بعض جنبويه وبليانة البحرية والسرة وأبو حمار والبهوط ثم يقطع سد وسونس وأبو دينار وترعة طبرينة فيشرب منه دنسال وطلوس يقيم الماء عليها ستة أيام ومنه تشرب منية عطية وسلطيس * وأما بحر دمنهور فانه يسد على سلطيس الى سابع عشر توت ومنه تشرب سلطيس وزهرا وبعض طابوس وبعض قرطسا وبعض كنيسة الغيط ودمنهور ثم يقطع سد ندية وهو محدث فيقيم ثمانية أيام ومنه تشرب ندية ودقرس والعميرية والنسرين ثم يفتح ويسد على محلة خفض ومحلة كيل ومحلة نمير ثم يقطع سد سلطيس وهو محدث فيقيم عشرة أيام بعد اختلاط الماءين بحر دمنهور ورمسيس ثم يقطع جسر ملولة ومنه تشرب تروجة وأرسيس والمراسى وغابة الاعساس وبعض سمرو ومحلة نمير ويبقى هنالك الى انقضاء النيل * وأما ترعة طبرينة فهى محدثة واذا رويت طبرينة تطلق على دسونس أم دينار ثم تقطع على طاموس بمقدار ريها ثم تطلق فى النيل العالى على ارض قراقس ويطلق الماء على قرطسا وكنيسة الغيط وخليج الطبرينة اذا خرج الماء منه يسقى منه فى اول النيل الى أن يضرب جسر شبراوسيم فيسقى منه شبراوسيم وبعض البلكوس وحفيرة الزعفرانى و بعض بولين ومسجد غانم والصواف وكوم شريك ومنية مغيين وتل القطامى ومحلة وافد ثم يقطع جسر دليجة ومنه يشرب بعض خربتا وبعض فليشان وبعض بولين والبيضاء ودنست وتلبانة الابراج وتل بقا والحدين واليهودية والنسوم وابو صمادة والحصن

وقلاوة بنى عبيد وطوخ دخاية ودرشاوسقرا ودليجة ولحة وطيبة ثم ينقطع على منية وزراقة الجر والمحزون
وبعض حيارس وافريم وابو سمار وأم الضروع * خليج ابن زلوم ويعرف بخليج ابن ظلوم وسد مخرج التعيدى
لا يفتح الى عشرة أيام من توت ومنه يشرب شابور وكنيسة مبارك وبعض سرسيقة وبعض دموشة ومنية يزيد
وحوض الماصلى وحصة سلون وبعض سنيت وبعض التعيدى وبعض فليشان ثم يفتح فيشرب منه أمليط
وبعض ابباى وبعض كنيسة عبد الملك وبعض أرمنية وميسنا وبعض محلة عبيد وسفط خالد وبرنامة
وشبرانوبة وكيمان شراس وبعض دمشوه وتقام الحراس على جسر سفط ويشرب من خليج الاسكندرية
وما يفيض منه اهل الباطن واهل البحيرة فى فجاج وأودية فيكون ذلك الماء صلة وهم قبيل من دنانة والرحمانة
وبنى رزان وقبائل البربر ويزرعون عليه فيستوفى منهم الخراج وبين مشارق الفرما من ناحية جوجبر وفاقوس
وبين آخر ما يشرب من خليج الاسكندرية مسيرة شهر كان عامرا كله فى محاول ومعقود الى ما بعد الخمسين وثلثمائة
من سنى الهجرة وقد خرب معظم ذلك * وقال ابو بكر الطرطوسى عمن حدثه من مشايخ البحر انه قال شاهدت
الاسكندرية والصيد فى الخليج مطلق للرعية والسمك فيه يطفو الماء به كثرة حتى تصيده الاطفال بالخرق ثم حجره
الوالى ومنع الناس من صيده فذهب حتى كاد لا يرى فيه الا الواحدة بعد الواحدة الى يومنا هذا * وقال ابو عمرو
الكندى فى كتاب الموالى عن الحارث بن مسكين انه تقلد قضاء مصر من قبل أمير المؤمنين الواثق بالله
فى سنة تسع وثلاثين ومائتين فذكر سيرته وقال وحفر خليج الاسكندرية وورد الكتاب بصرفه فى شهر ربيع الآخر
سنة خمس وأربعين ومائتين * وقال جامع السيرة الطولونية وفى ربيع الاول سنة تسع وخمسين ومائتين
أمر أحمد بن طولون بحفر خليج الاسكندرية * وقال المسعودى وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية
قبل سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان الاسكندر بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان عليها معظم
ماء النيل فكان يسقى الاسكندرية وبلاد مريوط وكانت بلاد مريوط فى نهاية العمارة والجنان المتصلة بارض
برقة وكانت السفن تجرى فى النيل وتتصل بأسواق الاسكندرية وقد بلط ارض خليجها فى المدينة بالاحجار
والمرمر وانقطع الماء عنها لعوارض سدت خليجها ومنعت الناس دخوله فصار شربهم من الآبار وصار النيل
على يوم منهم * وذكر المسبحى أن الحاكم بأمر الله أبا منصور بن العزيز أطلق لحفر خليج الاسكندرية فى سنة
أربع وأربعمائة خمسة عشر ألف دينار فحفر كله وفى سنة اثنتين وستين وستمائة بعث الملك الظاهر بيبرس
الامير علياً امير جاندار لحفر خليج الاسكندرية وقد امتلأت فوهته بالطين وقل الماء فى الاسكندرية فابتدأ
بالحفر من التعيدى وأنشأ هناك مسجدا وتولى مباشرة هذا الحفر المعلم تعاسيف ناظر الدواوين ثم بعث
السلطان فى سنة أربع وستين وستمائة لحفر هذا الخليج الامير علم الدين سنجر المسرورى ثم سار بعامة الامراء
والاجناد وباشر الحفر بنفسه وعمل فيه الامراء وجميع الناس الى أن زالت الرمال التى كانت على الساحل
بين التعيدى وفم الخليج ثم عدى الى بارنبار وغرق مراكب هناك وبنى عليها بالحجارة فلما تم الغرض عاد الى قلعة
الجبل ثم تعطل استمرار جريان الماء فيه بطول السنة وصار يحفر ويسر بعد شهرين او نحوهما من دخول الماء
اليه واحتاج اهل الاسكندرية فى طول السنة الى الشرب من الصهاريج التى يخزن فيها الماء الى أن كانت
سنة عشر وسبعمائة فقدم الامير بدر الدين بكتوت الخزندارى المعروف بأمير شكار متولى الاسكندرية الى
قلعة الجبل وحسن للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حفره وذكر له ما فى ذلك من المنافع اولها حمل الغلال
وأصناف المتجر الى الاسكندرية فى المراكب وفى ذلك توفير الكلف وزيادة فى مال الديوان وثانيها عمارة ما على
حافتى الخليج من الاراضى بانشاء الضياع والسواقى فينمو الخراج بهذا نموا كثيرا وثالثها انتفاع الناس به
فى عمارة بساتينهم وشرب مائه دائما فأعجب السلطان ذلك وندب الامير بدر الدين محمد بن كندغدى بن الوزيرى
مع بكتوت لعمله وتقدم الى جميع امراء الدولة باخراج مباشريهم لاحضار رجال النواحى الجارية فى اقطاعاتهم
للعمل للحفير وكتب لولاة الاعمال بالوقوف فى العمل فاجتمع من النواحى نحو الاربعين ألف رجل جمعت فى نحو
العشرين يوما ووقع العمل فى شهر رجب من السنة المذكورة وأفرد لكل اهل ناحية قطعة يحفرونها
حتى كمل فجاء قياس الحفر من فم بحر النيل الى ناحية شنبار ثمانية آلاف قصبة حاكمية ومن شنبار الى الاسكندرية
مثلها وكان الخليج الاصلى يدخل الماء اليه من حد شنبار فجعل فم هذا البحر يرمى عليه وعمل عمقه ست قصبات

في عرض ثماني قصبات فلما انتهوا الى حد الخليج الاول حفر أيضا على تقاير الخليج المستجد فصارا بحرا واحد وركبت عليه السدود والقناطر ووجد في الخليج الاول عند حفره من الرصاص المبني تحت الصهاريج شئ كثير جدّا فلم يتعرض السلطان لشئ منه وأنعم به على الامير بكتوت وعظمت المشقة في حفر هذا الخليج فان الذى تجاوز البحر منه غلب عليه الماء فصارت الرجال تغطس فيه وترفع الطين من أسفله ثم كثر الماء فركبت السواقى حتى نزحته الا أن عظيم النفع به سهل جميع ذلك فان السفن جرت فيه طول السنة واستغنى اهل الاسكندرية عن شرب ماء الصهاريج وبادر الناس للعمارة على جانبي الخليج فلم يمض غير قليل حتى استجد عليه ما يزيد على مائة ألف فدان زرعت بعد ما كانت سباخا وما ينيف على ستمائة ساقية برسم القلقاس والنيلة والسمسم وفوق الاربعين ضيعة وأزيد من ألف غيط بالاسكندرية وعمرت منه عدّة بلاد كثيرة وتحوّل عالم عظيم الى سكنى ما استجدّ عليه * وفيه ولما فرغ العمل في الخليج شرع الامير بكتوت في عمل جسر من ماله فان الناس كانوا في وقت هيجان البحر يجدون مشقة عظيمة لغلبة الماء على أراضي السباخ فأقام ثلاثة أشهر حتى بنى رصيفا دك أساسه بالحجر والرصاص وأعلاه بالحجر والكلس وعمل فيه ثلاثين قنطرة وأنشأ خانا ينزله الناس ورتب فيه الخفراء ووقف على مصالحه رزقة فبلغ مصروفه نحو الستين ألف دينار مصرية سوى ما أخذ من الحجارة التى بعضها من قصر قديم كان خارج الاسكندرية وسوى ما وجده من الرصاص في سرب بأسفل هذا القصر ينتهى بمن يمشى فيه الى قريب البحر وسوى ما أنعم به عليه من الرصاص الموجود بالخليج ولم يزل الخليج فيه الماء طول السنة الى ما بعد سنة سبعين وسبعمائة فانقطع الماء منه وصار الماء لا يدخل اليه الا في أيام زيادة ماء النيل فقط ثم يجف عند نقصه فتلف من أجل هذا أكثر بساتين الاسكندرية وخربت وتلاشى كثير من القرى التى كانت على هذا الخليج * وسبب انقطاع الماء عنه غلبة الروم على الاشتوم الذى كان يعبر منه ماء بحر الملح الى بحيرة الاسكندرية حتى جفت وصار الرمل تلقيه الرياح في الخليج فانطم فمه وعلا قاعه وقصد من أدركناه من ملوك مصر حفر هذا الخليج غير مرّة فلم يتهيأ ذلك الى أن كانت سلطنة الملك الأشرف برسباى فندب لحفره الامير جرباش الكريمي المعروف بعاشق فتوجه اليه وجمع له من قدر عليه من رجال النواحى فبلغت عدّتهم ثمانمائة وخمسة وسبعين رجلا ابتدؤا في حفره من حادى عشر جمادى الاولى سنة ست وعشرين وثمانمائة الى حادى عشر شعبان لتمام تسعين يوما فانتهى عملهم ومشى الماء في الخليج حتى انتهى الى حدّه من مدينة الاسكندرية وجرت فيه السفن فسرّ الناس به سرورا كبيرا وجبى ما انفق على العمال في الحفر من أرباب النواحى التى على الخليج ومن أرباب البساتين بالاسكندرية ولم يكن في حفره كبير شناعة مما جرت به عادة الولاة في مثل ذلك ولله الحمد وعند ما انتهى قدم الامير جرباش الى قلعة الجبل فخلع السلطان عليه وشكره ثم عمله حاجب الحجاب فلم يستمر ذلك الا قليلا حتى انطم بالرمل وتعذر سلوك الخليج بالمراكب الا في أيام النيل فقط

* (ذكر جمل حوادث الاسكندرية) *

وفى سنة تسع وتسعين ومائة عظمت الحروب بديار مصر بين المطلب بن عبد الله الخزاعي أمير مصر وبين عبد العزيز بن الوزير الجروي الثائر بتنيس فعقد المطلب على الاسكندرية لمحمد بن هبيرة بن هاشم بن خديج فاستخلف محمد خاله عمر بن عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج الذى يقال له عمر بن ملاك ثم عزله المطلب بعد ثلاثة أشهر بأخيه الفضل بن عبد الله بن مالك وكانت بالاسكندرية مراكب الاندلسيين قد قفلوا من غزوهم وكان سبب قدوم هذه المراكب ما جرى لاهل قرطبة بوقعة الربض مع الحكم بن هشام في سنة اثنتين وثمانين ومائة فأخرج جماعة منهم فوصلوا الى ثغر الاسكندرية زيادة على عشرة آلاف وكان سبب ثورتهم أن قصابا من الاسكندرية رمى وجه رجل منهم بكرش فأنفوا من ذلك وصاروا الى ما صاروا اليه وذلك
لما نزلوا رمل الاسكندرية ليبتاعوا ما يصلحهم وكذلك كانوا على الزمان وكانت الامراء لا تبيح لهم دخول ٢
الاسكندرية انما كان الناس يخرجون اليهم فيبايعونهم فلما عزل عمر بن ملاك كتب اليه عبد العزيز الجروي يأمره بالوثوب على الاسكندرية والدعاء له بها فبعث عمر بن ملاك الى الاندلسيين فدعاهم الى القيام معه في اخراج الفضل عنها فساروا معه وأخرج الفضل ودعا للجروي فوثب اهل الاسكندرية على الاندلسيين وأخرجوهم وردّوا الفضل وقتل من الاندلسيين نفر وانهزم الباقون الى مراكبهم فعزل المطلب أخاه وولى عليها

اسحاق بن أبرهة بن الصباح فى شهر رمضان سنة تسع وتسعين ثم عزله بأبى ذكر بن جنادة المعافرى فلما اقتتل السرى بن الحكم هو والمطلب بن عبد الله وغلب السرى على مصر وثب عمر بن ملاك على أبى ذكر وأخرجه من الاسكندرية ودعا للجروى وأقبل الاندلسيون اليه فأفسدوا فأمرهم بالخروج الى مراكبهم فشق ذلك عليهم وظهرت بالاسكندرية طائفة يسمون بالصوفية يامرون بالمعروف ويعارضون السلطان فى اموره فترأس عليهم رجل منهم يقال له ابو عبد الرحمن الصوفى فصاروا مع الاندلسيين يدا واحدة واعتضدوا بلخم وكانت لخم اعز من فى ناحية الاسكندرية فخوصم ابو عبد الرحمن الصوفى الى عمر بن ملاك فى امرأة فقضى على أبى عبد الرحمن فوجد فى نفسه من ذلك وخرج الى الاندلسيين فألف بينهم وبين لخم ورجا اهل الاندلس أن يدركوا ثارا من عمر بن ملاك فساروا الى عمر بن ملاك وهم زهاء عشرة آلاف فحصروه فى قصره وخشى أن القصر لا يمنعه منهم وخاف أن يدخلوا عليه عنوة فيفضح فى حرمه فاغتسل وتحنط وتكفن وأمر أهله أن يدلوه اليهم فدلى فأخذته السيوف فقتل ثم ولى أخوه محمد بن عبد الله الذى يلقب جيوس فقتل ثم ولى عليهم عبد الله البطال ابن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فقتل ثم ولى عليهم أخوه ابو هبيرة الحارث فقتل ثم ولى عليهم خديج بن عبد الواحد فقتل وانصرف القوم وذلك فى ذى القعدة ثم فسد ما بين لخم والاندلسيين عند مقتل ابن ملاك واقتتلوا فانهزمت لخم فظفر الاندلسيون بالاسكندرية فى ذى الحجة فولوها أبا عبد الرحمن الصوفى فبلغ من الفساد والنهب والقتل مالم يسمع بمثله فعزله الاندلسيون وولوا رجلا منهم يعرف بالكنانى ثم حاربت بنو مدلج الاندلسيين فظفر بهم الاندلسيون ونفروهم عن البلاد فلم يقدر بنو مدلج على الرجوع الى ارض الاسكندرية حتى طلب السرى من الاندلسيين أن يردوهم فأذنوا لهم حينئذ ورجعوا وكان ابو قبيل يقول أنا على الاسكندرية من أربعين مركبا مسلمين وليسوا بمسلمين تأتى فى آخر الصيف أخوف منى عليها من الروم فيقال له ما هذه الاربعون مركبا فى هذا الخلق لو كانت نيرانا تضطرم فيقول اسكت ويلك منها ومن فيها يكون خراب الاسكندرية وما حولها وبلغ عبد العزيز الجروى قتل ابن ملاك فسار فى خمسين ألفا حتى نزل على حصن الاسكندرية وحصرها حتى أجهد من فيها فبلغه أن السرى بن الحكم بعث الى تنيس بعثا فكر راجعا فى المحرم سنة احدى ومائتين فدعا الاندلسيون للسرى ثم لما خلع اهل مصر المأمون ودعوا لابرهيم بن المهدى وقام الجروى بذلك سار الى الاسكندرية وحصر الاندلسيين حتى دخلها صلحا ودعى له بها ثم سار عنها الى الفسطاط فحارب السرى وقتل ابنه ثم انصرف فسار الاندلسيون بعامل الجروى وأخرجوه من الاسكندرية وخلعوا الجروى ودعوا للسرى فسار اليهم الجروى فى شهر رمضان سنة ثلاث ومائتين فعارضته القبط بسخا وأمدتهم بنو مدلج وهم فى نحو من مائتى ألف فهزمهم وبعث بجيوشه الى الاسكندرية فحاصروها وكانت بين السرى وبين اهل الصعيد حروب ثم ان الجروى سار الى الاسكندرية مسيره الرابع وحاصرها ونصب عليها المجانيق سبعة أشهر من اول شعبان سنة اربع ومائتين الى سلخ صفر سنة خمس فأصاب الجروى فلقة من حجر منجنيقه فمات سلخ صفر سنة خمس ومائتين وقام من بعده ابنه على فلم تزل الفتن بالاندلسيين فى الاسكندرية متصلة الى أن قدم عبد الله بن طاهر الى مصر من قبل أمير المؤمنين المأمون وأخرج عبيد الله بن السرى من مصر وسار الى الاسكندرية فى قواد العجم من اهل خراسان مستهل صفر سنة اثنتى عشرة ومائتين فحاصرها بضع عشرة ليلة حتى خرج اليه اهلها بأمان وصالحه الاندلسيون على أن يسيرهم من الاسكندرية حيث أحبوا على أن لا يخرجوا فى مراكبهم أحدا من اهل مصر ولا عبدا ولا آبقا فان فعلوا فقد حلت له دماؤهم ونكث عهدهم وتوجهوا فبعث ابن طاهر من يفتش عليهم مراكبهم فوجدوا فيها جماعة من الذين اشترط عليهم أن لا يخرجوهم فأمر باحراق مراكبهم فسألوه أن يردهم الى شرطهم ففعل وساروا الى جزيرة اقريطش وملكوها وكان الامير معهم ابو حفص عمر بن عيسى ثم ملكها اولاده من بعده وعمرها الاندلسيون الى أن غزاها الروم سنة خمس وأربعين وثلثمائة وملكها بعد حصار طويل وولى على الاسكندرية الياس بن أسد بن سامان ورجع الى الفسطاط فى جمادى الآخرة ثم سار الى العراق ولما انتقض أسفل الارض فى جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين وحاربهم الافشين ومعه عيسى بن منصور الرافقى أمير مصر وبعث عبد الله بن يزيد بن مزيد الشيبانى الى الغربية فانهزم الى الاسكندرية واستجاشت عليه بنو مدلج وحصروه فى شوال فسار الافشين وأوقع بين

في طريقه حتى قدم الاسكندرية في جنوده فلقيته طائفة من بني مدلج فهزمهم مرتين واسر منهم وقتل ودخل الاسكندرية لعشر بقين من ذي الحجة ففر منه رؤساؤها وكان عليها معاوية بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن ابن معاوية بن خديج فأصلح أمرها ثم خرج الى اهل البشرود فامتنعوا عليه حتى قدم المأمون الى مصر فصار الى البشرود والافشين قد أوقع بالقبط بها كما تقدم ذكره * ولما ولى ابراهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب افريقية في سنة احدى وستين ومائتين حسنت سيرته فكانت القوافل والتجار تسير في الطرق وهي آمنة وبنى الحصون والمحارس على ساحل البحر حتى كانت توقد النار من مدينة سبتة الى الاسكندرية فيصل الخبر منها الى الاسكندرية في ليلة واحدة وبينهما مسيرة أشهر * وفي سنة اثنتين وثلثمائة دخل حباسة في جيوش افريقية الى الاسكندرية في المحرم ومعه مائة ألف او زيادة عليها وتقدمت الجيوش من المشرق مددا لتكين أمير مصر وسار حباسة من الاسكندرية ونودي بالنفير في الفسطاط لعشر بقين من جمادى الآخرة ولم يتخلف عن الخروج الى الجيزة أحد من الخاصة والعامة الا من عجز عن الحركة لمرض أو عذر وأتاهم حباسة فلقوه وهزموه ثم دار عليهم فقتل من اهل مصر نحو من عشرة آلاف ونهض حباسة الى أفريقية وأقاموا بمصر مضطربين فأقبل مونس الخادم من العراق في رمضان بجيوش كثيرة فصرف تكين في ذي القعدة وولي ذكاء الاعور في صفر سنة ثلاث وثلثمائة فخرج في جيوشه الى الاسكندرية وتتبع كل من يومأ اليه بمكاتبة صاحب افريقية فسجن منهم وقتل كثيرا وجلا اهل لوبية ومراقية الى الاسكندرية في شوال سنة أربع وثلثمائة خوفا من صاحب برقة * وفي سنة سبع وثلثمائة سارت مقدمة المهدي عبيد الله من افريقية مع ابنه أبي القاسم الى لوبية فهرب اهل الاسكندرية وجلوا عنها وخرج منها مظفر بن ذكاء الاعور في جيشه ودخلت اليها العساكر يوم الجمعة لثمان خلون من صفر وفر أهل القوة من الفسطاط الى الشأم فخرج ذكاء أمير مصر الى الجيزة وعسكر بها ثم مرض ومات على مصافه بالجيزة في ربيع الاول فولي تكين بعده ولايته الثانية من قبل المقتدر ونزل الجيزة وأقبلت مراكب صاحب افريقية الى الاسكندرية عليها سليمان الخادم فقدم ثمل الخادم صاحب مراكب طرسوس فالتقيا برشيد في شوّال فاقتتلا فبعث الله ريحا على مراكب سليمان ألقتها الى البر فتكسر اكثرها وأخذ من فيها أخذا باليد وقتل اكثرهم وأسر من بقي وسيقوا الى الفسطاط فقتل منهم نحو سبعمائة رجل وسار أبو القاسم ابن المهدي من الاسكندرية الى الفيوم وملك جزيرة الاشمونين والفيوم وأزال عنها جند مصر فمضى ثمل الخادم في مراكبه الى الاسكندرية فقاتل من بها من اهل افريقية فظفر بهم ونقل اهل الاسكندرية الى رشيد وعاد الى الفسطاط ومضى في مراكبه الى اللاهون ولحقته العساكر فدخلوا الى الفيوم في صفر سنة سبع وثلثمائة فخرج ابو القاسم بن المهدي الى برقة ولم يكن بينهما قتال ورجعت العساكر الى الفسطاط ومازالت الاسكندرية وأعمالها في اضطراب الى أن قدمت جيوش المعز لدين الله مع القائد جوهر في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فملكتها ومابرحت الى أن قام بها نزار بن المستنصر وكان من أمره ما قد ذكر عند ذكر خزائن القصر * وفي سنة ثنتي عشرة وستمائة اجتمع بالاسكندرية ثلاثة آلاف من تجار الفرنج وقدمت بطسة الى المينا فيها من ملوك الفرنج ملكان فهموا أن يثوروا ويقتلوا اهل البلد ويملكوها فتوجه الملك العادل ابو بكر بن ايوب اليها وقبض على التجار المذكورين وعلى من بالبطسة واستصفى أموالهم وسجنهم وسجن الملكين وجرت خطوب حتى أطلق السلطان نساءهم وعاد الى القاهرة * وفي سنة أربع وخمسين وخمسمائة بنى الملك الصالح طلائع بن رزيك على بلبيس حصنا من لبن * وفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة كانت وقعة البابين بين الوزير شاور وأسد الدين شيركوه فانهزم عسكر شيركوه ومضى منهم طائفة الى الاسكندرية ثم كانت لشيركوه على شاور فانهزم منه الى القاهرة ومضى شيركوه الى الاسكندرية فخرج اليه اهل الثغر وفيهم نجم الدين محمد بن مصال والي الثغر وقاضيه الاشرف بن الحباب وناظره القاضي الرشيد بن الزبير وسرّوا بقدومه وسلموه المدينة ثم سار منها يريد بلاد الصعيد واستخلف ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب على الثغر في ألف فارس فنزل عليه شاور ومعه مري ملك الفرنج فقام معه اهل الثغر واستعدوا لقتال شاور فكان ما أخرجوه أربعة وعشرين ألف فرس فوعدهم شاور أن يضع عنهم المكوس والواجبات ويعطيهم الخمس اذا سلموه صلاح الدين فأبوا ذلك وألحوا في قتاله فحصرهم حتى قل الطعام عندهم فتوجه اليهم شيركوه وقد حشد من العربان جموعا كثيرة فبعث اليه

شاور ويذل له خمسة آلاف دينار على أن يرجع الى الشأم فأجابه الى ذلك وفتحت المدينة وخرج صلاح الدين الى مرى ملك الفرنج وجلس معه فمازال به شاور أن يسلمه صلاح الدين فلم يوافقه بل سيره الى عمه شيركوه من البحر على عكا بمن معه الى دمشق ودخل شاور الى الاسكندرية فى سابع عشر شوال فاستتر ابن مصال وفر الى الشأم وقبض على ابن الحباب وعوقب حتى فداه أهله بمال جزيل ولم يقدر على ابن الزبير وخرج الى رشيد هذا وقد امتنع الفقيه ابو الطاهر بن عوف وجماعة كثيرة بالمنار فوقف عليهم شاور فقال له ابن عوف أعذرنا يا أمير الجيوش وسامحنا بما فعلناه فعفا عنهم وولى القاضى الاشرف أبا القاسم عبد الرحمن بن منصور بن نجا ناظرا على الاموال وخرج ومعه مرى ملك الفرنج الى القاهرة ثم توجه مرى الى بلاده * وفى سنة احدى وسبعين وسبعمائة ورد الخبر بحركة الفرنج الى ثغور مصر فاهتم الملك الظاهر بيبرس بأمر الشوانى ونصب على أسوار الاسكندرية نحو مائة منجنيق * وفى يوم الخميس خامس شهر رجب سنة سبع وعشرين خرج بعض تجار الفرنج الى ظاهر باب البحر حيث تجتمع العامة للفرجة وتعرض الى صبى أمرد يراوده عن نفسه فأنكر ذلك بعض من هناك من المسلمين وقال هذا ما يحل فأخذ الفرنجى خفا كان بيده وضربه على وجهه فصاح بالناس فأتوه فقام الفرنج مع صاحبهم واتسع الخرق الى أن ركب متولى الثغر وأغلق أبواب المدينة وطلب من أثار الفتنة ففروا وعاد الى داره وترك الابواب مغلقة وكان بظاهر المدينة خلق كثير قد توجهوا على عادتهم فى حوائجهم فحيل بينهم وبين بيوتهم وجاء الليل وهم قيام على الابواب يضجون ويصيحون فمضى أعيان البلد الى المتولى ومازالوا به حتى فتح لهم فدخلوا مبادرين وهم يزدحمون فمات منهم زيادة على عشرة أنفس وتلفت أعضاء جماعة وذهب من عمائم الناس ومناديلهم وغير ذلك شئ كثير وعظم البكاء والصراخ طول الليل فلما كان من الغد ركب الوالى لكشف أحوال الناس فتكاثروا عليه ورجموه فانهزم منهم الى داره فتبعوه وقاتلوه فقاتلهم من أعلى الدار حتى سفكت بينهما دماء كثيرة وأحرقوا بابه ونهبوا دورا بجانبه فكتب يستنجد والى دمنهور ومن حوله من العربان فأتوه واحتاطوا بالمدينة وسرح الطائر الى السلطان بخروج اهل الاسكندرية عن الطاعة فاشتد غضبه وخشى من اطلاقهم الامراء المسجونين وبعث الى القضاة فجمعهم واستفتاهم فى قتالهم فكتبوا بما يجب وخرج اليهم الوزير مغلطاى الجمالى وطوغان شاذ الدواوين وأيدمر أمير جندار وعدة من المماليك السلطانية وناظر الخاص ومع الوزير تذكرة باراقة دماء اهل الفساد ومصادرة جماعة وأخذ أموال اهل البلد والقبض على الاسلحة المعدة بها للغزاة وامساك القاضى والشهود وحمل الامراء المسجونين الى القاهرة فساروا فى عاشره وقدموا الثغر بعد ثلاثة أيام ونزل الوزير بالخيس وفرض على الناس خمسمائة ألف دينار مصرية وأحضر قاضى القضاة عماد الدين ونائبه فى الحديد وأنكر عليهما كونهما شهرا النداء فى البلد بالغزاة فى سبيل الله فأنكرا وقوع هذا منهما وأنهما لم يكن فى قدرتهما رد السواد الأعظم فضرب نائبه ابن الشيبى ضربا مبرحا وألزمه بحمل ستمائة ألف درهم وألزم القاضى بخمسمائة ألف درهم وكان قد رسم بشنقه فتلطف فى مكاتبة السلطان واعتذر عنه وبرأه حتى عفا عنه وتتبع العامة فوسط منهم ثلاثين رجلا فى يوم الجمعة ثالث عشره فتسارع الناس الى دورهم من الخوف فذهبت عدة عمائم واشتد الخوف مدة عشرين يوما وكتب السلطان تتوالى بالايقاع بأهل الثغر وأخذ أموالهم والوزير يحسن فى الجواب الى أن جهز الامراء المسجونين وسار من الثغر وقد استعرض ما به من السلاح فوجد ستة آلاف عدة كاملة جعلها جميعها فى قاعة وختم عليها وبلغت الجباية من الناس ما ينيف على مائتين وستين ألف دينار فكانت هذه من المحن العظيمة والحوادث الشنيعة ولله الامر من قبل ومن بعد

* (ذكر مدينة اتريب) *

هذه المدينة بناها اتريب بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام قال ابن وصيف شاه وكان اتريب قد انتقل الى حيزه بعد موت أبيه قبطيم وهى المدينة التى كان ابوه بناها له وكان طولها اثنى عشر ميلا ولها اثنا عشر بابا وجعل فى شارعها الاعظم ثلاث قباب عالية على أعمدة بعضها فوق بعض متناقبة فى وسط المدينة وقبتان فى طرفيها وجعل على كل قبة مرقبا كبيرا وفى كل ناحية منها ملعبا ومجالس ومنتزهات تشرق وتشق فى غربيها نهرا وعقد عليه قناطر وجعل من فوقها مجالس متصلة وحولها المنازل تدور بالخليج متصلة بالقناطر على رياض

مزروعة من خلفها الجنان والبساتين وعلى كل باب من الابواب اعجوبة من تماثيل وأصنام متحركة وأصنام تمنع من يؤذى وجعل فى داخل كل باب صورة شيطانين من صفر فاذا قصدها أحد من اهل الخير قهقه الشيطان الذى عن يمنة الباب وان كان من اهل الشر بكى الشيطان الذى عن يسرة الباب وجعل فى كل منتزه منها من الوحش الآلف والطيور المغردة كل مستحسن وفوق قباب المدينة صورا تصفر اذا هبت الرياح ونصب مرآة ترى البلاد البعيدة وبنى حذاءها فى الشرق مدينة وجعل فيها ملاعب وأصناما بارزة فى صور مختلفة وفى وسطها بركة اذا مر بها الطير سقط عليها فلا يبرح حتى يؤخذ وجعل لها حصنا باثنى عشر بابا على كل باب تمثال يعمل اعجوبة وعمل حواليها جنانا وجعل بالقرب منها فى ناحية الشرق مجلسا منقوشا على ثمانى أساطين وفوقه قبة عليها طائر منشور الجناحين يصفر فى كل يوم ثلاث تصفيرات بكرة ونصف النهار وعند غروب الشمس وأقام فيها أصناما وعجائب كثيرة وبنى مدنا كثيرة وأقام فيها رجلا يقال له برسان يعمل الكيمياء وضرب منها دنانير فى كل دينار سبعة مثاقيل عليها صورته وعاش اتريب ملكا ثلثمائة وستين سنة وبلغ من العمر خمسمائة سنة وعمل له ناوس فى جبل بالشرق حفر له تحته سرب بطن بالزجاج والمرمر وجعل على سرير من ذهب مرصع وحملت اليه ذخائره وجعلوا على بابه صورة تنين لايدنو منه أحد الا أهلكه وسووا عليه الرمال وزبروا عليه اسمه وتاريخ وقته * وقال ابن الكندى أربع كور بمصر ليس على وجه الارض أفضل منها ولا تحت السماء لهن نظير * كورة الفيوم * وكورة اتريب * وكورة سمنود * وكورة انصنا * وكورة اتريب من جملة كور أسفل الارض وهى مائة وثمانى قرى وكان يقال مدائن السحرة من ديار مصر سبع وهى أرمنت * و بيا * وبوصير * وانصنا * وصان * واتريب * وصا

* (ذكر مدينة تنيس) *

تنيس بكسر التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وكسر النون المشددة وياء آخر الحروف وسين مهملة بلدة من بلاد مصر فى وسط الماء وهى من كورة الخليج سميت بتنيس بن حام بن نوح ويقال بناها قليمون من ولد اتريب بن قبطيم أحد ملوك القبط فى القديم * قال ابن وصيف شاه وملكت بعد اتريب ابنته قدرت الملك وساسته بأيد وقوة خمسا وثلاثين سنة وماتت فقام بالملك من بعدها ابن أختها قليمون الملك فرد الوزراء الى مراتبهم وأقام الكهان على مواضعهم ولم يخرج الامر عن رأيهم وجد فى العمارات وطلب الحكم * وفى أيامه بنيت تنيس الاولى التى غرقها البحر وكان بينه وبينها شئ كثير وحولها الزرع والشجر والكروم وقرى ومعاصر للخمر وعمارة لم يكن أحسن منها فأمر الملك أن يبنى له فى وسطها مجالس وينصب له عليها قباب وتزين بأحسن الزينة والنقوش وأمر بفرشها واصلاحها وكان اذا بدا النيل يجرى انتقل الملك اليها فأقام بها الى النوروز ورجع وكان للملك بها أمناء يقسمون المياه ويعطون كل قرية قسطها وكان على تلك القرى حصن يدور بقناطر وكان كل ملك يأتى يأمر بعمارتها والزيادة فيها ويجعلها له منتزها * ويقال ان الجنتين اللتين ذكرهما الله تعالى فى كتابه العزيز اذ يقول واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل الآيات كانتا لاخوين من بيت الملك أقطعهما ذلك الموضع فأحسنا عمارته وهندسته وبناءه وكان الملك يتنزه فيهما ويؤتى منهما بغرائب الفواكه والبقول ويعمل له من الاطعمة والاشربة مايستطيبه فيعجب بذلك المكان أحد الاخوين وكان كثير الضيافة والصدقة ففرق ماله فى وجوه البر وكان الآخر ممسكا يسخر من أخيه اذا فرق ماله وكلما باع من قسمه شيأ اشتراه منه حتى بقى لايملك شيأ وصارت تلك الجنة لاخيه واحتاج الى سؤاله فانتهره وطرده وعيره بالتبذير وقال قد كنت أنصحك بصيانة مالك فلم تفعل ونفعنى امساكى فصرت اكثر منك مالا وولدا وولى عنه مسرورا بماله وجنته فأمر الله تعالى البحر فركب تلك القرى وغرقها جميعها فأقبل صاحبها يولول ويدعو بالثبور ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا قال الله جل جلاله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله * وفى زمان قليمون الملك بنيت دمياط وملك قليمون تسعين سنة وعمل لنفسه ناوسا فى الجبل الشرقى وحول اليه الاموال والجواهر وسائر الذخائر وجعل من داخله تماثيل تدور بلواليب فى أيديها سيوف من دخل قطعته وجعل عن يمينه و يساره اسدين من نحاس مذهب بلواليب من أتاه حطماه وزبر عليه هذا قبر قليمون بن اتريب بن قبطيم بن مصر عمر

دهرا وأتاه الموت فما استطاع له دفعا فن وصل اليه فلا يسلبه ما عليه ولا يأخذ من بين يديه * ويقال ان تنيس أخ لدمياط وقال المسعودى فى كتاب مروج الذهب وغيره تنيس كانت أرضا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة وكانت جنانا ونخلا وكرما وشجرا ومزارع وكانت فيها مجار على ارتفاع من الارض ولم ير الناس بلدا أحسن من هذه الارض ولا أحسن اتصالا من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال انها تشبهها الا الفيوم وكان الماء منحدرا اليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون جنانهم اذا شاؤا وكذلك زروعهم وسائره يصب الى البحر من جميع خلجانه ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان بين البحر وبين هذه الارض مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلوك الى قبرس تسلكه الدواب يبسا ولم يكن بين العريش وجزيرة قبرس فى البحر سير طويل حتى علا الماء الطريق الذى كان بين العريش وقبرس فلما مضت لدقلطيانوس من ملكه مائتان واحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التى تسمى اليوم بحيرة تنيس فأغرقه وصار يزيد فى كل عام حتى أغرقها بأجمعها فما كان من القرى التى فى قرارها غرق وأما الذى كان منها على ارتفاع من الارض فبقى منه تونه وبورا وغير ذلك مما هو باق الى هذا الوقت والماء محيط بها وكان اهل القرى التى فى هذه البحيرة ينقلون موتاهم الى تنيس فنبشوهم واحدا بعد واحد وكان استحكام غرق هذه الارض بأجمعها قبل أن تفتح مصر بمائة سنة قال وقد كان لملك من الملوك التى كانت دارها الفرما مع اركون من أراكنة البلينا وما اتصل بها من الارض حروب عملت فيها خنادق وخلجان فتحت من النيل الى البحر يمتنع بها كل واحد من الآخر وكان ذلك داعيا لتشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الارض * وقال فى كتاب اخبار الزمان وكانت تنيس عظيمة لها مائة باب وقال ابن بطلان تنيس بلد صغير على جزيرة فى وسط البحر ميله الى الجنوب عن وسط الاقليم الرابع خمس درج وأرضه سبخة وهواؤه مختلف وشرب اهله من مياه مخزونة فى صهاريج تملأ فى كل سنة عند عذوبة مياه البحر بدخول ماء النيل اليها وجميع حاجاتها مجلوبة اليها فى المراكب، واكثر أغذية اهلها السمك والجبن وألبان البقر فان ضمان الجبن السلطانى سبعمائة دينار حسابا عن كل ألف قالب دينار ونصف وضمان السمك عشرة آلاف دينار وأخلاق اهلها سهلة منقادة وطبائعهم مائلة الى الرطوبة والانوثة قال ابو السرى الطبيب انه كان يولد بها فى كل سنة مائتا مخنث وهم يحبون النظافة والدماثة والغناء واللذة وأكثرهم يبيتون سكارى وهم قليلو الرياضة لضيق البلد وأبدانهم ممتلئة الاخلاط وحصل بها مرض يقال له الفواق التنيسى أقام بأهلها ثلاثين سنة * وقال جامع تاريخ دمياط وكان على تنيس رجل يقال له ابو ثور من العرب المتنصرة فلما فتحت دمياط سار اليها المسلمون فبرز اليهم نحو عشرين ألفا من العرب المتنصرة والقبط والروم فكانت بينهم حروب آلت الى وقوع أبى ثور فى ايدى المسلمين وانهزام أصحابه فدخل المسلمون البلد وبنوا كنيستها جامعا وقسموا الغنائم وساروا الى الفرما فلم تزل تنيس بيد المسلمين الى أن كانت امرة بشر بن صفوان الكلبى على مصر من قبل يزيد بن عبد الملك فى شهر رمضان سنة احدى ومائة فنزل الروم تنيس فقتل مزاحم بن مسلمة المرادى اميرها فى جمع من الموالى وفيهم يقول الشاعر

الم تربع فيخبرك الرجال * بما لاقى بتنيس الموالى

وكانت تنيس مدينة كبيرة وفيها آثار كثيرة للاوائل وكان اهلها مياسير أصحاب ثراء واكثرهم حاكة وبها يحاك ثياب الشروب التى لا يصنع مثلها فى الدنيا وكان يصنع فيها للخليفة ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من الغزل سداء ولحمة غير أوقيتين وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة لا تحوج الى تفصيل ولا خياطة تبلغ قيمته ألف دينار وليس فى الدنيا طراز ثوب كتان يبلغ الثوب منه وهو سادج بغير ذهب مائة دينار عينا غير طراز تنيس ودمياط وكان النيل اذا اطلق يشرب منه من بشارق الفرما من ناحية جرجير وفاقوس من خليج تنيس فكانت من اجل مدن مصر وان كانت شطا ودبقو ودميرة وتونة وما قاربها من تلك الجزائر يعمل بها ارفع فليس ذلك يقارب التنيسى والدمياطى وكان الحمل منها الى ما بعد سنة ستين وثلثمائة يبلغ من عشرين ألف دينار الى ثلاثين ألف دينار لجهاز العراق فلما تولى الوزير يعقوب بن كلس تدبير المال استأصل ذلك بالنوائب وكان يسكن بمدينة تنيس ودمياط نصارى تحت الذمة وكان اهل تنيس يصيدون السمانى وغير ذلك من الطير على ابواب دورهم والسمانى طائر يخرج من البحر فيقع فى تلك الشباك وكانت السفن تركب من تنيس الى الفرما

وهي على ساحل البحر * ولما مات هرون الرشيد وقام من بعده ابنه محمد الامين وأراد الغدر والنكث بالمأمون كان على مصر حاتم بن هرثمة بن اعين من قبل الامين فلما ثار عليه اهل تنو وتمى بعث اليهم السرى بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروى فغلبا بعد الثمانية من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ثم ولى الامير جابر ابن الاشعث الطائى مصر وصرف حاتم بن هرثمة وكان جابر لينا فلما تباعد ما بين محمد الامين وبين أخيه عبد الله المأمون وخلع محمد أخاه من ولاية العهد وترك الدعاء له على المنابر وعهد الى ابنه موسى ولقبه بالشديد ودعى له تكلم الجند بمصر بينهم فى خلع محمد غضبا للمأمون فبعث اليهم جابر ينهاهم عن ذلك ويخوفهم عواقب الفتن وأقبل السرى بن الحكم يدعو الناس الى خلع محمد وكان ممن دخل الى مصر فى أيام الرشيد من جند الليث بن الفضل وكان خاملا فارتفع ذكره بقيامه فى خلع محمد الامين * وكتب المأمون الى أشراف مصر يدعوهم الى القيام بدعوته فأجابوه وبايعوا المأمون فى رجب سنة ست وتسعين ومائة ووثبوا بجابر فأخرجوه وولوا عباد ابن محمد فبلغ ذلك محمد الامين فكتب الى رؤساء الحوف بولاية ربيعة بن قيس الجرشى وكان رئيس قيس الحوف فانقاد أهل الحوف كلهم معه يمنها وقيسها وأظهروا دعوة الامين وخلع المأمون وساروا الى الفسطاط لمحاربة اهلها واقتتلوا فكانت بينهما قتلى ثم انصرفوا وعادوا مرارا الى الحرب فعقد عباد بن محمد لعبد العزيز الجروى وسيره فى جيش ليحارب القوم فى دارهم فخرج فى ذى القعدة سنة سبع وتسعين ومائة وحاربهم بعمريط فانهزم الجروى ومضى فى قومه من لخم وجذام الى فاقوس فقال له قومه لم لا تدعو لنفسك فأنت بدون هؤلاء الذين غلبوا على الارض فمضى فيهم الى تنيس فنزلها ثم بعث بعماله يجبون الخراج من أسفل الارض فبعث ربيعة بن قيس يمده من الجبابة وسار أهل الحوف فى المحرم سنة ثمان وتسعين الى الفسطاط فاقتتلوا وقتل جمع من الفريقين وبلغ اهل الحوف قتل الامين فتفرقوا وولى امرة مصر مطلب بن عبد الله الخزاعى من قبل المأمون فدخلها فى ربيع الاول وولى عبد العزيز الجروى شرطته ثم عزله وعقد له على حرب أسفل الارض ثم صرف المطلب وولى العباس بن موسى بن عيسى فى شوال فولى عبد العزيز الشرطة فلما ثار الجند وأعادوا المطلب فى المحرم سنة تسع وتسعين هرب الجروى الى تنيس وأقبل العباس بن موسى بن عيسى من مكة الى الحوف فنزل بلبيس ودعا قيسا الى نصرته ثم مضى الى الجروى بتنيس فأشار عليه أن ينزل دار قيس فرجع الى بلبيس فى جمادى الآخرة وبها مات مسموما فى طعام دسه اليه المطلب على يد قيس فدان أهل الاحواف للمطلب وبايعوه وساروا الى جب عميرة وسالموه عند ما لقوه وبعث الى الجروى يأمره بالشخوص الى الفسطاط فامتنع من ذلك وسار فى مراكبه حتى نزل شطنوف فبعث اليه المطلب السرى بن الحكم فى جمع من الجند يسألونه الصلح فأجابهم اليه ثم اجتهد فى الغدر بهم فتيقظوا له فمضى راجعا الى بنا فاتبعوه وحاربوه ثم عاد فدعاهم الى الصلح ولاطف السرى فخرج اليه فى زلاج وخرج الجروى فى مثله فالتقيا فى وسط النيل قبال سندفا وقد أعد الجروى فى باطن زلاجه الحبال وأمر اصحابه بسندفا اذا لصق بزلاج السرى أن يجروا الحبال اليهم فلصق الجروى بزلاج السرى فربطه فى زلاجه وجر الحبال وأسر السرى ومضى به الى تنيس فسجنه بها وذلك فى جمادى الاولى ثم كر الجروى وقاتل فلقيه جموع المطلب بسفط سليط فى رجب فظفر ولما عزل عمر بن ملاك عن الاسكندرية ثار بالاندلسيين ودعا للجروى فأقبل عبد الله بن موسى بن عيسى الى مصر طالبا بدم أخيه العباس فى المحرم سنة مائتين فنزل على عبد العزيز الجروى فسار معه فى جيوش كثيرة العدد فى البر والبحر حتى نزل الجيزة فخرج اليه المطلب فى اهل مصر فحاربوه فى صفر فرجع الجروى الى شرقيون ومضى عبد الله بن موسى الى الحجاز وظهر المطلب على أن أبا حرملة فرجا الاسود هو الذى كاتب عبد الله بن موسى وحرضه على المسير فطلبه ففر الى الجروى وجد المطلب فى أمر الجروى فأخرج الجروى السرى بن الحكم من السجن وعاهده وعاقده على أن يثور بالمطلب ويخلعه فعاهده السرى على ذلك فأطلقه وألقى الى اهل مصر أن كتابا ورد بولايته فاستقبله الجند من اهل خراسان وعقدوا له عليهم وامتنع المصريون من ولايته فنزل داره بالحمراء وأمده قيس بجمع منهم وحارب المصريين فهزمهم وقتل منهم فطلب المطلب منه الامان فأمنه وخرج من مصر واستبد السرى بن الحكم بأمر مصر فى مستهل شهر رمضان * فلما قتل الاندلسيون عمر بن ملاك بالاسكندرية سار اليها الجروى فى خمسين ألفا فبعث السرى الى تنيس بمشاكرة الجروى راجعا الى تنيس فى محرم سنة احدى

ومائتين

ومائتين فلما ثار الجند بالسرى فى شهر ربيع الاول وبايعوا سليمان بن غالب قام عباد بن محمد عليه وخلعه وقام بالامر على بن حمزة بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس فى مستهل شعبان فامتنع عباد أن يبايعه ولحق بالجروى ثم لحق به أيضا سليمان بن غالب فكان معه وعاد السرى الى ولاية مصر فى شعبان وقوى سلطانه فلما كان فى المحرم سنة اثنتين ومائتين ورد كتاب المأمون اليه يأمره بالبيعة لولى عهده على بن موسى الرضى فبويع له بمصر وقام فى فساد ذلك ابراهيم بن المهدى ببغداد وكتب الى وجوه الجند بمصر يأمرهم بخلع المأمون وولى عهده وبالوثوب على السرى فقام بذلك الحارث بن زرعة بن محرم بالفسطاط وعبد العزيز بن الوزير الجروى بأسفل الارض ومسلمة بن عبد الملك الطحاوى الازدى بالصعيد وخالفوا السرى ودعوا الى ابراهيم بن المهدى وعقدوا على ذلك الامر لعبد العزيز بن عبد الرحمن الازدى فحاربه السرى وظفر به فى صفر ولحق كل من كره بيعة على الرضى بالجروى لمنعته بتنيس وشدة سلطانه فسار الى الاسكندرية وملكها ودعى له بها وبلاد الصعيد ثم سار فى جمع كبير لمحاربة السرى واستعد كل منهما لصاحبه بأعظم ما قدر عليه فبعث اليه السرى ابنه ميمونا فالتقيا بشطنوف فقتل ميمون فى جمادى الاولى سنة ثلاث ومائتين وأقبل الجروى فى مراكبه الى الفسطاط ليحرقه فخرج اليه اهل المسجد وسألوه الكف فانصرف عنها وحارب الاسكندرية غير مرة وقتل بها من حجر أصابه من منجنيقه فى آخر صفر سنة خمس ومائتين ومات السرى بعده بثلاثة اشهر فى آخر جمادى الاولى وقام بعد الجروى ابنه على بن عبد العزيز الجروى فحارب أبا نصر محمد بن السرى امير مصر بعد أبيه بشطنوف ثم التقيا بدمنهور فيقال ان القتلى بينهما يومئذ كانوا سبعة آلاف وانهزم ابن السرى الى الفسطاط فتبعته مراكب ابن الجروى ثم عادت فدخل ابو حرملة فرج بينهما حتى اصطلحا ومات ابن السرى فى شعبان سنة ست ومائتين فولى بعده أخوه عبيد الله بن السرى فكف عن ابن الجروى وبعث المأمون مخلد بن يزيد بن مزيد الشيبانى الى مصر فى جيش من ربيعة فامتنع عبيد الله ابن السرى من التسليم له ومانعه فقتلوا وانضم على بن الجروى الى خالد بن يزيد وأقام له الانزال وأعانه وسار حتى نزل على خندق عبيد الله بن السرى فاقتتلا فى شهر ربيع الاول سنة سبع ومائتين وجرت بينهما حروب بعد ذلك آلت الى ترفع خالد الى أرض الحوف فكره ذلك ابن الجروى ومكر به حتى اخرجه من عمله الى غربى النيل فنزل نهيا وانصرف ابن الجروى الى تنيس فصار خالد فى ضر وجهد وعسكر له ابن السرى فى شهر رمضان وأسره وأخرجه من مصر الى مكة فى البحر وبعث المأمون بولاية عبيد الله بن السرى على ما فى يده وهو فسطاط مصر وصعيدها وغربيها وبولاية على بن عبد العزيز الجروى تنيس مع الحوف الشرقى وضمنه خراجه وأقبل ابن الجروى على استخراج خراجه من أهل الحوف فمانعوه وكتبوا الى ابن السرى يستمدونه عليه فأمدهم بأخيه فالتقيا بكورة بنا فى بلقينة فقتلوا فى صفر سنة تسع ومائتين وامتدت الحروب بينهما الى أثناء ربيع الاول وهم متكافون فانصرف ابن الجروى فيمن معه الى دمياط فسار ابن السرى الى محلة شريقون ونهبها وبعث الى تنيس ودمياط فملكهما ولحق ابن الجروى بالفرما وسار منها الى العريش فنزل فيما بينها وبين غزة ثم عاد وأغار على الفرما فى جمادى الآخرة فقتل أصحاب ابن السرى من تنيس وسار ابن الجروى الى شطنوف فخرج اليه ابن السرى واقتتلا فكانت لابن الجروى فى أول النهار ثم اتاه كمين ابن السرى فانهزم وذلك فى رجب فمضى الى العريش وسار ابن السرى الى تنيس ودمياط ثم أقبل ابن الجروى فى المحرم سنة عشر ومائتين وملك تنيس ودمياط بغير قتال فبعث اليه ابن السرى البعوث فحاربهم فبينما هم فى ذلك اذ قدم عبد الله بن طاهر فتلقاه ابن الجروى بالاموال والانزال وانضم اليه ونزل معه بلبيس فامتنع ابن السرى ودافع ابن طاهر فتراخى له وبعث فجبى المال ونزل زفتا وبعث الى شطنوف عيسى الجلودى على جسر عقده من زفتا وجعل ابن الجروى على سفنه التى جاءته من الشام لمعرفته بالحرب فهزم مراكب ابن السرى فى المحرم سنة احدى عشرة وصالح ابن طاهر عبيد الله بن السرى فى صفر وخلع عليه وأجازه بعشرة آلاف دينار وأقره بالخروج الى المأمون فسكنت فتن مصر بعبد الله بن طاهر * وفى سنة سبع وسبعين وثلثمائة ولدت بتنيس معزى جديا له قرون عدة ورأسه مع صدره وبدنه ومقدمه بصوف أبيض ومؤخره بشعر أسود وذنبه ذنب شاة وولدت امرأة سخلة لها رأس مدور ولها يدان ورجلان وذنب ولثلاث بقين من ذى الحجة من هذه السنة حدث بتنيس رعد وبرق وريح

شديدة وسواد عظيم فى الجو ثم ظهر وقت السحر فى السماء عمود نار احمرت منه السماء والارض أشد حمرة وخرج غبار ودخان يأخذ بالانفاس فلم يزل الى الرابعة من النهار حتى ظهرت الشمس ولم يزل كذلك خمسة ايام * وفى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة حضر عند قاضى تنيس أبى محمد عبد الله بن أبى الريس رجل وامرأة فطالبت المرأة الرجل بفرض واجب عليه فقال الرجل تزوجت بها منذ خمسة ايام فوجدت لها ماللرجال وماللنساء فبعث اليها القاضى امرأة لتشرف عليها فأخبرت أن لها فوق القبل ذكرا بخصيتين والفرج تحتها والذكر أقلف وانها رائعة الحسن فطلقها الزوج * قال ابو عمرو الكندى حدثنى ابو نصر أحمد بن على قال حدثنى يس بن عبد الاحد قال سمعت أبى يقول لما دخل عبد الله بن طاهر مصر كنت فيمن دخل عليه فقال حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبى قبيل عن سبيع قال يا أهل مصر كيف بكم اذا كان فى بلدكم فتن فوليكم فيها الاعرج ثم الاصفر ثم الامرد ثم يأتى رجل من ولد الحسين لايدفع ولا يمنع تبلغ راياته البحر الاخضر يملأها عدلا فقلت كان ذلك كانت الفتنة فوليها السرى وهو الاعرج والاصفر ابنه ابو النصر والامرد عبد الله بن السرى وأنت عبد الله بن طاهر بن الحسين ثم ان عبد الله بن طاهر سار الى الاسكندرية وأصلح امرها وأخرج ابن الجروى الى العراق ثم قدم به الافشين الى مصر فى ذى الحجة سنة خمس عشرة وقد أمر الافشين أن يطالبه بالاموال التى عنده فان دفعها اليه والاقتله فطالبه فلم يدفع اليه شيأ فقدمه بعد الاضحى بثلاث فقتله * وفى جمادى الآخرة سنة تسع عشرة ومائتين ثار يحيى بن الوزير فى تنيس فخرج اليه المظفر بن كندر أمير مصر فقاتله فى بحيرة تنيس وأسره وتفرق عنه اصحابه * وفى سنة تسع وثلاثين ومائتين أمر المتوكل ببناء حصن على البحر بتنيس فتولى عمارته عنبسة بن اسحاق أمير مصر وأنفق فيه وفى حصن دمياط والفرما مالا عظيما وفى سنة تسع وأربعين ومائتين عذبت بحيرة تنيس صيفا وشتاء ثم عادت ملحا صيفا وشتاء وكانت قبل ذلك تقيم ستة أشهر عذبة وستة أشهر مالحة وفى سنة ثمان وأربعين وثلثمائة وصلت مراكب من صقلية فنهبوا مدينة تنيس وفى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة صيد بأشتوم تنيس حوت طوله ثمانية وعشرون ذراعا ونصف من ذلك طول رأسه تسعة أذرع ودائر بطنه مع ظهره خمسة عشر ذراعا وفتحة فيه تسعة وعشرون شبرا وعرض ذنبه خمسة أذرع ونصف وله يدان يجذف بهما طول كل يد ثلاثة أذرع وهو أملس أغبر غليظ الجلد مخطط البطن ببياض وسواد ولسانه أحمر وفيه خمل كالريش طوله نحو الذراع يعمل منه امشاط شبه الذبل وله عينان كعينى البقر فأمر أمير تنيس أبو اسحاق بن لوية به فشق بطنه وملئ بمائة اردب ملح ورفع فكه الاعلى بعود خشب طويل وكان الرجل يدخل الى جوفه بقفاف الملح وهو قائم غير منحن وحمل الى القصر حتى رآه العزيز بالله وفى ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الاول سنة تسع وسبعين وثلثمائة شاهد اهل تنيس تسعة أعمدة من نار تلتهب فى آفاق السماء من ناحية الشمال فخرج الناس الى ظاهر البلد يدعون الله تعالى حتى اصبحوا فخبت تلك النيران وفيها صيد ببحيرة تنيس حوت طوله ذراع ونصفه الاعلى فيه رأس وعينان وعنق وصدر على صورة أسد ويداه فى صدره بمخالبه ونصفه الادنى صورة حوت بغير قشر فحمل الى القاهرة وفى سنة سبع وتسعين وثلثمائة ولدت جارية بتنيس بنتا برأسين أحدهما بوجه أبيض مستدير والآخر بوجه أسمر فيه سهولة فى كل وجه عينان فكانت ترضعهما وكلاهما مركب على عنق واحد فى جسد واحد بيدين ورجلين وفرج ودبر فحملت الى العزيز حتى رآها ووهب لامها جملة من المال ثم عادت الى تنيس وماتت بعد شهور وفى سنة احدى وسبعين وخمسمائة وصل الى تنيس من شوانى صقلية نحو أربعين مركبا فحصروها يومين وأقلعوا ثم وصل اليها من صقلية أيضا فى سنة ثلاث وسبعين نحو أربعين مركبا فقاتلوا اهل تنيس حتى ملكوها وكان محمد بن اسحق صاحب الاسطول قد حيل بينه وبين مراكبه فتحيز فى طائفة من المسلمين الى مصلى تنيس فلما اجنهم الليل هجم بمن معه البلد على الفرنج وهم فى غفلة فأخذ منهم مائة وعشرين فقطع رؤسهم فأصبح الفرنج الى المصلى وقاتلوا من بها من المسلمين فقتل من المسلمين نحو السبعين وسار من بقى منهم الى دمياط فمال الفرنج على تنيس وألقوا فيها النار فأحرقوها وساروا وقد امتلأت ايديهم بالغنائم والاسرى الى جهة الاسكندرية بعد ما أقاموا بتنيس أربعة أيام ثم لما كانت سنة ست وسبعين وخمسمائة نزل فرنج عسقلان فى عشر حراريق على أعمال تنيس وعليها رجل منهم يقال له المعز فأسر جماعة وكان على مصر الملك العادل من قبل أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف عند ما سار الى بلاد الشام ثم مضى المعز وعاد فأسر ونهب فثار به المسلمون وقاتلوه فظفرهم

الله به وقبضوا عليه وقطعوا ايديه ورجليه وصلبوه * وفى سنة سبع وسبعين وخمسمائة انتدب السلطان لعمارة قلعة تنيس وتجديد الآلات بها عندما اشتدّ خوف اهل تنيس من الاقامة بها فقدّر لعمارة سورها القديم على أساساته الباقية مبلغ ثلاثة آلاف دينار عن ثمن اصناف وآجر * وفى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة كتب باخلاء تنيس ونقل اهلها الى دمياط فأخليت فى صفر من الذرارى والاثقال ولم يبق بها سوى المقاتلة فى قلعتها * وفى شوّال من سنة اربع وعشرين وستمائة امر الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن ايوب بهدم مدينة تنيس وكانت من المدن الجليلة تعمل بها الثياب السرية وتصنع بها كسوة الكعبة * قال الفاكهى فى كتاب أخبار مكة ورأيت كسوة مما يلى الركن الغربى يعنى من الكعبة مكتوبا عليها مما أمر به السرى بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروى بأمر الفضل بن سهل ذى الرياستين وطاهر بن الحسين سنة سبع وتسعين ومائة ورأيت شقة من قباطى مصر فى وسطها الا انهم كتبوا فى أركان البيت بخط دقيق أسود مما أمر به أمير المؤمنين المأمون سنة ست ومائتين ورأيت كسوة من كسا المهدى مكتوبا عليها بسم الله بركة من الله لعبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر به اسمعيل بن ابراهيم أن يصنع فى طراز تنيس على يد الحكم بن عبيدة سنة اثنتين وستين ومائة ورأيت كسوة من قباطى مصر مكتوبا عليها بسم الله بركة من الله مما أمر به عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين أصلحه الله محمد بن سليمان أن يصنع فى طراز تنيس كسوة الكعبة على يد الخطاب بن مسلمة عامله سنة تسع وخمسين ومائة * قال المسبحى فى حوادث سنة أربع وثمانين وثلثمائة وفى ذى القعدة ورد يحيى بن اليمان من تنيس ودمياط والفرما بهديته وهى أسفاط وتخوت وصناديق مال وخيل وبغال وحمير وثلاث مظال وكسوتان للكعبة * وفى ذى الحجة سنة اثنتين وأربعمائة وردت هدية تنيس الواردة فى كل سنة منها خمس نوق هزينة ومائة رأس من الخيل بسروجها ولجمها وتجافيف وصناعات عدّة
وثلاث قباب ديبقية بمراتبها ومتمرقات وبنود وماجرى الرسم بحمله من المتاع والمال والبز ولما قدم الحاكم ٢:
استدعت أخته السيدة سيدة الملك الى عامل تنيس عن الحاكم بأن يحمل مالا كان اجتمع قبله ويعجل توجيهه وقيل انه كان ألف ألف دينار وألفى ألف درهم اجتمعت من ارتفاع البلد لثلاث سنين وأمره الحاكم بتركها عنده فحمل ذلك اليها وبه استعانت على مادبرت * وفى سنة خمس عشرة وأربعمائة ورد الخبر على الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله أبى هاشم على بن الحاكم بأمر الله أن السودان وغيرهم ثاروا بتنيس وطلبوا أرزاقهم وضيقوا على العامل حتى هرب وانهم عاثوا فى البلد وأفسدوا ومدّوا أيديهم الى الناس وقطعوا الطرقات وأخذوا من المودع ألفا وخمسمائة دينار فقام الجرجراى وقعد وقال كيف يفعل هذا بخزانة السلطان وسلطاننا فعل هذا بتنيس أو بيت المال وسير خمسين فارسا للقبض على الجناة ومازالت تنيس مدينة عامرة ليس بأرض مصر مدينة أحسن منها ولا أحصن من عمارتها الى أن خربها الملك الكامل محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب فى سنة اربع وعشرين وستمائة فاستمرت خرابا ولم يبق منها الا رسومها فى وسط البحيرة وكان من جملة كورة تنيس بورا ومنها وابوان وشطا وبحيرتها الآن يصاد منها السمك وهى قليلة العمق يسار فيها بالعادى وتلتقى السفينتان هذه صاعدة وهذه نازلة بريح واحدة وقلع كل واحدة منهما مملوء بالريح سيرهما فى السرعة مستو توسط البحيرة عدّة جزائر تعرف اليوم بالعزب جمع عزبة بضم العين المهملة وزاى ثم باء موحدة سكنها طائفة من
الصيادين وفى بعضها ملاحات يؤخذ منها ملح عذب لذيذ ملوحته وماؤها ملح وقد يحلو أيام النيل * (تونة) * ٢.
وكان من جملة عمل مدينة تنيس قرية يقال لها تونة يعمل بها طراز تنيس ويصنع بها من جملة الطراز كسوة الكعبة أحيانا * قال الفاكهى ورأيت أيضا كسوة لهرون الرشيد من قباطى مصر مكتوبا عليها بسم الله بركة من الله للخليفة الرشيد عبد الله هرون أمير المؤمنين أكرمه الله مما أمر به الفضل بن الربيع أن يعمل فى طراز تونة سنة تسعين ومائة * (سمناى) * قرية من قرى تنيس غلبت عليها بحيرة تنيس فصارت جزيرة فلما كان فى شهر ربيع الاوّل سنة سبع وثلاثين وثمانمائة كشف عن حجارة وآجر بها فاذا عضادات زجاج كثيرة مكتوب على بعضها اسم الامام المعز لدين الله وعلى بعضها اسم الامام العزيز بالله نزار ومنها ماعليه اسم الامام الحاكم بأمر الله ومنها ماعليه اسم الامام الظاهر لاعزاز دين الله ومنها ماعليه اسم المستنصر وهو أكثرها أخبرنى بذلك من شاهده ورآه * (بورا) * كانت فيما بين تنيس ودمياط واليها ينسب السمك الذى يقال له البورى واليها ينسب

أيضا بنو البورى الذين كانوا بالقاهرة والاسكندرية * وفى سنة عشر وستمائة وصل العدو اليها بشوانيه وسباها فقدمت اليها القطائع التى كانت على رشيد فسار عنها العدو *(القيس)* بفتح القاف وبعدها سين مهملة بلد ينسب اليها الثياب القيسية آثارها الى اليوم باقية على البحر الملح فيما بين السوادة والورادة وبعدها من مدينة الفرما قريب من ستة برد فى البر وهنالك تل عظيم من رمل خارج فى البحر الشامى يقطع الفرنج عنده الطريق على المارة وبالقرب من التل سباخ ينبت فيه ملح يحمله العربان الى غزة والرملة وبقرب هذا السباخ آبار يزرع عندها مقاثى لعربان تلك البوادى

(*ذكر مدينة صا)*

قال ابن وصيف شاه ولما اقتسم قبطيم بن مصرايم الارض بين أشمون واتريب وقفط وصا انتقل كل واحد الى قسمه وحيزه فخرج صا بأهله وولده وحشمه الى حيزه وهو بلد البحيرة والاسكندرية حتى انتهى الى برقة ونزل مدينة صا قبل أن تبنى الاسكندرية وكان صا أصغر ولد أبيه وأحبهم اليه فلما ملك حيزه أمر بالنظر فى العمارات وبناء المدائن والبلدان والهياكل واظهار العجائب كما صنع اخوته وطلب الزيادة فى ذلك * وقال مرهون الهندى صاحب بانه فبنى من حد صا الى حد لوبية ومراقية على البحر أعلاما وجعل على رؤس تلك الاعلام مرائى من اخلاط شتى فكان منها ما يمنع من دواب البحر وأذاها ومنها ما اذا قصدهم عدو من الجزائر وأصابها الشمس ألقت شعاعا على مراكبهم فأحرقتها ومنها ما يرى المدائن التى تحاذيهم من عدوة البحر وما يعمله اهلها ومنها ما ينظر فيها الى اقليم مصر فيعلم منه ما يخصب وما يجدب فى كل سنة وجعل فيها حمامات تقد من نفسها وجعل مستشرفات ومنتزهات وكان ينزل كل يوم منها فى موضع بمن يخصه من خدمه وحشمه وجعل حواليها بساتين وسرح فيها الطيور المغردة والوحش المستأمن والانهار المطردة والرياض المونقة وجعل شرفات قصوره من حجارة ملونة تلمع اذا أصابتها الشمس فينشر شعاعها على ما حولها ولم يدع شيأ من آلة النعمة والرفاهية الا استعمله فكانت العمارة ممتدة فى رمال رشيد ورمال الاسكندرية الى برقة وكان الرجل يسافر فى أرض مصر لا يحتاج الى زاد لكثرة الفواكه والخيرات ولا يسير الا فى ظلال تستره من الشمس وعمل فى تلك الصحارى قصورا وغرس فيها غروسا وساق اليها من النيل أنهارا فكان يسلك من الجانب الغربى الى حد الغرب فى عمارة متصلة فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم فى تلك الصحارى وخربت تلك المنازل وباد أهلها ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكى ما رآه فيها من الآثار والعجائب * قال مؤلفه رحمه الله حدثنى الثقة عمن دخل مدينة صا ومشى فى خرابها فاذا هو بلبنة طولها أربعة أشبار فتناولها وأخذ يتأملها ثم كسرها فاذا فيها سنبلة قدر شبر وافر كأنها كما حصدت وفركها بيده فخرج منها قمح أبيض كبار حبه جدا فى قدر حب اللوبيا فأكله كله فلم يجد فيه تغيرا ودخل آخر اليها قبيل سنة تسعين وسبعمائة وأخذ منها لبنة طولها ذراع ونصف فى عرض ذراع فكسرها فاذا فيها سنبلة قمح ثخن كل قمحة منها فى مقدار ما يكون أكبر من الحمص فلم يطق كسره الا بعد ما رضه بالحجارة رضا ووجد بها صنم لطيف طول اصبع فاتفق انه ألقى فى خابية ماء فصار خمرا وكان ذلك عند رجل من تنيس فصلحت حاله من بيعه ذلك الخمر فطلبه الامير الاوحد متولى تنيس وما زال به حتى أخذ الصنم منه

(رمل الغرابى)

اعلم أن هذا الرمل ممتد فى الارض ويسميه بعضهم الرمل الهبير وطوله من وراء جبل طى الى أن يتصل مشرقا بالبحر ويمضى من وراء جبل طى الى أرض مصر ثم الى بلد النوبة ويمتد الى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر ومعه عرق يضرب من القادسية الى البحرين فيعبر البحرين فيمر على مشارق خورستان وفارس الى أن يرد سجستان
٢١ ويمر مشرقا الى مرو آخذا على جيحون فى برية خوارزم ويأخذ فى بلاد الختلية الى الصين والبحر المحيط فى جهة الشرق وهو على ما وصفته وسقته من المحيط بالمشرق الى المحيط بالمغرب وفيه جبال عظام لا ترتقى وبعضه فى أرض سهلة ينتقل من مكان الى مكان ومنه اصفر لين اللمس وأحمر وأزرق سماوى وأسود حالك وأكحل مشبع كالنيل وأبيض كالثلج ومنه ما يحكى الغبار نعومة ومنه خشن جريش اللمس وزعم بعضهم أن رمل الغرابى

وما يتصل به من حد العريش الى أرض العباسة حادث * وذكر فى سبب كونه خبر فيه معتبر وهو أن شداد بن
هداد بن شداد بن عاد أحد الملوك العادية قدم الى مصر وغلب بكثرة جيوشه اشمون بن مصر بن بيصر بن حام
ابن نوح ملك مصر وهدم ما بناه هو وآباؤه وبنى لنفسه اهراما ونصب أعلاما زبر عليها الطلسمات واختط موضع
الاسكندرية وأقام هنالك دهرا الى أن نزل به وبقومه وباء فخرجوا من أرض مصر الى جهة وادى القرى فيما
بين المدينة النبوية وارض الشام وعمروا الملاعب والمصانع لحبس المياه التى تجتمع من الامطار والسيول
فكان سعة كل مصنع ميلا فى ميل وغرسوا النخل وغيره وزرعوا أصناف الزراعات فيما بين رابة وأيلة الى البحر
الغربى وامتدت منازلهم من الدثنة الى العريش والجفار فى أرض سهلة ذات عيون تجرى وأشجار مثمرة
وزروع كثيرة فأقاموا بهذه الارض دهرا طويلا حتى عتوا وبغوا وتجبروا وطغوا وقالوا نحن الاكثرون قوة
الاشدون الاغلبون فسلط الله عليهم الريح فأهلكتهم ونسفت مصانعهم وديارهم حتى محلتها رملا فما تراه من
هذه الرمال التى بأرض الجفار ما بين العباسة حيث المنزلة التى تعرف اليوم بالصالحية الى العريش من رمل
مصانع العادية وسحالة صخورهم لما اهلكهم الله بالريح ودمرهم تدميرا واياك وانكار ذلك لغرابته ففى
القرآن الكريم ما يشهد لصحته قال تعالى وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شئ أتت عليه
الا جعلته كالرميم اى كالشئ الهالك البالى وقيل الرميم نبات الارض اذا يبس وديس وقيل الورق الجاف
المتحطم مثل الهشيم والرميم الخلق البالى من كل شئ * (مراقية) * مدينة مراقية كورة من كور مصر الغربية
وهى آخر حد أرض مصر وفى آخر أرض مراقية تلقى أرض انطابلس وهى برقة وبعدها من مدينة سنترية
نحو من بريدين وكان قطرا كبيرا به نخل كثير ومزارع وبه عيون جارية وبها الى اليوم بقية وتمرها جيد الى الغاية
وزرعها اذا بذر ينبت من الحبة الواحدة من القمح مائة سنبلة وأقل ما تنبت تسعون سنبلة وكذلك الارز بها
فانه جيد زالوبها الى اليوم بساتين متعددة وكانت مراقية فى القديم من الزمان سكنها البربر الذين نفاهم داود
عليه السلام من ارض فلسطين فنزلها منهم خلائق ومنها تفرقت البربر فنزلت زناتة ومغيلة وضريسة الجبال
ونزلت لواتة أرض برقة ونزلت هوارة طرابلس المغرب ثم انتشرت البربر الى السوس فلما كان فى شوال سنة
أربع وثلثمائة من سنى الهجرة المحمدية جلى اهل لوبية ومراقية الى الاسكندرية خوفا من صاحب برقة ولم تزل
فى اختلال الى أن تلاشت فى زمننا وبها بعد ذلك بقية جيدة * (كوم شريك) * هذا المكان بالقرب من
الاسكندرية له ذكر فى الاخبار عرف بشريك بن سمى بن عبد يغوث بن جزء المرادى القطيفى من الصحابة
رضى الله عنهم وكان على مقدمة عمرو بن العاص فى فتح الاسكندرية الثانى فعندما كثرت جمائع الروم
انحاز شريك الى هذا الكوم بأصحابه ودافع الروم حتى ادركه عمرو وكوم شريك هذا من جملة حوف رمسيس
* (غيفة) * قرية تقارب مدينة بلبيس من الفسطاط اليهامر حلتان كانت منزلة قافلة الحاج ويقال ان
صواع الملك الذى فقد من مدينة مصر وجد فى رحال اخوة يوسف عليه السلام بغيفة هذه * (سمنود) *
كان بها بربا عليه هيئة درقة فيها كتابة حكى ابن زولاق عن أبى القاسم مأمون العدل انه نسخ الكتابة فى قرطاس
وصوره على درقة قال فما كنت أستقبل به أحدا الا ولى هاربا وكان بها أيضا تماثيل وصور من يملك مصر فيهم
قوم عليهم شاسيات وبأيديهم الحراب وعليهم مكتوب هؤلاء يملكون مدينة مصر ٢.

* (ذكر مدينة بلبيس) *

وسميت فى التوراة أرض حاشان وفيها نزل يعقوب لما قدم على ولده يوسف عليهما السلام فأنزله بأرض حاشان
وهى بلبيس الى العلاقة من أجل مواشيهم قال ابن سعيد بلبيس واليها يصل حكمه الى الورادة وهى آخر حد
مصر واليها تنتهى المعاملة بفضة السواد ويصير الناس يتعاملون بالفلوس بعدها الى العريش وهى اول الشام
وقيل هى آخر مصر * وقال ابو عبيد البكرى بلبيس بفتح اوله واسكان ثانيه بعده باء مثل الاولى مفتوحة
أيضا وياء ساكنة وسين مهملة وهو موضع قريب مصر معروف وذكر ابن خرداذبه فى كتاب المسالك والممالك
أن بين بلبيس ومدينة فسطاط مصر أربعة وعشرين ميلا * وذكر الواقدى أن المقوقس زوج ابنته
ارمانوسة من قسطنطين بن هرقل وجهزها بأموالها وجواريها وغلمانها وحشمها لتسير اليه حتى يبنى عليها
فى مدينة قيسارية وهم محاصرون لها فخرجت الى بلبيس وأقامت بها وبعث حاجبها الكبير فى ألفى فارس

الى الفرما ليحفظ الطريق ولايدع أحدا من الروم ولاغيرهم يعبر الى مصر وبعث المقوقس رسله الى اطراف بلاده مما يلى الشام أن لايتركوا أحدا يدخل أرض مصر مخافة أن يتهددوا بغلبة المسلمين على الشام فيدخل الرعب فى قلوب عساكره فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية وسار عمرو بن العاص الى مصر نزل على بلبيس وبها أرمانوسة ابنة المقوقس فقاتل من بها وقتل منهم زهاء ألف فارس وأسر ثلاثة آلاف وانهزم من بقى الى المقوقس وأخذت ارمانوسة وجميع مالها وسائر ما كان للقبط ببلبيس فأحب عمرو ملاطفة المقوقس فسير اليه ابنته أرمانوسة مكرمة فى جميع مالها مع قيس بن أبى العاص السهمى فسر بقدومها ثم سار عمرو الى القصر ولم تزل من مدائن مصر الكبار حتى نزل عليها مرى ملك الفرنج وأخذها عنوة بعد حصار طويل وقتل منها آلافا ولها أخبار كثيرة وقد خربت منذ عهد الحوادث بديار مصر بعد سنة ست وثمانمائة بعدما ادركتها وبها عمارة كثيرة وفيها عدة بساتين وأهلها اصحاب يسار ونعم سنية

(ذكر بلد الورادة)

الورادة من جملة الجفار قال عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه فى كتاب المسالك والممالك وصفة الطريق والارض من الرملة الى اردود اثناعشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش أربعة وعشرون ميلا فى رمل ثم الى الورادة ثمانية عشر ميلا ثم الى الغريب عشرون ميلا ثم الى الفرما أربعة وعشرون ميلا قال الخليفة المأمون للملك كان بالمبدا ن أقصر منه بالفرما غريب فى قرى مصر يقاسى الهم والسدما ثم الى جرير ثلاثون ميلا ثم الى القاصرة أربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاعة ثمانية عشر ميلا ثم الى بلبيس أحد وعشرون ميلا ثم الى فسطاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلا * وقال جامع تاريخ دمياط ولما افتتح المسلمون الفرما بعدما افتتحوا دمياط وتنيس ساروا الى البقارة فأسلم من بها وساروا منها الى الورادة فدخل اهلها فى الاسلام وما حولها الى عسقلان * وقال القاضى الفاضل فى متجددات شهر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وصابحنا الورادة فبتنا على مينا الورادة ودخلنا الورادة فرأيت تاريخ منارة جامعها سنة ثمان وأربعمائة واسم الحاكم بأمر الله عليها والورادة من جملة الجفار ويقال أخذ اسمها من الورود ولم يزل جامعها عامرا تقام به الجمعة الى مابعد السبعمائة وبلد الورادة القديمة فى شرقى المنزلة التى يقال لها اليوم الصالحية وبها آثار عمائر ونخل قليل *(الصالحية)* هذه البلدة اختطها الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب بن شادى بأرض السباخ والعلاقة فى اول الرمل الذى بين مصر والشام وأنشأ بها قصورا وجامعا وسوقا لتكون منزلة العساكر اذا خرجوا من الرمل وذلك فى سنة أربع واربعين وستمائة

(ذكر مدينة ايلة)

ذكر ابن حبيب أن اثال بضم اوله ثم ثاء مثلثة وادى ايلة وايلة بفتح اوله على وزن فعلة مدينة على شاطئ البحر فيما بين مصر ومكة سميت بأيلة بنت مدين بن ابراهيم عليه السلام وايلة اول حد الحجاز وقد كانت مدينة جليلة القدر على ساحل البحر الملح بها التجارة الكثيرة واهلها اخلاط من الناس وكانت حد مملكة الروم فى الزمن الغابر وعلى ميل منها باب معقود لقيصر قد كان فيه مسلحته يأخذون المكس وبين ايلة والقدس ست مراحل والطور الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام على يوم وليلة من ايلة وكانت فى الاسلام منزلا لبنى أمية واكثرهم موالى عثمان بن عفان وكانوا سقاة الحاج وكان بها علم كثير وآداب ومتاجر وأسواق عامرة وكانت كثيرة النخل والزروع وعقبة ايلة لايصعد اليها من هورا كب وأصلحها فائق مولى خمارويه بن احمد بن طولون وسوى طريقها ورم ما استرم منها وكان بأيلة مساجد عديدة وبها كثير من اليهود ويزعمون أن عندهم برد النبى صلى الله عليه وسلم وأنه بعثه اليهم امانا وكانوا يخرجونه رداء عدنيا ملفوفا فى الثياب قد أبرز منه قدر شبر فقط ويقال ان ايلة هى القرية التى ذكرها الله تعالى فى كتابه حيث قال واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وقد اختلف فى تعيين هذه القرية فقال ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة والسدى هى ايلة وعن ابن عباس أيضا انها مدينة بين ايلة والطور وعن الزهرى انها طبرية وقال قتادة وزيد بن أسلم هى ساحل من سواحل الشام بين مدين وعينونة

يقال لها معناة وسئل الحسين بن الفضل هل تجد فى كتاب الله الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال نعم فى قصة ايلة اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم * وكان من خبر أهل القرية انهم كانوا من بنى اسرائيل وقد حرّم الله عليهم العمل فى يوم السبت فزين لهم ابليس الحيلة وقال انما نهيتم عن أخذ الحيتان يوم السبت فاتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم الجمعة فتبقى فيها فلا يمكنها الخروج منها لقلة الماء فيأخذونها يوم الاحد وقيل كان الرجل يأخذ خيطا ويضع فيه وهقه ويلقيه فى ذنب الحوت وهو بحر يك الهاء واسكانها حبل كالطول ويجعل فى الطرف الآخر من الخيط وتدا ويتركه كذلك الى يوم الاحد ثم تطرق الناس حين رأوا من صنع هذا لا يبتلى حتى كثر الصيد للحيتان ومشى به فى الاسواق وأعلن الفسقة بصيده فقامت طائفة من بنى اسرائيل وجاهرت بالنهى واعتزلت وقالت لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار فأصبح الناهون ذات يوم فى مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان للناس لشأنا فعلوا على الجدار فاذا هم قردة قد خلوا عليهم فعرفت القردة أنسابها من الانس فجعلت تأتيهم فتشم ثيابهم وتبكى فيقول الناهون للقردة ألم ننهكم فتقول برأسها نعم قال قتادة فصارت الشباب قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم وقيل ان ذلك كان فى زمن نبى الله داود عليه السلام وقيل ان ايلة اصلها أيليا اليه وقد وقع ذكرها فى التوراة كذلك وقال الشريف محمد بن أسعد الجوّانى دكالة من البربر بطن من المصامدة وقالت طائفة ان دكالة ولد ايلة ويقال ايل الذى سميت به عقبة ايلة وأخرانهم من دغفل بن ايلة وانهم يعزون الى البربر ويقولون نحن من ربيعة الفرس وفى ذلك خلاف عظيم * وذكر المسعودى أن يوشع بن نون عليه السلام حارب السميدع بن هزبر بن مالك العمليقى ملك الشام ببلد أيلة نحو مدين وقتله واحتوى على ملكه وفى ذلك يقول عون بن سعيد الجرهمى

ألم تر أن العمليقى بن هزبر * بأيلة أمسى لحمه قد تمزعا
تداعت عليه من يهود جحافل * ثمانون ألفا حاسرين ودرّعا

وهى أبيات كثيرة وقال ابن اسحاق فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك أتاه يحنة بن روبة صاحب ايلة فصالحه وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب لهم كتابا فهو عندهم وكتب ليحنة بن روبة بسم الله الرحمن الرحيم هذا امنة من الله ومحمد النبى رسوله ليحنة بن روبة وأهل ايلة أساقفهم وسائرهم فى البرّ والبحر لهم ذمّة الله وذمّة النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يريدونه ولا طريقا يريدونه من برّ أو بحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك فى سنة تسع من الهجرة ولم تزل مدينة ايلة عامرة آهلة * وفى سنة خمس عشرة واربعمائة طرق عبد الله بن ادريس الجعفرى ايلة ومعه بعض بنى الجراح ونهبها وأخذ منها ثلاثة آلاف دينار وعدّة غلال وسبى النساء والاطفال ثم انه صرف عن ولاية وادى القرى فسارت اليه سرية من القاهرة لمحاربته * قال القاضى الفاضل وفى سنة ست وستين وخمسمائة انشأ الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مراكب مفصلة وحملها على الجمال وسار بها من القاهرة فى عسكر كبير لمحاربة قلعة ايلة وكانت قد ملكها الفرنج وامتنعوا بها فنازلها فى ربيع الاوّل وأقام المراكب وأصلحها وطرحها فى البحر وشحنها بالمقاتلة والاسلحة وقاتل قلعة ايلة فى البرّ والبحر حتى فتحها فى العشرين من شهر ربيع الآخر وقتل من بها من الفرنج وأسرهم وأسكن بها جماعة من ثقاته وقوّاهم بما يحتاجون اليه من سلاح وغيره وعاد الى القاهرة فى آخر جمادى الاولى * وفى سنة سبع وسبعين وصل كتاب النائب بقلعة ايلة ان المراكب على تحفظ وخوف شديد من الفرنج ثم وصل الابريس نعته الله الى ايلة وربط العقبة وسير عسكره الى ناحية تبوك وربط جانب الشام لخوفه من عسكر يطلبه من الشام أو مصر فلما كان فى شعبان من السنة المذكورة كثر المطر بالجبل المقابل للقلعة بأيلة حتى صارت به مياه استغنى بها اهل القلعة عن ورود العين مدّة شهرين وتأثرت بيوت القلعة لتتابع المطر ووهت لضعف اساسها فتداركها اصحابها وأصلحوها * وذكر أبو الحسن المسعودى فى كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان انكوكه وهم أمّة لهم أربعة ملوك سلكوا ارض ايلة والحجاز وبنى كل واحد منهم مدينة سماها باسمه وجعلوا اسائر الارض خيمات وقسموها على ثلاثين كورة

وجعلوها أربعة أعمال لكل عمل ملك يجلس على منبر ذهب فى مدينته وعمل بربا وهى بيت الحكمة وعمل هيكلا لاخذ الكواكب وجعل فيه أصناما من ذهب كل صنم له مرتبة وكانت الاسكندرية واسمها رقودة فجعلوا لها خمس عشرة كورة وجعلوا فيها كبار الكهنة ونصبوا فى هيا كلها من أصنام الذهب اكثر مما فى غيرها وكان فيها مائتا صنم من ذهب وقسموا الصعيد على ثمانين كورة وجعلوه أربعة أقسام وكان عدد مدن اهل مصر الداخلة فى كورها ثلاثين مدينة فيها العجائب وقيل ان حميرا الاكبر واسمه العرنجج بن سبأ الاكبر واسمه عامر ويعرف بعبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان لما ملك بعد أبيه جمع جيوشه وسار يطأ الامم ويدوس الممالك كما فعل أبوه فأمعن فى المشرق حتى أبعد يأجوج ومأجوج الى مطلع الشمس ثم قفل نحو المغرب فجاءه قبائل من اهل اليمن من بنى هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح يشكون من ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح وما نزل بهم من ظلمهم فأمر برفعهم من أرض اليمن وأنزلهم ايلة فعمروها من ايلة الى ذات الاصال الى اطراف جبل نجد فقطعت ثمود هنالك الصخور ونحتوا من الجبال البيوت وتكبروا وطغوا فبعث الله فيهم صالحا نبيا ورسولا فكذبوه وسألوه أن يخرج لهم ناقة من صخرة فأخرجها لهم فعقروها فأهلكهم الله بالصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين * وقد ذكر أن موسى عليه السلام سار بنى اسرائيل بعد موت أخيه هرون الى أرض اولاد العيص وهى التى تعرف بجبال السراة جنب بلد الشوبك ثم مر فيها الى ايلة وتوجه بعد أيام الى برية باب حيث بلاد الكرك حتى حارب تلك الامم وكان الى جانب ايلة مدينة يقال لها عصيون جليلة عظيمة *(مريوط)* كورة من كور الاسكندرية كانت لشدة بياضها لا يكادبين فيها دخول الليل الا بعد وقت وكان الناس يمشون فيها وفى أيديهم خرق سود خوفا على أبصارهم ومن شدة بياضها البس الرهبان السواد وكانت بلاد مريوط فى نهاية العمارة والجنان المتصلة بأرض برقة وهى اليوم من قرى الاسكندرية يزرع بها الفواكه وغيرها وقد وقفها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير على جهات بر بالجامع الحاكمى من القاهرة وبها جامع عمر فى سنة ست وستين وستمائة ثم استاجرها الملك المؤيد شيخ المحمودى فى سنة احدى وعشرين وثمانمائة وجدد عمارة بستانها وقد خرب لترداد عرب لبدة وبرقة اليه فاستمرت فى ديوان السلطان *(وادى هبيب)* هذا الوادى بالجانب الغربى من أرض مصر فيما بين مريوط والفيوم يجلب منه الملح والنطرون عرف بهبيب بن
٢ محمد بن معقل بن الواقعة بن حرام بن عفان الغفارى أحد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح مكة وروى عنه ابو تميم الجيشانى وأسلم مولى تجيب وسعيد بن عبد الرحمن الغفارى وكان قد اعتزل عند فتنة عثمان رضى الله عنه بهذا الوادى فعرف به وكان يقول لا يفرق بين قضاء دين رمضان ويجمع بين الصلاتين فى السفر ويقال لهذا الوادى أيضا وادى الملوك ووادى النطرون وبرية شهاب وبرية الاسقط وميزان القلوب وكان به مائة دير للنصارى وبقى به سبعة ديورة وقد ذكرت عند ذكر الاديار من هذا الكتاب وهو واد كثير الفوائد فيه النطرون ويتحصل منه مال كثير وفيه الملح الاندرانى والملح السلطانى وهو على هيئة ألواح الرخام
١ وفيه الوكت والكحل الاسود ومعمل الزجاج وفيه الماسكة وهو طين أصفر فى داخل حجر أسود يحك فى الماء ويشرب لوجع المعدة وفيه البردى لعمل الحصر وفيه عين الغراب وهو ماء فى هيئة البركة وطولها نحو خمسة عشر ذراعا فى عرض خمسة أذرع فى مغار بالجبل لا يعلم من اين يأتى ولا الى اين يذهب وهو حلو رائق * ويذكر أنه خرج منه سبعون ألف راهب بيد كل واحد عكاز فتلقوا عمرو بن العاص بالطرانة مرجعه من الاسكندرية يطلبون أمانه لهم على أنفسهم وديارهم فكتب لهم بذلك أمانا بقى عندهم وكتب لهم أيضا بجراية الوجه البحرى فاستمرت بأيديهم وان جرايتهم جاءت فى سنة زيادة على خمسة آلاف اردب وهى الآن لا تبلغ مائة اردب

(ذكر مدينة مدين)

اعلم أن مدين امة شعيب هم بنو مديان بن ابراهيم عليه السلام وامهم قنطوراء ابنة يقطان الكنعانية ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم امم ومدين على بحر القلزم تحاذى تبوك على نحو ست مراحل وهى اكبر من تبوك وبها البئر التى استقى منها موسى لسائمة شعيب وعمل عليها بيت * قال الفراء مدين اسم بلد وقطر وقيل اسم قبيلة سميت باسم ابيها مدين ويقال له مديان بن ابراهيم قاله مقاتل وغيره والجمهور على أن مدين اعجمى وقيل

عربي فان كان عربيا فانه يحتمل أن يكون فعيلا من مدن بالمكان أقام به وهو بناء نادر وقيل مهمل اومفعلا من دان فتصحيحه شاذ وهو ممنوع الصرف على كل حال سواء كان اسم الارض اواسم القبيلة عجميا اوعربيا * وقال المسعودي قد تنازع اهل الشرائع في قوم شعيب بن نوفل بن رعويل بن مر بن عيقا بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان لسانه العربية فمنهم من رأى انهم من العرب الداثرة والامم البائدة وبعض من ذكرنا من الاجيال الخالية ومنهم من رأى انهم من ولد المحصن بن جندل بن يعصب بن مدين بن ابراهيم الخليل وأن شعيبا أخوهم في النسب وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا في ممالك متصلة فمنهم المسمى بأبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت وهم على ماذكرنا بنو المحصن بن جندل وأحرف الجمل هي أسماء هؤلاء الملوك وهي الاثنان والعشرون حرفا التي عليها حساب الجمل وقد قيل في هذه الحروف غير ماذكرنا من الوجوه فكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز وكان هوز وحطي ملكين ببلاد وج وهي الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد وكلمن وسعفص وقرشت ملوك بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كلمن على ملك مدين ومن الناس من رأى انه كان ملك جميع من سمينا مشاعا متصلا على ماذكرنا وان عذاب يوم الظلة كان في ملك كلمن منهم وان شعيبا دعاهم فكذبوه فوعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح عليهم باب من السماء من نار ونجا شعيب بمن آمن معه الى الموضع المعروف بأيلة وهي غيضة نحو مدين فلما أحس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وأيقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن آمن معه وقد أظلتهم سحابة بيضاء طيبة النسيم والهواء لايجدون فيها ألم العذاب فأخرجوا شعيبا ومن آمن معه من مواضعهم وأزالوهم عن أماكنهم وتوهموا أن ذلك ينجيهم مما نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا فأتت عليهم فرثت جارية بنت كلمن أباها وكانت بالحجاز فقالت

كلمن هدم ركني * هلكه وسط المحله

سيد القوم أتاه الـ * حتف نارا وسط ظله

كونت نارا فأضحت * دار قومي مضمحله

وقال المنتصر بن المنذر المديني

الا ياشعيب قد نطقت مقالة * أبدت بها عمرا وحيي بني عمرو

هم ملكوا أرض الحجاز بأوجه * كمثل شعاع الشمس في صورة البدر

وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا * قطورا وفازوا بالمكارم والفخر

ملوك بني حطي وسعفص ذي الندى * وهوز أرباب الثنية والحجر

قال المسعودي ولهؤلاء الملوك أخبار عجيبة من حروب وسير وكيفية تغلبهم على هذه الممالك وتملكهم عليها وابادتهم من كان فيها قبلهم من الامم وقيل ان الايكة المذكورة في قوله عز وجل ولقد كذب اصحاب الايكة المرسلين وفي قوله سبحانه وتعالى وان كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم هي مدين وقيل من ساحل البحر الى مدين وقيل هي غيضة نحو مدين وقيل بل اصحاب الأيكة الذين بعث اليهم شعيب كانوا بتبوك بين الحجر وأول الشام ولم يكن شعيب منهم وانما كان من مدين وقال أبو عبيد البكري الأيكة المذكورة في كتاب الله تعالى التي كانت منازل قوم شعيب روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فيها روايتان احداهما ان الأيكة من مدين الى شعيب والرواية الثانية انهما من ساحل البحر الى مدين وكان شجرهم المقل والأيكة عند أهل اللغة الشجر الملتف وكانوا اصحاب شجر ملتف وقال قوم الأيكة الغيضة وليكة اسم البلد وما حولها كما قيل مكة وبكة وقال ابو جعفر النحاس ولا يعلم ليكة اسم البلد وقال ابن قتيبة وكان بعضهم يزعم ان بكة هو موضع المسجد وما حولها مكة كما فرق بين الأيكة وليكة فقيل الأيكة الغيضة وليكة البلد حولها . وقال البكري مدين بلد بالشام معلوم تلقاء غزة وهو المذكور في كتاب الله تعالى وهذا وهم بل مدين من أرض مصر وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى مدينة مدين أميرهم زيد بن حارثة رضي الله عنه فأصاب سبيا من اهل ميناء قال ابن اسحق وميناء هي السواحل فبيعوا وفرق بين الامهات والاولاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقال مالهم فأخبر خبرهم فقال لاتبيعوهم الاجميعا ومدين من منازل جذام بن عدي بن الحارث ابن مرة بن ادد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان وشعيب النبي المبعوث الى أهل مدين أحد بني وائل

ابن جذام * وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لوفد جذام مرحبا بقوم شعيب وأصهار موسى ولا تقوم الساعة حتى يتزوج فيكم المسيح ويولد له وقال محمد بن سهل الاحول مدين من اعراض المدينة مثل فدك والفرع ورهاط * قال مؤلفه رحمه الله تعالى وكان بأرض مدين عدة مدائن كثيرة قد باد أهلها وخربت وبقى منها الى يومنا هذا وهو سنة خمس وعشرين وثمانمائة نحو الاربعين مدينة قائمة منها ما يعرف اسمه ومنها ما قد جهل اسمه فمما يعرف اسمه فيما بين أرض الحجاز وبلاد فلسطين وديار مصر ست عشرة مدينة منها فى ناحية فلسطين عشر مدائن وهى الخلصة والسنيطة والمدرة والمنية والاعوج والخويرق والبيرين والماءين والسبع والمعلق وأعظم هذه المدائن العشر الخلصة والسنيطة وكثيرا ما تنقل حجارتها الى غزة ويبنى بها هنالك ومن مدائن مدين بناحية بحر القلزم والطور مدينة فاران ومدينة الرقة ومدينة القلزم ومدينة ايله ومدينة مدين وبمدينة مدين الى الآن آثار عجيبة وعمد عظيمة * ووجد فى مدينة الاعوج أعوام بضع وستين وسبعمائة جب بقلعتها بعيد المهوى يبلغ عمقه نحو مائة ذراع وبقاعه عدة أسفار على رفوف حمل منها سفر طوله ذراعان وأزيد قد غلف بلوحين من خشب وكتابته بالقلم المسند طول الالف واللام نحو شبر فوجد ببلاد الكرك من قرأه فاذا هو سفر من عشرة أسفار قد ابتدأه بحمد الله ثم قال خروج موسى من أرض مصر الى بلاد مدين وملوك بنى مدين فيما بعد شعيب فذكر لموسى عليه السلام عدة أسماء منها اسمه بالعربية موسى بن عمران وبالعبرانية موشى وبالفارسية داران وبالقبطية هروسيس وذكر أنه تزوج ابنة شعيب وانه أقام بمدين ثمانى حجج ثم قال لابن شعيب قد أتممت لك شرطك وسأزيدك سنتين فضلا منى

(بقية خبر مدينة مدين)

قال وخرج موسى متوجها الى مصر والملك يومئذ على مدين ابجد قال وقوى أمر ابجد فطغى حتى ملك الحجاز واليمن وكان له خمسة اولاد هم هوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت فأقام ابجد ملكا باليمن مائة سنة ومات وقد استخلف من بعده ابنه كلمن باليمن وجعل ابنه هوز على الحجاز وابنه حطى على أرض مصر وابنه سعفص على الجزيرة وبلادها حيث الموصل وحران الى أرض العراق وابنه قرشت على العراق ومشارفها من خراسان وكان قرشت هو الجبار فيهم وكان سعفص وهوز وكلمن اهل عدل وحلم وكان حطى صاحب بطش وجرأة وكان بنو اسرائيل اذ ذاك بالشام فلم يملك أولاد ابجد أرض الشام ولا احتووا عليها وكانت مدة ملكهم نحوا من مائة وخمسين سنة فتم لهم بدولة أبيهم ابجد ثلثمائة سنة وأزيد ثم ملك بعدهم على بنى اسرائيل روزيت بن هوز وعرزيت بن حطى بن ابجد نحو سبع سنين ثم خرجت الدولة عن أولاد ابجد وأقام هذا الكتاب عندهم زمانا ثم أعادوه الى الجب من قلعة الاعوج حدثنى بهذا الخبر الحافظ المتقن الضابط ابو عبد الله محمد ابن احمد بن محمد بن عبد الرحمن الغرياني التونسي المالكي قال حدثنى به شتر بن غنيم العامرى شيخ لقيه بارض فلسطين أنه شاهد الكتاب المذكور وهو شاب وحفظ منه ما تقدم ذكره وقيل ان مالك بن دعر بن حجر بن جديلة بن لخم كان له أربعة وعشرون ولدا ذكرا فكثرت اولادهم حتى بنوا المدائن والقرى والحصون وعمروا بلاد مدين كلها وغلبوا على بلاد الشام ومصر والحجاز وغيرها خمسمائة سنة وقيل انما كان استيلاء ملوك مدين على مصر خمسمائة سنة بعد غرق فرعون موسى وهلاك دلوكة بنت زفان حتى أخرجهم منها نبى الله سليمان بن داود فعاد الملك الى القبط بعدهم

(ذكر مدينة فاران)

هذه المدينة بساحل بحر القلزم وهى من مدن العمالقة على تل بين جبلين وفى الجبلين نقوب كثيرة لا تحصى مملوءة أمواتا ومن هنالك الى بحر القلزم مرحلة واحدة ويقال له هنالك ساحل بحر فاران وهو البحر الذى أغرق الله فيه فرعون وبين مدينة فاران والتيه مرحلتان ويذكر أن فاران اسم لجبال مكة وقيل اسم لجبال الحجاز وهى التى ذكرت فى التوراة والتحقيق أن فاران والطور كورتان من كور مصر القبلية وهى غير فاران المذكورة فى التوراة وقيل ان فاران بن عمرو بن عمليق هو الذى نسب اليه جبال الحرم فقيل جبال فاران وبعضهم يقول جبال فران وكانت مدينة فاران من جملة مدائن مدين الى اليوم وبها نخل كثير مثمر اكلت من ثمره وبها نهر عظيم وهى خراب يمر بها العربان

(ذكر أرض الجفار)

اعلم أن الجفار اسم لخمس مدائن وهى الفرما والبقارة والورادة والعريش ورفح والجفار كله رمل وسمى بالجفار لشدة المشى فيه على الناس والدواب من كثرة رمله وبعد مراحله والجفار تجفر فيه الابل فاتخذله هذا الاسم كما قيل للجبل الذى يجبر به البعير جبار والذى يجبر به جبار والذى يعقل به عقال والذى يبطن به بطان والذى يحطم به خطام والذى يزم به زمام واشتقت البقارة من البقر والورادة من الوريد والعريش أخذ من العرش وقيل ان رفح اسم جبل * وكان يسكن الجفار فى القديم خذام بن العريان ويقال ان أرض الجفار كانت فى الدهر الاول والزمن الغابر متصلة العمارة كثيرة البركات مشهورة بالخيرات لكثرة زراعة أهلها الزعفران والعصفر وقصب السكر وكان ماؤها غزيرا عذبا ثم صار بها نخل يحدق بها من كل النواحى الى أن دمرها الله تدميرا فصارت الى اليوم ذات رمل عظيم يسلك فيه الى العريش والى رفح كله قفر تعرف بقعته برمل الغرابى قليل الماء عديم المرعى لا أنيس به فسبحان محيل الاحوال

(ذكر صعيد مصر)

الصعيد المرتفع من الارض وقيل الارض المرتفعة من الارض المنخفضة وقيل مالم يخالطه رمل ولا سبخة وقيل هو وجه الارض وقيل الارض الطيبة وقيل هو كل تراب طيب وتسمية هذه الجهة من أرض مصر بهذا الاسم انما حدث فى الاسلام سماها العرب بذلك لانها جهة مرتفعة عما دونها من ارض مصر ولذلك يقال فيها أعلى الارض ولانها أرض ليس فيها رمل ولا سباخ بل كلها أرض طيبة مباركة ويقال للصعيد ايضا الوجه القبلى * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه ولما حضرت مصرايم الوفاة عهد الى ابنه قبطيم وكان قد قسم أرض مصر بين بنيه فجعل لقبطيم من بلد قفط الى اسوان ولاشمون من بلد اشمون الى منف ولاتريب الحوف كله واصلا من ناحية صا البحيرة الى قرب برقة وقال لاخيه فارق لك من برقة الى الغرب فهو صاحب افريقية وولده الافارق وامر كل واحد من بنيه أن يبنى لنفسه مدينة فى موضعه * وقال ابن عبد الحكم فلما كثر ولد مصر واولاد اولادهم قطع مصر لكل واحد منهم قطعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه قفط موضع قفط فسكنها وبه سميت قفط قفطا ومافوقها الى أسوان وما دونها الى اشمون فى الشرق والغرب وقطع لاشمون من اشمون فما دونها فى الشرق والغرب الى منف فسكن اشمون اشمون فسميت به وقطع لاتريب ما بين منف الى صا فسكن اتريب فسميت به وقطع لصا ما بين صا الى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على أربعة أجزاء جزءين بالصعيد وجزءين بأسفل الارض * وقال أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الادفوى فى كتاب الطالع السعيد فى تاريخ الصعيد مسافة اقليم الصعيد الاعلى مسيرة اثنى عشر يوما بسير الجمال وعرضه ثلاث ساعات واكثر بحسب الاماكن العامرة ويتصل عرضه فى الكورة الشرقية بالبحر الملح وأراضى البجة وفى الغربية بالواح وهى كورتان شرقية وغربية والنيل بينهما فاصل وأول الشرقية من مرج بنى هميم المتصلة أرضها بأراضى جرجا من عمل اخميم وآخرها من قبلى الهو ويليها اول أراضى النوبة وفى هذه الكورة قنا وقفط وقوص واول الكورة الغربية برديس تتصل أرضها بأرض جرجا وفى هذه الكورة الغربية سمهود وآخر الكورة الغربية اسوان وبحافتيه اكثر النخل من الجانبين تكون مساحة الاراضى التى فيها النخل والبساتين تقارب عشرين ألف فدان والمستولى على اقليم الصعيد المشترى * ويقال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب تمرا فغصبها بعض الولاة فلم تحمل فى ذلك العام ولا تمرة واحدة وكانت هذه النخلة فى الجانب الغربى ويبع منها فى الغلاء كل ويبة بدينار ويقال لما صورت الدنيا للامير المؤمنين هرون بن محمد الرشيد لم يستحسن الا كورة سيوط من صعيد مصر فانها ثلاثون ألف فدان فى استواء من الارض لو وقعت فيها قطرة ماء لانتشرت فى جميعها وبالصعيد بقايا سحر قديم * حكى الامير طقطبا والى قوص فى ايام الناصر محمد بن قلاون قال أمسكت امرأة ساحرة فقلت لها اريد أن أبصر شيأ من سحرك فقالت أجود عملى أن أسحر العقرب على اسم شخص بعينه فلابد أن تقع عليه وبتصيبه سمها فقتلته قلت أرينى هذا واقصدينى بسحرك فأخذت عقربا وعملت ما أحبت ثم أرسلت العقرب فتبعنى وأنا اتنحى عنه وهو يقصدنى فجلست على تخت وضعته على بركة ماء فاقبل العقرب الى ذلك الماء وأخذ فى التوصل الى فلم يقدر فذهب الى الحائط وصعد فيه وأنا أشاهده حتى وصل الى السقف

ومرّ فيه الى أن صار فوقى وألقى نفسه صوبى وسعى نحوى حتى قرب منى فضربته فقتلته ثم قتلت الساحرة أيضا * وأرض الصعيد كثيرة المواشى من الضأن وغير ذلك لكثرة نتاجه حتى ان الرأس الواحد من نعاج الضأن يتولد عنه فى عشر سنين ألف وأربع وعشرون رأسا وذلك بتقدير السلامة وأن تلد كلها اناثا وتلد مرّة واحدة فى كل سنة ولا تلد فى كل بطن غير رأس واحد والاقات ولدت فى السنة مرّتين وكان فى كل بطن رأسان تضاعف العدد وتأمل حساب ماقلناه تجده صحيحا وقد شوهد كثيرا أنّ من أغنام الصعيد مايلد فى السنة ثلاث مرّات ويلد فى البطن الواحد ثلاثة أرؤس * وكانت الكثرة والغلبة ببلاد الصعيد لست قبائل وهم بنو هلال وبلى وجهينة وقريش ولواته وبنو كلاب وكان ينزل مع هؤلاء عدّة قبائل سواهم من الانصار ومن مزينة وبنى دراج وبنى كلاب وثعلبة وجذام * وبلغ من عمارة الصعيد أن الرجل فى ايام الناصر محمد بن قلاون ومابعدها كان يمرّ من القاهرة الى اسوان فلا يحتاج الى نفقة بل يجد بكل بلد وناحية عدّة دور للضيافة اذا دخل دارا منها أحضر لدابته علفها وجىء له بمايليق به من الاكل ونحوه وآل أمره الآن الى أن لا يجد الرجل أحدا فيما بين القاهرة وأسوان يضيفه لضيق الحال ثم تلاشى أمر بلاد الصعيد منذ سنة الشراقى فى ايام الاشرف شعبان ابن حسين بن محمد بن قلاون سنة ست وسبعين وسبعمائة وتزايد تلاشيه فى ايام الظاهر برقوق لجور الولاة ولم يزل فى ادبار الى أن كانت سنة ست وثمانمائة وشرقت مصر بقصور مدّ النيل فدهى اهل الصعيد من ذلك بمالا يوصف حتى انه مات من مدينة قوص سبعة عشر ألف انسان ومات من مدينة سيوط أحد عشر ألف انسان ممن غسل وكفن ومن مدينة هوّ خمسة عشر ألف انسان وذلك كله سوى الطرحى على الطرقات ومن لا يعرف من الغرباء ونحوهم ثم دمّر فى ايام المؤيد شيخ فلم يبق منه الارسوم تبذل الولاة الجهد فى محوها نسأل الله حسن الخاتمة

(ذكر الجنادل ولمع من أخبار أرض النوبة)

الجندل ما يقلّ الرجل من الحجارة وقيل هو الحجر كله الواحدة جندلة والجندل الجنادل قال سيبويه وقالوا جندل يعنون الجنادل وصرفوه لنقصان البناء عمالا ينصرف وأرض جندلة ذات جندل وقيل الجندل المكان الغليظ فيه حجارة ومكان جندل كثير الجندل * قال عبد الله بن احمد بن سليم الاسوانى فى كتاب أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل * واول بلد النوبة قرية تعرف بالقصر من اسوان اليها خمسة اميال وآخر حصن للمسلمين جزيرة تعرف ببلاق بينها وبين قرية النوبة ميل وهو ساحل بلد النوبة ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل كثيرة الحجر لا تسلكها المراكب الا بالحيلة ودلالة من يخبر بذلك من الصيادين الذين يصيدون هنالك لأن هذه الجنادل متقطعة وشعاب معترضة فى النيل وللانصباب فيها خرير عظيم ودوىّ يسمع من بعد وبهذه القرية مسلحة وباب الى بلد النوبة ومنها الى الجنادل الاولى من بلد النوبة عشر مراحل وهى الناحية التى يتصرّف فيها المسلمون ولهم فيماقرب املاك ويتجرون فى أعلاها وفيها جماعة من المسلمين قاطنون لا يفصح أحدهم بالعربية وشجرها كثير وهى ناحية ضيقة شظفة كثيرة الجبال وما تخرج عن النيل وقراها متسطرة على شاطئه وشجرها النخل والمقل وأعلاها اوسع من أدناها وفى أعلاها الكروم والنيل لا يروى مزارعها الا رتفاع أرضها وزرعها الفدان والفدانان والثلاثة على أعناق البقر بالدواليب والقمح عندهم قليل والشعير اكثر والسلت ويعتقبون الارض اضيقها فيزرعونها فى الصيف بعد تطريتها بالزبل والتراب الدخن والذرة والجاورس والسمسم واللوبيا وفى هذه الناحية تجراش مدينة المريس وقلعة ابريم وقلعة اخرى دونها وبها مينا تعرف بأدواء ينسب اليها لقمان الحكيم وذو النون وبها بربا عجيب ولهذه الناحية وال من قبل عظيم النوبة يعرف بصاحب الجبل من أجل ولاتهم لقربه من أرض الاسلام ومن يخرج الى بلد النوبة من المسلمين فمعاملته معه فى تجارة أو هدية اليه اوالى مولاه يقبل الجميع ويكافئ عليه بالرقيق ولا يطلق لاحد الصعود الى مولاه لا لمسلم ولا لغيره * واول الجنادل من بلد النوبة قرية تعرف بتقوى هى ساحل واليها تنتهى مراكب النوبة المصعدة من القصر اول بلدهم ولا تتجاوزها المراكب ولا يطلق لاحد من المسلمين ولا من غيرهم الصعود منها الا باذن من صاحب جبلهم ومنها الى المقس الاعلى ست مراحل وهى جنادل كلها وشرّ ناحية رأيتها لهم لصعوبتها وضيقها ومشقة مسالكها أما بحرها فجنادل وجبال معترضة فيه حتى ان النيل ينصب من شعاب ويضيق فى مواضع حتى يكون سعة مابين

الجانبين خمسين ذراعا وبرّها مجاوب ضيقة وجبال شاهقة وطرقات ضيقة حتى لا يمكن الراكب أن يصعد منها والراجل الضعيف يعجز عن سلوكها ورمال في غربها وشرقها وهذه الجبال حصنهم واليها يفزع اهل الناحية التى قبلها المتصلة بأرض الاسلام وفى جزائرها نخل يسير وزرع حقير وأكثرا كلهم السمك ويدهنون بشحمه وهى من أرض مريس وصاحب الجبل واليهم والمسلحة بالقس الاعلى صاحبها من قبل كبيرهم شديد الضبط لها حتى ان عظيمهم اذا صار بها وقف به المسلحى وأوهم أنه يفتش عليه حتى يجد الطريق الى ولده ووزيره فمن دونهما ولا يجوزها دينار ولا درهم اذ كانوا لا يتبايعون بذلك الادون الجنادل مع المسلمين وما فوق ذلك لا بيع بينهم ولا شراء وانما هى معاوضة بالرقيق والمواشى والجمال والحديد والحبوب ولا يطلق لاحد أن يجوزها الا باذن الملك ومن خالف كان جزاؤه القتل كائنا من كان وبهذا الاحتياط تنكتم أخبارهم حتى ان العسكر منهم يهجم على البلد الى البادية وغيرهم فلا يعلمون به والسنباذ الذى يخرط به الجوهر يخرج من النيل فى هذه المواضع يغطس عليه فيوجد جسمه باردا مخالفا للحجارة فاذا أشكل عليه نفخ فيه بالفم فيعرق ومن هذه المسلحة الى قرية تعرف بساى جنادل أيضا وهى آخر كرسيهم ولهم فيها أسقف وفيها ابربا ثم ناحية سقلودا وتفسيرها السبع ولاة وهى أشبه الارض بالارض المتاخمة لارض الاسلام فى السعة والضيق فى مواضع والنخل والكرم والزرع وشجر المقل وفيها شئ من شجر القطن ويعمل منه ثياب وخشنة وبها شجر الزيتون وواليها من قبل كبيرهم وتحت يده ولاة يتصرفون وفيها قلعة تعرف بأصطنون وهى أول الجنادل الثلاثة وهى أشد الجنادل صعوبة لان فيها جبلا معترضا من الشرق الى الغرب فى النيل والماء ينصب من ثلاثة أبواب وربما رجع الى باب عند انحساره شديد الخرير عجيب المنظر ينحدر الماء عليه من علو الجبل وقدامه فرش حجارة فى النيل نحو ثلاثة برد الى قرية تعرف بإستو وهى آخر قرى مريس واول بلد مقرة ومن هذا الموضع الى حد المسلمين لسانهم مريسى وهى آخر عمل متملكهم ثم ناحية بقون وتفسيرها العجب وهى عند اسمها حسنا وما رأيت على النيل أوسع منها وقدرت أن سعة النيل فيها من الشرق الى الغرب مسيرة خمس مراحل الجزائر تقطعه والانهار منه تجرى بينها على أرض منخفضة وقرى متصلة وعمارة حسنة بأبرجة حمام ومواش وأنعام واكثر ميرة مدينتهم منها وطيورها النقيط والنوبى والببغا وغير ذلك من الطيور الحسان وإ كثر نزهة كبيرهم فى هذه الناحية * قال وكنت معه فى بعض الاوقات فكان سيرنا فى ظل شجر من الحافتين فى الخلجان الضيقة وقيل ان التمساح لا يضر هنالك ورأيتهم يعبرون اكثر هذه الانهار سباحة ثم سفد بقل وهى ناحية ضيقة شبيهة بأول بلادهم الا ان فيها جزائر حسانا وفيها دون المرحلتين نحو ثلاثين قرية بالابنية الحسان والكنائس والاديار والنخل الكثير والكروم والبساتين والزرع ومروج كبار فيها ابل وجمال صهب مؤبلة للنتاج وكبيرهم يكثر الدخول اليها لان طرفها القبلى يحاذى دنقلة مدينتهم ومن مدينة دنقلة دار المملكة الى اسوان خمسون مرحلة وذكر صفتها ثم قال انهم يسقفون مجالسهم بخشب السنط وبخشب الساج الذى يأتى به النيل فى وقت الزيادة سقالات منحوتة لا يدرى من أين تأتى ولقد رأيت على بعضها علامة غريبة ومسافة ما بين دنقلة الى اول بلد علوة اكثر مما بينها وبين اسوان وفى ذلك من القرى والضياع والجزائر والمواشى والنخل والشجر والمقل والزرع والكرم أضعاف ما فى الجانب الذى يلى أرض الاسلام وفى هذه الاماكن جزائر عظام مسيرة أيام فيها الجبال والوحش والسباع ومفاوز يخاف فيها العطش والنيل ينعطف من هذه النواحى الى مطلع الشمس والى مغربها مسيرة أيام حتى يصير المصعد كالمنحدر وهى الناحية التى تبلغ العطوف من النيل الى المعدن المعروف بالشلة وهو بلد يعرف بشنقير ومنه خرج العمرى وتغلب على هذه الناحية الى أن كان من أمره ما كان وفرس البحر يكثر فى هذه المواضع ومن هذا الموضع طرق الى سواكن وباضع ودهلك وجزائر البحر ومنها عبر من نجا من بنى أمية عند هربهم الى النوبة وفيها خلق من البجة يعرفون بالزنافج انتقلوا الى النوبة قديما وقطنوا هنالك وهم على حدتهم فى الرعى واللغة لا يخالطون النوبة ولا يسكنون قراهم وعليهم وال من قبل النوبة

(ذكر تشعب النيل من بلاد علوة ومن يسكن عليه من الامم)

اعلم أن النوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل فالنوبة هم المريس المجاورون لارض الاسلام وبين اول بلدهم وبين اسوان خمسة اميال ويقال ان سلها جد النوبة ومقرى جد المقرة من اليمن وقيل النوبة ومقرى من

حير وأكثر اهل الانساب على انهم جميعا من ولد حام بن نوح وكان بين النوبة والمقرة حروب قبل النصرانية وأول ارض المقرة قرية تعرف بنافة على مرحلة من اسوان ومدينة ملكهم يقال لها نجراش على أقل من عشر مراحل من اسوان ويقال ان موسى صلوات الله عليه غزاهم قبل مبعثه فى أيام فرعون فأخرب نافة وكانوا صابئة يعبدون الكواكب وينصبون التماثيل لها ثم تنصروا جميعا النوبة والمقرة ومدينة دنقلة هى دار مملكتهم واوّل بلاد علوة قرى فى الشرق على شاطئ النيل تعرف بالابواب ولهذه الناحية وال من قبل صاحب علوة يعرف بالرحراح * والنيل يتشعب من هذه الناحية على سبعة أنهار فمنها نهر يأتى من ناحية المشرق كدر الماء يجف فى الصيف حتى يسكن بطنه فاذا كان وقت زيادة النيل نبع فيه الماء وزادت البرك التى فيه وأقبل المطر والسيول فى سائر البلاد فوقعت الزيادة فى النيل وقيل ان آخر هذا النهر عين عظيمة تأتى من جبل قال مؤرخ النوبة وحدثنى ميمون صاحب عهد بلد علوة أنه يوجد فى بطن هذا النهر حوت لا قشر له ليس هو من جنس ما فى النيل يحفر عليه قامة وأكثر حتى يخرج وهو كبير وعليه جنس مولد بين العلوة والبجة يقال لهم الديجيون وجنس يقال لهم بازة يأتى من عندهم طير يعرف بحمام بازين وبعد هؤلاء اول بلاد الحبشة ثم النيل الابيض وهو نهر يأتى من ناحية الغرب شديد البياض مثل اللبن قال وقد سألت من طرق بلاد السودان من المغاربة عن النيل الذى عندهم وعن لونه فذكر أنه يخرج من جبال الرمل أو جبل الرمل وانه يجتمع فى بلد السودان فى برك عظام ثم ينصب الى ما لا يعرف وانه ليس بأبيض فاما أن يكون اكتسب ذلك اللون مما يمر عليه أو من نهر آخر ينصب اليه وعليه أجناس من جانبيه ثم النيل الاخضر وهو نهر يأتى من القبلة مما يلى الشرق شديد الخضرة صافى اللون جدا يرى ما فى قعره من السمك وطعمه مخالف لطعم النيل يعطش الشارب منه بسرعة وحيتان الجميع واحدة غير أن الطعم مختلف ويأتى فيه وقت الزيادة خشب الساج والبقم والغثاء وخشب له رائحة كرائحة اللبان وخشب غليظ ينحت ويعمل منه مقدام وعلى شاطئه ينبت هذا الخشب أيضا وقال لى انه وجد فيه عود البخور قال وقد رأيت على بعض سقالات الساج المخونة التى تأتى فيه وقت الزيادة علامة غريبة ويجتمع هذان النهران الابيض والاخضر عند مدينة متملك بلد علوة ويبقيان على ألوانهما قريبا من مرحلة ثم يختلطان بعد ذلك وبينهما أمواج كبار عظيمة بتلاطمهما قال وأخبرنى من نقل النيل الابيض وصبه فى النيل الاخضر فبقى فيه مثل اللبن ساعة قبل أن يختلطا وبين هذين النهرين جزيرة لا يعرف لها غاية وكذلك لا يعرف لهذين النهرين نهاية فأولهما يعرف عرضه ثم يتسع فيصير مسافة شهر ثم لا تدرك سعتهما لخوف من يسكنهما بعضهم من بعض لان فيهما أجناسا كثيرة وخلقا عظيما قال وبلغنى أن بعض متملكى بلد علوة سار فيها يريد أقصاها فلم يأت عليه بعد سنين وان فى طرفها القبلى جنسا يسكنون ودوابهم فى بيوت تحت الارض مثل السراديب بالنهار من شدة حر الشمس ويسرحون فى الليل وفيهم قوم عراة والانهار الاربعة الباقية تأتى أيضا من القبلة مما يلى الشرق أيضا فى وقت واحد ولا يعرف لها نهاية أيضا وهى دون النهرين الابيض والاخضر فى العرض وكثرة الخلجان والجزائر وجميع الانهار الاربعة تنصب فى الاخضر وكذلك الاول الذى قدمت ذكره ثم يجتمع مع الابيض وكلها مسكونة عامرة مسلوك فيها بالسفن وغيرها وأحد هذه الاربعة يأتى مرة من بلاد الحبشة قال ولقد اكثرت السؤال عنها واستكشفتها من قوم عن قوم فما وجدت مخبرا يقول انه وقف على نهاية جميع هذه الانهار والذى انتهى اليه علم من عرفنى عن آخرين الى خراب وانه يأتى فى وقت الزيادة فى هذه الانهار آلة مراكب وأبواب وغير ذلك فيدل على عمارة بعد الخراب فاما الزيادة فيجمعون انها من الامطار مع مادة تأتى من ذاتها والدليل على ذلك النهر الذى يجف ويسكن بطنه ثم ينبع وقت الزيادة ومن عجائبه أن زيادته فى أنهار مجتمعة وسائر النواحى والبلدان فى مصر وما يليها والصعيد واسوان وبلد النوبة وعلوة وما وراء ذلك فى زمان واحد وأكثر ما وقف عليه من هذه الزيادة أنه ربما وجدت مثلا باسوان ولا توجد بقوص ثم تاتى بعد فاذا كثرت الامطار عندهم واتصلت السيول علم أنها سنة رى واذا قصرت الامطار علم أنها سنة ظمأ قال وأما من طرق بلاد الزنج فانهم أخبرونى عن مسيرهم فى بحر الصين الى بلاد الزنج بالريح الشمالى مساحلين للجانب الشرقى من جزيرة مصر قد ينبو والى موضع يعرف برأس حفرى وهو عندهم آخر جزيرة مصر فينظرون كوكبا يهتدون به فيقصدون نحو ربه ثم يعودون الى البحرى ويصير الشمال فى وجوههم حتى يأتوا الى قبيلة من بلاد الزنج وهى مدينة متملكهم

واصبر

وتصير قبلتهم للصلاة الى جدة قال وبعض الانهار الاربعة يأتي من بلاد الزنج لانه يأتي فيه الخشب الزنجي وسوبة
مدينة العلوي شرقي الجزيرة الكبرى التي بين البحرين الابيض والاخضر في الطرف الشمالي منها عند مجتمعهما
وشرقيها النهر الذي يجف ويسكن بطنه وفيها ابنية حسان ودور واسعة وكنائس كثيرة الذهب وبساتين ولها رباط
فيه جماعة من المسلمين ومتملك علوة اكثر مالا من متملك المقرة وأعظم جيشا وعنده من الخيل ما ليس عند المقري
وبلده أخصب وأوسع والنخل والكرم عندهم يسير واكثر حبوبهم الذرة البيضاء التي مثل الارز منها خبزهم
ومزرهم واللحم عندهم كثير لكثرة المواشي والمروج الواسعة العظيمة السعة حتى انه لا يوصل الى الجبل الا في ايام
وعندهم خيل عتاق وجمال صهب عراب ودينهم النصرانية يعاقبة وأساقفتهم من قبل صاحب الاسكندرية
كالنوبة وكتبهم بالرومية يفسرونها بلسانهم وهم أقل فهما من النوبة وملكهم يسترق من شاء من رعيته بجرم
وبغير جرم ولا ينكرون ذلك عليه بل يسجدون له ولا يعصون أمره على المكروه الواقع بهم وينادون الملك يعيش
فليكن أمره وهو يتتوج بالذهب والذهب كثير في بلده * ومما في بلده من العجائب أن في الجزيرة الكبرى التي
بين البحرين جنسا يعرف بالكرينينا لهم أرض واسعة مزروعة من النيل والمطر فاذا كان وقت الزرع خرج كل
واحد منهم بما عنده من البذر واختط على مقدار ما معه وزرع في أربعة أركان الخطة يسيرا وجعل البذر في وسط
الخطة وشيأ من المزر وانصرف عنه فاذا اصبح وجد ما اختط قد زرع وشرب المزر فاذا كان وقت الحصاد حصد
يسيرا منه ووضعه في موضع أراده ومعه مزر وينصرف فيجد الزرع قد حصد بأسره وجرن فاذا أراد دراسه
وتذريته فعل به كذلك وربما أراد أحدهم أن ينقي زرعه من الحشيش فيلفظ بقلع شئ من الزرع فيصبح وقد قلع
جميع الزرع وهذه الناحية التي فيها ما ذكرته بلدان واسعة مسيرة شهرين في شهرين يزرع جميعها في وقت واحد
وميرة بلد علوة ومتملكهم من هذه الناحية فيوجهون المراكب فتوسق وربما وقع بينهم حرب * قال وهذه
الحكاية صحيحة معروفة مشهورة عند جميع النوبة والعلوة وكل من يطرق ذلك البلد من تجار المسلمين لا يشكون
فيه ولا يرتابون به ولولا أن اشتهاره وانتشاره مما لا يجوز التواطؤ على مثله لما ذكرت شيأ منه لشناعته فأما اهل
الناحية فيزعمون أن الجن تفعل ذلك وانها تظهر لبعضهم وتخدمهم بجارية يتطاعون لهم بها وتعمل لهم عجائب ٢.
وان السحاب يطيعهم * قال ومن عجائب ما حدثني به متملك المقرة للنوبة انهم يمطرون في الجبال ويلتقطون منه
للوقت سمكا على وجه الارض وسألتهم عن جنسه فذكروا أنه صغير القدر بأذناب حمر قال وقد رأيت جماعة
وأجناسا ممن تقدم ذكرا كثرهم يعترفون بالباري سبحانه وتعالى ويتقربون اليه بالشمس والقمر والكواكب
ومنهم من لا يعرف الباري ويعبد الشمس والنار ومنهم من يعبد كل ما استحسنه من شجرة أو بهيمة وذكر انه رأى
رجلا في مجلس عظيم المقرة سأله عن بلده فقال مسافته الى النيل ثلاثة أهلة وسأله عن دينه فقال ربي وربك الله
ورب الملك ورب الناس كلهم واحد وانه قال له فأين يكون قال في السماء وحده وقال انه اذا أبطأ عنهم المطر
او أصابهم الوباء أو وقع بهم وبدوابهم آفة صعدوا الجبل ودعوا الله فيجابون للوقت وتقضى حاجتهم قبل أن ينزلوا وسأله
هل أرسل فيكم رسول قال لا فذكر له بعثة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه وما أيدوا به من
المعجزات فقال اذا كانوا فعلوا هذا فقد صدقوا ثم قال قد صدقتهم ان كانوا فعلوا * قال مؤلفه رحمه الله وقد
غلب أولاد كنز الدولة على النوبة وملكوها من سنة   وبني بدنقلة جامع يأوي اليه ٢.
الغرباء واعلم أن على ضفة النيل أيضا الكانم وملكها مسلم وبينه وبين بلاد مالي مسافة بعيدة جدا وقاعدة ملكه
بلدة اسمها حيمي واول مملكته من جهة مصر بلدة اسمها زلا وآخرها طولا بلدة يقال لها كاكا وبينهما نحو ثلاثة
أشهر وهم يتلثمون وملكهم محتجب لا يرى الا يومي العيدين بكرة وعند العصر وطول السنة لا يكلمه أحد الا من
وراء حجاب وغالب عيشهم الارز وهو ينبت من غير بذر وعندهم القمح والذرة والتين والليمون والباذنجان
واللفت والرطب ويتعاملون بقماش ينسج عندهم اسمه دندي طول كل ثوب عشرة أذرع يشترون به من ربع
ذراع فأكثر ويتعاملون أيضا بالودع والخرز والنحاس المكسر والورق وجميع ذلك بسعر ذلك القماش وفي
جنوبها شعارى وصحارى فيها أشخاص متوحشة كالغيول قريبة من شكل الآدمي لا يلحقها الفارس تؤذي
الناس ويظهر في الليل أيضا شبه نار تضيء فاذا مشى أحد ليلحقها بعدت عنه ولو جرى اليها لا يصل اليها بل
لا تزال أمامه فاذا رماها بحجر فأصابها تشظى منها شرر وتعظم عندهم اليقطينة حتى تصنع منها مراكب يعبر فيها

فى النيل * وهذه البلاد بين افريقية وبرقة ممتدة فى الجنوب الى سمت الغرب الاوسط وهى بلاد قحط وشظف وسوء مزاج واول من بث بها الاسلام الهادى العثمانى ادّعى انه من ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه وصارت بعده لليزنيين من بنى سيف بن ذى يزن وهم على مذهب الامام مالك بن أنس رحمه الله والعدل قائم بينهم وهم يابسون فى الدين لا يلينون وبنوا بمدينة مصر مدرسة للمالكية عرفت بمدرسة ابن رشيق فى سنى أربعين وستمائة وصارت وفودهم تنزل بها وسيرد ذكرها فى المدارس ان شاء الله تعالى

(ذكر البجه ويقال انهم من البربر)

اعلم أنّ أوّل بلد البجه من قرية تعرف بالخربة معدن الزمرّذ فى صحراء قوص وبين هذا الموضع وبين قوص نحو من ثلاث مراحل وذكر الجاحظ انه ليس فى الدنيا معدن للزمرّذ غير هذا الموضع وهو يوجد فى مغاير بعيدة مظلمة يدخل اليها بالمصابيح وبحبال يستدل بها على الرجوع خوف الضلال ويحفر عليه بالمعاول فيوجد فى وسط الحجارة وحوله غشيم دونه فى الصبغ والجوهر وآخر بلاد البجه أوّل بلاد الحبشة وهم فى بطن هذه الجزيرة أعنى جزيرة مصر الى سيف البحر الملح ممايلى بجزائر سواكن وباضع ودهلك وهم بادية يتبعون الكلأ حيثما كان الرعى بأخبية من جلود وأنسابهم من جهة النساء ولكل بطن منهم رئيس وليس عليهم متملك ولا لهم دين وهم يورثون ابن البنت وابن الاخت دون ولد الصلب ويقولون انّ ولادة ابن الاخت وابن البنت اصح فانه ان كان من زوجها أو من غيره فهو ولدها على كل حال وكان لهم قديما رئيس يرجع جميع رؤسائهم الى حكمه يسكن قرية تعرف بهجر هى أقصى جزيرة البجه ويركبون النجب الصهب وتنتج عندهم وكذلك الجمال العراب كثيرة عندهم أيضا والمواشى من البقر والغنم والضأن غاية فى الكثرة عندهم وبقرهم حسان ملمعة بقرون عظام ومنها جمّ وكباشهم كذلك مجزة والبانها أولبان وغذاؤهم اللحم وشرب اللبن وأكلهم للحبن قليل وفيهم من يأكله وأبدانهم صحاح وبطونهم خماص وألوانهم مشرقة الصفرة ولهم سرعة فى الجرى يباينون بها الناس وكذلك جمالهم شديدة العدو صبورة عليه وعلى العطش يسابقون عليها الخيل ويقاتلون عليها وتدور بهم كما يشتهون ويقطعون عليها من البلاد ما يتفاوت ذكره ويتطاردون عليها فى الحرب فيرمى الواحد منهم الحربة فان وقعت فى الرمية طار الى الجمل فأخذها صاحبها وان وقعت فى الارض ضرب الجمل بجرانه الارض فأخذها صاحبها ونبغ منهم فى بعض الاوقات رجل يعرف بكلاز شديد مقدام وله جمل ما سمع بمثله فى السرعة وكان أعور وصاحبه كذلك التزم لقومه انه يشرف على مصلى مصر يوم العيد وقد قرب العيد قربا لا يكون للبلوغ اليها فى مثله حقيقة فوفى بذلك وأشرف على المقطم وضربت الخيل خلفه فلم يلحق وهذا هو الذى أوجب أن يكون فى السفح طليعة يوم العيد وكان الطولونية وغيرهم من أمراء مصر يوقفون فى سفح الجبل المقطم ممايلى الموضع المعروف بالحبش جيشا كثيفا مراعيا للناس حتى ينصرفوا من عيدهم فى كل عيد وهم أصحاب ذمّة فاذا غدر أحدهم رفع المغدور به ثوبا على حربة وقال هذا عرش فلان يعنى ابا الغادر فتصير سيئة عليه الى أن يترضاه وهم يبالغون فى الضيافة فاذا طرق أحدهم الضيف ذبح له فاذا تجاوز ثلاثة نفر نحر لهم من أقرب الانعام اليه سواء كانت له أو لغيره وان لم يكن شئ نحر راحلة الضيف وعوّضه ما هو خير منها وسلاحهم الحراب السباعية مقدار طول الحديدة ثلاثة اذرع والعود أربعة اذرع وبذلك سميت سباعية والحديدة فى عرض السيف لا يخرجونها من أيديهم الا فى بعض الاوقات لانّ فى آخر العود شيأ شبيها بالفلكة يمنع خروجها عن أيديهم وصناع هذه الحراب نساء فى موضع لا يختلط بهنّ رجل الا المشترى منهنّ فاذا ولدت احداهنّ من الطارقين لهنّ جارية استحيتها وان ولدت غلاما قتلته ويقلن انّ الرجال بلاء وحرب ودرقهم من جلود البقر مشعرة ودرق مقلوبة تعرف بالاكسومية من جلود الجواميس وكذلك الدهلكية ومن دابة فى البحر وقسيهم عربية كبار غلاظ من السدر والشوحط يرمون عليها بنبل مسموم وهذا السم يعمل من عروق شجر الغلف يطبخ على النار حتى يصير مثل الغرا فاذا أرادوا تجربته شرط أحدهم جسده وسيل الدم ثم شممه هذا السم فاذا تراجع الدم علم انه جيد ومسح الدم لئلا يرجع الى جسمه فيقتله فاذا أصاب الانسان قتل لوقته ولو مثل شرطة الحجام وليس له عمل فى غير الجرح والدم وان شرب منه لم يضر وبلدانهم كلها معادن وكلما تصاعدت كانت أجود ذهبا وأكثر وفيها معادن الفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغنطيس والمرقشيتا والجمست والزمرّذ وحجارة شطبا فاذا بلت الشطبة منها بزيت وقدت ٢ج

مثل

مثل الفيلة وغير ذلك مما شغلهم طلب معادن الذهب عما سواه والبجه لا تتعرّض لعمل شيء من هذه المعادن وفي أوديتهم شجر المقل والاهليلج والاذخر والشيح والسنا والحنظل وشجر البان وغير ذلك وبأقصى بلدهم النخل وشجر الكرم والرياحين وغير ذلك مما لم يزرعه أحد وبها سائر الوحش من السباع والفيلة والنمور والفهود والقردة وعناق الارض والزباد ودابة تشبه الغزال حسنة المنظر لها قرنان على لون الذهب قليلة البقاء اذا صيدت ومن الطيور البيغا والنقيط والنوبي والقماري ودجاج الحبش وحمام بازين وغير ذلك وليس منهم رجل الا منزوع البيضة اليمنى وأما النساء فمقطوع أشفار فروجهن وانه يلتحم حتى يشق عنه للمتزوج بمقدار ذكر الرجل ثم قل هذا الفعل عندهم وقيل ان السبب في ذلك أن ملكا من الملوك حاربهم قديما ثم صالحهم وشرط عليهم قطع ثدي من يولد لهم من النساء وقطع ذكور من يولد من الرجال أراد بذلك قطع النسل منهم فوفوا بالشرط وقلبوا المعنى في أن جعلوا قطع الثدي للرجال والفروج للنساء وفيهم جنس يقلعون ثناياهم ويقولون لا نتشبه بالحمير وفيهم جنس آخر في آخر بلاد البجه يقال لهم البازه نساء جميعهم يتسمون باسم واحد وكذلك الرجال فطرقهم في وقت رجل مسلم له جمال فدعا بعضهم بعضا وقالوا هذا الله قد نزل من السماء وهو جالس تحت الشجرة فجعلوا ينظرون اليه من بعد * وتعظم الحيات ببلدهم وتكثر أصنافها ورئيت حية في غدير ماء قد أخرجت ذنبها والتفت على امرأة وردت فقتلتها فرؤي شحمها قد خرج من دبرها من شدة الضغطة وبها حية ليس لها رأس وطرفاها سواء منقشة ليست بالكبيرة اذا مشى الانسان على أثرها مات واذا قتلت وأمسك القاتل ما قتلها به من عود أو حربة في يده ولم يلقه من ساعته مات وقتلت حية منها بخشبة فانشقت الخشبة واذا قتل هذه الحية أحد وهي ميتة أو حية أصابه ضررها وفي البجه شر وتسرع اليه ولهم في الاسلام وقبله اذية على شرق صعيد مصر خربوا هنالك قرى عديدة وكانت فراعنة مصر تغزوهم وتوادعهم أحيانا لحاجتهم الى المعادن وكذلك الروم لما أن ملكوا مصر ولهم في المعادن آثار مشهورة وكان أصحابهم بها وقد فتحت مصر * قال عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم وتجمع لعبد الله بن سعد بن أبي سرح في انصرافه من النوبة على شاطئ النيل البجه فسأل عن شأنهم فأخبر أن ليس لهم ملك يرجعون اليه فهان عليه أمرهم وتركهم فلم يكن لهم عقد ولا صلح وكان أول من هادنهم عبيد الله بن الحبحاب السلولي ويذكر أنه وجد في كتاب ابن الحبحاب لهم ثلثمائة بكر في كل عام حين ينزلون الريف مجتازين تجارا غير مقيمين على أن لا يقتلوا مسلما ولا ذميا فان قتلوه فلا عهد لهم ولا يؤوا عبيد المسلمين وان يردوا آبقيهم اذا وقعوا اليهم ويقال انهم كانوا يؤاخذون بهذا وبكل شاة أخذها البجاوي فعليه أربعة دنانير وللبقرة عشرة وكان وكيلهم مقيما بالريف رهينة بيد المسلمين ثم كثر المسلمون في المعدن فخالطوهم وتزوجوا فيهم وأسلم كثير من الجنس المعروف بالحداربة اسلاما ضعيفا وهم شوكة القوم ووجوههم وهم مما يلي مصر من اول حدهم الى العلاقي وعيذاب المعبر منه الى جدة وما وراء ذلك ومنهم جنس آخر يعرفون بالزنافج هم أكثر عددا من الحداربة غير أنهم تبع لهم وخفراؤهم يحمونهم ويحبونهم المواشي ولكل رئيس من الحداربة قوم من الزنافج في حملته فهم كالعبيد يتوارثونهم بعد أن كانت الزنافج قديما أظهر عليهم ثم كثرت اذيتهم على المسلمين وكان ولاة اسوان من العراق فرفع الى أمير المؤمنين المأمون خبرهم فأخرج اليهم عبد الله بن الجهم فكانت له معهم وقائع ثم وادعهم وكتب بينه وبين كنون رئيسهم الكبير الذي يكون بقريتهم هجر المقدم ذكرها كتابا نسخته هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الامير أبي اسحق بن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله في شهر ربيع الاول سنة ست عشرة ومائتين لكنون بن عبد العزيز عظيم البجه بأسوان انك سألتني وطلبت الي أن أؤمنك وأهل بلدك من البجه وأعقد لك ولهم أمانا علي وعلى جميع المسلمين فأجبتك الى أن عقدت لك وعلى جميع المسلمين أمانا ما استقمت واستقاموا على ما أعطيتني وشرطت لي في كتابي هذا وذلك أن يكون سهل بلدك وجبلها من منتهى حد اسوان من أرض مصر الى حد ما بين دهلك وباضع ملكا للمأمون عبد الله بن هرون أمير المؤمنين أعزه الله تعالى وأنت وجميع أهل بلدك عبيد لامير المؤمنين الا انك تكون في بلدك ملكا على ما أنت عليه في البجه وعلى أن تؤدي اليه الخراج في كل عام على ما كان عليه سلف البجه وذلك مائة من الابل أو ثلثمائة دينار وازنة داخلة في بيت المال والخيار في ذلك لامير المؤمنين ولولاته وليس لك أن تخرم شيأ عليك من الخراج وعلى أن كل أحد منكم ان ذكر محمدا رسول الله صلى

الله عليه وسلم او كتاب الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكره به أو قتل أحدا من المسلمين حرا أو عبدا فقد برئت منه الذمة
ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة أمير المؤمنين أعزه الله وذمة جماعة المسلمين وحل دمه كما يحل دم
اهل الحرب وذواريهم وعلى أن أحدا منكم ان أعان المحاربين على أهل الاسلام بمال أو دله على عورة من عورات
المسلمين أو أثر لعزتهم فقد نقض ذمة عهده وحل دمه وعلى أن أحدا منكم ان قتل أحدا من المسلمين عمدا او سهوا ٢)
او خطأ حرا او عبدا او احدا من أهل ذمة المسلمين او اصاب لاحد من المسلمين أو أهل ذمتهم مالا ببلد البجه
أو ببلاد الاسلام أو ببلاد النوبة أو في شئ من البلدان برا أو بحرا فعليه في قتل المسلم عشر ديات وفي قتل العبد
المسلم عشر قيم وفي قتل الذمي عشر ديات من دياتهم وفي كل مال أصبتموه للمسلمين وأهل الذمة عشرة اضعافه
وان دخل أحد من المسلمين بلاد البجه تاجرا أو مقيما أو مجتازا أو حاجا فهو آمن فيكم كأحدكم حتى يخرج
من بلادكم ولا تؤوا أحدا من آبق المسلمين فان اتاكم آت فعليكم أن تردوه الى المسلمين وعلى أن تردوا أموال
المسلمين اذا صارت في بلادكم بلا مؤنة تلزمهم في ذلك وعلى انكم ان نزلتم ريف صعيد مصر لتجارة أو مجتازين
لا تظهرون سلاحا ولا تدخلون المدائن والقرى بحال ولا تمنعوا أحدا من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة
فيها برا ولا بحرا ولا تخيفوا السبيل ولا تقطعوا الطريق على أحد من المسلمين ولا اهل الذمة ولا تسرقوا لمسلم
ولا ذمي مالا وعلى أن لا تهدموا شيأ من المساجد التي ابتناها المسلمون بصيحة وهجر وسائر بلادكم طولا
وعرضا فان فعلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة وعلى أن كنون بن عبد العزيز يقيم بريف صعيد مصر وكيلا يفي
للمسلمين بما شرط لهم من دفع الخراج ورد ما أصابه البجه للمسلمين من دم ومال وعلى أن أحدا من البجه
لا يعترض حد القصر الى قرية يقال لها قبان من بلد النوبة حدا لاعمدة عقد عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين
لكنون بن عبد العزيز كبير البجه الامان على ما سمينا وشرطنا في كتابنا هذا وعلى أن يوافي به أمير المؤمنين فان زاغ
كنون او عاث فلا عهد له ولا ذمة وعلى كنون أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد البجه لقبض صدقات من أسلم
من البجه وعلى كنون الوفاء بما شرط لعبد الله بن الجهم وأخذ بذلك عهد الله عليه باعظم ما أخذ على خلقه من
الوفاء والميثاق ولكنون بن عبد العزيز ولجميع البجه عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمة الامير
أبي اسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم وذمة المسلمين بالوفاء بما اعطاه عبد الله بن الجهم
ما وفى كنون بن عبد العزيز بجميع ما شرط عليه فان غير كنون أو بدل أحد من البجه فذمة الله جل اسمه وذمة
أمير المؤمنين وذمة الامير أبي اسحاق بن امير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم وذمة المسلمين بريئة منهم
وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفا حرفا زكريا بن صالح المخزومي من سكان جدة وعبد الله بن اسمعيل القرشي
ثم نسق جماعة من شهود اسوان فأقام البجه على ذلك برهة ثم عادوا الى غزو الريف من صعيد مصر وكثر الضجيج
منهم الى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله فندب لحربهم محمد بن عبد الله القمي فسأل أن يختار من الرجال من
أحب ولم يرغب الى الكثرة لصعوبة المسالك فخرج اليهم من مصر في عدة قليلة ورجال منتخبة وسارت المراكب
في البحر فاجتمع البجه لهم في عدد كثير عظيم قد ركبوا الابل فهاب المسلمون ذلك فشغلهم بكتاب طويل كتبه في
طومار ولفه بثوب فاجتمعوا لقراءته فحمل عليهم وفي أعناق الخيل الاجراس فنفرت الجمال بالبجه ولم تثبت
لصلصلة الاجراس فركب المسلمون أقفيتهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقتل كبيرهم فقام من بعده ابن اخيه وبعث
يطلب الهدنة فصالحهم على أن يطأ بساط أمير المؤمنين فسار الى بغداد وقدم على المتوكل بسر من رأى في سنة
احدى وأربعين ومائتين فصولح على أداء الاداوة والبقط واشترط عليهم أن لا يمنعوا المسلمين من العمل
في المعدن وأقام القمي باسوان مدة وترك في خزائنها ما كان معه من السلاح وآلة الغزو فلم تزل الولاة تأخذ
منه حتى لم يبقوا منه شيأ فلما كثر المسلمون في المعادن واختلطوا بالبجه قل شرهم وظهر التبر لكثرة طلابه
وتسامع الناس به فوفدوا من البلدان وقدم عليهم ابو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمري بعد محاربته
النوبة في سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه ربيعة وجهينة وغيرهم من العرب فكثرت بهم العمارة في البجه حتى
صارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من اسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القلزم الى عيذاب
ومالت البجه الى ربيعة وتزوجوا اليهم وقيل ان كهان البجه قبل اسلام من أسلم منهم ذكرت عن معبودهم الطاعة
لربيعة ولكنون معا فهم على ذلك فلما قتل العمري واستولت ربيعة على الجزائر والاهم على ذلك البجه

وأخرجت من خالفهما من العرب وتصاهروا الى رؤساء البجه وبذلك كف ضررهم عن المسلمين والبجه الداخلة فى صحراء بلد علوة مما يلى البحر الملح الى أوّل الحبشة ورجالهم فى الظعن والمواشى واتباع الرعى والمعيشة والمراكب والسلاح كحال الحدارب الا أن الحدارب أشجع وأهدى من الداخلة على كفرهم من عبادة الشيطان والاقتداء بكهانهم ولكل بطن كاهن يضرب له قبة من أدم معبدهم فيها فاذا أرادوا استخباره عما يحتاجون اليه تعرّى ودخل الى القبة مستدبرا ويخرج اليهم وبه اثر جنون وصرع يقول الشيطان يقرئكم السلام ويقول لكم ارحلوا عن هذه الحلة فان الرهط الفلانى يقع بكم وسألتم عن الغزو الى بلد كذا فسيروا فانكم تظفرون وتغنمون كذا وكذا والجمال التى تأخذونها من موضع كذا هى لى والجارية الفلانية التى تجدونها فى الخباء الفلانى والغنم التى من صفتها كذا ونحو هذا القول فيزعمون انه يصدقهم فى أكثر من ذلك فاذا غنموا أخرجوا من الغنيمة ماذكر ودفعوه الى الكاهن يتموّله ويحرّمون ألبان نوقها على من لم يقبل فاذا أرادوا الرحيل حمل ٢
الكاهن هذه القبة على جمل مفرد فيزعمون أن ذلك الجمل لا يثور الا بجهد وكذلك سيره ويتصبب عرقا وهى فارغة لا شئ فيها وقد بقى فى الحدارب جماعة على هذا المذهب ومنهم من تمسك بذلك مع اسلامه * قال مؤرخ النوبة ومنه نلخصت ما تقدّم ذكره وقد قرأت فى خطبة الاجناس لامير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه ذكر البجه والكجة ويقول عنهم شديد كلبهم قليل سلبهم فالبجه كذلك وأما الكجة فلا أعرفهم انتهى ما ذكره عبد الله بن احمد مؤرخ النوبة * وقال أبو الحسن المسعودى فأما البجه فانها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقا وملكوا عليهم ملكا وفى أرضهم معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرّذ وتتصل سراياهم ومناسرهم على النجب الى بلاد النوبة فيغزون ويسبون وقد كانت النوبة قبل ذلك أشدّ من البجه الى أن قوى الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقى وعيذاب وسكن فى تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان فاشتدّت شوكتهم وتزوّجوا من البجه فقويت البجه ثم صاهرها قوم من ربيعة فقويت ربيعة بالبجه على من ناواها وجاورها من قحطان وغيرهم ممن سكن تلك الديار وصاحب المعدن فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بشر بن مروان بن اسحاق بن ربيعة يركب فى ثلاثة آلاف أنف من ربيعة وأحلافها من مصر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجه فى الجحف البجاوية وهم الحدارب وهم مسلمون من بين سائر البجه والداخلة من البجه كفار يعبدون صنما لهم والبجه المالكة لمعدن الزمرّذ يتصل ديارها بالعلاقى وهو معدن الذهب وبين العلاقى والنيل خمس عشرة مرحلة وأقرب العمارة اليه مدينة اسوان وجزيرة سواكن أقل من ميل فى ميل وبينها وبين البحر الحبشى بحر قصير يخاض وأهلها طائفة من البجه تسمى الخاسة وهم مسلمون ولهم بها ملك * وقال الهمدانى نكح كنعان بن حام أرتيب بنت شاويل ابن ترس بن يافث فولدت له حتا والاساود ونوبة وقران والزنج والزغاوة وأجناس السودان وقيل البجه من ولد حام بن نوح وقيل من ولد كوش بن كنعان بن حام وقيل البجه قبيلة من الحبش اصحاب أخبية من شعر وألوانهم أشدّ سوادا من الحبشة يتزيون بزى العرب وليس لهم مدن ولا قرى ولا مزارع ومعيشتهم مما ينقل اليهم من أرض الحبشة وأرض مصر والنوبة وكانت البجه تعبد الاصنام ثم أسلموا فى امارة عبد الله بن سعد ابن ابى سرح وفيهم كرم وسماحة وهم قبائل وأفخاذ لكل فخذ رئيس وهم أهل نجعة وطعامهم اللحم واللبن فقط

(ذكر مدينة اسوان)

اسوان من قولهم أسى الرجل يأسى أسى اذا حزن ورجل اسيان واسوان اى حزين واسوان فى آخر بلاد الصعيد وهى ثغر من ثغور الاقليم يفصل بين النوبة وأرض مصر وكانت كثيرة الحنطة وغيرها من الحبوب والفواكه والخضراوات والبقول وكانت كثيرة الحيوان من الابل والبقر والغنم ولحمانها تنتهى غاية فى الطيب والسمن وكانت أسعارها أبدا رخيصة ولهم تجارات وبضائع تحمل منها الى بلاد النوبة ولا يتصل باسوان من شرقيها بلاد الاسلام وفى جنوبيها جبل به معدن الزمرّذ وهو فى برية منقطعة عن العمارة وعلى خمسة عشر يوما من اسوان معدن الذهب ويتصل باسوان من غربيها الواحات ويسلك من اسوان الى عيذاب ويتوصل من عيذاب الى الحجاز والى اليمن والهند . قال المسعودى ومدينة اسوان يسكنها خلق من العرب من قحطان

ونزار بن ربيعة ومضر وخلق كثير من قريش وا كثرهم من الحجاز والبلد كثير النخل خصيب كثير الخير وتودع النواة في الارض فتنبت نخلة ويؤكل من ثمرها بعد سنتين ولمن باسوان ضياع كثيرة داخلة بأرض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة وابتيعت هذه الضياع من النوبة في صدر الاسلام في دولة بني امية وبني العباس وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد وفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه أن اناسا من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم ممن جاورهم من أهل اسوان وانها ضياعه والقوم عبيد لا املاك لهم وانما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العامرين فيها فجعل المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة اسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل اسوان انها ستنزع من أيديهم فاحتالوا على ملك النوبة بأن يقدموا الى من ابتيع منهم من النوبة انهم اذا حضروا حضرة الحاكم أن لا يقروا لملكهم بالعبودية وأن يقولوا سبيلنا معاشر النوبة سبيلكم مع ملككم يجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم انتم عبيدا لملككم واموالكم له فنحن كذلك فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما اوقفوهم عليه من هذا المعنى فمضى البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس وصار النوبة اهل مملكة هذا الملك نوعين من وصفنا احرار غير عبيد والنوع الآخر من اهل مملكته عبيد وهم من سكن النوبة في غير هذه البلاد المجاورة لاسوان وهي بلاد مريس * قال واما النوبة فافترقت فرقتين فرقة في شرق النيل وغربه فأناخت على شاطئه واتصلت ديارها بديار القبط من أرض صعيد مصر واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ولحقوا بقريب من أعاليه وبنوا دار مملكة وهي مدينة عظيمة تدعى دنقلة والفرقة الاخرى من النوبة يقال لها علوة وبنوا مدينة عظيمة سموها سرقنه والبلد المتصل مملكته بأرض اسوان يعرف بمريس واليه تضاف الريح المريسية وعمل هذا الملك متصل بأعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة اسوان قال وفي الجانب الشرقي من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمد وغيرها فأما العمد والقواعد والرؤس التي يسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون قبل حدوث النصرانية بمئين من السنين ومنها العمد التي بالاسكندرية * وفي ذي الحجة سنة أربع وأربعين وثلثمائة أغار ملك النوبة على اسوان وقتل جماعة من المسلمين فخرج اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل أونوجور بن الاخشيد في محرم سنة خمس وأربعين فساروا في البر والبحر وبعثوا بعدة من النوبة اسروهم فضربت أعناقهم بعد ما أوقع بملك النوبة وسار الخازن حتى فتح مدينة ابريم وسبى أهلها وقدم الى مصر في نصف جمادى الاولى سنة خمس واربعين بمائة وخمسين أسيرا وعدة رؤس * وقال القاضي الفاضل ان متحصل ثغر اسوان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة بلغ خمسة وعشرين ألف دينار وقال الكمال جعفر الادفوي وكان باسوان ثمانون رسولا من رسل الشرع وتحصل من اسوان في سنة واحدة ثلاثون ألف اردب تمرا وأخبرنا من وقف على مكتوب كان فيه أربعون شريفا خاصة وان مكتوبا آخر رأى فيه ستين شريفا دون من عداهم قال ووقفت أنا على مكتوب فيه نحو من أربعين مؤرخ بما بعد العشرين وستمائة من الهجرة * وكان بثغر اسوان بنو الكنز من ربيعة امراء ممدوحون مقصودون صنع لهم الفاضل الشديد أبو الحسن بن عرام سيرة ذكر فيها مناقبهم وأسماء من مدحهم ومن ورد عليهم ولما أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب جيشا الى كنز الدولة وأصحابه ترحلوا عن البلاد فدخلوا بيوتهم فوجدوا بها قصائد من مدحهم منها قصيدة لأبي محمد الحسن بن الزبير قال فيها

وينجده ان خانه الدهر أوسطا * اناس اذا ما أنجد الذل اتهموا
أجاروا فما تحت الكواكب خائف * وجادوا فما فوق البسيطة معدم

وانه أجازه عليها بألف دينار ووقف عليه ساقية تساوي ألف دينار وكان باسوان رجال من العسكر مستعدون بالاسلحة لحفظ الثغر من هجوم النوبة والسودان عليه فلما زالت الدولة الفاطمية اهمل ذلك فسار ملك النوبة في عشرة آلاف ونزل تجاه اسوان في جزيرة وأسر من كان فيها من المسلمين ثم تلاشى بعد ذلك أمر الثغر واستولى عليه اولاد الكنز من بعد سنة تسعين وسبعمائة فأفسدوا فسادا كبيرا وكانت لهم مع ولاة اسوان عدة حروب الى أن كانت المحن منذ سنة ست وثمانمائة وخرب اقليم الصعيد فارتفعت يد السلطنة عن ثغر اسوان ولم يبق

للسلطان

للسلطان فى مدينة اسوان وال واتضع حاله عدة سنين ثم زحفت هوارة فى محرم سنة خمس عشرة وثمانمائة الى اسوان وحاربت اولاد الكنز وهزموهم وقتلوا كثيرا من الناس وسبوا ماهنالك من النساء والاولاد واسترقوا الجميع وهدموا اسور مدينة اسوان ومضوا بالسبى وقد تركوها خرابا يبابا لاساكن بها فاستمرت على ذلك بعد ما كانت بحيث يقول عنها عبدالله بن احمد بن سليم الاسوانى فى كتاب أخبار النوبة ان أبا عبد الرحمن عبدالله بن عبد الحميد العمرى لما غلب على المعدن كتب الى اسوان يسأل التجار الخروج اليه بالجهاز من طريق المعدن فخرج اليه رجل يعرف بعثمان بن حنظلة التميمى فى ألف راحلة فيها الجهاز والبر * وذكر أن العمرى لما عاد الى بلاد البجه بعد حروبه للنوبة كثرت العمارة حتى صارت الرواحل التى تحمل الميرة اليهم من اسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب التى تحمل من القلزم الى عيذاب قال ومما شاهده جماعة من شيوخنا الثقات باسوان بقرية تدعى أساشى هى من اسوان على مرحلتين ونصف انهم رأوا شرقها من جانب النيل قرية بسور وخارج بابها جميزة وناس يدخلون ويخرجون فاذا عبروا الى الموضع لم يجدوا شيأ وهذا يكون فى الشتاء دون الصيف قبل طلوع الشمس والناس مجمعون على رؤيتها وصحة هذا الخبر وكان بها انواع من التمر وأنواع من الرطب منها نوع من الرطب أشد ما يكون من خضرة السلق وأمر هارون الرشيد أن يجمع له من ألوان تمر اسوان من كل صنف تمرة واحدة فجمع له ويبة ولا يعرف فى الدنيا بسر يتمر قبل أن يصير رطبا الا باسوان

(ذكر بلاق)

بلاق أجل حصن للمسلمين وهى جزيرة تقرب من الجنادل محيط بها النيل فيها بلد كبير يسكنه خلق كثير من الناس وبها نخل عظيم ومنبر فى جامع واليها تنتهى سفن النوبة وسفن المسلمين من اسوان وبينها وبين القرية التى تعرف بالقصر وهى اول بلد النوبة ميل واحد وبينها وبين اسوان أربعة اميال ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل فى البحر لاتسلكها المراكب الا بالحيلة ودلالة من يخبر ذلك من الصيادين الذين يصيدون هنالك وبالقصر مسلحة وباب الى بلد النوبة

(ذكر حائط العجوز)

هذا الحائط كان حصنا الارض مصر يحدق بجميعها وكان فيه محارس ومسالح ومن ورائه خليج يجرى فيه الماء معقود عليه القناطر عملته دلوكة بنت زبا وقد وهى وتلاشى ولم يبق منه الا يسير فى شط النيل الشرقى ينتهى الى اسوان قال ابو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر فبقيت مصر بعد غرقهم يعنى فرعون وجنوده وليس فيها من أشراف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فأعظم أشراف من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهن يقال لها دلوكة بنت زبا وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت فى شرف منهن وموضع وهى يومئذ بنت مائة سنة وستين سنة فملكوها فخافت أن يتناولها ملوك الارض فجمعت نساء الاشراف فقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد ولا يمد عينه اليها وقد هلك أكابرنا وأشرافنا وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أبنى حصنا أحدق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فانا لا نأمن من أن يطمع فينا الناس فبنت جدارا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجرى فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلاثة اميال محرس ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت فى كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يحرسوا بالاجراس فاذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فأتاهم الخبر من اى جهة كانت فى ساعة واحدة فنظروا فى ذلك فمنعت بذلك مصر ممن أرادها وفرغت من بنائه فى ستة أشهر وهو الجدار الذى يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كبيرة والله أعلم

(ذكر البقط)

البقط ما يقبض من سبى النوبة فى كل عام ويحمل الى مصر ضريبة عليهم فان كانت هذه الكلمة عربية فهى اما من قولهم فى الارض بقط من بقل وعشب أى نبذ من مرعى فيكون معناه على هذا نبذة من المال أو

يكون من قولهم ان فى بنى تميم بقطا من ربيعة اى فرقة أوقطعة فيكون معناه على هذا فرقة من المال أوقطعة منه ومنه بقط الارض فرقة منها وبقط الشئ فرقه والبقط أن تعطى الجنة على الثلث أو الربع والبقط أيضا ماسقط من التمر اذا قطع فأخطأ المخرف فيكون معناه على هذا بعض مافى أيدى النوبة وكان يؤخذ منهم فى قرية يقال لها القصر مسافتها من اسوان خمسة اميال فيما بين بلد بلاق وبلد النوبة وكان القصر فرضة لقوص واول ماتقرر هذا البقط على النوبة فى امارة عمرو بن العاص لما بعث عبد الله بن سعد بن أبى سرح بعد فتح مصر الى النوبة سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين فى عشرين ألف فارس فمكث بها زمانا فكتب اليه عمرو يأمره بالرجوع اليه فلما مات عمرو رضى الله عنه نقض النوبة الصلح الذى جرى بينهم وبين عبد الله بن سعد وكثرت سراياهم الى الصعيد فأخربوا وأفسدوا فغزاهم مرة ثانية عبد الله بن سعد بن أبى سرح وهو على امارة مصر فى خلافة عثمان رضى الله عنه سنة احدى وثلاثين وحصرهم بمدينة دنقلة حصارا شديدا ورماهم بالمنجنيق ولم تكن النوبة تعرفه وخسف بهم كنيستهم بحجر فبهرهم ذلك وطلب ملكهم واسمه قليدوروث الصلح وخرج الى عبد الله وأبدى ضعفا ومسكنة وتواضعا فتلقاه عبد الله ورفعه وقربه ثم قرر الصلح معه على ثلثمائة وستين رأسا فى كل سنة ووعده عبد الله بحبوب يهديها اليه لما شكا قلة الطعام ببلده وكتب لهم كتابا نسخته بعد البسملة عهد من الامير عبد الله بن سعد بن أبى سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض اسوان الى حد أرض علوة أن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين واهل الذمة انكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبى صلى الله عليه وسلم أن لانحاربكم ولاننصب لكم حربا ولانغزوكم ما أقمتم على الشرائط التى بيننا وبينكم على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم وان عليكم رد كل آبق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه الى أرض الاسلام ولاتستولوا عليه ولا تمنعوا منه ولا تتعرضوا لمسلم قصده وحاوره الى أن ينصرف عنه وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصليا وعليكم كنسه واسراجه وتكرمته وعليكم فى كل سنة ثلثمائة وستون رأسا تدفعونها الى امام المسلمين من أوسط رقيق بلادكم غير المعيب يكون فيها ذكران واناث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم تدفعون ذلك الى والى اسوان وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد أرض علوة الى أرض اسوان فان انتم آويتم عبد المسلم أو قتلتم مسلما أو معاهدا أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم أو منعتم شيأ من الثلثمائة رأس والستين رأسا فقد برئت منكم هذه الهدنة والامان وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولنا عليكم بذلك أعظم ماتدينون به من ذمة المسيح وذمة الحواريين وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك كتبه عمرو بن شرحبيل فى رمضان سنة احدى وثلاثين * وكانت النوبة دفعت الى عمرو بن العاص ماصولحوا عليه من البقط قبل نكثهم وأهدوا الى عمرو أربعين رأسا من الرقيق فلم يقبلها وردّ الهدية الى كبير البقط ويقال له سمقوس فاشترى له بذلك جهازا وخمرا ووجهه اليه وبعث اليهم عبد الله بن سعد ماوعدهم به من الحبوب قمحا وشعيرا وعدسا وثيابا وخيلا ثم تطاول الرسم على ذلك فصار رسما يأخذونه عند دفع البقط فى كل سنة وصارت الاربعون رأسا التى أهديت الى عمرو يأخذها والى مصر وعن أبى خليفة حميد بن هشام البحترى أن الذى صولح عليه النوبة ثلثمائة وستون رأسا لفئ المسلمين ولصاحب مصر اربعون رأسا ويدفع اليهم ألف اردب قمحا ولرسله ثلثمائة اردب ومن الشعير كذلك ومن الخمر ألف اقنيز للمملك ولرسله ثلثمائة اقنيز وفرسين من نتاج خيل الامارة ومن أصناف الثياب مائة ثوب ومن القباطى أربعة أثواب للمملك ولرسله ثلاثة ومن البقطرية ثمانية أثواب ومن المعلمة خمسة أثواب وجبة مجملة للملك ومن قمص ابى بقطر عشرة أثواب ومن أحاص عشرة أثواب وهى ثياب غلاظ قال ابو خليفة ليس فى كتاب عبد الله بن وهب ولا فى كتاب الواقدى تسمية ينتهى اليها وانما أخذت التسمية من أبى زكريا قال أبو زكريا سمعت والدى عمرو بن صالح يقول هذا الخبر فحفظت منه ماوقفت عليه ردل حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر وهو على مصر فقال

أنت عثمان بن صالح الذى وجهنا اليك فى كتاب بقط النوبة قلت نعم فأقبل على محفوظ بن سليمان فقال ما أعجب أمر هذه البلدة وجهنا اليهم نطلب علما من علومهم والى هذا الشيخ فما شفانا أحد منهم فقلت أصلح الله الامير ان الذى طلبت من خبر النوبة عندى قد حفظه شيوخ عن الشيوخ الذين حضروا هنالك والهدنة والصلح الذى جرى بين عبد الله بن سعد وبين النوبة ثم حدثته عن أخبارهم كما سمعت فأنكر عطية الخمر فقلت قد أنكرها عبد العزيز بن مروان وكان هذا المجلس بفسطاط مصر سنة احدى عشرة ومائتين بعد أن تم الصلح بينه وبين عبد الله بن السرى بن الحكم التميمى الامير كان قبله قال عثمان بن صالح فوجه الامير الى الديوان بظهر المسجد الجامع بمصر فاستخرج منه خبر النوبة فوجده كما ذكرت فسره ذلك * وعن مالك بن انس انه كان يرى أن أرض النوبة الى حد علوة صلح وكان لا يجيز شراء رقيقهم وكان اصحابه مثل عبد الله بن عبد الحكم وعبد الله ابن وهب والليث بن سعد ويزيد بن أبى حبيب وغيرهم من فقهاء مصر يرون خلاف ذلك قال الليث بن سعد نحن أعرف بأرض النوبة من الامام مالك بن انس انما صولحوا على أن لا نغزوهم ولا نمنع منهم عدوا وانما استرقه متملكهم أو غزا بعضهم بعضا فشراؤه جائز وما استرقه بغاة المسلمين وسراقهم فغير جائز وكان عند جماعة منهم جوار نوبيات لفرشهم ولم يزل النوبة يؤدون البقط فى كل سنة ويدفع اليهم ما تقدم ذكره الى أيام أمير المؤمنين المعتصم بالله أبى اسحاق بن الرشيد وكبير النوبة يومئذ زكرياء بن يحنس وكانت النوبة ربما عجزت عن دفع البقط فشنت الغارة عليهم ولاة المسلمين القريبون من بلادهم ويمنع من اخراج الجهاز اليهم فأنكر فيرقى ولد كبيرهم زكرياء على أبيه بذله الطاعة لغيره واستعجزه فيما يدفع فقال له ابوه فما تشاء قال عصيانهم ومحاربتهم قال ابوه هذا شئ رواه السلف من آبائنا صوابا وأخشى أن يفضى هذا الامر اليك فتقدم على محاربة المسلمين غرا آنى أوجهك الى ملكهم رسولا فأنت ترى حالنا وحالهم فان رأيت لنا بهم طاقة حاربناهم على خبرة والا سألته الاحسان الينا فشخص فيرقى الى بغداد وكانت البلدان تزين له ويسير على المدن والمحدر بانحداره رئيس البجه باسبابه ولقيا المعتصم فنظرا الى ما بهرهما من حال العراق فى كثرة الجيوش وعظم العمارة مع ما شاهداه فى طريقهما فقرب المعتصم فيرقى وأدناه وأحسن اليه احسانا تاما وقبل هديته وكافأه بأضعافها وقال له تمن ما شئت فسأله فى اطلاق المحبوسين فأجابه الى ذلك وكبر فى عين المعتصم ووهب له الدار التى نزلها بالعراق وأمر أن يشترى له فى كل منزل من طريقه دار تكون لرسلهم فانه امتنع من دخول دار لاحد فى طريقه فأخذ له بمصر دار بالجيزة واخرى بنى وائل وأجرى لهم فى ديوان مصر سبعمائة دينار وفرسا وسرجا ولجاما وسيفا محلى وثوبا مثقلا وعمامة من الخز وقميص شرب ورداء شرب وثيابا للرسل غير محدودة عند وصول البقط الى مصر ولهم حملان وخلع على المتولى لقبض البقط وعليهم رسوم معلومة لقابض البقط والمتصرفين معه وما يهدى اليهم بعد ذلك فغير محدود وهو عندهم هدية يجازون عليها ونظر المعتصم الى ما كان يدفعه المسلمون فوجده أكثر من البقط وأنكر عطية الخمر وأجرى الحبوب والثياب التى تقدم ذكرها وقرر دفع البقط بعد انقضاء كل ثلاث سنين وكتب لهم كتابا بذلك بقى فى يد النوبة وادعى النوبى على قوم من اهل اسوان انهم اشتروا أملاكا من عبيده فأمر المعتصم بالنظر فى ذلك فأحضروا الى البلد والمختار للحكم فيه التابعين من النوبة وسألاهم عما ادعاه صاحبهم من بيعهم فأنكروا ذلك وقالوا نحن رعية نزال ما ادعاه وطلب أشياء غير ذلك من ازالة المسلحة المعروفة بالقصر عن موضعها الى الحد الذى بينهم وبين المسلمين لان المسلحة على أرضهم فلم يجبه الى ذلك ولم يزل الرسم جاريا بدفع البقط على هذا التقرير ويدفع اليهم ما أجراه المعتصم الى أن قدمت الدولة الفاطمية الى مصر ذكر ذلك مؤرخ النوبة وقال أبو الحسن المسعودى والبقط هو ما يقبض من السبى فى كل سنة ويحمل الى مصر ضريبة عليهم وهو ثلثمائة رأس وخمسة وستون رأسا لبيت المال بشرط الهدنة بين النوبة والمسلمين وللامير بمصر غير ما ذكرنا أربعون رأسا ولخليفته المقيم باسوان وهو المتولى لقبض البقط عشرون رأسا وللحاكم المقيم باسوان الذى يحضر مع أمير اسوان قبض البقط خمسة أرؤس ولاثنى عشر شاهدا عدول من أهل اسوان يحضرون مع الحاكم لقبض البقط اثنا عشر رأسا من السبى على حسب ما جرى به الرسم فى صدر الاسلام فى بدء ايقاع الهدنة بين المسلمين والنوبة وقال البلادرى فى كتاب الفتوحات ان المقرر على النوبة اربعمائة رأس يأخذون بها طعاما اى غلة وألزمهم أمير المؤمنين المهدى محمد بن أبى جعفر المنصور ثلثمائة وستين رأسا وزرافة

وفى سنة أربع وسبعين وستمائة كثر خبث داود متملك النوبة وأقبل الى أن قرب من مدينة اسوان وحرق عدّة سواق بعد ما أفسد بعيذاب فمضى اليه والى قوص فلم يدركه وقبض على صاحب الخيل فى عدّة من النوبة وحملهم الى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بقلعة الجبل فوسطهم وقدم سكندة ابن اخت متملك النوبة متظلما من خاله داود فجرّد السلطان معه الامير شمس الدين آق سنقر الفارقانى الاستادار والامير عز الدين ايبك الافرم وامير جاندار فى جماعة كثيرة من العسكر ومن أجناد الولايات وعربان الوجه القبلى والزراقين والرماة ورجال الحراريق فساروا فى اوّل شعبان من القاهرة حتى وصلوا الى أرض النوبة فخرجوا الى لقائهم على النجب بايديهم الحراب وعليهم دكادك سود فاقتتل الفريقان قتالا كبيرا انهزم فيه النوبة وأغار الافرم على قلعة الدر وقتل وسبى واوغل الفارقانى فى أرض النوبة برّا وبحرا يقتل ويأسر فحاز من المواشى مالا يعدّ ونزل بجزيرة ميكائيل برأس الجنادل ونفر المراكب من الجنادل ففرّ النوبة الى الجزائر وكتب لقمر الدولة نائب داود متملك النوبة أمانا فخلف لسكندة على الطاعة واحضر رجال المريس ومن فرّ وخاض الافرم الى برج فى الماء وحصره حتى أخذه وقتل به مائتين واسر اخا لداود فهرب داود والعسكر فى أثره مدّة ثلاثة أيام وهم يقتلون ويأسرون حتى أذعن القوم وأسرت ام داود وأخته ولم يقدر على داود فتقرّر سكندة عوضه وقرّر على نفسه القطيعة فى كل سنة ثلاث فيلة وثلاث زرافات وخمس فهود من اناثها ومائة نجيب أصهب وأربعمائة رأس من البقر المنتجة على أن تكون بلاد النوبة نصفين نصفها للسلطان ونصفها لعمارة البلاد وحفظها ماخلا بلاد الجنادل فانها كلها للسلطان لقربها من اسوان وهى نحو الربع من بلاد النوبة وأن يحمل مابها من التمر والقطن والحقوق الجارية بها العادة من قديم الزمان وأن يقوموا بالجزية ما بقوا على النصرانية فيدفع كل بالغ منهم فى السنة دينارا عينا وكتب نسخة يمين بذلك حلف عليها الملك سكندة ونسخة يمين اخرى حلفت عليها الرعية وخرّب الاميران كنائس النوبة وأخذا مافيها وقبض على نحو عشرين اميرا من امراء النوبة وأفرج عمن كان بأيدى النوبة من أهل اسوان وعيذاب من المسلمين فى أسرهم وألبس سكندة تاج الملك وأقعد على سرير المملكة بعد ما حلف والتزم أن يحمل جميع ما لداود ولكل من قتل وأسر من مال ودواب الى السلطان مع البقط القديم وهو أربعمائة رأس من الرقيق فى كل سنة وزرافة من ذلك ما كان للخليفة ثلثمائة وستون رأسا ولنائبه بمصر أربعون رأسا على أن يطلق لهم اذا وصلوا بالبقط تاما من القمح ألف اردب لمتملكهم وثلثمائة أردب لرسله

(ذكر صحراء عيذاب)

اعلم أنّ حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة على مائتى سنة لا يتوجهون الى مكة شرّفها الله تعالى الامن صحراء عيذاب يركبون النيل من ساحل مدينة مصر الفسطاط الى قوص ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون هذه الصحراء الى عيذاب ثم يركبون البحر فى الجلاب الى جدّة ساحل مكة وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة يردون فى البحر الى عيذاب ثم يسلكون هذه الصحراء الى قوص ومنها يردون مدينة مصر فكانت هذه الصحراء لا تزال عامرة آهلة بما يصدر ويرد من قوافل التجار والحجاج حتى ان كانت أحمال البهار كالقرفة والفلفل ونحو ذلك لتوجد ملقاة بها والقفول صاعدة وهابطة لا يعترض لها أحد الى أن يأخذها صاحبها فلم تزل مسلكا للحجاج فى ذهابهم وايابهم زيادة على مائتى سنة من أعوام بضع وخمسين وأربعمائة الى أعوام بضع وستين وستمائة وذلك منذ كانت الشدّة العظمى فى أيام الخليفة المستنصر بالله أبى تميم معدّ بن الظاهر وانقطاع الحج فى البرّ الى أن كسا السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الكعبة وعمل لها مفتاحا ثم اخرج قافلة الحاج من البرّ فى سنة ست وستين وستمائة فقل سلوك الحاج لهذه الصحراء واستمرّت بضائع التجار تحمل من عيذاب الى قوص حتى بطل ذلك بعد سنة ستين وسبعمائة وتلاشى امر قوص من حينئذ وهذه الصحراء مسافتها من قوص الى عيذاب سبعة عشر يوما ويفقد فيها الماء ثلاثة أيام متوالية وتارة يفقد أربعة أيام وعيذاب مدينة على ساحل بحر جدّة وهى غير مسوّرة واكثر بيوتها أخصاص وكانت من أعظم مراسى الدنيا بسبب أنّ مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع وتقلع منها مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة فلما انقطع وورود مراكب الهند واليمن اليها صارت المرسى العظيمة عدن من بلاد اليمن الى أن كانت اعوام بضع

وعشرين

وعشرين وثمانمائة فصارت جدة أعظم مراسى الدنيا وكذلك هرمز فانها مرسى جليل وعيذاب فى صحراء لانبات فيها وكل مايوكل بها مجلوب اليها حتى الماء وكان لاهلها من الحجاج والتجار فوائد لاتحصى وكان لهم على كل حمل يحملونه للحجاج ضريبة مقررة وكانوا يكارون الحجاج الجلاب التى تحملهم فى البحر الى جدة ومن جدة الى عيذاب فيجتمع لهم من ذلك مال عظيم ولم يكن فى اهل عيذاب الامن له جلبة فاكثرعلى قدر يساره وفى بحر عيذاب مغاص اللؤلؤ فى جزائر قريبة منها تخرج اليه الغواصون فى وقت معين من كل سنة فى الزوارق حتى يوافوه بتلك الجزائر فيقيمون هنالك أياما ثم يعودون بما قسم لهم من الحظ والمغاص فيها قريب القعر وعيش اهل عيذاب عيش البهائم وهم أقرب الى الوحش فى أخلاقهم من الانس وكان الحجاج يجدون فى ركوبهم الجلاب على البحر اهوالا عظيمة لان الرياح تلقيهم فى الغالب بمراس فى صحارى بعيدة مما يلى الجنوب فينزل اليهم التجار من جبالهم فيكارونهم الجمال ويسلكون بهم على غير ماء فربما هلك اكثرهم عطشا وأخذ التجار ما كان معهم ومنهم من يضل ويهلك عطشا والذى يسلم منهم يدخل الى عيذاب كانه نشر من كفن قد استحالت هيآتهم وتغيرت صفاتهم وا كثرهلاك الحجاج بهذه المراسى ومنهم من يساعده الريح فتحطه بمرسى عيذاب وهو الاقل وجلباتهم التى تحمل الحجاج فى البحر لا يستعمل فيها مسمار البتة انما يخيط خشبها بالقنبار وهو متخذ من شجر النارجيل ويخللونها بدسر من عيدان النخل ثم يسقونها بسمن اودهن الخروع اودهن القرش وهو حوت عظيم فى البحر يبتلع الغرقى وقلاع هذه الجلاب من خوص شجر المقل ولاهل عيذاب فى الحجاج أحكام الطواغيت فانهم يبالغون فى شحن الجلبة بالناس حتى يبقى بعضهم فوق بعض حرصا على الاجرة ولا يبالون بما يصيب الناس فى البحر بل يقولون دائما علينا بالالواح وعلى الحجاج بالارواح وأهل عيذاب من البجاة ولهم ملك منهم وبها وال من قبل سلطان مصر وأدركت قاضيها عندنا بالقاهرة أسود اللون والبجاة قوم لادين لهم ولا عقل ورجالهم ونساؤهم أبدا عراة وعلى عوراتهم خرق وكثير منهم لايسترون عوراتهم وعيذاب حرها شديد بسموم محرق

(ذكر مدينة الاقصر)

هذه المدينة من مدائن الصعيد العظمة يقال ان اهلها المريس ومنها الحجر المريسية

(ذكر البلينا)

هذه وذكر الكمال الادفوى أنه وقع بين اهل البلاد ووالى قوص فتوجهوا الى القاهرة وصرفوه وولى غيره وطلع الخطيب بالبلينا صحبته وكان اقطاعه ارمنت فلما وصل اليها أضافه اهلها بستين منسفا من طعام اللبن فقال للخطيب فى بلادكم مثل هذا فقال الخطيب وحلاوى فلما وصل الى اخميم تقدم الخطيب الى البلينا فعندما وصل الوالى اليها أخرجوا له ستين منسفا حلاوى وستين منسفا شواء قال وبعض الحكام بها فى عيد من الاعياد امتدحه من اهلها خمسة وعشرون شاعرا وفيها من لا يرضى بمدح القاضى وفيها من تقصر رتبته عن ذلك قال وكان فيها عدة معاصر للسكر ويوصف أهلها بالمكارم

(ذكر سمهود)

هذه المدينة بالجانب الغربى من النيل قال الادفوى كان بسمهود سبعة عشر حجرا لاعتصار قصب السكر ويقال ان الفار لايدخل قصبها

(ذكر ارجنوس)

هذه المدينة من جملة عمل البهنسا بها كنيسة بظاهرها فيها بئر يقال لها بئر سريس صغيرة لها عيد يعمل فى اليوم الخامس والعشرين من بشنس أحد شهور القبط فيفور بها الماء عند مضى ست ساعات من النهار حتى يطفو ثم يعود الى ما كان عليه ويستدل النصارى على زيادة النيل فى كل سنة بقدر ماعلا الماء من الارض فيزعمون أن الامر فى النيل وزيادته يكون موافقا لذلك

(ذكر ابويط)

هذه المدينة أيضا من جملة البهنساوية كان بها منارة محكمة البناء اذا هزها الرجل تحركت يمينا وشمالا فيرى

ميلها رؤية ظاهرة بانتقال ظلها عن موضعه

(ذكر ملوى)

هذه المدينة بالجانب الغربي من النيل وأرضها معروفة بزراعة قصب السكر وكان بها عدة أحجار لاعتصاره وآخر من كان بها اولاد فضيل بلغت زراعتهم في ايام الناصر محمد بن قلاون ألفا وخمسمائة فدان من القصب في كل سنة فأوقع النشو ناظر الخاص الحوطة على موجودهم في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة فوجد من جملة مالهم أربعة عشر ألف قنطار من القند حملها الى دار القند بمصر سوى العسل وألزمهم بحمل ثمانية آلاف قنطار بعد ذلك وافرج عنهم فوجدوا لهم حاصلا لم يهتد له النشو فيه عشرة آلاف قنطار قند سوى مالهم من عبيد وغلال وغير ذلك

(ذكر مدينة انصنا)

اعلم أن مدينة انصنا احدى مدائن صعيد مصر القديمة وفيها عدة عجائب منها الملعب ويقال انه كان مقياس النيل وانه من بناء دلوكة أحد من ملك مصر وكان كالطيلسان وفي دائره عمد على عدة أيام السنة الشمسية كلها من الصوان الاحمر المانع ومسافة ما بين كل عمود بمقدار خطوة انسان وكان ماء النيل يدخل الى هذا الملعب من فوهة عند زيادة الماء فاذا بلغ ماء النيل الحد الذي كان اذ ذاك يحصل منه ري أرض مصر وكفايتها جاس الملك عند ذلك في مشرف له وصعد القوم من خواصه الى رؤس الاعمدة المذكورة فيتعادون عليها ما بين ذاهب وآت ويتساقطون من الاعمدة الى الملعب وهو ممتلىء بالماء قال ابو عبيد البكري أنصنا بفتح اوله واسكان ثانيه بعده صاد مهملة مكسورة ونون وألف كورة من كور مصر معروفة منها كانت سرية النبي صلى الله عليه وسلم ام ابنه ابراهيم من قرية يقال لها حفن من قرى هذه الكورة ويقال ان سحرة فرعون كانوا منها وانه جلبهم منها يوم الموعد للقاء موسى عليه السلام ويقال ان التمساح لا يضر بساحل أنصنا لطلاسم وضعت بها وانه اذا حاذى برها انقلب على ظهره حتى يجاوزها ويقال ان الذي بنى مدينة أنصنا اشمون ابن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وهي واقعة في شرقي النيل وكانت حسنة البساتين والمنتزهات كثيرة الثمار والفواكه وهي الآن خراب وقال ابو حنيفة الدينوري ولا ينبت البنج الا بأنصنا وهو عود ينشر منه الواح للسفن وربما أرعفت ناشرها ويباع اللوح منها بخمسين دينارا ونحوها واذا شد لوح منها بلوح وطرح في الماء ستة ايام صار لوحا واحدا وكان لانصنا سور عتيق هدمه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعل على كل مركب منحدر في النيل جزأ من حمل صخره الى القاهرة فنقل بأسره اليها

(ذكر القيس)

اعلم أن القيس من البلاد التي تجاور مدينة البهنسا وكان يقال القيس والبهنسا قال ابن عبد الحكم بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث الى الصعيد فسار حتى اتى القيس فنزل بها فسميت به وقال ابن يونس قيس ابن الحارث المرادي ثم الكعبي شهد فتح مصر يروي عن عمر بن الخطاب وكان يفتي الناس في زمانه روى عنه سويد بن قيس وقيل شديد بن قيس بن ثعلبة وروى عنه عسكر بن سوادة وهو الذي فتح القرية بصعيد مصر المعروفة بالقيس فنسبت اليه وقال ابن الكندي ولهم ثياب الصوف واكسية المرعز وليس هي بالدنيا الا بمصر وذكر بعض أهل مصر أن معاوية بن أبي سفيان لما كبر كان لا يدفأ فاجتمعوا أنه لا يدفيه الا اكسية تعمل بمصر من صوفها المرعز العسلي العين المصبوغ فعمل له منها عدد فما احتاج منها الا الى واحد ولهم طراز القيس والبهنسا في الستور والمضارب يعرفون به ومنه طراز أهل الدنيا * وظهر بها بالقرب من البهنسا سرب في أيام السلطان الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فأمر متولي البهنساوية بكشفه فجمع له اهل المعرفة بالعوم والغطس فكانوا ما ينيف على مائتي رجل مافيهم الا من نزل السرب فلم يجد له قرارا ولا جوانب فأمر بعمل مركب طويل رقيق بحيث يمكن ادخاله من رأس السرب وشحنه بالازواد والرجال وركب فيه حبالا مربوطة في خوازيق عند رأس السرب وحمل مع الرجال آلات يعرفون بها أوقات الليل والنهار وعدة شموع وغيرها مما تستخرج به النار وتشعل به وأمرهم أن يسلكوا بالمركب في السرب حتى ينفد نصف ما معهم من

الزاد

الزاد فساروا بالمركب فى ظلمة وهم يرخون الحبال ولا يجدون لما هم سائرون فيه من الماء جوانب فاذا لواحتى قلت ازوادهم فأبطلوا حركة المركب بالمجاذيف الى داخل السرب وجروا الحبال ليرجعوا الى حيث دخلوا حتى انتهوا الى رأس السرب فكانت مدة غيبتهم فى السرب ستة أيام أربعة منها دخولا الى جوفه وتطواف جوانبه ويومان رجوعا الى رأس السرب ولم يقفوا فى هذه المدة على نهاية السرب فكتب بذلك الامير علاء الدين الطنبغا والى البهنسا الى الملك الكامل فتعجب عجبا كثيرا واشتغل عن ذلك بمحاربة الفرنج على دمياط فلما رحلوا عن دمياط وعادوا الى القاهرة خرج بعد ذلك حتى شاهد السرب المذكور

(ذكر دروط بلهاسة)

اعلم أن دروط وهى بفتح الدال المهملة وضم الراء وسكون الواو وطاء اسم لثلاث قرى دروط أشموم من الاشمونين ودروط سربان من الاشمونين أيضا ودروط بلهاسة من ناحية البهنسا بالصعيد وبها جامع انشأه زياد ابن المغيرة بن زياد بن عمرو العتكى ومات فى المحرم سنة احدى وتسعين ومائة فدفن به وقال فيه الشاعر

حلف الجود حلفة برّ فيها * مابرا الله واحدا كزياد
كان غيثا لمصر اذ كان حيا * وأمانا من السنين الشداد

ومات اخوه ابراهيم بن المغيرة سنة سبع وتسعين ومائة فقال الشاعر فيه

ابن المغيرة ابراهيم من ذهب * يزداد حسنا على طول الدهارير
لو كان يملك ما فى الارض عجله * الى العفاة ولم يهمم بتأخير

ومات احمد بن زياد بن المغيرة فى المحرم سنة ست وثلاثين ومائتين فقال الشاعر فيه

احمد مات ماجدا مفقودا * ولقد كان احمد محمودا
ورث المجد عن أب ثم عم * مثله ليس بعده موجودا

(ذكر سكر)

هى من الاطفيحية تجاهها واديه الى وقتنا هذا شكل جمل من الحجر كأكبر ما يرى من الجمال وأحسنها هيئة وهو قائم على أربعة وقد استقبل بوجهه المشرق وعلى نحو هذه الاين كتابة بقلمهم وهى أحرف مقطعة فى ثلاثة اسطر ثم على نحو مائة وخمسين خطوة منه جمل آخر مثله سواء ووجهه الى وجه الجمل الاول وليس عليه كتابة وفيما بين الجملين المذكورين هيئة أعدال قد ملئت قماشا عدتها أربعون زكيبة موضوعة بالارض عشرين تجاه عشرين وجميعها من حجارة ولا يشك من رآها انها أحمال قماش وبعد مائة وخمسين خطوة منها جمل ثالث على هيئة الجملين المذكورين وهو أيضا قائم وظهره الى ظهر الجمل الثانى ووجهه الى الجبل وهناك آخر الوادى وليس على هذا الجمل أيضا كتابة أخبرنى بذلك من لا اتهم روايته

(ذكر منية الخصيب)

هذه المدينة تنسب الى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل أمير المؤمنين هارون الرشيد

(ذكر منية الناسك)

هى بلدة من جملة الاطفيحية عرفت بالناسك أخى الوزير بهرام الارمنى فى أيام الخليفة الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد بن محمد ولى من قبل أخيه مدينة قوص سنة تسع وعشرين وخمسمائة وولاية قوص يومئذ أجل ولايات مصر فجار على المسلمين واشتد عسفه واذاه لهم فعندما وصل الخبر بقيام رضوان بن ولخشى على بهرام وهزيمته منه وتقلده الوزارة بعده ثار أهل قوص بالناسك فى جمادى الآخرة سنة احدى وثلاثين وخمسمائة وقتلوه وربطوا كلبا ميتا فى رجله وسحبوه حتى ألقوه على مزبلة وكان نصرانيا

(ذكر الجيزة)

قال ابن سيده الجيزة الناحية والجانب وجمعها جيز وجيز والجيز جانب الوادى وقد يقال فيها الجيزة واعلم أن الجيزة اسم لقرية كبيرة جليلة البنيان على النيل من جانبه الغربى تجاه مدينة فسطاط مصر لها فى كل يوم أحد سوق عظيم يجىء اليه من النواحى أصناف كثيرة جدا ويجتمع فيه عالم عظيم وبها عدة مساجد جامعة * وقد روى

الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب من حديث نبيط بن شريط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزائن الله فى أرضه ويقال ان مسجد التوبة الذى بالجيزة كان فيه تابوت موسى عليه السلام الذى قذفته أمه فيه بالنيل وبها النخلة التى أرضعت مريم تحتها عيسى فلم يثمر غيرها * وقال ابن عبد الحكم عن يزيد بن ابى حبيب فاستحبت همدان ومن والاها الجيزة فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما يعلمه بما صنع الله للمسلمين وما فتح عليهم وما فعلوا فى خططهم وما استحبت همدان من النزول بالجيزة فكتب اليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك ويقول له كيف رضيت أن تفرق اصحابك لم يكن ينبغى لك أن ترضى لاحد من اصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر ولا تدرى ما يفجأهم فلعلك لا تقدر على غياثهم حين ينزل بهم ما تكره فاجمعهم اليك فان أبوا عليك وأعجبهم موضعهم بالجيزة وأحبوا ما هنالك فابن عليهم من فىء المسلمين حصنا فعرض عليهم عمرو ذلك فأبوا وأعجبهم موضعهم بالجيزة ومن والاهم على ذلك من رهطهم يافع وغيرها وأحبوا ما هنالك فبنى لهم عمرو بن العاص الحصن فى الجيزة فى سنة احدى وعشرين وفرغ من بنائه فى سنة اثنتين وعشرين ويقال ان عمرو بن العاص لما سال اهل الجيزة أن ينضموا الى الفسطاط قالوا مقدم قدمناه فى سبيل الله ما كنا لنرحل منه الى غيره فنزلت يافع الجيزة فيها مبرح بن شهاب وهمدان وذو أصبح فيهم ابو شمر بن ابرهة وطائفة من الحجر * وقال القضاعى ولما رجع عمرو بن العاص من الاسكندرية ونزل الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية فجعل فيها آل ذى اصبح من حمير وهم كثير ويافع ابن زيد من رعين وجعل فيها همدان وجعل فيها طائفة من الازديين بنى الحجر بن الهنو بن الازد وطائفة من الحبشة وديوانهم فى الازد فلما استقر عمرو فى الفسطاط أمر الذين خلفهم بالجيزة أن ينضموا اليه فكرهوا ذلك وقالوا هذا مقدم قدمناه فى سبيل الله وأشباه ما كنا بالذين نرغب عنه ونحن به منذ أشهر فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بذلك يخبره أن همدان وآل ذى اصبح ويافعا ومن كان معهم احبوا المقام بالجيزة فكتب اليه كيف رضيت أن تفرق عنك اصحابك وتجعل بينك وبينهم بحرا لا تدرى ما يفجأهم فلعلك لا تقدر على غياثهم فاجمعهم اليك ولا تفرقهم فان أبوا وأعجبهم مكانهم فابن عليهم حصنا من فىء المسلمين فجمعهم عمرو واخبرهم بكتاب عمر فامتنعوا من الخروج من الجيزة فأمر عمرو ببناء الحصن عليهم فكرهوا ذلك وقالوا الا حصن احصن لنا من سيوفنا وكرهت ذلك همدان ويافع فأقرع عمرو بينهم فوقعت القرعة على يافع فبنى فيهم الحصن فى سنة احدى وعشرين وفرغ من بنائه فى سنة اثنتين وعشرين وأمرهم عمرو بالخطط بها فاختط ذو اصبح من حمير من الشرق ومضوا الى الغرب حتى بلغوا أرض الحرث والزرع وكرهوا أن يبنى الحصن فيهم واختط يافع ابن الحرث من رعين بوسط الجيزة وبنى الحصن فى خططهم وخرجت طائفة منهم عن الحصن انفة منه واختطت بكيل بن جشم من نوف من همدان فى مهب الجنوب من الجيزة فى شرقيها واختطت حاشد بن جشم بن نوف فى مهب الشمال من الجيزة فى غربيها واختطت الجياوية بنو عامر بن بكيل فى قبلى الجيزة واختطت بنو حجر بن ارحب بن بكيل فى قبلى الجيزة واختط بنو كعب بن مالك بن الحجر بن الهنو بن الازد فيما بين بكيل ويافع والحبشة اختطوا على الشارع الاعظم والمسجد الجامع بالجيزة بناه محمد بن عبد الله الخازن فى المحرم سنة خمسين وثلثمائة بأمر الامير على بن الاخشيد فتقدم كافور الى الخازن ببنائه وعمل له مستغلا وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة فى مسجد همدان وهو مسجد مراحق بن عامر بن بكيل كان يجمع فيه الجمعة فى الجيزة وشارف بناء هذا الجامع مع الخازن ابو الحسن بن ابى جعفر الطحاوى واحتاجوا الى عمد للجامع فمضى الخازن فى الليل الى كنيسة بأعمال الجيزة فقلع عمدها ونصب بدلها أركانا وحمل العمد الى الجامع فتركت ابو الحسن بن الطحاوى الصلاة فيه مذ ذاك تورعا قال المسبحى وقد كان ابن الطحاوى يصلى فى جامع الفسطاط العتيق وبعض عمده وأكثرها ورخامه من كنائس الاسكندرية وأرياف مصر وبعضه بناه قرة بن شريك عامل الوليد بن عبد الملك ويقال ان بالجيزة قبر كعب الاحبار وانه كان بها أحجار ورخام قد صورت فيها التماسيح فكانت لا تظهر فيما يلى البلد من النيل مقدار ثلاثة اميال علوا وسفلا وفى سنة اربع وعشرين وسبعمائة منع الملك الناصر محمد بن قلاون الوزير أن يتعرض الى شئ مما يتحصل من مال الجيزة فصار جميعه يحمل اليه

ذكر

(ذكر سجن يوسف عليه السلام)

قال القضاعى سجن يوسف عليه السلام ببوصير من عمل الجيزة أجمع أهل المعرفة من اهل مصر على صحة هذا المكان وفيه أثر نبيين أحدهما يوسف سجن به المدة التى ذكر أن مبلغها سبع سنين وكان الوحى ينزل عليه فيه وسطح السجن موضع معروف باجابة الدعاء يذكر أن كافور الاخشيدى سأل أبابكر بن الحداد عن موضع معروف باجابة الدعاء ليدعو فيه فأشار عليه بالدعاء على سطح السجن والنبى الآخر موسى عليه السلام وقد بنى على اثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى اخبرنا ابو الحسن على بن ابراهيم الشرفى بالشرف قال حدثنا ابو محمد عبد الله بن الورد وكان قد هلكت اخته وورث منها موروثا وكنا نسمع عليه دائما وكان لسجن يوسف وقت يمضى الناس اليه يتفرجون فقال لنا يوما يا اصحابنا هذا اوان السجن ونريد أن نذهب اليه وأخرج عشرة دنانير فناولها الاصحابه وقال لهم ما اشتهيتموه فاشتروه فمضى اصحاب الحديث واشتروا ما أرادوا وعدنا يوم احد الجيزة كلنا وبتنا فى مسجد همدان فلما كان الصباح مشينا حتى جئنا الى مسجد موسى وهو الذى فى السهل ومنه يطلع الى السجن وبينه وبين السجن تل عظيم من الرمل فقال الشيخ من يحملنى ويطلع بى الى هذا السجن حتى احدثه بحديث لا احدثه لاحد بعده حتى تفارق روحى الدنيا قال الشرفى فأخذت الشيخ وحملته حتى صرت فى أعلاه فنزل وقال معك ورقة قلت لا قال أبصر لى بلاطة فأخذ فحمة وكتب حدثنى يحيى بن ايوب عن يحيى بن بكير عن زيد بن اسلم بن يسار عن ابن عباس قال ان جبريل اتى الى يوسف فى هذا السجن فى هذا البيت المظلم فقال له يوسف من أنت الذى مذ دخلت السجن ما رأيت أحسن وجها منك فقال له أنا جبريل فبكى يوسف فقال ما يبكيك يا نبى الله فقال ايش يعمل جبريل فى مقام المذنبين فقال أما علمت أن الله تعالى يطهر البقاع بالانبياء والله لقد طهر الله بك السجن وما حوله فما اقام الى آخر النهار حتى أخرج من السجن قال القضاعى سقط بين يحيى وزيد رجل وقال الفقيه ابو محمد أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى وذكر سجن يوسف لو سافر الرجل من العراق ليصلى فيه وينظر اليه لما عنفته فى سفره وقال الفقيه ابو اسحق المروزى لو سافر الرجل من العراق لينظر اليه ما عنفته * وذكر المسبحى فى حوادث شهر ربيع الاول سنة خمس عشرة وأربعمائة أن العامة والسوقة طافت الاسواق بمصر بالطبول والبوقات يجمعون من التجار وأرباب الاسواق ما ينفقونه فى مضيهم الى سجن يوسف فقال لهم التجار شغلنا بعدم الاقوات يمنعنا من هذا وكان قد اشتد الغلاء وأنهوا حالهم الى الحضرة المطهرة يعنى أمير المؤمنين الطاهر لاعزاز دين الله أبا الحسن على بن الحاكم بأمر الله فرسم لنائب الدولة أبى طاهر بن كافى متولى الشرطة السفلى الترسيم على التجار حتى يدفعوا اليهم ما جرت به رسومهم ورسم لهم بالخروج الى سجن يوسف ووعدوا أن يطلق لهم من الحضرة ضعف ما أطلق لهم فى السنة الماضية من الهبة فخرجوا وفى يوم السبت لتسع خلون من جمادى الاولى ركب القائد الاجل عز الدولة وسناؤها معضاد الخادم الاسود فى سائر الاتراك ووجوه القواد وشق البلد ونزل الى الصناعة التى بالجسر بمن معه ثم خرج من هناك وعدى فى سائر عساكره الى الجيزة حتى رتب لامير المؤمنين عساكر تكون معه مقيمة هناك لحفظه لانه عدى يوم الاثنين لاحدى عشرة خلت منه فى أربع عشاريات وأربع عشرة بغلة من بغال النقل وفى جميع من معه من خاصته وحرمه الى سجن يوسف عليه السلام وأقام هناك يومين وليلتين الى أن عاد الرمادية الخارجون الى السجن بالتماثيل والمضاحك والحكايات والسماجات فضحك منهم واستظرفهم وعاد الى قصره بكرة يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت منه وأقام أهل الاسواق نحو الاسبوعين يطرقون الشوارع بالخيال والسماجات والتماثيل ويطلعون الى القاهرة بذلك ليشاهدهم أمير المؤمنين ويعودون ومعهم سجل قد كتب لهم أن لا يعارض أحد منهم فى ذهابه وعوده وأن يعتمد اكرامهم وصيانتهم ولم يزالوا على ذلك الى أن تكامل جميعهم وكان دخولهم من سجن يوسف يوم السبت لاربع عشرة بقيت من جمادى الاولى وشقوا الشوارع بالحكايات والسماجات والتماثيل فتعطل الناس فى ذلك اليوم عن أشغالهم ومعايشهم واجتمع فى الاسواق خلق كثير لنظرهم وظل الناس اكثر هذا اليوم على ذلك وأطلق لجميعهم ثمانية آلاف درهم وكانوا اثنى عشر سوقا ونزلوا مسرورين وبخارج مدينة الجيزة موضع يعرف بأبى هريرة فيظن من لا علم له أنه ابو هريرة الصحابى وليس كذلك بل هو منسوب الى ابن ابنته

(ذكر قرية ترسا)

قال القضاعى وذكر أن القاسم بن عبيد الله بن الحبحاب عامل هشام بن عبد الملك على خراج مصر بنى فى الجيزة قرية تعرف بترسا والقاسم هذا خرج الى مصر وولى خلافة عن أبيه عبيد الله بن الحبحاب السلولى على الخراج فى خلافة هشام بن عبد الملك ثم أمره هشام على خراج مصر حين خرج ابوه الى امارة افريقية فى سنة ست عشرة ومائة فلم يزل الى سنة أربع وعشرين ومائة فنزع عن مصر وجمع لحفص بن الوليد عربها وعجمها فصار يلى الخراج والصلاة معا وبترسا هذه كانت وقعة هرون بن محمد الجعدى

(ذكر منية اندونة)

هى احدى قرى الجيزة عرفت بأندونة كاتب احمد المدابنى الذى كان يتقلد ضياع موسى بن بغا التى بمصر فقبض احمد بن طولون على اندونة هذا وكان نصرانيا فأخذ منه خمسين ألف دينار

(ذكر وسيم)

قال ابن عبد الحكم وخرج عبد الله بن عبد الملك بن مروان امير مصر الى وسيم وكانت لرجل من القبط فسأل عبد الله أن يأتيه الى منزله ويجعل له مائة ألف دينار فخرج اليه عبد الله بن عبد الملك وقيل انما خرج عبد الله الى قرية ابى النمرس مع رجل من الكتاب يقال له ابن حنظلة فأتى عبد الله العزل وولاية قرة بن شريك وهو هنالك فلما بلغه ذلك قام ليلبس سراويله فلبسه منكوسا وقيل ان عبد الله لما بلغه العزل ردّ المال على صاحبه وقال قد عزلنا وكان عبد الله قد ركب معه الى المعدية وعدى اصحابه قبله وتأخر فورد الكتاب بعزله فقال صاحب المال والله لابدّ أن تشرّف منزلى وتكون ضيفى وتأكل طعامى والله لا عاد لى شئ من ذلك ولا ادعك منصرفا فعدّى معه

(ذكر منية عقبة)*

هذه القرية بالجيزة عرفت بعقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه * قال ابن عبد الحكم كتب عقبة بن عامر الى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما يسأله ارضا يسترفق فيها عند قرية عقبة فكتب له معاوية بألف ذراع فى ألف ذراع فقال له مولى له كان عنده انظر أصلحك الله أرضا صالحة فقال عقبة ليس لنا ذلك ان فى عهدهم شروطا ستة منها أن لا يؤخذ من ارضهم شئ ولا من نسائهم ولا من اولادهم ولا يزاد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوّهم وأنا شاهد لهم بذلك وفى رواية كتب عقبة الى معاوية يسأله نقيعا فى قرية يبنى فيه منازل ومساكن فأمر له معاوية بألف ذراع فى ألف ذراع فقال له مواليه ومن كان عنده انظر الى أرض تعجبك فاختط فيها وابتن فقال انه ليس لنا ذلك لهم فى عهدهم ستة شروط منها أن لا يؤخذ من ارضهم شئ ولا يزاد عليهم ولا يكلفوا غير طاقتهم ولا تؤخذ ذراريهم وأن يقاتل عنهم عدوّهم من ورائهم قال ابو سعيد بن يونس وهذه الارض التى اقتطعها عقبة هى المنية المعروفة بمنية عقبة فى جيزة فسطاط مصر * (عقبة بن عامر بن عيسى بن عمرو بن عدى بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عدى بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة كذا نسبه ابو عمرو الكندى وقال الحافظ ابو عمر بن عبد البر عقبة بن عامر بن حسن الجهنى من جهينة بن زيد بن مسود ابن اسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وقد اختلف فى هذا النسب يكنى أبا حماد وقيل أبا أسد وقيل أبا عمرو وقيل أبا سعاد وقيل أبا الاسود وقال خليفة بن خياط وقتل ابو عامر عقبة بن عامر الجهنى يوم النهروان شهيدا وذلك سنة ثمان وثلثين وهذا غلط منه وفى كتابه بعد وفى سنة ثمان وخمسين توفى عقبة بن عامر الجهنى قال سكن عقبة بن عامر مصر وكان واليا عليها وابتنى بها دارا وتوفى فى آخر خلافة معاوية روى عنه من الصحابة جابر وابن عباس وابو امامة ومسلمة بن مخلد وأما رواته من التابعين فكثير وقال الكندى ثم وليها عقبة بن عامر من قبل معاوية وجمع له صلاتها وخراجها فجعل على شرطته حمادا وكان عقبة قارئا فقيها فرضيا شاعرا له الهجرة والصحبة السابقة وكان صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء الذى يقودها فى الاسفار وكان صرف عقبة عن مصر بمسلمة بن مخلد لعشر بقين من ربيع الاوّل سنة أربعين فكانت ولايته سنتين وثلاثة اشهر وقال ابن يونس توفى بمصر سنة ثمان وخمسين ودفن فى مقبرتها بالمقطم وكان يخضب بالسواد رحمه الله تعالى

تعالى

(ذكر حلوان)

يقال انها تنسب الى حلوان بن بابليون بن عمرو بن امرئ القيس ملك مصر بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان حلوان هذا بالشام على مقدمة أبرهة ذى المنار أحد التبابعة * قال ابن عبد الحكم وكان الطاعون قد وقع بالفسطاط فخرج عبد العزيز بن مروان من الفسطاط فنزل بحلوان داخلا فى الصحراء فى موضع منها يقال له ابو قرقورة وهو رأس العين التى احتفرها عبد العزيز بن مروان وساقها الى نخيله التى غرسها بحلوان فكان ابن خديج يرسل الى عبد العزيز فى كل يوم بخبر ما يحدث فى البلد من موت وغيره فأرسل اليه ذات يوم رسولا فأتاه فقال له عبد العزيز ما اسمك فقال ابو طالب فثقل ذلك على عبد العزيز وغاظه فقال له عبد العزيز أسألك عن اسمك فتقول ابو طالب ما اسمك فقال مدرك فتفاءل بذلك ومرض فى مخرجه ذلك ومات هنالك فحمل فى البحر يراد به الفسطاط حتى تغير فأنزل فى بعض خصوص ساحل مريس فغسل فيه وأخرجت من هنالك جنازته وخرج معه بالمجامر فيها العود لما كان قد تغير من ريحه وأوصى عبد العزيز أن يمر بجنازته اذا مات على منزل جناب بن مرثد ابن زيد بن هانئ الرعينى صاحب حرسه وكان صديقا له وقد توفى قبل عبد العزيز فمر بجنازته على باب جناب وقد خرج عيال جناب ولبسن السواد ووقفن على الباب صائحات ثم اتبعنه الى المقبرة وكان لنصيب من عبد العزيز ناحية فقدم عليه فى مرضه فاذن له فلما رأى شدة مرضه انشأ يقول

ونزور سيدنا وسيد غيرنا * ليت التشكى كان بالعوّاد

لو كان يقبل فدية لفديته * بالمصطفى من طارفى وتلادى

فلما سمع صوته فتح عينيه وأمر له بألف دينار واستبشر بذلك آل عبد العزيز وفرحوا به ثم مات * وقال الكندى ووقع الطاعون بمصر فى سنة سبعين فخرج عبد العزيز بن مروان منها الى الشرقية متنديا فنزل حلوان فأعجبته فاتخذها وسكنها وجعل بها الحرس والاعوان والشرط فكان عليهم جناب بن مرثد بحلوان وبنى عبد العزيز بحلوان الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة وأحكمها وغرس نخلها وكرمها فقال ابن قيس الرقيات

سقيا لحلوان ذى الكروم وما * صنف من تينه ومن عنبه

نخل مواقير بالفناء من البرنى يهتز ثم فى سربه

اسود سكانه الحمام فما * ينفك غربانه على رطبه

ولما غرس عبد العزيز نخل حلوان وأطعم دخله والجند معه فجعل يطوف فيه ويقف على غروسه ومساقيه فقال يزيد بن عروة الجلى ألا قلت أيها الامير كما قال العبد الصالح ماشاء الله لاقوة الا بالله فقال أذكرتنى شكرا يا غلام قل لا ينتاس يزيد فى عطائه عشرة دنانير * (عبد العزيز) بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى أبو الاصبغ امه ليلى ابنة زبان بن الاصبغ الكندى روى عن أبى هريرة وعقبة بن عامر الجهنى وروى عنه على بن رباح وبحير بن داخرة وعبيد الله بن مالك الخولانى وكعب ابن علقمة ووثقه النساءى وابن سعد ولما سار أبوه مروان الى مصر بعثه فى جيش الى ايلة ليدخل مصر من تلك الناحية فبعث اليه ابن جحدم أمير مصر بجيش عليهم زهير بن قيس البلوى فلقى عبد العزيز ببصاق وهى سطح عقبة ايلة فقاتله فانهزم زهير ومن معه فلما غلب مروان على مصر فى جمادى الآخرة سنة خمس وستين جعل صلاتها وخراجها الى ابنه عبد العزيز بعد ما اقام بمصر شهرين فقال عبد العزيز يا امير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به أحد من بنى أبى فقال له مروان يا بنى عمهم باحسانك يكونوا كلهم بنى أبيك واجعل وجهك طلقا تصف لك مودتهم وأوقع الى كل رئيس منهم انه خاصتك دون غيره يكن لك عينا على غيره وينقاد قومه اليك وقد جعلت معك أخاك بشرا مؤنسا وجعلت لك موسى بن نصير وزيرا ومشيرا وما عليك يا بنى أن تكون أميرا بأقصى الارض أليس ذلك احسن من اغلاق بابك وخمولك فى منزلك وأوصاه عند مخرجه من مصر الى الشام فقال اوصيك بتقوى الله فى سر أمرك وعلانيته فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأوصيك أن لا تجعل لداعى الله عليك سبيلا فان المؤذن يدعو الى فريضة افترضها الله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وأوصيك أن لا تعد الناس موعدا الا أنفذته لهم وان حملته على الاسنة وأوصيك أن لا تعجل فى شئ من

الحكم حتى تستشير فان الله لو أغنى احدا عن ذلك لاغنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن ذلك بالوحى الذى يأتيه قال الله عز وجل وشاورهم فى الامر * وخرج مروان من مصر لهلال رجب سنة خمس وستين فوليها عبد العزيز على صلاتها وخراجها وتوفى مروان لهلال رمضان وبويع ابنه عبد الملك بن مروان فأقر أخاه عبد العزيز ووفد على عبد الملك فى سنة سبع وستين وجعل على الحرس والخيل والاعوان جناب بن مرثد الرعينى فاشتد سلطانه وكان الرجل اذا اغلظ لعبد العزيز وخرج تناوله جناب ومن معه فضربوه وحبسوه وعبد العزيز أول من عرف بمصر فى سنة احدى وسبعين قال يزيد بن ابى حبيب اول من أحدث القعود يوم عرفة فى المسجد بعد العصر عبد العزيز بن مروان * وفى سنة اثنتين وسبعين صرف بعث البحر الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير وجعل عليهم مالك بن شرحبيل الخولانى وهم ثلاثة آلاف رجل فيهم عبد الرحمن بن بحنس مولى ابن ابزى وهو الذى قتل ابن الزبير وخرج الى الاسكندرية فى سنة أربع وسبعين ووفد على أخيه عبد الملك فى سنة خمس وسبعين وهدم جامع الفسطاط كله وزاد فيه من جوانبه كلها فى سنة سبع وسبعين وأمر بضرب الدنانير المنقوشة وقال ابن عفير كان لعبد العزيز ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره وكانت له مائة جفنة يطاف بها على القبائل تحمل على العجل وكتب عبد الملك اليه أن ينزل له عن ولاية العهد ليعهد الى الوليد وسليمان فأبى ذلك وكتب اليه ان يكن لك ولد فلنا اولاد ويقضى الله مايشاء فغضب عبد الملك فبعث اليه عبد العزيز بعلى بن رباح يترضاه فلما قدم على عبد الملك استعطفه على أخيه فشكا عبد الملك وقال فرق الله بينى وبينه فلم يزل به على حتى رضى فقدم على عبد العزيز فأخبره عن عبد الملك وعن حاله ثم أخبره بدعوته فقال افعل أنا والله مفارقه والله مادعا دعوة قط الا أجيبت وكان عبد العزيز يقول قدمت مصر فى امرة مسلمة بن مخلد فتمنيت بها ثلاث أمانى فأدركتها تمنيت ولاية مصر وأن أجمع بين امرأتى مسلمة ويحجبنى قيس بن كليب حاجبه فتوفى مسلمة وقدم مصر فوليها وحجبه قيس وتزوج امرأتى مسلمة وتوفى ابنه الاصبغ بن عبد العزيز لتسع بقين من ربيع الآخر سنة ست وثمانين فمرض عبد العزيز وتوفى ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ست وثمانين فحمل فى النيل من حلوان الى الفسطاط فدفن بها * وقال ابن أبى مليكة رأيت عبد العزيز بن مروان حين حضره الموت يقول ألاليتنى لم أك شيأ مذكورا ألاليتنى كابنة من الارض او كراعى ابل فى طرف الحجاز ولما مات لم يوجد له مال ناض الا سبعة آلاف دينار وحلوان والقيسارية وثياب بعضها مرقوع وخيل ورقيق وكانت ولايته على مصر عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما ولم يلها فى الاسلام قبله اطول ولاية منه * وكان بحلوان فى النيل معدية من صوان تعدى بالخيل تحمل فيها الناس وغيرهم من البر الشرقى بحلوان الى البر الغربى فلما كان وهذا من الاسرار التى فى الخليقة فان جميع الاجسام المعدنية كالحديد والنحاس والفضة والرصاص والذهب والقصدير اذا عمل من شئ منها اناء يسع من الماء اكثر من وزنه فانه يعوم على وجه الماء ويحمل مايمكنه ولايغرق ومابرح المسافرون فى بحر الهند اذا أظلم عليهم الليل ولم يروا مايهديهم من الكواكب الى معرفة الجهات يحملون حديدة مجوفة على شكل سمكة ويبالغون فى ترقيقها جهد المقدرة ثم يعمل فى فم السمكة شئ من مغناطيس جيدا ويحك فيها بالمغناطيس فان السمكة اذا وضعت فى الماء دارت واستقبلت القطب الجنوبى بفمها واستدبرت القطب الشمالى وهذا أيضا من أسرار الخليقة فاذا عرفوا جهتى الجنوب والشمال تبين منهما المشرق والمغرب فان من استقبل الجنوب فقد استدبر الشمال وصار المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره فاذا تحددت الجهات الاربع عرفوا مواقع البلاد بها فيقصدون حينئذ جهة الناحية التى يريدونها

(ذكر مدينة العريش)

العريش مدينة فيما بين أرض فلسطين واقليم مصر وهى مدينة قديمة من جملة المدائن التى اختطت بعد الطوفان * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه عن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وكان غلاما مرفها فلما قرب من مصر بنى له عريشا من أغصان الشجر وستره بحشيش الارض ثم بنى له بعد ذلك فى هذا الموضع مدينة وسماها درسان اى باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والجنان من درسان الى البحر فكانت كلها زروع وجنانا وعمارة * وقال آخر انما سميت بذلك لان بيصر بن حام بن نوح تحمل فى ولده وهم اربعة ومعهم

اولادهم فكانوا ثلاثين مابين ذكر وانثى وقدم ابنه مصر بن بيصر أمامه نحو أرض مصر حتى خرج من حدّ الشام فتاهوا وسقط مصر فى موضع العريش وقد اشتد تعبه ونام فرأى قائلا يبشره بحصوله فى أرض ذات خير ودر وملك وفخر فانتبه فزعا فاذا عليه عريش من اطراف الشجر وحوله عيون ماء فحمد الله وسأله أن يجمعه بأبيه واخوته وأن يبارك له فى أرضه فاستجيب له وقادهم الله اليه فنزلوا فى العريش وأقاموا به فأخرج الله لهم من البحر دواب مابين خيل وحمر وبقر وغنم وابل فساقوها حتى أتوا موضع مدينة منف فنزلوه وبنوا فيه قرية سميت بالقبطية مافة يعنى قرية ثلاثين فنمت ذرية بيصر حتى عمروا الارض وزرعوا وكثرت مواشيهم وظهرت لهم المعادن فكان الرجل منهم يستخرج القطعة من الزبرجد يعمل منها مائدة كبيرة ويخرج من الذهب ما تكون القطعة منه مثل الاسطوانة وكالبعير الرابض * وقال ابن سعيد عن البيهقى كان دخول اخوة يوسف وابويه عليهم السلام عليه بمدينة العريش وهى اوّل أرض مصر لانه خرج الى تلقيهم حتى نزل المدينة بطرف سلطانه وكان له هنالك عرش وهو سرير السلطنة فأجلس أبويه عليه وكانت تلك المدينة تسمى فى القديم بمدينة العرش لذلك ثم سمتها العامة مدينة العريش فغلب ذلك عليها ويقال انه كان ليوسف عليه السلام حرس فى اطراف أرض مصر من جميع جوانبها فلما أصاب الشام القحط وسارت اخوة يوسف لتمتار من مصر أقاموا بالعريش وكتب صاحب الحرس الى يوسف ان اولاد يعقوب الكنعانى يريدون البلد لقحط نزل بهم فعمل اخوة يوسف عند ذلك عرشا يستظلون به من الشمس حتى يعود الجواب فسمى الموضع العريش وكتب يوسف بالاذن لهم فكان من شأنهم ماقد ذكر فى موضعه ويقال للعرش الخ فهذا كما ترى وابن وصيف شاه اعرف بأخبار مصر * وفى سنة خمس عشرة وأربعمائة طرق عبد الله بن ادريس الجعفرى العريش بمعاونة بنى الجراح وأحرقها وأخذ جميع مافيها * وقال القاضى الفاضل وفى جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وخمسمائة ورد الخبر بأن نخل العريش قطع الفرنج اكثره وحملوا جذوعه الى بلادهم وملئت منه ولم يجدوا مخاطبا على ذلك ونقل عن ابن عبد الحكم أن الجفار بأجمعه كان أيام فرعون موسى فى غاية العمارة بالمياه والقرى والسكان وأن قول الله تعالى ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون عن هذه المواضع وأن العمارة كانت متصلة منه الى اليمن ولذلك سميت العريش عريشا وقيل انها نهاية التخوم من الشام وان اليه كان ينتهى رعاة ابراهيم الخليل عليه السلام بمواشيه وانه عليه السلام اتخذ به عريشا كان يجلس فيه حتى تحلب مواشيه بين يديه فسمى العريش من أجل ذلك وقيل ان مالك بن دعر بن حجر بن جديلة بن لخم كان له أربعة وعشرون ولدا منهم العريش بن مالك وبه سميت العريش لانه نزل بها وبناها مدينة وعن كعب الاحبار أن بالعريش قبور عشرة انبياء

(ذكر مدينة الفرماء)

قال البكرى الفرماء بفتح اوله وثانيه ممدود على وزن فعلاء وقد يقصر مدينة تلقاء مصر وقال ابن خالويه فى كتاب ليس الفرما هذه سميت بأخى الاسكندر كان يسمى الفرما وكان كافرا وهى قرية أم اسمعيل بن ابراهيم ٢
انتهى ويقال اسمه الفرما بن فيلقوس ويقال فيه ابن قليس ويقال بليس وكانت الفرما على شط بحيرة تنيس وكانت مدينة خصباء وبها قبر جالينوس الحكيم وبنى بها المتوكل على الله حصنا على البحر تولى بناءه عنبسة بن اسحاق أمير مصر فى سنة تسع وثلاثين ومائتين عند ما بنى حصن دمياط وحصن تنيس وأنفق فيها مالا عظيما ولما فتح عمرو بن العاص عين شمس أنفذ الى الفرماء أبرهة بن الصباح فصالحه اهلها على خمسمائة دينار هرقلية وأربعمائة ناقة وألف رأس من الغنم فرحل عنهم الى البقارة * وفى سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة نزل الروم عليها فنفر الناس اليهم وقتلوا منهم رجلين ثم نزلوا فى جمادى الاولى سنة تسع وأربعين وثلثمائة فخرج اليهم المسلمون وأخذوا منهم مركبا وقتلوا من فيه وأسروا عشرة * وقال اليعقوبى الفرما اوّل مدن مصر من جهة الشمال وبها أخلاط من الناس وبينها وبين البحر الاخضر ثلاثة اميال * وقال ابن الكندى ومنها الفرما وهى اكثر عجائب وأقدم آثارا ويذكر أهل مصر أنه كان منها طريق الى جزيرة قبرس فى البر فغلب عليها البحر ويقولون انه كان فيما غلب عليه البحر مقطع الرخام الابلق وان مقطع الابيض بلوبية * وقال يحيى بن عثمان كنت ارابط فى الفرما وكان بينها وبين البحر قريب من يوم يخرج الناس والمرابطون فى أخصاص على الساحل ثم علا البحر على ذلك كله

وقال ابن قديد وجه ابن المدبر وكان بتنيس الى الفرما فى هدم ابواب من حجارة شرقى الحصن احتاج أن يعمل منها جيرا فلما اقلع منها حجرا أو حجران خرج اهل الفرما بالسلاح فمنعوا من قلعها وقالوا هذه الابواب التى قال الله فيها على لسان يعقوب عليه السلام يابنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة والفرما بها النخل العجيب الذى يثمر حين ينقطع البسر والرطب من سائر الدنيا فيبتدئ هذا الرطب من حين يلد النخل فى الكوانين فلا ينقطع أربعة اشهر حتى يجىء البلح فى الربيع وهذا لايوجد فى بلد من البلدان لا بالبصرة ولا بالحجاز ولا باليمن ولا بغيرها من البلدان ويكون فى هذا البسر ما وزن البسرة الواحدة فوق العشرين درهما وفيه ما طول البسرة نحو الشبر والفتر * وقال ابن المأمون البطايحى فى حوادث سنة تسع وخمسمائة ووصلت النجابون من والى الشرقية تخبر بأن بغدوين ملك الفرنج وصل الى أعمال الفرما فسير الافضل بن أمير الجيوش للوقت الى والى الشرقية بأن يسير المركزية والمقطعين بها وسير الراجل من العطوفية وأن يسير الوالى بنفسه بعد أن يتقدم الى العربان بأسرهم بأن يكونوا فى الطوالع ويطاردوا الفرنج ويشارفوهم بالليل قبل وصول العساكر اليهم فاعتمد ذلك ثم أمر باخراج الخيام وتجهيز الاصحاب والحواشى فلما تواصلت العساكر وتقدمها العربان وطاردوا الفرنج وعلم بغدوين ملك الفرنج أن العساكر متواصلة اليه وتحقق أن الاقامة لاتمكنه امر أصحابه بالنهب والتخريب والاحراق وهدم المساجد فأحرق جامعها ومساجدها وجميع البلد وعزم على الرحيل فاخذه الله سبحانه وتعالى وعجل بنفسه الى النار فكتم اصحابه موته وساروا بعد أن شقوا بطن بغدوين وملأوه ملحا حتى بقى الى بلاده فدفنوه بها وأما العساكر الاسلامية فانهم شنوا الغارات على بلاد العدو وعادوا بعد أن خيموا على ظاهر عسقلان وكتب الى الامير ظهير الدين طغدكين صاحب دمشق بأن يتوجه الى بلاد الفرنج فسار الى عسقلان وحملت اليه الضيافات وطولع بخبر وصوله فأمر بحمل الخيام وعدة وافرة من الخيل والكسوات والبنود والاعلام وسيف ذهب ومنطقة ذهب وطوق ذهب وبدلة طقم وخيمة كبيرة مكملة ومرتبة ملوكية وفرشها وجميع آلاتها وما تحتاج اليه من آلات الفضة وسير برسم شمس الخواص وهو مقدم كبير خلعة مذهبة ومنطقة ذهب وسيف وسير برسم المميزين من الواصلين خلع وسيوف وسلم ذلك بثبت لاحد الحجاب وسير معه فراشان برسم الخيام وأمر بضرب الخيمة الكبيرة وفرشها وأن يركب والى عسقلان وظهير الدين وشمس الخواص وجميع الامراء الواصلين والمقيمين بعسقلان الى باب الخيمة ويقبلوه ثم الى بساطها والمرتبة المنصوبة ثم يجلس الوالى وظهير الدين وشمس الخواص والمقدمون ويقف الناس بأجمعهم اجلالا وتعظيما ويخلع على الامير ظهير الدين وشمس الخواص وتشد المناطق فى أوساطهما ويقلدا بالسيوف ويخلع بعدهما على المميزين ثم يسير ظهير الدين والمقدمون بالتشريف والاعلام والرايات المسيرة اليهم الى أن يصلوا الى الخيام التى ضربت لهم فاذا كان كل يوم يركب الوالى والاميران والمقدمون والعساكر الى الخيمة الملوكية ويتفاوضون فيما يجب من تدبير العساكر فامتثل ذلك وتواصلت الغارات على بلاد العدو وأسروا وقتلوا فسيرت اليهم الخلع ثانيا وجعل لشمس الخواص خاصة فى هذه السفرة عشرة آلاف دينار وتسلم ظهير الدين الخيمة الكبيرة بما فيها وكان تقدير ما حصل له ولاصحابه ثلاثين ألف دينار وبلغ المنفق فى هذه النوبة وعلى ذهاب بغدوين وهلاكه مائة ألف دينار * وفى شهر رجب سنة خمس وأربعين وخمسمائة نزل الفرنج على الفرما فى جمع كبير وأحرقوها ونهبوا أهلها وآخر أمرها أن الوزير شاور خربها لما خرج منها متوليا ملهم اخو الضرغام فى سنة

فاستمرت خرابا لم تعمر بعد ذلك وكان بالفرما والبقارة والورادة عرب من جذام يقال لهم القاطع وهو جرى بن عوف بن مالك بن شنوءة بن بديل بن جشم بن جذام منهم عبد العزيز بن الوزير بن صابى بن مالك ابن عامر بن عدى بن حرش بن بقر بن نصر بن القاطع مات فى صفر سنة خمس ومائتين وللسروى والجروى هنا أخبار كثيرة نبهنا عليها فى كتاب عقد جواهر الاسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط وقال ابن الكندى وبها مجمع البحرين وهو البرزخ الذى ذكره الله عز وجل فقال مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان وقال وجعل بين البحرين حاجزا وهما بحر الروم وبحر الصين والحاجز بينهما مسيرة ليلة ما بين القلزم والفرما وليس يتقاربان فى بلد من البلدان أقرب منهما بهذا الموضع وبينهما فى السفر مسيرة شهور

(ذكر مدينة القلزم)

القلزم بضم القاف وسكون اللام وضم الزاى وميم بلدة كانت على ساحل بحر اليمن فى أقصاه من جهة مصر وهى كورة من كور مصر واليها ينسب بحر القلزم وبالقرب منها اغرق فرعون وبينها وبين مدينة مصر ثلاثة أيام وقد خربت ويعرف اليوم موضعها بالسويس تجاه عجرود ولم يكن بالقلزم ماء ولا شجر ولا زرع وانما يحمل الماء اليها من آبار بعيدة وكان بها فرضة مصر والشام ومنها تحمل الحمولات الى الحجاز واليمن ولم يكن بين القلزم وفاران قرية ولا مدينة وهى نخل يسير فيه صياد والسمك وكذلك من فاران وحيلان الى ايلة قال ابن الطوير والبلد المعروف بالقلزم اكثرها باق الى اليوم ويراها الراكب السائر من مصر الى الحجاز وكانت فى القديم ساحلا من سواحل الديار المصرية ورأيت شيأ من حسابه من جهة مستخدميه فى حواصل القصر وما ينفق على واليه وقاضيه وداعيه وخطيبه والاجناد المركزين به لحفظه وقربه وجامعه ومساجده وكان مسكونا مأهولا * قال المسبحى فى حوادث سنة سبع وثمانين وثلثمائة وفى شهر رمضان سامح أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله اهل مدينة القلزم مما كان يؤخذ من مكوس المراكب وقال ابن خرداذبه عن التجار فيركبون فى البحر الغربى ويخرجون بالفرماء ويحملون تجاراتهم على الظهر الى القلزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخا ثم يركبون البحر الشرقى من القلزم الى جار وجدة ثم يمضون الى السند والهند والصين ومن القلزم ينزل الناس فى برية وصحراء ست مراحل الى ايلة ويتزودون من الماء لهذه المراحل الست ويقال ان بين القلزم وبحر الروم ثلاث مراحل وان ما بينهما هو البرزخ الذى ذكره تعالى بقوله بينهما برزخ لا يبغيان

* (التيه)

هو أرض بالقرب من ايلة بينهما عقبة لا يكاد الراكب يصعدها لصعوبتها الا أنها مهدت فى زمان خمارويه بن احمد بن طولون ويسير الراكب مرحلتين فى محض التيه هذا حتى يوافى ساحل بحر فاران حيث كانت مدينة فاران وهنالك غرق فرعون والتيه مقدار أربعين فرسخا فى مثلها وفيه تاه بنو اسرائيل أربعين سنة لم يدخلوا مدينة ولا أووا الى بيت ولا بدلوا ثوبا وفيه مات موسى عليه السلام ويقال ان طول التيه نحو من ستة أيام واتفق أن المماليك البحرية لما خرجوا من القاهرة هاربين فى سنة اثنتين وخمسين وستمائة مر طائفة منهم بالتيه فتاهوا فيه خمسة أيام ثم تراءى لهم فى اليوم السادس سواد على بعد فقصدوه فاذا مدينة عظيمة لها سور وأبواب كلها من رخام أخضر فدخلوا بها وطافوا بها فاذا هى قد غلب عليها الرمل حتى طم أسواقها ودورها ووجدوا بها أوانى وملابس وكانوا اذا تناولوا منها شيأ تناثر من طول البلى ووجدوا فى صينية بعض البزازين تسعة دنانير ذهبا عليها صورة غزال وكتابة عبرانية وحفروا موضعا فاذا بحجر على صهريج ماء فشربوا منه ماء أبرد من الثلج ثم خرجوا ومشوا الليلة فاذا بطائفة من العربان فحملوهم الى مدينة الكرك فدفعوا الدنانير لبعض الصيارفة فاذا عليها أنها ضربت فى أيام موسى عليه السلام ودفع لهم فى كل دينار مائة درهم وقيل لهم ان هذه المدينة الخضراء من مدن بنى اسرائيل ولها طوفان رمل يزيد تارة وينقص اخرى لا يراها الا تائه والله أعلم

* (ذكر مدينة دمياط) *

اعلم أن دمياط كورة من كور أرض مصر بينها وبين تنيس اثنا عشر فرسخا ويقال سميت بدمياط من ولد أشمن بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ويقال ان ادريس عليه السلام كان أول ما أنزل عليه ذو القوة والجبروت أنا الله مدين المدائن الفلك بأمرى وصنعى أجمع بين العذب والملح والنار والثلج وذلك بقدرتى ومكنون على الدال والميم والالف والطاء قيل هم بالسريانية دمياط فتكون دمياط كلمة سريانية اصلها دمطاى ٢
القدرة اشارة الى مجمع العذب والملح وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه دمياط بلد قديم بنى فى زمن قليمون ابن اتريب بن قبطيم بن مصرايم على اسم غلام كانت امه ساحرة لقليمون * ولما قدم المسلمون الى أرض مصر كان على دمياط رجل من اخوال المقوقس يقال له الهاموك فلما افتتح عمرو بن العاص مصر امتنع الهاموك بدمياط واستعد للحرب فأنفذ اليه عمرو بن العاص المقداد بن الاسود فى طائفة من المسلمين فحاربهم الهاموك وقتل ابنه فى الحرب فعاد الى دمياط وجمع اليه اصحابه فاستشارهم فى أمره وكان عنده حكيم قد حضر الشورى فقال أيها الملك ان جوهر العقل لا قيمة له وما استغنى به أحد الا هداه الى سبيل الفوز ونجاة من الهلاك وهؤلاء

العرب من بدء أمرهم لم ترد لهم راية وقد فتحوا البلاد وأذلوا العباد وما لاحد عليهم قدرة ولسنا بأشد من جيوش الشام ولا أعز وأمنع وان القوم قد أيدوا بالنصر والظفر والرأى أن تعقد مع القوم صلحا تنال به الامن وحقن الدماء وصيانة الحرم فما أنت بأكثر رجالا من المقوقس فلم يعبأ الهاموك بقوله وغضب منه فقتله وكان له ابن عارف عاقل وله دار ملاصقة للسور فخرج الى المسلمين فى الليل ودلهم على عورات البلد فاستولى المسلمون عليها وتمكنوا منها وبرز الهاموك للحرب فلم يشعر بالمسلمين الا وهم يكبرون على سور البلد وقد ملكوه فعند ما رأى شطا ابن الهاموك المسلمين فوق السور لحق بالمسلمين ومعه عدة من اصحابه ففت ذلك فى عضد أبيه واستأمن للمقداد فتسلم المسلمون دمياط واستخلف المقداد عليها وسير بخبر الفتح الى عمرو بن العاص وخرج شطا وقد أسلم الى البرلس والدميرة وأشموم طناح فحشد اهل تلك النواحى وقدم بهم مددا للمسلمين وعونا لهم على عدوهم وسار بهم مع المسلمين لفتح تنيس فبرز لاهلها وقاتلهم قتالا شديدا حتى قتل رحمه الله فى المعركة شهيدا بعد ما انكى فيهم وقتل منهم فحمل من المعركة ودفن فى مكانه المعروف به خارج دمياط وكان قتله فى ليلة الجمعة النصف من شعبان فلذلك صارت هذه الليلة من كل سنة موسما يجتمع الناس فيها من النواحى عند شطا ويحيونها وهم على ذلك الى اليوم ومازالت دمياط بيد المسلمين الى أن نزل عليها الروم فى سنة تسعين من الهجرة فأسروا خالد بن كيسان وكان على البحر هناك وسيروه الى ملك الروم فأنفذه الى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك من أجل المهدنة التى كانت بينه وبين الروم فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك نازل الروم دمياط فى ثلثمائة وستين مركبا فقتلوا وسبوا وذلك فى سنة احدى وعشرين ومائة ولما كانت الفتنة بين الاخوين محمد الامين وعبد الله المأمون وكانت الفتن بأرض مصر طمع الروم فى البلاد ونازلوا دمياط فى أعوام بضع ومائتين ثم لما كانت خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله وأمير مصر يومئذ عنبسة بن اسحاق نزل الروم دمياط يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائتين فملكوها وما فيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والاطفال وأهل الذمة فنفر اليهم عنبسة بن اسحاق يوم النحر فى جيشه ونفر كثير من الناس اليهم فلم يدركوهم ومضى الروم الى تنيس فأقاموا بأشتوم فلم يتبعهم عنبسة فقال يحيى بن الفضيل للمتوكل

أترضى بأن يوطا حريمك عنوة * وأن يستباح المسلمون ويحربوا
حمار اتى دمياط والروم وثب * بتنيس رأى العين منه وأقرب
مقيمون بالاشتوم يبغون مثل ما * أصابوه من دمياط والحرب ترتب
فما رام من دمياط شبرا ولا درى * من العجز ما يأتى وما يتجنب
فلا تنسنا انا بدار مضيعة * بمصر وان الدين قد كاد يذهب

فأمر المتوكل ببناء حصن دمياط فابتدئ فى بنائه يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وأنشأ من حينئذ الاسطول بمصر فلما كان فى سنة سبع طرق الروم دمياط فى نحو مائتى مركب فأقاموا يعبثون فى السواحل شهرا وهم يقتلون ويأسرون وكانت للمسلمين معهم معارك ثم لما كانت الفتن بعد موت كافور الاخشيدى طرق الروم دمياط لعشر خلون من رجب سنة سبع وخمسين وثلثمائة فى بضع وعشرين مركبا فقتلوا وأسروا مائة وخمسين من المسلمين * وفى سنة ثمان وأربعمائة ظهر بدمياط سمكة عظيمة طولها مائتان وستون ذراعا وعرضها مائة ذراع وكانت حمير الملح تدخل فى جوفها موسوقة فتفرغ وتخرج ووقف خمسة رجال فى فحفها ومعهم المجاريف يجرفون الشحم ويناولونه الناس وأقام اهل تلك النواحى مدة طويلة يأكلون من لحمها وفى ايام الخليفة الفائز بنصر الله عيسى والوزير حينئذ الصالح طلائع بن رزيك نزل على دمياط نحو ستين مركبا فى جمادى الآخرة سنة خمسين وخمسمائة بعث بها الوجيز بن رجار صاحب صقلية وما نوا وقتلوا ونزلوا تنيس ورشيد والاسكندرية فأكثروا فيها الفساد ثم كانت خلافة العاضد لدين الله فى وزارة شاور بن مجير السعدى الوزارة الثانية عند ما حضر ملك الفرنج مرى الى القاهرة وحصرها وقرر على اهلها المال واحترقت مدينة الفسطاط فنزل على تنيس وأشموم ومنية غمر وصاحب أسطول الفرنج فى عشرين شونة فقتل وأسر وسبى وفى وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب للعاضد وصل الفرنج الى دمياط فى شهر ربيع الاول سنة خمس وستين وخمسمائة وهم فيما يزيد على ألف ومائتى

مركب فخرجت العساكر من القاهرة وقد بلغت النفقة عليهم زيادة على خمسمائة الف وخمسين الف دينار فأقامت الحرب مدة خمسة وخمسين يوما وكانت صعبة شديدة واتهم فى هذه النوبة عدة من أعيان المصريين بممالأة الفرنج ومكاتبتهم وقبض عليهم الملك الناصر وقتلهم وكان سبب هذه النوبة أن الغز لما قدموا الى مصر من الشام صحبة أسد الدين شيركوه تحرك الفرنج لغزو ديار مصر خشية من تمكن الغز بها فاستمدوا اخوانهم اهل صقلية فأمدوهم بالاموال والسلاح وبعثوا اليهم بعدة وافرة فساروا بالدبابات والمجانيق ونزلوا على دمياط فى صفر وهم فى العدة التى ذكرنا من المراكب وأحاطوا بها بحرا وبرا فبعث السلطان بابن أخيه تقى الدين عمر وأتبعه بالامير شهاب الدين الحازمى فى العساكر الى دمياط وأمدهما بالاموال والميرة والسلاح واشتد الامر على أهل دمياط وهم ثابتون على محاربة الفرنج فسير صلاح الدين الى نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام يستنجده ويعلمه بأنه لا يمكنه الخروج من القاهرة الى لقاء الفرنج خوفا من قيام المصريين عليه فجهز اليه العساكر شيأ بعد شئ وخرج نور الدين من دمشق بنفسه الى بلاد الفرنج التى بالساحل وأغار عليها واستباحها فبلغ ذلك الفرنج وهم على دمياط فخافوا على بلادهم من نور الدين أن يتمكن منها فرحلوا عن دمياط فى الخامس والعشرين من ربيع الاول بعد ما غرق لهم نحو الثلثمائة مركب وقلت رجالهم بفناء وقع فيهم وأحرقوا ما ثقل عليهم حمله من المنجنيقات وغيرها وكان صلاح الدين يقول ما رأيت أكرم من العاضد ارسل الى مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار سوى ما أرسله الى من الثياب وغيرها * وفى سنة سبع وسبعين وخمسمائة رتبت المقاتلة على البرجين وشدت مراكب الى السلسلة ليقاتل عليها ويدافع عن الدخول من بين البرجين ورمم شعث سور المدينة وسدت ثلمه وأتقنت السلسلة التى بين البرجين فبلغت النفقة على ذلك ألف ألف دينار واعتبر السور فكان قياسه أربعة آلاف وستمائة وثلاثين ذراعا * وفى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة أمر السلطان بقطع اشجار بساتين دمياط وحفر خندقها وعمل جسر عند سلسلة البرج * وفى سنة خمس عشرة وستمائة كانت واقعة دمياط العظمى وكان سبب هذه الواقعة أن الفرنج فى سنة أربع عشرة وستمائة تتابعت امدادهم من رومية الكبرى مقر البابا ومن غيرها من بلاد الفرنج وساروا الى مدينة عكا فاجتمع بها عدة من ملوك الفرنج وتعاقدوا على قصد القدس وأخذه من أيدى المسلمين فصاروا بعكا فى جمع عظيم وبلغ ذلك الملك ابا بكر بن ايوب فخرج من مصر فى العساكر الى الرملة فبرز الفرنج من عكا فى جموع عظيمة فسار العادل الى بيسان فقصده الفرنج فخافهم لكثرتهم وقلة عسكره فأخذ على عقبة فيق يريد دمشق وكان اهل بيسان وما حولها قد اطمأنوا لنزول السلطان هنالك فأقاموا فى اماكنهم وما هوا الا أن سار السلطان واذا بالفرنج قد وضعوا السيف فى الناس ونهبوا البلاد فحازوا من اموال المسلمين ما لا يحصى كثرة وأخذوا بيسان وبانياس وسائر القرى التى هنالك وأقاموا ثلاثة ايام ثم عادوا الى مرج عكا بالغنائم والسبى وهلك من المسلمين خلق كثير فاستراح الفرنج بالمرج أياما ثم عادوا ثانيا ونهبوا صيدا والشقيف وعدوا الى مرج عكا فأقاموا به وكان ذلك كله فيما بين النصف من شهر رمضان وعيد الفطر والملك العادل مقيم بمرج الصفر وقد سير ابنه المعظم عيسى بعسكر الى نابلس لمنع الفرنج من طروقها والوصول الى بيت المقدس فنازل الفرنج قلعة الطور سبعة عشر يوما ثم عادوا الى عكا وعزموا على قصد الديار المصرية فركبوا بجموعهم البحر وساروا الى دمياط فى صفر فنزلوا عليها يوم الثلاثاء رابع ربيع الاول سنة خمس عشرة وستمائة الموافق لثامن حزيران وهم نحو السبعين ألف فارس وأربعمائة ألف راجل فخيموا تجاه دمياط فى البر الغربى وحفروا على عسكرهم خندقا وأقاموا عليه سورا وشرعوا فى قتال برج دمياط فانه كان برجا منيعا فيه سلاسل من حديد غلاظ تمد على النيل لتمنع المراكب الواصلة فى البحر الملح من الدخول الى ديار مصر فى النيل وذلك أن النيل اذا انتهى الى فسطاط مصر مر عليه فى ناحية الشمال الى شطنوف فاذا صار الى شطنوف انقسم قسمين أحدهما يمر فى الشمال الى رشيد فيصب فى البحر الملح والشطر الآخر يمر من شطنوف الى جوجر ثم يتفرق من عند جوجر فرقتين فرقة تمر الى أشموم فتصب فى بحيرة تنيس وفرقة تمر من جوجر الى دمياط فتصب فى البحر الملح هنالك وتصير هذه الفرقة من النيل فاصلة بين مدينة دمياط والبر الغربى وهذا البر الغربى من دمياط يعرف بجزيرة دمياط يحيط بها ماء النيل والبحر الملح وفى مدة اقامة الفرنج بهذا البر الغربى عملوا الآلات والمراسى وأقاموا ابراجا يزحفون بها

فى المراكب الى برج السلسلة ليملكوه فانهم اذا ملكوه تمكنوا من العبور فى النيل الى القاهرة ومصر وكان هذا البرج مشحونا بالمقاتلة فتحيل الفرنج عليه وعملوا برجا من الصوارى على بسطة كبيرة وأقلعوا بها حتى أسندوها اليه وقاتلوا من به حتى أخذوه فبلغ نزول الفرنج على دمياط الملك الكامل وكان يخلف أباه الملك العادل على ديار مصر فخرج بمن معه من العساكر فى ثالث يوم من وقوع الطائر بخبر نزول الفرنج لخمس خلون منه وأمر والى الغربية بجمع العربان وسار فى جمع كبير وخرج الاسطول فأقام تحت دمياط ونزل السلطان بمن معه من العساكر بمنزلة العادلية قرب دمياط وامتدت عساكره الى دمياط لتمنع الفرنج من السور والقتال مستمر والبرج ممتنع مدة أربعة أشهر والعادل يسير العساكر من البلاد الشامية شيأ بعد شئ حتى تكاملت عند الملك الكامل واهتم الملك لنزول الفرنج على دمياط واشتد خوفه فرحل من مرج الصفر الى عالقين فنزل به المرض ومات فى سابع جمادى الآخرة فكتم الملك المعظم عيسى موته وحمله فى محفة وجعل عنده خادما وطبيبا راكبا الى جانب المحفة والشرابدار يصلح الشراب ويحمله الى الخادم فيشربه ويوهم الناس أن السلطان شربه الى أن دخلوا به الى قلعة دمشق وصارت اليها الخزائن والبيوتات فأعلن بموته وتسلم ابنه الملك المعظم جميع ما كان معه ودفنه بالقلعة ثم نقله الى مدرسة العادلية بدمشق وبلغ الملك الكامل موت أبيه وهو بمنزلة العادلية قرب دمياط فاستقل بمملكة ديار مصر واشتد الفرنج وألحوا فى القتال حتى استولوا على برج السلسلة وقطعوا السلاسل المتصلة به لتجوز مراكبهم فى بحر النيل وتمكنوا من البلاد فنصب الملك الكامل بدل السلاسل جسرا عظيما لمنع الفرنج من عبور النيل فقاتلت الفرنج عليه قتالا شديدا الى أن قطعوه وكان قد أنفق على البرج والجسر ما ينيف على سبعين ألف دينار وكان الكامل يركب فى كل يوم عدة مرار من العادلية الى دمياط لتدبير الامور واعمال الحيلة فى مكايدة الفرنج فأمر الملك الكامل أن يفرق عدة من المراكب فى النيل حتى تمنع الفرنج من سلوك النيل فعمد الفرنج الى خليج هنالك يعرف بالازرق كان النيل يجرى فيه قديما فحفروه وعمقوا حفره وأجروا فيه الماء الى البحر الملح وأصعدوا مراكبهم فيه الى بورة على أرض جيزة دمياط مقابل المنزلة التى بها السلطان ليقاتلوه من هنالك فلما صاروا فى بورة جاؤوه وقاتلوه فى الماء وزحفوا اليه عدة مرار فلم يظفروا منه بطائل ولم يتغير على أهل دمياط شئ لان الميرة والامداد متصلة اليهم والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج وأبواب المدينة مفتحة وليس عليها من الحصر ضيق ولا ضرر والعربان تتخطف الفرنج فى كل ليلة بحيث امتنعوا من الرقاد خوفا من غاراتهم فلما قوى طمع العرب فى الفرنج حتى صاروا يخطفونهم نهارا ويأخذون الخيم بمن فيها أكمن الفرنج لهم عدة كمناء وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأدرك الناس الشتاء وهاج البحر على مخيم المسلمين وغرقهم فعظم البلاء وتزايد الغم وألح الفرنج فى القتال وكادوا أن يملكوا فبعث الله ريحا قطعت مراسى مرمة الفرنج وكانت من عجائب الدنيا فمرت الى بر المسلمين فأخذوها فاذا هى مصفحة بالحديد لا تعمل فيها النار ومساحتها خمسمائة ذراع فكسروها فاذا فيها مسامير زنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلا وبعث الكامل الى الآفاق سبعين رسولا يستنجد أهل الاسلام لنصرة المسلمين ويخوفهم من غلبة الفرنج على مصر فساروا فى شوال وأتته النجدات من حماه وحلب وبينا الناس فى ذلك اذ طمع الامير عماد الدين احمد بن الامير سيف الدين أبى الحسين على بن احمد الهكارى المعروف بابن المشطوب فى الملك الكامل عند ما بلغه موت الملك العادل وكان له لفيف ينقادون اليه ويطيعونه وكان أميرا كبيرا مقدما عظيما فى الاكراد الهكارية وافر الحرمة عند الملوك معدودا بينهم مثل واحد منهم وكان مع ذلك عالى الهمة غزير الجود واسع الكرم شجاعا أبى النفس تهابه الملوك وله الوقائع المشهورة . هو من امراء دولة صلاح الدين يوسف فاتفق مع جماعة من الجند والاكراد على خلع الملك الكامل واقامة أخيه الملك الفائز ابراهيم ليصير له الحكم ووافقه الامير عز الدين الحميدى والامير أسد الدين الهكارى والامير مجاهد الدين وجماعة من الامراء فلما بلغ ذلك الملك الكامل دخل عليهم وهم مجتمعون والمصحف بين أيديهم ليحلفوا للفائز فلما رأوه انفضوا وخشى على نفسه فخرج فاتفق وصول الصاحب صفى الدين بن شكر من آمد الى الملك الكامل فانه كان استدعاه بعد موت أبيه فتلقاه وأكرمه وذكر له ما هو فيه فضمن له تحصيل المال فلما كان فى الليل ركب الملك الكامل وتوجه من العادلية فى جريدة الى أشموم طناح فنزلها وأصبح العسكر بغير سلطان فركب كل منهم هواه ولم يعطف الاخ على أخيه وتركوا أثقالهم

وخيامهم وأموالهم وأسلحتهم ولحقوا بالسلطان فبادر الفرنج فى الصباح الى مدينة دمياط ونزلوا البر الشرقى يوم الثلاثاء سادس عشر ذى القعدة بغير منازع ولا مدافع وأخذوا سائر ما كان فى عسكر المسلمين وكان شيئا لا يحيط به الوصف وداخل السلطان وهم عظيم وكاد أن يفارق البلاد فانه تخيل من جميع من معه واشتد طمع الفرنج فى أرض مصر كلها وظنوا أنهم قد ملكوها الا أن الله سبحانه وتعالى أغاث المسلمين وثبت السلطان ووافاه أخوه الملك المعظم بأشموم طناح فاشتد به أزره وقوى جاشه وأطلعه على ما كان من ابن المشطوب فوعده بازاحة ما يكره ثم ان المعظم ركب الى خيمة ابن المشطوب واستدعاه للركوب معه ومسايرته فاستمهله حتى يلبس خفيه وثياب الركوب فلم يمهله وأعجله فركب معه وسايره حتى خرج به من العسكر الكاملى ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك وأشتهى أن تهبها لنا وأعطاه نفقة وسلمه الى جماعة من أصحابه يثق بهم وقال لهم أخرجوه من الرمل ولا تفارقوه حتى يخرج من الشام فلم يسع ابن المشطوب الا امتثال ما قال المعظم لانه معه بمفرده ولا قدرة له على الممانعة فساروا به الى حماه ثم مضى منها الى المشرق ولما شيع الملك المعظم ابن المشطوب رجع الى الملك الكامل وأمر أخاه الفائز ابرهيم أن يسير الى ملوك الشام فى رسالة عن أخيه الملك الكامل لاستدعائهم الى قتال الفرنج فمضى الى دمشق وخرج منها الى حماه فمات بها مسموما على ما قيل فثبت للملك الكامل أمر الملك وسكن روعه هذا والفرنج قد أحاطوا بدمياط برا وبحرا وأحدقوا وضيقوا على أهلها ومنعوا القوت من الوصول اليهم وحفروا على عسكرهم المحيط بدمياط خندقا وبنوا عليه سورا وأهل دمياط يقاتلونهم أشد القتال ويمانعونهم وقد غلت عندهم الاسعار لقلة الاقوات ثم ان المعظم فارق الملك الكامل وسار الى بلاد الشام وأقام الكامل لمحاربة الفرنج وانتدب شمائل أحد الجاندارية فى الركاب للدخول الى دمياط فكان يسبح فى الماء ويصل الى أهل دمياط فيعدهم بوصول النجدات فحظى بذلك عند الكامل وتقرب منه حتى عمله والى القاهرة واليه تنسب خزانة شمائل بالقاهرة فلم يزل الحال على ذلك الى أن دخلت سنة ست عشرة فجهز الملك المنصور محمد ابن عمرو بن شاهنشاه بن ايوب صاحب حماه ابنه المظفر تقى الدين محمودا الى مصر نجدة لخاله الملك الكامل على الفرنج فى جيش كثيف فوصل الى العسكر وتلقاه الملك الكامل وأنزله فى ميمنة العسكر منزلة أبيه وجده عند السلطان صلاح الدين يوسف فألح الفرنج فى القتال وكان بدمياط نحو العشرين الف مقاتل فنهكتهم الامراض وغلت عندهم الاسعار حتى بلغت بيضة الدجاجة عندهم عدة دنانير * قال الحافظ عبد العظيم المنذرى سمعت الشيخ أبا الحسن على بن فضل يقول كان لبعض بنى خيار بقرة فذبحوها وباعوها فى الحصار فجاءت ثمانمائة دينار وقال فى المعجم المترجم سمعت الامير أبا بكر بن حسن بن خسويام يقول كنت بدمياط فى حصار العدو بها فبيع السكر بها بمائة وأربعين دينارا الرطل والدجاجة بثلاثين دينارا قال واشتريت ثلاث دجاجات بتسعين دينارا والراوية بأربعين درهما والقبر يحفر بأربعين مثقالا وأخذت أختى جملا فشقت جوفه وملأته دجاجا وفاكهة وبقلا وغير ذلك وخاطته ورمته فى البحر وكتبت الى تقول قد فعلت كذا فاذا رأيتم جملا ميتا فخذوه فوقع لنا البلا فأخذناه وكان فيه ما يساوى جملة ففرقته على الناس ثم عمل بعد ذلك ثلاثة جمال على هيئته ففطن لها الفرنج فأخذوها وامتلأت مساكنهم وطرقات البلد من الموتى وعدمت الاقوات وصار السكر كعزة الياقوت وفقدت اللحوم فلم يقدر عليها بوجه وآلت بهم الحال الى أن لم يبق بها سوى قليل من القمح والشعير فقط فتسور الفرنج وأخذوا منه البلد فى يوم الثلاثاء لخمس بقين من شعبان وكانت مدة الحصار ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما ولما أخذوا البلد وضعوا السيف فى الناس فتجاوزوا الحد فى القتل وأسرفوا فى مقدار القتلى وبلغ ذلك السلطان فرحل بعد أخذ دمياط بيومين ونزل قبالة طلخا على رأس بحر أشموم ورأس بحر دمياط وحيز فى المنزلة التى صار يقال لها المنصورة وحصن الفرنج أسوار دمياط وجعلوا الجامع كنيسة وبثوا سراياهم فى القرى فقتلوا ونهبوا وسير السلطان الكتب الى الآفاق ليستحث الناس على الحضور لدفع الفرنج عن ملك مصر وشرع العسكر فى بناء الدور والفنادق والحمامات والاسواق بمنزلة المنصورة وجهز الفرنج من أسروه من المسلمين فى البحر الى عكا وخرجوا من دمياط ونازلوا السلطان تجاه المنصورة وصار بينهم وبينه بحر أشموم وبحر دمياط وكان الفرنج فى مائتى الف راجل وعشرة آلاف فارس فتقدم المسلمون بشوانيهم أمام المنصورة وعدتها مائة قطعة واجتمع الناس من القاهرة ومصر وسائر النواحى من أسوان الى القاهرة ووصل الامير حسام الدين يونس والفقيه

تقي الدين ابو الطاهر محمد بن الحسن بن عبد الرحمن المحلى فأخرجا الناس من القاهرة ومصر ونودى بالنفير العام وخرج الامير علاء الدين جلدك وجمال الدين ابن صيرم لجمع الناس فيما بين القاهرة الى آخر الحوف الشرقى فاجتمع عالم لا يقع عليه حصر وأنزل السلطان على ناحية شارمساح ألف فارس فى آلاف من العربان ليحولوا بين الفرنج ودمياط وسارت الشوانى ومعها حراقة كبيرة على رأس بحر المحلة وعليها الامير بدر الدين بن حسون فانقطعت الميرة عن الفرنج من البر والبحر وسارت عساكر المسلمين من الشرق والشام الى الديار المصرية وكان قد خرج الفرنج من داخل البحر لمدد الفرنج على دمياط فقدم منهم امم لا تحصى يريدون التوغل فى أرض مصر فلما تكاملوا بدمياط خرجوا منها فى حدهم وحديدهم ونزلوا تجاه الملك الكامل كما تقدم فقدمت النجدات يقدمها الملك الاشرف موسى بن العادل وعلى ساقتها الملك المعظم عيسى فتلقاهم الملك الكامل وأنزلهم عنده بالمنصورة فى ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وتتابع مجىء الملوك حتى بلغت عدة فرسان المسلمين نحو أربعين ألف فارس فحاربوا الفرنج فى البر والبحر وأخذوا منهم ست شوانى وجلاسة وبطسة وأسروا من الفرنج ألفين ومائتين ثم ظفر المسلمون بثلاث قطائع اخر فتضعضع الفرنج لذلك وضاق بهم المقام فبعثوا يطلبون الصلح فقدم عند مجىء رسلهم اهل الاسكندرية فى ثمانية آلاف مقاتل وكان الذى طلب الفرنج القدس وعسقلان وطبرية وجبلة واللاذقية وسائر ما فتحه السلطان صلاح الدين يوسف من الساحل ليرحلوا عن ديار مصر فبذل المسلمون لهم سائر ما ذكر من البلاد خلا مدينة الكرك والشوبك فامتنع الفرنج من الصلح وقالوا لابد من أخذهم الكرك والشوبك ومبلغ ثلثمائة ألف دينار عوضا عما خربه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق من أسوار القدس وكان المعظم لما مات أبوه العادل واستولى الفرنج على دمياط ونازلوا الملك الكامل قبالة المنصورة خاف أن يصل منهم فى البحر من يأخذ القدس ويتحصنوا به فأمر بتخريب أسواره وكانت أسواره وأبراجه فى غاية العظمة والمنعة فأتى الهدم على جميعها ما خلا برج داود وانتقل اكثر الناس من القدس ولم يبق به الا القليل ونقل المعظم ما كان بالقدس من الاسلحة والآلات فامتنع المسلمون من اجابة الفرنج الى ذلك وقاتلوهم وعبر جماعة من المسلمين فى بحر المحلة الى الارض التى عليها الفرنج وحفروا مكانا عظيما فى النيل وكان فى قوة الزيادة فركب الماء اكثر تلك الارض وصار حائلا بين الفرنج ومدينة دمياط وانحصروا فلم يبق لهم سوى طريق ضيقة فأمر السلطان للوقت بنصب الجسور عند أشموم طناح فعبرت العساكر عليها وملكت الطريق التى يسلكها الفرنج الى دمياط اذا أرادوا الوصول اليها فاضطربوا وضاقت عليهم الارض واتفق مع ذلك وصول مرمة عظيمة للفرنج فى البحر حولها عدة حراقات تحميها وقد ملئت كلها بالميرة والاسلحة فقاتلتهم شوانى المسلمين وظفرها الله بهم فأخذها المسلمون وعندما علم الفرنج ذلك ايقنوا بالهلاك وصار المسلمون يرمونهم بالنشاب ويحملون على اطرافهم فهدموا حينئذ خيامهم ومجانيقهم وألقوا فيها النار وهموا بالزحف على المسلمين ومقاتلتهم ليخلصوا الى دمياط فحال بينهم وبين ذلك كثرة الوحل والمياه الراكبة على الارض وخشوا من الاقامة لقلة أقواتهم فذلوا وسألوا الامان على أن يتركوا دمياط للمسلمين فاستشار السلطان فى ذلك فاختلف الناس عليه فمنهم من امتنع من تأمين الفرنج ورأى أن يؤخذوا عنوة ومنهم من جنح الى اعطائهم الامان خوفا ممن وراءهم من الفرنج فى الجزائر وغيرها ثم اتفقوا على الامان وأن يعطى كل من الفريقين رهائن فتقرر ذلك فى تاسع شهر رجب سنه ثمان عشرة وسير الفرنج عشرين ملكا رهنا عند الملك الكامل وبعث الملك الكامل بابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب وجماعة من الامراء الى الفرنج وجلس السلطان مجلسا عظيما لقدوم ملوك الفرنج وقد وقف اخوته وأهل بيته بين يديه وصار فى أبهة وناموس مهاب وخرج قسوس الفرنج ورهبانهم الى دمياط فسلموها للمسلمين فى تاسع عشره وكان يوم تسليمها يوما عظيما وعندما تسلم المسلمون دمياط وصارت بأيديهم قدمت نجدة فى البحر للفرنج فكان من جميل صنع الله تأخرها حتى ملكت دمياط بأيدى المسلمين فانها لو قدمت قبل ذلك لقوى بها الفرنج فان المسلمين وجدوا مدينة دمياط قد حصنها الفرنج وصارت بحيث لاترام ولما تم الامر بعث الفرنج بولد السلطان وأمرائه اليه وسير اليهم السلطان من كان عنده من الملوك فى الرهن وتقررت الهدنة بين الفرنج والمسلمين مدة ثمانى سنين وكان مما وقع الصلح عليه أن كلا من المسلمين والفرنج يطلق ما عنده من الاسرى وحلف السلطان واخوته وحلفت ملوك الفرنج وتفرق الناس الى بلادهم ودخل الملك الكامل الى

دمياط باخوته وعساكره وكان يوم دخوله اليها من الايام المذكورة ورحل الفرنج الى بلادهم وعاد السلطان
الى مقر ملكه وأطلقت الاسرى من ديار مصر وكان فيهم من له من ايام السلطان صلاح الدين يوسف وسارت
ملوك الشام بعساكرها الى بلادها وعمت بشارة أخذ المسلمين مدينة دمياط من الفرنج سائر الآفاق فان التتر
كانوا قد استولوا على ممالك المشرق فأشرف الفرنج على أخذ ديار مصر من ايدى المسلمين وكانت مدة نزول
الفرنج على دمياط الى أن أقلعوا عنها سائرين الى بلادهم ثلاث سنين وأربعة أشهر وتسعة عشر يوما منها مدة
استيلائهم على مدينة دمياط سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرون يوما فلما كان فى سنة ست وأربعين وستمائة
حدث بالسلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل محمد ورم فى مأبضه تكون منه ناصور فتح وعسر
برؤه فمرض من ذلك وانضاف اليه قرحة فى الصدر فلزم الفراش الا أن علو همته اقتضى مسيره من ديار مصر
الى الشام فسار فى محفة ونزل بقلعة دمشق فورد عليه رسول الامبرطور ملك الفرنج الالمانية بجزيرة صقلية فى
هيئة تاجر وأخبره سرا بأن بواش الذى يقال له رواد فرنس عازم على المسير الى أرض مصر وأخذها فسار
السلطان من دمشق وهو مريض فى محفة ونزل بأشموم طناح فى المحرم سنة سبع وأربعين وجمع فى مدينة
دمياط من الاقوات والازواد والاسلحة وآلات القتال شيأ كثيرا خوفا أن يجرى على دمياط ما جرى فى أيام
ابيه فأخذت بغير ذلك ولما نزل السلطان بأشموم كتب الى الامير حسام الدين ابى على بن أبى على الهذبانى
نائبه بديار مصر أن يجهز الاسطول من صناعة مصر فشرع فى الاهتمام بذلك وشحن الاسطول بالرجال والسلاح
وسائر ما يحتاج اليه وسيره شيأ بعد شئ وجهز السلطان الامير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ومعه الامراء
والعساكر فنزل بجيزة دمياط من برها الغربى وصار النيل بينه وبينها فلما كان فى الساعة الثانية من نهار الجمعة
لتسع بقين من صفر وردت مراكب الفرنج البحريين وفيها جموعهم العظيمة وقد انضم اليهم فرنج الساحل وأرسوا
بازاء المسلمين وبعث ملكهم الى السلطان كتابا نصه أما بعد فانه لم يخف عليك انى أمين الامة العيسوية كما انه
لا يخفى على انك أمين الامة المحمدية وغير خاف عليك أن عندنا أهل جزائر الاندلس وما يحملونه الينا من
الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء ونستأسر البنات والصبيان
ونخلى منهم الديار وأنا قد أبديت لك ما فيه الكفاية وبذلت لك النصح الى النهاية فلو حلفت لى بكل الايمان
وأدخلت على الاقساء والرهبان وحملت قدامى الشمع طاعة للصلبان لكنت واصلا اليك وقاتلك فى أعز البقاع
اليك فاما أن تكون البلاد لى فياهدية حصلت فى يدى واما أن تكون البلاد لك والغلبة على فيدك العليا ممتدة
الى وقد عرفتك وحذرتك من عساكر حضرت فى طاعتى تملأ السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم
مرسلون اليك بأسياف القضاء فلما قرئ الكتاب على السلطان وقد اشتد به المرض بكى واسترجع فكتب
القاضى بهاء الدين زهير بن محمد الجواب بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه
أجمعين أما بعد فانه وصل كتابك وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك فنحن أرباب السيوف وما قتل
منا فرد الا جددناه ولا بغى علينا باغ الا دمرناه ولو رأت عينك أيها المغرور حد سيوفنا وعظم حروبنا وفتحنا
منكم الحصون والسواحل وتخريبنا ديار الاواخر منكم والاوائل لكان لك أن تعض على أناملك بالندم
ولا بد أن تزل بك القدم فى يوم اوله لنا وآخره عليك فهنالك تسئ الظنون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب
ينقلبون فاذا قرأت كتابى هذا فتكون فيه على أول سورة النحل أتى أمر الله فلا تستعجلوه وتكون على آخر سورة
ص ولتعلمن نبأه بعد حين ونعود الى قول الله تعالى وهو أصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن
الله والله مع الصابرين وقول الحكماء ان الباغى له مصرع وبغيك يصرعك والى البلاء يقلبك والسلام وفى
يوم السبت ورد الفرنج وضربوا خيامهم فى اكثر البلاد التى فيها عساكر المسلمين وكانت خيمة الملك رواد فرنس
حمراء فناوشهم المسلمون القتال واستشهد يومئذ الامير نجم الدين يوسف بن شيخ الاسلام والامير صارم الدين
ازبك الوزيرى فلما أمسى الليل رحل الامير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بعساكر المسلمين جبنا وضعفا
وسار بهم فى بر دمياط وسار الى جهة أشموم طناح فخاف من كان فى مدينة دمياط وخرجوا منها على وجوههم
فى الليل لا يلتفتون الى شئ وتركوا المدينة خالية من الناس ولحقوا بالعسكر فى أشموم وهم حفاة عراة جياع
حيارى بمن معهم من النساء والاولاد ومروا هاربين الى القاهرة فأخذتهم قطاع الطريق ما عليهم من الثياب

وتركوهم عرايا فشنعت القالة على الامير فخر الدين من كل أحد وعظ بجميع ما نزل بالمسلمين من البلاء بسبب هزيمته فان دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والازواد العظيمة والاسلحة وغيرها خوفا أن يصيبها فى هذه المدة ما أصابها فى أيام الكامل فانه ما أتى عليها ذالك الامن قلة الاقوات بها ومع ذلك امتنعت من الفرنج اكثر من سنة حتى فنى اهلها كما تقدم ولكن الله يفعل ما يريد ولما أصبح الفرنج يوم الاحد لسبع بقين من صفر قصدوا دمياط فاذا ابواب المدينة مفتحة ولا أحد يدفع عنها فظنوا أن ذلك مكيدة وتمهلوا حتى ظهر لهم خلوها فدخلوا اليها من غير مانع ولا مدافع واستولوا على ما بها من الاسلحة العظيمة وآلات الحرب والاقوات الخارجة عن الحد فى الكثرة والاموال والامتعة صفوا بغير كلفة فأصيب الاسلام والمسلمون ببلاء لولا لطف الله لمحى اسم الاسلام ورسمه بالكلية وانزعج الناس فى القاهرة ومصر انزعاجا عظيما لما نزل بالمسلمين مع شدة مرض السلطان وعدم حركته وأما السلطان فانه اشتد حنقه على الامير فخر الدين وقال أما قدرت أنت والعساكر أن تقفوا ساعة بين يدى الفرنج وأقام عليه القيامة لكن الوقت لم يكن يسع غير الصبر والاغضاء وغضب على الكنانيين الذين كانوا بدمياط ووبخهم فقالوا ما نعمل اذا كانت عساكر السلطان بأجمعهم وأمراؤه هربوا وأحرقوا الزردخاناه كيف لا نهرب نحن فأمر بشنقهم لكونهم خرجوا من دمياط بغير اذن وكانت عدة من شنق من الامراء الكنانية زيادة على خمسين أميرا فى ساعة واحدة ومن جملتهم أمير جسيم له ابن جميل سأل أن يشنق قبل ابنه فأمر السلطان أن يشنق ابنه قبله فشنق الابن ثم الاب ويقال ان شنق هؤلاء كان بفتوى الفقهاء نخاف جماعة من الامراء وهموا بالقيام على السلطان فأشار عليهم الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ بأن السلطان على خطة فان مات فقد كفيتم أمره والا فهو بين أيديكم وأخذ السلطان فى اصلاح سور المنصورة وانتقل اليها لخمس بقين من صفر وجعل الستائر على السور وقدمت الشوانى الى تجاه المنصورة وفيها العدد الكاملة وشرع العسكر فى تجديد الابنية هنالك وقدم من العربان وأهل النواحى ومن المطوعة خلق لا يحصى عددهم وأخذوا فى الاغارة على الفرنج فلا ٴ الفرنج اسوار مدينة دمياط بالمقاتلة والآلات فلما كان اول ربيع الاول قدم الى القاهرة من اسرى الفرنج الذين تخطفهم العربان ستة وثلاثون منهم فارسان وفى خامس ربيع الآخر ورد منهم تسعة وثلاثون وفى سابعه ورد اثنان وعشرون أسيرا وفى سادس عشره ورد خمسة وأربعون اسيرا منهم ثلاثة خيالة وفى ثامن عشر جمادى الاولى ورد خمسون أسيرا هذا ومرض السلطان يتزايد وقواه تتناقص حتى أيس الاطباء منه وفى ثالث عشر رجب قدم الى القاهرة سبعة وأربعون أسيرا وأحد عشر فارسا وظفر المسلمون بمسطح للفرنج فى البحر فيه مقاتلة بالقرب من نستراوة فلما كانت ليلة الاحد لاربع عشرة مضت من شعبان مات الملك الصالح بالمنصورة فلم يظهر موته وحمل فى تابوت الى قلعة الروضة وقام بأمر العسكر الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ فان شجرة الدر زوجة السلطان لما مات أحضرت الامير فخر الدين والطواشى جمال الدين محسنا واليه أمر المماليك البحرية والحاشية وأعلمتهما بموته فكتما ذلك خوفا من الفرنج لانهم كانوا قد أشرفوا على تملك ديار مصر فقام الامير فخر الدين بالتدبير وسيروا الى الملك المعظم توران شاه وهو بحصن كيفا الفارس اقطاى لاحضاره وأخذ الامير فخر الدين فى تحليف العسكر للملك الصالح وابنه الملك المعظم بولاية العهد من بعده وللامير فخر الدين بأتابكية العسكر والقيام بأمر الملك حتى حلفهم كلهم بالمنصورة وبالقاهرة فى دار الوزارة عند الامير حسام الدين بن أبى على فى يوم الخميس لاثنتى عشرة بقيت من شعبان وكانت العلامات تخرج من الدهاليز السلطانية بالمنصورة الى القاهرة بخط خادم يقال له سهيل لا يشك من رءاها انها خط السلطان ومشى ذلك على الامير حسام الدين بالقاهرة ولم يتفوه أحد بموت السلطان الى أن كان يوم الاثنين لثمان بقين من شعبان ورد الامر الى القاهرة بدعاء الخطباء فى الجمعة الثانية للملك المعظم بعد الدعاء للسلطان وأن ينقش اسمه على السكة فلما علم الفرنج بموت السلطان خرجوا من دمياط بفارسهم وراجلهم وشوانيهم تحاذيهم فى البحر حتى نزلوا فارسكور يوم الخميس لخمس بقين من شعبان فورد فى يوم الجمعة من الغد كتاب الى القاهرة من العسكر أوله انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه مواعظ بليغة بالحث على الجهاد فقرئ على منبر جامع القاهرة وقد جمع الناس لسماعه فارتجت القاهرة ومصر وظواهرهما بالبكاء والعويل وأيقن الناس باستيلاء الفرنج على البلاد لخلو الوقت من ملك يقوم بالامر لكنهم لم يهنوا

وخرجوا من القاهرة ومصر وسائر الاعمال فاجتمع عالم عظيم فلما كان يوم الثلاثاء أول شهر رمضان اقتتل المسلمون والفرنج فاستشهد العلائى أمير مجلس وجماعة ونزل الفرنج شارمساح وفى يوم الاثنين سابعه نزلوا البرمون فاضطرب الناس وزلزلوا زلزالا شديدا لقربهم من العسكر وفى يوم الاحد ثالث عشره وصلوا تجاه المنصورة وصار بينهم وبين المسلمين بحر أشموم وخندقوا عليهم وأداروا على خندقهم سورا ستروه بكثير من الستائر ونصبوا المجانيق ليرموا بها على المسلمين وصارت شوانيهم بازائهم فى بحر النيل وشوانى المسلمين بازاء المنصورة والتحم القتال برا وبحرا وفى سادس عشره نفر الى المسلمين ستة خيالة أخبروا بمضايقة الفرنج وفى يوم عيد الفطر أسروا من الفرنج كند من أقارب الملك وأبلى عوام المسلمين فى قتال الفرنج بلاء كبيرا وأنكوهم نكاية عظيمة وصاروا يقتلون منهم فى كل وقت ويأسرون ويلقون أنفسهم فى الماء ويعبرون منه الى الجانب الذى فيه الفرنج ويتحيلون فى اختطاف الفرنج بكل حيلة ولا يهابون الموت حتى ان انسانا قوّر بطيخة وجعلها على رأسه وغطس فى الماء حتى حاذى الفرنج فظنه بعضهم بطيخة ونزل حتى يأخذها فخطفه وأتى به الى المسلمين وفى يوم الاربعاء سابع شوال أخذ المسلمون شونة للفرنج فيها كند ومائتا رجل وفى يوم الخميس النصف منه ركب الفرنج الى بر المسلمين واقتتلوا فقتل منهم أربعون فارسا وسير فى عدة الى القاهرة بسبعة وستين أسيرا منهم ثلاثة من أكابر الدوادارية وفى يوم الخميس ثانى عشريه احرقت للفرنج مرمة عظيمة فى البحر واستظهر المسلمون عليهم وكان بحر أشموم فيه مخايض فدل بعض من لا دين له ممن يظهر الاسلام الفرنج عليها فركبوا سحر يوم الثلاثاء خامس ذى القعدة أو رابعه ولم يشعر المسلمون بهم الا وقد هجموا على العسكر وكان الامير فخر الدين قد عبر الى الحمام فأتاه الصريخ بأن الفرنج قد هجموا على العسكر فركب دهشا غير معتد ولا متحفظ وساق ليأمر الامراء والاجناد بالركوب فى طائفة من مماليكه فلقيه عدة من الفرنج الدوادارية وحملوا عليه ففر أصحابه وأتته طعنة فى جنبه وأخذته السيوف من كل جانب حتى لحق بالله عز وجل وفى الحال غدت مماليكه فى طائفة الى داره وكسروا صناديقه وخزائنه ونهبوا امواله وخيوله وساق الفرنج عند مقتل الامير فخر الدين الى المنصورة ففر المسلمون خوفا منهم وتفرقوا يمنة ويسرة وكادت الكسرة أن تكون وتمحو الفرنج كلمة الاسلام من أرض مصر ووصل الملك روادفرنس الى باب قصر السلطان ولم يبق الا أن يملكه فأذن الله تعالى أن طائفة المماليك من البحرية والجمدارية الذين استجدهم الملك الصالح ومن جملتهم بيبرس البندقدارى حملوا على الفرنج حملة صدقوا فيها اللقاء حتى أزاحوهم عن مواقفهم وأبلوا فى مكافحتهم بالسيوف والدبابيس فانهزموا وبلغت عدة من قتل من فرسان الفرنج الخيالة فى هذه النوبة ألفا وخمسمائة فارس وأما الرجالة فانها كانت وصلت الى الجسر لتعدى فلو تراخى الامر حتى صاروا مع المسلمين لاعضل الداء على أن هذه الواقعة كانت بين الازقة والدروب ولولا ضيق المجال لما أفلت من الفرنج أحد فنجا من بقى منهم وضربوا عليهم سورا وحفروا خندقا وصارت طائفة منهم فى البر الشرقى ومعظمهم فى الجزيرة المتصلة بدمياط وكانت البطاقة عند الكسرة سرحت على جناح الطائر الى القاهرة فانزعج الناس انزعاجا عظيما ووردت السوقة وبعض العسكر ولم تغلق ابواب القاهرة ليلة الاربعاء وفى يوم الاربعاء سقط الطائر بالبشارة بهزيمة الفرنج وعدة من قتل منهم فزينت القاهرة وضربت البشائر بقلعة الجبل وسار المعظم توران شاه الى دمشق فدخلها يوم السبت آخر شهر رمضان واستولى على من بها ولاربع مضين من شوال سقط الطائر بوصوله الى دمشق فضربت البشائر فى العسكر بالمنصورة وفى قلعة الجبل وسار من دمشق لثلاث بقين منه فتواترت الاخبار بقدومه وخرج الامير حسام الدين بن أبى على الى لقائه فوافاه بالصالحية لاربع عشرة بقيت من ذى القعدة ومن يومئذ أعلن بموت الملك الصالح بعدما كان قبل ذلك لا ينطق أحد بموته البتة بل الامور على حالها والدهليز السلطانى بحاله والسماط على العادة وشجرة الدر أم خليل زوجة السلطان تدبر الامور وتقول السلطان مريض ما اليه وصول ثم سار من الصالحية فتلقاه الامراء والمماليك واستقر بقصر السلطنة من المنصورة يوم الثلاثاء تاسع عشر ذى القعدة وفى أثناء هذه المدة عمل المسلمون مراكب وحملوها على الجمال الى بحر المحلة وأنزلوها فيه وشحنوها بالمقاتلة فعندما حاذت مراكب الفرنج بحر المحلة وثبت المراكب فيه مكمنة خرجت عليهم ووقع الحرب بينهما وقدم الاسطول الاسلامى من جهة المنصورة وأحاط بمراكب الفرنج فظفر باثنين وخمسين مركبا للفرنج وقتل

وأسر منهم نحو ألف رجل فانقطعت الميرة عن الفرنج واشتد عندهم الغلاء وصاروا محصورين فلما كان اول يوم من ذى الحجة أخذ الفرنج من المراكب التى فى بحر المحلة سبع حراريق وفر من كان فيها من المسلمين وفى يوم عرفة برزت الشوانى الاسلامية الى مراكب قدمت للفرنج فيها ميرة فأخذت منها اثنين وثلاثين مركبا منها تسع شوانى فوهنت قوة الفرنج وتزايد الغلاء عندهم وشرعوا فى طلب الهدنة من المسلمين على أن يسلموا دمياط ويأخذوا بدلا منها القدس وبعض بلاد الساحل فلم يجابوا الى ذلك فلما كان اليوم السابع والعشرون من ذى الحجة أحرق الفرنج اخشابهم كلها وأتلفوا مراكبهم يريدون التحصن بدمياط ورحلوا فى ليلة الاربعاء لثلاث مضين من المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة الى دمياط وأخذت مراكبهم فى الانحدار قبالتهم فركب المسلمون أقفيتهم بعدما عدوا الى برهم وطلع الفجر من يوم الاربعاء وقد أحاط المسلمون بالفرنج وقتلوا وأسروا منهم كثيرا حتى قيل ان عدد من قتل من الفرسان على فارسكور يزيد على عشرة آلاف وأسر من الخيالة والرجالة والصناع والسوقة ما يناهز مائة ألف ونهب من المال والذخائر والخيول والبغال مالا يحصى وانحاز الملك روادفرنس واكابر الفرنج الى تل ووقفوا مستسلمين وسألوا الامان فأمنهم الطواشى جمال الدين محسن الصالحى ونزلوا على أمانه وأحيط بهم وسيقوا الى المنصورة فقيد روادفرنس واعتقل فى الدار التى كان ينزل فيها القاضى فخر الدين ابراهيم بن لقمان كاتب الانشاء ووكل به الطواشى صبيح المعظمى واعتقل معه أخوه ورتب له راتب يحمل اليه فى كل يوم ورسم الملك المعظم لسيف الدين يوسف بن الطورى أحد من وصل صحبته من الشرق أن يتولى قتل الاسرى فكان يخرج منهم كل ليلة ثلثمائة رجل ويقتلهم ويلقيهم فى البحر حتى فنوا * ولما قبض على الملك روادفرنس رحل الملك المعظم من المنصورة ونزل بالدهليز السلطانى على فارسكور وعمل له برجا من خشب وتراخى فى قصد دمياط وكتب بخطه الى الامير جمال الدين بن يغمور نائبه بدمشق وولده توران شاه الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وما النصر الامن عند الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وأما بنعمة ربك فحدث وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها نبشر المجلس السامى الجمالى بل نبشر المسلمين كافة بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين فانه كان قد استكمل أمره واستحكم شره ويئس العباد من البلاد والاهل والاولاد فنودوا لا تيأسوا من روح الله ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة وهى سنة ثمان وأربعين وستمائة تمم الله على الاسلام بركتها ففتحنا الخزائن وبذلنا الاموال وفرقنا السلاح وجمعنا العربان والمطوعة وخلقا لا يعلمهم الا الله جاؤا من كل فج عميق ومكان سحيق فلما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع الاتفاق بينهم وبين الملك الكامل فأبينا ولما كانت ليلة الاربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم وقصدوا دمياط هاربين فسرنا فى آثارهم طالبين ومازال السيف يعمل فى أدبارهم عامة الليل وقد حل بهم الخزى والويل فلما أصبحنا يوم الاربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من ألقى نفسه فى اللجج وأما الاسرى فحدث عن البحر ولا حرج والتجأ الفرنسيس الى المنية وطلب الامان فأمناه وأخذناه وأكرمناه وسلمنا دمياط بعون الله تعالى وقوته وجلاله وعظمته وبعث مع الكتاب غفارة الملك فرنسيس فلبسها الامير جمال الدين بن يغمور وهى اشكرلاط احمر بفرو سنجاب فقال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل

ان غفارة الفرنسيس جاءت * فهى حقا لسيد الامراء

كبياض القرطاس لونا ولكن * صبغتها سيوفنا بالدماء

وقال آخر

أسيد أملاك الزمان باسرهم * تنجزت من نصر الاله وعوده

فلا زال مولانا يبيح حمى العدى * ويلبس أثواب الملوك عبيده

وأخذ الملك المعظم يهدد زوجة أبيه شجرة الدر ويطالبها بمال أبيه فخافته وكاتبت مماليك الملك الصالح تحرضهم عليه وكان المعظم لما وصل اليه الفارس أقطاى الى حصن كيفا وعده أن يعطيه امرة فلم يف له بها وأعرض مع ذلك عن مماليك أبيه واطرح امراءه وصرف الامير حسام الدين بن أبى على عن نيابة السلطنة وأحضره الى العسكر ولم يعبأ به وأبعد غلمان ابيه واختص بمن وصل معه من المشرق وجعلهم فى الوظائف السلطانية فجعل الطواشى مسرورا خادمه استادارا وعمل صبيحا وكان عبدا حبشيا فحلا خازنداره وأمر أن

تكون له عصا من ذهب وأعطاه مالا جزيلا واقطاعات جليلة وكان اذا سكر جمع الشمع وضرب رؤسها بالسيف حتى تنقطع ويقول هكذا افعل بالبحرية فانه كان فيه هرج وخفة واحتجب على العكوف بالاذه فنفرت منه النفوس وبقى كذلك الى يوم الاثنين تاسع عشرى المحرم وقد جلس على السماط فتقدم اليه أحد المماليك البحرية وضربه بسيف قطع اصابع يديه ففر الى البرج فاقتحموا عليه وسيوفهم مصلتة فصعد أعلى البرج الخشب فرموه بالنشاب وأطلقوا النار فى البرج فألقى نفسه ومر الى البحر وهو يقول ما أريد ملككم دعونى أرجع الى الحصن يا مسلمين ما فيكم من يصطنعنى ويجيرنى وسائر العساكر بالسيوف واقفة فلم يجبه أحد والنشاب يأخذه من كل ناحية وأدركوه فقطع بالسيوف ومات حريقا غريقا قتيلا فى يوم الاثنين المذكور وترك على الشط ثلاثة أيام ثم دفن ولما قتل الملك المعظم اتفق أهل الدولة على اقامة شجرة الدر والدة خليل فى مملكة مصر وأن يكون مقدم العسكر الامير عز الدين أيبك التركمانى الصالحى وحلف الكل على ذلك وسيروا اليها عز الدين الرومى فقدم عليها فى قلعة الجبل وأعلمها بما اتفق فرضيت به وكتبت على التواقيع علامتها وهى والدة خليل وخطب لها على المنابر بمصر والقاهرة وجرى الحديث مع الملك روادفرنس فى تسليم دمياط وتولى مفاوضته فى ذلك الامير حسام الدين بن أبى على الهدبانى فأجاب الى تسليمها وأن يخلى عنه بعد محاورات وسير الى الفرنج بدمياط يأمرهم بتسليمها الى المسلمين فسلموها بعد جهد جهيد من كثرة المراجعات فى يوم الجمعة ثالث صفر ورفع العلم السلطانى على سورها وأعلن فيها بكلمة الاسلام وشهادة الحق بعد ما أقامت بيد الفرنج احد عشر شهرا وسبعة أيام وأفرج عن الملك روادفرنس وعن أخيه وزوجته ومن بقى من اصحابه الى البر الغربى وركبوا البحر من الغد وهو يوم السبت رابع صفر وأقلعوا الى عكا * وفى هذه النوبة يقول الوزير جمال الدين يحيى بن مطروح

قل للفرنسيس اذا جئته * مقال نصح عن قؤول نصيح
آجرك الله على ما جرى * من قبل عباد يسوع المسيح
أتيت مصر تبتغى ملكها * تحسب أن الزمر يا طبل ريح
فساقك الحين الى ادهم * ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم * بحسن تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفا لا يرى منهم * الا قتيل أو اسير جريح
وفقك الله لامثالها * لعل عيسى منكم يستريح
ان كان بابا كم بذا راضيا * فرب غش قد أتى من نصيح
قل لهم ان أضمروا عودة * لاخذ ثار او لقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالها * والقيد باق والطواشى صبيح

وقدر الله أن الفرنسيس هذا بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع عدة جموع وقصد تونس فقال شاب من اهلها يقال له احمد بن اسمعيل الزيات

يا فرنسيس هذه أخت مصر * فتأهب لما اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر * وطواشيك منكر ونكير

فكان هذا فالا حسنا فانه مات وهو على محاصرة تونس ولما تسلم الامراء دمياط وردت البشرى الى القاهرة فضربت البشائر وزينت القاهرة ومصر ونقدمت العساكر من دمياط يوم الخميس تاسع صفر فلما كان فى سلطنة الاشرف موسى بن الملك المسعود أقسيس بن الملك الكامل والملك المعز عز الدين التركمانى وكثر الاختلاف بمصر واستولى الملك الناصر يوسف بن العزيز على دمشق اتفق أرباب الدولة بمصر وعم المماليك البحرية على تخريب مدينة دمياط خوفا من مسير الفرنج اليها مرة اخرى فسيروا اليها الحجارين والفعلة فوقع الهدم فى أسوارها يوم الاثنين الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وأربعين وستمائة حتى خربت كلها ومحيت آثارها ولم يبق منها سوى الجامع وصار فى قبليها أخصاص على النيل سكنها الناس الضعفاء وسموها المنشية وهذا السور هو الذى بناه أمير المؤمنين المتوكل على الله كما تقدم ذكره فلما استبد الملك الظاهر بيبرس البندقدارى

الصالحى بمملكة مصر بعد قتل الملك المظفر قطز اخرج من مصر عدة من الحجارين فى سنة تسع وخمسين وستمائة لردم فم بحر دمياط فمضوا وقطعوا كثيرا من القرابيص وألقوها فى بحر النيل الذى ينصب من شمال دمياط فى البحر الملح حتى ضاق وتعذر دخول المراكب منه الى دمياط وهو الى اليوم على ذلك لا تقدر مراكب البحر الكبار أن تدخل منه وانما ينقل ما فيها من البضائع فى مراكب نيلية تعرف عند أهل دمياط بالجروم واحدها جرم وتصير مراكب بحر الملح واقفة بآخر البحر قريبا من ملتقى البحرين ويزعم اهل دمياط الآن أن سبب امتناع دخول مراكب البحر جبل فى فم البحر أو رمل يتربى هنالك وهذا قول باطل حملهم عليه ما يجدونه من تلاف المراكب اذا هجمت على هذا المكان وجهلهم باحوال الوجود وما مر من الوقائع والى يومنا هذا يخاف على المراكب عند ورودها فم البحر وكثيرا ما تتلف فيه * وقد سرت اليه حتى شاهدته ورأيته من أعجب ما يراه الانسان * وأما دمياط الآن فانها حدثت بعد تخريب مدينة دمياط وعمل هنالك أخصاص وما برحت تزداد الى أن صارت بلدة كبيرة ذات أسواق وحمامات وجوامع ومدارس ومساجد ودورها تشرف على النيل الاعظم ومن ورائها البساتين وهى أحسن بلاد الله منظرا * وقد أخبرنى الامير الوزير المشير الاستادار يلبغا السالمى رحمه الله أنه لم يرفى البلاد التى سلكها من سمرقند الى مصر أحسن من دمياط هذه فظننت أنه يغلو فى مدحها الى أن شاهدتها فاذا هى أحسن بلد وأنزهه * وفيها اقول

سقى عهد دمياط وحياه من عهد * فقد زادنى ذكراه وجدا على وجد
ولا زالت الانواء تسقى سحابها * ديارا حكت من حسنها جنة الخلد
فيا حسن هاتيك الديار وطيبها * فكم قد حوت حسنا يجل عن العد
فلله أنهار تحف بروضها * لكالمرهف المصقول اوصفحة الخد
وبشنينها الريان يحكى متيما * تبدل من وصل الاحبة بالصد
فقام على رجليه فى الدمع غارقا * يراعى نجوم الليل من وحشة الفقد
وظل على الاقدام تحسب انه * لطول انتظار من حبيب على وعد
ولاسيما تلك النواعير انها * تجدد حزن الواله المدنف الفرد
اطارحها شجوى وصارت كانما * تطارح شكواها بمثل الذى أبدى
فقد خلتها الافلاك فيها نجومها * تدور بمحض النفع منها وبالسعد
وفى البرك الغراء يا حسن نوفر * حلا وغدا بالزهو يسطو على الورد
سماء من البلور فيها كواكب * عجيبة صبغ اللون محكمة النضد
وفى شاطئ النيل المقدس نزهة * تعيد شباب الشيب فى عيشه الرغد
وتنشى رياحا تطرد الهم والاسى * وتنشى ليالى الوصل من طيبها عندى
وفى مرج البحرين جم عجائب * تلوح وتبدو من قريب ومن بعد
كأن التقاء النيل بالبحر اذ غدا * ملكان سارا فى الجحافل من جند
وقد نزلا للحرب واحتدم اللقا * ولا طعن الا بالمثقفة الملد
فظلا كما باتا وما برحا كما * هما من جليل الخطب فى اعظم الجهد
فكم قد مضى لى من افانين لذة * بشاطئها العذب الشهى لذى الورد
وكم قد نعمنا فى البساتين برهة * بعيش هنىء فى أمان وفى سعد
وفى البرزخ المأنوس كم لى خلوة * وعند شطا عن أيمن العلم الفرد
هنالك ترى عين البصيرة ما ترى * من الفضل والافضال والخير والمجد
فيارب هيئ لى بفضلك عودة * ومن بها فى غير بلوى ولا جهد

وبدمياط حيث كانت المدينة التى هدمت جامع من اجل مساجد المسلمين تسميه العامة مسجد فتح وهو المسجد الذى أسسه المسلمون عند فتح دمياط اول ما فتح الله أرض مصر على يد عمرو بن العاص وعلى بابه مكتوب بالقلم الكوفى انه عمر بعد سنة خمسمائة من الهجرة وفيه عدة من عمد الرخام منها ما يعز وجود مثله وانما عرف

بجامع

بجامع فتح لنزول شخص يقال له فاتح به فقالت العامة جامع فتح وانما هو فاتح بن عثمان الاسمر التكرورى
قدم من مراكش الى دمياط على قدم التجريد وسقى بها الماء فى الاسواق احتسابا من غير أن يتناول من احد
شيأ ونزل فى ظاهر الثغر ولزم الصلاة مع الجماعة وترك الناس جميعا ثم أقام بناحية تونة من بحيرة تنيس وهى
خراب نحو سبع سنين ورمّ مسجدها ثم انتقل من تونة الى جامع دمياط وأقام فى وكر بأسفل المنارة من غير أن
يخالط أحدا الا اذا اقيمت الصلاة خرج وصلى فاذا سلم الامام عاد الى وكره فان عارضه أحد بحديث كلمه وهو
قائم بعد انصرافه من الصلاة وكانت حاله أبدا اتصالا فى انفصال وقربا فى ابتعاد وانسا فى تنافر وحج فكان
يفارق اصحابه عند الرحيل فلا يرونه الا وقت النزول ويكون سيره منفردا عنهم لا يكلم أحدا الى أن عاد الى
دمياط فأخذ فى ترميم الجامع وتنظيفه بنفسه حتى نقى ما كان فيه من الوطواط بسقوفه وساق الماء الى
صهاريجه وبلط صحنه وسبك سطحه بالجبس وأقام فيه وكان قبل ذلك من حين خربت دمياط لا يفتح الا فى يوم
الجمعة فقط فرتب فيه اماما راتبا يصلى الخمس وسكن فى بيت الخطابة وواظب على اقامة الاوراد به وجعل فيه
قراء يتلون القرءان بكرة وأصيلا وقرر فيه رجلا يقرأ ميعادا يذكر الناس ويعلمهم وكان يقول لو علمت بدمياط
مكانا أفضل من الجامع لاقمت به ولو علمت فى الارض بلدا يكون فيه الفقير أخمل من دمياط لرحلت اليه وأقمت به
وكان اذا ورد عليه أحد من الفقراء ولا يجد ما يطعمه باع من لباسه ما يضيفه به وكان يبيت ويصبح وليس له
معلوم ولا ما يقع عليه العين او تسمعه الاذن وكان يؤثر فى السر الفقراء والارامل ولا يسأل أحدا شيأ ولا يقبل
غالبا واذا قبل ما يفتح الله عليه آثر به وكان يبذل جهده فى كتم حاله والله تعالى يظهر خيره وبركته من غير قصد
منه لذلك وعرفت له عدة كرامات وكان سلوكه على طريق السلف من التمسك بالكتاب والسنة والنفور عن الفتنة
وترك الدعاوى واطراحها وستر حاله والتحفظ فى اقواله وأفعاله وكان لا يراه أحد فى الليل ولا يعلم أحد يوم
صومه من يوم فطره ويجعل دائما قول ان شاء الله تعالى مكان قول غيره رحمه الله ثم ان الشيخ عبد العزيز الدميرى
أشار عليه بالنكاح وقال له النكاح من السنة فتزوج فى آخر عمره بامرأتين لم يدخل على واحدة منهما نهارا
البتة ولا أكل عندهما ولا شرب قط وكان ليله ظرفا للعبادة لكنه يأتى اليهما أحيانا وينقطع أحيانا لاستغراق
زمنه كله فى القيام بوظائف العبادات وايثار الخلوة وكان خواص خدمه لا يعلمون بصومه من فطره وانما يحمل
اليه ما يأكل ويوضع عنده بالخلوة فلا يرى قط آكلا وكان يحب الفقر ويؤثر حال المسكنة ويتطارح على الخمول
والجفا ويتواضع مع الفقراء ويتعاظم على العظماء والاغنياء وكان يقرأ فى المصحف ويطالع الكتب ولم ير أحد
يخط بيده شيأ وكانت تلاوته للقرءان بخشوع وتدبر ولم يعمل له سجادة قط ولا أخذ على أحد عهدا ولا لبس
طاقية ولا قال انا شيخ ولا أنا فقير وحتى قال فى كلامه انا تفطن لما وقع منه واستعاذ بالله من قول انا ولا حضر
قط سماعا ولا أنكر على من يحضره وكان سلوكه صالحا من غير اصلاح وبيانه فى الترفع على ابناء الدنيا وترامى
على الفقراء ويتقدم اليهم بالاكل ولم يتقدم لغنى اكلا البتة واذا اجتمع عنده الناس قدم الفقير على الغنى واذا
مشى الفقير من عنده سار معه وشيعه عدة خطوات وهو حاف بغير نعل ووقف على قدميه ينظره حتى يتوارى
عنه ومن كان من الفقراء يشار اليه بمشيخة جلس بين يديه بأدب مع امامته وتقدمه فى الطريق ويقول ما أقول
لاحد افعل او لا تفعل من أراد السلوك يكفيه أن ينظر الى أفعاله فان من لم ينتفع بنظره لا ينتفع بسمعه وقال
له شخص من خواصه يا سيدى ادع الله لنا أن يفتح علينا فنحن فقراء فقال ان أردتم فتح الله فلا تبقوا فى البيت
شيأ ثم اطلبوا فتح الله بعد ذلك فقد جاء لاتسألن الله ولا تختم من حديثه ومن كلامه ستر بجانب بكر اذا سألت
زالت بكارته وسأله بعض خواصه أن يدعوله بسعة وشكا له الضيق فقال لا ما ادعو بسعة بل اطلب لك
الافضل والاكمل وكان مع اشتغاله بالعبادة واستغراق اوقاته فيها لا يغفل عن صاحبه ولا يدع حاجته حتى
يقضيها ويلازم الوفاء لاصحابه ويحسن معاشرتهم ويعرف احوال الناس على طبقاتهم ويعظم العلم ويكرم
الايتام ويشفق على الضعفاء والارامل ويبذل شفاعته فى قضاء حوائج الناس وتمامها من غير أن يمل ولا يتبرم
بكثرتها ويكثر من الايثار فى السر ولا يمسك لنفسه شيأ ويستقل ما منه مع كثرة احسانه ويستكثر ما يدفع
اليه وان كان يسيرا ويكافئ عليه باحسن منه ولم يصحب قط اميرا ولا وزيرا بل كان فى سلوكه وطريقته يرفع
فى تواضع ويعز مع مسكنة وقرب فى ابتعاد واتصال فى انفصال وزهد فى الدنيا واهلها وكان اكبر من خبره

ومن دعائه لنفسه ولمن يسأل له الدعاء اللهم بعد ناعن الدنيا وأهلها وبعدها عنا وما زال على ذلك الى أن مات آخر ليلة أسفر صباحها عن الثامن من شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وستمائة وترك ولدين ليس لهما قوت ليلة وعليه مبلغ ألفي درهم دينا ودفن بجوار الجامع وقبره يزار الى يومنا هذا

(ذكر شطا)

شطا مدينة عند تنيس ودمياط واليها تنسب الثياب الشطوية ويقال انها عرفت بشطا بن الهاموك وكان ابوه خال المقوقس وكان على دمياط فلما فتح الله الحصن على يد عمرو بن العاص واستولى على أرض مصر جهز بعثا لفتح دمياط فنازلوها الى أن ملكوا سور المدينة فخرج شطا في ألفين من اصحابه ولحق بالمسلمين وقد كان قبل ذلك يحب الخير ويميل الى ما يسمعه من سيرة اهل الاسلام ولما ملك المسلمون دمياط امتنع عليهم صاحب تنيس فخرج شطا الى البرلس والدميرة واشموم طناح يستنجد لجمع الناس لقتال اهل تنيس وسار بهم مع من كان بدمياط من المسلمين ومن قدم مددا من عند عمرو بن العاص الى قتال اهل تنيس فالتقى الفريقان وأبلى شطا منهم بلاء حسنا وقتل من أبطال تنيس اثني عشر رجلا واستشهد في ليلة الجمعة النصف من شعبان سنة احدى وعشرين من الهجرة فقبر حيث هو الآن خارج دمياط وبني على قبره وصار الناس يجتمعون هناك في ليلة النصف من شعبان كل عام ويغدون للحضور من القرى وهم على ذلك الى يومنا هذا وكانت تعمل كسوة الكعبة بشطا قال الفاكهي ورأيت فيها كسوة من كسا أمير المؤمنين هرون الرشيد من قباطي مصر مكتوبا عليها بسم الله بركة من الله لعبد الله هرون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين بصنعته في طراز شطا كسوة الكعبة سنة احدى وتسعين ومائة *ومن المواضع المشهورة بدمياط *(البرزخ)* وهو مسجد بجيرة دمياط تسميه العامة البرزخ ولا اعرف مستندهم في ذلك وشاهدت فيه عجبا وهو أن به منارة كبيرة مبنية من الآجر اذا هزها أحد اهتزت فلما صعدت أعلاها حيث يقف المؤذنون وحركتها رأيت ظلها قد تحرك بتحريكي لها ويوجد حول هذا المسجد رمم أموات يشبه أن تكون ممن استشهد في وقائع الفرنج والله يعلم وأنتم لا تعلمون *(دبيق)* قرية من قرى دمياط ينسب اليها الثياب المثقلة والعمائم الشرب الملونة والدبيقي العلم المذهب وكانت العمائم الشرب المذهبة تعمل بها ويكون طول كل عمامة منها مائة ذراع وفيها رقمات منسوجة بالذهب فتبلغ العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل وحدثت هذه العمائم وغيرها في أيام العزيز بالله بن المعز سنة خمس وستين وثلثمائة الى أن مات في شعبان سنة ست وثمانين وثلثمائة *(النحريرية)* قرية من الاعمال الغربية أسس حكرها الامير شمس الدين سنقر السعدي نقيب الجيش في ايام الناصر محمد بن قلاون وبالغ في عمارتها فبلغت في ايامه عشرة آلاف درهم فضة ثم خرج عنها فعمرت للسلطان واتسع امرها حتى أنشئ فيها زيادة على ثلاثين بستانا ووصل حكرها لكثرة سكانها الى ألف درهم فضة لكل فدان وصارت بلدا كبير العمل يبلغ في السنة ما بين خراجي وهلالي ثلثمائة الف درهم فضة عنها خمسة عشر ألف دينار ذهبا ومات سنقر هذا في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة واليه تنسب المدرسة السعدية بخط حدرة البقر خارج باب زويلة *(جزيرة بني نصر)* منسوبة الى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وذلك أن بني حماس بن ظالم بن جعيل بن عمرو بن درهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن كانت لهم شوكة شديدة بأرض مصر وكثروا حتى ملؤا أسفل الارض وغلبوا عليها حتى قويت عليهم قبيلة من البربر تعرف بلواتة ولواتة تزعم انها من قيس فأجلت بني نصر وأسكنتها الجدار فصاروا اهل قرى في مكان عرف بهم وسط النيل وهي جزيرة بني نصر هذه

(ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر ودمشق)

اعلم أن البريد أول من رتب دوابه الملك دارا بن بهمن بن كيبشتاسف بن كيهراسف أحد ملوك الفرس وأما في الاسلام فأول من أقام البريد أمير المؤمنين المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور أقامه فيما بين مكة والمدينة واليمن وجعله بغالا وابلا وذلك في سنة ست وستين ومائة وأصل هذه الكلمة بريد ذنب فان دارا أقام في سكك البريد دواب محذوفة الاذناب سميت بريد ذنب ثم عربت وحذف منها نصفها الاخير فقيل بريد وهذا الدرب

الذى يسلكه العساكر والتجار وغيرهم من القاهرة على الرمل الى مدينة غزة ليس هو الدرب الذى يسلك فى القديم من مصر الى الشام ولم يحدث هذا الدرب الذى يسلك فيه من الرمل الآن الا بعد الخمسمائة من سنى الهجرة عندما انقرضت الدولة الفاطمية وكان الدرب اولا قبل استيلاء الفرنج على سواحل البلاد الشامية غير هذا قال أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه فى كتاب المسالك والممالك وصفة الارض والطريق من دمشق الى الكسوة اثنا عشر ميلا ثم الى جاسم أربعة وعشرون ميلا ثم الى فيق أربعة وعشرون ميلا ثم الى طبرية مدينة الاردن ستة اميال ومن طبرية الى اللجون عشرون ميلا ثم الى القلنسوة عشرون ميلا ثم الى الرملة مدينة فلسطين أربعة وعشرون ميلا والطريق من الرملة الى أزدود اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش أربعة وعشرون ميلا فى رمل ثم الى الورادة ثمانية عشر ميلا ثم الى أم العرب عشرون ميلا ثم الى الفرما أربعة وعشرون ميلا ثم الى جرير ثلاثون ميلا ثم الى القاصرة أربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاعة ثمانية عشر ميلا ثم الى بلبيس احد وعشرون ميلا ثم الى الفسطاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلا فهذا كما ترى انما كان الدرب المسلوك من مصر الى دمشق على غير ما هو الآن فيسلك من بلبيس الى الفرما فى البلاد التى تعرف اليوم ببلاد السباخ من الحوف ويسلك من الفرما وهى بالقرب من قطية الى أم العرب وهى بلاد خراب على البحر فيما بين قطية والورادة ويقصدها قوم من الناس ويحفرون فى كيمانها فيجدون دراهم من فضة خالصة ثقيلة الوزن كبيرة المقدار ويسلك من أم العرب الى الورادة وكانت بلدة فى غير موضعها الآن قد ذكرت فى هذا الكتاب فلما خرج الفرنج من بحر القسطنطينية فى سنة تسعين وأربعمائة لاخذ البلاد من أيدى المسلمين وأخذ بغدوين الشوبك وعمره فى سنة تسع وخمسمائة وكان قد خرب من تقادم السنين وأغار على العريش وهو يومئذ عامر بطل السفر حينئذ من مصر الى الشام وصار يسلك على طريق البر مع العرب مخافة الفرنج الى أن استنقذ السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بيت المقدس من ايدى الفرنج فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة واكثر من الايقاع بالفرنج وفتح منهم عدة بلاد بالساحل وصار يسلك هذا الدرب على الرمل فسلكه المسافرون من حينئذ الى أن ولى ملك مصر الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل محمد بن العادل ابى بكر ابن ايوب فأنشأ بأرض السباخ على طرف الرمل بلدة عرفت الى اليوم بالصالحية وذلك فى سنة اربع وأربعين وستمائة وصار ينزل بها ويقيم فيها ونزل بها من بعده الملوك فلما ملك مصر الملك الظاهر بيبرس البندقدارى رتب البريد فى سائر الطرقات حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل الى دمشق فى أربعة ايام ويعود فى مثلها فصارت أخبار الممالك ترد اليه فى كل جمعة مرتين ويتحكم فى سائر ممالكه بالعزل والولاية وهو مقيم بالقلعة وأنفق فى ذلك مالا عظيما حتى تم ترتيبه وكان ذلك فى سنة تسع وخمسين وستمائة وما زال أمر البريد مستمرا فيما بين القاهرة ودمشق يوجد بكل مركز من مراكزه عدة من الخيول المعدة للركوب وتعرف بخيل البريد وعندها عدة سواس وللخيل رجال يعرفون بالسواقين واحدهم سواق يركب مع من رسم بركوبه خيل البريد يسوق له فرسه ويخدمه مدة مسيره ولا يركب أحد خيل البريد الا بمرسوم سلطانى فتارة يمنع الناس من ركوبه الا من انتدبه السلطان لمهماته وتارة يركبه من يريد السفر من الاعيان بمرسوم سلطانى وكانت طرق الشام عامرة يوجد بها عند كل بريد ما يحتاج اليه المسافر من زاد وعلف وغيره ولكثرة ما كان فيه من الامن ادركنا المرأة تسافر من القاهرة الى الشام بمفردها راكبة او ماشية لا تحمل زادا ولا ماء فلما أخذ تيمورلنك دمشق وسبى اهلها وحرقها فى سنة ثلاث وثمانمائة خربت مراكز البريد واشتغل اهل الدولة بما نزل بالبلاد من المحن وما دهوا به من كثرة الفتن عن اقامة البريد فاختل بانقطاعه طريق الشام خللا فاحشا والامر على ذلك الى وقتنا هذا وهو سنة ثمان عشرة وثمانمائة

(ذكر مدينة حطين)

هذه المدينة اثرها الى اليوم باقية فيما بين حبوة والعاقولة بأرض العاقولة فيما بين قطية والعريش تجاهها بحيل ماء عذب تسميه العرب العروق وهو شرقيها وهذه المدينة تنسب الى حطين ويقال حطى بن الملك ابى جاد المدينى واهل قطية اليوم يسمون تلك الارض ببلاد حطين والجفر وملك حطين هذا أرض مصر بعد موت أبيه وكان صاحب حرب وبطش وكان ينزل بقلعة فى جبال الاردن قريبا من طبرية واليه تنسب قرية حطين التى بها

الآن قبر شعيب بالقرب من صفد

(ذكر مدينة الرقة)

هذه المدينة من جملة مدائن مدين فيما بين بحر القلزم وجبل الطور كان بها عند ما خرج موسى عليه السلام ببني اسرائيل من مصر قوم من لخم آل فرعون يعبدون البقر واياهم عنى الله بقوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم الآية قال قتادة أولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة وقيل كانت أصنامهم تماثيل البقر ولهذا أخرج لهم السامري عجلا وآثار هذه المدينة باقية الى اليوم فيما بقي من مدينة فاران وا قلزم ومدين وأيلة تمر بها الاعراب

(ذكر عين شمس)

وكان يقال لها في القديم رعمساس وكانت عين شمس هيكلا يحج الناس اليه ويقصدونه من أقطار الارض في جملة ما كان يحج اليه من الهياكل التي كانت في قديم الدهر ويقال ان الصابئة أخذت هذه الهياكل عن عاد وثمود ويزعمون انه عن شيث بن آدم وعن هرمس الاول وهو ادريس وان ادريس هو أول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية وبنى الهياكل ومجد الله فيها ويقال ان الهياكل كانت عدتها في الزمن الغابر اثنى عشر هيكلا وهي هيكل العلة الاولى وهيكل العقل وهيكل السياسة وهيكل الصورة وهيكل النفس وكانت هذه الهياكل الخمسة مستديرات والهيكل السادس هيكل زحل وهو مسدس وبعده هيكل المشترى وهو مثلث ثم هيكل المريخ وهو مربع وهيكل الشمس وهو أيضا مربع وهيكل الزهرة وهو مثلث مستطيل وهيكل عطارد مثلث في جوف مربع مستطيل وهيكل القمر مثمن وعللوا اعبادتهم للهياكل بأن قالوا لما كان صانع العالم مقدسا عن صفات الحدوث وجب العجز عن ادراك جلاله وتعين أن يتقرب اليه عباده بالمقربين لديه وهم الروحانيون ليشفعوا لهم ويكونوا وسايط لهم عنده وعنوا بالروحانيين الملائكة وزعموا أنها المدبرات للكواكب السبعة السيارة في أفلاكها وهي هياكلها وانه لابد لكل روحاني من هيكل ولابد لكل هيكل من فلك وأن نسبة الروحاني الى الهيكل نسبة الروح الى الجسد وزعموا أنه لابد من رؤية المتوسط بين العباد وبين باريهم حتى يتوجه اليه العبد بنفسه ويستفيد منه ففزعوا الى الهياكل التي هي السيارات فعرفوا بيوتها من الفلك وعرفوا مطالعها ومغاربها واتصالاتها وما لها من الايام والليالي والساعات والاشخاص والصور والاقاليم وغير ذلك مما هو معروف في موضعه من العلم الرياني وسموا هذه السبعة السيارة أربابا وآلهة وسموا الشمس اله الآلهة ورب الارباب وزعموا أنها المفيضة على السنة انوارها والمظهرة فيها آثارها فكانوا يتقربون الى الهياكل تقربا الى الروحانيين لتقربهم الى البارى لزعمهم أن الهياكل أبدان الروحانيين وكل من تقرب الى شخص فقد تقرب الى روحه وكانوا يصلون لكل كوكب يوما يزعمون أنه رب ذلك اليوم وكانت صلاتهم في ثلاثة أوقات الاولى عند طلوع الشمس والثانية عند استوائها في الفلك والثالثة عند غروبها فيصلون لزحل يوم السبت وللمشترى يوم الاحد وللمريخ يوم الاثنين وللشمس يوم الثلاثاء وللزهرة يوم الاربعاء ولعطارد يوم الخميس وللقمر يوم الجمعة ويقال انه كان ببلخ هيكل بناه منوجهر على اسم القمر لتعارض به الكعبة فكانت الفرس تحجه وتكسوه الحرير وكان اسمه نوبهر فلما تمجست الفرس عملته بيت نار وقيل للموكل بسدانته برمك يعني والي مكة وانتهت البرمكة الى جد خالد جد جعفر بن يحيى بن خالد فأسلم على يد هشام بن عبد الملك وسماه عبد الله وخرب هذا الهيكل قيس بن الهيثم في اول خلافة معاوية سنة احدى وأربعين وكان بناء عظيما حوله اروقة وثلثمائة وستون مقصورة لسكن خدامه وكان بصنعاء قصر غمدان من بناء الضحاك وكان هيكل الزهرة وهدم في خلافة عثمان بن عفان وكان بالاندلس في الجبل الفارق بين جزيرة الاندلس والارض الكبيرة هيكل المشترى من بناء كلوبطرة بنت بطلموس وكان بفرغانة بيت يقال له كوسان هيكل للشمس بناه بعض ملوك فارس الاول خربه المعتصم وقد اختلف فيمن بنى هيكل عين شمس وسأقص من أخبره ما رأيته مجموعا في كتاب قال ابن وصيف شاه وقد كان الملك منقاوس اذا ركب مع اهل بيته تخيل العجيبة فيجتمع الناس ويعجبون من أعمالهم وأمر أن يبنى له هيكل للعبادة يكون له

خدوصا

خصوصا ويجعل فيه قبة فيها صورة الشمس والكواكب وجعل حولها أصناما وعجائب فكان الملك يركب اليه
ويقيم فيه سبعة أيام وجعل فيه عمودين زبر عليهما تاريخ الوقت الذى عمله فيه وهما باقيان الى اليوم وهو الموضع
الذى يقال له عين شمس ونقل الى عين شمس كنوزا وجواهر وطلسمات وعقاقير وعجائب ودفنها بها وبنواحيها
وأقام ملكا احدى وتسعين سنة ومات من الطاعون وقيل من سم وعمل له ناوس فى صحراء الغرب وقيل
فى غربى قوص ودفن معه مصاحف الحكمة والصنعة وتماثيل الذهب والجوهر ومن الذهب المضروب شئ
كثير ودفن معه تمثال روحانى الشمس من ذهب يلمع وله جناحان من زبرجد وصنم على صورة امرأته وكان
يحبها فلما ماتت أمر أن تعمل صورتها فى الهياكل كلها وعمل صورتها من ذهب بذؤابتين سوداوين وعليها حلة
من جواهر منظومة وهى جالسة على كرسى وكان يجعلها بين يديه فى كل موضع يجلس فيه يتسلى بذلك
عنها فدفنت هذه الصورة معه تحت رجليه كأنها تخاطبه * وقال الحكيم الفاضل أحمد بن خليفة فى كتاب عيون
الانباء فى طبقات الاطباء واشتاق فيثاغورس الى الاجتماع بالكهنة الذين كانوا بمصر فورد على اهل مدينة
الشمس المعروفة فى زماننا بعين شمس فقبلوه قبولا كريها وامتحنوه زمانا فلم يجدوا عليه نقصا ولا تقصيرا فوجهوا به
الى كهنة منف كى يبالغوا فى امتحانه فقبلوه على كراهة واستقصوا امتحانه فلم يجدوا عليه معيبا ولا أصابوا له
عثرة فبعثوا به الى أهل ديوسبوس ليمتحنوه فلم يجدوا عليه طريقا ولا الى ادحاضه سبيلا ففرضوا عليه فرائض
صعبة كيما يمتنع من قبولها فيدحضوه ويحرموه طلبته مخالفة لفرائض اليونانيين فقبل ذلك وقام به فاشتد
اعجابهم به وفشا بمصر ورعه حتى بلغ ذكره الى اماسيس ملك مصر فأعطاه سلطانا على ضحايا الرب وعلى سائر
قرابينهم ولم يعط ذلك لغريب قط ويقال انه كان للكواكب السبعة السيارة هياكل تحج الناس اليها من سائر
أقطار الدنيا وضعها القدماء فجعلوا على اسم كل كوكب هيكلا فى ناحية من نواحى الارض وزعموا أن البيت
الاول هو الكعبة وانه مما اوصى ادريس الذى يسمونه هرمس الاول المثلث أن يحج اليه وزعموا أنه منسوب
لزحل والبيت الثانى بيت المريخ وكان بمدينة صور من الساحل الشامى والبيت الثالث للمشترى وكان
بدمشق بناه جيرون بن سعد بن عاد وموضعه الآن جامع بنى امية والبيت الرابع بيت الشمس بمصر ويقال انه من
بناء هرشيك أحد ملوك الطبقة الاولى من ملوك الفرس وهو المسمى بعين شمس والبيت الخامس بيت الزهرة
وكان بتنيس والبيت السادس بيت عطارد وهو بصيدا من ساحل البحر الشامى والبيت السابع بيت القمر وكان ٢
بحران ويقال انه قلعتها وسمى المدور ولم يزل عامرا الى أن خربه التتر ويقال انه كان هو هيكل الصابئة الاعظم
* وقال شافع بن على فى كتاب عجائب البلدان وعين شمس مدينة صغيرة تشاهد سورها محدقا بها مهدوما
ويظهر من أمرها انها كانت بيت عبادة وفيها من الاصنام الهائلة العظيمة الشكل من نحيت الحجارة ما يكون
طول الصنم قدر ثلاثين ذراعا واعضاؤه على تلك النسبة من العظم وكل هذه الاصنام قائمة على قواعد وبعضها
قاعد على نصبات عجيبة واتقانات محكمة وباب المدينة موجود الى الآن وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير على
شكل الانسان وغيره من الحيوان وكتابة كثيرة بالقلم المجهول وقل ترى حجرا خلا عن كتابة او نقش او صورة وفى
هذه المدينة المسلتان المشهورتان وتسميان مسلتى فرعون وصفة المسلة قاعدة مربعة طولها عشرة أذرع فى
مثلها عرضا فى نحوها سمكا وضعت على أساس ثابت فى الارض ثم أقيم عليها عمود مثلث مخروط ينيف طوله
على مائة ذراع يبتدئ من القاعدة بسعة تقطرها خمسة اذرع وينتهى الى نقطة وقد لبس رأسها بقلنسوة نحاس
الى نحو ثلاثة اذرع منها كالقمع وقد تزنجر بطول المدة واخضر وسال من خضرته على بسيط المسلة ركبا
عليه كتابة بذلك القلم وكانت المسلتان قائمتين ثم خربت احداهما وانصدعت من نصفها لعظم الثقل واخذ
النحاس من رأسها ثم ان حولها من الاصنام شيئا كثيرا لا يحصى عدده على نصف تلك العظمى أو يليها وقل
يوجد فى هذه المسال الصغار ما هو قطعة واحدة بل فصوصها بعضها على بعض وقد تهدم اكثرها وانما بقيت
قواعدها * وقال محمد بن ابراهيم الجزرى فى تاريخه وفى رابع شهر رمضان يعنى من سنة ست وخمسين وستمائة
وقعت احدى مسلتى فرعون التى بأراضى المطرية من ضواحى القاهرة فوجدوا داخلها مائتى قنطار من نحاس
وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار * ويقال ان عين شمس بناها الوليد بن دومع من الملوك العماليق وقيل بناها
الريان بن الوليد وكانت سرير ملكه والفرس تزعم أن هرشيك بناها * ويقال طول العمودين مائة ذراع وقيل

أربعة وثمانون ذراعا وقيل خمسون ذراعا ويقال ان بخت نصر هو الذى خرّب عين شمس لما دخل الى مصر وقال القضاعى وعين شمس وهى هيكل الشمس بها العمودان اللذان لم ير أعجب منهما ولا من شأنهما طولهما فى السماء نحو من خمسين ذراعا وهما محمولان على وجه الارض وبينهما صورة انسان على دابة وعلى رأسهما شبه الصومعتين من نحاس فاذا جاء النيل قطر من رأسيهما ما تستبينه وتراه منهما واضحا ينبع حتى يجرى من أسافلهما فينبت فى اصلهما العوسج وغيره واذا دخلت الشمس دقيقة من الجدى وهو أقصر يوم فى السنة انتهت الى الجنوبى منهما فطلعت عليه على قمة رأسه ثم اذا دخلت دقيقة من السرطان وهو أطول يوم فى السنة انتهت الى الشمالى منهما فطلعت على قمة رأسه وهما منتهى الميلين وخط الاستواء فى الواسطة منهما ثم خطرت بينهما ذاهبة وجائية سائر السنة كذا يقول أهل العلم بذلك * وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب وكانت عين شمس فى قديم الزمان عظيمة الطول والعرض متصلة البناء بمصر القديمة حيث مدينة الفسطاط الآن ولما قدم عمرو بن العاص نازل عين شمس وكان جمع القوم حتى فتحها * وقال جامع السيرة الطولونية كان بعين شمس صنم بمقدار الرجل المعتدل الخلق من كذان أبيض محكم الصنعة يتخيل من استعرضه أنه ناطق فوصف لاحمد بن طولون فاشتاق الى تأمله فنهاه ندوسة عنه وقال مارآه وال قط الا عزل فركب اليه وكان هذا فى سنة ثمان وخمسين ومائتين وتأمله ثم دعا بالقطاعين وأمرهم باجتثاثه من الارض ولم يترك منه شيأ ثم قال لندوسة خازنه ياندوسة من صرف منا صاحبه فقال أنت أيها الامير وعاش بعدها احمد ثنتى عشرة سنة اميرا * وبنى العزيز بالله نزار بن المعز قصورا بعين شمس * وقال أبو عبيد البكرى عين شمس بفتح الشين واسكان ثانيه بعده سين مهملة عين ماء معروفة قال محمد بن حبيب عين شمس حيث بنى فرعون الصرح وزعم قوم أنّ عين شمس الى هذا الماء اضيف واول من سمى هذا الاسم سبا بن يشجب وذكر الكلبى أن شمسا الذى تسموا به صنم قديم وقال ابن خرداذبه واسطوانتين بعين شمس من أرض مصر ومن بقايا أساطين كانت هنالك فى رأس كل اسطوانة طوق من نحاس يقطر من احداهما ماء من تحت الطوق الى نصف الاسطوانة لا يجاوزه ولا ينقطع قطره ليلا ولا نهارا فموضعه من الاسطوانة أخضر رطب ولا يصل الماء الى الارض وهو من بناء اوسهنك * وذكر محمد بن عبد الرحيم فى كتاب تحفة الالباب أنّ هذا المنار مربع علوه مائة ذراع قطعة واحدة محدّد الرأس على قاعدة من حجر وعلى رأس المنار غشاء من صفر كالذهب فيه صورة انسان على كرسى قد استقبل المشرق ويخرج من تحت ذلك الغشاء الصفر ماء يسيل مقدار عشرة اذرع وقد نبت منه شئ كالطحلب فلا يبرح لمعان الماء على تلك الخضرة أبدا صيفا وشتاء لا ينقطع ولا يصل الى الارض منه شئ وبعين شمس نبت يزرع كالقضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بمكان من الارض الا هنالك وتوكل لحى هذه القضبان فيكون له طعم وفيه حرارة وحرافة لذيذة وبناحية المطرية من حاضرة عين شمس البلسان وهو شجر قصار يسقى من ماء بئر هنالك وهذه البئر تعظمها النصارى وتقصدها وتغتسل بمائها وتستشفى به ويخرج لاعتصار البلسان اوان ادراكه من قبل السلطان من يتولى ذلك ويحفظه ويحمل الى الخزانة السلطانية ثم ينقل منه الى قلاع الشام والمارستانات لمعالجة المبرودين ولا يؤخذ منه شئ الا من خزانة السلطان بعد أخذ مرسوم بذلك وللملوك النصارى من الحبشة والروم والفرنج فيه غلوّ عظيم وهم يتهادونه من صاحب مصر ويرون أنهم لا يصح عندهم لاحد أن يتنصر الا أن ينغمس فى ماء المعمودية ويعتقدون انه لابدّ أن يكون فى ماء المعمودية شئ من دهن البلسان ويسمونه الميرون وكان فى القديم اذا وصل من الشام خبرا انتهى الى صاحب عين شمس ثم يرد من عين شمس الى الحصن الذى عرف بقصر الشمع حيث الآن مدينة مصر ثم يرد من الحصن الى مدينة منف حيث كانت منف تحت الملك وسبب تعظيم النصارى لدهن البلسان ماذكره فى كتاب السنكسار وهو يشتمل على أخبار النصارى أنّ المسيح لما خرجت به امه ومعهما يوسف النجار من بيت المقدس فرارا من هيرودس ملك اليهود نزلت به اول موضع من أرض مصر مدينة بسطة فى رابع عشرى بشنس فلم يقبلهم أهلها فنزلوا خارجها وأقاموا أياما ثم ساروا الى مدينة سمنود وعدّوا النيل الى الغربية ومشوا الى مدينة الاشمونين وكان بأعلاها اذ ذاك شكل فرس من نحاس قائم على أربعة أعمدة فاذا قدم اليها غريب صهل فجاؤا ونظروا فى أمر القادم فعندما وصلت مريم بالمسيح عليه السلام الى المدينة سقط الفرس المذكور وتكسر

فدخلت به أمه وظهرت له عليه السلام فى الاشمونين آية وهو أن خمسة جمال محملة زاحمتهم فى مرورهم فصرخ فيها المسيح فى الاشمونين فصارت حجارة ثم انهم ساروا من الاشمونين وأقاموا بقرية تسمى فيلس مدة أيام ثم مضوا الى مدينة تسمى قس وقام وهى التى يقال لها اليوم القوصية فنطق الشيطان من أجواف الاصنام التى بها وقال ان امرأة أتت ومعها ولدها يريدون أن يخربوا بيوت معابدكم فخرج اليهم مائة رجل بسلاحهم وطردوهم عن المدينة فمضوا الى ناحية ميرة فى غربى القوصية ونزلوا فى الموضع الذى يعرف اليوم بدير المحرق وأقاموا به ستة أشهر وأياما فرأى يوسف النجار فى منامه قائلا يخبره بموت هيرودس ويامره أن يرجع بالمسيح الى القدس فعادوا من ميرة حتى نزلوا حيث الموضع الذى يعرف اليوم فى مدينة مصر بقصر الشمع وأقاموا بمغارة تعرف اليوم بكنيسة بوسرجة ثم خرجوا منها الى عين شمس فاستراحوا هنالك بجوار ماء فغسلت مريم من ذلك الماء ثياب المسيح وقد اتسخت وصبت غسالتها تلك الاراضى فأنبت الله هنالك البلسان وكان اذ ذاك بالاردن فانقطع من هنالك وبقى بهذه الارض وعمرت هذه البئر التى هى الآن موجودة هنالك على ذلك الماء الذى غسلت منه مريم وبلغنى أنها الى الآن اذا اعتبرت يوجد ماؤها عينا جارية فى أسفلها فهذا سبب تعظيم النصارى لهذه البئر والبلسان فانه انما سقى منها والله أعلم

(المنصورة)

هذه البلدة على رأس بحر أشموم تجاه ناحية طلخا بناها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى سنة ست عشرة وستمائة عندما ملك الفرنج مدينة دمياط فنزل فى موضع هذه البلدة وخيم به وبنى قصرا لسكناه وأمر من معه من الامراء والعساكر بالبناء فبنى هنالك عدة دور ونصبت الاسواق وأدار عليها سورا مما يلى البحر وستره بالآلات الحربية والستائر وتسمى هذه المنزلة المدينة المنصورة ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط كما تقدم ذكره عند ذكر مدينة دمياط من كتابنا هذا فصارت مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والاسواق ولما استنقذ الملك الكامل دمياط من الفرنج ورحل الفرنج الى بلادهم جلس بقصره فى المنصورة وبين يديه اخوته الملك المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الاشرف موسى صاحب بلاد الشرق وغيرهما من أهله وخواصه فامر الملك الاشرف جاريته فغنت على عودها

ولما طغى فرعون عكا وقومه * وجاء الى مصر ليفسد فى الارض
أتى نحوهم موسى وفى يده العصا * فأغرقهم فى اليم بعضا على بعض

فطرب الاشرف وقال لها بالله كررى فشق ذلك على الملك الكامل وأسكتها وقال لجاريته غنى أنت فأخذت العود وغنت

أيا أهل دين الكفر قوموا لتنظروا * لما قد جرى فى وقتنا وتجددا
أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعا ينصران محمدا

وهذا البيت من قصيدة لشرف الدين بن جبارة أولها (أبى الوجد الا أن أبيت مسهدا) فأعجب ذلك الملك الكامل وأمر لكل من الجاريتين بخمسمائة دينار فنهض القاضى الصدر الاجل الرئيس هبة الله بن محاسن قاضى غزة وكان من جملة الجلساء على قدميه وأنشد يقول

هنيأ فان السعد جاء مخلدا * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حباه اله الخلق فتحا لنا بدا * مبينا وانعاما وعزا مؤبدا
تهلل وجه الارض بعد قطوبه * وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغى البحر الخضم بأهله الطغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمه * صقيلا كما سل الحسام المهندا
فلم ينج الا كل شلو مجدل * ثوى منهم اومن تراه مقيدا
ونادى لسان الكون فى الارض رافعا * عقيرته فى الخافقين ومنشدا
أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعا ينصران محمدا

فكانت هذه الليلة بالمنصورة من أحسن ليلة مرت للملك من الملوك وكان عند انشاده يشير اذا قال عيسى الى

عيسى المعظم واذا قال موسى الى موسى الاشرف واذا قال محمد الى السلطان الملك الكامل وقد قيل ان الذى أنشد هذه الابيات انما هو راجح الحلى الشاعر

* (العباسة) *

هذه القرية فيما بين بلبيس والصالحية من أرض السدير لم يزل منتزها للملوك مصر وبها ولد العباس بن أحمد بن طولون فسماه لذلك أبوه العباس وولد بها أيضا الملك الامجد تقى الدين عباس بن العادل أبى بكر بن ايوب وكان الملك الكامل محمد بن العادل يقيم بها كثيرا ويقول هذه تعلو مصر اذا أقمت بها أصطاد الطير من السماء والسمك من الماء والوحش من الفضاء ويصل الخبز من قلعة الجبل الى بها فى قلعتى وهو سخن وبنى بها آدرا ومناظر وبساتين وبنى امراؤه بها أيضا عدة مساكن فى البساتين ولم تزل العباسة على ذلك حتى أنشأ الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل المنزلة الصالحية فتلاشى حينئذ أمر العباسة وخربت المناظر فى سلطنة الملك المعز أيبك فلما كانت سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس مر على السدير وهو فم الوادى فأعجب به وبنى فى موضع اختاره منه قرية سماها الظاهرية وأنشأ بها جامعا وذلك فى سنة ست وستين وستمائة * وسميت بالعباسة بنت أحمد بن طولون فانها خرجت الى هذا الموضع مودعة لبنت أخيها قطر الندى بنت خمارويه ابن احمد بن طولون لما جاءت الى المعتضد وضربت هنالك فساطيطها ثم بنت قرية فسميت باسمها

* (ذكر مدينة قفط بصعيد مصر) *

هذه المدينة عرفت بقفطريم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وكانت فى الدهر الاول مدينة الاقليم وانما بدا خرابها بعد الاربعمائة من تاريخ الهجرة النبوية وآخر ما كان فيها بعد السبعمائة من سنى الهجرة أربعون مسبكا للسكر وست معاصر للقصب ويقال كان فيها قباب بأعالى دورها وكانت اشارة من ملك من أهلها عشرة آلاف دينار أن يجعل فى داره قبة وبالقرب منها معدن الزمرذ ولم يبطل الامن قريب فان قفطريم ولى الملك بعد أبيه قبطيم قال ابن وصيف شاه كان اكبر ولد أبيه وكان جبارا عظيم الخلق وهو الذى وضع أساسات لاهرام الدهشورية وغيرها وهو الذى بنى مدينة دندرة ومدينة الاصنام وهلكت عاد بالريح فى آخر أيامه وأثار من المعادن ما لم يثره غيره وكان يتخذ من الذهب مثل حجر الرحى ومن الزبرجد مثل الاسطوانة ومن الاسباد شم فى صحراء الغرب كالقلة وعمل من العجائب شيأ كثيرا وبنى منارا عاليا على جبل قفط يرى منه البحر الشرقى ووجد هنالك معدن زيبق فعمل منه تمثالا كالعمود لا يحل ولا يذوب وعمل البركة التى سماها صيادة الطير اذا مر عليها طائر سقط فيها ولم يقدر على الحركة حتى يؤخذ وهذه البركة يقال انها هنالك الى الآن وأما المنار فسقط وعمل عجائب كثيرة وفى أيامه أثار عبادة الاصنام التى كان الطوفان غرقها وزين الشيطان أمرها وعبادتها ويقال انه بنى المدائن الداخلة وعمل فيها عجائب وبنى غربى النيل وخلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها عجائب كثيرة ووكل بها الروحانيين الذين يمنعون منها فما يستطيع أحد أن يدنو اليها ولا يدخلها الا أن يعمل قرابين لاولئك الروحانيين وأقام قفطريم الملك أربعمائة وثمانين سنة وأكثر العجائب عملت فى وقته ووقت ابنه البودسير ولذلك كان الصعيد اكثر عجائب من أسفل لان حيز قفطريم فيه ولما حضر قفطريم الوفاة عمل ناوسا فى الجبل الغربى قرب مدينة الكهان فى سرب تحت الارض معقود على آزاج الى الارض ونقر تحت الجبل دارا واسعة وجعل دورها خزائن منقورة وفى سقفها مسارب للرياح وبلط السرب وجميع الدار بالمرمر وجعل فى وسط الدار مجلسا على ثمانية اركان مصفحا بالزجاج الملون المسبوك وجعل فى سقفه جواهر تسرج وجعل فى كل ركن من اركان المجلس تمثالا من الذهب بيده كالبوق الذى يبوق به وتحت القبة دكة مصفحة بذهب ولها حواف من زبرجد وفوق الدكة فرش من حرير وجعل عليها جسده بعد أن لطخ بالادوية المجففة ووضع فى جانبه آلات كافور وسدلت عليه ثياب منسوجة بالذهب ووجهه مكشوف وعلى رأسه تاج مكلل وعن جوانب الدكة أربعة تماثيل مجوفات من زجاج مسبوك فى صور النساء بأيديهن مراوح من ذهب وعلى صدره من فوق الثياب سيف قبضته من زبرجد وجعل فى تلك الخزائن من الذخائر وسبائك الذهب والتيجان والجوهر وبرابى الحكم وأصناف العقاقير والطلسمات ومصاحف العلوم ما لا يحصى كثرة وجعل على

باب المجلس ديكا من ذهب على قاعدة من زجاج أخضر منشور الجناحين مزبور عليه آيات مانعة وجعل على كل
مدخل أزج صورتين من نحاس بأيديهما سيفان وقدامهما بلاطة تحتها لولب من وطئها ضرباه باسيافهما
فقتلاه وفى سقف كل أزج كرة وعليها الطوخ مدبر بسرج فيقد طول الزمان وسد باب الازج بالاساطين المرصصة
ورصوا على سقفه البلاط العظام وردموا فوقها الرمال وزبروا على باب الازج هذا المدخل الى جسد الملك المعظم
المهيب الكريم الشديد قفطريم ذى الايد والفخر والغلبة والقهر أفل نجمه وبقى ذكره وعلمه فلا يصل أحد اليه
ولا يقدر بحيلة عليه وذلك بعد سبعمائة وسبعين ودورات مضت من السنين * وقال المسعودى ومعدن
الزمرد فى عمل الصعيد الاعلى من مدينة قفط ومنها يخرج الى هذا المعدن والموضع الذى هو فيه يعرف بالخربة
وهى مفازة وجبال والبجه تحمى هذا المكان المعروف بالخربة واليها يؤدى الخفارات من يرد الى حفر الزمرد
ووجدت جماعة من صعيد مصر من ذوى الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن وعرف هذا النوع من
الجوهر يخبرون أنه يكثر ويقل فى فصول السنة فيكثر فى قوة مواد الهواء وهبوب نوع من الرياح الاربع
وتقوى الخضرة فيه والشعاع النورى فى أوائل الشهر والزيادة فى نور القمر وبين الموضع المعروف بالخربة الذى
فيه معدن الزمرد وبين ما اتصل من العمارة وقرب منه من الديار مسيرة سبعة أيام وهى قفط وقوص وغيرهما
من صعيد مصر وقوص راكبة النيل وبين النيل وقفط نحو من ميلين * ولمدينتى قفط وقوص أخبار عجيبة فى
بدء عمارتهما وما كان فى أيام القبط من أخبارهما الا أن مدينة قفط فى هذا الوقت متداعية للخراب وقوص
أعمر والناس فيها اكثر وكان بقفط بربا وكل بها روحانى فى صورة جارية سوداء تحمل صبيا أسود صغيرا حكى
أنها رئيت بها مرارا ومعدن الزمرد فى البر المتصل باسوان وكان له ديوان فيه شهود وكتاب وينفق على العمال به
وتنال لهم المؤن لحفره واستخراج الزمرد منه وهو فى جبال حرملة يحفر فيه وربما سقط على الجماعة به فماتوا
وكان يجمع ما يخرج منه ويحمل الى الفسطاط ومنه يحمل الى البلاد وقد كان الناس يسيرون من قوص الى
معدن الزمرد فى ثمانية أيام بالسير المعتدل وكانت البجاة تنزل حوله وقريبا منه لاجل القيام بحفره وحفظه
وهذا المعدن فى الجبل الآخذ على شرقى النيل فى بحرى قطعة عظيمة من هذا الجبل تسمى اقرشندة وليس
هناك من الجبال أعلى منها وهو فى منقطع من البر لا عمارة عنده ولا حوله ولا قريبا منه والماء عنه مسيرة نصف
يوم او أزيد وهو مما يتحصل من المطر ويعرف بغدير اعين يكثر بكثرة المطر ويقل بقلته وهذا المعدن فى صدر مفازة
طويلة فى حجر أبيض يستخرج منه الزمرد وهذا الحجر الابيض ثلاثة انواع أحدها يقال له طلق كافورى
والثانى يقال له طلق فضى والثالث يقال له حجر جروى ويضرب فى هذه الحجارة حتى يخرج الزمرد وهو
كالعروق فيه وأنواعه الريانى وهو أقل من القليل لا يخرج الا فى النادر واذا استخرج ألقى فى الزيت الحار
ثم يحط فى قطن ويصر ذلك القطن فى خرق خام أو نحوها وكان الاحتراز على هذا المعدن كثيرا جدا ويفتش الفعلة
عند خروج منه كل يوم حتى تفتش عوراتهم ومع ذلك فيختلسون منه بصناعات لهم فى ذلك ولم يزل هذا
المعدن يستخرج منه الزمرد الى أن ابطل العمل منه الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن زنبور فى أيام الملك
الناصر حسن بن محمد بن قلاون فى سنة بضع وستين وسبعمائة * وفى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة كانت
فتنة كبيرة بمدينة قفط سببها أن داعيا من بنى عبد القوى ادّعى أنه داود بن العاضد فاجتمع الناس عليه فبعث
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب على جيش فقتل من أهل قفط نحو
ثلاثة آلاف وصلبهم على شجرها ظاهر قفط بعمائمهم وطيالستهم

(ذكر مدينة دندرة)

هى احدى مدن الصعيد الاعلى القديمة بناها قفطريم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وكان فيها
بربا عجيبة فيها مائة وثمانون كوة تدخل الشمس فى كل يوم من كوة حتى تأتى على آخرها ثم تكر راجعة الى حيث
بدأت وكانت روحانيتها الموكلة بها تظهر فى هيئة انسان له رأس أسد بقرنين وكان بها أيضا شجرة تعرف بشجرة
العباس متوسطة وورقها أخضر مستديرة اذا دنا الانسان عندها من شجرة العباس جمعت الفأس تجتمع
أوراقها وتنزوى ثم تعود كما كانت وبين دندرة وبين قوص بريد واحد وكانت بربا دندرة أعظم من بربا أخميم

(ذكر الواحات الداخلة)

الواحات منقطعة وراء الوجه القبلى فى مغاربه ولا تعد فى الولايات ولا فى الاعمال ولا يحكم عليها من قبل السلطان وال وانما يحكم عليها من قبل مقطعها * وبلاد الواحات بين مصر والاسكندرية والصعيد والنوبة والحبشة بعضها داخل ببعض وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا يفتقر الى سواه وأرضها شبية وزاجية وعيون حامضة الطعم تستعمل كاستعمال الخل وعيون مختلفة الطعوم من الحامض والقابض والمالح ولكل نوع منها خاصية ومنفعة وهى على قسمين واحات داخلة وواحات خارجة جملتها أربع واحات ويقال ان الواحات ولد واحويلا بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح وان أخوسبا بن كوش أبو الحبش وأبو شنبا بن كوش أبو زغاوة وابو شفعيا بن كوش ابو الحبش الزهرم * قال ابن وصيف شاه ويقال ان قفطريم بنى المدائن الداخلة وعمل فيها عجائب منها الماء القائم كالعمود لا ينحل ولا يذوب والبركة التى تسمى فلسطين اى صيادة الطير اذا مر عليها الطير سقط فيها ولم يمكنه الخروج منها حتى يؤخذ وعمل أيضا عمودا من نحاس عليه صورة طائر اذا قرب الاسد أو الحيات اوغيرها من الاشياء المضرة من تلك المدينة صفر تصفيرا عاليا فترجع تلك الدواب هاربة وعمل على أربعة ابواب هذه المدينة أربعة أصنام من نحاس لا يقرب منها غريب الا القى عليه النوم والسبات فينام عندها ولا يبرح حتى يأتيه اهل المدينة وينفخون فى وجهه لبقوم وان لم يفعلوا ذلك لا يزال نائما عند الاصنام حتى يهلك وعمل منار الطيفا من زجاج ملون على قاعدة من نحاس وعمل على رأس المنار صورة صنم من أخلاط كثيرة وفى يده كالقوس كأنه يرمى عنها فان عاينه غريب وقف فى موضعه ولم يبرح حتى ينحيه اهل المدينة وكان ذلك الصنم يتوجه الى مهب الرياح الاربع من نفسه وقيل ان هذا الصنم على حاله الى الآن وان الناس تحاموا تلك المدينة على كثرة ما فيها من الكنوز والعجائب الفاخرة خوفا من ذلك الصنم أن تقع عين انسان عليه فلا يزال قائما حتى يتلف وكان بعض الملوك عمل على قلعه فما أمكنه وهلك لذلك خلق كثير ويقال انه عمل فى بعض المدائن الداخلة مرآة يرى فيها جميع ما يسأل الانسان عنه وبنى غربى النيل وخلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها عجائب كثيرة ووكل الروحانيين بها الذين يمنعون منها فما يستطيع أحد أن يدنوا اليها ولا يدخلها أو يعمل قرابين أولئك الروحانيين فيصل اليها حينئذ ويأخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر وبنى الملك صا بن السادوقيل صا بن مرقونس بداخل الواحات مدينة وغرس حولها نخلا كثيرا وكان يسكن منف وملك الاحياز كلها وعمل عجائب وطلسمات ورد الكهنة الى مراتبهم ونفى الملهين وأهل الشر ممن كان يصحب السادبن مرقونس وجعل على أطراف مصر أصحاب أخبار يرفعون اليه ما يجرى فى حدودهم وعمل على غربى النيل منار يوقد عليها اذا حزبهم امر أو قصدهم قاصد وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء اليه ونظر فى نجومه وكان بها حاذقا فرأى أن بلده لا بد أن تغرق بالطوفان من نيلها ورأى أنها تخرب على يد رجل يأتى من ناحية الشام فجمع كل فاعل بمصر وبنى فى الواح الاقصى مدينة جعل طول حصنها فى الارتفاع خمسين ذراعا وأودعها جميع الحكم والاموال وهى المدينة التى وقع عليها موسى بن نصير فى زمن بنى امية لما قدم من المغرب فلما دخل مصر أخذ على الواح الاقصى وكان عنده علم منها فأقام سبعة أيام يسير فى رمال بين الغرب والجنوب فظهرت له مدينة عليها حصن وأبواب من حديد فلم يمكنه فتح الابواب وكان اذا صعد اليها الرجال وعلوا الحصن وأشرفوا على المدينة ألقوا أنفسهم فيها فلما أعياه أمرها مضى وهلك من أصحابه عدة قال وفى تلك الصحارى كانت منتزهات القوم ومدنهم العجيبة وكنوزهم الا أن الرمال غلبت عليها ولم يبق ملك الا وقد عمل للرمل طلسما لدفعه ففسدت طلسماتها لتقادم الزمان قال ولا ينبغى لاحد أن ينكر كثرة بنيانهم ولا مدائنهم ولا ما نصبوه من الاعلام العظام فقد كان للقوم بطش لم يكن لغيرهم وان آثارهم لبينة مثل الاهرام والاعلام والاسكندرية وما فى صحارى الشرق والجبال المنحوتة التى جعلوا كنوزهم فيها والاودية المنحوتة ومثل ما بالصعيد من البرابى وما نقشوه عليها من حكمتهم فلو تعاطى جميع ملوك الارض أن يبنوا مثل الهرمين ما تهيأ لهم وكذلك أن ينقشوا ابربا لطال بهم الامد ولم يمكنهم * وحكى عن قوم من البنائين فى ضياع الغرب أن عاملا عندهم عنف بهم ففروا فى صحراء الغرب ومعهم زاد الى أن تنصلح أحوالهم ويرجعوا فلما كانوا على مسيرة يوم وبعض آخر قدموا الى سفح جبل فوجدوا عيرا أهليا قد خرج من بعض الشعاب فتبعه بعضهم فانتهى الى مساكن وأشجار ونخل ومياه تطرد وقوم هنالك

يرعون ولهم مساكن وكلهم وأعجب بهم فجاء الى أصحابه وقدم بهم على أولئك القوم فسألوهم عن حالهم فأخبروهم وأقاموا عندهم حتى صلحت احوالهم وخرجوا ليأتوا بأهاليهم ومواشيهم ويقيموا عندهم فساروا مدة وهم لا يعرفون الطريق ولا يتأتى لهم العود فأسفوا على ما فاتهم * وضل آخرون عن الطريق فى الغرب فوقعوا على مدينة عامرة كثيرة الناس والمواشى والنخل والشجر فأضافوهم وأطعموهم وسقوهم وباتوا فى طاحونة فسكروا من الشراب وناموا فلم ينتبهوا الا من حر الشمس فاذا هم فى مدينة خراب ليس فيها أحد فخافوا وخرجوا وظلوا يومهم سائرين الى المساء فظهرت لهم مدينة أكبر من الاولى وأعمر وأكثر اهلا وشجرا ومواشى فأنسوا بهم وأخبروهم بخبر المدينة الاولى فجعلوا يعجبون منهم ويضحكون وانطلقوا بهم الى وليمة لبعض أهل المدينة فأكلوا وشربوا وعنوا بهم حتى سكروا فلما كان من الغد انتبهوا فاذا هم فى مدينة عظيمة ليس فيها أحد وحولها النخل قد تساقط ثمره وتكدس فخرجوا وهم يجدون ريح الشراب ومبادى الخمار فساروا يوما الى المساء واذا راع يرعى غنما فسألوه عن الطريق فدلهم فساروا بعض يوم من الغد فوصلوا مدينة الاشمونين بالصعيد قال وهذه مدائن القوم الداخلة القديمة قد غلب عليها الجان ومنها ما سترته عن العيون فلا ينظر اليها أحد وقال ان البودسير بن قفطريم بن قبطيم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام فى ايامه بنيت بصحراء الغرب منابر ومنتزهات وحول اليها جماعة من اهل بيته فعمروا تلك النواحى وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب عامرة كلها وأقامت على ذلك مدة كثيرة فخالطهم البربر ونكحوا منهم ثم تحاسدوا فكانت بينهم حروب خربت فيها تلك الجهات وبادت الا بقية منازل تسمى الواحات

(ذكر مدينة سنترية)

ومدينة سنترية من جملة الواحات بناها مناقيوش بانى مدينة اخميم كان أحد ملوك القبط القدماء قال ابن وصيف شاه وكان فى حزم أبيه وحنكته تعظم فى أعين أهل مصر وهو أول من عمل الميدان وأمر أصحابه برياضة انفسهم فيه وأول من عمل المارستان لعلاج المرضى والزمنى وأودعه العقاقير ورتب فيه الاطباء وأجرى عليهم ما يسعهم وأقام الامناء على ذلك وصنع لنفسه عيدا فكان الناس يجتمعون اليه فيه وسماه عيد الملك فى يوم من السنة فيأكلون ويشربون سبعة ايام وهو مشرف عليهم من مجلس على عمد قد طوقت بالذهب وألبست فاخر الثياب المنسوجة بالذهب وعليه قبة مصفحة من داخل بالرخام والزجاج والذهب وفى ايامه بنيت سنترية فى صحراء الواحات عملها من حجر أبيض مربعة وفى كل حائط باب فى وسطه شارع الى حائط محاذ له وجعل فى كل شارع يمنة ويسرة أبوابا تنتهى طرقاتها الى داخل المدينة وفى وسط المدينة ملعب يدور به من كل ناحية سبع درج وعليه قبة من خشب مدهون على عمد عظيمة من رخام وفى وسطه منار من رخام عليه صنم من صوان أسود يدور مع الشمس بدورانها وبسائر نواحى القبة صور معلقة تصفر وتصيح بلغات مختلفة فكان الملك يجلس على الدرجة العالية من الملعب وحوله بنوه وأقاربه وأبناء الملوك وعلى الدرجة الثانية رؤسا الكهنة والوزراء وعلى الثالثة رؤسا الجيش وعلى الرابعة الفلاسفة والمنجمون والاطباء وأرباب العلوم وعلى الخامسة أصحاب العمارات وعلى السادسة أصحاب المهن وعلى السابعة العامة فيقال لكل صنف منهم انظروا الى من دونكم ولا تنظروا الى من فوقكم لا تلحقونهم وهذا ضرب من التأديب وقتلته امرأته بسكين فمات وكان ملكه ستين سنة وسنترية الآن بلد صغير يسكنه نحو ستمائة رجل من البربر يعرفون سيوة ولغتهم تعرف بالسيوية تقرب من لغة زناتة وبها حدائق نخل وأشجار من زيتون وتين وغير ذلك وكرم كثير وبها الآن نحو العشرين عينا تسيح بماء عذب ومسافتها من الاسكندرية أحد عشر يوما ومن جيزة مصر أربعة عشر يوما وهى قرية يصيب أهلها الحمى كثيرا وتمرها غاية فى الجودة وتعبث الجن بأهلها كثيرا وتختطف من انفرد منهم وتسمع الناس بها عزيف الجن

(ذكر الواحات الخارجة)

بناها أحد ملوك القبط الاول ويقال له البودسير بن قفطيم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام قال ابن وصيف شاه وأراد البودسير أن يسير مغربا لينظر الى ما هنالك فوقع على أرض واسعة متخرقة

بالمياه والعيون كثيرة العشب فبنى فيها منابر ومنتزهات وأقام فيها جماعة من اهل بيته فعمروا تلك النواحى وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب عمارة كلها وأقامت كذلك مدة كثيرة وخالطهم البربر فنكح بعضهم من بعض ثم انهم تحاسدوا وبغى بعضهم على بعض فكانت بينهم حروب فخرب ذلك البلد وباد أهله الا بقية منازل تسمى الواحات * وقال المسعودى وأما بلاد الواحات فهى بين بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر والغرب وأرض الاحابش من النوبة وغيرهم وبها أرض شبية وزاجية وعيون حامضة وغير ذلك من الطعوم وصاحب الواحات فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة عبد الملك بن مروان وهو رجل من لواتة الا انه مروانى المذهب ويركب فى آلاف من الناس خيلا ونجبا وبينه وبين الاحابش نحو من ستة ايام وكذلك بينه وبين سائر ماذكرنا من العمائر هذا المقدار من المسافة وفى أرضه خواص وعجائب وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا يفتقر اليه ويحمل من أرضه التمر والزبيب والعناب * وحدثنى وكيل ابى الشيخ المعز حسام الدين عمرو ابن محمد بن زنكى الشهرزورى أنه سمع ببلاد الواحات أن فيها شجرة نارنج يقطف منها فى سنة واحدة أربعة عشر ألف حبة نارنج صفراء سوى ما يتناثر وسوى ماهو أخضر فلم أصدق ذلك لغرابته وقت حتى شاهدت الشجرة المذكورة فاذا هى كاعظم ما يكون من شجر الجميز بمصر واكبر وسألت مستوفى البلد عنها فأحضر الى جرائد حسباناته وتصفحتها حتى أوقفنى على أن منها فى سنة كذا قطف من النارنجة الفلانية اربعة عشر ألف حبة نارنج مستوية صفراء سوى ما بقى عليها من الاخضر وسوى ما تناثر منها وهو صغير * وبالواحات الشب الابيض بواد تجاه مدينة ادفو كان فى زمن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر وفى زمن ابنه الصالح نجم الدين ايوب على مقطعى الواحات حمل ألف قنطار شب أبيض فى كل سنة الى القاهرة ويطلق لهم فى نظير ذلك جوالى الواحات ثم أهمل هذا فبطل * وفى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة سار ملك النوبة فى جيش عظيم الى الواحات فأوقع بأهلها وقتل منها وأسر كثيرا

(ذكر مدينة قوص)

اعلم أن قوص أعظم مدائن الصعيد وهى على النيل بنيت بعد قفط فى أيام ملك من ملوك القبط الاول يقال له سدان بن عديم بن البودسير بن قفطريم قيل سميت باسم قوص بن قفط بن أخيم بن سيفاف بن اشمن بن مصر قال ابن وصيف شاه سدان بن عديم هو الذى بنى الاهرام الدهشورية من الحجارة التى قطعت فى زمان أبيه وعمل مصاحف النيرنجات وهيكل أرمنت وعمل فى المدائن الداخلة من أنصنا هيكلا وأقام فيه فى اتريب وهيكلا فى شرقى الاسكندرية وبنى فى الجانب الشرقى مدائن وفى ايامه بنيت قوص العالية وأسكن فيها قوما من اهل الحكمة وأهل الصناعات وكانت الحبش والسودان قد عاثوا فى بلده فأخرج لهم ابنه منقاوش فى جيش عظيم فقتل منهم وسبى واستعبد الذين سباهم وصار ذلك سنة لهم واقتطع معدن الذهب من ارضهم وأقام ذلك السبى يعملون فيه ويحملون الذهب اليه وهو أول من أحب الصيد واتخذ الجوارح وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الاهلية وعمل من العجائب والطلسمات لكل فن مالا يحصى كثرة * وقال الادفوى فى تاريخ الصعيد وقوص بجانب قفط حكى بعض المؤرخين انها شرعت فى العمارة وشرعت قفط فى الخراب من سنة اربعمائة قيل انه حضر مرة قاضى قوص فخرج من اسوان اربعمائة راكب بغلة الى لقائه * وفى شهر رمضان سنة اثنتين وستين وستمائة احضر الى الملك الظاهر بيبرس فلوس وجدت مدفونة بقوص فأخذ منها فلس فاذا على أحد وجهيه صورة ملك واقف وفى يده اليمنى ميزان وفى اليسرى سيف وعلى الوجه الآخر رأس فيه اذن كبيرة وعين مفتوحة وبدائر الفلس كتابة قرأها راهب يونانى فكان تاريخه الى وقت قراءته ألفين وثلثمائة سنة وفيه انا غلبات الملك ميزان العدل والكرم فى يمينى لمن اطاع والسيف فى يسارى لمن عصى وفى الوجه الآخر انا غلبات الملك اذنى مفتوحة لسماع المظلوم وعينى مفتوحة أنظر بها مصالح ملكى وقوص كثيرة العقارب والسام أبرص وبها صنف من العقارب القتالات حتى انه كان يقال بها اكة العقرب لانه كان لا يرجى لمن لسعته حياة واجتمع بها مرة فى يوم صائف على حائط الجامع سبعون سام أبرص صفا واحدا وكان الواحد من اهلها اذا مشى فى الصيف ليلا خرج داره يأخذ باحدى يديه مسرجة تضئ له وبالاخرى مشعل من حديد يشتد به العقرب ثم انها تلاشت بعد سنة ثمانمائة فيما كنت الحوادث والمحن مات بها سبعة عشر

ألف انسان فى سنة ست وثمانمائة وكانت من العمارة بحيث انه تعطل منها فى شراقى البلاد سنة ست وسبعين وسبعمائة مائة وخمسون مغلقا والمغلق عندهم بستان من عشرين فدانا فصاعدا وله ساقية بأربعة وجوه وذلك سوى ما تعطل مما هو دون ذلك وهو كثير جدا

(ذكر مدينة اسنا)

قال الادفوى وذكر أن اسنا فى سنة حصل منها أربعون ألف اردب تمر واثنا عشر ألف اردب زبيب واسنا تشتمل على ما يقارب ثلاثة عشر ألف منزل وقيل انه كان بها فى وقت سبعون شاعرا

(ذكر مدينة ادفو)

ومدينة ادفو يقال بالدال المهملة ويقال أيضا بالتاء المثناة من فوق قال الادفوى أخبرنى الخطيب العدل ابو بكر خطيب ادفو أن جمارة طرحت ثلاثة شماريخ فى كل شمروخ تمرة واحدة وانه قلع الجمارة بأصلها ووزنها فجاءت خمسة وعشرين درهما كلها بجريدها وخشبها وذلك بأدفو ولما كان بعد سنة سبعمائة حفر صناع الطوب فظهرت صورة شخص من حجر شكل امرأة متربعة على كرسى وعليها مثال شبكة وفى ظهرها لوح مكتوب بالقلم اليونانى رأيتها على هذه الحالة فى مدينة ادفو

(اهناس)

هى كورة من كور الصعيد يقال ان عيسى ابن مريم عليه السلام ولد بها وان نخلة مريم عليها السلام التى ذكرت فى قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا لم تزل بها الى آخر أيام بنى امية والذى عليه الجماهرة أن عيسى عليه السلام انما ولد بقرية بيت لحم من مدينة بيت المقدس وباهناس شجر البنج

(ذكر مدينة البهنسا)

هذه المدينة فى جهة الغرب من النيل بها تعمل الستور البهنسية وينسج المطرز والمقاطع السلطانية والمضارب الكبار والثياب الحبرة وكان يعمل بها من الستور ما يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعا وقيمة الزوج مائتا مثقال ذهب واذا صنع بها شئ من الستور والاكسية والثياب من الصوف او القطن فلابد أن يكون فيها اسم المتخذ له مكتوبا على ذلك مضوا جيلا بعد جيل * وقبط مصر مجمعون على أن المسيح وامه مريم كانا بالبهنسا ثم انتقلا عنها الى القدس * وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى عن المسيح وامه وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين الربوة البهنسا وهذه المدينة بناها ملك من القبط يقال له مناوش بن منقاوش * قال ابن وصيف شاه واستخلف مناوش الملك فطلب الحكمة مثل أبيه واستخرج كتبها واكرم اهلها وبذل فيهم الجوائز وطلب الاغراب فى عمل العجائب وكان كل من ملوكهم يجتهد جهده فى أن يعمل له غريبة من الاعمال لم تعمل لمن كان قبله وثبت فى كتبهم وزبر على الحجارة فى تواريخهم وهو أول من عبد البقر من اهل مصر وكان السبب فى ذلك أنه اعتل علة يئس منه فيها فرأى فى منامه صورة روحانى عظيم يقول له انه لا يخرجك من علتك الا عبادتك البقر لان الطالع كان وقت حلولها بك صورة ثور بقرنين ففعل ذلك وأمر بأخذ ثور أبلق حسن الصورة وعمل له مجلسا فى قصره وسقفه بقبة مذهبة فكان يبخره ويطيب موضعه ووكل به سادنا يقوم به ويكنس تحته ويعبده سرا من اهل مملكته فبرأ من علته وهو أول من عمل المجر فى علته فكان يركب عليها البيوت من فوقها قباب الخشب وعمل ذلك من أحب من نسائه وخدمه الى المواضع والمتنزهات وكان البقر يجره فاذا مر بمكان نزهة قام فيه واذا مر بمكان خراب أمر بعمارته فيقال انه نظر الى ثور من البقر الذى يجر عجلته أبلق حسن الشية فأمر بترفيهه وسوقه بين يديه اعجابا به وجعل عليه جلالا من ديباج فلما كان فى يوم وقد خلا فى موضع صار اليه وقد انفرد عن عبيده وخدمه والثور قائم اذ خاطبه الثور وقال له لو رفهنى الملك عن السير معه وجعلنى فى هيكل وعبدنى وأمر أهل مملكته بعبادتى كفيته جميع ما يريد واعنته على أمره وقويته فى مملكته وأزلت عنه جميع علته فارتاع لذلك وأمر بالثور فغسل وطيب وأدخل فى هيكل وأمر بعبادته فأقام ذلك الثور يعبد مدة وصار فيه آية وهو أنه لا يبول ولا يروث ولا يأكل الا أطراف ورق القصب الاخضر فى كل شهر مرة فافتتن الناس به

وصار ذلك أصلا لعبادة البقر وبنى مواضع كنز فيها كنوزا وأقام عليها أعلاما وبنى فى صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس وأقام فيها منارا ودفن حولها كنوزا ويقال ان هذه المدينة قائمة وان قوما جازوا بها من نواحى الغرب وقد ضلوا الطريق فسمعوا بها عزيف الجن ورأوا ضوأ يتراءى بها وفى بعض كتبهم أن ذلك الثور بعد مدة من عبادتهم له أمرهم أن يعملوا صورته من ذهب أجوف ويؤخذ من رأسه شعرات ومن ذنبه ومن نحاتة قرونه وأظلافه ويجعل فى التمثال المذكور وعرّفهم أنه يلحق بعالمه وأمرهم أن يجعلوا جسده فى جرن من حجر أحمر ويدفن فى الهيكل وينصب تمثاله عليه وزحل فى شرفه والشمس تنظر اليه من تثليث القمر زائد النور وينقش على التمثال علامات الكواكب السبعة ففعلوا ذلك وكللوه بجميع الاصناف من الجواهر وجعلوا عينيه جزعتين وغرسوا فى الهيكل عليه شجرة بعد ما دفنوه فى الجرن الاحمر وبنوا منارا طوله ثمانون ذراعا على رأسه قبة تتلوّن كل يوم لونا حتى تمضى سبعة أيام ثم تعود الى اللون الاوّل وكسوا الهيكل ألوان الثياب وشقوا نهرا من النيل الى الهيكل وجعل حوله طلسمات رؤسها رؤس القرود على أبدان الناس كل واحد منها لدفع مضرّة وجلب منفعة وأقام عند الهيكل أربعة اصنام على أربعة أبواب ودفن تحت كل صنم صنفا من الكنوز وكتب عليها قربانها وبخورها واسكنها الشجرة فكانت تعرف بمدينة الشجرة ومنها كانت اصناف الشجر تخرج وهو أوّل من عمل النيروز بمصر وفى زمانه بنيت البهنسا وأقام بها اسطوانات وجعل فيما فوقها مجلسا من زجاج أصفر عليه قبة مذهبة اذا طلعت الشمس ألقت شعاعها على المدينة ويقال انه ملكهم ثمانمائة وثلاثين سنة ودفن فى أحد الاهرام الصغار القبلية وقيل فى غربىّ الاشمونين ودفن معه من المال والجوهر والعجائب شئ كثير وأصناف الكواكب السبعة التى يرى الدفين والحية وألف سرج ذهبا وفضة وعشرة آلاف جام وغضار من ذهب وفضة وزجاج وألف عقاقير لفنون الاعمال وزبروا عليه اسمه ومدّة ملكه ووقت موته * وفى سنة اربع وثلاثين وسبعمائة ظهر بالاشمونين فى وادبين جبلين فساقى مربعة مملوءة ماء عذبا صافيا فمشى شخص على حافتها طول يوم وليلة فلم يبلغ آخرها ويقال انها من عمل سوريد بانى الاهرام لتكون عدّة لما كانوا قد توقعوه من حدوث طوفان نارىّ فردم هذا الوادى بعد ذلك خوفا من تلاف الناس * يقول الشيخ الامام محمد بن احمد الغريانىّ حدّثنى علىّ بن حسن بن خالد الشعرىّ ثلاث مرّات لم يختلف قوله علىّ فيها قال حدّثنى رجل من فزارة الساكنين بكورة البهنسا قال خرجت أنا ورجل رفيق لى نرتاد البلاد ونطلب الرزق فى الارض وذلك بعد سنة عشر وثمانمائة فقطعنا الجبل الغربىّ من ناحية البهنسا وسرنا متوكلين على الله تعالى فأقمنا أياما ونحن نمشى ما بين الغرب والجنوب فوقعنا فى واد كثير الشجر والنبات والماء والكلا ليس فيه أنيس وهو واد واسع فى الطول والعرض نحو يوم فى الطول ويوم فى العرض كله أعين وبساتين نخل وزيتون كثير الابل والمعز والذئب والضبع به كثير والابل به متوحشة وكذلك المعز قد صارت به وحشية بعد أن كانت آنسة به وليس بالوادى لا رائح ولا غاد من الناس قال فأخبرنى أنهما أقاما بالوادى نحوا من شهرين اوثلاثة وانهما رأيا فى وسط الوادى مدينة حصينة منيعة عالية السور شامخة القصور فاذا تقرّبا من سورها سمعا ضجيجا عظيما وأصواتا مهولة مخوفة ورأيا دخانا يرتفع الى جوّ السماء حتى يغطى سور المدينة وجميع ما فيها وانّ تلك الابل الوحشية عدت على رواحلهما الانسية فأذتها وقتلتها فتحيل عند ذلك الرجلان الفزاريان بحيل وفتلا حبالا وأشراكا شباكا من ليف النخل وقيدا تلك الابل الوحشية وفتلا خوصا وضفرا قفافا من الخوص لزادهما وملآها تمرا وزللا من تلك الابل الوحشية مكان رواحلهما عوضا عنها وركباها متوجهين نحو الشرق وحملا معهما من الجريد أعنى جريد النخل ما يعرفان به الطريق التى بينهما وبينها ويجعلان ذلك أمارات لمرورهما اليها فكانا كلما مرّا على شرف جعلا عليه جريدتين علما حتى وصلا الى الجبل الغربىّ من مصر فنزلا الى البهنسا فعرّفا قومهما وتحملا بأهاليهما فلما علوا سطح الجبل الغربىّ وجدا كلّ ما فرّقاه من جريد النخل على رؤس الآكام مجتمعا فى مكان واحد فى أعلى الجبل فرجعا عند ذلك لاهاليهما ومن معهم الى أرض البهنسا وهذا ما حدّثنى به والله أعلم

(ذكر مدينة الاشمونين)

كانت من أعظم مدن الصعيد يقال انها من بناء اشمن بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام * وقال

قوله واصناف الكواكب الخ هكذا فى النسخ التى بيدى ولا تخلو العبارة عن تحريف فاحش لا يفهم معه الكلام فليتأمل اه

ابن وصيف شاه كان اشمون اعدل ولد أبيه وأرغبهم فى صنعة تبقى ويبقى ذكرها وهو الذى بنى المجالس المصفحة
بالزجاج الملون وسط النيل وتقول القبط انه بنى سربا تحت الارض من الاشمونين الى انصنا تحت النيل وقيل انه
حفره وعمله لبناته لانهن كن يمضين الى هيكل الشمس وكان هذا السرب مبلط الارض والحيطان والسقف
بالزجاج الثخين الملون وقيل ان اشمون كان اطول اخوته ملكا وقال اهل الاثر انه ملك ثمانمائة سنة وان قوم عاد
انتزعوا منه الملك بعد ستمائة من ملكه وأقاموا تسعين سنة واستولوا على البلد فانتقلوا الى الدثينة من طريق
الحجاز الى وادى القرى فعمروها واتخذوا بها المنازل والمصانع وسلط الله عليهم الذر فأهلكهم وعاد ملك مصر الى
اشموم ويقال انه عمل على باب الاشمونين اوزة من نحاس فكان الغريب اذا جاء ليدخل المدينة صاحت الاوزة
وصفقت بجناحيها فيعلم به فان أحبوا منعوه وان أحبوا تركوه وكثرت الحيات فى وقته فكانوا يصيدونها
ويعملون من لحومها أدوية وترياقات ثم ساقوها بسحرهم الى وادى الحيات فى جبال لوبية ومراقية فسجنوها
هنالك * وقال فى كتاب هروشيش ان اشمون بن قبط اول ملوك المصريين وانه كان فى زمان شاروح بن راغو بن فالغ
ابن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وان سنى الدنيا صارت الى زمان شاروح ألفين وتسعمائة وخمس
ستين يكون ذلك بعد الطوفان بستمائة وثلاث وستين سنة وبها كانت فرهة الخيل والبغال والحمير وكان
يعمل بها فرش القرمز الذى يشبه الارمنى وكان ينزل بأرض الاشمونين عدة بطون من بنى جعفر بن أبى
طالب رضى الله عنه وكانوا بادية اصحاب شوكة وكان معهم بنو مسلمة بن عبد الملك بن مروان حلفاء لهم
ومعهم بطن آخر يقال لهم بنو عسكر يقال ان أباهم كان مولى لعبد الملك بن مروان ويزعمون انهم من بنى امية
صلبية وكان معهم أيضا حلفاء لهم بنو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ينزلون أرض دلجة عند اشمون

(ذكر مدينة اخميم)*

ضبطها البكرى بكسر الهمزة واسكان الخاء ثم ميم وياء وميم على بناء افعيل وهى فى الجانب الشرقى من
النيل والذى بناها اسناقيوش أحد ملوك القبط الاول * قال ابن وصيف شاه كان جلدا محتكما فاستأنف
العمارة وبنى القرى ونصب الاعلام وجمع الحكم ومصاحف الملوك والحكماء وعمل العجائب وبنى لنفسه مدينة
انفرد بها وعمل عليها حصنا ونصب عليه أربعة اعلام فى كل ركن من اركانه علم وبين تلك الاعلام ثمانون صنما من
نحاس وأخلاط فى أيديها السلاح وزبر على صدرها آياتها وكان بمنف رجل من اولاد الكهنة من اعلم الناس
بالسحر وأبصرهم بأخذ التماسيح والسباع وكان يعلم الغلمان السحر فاذا حذقوا علم غيرهم فأمر الملك أن يبنى له
مدينة ويحول اليها وهى اخميم فملكهم مناقيوش نيفا وأربعين سنة ومات فدفن فى الهرم المحاذى لاطفيح ومعه
شئ كثير من المال والجوهر والآنية والتماثيل وزبر عليه اسمه والوقت الذى هلك فيه قال وذكر اهل اخميم أن
رجلا أتى من الشرق وكان يلزم البربا ويأتى اليه كل يوم بخور وخلوق فيبخر ويطيب صورة فى عضادة الباب
فيجد تحتها دينارا فيأخذه وينصرف ففعل ذلك مدة حتى وشى به غلام له الى عامل البلد فقبض عليه فبذل مالا
وخرج عن البلد * وكانت بربا اخميم من أعجب البرابى واعظمها قد بنيت لخزن بزرهم فانهم قضوا على اهل مصر
بالطوفان قبل وقته بقرائن لكنهم اختلفوا فيه فقال بعضهم تكون نار فتحرق ما على جميع وجه الارض وقال
آخرون بل يكون ماء فعملوا هذه البرابى قبل الطوفان وكان فى هذه البربا صور الملوك الذين يملكون مصر
وكانت مبنية بحجر الرخام وطول كل حجر منها خمسة اذرع فى سمك ذراعين وهى سبعة دهاليز سقوفها حجارة
طول الحجر منها ثمانية عشر ذراعا فى عرض خمسة اذرع مدهونة باللازورد وغيره من الاصباغ التى يحسبها
الناظر كأنما فرغ الدهان منها الآن لجدتها وكان كل دهليز منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة السيارة
وجدران هذه الدهاليز منقوشة بصور مختلفة الهيآت والمقادير فيها رموز علوم تقط من الكيمياء والسيمياء
والنسميات والطب والنجوم والهندسة وغير ذلك أودعوها تلك الصور * وذكر ابن جبير فى رحلته أن طول
هذه البربا مائتان وعشرون ذراعا وسعتها مائة وسبعون ذراعا وأنها قائمة على أربعين سارية سوى الحيطان دور
كل سارية خمسون شبرا وبين كل ساريتين ثلاثون شبرا ورؤسها فى نهاية العظم كلها منقشة من اسفلها الى أعلاها
ومن رأس كل سارية الى الاخرى لوح عظيم من الحجر المنحوت فيها ما ذرعه ستة وخمسون شبرا طولا فى عرض
عشرة اشبار وارتفاع ثمانية اشبار وسطحها من ألواح الحجارة كلها فرش واحد فيه التصاوير البديعة

والاصبغة الغريبة كهيئة الطيور والآدميين وغير ذلك في داخلها وخارجها وعرض حائط البربا ثمانية عشر شبرا من حجارة مرصوصة كذا قاسها ابن جبير في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ويقال ان ذا النون عرف منها علم الكيمياء ومازالت هذه البربا قائمة الى سنة ثمانين وسبعمائة فخرّ بها رجل من أهل اخميم يعرف بالخطيب كمال الدين بن بكر الخطيب علم الدين علي ونال منها مالا فلم تطل حياته ومات ومن حينئذ تلاشى أمر اخميم الى أن خربت وقد ذكر جماعة أن بربا اخميم كانت في هيئة غلام أمرد عريان وان قوما دخلوها مرة فتبعهم وأخذ يضربهم ضربا وجيعا حتى خرجوا هاربين وحكى مثل ذلك عمن دخل الاهرام أيضا * وقد حكى أن رجلا ألصق على صورة من بربا اخميم شمعة فكان اذا تركها في موضع التجأت العقارب اليها واذا وضع الشمعة في تابوت اجتمعت العقارب حوله ويقال انه كان في بربا اخميم شيطان قائم على رجل واحدة وله يد واحدة وقد رفعها الى الهواء وفي جبهته وحواليه كتابة وله احليل ظاهر ملتصق بالحائط وكان يذكر أن من احتال حتى يثقب على ذلك الاحليل حتى يخرجه من غير أن ينكسر ويعلقه على وسطه فانه لا يزال منعظا الى أن ينزعه ويجامع ما أحب ولا يفتر مادام معلقا عليه وان بعض من ولي اخميم اقتلعه فوجد منه شيأ عجيبا من ذلك وكانت الانطاع تجلب من اخميم وبها تعمل ويقال انه كان بها اثنا عشر ألف عريف على السحرة وكان بها شجر البنج ويقال ان الذي بنى بربا اخميم اسمه دومريا وانه جعل هذه البربا مثلا للامم الآتية بعده وكتب فيها تواريخ الامم والاجيال ومفاخرهم التي يفتخرون بها وصور فيها الانبياء والحكماء وكتب فيها من يأتي من الملوك الى آخر الدهر وكان بناؤه اياها والنسر برأس الحمل والنسر يقيم عندهم في كل برج ثلاثة آلاف سنة فات والنسر في زماننا بآخر باب برج الجدي فيكون على ذلك لهذه البربا منذ بنيت نحو الثلاثين ألف سنة * وذكر ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم القيسي في كتاب تحفة الالباب أن هذه البربا مربعة من حجارة منحوتة ولها أربعة ابواب يفضي كل باب الى بيت له اربعة ابواب كلها مظلمة ويصعد منها الى بيوت كالغرف على قدرها

(ذكر مدينة العقاب)

قال المسعودي مدينة العقاب غربي اهرام ابو صير بالجيزة على مسيرة خمسة ايام بلياليها للراكب المجدّ وقد عوّر طريقها وعمى المسالك اليها والسمت الذي يؤدّي نحوها وفيها عجائب البنيان والجواهر والاموال * وقال ابن وصيف شاه وكان الوليد بن دومع العمليقي قد خرج في جيش كثيف يتنقل في البلدان ويقهر ملوكها فلما صار بالشام وجه غلاما له يقال له عون فسار الى مصر وفتحها ثم سار فتلقاه عون ودخل مصر فاستباح اهلها ثم سنح له أن يقف على مصب النيل فخرج في جيش كثيف واستخلف عونا على مصر وأقام في غيبته أربعين سنة وان عونا بعد سبع سنين من مسيره تجبر وادّعى أنه الملك وانكر أن يكون غلام الوليد وانما هو أخوه وغلب بالسحر وسبي الحرائر فمال الناس اليه ولم يدع امرأة من بنات ملوك مصر الا نكحها ولا مالا الا اخذه وقتل صاحبه وهو مع ذلك يكرم الكهنة ويعظم الهياكل فاتفق انه رأى الوليد في منامه وهو يقول له من أمرك أن تتسمى باسم الملك وقد علمت أنه من فعل ذلك استحق القتل ونكحت بنات الملوك وأخذت الاموال بغير واجب ثم أمر بقدر مائت زيتا وأحميت حتى علت ونزع ثيابه ليلقيه فيها فأتاه عقاب فاختطفه وحلق به في الجوّ وجعله في هوّة على رأس جبل فسقط الى واد فيه حمأة منتنة فانتبه مرعوبا وقص ذلك على كهنته فقالوا نحن نخلصك منه بأن تعمل عقابا وتعبده فانه الذي خلصك في نومك فقال أشهد لقد قال لي اعرف لي هذا المقام ولا تنسه فعمل عقابا من ذهب وجعل عينيه جوهرتين ووشحه بالجوهر وعمل له هيكلا لطيفا وأرخى عليه ستور الحرير وأقبلوا على تبخيره وقربانه حتى نطق لهم فأقبل عون على عبادته ودعا الناس الى ذلك فأجابوه ثم أمر فجمع له كل صانع بمصر وأخرج اصحابه الى صحراء الغرب لطلب أرض سهلة حسنة الاستواء يدخل اليها من مواضع صعبة وجبال وعرة بحيث تقرب من مغيض الماء التي هي اليوم الفيوم وكانت مغيضا لماء النيل حتى اصلحها يوسف عليه السلام ليجري الماء منها الى المدينة فخرجوا وأقاموا شهرا يطوفون حتى وجدوا بغيته فلم يبق بمصر فاعل ولا مهندس ولا أحد له بصر بالبناء وقطع الصخور ونحتها الا وجه اليها وأنفذ ألف رجل من الجيش وسبعمائة ساحر لمعاونتهم وانفذ معهم الآلات والازواد على العجل وطريق هذه العجل الى الفيوم في صحراء الغرب واضحة من خلف الاهرام فلما تكامل له ما أراد من نحت الحجارة خطوا المدينة فرسخين في مثلهما وحفروا في

الوسط بئرا جعلوا فيها تمثال خنزير من نحاس بأخلاط ونصبوه على قاعدة نحاس ووجهه الى الشرق وذلك بطالع بيت زحل واستقامته وسلامته وكان فى شرفه وذبحوا خنزيرا ولطخوا التمثال بدمه فى وجهه وبخروه بشئ من شعره وحشوا جوفه بدمه وشعره وعظامه ولحمه ومرارته وجعلوا فى اذنيه من مرارته وحرقوا بقية الخنزير وجعلوا رماده فى قلة من نحاس بين يدى التمثال ونقشوه بآيات زحل ثم شقوا فى البئر من الجهات الاربع فى كل جهة سربا الى حيطان المدينة وعملوا على أفواهها منافس تجذب الهواء وسدوا البئر وعقدوا فيها قبة على عمد مرتفعة على حيطان المدينة وجعلوا فيها شوارع يتصل كل شارع بباب من ابواب المدينة وفصلوها بالطرقات والمنازل وجعلوا حول القبة تماثيل فرسان من نحاس بأيديها حراب ووجوهها تجاه الابواب وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود فوقه حجر أحمر عليه حجر أصفر من فوقه حجر أخضر وفوق الجميع حجر ابيض يشف وكلها مبنية بالرصاص المصبوب بين الحجارة وفى قلوبها اعمدة من حديد على بناء الاهرام وجعلوا طول حصنها ستين ذراعا فى عرض عشرين وعلى رأس كل باب حصن بأعلاه عقاب كبير من صفر وأخلاط قد نشر جناحيه وهو أجوف وعلى كل ركن فارس بيده حربة ووجهه الى خارج المدينة وساق الماء الى الباب الشرقى ينحدر فى صبه الى الباب الغربى ويخرج الى صهاريج وكذلك من الباب الجنوبى الى الشمالى وقرب للعقاب عقبانا ذكورا واجتلب الرياح الى أفواه التماثيل فصار يسمع لها اصوات هائلة ووكل بها ارواحا تمنع الداخل اليها الا أن يكون من اهلها ونصب العقاب الذى يتعبد له تحت القبة فى وسط المدينة على قاعدة بأربعة اركان على كل ركن وجه شيطان وجعلها على عمود يديرها فكان العقاب يدور الى الجهات فيقيم فى كل جهة ربع السنة فلما تم ذلك نقل الى المدينة الاموال والجواهر التى بمصر من عهد الملوك والتماثيل والحكم وتراب الفضة والعقاقير والسلاح وحول اليها كبار السحرة والكهنة وأصحاب الصنائع والتجار وقسم المساكن بينهم فلا يختلط اهل صناعة بسواهم وعمل بها ربضا لاصحاب المهن والزراعة وعقد على تلك الانهار قناطر يمشى عليها الداخل الى المدينة وجعل الماء يدور حول الربض ونصب عليها أعلاما وحرسا ثم غرس وراء ذلك مما يتصل بالبرية النخل والكرم وجميع اصناف الشجر على أقسام مقسومة ومن وراء ذلك كله مزارع الغلات من كل جهة كل ذلك خوفا من الوليد * قال وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة ايام وكان يقيم فيها ويخرج اليها ثم يعود الى منف وكان لها أربعة أعياد فى السنة وهى الاوقات التى يتحول العقاب فيها فلما تم لعون ذلك اطمأن قلبه الى أن وافى اليه كتاب الوليد من النوبة يأمره بحمل الازواد ونصب الاسواق فوجه اليه فى البر والبحر بما أراد وحول اهله ومن اصطفاه من بنات الملوك والكبراء الى المدينة فلما قرب الوليد خرج اليها وتحصن فيها واستخلف على منف فقدم الوليد وقد سمع ما فعله عون فغضب وهم أن يبعث اليه جيشا فعرف بحجر المدينة ومنعتها وخبر السحرة فكتب اليه أن يقدم عليه ويحذره عاقبة التخلف فأجابه ما على الملك منى مؤنة ولا تعرض ولا عيب فى الملك لانى عبده وأنا له رده فى هذا المكان من كل عدو يأتيه من الغرب ولا اقدر على المسير اليه خوفى منه فليقرنى الملك بحالى كأحد عمله وأوجه اليه ما يلزمنى من خراجه وهداياه وبعث اليه بأموال جليلة وجوهر نفيس فكف عنه وأقام الوليد بمصر حتى مات

(ذكر مدينة الفيوم) *

اعلم أن موضع الفيوم كان مغيض ماء النيل فمن ولى السيد يوسف الصديق عليه السلام تدبير أمور مصر عمرها * قال ابن وصيف شاه ثم ملك الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف والقبط تسميه نهراوش فجلس على سرير الملك وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا متمكنا فرعا بالجميل وأسقط عن الناس خراج ثلاث سنين وفرق المال فى الخاص والعام وملك على البلد رجلا من اهل بيته يقال له أصفين وهو الذى يسميه اهل الاثر العزيز فأمر أن ينصب له فى قصر الملك سرير من فضة يجلس عليه ويغدو فيه ويروح الى باب الملك ويخرج العمال والكتاب بين يديه فكفى نهراوش ما خلف ستره وقام بجميع اموره وخلاه للذته فانغمس نهراوش فى لهوه ولم يتفرق عمل ولا ظهر للناس حينا والبلد عامر وهو لا يسأل عن شئ وعمل له مجلس من زجاج ملون وحولها ماء فيه أسماك مفرضة وبخور ملون فكان اذا وقعت عليه الشمس ظهر له شعاع عجيب وعملت له عدة منتزهات على عدد ايام السنة فكان كل يوم فى موضع منها وعمل له فى كل موضع من الآنية والفرش ما ليس لغيره فاتصل بذلك

النواحى تشاغلا بلذته وتدبير أطفين فسار ملك من العماليق يقال له ابو قابوس عاكر بن يحوم الى مصر ونزل على حدودها فجهز اليه العزيز جيشا عليه قائد يقال له بريانس فأقام يحاربه ثلاث سنين فظفر به العمليق وقتله وهدم الاعلام والمصانع وقوى طمعه فى البلد فاجتمع الناس الى قصر الملك واستغاثوا فخرج اليهم وعرض جيوشه وخرج فى ستمائة ألف مقاتل سوى الاتباع فالتقوا من وراء الحوف وكان بينهما قتال شديد فانهزم العمليق وتبعه نهراوش الى حد الشام وقتل خلقا من اصحابه وأفسد زروعهم وأشجارهم وحرّق وصلب ونصب أعلاما على الاماكن التى وصلها وزبر عليها انى لمن تجاوز هذا المكان بالمرصاد وقيل انه بلغ الموصل وضرب على اهل الشام خراجا وبنى عند العريش مدينة لطيفة وشحنها بالرجال ورجع الى مصر فحشد من جميع الاعمال جنودا واستعد لغزو ملك الغرب وخرج فى سبعمائة ألف فمرّ بأرض البربر واجلى كثيرا منهم وجهز قائدا فى السفن من ناحية رقودة الى جزائر بنى يافث فعاث فيها وخرج من ناحية أرض البربر فقتل وصالح بعضهم على مال حملوه اليه ومضى الى افريقية وقرطاجنة فصالحوه على مال ومرّ حتى بلغ مصب البحر الاخضر الى بحر الروم وهو موضع اصنام النحاس فأقام هنالك صنما زبر عليه اسمه وتاريخ خروجه وضرب على اهل تلك النواحى الخراج وعدّى الى الارض الكبيرة وسار الى الاندلس فحاربه ملكها اياما ثم صالحه على مال وأن يمنع من يغزو مصر من ناحيته وانصرف على غير البحر مشرّقا فى بلاد البربر فلم يمرّ بأمة الا ودخلت فى طاعته ومرّ فى الجنوب فقتل خلقا وبعث قائدا الى مدينة على البحر الاسود فخرج اليه ملكها وذكر له حال الريان ومصالحة الملوك له فقال ما بلغنا أحد قط وسأله القائد عن البحر هل ركبه احد قط فقال ما يقدر أحد على ركوبه وربما اظله غمام فلا يرى اياما وقدم الريان فحملوا الهدايا اليه وفاكهة اكثرها الموز وحجارة سوداء اذا جعلت فى الماء صارت بيضاء ثم سار الملك على امم السودان الى مملكة الدمدم الذين يأكلون الناس فخرجوا اليه عراة فهزمهم وظفر بهم ومرّ على البحر المظلم فغشيهم منه غمام فترجع شمالا حتى انتهى الى تمثال من حجر أحمر يومئ بيده ارجعوا وعلى صدره مزبور ماوراءى أحد فسار الى مدينة النحاس فلم يصل اليها ومضى الى الوادى المظلم فكانوا يسمعون منه جلبة عظيمة ولا يرون أحدا لشدة ظلمته وسار الى وادى الرمل فرأى على معبره أصناما عليها اسماء الملوك فأقام عليه صنما زبر عليه اسمه فلما أثبت الرمل جاز عليه الى الخراب المتصل بالبحر الاسود فرأى سباعا يزئر بعضها على بعض فحكم أنه لا مذهب له من ورائها فرجع وعدّى وادى الرمل ومرّ بأرض العقارب فهلك بعض اصحابه ودفعوا عن انفسهم أذاها بالرقى وجازها الى مدينة الحكماء وتعرف بمدينة الكند ففرّوا منه الى جبل فأقام عليه اياما حتى كاد يهلك جيشه عطشا فنزل اليه من الجبل رجل من أفاضل الحكماء وقد لبس شعره جسده فقال للملك اين تريد أيها المغرور الممدود له فى الاجل المرزوق فوق الكفاية أتعبت نفسك وجيشك ألا اجترأت بما تملكه واتكلت على خالقك وربحت الراحة وتركت العناء والغرر بهذا الخلق فعجب من قوله وسأله عن الماء فدله عليه وسأله عن موضعهم فقال موضع لا يصل اليه أحد ولا بلغه قبلك أحد فقال ما عيشك قال من اصول النبات نقنع به ويكفينا اليسير قال فمن اين تشربون قال من الامطار والثلوج قال فلم هربتم منا قال زهادة فى مخالطتكم والافليس لنا ما تخافكم عليه قال فكيف بكم اذا حميت الشمس قال نأوى الى غيران تحت هذا الجبل قال فهل لكم فى مال اخلفه لكم قال انما يريد المال اهل الترف ونحن لا نستعمل منه شيأ استغنينا عنه بما قد اكتفينا به وعندنا منه ما لو رأيته لاحتقرت ما عندك قال فأرنيه فانطلق بنفر من أصحابه الى أرض فى سفح جبلهم فيها قضبان ذهب نابتة وأراهم واديا لهم فى حافتيه حجارة زبرجد وفيروز فأمر نهراوش أصحابه أن يحملوا من كبار تلك الحجارة ففعلوا ورأى الحكيم جماعة الملك يصلون الى صنم يحملونه معهم فسأل الملك أن لا يقيم بأرضهم وخوّفه من عبادة الاصنام فودّعه وسار فلم يمرّ بأمة الا اثر فيها حتى بلغ النوبة فصالحهم على مال وأقام على دنقلة صنما وزبر عليه اسمه ومسيره وسار يريد مدينة منف فكان اهل كل مدينة من مدائن مصر يتلقونه بالفرح والسرور والرياحين والطيب الى أن بلغ منف فخرج اهلها اليه مع العزيز بأصناف الرياحين والطيب وكان العزيز قد بنى له مجلسا من زجاج ملوّن وفرشه بأحسن فرش وغرس حوله الاشجار والرياحين وجعل فيه بحيرة من زجاج سماوى وفى أرضه شبه السمك من زجاج أبيض فنزل الملك فيه وأقام الناس يأكلون ويشربون اياما كثيرة وتفقد جيشه ففقد منهم سبعين ألفا ووجد فيهم ممن اسره نيفا وخمسين ألفا فكانت

مدة غيبته عن مصر في مسيره هذا احدى عشرة سنة فلما بلغ الملوك قدومه هابوه واشتد بأسه وتجبر وبنى في الجانب الشرقي قصورا من رخام ونصب عليها أعلاما وأمر بالعمارة واصلاح الجسور واستنباط الاراضي حتى زاد الخراج على مائة ألف ألف دينار ودخل الى البلد في أيامه غلام من اهل الشام احتال عليه اخوته وباعوه وكانت قوافل الشام تعرس بناحية الموقف اليوم فوقف الغلام ونودي عليه وهو * يوسف الصديق ابن يعقوب بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم وسلامه فاشتراه اطفين ليهديه الى الملك فلما أتى به قصره رأته امرأته زليخا وهي ابنة عمه فقالت اتركه لنا نربيه لينفعنا وكان من أمرها ما قصه الله تعالى في القرآن فكانت تكتم حبه حتى غلبت فخلت به وتزينت له وعرفته أنها تحبه وانه ان واتاها على ما تريده منه حبته بمال عظيم فامتنع من ذلك ورأت أن تغلبه فما زالت تعاركه وهو يمتنع منها الى أن وافى زوجها وراءه وهو هارب منها وكان العزيز عنينا لا يأتي النساء فجعل يوسف يعتذر اليه وقالت اني كنت نائمة فأتاني يراودني عن نفسي وتبين من شاهد أهلها أن الامر من قبل امرأته فقال ليوسف أعرض عن هذا اي عن اعتذارك وقال لها استغفري لذنبك وقد كان خبر أطفين والغلام بلغ الملك وكان نهراوش عاود العكوف على اللهو والاحتجاب عن الناس واتصل خبر زليخا ويوسف بنساء الخاصة فعيرنها بذلك فدعت جماعة منهن وصنعت لهن طعاما وشرابا وعملت مجلسين مذهبين وفرشتهما بديباج أصفر مذهب وأرخت عليهما ستور الديباج وأمرت المواشط بتزيين يوسف واخراجه من المجلس الذي يحاذي المجلس الذي كانت مع النسوة فيه وكان المجلس محاذيا للشمس فأخذته المواشط ونظمن شعره بأصناف الجواهر وألبسنه ثوب ديباج أصفر قد نسج بدارات حمر مذهبة فيها الطيار صغار خضر مبطن ببطانة خضراء ومن تحته غلالة حمراء وعلى رأسه تاج قد نظم بالدر والجوهر وأخرجن من تحت التاج أطراف شعره على جبهته ورددن ذوائبه على صدره وجعلن جبهته مكشوفة والتاج محيط بها وفي اذنيه قرطي جوهر ومن خلف طوق القباء شعر مسبل بين كتفيه منظوم مشبك بالذهب والجوهر وفي عنقه طوق منظوم بذهب مشدد بجوهر أحمر ودر فاخر وفي وسطه منطقة ذهب فيها لوالب جوهر ملونا واهاليق منظومة وألبسنه خفين أبيضين منقوشين بأخضر على نقوش ذهب وجعلن للقباء الذي عليه وشاحين وافراوزا يحيط بأسفله وكميه من جوهر أخضر وعقربن صدغيه على خديه وكحلن عينيه ودفعن اليه مذبة شعرها أخضر فلما فرغ النساء من طعامهن وشربن أقداحا قدمت اليهن سكاكين قبضهن من جوهر ليقطعن بها الفاكهة فيقال انهن اخذن اترجا وهن يقطعنه اذ قالت لهن قد بلغني حديثكن في امري مع عبدي فقلن لها الامر كما بلغك لانك اعلى قدرا من هذا ومثلك يرتفع عن اولاد الملوك لحسنك وشرفك فكيف ترضين بغلامك فقالت لم يبلغكن الصدق ولا هو عندي بهذا وأومأت الى المواشط أن يخرجن يوسف فرفعن الستور عن المجلس الذي يحاذي مجلسها وبرز منه يوسف محاذيا بوجهه الشمس فأشرق المجلس وما فيه من وجه يوسف وأقبل بالمذبة وهن يرمقنه فوقف على رأس زليخا يذب عنها فاشتغل النساء برؤيته وجعلن يقطعن ايديهن موضع الفاكهة التي كن معهن ولا يعين الكلام ذهولا منهن بما رأين من حسن يوسف فقالت لهن زليخا ما لكن قد اشتغلتن عن خطابي بالنظر الى عبدي فقلن معاذ الله ما هذا عبدك ان هذا الا ملك كريم ولم يبق منهن امرأة الا حاضت وأنزلت شهوة من محبته فقالت زليخا عند ذلك فهذا الذي لمتنني فيه فقلن ما ينبغي لاحد أن يلومك في هذا ومن لامك فقد ظلمك فدونكه قالت قد فعلت فأبى علي فخاطبنه لي فكانت كل واحدة منهن تخاطبه وتدعوه سرا الى نفسها وتبذل له وهو يمتنع عليها فاذا يئست منه أن يجيبها لنفسها خاطبته من جهة زليخا وقالت مولاتك تحبك وأنت تكرهها ما ينبغي أن تخالفها فقال مالي بذلك حاجة فمر رأين ذلك اجمعن على أخذه غصبا فقالت زليخا لا يجوز هذا لكنه ان لم يفعل لامنعنه اللذات ولاحبسنه ولانزعن جميع ما اعطيته فقال يوسف رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه فأقسمت بربها وكان صنما من زبرجد أخضر باسم عطارد انه ان لم يفعل لتعجلن له ذلك ثم أمرت بنزع ثيابه وألبسته الصوف وسألت العزيز حبسه ليزول ما قذفها به فأمر به فحبس ورأى الملك في منامه كأن آتيا أتاه فقال له ان فلانا وفلانا قد عزما على قتلك يريد صاحبي طعامه وشرابه فلما أصبح قررهما فاعترف له وقيل اعترف أحدهما وأنكر الآخر فأمر بحبسهما وكان اسم صاحب الطعام راسان واسم صاحب الشراب مرطس وكان يوسف عليه السلام وهو في السجن رؤفا بمن فيه ويعدهم

الفرج فأخبره صاحبا طعام الملك وشرابه برؤياهما التي قصها الله في كتابه فوقع كما قصه يوسف ورأى الملك البقرات والسنابل فعرّفه الساقي خبر يوسف فمضى اليه وقصها عليه فلما عاد الى الملك قال جيؤني به فقال يوسف ما أخرج اويكشف أمر النسوة اللاتي من اجلهن حبست فكشف عن ذلك فاعترفت زليخا بالقصة ووجه اليه فأخرج وغسل من درن السجن وألبس مايليق بالدخول على الملوك فلما رآه امتلأ قلبه من حبه واكباره وسأله عن الرؤيا ففسرها كما قال الله تعالى فقال الملك ومن يقوم لي بذلك قال انا فخلع عليه خلع الملوك وألبسه تاجا وأمر أن يطاف به وركب الجيش معه وتردد الى قصر الملك وجلس على سرير العزيز واستخلفه الملك على ملكه مكانه * ويقال ان العزيز اطفين كان قدمات فزوجه امرأته وقال لها يوسف هذا اصلح مما أردت فقالت اعذرني ان زوجي كان عنينا ولم ترك امرأة الاصبا قلبها اليك من حسنك وجاءت سنو خصب في مصر فجمع يوسف الغلال وخزنها وأكثر منها فلما جاءت سنو الجدب بدأ النيل في النقصان وكان ينقص كل سنة اكثر من التي قبلها فقحط البلد حتى بيع القمح بالمال والجوهر والدواب والثياب والآنية والعقار وكاد أهل مصر يرحلون عنها لولا تدبير يوسف وقحط الشام أيضا وكان من مجيء اخوة يوسف ماقصه الله تعالى ووجه الى أبيه فحمل الى مصر وجميع أهله وخرج في وجوه اهل مصر فتلقاه وأدخله على الملك وكان يعقوب مهابا فأعظمه الملك وسأله عن سنه وصناعته وعبادته فقال سني عشرون ومائة سنة وأما صناعتي فلنا غنم نرعى ننتفع بها وأعبد رب العالمين الذي خلقك وخلقني وهو اله آبائي والهك واله كل شئ وكان في مجلس الملك كاهن جليل القدر فقال للملك اني اخاف أن يكون خراب مصر على يد ولد هذا فقال له الملك فأتى لنا خبره فقال الكاهن ليعقوب أرني الهك ايها الشيخ قال الهي اعظم من أن يرى قال فانا نرى آلهتنا قال ان آلهتكم من ذهب وفضة وحجارة وجوهر ونحاس وخشب مما يعمله بنو آدم وهم عبيد الهي لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الكاهن ان كل شئ لاتراه العيون ليس بشئ فغضب يعقوب وكذبه وقال ان الله شئ لا كالاشياء وهو خالق كل شئ لا اله الا هو وقال فصفه لنا قال انما يوصف المخلوق لكنه خالق واحد قديم مدبر أزلي يرى ولا يرى وقام يعقوب مغضبا فأجلسه الملك وأمر الكاهن فكف عنه فقال الكاهن انا نجد في كتبنا أن خراب مصر يجري على ايدي هؤلاء فقال الملك هذا يكون في ايامنا قال لا ولا الى مدة كثيرة والصواب أن يقتله الملك ولا يبقى من ذريته أحدا فقال الملك ان كان الامر كما تقول فلا يمكننا أن ندفعه ولا نقدر على قتل هؤلاء وأنزل يعقوب ومن معه بوادي السدير الى أن مات فحمل الى قرية ابراهيم عليه السلام ودفن عنده ويقال ان نهراوش الملك آمن وكتم ايمانه خوفا من فساد أمره وأقام ملكا مائة وعشرين سنة وفي وقته عمل يوسف الفيوم فان اهل مصر كانوا وشوا به الى الملك وقالوا قد كبر ونقص نفعه فاختبره فقال له اني وهبت هذه الناحية لابنى وكانت مغايض للماء فدبرها اهلها فعملها يوسف واحتال للمياه حتى اخرجها وقلع اوحالها وساق المنهي وبنى اللاهون وجعل الماء فيها مقسوما موزونا وفرغ منها في شهور أربعة فعجبوا من حكمته * ويقال انه أول من هندس بمصر ومات نهراوش فخلف ابنه درمجوش وسمته اهل الاثر دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع عندهم فخالف سنة أبيه وكان يوسف خليفته فقبل منه بعضا وخالفه في البعض فمات يوسف في ايامه وله مائة وعشرون سنة فكفن وجعل في تابوت من رخام ودفن في الجانب الغربي فأخصب ونقص الشرقي فحول اليه فأخصب ونقص الغربي فاتفقوا على أن يجعلوه في الشرقي عاما وفي الغربي عاما ثم حدث لهم من الرأي أن يجعلوا له حلقا وثاقا ويشدوا التابوت في وسط النيل فأخصب الجانبان كلاهما * وقال ابن عبد الحكم فلكهم الريان بن الوليد بن دومع وهو صاحب يوسف النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى الملك رؤياه التي رأى وعبرها يوسف أرسل اليه الملك فأخرجه من السجن قال ابن عباس رضي الله عنهما فأتاه الرسول فقال ألق عنك ثياب السجن والبس ثيابا جددا وقم الى الملك فدعا له اهل السجن وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما أتاه رأى غلاما حدثا فقال أيعلم هذا رؤياي ولا تعلمها السحرة والكهنة وأقعده قدامه وقال له لاتخف قال فلما استنطقه وسأله عظم في عينيه وجعل اليه امره فدفع اليه خاتمه وولاه ماخلف بابه وألبسه طوقا من ذهب وثياب حرير وأعطاه دابة مسرجة مزينة كدابة الملك وضرب بالطبل بمصر ان يوسف خليفة الملك * وعن عكرمة أن فرعون قال ليوسف قد سلطتك على مصر غير أني اريد أن أجعل كرسي اطول من كرسيك بأربع اصابع قال يوسف نعم وأجلسه

على السرير ودخل الملك بيته مع نسائه وفوض امر مصر كلها اليه فبسبب عبارة رؤيا الملك ملك يوسف مصر
* وعن الليث بن سعد قال حدثنى مشيخة لنا قالوا اشتد الجوع على اهل مصر فاشتروا الطعام بالذهب حتى لم يجدوا ذهبا فاشتروا بالفضة حتى لم يجدوا فضة فاشتروا باغنامهم حتى لم يجدوا اغنما فلم يزل يبيعهم الطعام حتى لم يبق لهم فضة ولا ذهب ولا شاة ولا بقرة فى تلك السنين فأتوه فى الثالثة فقالوا لم يبق لنا الا انفسنا وأهلونا وأرضونا فاشترى يوسف ارضهم كلها لفرعون ثم أعطاهم يوسف طعاما مايزرعونه على أن لفرعون الخمس ويقال فى خبر بناء يوسف عليه السلام مدينة الفيوم أنه لما وزر لفرعون ثلاثين سنة عزله فقال لم عزلتنى فقال لم اعزلك لريبة ولا انسى بركتك ولكن آباءى عهدوا الى أن لا يتولى لنا وزيرا اكثر من ثلاثين سنة وانا نخشى أن يتأصل الوزير حتى يدبر على الملك فقال له يوسف قد علمت نصحى لك حتى صيرت ديار مصر كلها ملكا لك فأقطعنى ارضا تكون لقوتى وقوت اهلى وعشيرتى فقال له فرعون اختر حيث شئت فمشى يوسف فى قفار الارض حتى رأى ارض الفيوم وفيها جبل حائل بين النيل وبينها فوزن ماء النيل حتى رأى أن قاعها يركبه النيل فخرق خرقا فى ذلك الجبل وساق الماء فيه الى الفيوم فسقى الارض وعمل فى جوانب الماء ثلثمائة وستين قرية على عدد ايام السنة وشحنها بالغلال والاقوات التى ازدرعها فكان اذا نقص النيل ووقع الجوع بأرض مصر باع كل يوم ما جمعه فى قرية من قرى الفيوم حتى ملك مصر لنفسه كما جمعها للملك فعظم شان يوسف وكثر ماله فرده الملك بعد مدة الى وزارته وتوفى وهو وزير فاوصى بخروج جثته الى الارض المقدسة فخرج بها هارون بن افرايم بن يوسف فى مائة ألف من بنى اسرائيل فهزمته الجبابرة فيما بين مصر والشام وهلك اكثر من معه وعاد من بقى معه الى مصر فأقاموا بها حتى بعث الله موسى بن عمران عليه السلام الى فرعون رسولا فخرج ببنى اسرائيل من مصر ومعه جثة يوسف عليه السلام وفى ذلك الزمان استنبطت الفيوم وقيل كان سبب ذلك أن يوسف عليه السلام لما ملك مصر وعظمت منزلته من فرعون وجاوز سنه مائة سنة قال وزراء الملك له ان يوسف قل علمه وتغير عقله ونفدت حكمته فعنفهم فرعون ورد عليهم مقالتهم وأساء اللفظ لهم فكفوا ثم عاودوه بذلك القول بعد سنين فقال لهم هلموا ما شئتم من اى شئ أختبره به وكان بلد الفيوم يومئذ يدعى الجوبة وانما كانت لمصالة ماء الصعيد وفضوله فاجتمع رأيهم على أن تكون هى المحنة التى يمتحنون بها يوسف فقالوا لفرعون سل يوسف أن يصرف ماء الجوبة عنها ويخرجه منها فتزداد بلدا الى بلدك وخراجا الى خراجك فدعا يوسف فقال تعلم مكان ابنتى فلانة منى وقد رأيت اذا بلغت أن أطلب لها بلدا وانى لم اصب لها الا الجوبة وذلك انه بلد بعيد قريب لا يرى بوجه من الوجوه الا من غابة او صحراء وكذلك ليست هى تؤتى من ناحية من النواحى من مصر الا من مفازة وصحراء فالفيوم وسط مصر كمثل مصر فى وسط البلاد لان مصر لا تؤتى من ناحية من النواحى الا من صحراء أو مفازة قال وقد اقطعتها اياها فلا تتركن وجها ولا نظرا الا بلغته فقال يوسف نعم ايها الملك متى أردت ذلك فابعث الى فانى ان شاء الله فاعل ذلك قال ان احبه الى وأرفعه اعجله فأوحى الى يوسف أن تحفر ثلاثة خلج خليجا من اعلى الصعيد من موضع كذا الى موضع كذا وخليجا شرقيا من موضع كذا الى موضع كذا وخليجا غربيا من موضع كذا الى موضع كذا فوضع يوسف العمال فحفر خليج المنهى من أعلى اشمون الى اللاهون وأمر البنائين أن يحفروا اللاهون وحفر خليج الفيوم وهو الخليج الشرقى وحفر خليجا بقرية يقال لها بنهمت من قرى الفيوم وهو الخليج الغربى فخرج ماؤها من الخليج الشرقى فصب فى النيل وخرج من الخليج الغربى فصب فى صحراء بنهمت الى الغرب فلم يبق فى الجوبة ماء ثم أدخلها الفعلة فقطع ما كان فيها من القصب والطرفاء وأخرجه منها وكان ذلك ابتداء جرى النيل وقد صارت ارض الجوبة نقية برية وارتفع ماء النيل فدخل فى رأس المنهى فجرى فيه حتى انتهى الى اللاهون فقطعه الى الفيوم فدخل خليجها فسقاها فصارت لجة من النيل وخرج اليها الملك ووزراؤه وكان هذا كله فى سبعين يوما فلما نظر اليها الملك قال لوزرائه أرنئك هذا عمل الف يوم فسميت الفيوم وأقامت تزرع كما تزرع غوائط مصر قال وقد سمعت فى استخراج الفيوم غير هذا أن يوسف عليه السلام ملك مصر وهو ابن ثلاثين فأقام يدبرها أربعين سنة فقال اهل مصر قد كبر يوسف واختلف رأيه فعزلوه وقالوا اختر لنفسك من الموات أرضا نقطعها لنفسك وتصلحها وتعمل رأيك فيها فان رأينا من رأيك وحسن تدبيرك ما نعلم انك فى زيادة من عقلك رددناك الى ملكك فاعترض البرية فى نواحى مصر فاختار موضع الفيوم فأعطيها فشق اليها الخليج

المنهى من النيل حتى ادخله الفيوم كلها وفرغ من حفر ذلك كله فى سنة * قال يزيد بن ابى حبيب وبلغنا انه انما عمل ذلك بالوحى وقوى على ذلك بكثرة الفعلة والاعوان فنظروا فاذا الذى احياه يوسف من الفيوم لا يعلمون له بمصر كلها مثلا ولا نظيرا فقالوا اما كان يوسف قط افضل عقلا ولا رأيا ولا تدبيرا منه اليوم فردّوا اليه الملك فأقام ستين سنة اخرى تمام مائة سنة حتى مات وهو ابن ثلاثين ومائة سنة قال ثم بلغ يوسف قول وزراء الملك وانه انما كان ذلك على المحنة منهم له فقال للملك عندى من الحكمة والتدبير غير ما رأيت فقال له الملك وما ذاك قال أنزل الفيوم من كل كورة من كور مصر أهل بيت وآمر اهل كل بيت أن يبنوا لانفسهم قرية وكانت قرى الفيوم على عدد كور مصر فاذا فرغوا من بناء قراهم صيرت لكل قرية من الماء بقدر ما اصير لها من الارض لا يكون فى ذلك زيادة ولا نقص وأصير لكل قرية شربا فى زمان لا ينالهم الماء الا فيه واصير مطاطئا للمرتفع ومرتفعا للمطاطئ بأوقات من الساعات فى الليل والنهار واصير لها قبضات فلا يقصر باحد دون حقه ولا يزداد فوق قدره فقال له فرعون هذا من ملكوت السماء قال نعم فبدأ يوسف فأمر ببنيان القرى وحدّ لها حدودا وكانت اول قرية عمرت بالفيوم قرية يقال لها سانه وهى القرية التى كانت تنزلها بنت فرعون ثم أمر بحفر الخليج وبنيان القناطر فلما فرغوا من ذلك استقبل وزن الارض ووزن الماء ومن يومئذ حدثت الهندسة ولم يكن الناس يعرفونها قبل ذلك وكان اول من قاس النيل بمصر يوسف ووضع مقياسا بمنف * قال بامعه وفى التوراة ان فرعون ألزم بنى اسرائيل البناء وضرب اللبن فبنوا له عدة مدن محصنة منها فيثوم وعرمسيس قال الشارح هى الفيوم وحوف رمسيس وفى زمان الريان بن الوليد دخل يعقوب عليه السلام وولده مصر وهم ثلاثة وسبعون نفسا ما بين رجل وامرأة فأنزلهم يوسف ما بين عين شمس الى الفرما وهى أرض ريفية برية وكان يعقوب لما دنا من مصر أرسل يهودا الى يوسف فخرج اليه يوسف فلقيه فالتزمه وبكى فلما دخل يعقوب على فرعون كلمه وكان يعقوب شيخا كبيرا حليما حسن الوجه واللحية جهير الصوت فقال له فرعون ايها الشيخ كم اتى عليك قال عشرون ومائة وكان بهمن ساحر فرعون قد وصف صفة يعقوب ويوسف وموسى صلوات الله عليهم فى كتبه واخبر أن خراب مصر وهلاك اهلها يكون على ايديهم ووضع البربابات وصفات من تخرب مصر على يديه فلما رأى يعقوب قام الى مجلسه فكان اول ما سأله عنه أن قال من تعبد أيها الشيخ قال له يعقوب اعبد الله اله كل شئ فقال فكيف تعبد من لا ترى قال يعقوب انه أعظم وأجل من أن يراه أحد قال فنحن نرى آلهتنا قال يعقوب ان آلهتكم من عمل ايدى بنى آدم من يموت ويبلى وان الهى لاعظم وارفع وهو أقرب الينا من حبل الوريد فنظر بهمن الى فرعون فقال هذا الذى يكون هلاك بلادنا على يديه قال فرعون أفى ايامنا او فى ايام غيرنا قال ليس فى ايامك ولا ايام بنيك قال الملك فهل تجد هذا فيما قضى به الهكم قال نعم قال فكيف تقدر أن تقيل من يريد الهه هلاك قومه على يديه فلا يعبأ بهذا الكلام * وعن كعب أن يعقوب عاش فى ارض مصر ست عشرة سنة فلما حضرته الوفاة قال ليوسف لا تدفنى بمصر فاذا مت فاحملونى فادفنونى فى مغارة جبل حبرون وحبرون مسجد ابراهيم الخليل عليه السلام وبينه وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا قال فلما مات لطخوه بمر وصبر وجعلوه فى تابوت من ساج فكانوا يفعلون به ذلك اربعين يوما حتى كلم يوسف فرعون فأعلمه أن أباه قد مات وانه سأله أن يقبره فى ارض كنعان فأذن له وخرج معه أشراف اهل مصر حتى دفنه وانصرف وقيل قبر يعقوب بمصر فأقام بها نحوا من ثلاث سنين ثم حمل الى بيت المقدس وأوصاهم بذلك عند موته قال ثم مات الريان بن الوليد فلكهم من بعده ابنه دارم بن الريان وفى زمانه توفى يوسف عليه السلام فلما حضرته الوفاة قال انكم ستخرجون من ارض مصر الى ارض آبائكم فاحملوا عظامى معكم فمات فجعلوه فى تابوت ودفنوه فى احد جانبى النيل فأخصب الجانب الذى كان فيه وأجدب الجانب الآخر فحولوه الى الجانب الآخر فأخصب الجانب الذى حولوه اليه وأجدب الآخر فلما رأوا ذلك جمعوا عظامه فجعلوها فى صندوق من حديد وجعلوا فيه سلسلة وأقاموا عمودا على شاطئ النيل وجعلوا فى اصله سكة من حديد وجعلوا السلسلة فى السكة وألقوا الصندوق فى وسط النيل فأخصب الجانبان جميعا * وكان سبب حمل عظام يوسف من مصر الى الشام أن سارة ابنة أسر بن يعقوب عمرت حتى صارت عجوزا كبيرة ذاهبة البصر فلما سرى موسى عليه السلام ببنى اسرائيل غشيتهم ضبابة حالت بينهم وبين الطريق أن يبصروه وقيل لموسى لن تعبر الا ومعك عظام يوسف قال ومن يدرى أين

موضعها

موضعها قالوا عجوز كبيرة ذاهبة البصر تركناها فى الديار فرجع موسى فلما سمعت حسه قالت ما ردك قال
أمرت أن احمل عظام يوسف قالت ما كنتم لتعبروا الا وأنا معكم قال دليني على عظام يوسف فدلته عليها فأخذ
عظام يوسف معه الى التيه *(يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم)* خليل الرحمن صلوات الله عليهم أحد
الاسباط الاثنى عشر ولد بأرض كنعان من بلاد الشام ورأى الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين
وعمره سبع عشرة سنة وكاد اخوته على ذلك وباعوه من قوم مدنيين فساروا به الى مصر وباعوه لقائد فرعون
فأقام فى منزله اثنى عشر شهرا ثم راودته امرأة العزيز عن نفسه فاعتصم وكذبت عليه الى أن حبس ومكث فى
السجن عشر سنين وقيل غير ذلك فلم يزل فى السجن الى أن رأى الساقى والخباز ذينك المنامين وفسر لهما يوسف
وخرجا فأنسى الساقى يوسف سنتين الى أن رأى الملك البقر والسنابل فذكره وأتاه فقص عليه الرؤيا
وعبرها فأخرج من السجن وله حينئذ ثلاثون سنة فاستوزره الملك ومن ذلك الوقت الى أن صار به يعقوب الى
مصر تسع سنين منها سبع سنين من سنى الشبع وسنتان من سنى الجوع وكان ليعقوب فى السنة التى
صار فيها الى مصر مائة سنة وثلاثون سنة وكان اهل بيته حينئذ سبعين نفسا ومنذ سار الى مصر الى أن ولد
موسى عليه السلام مائة وثلاثون سنة اخرى فلما مضى له بمصر سبع عشرة سنة توفى وعمره مائة وسبع
وأربعون سنة فخاف الاسباط حينئذ مقابلة يوسف اياهم فقالوا ان أباك اوصى أن تغفر ذنب اخوتك فانك
وهم عبيد الله أبيك فبكى يوسف وقال لهم لا تحتاجون الى ذلك ووعدهم بخير تممه لهم ومات يوسف وله مائة
سنة وعشر سنين والله أعلم

(ذكر ما قيل فى الفيوم وخلجانها وضياعها)

قال اليعقوبى كان يقال فى متقدم الايام مصر والفيوم لجلالة الفيوم وكثرة عمارتها وبها القمح الموصوف
وبها يعمل الخيش * وحكى المسعودى أن معنى الفيوم ألف يوم * قال القضاعى الفيوم وهى مدينة دبرها
يوسف النبى عليه السلام بالوحى وكانت ثلثمائة وستين ضيعة تمير كل ضيعة منها مصر يوما واحدا فكانت تمير
مصر السنة وكانت تروى من اثنى عشر ذراعا ولا يستبحر ما زاد على ذلك فان يوسف عليه السلام اتخذ لهم
مجرى ورتبه ليدوم لهم دخول الماء فيه وقومه بالحجارة المنضدة وبنى به اللاهون * وقال ابن رضوان الفيوم
يخزن فيه ماء النيل ويزرع عليه مرات فى السنة حتى انك ترى هذا الماء اذا خلى يغير لون النيل وطعمه واكثر
ما تحسن هذه الحالة فى البحيرة التى تكون فى أيام القبط سفط ونهيا وصاعدا الى ما يلى الفيوم وهذه حالة تزيد فى
رداءة اهل المدينة يعنى مصر ولا سيما اذا هبت ريح الجنوب فان الفيوم فى جنوب مدينة مصر على مسافة
بعيدة من أرضها وقال القاضى السعيد ابو الحسن على بن القاضى المؤتمن بقية الدولة ابى عمرو عثمان بن
يوسف القرشى المخزومى فى كتاب المنهاج فى علم الخراج وهذه الاعمال من أحسن الاشياء تدبيرا وأوسعها
أرضا وأجودها قطرا ثم غلب على بعضها الخراب لخلوها من أهلها واستيلاء الرمل على كثير من أرضها
وقد وقفت على دستور عمله ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر بن الحسن بن اسحاق لذكر خلجان الاعمال المذكورة
وما عليها من الضياع وقد أوردته ههنا وان كان منه ما قد دثر ومنه ما تغيرت اسماؤه ومنه ما جهلت مواضعه
بالدثور ولكن أوردته ليعلم منه حال العامر الآن ويستقصى به من له رغبة فى عمارة ما يقدر عليه من الغامر
وفى ايراده مصلحة ليعلم شرب كل موضع ونسخته *(دستور)* على ما اوضحه الكشف من حال الخلج
الامهات بمدينة الفيوم ومنها من المواضع وشرب كل ضيعة منها ورسمها فى السد والفتح والتعديل والتحرير
وزمان ذلك عمل فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة نبتدئ بعون الله وحسن توفيقه بذكر
حال البحر الاعظم الذى منه هذه الخلج فنذكر مادته التى صلاحه بصلاحها *(خليج الفيوم الاعظم)* يصل
الماء الى هذا الخليج من البحر الصغير المعروف بالمنهى ذى الحجر اليوسفى وفوهة هذا البحر عند الجبل المعروف
بكرسى الساحرة من أعمال الاشمونين ومنه شرب بعض الضياع الاشمونية والقيسية والاهناسية وعلى
جنبيه ضياع كثيرة شربها منه وشرب كروم ماله كروم منها قول *(الحجر اليوسفى)* والحجر اليوسفى
جدار مبنى بالطوب والجير معروف عند المتقدمين بالصاروج وهو الجير والزيت وبناؤه من جهة الشمال الى
الجنوب ويتصل من نهايته من الجنوب بجدار بناؤه مثل بنائه على استقامة من الغرب الى الشرق ويحصره

ميلان منه فى نهايته وطوله مائتا ذراع بذراع العمل ويتصل بهذا الجدار على طول ثمانين ذراعا منه من جهة الغرب نهاية الجدار الاعظم من الجنوب وفائدة بناء الجدار الاعظم ردّ الماء اذا انتهى الى حدود اثنى عشرة ذراعا الى مدينة الفيوم وطول ما يتصل منه الجدار الذى من جهة الغرب الى الشرق ثم يتصل بالميل ثم ينخفض من حدود هذا الميل الى ميل مثله يقابله من جهة الشمال خمسون ذراعا وبعد ما بين هذين الميلين وهو المنخفض مائة ذراع وعشرة اذرع ومقدار المنخفض منه أربعة أذرع وهذا المنخفض هو الذى يسدّ بجسر من حشيش يسمى لبشا وعرض ما يجرى عليه الماء وهو موضع اللبش وما قابله الى جهة الشرق أربعون ذراعا وعليه مسك اللبش الثانى ويتصل بهذا الميل الى جهة الشمال ما طوله ثلثمائة واثنان وسبعون ذراعا ثم يتصل به على نهاية هذا الطول جدار يمرّ على استقامته الى الجرمبنى بالحجر طوله على استقامته الى جهة الشرق مائة ذراع ثم ينخفض أيضا من حيث يتصل بهذا الجدار ما طوله عشرون ذراعا وقدر المنخفض منه ذراعان وهذا المنخفض أيضا يسدّ بجسر حشيش يسمى الكبد وطول بقية الجدار الى نهايته من جهة الشمال مائة وستة وثلاثون ذراعا وقبالة هذا بطوله منه مبلط وفيه قناطر مبنية بالحجر كانت قديما تردّ الماء الى الفيوم من الخليج القديم الذى عنده السدود اليوم وكان عليها أبواب وعدّتها عشر قناطر قديمة فيكون جميع ذرع الجدار الاعظم من نهايته سبعمائة واثنين وسبعين ذراعا بذراع العمل دون الجدار المعترض من الغرب الى الشرق ويمرّ هذا الجدار الاعظم من كلتا جهتيه جميعا حتى يتصل بالجبل فتوجد آثاره فى القيظ مرورا على غير استقامة وعرضه مختلف وكلما انتهى الى سطحه قل عرضه وعرض أعلاه مع الظاهر من اسفله جميعا ستة عشر ذراعا وفيه منافس يخرج منها الماء وهى برابخ زجاج ملوّنة يشبه المينا وأزرق وسليمانى وهو من العجائب الحسنة فى عظم البناء واتقانه لانه من الابنية اللاحقة بمنارة الاسكندرية وبناء الاهرام فمن معجزته أن النيل يمرّ عليه من عهد يوسف عليه السلام الى هذه الغاية وما تغير عن مستقرّه ويدخل الماء من هذا البحر فى هذا الزمان الى مدينة الفيوم من خليجها الاعظم ما بين أرض الضيعتين المعروفتين بدمونة واللاهون ومنه شرب هاتين الضيعتين وغيرهما سيحا ومنه شرب كرومها بالدواليب على أعناق البقر وان قصر النيل عن الصعود الى سوادها سقيت منه على أعناق البقر وزرعت ويتدى فى الخليج الاعظم الى خليج يعرف بخليج الاواسى وليس عليه رسم فى سدّ ولا فتح ولا تعديل وينتهى الى الضيعة المعروفة ببياض فيملأ بركها وغيرها من البرك وللبرك مقاسم يصل الى كل مقسم منها لغايته ومقدار شرب ما عليه وينتهى الى الضيعة المعروفة بالاوسية الكبرى فمنه شربها من مقسمين لها وبرسمها باب ومنه يشرب نخلها وشجرها وعلى هذا الحد طاحونة تعمل بالماء ثم ينتهى الى ثلاثة مقاسم آخرها الضيعة المعروفة ببرطينة منها مقسم لها ومقسم لقبالات عدّة والمقسم الثالث يسقى أحد احياء النخل وبهذا الحى سواق وبساتين قد خربت وجميز دائر به وكان بها بيوت فى اقنية النخل ثم ينتهى الى حى ثان على صفة الاوّل ثم ينتهى الى الضيعة المعروفة بالجوبة فيملأ بركها وينتهى الى ثلاثة مقاسم فى صف وفوقها خليج معطل ويشرب من هذه المقاسم عدّة ضياع ثم ينتهى الماء من هذا الخليج الى البطس وهو نهايته وعلى الخليج الاعظم بعد هذا أبابيز شربها منه من افواه لها سيحا فاذا انصب ماء النيل نصب على افواهها برسم صيد السمك شباك ثم ينتهى الخليج الاعظم على يمنة من يريد الفيوم الى خليج يعرف *(بخليج سمسطوس)* منه شرب سمسطوس وغيرها وابابيز كثيرة تجاوز الصحراء من المشرق منه ومن قبليه وهى ما بين هذا الخليج وخليج الاواسى ثم ينتهى الخليج الاعظم ايضا الى *(خليج ذهالة)* ومنه شرب عدّة ضياع وعليه يزرع الارز وغيره ثم ينتهى الخليج الاعظم الى ثلاث خلج ثم ينتهى الى *(خليج بنطاوة)* وبهذا الخليج ثلاثة أبواب قديمة يوسفية سعة كل باب منها ذراعان بذراع العمل ويمرّ فيه الماء وينتهى أيضا الى بابين يوسفيين ورسم هذا الخليج أن يسدّ هو وسائر المطاطية على استقبال عشر تخلو من هاتور الى سلخه ويفتح على استقبال كيهك الى عشر تبقى منه ثم يسدّ الى عشر تخلو من طوبة ثم يفتح ليلة الغطاس الى سلخ طوبة ثم يسدّ على استقبال أمشير الى عشرة تبقى منه ثم يفتح لعشر تبقى منه الى عشر تخلو من برمهات ثم يفتح الى عشر تخلو من برمودة ثم يعدل فى موضعه وقد خرب ما على مجريه من الضياع ويشرب منه عدّة ضياع ولهذا الخليج مغيض معمول تحت الجبل بقبو يخرج منه الماء فى زمان تكاثره ثم ينتهى الخليج لمعظم الى *(خليج دله)* وهو من المطاطية وحكمه فى السدّ والفتح والتعديل والتحسين كما تقدّم وهو

على يسرة من بريد المدينة وله بابان بوسفيان مبنيان بالجرسعة كل منهما ذراعان وربع ومنه شرب عدة ضياع امهات وغيرها وفى وسطه مفيض زمان الاستبحار يفتح فيفيض الماء الى البركة العظمى وفى أقصى هذه البركة أيضا مفيض له أبواب يقال انها كانت من حديد فاذا زادت فتحت الابواب فمضى الماء الى الغرب وقيل انه يمر الى سنترية وكان على هذين الخليجين بساتين وكروم كثيرة تشرب على أعناق البقر وينتهى الخليج الاعظم الى *(خليج المجنونة)* سمى بذلك لعظم مايصير اليه من الماء وحكمه فى السد وغيره على ماذكر ومنه شرب ضياع كثيرة وبه تدار طواحين واليه تصير مصالات مياه الضياع القبلية والى بركة فى أقصى مدينة الفيوم تجاور الجبل المعروف بأبى قطران ويلتقى ما ينصب من مصالات الضياع البحرية فيها وهى البركة العظمى ثم ينتهى الخليج الاعظم الى *(خليج تلاله)* وله بابان بوسفيان متينان مبنيان بالجرسعة كل منهما ذراعان وثلثا ذراع وليس فيه وسم سد ولا فتح ولا تعديل ولا تحييز الا فى تقصير النيل فانه يحيز بحشيش ومنه شرب طواتف المدينة وعدة أراض وضياع وفيه فوهة خليج البطش الذى اليه مفاضل المياه وفيه ابواب تسد حتى يصعد الماء الى أراض مرتفعة بقدر معلوم واذا احدث بالسد حدث يفسده كانت النفقة عليه من الضياع التى تشرب منه بقدر استحقاقها ثم ينتهى الخليج الاعظم الى خلجان من جانبيه فى قبليه وبحريه ثم ينتهى الى *(خليج سموه)* وهو على يمنة من بريد مدينة الفيوم وهو من المطاطنة وله بابان بوسفيان سعة كل منهما ذراعان ونصف وحكمه حكم ماتقدم ومنه شرب طوائف كثيرة وعدة ضياع وينتهى الى اربعة مقاسم بأبواب والى خلجان تسقى ضياعا كثيرة منها *(خليج تندود)* فيه عين حلوة فاذا سد هذا الخليج سقى منها أراضى ماجاورها وظهرت هذه العين لما عدم الماء وحفر هذا الموضع ليعمل بئرا فظهرت منه هذه العين فاكتفى بها ثم ينتهى الخليج الاعظم الى خلجان بها شاذروانات ومقاسم قديمة يوسفية وبها أبواب يوسفية بها رسوم فى السد والفتح يشرب منها ضياع كثيرة ورسم الترع أن يسد جميعها على استقبال عشرة ايام تخلو من هاتور الى سلخه وتفتح على استقبال كيهك مدة عشرين يوما وتسد لعشر تبقى منه الى الغطاس وتفتح يوم الغطاس الى سلخ طوبة وتسد على استقبال امشير عشرين يوما ثم تفتح لعشر تبقى منه الى عشرين من برمهات وتفتح عشرة ايام تخلو من برمودة ثم تعدل فيهم بعمارتها ولهم فى التعديل قسم تعطى منه كل ناحية شربها بالعدل بقوانين معروفة عندهم وقد اختصرت أسماء الضياع التى ذكرها الخراب اكثرها الآن والله أعلم

(ذكر فتح الفيوم ومبلغ خراجها ومافيها من المرافق)

قال ابن عبد الحكم فلما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو بن العاص جرائد الخيل الى القرى التى حولها فأقامت الفيوم سنة لا يعلم المسلمون بمكانها حتى أتاهم رجل فذكرها لهم فأرسل عمرو معه ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصدفى فلما سلكوا فى المجابة لم يروا شيأ فهموا بالانصراف فقالوا لا تعجلوا سيروا فان كان قد كذب فما أقدركم على ما اردتم فلم يسيروا الا قليلا حتى طلع لهم سواد الفيوم فهجموا عليها فلم يكن عندهم قتال وألقوا بأيديهم قال ويقال بل خرج مالك بن ناعمة الصدفى وهو صاحب الاشقر على فرسه ينفض المجابة ولا علم له بما خلفها من الفيوم فلما رأى سوادها رجع الى عمرو فأخبره بذلك قال ويقال بل بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث الى الصعيد فسار حتى أتى القيس فنزل بها وبه سميت القيس فراث على عمرو خبره فقال ربيعة بن حبيش كفيت فركب فرسه فأجاز عليه البحر وكانت انثى فأتاه بالخبر ويقال انه أجاز من ناحية الشرقية حتى انتهى الى الفيوم وكان يقال لفرسه الاعمى والله أعلم * وقال ابن الكندى فى كتاب فضائل مصر ومنها كورة الفيوم وهى ثلثمائة وستون قرية دبرت على عدد ايام السنة لا تنقص عن الرى فان قصر النيل فى سنة من السنين مار بلد مصر كل يوم قرية وليس فى الدنيا ما بنى بالوحى غير هذه الكورة ولا بالدنيا بلد أنفس منه ولا اخصب ولا اكثر خيرا ولا أغزر أنهارا ولو قايسنا بأنهار الفيوم أنهار البصرة ودمشق لكان لنا بذلك الفضل ولقد عد جماعة من أهل العقل والمعرفة مرافق الفيوم وخيرها فاذا هى لا تحصى فتركوا ذلك وعدوا مافيها من المباح مما ليس عليه ملك لاحد من مسلم ولا معاهد يستعين به القوى والضعيف فاذا هو فوق السبعين صنفا * وقال ابن زولاق فى كتاب الدلائل على امراء مصر للكندى وعقدت لكافور الاخشيدى الفيوم فى هذه السنة يعنى سنة ست وخمسين وثلثمائة ستمائة ألف دينار ونيفا وعشرين ألف دينار * وقال القاضى الفاضل

فى كتاب متجدّدات الحوادث ومن خطه نقلت ان الفيوم بلغت فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة مبلغ مائة ألف واثنين وخمسين ألف دينار وسبعمائة وثلاثة دنانير وقال البكرى والفيوم معروف هنالك يغل فى كل يوم ألفى مثقال ذهبا

*(مدينة النحريرية)

كانت أرضا مقطعة لعشرة من أجناد الحلقة من جملتهم شمس الدين سنقر السعدى فأخذ قطعة من أراضى زراعتها وجعلها اصطبلا لدوابه وخيله فشكاه شركاؤه الى السلطان الملك المنصور قلاون فسأله عن ذلك فقال اريد أن أجعله جامعا تقام فيه الخطبة فأذن له السلطان فى ذلك فابتدأ عمارته فى اخريات سنة ثلاث وثمانين وستمائة حتى كمل فى سنة خمس وثمانين فعمل له السلطان منبرا واقيمت به الجمعة واستمرت الى يومنا هذا وانشأ السعدى حوانيت حول الجامع فلم تزل بيده حتى مات وورثها ابناه عز الدين خليل وركن الدين عمر فباعاها بعد مدة للامير شيخو العمرى فجعلها مما وقفه على الخانكاه والجامع اللذين انشأهما بخط صليبة جامع ابن طولون خارج القاهرة فعمرت هذه الارض بعمارة الجامع وسكنها الناس فصارت مدينة من مدائن اراضى
٢ مصر بحيث بلغت اموال القرازين فيها وترقى سنقر السعدى فى الخدم حتى صار من لامراء وولى نقيب المماليك السلطانية وأنشأ المدرسة السعدية خارج القاهرة قريبا من حدرة البقر فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل فى سنة خمس عشرة وسبعمائة وبنى أيضا رباطا للنساء وكان شديد الرغبة فى العمائر محبا زراعة كثير المال ظاهر الغنى ثم انه اخرج الى طرابلس وبها مات سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

(ذكر تاريخ الخليقة)

اعلم انه لما كانت الحوادث لابد من ضبطها وكان لا يضبط ما بين العصور وبين ازمنة الحوادث الا بالتاريخ المستعمل العام الذى لا ينكره الجماعة او اكثرها وذلك أن التاريخ المجمع عليه لا يكون الامن حادث عظيم يملأ ذكره الاسماع وكانت زيادة ماء النيل ونقصانه انما يعتبرهما أهل مصر ويحسبون أيامهما بأشهر القبط وكذلك خراج أراضى مصر انما يحسبون اوقاته بذلك وهكذا زراعات الاراضى انما يعتمدون فى اوقاتها أيام الاشهر القبطية عادة وسلكوا فيها سبيل اسلافهم واقتفوا مناهج قدمائهم وما برح الناس من قديم الدهر أسراء العوائد احتيج فى هذا الكتاب الى ايراد جملة من تاريخ الخليقة لتعيين موقع تاريخ القبط منها فان بذكر ذلك يتم الغرض فأقول التاريخ عبارة عن يوم ينسب اليه ما يأتى بعده ويقال أيضا التاريخ عبارة عن مدة معلومة تعد من اول زمن مفروض لتعرف بها الاوقات المحدودة ولا غنى عن التاريخ فى جميع الاحوال الدنيوية والامور الدينية ولكل امة من امم البشر تاريخ تحتاج اليه فى معاملاتها وفى معرفة أزمنتها تنفرد به دون غيرها من بقية الامم وأول الاوائل القديمة وأشهرها هو كون مبدأ البشر ولاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس فى كيفيته وسياقة التاريخ منه خلاف لا يجوز مثله فى التواريخ وكل ما يتعلق معرفته ببدء الخلق وأحوال القرون السالفة فانه مختلط بتزويرات وأساطير لبعد العهد وعجز المعتنى به عن حفظه وقد قال الله سبحانه وتعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله فالاولى أن لا يقبل من ذلك الا ما يشهد به كتاب أنزل من عند الله يعتمد على صحته لم يرد فيه نسخ ولا طرقه تبديل أو خبر ينقله الثقات واذا نظرنا فى التاريخ وجدنا فيه بين الامم خلافا كثيرا وسأتلو عليك من ذلك ما لا اظنك تجده مجموعا فى كتاب واقدم بين يدى هذا القول ما قيل فى مدة بقاء الدنيا

(ذكر ما قيل فى مدة ايام الدنيا ماضيها وباقيها)

اعلم أن الناس قد اختلفوا قديما وحديثا فى هذه المسألة فقال قوم من القدماء الاول بالاكوار والادوار وهم الدهرية وهؤلاء هم القائلون بعود العوالم كلها على ما كانت عليه بعد ألوف من السنين معدودة وهم فى ذلك غالطون من جهة طول أدوار النجوم وذلك أنهم وجدوا قوما من الهند والفرس قد عملوا أدوار النجوم ليصححوا بها فى كل وقت مواضع الكواكب فظنوا أن العدد المشترك لجميعها هو عدد سنى العالم أو أيام العالم وانه كلما مضى

ذلك العدد عادت الاشياء الى حالها الاول وقد وقع فى هذا الظن ناس كثير مثل ابى معشر وغيره وتبع هؤلاء خلق وانت تقف على فساد هذا الظن ان كنت تخبر من العدد شيأ ما وذلك انك اذا طلبت عددا مشتركا بعدة أعداد معلومة فانك تقدر أن تضع لكل زيج أياما معلومة كالذى وضعه الهند والفرس فهؤلاء حيث جهلوا صورة الحال فى هذه الادوار ظنوا انها عدد أيام العالم فتفطن ترشد وعند هؤلاء أن الدور هو أخذ الكواكب من نقطة وهى سائرة حتى تعود الى تلك النقطة وأن الكور هو استئناف الكواكب فى ادوارها سيرا آخر الى أن تعود الى مواضعها مرة بعد اخرى وزعم اهل هذه المقالة أن الادوار منحصرة فى أنواع خمسة * الاول أدوار الكواكب السيارة فى أفلاك تداويرها * الثانى أدوار مراكز أفلاك التدوير فى أفلاكها الحاملة * الثالث أدوار أفلاكها الحالة فى فلك البروج * الرابع أدوار الكواكب الثابتة فى فلك البروج * الخامس ادوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة وهذه الادوار المذكورة منها ما يكون فى كل زمان طويل مرة واحدة ومنها ما يكون فى كل زمان قصير مرة واحدة فأقصر هذه الادوار أدوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة فانه يدور فى كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة وباقى الادوار يكون فى أزمنة اخر أطول من هذه لا حاجة بنا فى هذه المسألة الى ذكرها قالوا وأدوار الكواكب الثابتة فى فلك البروج تكون فى كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة وحينئذ تنتقل اوجات الكواكب وجوزهراتها الى مواضع حضيضها ونوبهراتها وبالعكس فيوجب ذلك عندهم عود العوالم كلها الى ما كانت عليه من الاحوال فى الزمان والمكان والاشخاص والاوضاع بحيث لا يخالف ذرة واحدة وهم مع ذلك مختلفون فى كمية ما مضى من ايام العالم وما بقى فقال البراهمة من الهند فى ذلك قولا غريبا وهو ما حكاه عنهم الاستاذ ابو الريحان محمد بن احمد البيرونى فى كتاب القانون المسعودى انهم يسمون الطبيعة باسم ملك يقال له براهيم ويزعمون انه محدث محصور الموت بين مبدأ وانتهاء عمره كعمرها مائة سنة برهموية كل سنة منها ثلثمائة وستون يوما زمان النهار منها بقدر مدة دوران الافلاك والكواكب لاثارة الكون والفساد وهذه المدة بقدر ما بين كل اجتماعين للكواكب السبعة فى اول برج الحمل باوجاتها وجوزهراتها ومقدارها أربعة آلاف ألف سنة وثلثمائة ألف ألف سنة وعشرون ألف ألف سنة شمسية وهو زمان اثنى عشر ألف دورة للكواكب الثابتة على أن زمان الدورة الواحدة ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة شمسية واسم هذا النهار بلغتهم الكلية وزمان الليل عندهم كزمان النهار وفى الليل تسكن المتحركات وتستريح الطبيعة من اثارة الكون والفساد ثم يشرع فى مبدأ اليوم الثانى بالحركة والتكوين فيكون زمان اليوم بليلته من سنى الناس ثمانية آلاف ألف ألف سنة وستمائة ألف ألف سنة وأربعين ألف ألف سنة فاذا ضربنا ذلك فى ثلثمائة وستين تبلغ سنو أيام السنة البرهموية ثلاثة آلاف ألف ألف ألف سنة وعشرة آلاف ألف ألف ألف سنة وأربعمائة ألف ألف سنة شمسية فاذا ضربناها فى مائة يبلغ عمر الملك الطبيعى البرهموى من سنى الناس ثمانمائة الف الف الف الف سنة وأحد عشر الف الف الف سنة وأربعين الف الف سنة شمسية فاذا تمت هذه السنون بطل العالم عن الحركة والتكوين ما شاء الله ثم يستأنف من جديد على الوضع المذكور وقسموا زمان النهار المذكور الى تسع وعشرين قطعة سموا كل أربع عشرة قطعة منها نوبا وسموا الخمس عشرة قطعة الباقية فصولا وجعلوا كل نوبة محصورة بين فصلين وكل فصل محصورا بين نوبتين وقدموا زمان الفصل على النوبة الى تمام المدة وزمان الفصل هو خمسا الدور والدور جزء من ألف جزء من المدة فاذا قسمنا المدة على ألف تحصل زمان الدور أربعة آلاف الف سنة وثلثمائة ألف سنة وعشرين الف سنة وخمساه هى زمان الفصل الف الف سنة وسبعمائة الف سنة وثمانية وعشرون ألف سنة وزمان النوبة عندهم احد وسبعون دورا مقدارها من السنين ثلثمائة ألف ألف سنة وستة آلاف الف سنة وسبعمائة ألف سنة وعشرون ألف سنة وقد قسموا الدور أيضا بأربع قطع اولها أعظمها وهى مدة الفصل المذكور وثانيها ثلاثة ارباع الفصل ومدتها ألف ألف سنة ومائتا ألف سنة وستة وتسعون ألف سنة وثالثها نصف الفصل ومدته ثمانمائة ألف سنة وأربعة وستون ألف سنة ورابعها ربع الفصل وهو عشر الدور المذكور ومدته أربعمائة ألف سنة واثنان وثلاثون ألف سنة ولكل واحد من هذه القطع الاربع اسم يعرف به فاسم القطعة الرابعة عندهم كلكال لانهم يزعمون انهم فى زمانها وان الذى مضى من عمر الملك

الطبيعي على زعم حكيمهم الاعظم المسمى عندهم برهمكوت ثمان سنين وخمسة اشهر وأربعة ايام ونحن الآن في نهار اليوم الخامس من الشهر السادس من السنة التاسعة ومضى من النهار الخامس ست نوب وسبعة فصول وسبعة وعشرون دورا من النوبة السابعة وثلاث قطع من الدور المذكور أعني تسعة اعشاره ومضى من القطعة الرابعة أعني من اول كلكال الى هلاك شككال عظيم ملوكهم الواقع في آخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة للاسكندر ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وسبعون سنة وقال انما عرفنا هذا الزمان من علم الهي وقع الينا من عظماء انبيائنا المتألهين برواياتهم جيلا بعد جيل على ممر الدهور والازمان وزعموا أن في مبدأ كل دور أو فصل أو قطعة أو نوبة تتجدد أزمنة العوالم وتنتقل من حال الى حال وأن الماضي من اول كلكال الى شككال ثلاثة آلاف ومائة وتسع وسبعون سنة والماضي من النهار المذكور الى آخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة للاسكندر ألف ألف ألف سنة وتسعمائة ألف ألف سنة واثنان وسبعون ألف ألف سنة وتسعمائة ألف سنة وسبعة وأربعون ألف سنة ومائة سنة وسبع وسبعون سنة فيكون الماضي من عمر الملك الطبيعي الى آخر هذه السنة ستة وعشرين ألف ألف ألف سنة وثلثمائة ألف ألف سنة وخمسة عشر ألف ألف سنة وسبعمائة ألف ألف سنة واثنين وثلاثين ألف ألف سنة وتسعمائة ألف سنة وسبعة وأربعين ألف سنة ومائة سنة وتسعا وسبعين سنة فاذا زدنا عليها الباقي من تاريخ الاسكندر بعد نقصان السنين المذكورة منه تحصل الماضي من عمر الملك بالوقت المفروض والله أعلم بحقيقة ذلك وقال الخطا والايغر في ذلك قولا أعجب من قول الهند وأغرب على ما نقلته من زيج أدوار الانوار وقد نخص هذا القول من كتب أهل الصين وذلك انهم جعلوا مبادي سنيهم مبنية على ثلاثة أدوار الاول يعرف بالعشري مدته عشر سنين لكل سنة منها اسم يعرف به والثاني يعرف بالدور الاثني عشري وهو أشهرها خصوصا في بلاد الترك يسمون سنيه بأسماء حيوانات بلغتي الخطا والايغر والثالث مركب من الدورين جميعا ومدته ستون سنة وبه يؤرخون سني العالم وأيامه ويقوم عندهم مقام ايام الاسبوع عند العرب وغيرها واسم كل سنة منها مركب من اسميها في الدورين جميعا وكذلك كل يوم من أيام السنة ولهذا الدور ثلاثة أسماء وهي شانكون وجونكون وخاون ويصير بحسبها مرة أعظم ومرة اوسط ومرة أصغر فيقال دور شانكون الاعظم ودور جونكون الاوسط ودور خاون الاصغر وبهذه الادوار يعتبرون سني العالم وأيامه وجملتها مائة وثمانون سنة ثم تدور الادوار الثلاثة عليها مرة أخرى واتفق وقوع مبدأ الدور الاعظم في الشهر الاول من سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ليزدجرد واسمها بلغتهم كادره وبلغة العرب سنة الغار وكان دخول اول فروردين هذه السنة من سني العرب يوم الخميس وهو بلغتهم سن جن ومن هذا اليوم وعلى هذا التاريخ تترتب مبادي سنيهم وأيامهم في الماضي والمستقبل وشهورهم اثنا عشر شهرا لكل شهر منها اسم بلغة الخطا وبلغة الايغر لا حاجة بنا هنا الى ذكرها ويقسمون اليوم الاول بليلته اثني عشر قسما كل قسم منها يقال له جاغ وكل جاغ ثمانية أقسام كل قسم منها يقال له كه ويقسمون اليوم بليلته أيضا عشرة آلاف فنك وكل فنك منها مائة ميا وفيصيب كل جاغ ثمانمائة وثلاثة وثلاثين فنكا وثلث فنك وكل كه مائة وأربعة أفنالك وسدس فنك وينسبون كل جاغ الى صورة من الصور الاثني عشرة ومبدأ اليوم بليلته عندهم من نصف الليل وفي منتصف جاغ كسكو يتغير أول النهار وآخره بحسب الطول والقصر من قبل أن كل جاغ ساعتان مستويتان وفي منتصف النهار منتصف جاغ يوند وهم يكبسون في كل ثلاث سنين قرية شهرا واحدا يسمونه سيون ليحفظوا بالكبس مبادي سني الشمس في زمان واحد من سنة اخرى ويكبسون احد عشر شهرا في كل ثلاثين سنة قرية ولا يقع عندهم شهر الكبس في موضع واحد بعينه من السنة بل يقع في كل موضع منها وكل شهر عدة ايامه اما ثلاثون يوما او تسعة وعشرون يوما ولا يمكن عندهم اكثر من ثلاثة أشهر متوالية تامة ولا اكثر من شهرين ناقصين ومبادي شهورهم يوم الاجتماع ان وقع اجتماع النيرين نهارا فان وقع الاجتماع ليلا كان اول الشهر في اليوم الذي بعد الاجتماع وزمان السنة الشمسية بحسب ارصادهم ثلثمائة وخمسة وستون يوما وألفان وأربعمائة وستة وثلاثون فنكا والسنة أربعة وعشرون قسما كل قسم منها خمسة عشر يوما وألفان ومائة وأربعة وثمانون فنكا وخمسة اسداس فنك ولكل قسم من هذه الاقسام اسم وكل ستة أقسام منها فصل من فصول السنة فاسم اول قسم من فصولها الحن واوله أبدا حيث تكون الشمس في ست عشرة درجة من

برج الدلو وهكذا اوائل كل فصل انما تكون فى حدود اواسط البروج الثابتة وكان بعد مدخل الحلّ من اول
الدور الستينى فى السنة المذكورة احد عشر يوما وسبعة آلاف وستمائة وستين فنكا واسم مدخله
بى خايى وكان بعد دخول السنة الفارسية المذكورة بنحو عشرين يوما وبعد مدخله عن اول الدور فى كل
سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة الدور وهو خمسة ايام وأربعة وعشرون فنكا فان زادت الايام على
ستين يوما كان الباقى بعد الحلّ فى تلك السنة عن اول الدور الستينى ويتفاضل البعد بينهما فى كل سنة بقدر
فضل سنة الشمس على سنة القمر التى هى ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وثلاثة آلاف وستمائة واثنان وسبعون
فنكا ومقدار الفضل بينهما عشرة ايام وثمانية آلاف وسبعمائة وأربعة وستون فنكا فان زادت الايام
على زمان الشهر القمرى الاوسط الذى هو تسعة وعشرون يوما وخمسة آلاف وثمانمائة وستة افنال نقص
منها هذا العدد واحتسب بالباقى فاذا عرفت هذا من حسابهم فاعلم أنّ عمر العالم عندهم ثلثمائة ألف ونّ وستون
الف ونّ كل ونّ عشرة آلاف سنة مضى من ذلك الى اول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ليزدجرد وهى دورشا تكون
الاعظم ثمانية آلاف ونّ وثمانمائة ونّ وثلاثة وستون وناو تسعة آلاف وسبعمائة وأربعون سنة فتكون
المدّة العظمى على هذا ثلاثة آلاف ألف ألف ألف ألف سنة وستمائة ألف ألف ألف ألف سنة بهذه الصورة
٣٦٠٠٠٠٠٠٠٠ والماضى منها الى السنة المذكورة ثمانية وثمانون ألف ألف سنة وستمائة ألف
سنة وتسعة وثلاثون ألف سنة وسبعمائة سنة وأربعون سنة بهذه الصورة ٨٨٦٣٩٧٤٠ ولله
غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وانما ذكرت طرفا من حساب سنى البراهمة وطرفا من حساب
سنى الخطا والايغز المستخرج من حساب الصين ليعلم المنصف أنّ ذلك لم يضعه حكماؤهم عبثا ولا مرّما جدع
قصير انفه وكم من جاهل بالتعاليم اذا سمع اقوالهم فى مدة سنى العالم يبادر الى تكذيبهم من غير علم بدليلهم عليه
وطريق الحق أن يتوقف فيما لا يعلمه حتى يتبين أحد طرفيه فيرجحه على الآخر والله يعلم وأنتم لا تعلمون * وقال
أصحاب السندهند ومعناه الدهر الداهر انّ الكواكب وأوجاتها وجوزهراتها تجتمع كلها فى اول برج الحمل
عند كل أربعة آلاف ألف ألف سنة وثلثمائة ألف ألف سنة وعشرين ألف ألف سنة شمسية وهذه مدة سنى
العالم قالوا واذا جمعت برأس الحمل فسدت المكونات الثلاث التى يحويها عالم الكون والفساد المعبر عنه بالحياة
الدنيا وهذه المكونات هى المعدن والنبات والحيوان فاذا فسدت بقى العالم السفلى خرابا دهرا طويلا الى أن
تفترق الكواكب والاوجات والجوزهرات فى بروج الفلك فاذا تفرقت فيها بدأ الكون بعد الفساد فعادت
احوال العالم السفلى الى الامر الاول وهذا يكون عودا بعد بدء الى غير نهاية قالوا ولكل واحد من الكواكب
والاوجات والجوزهرات عدة أدوار فى هذه المدة يدل كل دور منها على شئ من المكونات كما هو مذكور
فى كتبهم مما لا حاجة بنا هنا الى ذكره وهذا القول منتزع من قول البراهمة الذى تقدم ذكره * وقال اصحاب
الهازروان من قدماء الهند انّ كل ثلثمائة ألف سنة وستين ألف سنة شمسية يهلك العالم بأسره ويبقى مثل
هذه المدة ثم يعود بعينه ويعقبه البدل وهكذا ابدا يكون الحال لا الى نهاية قالوا ومضى من ايام العالم المذكورة
الى طوفان نوح عليه السلام مائة ألف وثمانون ألف سنة شمسية ومضى من الطوفان الى سنة الهجرة
المحمدية ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وعشرون سنة وأربعة اشهر وأيام وبقى من سنى العالم حتى يبتدئ ويفنى
مائة ألف وبضع وسبعون ألف سنة شمسية اولها تاريخ الهجرة الذى يؤرخ به اهل الاسلام * وقال اصحاب
الارجبهر مدة العالم التى تجتمع فيها الكواكب برأس الحمل هى وأوجاتها وجوزهراتها جزء من الف جزء من مدة
السندهند وهذا أيضا منتزع من قول البراهمة * وقال ابو معشر وابن نوبخت ان بعض الفرس يرى أنّ عمر
الدنيا اثنا عشر الف سنة بعدّة البروج لكل برج الف سنة فكان ابتداء أمر الدنيا فى اول الف الحمل لانّ الحمل
والثور والجوزاء تسمى أشرف الشرف وتنسب الى الحمل الفصل وفيه تكون الشمس فى شرفها وعلوّها
وطول نهارها ولذلك الدنيا كانت الى ثلاثة آلاف سنة علوية روحانية طاهرة ولانّ السرطان والاسد والسنبلة
منتقصة فانّ الشمس تنحط عن علوّها فى اول دقيقة من السرطان وكان قدر الدنيا وأهلها نحوها فى الثلاثة آلاف
الثانية ولانّ الميزان هبوط الشمس وبئر الآبار وضد البرج الذى فيه شرف الشمس دل على انه اصابت الدنيا
واكتسب اهلها المعصية والميزان والعقرب والقوس اذا ارتبها الشمس لم تزدد الا انحطاطا والايام الا انتقاصا

فلذلك دلت على البلايا والضيق والشدة والشر وحيث تبلغ الآلاف الى اوّل الجدى الذى فيه اوّل ارتفاع الشمس واشرافها على شرفها وفيه تزداد الايام طولا والدلو والحوت اللذان تزداد الشمس فيهما صعودا حتى تصل لشرفها فيدل على ظهور الخير وضعف الشر وثبات الدين والعقل والعمل بالحق والعدل ومعرفة فضل العلم والادب فى تلك الثلاثة الآلاف سنة وما يكون فى ذلك فعلى قدر صاحب الالف والمائة والعشرة وعلى حسب اتفاق الكواكب فى اوّل سلطان صاحب الالف فلا يزال ذلك فى زيادة حتى يعود أمر الدنيا فى آخرها الى مثل ما كان عليه ابتداؤها وهى فى ألف الحمل وكلما تقارب آخر كل ألف من هذه الالوف اشتد الزمان وكثرت البلايا لان اواخر البرج فى حدود النحوس وكذلك فى آخر المئين والعشرات فعلى هذا الانقضاء للدنيا اذا كان الزمان يعود الى الحمل كما بدا أوّل مرّة وزعموا أن ابتداء الخلق بالتحرك كان والشمس فى ابتداء المسير فدار الفلك وجرت المياه وهبت الرياح واتقدت النيران وتحرك سائر الخلائق بما هم عليه من خير وشر والطالع تلك الساعة تسع عشرة درجة من برج السرطان وفيه المشترى وفى البيت الرابع الذى هو بيت العاقبة وهو برج الميزان زحل وكان الذنب فى القوس والمريخ والجدى والزهرة وعطارد فى الحوت ووسط السماء برج الحمل وفى اوّل دقيقة منه الشمس وكان القمر فى الثور وفى بيت السعادة وكان الرأس فى برج الجوزاء وهو بيت الشقاء وفى تلك الدقيقة من الساعة كان استقبال أمر الدنيا فكان خيرها وشرها وانحطاطها وارتفاعها وسائر ما فيها على قدر مجارى البروج والنجوم وولاية اصحاب الالوف وغير ذلك من احوالها ولان المشترى كان فى السرطان فى شرفه وزحل فى الميزان فى شرفه والمريخ والشمس والقمر فى اشرافها دلت على كائنة جليلة فكان نشو العالم وانبرز زحل فتولى الالف هو والميزان وكان المشترى فى الطالع مقبولا وكذلك جميع الكواكب كانت مقبولة فدل على نماء العالم وحسن نشوه وكان زحل هو المستولى والعالى فى الفلك والبرج طويل المطالع فطالت أعمار تلك الالف وقويت أبدانهم وكثرت مياههم وكون الميزان تحت الارض دل على خفاء اوّل حدوث العالم وعلى أن أهل ذلك الزمان ينظرون فى عمارة الارضين وتشييد البنيان ثم ولى الالف الثانى العقرب والمريخ وكان فى الطالع المريخ فدل على القتل فى ذلك الالف وسفك الدماء والسبى والظلم والجور والخوف والهم والاحزان والفساد وجور الملوك وولى الالف الثالث القوس وشاركه عطارد والزهرة بطلوعهما وكان الذنب فى القوس فدل المشترى على النجدة فى تلك الالف والشدة والجلد والبأس والرياسة والعدل وتقسيم الملوك الدنيا وسفك الدماء بسبب ذلك ودلت الزهرة على ظهور بيوت العبادة وعلى الانبياء ودل عطارد على ظهور العقل والادب والكلام وكون البرج مجسدا دل على انقلاب الخير والشر فى تلك الالف مرّات وعلى ظهور ألوان من آيات الحق والعدل والجور ثم ولى الالف الرابع الجدى وكان فيه المريخ فدل على ما كان فى تلك الالف من اهراق الدماء ودلت الشمس على ظهور الخير والعلم ومعرفة الله تعالى وعبادته وطاعته وطاعة انبيائه والرغبة فى الدين مع الشجاعة والجلد وكون البرج منقلبا هو والبرج الذى فيه الشمس دل على انقلاب ذلك فى آخرها وظهور الشر والتفرق والقسم والقتل وسفك الدماء والغصب فى أصناف كثيرة وتحوّل ذلك وتلوّنه وكون الجدى منحطا دل على أنه يظهر فى آخر تلك الالف الحسن الشبيه بصفة زحل والمريخ وانقطاع العظماء والحكماء وبوارهم وارتفاع السفلة وخراب العامر وعمارة الخراب وكثرة تلوّن الاشياء وولى الالف الخامس الدلو بطلوع القمر وكان القمر فى الثور فدل الدلو لبرودته وعسره على سقوط العظماء وعطلة امرهم وارتفاع السفلة والعبيد ومحمدة البخلاء وظهور الجيش الاسود والسواد وعلى كثرة التفتيش والتفكر وظهور الكلام فى الاديان ومحبة الخصومات وكون القمر فى شرفه يدل على قهر الملوك وظهور ولاة الحق ونفاذ الخير وظهور بيوت العبادة والكف عن الدماء والراحة والسعادة فى العامة وثبات ما يكون من العدل والخير وطول المدة فيه وكون البرج مائيا يدل على كثرة الامطار والغرق وآفة من البرد يهلك فيها الكثير وبلى الالف السادس برج الحوت بطلوع المشترى والرأس فيدل على المحمدة فى الناس عامة وعلى الصلاح والخير والسرور وذهاب الشر وحسن العيش ولكل واحد من الكواكب ولاية ألف سنة فصار عطارد ثمانى فى برج السنبلة وزعم ابن نوبخت أن من يوم سارت الشمس الى تمام خمس وعشرين من موت نوشروان ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبع وستون سنة وذلك فى ألف الجدى وتدبير الشمس ومنه

الى اليوم الاول من الهجرة سبع وثمانون سنة شمسية وستة وعشرون يوما ومن الهجرة الى قيام يزدجرد تسع سنين وثلثمائة وسبعة وثلاثون يوما فذلك الجميع الى أن قام يزجرد ثلاثة آلاف وتسعمائة وست وستون سنة * وقال ابو معشر وزعم قوم من الفرس أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعدة الكواكب السبعة * وزعم ابو معشر أن عمر الدنيا ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة وأن الطوفان كان فى النصف من ذلك على رأس مائة ألف وثمانين ألف سنة * وقال قوم عمر الدنيا تسعة آلاف سنة لكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة ألف سنة وللرأس ألف سنة وللذنب ألف سنة وشرّها ألف الذنب وان الاعمار طالت فى تدبير آلاف الثلاثة العلوية وقصرت فى آلاف الكواكب السفلية وقال قوم عمر الدنيا تسعة عشر ألف سنة بعدد البروج الاثنى عشر لكل برج ألف سنة وبعدد الكواكب السبعة السيارة لكل كوكب ألف سنة وقال قوم عمر الدنيا احد وعشرون ألف سنة بزيادة ألف للرأس وألف للذنب وقال قوم عمر الدنيا ثمانية وسبعون ألف سنة فى تدبير برج الحمل اثنا عشر ألف سنة وفى تدبير برج الثور احد عشر ألف سنة وفى تدبير الجوزاء عشرة آلاف سنة فكانت الاعمار فى هذا الربع اطول والزمان أجذ ثم تدبير الربع الثانى مدة أربعة وعشرين ألف سنة فتكون الاعمار دون ما كانت فى الربع الاول وتدبير الربع الثالث خمسة عشر ألف سنة وتدبير الربع الرابع ستة آلاف سنة وقال قوم كانت المدة من آدم الى الطوفان ألفين وثمانين سنة واربعة اشهر وخمسة عشر يوما ومن الطوفان الى ابراهيم عليه السلام تسعمائة واثنتين وأربعين سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما فذلك ثلاثة آلاف ومائتان وثلاث وعشرون سنة وقال قوم من اليهود عمر الدنيا سبعون ألف سنة منحصرة فى ألف جيل ولفقوا ذلك من قول موسى عليه السلام فى صلاته ان الجيل سبعون سنة ومن قوله فى الزبور ان ابراهيم عليه السلام قطع معه الله تعالى عهد البقاء البشر ألف جيل فجاء من ذلك أن مدة الدنيا سبعون ألف سنة واستظهروا القولهم هذا بما فى التوراة من قوله واعلم أن الله الهك هو القادر المهيمن الحافظ العهد والفضل لمحبيه وحفظى وصاياه لالف جيل * وذكر ابو الحسن على بن الحسين المسعودى فى كتاب أخبار الزمان عن الاوائل انهم قالوا كان فى الارض ثمان وعشرون امة ذات ارواح وأيد وبطش وصور مختلفات بعدد منازل القمر لكل منزلة امة منفردة تعرف بها تلك الامة ويزعمون أن تلك الامم كانت الكواكب الثابتة تدبرها وكانوا يعبدونها ويقال لما خلق الله تعالى البروج الاثنى عشر قسم دوامها فى سلطانها فجعل للحمل اثنى عشر ألف عام وللثور أحد عشر ألف عام وللجوزاء عشرة آلاف عام وللسرطان تسعة آلاف عام وللاسد ثمانية آلاف عام وللسنبلة سبعة آلاف عام وللميزان ستة آلاف عام وللعقرب خمسة آلاف عام وللقوس أربعة آلاف عام وللجدى ثلاثة آلاف عام وللدلو ألفى عام وللحوت ألف عام فصار الجميع ثمانية وسبعين ألف عام فلم يكن فى عالم الحمل والثور والجوزاء حيوان وذلك ثلاثة وثلاثون ألف عام فلما كان عالم السرطان تكونت دواب الماء وهوام الارض فلما كان عالم الاسد تكونت ذوات الاربع من الوحش والبهائم وذلك بعد تسعة آلاف عام من خلق دواب الماء والهوام فلما كان عالم السنبلة تكون الانسانان الاولان وهما أدمانوس وحنوانوس وذلك لتمام سبعة عشر ألف عام لخلق دواب الماء وهوام الارض ولتمام ثمانية آلاف عام من خلق ذوات الاربع وخلقت الارض فى عالم الميزان ويقال بل خلقت الارض اولا وأقامت خالية ثلاثة وثلاثين ألف عام ليس فيها حيوان ولا عالم روحانى ثم خلق الله تعالى هوام الماء ودواب الارض وما بعد ذلك على ما تقدم ذكره فلما تم أربعة وعشرون ألف عام لخلق دواب الماء وهوام الارض ولتمام خمسة عشر ألف عام من خلق ذوات الاربع وتتمة سبعة آلاف عام من لدن تكون الانسانين خلقت الطيور ويقال ان مدة مقام الانسانين ونسلهما فى الارض مائة ألف وثلاثة وثلاثون ألف عام منها لزحل ستة وخمسون ألف عام وللمشترى أربعة وأربعون ألف عام وللمريخ ثلاثة وثلاثون ألف عام ويقال ان تلك المخلوقات قبل آدم هى كانت الجبلة الاولى وهى ثمان وعشرون امة بازاء منازل القمر خلقت من امزجة مختلفة اصلها الماء والهواء والارض والنار فتباين خلقها فمنها امة خلقت طوال الازرق ذوات اجنحة كلامهم قرقعة على صفة الاسود ومنها امة أبدانهم أبدان الاسود ورؤسهم رؤس الطير لهم شعور وآذان طوال وكلامهم دوى ومنها امة لهم وجهان وجه امامها ووجه خلفها ولها أرجل كثيرة وكلامهم

كلام الطير ومنها امة ضعيفة فى صور الكلاب لها أذناب وكلامهم همهمة لا يعرف ومنها امة تشبه بنى آدم أفواههم فى صدورهم يصفرون اذا تكلموا تصفيرا ومنها امة يشبهون نصف انسان لهم عين واحدة ورجل يقفزون بها قفزا ويصيحون كصياح الطير ومنها امة لها وجوه كوجوه الناس وأصلاب كاصلاب السلاحف فى رؤسهم قرون طوال لا يفهم كلامهم ومنها امة مدورة الوجوه لهم شعور بيض وأذناب كاذناب البقر ورؤسهم فى صدورهم لهم شعور وثدى وهم اناث كلهن ليس فيهن ذكر يلقحن من الريح ويلدن امثالهن ولهن اصوات مطربة يجتمع اليهن كثير من هذه الامم لحسن اصواتهن ومنها امة على خلق بنى آدم سود وجوههم ورؤسهم كرؤس الغربان ومنها امة فى خلق الهوام والحشرات الا انها عظيمة الاجسام تاكل وتشرب مثل الانعام ومنها امة كوجوه دواب البحر لها أنياب كانياب الخنازير وآذان طوال ويقال ان هذه الثمانية والعشرين امة تناكحت فصارت مائة وعشرين امة * وسئل أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه هل كان فى الارض خلق قبل آدم يعبدون الله تعالى فقال نعم خلق الله الارض وخلق فيها الجن يسبحون الله ويقدسونه لا يفترون وكانوا يطيرون الى السماء ويلقون الملائكة ويسلمون عليهم ويستعلمون منهم خبر ما فى السماء ثم ان طائفة منهم تمردت وعتت عن أمر ربها وبغت فى الارض بغير الحق وعدا بعضهم على بعض وجحدوا الربوبية وكفروا بالله وعبدوا ماسواه وتغايروا على الملك حتى سفكوا الدماء وأظهروا فى الارض الفساد وكثر تقاتلهم وعلا بعضهم على بعض وأقام المطيعون لله تعالى على دينهم وكان ابليس من الطائفة المطيعة لله والمسبحين له وكان يصعد الى السماء فلا يحجب عنها لحسن طاعته وروى أن الجن كانت تفترق على احدى وعشرين قبيلة وأن بعد خمسة آلاف سنة ملكوا عليهم ملكا يقال له شملال بن ارس ثم افترقوا فملكوا عليهم خمسة ملوك وأقاموا على ذلك دهرا طويلا ثم اغار بعضهم على بعض وتحاسدوا فكانت بينهم وقائع كثيرة فأهبط الله تعالى اليهم ابليس وكان اسمه بالعربية الحارث وكنيته ابو مرة ومعه عدد كثير من الملائكة فهزمهم وقتلهم وصار ابليس ملكا على وجه الارض فتكبر وطغى وكان من امتناعه من السجود لآدم ما كان فأهبطه الله تعالى الى الارض فسكن البحر وجعل عرشه على الماء فألقيت عليه شهوة الجماع وجعل لقاحه لقاح الطير وبيضه ويقال ان قبائل الجن من الشياطين خمس وثلاثون قبيلة خمس عشرة قبيلة تطير فى الهواء وعشر قبائل مع لهب النار وثلاثون قبيلة يسترقون السمع من السماء ولكل قبيلة ملك موكل بدفع شرها ومنهم صنف من السعالى يتصورون فى صور النساء الحسان ويتزوجن برجال الانس ويلدن منهم ومنهم صنف على صور الحيات اذا قتل أحد منهم واحدة هلك من وقته فان كانت صغيرة هلك ولده اوعز يز عنده * وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ان الكلاب من الجن فاذا رأوكم تأكلون فألقوا اليهم من طعامكم فان لهم انفسا يعنى انهم يأخذون بالعين وقد روى ان الارض كانت معمورة بأمم كثيرة منهم الطم والرم والجن والبن والحسن والبسن وان الله تعالى لما خلق السماء عمرها بالملائكة ولما خلق الله الارض عمرها بالجن فعاثوا وسفكوا الدماء فأنزل الله اليهم جندا من الملائكة فأتوا على اكثرهم قتلا وأسرا فكان ممن اسر ابليس وكان اسمه عزازيل فلما صعد به الى السماء أخذ نفسه بالاجتهاد فى العبادة والطاعة رجاء أن يتوب الله عليه فلما لم يجد ذلك عليه شيأ خامر الملائكة القنوط فأراد الله أن يظهر لهم خبث طويته وفساد نيته فخلق آدم فامتحنه بالسجود له ليظهر للملائكة تكبره وابانة ماخفى عنهم من مكتوم أنبائه والى عمارة الارض قبل آدم ممن أفسد فيها أشار بقوله تعالى حكاية عن الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء يعنون كما فعل بها من قبل والله أعلم بمراده وقال ابو بكر بن احمد بن على بن وحشية فى كتاب الفلاحة انه عرب هذا الكتاب ونقله من لسان الكلدانيين الى اللغة العربية وانه وجده من وضع ثلاثة حكماء قدماء وهم صعريت وسوساد وفوقاى ابتدأه الاول وكان ظهوره فى الالف السابعة من سبعة آلاف سنى زحل وهى الالف التى يشارك فيها زحل القمر وتممه الثانى وكان ظهوره فى آخر هذه الالف واكمله الثالث وكان ظهوره بعد مضى أربعة آلاف سنة من دور الشمس الذى هو سبعة آلاف سنة وانه نظر الى ما بين زمان الاول والثالث فكان ثمانية عشر الف سنة شمسية وبعض الالف التاسعة عشر وقد اختلف أهل الاسلام فى هذه المسألة أيضا فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال الدنيا جمعة من جمع الآخرة واليوم ألف سنة فذلك سبعة آلاف سنة وروى سفيان عن

الاعمش عن أبي صالح قال قال كعب الاحبار الدنيا ستة آلاف سنة * وعن وهب بن منبه أنه قال قد خلا
من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة انى لاعرف كل زمان منها ومن فيه من الانبياء فقيل له فكم الدنيا
قال ستة آلاف سنة وروى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول أجلكم فى أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وفى حديث أبى
هريرة الحقب ثمانون عاما اليوم منها سدس الدنيا والحقب هنا بكسر الحاء وضمها * قال ابو محمد الحسن بن
احمد بن يعقوب الهمدانى فى كتاب الاكليل وكأن الدنيا جزء من أربعة آلاف وسبعمائة وثلاثة
وعشرين جزأ وثلث جزء من الحقب على أن السنة القمرية ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم
فاذا كانت الدنيا ستة آلاف سنة واليوم ألف سنة تكون سنين قرية ستة آلاف ألف ألف سنة فاذا جعلناه
جزأ وضربناه فى أجزاء الحقب وهى اربعة آلاف وسبعمائة سنة وثلاث وعشرون وثلث نخرج من السنين
ثمانية وعشرون ألف ألف ألف وثلثمائة ألف ألف واربعون ألف ألف واذا كانت جمعة من جمع الآخرة زدنا مع
هذا العدد مثل سدسه وهذا عدد الحقب * وقال ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى الصواب من القول ما دل
على صحته الخبر الوارد فذكر قوله عليه السلام اجلكم فى اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس
وقوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقوله عليه السلام بعثت أنا والساعة
جميعا ان كادت لتسبقنى قال فمعلوم ان كان اليوم اوله طلوع الشمس وآخره غروب الشمس وكان صحيحا عن النبى
صلى الله عليه وسلم قوله أجلكم فى أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وقوله بعثت أنا
والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وكان قدر ما بين اوسط اوقات صلاة العصر وذلك اذا صار ظل كل
شئ مثليه على التحرى انما يكون قدر نصف سبع اليوم يزيد قليلا او ينقص قليلا وكذلك فضل ما بين الوسطى
والسبابة انما يكون نحوا من ذلك وكان صحيحا مع ذلك قوله عليه السلام لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف
يوم يعنى نصف اليوم الذى مقداره ألف سنة فأولى القولين اللذين أحدهما عن ابن عباس والآخر عن كعب
قول ابن عباس ان الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف واذا كان كذلك وكان قد جاء عنه عليه السلام أن
الباقى من ذلك فى حياته نصف يوم وذلك خمسمائة عام اذا كان ذلك نصف يوم من الايام التى قدر الواحد منها
الف عام كان معلوما أن الماضى من الدنيا الى وقت قوله عليه السلام ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة او نحو
ذلك وقد جاء عنه عليه السلام خبر يدل على صحة قول من قال ان الدنيا كلها ستة آلاف سنة لو كان صحيحا
لم يعد القول به الى غيره وهو حديث ابى هريرة يرفعه الحقب ثمانون عاما اليوم منها سدس الدنيا فتبين من هذا
الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة وذلك انه حيث كان اليوم الذى هو من ايام الآخرة مقداره الف سنة
من سنى الدنيا وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا كان معلوما أن جميعها ستة ايام من ايام الآخرة
وذلك ستة آلاف سنة وقال ابو القاسم السهيلى وقد مضت الخمسمائة من وفاته صلى الله عليه وسلم الى
اليوم نيف عليها وليس فى قوله لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم ما ينفى الزيادة على النصف ولا فى قوله
بعثت انا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله يعنى الطبرى فقد نقل فى تأويله غير هذا وهو أنه ليس بينه
وبين الساعة نبى ولا شرعة غير شرعته مع التقريب لحينها كما قال تعالى اقتربت الساعة وقال أتى أمر الله
فلا تستعجلوه ولكن اذا قلنا انه عليه السلام انما بعث فى الالف الآخر بعد ما مضت منه سنون ونظرنا الى
الحروف المقطعة فى أوائل السور وجدناها اربعة عشر حرفا يجمعها قولك (الم يسطع نص حق كره) ثم ٢
تأخذ العدد على حساب أبى جاد فيجىء تسعمائة وثلاثة ولم يسم الله تعالى اوائل السور الا هذه الحروف فليس
يبعد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الاشارة الى هذا العدد من السنين لما قدمناه من
حديث الالف السابع الذى بعث عليه السلام فيه غير أن الحساب يحتمل أن يكون من مبعثه او من وفاته او من
هجرته وكل قريب بعضه من بعض فقد جاء أشراطها ولكن لا تأتيكم الا بغتة وقد روى أنه عليه السلام
قال ان احسنت امتى فبقاؤها يوم من ايام الآخرة وذلك ألف سنة وان أساءت فنصف يوم ففى الحديث تتميم
للحديث المتقدم وبيان له اذ قد انقضت الخمسمائة والامة باقية وقال شاذان البلخى انجم مدة ملة الاسلام
ثلثمائة وعشر سنين وقد ظهر كذب قوله ولله الحمد وقال ابو معشر يظهر بعد المائة والخمسين من سنى الهجرة

اختلاف كثير وقال حراس ان المنجمين اخبروا كسرى انوشروان بملك العرب وظهور النبوة فيهم وأن دليلهم الزهرة وهي في شرفها والزهرة دليل العرب فتكون مدة ملك نبوتهم ألفا وستين سنة ولان طالع القران الدال على ذلك برج الميزان والزهرة صاحبته في شرفها قال وسأل كسرى وزيره بزرجمهر عن ذلك فأعلمه أن الملك يخرج من فارس وينتقل الى العرب وتكون ولادة القائم بامرة العرب لخمس وأربعين سنة من وقت القران وأن العرب تملك المشرق والمغرب من أجل أن المشترى دليل فارس قد قبل تدبير الزهرة دليل العرب والقران قد انتقل من المثلثة الهوائية الى المثلثة المائية والى برج العقرب منها وهو دليل العرب أيضا وهذه الادلة تقتضى بقاء الملة الاسلامية بقدر دور الزهرة وهو ألف وستون سنة شمسية وقال نفيل الرومى وكان في ايام بنى امية تبقى ملة الاسلام بقدر مدة القران الكبيرة وهي تسعمائة وستون سنة شمسية فاذا عاد القران بعد هذه المدة الى برج العقرب كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع تشكيل الفلك عن هيئته في الابتداء فحينئذ يفتر العمل ويتجدد ما يوجب خلاف الظن * قال واتفقوا على أن خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى تهلك المكونات بأسرها وذلك اذا قطع قلب الاسد أربعا وعشرين درجة من برج الاسد الذى هو حد المريخ بعد تسعمائة وستين سنة شمسية من قران الملة ويقال ان ملك رابلستان وهي عزبه بعث الى عبد الله أمير المؤمنين المأمون بحكيم اسمه دوبان في جملة هدية فأعجب به المأمون وساله عن مدة ملك بنى العباس فاخبره بخروج الملك عن عقبه واتصاله في عقب أخيه وأن العجم تغلبهم على الخلافة فيتغلب الديلم اولا ثم يسوء حالهم حتى يظهر الترك من شمال المشرق فيملكون الفرات والروم والشام وقال يعقوب بن اسحاق الكندى مدة ملة الاسلام ستمائة وثلاث وتسعون سنة * وقال الفقيه الحافظ ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم وأما اختلاف الناس في التاريخ فان اليهود يقولون أربعة آلاف سنة والنصارى يقولون الدنيا خمسة آلاف سنة وأما نحن يعنى اهل الاسلام فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا ومن ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة اوا كثر واقل فقد قال مالم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لفظة تصح بل صح عنه عليه السلام خلافه بل نقطع على أن للدنيا امدا لا يعلمه الا الله تعالى قال الله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنتم في الامم قبلكم الا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود والشعرة السوداء في الثور الابيض وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار عدد أهل الاسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الارض وانه الاكثر علم أن للدنيا امدا لا يعلمه الا الله تعالى وكذلك قوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وضم اصبعيه المقدستين السبابة والوسطى وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون الا الله تعالى لا احد سواه فصح أنه صلى الله عليه وسلم انما عنى شدة القرب لا فضل السبابة على السباحة اذ لو أراد ذلك لاخذت نسبة ما بين الاصبعين ونسب من طول الاصبع فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة وهذا باطل وأيضا فكان تكون نسبته صلى الله عليه وسلم ايانا الى من قبلنا بأننا كالشعرة في الثور كذبا ومعاذ الله من ذلك فصح أنه عليه السلام انما أراد شدة القرب وله صلى الله عليه وسلم منذ بعث أربعمائة عام ونيف والله تعالى اعلم بما بقى للدنيا فاذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عند ما سلف لقلته وتفاهته بالاضافة الى ما مضى فهو الذى قاله صلى الله عليه وسلم من انا فيمن مضى كالشعرة في الثور والرقة في ذراع الحمار وقد رأيت بخط الامير ابى محمد عبد الله بن الناصر قال حدثنى محمد بن معاوية القرشى أنه رأى بالهند بلدا له اثنتان وسبعون ألف سنة وقد وجد محمود بن سبكتكين بالهند مدينة يؤرخون بأربعمائة ألف سنة قال ابو محمد الا أن لكل ذلك اولا ولا بد ونهاية لم يكن شئ من العالم موجودا قبله ولله الامر من قبل ومن بعد والله أعلم

(ذكر التواريخ التى كانت للامم قبل تاريخ القبط)

التاريخ كلمة فارسية أصلها ماروز ثم عرب * قال محمد بن احمد بن محمد بن يوسف البلخى في كتاب مفاتيح العلوم وهو كتاب جليل القدر وهذا الاشتقاق بعيد لولا أن الرواية جاءت به وقال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج تاريخ كل شئ آخره وهو في الوقت غايته يقال فلان تاريخ قومه اى اليه ينتهى شرفهم ويقال ورخت الكتاب توريخا وأرخته تأريخا الاولى لغة تميم والثانية لغة قيس ولكل أهل ملة تاريخ فكانت الامم تؤرخ اولا بتاريخ

الخليقة وهو ابتداء كون النسل من آدم عليه السلام ثم أرخت بالطوفان وأرخت بخت نصر وأرخت بفيلبش وأرخت بالاسكندر ثم بأغسطس ثم بانطيس ثم بدقلطيانوس وبه تؤرخ القبط ثم لم يكن بعد تاريخ القبط الا تاريخ الهجرة ثم تاريخ يزدجرد فهذه تواريخ الامم المشهورة وللناس تواريخ أخر قد اقتطع ذكرها * فأما تاريخ الخليقة ويقال له ابتداء كون النسل وبعضهم يقول بدو التحرك فان لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس في كيفيته وسياقة التاريخ منه خلافا كثيرا قال المجوس والفرس عمر العالم اثنا عشر ألف عام على عدد بروج الفلك وشهور السنة وزعموا أن زرادست صاحب شريعتهم قال ان الماضي من الدنيا الى وقت ظهوره ثلاثة آلاف سنة مكبوسة الارباع وبين ظهور زرادست واول تاريخ الاسكندر ثلاثة آلاف وما ئتا سنة وثمان وخمسون سنة واذا حسبنا من اول يوم كيومرث الذى هو عندهم الانسان الاول وجمعنا مدة كل من ملك بعده فان الملك ملصق فيهم غير منقطع عنهم كان العدد منه الى الاسكندر ثلاثة آلاف وثلثمائة وأربعا وخمسين سنة فاذا لم يتفق التفصيل مع الجملة وقال قوم الثلاثة الآلاف الماضية انما هي من خلق كيومرث فانه مضى قبله ألف سنة والفلك فيها واقف غير متحرك والطبائع غير مستحيلة والامهات غير متمازجة والكون والفساد غير موجود فيها والارض غير عامرة فلما تحرك الفلك حدث الانسان الاول في معدن النهار وتولد الحيوان وتوالد وتناسل الانس فكثروا وامتزجت أجزاء العناصر للكون والفساد فعمرت الدنيا وانتظم العالم * وقال اليهود الماضي من آدم الى الاسكندر ثلاثة آلاف واربعمائة وثمان واربعون سنة وقال النصارى المدة بينهما خمسة آلاف ومائة وثمانون سنة وزعموا أن اليهود نقصوها ليقع خروج عيسى ابن مريم عليه السلام في الالف الرابع وسط السبعة آلاف التى هي مقدار العالم عندهم حتى تخالف ذلك الوقت الذى سبقت البشارة من الانبياء الذين كانوا بعد موسى بن عمران عليه السلام بولادة المسيح عيسى واذا جمع ما في التوراة التى بيد اليهود من المدة التى بين ادم عليه السلام وبين الطوفان كانت ألفا وستمائة وستا وخمسين سنة وعند النصارى في انجيلهم ألفان ومائتا سنة واثنتان وأربعون سنة وتزعم اليهود أن توراتهم بعيدة عن التخاليط وتزعم النصارى أن توراة السبعين التى هي بأيديهم لم يقع فيها تحريف ولا تبديل وتقول اليهود فيها خلاف ذلك وتقول السامرية بأن توراتهم هي الحق وما عداها باطل وليس في اختلافهم ما يزيل الشك بل يقوى الجهالة له وهذا الاختلاف بعينه بين النصارى أيضا في الانجيل وذلك أن له عند النصارى أربع نسخ مجموعة في مصحف واحد أحدها انجيل متى والثانى لمارقوس والثالث للوقا والرابع ليوحنا قد ألف كل من هؤلاء الاربعة انجيلا على حسب دعوته في بلاده وهي مختلفة اختلافا كثيرا حتى في صفات المسيح عليه السلام وأيام دعوته ووقت الصلب بزعمهم وفي نسبه أيضا وهذا الاختلاف لا يحتمل مثله ومع هذا فعند كل من اصحاب مرقيون وأصحاب ابن ديصان انجيل يخالف بعضه هذه الاناجيل ولاصحاب مانى انجيل على حدة يخالف ما عليه النصارى من اوله الى آخره ويزعمون أنه هو الصحيح وما عداه باطل ولهم أيضا انجيل يسمى انجيل السبعين ينسب الى تلامس والنصارى وغيرهم ينكرونه واذا كان الامر من الاختلاف بين اهل الكتاب كما قد رأيت ولم يكن للقياس والرأى مدخل في تمييز حق ذلك من باطله امتنع الوقوف على حقيقة ذلك من قبلهم ولم يعول على شئ من اقوالهم فيه وأما غير أهل الكتاب فانهم أيضا مختلفون في ذلك * قال أسوش بين خلق آدم وبين ليلة الجمعة اول الطوفان ألفا سنة وما ئتا سنة وست وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوما وأربع ساعات وقال ماشاء واسمه منشا بن اثرى منجم المنصور والمأمون في كتاب القرانات اول قران وقع بين زحل والمشترى في بدء التحرك يعنى ابتداء النسل من آدم كان على مضى خمسمائة وتسع سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما مضت من ألف المريخ فوقع القران في برج الثور من المثلثة الارضية على سبع درج واثنتين وأربعين دقيقة وكان انتقال الممر من برج الميزان ومثلثته الهوائية الى برج العقرب ومثلثته المائية بعد ذلك باثنى سنة واربعمائة سنة واثنى عشرة سنة وستة اشهر وستة وعشرين يوما ووقع الطوفان في الشهر الخامس من السنة الاولى من القران الثانى من قرانات هذه المثلثة المائية وكان بين وقت القران الاول الكائن في بدء التحرك وبين الشهر الذى كان فيه الطوفان ألفان وأربعمائة وثلاث وعشرون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوما قال وفي كل سبعة آلاف سنة وسنتين وعشرة اشهر وستة ايام يرجع القران الى موضعه من برج الثور الذى كان

فى بدء التحرك وهذا القول اعزك الله هو الذى اشتهر حتى ظن كثير من الملل أن مدة بقاء الدنيا سبعة آلاف سنة فلا تغتر به وتنبه الى أصله تجده اوهى من بيت العنكبوت فاطرحه وقيل كان بين آدم وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وقيل كانت بينهما مدة ألفين ومائتين وست وخمسين سنة وقيل ألفان وثمانون سنة * وأما تاريخ الطوفان فانه يتلو تاريخ الخليقة وفيه من الاختلاف ما لا يطمع فى حقيقته من اجل الاختلاف فيما بين آدم وبينه وفيما بينه وبين تاريخ الاسكندر فان اليهود عندهم أن بين الطوفان وبين الاسكندر ألفا وسبعمائة واثنين وتسعين سنة وعند النصارى بينهما ألفا سنة وتسعمائة وثمان وثلاثون سنة والفرس وسائر المجوس والكلدانيون أهل بابل والهند واهل الصين وأصناف الامم المشرقية ينكرون الطوفان وأقر به بعض الفرس لكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ولم يعم العمران كله ولا غرق الا بعض الناس ولم يتجاوز عقبة حلوان ولا بلغ الى ممالك المشرق قالوا ووقع فى زمان طمهورث وان اهل المغرب لما انذر حكماؤهم بالطوفان اتخذوا المبانى العظيمة كالهرمين بمصر ونحوهما ليدخلوا فيها عند حدوثه ولما بلغ طمهورث الانذار بالطوفان قبل كونه بمائتين واحدى وثلاثين سنة أمر باختيار مواضع فى مملكته صحيحة الهواء والتربة فوجد ذلك بأصبهان فأمر بتجليد العلوم ودفنها فيها فى أسلم المواضع ويشهد لهذا ما وجد بعد الثلثمائة من سنى الهجرة فى جى من مدينة اصبهان من التلال التى انشقت عن بيوت مملوءة أعدالا عدة كثيرة قد ملئت من لحاء الشجر التى تلبس بها القسى وتسمى التوز مكتوبة بكتابة لم يدر أحد ماهى وأما المنجمون فانهم صححوا هذه السنين من القران الاول من قرانات العلويين زحل والمشترى التى اثبت علماء أهل بابل والكلدانيين مثلها اذ كان الطوفان ظهوره من ناحيتهم فان السفينة استقرت على الجودى وهو غير بعيد من تلك النواحى قالوا وكان هذا القران قبل الطوفان بمائتين وعشرين سنة ومائة وثمانية ايام واعتنوا بامرها وصححوا ما بعدها فوجدوا ما بين الطوفان وبين اول ملك بخت نصر الاول ألفى سنة وستمائة وأربع سنين وبين بخت نصر هذا وبين الاسكندر اربعمائة وست وثلاثون سنة وعلى ذلك بنى ابو معشر أوساط الكواكب فى زيجه وقال كان الطوفان عند اجتماع الكواكب فى آخر برج الحوت وأول برج الحمل وكان بين وقت الطوفان وبين تاريخ الاسكندر قدر ألفى سنة وسبعمائة وتسعين سنة مكبوسة وسبعة أشهر وستة وعشرين يوما وبينه وبين يوم الخميس اول المحرم من السنة الاولى من سنى الهجرة النبوية ألف ألف يوم وثلثمائة ألف يوم وتسعة وخمسون ألف يوم وتسعمائة يوم وثلاثة وسبعون يوما يكون من السنين الفارسية المصرية ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة وخمسا وعشرين سنة وثلثمائة يوم وثمانية وأربعين يوما ومنهم من يرى أن الطوفان كان يوم الجمعة وعند أبى معشر أنه كان يوم الخميس ولما تقرر عنده الجملة المذكورة وخرجت له المدة التى تسمى أدوار الكواكب وهى بزعمهم ثلثمائة ألف وستون ألف سنة شمسية وأولها متقدم على وقت الطوفان بمائة ألف وثمانين ألف سنة شمسية حكم بأن الطوفان كان فى مائة ألف وثمانين ألف سنة وسيكون فيما بعد كذلك ومثل هذا لا يقبل الا بحجة اومن معصوم * وأما تاريخ بخت نصر فانه على سنى القبط وعليه يعمل فى استخراج مواضع الكواكب من كتاب المجسطى ثم أدوار قاليس واول ادواره فى سنة ثمانى عشرة وأربعمائة لبخت نصر وكل دور منها ست وسبعون سنة شمسية وكان قاليس من جلة اصحاب التعاليم وبخت نصر هذا ليس هو الذى خرب بيت المقدس وانما هو آخر كان قبل بخت نصر مخرب بيت المقدس بمائة وثلاث واربعين سنة وهو اسم فارسى اصله بخت برسى ومعناه كثير البكاء والانين ويقال له بالعبرانية نصار وقيل تفسيره عطارد وهو ينطق وذلك لتحبيه على الحكمة وتغريب اهلها ثم عرب فقيل بخت نصر * وأما تاريخ فيلبش فانه على سنى القبط وكثيرا ما يستعمل هذا التاريخ من موت الاسكندر البناء المقدونى وكلا الامرين سواء فان القائم بعد البناء هو فيلبش فسواء كان من موت الاول اومن قيام الآخر فان الحالة المؤرخة هى كالفصل المشترك بينهما وفيلبش هذا هو ابو الاسكندر المقدونى ويعرف هذا التاريخ بتاريخ الاسكندرانيين وعليه بنى تاون الاسكندرانى فى تاريخه المعروف بالقانون والله أعلم * وأما تاريخ الاسكندر فانه على سنى الروم وعليه يعمل اكثر الامم الى وقتنا هذا من اهل الشام واهل بلاد الروم واهل المغرب والاندلس والفرنج واليهود وقد تقدم الكلام عليه عند ذكر الاسكندرية من هذا الكتاب * وأما

تاريخ اغشطش فانه لايعرف اليوم احد يستعمله وأغشطش هذا هو أول القياصرة ومعنى قيصر بالرومية شق عنه فان اغشطش هذا لما حملت به امه ماتت فى المخاض فشق بطنها حتى أخرج منه فقيل قيصر وبه يلقب من بعده من ملوك الروم ويزعم النصارى أن المسيح عليه السلام ولد لاربعين سنة من ملكه وفى هذا القول نظر فانه لايصح عند سياقة السنين والتواريخ بل يجىء تعديل ولادته عليه السلام فى السنة السابعة عشر من ملكه * وأما تاريخ انطينس فان بطليموس صحح الكواكب الثابتة فى كتابه المعروف بالمجسطى لاول ملكه على الروم وسنو هذا التاريخ رومية

(ذكر تاريخ القبط)

اعلم أن السنة الشمسية عبارة عن عود الشمس فى فلك البروج اذا تحركت على خلاف حركة الكل الى اى نقطة فرضت ابتداء حركتها وذلك انها تستوفى الازمنة الاربعة التى هى الربيع والصيف والخريف والشتاء وتحوز طبائعها الاربع وتنتهى الى حيث بدأت وفى هذه المدة يستوفى القمر اثنى عشرة عودة واقل من نصف عودة ويستهل اثنى عشرة مرة فجعلت المدة التى فيها عودات القمر الاثنتا عشرة فى فلك البروج سنة للقمر على جهة الاصطلاح وأسقط الكسر الذى هو أحد عشر يوما بالتقريب فصارت السنة على قسمين سنة شمسية وسنة قمرية وجميع من على وجه الارض من الامم أخذوا تواريخ سنيهم من مسير الشمس والقمر فالآخذون بسير الشمس خمس امم هم اليونانيون والسريانيون والقبط والروم والفرس والآخذون بسير القمر خمس امم هم الهند والعرب واليهود والنصارى والمسلمون * فأهل قسطنطينية والاسكندرية وسائر الروم والسريانيون والكلدانيون واهل مصر ومن يعمل برأى المعتضد أخذوا بالسنة الشمسية التى هى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم بالتقريب وصيروا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وألحقوا الارباع بها فى كل اربع سنين يوما حتى انجبرت السنة وسموا تلك السنة كبيسة لانكباس الارباع فيها * وأما قبط مصر القدماء فانهم كانوا يتركون الارباع حتى يجتمع منها ايام سنة تامة وذلك فى كل ألف واربعمائة وستين سنة ثم يكبسونها سنة واحدة ويتفقون حينئذ فى اول تلك السنة مع اهل الاسكندرية وقسطنطينية * وأما الفرس فانهم جعلوا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما من غير كبس حتى اجتمع لهم من ربع اليوم فى مائة وعشرين سنة ايام شهر تام ومن خمس الساعة الذى يتبع ربع اليوم عندهم يوم واحد فألحقوا الشهر التام بها فى كل مائة وست عشرة سنة واقتفى اثرهم فى هذا اهل خوارزم القدماء والصغد ومن دان بدين فارس وكانت الملوك البيشدادية منهم وهم الذين ملكوا الدنيا بحذافيرها يعملون السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما كل شهر منها ثلاثون يوما سواء وكانوا يكبسون السنة كل ست سنين بيوم ويسمونها كبيسة وكل مائة وعشرين سنة بشهرين احدهما بسبب خمسة الايام والثانى بسبب ربع اليوم وكانوا يعظمون تلك السنة ويسمونها المباركة * وأما قدماء القبط واهل فارس فى الاسلام وأهل خوارزم والصغد فتركوا الكسور أعنى الربع وما يتبعه اصلا * وأما العبرانيون وجميع بنى اسرائيل والصابئون والحرانيون فانهم اخذوا السنة من مسير الشمس وشهورها من مسير القمر لتكون أعيادهم وصيامهم على حساب قمرى وتكون مع ذلك حافظة لاوقاتها من السنة فكبسوا كل تسع عشرة سنة قمرية بسبعة اشهر ووافقهم النصارى فى صومهم وبعض أعيادهم لان مدار أمرهم على نسخ اليهود وخالفوهم فى الشهور الى مذهب الروم والسريانيين وكانت العرب فى جاهليتها تنظر الى فضل مابين سنتهم وسنة القمر وهو عشرة أيام واحدى وعشرون ساعة وخمس ساعة فيلحقون ذلك بها شهرا كلما تم منها ما يستوفى ايام شهر ولكنهم كانوا يعملون على انه عشرة ايام وعشرون ساعة وكان يتولى ذلك النسأة من بنى كنانة المعروفون بالقلامس واحدهم قلمس وهو البحر الغزير وهو ابو ثمامة جنادة بن عوف بن امية بن قلع وأول من فعل ذلك منهم حذيفة بن عبد فقيم وآخر من فعله ابو ثمامة وأخذ العرب الكبس من اليهود قبل مجىء دين الاسلام بنحو المائتى سنة وكانوا يكبسون فى كل أربع وعشرين سنة تسعة اشهر حتى تبقى اشهر السنة ثابتة مع الازمنة على حالة واحدة لاتتأخر عن اوقاتها ولا تتقدم الى أن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى عليه انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة

ما حرّم الله فيحلوا ما حرّم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين فخطب صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فبطل النسيء وزالت شهور العرب عما كانت عليه وصارت اسماؤها غير دالة على معانيها * وأما اهل الهند فانهم يستعملون رؤية الاهلة فى شهورهم ويكبسون كل تسعمائة سنة وسبعين يوما بشهر قمرى ويجعلون ابتداء تاريخهم اتفاق اجتماع فى اوّل دقيقة من برج ما واكثر طلبهم لهذا الاجتماع أن يتفق فى احدى نقطتى الاعتدالين ويسمون السنة الكبيسة بذمات فهذه آراء الخليقة فى السنة * وأما اليوم فانه عبارة عن عود الشمس بدوران الكل الى دائرة قد فرضت وقد اختلف فيه فجعله العرب من غروب الشمس الى غروبها من الغد ومن أجل أنّ شهور العرب مبنية على مسير القمر وأوائلها مقيدة برؤية الهلال والهلال يرى لدن غروب الشمس صارت الليلة عندهم قبل النهار وعند الفرس والروم اليوم بليلته من طلوع الشمس بارزة من افق المشرق الى وقت طلوعها من الغد فصار النهار عندهم قبل الليل واحتجوا على قولهم بأنّ النور وجود والظلمة عدم والحركة تغلب على السكون لانها وجود لا عدم وحياة لا موت والسماء افضل من الارض والعامل الشاب أصح والماء الجارى لا يقبل عفونة كالراكد واحتج الآخرون بأن الظلمة أقدم من النور والنور طارئ عليها فالاقدم يبدأ به وغلبوا السكون على الحركة باضافة الراحة والدعة اليه وقالوا الحركة انما هى للحاجة والضرورة والتعب نتيجة الحركة والسكون اذا دام فى الاستقصاآت مدة لم يولد فسادا فاذا دامت الحركة فى الاستقصاآت واستحكمت افسدت وذلك كالزلازل والعواصف والامواج وشبهها وعند أصحاب التنجيم أن اليوم بليلته من موافاة الشمس فلك نصف النهار الى موافاتها اياه فى الغد وذلك من وقت الظهر الى وقت العصر وبنوا على ذلك حساب أزياجهم وبعضهم ابتدا باليوم من نصف الليل وهو صاحب زيج شهريارازانساه وهذا هو حدّ اليوم على الاطلاق اذا اشترط الليلة فى التركيب فأما على التفصيل فاليوم بانفراده والنهار بمعنى واحد وهو من طلوع جرم الشمس الى غروب جرمها والليل خلاف ذلك وعكسه وحدّ بعضهم اوّل النهار بطلوع الفجر وآخره بغروب الشمس لقوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل وقال هذان الحدان هما طرفا النهار وعورض بأنّ الآية انما فيها بيان طرفى الصوم لا تعريف اوّل النهار وبأن الشفق من جهة المغرب نظير الفجر من جهة المشرق وهما متساويان فى العلة فلو كان طلوع الفجر أوّل النهار لكان غروب الشفق آخره وقد التزم ذلك بعض الشيعة فاذا تقرّر ذلك فنقول تاريخ القبط يعرف عند نصارى مصر الآن بتاريخ الشهداء ويسميه بعضهم تاريخ دقلطيانوس

(ذكر دقلطيانوس الذى يعرف تاريخ القبط به)

اعلم أنّ دقلطيانوس هذا أحد ملوك الروم المعروفين بالقياصرة ملك فى منتصف سنة خمس وتسعين وخمسمائة من سنى الاسكندر وكان من غير بيت الملك فلما ملك تجبر وامتد ملكه الى مدائن الاكاسرة ومدينة بابل فاستخلف ابنه على مملكة رومة واتخذ تخت ملكه بمدينة انطاكية وجعل لنفسه بلاد الشام ومصر الى أقصى المغرب فلما كان فى السنة التاسعة عشر من ملكه وقيل الثانية عشر خالف عليه اهل مصر والاسكندرية فبعث اليهم وقتل منهم خلقا كثيرا وأوقع بالنصارى فاستباح دماءهم وغلق كنائسهم ومنع من دين النصارى وحمل الناس على عبادة الاصنام وبالغ فى الاسراف فى قتل النصارى وأقام ملكا احدى وعشرين سنة وهلك بعد علل صعبة دود منها بدنه وسقطت اسنانه وهو آخر من عبد الاصنام من ملوك الروم وكل من ملك بعده فانما كان على دين النصرانية فان الذى ملك بعده ابنه سنة واحدة وقيل اكثر من ذلك ثم ملك قسطنطين الاكبر فأظهر دين النصرانية ونشره فى الارض ويقال ان رجلا ثار بمصر يقال له اجله وخرج عن طاعة الروم فسار اليه دقلطيانوس وحصر الاسكندرية دار الملك يومئذ ثمانية أشهر حتى اخذ أجله وقتله وعمّ أرض مصر كلها بالسبى والقتل وبعث قدّه فحارب سابور ملك فارس وقتل اكثر عسكره وهزمه وأسر امرأته واخوته وأثخن فى بلاده وعاد بأسرى كثيرة من رجال فارس ثم أوقع بعانة بلاد رومة فاكثر فى قتلهم وسبيهم فكانت ايامه شنعة قتل فيها من أصناف الامم وهدم من بيوت العبادات ما لا يدخل تحت حصر وكانت واقعته بالنصارى

هي الشدة العاشرة وهي أشنع شدائدهم وأطولها لانها دامت عليهم مدة عشر سنين لا يفتر يوما واحدا يحرق فيها كنائسهم ويعذب رجالهم ويطلب من استتر منهم اوهرب ليقتل يريد بذلك قطع اثر النصارى وابطال دين النصرانية من الارض فلهذا اتخذوا ابتداء ملك دقلطيانوس تاريخا وكان ابتداء ملكه يوم الجمعة وبينه وبين يوم الاثنين اول يوم من توت وهو أول أيام ملك الاسكندر بن فيلبش المقدونى خمسمائة وأربع وتسعون سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة أيام وبين يوم الجمعة اول يوم من تاريخ دقلطيانوس وبين يوم الخميس اول يوم من سنة الهجرة النبوية ثلثمائة وثمان وثلاثون سنة قمرية وتسعة وثلاثون يوما وجعلوا شهور السنة القبطية اثنى عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما سواء فاذا تمت الاشهر الاثنا عشر أتبعوها بخمسة أيام زيادة على عدد أيامها وسموا هذه الخمسة الايام ابوغمنا وتعرف اليوم بأيام النسيء فيكون الحال فى النسيء على ذلك ثلاث سنين متواليات فاذا كان فى السنة الرابعة جعلوا النسيء ستة ايام فتكون سنوهم ثلاث سنين متواليات كل سنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما والرابعة يصير عددها ثلثمائة وستة وستين يوما ويرجع حكم سنتهم الى حكم سنة اليونانيين بأن تصير سنتهم الوسطى ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم الا أن الكبس يختلف فاذا كان كبس القبط فى سنة كان كبس اليونانيين فى السنة الداخلة *(واسماء شهور القبط)* توت بابه هتور كيهك طوبه أمشير برمهات برموده بشنس بؤونه أبيب مسرى فهذه اثنا عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما واذا كانت عدة شهر مسرى وهو الشهر الثانى عشر زادوا أيام النسيء بعد ذلك وعملوا النوروز أول يوم من شهر توت

(ذكر اسابيع الايام)

اعلم أن القدماء من الفرس والصغد وقبط مصر الاول لم يكونوا يستعملون الاسابيع من الايام فى الشهور وأول من استعملها أهل الجانب الغربى من الارض لاسيما أهل الشام وما حواليه من اجل ظهور الانبياء عليهم السلام فيما هنالك واخبارهم عن الاسبوع الاول وبدء العالم فيه وان الله خلق السموات والارض فى ستة ايام من الاسبوع ثم انتشر ذلك منهم فى سائر الامم واستعملته العرب العاربة بسبب تجاور ديارهم وديار أهل الشام فانهم كانوا قبل تحولهم الى اليمن ببابل وعندهم أخبار نوح عليه السلام ثم بعث الله تعالى اليهم هودا ثم صالحا عليهما السلام وانزل فيهم ابراهيم خليل الرحمن ابنه اسمعيل عليهما السلام فتعرب اسمعيل وكانت القبط الاول تستعمل اسماء الايام الثلاثين من كل شهر فتجعل لكل يوم منها اسما كما هو العمل فى تاريخ الفرس ومازالت القبط على هذا الى أن ملك مصر اغشطش بن يوحس فأراد أن يحملهم على كبس السنين ليوافقوا الروم أبدا فيها فوجدوا الباقى حينئذ الى تمام السنة الكبيسة الكبرى خمس سنين فانتظر حتى مضى من ملكه خمس سنين ثم حملهم على كبس الشهور فى كل اربع سنين يوم كما تفعل الروم فترك القبط من حينئذ استعمال اسماء الايام الثلاثين لاحتياجهم فى يوم الكبس الى اسم يخصه وانقرض بعد ذلك مستعملو اسماء الايام الثلاثين من اهل مصر والعارفون بها ولم يبق لها ذكر يعرف فى العالم بين الناس بل دثرت كما دثر غيرها من اسماء الرسوم القديمة والعادات الاول سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكانت اسماء شهور القبط فى الزمن القديم توت بوونى اثور سواق طوبى ماكير فامينوت برموتى باحون باونى افيفى ابيقا وكل شهر منها ثلاثون يوما ولكل يوم اسم يخصه ثم أحدث بعض رؤساء القبط بعد استعمالهم الكبس الاسماء التى هى اليوم متداولة بين الناس بمصر الآن من الناس من يسمى كيهك كياك ويقول فى برمهات برمهوط وفى بشنس بشانس وفى مسرى ماسورى ومن الناس من يسمى الخمسة الايام الزائدة ايام النسيء ومنهم من يسميها ابوغمنا ومعنى ذلك الشهر الصغير وهى كما تقدم تلحق فى آخر مسرى وفيه يزاد اليوم الكبيس فيكون ابوغمنا ستة ايام حينئذ ويسمون السنة الكبيسة انقط ومعناه العلامة ومن خرافات القبط أن شهورهم هى شهور بنى نوح وشيث وآدم منذ ابتداء العالم وانهم لم تزل على ذلك الى أن خرج موسى ببنى اسرائيل من مصر فعملوا اول سنتهم خامس عشر نيسان كما أمر به فى التوراة الى أن نقل الاسكندر رأس سنتهم الى اول تشرين وكذلك المصريون نقل بعض ملوكهم اول سنتهم الى اول يوم من ملكه فصار اول توت عندهم يتقدم اول يوم

خلق فيه العالم بمائتين وثمانية ايام اولها يوم الثلاثاء وآخرها يوم السبت تكان ابتدا اوله فى ذلك التاريخ يوم الاحد وهو أول يوم خلق الله فيه العالم الذى يقال له الآن تاسع عشرى برمهات وذلك أن اول من ملك على الارض بعد الطوفان نمرود بن كنعان بن حام بن نوح فعمر بابل وهو أبو الكلدانيين وملك بنو مصرايم ابن حام بن نوح عليه السلام منتش فبنى منف بمصر على النيل وسماها باسم جده مصرايم وهو ثانى ملك ملك على الارض وهذان الملكان استعملا تاريخ جدهما نوح عليه السلام واستن بسنتهم من جاء بعدهم حتى تغيرت كما تقدم

(ذكر أعياد القبط من النصارى بديار مصر)

روى يونس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال اجتنبوا اعياد اليهود والنصارى فان السخط ينزل عليهم فى مجامعهم ولا تتعلموا رطانتهم فتخلقوا ببعض خلقهم * وعن ابن عباس فى قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما قال اعياد المشركين فقيل له اوما هذا فى الشهادة بالزور فقال لا تمام آية شهادة الزور ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا * اعلم أن نصارى مصر من القبط ينتحلون مذهب اليعقوبية كما تقدم ذكره وأعيادهم الآن التى هى مشهورة بديار مصر أربعة عشر عيدا فى كل سنة من سنيهم القبطية منها سبعة أعياد يسمونها أعيادا كبارا وسبعة يسمونها أعيادا اصغارا * فالاعياد الكبار عندهم عيد البشارة وعيد الزيتونة وعيد الفصح وعيد خميس الاربعين وعيد الخميس وعيد الميلاد وعيد الغطاس * والاعياد الصغار عيد الختان وعيد الاربعين وخميس العهد وسبت النور وأحد الحدود والتجلى وعيد الصليب ولهم مواسم أخر ليست هى عندهم من الاعياد الشرعية لكنها عندهم من المواسم العادية وهو يوم النوروز وسأذكر من خبر هذه الاعياد مالا تجده مجموعا فى غير هذا الكتاب على ما استخرجته من كتب النصارى وتواريخ اهل الاسلام * عيد البشارة هذا العيد عيد النصارى أصله بشارة جبريل مريم بميلاد المسيح عليهما السلام وهم يسمون جبريل غبريال ويقولون مارت مريم ويسمون المسيح يا شوع وربما قالوا السيد يشوع وهذا العيد تعمله نصارى مصر فى اليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات * عيد الزيتونة * ويعرف عندهم بعيد الشعانين ومعناه التسبيح ويكون فى سابع أحد من صومهم وسنتهم فى عيد الشعانين أن يخرجوا سعف النخل من الكنيسة ويرون أنه يوم ركوب المسيح العنو وهو الحمار فى القدس ودخوله الى صهيون وهو راكب والناس بين يديه يسبحون وهو يأمر بالمعروف ويحث على عمل الخير وينهى عن المنكر ويباعد عنه وكان عيد الشعانين من مواسم النصارى بمصر التى تزين فيها كنائسهم فلما كان لعشر خلون من شهر رجب سنة ثمان وسبعين وثلثمائة كان عيد الشعانين فمنع الحاكم بأمر الله ابو على منصور بن العزيز بالله النصارى من تزيين كنائسهم وحملهم الخوص على ما كانت عادتهم وقبض على عدة ممن وجد معه شيأ من ذلك وأمر بالقبض على ما هو محبس على الكنائس من الاملاك وأدخلها فى الديوان وكتب لسائر الاعمال بذلك وأحرقت عدة من صلبانهم على باب الجامع العتيق والشرطة * عيد الفصح * هذا العيد عندهم هو العيد الكبير ويزعمون أن المسيح عليه السلام لما تمالأ اليهود عليه واجتمعوا على تضليله وقتله قبضوا عليه وأحضروه الى خشبة ليصلب عليها فصلب على خشبة عليها اللصان وعندنا وهو الحق أن الله تعالى رفعه اليه ولم يصلب ولم يقتل وأن الذى صلب على الخشبة مع اللصين غير المسيح ألقى الله عليه شبه المسيح قالوا واقتسم الجند ثيابه وغشى الارض ظلمة من الساعة السادسة من النهار الى الساعة التاسعة من يوم الجمعة خامس عشر هلال نيسان للعبرانيين وتاسع عشرى برمهات وخامس عشرى آذار سنة ودفن الشبيه آخر النهار بقبر وأطبق عليه حجر عظيم وختم عليه رؤساء اليهود وأقاموا عليه الحرس بالعسكر يوم السبت كيلا يسرق فزعموا أن المقبور قام من القبر ليلة الاحد سحرا ومضى بطرس ويوحنا التلميذان الى القبر واذا الثياب التى كانت على المقبور بغير ميت وعلى القبر ملاك الله بثياب بيض فأخبرهما بقيام المقبور من القبر ثم لوا وفى عشية يوم الاحد هذا دخل المسيح على تلاميذه وسلم عليهم واكل معهم وكلمهم وأوصاهم وأمرهم بأمور قد تضمنها انجيلهم وهذا العيد عندهم بعد عيد الصلبوت

بثلاثة ايام * (خميس الاربعين) * ويعرف عند أهل الشام بالسلاق ويقال له أيضا عيد الصعود وهو الثانى
والاربعون من الفطر ويزعمون أن المسيح عليه السلام بعد أربعين يوما من قيامته خرج الى بيت عينا والتلاميذ
معه فرفع يديه وبارك عليهم وصعد الى السماء وذلك عندنا كماله ثلاثا وثلاثين سنة وثلاثة اشهر فرجع التلامذة
الى اوراسليم يعنى بيت المقدس وقد وعدهم باشتهار أمرهم وغير ذلك مما هو معروف عندهم فهذا اعتقادهم
فى كيفية رفع المسيح ومن أصدق من الله حديثا * (عيد الخميس) * وهو العنصرة ويعملونه بعد خمسين يوما
من يوم القيام وزعموا أن بعد عشرة ايام من الصعود وخمسين يوما من قيامة المسيح اجتمع التلاميذ فى علية
صهيون فتجلى لهم روح القدس فى شبه ألسنة من نار فامتلأوا من روح القدس وتكلموا بجميع الالسن
وظهرت على ايديهم آيات كثيرة فعاداهم اليهود وحبسوهم فنجاهم الله منهم وخرجوا من السجن فساروا
فى الارض متفرقين يدعون الناس الى دين المسيح * (عيد الميلاد) * يزعمون أنه اليوم الذى ولد فيه المسيح
وهو يوم الاثنين فيحيون عشية ليلة الميلاد وسنتهم فيه كثرة الوقود بالكنائس وتزيينها ويعملونه بمصر فى التاسع
والعشرين من كيهك ولم يزل بديار مصر من المواسم المشهورة فكان يفرق فيه ايام الدولة الفاطمية على ارباب
الرسوم من الاستادين المحنكين والامراء المطوقين وسائر الموالى من الكتاب وغيرهم الجامات من الحلاوة
القاهرية والمشارد التى فيها السميذ وقربات الجلاب وطمافير الزلابية والسمك المعروف بالبورى * ومن رسم
النصارى فى الميلاد اللعب بالنار * ومن أحسن ما قيل

ما اللعب بالنار فى الميلاد من سفه * وانما فيه للاسلام مقصود
ففيه بهت النصارى ان ربهم * عيسى ابن مريم مخلوق ومولود

وأدركنا الميلاد بالقاهرة ومصر وسائر اقليم مصر موسما جليلا يباع فيه من الشموع المزهرة بالاصباغ المليحة
والتماثيل البديعة بأموال لا تنحصر فلا يبقى أحد من الناس اعلاهم وادناهم حتى يشترى من ذلك لاولاده
وأهله وكانوا يسمونها الفوانيس واحدها فانوس ويعلقون منها فى الاسواق بالحوانيت شيأ يخرج عن الحد
فى الكثرة والملاحة ويتنافس الناس فى المغالات فى اثمانها حتى لقد أدركت شمعة عملت فبلغ مصروفها ألف
درهم وخمسمائة درهم فضة عنها يومئذ ما ينيف على سبعين مثقالا من الذهب واعرف السؤال فى الطرقات أيام
هذه المواسم وهم يسألون الله أن يتصدق عليهم بفانوس فيشترى لهم من صغار الفوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم
وما حوله ثم لما اختلت امور مصر كان من جملة ما بطل من عوايد الترف عمل الفوانيس فى الميلاد الا قليلا
* (الغطاس) * ويعمل بمصر فى اليوم الحادى عشر من شهر طوبه وأصله عند النصارى أن يحيى بن زكرياء عليهما
السلام المعروف عندهم بيوحنا المعمدانى عمد المسيح اى غسله فى بحيرة الاردن وعند ما خرج المسيح عليه
السلام من الماء اتصل به روح القدس فصار النصارى لذلك يغمسون اولادهم فى الماء فى هذا اليوم وينزلون
فيه بأجمعهم ولا يكون ذلك الا فى شدة البرد ويسمونه يوم الغطاس وكان له بمصر موسم عظيم الى الغاية * قال
المسعودى وليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها وهى ليلة الحادى عشر من طوبه
ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج أمير مصر فى داره المعروفة
بالمختار فى الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها وقد أمر فأسرج فى جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف
مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر بشاطئ النيل فى تلك الليلة آلاف من الناس
من المسلمين ومن النصارى منهم فى الزواريق ومنهم فى الدور الدانية من النيل ومنهم على سائر الشطوط لا يتناكرون
كل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجوهر والملاهى والعزف
والقصف وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس اكثرهم فى النيل
ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ونشرة للداء * وقال المسبحى فى تاريخه من حوادث سنة سبع وستين
وثلثمائة منع النصارى من اظهار ما كانوا يفعلونه فى الغطاس من الاجتماع ونزول الماء واظهار الملاهى
ونودى أن من عمل ذلك نفى من الحضرة * وقال فى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة كان الغطاس فضربت الخيام
والمضارب والاسرة فى عدة مواضع على شاطئ النيل ونصبت اسرة للرئيس فهد بن ابراهيم النصرانى كاتب
الاستاذ برجوان وأوقدت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والملهون وجلس مع اهله يشرب الى أن كان

وقت الغطاس فغطس وانصرف * وقال فى سنة احدى واربعمائة وفى ثامن عشرى جمادى الاولى وهو عاشر طوبه منع النصارى من الغطاس فلم يغطس احد منهم فى البحر وقال فى حوادث سنة خمس عشرة وأربعمائة وفى ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى فجرى الرسم من الناس فى شراء الفواكه والضأن وغيره ونزل أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله لقصر جده العزيز بالله فى مصر لنظر الغطاس ومعه الحرم ونودى أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم فى البحر فى النيل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود متولى الشرطتين خيمة عند الجسر وجلس فيها وأمر امير المؤمنين بأن توقد النار والمشاعل فى الليل وكان وقيدا كثيرا وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقسسوا هنالك طويلا الى أن غطسوا * وقال ابن المأمون فى تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة وذكر الغطاس ففرق اهل الدولة ما جرت به العادة لاهل الرسوم من الاترج والنارنج والليمون فى المراكب وأطنان القصب والبورى بحسب الرسوم المقررة بالديوان لكل واحد * (الختان) * يعمل فى سادس شهر بؤونه ويزعمون أن المسيح ختن فى هذا اليوم وهو الثامن من الميلاد والقبطى من دون النصارى تختن بخلاف غيرهم * (الاربعون) * وهو عندهم دخول المسيح الهيكل ويزعمون أن سمعان الكاهن دخل بالمسيح مع امه وبارك عليه ويعمل فى ثامن شهر أمشير * (خميس العهد) * ويعمل قبل الفصح بثلاثة أيام وسنتهم فيه أن يملؤا اناء من ماء ويزمزمون عليه ثم يغسل للتبرك به ارجل سائر النصارى ويزعمون أن المسيح فعل هذا بتلامذته فى مثل هذا اليوم كى يعلمهم التواضع ثم أخذ عليهم العهد أن لا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض وعوام اهل مصر فى وقتنا يقولون خميس العدس من أجل أن النصارى تطبخ فيه العدس المصفى ويقول اهل الشام خميس الارز وخميس البيض ويقول اهل الاندلس خميس ابريل وابريل اسم شهر من شهورهم وكان فى الدولة الفاطمية تضرب فى خميس العدس هذا خمسمائة دينار فتعمل خراريب تفرق فى اهل الدولة برسوم مفردة كما ذكر فى أخبار القصر من القاهرة عند ذكر دار الضرب من هذا الكتاب وأدركنا خميس العدس هذا فى القاهرة ومصر وأعمالها من جملة المواسم العظيمة فيباع فى اسواق القاهرة من البيض المصبوغ عدة ألوان ما يتجاوز حد الكثرة فيقامر به العبيد والصبيان والغوغاء وينتدب لذلك من جهة المحتسب من يردعهم فى بعض الاحيان ويهادى النصارى بعضهم بعضا ويهدون الى المسلمين أنواع السمك المنوع مع العدس المصفى والبيض وقد بطل ذلك لما حل بالناس وبقيت منه بقية * (سبت النور) * وهو قبل الفصح بيوم ويزعمون أن النور يظهر على قبر المسيح بزعمهم فى هذا اليوم بكنيسة القمامة من القدس فتشعل مصابيح الكنيسه كلها وقد وقف اهل الفحص والتفتيش على أن هذا من جملة مخاريق النصارى لصناعة يعملونها وكان بمصر هذا اليوم من جملة المواسم ويكون ثالث يوم من خميس العدس ومن توابعه * (حد الحدود) * وهو بعد الفصح بثمانية ايام فيعمل اول احد بعد الفطر لان الاحاد قبله مشغولة بالصوم وفيه يجددون الآلات والاثاث واللباس ويأخذون فى المعاملات والامور الدنيوية والمعاش * (عيد التجلى) * يعمل فى ثالث عشر شهر مسرى يزعمون أن المسيح تجلى لتلاميذه بعد مارفع وتمنوا عليه أن يحضر لهم ايلياء وموسى عليهما السلام فأحضرهما اليهم بمصلى بيت المقدس ثم صعد الى السماء وتركهم * (عيد الصليب) * ويعمل فى اليوم السابع عشر من شهر توت وهو من الاعياد المحدثة وسببه ظهور الصليب بزعمهم على يد هيلانة ام قسطنطين وله خبر طويل عندهم ملخصه ما أنت تراه * (ذكر قسطنطين) * وقسطنطين هذا هو ابن قسطنش بن وليطنوش بن ارشميوش بن دقيون بن كاوديش بن عايش بن كتيبان اعسب الاعظم الملقب قيصر وهو أول من ثبت دين النصرانية وأمر بقطع الاوثان وهدم هياكلها وبنيان البيع وآمن من الملوك بالمسيح وكانت امه هيلانة من مدينة الرها فنشأ بها مع أمه وتعلم العلوم ولم يزل فى غاية من الظفر والسعادة معانا منصورا على كل من حاربه وكان فى اول أمره على دين المجوس شديدا على النصارى ماقتا لدينهم وكان سبب رجوعه عن ذلك الى دين النصرانية انه ابتلى بجذام ظهر عليه فاغتم لذلك غما شديدا وجمع الحذاق من الاطباء فاتفقوا على ادوية دبروها له وأوجبوا أن يستنقع بعد أخذ تلك الادوية فى صهريج مملوء من دماء اطفال رضع ساعة يسيل منهم فتقدم أمره بجمع جملة من اطفال الناس وأمر بذبحهم فى صهريج ليستنقع فى دمائهم وهى طرية فجمعت الاطفال لذلك وبرز ليمضى فيهم ما تقدم به من ذبحهم فسمع ضجيج النساء اللاتى أخذ

أولادهنّ فرحهنّ وأمر فدفع لكل واحدة ابنها وقال احتمال علتى أولى بى وأوجب من هلاك هذه العدة العظيمة من البشر فانصرف النساء بأولادهنّ وقد سررن سرورا كثيرا فلما صار من الليل الى مضجعه رأى فى منامه شيخا يقول له انك رحمت الاطفال وامهاتهم ورأيت احتمال علتك اولى من ذبحهم فقد رحمك الله ووهبك السلامة من علتك فابعث الى رجل من اهل الايمان يدعى شلبشتر قد فرّ خوفا منك وقف عند ما يأمرك به والتزم ما يحضك عليه تتم لك العافية فانتبه مذعورا وبعث فى طلب شلبشتر الاسقف فأتى به اليه وهو يظن أنه يريد قتله لما عهده من غلظته على النصارى ومقته لدينهم فعندما رآه تلقاه بالبشر وأعلمه بما رآه فى منامه فقص عليه دين النصرانية وكانت له معه أخبار طويلة مذكورة عندهم فبعث قسطنطين فى جمع الاساقفة المنفيين والمسيرين والتزم دين النصرانية وشفاه الله من الجذام فأيد الديانة واعلن بالايمان بدين المسيح وبينا هو فى ذلك اذ وقع وثوب أهل رومة عليه وايقاعهم به فخرج عنها وبنى مدينة قسطنطينية بنيانا جليلا فعرفت به وسكنها فصارت موضع تخت الملك من عهده وقد كان النصارى من لدن زمان يرون الملك الذى قبل الحواريين ومن بعده ممن ملك رومة فى كل وقت يقتلون ويحبسون ويشردون بالنفى فلما سكن قسطنطين مدينة قسطنطينية جمع الى نفسه أهل المسيح وقوى وجوههم وأذل عباد الاوثان فشق ذلك على أهل رومة وخلعوا اطاعته وقدموا عليهم ملكا فأهمه ذلك ومرّت له معهم عدّة أخبار مذكورة فى تاريخ رومة ثم انه خرج من قسطنطينية يريد رومة وقد استعدّ والحربه فلما قاربهم اذعنوا له والتزموا طاعته فدخلها فأقام الى أن رجع لحرب الفرس وخرج اليهم فقهرهم ودانت له اكثر ممالك الدنيا فلما كان فى عشرين سنة من دولته خرجت الفرس على بعض اطرافه فغزاهم وأخرجهم عن بلاده ورأى فى منامه كأن بنودا شبه الصليب قد رفعت وقائلا يقول له ان اردت أن تظفر بمن خالفك فاجعل هذه العلامات على جميع بركك وسككك فلما انتبه أمر بتجهيز امه هيلانة الى بيت المقدس فى طلب آثار المسيح عليه السلام وبناء الكنائس واقامة شعائر النصرانية فسارت الى بيت المقدس وبنت الكنائس فيقال ان الاسقف مقاريوس دلها على الخشبة التى زعموا أن المسيح صلب عليها وقد قص عليها ما عمل به اليهود فحفرت فاذا قبر وثلاث خشبات على شكل الصليب فزعموا انهم ألقوا الثلاث خشبات على ميت واحدة بعد واحدة فقام حيا عندما وضعت عليه الخشبة الثالثة منها فاتخذوا ذلك اليوم عيدا وسموه عيد الصليب وكان فى اليوم الرابع عشر من ايلول والسابع عشر من توت وذلك بعد ولادة المسيح بثلثمائة وثمان وعشرين سنة وجعلت هيلانة لخشبات الصليب غلافا من ذهب وبنت كنيسة القمامة ببيت المقدس على قبر المسيح بزعمهم وكانت لها مع اليهود أخبار كثيرة قد ذكرت عندهم ثم انصرفت بالصليب معها الى ابنها ومازال قسطنطين على ممالك الروم الى أن مات بعد أربع وعشرين سنة من ولايته فقام من بعده بممالك الروم ابنه قسطنطين الاصغر وقد كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم يخرج الناس فيه الى بنى وائل بظاهر فسطاط مصر ويتظاهرون فى ذلك اليوم بالمنكرات من انواع المحرمات ويمرّ لهم فيه ما يتجاوز الحد فلما قدمت الدولة الفاطمية الى ديار مصر وبنوا القاهرة واستوطنوها وكانت خلافة امير المؤمنين العزيز بالله أمر فى رابع شهر رجب فى سنة احدى وثمانين وثلثمائة وهو يوم الصليب فمنع الناس من الخروج الى بنى وائل وضبط الطرق والدروب ثم لما كان عيد الصليب فى اليوم الرابع عشر من شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة خرج الناس فيه الى بنى وائل وجروا على عادتهم فى الاجتماع واللهو وفى صفر سنة اثنتين وأربعمائة قرئ فى سابعه سجل بالجامع العتيق وفى الطرقات كتب عن الحاكم بأمر الله يشتمل على منع النصارى من الاجتماع على عمل عيد الصليب وأن لا يظهروا بزينتهم فيه ولا يقربوا كنائسهم وأن يمنعوا امهاتهم بفعل ذلك حتى لم يكد يعرف اليوم بديار مصر البتة * (النيروز) * هو أول السنة القبطية بمصر وهو أول يوم من توت وسنتهم فيه اشعال النيران والتراش بالماء وكان من مواسم لهو المصريين قديما وحديثا قال وهب بردت النار فى الليلة التى ألقى فيها ابراهيم وفى صبيحتها على الارض كلها فلم ينتفع بها احد فى الدنيا تلك الليلة وذلك الصباح فمن اجل ذلك بات الناس على النار فى تلك الليلة التى رمى فيها ابراهيم عليه السلام ووثبوا عليها وتبخروا بها وسموا تلك ليلة نيروزا والنيروز فى اللسان السريانى العيد وسئل ابن عباس عن النيروز لم اتخذوه عيدا فقال انه اول السنة المستأنفة وآخر السنة المنقطعة فكانوا يستحبون أن يقدموا فيه على ملوكهم بطرف و اهدايا فتخذته الاعاجم سنة قال الحافظ ابو القاسم على بن

عساكر فى تاريخ دمشق من طريق ابن عباس رضى الله عنهما قال ان فرعون لما قال للملأ من قومه ان هذا الساحر عليم قالوا له ابعث الى السحرة فقال فرعون لموسى ياموسى اجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت فتجتمع انت وهرون وتجتمع السحرة فقال موسى موعدكم يوم الزينة قال ووافق ذلك يوم السبت فى اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وفى رواية ان السحرة قالوا لفرعون ايها الملك واعد الرجل فقال قد واعدته يوم الزينة وهو عيدكم الاكبر ووافق ذلك يوم السبت فخرج الناس لذلك اليوم قال والنوروز اول سنة الفرس وهو الرابع عشر من آذار وفى شهر برمهات ويقال اول من احدثه جمشيد من ملوك الفرس وانه ملك الاقاليم السبعة فلما كمل ملكه ولم يبق له عدو اتخذ ذلك اليوم عيدا وسماه نوروزا فى اليوم الجديد وقيل ان سليمان بن داود عليهما السلام اول من وضعه فى اليوم الذى رجع اليه فيه خاتمه وقيل هو اليوم الذى شفى فيه ايوب عليه السلام وقال الله سبحانه وتعالى له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فجعل ذلك اليوم عيدا وسنوا فيه رش الماء ويقال كان بالشام سبط من بنى اسرائيل اصابهم الطاعون فخرجوا الى العراق فبلغ ملك العجم خبرهم فأمر أن تبنى عليهم حظيرة يجعلون فيها فلما صاروا فيها ماتوا وكانوا أربعة آلاف رجل ثم ان الله تعالى اوحى الى نبى ذلك الزمان ارأيت بلاد كذا وكذا اخاربهم بسبط بنى فلان فقال يارب كيف احاربهم وقد ماتوا فأوحى الله اليه انى احييهم لك فأمطرهم الله ليلة من الليالى فى الحظيرة فأصبحوا أحياء فهم الذين قال الله فيهم ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فرفع أمرهم الى ملك فارس فقال تبركوا بهذا اليوم وليصب بعضكم على بعض الماء فكان ذلك اليوم يوم النوروز فصارت سنة الى اليوم وسئل الخليفة المأمون عن رش الماء فى النوروز فقال قول الله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم هؤلاء قوم اجدبوا تقول مات فلان هزالا فغيثوا فى هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا فأخصب بلدهم فلما احياهم الله بالغيث والغيث يسمى الحيا جعلوا اصب الماء فى مثل هذا اليوم سنة يتبركون بها الى يومنا هذا * وقد روى ان الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف قوم من بنى اسرائيل فروا من الطاعون وقيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتل فى الجهاد فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فأماتهم الله ليعرفهم انه لا ينجيهم من الموت شئ ثم احياهم على يد حزقيل احد أنبياء بنى اسرائيل فى خبر طويل قد ذكره اهل التفسير * وقال على بن حمزة الاصفهانى فى كتاب اعياد الفرس ان اول من اتخذ النيروز جمشيد ويقال جمشاد أحد ملوك الفرس الاول ومعنى النوروز اليوم الجديد والنوروز عند الفرس يكون يوم الاعتدال الربيعى كما أن المهرجان اول الاعتدال الخريفى ويزعمون أن النوروز أقدم من المهرجان فيقولون ان المهرجان كان فى ايام افريدون وانه اول من عمله لما قتل الضحاك وهو بيوراسب فجعل يوم قتله عيدا سماه المهرجان وكان حدوثه بعد النوروز بألفى سنة وعشرين سنة * وقال ابن وصيف شاه فى ذكر مناوش بن منقاوش أحد ملوك القبط فى الدهر القديم وهو أول من عمل النوروز بمصر فكانوا يقيمون سبعة أيام يأكلون ويشربون اكراما للكواكب * وقال ابن رضوان ولما كان النيل هو السبب الاعظم فى عمارة أرض مصر رأى المصريون القدماء وخاصة الذين كانوا فى عهد قلديانوس الملك أن يجعلوا اول السنة فى اول الخريف عند استكمال النيل الحاجة فى الامر الاكثر فجعلوا اول شهورهم توت ثم بابه ثم هاتور وعلى هذا الولاء بحسب المشهور من ترتيب هذه الشهور * وقال ابن زولاق وفى هذه السنة يعنى سنة ثلاث وستين وثلثمائة منع اميرالمؤمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز فى السكك ومن صب الماء يوم النوروز * وقال فى سنة اربع وستين وفى يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف اهل الاسواق وعملوا فيه وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام وأظهروا السماجات والحلى فى الاسواق ثم ٣٦
أمر المعز بالنداء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء واخذ قوم فحبسوا وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال * وقال ابن المامون فى تاريخه وحل موسم النوروز فى اليوم التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة بالنوروز من الطراز وثغر الاسكندرية مع ما يتبعها من الآلات المذهبة والحريرى والسوادج وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها واسماء اربابها واصناف النوروز البطيخ والرمان وعناقيد الموز وأفراد

البسر واقفاص التمر القوصي واقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضأن ومن لحم البقر من كل لون بكلة مع حبر برمارق قال وأحضر كاتب الدفتر الحسابات بما جرت به العادة من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو أربعة آلاف دينار ذهبا وخمسة عشر الف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة من شقق دبيقية مذهبات وحريريات ومعاجر وعصائب نسائيات ملونات وسقولاد مذهب وحريري ومسفع وفوط ديبقية حريرية فأما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عمن تحوزه القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والحواشي والمستخدمين ورؤساء العشاريات وبحاريها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب * وأما الاصناف من البطيخ والرمان والبسر والموز والسفرجل والعناب والهرائس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم فيه جميع الامراء أرباب الاطواق والانصاف وغيرهم من الاماثل والاعيان ممن له جاه ورسم في الدولة * وقال القاضي الفاضل في متجددات سنة أربع وثمانين وخمسمائة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطي وهو مستهل توت وتوت اول سنتهم وقد كان بمصر في الايام الماضية والدولة الخالية من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه والفواحش صريحة فيه ويركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس في طلب رسم رتبه ويرسم على دور الاكابر بالجمل الكبار ويكتب مناشير ويندب مرسمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقنع بالميسور من الهبات ويجتمع المغنون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملاهي وترتفع الاصوات ويشرب الخمر والمزر شربا ظاهرا بينهم وفي الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء ممزوجا بالاقذار وان غلط مستور وخرج من بيته لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بحرمته فاما أن يفدي نفسه واما أن يفضح ولم يجر الحال على هذا ولكن قد رش الماء في الحارات وقد أحيي المنكرات في الدور أرباب الخسارات * وقال في متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وجرى الامر في النوروز على العادة من رش الماء واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفر به في الطريق رش بمياه نجسة وخرق به ومازال يوم النوروز يعمل فيه ماذكر من التراش بالماء والتصافع بالجلود وغيرها الى أن كانت أعوام بضع وثمانين وسبعمائة وأمر الدولة بديار مصر وتدبيرها الى الامير الكبير برقوق قبل أن يجلس على سرير الملك ويتسمى بالسلطان فمنع من لعب النوروز وهدد من لعبه بالعقوبة فانكف الناس عن اللعب في القاهرة وصاروا يعملون شيأ من ذلك في الخلجان والبرك ونحوها من مواضع التنزه بعدما كانت أسواق القاهرة تتعطل في يوم النوروز من البيع والشراء ويتعاطى الناس فيه من اللهو واللعب ما يخرجون عن حد الحياء والحشمة الى الغاية من الفجور والعهور وقل ان انقضى يوم نوروز الا وقتل فيه قتيل او اكثر ولم يبق الآن للناس من الفراغ ما يقتضي ذلك ولا من الرفه والبطر ما يوجب لهم عمله وما أحسن قول بعضهم

كيف ابتهاجك بالنوروز ياسكني * وكل ما فيه يحكيني وأحكيه

فتارة كلهيب النار في كبدي * وتارة كتوالي دمعتي فيه

(وقال آخر) *

نوروز الناس ونورزت ولكن بدموعي

وذكت نارهم والنار ما بين ضلوعي

(وقال آخر)

ولما أتى النوروز يا غاية المنى .. وأنت على الاعراض والهجر والصد

بعثت بنار الشوق ليلا الى الحشا * فنورزت صبحا بالدموع على الخد

ذكر ما يوافق ايام الشهور القبطية من الاعمال في الزراعات وزيادة النيل وغير ذلك على ما نقله اهل مصر عن قدمائهم واعتمدوا عليه في امورهم

اعلم أن المصريين القدماء اعتمدوا فى تاريخهم السنة الشمسية كما تقدّم ذكره ليصير الزمان محفوظا وأعمالهم واقعة فى أوقات معلومة من كل سنة لا يتغير وقت عمل من أعمالهم بتقديم ولا تأخير البتة * (توت) بالقبطى هو ايلول وكانت عادة مصر مذ عهد فراعنتها فى استخراج خراجها وجباية أموالها انه لا يستتم استيفاء الخراج من أهلها الا عند تمام الماء واقتراشه على سائر أرضها ويقع اتمامه فى شهر توت فاذا كان كذلك وربما كانت زيادة عن ذلك أطلق الماء فى جميع نواحيها من ترعها ثم لا يزال يترجح فى الزيادة والنقصان حتى يفرغ توت وفى اوّله يكون يوم النوروز ورابعه أوّل ايلول وسابعه يلقط الزيتون وثانى عشره يطلع الفجر بالصرفة وسابع عشره عيد الصليب فيشرط البلسان ويستخرج دهنه ويفتح ما يتأخر من الابحر والترع وترتب المداسمة لحفظ الجسور وفى ثامن عشره تنتقل الشمس الى برج الميزان فيدخل فصل الخريف وفى خامس عشريه يطلع الفجر بالعوّا ويكبر صغار السمك وفى هذا الشهر يعم ماء النيل أراضى مصر وفيه تسجل النواحى وتسترفع السجلات والقوانين وتطلق التقاوى من الغلال لتخضير الاراضى وفيه يدرك الرمّان والبسر والرطب والزيتون والقطن والسفرجل وفيه يكون هبوب ريح الشمال أقوى من هبوب ريح الجنوب وهبوب الصبا أقوى من الدبور وكان قدماء المصريين لا ينصبون فيه أساسا وفيه يكثر بمصر العنب الشتوى وتبذر المحمضات * (بابه) فى اوّله يحصد الارز ويزرع الفول والبرسيم وسائر الحبوب التى لا تشق لها الارض وفى رابعه اوّل تشرين الاوّل وفى ثامنه طلوع الفجر بالسماك وهو نهاية زيادة النيل وابتداء نقصه وقد لا يتم الماء فيه فيعجز بعض الارض عن أن يركبها الماء فيكون من ذلك نقص الخراج عن الكمال وفى تاسعه يكون مجىء الكراكى الى ارض مصر وفى عاشره يزرع الكتّان وفى ثانى عشره يكون ابتداء شق الارض بصعيد مصر لبذر القمح والشعير وفى ثامن عشره تنتقل الشمس الى برج العقرب ويقطع الخشب وفى تاسع عشره يكون ابتداء نقص ماء النيل ويكثر البعوض وفى حادى عشريه يطلع الفجر بالغفر * وفى هذا الشهر تصرف المياه عن الاراضى ويخرج المزارعون لتخضير الاراضى فيبدؤن ببذر زراعة القرط ثم بزراعة الغلة البدرية اوّلا فأوّلا وفيه يستخرج دهن الآس ودهن النيلوفر ويدرك التمر والزبيب والسمسم والقلقاس وفيه يكثر صغار السمك ويقل كباره ويسمن الراى والابرميس من السمك خاصة وتستحكم حلاوة الرمّان ويكون فيه أطيب منه فى سائر الشهور التى يكون فيها ويضع الضأن والمعز والبقر الخيسية وفيه يملح السمك المعروف بالبورى ويهزل الضأن والمعز والبقر ولا تطيب لحومها وتدرك المحمضات وفيه يجب كتابة التذاكر بالاعمال القوصية وفيه يغرس المنثور ويزرع السلجم * (هاتور) فى خامسه يكون اوّل تشرين الثانى ويطلع الفجر بالزبانا فى رابعه وفى سادسه يزرع الخشخاش وفى سابعه ينصرف ماء النيل عن اراضى الكتّان ويبذر فى النصف منه وبعد تمام شهر يسبخ وفى ثامنه أوان المطر الوسمى وفى حادى عشره تهب ريح الجنوب وفى خامس عشره تبرد المياه بمصر وفى سابع عشره يطلع الفجر بالاكليل وفى ثامن عشره تحل الشمس برج القوس وفى تاسع عشره يغلق البحر الملح وفى سابع عشريه تهب الرياح اللواقح * وفى هذا الشهر يلبس اهل مصر الصوف من سابعه وفيه يكسر ما يحتاج اليه من قصب السكر برسم المعاصر وبراح الغلة فى جميع ما يحتاج اليه فيها ويهتم بعلف أبقارها وجمالها بعد بيع شارفها وعاجزها والتعويض عنه بغيره وأفراد الاتبان برسم وقود القنود وترتيب القوامصة لعمل الاباليج والقواديس والامطار برسم القنود والاعسال وفيه يدرك البنفسج والنيلوفر والمنثور ومن البقولات الاسباناخ والبلسان واختار قدماء المصريين فى هاتور نصب الاساسات وزرع القمح وأطيب حملان السنة حمله وفيه يكثر العنب الذى كان يحمل من قوص * (كيهك) اوّله الاربعينات بمصر ويدخل الطير وكره وفى سادسه بشارة مريم بحمل عيسى عليهما السلام وفى سابعه اوّل كانون الاوّل وفى عاشره آخر الليالى البلق وأوّلها اوّل شاتور وفى حادى عشره اوّل الليالى السود ويدخل النمل الاجحرة وفى ثالث عشره يطلع الفجر بالشولة وتظهر البراغيث ويسخن باطن الارض وفى سادس عشره يسقط ورق الشجر وفى سابع عشره تنتقل الشمس الى برج الجدى فيدخل فصل الشتاء ويزرع الهليون وفى حادى عشريه يكون آخر الليالى البلق وفى ثانى عشريه عيد البشارة وفى ثالث عشريه تزرع الحلبة والترمس وفى سادس عشريه يطلع الفجر بالنعائم وفى ثامن عشريه يبيض النعام وفى تاسع عشريه الميلاد * وفى هذا الشهر يزرع الخيار بعد

اغراق ارضه وفيه يتكامل بذر القمح والشعير والبرسيم الحراثى وفيه يستخرج خراج البرسيم بداراالوجه القبلى وفيه ترتب حراس الطير وفيه كسر قصب السكر واعتصاره واستخدام الطباخين لطبخ القنود وفيه يكون ادراك النرجس والحمضات والفول الاخضر والكرنب والجزر والكراث الابيض واللفت وفيه يقل هبوب ريح الشمال ويكثر هبوب ريح الجنوب وفيه يجود الجدا ويكون أطيب منها فى جميع الشهور التى يكون فيها وفيه يزرع اكثر حبوب الحرث ولا يزرع بعده فى شئ من ارض مصر غير السمسم والمقاثى والقطن ٢١

* (طوبه) فى ثالثه ابتداء زراعة الحمص والجلبان والعدس وفى سادسه اول كانون الثانى وفى تاسعه يطلع الفجر بالبلد وعاشره صوم الغطاس وحادى عشره الغطاس وفى ثانى عشره يشتد البرد وفى رابع عشره يرتفع الوباء بمصر ويغرس النخل وفى سابع عشره تحل الشمس اول برج الدلو ويكثر الندى ويكون ابتداء غرس الاشجار وفى العشرين منه يكون آخر الليالى السود وحادى عشريه الليالى البلق الثانية وفى ثانى عشريه يطلع الفجر بسعد الذابح وفى ثالث عشريه تهب الرياح الباردة وفى رابع عشريه تفرخ جوارح الطير وفى خامس عشريه يكون نتاج الابل المحمودة وفى سابع عشريه يصفو ماء النيل وفى ثامن عشريه يتكامل ادراك القرط * وفى هذا الشهر تقلم الكروم وينظف زرع الغلة من اللبسان وغيره وينظف زرع الكتان من الفجل وغيره وفيه تبرش الاراضى اول سكة برسم الصيافى والمقاثى والقطن والسمسم وينتهى برشها فى اول امشير وفيه تسقى ارض القلقاس والقصب وتشق الجسور فى آخره وفيه تستخرج أراضى الخرس ويكسر القصب الراس بعد افراز ما يحتاج اليه من الزريعة وهو لكل فدان طين قيراط طيب قصب راس وفيه يهتم بعمارة السواقى وحفر الآبار وابتياع الابقار وفيه يظهر اللوز الاخضر والنبق والهليون وفيه أيضا يكون هبوب ريح الجنوب اكثر من هبوب الشمال وهبوب الصبا اكثر من هبوب الدبور وفيه يكون الباقلا الاخضر والجزر أطيب منهما فى غيره وفيه يتناهى ماء النيل فى صفائه ويخزن فلا يتغير فى أوانيه ولو طال لبثه فيها وفيه تطيب لحوم الضأن أطيب منها فى سائر الشهور وفيه تربط الخيول والبغال على القرط من اجل ربيعها ويطوبه يطالب الناس بافتتاح الخراج ومحاسبة المتقبلين على الثمن من السجلات من جميع ما بأيديهم من المحلول والمعقود

*(امشير) فى اوله تختلف الرياح وفى خامسه يطلع الفجر بسعد بلع وفى سادسه يكون اول شباط وفى تاسعه يجرى الماء فى العود وحادى عشره اول جمرة باردة وسادس عشره تحل الشمس بأول برج الحوت وفى سابع عشره يخرج النمل من الاجحرة وفى ثامن عشره يطلع الفجر بسعد السعود وفى العشرين منه ثانى جمرة فاترة وفى ثالث عشريه تقلم الكروم وخامس عشريه يفرخ النحل وسابع عشريه ثالث جمرة حامية ويورق الشجر وهو آخر غرسها وفى آخره يكون آخر الليالى البلق * وفى هذا الشهر يقلع السلجم ويستخرج خراجه وفيه يثنى برش الصيافى وتبرش ايضا ثالث سكة وفيه يعمل مقاطع الجسور وتمسح الاراضى ويرقد البيض فى المعامل اربعة أشهر آخرها بشنس وفيه يكون ريح الشمال اكثر الرياح هبوبا وفيه ينبغى أن تعمل اوانى الخزف للماء لتستعمل فيه طول السنة فإن ما عمل فيه من أوانى الخزف يبرد الماء فى الصيف اكثر من تبريد ما يعمل فى غيره من الشهور وفيه يتكامل غرس الشجر وتقليم الكروم وفيه يدرك النبق واللوز الاخضر ويكثر البنفسج والمنثور * ويقال أمشير يقول لزرع سير ويلحق بالطويل القصير وفيه يقل البرد ويهب الهواء الذى فيه سخونة ما وفى امشير يؤخذ الناس فيه بإتمام ربع الخراج من السجلات -- (برمهات) اول يوم منه يطلع الفجر بالاخبية وفى خامسه يحض دود القز وسادسه يزرع السمسم وثانى عشره يقلع الكتان ورابع عشره يكون اول الاعجاز ويطلع الفجر بالفرغ المقدم وفى سادس عشره تفتح الحيات أعينها وفى سابع عشره تنتقل الشمس الى برج الحمل وهو أول فصل الربيع ورأس سنة الجند ورأس سنة العالم وفى العشرين منه يكون آخر الاعجاز وثانى عشريه نتاج الخيل المحمودة وثالث عشريه يظهر الذباب الازرق وخمس عشريه تظهر هوام الارض وسابع عشريه يطلع الفجر بالفرغ المؤخر وفى آخره يتفرق السحاب * وفى هذا الشهر تجرى المراكب السفرية فى البحر الملح الى ديار مصر من المغرب والروم ويهتم فيه بتجريد الاجناد الى الثغور كالاسكندرية ودمياط وتنيس ورشيد وفيه كانت تجهز الاساطيل ومراكب الشوانى لحفظ الثغور وفيه زرع المقاثى والصيفى ويدرك الفول والعدس ويقلع الكتان وتزرع اقصاب السكر فى الارض المبروشة اختارة لذلك البعيدة العهد

عن الزراعة ويأخذ المقشرون فى تنظيف الارض المزروعة من القش فى وقت الزراعة ويأخذ القطاعون
فى قطع الربيعة ويأخذ المزارعون فى رمى قطع القصب وفيه يؤخذ فى تحصيل النطرون وحمله من وادى هبيت
الى الشونة السلطانية وفيه يكون ريح الشمال اكثر الرياح هبوبا وفيه تزهر الاشجار وينعقد اكثر ثمارها وفيه
يكون اللبن الرائب أطيب منه فى جميع الشهور التى يعمل فيها وفى برمهات يطالب الناس بالربع الثانى والثمن
من الخراج * (برموده) فى سادسه اول نيسان وفى عاشره يطلع الفجر بالرشا وفى ثانى عشره يقلع الفجل وفى سابع
عشره تحل الشمس اول برج الثور وفى ثالث عشريه يطلع الفجر بالشرطين وهو رأس الحمل واول منازل القمر
وفيه ابتداء كسار الفول وحصاد القمح وهو ختام الزرع * وفى هذا الشهر يهتم بقطع خشب السنط من الخراج
الذى كان بمصر فى القديم أيام الدولة الفاطمية والايوبية ويجر الى السواحل لتيسر حمله فى زمن النيل
الى ساحل مصر ليعمل شوانى واحطابا برسم الوقود فى المطابخ السلطانية وفيه يكثر الورد ويزرع
الخيار شنبر والملوخيا والباذنجان وفيه يقطف اوائل عسل النحل وينفض بزر الكتان واحسن ما يكون الورد
فيه من جميع زمانه وفيه يظهر البطن الاول من الجميز وفيه تقع المساحة على اهل الاعمال ويطالب الناس
باغلاق نصف الخراج من محلاتهم ويحصد بذرى الزرع * (بشنس) فى خامسه تكثر الفاكهة وسادسه اول ايار
وفيه طلوع الفجر بالبطين وثامنه عيد الشهيد وتاسعه انفتاح البحر المالح ورابع عشره يزرع الارز وثامن عشره
تحل الشمس اول برج الجوزاء وفيه يطيب الحصاد وفى تاسع عشره يطلع الفجر بالثريا وفيه زراعة الارز والسمسم
ورابع عشريه يكون عيد البلسان بالمطرية ويزعمون انه اليوم الذى دخلت فيه مريم الى مصر * وفى هذا
الشهر يكون دراس الغلة وهدار الكتان ونفض البزر والتقاوى والاتبان وحملها وفيه زراعة البلسان وتقليمه
وسقيه وتكريم أراضيه من بؤونة الى آخر هاتور واستخراج دهنه بعد شرطه فى نصف توت وان كان فى اوله
فهو أصلح الى آخر هاتور وصلاح أيامه أيام الندى ويقيم فى الندى سنة كاملة الى أن يشرب اعكاره
وأوساخه ويطبخ الدهن فى الفصل الربيعى فى شهر برمهات فيعمل لكل رطل مصرى أربعة وأربعون رطلا
من مائة فيحصل منه قدر عشرين درهما وما حولها من الدهن * وفى هذا الشهر اكثر ما يهب من الرياح
الشمالية وفيه يدرك التفاح القاسمى ويبتدى فيه التفاح المسكى والبطيخ العبدلى ويقال انه اول ما عرف بمصر
عندما قدم اليها عبد الله بن طاهر بعد المائتين من سنى الهجرة فنسب اليه وقيل له العبدلى وفيه أيضا يبتدئ
البطيخ الجربى والمشمش والخوخ الزهرى ويجئ الورد الابيض وفيه تقرر المساحة ويطالب الناس بما يضاف
الى المساحة من أبواب وجوه المال كالصرف والجهبذة وحق المراعى والقرط والكتان على رسوم كل ناحية
ويستخرج فيه اتمام الربع مما تقررت عليه العقود والمساحة ويطلق الحصاد لجميع الناس * (بؤونه)
فى ثانيه يطلع الفجر بالدبران وفى خامسه يتنفس النيل وفى تاسعه أوان قطف النحل وفى حادى عشره تهب رياح
السموم وفى ثانى عشره عيد ميكائيل فيؤخذ قاع النيل وفى ثالث عشره يشتد الحر وفى خامس عشره
يطلع الفجر بالهنعة وفى عشريه تحل الشمس اول برج السرطان وهو اول فصل الصيف وفى سابع عشريه
ينادى على النيل بما زاده من الاصابع وفى ثامن عشريه يطلع الفجر بالهقعة * وفى هذا الشهر تسفر
المراكب لاحضار الغلال والتبن والقنود والاعسال وغير ذلك من الاعمال القوصية ونواحى الوجه البحرى
وفيه يقطف عسل النحل وتخرص الكروم ويستخرج زكاتها وفيه يندى الكتان ويقلب أربعة اوجه فى بؤونة
وأبيب وفيه زراعة النيلة بالصعيد الاعلى وتحصد بعد مائة يوم ثم تترك وتحصد فى كل مائة يوم حصدة ويحصل
فى اول كيهك وطوبه وأمشير وبرمهات ويطلع فى برمودة وتحصد فى عشرة أيام من أبيب وتقيم فى الارض
الجيدة ثلاث سنين وتسقى كل عشرة أيام دفعتين وثانى سنة ثلاث دفعات وثالث سنة أربع دفعات
وفى هذا الشهر يكون التين الفيومى والخوخ الزهرى والكمثرى والقراصيا والقثاء والبلح والحصرم ويبتدئ
ادراك العصفر وفيه يدخل بعض العنب ويطيب التوت الاسود ويقطف جمهور العسل فتكون رياحه قليلة
والتين يكون فيه أطيب منه فى سائر الشهور وفيه يطلع النخل وفيه يستخرج تمام نصف الخراج مما بقى
بعد المساحة * (أبيب) فى سابعه اول تموز وفى عاشره آخر قطع الخشب وفى حادى عشره يطلع الفجر بالذراع
وثانى عشره ابتداء تعطين الكتان وفى خامس عشره يقل ماء الآبار وتدرك انضواكه ويموت الدود وفى حادى

عشريه

عشر يه تحل الشمس بأول برج الاسد و تذهب البراغيث و يبرد باطن الارض وتهيج أوجاع العين وفى خامس عشريه يطلع الفجر بالنثرة وفى سادس عشريه تطلع الشعرى العبور اليمانية * وفى هذا الشهر اكثر مايهب من الرياح الشمال ويكثر فيه العنب ويجود وفيه يطيب التين المقرون بمجىء العنب ويتغير البطيخ العبدلى وتقل حلاوته وتكثر الكمثرى السكرية ويطيب البلح وفيه يقطف بقايا عسل النحل وتقوى زيادة ماء النيل فيقال فى أبيب يدب الماء دبيب وفيه يقع الكتان بالمبلات ويباع برسيم البذر برسم زراعة القرط والكتان وفيه تدرك ثمرة العنب ويحصد القرطم وفيه تستتم ثلاثة ارباع الخراج *(مسرى) فى سابعه يطلع الفجر بالطرف وفى ثامنه اول آب وفى حادى عشره يجمع القطن وفى رابع عشره يحمى الماء ولا يبرد وفى سابع عشره استكمال الثمار وفى عشريه يطلع الفجر بالجبهة وفى حادى عشريه تحل الشمس برج السنبلة وفى ثالث عشريه يتغير طعم الفاكهة لغلبة ماء النيل على الارض وفى خامس عشريه يكون آخر السموم وفى تاسع عشريه يطلع سهيل بمصر * وفى هذا الشهر يكون وفاء النيل ستة عشر ذراعا فى غالب السنين حتى قيل ان لم يوف النيل فى مسرى فانتظره فى السنة الاخرى وفيه يجرى ماء النيل فى خليج الاسكندرية ويسافر فيه المراكب بالغلال والبهار والسكر وسائر أصناف المتاجر وفيه يكثر البسر وكانوا يخرصون النخل ويخرجون زكاة الثمار فى هذا الشهر عندما كانت الزكوات يجبيها السلطان من الرعية واكثر مايهب فى هذا الشهر ريح الشمال وفيه يعصر قيط مصر الخمر ويعمل الخل من العنب وفيه يدرك الموز وأطيب مايكون الموز بمصر فى هذا الشهر وفيه يدرك الليمون التفاحى وكان من جملة أصناف الليمون بأرض مصر ليمون يقال له التفاحى يؤكل بغير سكر لقلة حمضه ولذة طعمه وفيه يكون ابتداء ادراك الرمان واذا انقضت أيام مسرى ابتدأت ايام النسىء ففى اولها ابتداء هيج النعام وفى رابعها يطلع الفجر بالخراتان وفى مسرى يغلق الفلاحون خراج أراضى زراعاتهم وكانوا يؤخرون البقايا على دق الكتان فى مسرى وأبيب لان الكتان يبل فى توت ويدق فى بابه

(ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية الى السنة الهلالية العربية)

وكيف عمل ذلك فى الاسلام قد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب التعريف بالسنة الشمسية والسنة القمرية وماتلازم فى كبس السنين من الآراء فلما جاء الله تعالى بالاسلام تحرز المسلمون من كبس السنين خشية الوقوع فى النسىء الذى قال الله سبحانه وتعالى فيه انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا ثم لما رأوا تداخل السنين القمرية فى السنين الشمسية اسقطوا عند رأس كل اثنتين وثلاثين سنة قمرية سنة وسموا ذلك الازدلاق لان لكل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنتين وثلاثين سنة شمسية بالتقريب وسأتلو عليك من نبا ذلك مالم أره مجموعا * قال ابو الحسين عبد الله بن احمد بن ابى طاهر فى كتاب أخبار امير المؤمنين المعتضد بالله ابى العباس احمد بن ابى احمد طلحة الموفق ابن المتوكل ومنه نقلت وخرج أمر المعتضد فى ذى الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين بتصيير النوروز لاحدى عشرة ليلة خلت من حزيران رأفة بالرعية وايثارا الارفاق بها وقالوا خرج التوقيع فى المحرم سنة اثنتين وثمانين ومائتين بانشاء الكتب الى جميع العمال فى النواحى والامصار بترك افتتاح الخراج فى النوروز الفارسى الذى يقع يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر وأن يجعل ما يفتتح من خراج سنة اثنتين وثمانين ومائتين يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر من هذه السنة وهو اليوم الحادى عشر من حزيران ويسمى هذا النوروز المعتضدى ترفيها لاهل الخراج ونظرا لهم ونسخة التوقيع الخارج فى تصيير افتتاح الخراج فى حزيران (أما بعد) فان الله لما حول أمير المؤمنين لمحل الذى احله به من امور عباده وبلاده رأى أن من حق الله عليه أن لا يكتفيها الامامة العدل والانصاف نهاوالسيرة القاصدة وأن يتولى لها صلاح امورها ويستقرئ السير والمعاملات التى كانت تعامل بها ويقر منها ما وجب الحق اقراره ويزيل ما اوجب ازالته غير مستكثر لها كثير ما يستقضه العدل ولا مستقل لها قليل ما يلزمه اياها الجور وقد وفق الله أمير المؤمنين لما يرجو أن يكون لحق الله فيها قاضيا ولنصيبها من العدل موازيا وبالله يستعين امير المؤمنين على حفظ ما استرعاه منها وحياطة ما قلده من امورها وهو خير موفق ومعين وان أبا القاسم عبيد الله رفع الى أمير المؤمنين فيما أمر أمير المؤمنين به من رد النوروز الذى يفتتح به الخراج بالعراق والمشرق وما يتصل بهما ويجرى مجراهما من الوقت

الذى صار فيه من الزمان الى الوقت الذى كان عليه متقدما مع ما أمر به فى مستقبل السنين من الكبس حتى يصير
٢ العدل عامّاً فى الزمان كله باقيا على غابر الدهر وممرّ الايام موامرة أمير المؤمنين فأمر بتسجيلها لك فى آخر كتابه
مع ما وقع به فيها لتمثيله فافعل ذلك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب يوم الخميس
لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين * نسخة الموامرة أنهيت الى امير المؤمنين أن مما انعم
الله به على رعيته ورزقها اياه من رأفته وحسن نظره واقامته عليها من عدله وانصافه ورفعه عنها فى خلافته من
الظلم الشامل ما كان الاقصى والادنى والصغير والكبير والمسلم والذمىّ فيه سواء ما حررته من نقل كتب الخراج
عن السنة التى كانت تنسب اليها من سنى الهجرة الى السنة التى فيها تدرك الغلات ويستخرج المال وان ذلك
ما كان بعض اهل الجهل حاوله وبعض المتغلبين استعمله من تثبيت الخراج على اهله ومطالبتهم به قبل وقت الزراعة
واعيائهم بذكر سنة من السنتين اللتين ينسب الخراج لاحداهما وتدرك الغلات ويقع الاستخراج فى الاخرى
منهما فى حساب شهور الفرس التى عليها يجرى العمل فى الخراج بالسواد وما يليه والاهواز وفارس والجبل
وما يتصل به من جميع نواحى المشرق وما يضاف اليه اذا كان عمل الشأم والجزيرة والموصل يجرى على حساب
شهور الروم الموافقة للازمنة فليست تختلف اوقاتها مع الكبيسة المستعملة فيها والعمل فى خراج مصر وما والاها
على شهور القبط الموافقة لشهور الروم وكانت من شهور الفرس قد خالفت موافقها من الزمان بما ترك من الكبس
منذ أزال الله ملك فارس وفتح للمسلمين بلادهم فصار النوروز الذى كان الخراج يفتتح فيه بالعراق والمشرق قد
تقدم فى ترك الكبس شهرين وصارا بينه وبين ادراك الغلة فأمر أمير المؤمنين بما جبل الله عليه رأيه فى التوصل
الى كل ما عاد بصلاح رعيته وحسماً للاسباب المؤدية الى اعيائها بتأخير النوروز الذى يقع فى شهور سنة اثنتين
وثمانين ومائتين من سنى الهجرة عن الوقت الذى يتفق فيه أيام سنة الفرس وهو يوم الجمعة لاحدى عشرة تخلو
من صفر مثل عدة أيام الشهرين من شهور الفرس التى ترك كبسها وهى ستون يوما حتى يكون نوروز السنة واقعا
يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائتين وهو الحادى عشر من
حزيران وهو يتصل بهما ويجرى مجراهما وينسب ويضاف اليهما ويسائر أعمالهم وبما يعمله اصحاب الحساب
من التقويمات وجميع الاعمال وما يعدّه الفرس من شهورهم الى شهوره الكبيسة الاول والاخر ثم يكبس بعد
ذلك فى كل اربع سنين من سنى الفرس ولا يقع تفاوت بينه وبينها على مرور الايام ولكن ابدا واقعا فى حزيران
وغير خارج عنه وأن يلغى ذكر كل سنة من أربع سنين تنسب الى الخراج بالعراق وفى المشرق والمغرب وسائر
النواحى والآفاق اذ كان مقدار سنى أيام الهجرة والسنة الجامعة للازمنة التى تتكامل فيها الغلات وأن يخرج
التوقيع بذلك لتنشأ الكتب به من ديوان الرسائل الى ولاة المعاون والاحكام وتقرأ على المنابر ويحمل أصحاب
المعاون الرعية عليه وتأخذها بامتثال ما أمر به أمير المؤمنين وسنة الحكام فى ديوان حكمهم لتمثيل الضمان
والمقاطعين ذلك على حسبه وأستطلع رأى امير المؤمنين فى ذلك فرأى امير المؤمنين فى ذلك موفق ان شاء الله
تعالى وتكتب نسخة التوقيع بتنفيذ ذلك ان شاء الله تعالى وكتب فى شهر ذى الحجة سنة احدى وثمانين
ومائتين * قال وكان السبب فى نقل الخراج الى حزيران فى أيام المعتضد ما حدثنى به ابو احمد يحيى بن على بن يحيى
المنجم القديم قال كنت أحدث امير المؤمنين المعتضد فذكرت خبر المتوكل فى تأخير النوروز فاستحسنه وقال لى
كيف كان ذلك قلت حدثنى ابى قال دخل المتوكل قبل تأخير النوروز بعض بساتينه الخاصة التى كانت فى يدى
وهو متوكئ على يحادثنى وينظر الى ما أحدث فى ذلك البستان فمر بزرع فرآه اخضر فقال يا على ان الزرع
اخضر بعد ما أدرك وقد استأمرنى عبيد الله بن يحيى فى استفتاح الخراج فكيف كانت الفرس تستفتح الخراج
فى النوروز والزرع لم يدرك بعد قال فقلت له ليس يجرى الامر اليوم على ما كان يجرى عليه فى أيام الفرس
ولا النوروز فى هذه الايام فى وقته الذى كان فى أيامها قال وكيف ذاك فقلت لانها كانت تكبس فى كل مائة
وعشرين سنة شهرا وكان النوروز اذا تقدم شهرا وصار فى خمس من حزيران كبست ذلك الشهر فصار فى خمس
من ايار وأسقطت شهرا وردته الى خمس من حزيران فكان لا يتجاوز هذا فلما تقلد العراق خالد بن عبد الله
القسرى وحضر الوقت الذى تكبس فيه الفرس منعهما من ذلك وقال هذا من النسيء الذى نهى الله عنه فقال
انما النسيء زيادة فى الكفر وأنا لا أطلقه حتى أستأمر فيه امير المؤمنين فبذلوا على ذلك مالا جليلا فامتنع عليهم

من

من قبوله وكتب الى هشام بن عبد الملك يعرّفه ذلك ويستأمره ويعلمه انه من النسىء الذى نهى الله عنه فأمر بمنعهم من ذلك فلما امتنعوا من الكبس تقدم النوروز تقدما شديدا حتى صار يقع فى نيسان والزرع أخضر فقال له المتوكل فاحتل لهذا يا على عملا ترد النوروز فيه الى وقته الذى كان يقع فيه فى ايام الفرس وعرّف بذلك عبيد الله ابن يحيى وأدّ اليه رسالة منى فى أن يجعل استفتاح الخراج فيه قال فصرت الى ابى الحسن عبيد الله بن يحيى وعرّفته ماجرى بينى وبين المتوكل وأدّيت اليه رسالته فقال لى يا ابا الحسن قد والله فرّجت عنى وعن الناس وعملت عملا كثيرا يعظم ثوابك عليه وكسبت لامير المؤمنين اجرا وشكرا فأحسن الله جزاءك فمثلك من يجالس الخلفاء وأحب أن يتقدم بالعمل الذى أمر به المتوكل وينفذه الى حتى اجرى الامر عليه واتقدم فى كتب الكتب باستفتاح الخراج قال فرجعت وحررت الحساب فوجدت النوروز لم يكن يتقدم فى ايام الفرس اكثر من شهر يتقدم من خمس تخلو من حزيران فيصير فى خمسة ايام تخلو من ايار فتكبس سنتها وترده الى خمسة ايام من حزيران وأنفذته الى عبيد الله بن يحيى فأمر أن يستفتح الخراج فى خمس من حزيران وتقدم الى ابراهيم ابن العباس فى أن ينشئ كتابا عن أمير المؤمنين فى ذلك ينفذ نسخته الى النواحى فعمل ابراهيم بن العباس كتابه المشهور فى أيدى الناس * قال ابو احمد فقال لى المعتضد يا يحيى هذا والله فعل حسن وينبغى أن يعمل به فقلت ما احد أولى بفعل الحسن واحياء السنن الشريفة من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين لما جمعه الله فيه من المحاسن ووهبه له من الفضائل فدعا بعبيد الله بن سليمان وقال له اسمع من يحيى ما يخبرك به وأمض الامر فى استفتاح الخراج عليه قال فصرت مع عبيد الله بن سليمان الى الديوان وعرّفته الخبر فأحب تأخيره عن ذلك لئلا يجرى الامر الجارى الاول بعينه فجعله فى احد عشر من حزيران واستأمر المعتضد فى ذلك فأمضاه فقلت فى ذلك شعرا انشدته للمعتضد فى هذا المعنى

يوم نوروزك يوم * واحد لا يتأخر

من حزيران يوافى * أبدا فى احد عشر

قال وأخبرنى بعض مشايخ الكتاب قال وكانت الخلفاء تؤخر النوروز عن وقته عشرين يوما واقل واكثر ليكون ذلك سببا لتأخير افتتاح الخراج على اهله * وأما المهرجان فلم تكن تؤخره عن وقته يوما واحدا فكان اول من قدمه عن وقته يوم المعتقد بمدينة السلام فى سنة خمس وستين ومائتين وأمر المعتضد بتأخير النوروز عن وقته ستين يوما وقال ابو الريحان محمد بن احمد البيرونى فى كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية ومنه نقلت ماذكر ابن أبى طاهر وزاد ونفذت الكتب الى الآفاق يعنى عن المتوكل فى محرم سنة ثلاث واربعين ومائتين وقتل المتوكل ولم يتم له مادبر واستمر الامر حتى قام المعتضد فاحتذى مافعله المتوكل فى تاخير النوروز غير أنه نظر فاذا المتوكل اخذ ما بين سنته وبين اول تاريخ يزدجرد فأخذ المعتضد ما بين سنته وبين السنة التى زال فيها ملك الفرس بهلاك يزدجرد ظنا أن اهمالهم أمر الكبس من ذلك الوقت فوجده مائتى سنة وثلاثا وأربعين سنة حصتها من الارباع ستون يوما وكسر فزاد ذلك على النوروز فى سنة وجعله منتهى تلك الايام وهو من خرداد ماه فى تلك السنة وكان يوم الاربعاء ووافقه اليوم الحادى عشر من حزيران ثم وضع النوروز على شهور الروم لتكبس شهوره اذا كبست الروم شهورها وقال القاضى السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين أبو الحسن على بن القاضى المؤتمن ثقة الدولة أبى عمرو عثمان بن يوسف المخزومى فى كتاب المنهاج فى علم الخراج والسنة الخراجية مركبة على حكم السنة الشمسية لان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم ورتب المصريون سنتهم على ذلك ليكون أداء الخراج عند ادراك الغلات من كل سنة ووافقها السنة القبطية لان أيام شهورها ثلثمائة وستون يوما ويتبعها خمسة ايام النسىء وربع يوم بعد تقضى مسرى وفى كل أربع سنين تكون أيام النسىء ستة أيام لينجبر الكسر ويسمون تلك السنة كبيسة وفى كل ثلاث وثلاثين سنة تسقط سنة فيحتاج الى نقلها لاجل الفصل بين السنين الشمسية والسنين الهلالية لان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم والسنة الهلالية ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وكسر ولما كان كذلك احتيج الى استعمال النقل الذى تطابق به احدى السنتين الاخرى وقد قال ابو الحسن على بن الحسن الكاتب رحمه الله عهدت جباية أموال الخراج فى سنين قبل سنة احدى وأربعين ومائتين من خلافة أمير المؤمنين

المتوكل على الله رحمة الله عليه تجرى كل سنة فى السنة التى بعدها بسبب تاخير الشهور الشمسية عن الشهور القمرية فى كل سنة احد عشر يوما وربع يوم وزيادة الكسر عليه فلما دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين كان قد انقضى من السنين التى قبلها ثلاث وثلاثون سنة اولهن سنة ثمان ومائتين من خلافة أمير المؤمنين المأمون رحمة الله عليه واجتمع من هذا المتأخر فيها أيام سنة شمسية كاملة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة الكسر وبها ادراك غلات وثمار سنة احدى وأربعين ومائتين فى صفر سنة اثنتين وأربعين ومائتين وأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه بالغاء ذكر سنة احدى وأربعين ومائتين اذ كانت قد انقضت ونسب الخراج الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين فجرت الاعمال على ذلك سنة بعد سنة الى أن انقضت ثلاث وثلاثون سنة آخرهن انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين فلم ينبه كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله رحمة الله عليه على ذلك اذ كان رؤساؤهم فى ذلك الوقت اسماعيل بن بلبل وبنى الفرات ولم يكونوا عملوا فى ديوان الخراج والضياع فى خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه ولا كانت اسنانهم اسنانا بلغت معرفتهم معها هذا النقل بل كان مولد احمد بن محمد بن الفرات قبل هذه السنة بخمس سنين ومولد على أخيه فيها وكان اسماعيل بن بلبل يتعلم فى مجلس لم يبلغ أن ينسخ فلما تقلدت لناصر الدين أبى احمد طلحة الموفق رحمه الله أعمال الضياع بقزوين ونواحيها لسنة ست وسبعين ومائتين وكان مقيما بأذربيجان وخلفته بالجبل جرادة بن محمد واحمد بن محمد كاتبه واحتجت الى رفع جماعتى اليه ترجمتها بجماعة سنة ست وسبعين ومائتين التى أدركت غلاتها وثمارها فى سنة سبع وسبعين ومائتين ووجب الغاء ذكر سنة ست وسبعين ومائتين فلما وقفا على هذه الترجمة انكراها وسألانى عن السبب فيها فشرحت لهما واكدت ذلك بأن عرفتهما انى قد استخرجت حساب السنين الشمسية والسنين القمرية من القرآن الكريم بعد ما عرضته على اصحاب التفسير فذكروا انه لم يأت فيه شئ من الاثر فكان ذلك اوكد فى لطف استخراجى وهو أن الله تعالى قال فى سورة الكهف ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا فلم أجد احدا من المفسرين عرف معنى قوله وازدادوا تسعا وانما خاطب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بكلام العرب وما تعرفه من الحساب فمعنى هذه التسع أن الثلثمائة كانت شمسية بحساب العجم ومن كان لا يعرف السنين القمرية فاذا أضيف الى الثلثمائة القمرية زيادة التسع كانت سنين شمسية صحيحة فاستحسناه فلما انصرف جرادة مع الناصر لدين الله الى مدينة السلام وتوفى الناصر رحمه الله وتقلد القاسم عبيد الله بن سليمان كتابة أمير المؤمنين المعتضد بالله أجرى لجرادة ذكر هذا النقل وشرح له سببه تقربا اليه وطعنا على أبى القاسم عبيد الله فى تأخيره اياه فلما وقف المعتضد على ذلك تقدم الى أبى القاسم بانشاء الكتب بنقل سنة ثمان وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومائتين وكان هذا النقل بعد أربع سنين من وجوبه ثم مضت السنون سنة بعد سنة الى أن انقضت الآن ثلاث وثلاثون سنة اولاهن السنة التى كان النقل وجب فيها وهى سنة خمس وسبعين ومائتين وآخرتهن انقضاء سنة سبع وثلثمائة وقد تهيأ ادراك الغلات والثمار فى صدر سنة ثمان وثلثمائة ونسبته اليها وقد عملت نسخة هذا النقل نسختها تحت هذا الموضع ليوقف عليها وقد كان اصحاب الدواوين فى أيام المتوكل لما نقل سنة احدى وأربعين ومائتين الى سنة اثنتين واربعين ومائتين جبوا الجوالى والصدقات لسنتى احدى واثنتين وأربعين ومائتين فى وقت واحد لان الجوالى بسر من رأى ومدينة السلام وقصب المدن المشهورة كانت تجبى على شهور الاهلة وما كان من جماجم اهل القرى فى الخراج والضياع والصدقات والمستغلات كان يجبى على شهور الشمس وفى ثلاث وثلاثين سنة اجتمعت أيام سنة شمسية كاملة فألزم اهل الذمة خاصة بالجوالى ورفعها العمال فى حساباتهم فمن لم يرفعها ألزموه بجوالى السنة الزائدة فأحفظ انه اجتمع من ذلك الوف دراهم ثم جددت الكتب الى العمال بأن تكون حساباتهم الجوالى على شهور الاهلة فجرى الامر على ذلك قال القاضى ابو الحسن وقد كان النقل اغفل فى الديار المصرية حتى كانت سنة تسع وتسعين واربعمائة الهلالية تجرى مع سنة سبع وتسعين الخراجية فنقلت سنة سبع وتسعين واربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة هكذا رأيت فى تعليقات أبى رحمه الله وآخر ما نقلت السنة فى وقتنا هذا سنة خمس وستين وخمسمائة الى سنة سبع وستين وخمسمائة الهلالية فتطابقت السنتان وذلك انى لما قلت للقاضى الفاضل ابى على

عبد الرحيم بن علي البيساني انه قد آن نقل السنة فانشأ سجلا بنقلها نسخ الدواوين وحمل الامر على حكمه وما برح الملوك والوزراء يعتنون بنقل السنين في احيانها * وقال ابو الحسين هلال بن المحسن الصابي حدثني ابو علي قال لما أراد الوزير ابو محمد المهلبي نقل سنة خمس وثلثمائة الهلالية امر أبا اسحاق والدي وغيره من كتابه في الخراج والرسائل بانشاء كتاب عن المطيع لله في هذا المعنى فكتب كل منهم وكتب والدي الكتاب الموجود في رسائله وعرضت النسخ على الوزير فاختاره منها وتقدم بأن يكتب الى اصحاب الاطراف وقال لابي الفرج بن ابي هشام خليفته اكتب الى العمال بذلك كتبا محققة وانسخ في اواخرها هذا الكتاب السلطاني فغاظ أبا الفرج وقوع التفضيل والاختيار لكتاب والدي وقد كان عمل نسخة اطرحت في جملة ما اطرح وكتب قدرأينا نقل سنة خمسين الى احدى وخمسين فاعمل على ذلك ولم ينسخ الكتاب السلطاني وعرف الوزير ما كتب به ابو الفرج فقال له لماذا اغفلت نسخ الكتاب السلطاني في آخر الكتب الى العمال واثباته في الدوان فأجاب جوابا علك فيه فقال له يا أبا الفرج ما تركت ذلك الاحسد الابي اسحاق وهو والله في هذا الفن اكتب اهل زمانه فأعد الآن الكتب وانسخ الكتاب في اواخرها قال القاضي ابو الحسن وأنا اذكر بمشيئة الله نسخة الكتاب الذي أشار اليه ابو الحسن علي بن الحسن الكاتب وكتاب أبي اسحاق وكتاب القاضي الفاضل ليستبين للناظر طريق نقل السنين الخراجية الى السنين الهلالية فاذا قاربت الموافقة وحسنت فيها المطابقة فالكتاب الفاضلي اكثر مجازا وأعظم اعجازا ولا يخفى على المتأمل قدر ما اورد فيه من البلاغة كما لا يخفى على العارف قدر ما تضمنه كتاب الصابي من الصناعة * نسخة الكتاب الذي أشار اليه ابو الحسن الكاتب * ان أولى ماصرف اليه أمير المؤمنين عنايته وأعمل فيه فكره ورويته وشغل فيه تفقده ورعايته أمر الفيء الذي خصه الله به وألزمه جمعه وتوفيره وحياطته وتكثيره وجعله عماد الدين وقوام أمر المسلمين وفيما يصرف منه الى اعطيات الاولياء والجنود ومن يستعان به لتحصين البيضة والذب عن الحريم وحج البيت وجهاد العدو وسد الثغور وأمن السبيل وحقن الدماء واصلاح ذات البين وأمير المؤمنين يسأل الله تعالى راغبا اليه ومتوكلا عليه أن يحسن عونه على ما حمله منه ويديم توفيقه بما أرضاه وارشاده الى أن يقضي عنه وله وقد نظر امير المؤمنين فيما كان يجري عليه أمر جباية هذا الفيء في خلافة آبائه الراشدين صلوات الله عليهم فوجده على حسب ما كان يدرك من الغلات والثمار في كل سنة اولا اولا على مجاري شهور سني الشمس في النجوم التي يحل مال كل صنف منها فيها ووجد شهور السنة الشمسية تتأخر عن شهور السنة الهلالية أحد عشر يوما وربعا وزيادة عليه ويكون ادراك الغلات والثمار في كل سنة بحسب تأخرها فلا تزال السنون تمضي على ذلك سنة بعد سنة حتى تنقضي منها ثلاث وثلاثون سنة وتكون عدة الايام المتأخرة منها أيام سنة شمسية كاملة وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة عليه فحينئذ يتهيأ بمشيئة الله تعالى وقدرته ادراك الغلات التي تجري عليها الضرائب والطسوق في استقبال المحرم من سني الاهلة ويجب مع ذلك الغاء السنة الخارجة اذا كانت قد انقضت ونسبتها الى السنة التي أدركت الغلات والثمار فيها لانه وجد ذلك قد كان وقع في أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه عند انقضاء ثلاث وثلاثين سنة آخرتهن سنة احدى وأربعين ومائتين فجرت المكاتبات والحسبانات وسائر الاعمال بعد ذلك سنة بعد سنة الى أن مضت ثلاث وثلاثون سنة آخرتهن انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين ووجب انشاء الكتب بالغاء ذكر سنة أربع وسبعين ومائتين ونسبتها الى سنة خمس وسبعين ومائتين فذهب ذلك على كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله وتأخر الامر أربع سنين الى أن أمر أمير المؤمنين المعتضد بالله رحمة الله عليه في سنة سبع وسبعين ومائتين بنقل خراج سنة ثمان وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومائتين فجرى الامر على ذلك الى أن انقضت في هذا الوقت ثلاث وثلاثون سنة اولاهن السنة التي كان يجب نقلها فيها وهي سنة خمس وسبعين ومائتين وآخرتهن انقضاء شهور خراج سنة سبع وثلثمائة ووجب افتتاح خراج ما يجري على الضرائب والطسوق في اولها وان من صواب التدبير واستقامة الاعمال واستعمال ما يخف على الرعية معاملتها به نقل سنة الخراج سنة سبع وثلثمائة الى سنة ثمان وثلثمائة فرأى أمير المؤمنين لما يلزمه نفسه ويؤاخذها به من العناية بهذا الفيء وحياطة اسبابه واجرائها مجاريها وسلوك سبيل آبائه الراشدين رحمة الله عليهم اجمعين فيها أن يكتب اليك والى سائر

العمال فى النواحى بالعمل على ذلك وأن يكون مايصدر اليكم من الكتب وتصدرونه منكم وتجرى عليه أعمالكم ورفوعكم وحسباناتكم وسائر مناظراتكم على هذا النقل فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين واعمل به مستشعرا فيه وفى كل مضنة تقوى الله وطاعته ومستعملا عليه ثقات الاعوان وكفاتهم ومشرفا عليهم ومقوما لهم واكتب بما يكون منك فى ذلك ان شاء الله تعالى *(نسخة ابى اسحاق الصابى)* أما بعد فان أمير المؤمنين لا زال مجتهدا فى مصالح المسلمين وباعثا لهم على مراشد الدنيا والدين ومهيأ لهم احسن الاختيار فيما يوردون ويصدرون وأصوب الرأى فيما يبرمون وينقضون فلا يلوح له خلة داخلة على امورهم الا سدها وتلافاها ولا حال عائدة بحظ عليهم الا اعتمدها وأتاها ولا سنة عادلة الا أخذهم باقامة رسمها وامضاء حكمها والاقتداء بالسلف الصالح فى العمل بها والاتباع لها واذا اعرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور ألبابها وتجهله العامة بقصور أفهامها وكانت اوامره فيه خارجة اليك والى امثالك من أعيان رجاله وأماثل عماله الذين يكتفون بالاشارة ويجتزون بيسير الابانة والعبارة لم يدع أن يبلغ من تخليص اللفظ وايضاح المعنى الى الحد الذى يلحق المتأخر بالمتقدم ويجمع بين العالم والمتعلم ولا سيما اذا كان ذلك فيما يتعلق بمعاملات الرعية ومن لا يعرف الا الظواهر الجلية دون البواطن الخفية ولا يسهل عليه الانتقال عن العادات المتكررة الى الرسوم المتغيرة ليكون القول بالمشروح لمن برز فى المعرفة مذكرا ولمن تأخر فيها مبصرا ولانه ليس من الحق أن تمنع هذه الطبقة من برد اليقين فى صدورها ولا أن يقتصر على اللمحة الدالة فى مخاطبة جمهورها حتى اذا استوت الاقدام بطوائف الناس فى فهم ما أمر وا به وفقه ما دعوا اليه وصاروا على حكمه سواء لا يعترضهم شك الشاكين ولا استرابة المسترببين اطمأنت قلوبهم وانشرحت صدورهم وسقط الخلاف بينهم واستمر الاتفاق بهم واستيقنوا أنهم مؤسسون على استقامة من المنهاج ومحروسون من جوائر الزيغ والاعوجاج فكان الانقياد منهم وهم دارون عالمون لا مقلدون مسلمون وطائعون مختارون لا مكرهون ولا مجبرون وأمير المؤمنين يستمد الله تعالى فى جميع أغراضه ومراميه ومطالبه ومغازيه مادة من صنعه يقف بها على سنن الصلاح ويفتح له ابواب النجاح وينهضه بما اهله له من الاعباء التى لا يدعى الاستقلال بها الا بتوفيقه ومعونته ولا يتوجه فيها الا بدلالته وهدايته وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل يرى أن اولى الاقوال أن يكون سدادا واحرى الافعال أن يكون رشادا ما وجد له فى السابق من حكم الله اصول وقواعد وفى النص من كتابه آيات وشواهد وكان منصبا بالامة الى قوام من دين أو دنيا ووفاق فى آخرة او اولى فذلك هو البناء الذى يثبت ويعلو والغرس الذى ينبت ويركو والسعى الذى تنجح مباديه وهواديه وتبهج عواقبه وتواليه وتستنير سبله لسالكيها وتوردهم موارد السعود فى مقاصدهم فيها غير ضالين ولا عادلين ولا منحرفين ولا زائلين وقد جعل الله عز وجل لعباده من هذه الافلاك الدائرة والنجوم السائرة فيما تنقلب عليه من اتصال وافتراق ويتعاقب عليها من اختلاف واتفاق منافع تظهر فى كرور الشهور والاعوام ومرور الليالى والايام وتفاوت الضياء والظلام واعتدال المسالك والاوطان وتغاير الفصول والازمان ونشو النبات والحيوان مما ليس فى نظام ذلك خلل ولا فى صنعه زلل بل هو منوط بعضه ببعض ومحوط من كل ثلمة ونقض قال الله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وقال جل من قائل الم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير وقال تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وقال عزت قدرته والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ففصل الله تعالى بهذه الآيات بين الشمس والقمر وأنبأ بما فى الباهر من حكمه والمعجز من كلامه أن لكل منهما طريقا سخر فيها وطبيعة جبل عليها وأن تلك المباينة والمخالفة فى المسير يؤديان الى موافقة وملازمة فى التدبير فمن هنالك زادت السنة الشمسية فصارت ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربعا بالتقريب المعمول عليه وهى المدة التى تقطع الشمس فيها الفلك مرة واحدة ونقصت الهلالية فصارت ثلثمائة واربعة وخمسين يوما وهى المدة التى يجامع القمر فيها الشمس اثنى عشرة مرة واحتيج اذا انساق هذا الفضل الى استعمال النقل الذى يطابق احدى السنتين بالاخرى اذا افترقتا ويدانى بينهما اذا تفاوتتا وما زالت الامم السالفة تكبس زيادات السنين على افتنان من طرقها ومذاهبها وفى كتاب الله عز وجل شهادة بذلك اذ يقول فى قصة اهل الكهف ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة

سنين وازدادوا تسعا فكانت هذه الزيادة بأن الفضل فى السنين المذكورة على تقريب التقريب فأما الفرس فانهم اجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التى شهورها اثناعشر شهرا وأيامها ثلثمائة وستون يوما ولقبوا الشهور باثنى عشر لقبا وسموا أيام الشهر منها بثلاثين اسما وأفردوا الخمسة الايام الزائدة وسموها المسترقة وكبسوا الربع فى كل مائة وعشرين سنة شهرا فلما انقرض ملكهم بطل فى كبس هذا الربع تدبيرهم وزال نوروزهم عن سنته وانفرج ما بينه وبين حقيقة وقته انفراجا هو زائد لا يقف ودائر لا ينقطع حتى ان موضوعهم فى النوروز أن يقع فى مدخل الصيف وسينتهى الى أن يقع فى مدخل الشتاء ويتجاوز ذلك وموضوعهم فى المهرجان أن يقع فى مدخل الشتاء وينتهى الى أن يقع فى مدخل الصيف ويتجاوز وأما الروم فكانوا اتقن منهم حكمة وأبعد نظرا فى العاقبة لانهم رتبوا شهور السنة على ارصاد شهورها وأنواء عرفوها وفضوا الخمسة الايام على الشهور وساقوها على الدهور وكبسوا الربع فى كل أربع سنين يوما ورسموا أن يكون الى شباط مضافا فقربوا ما بعده غيرهم وسهلوا على الناس أن يقتفوا اثرهم لاجرم ان المعتضد بالله رحمه الله على اصولهم بنى ولمثالهم احتذى فى تصييره نوروزه اليوم الحادى عشر من حزيران حتى سلم مما لحق النواريز فى سالف الازمان وتلافوا الامر فى عجز سنى الهلال عن سنى الشمس بأن جبروها بالكبس فكلما اجتمع من فصول سنى الشمس ومابقى تمام شهر جعلوا السنة الهلالية يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالا فربما تم الشهر الثالث عشر فى ثلاث سنين وربما تم فى سنتين بحسب ما يوجبه الحساب فتصير سنتا الشمس والهلال عندهم متقاربتين ابدا لا يتباعد ما بينهما وأما العرب فان الله تعالى فضلها على الامم الماضية وورثها ثمرات مشاقها المتعبة وأجرى شهر صيامها ومواقيت أعيادها وزكاة اهل ملتها وجزية اهل ذمتها على السنة الهلالية وتعبدها فيها برؤية الاهلة ارادة منه أن تكون مناهجها واضحة وأعلامها لائحة فيتكافأ فى معرفة الغرض ودخول الوقت الخاص منها والعام والناقص الفقه والتام والانثى والذكر والصغير والكبير والاكبر فصاروا حينئذ يحسبون فى سنة الشمس حاصل الغلات المقسومة وخراج الارض الممسوحة ويجبون فى سنة الهلال الجوالى والصدقات والارجاء والمقاطعات والمستغلات وسائر ما يجرى على المشاهرات وحدث من التداخل بين السنين ما لو استمر لقبح جدا وازداد بعدا اذ كانت الجباية الخراجية فى السنة التى ينتهى اليها تنسب الى الشمسية والى ما قبلها فوجب مع هذا أن تطرح تلك السنة وتلغى ويتجاوز الى ما بعدها وتخطى ولم يجز لهم أن يعتدوا بمخالفتهم فى كبس السنة الهلالية بشهر ثالث عشر ولانهم لو فعلوا ذلك لزحزحت الاشهر الحرم عن مواقعها وارتجت المناسك عن حقائقها وتقصت الجباية فى سنى الاهلة القبطية بقسط ما استغرقه الكبس منها فاستظهروا بذلك الفضل الى أن تم السنة وأوجب الحساب المقرب أن يكون كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية ثلاثا وثلاثين هلالية فنقلوا المتقدمة الى المتأخرة نقلا لا يتجاوز الشمسية وكانت هذه الكلفة فى دنياهم مستسهلة مع تلك النعمة فى دينهم وقد رأى أمير المؤمنين نقل سنة خمسين وثلثمائة الخراجية الى سنة احدى وخمسين وثلثمائة الهلالية جمعا بينهما ولزوما لتلك السنة فيهما فاعمل بما ورد به امر أمير المؤمنين عليك وتضمنه كتابه هذا اليك ومر الكتاب قبلك أن يحتذوا رسمه فيما يكتبون به الى عمال نواحيك ويخلدونه فى الدواوين من ذكورهم ورفوعهم ويعدونه من خروج الاموال ويتظلمونه فى الدواوين والاعمال ويثبتون عليه الجماعات والحسبانات ويوغرون بكتبه من الروزنامجات والبراآت ولكن المنسوب من ذلك الى سنة خمسين وثلثمائة التى وقع النقل اليها وأقم فى نفوس من بحضرتك من اصناف الجند والرعية واهل الملة والذمة أن هذا النقل لا يغير لهم رسما ولا يلحق بهم ثلما ولا يعود على قابضى العطاء بنقصان ما استحقوا قبضه ولا على مؤدى حق بيت المال باغضاء عما وجب أداؤه فان فرائح اكثرهم قصيرة الى افهام أمير المؤمنين الذى اثر أن تزاح فيه العلة ويسد به سهم الخلة اذ كان هذا الشأن لا يتجدد الا فى المدد الطوال التى فى مثلها يحتاج الى تعريف الناس وأجب بما يكون منك جوابا يحسن موقعه لك ان شاء الله تعالى * وقال ابن المأمون فى تاريخه من حوادث سنة احدى وخمسمائة وأول ما تحدث فيه نقل السنة الشمسية الى العربية وكان قد حصل بينهما تفاوت أربع سنين فتحدث القائد ابو عبد الله محمد بن فاتك البطائحى مع الافضل بن أمير الجيوش فى ذلك فأجاب اليه وخرج أمره الى الشيخ أبى القاسم بن الصيرفى بانشاء سجل به فأنشأ ما نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى ارتضى أمير المؤمنين امينه فى أرضه وخليفته وألهمه أن يتم بحسن

التدبير عبيده وخليقته ووفقه لمصالح يستمد أسبابها ويفتح بحسن نظره أبوابها واورثه مقام آبائه الراشدين الذين اختصهم بشرف المفخر وجعل اعتقاد موالاتهم سبب النجاة فى المحشر وعناهم بقوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وأعلى منار سلطانه بمدبر افلاك دولته ومبيد أعداء مملكته واشرف من نصب للجند علما وراية ووقف على مصلحة البرية نظره ورايه وأرشد بهدايته الالباب الحائرة وأذهب بعدلته الاحكام الجائرة السيد الاجل الافضل ونتمم النعوت بالدعاء للذى كل تدبيره نظام الصلاح وتممه وسدد تقريره الامور فى كل ماقصده ويممه ونبه فى السياسة على ما اهمله من سبقه وأغفله من تقدمه وتتبع احوال المملكة فلم يدع مشكلا الا اوضحه وبين الواجب فيه ولا خللا الا اصلحه وبادر بتلافيه ولا مهملا الا استعمله على ما يوافق الصواب ولا ينافيه ايثار العمارة الاعمال وقصد المايقضى بتوفير الاموال وتوخيا لما عاد بضروب لاستغلال واعتناء برجال الدولة العلوية واجنادها واهتماما بمصالحهم التى ضعفت قواهم عن ارتيادها ورعاية لمن ضمنه اقطار المملكة من الرعايا وحملا لهم على اعدل السنن وأفضل القضايا بحمده امير المؤمنين على ما اعانه عليه من حسن النظر للامة وادخره لايامه من الفضائل التى صفت بها ملابس النعمة ووفقه لما يعود على الكافة بشمول الانتفاع حتى صار استبدال الحقوق واجبات الشريعة الواضحة الادلة واستيفاؤها بمقتضى المعدلة فيما يجرى على احكام الخراج وأوضاع الاهلة ويرغب اليه بالصلوة على محمد الذى ميزه بالحكمة وفصل الخطاب وبين به مااستبهم من سبل الصواب وانزل عليه فى محكم الكتاب هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه ابينا أمير المؤمنين على بن ابى طالب كافيه فيما اعضل لما عدم المساعد وواقيه بنفسه لما تخاذل الكف والساعد وعلى الائمة من ذريتهما العاملين برضى الله تعالى فيما يقولون ويفعلون والذين يهدون بالحق وبه يعدلون وان أولى ماولاه امير المؤمنين حظا وأتيا من تفقده وأسهم له جزأ وافرا من كريم تعهده ونظر اليه بعين اهتمامه واختصه بالقسم الاجزل من استمالة امر الاموال التى يستعان بها على سد الخلل وبرجائها يستدفع مايطرق من الحادث الجلل وبوفورها تستتب شؤون المملكة وتستقيم احوال الدول وباستخراجها على حكم العدل الشامل ووصية انصاف المعامل تكون العمارة التى هى اصل زيادتها ومادة كثرتها وغزارتها ولما كانت جباياتها على حكمين احدهما يجئ هلاليا وذلك مالا يدخله عارض ولا اشكال ولا ابهام ولا يحتاج فيه الى ايضاح ولا افهام لان شهور الهلال يشترك فى معرفتها الامير والمقصر ويستوى فى الفهم بها المتقدم فى العلم والمتأخر اذ كان الناس آلفين لازمنة متعبداتهم السنين مما يحفظ لهم نظام مرسومهم والآخر يجئ خراجيا ويثبت بنسبته الى الخراج لانها تضبط اوقات مايجرى ذلك لاجله من النيل المبارك والزراعة وتحفظ احيانه دون السنة الهلالية وتحرس أوضاعه ولا يستقل بمعرفته الامن باشره وعرف موارده ومصادره فوجب أن يقصر على السنة الخراجية النظر ويفعل فيها ماتعظم به الفائدة ويحسن فيه الاثر ويعتمد فى ايضاح امرها وتقديم حكمها على ماتحلى به التواريخ وتزين به السير ويكون ذلك شاهد المساعى السيد الاجل الافضل الذى لايزال ساهرا ليله فى حياطة الهاجعين شاهرا سيفه فى حماية الوادعين مطلعا للدولة بدور السعادة وشموسها مذللا لها صعب الحوادث وشموسها ناطقة تارة بأن امة هو راعيها قد فضل الله سائسها واسعد مسوسها وهذا حين التبصير والارشاد وأوان التبيين للغرض والمراد لتتساوى العامة والخاصة فى علمه وتسعهم الفائدة فى معرفة حكمه وتتحقق المنفعة لهم فيما يمنع من تداخل السنين واستقبالها وتتبين المعدلة عليهم فيما يؤمن من المضار التى يحتاج الى استدراكها ومعلوم أن ايام السنة الخراجية وهى السنة الشمسية بخلاف السنة الهلالية لان ايام السنة الخراجية من استقبال النوروز الى آخر النسيء ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وأيام السنة الهلالية لاستقبال المحرم الى آخر ذى الحجة ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما والخلاف فى كل سنة بالتقريب احد عشر يوما وفى كل ثلاث وثلاثين سنة سنة واحدة على حكم التقريب ويقتضيه ماتقدم من الترتيب فاذا اتفق أن يكون اول الهلالية موافقا لمدخل السنة الخراجية وكانت نسبتهما واحدة استمر اتفاق التسمية فيهما وبقى ذلك جاريا عليهما ولم يزل الامتداد اخلين لكون مدخل الخراجية فى اثناء شهور الهلالية الى انقضاء ثلاث وثلاثين سنة فاذا انقضت هذه المدة بطلت المداخلة وخلت السنة

الهلالية

الهلالية من نوروز يكون فيها وبحكم ذلك بطل اتفاق التسمية ويكون التفاوت سنة واحدة للعلة المقدم ذكرها ومن اين يستقر بينهما ائتلاف او يعدم لهما اختلاف ام كيف يعتقد ذلك أحد من البشر والله تعالى يقول لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر فقد وضح دليل التباعد بما جاء منصوصا فى الكتاب وظهر برهانه بما اقتضاه موجب الحساب فيحتاج بحكم ذلك الى نقل السنة الشمسية الى التى تليها لتكون موافقة للهلالية وجارية معها وفائدة النقل أن لا تخلو السنة الهلالية من مال خاص ينسب الى السنة الموافقة لها الان واجبات العسكرية على عظمها واتساعها وأرزاق المرتزقة على اختلاف أجناسها واوضاعها جارية على أحكام الهلالية غير معدول بها عن ذلك فى حال من الاحوال والمحافظة على ثمرة ارتفاعها متعينة ومنفعة العناية بما تجرى عليه واضحة مبينة ولما اهلت سنة احدى وخمسمائة ودخلت فيها سنة تسع وتسعين وأربعمائة الخراجية الموافقة لسنة احدى وخمسمائة الهلالية كان فى ذلك من التباين والتعارض والتفاوت والتنافر بحكم اهمال النقل فيما تقدم ما صارت السنة الهلالية الحاضرة لا يجبى خراج ما يوافقها فيها ولا تدرك غلات السنة المجرى مالها عليها الا فى السنة التى تليها فهى تستهل وتنقضى وليس لها فى الخراجى ارتفاع والاعمال تطيف بالزراعة ولا حظ لها فى ذلك ولا انتفاع وهذه الحال المضرة بها على بيت المال غير خفية والاذية فيها للرجال المقطعين بادية وأسباب لحوقها اياهم مستمرة متمادية ولا سيما من وقع له باثبات وانعم عليه بزيادات فانهم يتعجلون الاستقبال ويتأجلون الاستغلال ومتى لم تنقل هذه السنة الخراجية كانت متداخلة بين سنتين هلالية وهى موافقة لغيرها وما لها يجرى على سنة تجرى بينهما الان مدخلها فى اليوم العاشر من المحرم سنة احدى وخمسمائة وانقضاؤها فى العشرين من المحرم سنة اثنتين وخمسمائة وهى متداخلة بين هاتين السنتين ومالها يجرى على سنة احدى وخمسمائة والحال فى ذلك لا ينتهى الى أمد ولا يزال الفساد يتزايد طول الابد وقد رأى أمير المؤمنين وبالله توفيقه ما خرج به أمره الى السيد الاجل الافضل الذى نبه على هذا الامر وكشف غامضه وأزال بحسن توصله تنافيه وتناقضه أن يوعز الى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل مضمنا ما رآه ودبره مودعا انفاذ ما أحكمه وقرره من نقل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة لتكون موافقة لها ويجرى عليها مالها ويكون ما يستأدونه من اقطاعاتهم ويستخرجونه من واجباتهم جاريا على نظام محروس ونطاق محيط غير منحوس وشاهد انصيب موفى غير منقوص ويتضح ما أبهم اشكاله التعمية ويزول الاستكراه فى اختلاف التسمية ويستقر الوفاق بين السنين الهلالية والخراجية الى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وينسب مال الخراج والمقاسمات وما يستغل ويجبى من الاقطاعات مما كان جاريا على ذكر سنة تسع وتسعين وأربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة وتجرى الاضافة اليها مجرى ما يرتفع من الهلالى فيها لتكون سنة احدى من هذه مشتملة على ما يخصها من مالها وعلى مال السنة الخراجية بما يشرح من انتقالها وكذلك نقل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الخراجية الثابتة بالقسمة الى سنة احدى وخمسمائة المشار اليها ويكون مالها جاريا عليها فليعتمد ذلك فى الدواوين بالحضرة وفى سائر اعمال الدولة قاصيها ودانيها وفارسها وشاميها وليتنبه كافة الكتاب والمستخدمين وجميع العمال والمتصرفين الى اقتفاء هذا السنن واتباعه وليحذروا الخروج عن أحكامه المقررة وأوضاعه وليبادروا الى امتثال المرسوم فيه وليحذروا من تجاوزه وتعدّيه ولينسخ فى دواوين الاموال والجيوش المنصورة وليخلد بعد ذلك فى بيوت المال المعمورة وكتب فى محرم سنة احدى وخمسمائة * وقال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة ومن خطه نقلت * مستهل المحرم نسخ منشور بنقل السنة الخراجية الى السنة الهلالية والمطابقة بين اسمهما لموافقة الشهور العربية للشهور القبطية وخلو سنة سبع من نوروز فنقلت سنة خمس وستين وخمسمائة الخراجية الى هذه السنة وكان آخر نقل نقلته هذه السنة فى الايام الافضلية فان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وسنة تسع وتسعين الخراجيتين نقلتا الى سنة احدى وخمسمائة الخراجية وسبب هذا الانفراج بينهما زيادة عدد السنة الشمسية على عدد الهلالية احد عشر يوما واغفال النقل فى سنة ثلاث وثلاثين فى أيام الوزير الافضل رضوان بن ولخشى وانسحب ذيل هذه الزيادة وتداخل السنين بعضها فى بعض الى أن صار التفاوت بينهما سنتين فى هذه السنة فنقلت وهو انتقال لا يتعدى التسمية ولا يتجاوز اللفظ ولا ينقص

مالاديوان ولا لمقطع وانما يقصد به ازالة الالباس وحل الاشكال * وقال القاضي ابو الحسين وسخة الكتاب الذي انشاه القاضي الفاضل خرجت الاوامر الملكية الناصرية زاد الله في اعلائها بابداع هذا المنشور اثانؤثر من حسن النظر مايؤثر أحسن الخبر ولا ينصرف بنا الفكر عما تحلى به السير وتجلى به الغير ولا تزال خواطرنا تعتلى فتطلع الدرارى وتغوص فتخرج الدرر وان اولى مااستحدث به البصائر وحوست فيه المصائر كل أمر يصحح المعاملات ويشرحها ويطلق عقولهم من عقول الاشكال ويسرحها ولما اوجب نقل السنة الخراجية والمطابقة بينها وبين الهلالية لانفراجهما بسنتين وموافقة الشهور الخراجية والهلالية في هذه السنة مطلع المستهلين امضينا هذه السنة الحالية في هذه السنة الآتية واستخرنا الله تعالى في نقل سنتى خمس وست وستين وخمسمائة الى سنة سبع وستين وخمسمائة التي سميت بهذا النقل هلالية خراجية نفيا للامور المشتبهة والتسمية المموهة وتنزيها لسنى الاسلام عن التكبيس ولتاريخه عن ملابسة التلبيس واعلاما بالوفاق الذي استشعرته آباؤها وبنوها واعلانا باتباعه عناية بعوايد السلف التي خلفوها للخلف وبنوها وفي ذلك ما تحمد به العواقب وتنفسح به المذاهب وتتيسر به المطالب ويزول به الاشكال ويؤمن به الاختلال وينحسم به الغلط في الحساب ويؤلف بين السنين المختلفة الانساب ويحفظ على القمر معاملته ويبعد عن التاريخ معاملته ويقرب على الكاتب محاولته ويصرف عن نعمة الله هجنة كونها مقدمة في التسنية مؤخرة في التسمية وعن معاملة بيت المال وصمة كونها معذوقة بالمطل وقد بالغت في التوفية لان من أعطى في سنة سبع وستين وخمسمائة استحقاق سنة خمس فلا ريب أنه قد مطل بحكم السمع وان كان قد انجز بحكم الشرع فتوسم هذه السنة المباركة بالهلالية الخراجية وترفع الحسبانات بهذا الوضع ويعمل في التقريرات والتسجيلات على هذا فليفعل في ذلك ما يقضى بارتاج هذا الانفراج وجبر هذا الصدع وليعلم في الدواوين علمه ولينفذ فيها حكمه بعد ثبوته الى حيث يثبت مثله ان شاء الله تعالى *(وأما تاريخ العرب) فانه لم يزل في الجاهلية والاسلام يعمل بشهور الاهلة وعدة شهور السنة عندهم اثناعشر شهرا الا انهم اختلفوا في اسمائها فكانت العرب العاربة تسميها ناتق وثقيل وطليق واسخ وأنخ وحلك وكسع وزاهر ونوط وحرف وبغش فناتق هو المحرم وثقيل هو صفر وهكذا ما بعده على سرد الشهور وكانت ثمود تسميها موجب وموجر ومورد وملزم ومصدر وهوبر وهوبل وموها وديمر ودابر وحيقل ومسبل فموجب هو المحرم وموجر صفر الا انهم كانوا يبدؤن بالشهور من ديمر وهو شهر رمضان فيكون أول شهور السنة عندهم ثم كانت العرب تسميها بأسماء أخر وهي مؤتمر وناجر وخوان وصوان وحنتم وزبا والاصم وعادل ونافق ووعل وهواع وبرك ومعنى المؤتمر أنه يأتمر بكل شئ مما تأتى به السنة من اقضيتها وناجر من النجر وهو شدة الحر وخوان فعال من الخيانة وصوان بكسر الصاد وضمها فعال من الصيانة والزبا الداهية العظيمة المتكاثفة سمى بذلك لكثرة القتال فيه ومنهم من يقول بعد صوان الزبا وبعد الزبا بائدة وبعد بائدة الاصم ثم واغل وباطل وعادل ورنه وبرك فالبائد من القتال اذ كان فيه يبيد كثير من الناس وجرى المثل بذلك فقيل العجب كل العجب بين جمادى ورجب وكانوا يستعجلون فيه ويتوخون بلوغ الثار والغارات قبل رجب فانه شهر حرام ويقولون له الاصم لانهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح والواغل الداخل على شرب ولم يدعوه وذلك لانه تهجم على شهر رمضان وكان يكثر في شهر رمضان شربهم الخمر لان الذي يتلوه هي شهور الحج وباطل هو مكيال الخمر سمى به لافراطهم فيه في الشرب وكثرة استعمالهم لذلك المكيال وأما العادل فهو من العدل لانه من أشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل وأما الزبا فلان الانعام كانت تزب فيه لقرب النحر وأما برك فهو لبروك الابل اذا احضرت المنحر وقد روى انهم كانوا يسمون المحرم مؤتمر وصفر ناجر وربيع الاول نصار وربيع الآخر خوان وجمادى الاولى حنتم وجمادى الآخرة الرنة ورجب الاصم وهو شهر مضر وكانت العرب تصومه في الجاهلية وكانت تمتار فيه وتميرا هلها وكان يأمن بعضهم بعضا فيه ويخرجون الى الاسفار ولا يخافون وشعبان عادل ورمضان ناتق وشوال واغل وذو القعدة هواع وذو الحجة برك ويقال فيه أيضا بروك وكانوا يسمونه الميمون ثم سمت العرب أشهرها بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذى القعدة وذى الحجة

واشتقوا اسماءها من امور اتفق وقوعها عند تسميتها فالمحرم كانوا يحرمون فيه القتال وصفر كانت تصفر فيه بيوتهم لخروجهم الى الغزو وشهرا ربيع كانا زمن الربيع وشهرا جمادى كانا يجمد فيهما الماء لشدة البرد ورجب الوسط وشعبان يشعب فيه القتال ورمضان من الرمضاء لانه كان يأتى فيه القيظ وشوال تشيل فيه الابل أذنابها وذو القعدة لقعودهم فى دورهم وذوالحجة لانه شهر الحج وأنت اذا تأملت اشتقاق اسماء شهور الجاهلية اولا ثم اشتقاقها ثانيا تبين لك أن بين التسميتين زمانا طويلا فان صفر فى احدهما هو صميم الحروب وفى الآخر رمضان ولا يمكن ذلك فى وقت واحد او وقتين متقاربين وكانت العرب اولا تستعمل هذه الشهور على نحو ما يستعمله اهل الاسلام اما بطريق الهدى اولان العرب لم يكن لها دراية بمراعاة حساب حركات النيرين فاحتاجت الى استعمال مبادى الشهور لرؤية الاهلة وجعلت زمان الشهر بحسب ما يقع بين كل هلالين فربما كان بعض الشهور تاما أعنى ثلاثين يوما وربما كان ناقصا اعنى تسعة وعشرين يوما وربما كانت اشهر متوالية تامة اكثرها اربعة وهذا نادر وربما كانت اشهر متوالية ناقصة اكثرها ثلاثة وكان يقع حج العرب فى ازمنة السنة كلها وهو أبدا عاشر ذى الحجة من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فاذا انقضى موسم الحج تفرقت العرب طالبة أماكنها واقام أهل مكة بها فلم يزالوا على ذلك دهرا طويلا الى أن غيروا دين ابراهيم واسماعيل فأحبوا أن يتوسعوا فى معيشتهم ويجعلوا حجهم فى وقت ادراك شغلهم من الادم والجلود والثمار ونحوها وأن يثبت ذلك على حالة واحدة فى أطيب الازمنة وأخصبها فتعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شمويل نبى بنى اسرائيل وعملوا النسىء قبل الهجرة بنحو مائتى سنة وكان الذى يلى النسىء يقال له القلمس يعنى الشريف وقد اختلف فى اول من أنسأ الشهور منهم فقيل القلمس هو عدى بن زيد وقيل القلمس هو سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة وانه قال أرى شهور الاهلة ثلثمائة وأربعة وخمسين يوما وأرى شهور العجم ثلثمائة وخمسة وستين يوما فبيننا وبينهم احد عشر يوما ففى كل ثلاث سنين ثلاثة وثلاثون يوما ففى كل ثلاث سنين شهر وكان اذا جاءت ثلاث سنين قدم الحج فى ذى القعدة فاذا جاءت ثلاث سنين أخر فى المحرم وكانت العرب اذا حجت قلدت الابل النعال وألبستها الجلال وأشعرتها فلا يتعرض لها أحد الا خثعم وكان النسىء فى بنى كنانة ثم فى بنى ثعلبة بن مالك بن كنانة وكان الذى يلى ذلك منهم ابو ثمامة المالكى ثم من بنى فقيم وبنو فقيم هم النساة وهو ينسئ الشهور وكان يقوم على باب الكعبة فيقول ان الهنا لكم العزى قد أنسأت صفر الاول وكان يحله عاما ويحرمه عاما وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتميم وآخر النساة جنادة بن عوف بن امية بن قلع بن عباد بن حذيفة بن عبد بن فقيم وقيل القلمس هو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ثم توارث ذلك منه بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام ابو ثمامة جنادة وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فأحل لهم من الشهور وحرم فأحلوا ما أحل وحرموا ما حرم وكان اذا اراد أن ينسئ منها شيأ أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه ليواطئوا عدة الاربعة فاذا أرادوا الهدى اجتمعوا اليه فقال اللهم انى لا اجاب ولا اعاب فى امرى والامر لما قضيت اللهم انى قد أحللت دماء المحلين من طى وخثعم فاقتلوهم حيث ثقفتموهم اى ظفرتم بهم اللهم انى قد أحللت أحد الصفرين الصفر الاول وأنسأت الآخر من العام المقبل وانما احل دم طى وخثعم لانهم كانوا يعدون على الناس فى الشهر الحرام من بين جميع العرب * وقيل اول من انسأ سرير بن ثعلبة وانقرض فانسأ من بعده ابن اخيه القلمس واسمه عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن كنانة ثم صار النسىء فى ولده وكان آخرهم ابو ثمامة جنادة وقيل عوف بن امية بن قلع عن ابيه امية بن قلع عن جده قلع بن عباد عن جد أبيه عباد بن حذيفة عن جد جده حذيفة بن عبد بن فقيم وكان يقال لحذيفة القلمس وهو أول من أنسأ الشهور على العرب فأحل منها ما أحل وحرم ما حرم ثم كان بعده عوف المذكور ولده ابو ثمامة جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام وكان أبعدهم ذكرا وأطولهم أمدا يقال انه انسأ أربعين سنة ولهم يقول عمير بن قيس جذل الطعان يفتخر

وأى الناس لم يسبق بوتر * واى الناس لم يعلك لجاما

ألسنا الناسئين على معد * شهور الحل نجعلها حراما

وقال آخر

ازعم انى من فقيم بن مالك * لعمرى لقد غيرت ما كنت اعلم
لهم ناسئ يمشون تحت لوائه * يحل اذا شاء الشهور ويحرم

وقيل كانت العرب تكبس فى كل اربع وعشرين سنة قمرية بتسعة اشهر فكانت شهورهم ثابتة مع الازمنة جارية على سنن واحد لا تتاخر عن أوقاتها ولا تتقدم وكان النسئ الاول للمحرم فسمى صفر باسمه وشهر ربيع الاول باسم صفر ثم والوا بين اسماء الشهور فكان النسئ الثانى بصفر فسمى الذى كان يتلوه بصفر أيضا وكذلك حتى دار النسىء فى الشهور الاثنى عشر وعاد الى المحرم فأعادوا فعلهم الاول وكانوا يعدون ادوار النسىء ويحدون بها الازمنة فيقولون قد دارت السنون من لدن زمان كذا الى زمان كذا كذا وكذا دورة فان ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصله من الفصول الاربعة لما يجتمع من كسور سنة الشمس بقية فضل ما بينها وبين سنة القمر الذى ألحقوه بها كبسوها كبسا ثانيا وكان يظهر لهم ذلك بطلوع منازل القمر وسقوطها حتى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم وكانت نوبة النسئ بلغت شعبان فسمى محرما وشهر رمضان صفر وقيل ان الناسئ الاول نسأ المحرم وجعله كبسا وأخر المحرم الى صفر وصفر الى ربيع الاول وكذا بقية الشهور فوقع لهم فى تلك السنة عاشر المحرم وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا ونقل الحج بعد كل ثلاث سنين شهر المضى على ذلك مائتان وعشر سنين وكان انقضاؤها سنة حجة الوداع وكان وقوع الحج فى السنة التاسعة من الهجرة عاشر ذى القعدة وهى السنة التى حج فيها ابو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة حجة الوداع لوقوع الحج فيها عاشر ذى الحجة كما كان فى عهد ابراهيم واسماعيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى خطبته هذه ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يعنى رجوع الحج والشهور الى الوضع وأنزل الله تعالى ابطال النسىء بقوله تعالى انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم فبطل ما أحدثته الجاهلية من النسىء واستمر وقوع الحج والصوم برؤية الاهلة ولله الحمد * وكانت العرب لها تواريخ معروفة عندها قد بادت فمما كانت تؤرخ به ان كنانة أرخت من موت كعب بن لؤى حتى كان عام الفيل فأرخوا به وهو عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين كعب بن لؤى والفيل خمسمائة وعشرون سنة وكان بين الفيل وبين الفجار أربعون سنة ثم عدوا من الفجار الى وفاة هشام بن المغيرة فكان ست سنين ثم عدوا من وفاة هشام بن المغيرة الى بنيان الكعبة فكان تسع سنين ثم كان بين بنائها وبين هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة ثم وقع التاريخ من الهجرة النبوية فعن سعيد بن المسيب قال جمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس فسألهم من اى يوم يكتب التاريخ فقال على بن ابى طالب من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أرض الشرك ففعله عمر وعن سهل بن سعد الساعدى قال اخطأ الناس فى العدد ما عدوا من مبعثه ولا من وفاته انما عدوا من مقدمه المدينة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان التاريخ من السنة التى قدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال قرة بن خالد عن محمد كان عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه عامل جاء من اليمن فقال لعمر أما تؤرخون تكتبون فى سنة كذا وكذا من شهر كذا وكذا فأراد عمر والناس أن يكتبوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا من عند وفاته ثم أرادوا أن يكون ذلك من الهجرة ثم قالوا من اى شهر فأرادوا أن يكون من رمضان ثم بدا لهم فقالوا من المحرم وقال ميمون بن مهران رفع الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه صك محله شعبان فقال اى شعبان هو أشعبان الذى نحن فيه او الآتى ثم جمع وجوه الصحابة فقال ان الاموال قد كثرت وما قسمنا منها غير موقت فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك فقالوا يجب أن يعرف ذلك من رسوم الفرس فعندها استحضر عمر رضى الله عنه الهرمزان وسأله عن ذلك فقال ان لنا حسابا نسميه ماه روز معناه حساب الشهور والايام فعربوا الكلمة وقالوا مؤرخ ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه ثم طلبوا وقتا يجعلونه اولا لتاريخ دولة الاسلام فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة وكانت الهجرة النبوية من مكة الى المدينة وقد تصرم من شهور السنة وأيامها المحرم وصفر وأيام من ربيع الاول فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقرى ثمانية وستين يوما وجعلوا التاريخ من اول محرم هذه السنة ثم احصوا من اول يوم فى المحرم الى آخر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عشر سنين وشهرين وأما اذا

حسب عمره المقدس من الهجرة حقيقة فيكون قد عاش صلى الله عليه وسلم بعدها تسع سنين وأحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما وكان بين مولده صلى الله عليه وسلم وبين مولد المسيح عليه السلام خمسمائة وثمان وسبعون سنة تنقص شهرين وثمانية ايام وابتداء تاريخ الهجرة يوم الخميس اول شهر الله المحرم وبينه وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وعشرة اشهر واثنان وعشرون يوما على ما عرفناه من الخلاف فى ذلك وبينه وبين تاريخ الاسكندر بن فيلبش المقدونى الرومى تسعمائة واحدى وستون سنة قمرية وأربعة وخمسون يوما تكون من السنين الشمسية تسعمائة واثنين وثلاثين سنة ومائتين وتسعة وثمانين يوما عنها تسعة اشهر وتسعة عشر يوما وبينه وبين تاريخ القبط ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وتسعة وثلاثون يوما * وقال ابن ماشاء الله ان انتقال الممر من المثلثة الهوائية التى هى برج الجوزاء دولتها الى برج السرطان ومثلثته المائية التى كانت دولة الاسلام فيها عند تمام ستة آلاف وثلثمائة وخمس وأربعين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوما من وقت القران الاول الواقع فى بدء التحرك يعنى خلق آدم عليه السلام وان القران من هذه المثلثة وقع فى أربع درج ودقيقة واحدة من برج العقرب وهو قران الملة الاسلامية قال وفى السنة الثانية من هذا القران ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين دخول الشمس برج الحمل فى هذه السنة وبين اول يوم من سنة الهجرة سنون فارسية عدتها احدى وخمسون سنة وثلاثة أشهر وثمانية ايام وست عشرة ساعة فكان من وقت الطوفان الى وقت قران الملة ثلاثة آلاف وتسعمائة واثنتا عشرة سنة وستة اشهر وأربعة عشر يوما * وزعمت اليهود أن من آدم عليه السلام الى سنة الهجرة أربعة آلاف واثنتين واربعين سنة وثلاثة اشهر * وزعمت النصارى أن بينهما خمسة آلاف وتسعمائة وتسعين سنة وثلاثة اشهر * وزعمت المجوس اعنى الفرس أن بينهما اربعة آلاف ومائة واثنتين وثمانين سنة وعشرة اشهر وتسعة عشر يوما وقد عرفت أن شهور تاريخ الهجرة قمرية وأيام كل سنة منها عدتها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم وجميع الاحكام الشرعية مبنية على رؤية الهلال عند جميع فرق الاسلام ماعدا الشيعة فان الاحكام مبنية عندهم على عمل شهور السنة بالحساب على ماستراه فى ذكر القاهرة وخلفائها ثم لما احتاج منجمو الاسلام الى استخراج مالابد منه من معرفة الاهلة وسمت القبلة وغير ذلك بنوا أزياجهم على التاريخ العربى وجعلوا شهور السنة العربية شهرا كاملا وشهرا ناقصا وابتدؤا بالمحرم اقتداء بالصحابة رضى الله عنهم فجعلوا المحرم ثلاثين يوما وصفر تسعة وعشرين يوما وربيعا الاول ثلاثين يوما وربيعا الآخر تسعة وعشرين يوما وجمادى الاولى ثلاثين يوما وجمادى الآخرة تسعة وعشرين يوما ورجب ثلاثين يوما وشعبان تسعة وعشرين يوما ورمضان ثلاثين يوما وشوالا تسعة وعشرين يوما وذا القعدة ثلاثين يوما وذا الحجة تسعة وعشرين يوما وزادوا من أجل كسر اليوم الذى هو خمس وسدس يوما فى ذى الحجة اذا صار هذا الكسر اكثر من نصف يوم فيكون شهر ذى الحجة فى تلك السنة ثلاثين يوما ويسمون تلك السنة كبيسة ويصير عددها ثلثمائة وخمسة وخمسين يوما ويجتمع فى كل ثلاثين سنة من الكبس احد عشر يوما والله أعلم * وأما تاريخ الفرس ويعرف ايضا بتاريخ يزدجرد فانه من ابتداء ملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز ارخ به الفرس من أجل أن يزدجرد قام فى المملكة بعدما تبدد ملك فارس واستولى عليه النساء والمتغلبون وهو أيضا آخر ملوك فارس وبقتله تمزق ملكهم واول هذا التاريخ يوم الثلاثاء وبينه وبين تاريخ الهجرة تسع سنين وثلثمائة وثمانية وثلاثون يوما وايام سنة هذا التاريخ تنقص عن السنة الشمسية ربع يوم فيكون فى كل مائة وعشرين سنة شهرا واحدا ولهم فى كبس السنة آراء ليس هذا موضع ايرادها وعلى هذا التاريخ يعتمد فى زمننا اهل العراق وبلاد العجم ولله عاقبة الامور

قوله وقال ابن الخ هكذا هذه العبارة فى جميع النسخ التى بيدى ولا تخلو عن تحريف ظاهر ككثير من عبارات هذا الكتاب ولا يعلم الغيب الا الله اهـ

(ذكر فسطاط مصر)

قال الجوهرى الفسطاط بيت من شعر قال ومنه فسطاط مدينة مصر اعلم أن فسطاط مصر اختط فى الاسلام بعد ما فتحت أرض مصر وصارت دار اسلام وقد كانت بيد الروم والقبط وهم نصارى ملكانية ويعقوبية وميانية وحين اختط المسلمون الفسطاط انتقل كرسى المملكة من مدينة الاسكندرية بعدما كانت منزل الملك ودار الامارة زيادة على تسعمائة سنة وصار من حينئذ الفسطاط دار امارة ينزل به امراء مصر فلم يزل على

ذلك حتى بنى العسكر بظاهر الفسطاط فنزل فيه امراء مصر وسكنوه وربما سكن بعضهم الفسطاط فلما أنشأ الامير ابو العباس أحمد بن طولون القطائع بجانب العسكر سكن فيها واتخذها الامراء من بعده منزلا الى أن انقرضت دولة بنى طولون فصار امراء مصر من بعد ذلك ينزلون بالعسكر خارج الفسطاط ومازالوا على ذلك حتى قدمت عساكر الامام المعز لدين الله أبى تميم معد الفاطمى مع كاتبه جوهر القائد فبنى القاهرة وصارت خلافة واستمر سكنى الرعية بالفسطاط وبلغ من وفور العمارة وكثرة الخلائق ما أربى على عامة مدن المعمور حاشا بغداد ومازال على ذلك حتى تغلب الفرنج على سواحل البلاد الشامية ونزل مرى ملك الفرنج بجموعه الكثيرة على بركة الحبش يريد الاستيلاء على مملكة مصر وأخذ الفسطاط والقاهرة فعجز الوزير شاور ابن مجير السعدى عن حفظ البلدين معا فأمر الناس باخلاء مدينة الفسطاط واللحاق بالقاهرة للامتناع من الفرنج وكانت القاهرة اذ ذاك من الحصانة والامتناع بحيث لاترام فارتحل الناس من الفسطاط وساروا باسرهم الى القاهرة وأمر شاور فألقى العبيد النار فى الفسطاط فلم تزل به بضعا وخمسين يوما حتى احترقت اكثر مساكنه فلما رحل مرى عن القاهرة واستولى شيركوه على الوزارة تراجع الناس الى الفسطاط ورموا بعض شعثه ولم يزل فى نقص وخراب الى يومنا هذا وقد صار الفسطاط يعرف فى زمننا بمدينة مصر والله اعلم

(ذكر ما كان عليه موضع الفسطاط قبل الاسلام الى أن اختطه المسلمون مدينة)

اعلم أن موضع الفسطاط الذى يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بالجبل المقطم ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بعضه بقصر الشمع وبالمعلقة ينزل به شحنة الروم المتولى على مصر من قبل القياصرة ملوك الروم عند مسيره من مدينة الاسكندرية ويقيم فيه ماشاء ثم يعود الى دار الامارة ومنزل الملك من الاسكندرية وكان هذا الحصن مطلا على النيل وتصل السفن فى النيل الى بابه الغربى الذى كان يعرف بباب الحديد ومنه ركب المقوقس فى السفن فى النيل من بابه الغربى حين غلبه المسلمون على الحصن المذكور وصار فيه الى الجزيرة التى تجاه الحصن وهى التى تعرف اليوم بالروضة قبالة مصر وكان مقياس النيل بجانب الحصن * وقال ابن المتوج وعمود المقياس موجود فى زقاق مسجد ابن النعمان قلت وهو باق الى يومنا هذا أعنى سنة عشرين وثمانمائة وكان هذا الحصن لايزال مشحونا بالمقاتلة وسيرد فى هذا الكتاب خبره ان شاء الله تعالى وكان بجوار هذا الحصن من بحريه وهى الجهة الشمالية اشجار وكروم صار موضعها الجامع العتيق وفيما بين الحصن والجبل عدة كنائس وديارات للنصارى فى الموضع الذى يعرف اليوم براشدة وبجانب الحصن فيما بين الكروم التى كانت بجانبه وبين الجرف الذى يعرف اليوم بجبل يشكر حيث جامع ابن طولون والكبش عدة كنائس وديارات للنصارى فى الموضع الذى كان يعرف فى اوائل الاسلام بالحمراء وعرف الآن بخط قناطر السباع والسبع سقايات وبقى بالحمراء عدة من الديارات الى أن هدمت فى سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون على ماذكر فى هذا الكتاب عند ذكر كنائس النصارى فلما افتتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية الفتح الاول نزل بجوار هذا الحصن واختط الجامع المعروف باسمه الجامع العتيق وبجامع عمرو بن العاص واختطت قبائل العرب من حوله فصارت مدينة عرفت بالفسطاط ونزل الناس بها فانحسر بعد الفتح بأعوام ماء النيل عن ارض تجاه الحصن والجامع العتيق فصار المسلمون يوقفون هناك دوابهم ثم اختطوا فيه المساكن شيأ بعد شئ وصار ساحل البلد حيث الموضع الذى يقال له اليوم فى مصر المعاريج مارا الى الكوم الذى على يسرة الداخل من باب مصر بجد لكارة فى موضع هذا الكوم كانت الدور المطلة على النيل ويمر الساحل من باب مصر المذكور الى حيث بستان ابن كيسان الذى يعرف اليوم ببستان الطواشى فى اول مراغة مصر وجميع الاماكن التى تعرف اليوم بمراغة مصر وبالجرف الى الخليج عرضا ومن حيث قنطرة السد الى سوق المعاريج طولا كانت مراحات النيل الى أن انحسر عنه ماء النيل بعد سنة ستمائة من سنى الهجرة فصار رملة ثم اختط فيه الامراء مما يلى النيل آدرا عندما عمر الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة واختط بعضه شونا الى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون جامعه المعروف بالجامع

الجديد الناصرى ظاهر مصر فعمر ما حوله وقد كان عند فتح مصر سائر المواضع التى من منشأة المهرانى الى بركة الحبش طولا ومن ساحل النيل بحورودة الخلفاء وتجاه الجامع الجديد الى سوق المعاريج وما على سمته الى تجاه المشهد الذى يقال له مشهد الراس وتسميه العامة اليوم مشهد زين العابدين كلها بحرا لا يحول بين الحصن والجامع وما على سمتهما الى الحمراء الدنيا التى منها اليوم خط قناطر السباع وبين جزيرة مصر التى تعرف اليوم بالروضة شئ سوى ماء النيل وجميع ما فى هذه المواضع من الابنية انكشف عنه النيل قليلا قليلا واختط على ما تبين لك فى هذا الكتاب

(ذكر الحصن الذى يعرف بقصر الشمع)

اعلم أن هذا القصر احدث بعد خراب مصر على يد بخت نصر وقد اختلف فى الوقت الذى بنى فيه ومن أنشأه من الملوك فذكر الواقدى أن الذى بناه اسمه الريان بن الوليد بن ارسلاوس وكان هذا القصر يوقد عليه الشمع فى رأس كل شهر وذلك انه اذا حلت الشمس فى برج من البروج اوقد فى تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر فيعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس انتقلت من البرج الذى كانت فيه الى برج آخر غيره ولم يزل القصر على حاله الى أن خربت مصر زمن بخت نصر بن نبروز الكلدانى فأقام خرابا خمسمائة سنة ولم يبق منه الا اثره فقط فلما غلب الروم على مصر وملكوها من أيدى اليونانيين ولى مصر من قبلهم رجل يقال له ارجاليس بن مقراطيس فبنى القصر على ما وجد من اساسه وقال ابن سعيد وصارت مصر والشام بعد بخت نصر فى مملكة الفرس فولى امنهم كشرجوش الفارسى بانى قصر الشمع وبعده طخارست الطويل الولاية وتوالت بعده نواب الفرس الى ظهور الاسكندر وقال غيره ان الذى بناه طخشاشت احد ملوك الفرس عند ما سار لمحاربة اهل مصر فلما غلب قسطوملك مصر الذى يعرف بفرعون سابان وفر منه الى مقدونية غلب على ملك مصر واستولى عليها وبنى للفرس قصرا وجعل فيه بيت نار على شاطئ النيل الشرقى وعرف بقصر الشمع لانه كان له باب يقال له باب الشمع وجعل فى القصر بيت نار وهو باق * وقال ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد وكانت الفرس قد أسست بناء الحصن الذى يقال له باب اليون وهو الحصن الذى بفسطاط مصر اليوم فلما انكشفت جموع فارس عن الروم وأخرجتهم الروم من الشام اتمت بناء ذلك الحصن وأقامت به فلم تزل مصر فى ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين قال وكان ابو الاسود نصر بن عبد الجبار يقولها باليم يعنى باب اليوم ويقال انما سمى كذا لانهم كانوا يقولون من يقاتل اليوم * وقال القضاعى ذكر الحصن المعروف بقصر الشمع يقال ان فارس لما ظهرت على الروم وملكت عليهم الشام وملكت مصر بدأت ببناء هذا القصر وبنت فيه هيكلا لبيت النار ولم يتم بناؤه على ايديهم الى أن ظهرت الروم عليهم فتممت بناءه وحصنته ولم تزل فيه الى حين الفتح وهيكل النار هو القبة المعروفة اليوم بقبة الدخان ويحضرتها مسجد معلق احدثه المسلمون * وقال ابو عبيد البكرى باب اليون بمصر ان كان عربيا فانه مثل يوم ويوح مما فاؤه ياء وعينه واو وقد يجوز أن يكون فعلا من بين وهو اسم موضع على مذهب ابى الحسن فى فعل من البيع بوع قال وليست الالف واللام فيه للتعريف فعلى هذا يجب أن تثبت فى الرسم وقال ابو صخر

وحلوا بها مى ارض سناء تبدلوا * بمكة باب اليون والربط بالعصب

والرواية فى شعر كثير عزة فى قوله

جرى بين باب اليون والعصب دونه * رياح اشفت بالنقى واشمت

بالباء وبفتح النون غير مجرور لتجة على أن همزته مقطوعة وصلها للضرورة وقال الحازمى باب اليون بالباء اسم مدينة مصر فتحها المسلمون وسموها الفسطاط وقال عبد الملك بن هشام بابليون المنسوب اليه مصر هو بابليون ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وان من ولده عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبا وهو الملك على مصر لما قدم اليها ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه والقبط تسمى عمرا هذا طوطيس ومن ولده حلوان بن بابليون بن عمرو بن امرئ القيس وبه سميت حلوان * وقال القاضى القضاعى فى ظاهر الفسطاط القصر المعروف بباب ليون بالشرف ليون اسم بلد مصر بلغة السودان والروم وقد بقيت من بنائه بقية مبنية بالحجارة

على طرف الجبل بالشرف وعليه اليوم مسجد قال المؤلف فهذا كما ترى صريح فى أن قصر باب اليون غير قصر الشمع فان قصر الشمع فى داخل الفسطاط وقصر باب اليون هذا عند القضاعى على الجبل المعروف بالشرف والشرف خارج الفسطاط وهو خلاف ما قاله ابن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر والله اعلم * ويقال ان فى زمن ناحور بن شاروع وهو الثامن عشر من آدم ملك مصر رجل اسمه افطوطس مدة اثنتين وثلاثين سنة وانه اول من اظهر علم الحساب والسحر وحمل كتب ذلك من بلاد الكلدانيين الى مصر وفى ذلك الزمان بنيت بابليون على بحر النيل بمصر وذلك لتمام ثلاثة آلاف وثلثمائة وتسعين للعالم وقال ابن سعيد فى كتاب المعرب وأما فسطاط مصر فان مبانيها كانت فى القديم متصلة بمبانى مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه وهذا وهم من ابن سعيد فان فسطاط عمرو انما كان مضروبا عند درب حمام شمول بخط الجامع هكذا هو بخط الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة وهو أقعد بخطط مصر وأعرف من ابن سعيد وأما موضع الجامع فكان كروما وجنانا وحاز موضعه قيسبة التجيبى ثم تصدق به على المسلمين فعمل المسجد وستقف على هذا ان شاء الله تعالى فى ذكر جامع عمرو عند ذكرالجوامع من هذا الكتاب * وقال ابن المتوج خط قصر الشمع هذا الخط يعرف بقصر الشمع وفيه قصر الروم وفيه ازقة ودروب قال وكنيسة المعلقة بمصر بباب القصر وهو قصر الروم * وقال ابن عبد الحكم وأقر عمرو بن العاص القصر لم يقسمه ووقفه * وقال ابو عمرو الكندى فى كتاب الامراء وقد ذكر قيام على بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن ابى طالب وطروق المسجد فى امارة يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابى صفرة على مصر وورد كتاب ابى جعفر المنصور على يزيد بن حاتم يأمره بالتحول من العسكر الى الفسطاط وأن يجعل الديوان فى كنائس القصر وذلك فى سنة ست وأربعين ومائة والله اعلم

(ذكر حصار المسلمين للقصر وفتح مصر)

اختلف الناس فى فتح مصر فقال محمد بن اسحق وابو معشر ومحمد بن عمر الواقدى ويزيد بن ابى حبيب وابو عمرو الكندى فتحت سنة عشرين وقال سيف بن عمر فتحت سنة ست عشرة وقيل فتحت سنة ست وعشرين وقيل سنة احدى وعشرين وقيل سنة اثنتين وعشرين والاول اصح وأشهر * قال ابن عبد الحكم لما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجابية قام اليه عمرو بن العاص فخلا به فقال يا امير المؤمنين ائذن لى أن اسير الى مصر وحرضه عليها وقال انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهى اكثر الارض اموالا وأعجز عن القتال والحرب فتخوف عمر بن الخطاب وكره ذلك فلم يزل عمرو يعظم امرها عند عمر بن الخطاب ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك فعقد له على اربعة آلاف رجل كلهم من عك ويقال بل ثلاثة آلاف وخمسمائة وقال له عمر سر وأنا مستخير الله فى مسيرك وسيأتيك كتابى سريعا ان شاء الله تعالى فان ادركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها او شيأ من ارضها فانصرف وان أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به احد من الناس واستخار عمر الله فكأنه تخوف على المسلمين فى وجههم ذلك فكتب الى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين فأدرك عمرا الكتاب اذ هو برفح فتخوف عمرو ان هو اخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد اليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش فسأل عنها فقيل انها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين فقال عمرو لمن معه ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر قالوا بلى قال فان امير المؤمنين عهد الى وأمرنى ان لحقنى كتابه ولم ادخل ارض مصر أن ارجع ولم يلحقنى كتابه حتى دخلنا أرض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله ويقال بل كان عمرو بفلسطين فتقدم عمرو بأصحابه الى مصر بغير اذن فكتب فيه الى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر وهو دون العريش فحبس الكتاب فلم يقرأه حتى بلغ العريش فقرأه فاذا فيه من عمر بن الخطاب الى العاصى ابن العاصى أما بعد فانك سرت الى مصر ومن

معك وبها جموع الروم وانما معك نفر يسير ولعمرى لو نكل بك ماسرت بهم فان لم تكن بلغت مصر فارجع فقال عمرو الحمد لله أية ارض هذه قالوا من مصر فتقدم كما هو ويقال بل كان عمرو فى جنده على قيسارية مع من كان بها من اجناد المسلمين وعمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ ذاك بالجابية فكتب سرا فاستأذن أن يسير الى مصر وأمر أصحابه فتنحوا كالقوم الذين يريدون أن يتنحوا من منزل الى منزل قريب ثم سار بهم ليلا فلما فقده امراء الاجناد استنكروا الذى فعل ورأوا أن قد غدر فرفعوا ذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر الى العاصى ابن العاصى أما بعد فانك قد غررت بمن معك فان ادركك كتابى ولم تدخل مصر فارجع وان ادركك وقد دخلت فامض واعلم أنى ممدك * ويقال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى عمرو بن العاص بعد ما فتح الشام أن اندب الناس الى المسير معك الى مصر فمن خف معك فسر به وبعث به مع شريك بن عبدة فندبهم عمرو فأسرعوا الى الخروج مع عمرو ثم ان عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على عمر بن الخطاب فقال عمر كتبت الى عمرو بن العاص يسير الى مصر من الشام فقال عثمان يا أمير المؤمنين ان عمرا لجرىء وفيه اقدام وحب للامارة فأخشى أن يخرج فى غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لايدرى تكون ام لا فندم عمر على كتابه الى عمرو واشفق مما قال عثمان فكتب اليه ان أدركك كتابى قبل أن تدخل الى مصر فارجع الى موضعك وان كنت دخلت فامض لوجهك فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص الى مصر توجه الى موضع الفسطاط فكان يجهز على عمرو الجيوش وكان على القصر رجل من الروم يقال له الاعيرج واليا عليه وكان تحت يد المقوقس وأقبل عمرو حتى اذا كان بجبل الجلال نفرت معه راشدة وقبائل من لخم فتوجه عمرو حتى اذا كان بالعريش ادركه النحر فضحى عن اصحابه يومئذ بكبش وتقدم فكان اول موضع قوتل فيه الفرما قاتله الروم قتالا شديدا نحوا من شهر ثم فتح الله عليه وكان عبد الله بن سعد على ميمنة عمرو منذ توجه من قيسارية الى أن فرغ من حربه وكان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له ابو ميامين فلما بلغه قدوم عمرو الى مصر كتب الى القبط يعلمهم أنه لا يكون للروم دولة وان ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقى عمرو فيقال ان القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا ثم توجه عمرو لايدافع الا بالامر الخفيف حتى نزل القواصر فسمع رجل من لخم نفرا من القبط يقول بعضهم لبعض ألا تعجبون من هؤلاء القوم يقدمون على جموع الروم وانما هم فى قلة من الناس فأجابه رجل منهم فقال ان هؤلاء القوم لايتوجهون الى احد الا ظهروا عليه حتى يقتلوا خيرهم وتقدم عمرو لايدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى بلبيس فقاتلوه بها نحوا من الشهر حتى فتح الله عليه ثم مضى لايدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى ام دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا وأبطأ عليه الفتح فكتب الى عمر يستمده فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف وقيل بل امده باثنى عشر ألفا فوصلوا اليه أرسالا يتبع بعضهم بعضا فكان فيهم اربعة آلاف عليهم اربعة الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل ان الرابع خارجة بن حذافة دون مسلمة ثم احاط المسلمون بالحصن واميره يومئذ المندفور الذى يقال له الاعيرج من قبل المقوقس بن قرقب اليونانى وكان المقوقس ينزل الاسكندرية وهو فى سلطان هرقل غير أنه كان حاضر الحصن حين حاصره المسلمون فقاتل عمرو بن العاص من بالحصن وجاء رجل الى عمرو فقال اندب معى خيلا حتى آتى من ديارهم عند القتال فأخرج معه خمسمائة فارس عليهم خارجة بن حذافة فى قول فساروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بنى وائل قبل الصبح وكانت الروم قد خندقوا خندقا وجعلوا له ابوابا وبثوا فى افنيتها حسك الحديد فالتقى القوم حين اصبحوا وخرج خارجة من ورائهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن وكانوا قد خندقوا حوله فنزل عمرو على الحصن وقاتلهم قتالا شديدا يصبحهم ويمسيهم وقيل انه لما أبطأ الفتح على عمرو كتب الى عمر بن الخطاب يستمده ويعلمه بذلك فأمده بأربعة آلاف رجل على كل الف رجل منهم مقام الالف الزبير بن العوام والمقداد ابن عمرو وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل بل خارجة بن حذافة لايعدون مسلمة وقال عمر اعلم أن معك اثنى عشر الفا ولا تغلب اثنا عشر الفا من قلة وقيل قدم الزبير فى اثنى عشر الفا وان عمرا لما قدم من الشام كان فى عدة قليلة فكان يفرق اصحابه ليرى العدو أنهم اكثر مما هم فلما انتهى الى الخندق نادوه أن قد رأينا ما صنعت وانما معك من اصحابك كذا وكذا فلم يخطئوا برجل واحد فأقام عمرو على ذلك ايا ما يغدو فى السحر فيصف اصحابه على افواه الخندق عليهم السلاح فبينا هو على ذلك اذ جاءه خبر الزبير بن العوام انه قدم

فى اثنى عشر ألفا فتلقاه عمرو ثم اقبلا يسيران ثم لم يلبث الزبير أن ركب ثم طاف بالخندق ثم فرق الرجال حول الخندق والح عمرو على القصر ووضع عليه المنجنيق ودخل عمرو الى صاحب الحصن فتناظرا فى شئ مما هم فيه فقال عمرو اخرج وأستشير أصحابى وقد كان صاحب الحصن اوصى الذى على الباب اذا مر به عمرو أن يلقى عليه صخرة فيقتله فمر عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال له قد دخلت فانظر كيف تخرج فرجع عمرو الى صاحب الحصن فقال له انى اريد أن آتيك بنفر من اصحابى حتى يسمعوا منك مثل الذى سمعت فقال العلج فى نفسه قتل جماعة احب الى من قتل واحد وأرسل الى الذى كان امره بما امره به من قتل عمرو أن لا يتعرض له رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم فخرج عمرو وعبادة بن الصامت فى ناحية يصلى وفرسه عنده فرآه قوم من الروم فخرجوا اليه وعليهم حلية وبزة فلما دنوا منه سلم من صلاته ووثب على فرسه ثم حمل عليهم فلما رأوه ولوا راجعين فاتبعهم فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم وهو لا يلتفت اليه حتى دخلوا الحصن ورمى عبادة من فوق الحصن بالحجارة فرجع ولم يتعرض لشئ مما طرحوا من متاعهم حتى رجع الى موضعه الذى كان به فاستقبل الصلاة وخرج الروم الى متاعهم يجمعونه فلما ابطأ الفتح على عمرو قال الزبير انى اهب الله نفسى ارجوا أن يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سلما الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد فأمرهم اذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا فما شعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا من أن ينكسر وكبر الزبير فكبرت الناس معه وأجابهم المسلمون من خارج فلم يشك اهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا وعمد الزبير وأصحابه الى باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن فخاف المقوقس على نفسه ومن معه فحينئذ سأل عمرو بن العاص الصلح ودعاه اليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رجل منهم فأجابه عمرو الى ذلك وكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة اشهر قال وقد سمعت فى فتح القصر وجها آخر هو أن المسلمين لما حصروا باب اليون كان به جماعة من الروم واكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فقاتلوهم شهرا فلما رأى القوم الجد من العرب على فتحه والحرص ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم فتنحى المقوقس وجماعة من اكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلى ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وأمروا بقطع الجسر وذلك فى جرى النيل ويقال ان الاعيرج تخلف فى الحصن بعد المقوقس وقيل خرج معهم فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة فأرسل المقوقس الى عمرو انكم قوم قد ولجتم فى بلادنا وألححتم على قتالنا وطال مقامكم فى ارضنا وانما انتم عصبة يسيرة وقد أظلتكم الروم وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى فى ايدينا فابعثوا الينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعله أن ياتى الامر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا تقدر عليه ولعلكم أن تندموا ان كان الامر مخالفا لطلبتكم ورجائكم فابعثوا الينا رجالا من اصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شئ فلما اتت عمرو ابن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال لاصحابه اترون انهم يقتلون الرسل ويستحلون ذلك فى دينهم وانما اراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين فرد عليهم عمرو مع رسله انه ليس بينى وبينكم الا احدى ثلاث خصال اما ان دخلتم فى الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم ما لنا وان ابيتم فأعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين فلما جاءت رسل المقوقس اليه قال كيف رأيتم هؤلاء قالوا راينا قوما الموت احب الى احدهم من الحياة والتواضع احب الى احدهم من الرفعة ليس لاحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة انما جلوسهم على التراب واكلهم على ركبهم واميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد منهم من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم فقال عند ذلك المقوقس والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لازالوها وما يقوى على قتال هؤلاء احد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبوا بعد اليوم اذا امكنتهم الارض وقووا

على

على الخروج من موضعهم فرد اليهم المقوقس رسله ابعثوا الينا رسلا منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت وكان طوله عشرة اشبار وأمره أن يكون متكلم القوم ولا يجيبهم الى شيء دعوه اليه الا احدى هذه الثلاث خصال فان امير المؤمنين قد تقدم الى في ذلك وأمرني أن لا اقبل شيأ سوى خصلة من هذه الثلاث خصال وكان عبادة اسود فلما ركبوا السفن الى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده وقال نحوا عني هذا الاسود وقدموا غيره يكلمني فقالوا جميعا ان هذا الاسود افضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وانما نرجع جميعا الى قوله ورأيه وقد أمره الامير دوننا بما امره وأمرنا أن لا نخالف رأيه وقوله قال وكيف رضيتم أن يكون هذا الاسود افضلكم وانما ينبغي أن يكون هو دونكم قالوا كلا انه وان كان اسود كما ترى فانه من افضلنا موضعا وافضلنا سابقة وعقلا ورأيا وليس ينكر السواد فينا فقال المقوقس لعبادة تقدم يا اسود وكلمني برفق فاني اهاب سوادك وان اشتد كلامك علي ازددت لك هيبة فتقدم عليه عبادة فقال قد سمعت مقالتك وان فيمن خلفت من اصحابي ألف رجل اسود كلهم اشد سوادا مني وافظع منظرا ولو رأيتهم لكنت اهيب لهم منك لي وأنا قد وليت وأدبر شبابي واني مع ذلك بحمد الله ما اهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعا وكذلك اصحابي وذلك انما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا ولا طلب للاستكثار منها الا أن الله عز وجل قد أحل لنا ذلك وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا وما يبالي احدنا ان كان له قنطار من ذهب ام كان لا يملك الا درهما لان غاية احدنا من الدنيا اكلة يأكلها يسد بها جوعه لليله ونهاره وشملة يلتحفها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب انفقه في طاعة الله واقتصر على هذا الذي بيده ويبلغه ما كان في الدنيا لان نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء انما النعيم والرخاء في الآخرة وبذلك امرنا الله وامرنا به نبينا وعهد الينا أن لا تكون همة احدنا من الدنيا الا ما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله في رضوانه وجهاد عدوه فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لاهيب عندي من منظره ان هذا وأصحابه اخرجهم الله لخراب الارض ما اظن ملكهم الا سيغلب على الارض كلها ثم اقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال له ايها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن اصحابك ولعمري ما بلغتم ما بلغتم الا بما ذكرت وما ظهرتم على من ظهرتم عليه الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة ما يبالي احدهم من لقي ولا من قاتل وانا لنعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقد اقمتم بين اظهرنا اشهرا وانتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بين ايديكم ونحن تطيب انفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولاميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون الى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوام لكم به فقال عبادة بن الصامت يا هذا لا تغرن نفسك ولا اصحابك أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه وان كان ما قلتم حقا فذلك والله ارغب ما يكون في قتالهم وأشد لحرصنا عليهم لان ذلك اعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا من آخرنا كان امكن لنا في رضوانه وجنته وما شيء أقر لاعيننا ولا احب لنا من ذلك وانا منكم حينئذ لعلى احدى الحسنيين اما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفرنا بكم او غنيمة الآخرة ان ظفرتم بنا ولانها احب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله عز وجل قال لنا في كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وما منا رجل الا وهو يدعو ربه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة وأن لا يرده الى بلده ولا الى ارضه ولا الى اهله وولده وليس لاحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وانما همنا ما أمامنا وأما قولك انا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما اردنا منها لانفسنا اكثر مما نحن عليه فانظر الذي تريد فبينه لنا فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك اليها الا خصلة من ثلاث فاختر ايتها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل بذلك امرني

الامير وبها امره امير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل الينا امان اجبتم الى الاسلام
الذى هو الدين القيم الذى لا يقبل الله غيره وهو دين انبيائه ورسله وملائكته امرنا الله تعالى أن نقاتل
من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان اخانا فى دين الله فان قبلت
ذلك انت واصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل اذاكم ولا التعرض لكم
وان ابيتم الا الجزية فأدوا الينا الجزية عن يد وانتم صاغرون وان نعاملكم على شئ نرضى به نحن وانتم فى كل
عام ابدا ما بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم فى شئ من ارضكم ودمائكم وأموالكم
ونقوم بذلك عنكم اذ كنتم فى ذمتنا وكان لكم به عهد علينا وان ابيتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة
بالسيف حتى نموت من آخرنا او نصيب ما نريد منكم هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا
وبينه غيره فانظروا لانفسكم فقال المقوقس هذا مالا يكون ابدا ما تريدون الا أن تتخذونا عبيدا ما كانت
الدنيا فقال له عبادة هو ذاك فاختر لنفسك ما شئت فقال المقوقس افلا تجيبونا الى خصلة غير هذه الثلاث
خصال فرفع عبادة يديه الى السماء فقال لا ورب هذه السماء ورب هذه الارض ورب كل شئ ما لكم عندنا
خصلة غيرها فاختاروا لانفسكم فالتفت المقوقس عند ذلك الى اصحابه فقال قد فرغ القوم فما ترون
فقالوا اويرضى احد بهذا الذل أما ما ارادوا من دخولنا فى دينهم فهذا لا يكون ابدا أن نترك دين المسيح
ابن مريم وندخل فى دين غيره لا نعرفه وأما ما ارادوا أن يسبونا ويجعلونا عبيدا فالموت أيسر من ذلك لو رضوا منا
أن نضعف لهم ما اعطيناهم مرارا كان أهون علينا فقال المقوقس لعبادة قد أبى القوم فما ترى فراجع
صاحبك على أن نعطيكم فى مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون فقال عبادة وأصحابه لا فقال المقوقس
عند ذلك أطيعونى واجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم طاقة ولئن لم تجيبوا اليها
طائعين لتجيبنهم الى ما هو أعظم كارهين فقالوا وأى خصلة نجيبهم اليها قال اذا اخبركم أما دخولكم فى غير
دينكم فلا آمركم به وأما قتالهم فأنا اعلم انكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا اصبرهم ولا بد من الثالثة قالوا
فنكون لهم عبيدا ابدا قال نعم تكونون عبيدا مسلطين فى بلادكم آمنين على انفسكم واموالكم وذراريكم
خير لكم من أن تموتوا من آخركم وتكونوا عبيدا تباعوا وتمزقوا فى البلاد مستعبدين ابدا انتم واهليكم
وذراريكم قالوا فالموت اهون علينا وامروا بقطع الجسر من الفسطاط وبالجزيرة وبالقصر من جمع القبط
والروم كثير فألح المسلمون عند ذلك بالقتال على من بالقصر حتى ظفروا بهم وأمكن الله منهم فقتل منهم خلق
كثير واسر من اسر وانحازت السفن كلها الى الجزيرة وصار المسلمون يراقبونهم وقد أحدق بهم الماء من كل وجه
لا يقدرون على أن ينفذوا نحو الصعيد ولا الى غير ذلك من المدن والقرى والمقوقس يقول لاصحابه ألم اعلمكم
واخافه عليكم ما تنتظرون فوالله لتجيبنهم الى ما ارادوا طوعا او لتجيبنهم الى ما هو اعظم منه كرها فأطيعونى
من قبل أن تندموا فلما رأوا منهم ما رأوا وقال لهم المقوقس ما قال اذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون
بينهم يعرفونه وأرسل المقوقس الى عمرو بن العاص انى لم ازل حريصا على اجابتكم الى خصلة من تلك الخصال
التى ارسلت الى بها فأبى على من حضرنى من الروم والقبط فلم يكن لى أن افتات عليهم فى اموالهم وقد
عرفوا نصحى لهم وحبى صلاحهم ورجعوا الى قولى فأعطنى امانا اجتمع انا وأنت انا فى نفر من أصحابى وأنت
فى نفر من اصحابك فان استقام الامر بيننا تم ذلك جميعا وان لم يتم رجعنا الى ما كنا عليه فاستشار عمرو أصحابه
فى ذلك فقالوا لا نجيبهم الى شئ من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير الارض كلها لنا فيأ وغنيمة كما صار
لنا القصر وما فيه فقال عمرو قد علمتم ما عهد الى امير المؤمنين فى عهده فان اجابوا الى خصلة من الخصال
الثلاث التى عهد الى فيها اجبتهم اليها وقبلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم
فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على أن يفرض لهم على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط دينارين
دينارين عن كل نفس شريفهم ووضيعهم ممن بلغ منهم الحلم ليس على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ
الحلم ولا على النساء شئ وعلى أن للمسلمين عليهم النزل بجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد
من المسلمين أو اكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة ايام مفترضة عليهم وأن لهم ارضهم وأموالهم لا تعرض
لهم فى شئ منها فشرط ذلك كله على القبط خاصة وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض

عليهم

عليهم الدينار ان رفع ذلك عرفاؤهم بالايمان المؤكدة فكان جميع من احصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما احصوا وكتبوا ورفعوا اكثر من ستة آلاف ألف نفس فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار فى كل سنة * وقال ابن لهيعة عن يحيى بن ميمون الحضرمى لما فتح عمرو مصر صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبى فأحصوا بذلك على دينارين دينارين فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف قال وشرط المقوقس للروم أن يخيروا فمن احب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازما له مفترضا عليه ممن اقام بالاسكندرية وما حولها من ارض مصر كلها ومن اراد الخروج منها الى ارض الروم خرج وعلى أن للمقوقس الخيار فى الروم خاصة حتى يكتب الى ملك الروم ويعلمه ما فعل فان قبل ذلك ورضيه جاز عليهم والا كانوا جميعا على ما كانوا عليه وكتبوا به كتابا وكتب المقوقس الى ملك الروم كتابا يعلمه بالامر كله فكتب اليه ملك الروم يقبح رأيه ويعجزه ويرد عليه ما فعل ويقول فى كتابه انما اتاك من العرب اثنا عشر ألفا وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية الى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم وبالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت أن تكون انت ومن معك من الروم فى حال القبط اذلاء فقاتلهم انت ومن معك من الروم حتى تموت او تظهر عليهم فانهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كاكلة فناهضهم القتال ولا يكن لك رأى غير ذلك وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا الى جماعة الروم فقال المقوقس لما اتاه كتاب ملك الروم والله اعلم انهم على قلتهم وضعفهم اقوى وأشد منا على قوتنا وكثرتنا ان الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا وذلك انهم قوم الموت احب الى احدهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستقبل يتمنى أن لا يرجع الى اهله ولا بلده ولا ولده ويرون أن لهم اجرا عظيما فيمن قتلوه منا ويقولون انهم ان قتلوا دخلوا الجنة وليس لهم رغبة فى الدنيا ولا لذة الا قدر بلغة العيش من الطعام واللباس ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم واعلموا معشر الروم والله انى لا أخرج مما دخلت فيه ولا صالحت العرب عليه وانى لاعلم أنكم سترجعون غدا الى قولى ورأيى وتتمنون أن لو كنتم أطعتمونى وذلك انى قد عاينت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه أما يرضى احدكم أن يكون آمنا فى دهره على نفسه وماله وولده بدينارين فى السنة ثم أقبل المقوقس الى عمرو فقال له ان الملك قد كره ما فعلت وعجزنى وكتب الى والى جماعة الروم أن لا نرضى بمصالحتك وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ولم اكن لاخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه وانما سلطانى على نفسى ومن أطاعنى وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض وأنا متم لك على نفسى والقبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه وعاقدتهم وأما الروم فأنا منهم برىء وانا أطلب اليك أن تعطينى ثلاث خصال لا تنقض بالقبط وأدخلنى معهم وألزمنى ما لزمهم وقد اجتمعت كلمتى وكلمتهم على ما عاقدتك عليه فهم متمون لك على ما تحب وأما الثانية ان سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيأ وعبيدا فانهم اهل ذلك لانى نصحتهم فاستغشونى ونظرت لهم فاتهمونى وأما الثالثة أطلب اليك ان انا مت أن تأمرهم أن يدفنونى بجسر الاسكندرية فأنعم له عمرو بذلك وأجابه الى ما طلب على أن يضمنوا له الجسرين جميعا ويقيموا لهم الانزال والضيافة والاسواق والجسور ما بين الفسطاط الى الاسكندرية ففعلوا وصارت لهم القبط أعوانا كما جاء فى الحديث وقال ابن وهب فى حديثه عن عبد الرحمن بن شريح فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحصن فحاصرهم حتى سألوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ويفتحوا له الحصن ففعل ذلك ففرض عليهم عمرو لكل رجل من أصحابه دينارا وجبة وبرنسا وعمامة وخفين وسألوه أن يأذن لهم أن يهيؤا له ولاصحابه صنيعا ففعل وأمر عمرو أصحابه فتهيؤا ولبسوا البرود ثم اقبلوا فلما فرغوا من طعامهم سألهم عمرو كم أنفقتم قالوا عشرين ألف دينار قال عمرو لا حاجة لنا بصنيعكم بعد اليوم اذوا الينا عشرين ألف دينار فجاء النفر من القبط فاستأذنوه الى قراهم وأهليهم فقال لهم عمرو كيف رأيتم أمرنا قالوا لم نر الا حسنا فقال الرجل الذى قال فى المرة الاولى انكم لن تزالوا تظهرون على كل من لقيتم حتى تقتلوا خيركم رجلا فغضب عمرو وأمر به فطلب اليه أصحابه وأخبروه

انه لا يدرى ما يقول حتى خلصوه فلما بلغ عمرا قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل فى طلب ذلك القبطى فوجدوه قد هلك فعجب عمرو من قوله ويقال ان عمرو بن العاص قال فلما طعن عمر بن الخطاب قلت هو ما قال القبطى فلما حدثت انه انما قتله ابو لؤلؤة رجل نصرانى قلت لم يعن هذا انما عنى من قتله المسلمون فلما قتل عثمان عرفت أن ما قال الرجل حق فلما فرغ القبط من صنيعهم أمر عمرو بن العاص بطعام فصنع لهم وأمرهم أن يحضروا لذلك فصنع لهم الثريد والعراق وأمر أصحابه بلباس الاكسية واشتمال الصماء والقعود على الركب فلما حضرت الروم وضعوا كراسى الديباج فجلسوا عليها وجلست العرب الى جوانبهم فجعل الرجل من العرب يلتقم اللقمة العظيمة من الثريد وينهش من ذلك اللحم فيتطاير على من الى جنبه من الروم فبشعت الروم ذلك وقالت أين اولئك الذين كانوا أتونا قبل فقيل لهم اولئك أصحاب المشورة وهؤلاء أصحاب الحرب * وقال الكندى وذكر يزيد بن أبى حبيب أن عدد الجيش الذين كانوا مع عمرو بن العاص خمسة عشر ألفا وخمسمائة وذكر عبد الرحمن بن سعيد بن مقلاص أن الذين جرت سهمانهم فى الحصن من المسلمين اثنا عشر ألفا وثلثمائة بعد من أصيب منهم فى الحصار بالقتل والموت ويقال ان الذين قتلوا فى هذا الحصار من المسلمين دفنوا فى اصل الحصن * وذكر القضاعى أن مصر فتحت يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين وقيل فتحت سنة ست عشرة وهو قول الواقدى وقيل فتحت والاسكندرية سنة خمس وعشرين والاكثر على انها فتحت قبل عام الرمادة وكانت الرمادة فى آخر سنة سبع عشرة وأول ثمان عشرة

(ذكر ما قيل فى مصر هل فتحت بصلح اوعنوة)

وقد اختلف فى فتح مصر فقال قوم فتحت صلحا وقال آخرون انما فتحت عنوة فأما الذين قالوا كان فتح مصر بصلح فان حسين بن شفى قال لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية بقى من الاسارى بها ممن بلغ الخراج وأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو فى قسمهم فكان اكثر المسلمين يريد قسمها فقال عمرو لا أقدر على قسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشأنها وأن المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر رضى الله عنه لا تقسمها وذرهم يكون خراجهم فيأ للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فاقرها عمرو وأحصى اهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر كلها صلحا بفريضة دينارين دينارين الا انه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة * وقال الليث عن يزيد بن أبى حبيب مصر كلها صلح الا الاسكندرية فانها فتحت عنوة * وقال عبد الله بن أبى جعفر حدثنى رجل ممن أدرك عمرو ابن العاص قال للقبط عهد عند فلان وعهد عند فلان فسمى ثلاثة نفر وفى رواية ان عهد أهل مصر كان عند كبرائهم وفى رواية سألت شيخا من القدماء عن فتح مصر قلت له فان ناسا يذكرون انه لم يكن لهم عهد فقال ما يبالى أن لا يصلى من قال انه ليس لهم عهد فقلت فهل كان لهم كتاب فقال نعم كتب ثلاثة كتاب عند طلما صاحب اخنا وكتاب عند قزمان صاحب رشيد وكتاب عند يحنس صاحب البرلس قلت كيف كان صلحهم قال دينارين على كل انسان جزيته وأرزاق المسلمين قلت فتعلم ما كان من الشروط قال نعم ستة شروط لا يخرجون من ديارهم
٢) ولا تنزع نساؤهم ولا كفورهم ولا أراضيهم ولا يزاد عليهم * وقال يزيد بن أبى حبيب عن أبى جمعة مولى عقبة قال كتب عقبة بن عامر الى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه يسأله ارضا يسترفق بها عند قرية عقبة فكتب له معاوية بألف ذراع فى ألف ذراع فقال له مولى له كان عنده انظر اصلحك الله أرضا صالحة فقال له عقبة ليس لنا ذلك ان فى عهدهم شروطا ستة لا يؤخذ من أنفسهم شئ ولا من نسائهم ولا من أولادهم ولا يزاد عليهم ويدفع عنهم موضع
٢) الخوف من عدوهم وانا شاهد لهم بذلك * وعن يزيد بن أبى حبيب عن عوف بن حطان انه كان لقريات من مصر منهن أم دنين وبلهيت عهد وان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سمع بذلك كتب الى عمرو يأمره أن يخيرهم فان دخلوا فى الاسلام فذاك وان كرهوا فاردد هم الى قراهم وقال يحيى بن أيوب وخالد بن حميد فتح الله أرض مصر كلها بصلح غير الاسكندرية وثلاث قريات ظاهرت الروم على المسلمين سلطيس ومصيل وبلهيت فانه كان للروم جمع فظاهروا الروم على المسلمين فلما ظهر عليها المسلمون استحلوها وقالوا هؤلاء لنا فىء مع الاسكندرية فكتب

عمرو بن العاص بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر أن يجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط كله قوة للمسلمين لا يجعلون فيأ ولا عبيدا ففعلوا ذلك الى اليوم * وقال آخرون بل فتحت مصر عنوة بلا عهد ولا عقد قال سفيان بن وهب الخولانى لما افتتحنا مصر بغير عهد ولا عقد قام الزبير بن العوام فقال اقسمها يا عمرو بن العاص فقال عمرو والله لا أقسمها فقال الزبير والله لنقسمنها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال عمرو والله لا أقسمها حتى أكتب الى أمير المؤمنين فكتب الى عمر فكتب اليه عمر أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة وصولح الزبير على شئ أرضى به وقال ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة ان مصر فتحت عنوة وعن عبد الرحمن بن زياد بن انعم قال سمعت أشياخنا يقولون ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد منهم ابى يحدثنا عن أبيه وكان فيمن شهد فتح مصر وعن أبى الاسود عن عروة ان مصر فتحت عنوة وعن عمرو بن العاص انه قال لقد قعدت مقعدى هذا وما لاحد من قبط مصر على عهد ولا عقد الا اهل انطابلس كان لهم عهد يوفى به ان شئت قتلت وان شئت خمست وان شئت بعت وعن ربيعة بن أبى عبد الرحمن أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير عهد ولا عقد وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حبس درها وضرعها أن يخرج منه شئ نظرا للاسلام وأهله * وعن زيد بن أسلم قال كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهده فلم يوجد فيه لاهل مصر عهد فمن أسلم منهم اقامه ومن أقام منهم قومه وكتب حيان بن شريح الى عمر بن عبد العزيز يساله أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم فسأل عمر عراك ابن مالك فقال عراك ما سمعت لهم بعهد ولا عقد وانما أخذوا عنوة بمنزلة العبيد فكتب عمر الى حيان أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم وقال يحيى بن عبد الله بن بكير خرج أبو سلمة بن عبد الرحمن يريد الاسكندرية فى سفينة فاحتاج الى رجل يجذف فسخر رجلا من القبط فكلم فى ذلك فقال انما هم بمنزلة العبيد ان احتجنا اليهم وقال ابن لهيعة عن الصلت بن ابى عاصم انه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد وعن عبيد الله بن أبى جعفر أن كاتب حيان حدثه انه احتيج الى خشب لصناعة الجزيرة فكتب حيان الى عمر بن عبد العزيز يذكر ذلك له وانه وجد خشبا عند بعض اهل الذمة وانه كره أن يأخذها منهم حتى يعلمه فكتب اليه عمر خذها منهم بقيمة عدل فانى لم أجد لاهل مصر عهدا افى لهم به وقال عمر ابن عبد العزيز لسالم أنت تقول ليس لاهل مصر عهد قال نعم وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان عمرو ابن العاص كتب الى عمر بن الخطاب فى رهبان يترهبون بمصر فيموت أحدهم وليس له وارث فكتب اليه عمر أن من كان منهم له عقب فادفع ميراثه الى عقبه فان لم يكن له عقب فاجعل ماله فى بيت مال المسلمين فان ولاءه للمسلمين * وقال ابن شهاب كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميعها ذمة وحملهم على ذلك فمضى ذلك فيهم الى اليوم واشترى الليث بن سعد شيأ من أرض مصر لانه كان يحدث عن يزيد بن أبى حبيب ان مصر صلح وكان مالك بن أنس ينكر على الليث ذلك وانكر عليه أيضا عبد الله ابن لهيعة ونافع بن يزيد لان مصر عندهم كانت عنوة

* (ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضى الله عنهم) *

قال ابن عبد الحكم وكان من حفظ من الذين شهدوا فتح مصر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم وممن لم يكن له برسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة الزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وعمرو ابن العاص وكان أمير القوم وعبد الله بن عمرو وخارجة بن حذافة العدوى وعبد الله بن عمر بن الخطاب وقيس بن ابى العاص السهمى والمقداد بن الاسود وعبد الله بن أبى سعد بن أبى سرح العامرى ونافع بن عبد قيس الفهرى ويقال بل هو عقبة بن نافع وأبو عبد الرحمن يزيد بن أنيس الفهرى وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبدة وعبد الرحمن وربيعة ابنا شرحبيل بن حسنة ووردان مولى عمرو بن العاص وكان حامل لواء عمرو بن العاص وقد اختلف فى سعد بن أبى وقاص فقيل انما دخلها بعد الفتح وشهد الفتح من الانصار عبادة بن الصامت وقد شهد بدرا وبيعة العقبة ومحمد بن مسلمة الانصارى وقد شهد بدرا وهو الذى بعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مصر فقاسم عمرو بن العاص ماله وهو أحد من كان صعد الحصن مع الزبير بن

العوّام ومسلمة بن مخلد الانصاري يقال له صحبة وأبو أيوب خالد بن زيد الانصاري وابو الدرداء عويمر بن عامر وقيل عويمر بن زيد ومن أحياء القبائل ابو نصرة جميل بن نصرة الغفاري وأبوذر جندب بن جنادة الغفاري وشهد الفتح مع عمرو بن العاص وهبيب بن معقل واليه ينسب وادى هبيب الذى بالمغرب وعبد الله بن الحارث ابن جزء الزبيدي وكعب بن ضبة العبسي ويقال كعب بن يسار بن ضبة وعقبة بن عامر الجهني وهو كان رسول عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص حين كتب اليه يامره أن يرجع ان لم يكن دخل ارض مصر وابو زمعة البلوى وبرح بن حسكل ويقال برح بن عسكر وشهد فتح مصر واختط بها وجنادة بن أبي أمية الازدي وسفيان ابن وهب الخولاني وله صحبة ومعاوية بن خديج الكندي وهو كان رسول عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب بفتح الاسكندرية وقد اختلف فيه فقال قوم له صحبة وقال آخرون ليست له صحبة وعامر مولى جمل الذى يقال له عامر جمل شهد الفتح وهو مملوك وعمار بن ياسر ولكن دخل بعد الفتح فى أيام عثمان ووجهه اليها فى بعض اموره قال ابن عبد الحكم منهم من اختط بالبلد فذكرنا خطته ومنهم من لم يذكر له خطة قال فاختط عمرو بن العاص داره التى عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى اللاصقة الى جنبها وفيها دفن عبد الله بن عمرو فيما زعم بعض مشايخ البلد لحدث كان يومئذ فى البلد والحمام الذى يقال له حمام الفار وانما قيل له حمام الفار لان حمامات الروم كانت ديماسات كبارا فلما بنى هذا الحمام ورأوا صغره قالوا من يدخل هذا هذا حمام الفار

*(ذكر السبب فى تسمية مدينة مصر بالفسطاط)

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها هم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيناها فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستأذنه فى ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بينى وبين المسلمين ماء قال نعم يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو انى لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف فتحوّل عمرو من الاسكندرية الى الفسطاط قال وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمدائن كسرى والى عامله بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجعلوا بينى وبينكم ماء متى أردت أن اركب اليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت فتحول سعد من مدائن كسرى الى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذى كان فيه فنزل البصرة وتحوّل عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط قال وانما سميت الفسطاط لان عمرو بن العاص لما أراد التوجه الى الاسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع فسطاطه فاذا فيه يمام قد فرّخ فقال عمرو لقد تحرّم منا بمتحرّم فأمر به فأقرّ كما هو وأوصى به صاحب القصر فلما قفل المسلمون من الاسكندرية قالوا أين تنزل قالوا الفسطاط لفسطاط عمرو الذى كان خلفه وكان مضروبا فى موضع الدار التى تعرف اليوم بدار الحصار عند دار عمرو الصغيرة * قال الشريف محمد بن اسعد الجوّاني كان فسطاط عمرو عند درب حمام شمول بخط الجامع وقال ابن قتيبة فى كتاب غريب الحديث فى حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالجماعة فان يد الله على الفسطاط يرويه سويد بن عبد العزيز عن النعمان بن المنذر عن مكحول عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم والفسطاط المدينة وكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر فسطاط وقال البكري الفسطاط بضم أوله وكسره واسكان ثانيه اسم لمصر ويقال فسطاط وبسطاط قال المطرزي وفصطاط وفستاط ويكسر اوائل جميعها فهى عشر لغات وقال ابن قتيبة كل مدينة فسطاط وذكر حديث عليكم بالجماعة فان يد الله على الفسطاط وأخبرنى ابو حاتم عن الاصمعي أنه قال حدثنى رجل من بنى تميم قال قرأت فى كتاب رجل من قريش هذا ما اشترى فلان بن فلان من عجلان مولى زياد اشترى منه خمسمائة جريب حيال الفسطاط يريد البصرة ومنه قول الشعبي فى الآبق اذا أخذ فى الفسطاط عشرة واذا اخذ خارجا عن الفسطاط أربعون وأراد أن يد الله على اهل الامصار وأن من شذ عنهم وفارقهم فى الرأى فقد خرج عن يد الله وفى ذلك آثار والله أعلم

(ذكر الخطط التى كانت بمدينة الفسطاط)

اعلم أن الخطط التى كانت بمدينة فسطاط مصر بمنزلة الحارات التى هى اليوم بالقاهرة فقيل لتلك فى مصر خطة

وقيل لها فى القاهرة حارة * قال القضاعى " ولما رجع عمرو من الاسكندرية ونزل موضع فسطاطه انضمت القبائل بعضها الى بعض وتنافسوا فى المواضع فولى عمرو على الخطط معاوية بن خديج التجيبى " وشريك بن سمى " الغطيفى " وعمرو بن قحزم الخولانى " وحيويل بن ناشرة المغافرى " وكانوا هم الذين انزلوا الناس وفصلوا بين القبائل وذلك فى سنة احدى وعشرين * (خطة اهل الراية) اهل الراية جماعة من قريش والانصار وخزاعة وأسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وثقيف ودوس وعبس بن بغيض وحرش من بنى كنانة وليث بن بكر والعتقاء منهم الا أن منزل العتقاء فى غير الراية وانما سموا اهل الراية ونسبت الخطة اليهم لانهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد بدعوة من الديوان فكره كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته فجعل لهم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها الى أحد فقال يكون موقفكم تحتها فكانت لهم كالنسب الجامع وكان ديوانهم عليها وكان اجتماع هذه القبائل لما عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاية بينهم وهذه الخطة محيطة بالجامع من جميع جوانبه ابتدؤا من المصف الذى كانوا عليه فى حصارهم الحصن وهو باب الحصن الذى يقال له باب الشمع ثم مضوا بخطتهم الى حمام الفار وشرعوا بغربيها الى النيل فاذا بلغت الى النحاسين فالجانبان لاهل الراية الى باب المسجد الجامع المعروف بباب الوراقين ثم يسلك على حمام شمول وفى هذه الخطة زقاق القناديل الى تربة عفان الى سوق الحمام الى باب القصر الذى بدأنا بذكره * (خطة مهرة) بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ابن مالك بن حمير * وخطة مهرة هذه قبلى " خطة الراية واختطت مهرة أيضا على سفح الجبل الذى يقال له جبل يشكر مما يلى الخندق الى شرقى " العسكر الى جنان بنى مسكين ومن جملة " خطة مهرة الموضع الذى يعرف اليوم بمساطب الطباخ واسمه حد ويقال ان الخطة التى لهم قبلى " الراية كانت حوزا لهم بربطون فيها خيلهم اذا رجعوا الى الجمعة ثم انقطعوا اليها وتركوا منازلهم بيشكر * (خطة تجيب) وتجيب هم بنو عدى " وسعد ابنى الاشرس بن شبيب بن السكن بن الاشرس بن كندة فمن كان من ولد عدى " وسعد يقال لهم تجيب وتجيب أمهم وهذه الخطة تلى خطة مهرة وفيها درب المصوصة آخره حائط من الحصن الشرقى - (وخطط لخم فى موضعين) فمنها خطة لخم بن عدى " بن مرة بن ادد ومن خالطها من جذام فابتدأت لخم بخطتها من الذى انتهت اليه خطة الراية وأصعدت ذات الشمال وفى هذه الخطة سوق بربر وشارعه مختلط فيما بين لخم والراية ولهم خطتان أخريان احداهما منسوبة الى بنى رية بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة من لخم وأولها شرقى " الكنيسة المعروفة بمكائيل التى عند خليج بنى وائل وهذا الموضع اليوم وراقات يعمل فيها الورق بالقرب من باب القنطرة خارج مصر والخطة الثانية خطة راشدة بن أدب بن جزيلة " من لخم وهى متاخمة للخطة التى قبلها وفى هذه الخطة جامع راشدة وجنان كهمس بن معمر الذى عرف بالمادرانى " ثم عرف بجنان الامير تميم وهو اليوم يقال له المعشوق بجوار الآثار النبوية ولهم مواضع مع اللفيف وخطط أيضا بالجراء * (خطط اللفيف) انما سموا بذلك لالتفاف بعضهم ببعض وسبب ذلك أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية أخبر أن مراكب الروم قد توجهت الى الاسكندرية لقتال المسلمين فبعث عمرو بعمرو بن جمالة الازدى " الحجرى " ليأتيه بالخبر فمضى واسرعت هذه القبائل التى تدعى اللفيف وتعاقدوا على اللحاق به واستأذنوا عمرو بن العاص فى ذلك فأذن لهم وهم جمع كثير فلما رآهم عمرو بن جمالة استكثرهم وقال تالله ما رأيت قوما قد سدوا الأفق مثلكم وانكم كما قال الله تعالى فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا فبذلك سموا من يومئذ اللفيف وسألوا عمرو بن العاص أن يفرد لهم دعوة فامتنعت عشائرهم من ذلك فقالوا لعمرو فانا نجتمع فى المنزل حيث كنا فأجابهم الى ذلك فكانوا مجتمعين فى المنزل متفرقين فى الديوان اذا دعى كل بطن منهم انضم الى بنى أبيه قال قتادة ومجاهد والضحاك بن مزاحم فى قوله جئنا بكم لفيفا قال جميعا وكان عامتهم من الازد من الحجر ومن غسان ومن شجاعة والتف بهم نفر من جذام ولخم والزحاف وتنوخ من قضاعة فهم مجتمعون فى المنزل متفرقون فى الديوان وهذه الخطة اولها مما يلى الراية سالكا ذات الشمال الى تقاشى البلاط وفيها دار ابن عشرات الى نحو من سوق وردان - (خطط اهل الظاهر) انما سمى هذا المنزل بالظاهر لان القبائل التى نزلته كانت بالاسكندرية ثم قفلت بعد قفول عمرو بن العاص وبعد أن اختط الناس خططهم فخاصمت الى عمرو فقال لهم معاوية بن خديج وكان ممن يتولى الخطط يومئذ أرى لكم أن تظهروا على اهل هذه القبائل فتتخذوا منزلا فسمى الظاهر بذلك وكانت القبائل التى نزلت الظاهر

العتقاء وهم جماع من القبائل كانوا يقطعون على ايام النبى صلى الله عليه وسلم فبعث اليهم فأتى بهم أسرى فأعتقهم فقيل لهم العتقاء ودوانهم مع اهل الراية وخطتهم بالظاهر متوسطة فيه وكان فيهم طوائف من الازد وفهم وأول هذه الخطة من شرقى خطة لخم وتتصل بموضع العسكر ومن هذه الخطة سويقة العراقيين وعرفت بذلك لان زيادا لما ولاه معاوية بن أبى سفيان البصرة غرّب جماعة من الازد الى مصر وبها مسلمة بن مخلد فى سنة ثلاث وخمسين فنزل منهم هنا نحو من مائة وثلاثين فقيل لموضعهم من خطة الظاهر سويقة العراقيين * (خطط غافق) هو غافق بن الحارث بن عك بن عدنان بن عبد الله بن الازد وهذه الخطة تلى خطة لخم الى خطة الظاهر بجوار درب الاعلام * (خطط الصدف) واسمه مالك بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير ودعوتهم مع كندة * (خطط الفارسيين) واستبدّ بخطة خولان من حضر فتح مصر من الفارسيين وهم بقايا جند باذان عامل كسرى على اليمن قبل الاسلام اسلموا بالشأم ورغبوا فى الجهاد فنفروا مع عمرو بن العاص الى مصر فاختطوا بها وأخذوا فى سفح الجبل الذى يقال له جبل باب البون وهذا الجبل اليوم شرقى من وراء خطة جامع ابن طولون تعرف أرضه بالارض الصفراء وهى من جملة العسكر * (خطة مذحج) بالحاء قبل الجيم وهو مالك بن مرّة بن ادد بن زيد بن كهلان * (خطة غطيف) بن مراد * (خطة وعلان) بن قرن بن ناجية بن مراد وكلهم من مذحج فاختطت وعلان من الزقاق الذى فيه الصنم المعروف بسرية فرعون وهذا الزقاق اوّله باب السوق الكبير واختطت ايضا بخولان ثم انفردت وعلان بخططها مقابل المسجد المعروف بالدينورى واسندت الى خولان وهذه الخطة اليوم كيمان تطل على قبر القاضى بكار * (خطة يحصب) بن مالك بن اسلم بن زيد بن غوث وهذه الخطة موضعها كيمان وهى تتصل بالشرف الذى يعرف اليوم بالرصد المطل على راشدة * (خطة رعين) بن زيد ابن سهل * (خطة ذى الكلاع) بن شرحبيل بن سعد من حمير * (خطة المغافر) بن يعفر بن مرّة بن أدد وهذه الخطة من الرصد الى سقاية بن طولون وهى القناطر التى تطل على عفصة وتفصل بين القرافتين والقناطر للمغافر ولهم الى مصلى خولان والى الكوم المشرف على المصلى (خطة سبا وخطة الرحبة) بن زرعة بن كعب (خطة السلف بن سعد) فيما بين الكوم المطل على القاضى بكار و بين المغافر (خطة بنى وائل) بن زيد مناة بن افصى بن اياس بن حرام بن جذام بن عدى وهى من سفح الشرف المعروف بالرصد الى خطة خولان (خطة القبض) بالتحريك بن مرثد وهى بجانب خطة بنى وائل الى نحو بركة الحبش قال وكان سبب نزول بنى وائل والقبض وريّة وراشدة والفارسيين هذه المواضع انهم كانوا فى طوالع عمرو بن العاص فنزلوا فى مقدمة الناس وحازوا هذه المواضع قبل الفتح * (خطط الحمراوات الثلاث) قال الكندى وكانت الحمراء على ثلاثة بنو نبه وروبيل والازرق وكانوا ممن سار مع عمرو بن العاص من الشام الى مصر من عجم الشأم ممن كان رغب فى الاسلام من قبل اليرموك ومن اهل قيسارية وغيرهم وقال القضاعى وانما قيل الحمراء لنزول الروم بها وهى خطط بلى ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة وفهم وعدوان و بعض الازد وهم ثراد و بنى بحر و بنى سلامان و يشكر بن لخم وهذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وبنى نبه و بنى الازرق وهم من الروم و بنى روبيل وكان يهوديا فاسلم * فأوّل ذلك الحمراء الدنيا خطة بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ومنها خطة ثراد من الازد وخطة فهم بن عمرو ابن قيس عيلان ومنها خطة بنى بحر بن سوادة من الازد * ومن ذلك الحمراء الوسطى منها خطة بنى نبه وهم قوم من الروم حضر الفتح منهم مائة رجل ومنها خطة هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ومنها خطة بنى سلامان من الازد ومنها خطة عدوان * ومن ذلك الحمراء القصوى وهى خطة بنى الازرق وكان روميا حضر الفتح منهم أربعمائة وخطة بنى روبيل وكان يهوديا فأسلم وحضر الفتح منهم ألف رجل وخطة بنى يشكر بن جزيلة بن لخم وكانت منازل يشكر مفترقة فى الجبل فدثرت قديما وعادت صحراء حتى جاءت المسوّدة يعنى جيوش بنى العباس فعمروها وهى الآن خراب * وقال ابن المتوج الحمراوات ثلاث اولى ووسطى وقصوى فأما الاولى فتجمع جامع الاور وعقبة العداسين وسوق وردان وخطة الزبير الى نقاشى البلاط طولا وعرضا على قدر ذلك وأما الوسطى فمن درب نقاشى البلاط الى درب معانى طولا وعرضا على قدره وأما القصوى فمن درب معانى الى القناطر الظاهرية يعنى قناطر السباع وهى حدّ ولاية مصر من القاهرة وكانت هذه الحمراوات جل عمارة مصر فى زمن الروم فاذا الحمراء الاولى والوسطى هما الآن خراب وموضعهما فيما بين سوق المعاريج وحمام طن من شرقيهما

الى ما يقابل المراغة فى الشرق وأما الحمراء الدنيا فهى الآن تعرف بخط قناطر السباع و بخط السبع سقايات وبحكر الخليلى وحكر أقبغا والكوم حيث الاسرى ومنها أيضا خط الكبش وخط الجامع الطولونى والعسكر ومنها حدرة ابن قميحة الى حيث قنطرة السد و بستان الطواشى وما فى شرقيه الى مشهد الرأس المعروف بزين العابدين وسيأتى لذلك مزيد بيان ان شاء الله تعالى عند ذكر العسكر وكانت مدينة الفسطاط على قسمين هما عمل فوق وعمل أسفل * فعمل فوق له طرفان غربى وشرقى فالغربى من شاطئ النيل فى الجهة القبلية وأنت مار فى الشرف المعروف اليوم بالرصد الى القرافة الكبرى والشرقى من القرافة الكبرى الى العسكر * وعمل أسفل ما عدا ذلك الى حد القاهرة

(ذكر امراء الفسطاط من حين فتحت مصر الى ان بنى العسكر)

اعلم أن عدة من ولى مصر من الامراء فى الاسلام منذ فتحت وسكن الفسطاط الى أن بنى العسكر تسعة وعشرون أميرا فى مدة مائة وثلاث عشرة سنة وسبعة أشهر أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة النبوية وهو يوم فتح مصر و آخرها سلخ شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة آخر ولاية صالح بن على بن عبد الله ابن عباس على مصر وأول ولاية أبى عون عبد الملك وهو أول من سكن العسكر من أمراء مصر * واول أمراء الفسطاط بعد الفتح على ما ذكر الكندى وغيره (عمرو بن العاص) بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك أبو عبد الله كان تاجرا فى الجاهلية وكان يختلف بتجارته الى مصر وهى الادم والعطر ثم ضرب الدهر ضربانه حتى فتح المسلمون الشأم فخلا بعمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستأذنه فى المسير الى مصر فسار فى سنة تسع عشرة وأتى الحصن فحاصره سبعة أشهر الى أن فتحه فى يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين وقيل كان فتح مصر فى ثانى عشر بؤنة سنة سبع وخمسين وثلثمائة لدقلطيانوس فعلى هذا يكون فتح مصر فى سنة تسع عشرة من الهجرة وتحرير ذلك أن الذى بين يوم الجمعة اول يوم من ملك دقلطيانوس و بين يوم الخميس اول سنة الهجرة ثمان وثلاثون وثلثمائة سنة فارسية وتسعة وثلاثون يوما فاذا ألقينا ذلك من تاريخ مصر فى ثانى عشر بؤنة سنة سبع وخمسين وثلثمائة بقى ثمان عشرة سنة وثمانية أشهر وثلاثة أيام وهذه سنون شمسية عنها من سنى القمر تسع عشرة سنة وشهر وثلاثة عشر يوما فيكون ذلك فى ثالث عشر ربيع الاول سنة عشرين فلعل الوهم وقع فى الشهر القبطى وحاز الحصن بما فيه وسار الى الاسكندرية فى ربيع الاول منها فحاصرها ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها مستهل سنة احدى وعشرين ثم سار عنها الى برقة فافتتحها عنوة فى سنة اثنتين وعشرين وقيل فى سنة ثلاث وعشرين وقدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدمتين استخلف فى احداهما زكريا بن جهم العبدرى وفى الثانية ابنه عبد الله وتوفى عمر رضى الله عنه فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وبويع أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه فوفد عليه عمرو وسأله عزل عبد الله بن سعد بن أبى سرح عن صعيد مصر وكان عمرو ولاه الصعيد فامتنع من ذلك عثمان وعقد لعبد الله بن سعد على مصر كلها فكانت ولاية عمرو على مصر صلاتها وخراجها منذ افتتحها الى أن صرف عنها أربع سنين وأشهرا * (عبد الله بن سعد) بن ابى سرح واسمه الحسام ابن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ولى من قبل أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه فجاءه الكتاب بالفيوم فجعل لاهل اطواف جعلا فقدموا به الفسطاط ثم ان منويل الخصى سار الى الاسكندرية فى سنة أربع وعشرين فسأل اهل مصر عثمان أن يرد عمرو بن العاص لمحاربته فرده والياعلى الاسكندرية فحارب الروم بها حتى افتتحها وعبد الله بن سعد مقيم بالفسطاط حتى فتحت الاسكندرية الفتح الثانى عنوة فى سنة خمس وعشرين ثم جمع لعبد الله بن سعد أمر مصر صلاتها وخراجها ومكث أميرا مدة ولاية عثمان رضى الله عنه كلها محمودا فى ولايته وغزا ثلاث غزوات كلها لها شأن غزا افريقية سنة سبع وعشرين وقتل ملكها جرجير وغزا غزوة الاساود حتى بلغ دنقلة فى سنة احدى وثلاثين وغزا ذا الصوارى فى سنة أربع وثلاثين فلقيهم قسطنطين بن هرقل فى ألف مركب وقيل فى سبعمائة مركب والمسلمون فى مائتى مركب فهزم الله الروم وانما سميت غزوة ذى الصوارى لكثرة صوارى المراكب واجتماعها ووفد على عثمان

حين تكلم الناس بالطعن على عثمان واستخلف عقبة بن عامر الجهنى وقيل السائب بن هشام العامرى وجعل على خراجها سليمان بن عتر التجيبى وكان ذلك سنة خمس وثلاثين فى رجب * (محمد بن ابى حذيفة) بن عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أتمر فى شوال سنة خمس وثلاثين على عقبة بن عامر خليفة عبد الله ابن سعد فأخرجه من الفسطاط ودعا الى خلع عثمان واسعر البلاد وحرض على عثمان بكل شر يقدر عليه فاعتزله شيعة عثمان ونابذوه وهم معاوية بن خديج وخارجة بن حذافة وبسر بن ارطاة ومسلمة بن مخلد فى جمع كثير وبعثوا الى عثمان بامرهم وبصنيع ابن ابى حذيفة فبعث سعد بن ابى وقاص ليصلح أمرهم فخرج اليه جماعة فقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه فركب وعاد راجعا ودعا عليهم واقبل عبد الله بن سعد فمنعوه أن يدخل فانصرف الى عسقلان وقتل عثمان رضى الله عنه وابن سعد بعسقلان ثم أجمع ابن ابى حذيفة على بعث جيش الى عثمان فجهز اليه ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى ثم قتل عثمان فى ذى الحجة منها فثار شيعة عثمان بمصر وعقدوا لمعاوية بن خديج وبايعوه على الطلب بدم عثمان وساروا الى الصعيد فبعث اليهم ابن ابى حذيفة خيلا فهزمت ومضى ابن خديج الى برقة ثم رجع الى الاسكندرية فبعث اليه ابن ابى حذيفة بجيش آخر فاقتتلوا بخربتا فى اول شهر رمضان سنة ست وثلاثين فانهزم الجيش وأقامت شيعة عثمان بخربتا وقدم معاوية بن ابى سفيان يريد الفسطاط فنزل سلمنت فى شوال فخرج اليه ابن ابى حذيفة فى اهل مصر فمنعوه ثم اتفقا على أن يجعلا رهنا ويتركا الحرب فاستخلف ابن ابى حذيفة على مصر الحكم بن الصلت وخرج فى الرهن هو وابن عديس وعدة من قتلة عثمان فلما بلغوا لدا سجنهم معاوية بها وسار الى دمشق فهربوا من السجن وتبعهم أمير فلسطين فقتلهم فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين * (قيس بن سعد) بن عبادة الانصارى ولاه أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه لما بلغه مصاب ابن ابى حذيفة وجمع له الخراج والصلاة فدخل مصر مستهل ربيع الاول سنة سبع وثلاثين فاستمال الخارجية بخربتا شيعة عثمان وبعث اليهم أعطياتهم ووفد عليه وفدهم فأكرمهم وكان من ذوى الرأى فجهد عمرو بن العاص ومعاوية بن ابى سفيان على أن يخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها فانها كانت من جيش على رضى الله عنه فامتنع منهما بالدهاء والمكايدة فلم يقدرا على مصر حتى كاد معاوية قيسا من قبل على رضى الله عنه فأشاع أن قيسا من شيعته وأنه يبعث اليه بالكتب والنصيحة سرا فسمع ذلك جواسيس على رضى الله عنه ومازال به محمد بن أبى بكر وعبد الله بن جعفر حتى كتب الى قيس بن سعد يأمره بالقدوم اليه فوليها الى أن عزل أربعة أشهر وخمسة أيام وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين فوليها * (الاشتر مالك بن الحارث) بن خالد النخعى من قبل أمير المؤمنين على بن ابى طالب فلما قدم القلزم شرب عسلا فمات فبلغ ذلك عمرا ومعاوية فقال عمرو ان لله جنودا من عسل * ثم وليها (محمد بن ابى بكر الصديق) من قبل على رضى الله عنه وجمع له صلاتها وخراجها فدخلها للنصف من رمضان سنة سبع وثلاثين فهدم دور شيعة عثمان ونهب اموالهم وسجن ذراريهم فنصبوا له الحرب ثم صالحهم على أن يسيرهم الى معاوية فلحقوا بمعاوية بالشأم فبعث معاوية عمرو بن العاص فى جيوش اهل الشأم الى الفسطاط وتغيب ابن أبى بكر فظفر به معاوية بن خديج فقتله ثم جعله فى جيفة حمار ميت وأحرقه بالنار لاربع عشرة خلت من صفر سنة ثمان وثلاثين فكانت ولايته خمسة اشهر * ثم وليها (عمرو بن العاص) ولايته الثانية من قبل معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فاستقبل بولايته شهر ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وجعل اليه الصلاة والخراج جميعا وجعلت مصر له طعمة بعد عطاء جندها والنفقة فى مصلحتها ثم خرج عمرو للحكومة واستخلف على مصر ابنه عبد الله وقيل بل خارجة بن حذافة ورجع الى مصر وتعاقد بنو ملجم عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل على ومعاوية وعمرو وتواعدوا ليلة من رمضان سنة أربعين فمضى كل منهم الى صاحبه وكان يزيد هو صاحب عمرو فعرضت لعمرو علة منعته من حضور المسجد فصلى خارجة بالناس فشد عليه يزيد فضربه حتى قتله فدخل به على عمرو فقال أما والله ما أردت غيرك يا عمرو قال عمرو ولكن الله أراد خارجة ولله در القائل

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر

وعقد عمرو لشريك بن سمى على غزو لواتة من البربر فغزاهم فى سنة أربعين وصالحهم ثم انتقضوا فبعث اليهم عقبة بن نافع فى سنة احدى وأربعين فغزاهم حتى هزمهم وعقد لعقبة أيضا على غزو هوارة وعقد لشريك

ابن

ابن سمى على غزو لبدة فغزواها فى سنة ثلاث وأربعين فقفلا وعمرو شديد الدنف فى مرض موته وتوفى ليلة الفطر فغسله عبد الله بن عمرو وأخرجه الى المصلى وصلى عليه فلم يبق احد شهد العيد الا صلى عليه ثم صلى بالناس صلاة العيد وكان ابوه استخلفه وخلف عمرو بن العاص سبعين بهارا دنانير والبهار جلد ثور ومبلغه اردبان بالمصرى فلما حضرته الوفاة أخرجه وقال من يأخذه بما فيه فأبى ولداه أخذه وقالا حتى ترد الى كل ذى حق حقه فقال والله ما أجمع بين اثنين منهم فبلغ معاوية فقال نحن نأخذه بما فيه * ثم وليها (عتبة بن أبى سفيان) من قبل أخيه معاوية بن ابى سفيان على صلاتها فقدم فى ذى القعدة سنة ثلاث واربعين وأقام شهرا ثم وفد على أخيه واستخلف عبد الله بن قيس بن الحارث وكان فيه شدة فكره الناس ولايته وامتنعوا منها فبلغ ذلك عتبة فرجع الى مصر وصعد المنبر فقال يا اهل مصر قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم وقد وليكم من اذا قال فعل فان أبيتم درأكم بيده فان ابيتم درأكم بسيفه ثم رجا فى الاخير ما أدرك فى الاول ان البيعة شائعة لنا عليكم السمع ولكم علينا العدل وأينا غدر فلا ذمة له عند صاحبه فناداه المصريون من جنبات المسجد سمعا سمعا فناداهم عدلا عدلا ثم نزل ثم جمع له معاوية الصلات والخراج وعقد عتبة لعلقمة بن يزيد على الاسكندرية فى اثنى عشر ألفا من اهل الديوان تكون لها رابطة ثم خرج اليها مرابطا فى ذى الحجة سنة اربع واربعين فمات بها واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهنى فكانت ولايته سنة أشهر * ثم وليها (عقبة بن عامر) بن عبس الجهنى من قبل معاوية وجعل له صلاتها وخراجها وكان قارئا فقيها مفرضا شاعرا له الهجرة والصحبة والسابقة ثم وفد مسلمة بن مخلد الانصارى على معاوية فولاه مصر وأمره أن يكتم ذلك عن عقبة بن عامر وجعل عقبة على البحر وأمره أن يسير الى رودس فقدم مسلمة فلم يعلم بامارته وخرج مع عقبة الى الاسكندرية فلما توجه سائرا استوى مسلمة على سرير امارته فبلغ ذلك عقبة فقال اخلعا وغربة وكان صرفه لعشر بقين من ربيع الاول سنة سبع وأربعين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر * فولى (مسلمة بن مخلد) بن صامت بن نيار الانصارى من قبل معاوية وجمع له الصلات والخراج والغزو فانتظمت غزواته فى البر والبحر وفى امارته نزلت الروم البرلس فى سنة ثلاث وخمسين فاستشهد يومئذ وردان مولى عمرو بن العاص فى جمع من المسلمين وهدم ما كان عمرو ابن العاص بناه من المسجد وبناه وأمر بابتناء منارات المساجد كلها الا خولان وتجيب وخرج الى الاسكندرية فى سنة ستين واستخلف عابس بن سعيد ومات معاوية بن ابى سفيان فى رجب منها واستخلف ابنه يزيد بن معاوية فأقر مسلمة وكتب اليه بأخذ البيعة فبايعه الجند الا عبد الله بن عمرو بن العاص فدعا عابس بالنار ليحرق عليه بابه فحينئذ بايع ليزيد وقدم مسلمة من الاسكندرية فجمع لعابس مع الشرط القضاء فى سنة احدى وستين وقال مجاهد صليت خلف مسلمة بن مخلد فقرأ سورة البقرة فما ترك ألفا ولا واوا وقال ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد كان مسلمة بن مخلد يصلى بنا فيقوم فى الظهر فربما قرأ الرجل البقرة وتوفى مسلمة وهو وال لخمس بقين من رجب سنة اثنتين وستين فكانت ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر واستخلف عابس بن سعيد * ثم وليها (سعيد بن يزيد) بن علقمة بن يزيد بن عوف الازدى من أهل فلسطين فقدم مستهل رمضان سنة اثنتين وستين فتلقاه عمرو بن قحزم الخولانى فقال يغفر الله لامير المؤمنين أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلك يولى علينا أحدهم ولم تزل أهل مصر على الشنآن له والاعراض عنه والتكبر عليه حتى توفى يزيد بن معاوية ودعا عبد الله بن الزبير رضى الله عنه الى نفسه فقامت الخوارج الذين بمصر وأظهروا دعوته وسار منهم اليه فبعث لعبد الرحمن بن جحدم فقدم واعتزل سعيدا فكانت ولايته سنتين غير شهر * ثم وليها (عبد الرحمن بن عتبة) بن جحدم من قبل عبد الله بن الزبير فدخل فى شعبان سنة اربع وستين فى جمع كثير من الخوارج فأظهروا التحكيم ودعوا اليه فاستعظم الجند ذلك وبايعه الناس على غل فى قلوب شيعة بنى امية ثم بويع مروان بن الحكم بالخلافة فى اهل الشام وأهل مصر معه فى الباطن فسار اليها وبعث ابنه عبد العزيز فى جيش الى ايلة ليدخل مصر من هنالك وأجمع ابن جحدم على حربه وحفر الخندق فى شهر وهو الذى فى شرقى القرافة وقدم مروان فحاربه ابن جحدم وقتل بينهما كثير من الناس ثم اصطلحا ودخل مروان لعشر من جمادى الاولى سنة خمس وستين فكانت مدة ابن جحدم تسعة اشهر ووضع مروان العطاء فبايعه الناس الا نفرا من المغافر قالوا لا نخلع بيعة ابن الزبير فضرب أعناقهم وكانوا ثمانين رجلا وذلك للنصف من جمادى الآخرة ويومئذ مات عبد الله بن عمرو بن العاص

فلم يستطع أن يخرج بجنازته الى المقبرة لشغب الجند على مروان وجعل مروان صلات مصر وخراجها الى ابنه عبد العزيز وسار وقد اقام بها شهرين لهلال رمضان (عبد العزيز بن مروان) بن الحكم بن ابى العاص ابو الاصبغ ولى من قبل ابيه لهلال رجب سنة خمس وستين على الصلات والخراج ومات ابوه وبويع من بعده عبد الملك بن مروان فأقر أخاه عبد العزيز ووقع الطاعون بمصر سنة سبعين فخرج عبد العزيز منها ونزل حلوان فاتخذها دارا وسكنها وجعل بها الاعوان وبنى بها الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة وغرس نخلها وكرمها وعرّف بمصر وهو أول من عرّف بها فى سنة احدى وسبعين وجهز البعث فى البحر لقتال ابن الزبير فى سنة اثنتين وسبعين ثم مات لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ست وثمانين فكانت ولايته عشرين سنة وعشرة اشهر وثلاثة عشر يوما فولى (عبد الله بن عبد الملك) بن مروان من قبل ابيه على صلاتها وخراجها فدخل يوم الاثنين لاحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وهو ابن تسع وعشرين سنة وقد تقدم اليه ابوه أن يقتفى آثار عمه عبد العزيز فاستبدل بالعمال وبالاصحاب ومات عبد الملك وبويع ابنه الوليد بن عبد الملك فأقر أخاه عبد الله وامر عبد الله فنسخت دواوين مصر بالعربية وكانت بالقبطية وفى ولايته غلت الاسعار فتشاءم الناس به وهى اول شدة رأوها بمصر وكان يرتشى ثم وفد على أخيه فى صفر سنة ثمان وثمانين واستخلف عبد الرحمن بن عمرو بن قحزم الخولانى وأهل مصر فى شدة عظيمة ورفع سقف المسجد الجامع فى سنة تسع وثمانين ثم صرف فكانت ولايته ثلاث سنين وعشرة اشهر * فولى (قرة بن شريك) بن مرثد بن الحرث العبسى للوليد بن عبد الملك على صلات مصر وخراجها فقدمها يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة تسعين وخرج عبد الله بن عبد الملك من مصر بكل ما ملكه فأحيط به فى الاردن وأخذ سائر ما معه وحمل الى أخيه وأمر الوليد بهدم ما بناه عبد العزيز فى المسجد فهدم اول سنة اثنتين وتسعين وبنى واستنبط قرة بن شريك بركة الحبش من الموات وأحياها وغرس فيها القصب فقيل لها اصطبل قرة واصطبل القاش ثم مات وهو وال ليلة الخميس لست بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين واستخلف على الجند والخراج عبد الملك بن رفاعة فكانت ولايته ست سنين واياما * ثم ولى (عبد الملك بن رفاعة) بن خالد بن ثابت الفهمى من قبل الوليد ابن عبد الملك على صلاتها وتوفى الوليد واستخلف سليمان بن عبد الملك فأقر ابن رفاعة وتوفى سليمان وبويع عمر بن عبد العزيز فعزل ابن رفاعة فكانت ولايته ثلاث سنين * ثم ولى (ايوب بن شرحبيل) بن اكسوم بن ابرهة ابن الصباح من قبل عمر بن عبد العزيز على صلاتها فى ربيع الاول سنة تسع وتسعين فورد كتاب امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بالزيادة فى اعطيات الناس عامة وخربت الخمر وكسرت وعطلت حاناتها وقسم للغارمين بخمسة وعشرين ألف دينار ونزعت مواريث القبط عن الكور واستعمل المسلمون عليها ومنع الناس الحمامات وتوفى عمر بن عبد العزيز واستخلف يزيد بن عبد الملك فأقر أيوب على الصلات الى أن مات لاحدى عشرة وقيل لسبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفا * فولى (بشر بن صفوان) الكلبى من قبل يزيد بن عبد الملك قدمها لسبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة وفى امرته نزل الروم تنيس ثم ولاه يزيد على افريقية فخرج اليها فى شوال سنة اثنتين ومائة واستخلف اخاه حنظلة * فولى (حنظلة ابن صفوان) باستخلاف أخيه فأقره يزيد بن عبد الملك وخرج الى الاسكندرية فى سنة ثلاث ومائة واستخلف عقبة بن مسلمة التجيبى وكتب يزيد بن عبد الملك فى سنة اربع ومائة بكسر الاصنام والتماثيل فكسرت كلها ومحيت التماثيل ومات يزيد بن عبد الملك وبويع هشام بن عبد الملك فصرف حنظلة فى شوال سنة خمس ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين * وولى (محمد بن عبد الملك بن مروان) بن الحكم من قبل اخيه هشام بن عبد الملك على الصلات فدخل مصر لاحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس ومائة ووقع وباء شديد بمصر فترفع محمد الى الصعيد هاربا من الوباء اياما ثم قدم وخرج عن مصر لم يلها الا نحوا من شهر وانصرف الى الاردن * فولى (الحر بن يوسف) بن يحيى بن الحكم من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها فدخل لثلاث خلون من ذى الحجة سنة خمس ومائة وفى امرته كان اول انتقاض القبط فى سنة سبع ومائة ورابط بدمياط ثلاثة اشهر ثم وفد الى هشام بن عبد الملك فاستخلف حفص بن الوليد وقدم فى ذى القعدة من سنة سبع وانكشف النيل عن الارض فبنى فيها وصرف فى ذى القعدة سنة ثمان ومائة باستعفائه لمغاضبة كانت بينه وبين عبد الله

ابن الحبحاب متولى خراج مصر فكانت ولايته ثلاث سنين سواء * وولى (حفص بن الوليد) بن سيف بن عبد الله من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد جمعتين يوم الاضحى بشكوى ابن الحبحاب منه وقيل صرف سلخ ثمان ومائة * فولى (عبد الملك بن رفاعة) ثانيا على الصلات فقدم من الشام عليلا لثنتى عشرة بقيت من المحرم سنة تسع ومائة وكان اخوه الوليد يخلفه من اول المحرم وقيل بل ولى اول المحرم ومات للنصف منه وكانت ولايته خمس عشرة ليلة * ثم ولى اخوه (الوليد بن رفاعة) باستخلاف اخيه فأقره هشام بن عبد الملك على الصلات وفى ولايته نقلت قيس الى مصر ولم يكن بها احد منهم وخرج وهيب اليحصبى شاردا فى سنة سبع عشرة ومائة من اجل أن الوليد اذن للنصارى فى ابتناء كنيسة بومنا بالحمراء وتوفى وهو وال اول جمادى الآخرة سنة سبع عشرة واستخلف عبد الرحمن بن خالد فكانت امرته تسع سنين وخمسة اشهر * فولى (عبد الرحمن ابن خالد) بن مسافر الفهمى ابو الوليد من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها وفى امرته نزل الروم على تروجة فحاصروها ثم اقتتلوا فأسروا فصرفه هشام فكانت ولايته سبعة اشهر * وولى (حنظلة بن صفوان ثانيا) فقدم لخمس خلون من المحرم سنة تسع ومائة فانتقض القبط وحاربهم فى سنة احدى وعشرين ومائة وقدم رأس زيد بن على الى مصر فى سنة اثنتين وعشرين ومائة ثم ولاه هشام افريقية فاستخلف حفص بن الوليد بامرة هشام وخرج لسبع خلون من ربيع الآخر سنة اربع وعشرين ومائة فكانت ولايته هذه خمس سنين وثلاثة اشهر * وولى (حفص بن الوليد) الحضرمى ثانيا باستخلاف حنظلة له على صلاتها فأقره هشام بن عبد الملك الى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة اربع وعشرين فجمع له الصلات والخراج جميعا واستسقى بالناس وخطب ودعا ثم صلى بهم ومات هشام بن عبد الملك واستخلف من بعده الوليد بن يزيد فاقر حفصا على الصلات والخراج ثم صرف عن الخراج بعيسى بن ابى عطاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائة وانفرد بالصلات ووفد على الوليد بن يزيد واستخلف عقبة بن نعيم الرعينى وقتل الوليد بن يزيد وحفص بالشام وبويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأمر حفصا باللحاق بجنده وأمره على ثلاثين ألفا وفرض الفروض وبعث بيعة اهل مصر الى يزيد بن الوليد ثم توفى يزيد وبويع ابراهيم بن الوليد وخلعه مروان بن محمد الجعدى فكتب حفص يستعفيه من ولاية مصر فأعفاه مروان فكانت ولاية حفص هذه ثلاث سنين الا اشهرا * وولى (حسان بن عتاهية) بن عبد الرحمن التجيبى وهو بالشام فكتب الى خير بن نعيم باستخلافه فسلم حفص الى خير ثم قدم حسان لثنتى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة على الصلات وعيسى بن ابى عطاء على الخراج فأسقط حسان فروض حفص كلها فوثبوا به وقالوا لا نرضى الا بحفص وركبوا الى المسجد ودعوا الى خلع مروان وحصروا حسان فى داره وقالوا له اخرج عنا فانك لا تقيم معنا ببلد وأخرجوا عيسى بن ابى عطاء صاحب الخراج وذلك فى آخر جمادى الآخرة وأقاموا حفصا فكانت ولاية حسان ستة عشر يوما * فولى (حفص بن الوليد) الثالثة كرها اخذه قواد الفروض بذلك فأقام على مصر رجب وشعبان ولحق حسان بمروان وقدم حنظلة بن صفوان من افريقية وقد أخرجه اهلها فنزل الجيزة وكتب مروان بولايته على مصر فامتنع المصريون من ولاية حنظلة وأظهروا الخلع وأخرجوا حنظلة الى الحوف الشرقى ومنعوه من المقام بالفسطاط وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين يريد الفسطاط فحاربوه وهزموه وسكت مروان عن مصر بقية سنة سبع وعشرين ومائة ثم عزل حفصا مستهل سنة ثمان وعشرين * وولى (الحوثرة بن سهيل) بن العجلان الباهلى فسار اليها فى آلاف وقدم أول المحرم وقد اجتمع الجند على منعه فأبى عليهم حفص فخافوا حوثرة وسألوه الامان فأمنهم ونزل ظاهر الفسطاط وقد اطمأنوا اليه فخرج اليه حفص ووجوه الجند فقبض عليهم وفيهم فانهزم الجند ودخل معه عيسى بن ابى عطاء على الخراج لثنتى عشرة خلت من المحرم وبعث فى طلب رؤساء الفتنة فجمعوا اليه وضرب أعناقهم وقتل حفص بن الوليد ثم صرف فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين ومائة وبعثه مروان الى العراق فقتل واستخلف على مصر حسان بن عتاهية وقيل ابا الجراح بشر بن اوس وخرج لعشر خلون من رجب وكانت ولايته ثلاث سنين وستة اشهر * ثم ولى (المغيرة بن عبيد الله) بن المغيرة الفزارى على الصلات من قبل مروان فقدم لست بقين من رجب سنة احدى وثلاثين وخرج الى الاسكندرية واستخلف ابا الجراح الحرشى وتوفى لثنتى عشرة خلت من جمادى الاولى

سنة اثنتين وثلاثين ومائة فكانت ولايته عشرة اشهر واستخلف ابنه الوليد بن المغيرة ثم صرف الوليد فى النصف من جمادى الآخرة * وولى (عبد الملك بن مروان) بن موسى بن نصير من قبل مروان على الصلات والخراج وكان واليا على الخراج قبل أن يولى الصلات فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأمر باتخاذ المنابر فى الكور ولم تكن قبله وانما كانت ولاة الكور يخطبون على العصى الى جانب القبلة وخرج القبط فحاربهم وقتل كثيرا منهم وخالف عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان على مروان واجتمع عليه جمع من قيس فى الحوف الشرقى فبعث اليهم عبد الملك بجيش فلم يكن حرب وسار مروان بن محمد الى مصر منهزما من بنى العباس فقدم يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقد سوّد اهل الحوف الشرقى واهل الاسكندرية واهل الصعيد واسوان فعزم مروان على تعدية النيل وأحرق دار آل مروان المذهبة ثم رحل الى الجيزة وحرق الجسرين وبعث بجيش الى الاسكندرية فاقتتلوا بالكريون وخالفت القبط برشيد فبعث اليهم وهزمهم وبعث الى الصعيد فقدم صالح بن على بن عبد الله بن عباس فى طلب مروان هو وأبو عون عبد الملك ابن يزيد يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة فأدرك صالح مروان بوصير من الجيزة بعدما استخلف على الفسطاط معاوية بن بحيرة بن ريسان فحارب مروان حتى قتل بوصير يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجة ودخل صالح الى الفسطاط يوم الاحد لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث برأس مروان الى العراق وانقضت ايام بنى امية * فولى (صالح بن على) بن عبد الله بن عباس ولى من قبل امير المؤمنين ابى العباس عبد الله بن محمد السفاح فاستقبل بولايته المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث بوفد اهل مصر الى ابى العباس السفاح ببيعة اهل مصر وأسر عبد الملك بن موسى بن نصير وجماعة وقتل كثيرا من شيعة بنى امية وحمل طائفة منهم الى العراق فقتلوا بقلنسوة من أرض فلسطين وأمر للناس بأعطياتهم للمقاتلة والعيال وقسمت الصدقات على اليتامى والمساكين وزاد صالح فى المسجد وورد عليه كتاب امير المؤمنين السفاح بامارته على فلسطين والاستخلاف على مصر فاستخلف اباعون مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين وسار ومعه عبد الملك بن نصير ملزما وعدة من اهل مصر صحابة لامير المؤمنين وأقطع الذين سوّدوا اقطائع منها منية بولاق وقرى أهناس وغيرها ثم من بعد صالح بن على سكن أمراء مصر العسكر وأول من سكنه ابو عون والله تعالى اعلم

(ذكر العسكر الذى بنى بظاهر مدينة فسطاط مصر)

اعلم أن موضع العسكر قد كان يعرف فى صدر الاسلام بالحمراء القصوى وقد تقدم أن الحمراء القصوى كانت خطة بنى الازرق وبنى رويبل وبنى يشكر بن جزيلة ثم دثرت هذه الخطط بعد العمارة بتلك القبائل حتى صارت صحراء فلما قدم مروان بن محمد آخر خلفاء بنى امية الى مصر منهزما من بنى العباس نزلت عساكر صالح بن على وابى عون عبد الملك بن يزيد فى هذه الصحراء حيث جبل يشكر حتى ملؤا الفضاء وأمر ابو عون اصحابه بالبناء فيه فبنوا وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة فلما خرج صالح بن على من مصر خرب اكثر ما بنى فيه الى زمن موسى بن عيسى الهاشمى فابتنى فيه دارا أنزل فيها حشمه وعبيده وعمر الناس ثم ولى السرى بن الحكم فاذن للناس فى البناء فابتنوا فيه وصار مملوكا بأيديهم واتصل بناؤه ببناء الفسطاط وبنيت فيه دار الامارة ومسجد جامع عرف بجامع العسكر ثم عرف بجامع ساحل الغلة وعملت الشرطة ايضا فى العسكر وقيل لها الشرطة العليا والى جانبها بنى احمد بن طولون جامعه الموجود الآن وسمى من حينئذ ذلك الفضاء بالعسكر وصار أمراء مصر اذا ولوا ينزلون به من بعد ابى عون فقال الناس من يومئذ كنا بالعسكر وخرجنا الى العسكر وكتب من العسكر وصار مدينة ذات محال واسواق ودور عظيمة وفيه بنى احمد بن طولون مارستانه فأنفق عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار وكان بالقرب من بركة قارون التى صارت كيمانا وبعضها بركة على يسرة من سار من حدرة ابن قميحة يريد قنطرة السد وعلى بركة قارون هذه كانت جنان بنى مسكين وبنى كافور الاخشيدى دارا أنفق عليها مائة ألف دينار وسكنها فى رجب سنة ست وأربعين وثلثمائة وانتقل عنها بعد أيام لوباء وقع فى غلمانه من بخار البركة وعظمت العمارة فى العسكر جدا الى أن قدم احمد بن طولون من العراق الى مصر فنزل بدار الامارة من العسكر وكان لها باب الى جامع العسكر وينزلها الامراء منذ بناها صالح بن على بعد قتله مروان

وما زال بها احمد بن طولون الى أن بنى القصر والميدان بالقطائع فتحول من العسكر وسكن قصره بالقطائع فلما ولى ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون بعد أبيه جعل دار الامارة ديوان الخراج ثم فرقت حجرا بعد دخول محمد ابن سليمان الكاتب الى مصر وزوال دولة بنى طولون فسكن محمد بن سليمان بدار الامارة فى العسكر عند المصلى القديم وكان المصلى القديم حيث الكوم المطل الآن على قبر القاضى بكار وما زالت الامراء تنزل بالعسكر الى أن قدم القائد جوهر من المغرب وبنى القاهرة المعزية ولما بنى أحمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر وبنى جامعه على جبل يشكر فعمر ما هنالك عمارة عظيمة تخرج عن الحد فى الكثرة وقدم جوهر القائد بعساكر مولاه المعز لدين الله فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة والعسكر عامر الا انه منذ بنيت القطائع هجر اسم العسكر وصار يقال مدينة الفسطاط والقطائع وربما قيل والعسكر أحيانا فلما خرب محمد بن سليمان قصر ابن طولون وميدانه بقى فى القطائع مساكن جليلة حيث كان العسكر وأنزل المعز لدين الله عمه أبا على فى دار الامارة فلم يزل اهله بها الى أن خربت القطائع فى الشدة العظمى التى كانت فى خلافة المستنصر أعوام بضع وخمسين وأربعمائة فيقال انه كان هنالك زيادة على مائة ألف دار سوى البساتين وما هذا ببعيد فان ذلك كان ما بين سفح الشرف الذى عليه الآن قلعة الجبل وبين ساحل مصر القديم حيث الآن الكبارة خارج مصر وما على سمتها الى كوم الجارح ومن كوم الجارح الى جامع ابن طولون وخط قناطر السباع وخط السبع سقايات الى قنطرة السد ومراغة مصر الى المعاريج بمصر والى كوم الجارح ففى هذه المواضع كان العسكر والقطائع ويخص العسكر من ذلك ما بين قناطر السباع وحدرة ابن قميحة الى كوم الجارح حيث الفضاء الذى يتوسط ما بين قنطرة السد وبين سور القرافة الذى يعرف بباب المجدم فهذا هو العسكر ولما استولى الخراب فى المحنة أمر ببناء حائط يستر الخراب عن نظر الخليفة اذا سار من القاهرة الى مصر فيما بين العسكر والقطائع وبين الطريق وأمر ببناء حائط آخر عند جامع ابن طولون فلما كان فى خلافة الآمر بأحكام الله ابى على منصور ابن المستعلى أمر وزيره ابو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالاجل المأمون بن البطايحى فنودى مدة ثلاثة ايام فى القاهرة ومصر بأن من كان له دار فى الخراب او مكان فليعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه او يؤجره من غير نقل شئ من أنقاضه ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق وكان سبب هذا النداء أنه لما قدم أمير الجيوش بدر الجمالى فى آخر الشدة العظمى وقام بعمارة اقليم مصر أخذ الناس فى نقل ما كان بالقطائع والعسكر من أنقاض المساكن حتى أتى على معظم ما هنالك الهدم فصار موحشا وخرب ما بين القاهرة ومصر من المساكن ولم يبق هنالك الا بعض البساتين فلما نادى الوزير المأمون عمر الناس ما كان من ذلك مما يلى القاهرة من جهة المشهد النفيسى الى ظاهر باب زويلة كما يرد خبر ذلك فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ونقلت أنقاض العسكر كما تقدم فصار هذا الفضاء الذى يتوصل اليه من مشهد السيدة نفيسة ومن الجامع الطولونى ومن قنطرة السد ومن باب المجدم فى سور القرافة ويسلك فى هذا الفضاء الى كوم الجارح ولم يبق الآن من العسكر ما هو عامر سوى جبل يشكر الذى عليه جامع ابن طولون وما حوله من الكبش وحدرة ابن قميحة الى خط السبع سقايات وخط قناطر السباع الى جامع ابن طولون وأما سوق الجامع من قبليه وما وراء ذلك الى المشهد النفيسى والى القبيبات والرميلة تحت القلعة فانما هو من القطائع كما ستقف عليه عند ذكر القطائع وعند ذكر هذه الخطط ان شاء الله تعالى ولما سلكت هذا الفضاء الذى بين جامع ابن طولون وكوم الجارح حيث كان العسكر وتذكرت ما كان هنالك من الدور الجليلة والمنازل العظيمة والمساجد والاسواق والحمامات والبساتين والبركة البديعة والمارستان العجيب وكيف بادت حتى لم يبق لشئ منها اثر البتة فأنشدت اقول

وبادوا فلا مخبر عنهم * وماتوا جميعا وهذا الخبر
فمن كان ذا عبرة فليكن * فطينا ففى من مضى معتبر
وكان لهم اثر صالح * فأين هم ثم اين الاثر

وسيأتى لذلك مزيد بيان عند ذكر القطائع وعند ذكر خط قناطر السباع وغيره من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

(ذكر من نزل العسكر من امراء مصر من حين بنى الى أن بنيت القطائع)

اعلم أنّ امراء مصر مابرحوا ينزلون فسطاط مصر منذ اختط بعد الفتح الى أن بنى ابو عون العسكر فصارت امراء مصر من عهد أبى عون انما ينزلون بالعسكر ومابرحوا على ذلك الى أن أنشأ الامير أبو العباس احمد بن طولون القصر والميدان والقطائع فتحول من العسكر الى القصر وسكن فيه وسكنه الامراء من اولاده بعده الى أن زالت دولتهم فسكن الامراء بعد ذلك العسكر الى أن زالت دولة الاخشيدية بقدوم جوهر القائد من المغرب *(وأوّل من سكن العسكر من امراء مصر (ابو عون) عبد الملك بن يزيد من أهل جرجان ولى صلات مصر وخراجها باستخلاف صالح بن على له فى مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة ووقع الوباء بمصر فهرب ابو عون الى يشكر واستخلف صاحب شرطته عكرمة بن عبد الله بن عمرو بن قحزم وخرج الى دمياط فى سنة خمس وثلاثين ومائة واستخلف عكرمة وجعل على الخراج عطاء بن شرحبيل وخرج القبط بسمنود فبعث اليهم وقتلهم وورد الكتاب بولاية صالح بن على على مصر وفلسطين والمغرب جمعت له ووردت الجيوش من قبل أمير المؤمنين السفاح لغزو المغرب فولى (صالح بن على) الثانية على الصلات والخراج فدخل لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ومائة فأقرّ عكرمة على شرطة الفسطاط وجعل على شرطته بالعسكر يزيد بن هانى الكندى وولى أبا عون جيوش المغرب وقدم أمامه دعاة لاهل افريقية وخرج ابو عون فى جمادى الآخرة وجهزت المراكب من الاسكندرية الى برقة فمات السفاح فى ذى الحجة واستخلف ابو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فأقرّ صالحا وكتب الى ابى عون بالرجوع وردّ الدعاة وقد بلغوا اشبرت وبلغ ابو عون برقة فأقام بها احد عشر يوما ثم عاد الى مصر فى جيشه فجهزه صالح الى فلسطين لحربه فغلب وسير الى مصر ثلاثة آلاف رأس ثم خرج صالح الى فلسطين واستخلف ابنه الفضل فبلغ بلبيس ورجع ثم خرج لاربع خلون من رمضان سنة سبع وثلاثين فلقى أبا عون بالفرما فأمّره على مصر صلاتها وخراجها ومضى فدخل ابو عون الفسطاط لاربع بقين من رمضان فولى *(ابو عون)* ولايته الثانية من قبل صالح بن على ثم أفرده ابو جعفر بولايتها وقدم ابو جعفر بيت المقدس وكتب الى أبى عون بأن يستخلف على مصر ويخرج اليه فاستخلف عكرمة على الصلات وعطاء على الخراج وخرج للنصف من ربيع الاول سنة احدى وأربعين ومائة فلما صار الى أبى جعفر ببيت المقدس بعث ابو جعفر موسى بن كعب فكانت ولاية ابى عون هذه ثلاث سنين وستة اشهر فوليها (موسى ابن كعب) بن عيينة ابن عائشة ابو عيينة من تميم من قبل ابى جعفر المنصور وكان احد نقباء بنى العباس فدخلها لاربع عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة احدى وأربعين ومائة على صلاتها وخراجها ونزل العسكر وبها الناس من الجند يغدون ويروحون اليه كما كانوا يفعلون بالامراء قبله فانتهوا عنه حتى لم يكن أحد يلزم بابه وكان تداتهم فى خراسان بأمر أبى مسلم فأمر به أسد بن عبد الله البجلى والى خراسان فألجم باللجام ثم كسرت اسنانه فكان يقول بمصر كانت لنا اسنان وليس عندنا خبز فلما جاء الخبز ذهبت الاسنان وكتب اليه ابو جعفر انى عزلتك من غير سخطة ولكن بلغنى أن غلاما يقتل بمصر يقال له موسى فكرهت أن تكونه فكان ذلك موسى بن مصعب زمن المهدى كما يأتى ان شاء الله تعالى فولى موسى بن كعب سبعة اشهر وصرف فى ذى القعدة واستخلف على الجند ابن خاله ابن حبيب وعلى الخراج نوفل بن الفرات وخرج لست بقين منه فولى (محمد بن الاشعث ابن عقبة الخزاعى) من قبل أبى جعفر على الصلات والخراج وقدم لخمس خلون من ذى الحجة سنة احدى وأربعين ومائة وبعث ابو جعفر الى نوفل بن الفرات أن اعرض على محمد بن الاشعث ضمان خراج مصر فان ضمنه فأشهد عليه واشخص الىّ وان ابى فاعمل على الخراج فعرض عليه ذلك فأبى فانتقل نوفل الدواوين فافتقد ابن الاشعث الناس فقيل له هم عند صاحب الخراج فندم على تسليمه وعقد على جيش بعث به الى المغرب لحربه فانهزم وخرج ابن الاشعث يوم الاضحى سنة اثنتين وأربعين وتوجه الى الاسكندرية واستخلف محمد ابن معاوية بن بجير بن رسان صاحب شرطته ثم صرف ابن الاشعث فكانت ولايته سنة وشهرا وولى (حميد ابن قحطبة) بن شبيب بن خالد بن سعدان الطائى من قبل أبى جعفر على الصلات والخراج فدخل فى عشرين ألفا من الجند لخمس خلون من رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائة ثم قدم عسكر آخر فى شوال وقدم على بن محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن داعية لابيه وعمه فدس اليه حميد فتغيب فكتب بذلك الى ابى جعفر فصرفه

فى ذى القعدة وخرج لثمان بقين من ذى القعدة سنة أربع واربعين فولى (يزيد بن حاتم) بن قبيصة بن المهلب بن ابى صفرة من قبل أبى جعفر على الصلات والخراج فقدم على البريد للنصف من ذى القعدة فاستخلف على الخراج معاوية بن مروان بن موسى بن نصير وفى امرته ظهرت دعوة بنى الحسن بن علىّ بمصر وتكلم بها الناس وبايع كثير منهم لعلىّ بن محمد بن عبد الله وطرق المسجد لعشر خلون من شوّال سنة خمس وأربعين كما يذكر فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ثم قدمت الخطباء برأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علىّ فى ذى الحجة فنصبت فى المسجد وورد كتاب أبى جعفر بأمر يزيد بن حاتم بالتحوّل من العسكر الى الفسطاط وأن يجعل الديوان فى كنائس القصر وذلك فى سنة ست وأربعين ومائة من أجل ليلة المسجد ومنع يزيد أهل مصر من الحج سنة خمس وأربعين فلم يحج أحد منهم ولا من اهل الشام لما كان بالحجاز من الاضطراب بامر بنى حسن ثم حج يزيد فى سنة سبع وأربعين واستخلف عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج صاحب شرطته وبعث جيشا لغزو الحبشة من أجل خارجىّ ظهر هنالك فظفر به الجيش وقدم رأسه فى عدة رؤس فحملت الى بغداد وضم يزيد برقة الى عمل مصر وهو أول من ضمها الى مصر وذلك فى سنة ثمان وأربعين وخرج القبط بسخا فى سنة خمسين ومائة فبعث اليهم جيشا فبيّتته القبط ورجع منهزما فصرفه ابو جعفر فى ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ومائة فكانت ولايته سبع سنين وأربعة أشهر وولى (عبد الله بن عبد الرحمن) بن معاوية بن خديج من قبل ابى جعفر على الصلات لثنتى عشرة بقيت من ربيع الآخر وهو اوّل من خطب بالسواد وخرج الى ابى جعفر لعشر بقين من رمضان سنة أربع وخمسين ومائة واستخلف أخاه محمدا ورجع فى آخرها ومات وهو وال مستهلّ صفر سنة خمس وخمسين ومائة واستخلف أخاه محمدا فكانت ولايته سنتين وشهرين فولى (محمد بن عبد الرحمن) بن معاوية بن خديج باستخلاف أخيه فأقرّه ابو جعفر على الصلات ومات وهو وال للنصف من شوّال فكانت ولايته ثمانية اشهر ونصفا واستخلف موسى بن علىّ فولى (موسى بن علىّ) بن رباح باستخلاف محمد بن خديج فأقرّه ابو جعفر على الصلات وخرج القبط ببلهيب فى سنة ست وخمسين فبعث اليهم وهزمهم وكان يروح الى المسجد ماشيا وصاحب شرطته بين يديه يحمل الحربة واذا أقام صاحب الشرطة الحدود يقول له ارحم أهل البلاد فيقول أيها الامير ما يصلح الناس الا ما يفعل بهم وكان يحدّث فيكتب الناس عنه ومات ابو جعفر لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وبويع ابنه محمد المهدىّ فأقرّ موسى بن علىّ الى سابع عشر ذى الحجة سنة احدى وستين ومائة فكانت ولايته ست سنين وشهرين وولى (عيسى بن لقمان) بن محمد الجمحىّ من قبل المهدىّ على الصلات والخراج فقدم لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة سنة احدى وستين ومائة وصرف لثنتى عشرة بقيت من جمادى الاولى سنة اثنتين وستين ومائة فوليها اربعة أشهر ثم ولى (واضح مولى ابى جعفر) من قبل المهدىّ على الصلات والخراج فدخل لست بقين من جمادى الاولى وصرف فى رمضان فولى (منصور بن يزيد) بن منصور الرعينىّ وهو ابن خال المهدىّ على الصلات فقدم لاحدى عشرة خلت من رمضان سنة اثنتين وستين ومائة وصرف للنصف من ذى الحجة فكان مقامه شهرين وثلاثة ايام ثم ولى (يحيى بن داود) أبو صالح من اهل خراسان من قبل المهدىّ على الصلات والخراج فقدم فى ذى الحجة وكان ابوه تركيا وهو من أشد الناس وأعظمهم هيبة وأقدمهم على الدم واكثرهم عقوبة فمنع من غلق الدروب بالليل ومن غلق الحوانيت حتى جعلوا عليها شرائح القصب لمنع الكلاب ومنع حرّاس الحمامات أن يجلسوا فيها وقال من ضاع له شئ فعلىّ اداؤه وكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول يا أبا صالح احرسها فكانت الامور على هذا مدة ولايته وأمر الاشراف والفقهاء وأهل النوبات بلبس القلانس الطوال والدخول بها على السلطان يوم الاثنين والخميس بلا اردية وكان ابو جعفر المنصور اذا ذكره قال هو رجل يخافنى ولا يخاف الله فولى الى المحرّم سنة اربع وستين وقدم *(سالم بن سوادة) التميمىّ من قبل المهدىّ على الصلات ومعه ابو قطيفة اسماعيل بن ابراهيم على الخراج لثنتى عشرة خلت من المحرّم ثم ولى (ابراهيم بن صالح) بن علىّ بن عبد الله بن عباس من قبل المهدىّ على الصلات والخراج فقدم لاحدى عشرة خلت من المحرّم سنة خمس وستين وابتنى دارا عظيمة بالموقف من العسكر وخرج دحية بن المعصب بن الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان بالصعيد ونابذ ودعا الى نفسه بالخلافة فتراخى عنه

ابراهيم ولم يحفل بأمره حتى ملك عامة الصعيد فسخط المهدى لذلك وعزله عزلا قبيحا لسبع خلون من ذى الحجة سنة سبع وستين فوليها ثلاث سنين ثم ولى (موسى بن مصعب) بن الربيع من أهل الموصل على الصلات والخراج من قبل المهدى فقدم لسبع خلون من ذى الحجة المذكور فرد ابراهيم وأخذ منه وممن عمل له ثلثمائة ألف دينار ثم سيره الى بغداد وشدد موسى فى استخراج الخراج وزاد على كل فدان ضعف ما يقبل به وارتشى فى الاحكام وجعل خرجا على أهل الاسواق وعلى الدواب فكرهه الجند ونابذوه وثارت قيس واليمانية وكاتبوا اهل الفسطاط فاتفقوا عليه وبعث بجيش الى قتال دحية بالصعيد وخرج فى جند مصر كلهم لقتال أهل الحوف فلما التقوا انهزم عنه اهل مصر بأجمعهم وأسلموه فقتل من غير أن يتكلم أحد من أهل مصر لتسع خلون من شوال سنة ثمان وستين ومائة فكانت ولايته عشرة اشهر وكان ظالما غاشما سمعه الليث بن سعد يقرأ فى خطبته انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فقال الليث اللهم لا تمقتنا ثم ولى (عسامة بن عمرو) باستخلاف موسى بن مصعب وبعث الى دحية جيشا مع اخيه بكار بن عمرو فحارب يوسف بن نصير وهو على جيش دحية فتطاعنا ووضع يوسف الرمح فى خاصرة بكار ووضع بكار الرمح فى خاصرة يوسف فقتلا معا ورجع الجيشان منهزمين وذلك فى ذى الحجة وصرف عسامة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة بكتاب ورد عليه من الفضل ابن صالح بانه ولى مصر وقد استخلفه فخلعه الى سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة ثم قدم (الفضل بن صالح) بن على بن عبد الله بن عباس سلخ المحرم المذكور فى جيوش الشام ومات المهدى فى المحرم هذا وبويع موسى الهادى فأقر الفضل وقدم مصر يضطرب من اهل الحوف ومن خروج دحية فان الناس كانوا قد كاتبوه ودعوه فسير العساكر حتى هزم دحية وأسر وسيق الى الفسطاط فضربت عنقه وصلب فى جمادى الآخرة سنة تسع وستين فكان الفضل يقول أنا اولى الناس بولاية مصر لقيامى فى امر دحية وقد عجز عنه غيرى فعزل وندم على قتل دحية والفضل هو الذى بنى الجامع بالعسكر فى سنة تسع وستين فكانوا يجمعون فيه ثم ولى (على بن سليمان) بن على بن عبد الله بن عباس من قبل الهادى على الصلات والخراج فدخل فى سنة تسع وستين ومائة ومات الهادى للنصف من ربيع الاول سنة سبعين ومائة وبويع هرون بن محمد الرشيد فأقر على بن سليمان وأظهر فى ولايته الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومنع الملاهى والخمر وهدم الكنائس المحدثة بمصر وبذل له فى تركها خمسون ألف دينار فامتنع وكان كثير الصدقة فى الليل وأظهر أنه تصلح له الخلافة وطمع فيها فسخط عليه هرون الرشيد وعزله لاربع بقين من ربيع الاول سنة احدى وسبعين ومائة ثم ولى (موسى بن عيسى) بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات فاذن للنصارى فى بنيان الكنائس التى هدمها على بن سليمان فبنيت بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ثم صرف لاربع عشرة خلت من رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة وخمسة اشهر ونصفا ثم ولى (مسلمة بن يحيى) بن قرة بن عبيد الله البجلى من اهل جرجان من قبل الرشيد على الصلات ثم صرف فى شعبان سنة ثلاث وسبعين فوليها احد عشر شهرا ثم ولى (محمد بن زهير) الازدى على الصلات والخراج لخمس خلون من شعبان فبادر الجند لعمر بن غيلان صاحب الخراج فلم يدفع عنه فصرف بعد خمسة اشهر فى سلخ ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة فولى (داود بن يزيد) بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابى صفرة وقدم هو وابراهيم بن صالح بن على فولى داود الصلات وبعث بابراهيم لاخراج الجند الذين ثاروا من مصر فدخل لاربع عشرة خلت من المحرم سنة اربع وسبعين ومائة فاخرجت الجند العديدة الى المشرق والمغرب فى عالم كثير فساروا فى البحر فأسرتهم الروم وصرف لست خلون من المحرم سنة خمس وسبعين فكانت ولايته سنة ونصف شهر ثم ولى (موسى بن عيسى) بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس على الصلات والخراج من قبل الرشيد فدخل لسبع خلون من صفر سنة خمس وسبعين وصرف لليلتين بقيتا من صفر سنة ست وسبعين ومائة فولى سنة واحدة ثم ولى (ابراهيم بن صالح) بن على بن عبد الله بن عباس ثانيا من قبل الرشيد فكتب الى عسامة بن عمرو فاستخلفه ثم قدم نصر بن كلثوم خليفته على الخراج مستهل ربيع الاول وتوفى عسامة لسبع بقين من ربيع الآخر فقدم روح بن روح بن زنباع خليفة لابراهيم على الصلات والخراج ثم قدم ابراهيم للنصف من جمادى الاولى وتوفى وهو وال لثلاث خلون من شعبان فكان مقامه بمصر شهرين

وثمانية عشر يوما وقام بالامر بعده ابنه صالح بن ابراهيم مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم ولى (عبد الله ابن المسيب) بن زهير بن عمرو الضبى من قبل الرشيد على الصلاة لاحدى عشرة بقيت من رمضان سنة ست وسبعين ومائة وصرف فى رجب سنة سبع وسبعين ومائة فولى (اسحاق بن سليمان) بن على بن عبد الله ابن عباس من قبل الرشيد على الصلاة والخراج مستهل رجب فكشف أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فحاربهم فقتل كثير من اصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فعقد لهرثمة بن اعين فى جيش عظيم وبعث به فنزل الحوف فتلقاه اهله بالطاعة وأذعنوا فقبل منهم واستخرج الخراج كله فكان صرف اسحق فى رجب سنة ثمان وسبعين ومائة فولى (هرثمة بن اعين) من قبل الرشيد على الصلاة والخراج لليلتين خلتا من شعبان ثم سار الى افريقية لثنتى عشرة خلت من شوال فأقام بمصر شهرين ونصفا ثم ولى (عبد الملك بن صالح) بن على بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلاة والخراج فلم يدخل مصر واستخلف عبد الله بن المسيب بن زهير الضبى وصرف فى سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة فولى (عبيد الله بن المهدى) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلاة والخراج فى يوم الاثنين لثنتى عشرة خلت من المحرم سنة تسع وسبعين ومائة فاستخلف ابن المسيب ثم قدم لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول وصرف فى شهر رمضان فولى تسعة اشهر وخرج من مصر لليلتين خلتا من شوال فأعاد الرشيد (موسى بن عيسى) وولاه مرة ثالثة على الصلاة فقدم ابنه يحيى بن موسى خليفة له لثلاث خلون من رمضان ثم قدم لخمس خلون من ذى القعدة وصرف فى جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة فولى الرشيد (عبيد الله ابن المهدى) ثانيا على الصلاة فقدم داود بن حباش خليفة له لسبع خلون من جمادى الآخرة ثم قدم لاربع خلون من شعبان وصرف لثلاث خلون من رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فولى (اسماعيل ابن صالح) بن على بن عبد الله بن عباس على الصلاة لسبع خلون من رمضان فاستخلف عون بن وهب الخزاعى ثم قدم لخمس بقين منه قال ابن عفير ما رأيت على هذه الاعواد أخطب من اسماعيل بن صالح ثم صرف فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائة فولى (اسمعيل بن عيسى) بن موسى بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلاة فقدم لاربع عشرة بقيت من جمادى الآخرة وصرف فى رمضان فولى (الليث بن الفضل) البيوردى من اهل بيورد على الصلاة والخراج وقدم لخمس خلون من شوال ثم خرج الى الرشيد لسبع بقين من رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائة بالمال والهدايا واستخلف أخاه الفضل بن على ثم عاد فى آخر السنة وخرج ثانيا بالمال لتسع بقين من رمضان سنة خمس وثمانين واستخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج وقدم لاربع عشرة خلت من المحرم سنة ست وثمانين فكان كلما فرغ خراج سنة وفرغ من حسابها خرج بالمال الى امير المؤمنين هرون الرشيد ومعه الحساب ثم خرج عليه اهل الحوف وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم فى أربعة آلاف ليومين بقيا من شعبان سنة ست وثمانين ومائة واستخلف عبد الرحمن بن موسى بن على بن رباح على الجند والخراج فواقع اهل الحوف وانهزم عنه الجند فبقى فى نحو المائتين فحمل بهم وهزم القوم من أرض الجب الى غيفة وبعث الى الفسطاط بثمانين رأسا وقدم فرجع اهل الحوف ومنعوا الخراج فخرج ليث الى الرشيد وسأله أن يبعث معه بالجيوش فانه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل الاحواف الا بجيش فرفع محفوظ بن سليمان انه يضمن خراج مصر عن آخره بغير سوط ولا عصا فولاه الرشيد الخراج وصرف ليثا عن الصلاة والخراج وبعث احمد بن اسحق على الصلاة مع محفوظ وكانت ولاية ليث اربع سنين وسبعة اشهر فولى (احمد بن اسمعيل) بن على بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلاة والخراج وقدم لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ثم صرف لثمان عشرة خلت من شعبان سنة تسع وثمانين فولى سنتين وشهرا ونصفا ثم ولى (عبيد الله بن محمد) بن ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس على الصلاة واستخلف لهيعة بن عيسى بن لهيعة الحضرمى ثم قدم للنصف من شوال وصرف لاحدى عشرة بقيت من شعبان سنة تسعين ومائة وخرج واستخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فولى (الحسين بن جميل) من قبل الرشيد على الصلاة وقدم لعشر خلون من رمضان ثم جمع له الخراج مع الصلاة فى رجب سنة احدى وتسعين وخرج اهل الحوف وامتنعوا من

قوله اخاه الفضل بن على هكذا فى النسخ التى بيدى ولعله اباه الفضل الخ تأمل اهـ مصححه

اداء الخراج وخرج ابو النداء بأيلة في نحو ألف رجل فقطع الطريق بايلة وشعيب ومدين وأغار على بعض قرى
الشام وضوى اليه من جذام جماعة فبلغ من النهب والقتل مبلغا عظيما فبعث الرشيد من بغداد جيشا ذلك
وبعث الحسين بن جميل من مصر عبد العزيز بن الوزير بن صابي الجروى في عسكر فالتقى العسكران بأيلة فظفر
عبد العزيز بأبي النداء وسار جيش الرشيد الى بلبيس في شوال سنة احدى وتسعين ومائة فأذعن أهل الحوف
بالخراج وصرف ابن جميل لثنتي عشرة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة فولى (مالك بن
دلهم) بن عمير الكلبي على الصلات والخراج وقدم لتسع بقين من ربيع الآخر وفرغ يحيى بن معاذ أمير جيش
الرشيد من أمر الحوف وقدم الفسطاط لعشر بقين من جمادى الآخرة فكتب الى اهل الاحواف أن اقدموا
حتى اوصى بكم مالك بن دلهم فدخل الرؤساء من اليمانية والقيسية فأخذت عليهم الابواب وقيدوا وسار بهم
٢٠ للنصف من رجب وصرف مالك لاربع خلت من صفر سنة ثلاث وتسعين ومائة فولى (الحسن بن التختاح) بن
٢١ التختكان على الصلات والخراج فاستخلف العلاء بن عاصم الخولاني وقدم لثلاث خلون من ربيع الاول
ثم مات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين فثار الجند بمصر ووقعت فتنة عظيمة قتل فيها عدة وسير الحسن مال
مصر فوثب اهل الرملة وأخذوه وبلغ الحسن عزله فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام لثمان بقين من ربيع
الاول سنة اربع وتسعين ومائة واستخلف عوف بن وهب على الصلات ومحمد بن زياد بن طبق القيسي على
الخراج فولى (حاتم بن هرثمة) بن اعين من قبل الامين على الصلات والخراج وقدم في ألف من الابناء فنزل
بلبيس فصالحه أهل الاحواف على خراجهم وثار عليه اهل تنو وتمى وعسكروا فبعث اليهم جيشا فانهزموا
ودخل حاتم الى الفسطاط ومعه نحو مائة من الرهائن لاربع خلون من شوال وصرف في جمادى الآخرة سنة
خمس وتسعين ومائة فولى (جابر بن الاشعث) بن يحيى الطائي من قبل الامين على الصلات والخراج لخمس
بقين من جمادى الآخرة وكان لينا فلما حدثت فتنة الامين والمامون قام السرى بن الحكم غضبا للمامون
ودعا الناس الى خلع الامين فاجابوه وبايعوا المامون لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين
وأخرجوا جابر بن الاشعث وكانت ولايته سنة فولى (عباد بن محمد) بن حيان ابو نصر من قبل المامون على
الصلات والخراج لثمان خلون من رجب بكتاب هرثمة بن اعين وكان وكيله على ضياعه بمصر في الثامن من رجب
سنة ست وتسعين فبلغ الامين ما كان بمصر فكتب الى ربيعة بن قيس بن الزبير الجرشي رئيس قيس الحوف
بولاية مصر وكتب الى جماعة بمعاونته فقاموا ببيعة الامين وخلعوا المامون وساروا لمحاربة اهل الفسطاط
فخندق عباد وكانت حروب فقتل الامين وصرف عباد في صفر سنة ثمان وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة
وسبعة اشهر فولى (المطلب بن عبد الله) بن مالك الخزاعي من قبل المامون على الصلات والخراج
فدخل من مكة للنصف من ربيع الاول فكانت في ايامه حروب وصرف في شوال بعد سبعة اشهر فولى
(العباس بن موسى) بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل المامون على الصلات
والخراج فقدم ابنه عبد الله ومعه الحسين بن عبيد بن لوط الانصاري في آخر شوال فسجنا المطلب فثار الجند
مرارا لمنعهم الانصاري اعطياتهم وتهددهم وتحامل على الرعية وعسفها وتهدد الجميع فثاروا واخرجوا المطلب
من الحبس وأقاموه لاربع عشرة خلت من المحرم سنة تسع وتسعين ومائة وأقبل العباس فنزل بلبيس ودعا قيسا
الى نصرته ومضى الى الجروى بتنيس ثم عاد فمات في بلبيس لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة ويقال ان
المطلب دس اليه سما في طعامه فمات منه وكانت حروب وفتن فكانت ولاية المطلب هذه سنة وثمانية اشهر
ثم ولى (السرى بن الحكم) بن يوسف من قوم الزط ومن اهل بلخ باجماع الجند عليه عند قيامه على
المطلب في مستهل رمضان سنة مائتين ثم ولى (سليمان بن غالب) بن جبريل البجلي على الصلات والخراج
بمبايعة الجند له لاربع خلون من ربيع الاول سنة احدى ومائتين فكانت حروب ثم صرف بعد خمسة اشهر
واعيد (السرى بن الحكم) ثانيا من قبل المامون على الصلات والخراج فذمت ولايته وأخرجه الجند
من الحبس لثنتي عشرة خلت من شعبان وتتبع من حاربه وقوى امره ومات وهو وال لانسلاخ جمادى الاولى
سنة خمس ومائتين فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما فولى ابنه (محمد
ابن السرى) ابو نصر اول جمادى الآخرة على الصلات والخراج وكان الجروى قد غلب على أسفل الارض

بجرت

فجرت بينهما حروب ثم مات لثمان خلون من شعبان سنة ست ومائتين وكانت ولايته اربعة عشر شهرا ثم ولى (عبيد الله بن السرى) بن الحكم بمبايعة الجند لتسع خلون من شعبان على الصلات والخراج فكانت بينه وبين الجروى حروب الى أن قدم عبد الله بن طاهر وأذعن له عبيد الله فى آخر صفر سنة احدى عشرة ومائتين فولى (عبد الله بن طاهر) بن الحسين بن مصعب من قبل المامون على الصلات والخراج فدخل يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين وأقام فى معسكره حتى خرج عبيد الله بن السرى الى بغداد للنصف من جمادى الاولى ثم سار الى الاسكندرية مستهل صفر سنة اثنى عشرة واستخلف عيسى بن يزيد الجلودى فحصرها بضع عشرة ليلة ورجع فى جمادى الآخرة وأمر بالزيادة فى الجامع العتيق فزيد فيه مثله وركب النيل متوجها الى العراق لخمس بقين من رجب وكان مقامه بمصر واليا سبعة عشر شهرا وعشرة ايام ثم ولى (عيسى بن يزيد) الجلودى باستخلاف ابن طاهر على صلاتها الى سابع عشر ذى القعدة سنة ثلاث عشرة فصرف ابن طاهر وولى الامير ابو اسحق بن هرون الرشيد مصر فأقر عيسى على الصلات فقط وجعل على الخراج صالح بن شيراز ادفظلم الناس وزاد عليهم فى خراجهم فانتقض أهل اسفل الارض وعسكروا فبعث عيسى بابنه محمد فى جيش فحاربوه فانهزم وقتل اصحابه فى صفر سنة اربع عشرة فولى (عمير بن الوليد) التميمى باستخلاف ابى اسحاق بن الرشيد على الصلات لسبع عشرة خلت من صفر وخرج ومعه عيسى الجلودى لقتال اهل الحوف فى ربيع الآخر واستخلف ابنه محمد بن عمير فاقتتلوا وكانت بينهم معارك قتل فيها عمير لست عشرة خلت من ربيع الآخر فكانت مدة امرته ستين يوما فولى (عيسى الجلودى) ثانيا لابى اسحاق على الصلات فحارب اهل الحوف بمنية مطر ثم انهزم فى رجب وأقبل ابو اسحاق الى مصر فى اربعة آلاف من اتراكه فقاتل أهل الحوف فى شعبان ودخل الى مدينة الفسطاط لثمان بقين منه وقتل اكابر الحوف ثم خرج الى الشام غرة المحرم سنة خمس عشرة ومائتين فى اتراكه ومعه جمع من الاسارى فى ضر وجهد شديد وولى على مصر (عبدويه بن جبلة) من الابناء على الصلات فخرج ناس بالحوف فى شعبان فبعث اليهم وحاربهم حتى ظفر بهم ثم قدم الافشين حيدر بن كاوس الصفدى الى مصر لثلاث خلون من ذى الحجة ومعه على ابن عبد العزيز الجروى لاخذ ماله فلم يدفع اليه شيأ فقتله وصرف عبدويه وخرج الى برقة (وولى عيسى بن منصور) بن موسى بن عيسى الرافعى فولى من قبل ابى اسحاق لاول سنة ست عشرة على الصلات فانتقضت اسفل الارض عربها وقبطها فى جمادى الاولى وأخرجوا العمال لسوء سيرتهم وخلعوا الطاعة فقدم الافشين من برقة للنصف من جمادى الآخرة ثم خرج هو وعيسى فى شوال فأوقعا بالقوم وأسرا منهم وقتلا ومضى الافشين ورجع عيسى فسار الافشين الى الحوف وقتل جماعتهم وكانت حروب الى أن قدم امير المومنين عبد الله المأمون لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى وحل لواءه فأخذه بلباس البياض ونسب الحدث اليه والى عماله وسير الجيوش وأوقع بأهل الفساد وسبى القبط وقتل مقاتلتهم ثم رحل لثمان عشرة خلت من صفر بعد تسعة وأربعين يوما وولى (كيدر) وهو نصر بن عبد الله ابو مالك الصفدى فورد كتاب المأمون عليه بأخذ الناس بالمحنة فى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة والقاضى بمصر يومئذ هارون بن عبد الله الزهرى فأجاب وأجاب الشهود ومن وقف منهم سقطت شهادته وأخذ بها القضاة والمحدثون والمؤذنون فكانوا على ذلك من سنة ثمان عشرة الى سنة اثنتين وثلاثين ومات المأمون فى رجب سنة ثمان عشرة وبويع ابو اسحق المعتصم فورد كتابه على كيدر ببيعته ويأمره باسقاط من فى الديوان من العرب وقطع العطاء عنهم ففعل ذلك فخرج يحيى بن الوزير الجروى فى جمع من لخم وجذام ومات كيدر فى ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين فولى ابنه (المظفر بن كيدر) باستخلاف ابيه وخرج الى يحيى بن وزير وقاتله وأسره فى جمادى الآخرة ثم صرفت مصر الى ابى جعفر اشناس فدعى له بها وصرف مظفر فى شعبان فولى (موسى بن ابى العباس) ثابت من قبل اشناس على الصلات مستهل شهر رمضان سنة تسع عشرة وصرف فى ربيع الآخر سنة اربع وعشرين ومائتين فكانت ولايته اربع سنين وسبعة اشهر فولى (مالك بن كيدر) بن عبد الله الصفدى من قبل اشناس على الصلات وقدم لسبع بقين من ربيع الآخر وصرف لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين فولى سنتين وأحد عشر يوما وتوفى لعشر خلون من شعبان سنة ثلاث وثلاثين

ومائتين فولى (على بن يحيى) الارمنى من قبل اشناس على صلاتها وقدم لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين ومائتين ومات المعتصم فى ربيع الاول سنة سبع وعشرين وبويع الواثق بالله فأقره الى سابع ذى الحجة سنة ثمان وعشرين ومائتين فكانت ولايته سنتين وثلاثة اشهر ثم ولى (عيسى ابن منصور) الثانية من قبل اشناس على صلاتها فدخل لسبع خلون من المحرم سنة تسع وعشرين ومائتين ومات اشناس سنة ثلاثين وجعل مكانه ايتاخ فأقر عيسى ومات الواثق وبويع المتوكل فصرف عيسى للنصف من ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وقدم على بن مهرويه خليفة هرثمة بن النضر ثم مات عيسى فى قبة الهواء بعد عزله لاحدى عشرة خلت من ربيع الآخر فولى (هرثمة بن نضر) الجبلى من اهل الجبل لايتاخ على الصلات وقدم لست خلون من رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائتين فورد كتاب المتوكل بترك الجدال فى القرءان لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة اربع وثلاثين ومائتين ومات هرثمة وهو وال لسبع بقين من رجب سنة اربع واستخلف ابنه حاتم بن هرثمة فولى (حاتم بن هرثمة) بن النضر باستخلاف ابيه على الصلات وصرف لست خلون من رمضان فولى (على بن يحيى) بن الارمنى الثانية من قبل ايتاخ على الصلات لست خلون من رمضان وصرف ايتاخ فى المحرم سنة خمس وثلاثين واستصفيت امواله بمصر وترك الدعاء له ودعى للمنتصر مكانه وصرف على فى ذى الحجة منها فولى (اسحق بن يحيى) بن معاذ بن مسلم الجبلى من قبل المنتصر ولى عهد أبيه المتوكل على الله على الصلات والخراج فقدم لاحدى عشرة خلت من ذى الحجة فورد كتاب المتوكل والمنتصر باخراج الطالبيين من مصر الى العراق فأخرجوا ومات اسحق بعد عزله اول ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين فولى (خوط عبد الواحد بن يحيى) بن منصور بن طلحة ابن زريق من قبل المنتصر على الصلات والخراج فقدم لتسع بقين من ذى القعدة سنة ست وثلاثين ومائتين وصرف عن الخراج لتسع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين وأقر على الصلات ثم صرف سلخ صفر سنة ثمان وثلاثين بخليفته عنبسة على الصلات والشركة فى الخراج مستهل ربيع الاول فولى (عنبسة بن اسحق) ابن شمر بن عبس ابو جابر من قبل المنتصر على الصلات وشريكا لاحمد بن خالد الضريفسى صاحب الخراج فقدم لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين واخذ العمال برد المظالم وأقامهم للناس وأنصف منهم وأظهر من العدل مالم يسمع بمثله فى زمانه وكان يروح ماشيا الى المسجد الجامع من العسكر وكان ينادى فى شهر رمضان السحور وكان يرمى بمذهب الخوارج وفى ولايته نزل الروم دمياط وملكوها ومافيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من الناس وسبوا النساء والاطفال فنفر اليهم يوم النحر من سنة ثمان وثلاثين فى جيشه وكثير من الناس فلم يدركهم واضيف له الخراج مع الصلات ثم صرف عن الخراج اول جمادى الآخرة سنة احدى واربعين وأفرد بالصلات وورد الكتاب بالدعاء للفتح بن خاقان فى ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين فدعا له وعنبسة هذا آخر من ولى مصر من العرب وآخر أمير صلى بالناس فى المسجد الجامع وصرف اول رجب منها فقدم العباس بن عبد الله بن دينار خليفة يزيد بن عبد الله بولاية يزيد وكانت ولاية عنبسة اربع سنين وأربعة اشهر وخرج الى العراق فى رمضان سنة اربع واربعين فولى (يزيد بن عبد الله) بن دينار أبو خالد من الموالى ولاه المنتصر على الصلات فقدم لعشر بقين من رجب سنة اثنتين وأربعين فأخرج المؤنثين من مصر وضربهم وطاف بهم ومنع من النداء على الجنائز وضرب فيه وخرج الى دمياط مرابطا فى المحرم سنة خمس وأربعين ورجع فى ربيع الاول فبلغه نزول الروم الفرما فرجع اليها فلم يلقهم وعطل الرهان وباع الخيل التى تتخذ للسلطان فلم تجر الى سنة تسع وأربعين وتتبع الروافض وحملهم الى العراق وبنى مقياس النيل فى سنة سبع وأربعين وجرت على العلويين فى ولايته شدائد ومات المتوكل فى شوال وبويع ابنه محمد المنتصر ومات الفتح بن خاقان فأقر المنتصر يزيد على مصر ثم مات المنتصر فى ربيع الاول سنة ثمان واربعين وبويع المستعين فورد كتابه بالاستسقاء لقحط كان بالعراق فاستسقوا لسبع عشرة خلت من ذى القعدة واستسقى اهل الآفاق فى يوم واحد وخلع المستعين فى المحرم سنة اثنتين وخمسين وبويع المعتز فخرج جابر بن الوليد بأرض الاسكندرية وكانت هنالك حروب ابتدأت من ربيع الآخر فقدم مزاحم بن خاقان من العراق معينا ليزيد فى جيش كثيف لثلاث عشرة بقيت من رجب فواقعهم حتى ظفر بهم ثم صرف يزيد وكانت مدته عشر سنين وسبعة اشهر وعشرة ايام فولى (مزاحم بن خاقان) بن

عرطوج ابو الفوارس التركى لثلاث خلون من ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين ومائتين على الصلات من قبل المعتز وخرج الى الحوف فأوقع باهله وعاد ثم خرج الى الجيزة فسار الى تروجة فأوقع بأهلها وأسر عدة من اهل البلاد وقتل كثيرا وسار الى الفيوم فطاش سيفه وكثر ايقاعه بسكان النواحى وعاد وولى الشرطة ارجوز فمنع النساء من الحمامات والمقابر وسجن المؤنثين والنوائح ومنع من الجهر بالبسملة فى الصلاة بالجامع فى رجب سنة ثلاث وخمسين ولم يزل اهل مصر على الجهر بها فى الجامع منذ الاسلام الى أن منع منها ارجوز وأخذ اهل الجامع بتمام الصفوف ووكل بذلك رجالا من العجم يقوم بالسوط من مؤخر المسجد وأمر أهل الحلق بالتحول الى القبلة قبل اقامة الصلاة ومنع من المساند التى يستند اليها ومن الحصر التى كانت للمجالس فى الجامع وأمر أن تصلى التراويح فى رمضان خمس تراويح ولم يزل اهل مصر يصلونها ستا الى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين ومنع من التثويب وأمر بالاذان يوم الجمعة فى مؤخر المسجد وأن يغلس بصلاة الصبح ونهى أن يشق ثوب على ميت او يسود وجه او يحلق شعر أو تصيح امرأة وعاقب فى ذلك وشدد فيه ثم مات مزاحم لخمس مضين من المحرم سنة اربع وخمسين فاستخلف ابنه (احمد بن مزاحم) فولى باستخلاف ابيه على الصلات الى أن مات لسبع خلون من ربيع الآخر فكانت ولايته شهرين ويوما فاستخلف (ارجوز بن اولغ طرخان التركى) على الصلات فولى خمسة اشهر ونصفا وخرج اول ذى القعدة بعد أن صرف بأحمد بن طولون فى شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين واليه كان امر البلد بجميعه من ايام مزاحم وفى ايام ابنه احمد أيضا والله تعالى اعلم

(ذكر القطائع ودولة بنى طولون)

اعلم أن القطائع قد زالت آثارها ولم يبق لها رسم يعرف وكان موضعها من قبة الهواء التى صار مكانها قلعة الجبل الى جامع ابن طولون وهذا اشبه أن يكون طول القطائع وأما عرضها فانه من اول الرميلة تحت القلعة الى الموضع الذى يعرف اليوم بالارض الصفراء عند مشهد الرأس الذى يقال له الآن زين العابدين وكانت مساحة القطائع ميلا فى ميل فقبة الهواء كانت فى سطح الجرف الذى عليه قلعة الجبل وتحت قبة الهواء قصر ابن طولون وموضع هذا القصر الميدان السلطانى تحت القلعة والرميلة التى تحت القلعة مكان سوق الخيل والحمير والجمال كانت بستانا ويجاورها الميدان فى الموضع الذى يعرف اليوم بالقبيبات فيصير الميدان فيما بين القصر والجامع الذى انشأه احمد بن طولون وبحذاء الجامع دار الامارة فى جهته القبلية ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة المحيطة بمصلى الامير الى جوار المحراب وهناك أيضا دار الحرم وا قطائع عدة قطع تسكن فيها عبيد ابن طولون وعساكره وغلمانه وكل قطيعة لطائفة فيقال قطيعة السودان وقطيعة الروم وقطيعة الفراشين ونحو ذلك فكانت كل قطيعة لسكنى جماعة بمنزلة الحارات التى بالقاهرة وكان ابتداء عمارة هذه القطائع وسببها أن أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا اسحق محمد بن هارون الرشيد لما اختص بالاتراك ووضع من العرب وأخرجهم من الديوان وأسقط اسماءهم ومنعهم العطاء وجعل الاتراك انصار دولته وأعلام دعوته كان من عظمت عنده منزلته قلده الاعمال الجليلة الخارجة عن الحضرة فيستخلف على ذلك العمل الذى تقلده من يقوم بامره ويحمل اليه ماله ويدعى له على منابره كما يدعى للخليفة وكانت مصر عندهم بهذه السبيل وقصد المعتصم ومن بعده من الخلفاء بذلك العمل مع الاتراك محاكاة ما فعله الرشيد بعبد الملك بن صالح والمأمون بطاهر بن الحسين ففعل المعتصم مثل ذلك بالاتراك فقلد اشناس وقلد الواثق ايتاخ وقلد المتوكل نفا ووصيف وقلد المهتدى ماجور وغيرهم ذكرنا من أعمال الاقاليم ما قد تضمنته كتب التاريخ فتقلد باكباك مصر وطلب من يخلفه عليها وكان احمد بن طولون قد مات ابوه فى سنة اربعين ومائتين ولاحمد عشرون سنة منذ ولد من جارية كانت تدعى قاسم وكان مولده فى سنة عشرين ومائتين وولدت أيضا أخاه موسى وحبسية وسمانة وكان طولون من الطغزغز ٢
مما حمله نوح بن أسد عامل بخارى الى المأمون فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبراذين وغير ذلك فى كل سنة وذلك فى سنة مائتين فنشأ احمد بن طولون نشأ جميلا غير نشء اولاد العجم فوصف بعلو الهمة وحسن الادب والذهاب بنفسه عما كان يتراى اليه اهل طبقته وطلب الحديث واحب الغزو وخرج الى طرسوس

مرّات ولقى المحدّثين وسمع منهم وكتب العلم وصحب الزهاد وأهل الورع فتأدّب بآدابهم وظهر فضله فاشتهر عند الاولياء وتميز على الاتراك وصار فى عداد من يوثق به ويؤتمن على الاموال والاسرار فزوّجه ماجور ابنته وهى أم ابنه العباس وابنته فاطمة ثم انه سأل الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب له برزقه على الثغر فأجابه وخرج الى طرسوس فأقام بها وشق على امه مفارقته فكاتبته بما اقلقه فلما قفل الناس الى سرّ من رأى سار معهم الى لقاء امه وكان فى القافلة نحو خمسمائة رجل والخليفة اذ ذاك المستعين بالله احمد بن المعتصم وكان قد أنفذ خادما الى بلاد الروم لعمل اشياء نفيسة فلما عاد بها وهى وقر بغل الى طرسوس خرج مع القافلة وكان من رسم الغزاة أن يسيروا متفرّقين فطرق الاعراب بعض سوادهم وجاء الصائح فبدر احمد بن طولون لقتالهم وتبعوه فوضع السيف فى الاعراب ورمى بنفسه فيهم حتى استنقذ منهم جميع ما أخذوه وفرّوا منه وكان من جملة ما استنقذ من الاعراب البغل المحمل بمتاع الخليفة فعظم احمد بما فعل عند الخادم وكبر فى اعين القافلة فلما وصلوا الى العراق وشاهد المستعين ما احضره الخادم اعجب به وعرّفه الخادم خروج الاعراب وأخذهم البغل بما عليه وما كان من صنع احمد بن طولون فأمر له بألف دينار وسلم عليه مع الخادم وامره أن يعرّفه به اذا دخل مع المسلمين ففعل ذلك وتوالت عليه صلات الخليفة حتى حسنت حاله ووهبه جارية اسمها مياس استولدها ابنه خمارويه فى النصف من المحرّم سنة خمسين ومائتين فلما خلع المستعين وبويع المعتز اخرج المستعين الى واسط واختار الاتراك احمد بن طولون أن يكون معه فسلم اليه ومضى به فأحسن عشرته وأطلق له التنزه والصيد وخشى أن يلحقه منه احتشام فألزمه كاتبه احمد بن محمد الواسطى وهو اذ ذاك غلام حسن الشاهد حاضر النادرة فأنس به المستعين ثم ان قبيحة ام المعتز كتبت الى احمد بن طولون بقتل المستعين وقلدته واسط فامتنع من ذلك وكتب الى الاتراك يخبرهم بأنه لا يقتل خليفة له فى رقبته بيعة فزاد محله عند الاتراك بذلك ووجهوا سعيدا الحاجب وكتبوا الى ابن طولون بتسليم المستعين له فتسلمه منه وقتله وواراه ابن طولون وعاد الى سرّ من رأى وقد تقلد باكباك مصر وطلب من يوجهه اليها فذكر له احمد بن طولون فقلده خلافته وضم اليه جيشا وسار الى مصر فدخلها يوم الاربعاء لسبع بقين من شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومائتين متقلدا للقصبة دون غيرها من الاعمال الخارجة عنها كالاسكندرية ونحوها ودخل معه احمد بن محمد الواسطى وجلس الناس لرؤيته فسأل بعضهم غلام ابى قبيل صاحب الملاحم وكان مكفوفا عما يجده فى كتبهم فقال هذا رجل نجد صفته كذا وكذا وانه يتقلد الملك هو وولده قريبا من اربعين سنة فما تمّ كلامه حتى اقبل احمد بن طولون واذا هو على النعت الذى قال * ولما تسلم احمد بن طولون مصر كان على الخراج احمد بن محمد بن المدبر وهو من دهاة الناس وشياطين الكتاب فأهدى الى احمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار بعد ما خرج الى لقائه هو وشقير الخادم غلام قبيحة ام المعتز وهو يتقلد البريد فرأى ابن طولون بين يدى ابن المدبر مائة غلام من الغور قد انتخبهم وصيرهم عدّة وجمالا وكان لهم خلق حسن وطول اجسام وباس شديد وعليهم اقبية ومناطق ثقال عراض وبأيديهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة وكانوا يقفون بين يديه فى حافتى مجلسه اذا جلس فاذا ركب ركبوا بين يديه فيصير له بهم هيبة عظيمة فى صدور الناس فلما بعث ابن المدبر بهديته الى ابن طولون ردّها عليه فقال ابن المدبر انّ هذه لهمة عظيمة من كانت هذه همته لا يؤمن على طرف من الاطراف نخافه وكره مقامه بمصر معه وسار الى شقير الخادم صاحب البريد واتفقا على مكاتبة الخليفة بازالة ابن طولون فلم يكن غير أيام حتى بعث ابن طولون الى ابن المدبر يقول له قد كنت اعزك الله أهديت لنا هدية وقع الغنى عنها ولم يجز أن يغتنم مالك كثره الله فرددتها توفيرا عليك ونحب أن تجعل العوض منها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك فأنا اليهم احوج منك فقال ابن المدبر لما بلغته الرسالة هذه اخرى اعظم مما تقدّم قد ظهرت من هذا الرجل اذ كان يردّ الاعراض والاموال ويستهدى الرجال ويناير عليهم ولم يجد بدّا من أن بعثهم اليه فتحوّلت هيبة ابن المدبر الى ابن طولون ونقصت مهابة ابن المدبر بمفارقة الغلمان مجلسه فكتب ابن المدبر فيه الى الحضرة يغرى به ويحرّض على عزله فبلغ ذلك ابن طولون فكتم فى نفسه ولم يبده واتفق موت المعتز فى رجب سنة خمس وخمسين وقيام المهتدى بالله محمد بن الواثق وقتل باكباك ورد جميع ما كان بيده الى ماجور التركى حمو ابن طولون فكتب اليه تسلم من نفسك لنفسك وزاده الاعمال الخارجة عن قصبة مصر وكتب الى اسحق بن دينار وهو يتقلد الاسكندرية

أن يسلمها لاحمد بن طولون فعظمت لذلك منزلته وكثر قلق ابن المدبر وغمه ودعته ضرورة الخوف من ابن طولون الى ملاطفته والتقرب من خاطره وخرج ابن طولون الى الاسكندرية وتسلمها من اسحق بن دينار وأقره عليها وكان احمد بن عيسى بن شيخ الشيبانى يتقلد جندى فلسطين والاردن فلما مات وثب ابنه على الاعمال واستبدّ بها فبعث ابن المدبر سبعمائة الف وخمسين الف دينار حملا من مال مصر الى بغداد فقبض ابن شيخ عليها وفرّقها فى اصحابه وكانت الامور قد اضطربت ببغداد فطمع ابن شيخ فى التغلب على الشامات واشيع انه يريد مصر فلما قتل المهتدى فى رجب سنة ست وخمسين وبويع المعتمد بالله احمد بن المتوكل لم يدع ابن شيخ له ولا بايع هو ولا اصحابه فبعث اليه بتقليد ارمينية زيادة على ما معه من بلاد الشام وفسح له فى الاستخلاف عليها والاقامة على عمله فدعا حينئذ للمعتمد وكتب الى ابن طولون أن يتاهب لحرب ابن شيخ وأن يزيد فى عدّته وكتب لابن المدبر أن يطلق له من المال ما يريد فعرض ابن طولون الرجال وأثبت من يصلح واشترى العبيد من الروم والسودان وعمل سائر ما يحتاج اليه وخرج فى تجمل كبير وجيش عظيم وبعث الى ابن شيخ يدعوه الى طاعة الخليفة وردّ ما أخذ من المال فأجاب بجواب قبيح فسار لست خلون من جمادى الآخرة واستخلف اخاه موسى بن طولون على مصر ثم رجع من الطريق بكتاب ورد عليه من العراق ودخل القسطاط فى شعبان وقدم من العراق ماجور التركى لمحاربة ابن شيخ فلقيه اصحاب ابن شيخ وعليهم ابنه فانهزموا منه وقتل الابن واستولى ماجور على دمشق ولحق ابن شيخ بنواحى ارمينية وتقلد ماجور أعمال الشام كله وصار أحمد بن طولون من كثرة العبيد والرجال والآلات بحال يضيق به داره ولا يتسع له فركب الى سفح الجبل فى شعبان وامر بحرث قبور اليهود والنصارى واختط موضعها فبنى القصر والميدان وتقدّم الى اصحابه وغلمانه وأتباعه أن يختطوا لانفسهم حوله فاختطوا وبنوا حتى اتصل البناء لعمارة القسطاط ثم قطعت القطائع وسميت كل قطيعة باسم من سكنها فكانت للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم وللروم قطيعة مفردة تعرف بهم وللفراشين قطيعة مفردة تعرف بهم ولكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم وبنى القوّاد مواضع متفرقة فعمرت القطائع عمارة حسنة وتفرقت فيها السكك والازقة وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والافران وسميت اسواقها فقيل سوق العيارين وكان يجمع العطارين والبزازين وسوق الفاميين ويجمع الجزارين والبقالين والشوّايين فكان فى دكاكين الفاميين جميع ما فى دكاكين نظرائهم فى المدينة واكثر وأحسن وسوق الطباخين ويجمع الصيارف والخبازين والحلوانيين ولكل من الباعة سوق حسن عامر فصارت القطائع مدينة كبيرة اعمر وأحسن من الشام وبنى ابن طولون قصره ووسعه وحسنه وجعل له ميدانا كبيرا يضرب فيه بالصوالجة فسمى القصر كله الميدان وكان كل من أراد الخروج من صغير وكبير اذا سئل عن ذهابه يقول الى الميدان وعمل للميدان ابوابا لكل باب اسم وهى باب الميدان ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش وباب الصوالجة وباب الخاصة ولا يدخل منه الا خاصة ابن طولون وباب الجبل لانه مما يلى جبل المقطم وباب الحرم ولا يدخل منه الا خادم خصى او حرمة وباب الدرمون لانه كان يجلس عنده حاجب اسود عظيم الخلقة يتقلد جنايات الغلمان السودان الرجالة فقط يقال له الدرمون وباب دعناج لانه كان يجلس عنده حاجب يقال له دعناج وباب الساج لانه عمل من خشب الساج وباب الصلاة لانه كان فى الشارع الاعظم ومنه يتوصل الى جامع ابن طولون وعرف هذا الباب ايضا بباب السباع لانه كان عليه صورة سبعين من جبس وكان الطريق الذى يخرج منه ابن طولون وهو الذى يخرج منه الى القصر طريقا واسعا فقطعه بحائط وعمل فيه ثلاثة ابواب كاكبر ما يكون من الابواب وكانت متصلة بعضها ببعض واحدا بجنب الآخر وكان ابن طولون اذا ركب يخرج معه عسكر متكاثف الخروج على ترتيب حسن بغير زحمة ثم يخرج ابن طولون من الباب الاوسط من الابواب الثلاثة بمفرده من غير أن يختلط به احد من الناس وكانت الابواب المذكورة تفتح كلها فى يوم العيد أو يوم عرض الجيش او يوم صدقة وما عدا هذه الايام لا تفتح الا بترتيب فى اوقات معروفة وكان القصر له مجلس يشرف منه ابن طولون يوم العرض ويوم الصدقة لينظر من اعلاه من يدخل ويخرج وكان الناس يدخلون من باب الصوالجة ويخرجون من باب السباع وكان على باب السباع مجلس يشرف منه ابن طولون ليلة العيد على القطائع ليرى حركات الغلمان وتأهبهم وتصرفهم فى حوائجهم فاذا رأى فى حال احد منهم نقصا او خللا امر له بما يتسع به ويزيد فى تجمله وكان يشرف منه ايضا

على البحر وعلى باب مدينة الفسطاط وما يلى ذلك فكان منتزها حسنا وبنى الجامع فعرف بالجامع الجديد وبنى
العين والسقاية بالمغافر وبنى تنور فرعون فوق الجبل واتسعت احواله وكثرت اصطبلاته وكراعه وعظم صيته
فخافه ماجور وكتب فيه الى الحضرة يغرى به وكتب فيه ابن المدبر وشقير الخادم وكانت لابن طولون اعين
وأصحاب أخبار يطالعونه بسائر ما يحدث فلما بلغه ذلك تلطف اصحاب الاخبار له ببغداد عند الوزير حتى سير الى
ابن طولون بكتب ابن المدبر وكتب شقير من غير أن يعلما بذلك فاذا فيها ان احمد بن طولون عزم على التغلب
على مصر والعصيان بها فكتم خبر الكتب ومازال بشقير حتى مات وكتب الى الحضرة يسأل صرف ابن المدبر عن
الخراج وتقليده هلالا فأجيب الى ذلك وقبض على ابن المدبر وحبسه وكانت له معه امور آلت الى خروج ابن
المدبر عن مصر وتقلد ابن طولون خراج مصر مع المعونة والثغور الشامية فأسقط المعاون والمرافق وكانت بمصر
خاصة فى كل سنة مائة ألف دينار فأظفره الله عقيب ذلك بكنز فيه الف الف دينار بنى منه المارستان وخرج
الى الشام وقد تقلدها فتسلم دمشق وحمص ونازل انطاكية حتى اخذها وكانت صدقاته على اهل المسكنة والستر
وعلى الضعفاء والفقراء وأهل التجمل متواترة وكان راتبه لذلك فى كل شهر ألفى دينار سوى ما يطرأ عليه
من النذور وصدقات الشكر على تجديد النعم وسوى مطابخه التى اقيمت فى كل يوم للصدقات فى داره وغيرها
يذبح فيها البقر والكباش ويغرف للناس فى القدور الفخار والقصاع على كل قدر أو قصعة لكل مسكين اربعة
ارغفة فى اثنين منها فالوذج والاثنان الآخران على القدر وكانت تعمل فى داره وينادى من احب أن يحضر
دار الامير فليحضر وتفتح الابواب ويدخل الناس الميدان وابن طولون فى المجلس الذى تقدم ذكره ينظر الى
المساكين ويتأمل فرحهم بما يأكلون ويحملون فيسره ذلك ويحمد الله على نعمته ولقد قال له مرة ابراهيم ابن
قراطغان وكان على صدقاته ايد الله الامير انا نقف فى المواضع التى تفرق فيها الصدقة فتخرج لنا الكف
الناعمة المخضوبة نقشا والمعصم الرائع فيه الحديدة والكف فيها الخاتم فقال يا هذا كل من مد يده اليك فأعطه
فهذه هى الطبقة المستورة التى ذكرها الله سبحانه وتعالى فى كتابه فقال يحسبهم الجاهل اغنياء من
التعفف فاحذر أن ترد يدا امتدت اليك وأعط كل من يطلب منك فلما مات احمد بن طولون وقام من بعده
ابنه خمارويه أقبل على قصر أبيه وزاد فيه وأخذ الميدان الذى كان لابيه فجعله كله بستانا وزرع فيه انواع
الرياحين وأصناف الشجر ونقل اليه الودى اللطيف الذى ينال ثمره القائم ومنه ما يتناوله الجالس من
اصناف خيار النخل وحمل اليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وأنواع الورد وزرع فيه الزعفران وكسا
اجسام النخل نحاسا مذهبا حسن الصنعة وجعل بين النحاس وأجساد النخل مزاريب الرصاص وأجرى
فيها الماء المدبر فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء فتنحدر الى فساق معمولة ويفيض منها
الماء الى مجار تسقى سائر البستان وغرس فيه من الريحان المزروع على نقوش معمولة وكتابات مكتوبة
يتعاهدها البستانى بالمقراض حتى لا تزيد ورقة على ورقة وزرع فيه النيلوفر الاحمر والازرق والاصفر
والجنوى العجيب وأهدى اليه من خراسان وغيرها كل اصل عجيب وطعموا له شجر المشمش باللوز واشباه
ذلك من كل ما يستظرف ويستحسن وبنى فيه برجا من خشب الساج المنقوش بالنقر النافذ ليقوم مقام
الاقفاص وزوقه بأصناف الاصباغ وبلط ارضه وجعل فى تضاعيفه انهارا لطافا جداولها يجرى فيها الماء
مدبرا من السواقى التى تدور على الآبار العذبة ويسقى منها الاشجار وغيرها وسرح فى هذا البرج من اصناف
القمارى والدباسى والنوبيات وكل طائر مستحسن حسن الصوت فكانت الطير تشرب وتغتسل من تلك الانهار
الجارية فى البرج وجعل فيه اوكارا فى قواديس لطيفة ممكنة فى جوف الحيطان لتفرخ الطيور فيها وعارض
لها فيه عيدانا ممكنة فى جوانبه لتقف عليها اذا تطايرت حتى يجاوب بعضها بعضا بالصياح وسرح فى البستان
من الطير العجيب كالطواويس ودجاج الحبش ونحوها شيأ كثيرا وعمل فى داره مجلسا برواقه سماه بيت الذهب
طلى حيطانه كلها بالذهب المجاول باللازورد المعمول فى احسن نقش وأظرف تفصيل وجعل فيه على مقدار ٢
قامة ونصف صورا فى حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصور حظاياه والمغنيات اللاتى تغنينه
بأحسن تصوير وابهج تزويق وجعل على رؤسهن الاكاليل من الذهب الخالص الابريز الرزين والكوادن
المرصعة بأصناف الجواهر وفى آذانها الاجراس الثقال الوزن المحكمة الصنعة وهى مسمرة فى الحيطان ولونت

اجسادها

اجسامها بأصناف اشباه الثياب من الاصباغ العجيبة فكان هذا البيت من اعجب مبانى الدنيا وجعل بين
يدى هذا البيت فسقية مقدرة وملأها زئبقا وذلك انه شكا الى طبيبه كثرة السهر فأشار عليه بالتغميز فأنف
من ذلك وقال لا اقدر على وضع يد أحد على فقال له تأمر بعمل بركة من زئبق فعمل بركة يقال انها خمسون ذراعا
طولا فى خمسين ذراعا عرضا وملأها من الزئبق فأنفق فى ذلك اموالا عظيمة وجعل فى اركان البركة سككا من
الفضة الخالصة وجعل فى السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة فى حلق من الفضة وعمل فرشا من ادم يحشى
بالريح حتى ينتفخ فيحكم حينئذ شده ويلقى على تلك البركة الزئبق وتشد زنانير الحرير التى فى حلق الفضة بسكك
الفضة وينام على هذا الفرش فلا يزال الفرش يرتج ويتحرك بحركة الزئبق مادام عليه وكانت هذه البركة
من اعظم ما سمع به من الهمم الملوكية فكان يرى لها فى الليالى المقمرة منظر عجيب اذا تألف نور القمر بنور الزئبق
ولقد أقام الناس بعد خراب القصر مدة يحفرون لاخذ الزئبق من شقوق البركة وما عرف ملك قط تقدم خمارويه
فى عمل مثل هذه البركة وبنى ايضا فى القصر قبة تضاهى قبة الهواء سماها الدكة فكانت احسن شئ بنى وجعل لها
الستر التى تقى الحر والبرد فتسبل اذا شاء وترفع اذا احب وفرش ارضها بالفرش السرية وعمل لكل فصل فرشا
يليق به وكان كثيرا ما يجلس فى هذه القبة ليشرف منها على جميع ما فى داره من البستان وغيره ويرى الصحراء
والنيل والجبل وجميع المدينة وبنى ميدانا آخر أكبر من ميدان ابيه وكان احمد بن طولون قد اتخذ حجرة بقربه فيها
رجال سماهم بالمكبرين عدتهم اثنا عشر رجلا يبيت منهم فى كل ليلة اربعة يتعاقبون الليل نوبا يكبرون ويسبحون
ويحمدون ويهللون ويقرؤن القرآن تطريبا بألحان ويتوسلون بقصائد زهدية ويؤذنون اوقات الاذان فلما ولى
خمارويه اقرهم على حالهم وأجراهم على رسمهم وكان يجلس للشرب مع حظاياه فى الليل وقيناته تغنيه
فاذا سمع اصوات هؤلاء يذكرون الله والقدح فى يده وضعه بالارض وأسكت مغنياته وذكر الله معهم ابدا حتى
يسكت القوم لا يضجره ذلك ولا يغيظه أن قطع عليه ما كان فيه من لذته بالسماع وبنى ايضا فى داره دار السباع
عمل فيها بيوتا بآزاج كل بيت يسع سبعا ولبوته وعلى تلك البيوت ابواب تفتح من اعلاها بحركات ولكل
بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت يفرشه بالزبل وفى جانب كل بيت حوض من
رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء وبين يدى هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة فيها رمل مفروش بها
وفى جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير فاذا أراد سائس سبع من تلك السباع تنظيف
بيته او وضع وظيفة اللحم التى لغذائه رفع الباب بحيلة من اعلى البيت وصاح بالسبع فيخرج الى القاعة
المذكورة ويرد الباب ثم ينزل الى البيت من الطاق فيكنس الزبل ويبدل الرمل بغيره مما هو نظيف ويضع
الوظيفة من اللحم فى مكان معد لذلك بعد ما يخلص ما فيه من الغدد ويقطعه لهما ويغسل الحوض ويملأه ماء ثم
يخرج ويرفع الباب من اعلاه وقد عرف السبع ذلك فحال ما يرفع السائس باب البيت دخل اليه الاسد فأكل
ما هيئ له من اللحم حتى يستوفيه ويشرب من الماء كفايته فكانت هذه مملوءة من السباع ولهم اوقات يفتح
فيها سائر بيوت السباع فتخرج الى القاعة وتتمشى فيها وتمرح وتلعب ويهارش بعضها بعضا فتقيم يوما كاملا
الى العشى فيصيح بها السواس فيدخل كل سبع الى بيته لا يتخطاه الى غيره وكان من جملة هذه السباع سبع
ازرق العينين يقال له زريق قد انس بخمارويه وصار مطلقا فى الدار لا يؤذى احدا ويقام له بوظيفته من الغذاء
فى كل يوم فاذا نصبت مائدة خمارويه اقبل زريق معها وربض بين يديه فرمى اليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة
والفضلة الصالحة من الجدى ونحو ذلك مما على المائدة فيتفكه به وكانت له لبوة لم تستأنس كما انس
فكانت مقصورة فى بيت ولها وقت معروف يجتمع معها فيه فاذا نام خمارويه جاء زريق ليحرسه فان كان قد نام
على سرير ربض بين يدى السرير وجعل يراعيه مادام نائما وان كان انما نام على الارض بقى قريبا منه وتفطن
لمن يدخل ويقصد خمارويه لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان على ذلك دهره قد ألف ذلك ودرب عليه وكان
فى عنقه طوق من ذهب فلا يقدر أحد أن يدنو من خمارويه مادام نائما لمراعاة زريق له وحراسته اياه حتى
اذا شاء الله انفاذ قضائه فى خمارويه كان بدمشق وزريق غائب عنه بمصر ليعلم انه لا يغنى حذر من قدر وبنى
ايضا دار الحرم ونقل اليها امهات اولاد ابيه مع اولادهن وجعل معهن المعزولات من امهات اولاده وافرد
لكل واحدة حجرة واسعة نزلت فى كل حجرة منها بعد زوال دولتهم قائد جليل فوسعته وفضل عنه منها شئ وأقام

لكل حجرة من الانزال والوظائف الواسعة ما كان يفضل عن اهلها منه شئ كثير فكان الخدم الموكلون بالحرم من الطباخين وغيرهم يفضل لكل منهم مع كثرة عددهم بعد التوسع فى قوته الزلة الكبيرة والتى فيها العدة من الدجاج فمنها ما قلع فخذها ومنها ما قد تشعب صدرها ومن الفراخ مثل ذلك مع القطع الكبار من الجدى ولحوم الضأن والعدة من ألوان عديدة والقطع الصالحة من الفالوذج والكثير من اللوزينج والقطائف والهرائس من العصيدة التى تعرف اليوم فى وقتنا هذا بالمامونية واشباه ذلك مع الارغفة الكبار واشتهر بمصر بيعهم لذلك وعرفوا به فكان الناس يتناولونهم لذلك واكثر ما تباع الزلة الكبيرة منها بدرهمين ومنها ما يباع بدرهم فكان كثير من الناس يتفكهون من هذه الزلات وكان شياء موجودا فى كل وقت لكثرته واتساعه بحيث ان الرجل اذا طرقه ضيف خرج من فوره الى باب دار الحرم فيجد ما يشتريه ليتجمل به لضيفه مما لا يقدر على عمل مثله ولا يتهيأ له من اللحوم والفراخ والدجاج والحلوى مثل ذلك واتسعت ايضا اصطبلات خمارويه فعمل لكل صنف من الدواب اصطبلا مفردا فكان للخيل الخاص اصطبل مفرد والدواب الغلمان اصطبلات عدة ولبغال القباب اصطبلات ولبغال النقل غير بغال القباب اصطبلات وللنجائب والبخاتى اصطبلات لكل صنف اصطبل مفرد للاتساع فى المواضع والتفنن فى الاثقال وعمل للنمور دارا مفردة وللفهود دارا مفردة وللفيلة دارا وللزرافات دارا كل ذلك سوى الاصطبلات التى بالجيزة فانه كان له فى عدة ضياع من الجيزة اصطبلات مثل نهيا ووسيم وسفط وطهرمس وغيرها وكانت هذه الضياع لا تزرع الا القرط برسم الدواب وكان للخليفة ايضا بمصر اصطبلات سوى ما ذكر تنتج فيها الخيل لحلبة السباق وللرباط فى سبيل الله تعالى برسم الغزو وكان لكل دار من الدور المذكورة ولكل اصطبل وكلاء لهم الرزق السنى والوظائف الكثيرة والاموال المتسعة وبلغ رزق الجيش فى ايام خمارويه تسعمائة ألف دينار فى كل سنة وقام مطبخه المعروف بمطبخ العامة بثلاثة وعشرين ألف دينار فى كل شهر سوى ماهو موظف لجواريه وأرزاق من يخدمهن ويتصرف فى حوائجهن وكان قد اتخذ لنفسه من ولد الحوف وشناترة الضياع قوما معروفين بالشجاعة والباس لهم خلق عظيم تام وعظم اجسام وأدر عليهم الارزاق ووسع لهم فى العطاء وشغلهم عما كانوا فيه من قطع الطريق واذية الناس بخدمته والبسهم الاقبية وجواشن الديباج وصاغ لهم المناطق العراض الثقال وقلدهم السيوف المحلاة يضعونها على اكتافهم فاذا مشوا بين يديه وموكبه على ترتيبه ومضت اصناف العسكر وطوائفه تلاهم السودان وعدتهم ألف اسود لهم درق من حديد محكم الصنعة وعليهم اقبية سود وعمائم سود فيخال لهم الناظر اليهم بحرا أسود يسير لسواد الوانهم وسواد ثيابهم ويصير لبريق درقهم وحلى سيوفهم والبيض التى تلمع على رؤسهم من تحت العمائم زى بهيج فاذا مضى السودان قدم خمارويه وقد انفرد عن موكبه وصار بينه وبين الموكب نحو نصف غلوة سهم والمختارة تحف به وكان تام الظهر ويركب فرسا تاما فيصير كالكوكب اذا اقبل لا يخفى على احد كانه قطعة جبل فى وسط المختارة وكان مهابا ذا سطوة وقد وقع فى قلوب الكافة انه متى اشار اليه احد باصبعه او تكلم اوقرب منه لحقه مكروه عظيم فكان اذا اقبل كما ذكرنا لا يسمع من احد كلمة ولا سعلة ولا عطسة ولا نحنحة البتة كانما على رؤسهم الطير وكان يتقلد فى يوم العيد سيفا بحمائل ولا يزال يتفرج ويتنزه ويخرج الى مواضع لم يكن ابوه يهش اليها كالاهرام ومدينة العقاب ونحو ذلك لاجل الصيد فانه كان مشغوفا به لا يكاد يسمع بسبع الاقصده ومعه رجال عليهم لبود فيدخلون الى الاسد ويتناولونه بأيديهم من غابه عنوة وهو سليم فيضعونه فى اقفاص من خشب محكمة الصنعة يسع الواحد منها السبع وهو قائم فاذا قدم خمارويه من الصيد سار القفص وفيه السبع بين يديه وكانت حلبة السباق فى ايامهم تقوم مقام الاعياد لكثرة الزينة وركوب سائر الغلمان والعساكر على كثرتهم بالسلاح التام والعدد الكاملة فيجلس الناس لمشاهدة ذلك كما يجلسون فى الاعياد وتطلق الخيل من غايتها فتمر متفاوتة يقدم بعضها بعضا حتى يتم السبق قال القضاعى المنظر بناه احمد بن طولون فى ولايته لعرض الخيل وكان عرض الخيل من عجائب الاسلام الاربعة التى منها هذا العرض ورمضان بمكة والعيد كان بطرسوس والجمعة ببغداد فبقى من هذه الاربعة شهر رمضان بمكة والجمعة ببغداد وذهبت اثنتان قال كاتبه وقد ذهبت الجمعة ببغداد ايضا بعد القضاعى بقتل هولاكو للخليفة المستعصم وزوال شعائر الاسلام من العراق وبقيت مكة شرفها

الله تعالى وليس فى شهر رمضان الآن بها ما يقال فيه انه من عجائب الاسلام ولما تكامل عز خمارويه وانتهى
أمره بدا يسترجع منه الدهر ما اعطاه فأول ما طرقه موت حظيته بوران التى من اجلها بنى بيت الذهب
وصور فيه صورتها وصورته كما تقدم وكان يرى أن الدنيا لا تطيب له الا ببقائها معها وبنظره اليها وتمتعه بها فكدر
موتها عيشه وانكسر انكسارا بان عليه ثم انه اخذ فى تجهيز ابنته فجهزها جهازا ضاهى به نعم الخلافة فلم يبق خطيرة
ولا طرفة من كل لون وجنس الا حمله معها فكان من جملته دكة اربع قطع من ذهب عليها قبة من ذهب مشبك
فى كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة ومائة هون من ذهب * قال القضاعى وعقد
المعتضد النكاح على ابنته يعنى ابنة خمارويه قطر الندى فحملها ابو الجيش خمارويه مع عبد الله بن الجصاص
وحمل معها ما لم ير مثله ولا يسمع به ولما دخل اليه ابن الجصاص يودعه قال له خمارويه هل بقى بينى وبينك حساب
فقال لا فقال انظر حسابك فقال كسر بقى من الجهاز فقال أحضروه فاخرج ربع طومار فيه ثبت ذكر النفقة
فاذا هى اربعمائة ألف دينار قال محمد بن على المادرانى فنظرت فى الطومار فاذا فيه وألف تكة الثمن عنها عشرة
آلاف دينار فأطلق له الكل * قال القضاعى وانما ذكرت هذا الخبر لتستدل به على اشياء منها سعة نفس ابى
الجيش ومنها كثرة ما كان يملكه ابن الجصاص حتى انه قال كسر بقى من الجهاز وهو أربعمائة ألف دينار
ولم يقتضه ذلك لم يذكره ومنها ميسور ذلك الزمان لما طلب فيه ألف تكة من اثمان عشرة دنانير قدر عليها
فى ايسر وقت وبأهون سعى ولو طلب اليوم خمسون لم يقدر عليها قال كاتبه ولا يعرف اليوم فى اسواق القاهرة
ومصر تكة بعشرة دنانير اذا طلبت توجد فى الحال ولا بعد شهر الا أن يعتنى بعملها فتعمل ولما فرغ خمارويه من
جهاز ابنته امر فبنى [illegible] على رأس كل مرحلة تنزل بها قصر فيما بين مصر وبغداد وأخرج معها اخاه شيبان بن
احمد بن طولون فى جماعة مع ابن الجصاص فكانوا يسيرون بها سير الطفل فى المهد فاذا وافت المنزل وجدت
قصرا قد فرش فيه جميع ما يحتاج اليه وعلقت فيه الستور وأعد فيه كل ما يصلح لمثلها فى حال الاقامة فكانت
فى مسيرها من مصر الى بغداد على بعد الشقة كأنها فى قصر ابيها تنتقل من مجلس الى مجلس حتى قدمت بغداد
أول المحرم سنة اثنتين وثمانين ومائتين فزفت على الخليفة المعتضد وبعد ذلك قتل خمارويه بدمشق وكانت مدة بنى
طولون بمصر سبعا وثلاثين سنة وستة اشهر واثنين وعشرين يوما وولى منهم خمسة امراء اولهم (احمد بن طولون)
ولى مصر من قبل المعتز على صلاتها فدخل يوم الخميس لسبع بقين من شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومائتين
وخرج بغا الاصغر وهو احمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين برقة والاسكندرية فى جمادى الاولى سنة خمس
وخمسين وسار الى الصعيد فقتل فى الحرب وحمل رأسه الى الفسطاط لاحدى عشرة بقيت من شعبان وخرج ابن
الصوفى العلوى وهو ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن ابى طالب ودخل اسنا فى ذى
القعدة فنهب وقتل فبعث اليه ابن طولون جيشا فهزم الجيش فى ربيع الاول سنة ست وخمسين فبعث بجيش آخر
فواقعه باخميم فى ربيع الآخر فانهزم ابن الصوفى الى الواح فأقام به وخرج احمد بن طولون يريد حرب عيسى بن
الشيخ ثم عاد فابتدأ فى بناء الميدان وقدم العباس وخمارويه ابنا احمد بن طولون من العراق على طريق مكة
سنة سبع وخمسين وورد كتاب ماجور بتسلم احمد بن طولون الاعمال الخارجة عن يده من أرض مصر فتسلم
الاسكندرية وخرج اليها لثمان خلون من شهر رمضان واستخلف طغج صاحب الشرط ثم قدم لاربع عشرة بقيت
من شوال وسخط على اخيه موسى وأمره بلباس البياض وخرج الى الاسكندرية ثانيا لثمان بقين من شعبان سنة
تسع وخمسين واستخلف ابنه العباس وقدم لثمان خلون من شوال وأمر ببناء المسجد الجامع على الجبل فى صفر
سنة تسع وخمسين وبناء المارستان للمرضى وورد كتاب المعتمد يستحثه فى حمل الاموال فكتب اليه لست اطيق
ذلك والخراج بيد غيرى فأنفذ المعتمد نفيسا الخادم بتقليد احمد بن طولون الخراج وبولايته على الثغور الشامية
فاقر ابا ايوب احمد بن محمد بن شجاع على الخراج خليفة له عليه وعقد لطخشى بن بلبرد على الثغور فخرج فى جمادى
الاولى سنة اربع وستين وتقدم ابو احمد الموفق الى موسى بن بغا فى صرف احمد بن طولون وتقليدها ماجور
التركى والى دمشق فكتب اليه بذلك فتوقف لعجزه عن مقاومة ابن طولون فخرج موسى بن بغا ونزل الرقة فبلغ
ابن طولون انه سائر اليه فابتدأ فى بناء الحصن بالجزيرة ليكون معقلا لماله وحرمه فى سنة ثلاث وستين واجتهد
فى عمل المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة فأقام موسى بالرقة عشرة اشهر واضطربت اموره ومات فى صفر سنة

اربع وستين ومات ماجور بدمشق واستخلف ابنه على بن ماجور فخرج ذلك احمد بن طولون على المنبر وكتب الى ابن ماجور انه سائر اليه وأمره باقامة الانزال والميرة فأجاب بجواب حسن وشكا اهل مصر الى ابن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بجنده وسودانه فأمر ببناء المسجد الجامع بجبل يشكر فابتدأ بنائه فى سنة أربع وتم فى سنة ست وستين ومائتين وخرج فى جيوشه لثمان بقين من شعبان سنة أربع وستين واستخلف ابنه العباس وضم اليه احمد بن محمد الواسطى مدبرا ووزيرا فبلغ الرملة وتلقاه محمد بن رافع واليها وأقام له بها الدعوة فأقره ومضى الى دمشق فتلقاه على بن ماجور وأقام له بها الدعوة فأقام بها حتى استوثق له امرها ومضى الى حمص فتسلمها وبعث الى سيما الطويل وهو بانطاكية يأمره بالدعاء له فأبى فسار اليه فى جيش عظيم وحاصره ورماه بالمجانيق حتى دخلها فى المحرم سنة خمس وستين فقتل سيما واستباح امواله ورجاله ومضى الى طرسوس فدخلها فى ربيع الاول فضاقت به وغلا السعر بها فنابذه اهلها فقاتلهم وأمر أصحابه أن ينهزموا عن اهل طرسوس ليبلغ طاغية الروم فيعلم أن جيوش ابن طولون مع كثرتها وشدتها لم تقم لاهل طرسوس فانهزموا وخرج عنهم واستخلف عليها لخشى فورد الخبر عليه بأن ابنه العباس قد خالف عليه فازعجه ذلك وسار لخلاف العباس وقيد الواسطى وخرج بطائفته الى الجيزة لثمان خلون من شعبان سنة خمس وستين ومائتين فعسكر بها واستخلف أخاه ربيعة بن احمد وأظهر أنه يريد الاسكندرية وسار الى برقة فقدم احمد بن طولون من الشام لاربع خلون من رمضان فأنفذ القاضى بكار بن قتيبة فى نفر بكتابه الى العباس فساروا اليه ببرقة فأبى أن يرجع وعاد بكار فى اول ذى الحجة ومضى العباس يريد افريقية فى جمادى الاولى سنة ست وستين فنهب لبدة وقتل من اهلها عدة وضجت نساؤهم فاجتمع عليه جيش ابن الاغلب والاباضية فقاتلهم بنفسه وحسن بلاؤه يومئذ وقال

لله درى اذا أعدوا على فرسى * الى الهياج ونار الحرب تستعر
وفى يدى صارم افرى الرؤس به * فى حده الموت لا يبقى ولا يذر
ان كنت سائلة عنى وعن خبرى * فها أنا الليث والصمصامة الذكر
من آل طولون اصلى ان سألت فما * فوقى لمفتخر بالجود مفتخر
لو كنت شاهدة كرى بلبدة اذ * بالسيف اضرب والهامات تبتدر
اذا لعاينت منى ما تبادره * عنى الاحاديث والانباء والخبر

وقتل يومئذ صناديد عسكره ووجوه أصحابه ونهبت امواله وفر الى برقة فى ضر وعقد احمد بن طولون على جيش وبعث به الى برقة فى رمضان سنة سبع وستين ثم خرج بنفسه فى عسكر عظيم يقال انه بلغ مائة ألف لثنتى عشرة خلت من ربيع الاول سنة ثمان وستين فاقام بالاسكندرية وفر اليه احمد بن محمد الواسطى من عند العباس فصغر عنده أمر العباس فعقد على جيش سيره الى برقة فواقعوا اصحاب العباس وهزموهم وقتلوا منهم كثيرا وأدركوا العباس لاربع خلون من رجب وعاد احمد الى الفسطاط لثلاث عشرة خلت منه وقدم العباس والاسرى فى شوال ثم اخرجوا اول ذى القعدة وقد بنيت لهم دكة عالية فضربوا والقوا من اعلاها ثم بعث بلؤلؤ فى جيش الى الشام فخالف على احمد ومال مع الموفق وصار اليه فخرج احمد واستخلف ابنه خمارويه فى صفر سنة تسع وستين فنزل دمشق ومعه ابنه العباس مقيد فخالف عليه اهل طرسوس فخرج يريد محاربتهم ثم توقف لورود كتاب المعتمد عليه أنه قادم عليه ليلتجئ اليه فخرج كالمتصيد من بغداد وتوجه نحو الرقة فبلغ أبا احمد الموفق مسيره وهو محارب لصاحب الزنج فعمل عليه حتى عاد الى سامرا ووكل به جماعة وعقد لاسحق بن كنداج الخزرى على مصر فبلغ ذلك ابن طولون فرجع الى دمشق وأحضر القضاة والفقهاء من الاعمال وكتب الى مصر كتابا قرئ على الناس بأن أبا احمد الموفق نكث بيعة المعتمد وأسره فى دار أحمد بن الخصيب وان المعتمد قد صار من ذلك الى ما لا يه وذكره وانه بكى بكاء شديدا فلما خطب الخطيب يوم الجمعة ذكر ما نيل من المعتمد وقال اللهم فاكفه من حصره وظلمه وخرج من مصر بكار بن قتيبة وجماعة الى دمشق وقد حضر أهل الشامات والثغور فأمر ابن طولون بكتاب فيه خلع الموفق من ولاية العهد لمخالفته المعتمد وحصره اياه وكتب فيه ان ابا احمد الموفق خلع الطاعة وبرئ من الذمة فوجب جهاده على الامة وشهد على ذلك جميع من حضر الا بكار بن قتيبة

وآخرين

وآخرين وقال بكار لم يصح عندى ما فعله ابو أحمد ولم اعلمه وامتنع من الشهادة والخلع وكان ذلك لاحدى عشرة خلت من ذى القعدة فبلغ ذلك الموفق فكتب الى عماله بلعن احمد بن طولون على المنابر فلعن عليها بما صيغته اللهم العنه لعنا يفل حده ويتعس جده واجعله مثلا للغابرين انك لا تصلح عمل المفسدين ومضى احمد الى طرسوس فنازلها وكان البرد شديدا ثم رحل عنها الى أذنة وسار الى المصيصة فنزلت به علة الموت فأعد السير يريد مصر حتى بلغ الفرما فركب النيل الى الفسطاط فدخل لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة سبعين فأوقف بكار بن قتيبة وبعث به الى السجن وتزايدت به العلة حتى مات ليلة الاحد لعشر خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين فلما بلغ المعتمد موته اشتد وجده وجزعه عليه وقال يرثيه

الى الله اشكو اسى * عرانى كوقع الاسل * على رجل اروع * يرى منه فضل الوجل

شهاب خبا وقده * وعارض غيث افل * شكت دولتى فقده * وكان يزين الدول

فقام بعده ابنه (ابو الجيش خمارويه) بن احمد بن طولون وبايعه الجند يوم الاحد لعشر خلون من ذى القعدة فأمر بقتل اخيه العباس لامتناعه من مبايعته وعقد لابى عبد الله احمد الواسطى على جيش الى الشام لست خلون من ذى الحجة وعقد لسعد الاعسر على جيش آخر وبعث بمراكب فى البحر لتقيم على السواحل الشامية فنزل الواسطى فلسطين وهو خائف من خمارويه أن يوقع به لانه كان اشار عليه بقتل اخيه العباس فكتب الى ابى احمد الموفق يصغر امر خمارويه ويحرضه على المسير اليه فأقبل من بغداد وانضم اليه اسحق بن كنداج ومحمد بن ابى الساج ونزل الرقة فتسلم قنسرين والعواصم وسار الى شيرز فقاتل اصحاب خمارويه وهزمهم ودخل دمشق فخرج خمارويه فى جيش عظيم لعشر خلون من صفر سنة احدى وسبعين فالتقى مع احمد بن الموفق بنهر ابى بطرس المعروف بالطواحين من ارض فلسطين واقتتلا فانهزم اصحاب خمارويه وكان فى سبعين ألفا وابن الموفق فى نحو أربعة آلاف واحتوى على عسكر خمارويه بما فيه ومضى خمارويه الى الفسطاط وأقبل كمين له عليه سعد الاعسر ولم يعلم بهزيمة خمارويه فحارب ابن الموفق حتى ازاله عن المعسكر وهزمه اثنى عشر ميلا ومضى الى دمشق فلم يفتح له ودخل خمارويه الى الفسطاط لثلاث خلون من ربيع الاول وسار سعد الاعسر والواسطى فملكا دمشق وخرج خمارويه من مصر لسبع بقين من رمضان فوصل الى فلسطين ثم عاد لاثنتى عشرة بقيت من شوال ثم خرج فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين فقتل سعدا الاعسر ودخل دمشق لسبع خلون من المحرم سنة ثلاث وسبعين وسار لقتال ابن كنداج فكانت على خمارويه فانهزم اصحابه وثبت هو فى طائفة فهزم ابن كنداج واتبعه حتى بلغ اصحابه سر من رأى ثم اصطلحا وتظاهرا واقبل الى خمارويه فأقام فى عسكره ودعا له فى اعماله التى بيده وكاتب خمارويه أبا احمد الموفق فى الصلح فأجابه الى ذلك وكتب له بذلك كتابا فورد عليه به فائق الخادم الى مصر فى رجب ذكر فيه أن المعتمد والموفق وابنه كتبوه بأيديهم وبولاية خمارويه وولده ثلاثين سنة على مصر والشامات ثم قدم خمارويه سلخ رجب فأمر بالدعاء لابى احمد الموفق وترك الدعاء عليه وجعل على المظالم بمصر محمد بن عبدة بن حرب وبلغه مسير محمد بن ابى الساج الى أعماله فخرج اليه فى ذى القعدة ولقيه شبه العقاب من دمشق فانهزم اصحاب خمارويه وثبت هو فحاربه حتى هزمه أقبح هزيمة وعاد الى مصر فدخلها لست بقين من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ثم خرج الى الاسكندرية لاربع خلون من شوال وورد الخبر أنه دعى له بطرسوس فى جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وخرج الى الشام لسبع عشرة من ذى القعدة ومات الموفق فى سنة ثمان وسبعين ثم مات المعتمد فى رجب سنة تسع وسبعين وبويع المعتضد ابو العباس احمد بن الموفق فبعث اليه خمارويه بالهدايا وقدم من الشام لست خلون من ربيع الاول سنة ثمانين فورد كتاب المعتضد بولاية خمارويه على مصر هو وولده ثلاثين سنة من الفرات الى برقة وجعل له الصلات والخراج والقضاء وجميع الاعمال على أن يحمل فى كل عام مائتى ألف دينار عما مضى وثلثمائة الف للمستقبل ثم قدم رسول المعتضد بالخلع وهى اثنتا عشرة خلعة وسيف وتاج ووشاح مع خادم فى رمضان وعقد المعتضد نكاح قطر الندى بنت خمارويه فى سنة احدى وثمانين وفيها خرج خمارويه الى نزهته ببربوط فى شعبان ومضى الى الصعيد فبلغ سيوط ثم رجع من الشرق الى الفسطاط اول ذى القعدة وخرج الى الشام لثمان خلون من شعبان سنة اثنتين وثمانين فأقام بثنية الاصيغ ومنية مطر ثم رحل حتى اتى الى دمشق فقتل بها على فراشه ذبحه جواريه

وخدمه وحمل فى صندوق الى مصر وكان لدخول تابوته يوم عظيم واستقبله جواريه وجوارى غلمانه ونساء قواده ونساء القطائع بالصياح وما يصنع فى المأتم وخرج الغلمان وقد حلوا أقبيتهم وفيهم من سوّد ثيابه وشققها وكانت فى البلد ضجة عظيمة وصرخة تتقطع القلوب حتى دفن وكانت مدته اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما ثم ولى (ابو العساكر جيش بن خمارويه) بن احمد بن طولون لليلة بقيت من ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين بدمشق فسار الى مصر واشتمل على امور أنكرت عليه فاستوحش من عظماء الجند وتنكر لهم فخافوه ودأبوا فى الفساد فخرج متنزها الى منية الاصبغ ففر جماعة من عظماء الدولة الى المعتضد وخلعه احمد بن طغان وكان على الثغر وخلعه طغج بن جف بدمشق فوثب جيش على عمه مضر بن احمد بن طولون فقتله فوثب عليه الجيش وخلعوه وجمعوا الفقهاء والقضاة فتبرأ من بيعته وحللهم منها وكان خلعه لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين فولى ستة اشهر واثنى عشر يوما ومات فى السجن بعد أيام ثم ولى (أبو موسى هرون ابن خمارويه) يوم خلع جيش فقام طائفة من الجند وكانوا اربعة بن احمد بن طولون وكان بالاسكندرية ودعوه ووعدوه بالقيام معه فجمع جمعا كثيرا من اهل البحيرة ومن البربر وغيرهم وسار حتى نزل ظاهر فسطاط مصر فخذله القوم وخرج اليه القواد فقاتلوه وأسروه لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة اربع وثمانين وضرب ألف سوط ومائتى سوط فمات ومات المعتضد فى ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وبويع ابنه محمد المكتفى بالله وخرج القرمطى بالشام فى سنة تسعين فخرج القواد من مصر وحاربوه فهزمهم وبعث المكتفى محمد بن سليمان الكاتب فنزل حمص وبعث بالمراكب من الثغر الى سواحل مصر وأقبل الى فلسطين فخرج هارون يوم التروية سنة احدى وتسعين وسير المراكب الحربية فالتقوا بمراكب محمد بن سليمان فى تنيس فغلبوا وملك اصحاب محمد بن سليمان تنيس ودمياط فسار هرون الى العباسة ومعه اهله وأعمامه فى ضيق وجهد فتفرق عنه كثير من اصحابه وبقى فى نفر يسير وهو متشاغل باللهو فأجمع عماه شيبان وعدى ابنا احمد بن طولون على قتله فدخلا عليه وهو ثمل فقتلاه ليلة الاحد لاحدى عشرة بقيت من صفر سنة اثنتين وتسعين وسنه يومئذ اثنان وعشرون سنة فكانت ولايته ثمان سنين وثمانية اشهر وأياما ثم ولى (شيبان بن احمد بن طولون) ابو المواقيت لعشر بقين من صفر فرجع الى الفسطاط وبلغ طغج بن جف وغيره من القواد قتل هرون فأنكروه وخالفوا على شيبان وبعثوا الى محمد بن سليمان فأمنهم وحركوه على المسير الى مصر فسار حتى نزل العباسة فلقيه طغج فى ناس من القواد كثير فساروا به الى الفسطاط وأقبل اليهم عامة اصحاب شيبان فخاف حينئذ شيبان وطلب الامان فأمنه محمد بن سليمان وخرج اليه لليلة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكانت ولايته اثنى عشر يوما ودخل محمد بن سليمان يوم الخميس اول ربيع الاول فألقى النار فى القطائع ونهب اصحابه الفسطاط وكسروا السجون وأخرجوا من فيها وهجموا الدور واستباحوا الحريم وهتكوا الرعية وافتضوا الابكار وساقوا النساء وفعلوا كل قبيح من اخراج الناس من دورهم وغير ذلك وأخرج ولد أحمد بن طولون وهم عشرون انسانا واخرج قوادهم فلم يبق بمصر منهم احد يذكر وخلت منهم الديار وعفت منهم الآثار وتعطلت منهم المنازل وحل بهم الذل بعد العز والتطريد والتشريد بعد اجتماع الشمل ونضرة الملك ومساعدة الايام ثم سيق اصحاب شيبان الى محمد بن سليمان وهو راكب فذبحوا بين يديه كما تذبح الشياه وقتل من السودان سكان القطائع خلقا كثيرا فقال احمد بن محمد الحبيشى

الحمد لله اقرارا بما وهبا * قد لم بالامن شعب الحق فانشعبا
الله اصدق هذا الفتح لا كذب * فسوء عاقبة المثوى لمن كذبا
فتح به فتح الدنيا محمدها * وفرج الظلم والاظلام والكربا
لاريب رب هياج يقتضى دعة * وفى القصاص حياة تذهب الريبا
رمى الامام به عذراء غادره * فافتض عذرتها بالسيف واقتضبا
محمد بن سليمان اعزهم * نفسا واكرمهم فى الذاهبين أبا
سرى بأسد الشرى لولم يروا بشرا * اضحى عرينهم الخطى لا القضبا
جم القضاء على اليحموم حين اتوا * مثل ازابى يحمون ازبية الذأبا

ايها علوت على الايام مرتبة * اباعلى ترى من دونها الرتبا
لما اطال بنو طولون خطبتهم * من الخطوب وعافت منهم الخطبا
هارت بهارون من ذكرا الشعثه * رشيب الرعب شيبانا وقد رعبا
وكم ترى لهم من جنة انف * ومن نعيم جنى من غدرهم عطبا
فأصبحوا الاترى الامساكنهم * كانها من زمان غابر ذهبا
وقال احمد بن يعقوب
ان كنت تسأل عن جلالة ملكهم * فارتع وعج بمرابع الميدان
وانظر الى تلك القصور وما حوت * واسرح بزهرة ذلك البستان
وان اعتبرت فقيه ايضا عبرة * تنبيك كيف تصرف العصران
ياقتل هرون اجتثت اصولهم * واشبت رأس اميرهم شيبان
لم يغن عنكم بأس قيس اذا غدا * فى جحفل لجب ولا غسان
وعديه البطل الكمى وخزرج * لم ينصرا بأخيهما عدنان
زفت الى آل النبوة والهدى * وتزرقت عن شيعة الشيطان
وقال اسمعيل بن ابى هاشم
قف وقفة بقباب باب الساج * والقصر ذى الشرفات والابراج
وربوع قوم ازعجوا عن دارهم * بعد الاقامة ايما ازعاج
كانوا مصابيحا لدى ظلم الدجى * يسرى بها السارون فى الادلاج
وكان اوجههم اذا ابصرتها * من فضة بيضاء اومن عاج
كانوا ليوثا لاترام حماهم * فى كل ملحمة وكل هياج
فانظر الى آثارهم تلقى لهم * علما بكل ثنية وفجاج
وعليهم ماعشت لا ادع البكا * مع كل ذى نظر وطرف ساجى
وقال سعيد القاص
جرى دمعه مابين سحر الى نحر * ولم يجر حتى اسلمته يد الصبر
وبات وقيذا للذى خامر الحشا * يئن كما أن الاسير من الاسر
وهل يستطيع الصبر من كان ذا اسى * يبيت على جمر ويضحى على جمر
تتابع احداث يضيعن صبره * وغدر من الايام والدهر ذو غدر
اصاب على رغم الانوف وجدعها * ذوى الدين والدنيا بقاصمة الظهر
طوى زينة الدنيا ومصباح اهلها * بفقد بنى طولون والانجم الزهر
وفقد بنى طولون فى كل موطن * أمر على الاسلام فقدا من القطر
فبادوا وأضحوا بعد عز ومنعة * احاديث لا تخفى على كل ذى حجر
وكان ابو العباس احمد ماجدا * جميل المحيا لا يبيت على وتر
كأن ليالى الدهر كانت لحسنها * واشراقها فى عصره ليلة القدر
يدل على فضل ابن طولون همة * محلقة بين السماكين والغفر
فان كنت تبغى شاهدا ذا عدالة * يخبر عنه بالجلى من الامر
فبالجبل الغربى خطة يشكر * له مسجد يغنى عن المنطق الهذر
يدل ذوى الالباب أن بناءه * وبانيه لاباضنين ولا الغمر
بناه بآجر وساج وعرعر * وبالمرمر المسنون والجص والصخر
بعيد مدى الاقطار سام بناؤه * وثيق المبانى من عقود ومن جدر
فسيح رحاب يحصر الطرف دونه * رقيق نسيم طيب العرف والنشر

وتنور فرعون الذى فوق قلة * على جبل عال على شاهق وعر
بنى مسجدا فيه يروق بناؤه * ويهدى به فى الليل ان ضل من يسرى
تخال سنا قنديله وضياءه * سهيلا اذا مالاح فى الليل للسفر
وعين معين الشرب عين زكية * وعين اجاج للرواة وللطهر
كأن وفود النيل فى جنباتها * تروح وتغدو بين مد الى جزر
فأرك بها مستنبطا لمعينها * من الارض من بطن عميق الى ظهر
بناء لو ان الجن جاءت بمثله * لقيل لقد جاءت بمستفظع نكر
يمر على ارض المغافر كلها * وشعبان والاحمور والحى من بشر
قبائل لانوء السحاب يمدها * ولا النيل يرويها ولا جدول يجرى
ولا تنس مارستانه واتساعه * وتوسعة الارزاق للحول والشهر
ومافيه من قوامه وكفاته * ورفقهم بالمعتفين ذوى الفقر
فللميت المقبور حسن جهازه * وللحى رفق فى علاج وفى جبر
وان جئت رأس الجسر فانظر تأملا * الى الحصن او فاعبر اليه على الجسر
ترى أثرا لم يبق من يستطيعه * من الناس فى بدو البلاد ولا حضر
مآثر لا تبلى وان باد أهلها * ومجد يؤدى وارثيه الى الفخر
لقد ضمن القبر المقدر ذرعه * اجل اذا ماقيس من قبتى حجر
وقام ابو الجيش ابنه بعد موته * كما قام ليث الغاب فى الاسل السمر
أتته المنايا وهو فى أمن داره * فأصبح مسلوبا من النهى والامر
كذلك الليالى من اعارته بهجة * فيالك من ناب حديد ومن ظفر
وورث هرون ابنه تاج ملكه * كذلك ابو الاشبال ذو الناب والهصر
وقد كان جيش قبله فى محله * ولكن جيشا كان مستقصر العمر
فقام بأمر الملك هارون مدة * على كظظ من ضيق باع ومن حصر
ومازال حتى زال والدهر كاشح * عقاربه من كل ناحية تسرى
تذكرتهم لما مضوا واتتابعوا * كما ارفض سلك من جمان ومن شذر
فمن يبك شيأ ضاع من بعد أهله * لفقدهم فليبك حزنا على مصر
ليبك بنى طولون اذ بان عصرهم * فبورك من دهر وبورك من عصر

وقال ايضا

من لم ير الهدم للميدان لم يره * تبارك الله ما اعلى واقدره
لو ان عين الذى انشاه تبصره * والحادثات تعاديه لاكبره
كانت عيون الورى تعشو لهيبته * اذا اضاف اليه الملك عسكره
أين الملوك التى كانت تحل به * واين من كان بالانفاذ دبره
واين من كان يحميه ويحرسه * من كل ليث يهاب الليث منظره
صاح الزمان بمن فيه ففرقهم * وحط ريب البلى فيه فدعثره
وأخلق الدهر منه حسن جدته * مثل الكتاب محا العصران اسطره
دكت مناظره واجتث جوسقه * كانما الخسف فاجاه فدمره
او هب اعصار نار فى جوانبه * فعاد معروفه للعين منكره
كم كان يأوى اليه فى مقاصره * احوى اغن غضيض الطرف احوره
كم كان فيه لهم من مشرب غدق * فغب صرف الردى فيه فكدره
اين ابن طولون بانيه وساكنه * اماته الملك الاعلى فأقبره

ما أوضح الامر لو صحت لنا فكر * طوبى لمن خصه رشد فذكره

وقال احمد بن اسحق الجفر

واذا ما اردت اعجوبة الدهر تراها فانظر الى الميدان
تنظر البين والهموم وانوا عا توالت به من الاشجان
يعلم العالم المبصر أن الدهر فيما يراه ذو ألوان
اين ما فيه من نعيم ومن عيش رخى ونضرة وحسان
اين ذاك المسك الذى ديف بالعنبر بحتا وعل بالزعفران
اين ذاك الخز المضاعف والوشى وما استخلصوا من الكتان
اين تلك القيان تشدو على العرس بما استحسنوا من الالحان
حوز الدهر آل طولون فى هوة تقر مسكونها غيردان
واعاض الميدان من بعد أهليه ذئابا تعوى بتلك المغانى

ثم امر الحسين بن احمد المادرانى متولى خراج مصر بهدم الديوان فابتدئ فى هدمه فى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائتين وبيعت أنقاضه ودثر كانه لم يكن * فقال محمد بن طسويه

وكان الميدان ثكلى اصيبت * بحبيب قد ضاع ليلة عرس
تتغشى الرياح منه محلا * كان للصون فى ستور الدمقس
وبفرش الاضريج والبسط الديباج فى نعمة وفى لين لمس
ووجوه من الوجوه حسان * وخدود مثل اللآلئ ملس
كل نجلاء كالغزال وبخلا * ورداح من بين حور ولعس
آل طولون كنتم زينة الارض فأضحى الجديد أهدام لبس

وقال ابن ابى هاشم

يا منزلا لبنى طولون قد دثرا * سقاك صرف الغوادى القطر والمطرا
يا منزلا صرت اجفوه وأهجره * وكان يعدل عندى السمع والبصرا
بالله عندك علم من احبتنا * ام هل سمعت لهم من بعدنا خبرا

وقال

ألا فاسأل الميدان ثم اسأل الجبل * عن الملك الماضى ابن طولون ما فعل
وعن ابنه العباس ان كنت سائلا * وأين ابو الجيش القصافصة البطل
وجيش وهارون الذى قام بعده * وشيبان بالامس الذى خانه الامل
ومن قبله اردى ربيعة يومه * وكان هزبرا لايطاق اذا احل
واين ذراريهم واين جموعهم * وكيف تقضى عنهم الملك فاضمحل
واين بناء القصر والجوسق الذى * عهدناه معمور الفناء له زجل
لقد ملكوه برهة من زماننا * بدولتهم ثم انقضوا بانقضا الدول
فما منهم خلق يحس ولا يرى * بذكر طوال الدهر لما انقضى الاجل
وصاروا احاديثا لمن جاء بعدهم * وكان بهم فى ملكهم يضرب المثل

وقال

قف وقفة وانظر الى الميدان * والقصر ذى الشرفات والايوان
والجوسق العالى المنيف بناؤه * ما باله قفر من السكان
اين الذين لهوا به وعنوا به * زمنا مع القينات والنسوان
يجبى الخراج اليهم فى دارهم * لايرهبون غوائل الحدثان
جمعوا الجموع مع الجموع فأكثروا * واستأثروا بالروم والسودان

فانظر الى ماشيدوا من بعدهم * هل فيه غير البوم والغربان
اين الاولى حفروا العيون بأرضه * وتأنقوا فيه وفى البنيان
غرسوا صنوف النخل فى ساحاته * وغرائب الاعناب والرمان
والزعفران مع البهار بأرضه * والورد بين الآس والريحان
كانوا ملوك الارض فى ايامهم * كبراء كل مدينة ومكان
فتمزقوا وتفرقوا فهنالك هم * تحت الثرى يبلون فى الاكفان
الا اغيلمة اسارى بعدهم * فى دار مضيعة ودار هوان
متلذذين بأسرهم قد شردوا * ونفوا عن الاهلين والاوطان
والله وارث كل حى بعدهم * وله البقاء وكل شئ فان

وقال

ان فى قبة الهوا * لذى اللب معتبر * والقصور المشيدا * ت مع الدور والحجر
والبساتين والمجا * لس والبيت والزهر * والجوارى المغنيا * ت ذوى الدل والخفر
يتبخترن فى الحرير * وفى الوشى والحبر * وملوك عبيدهم * عدد الشوك والشجر
وجيوش مؤيدو * ن لدى الباس بالظفر * من صنوف السودان والترك والروم والخزر
عمروا الارض مدة * ثم صاروا الى الحفر * واستبد الزمان من * عاش منهم فلم يذر
فهم فى الهوان والذل اسرى على خطر * وهم بعد صفو عيش من الذل فى كدر
يال طولون مالكم * صرتم للورى سمر * يال طولون كنتم * خبرا فانقضى الخبر

وقال

مررت على الميدان معتبرا به * فناديته اين الجبال الشوامخ
خمار وعباس واحمد قبلهم * وأين ترى شبانهم والمشايخ
وأين ذرارى آل طولون بعدهم * أمافيك منهم ايها الربع صارخ
وأين ثياب الخز والوشى والحلى * وأربابها ام اين تلك المطابخ
وأين قنات المسك والعنبر الذى * عنيت به دهرا وتلك اللطائخ
لقد غالك الدهر الخؤون بصرفه * فأصبحت مخطا وغيرك باذخ

وقال

مررت على الميدان بالامس ضاحيا * فأبصرته قفر الجناب فراعنى
فناديت فيه يال طولون مالكم * فهود فما حلق بحرف اجابنى
فأذريت عيناذات دمع غزيرة * وزحت كئيب القلب مما اصابنى
وانى عليهم مابقيت لموجع * ولست ابالى من لحانى وعابنى

وحدث محمد بن ابى يعقوب الكاتب قال لما كانت ليلة عيد الفطر من سنة اثنتين وتسعين ومائتين تذكرت ما كان فيه آل طولون فى مثل هذه الليلة من الزى الحسن بالسلاح وملونات البنود والاعلام وشهرة الثياب وكثرة الكراع وأصوات الابواق والطبول فاعترانى لذلك فكرة ونمت فى ليلتى فسمعت هاتفا يقول ذهب الملك والتملك والزينة لما مضى بنو طولون وقال القاضى ابو عمرو عثمان النابلسى فى كتاب حسن السيرة فى اتخاذ الحصن بالجزيرة رأيت كتابا قدر اثنتى عشرة كراسة مضمونه فهرست شعراء الميدان الذى لاحمد بن طولون قال فاذا كانت اسماء الشعراء فى ثنتى عشرة كراسة كم يكون شعرهم مع أنه لم يوجد من ذلك الآن ديوان واحد وقال ابو الخطاب بن دحية فى كتاب النبراس وخربت قطائع احمد بن طولون يعنى فى الشدة العظمى زمن الخليفة المستنصر وهلك جميع من كان بها من الساكنين وكانت نيفا على مائة ألف دار نزهة للناظرين محدقة بالجنان والبساتين والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(ذكر من ولى مصر من الامراء بعد خراب القطائع الى أن بنيت قاهرة المعز على يد القائد جوهر)

وكان اول من ولى مصر بعد زوال دولة بنى طولون وخراب القطائع (محمد بن سليمان الكاتب) كاتب لؤلؤ غلام احمد بن طولون دخل مصر يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين ودعا على المنبر لامير المؤمنين المكتفى بالله وحده وجعل أباعلى الحسين بن احمد المادرانى على الخراج عوضا عن احمد بن على المادرانى ثم ورد كتاب المكتفى بولاية (عيسى بن محمد) النوشرى ابى موسى فولى على الصلات ودخل خليفته لاربع عشرة خلت من جمادى الاولى فتسلم الشرطتين وسائر الاعمال ثم قدم عيسى لسبع خلون من جمادى الآخرة وخرج محمد بن سليمان مستهل رجب وكان مقامه بمصر أربعة اشهر فأخرج كل من بقى من الطولونية فلما بلغوا دمشق اختنس عنهم محمد بن على الخليج فى جمع كثير ممن كره مفارقة مصر من القوّاد فعقدوا له عليهم وبايعوه بالامرة فى شعبان ورجع الى مصر فبعث اليه النوشرى بجيش اول رمضان وقد دخل ارض مصر ثم خرج اليه النوشرى وعسكر بباب المدينة اول ذى القعدة وسار الى العباسة ثم رجع لثلاث عشرة خلت منه وخرج الى الجيزة من غده واحرق الجسرين وسار يريد الاسكندرية ففرّ عنه طائفة الى ابن الخليج فبعث اليه بجيش فهزمه وسار الى الصعيد ودخل (محمد بن الخليج) الفسطاط لاربع عشرة بقيت من ذى القعدة فوضع العطاء وفرض الفروض وقدم ابو الاعز من قبل المكتفى فى طلب ابن الخليج فخرج اليه لثلاث خلون من المحرم سنة ثلاث وتسعين وحاربه فانهزم منه ابو الاعز وأسر من اصحابه جمعا كثيرا وعاد لثمان بقين منه فقدم فاتك المعتضدى من بغداد فى البرّ فعسكر وقدم دميانة فى المراكب فنزل فاتك النويرة فخرج ابن الخليج وعسكر بباب المدينة وقام فى الليل بأربعة آلاف من اصحابه ليبيت فاتكا فأضلوا الطريق وأصبحوا قبل أن يبلغوا النويرة فعلم بهم فاتك فنهض بأصحابه وحارب ابن الخليج فانهزم عنه اصحابه وثبت فى طائفة ثم انهزم الى الفسطاط لثلاث خلون من رجب فاستتر ودخل دميانة فى مراكب الثغور وأقبل عيسى النوشرى ومعه الحسين المادرانى ومن كان معهما لخمس خلون منه فعاد النوشرى الى ما كان عليه من صلاتها والمادرانى الى ماكان عليه من الخراج وعرف النوشرى بمكان ابن الخليج فهجم عليه وقيده لست خلون من رجب وكانت مدة ابن الخليج بمصر سبعة اشهر وعشرين يوما ودخل فاتك فى عسكره الى الفسطاط لعشر خلون من رجب فأخرج ابن الخليج فى البحر لست خلون من شعبان فلما قدم بغداد طيف به وبأصحابه وهم ثلاثون نفرا فكان يوما مذكورا وابتدئ فى هدم ميدان بنى طولون فى شهر رمضان وبيعت انقاضه وخرج فاتك الى العراق للنصف من جمادى الاولى سنة اربع وتسعين وامر النوشرى بنفى المؤنثين ومنع النوح والنداء على الجنائز وامر باغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلاتين ثم امر بفتحه بعد ايام ومات المكتفى فى ذى القعدة سنة خمس وتسعين فشغب الجند بمصر وحاربوا النوشرى على طلب مال البيعة فظفر بجماعة منهم وبويع جعفر المقتدر فأقرّ النوشرى على الصلات وقدم زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب امير افريقية مهزوما من ابى عبد الله الشيعى فى رمضان سنة ست وتسعين الى الجيزة فمنعه النوشرى من العبور وكانت بين اصحابه وبين جند مصر منافسة ثم اذن له أن يعبر وحده ومات النوشرى لاربع بقين من شعبان سنة سبع وتسعين وهو وال فكانت ولايته خمس سنين وشهرين ونصفا منها مدة ابن الخليج سبعة اشهر وعشرون يوما وقام من بعده ابنه ابو الفتح محمد بن عيسى ثم ولى (تكين الخزرى ابو منصور) من قبل المقتدر على الصلات فدعى له بها يوم الجمعة لاحدى عشرة خلت من شوّال وقدم خليفته لسبع بقين منه ثم قدم تكين لليلتين خلتا من ذى الحجة وتقدم اليه بالجد فى أمر المغرب والاحتراس منه فبعث جيشا الى برقة عليه ابو اليمن فحاربه حباسة بن يوسف بعساكر المهدى عبيد الله الفاطمى صاحب افريقية واستولى على برقة وسار الى الاسكندرية فى زيادة على مائة ألف فدخلها فى المحرم سنة اثنتين وثلثمائة فقدمت الجيوش من العراق مددا لتكين فى صفر وقدم الحسين المادرانى واحمد بن كيغلغ فى جمع من القوّاد وبرزت العساكر الى الجيزة فى جمادى الاولى وخرج تكين فكانت واقعة حباسة قتل فيها آلاف من الناس وعاد حباسة الى المغرب وقدم مونس الخادم من بغداد فى جيوشه للنصف من رمضان ومعه جمع من الامراء فنزل الحمراء ولقى الناس منهم شدائد وخرج ابن كيغلغ الى الشام فى رمضان وصرف تكين لاربع عشرة خلت من ذى القعدة صرفه مؤنس فخرج لسبع خلون من

ذى الحجة وأقام مونس يدعى ويخاطب بالاستاذ ثم ولى (ذكا الرومى) ابو الحسن الاعور من قبل المقتدر على الصلات فدخل لثنتى عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلثمائة وخرج مونس بجميع جيوشه لثمان خلون من ربيع الآخر وخرج ذكا الى الاسكندرية فى المحرّم سنة اربع وثلثمائة ثم عاد فى ثامن ربيع الاوّل وتتبع كل من يومأ اليه بمكاتبة المهدى صاحب افريقية فسجن منهم وقطع ايدى اناس وارجلهم وجلا اهل لوبية ومراقية الى الاسكندرية خوفا من صاحب برقة وسير العساكر الى الاسكندرية ثم فسد ما بينه وبين الرعية بسبب سب الصحابة رضى الله عنهم وسب القرءان وقدمت عساكر المهدى صاحب افريقية الى لوبية ومراقية عليها ابو القاسم فدخل الاسكندرية ثامن صفر سنة سبع وثلثمائة وفرّ الناس من مصر الى الشام فى البرّ والبحر فهلك اكثرهم وأخرج ذكا الجند المخالفون له فعسكر بالجيزة وقدم ابو الحسن بن احمد المادرانى والياً على الخراج فوضع العطاء وجدّ ذكا فى أمر الحرب واحتفر خندقا على عسكره بالجيزة فمرض ومات لاحدى عشرة خلت من ربيع الاوّل بالجيزة فكانت امرته اربع سنين وشهرا فولى (تكين) مرّة ثانية من قبل المقتدر وقدمت جيوش العراق عليها محمود بن حمل وابراهيم بن كيغلغ فى ربيع الاوّل ودخل تكين لاحدى عشرة خلت من شعبان فنزل الجيزة وحفر خندقا ثانيا وأقبلت مراكب المغرب فظفر بها فى شوّال وقدم مونس الخادم من بغداد بعساكره لخمس خلون من المحرّم سنة ثمان وثلثمائة فنزل الجيزة وكان فى نحو ثلاثة آلاف وسير ابن كيغلغ الى الاشمونين فمات بالبهنساء اول ذى القعدة وملك اصحاب المهدى الفيوم وجزيرة الاشمونين فقدم جنى الخادم من بغداد فى عسكر آخر ذى الحجة فعسكر بالجيزة فكانت حروب مع اصحاب المهدى بالفيوم والاسكندرية ورجع ابو القاسم بن المهدى الى برقة وصرف تكين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاوّل سنة تسع وثلثمائة فولى مونس (أبا قابوس محمود بن حمل) فأقام ثلاثة ايام وعزله ورد تكين لخمس بقين من ربيع الاوّل ثم صرفه بعد أربعة ايام وأخرجه الى الشام فى اربعة آلاف من اهل الديوان ثم ولى (هلال ابن بدر) من قبل المقتدر على الصلات فدخل لست خلون من ربيع الآخر وخرج مونس لثمان عشرة خلت منه ومعه ابن حمل فشغب الجند على هلال وخرجوا الى منية الاصبغ ومعهم محمد بن طاهر صاحب الشرط فكثر النهب والقتل والفساد بمصر الى أن صرف عنها فى ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلثمائة وخرج فى نفر من اصحابه فولى (احمد بن كيغلغ) من قبل المقتدر على الصلات وقدم ابنه ابو العباس خليفة له اول جمادى الاولى ثم قدم ومعه محمد بن الحسين بن عبد الوهاب المادرانى على الخراج فى رجب فأحضرا الجند ووضعا العطاء وأسقطا كثيرا من الرجالة وكان ذلك بمنية الاصبغ فثار الرجالة به ففرّ الى فاقوس وأدخل المادرانى الى المدينة لثمان خلون من شوّال وأقام ابن كيغلغ بفاقوس الى أن صرف بقدوم رسول تكين فى ثالث ذى القعدة فولى (تكين) المرّة الثالثة من قبل المقتدر على الصلات وخلفه ابن منجور الى أن قدم يوم عاشوراء سنة اثنتى عشرة وثلثمائة فأسقط كثيرا من الرجالة وكانوا اهل الشرّ والنهب ونادى ببراءة الذمّة ممن أقام منهم بالفسطاط وصلى الجمعة فى دار الامارة بالعسكر وترك حضور الجمعة فى مسجد العسكر والمسجد الجامع العتيق فى سنة سبع عشرة ولم يصلّ قبله أحد من الامراء فى دار الامارة الجمعة ثم قتل المقتدر فى شوّال سنة عشرين وبويع ابو منصور القاهر بالله فأقرّ تكين حتى مات فى سادس عشر ربيع الاوّل سنة احدى وعشرين وثلثمائة فحمل الى بيت المقدس وكانت امرته هذه تسع سنين وشهرين وخمسة ايام فقام ابنه محمد بن تكين موضعه وقام ابو بكر محمد بن على المادرانى بأمر البلد كله ونظر فى اعماله فشغب الجند عليه فى طلب أرزاقهم وأحرقوا دوره ودور أهله فخرج ابن تكين الى منية الاصبغ فبعث اليه المادرانى يأمره بالخروج من أرض مصر وعسكر بباب المدينة وأقام هنالك بعد ما رحل ابن تكين الى سلخ ربيع الاوّل فلحق ابن تكين بدمشق ثم أقبل يريد مصر فمنعه المادرانى ثم ولى (محمد بن طغج) بن جف الفرغانى ابو بكر من قبل القاهر بالله على الصلات فورد كتابه لسبع خلون من رمضان سنة احدى وعشرين ودعى له وهو بدمشق مدة اثنين وثلاثين يوما الى أن قدم رسول (احمد بن كيغلغ) بولايته الثانية من قبل القاهر بالله لتسع خلون من شوّال واستخلف أبا الفتح بن عيسى النوشرى فشغب الجند فى أرزاقهم على المادرانى صاحب الخراج فاستتر منهم فأحرقوا دوره ودور اهله وكانت فتن قتل فيها جماعة الى أن أتاهم محمد بن تكين من فلسطين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاوّل سنة اثنتين

وعشرين فأنكر المادرانى ولايته وتعصب له طائفة ودعى له بالامارة وخرج قوم الى الصعيد فيهم ابن النوشرى
فأمروه عليهم وهم على الدعاء لابن كيغلغ فنزل منية الاصبغ لثلاث خلون من رجب فلحق به كثير من
اصحاب تكين ففر ابن تكين ليلا ودخل ابن كيغلغ المدينة لست خلون منه وكان مقام ابن تكين بالفسطاط مائة
يوم واثنى عشر يوما وخلع القاهر وبويع ابو العباس الراضى بالله فعاد ابن تكين وأظهر أن الراضى ولاه فخرج اليه
العسكر وحاربوه فيما بين بلبيس وفاقوس فانهزم وجىء به الى المدينة فحمل الى الصعيد فورد الخبر بأن محمد بن
طغج سار الى مصر بولاية الراضى له فبعث اليه ابن كيغلغ بجيش ليمنعوه من دخول الفرما فأقبلت مراكب ابن
طغج الى تنيس وسارت مقدمته فى البر وكانت بينهما حروب فى تاسع عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين كانت
لاصحاب ابن طغج وأقبلت مراكبه الى الفسطاط سلخ شعبان واقبل فعسكر ابن كيغلغ للنصف من رمضان
ولاقاه لسبع بقين منه فسلم ابن كيغلغ الى محمد بن طغج من غير قتال وولى (محمد بن طغج) الثانية من قبل
الراضى على الصلات والخراج فدخل لست بقين من رمضان وقدم ابو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن فرات
بالخلع لمحمد بن طغج وكانت حروب مع اصحاب ابن كيغلغ انهزموا منها الى برقة وساروا الى القائم بأمر الله محمد بن
المهدى بالمغرب فحرضوه على أخذ مصر فجهز جيشا سار الى مصر فبعث ابن طغج عسكره الى الاسكندرية
والصعيد ثم ورد الكتاب من بغداد بالزيادة فى اسم الامير محمد بن طغج فلقب الاخشيد ودعى له بذلك على المنبر فى
رمضان سنة سبع وعشرين وسار محمد بن رائق الى الشامات ثم سار فى المحرم سنة ثمان وعشرين واستخلف أخاه
الحسن بن طغج فنزل الفرما وابن رائق بالرملة فسفر بينهما الحسن بن طاهر بن يحيى العلوى فى الصلح حتى تم وعاد
الى الفسطاط مستهل جمادى الاولى ثم أقبل ابن رائق من دمشق فى شعبان فسير اليه الاخشيد الجيوش ثم
خرج لست عشرة خلت من شعبان والتقيا للنصف من رمضان بالعريش فكانت بينهما وقعة عظيمة انكسرت
فيها ميسرة الاخشيد ثم حمل بنفسه فهزم أصحاب ابن رائق وأسر كثيرا منهم وأثخنهم قتلا وأسرا ومضى ابن رائق
فقتل الحسين بن طغج باللجون ودخل الاخشيد الرملة بخمسمائة اسير فتداعى ابن طغج وابن رائق الى الصلح
فمضى ابن رائق الى دمشق على صلح وقدم الاخشيد محمد بن طغج الى مصر لثلاث خلون من المحرم سنة تسع
وعشرين ومات الراضى بالله وبويع المتقى لله ابراهيم فى شعبان فأقر الاخشيد وقتل محمد بن رائق بالموصل قتله بنو
حمدان فى شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة فبعث الاخشيد بجيوشه الى الشام ثم سار لست خلون من شوال واستخلف
أخاه أبا المظفر الحسن بن طغج ودخل دمشق ثم عاد لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين
فنزل البستان الذى يعرف اليوم بالكافورى من القاهرة ثم دخل داره وأخذ البيعة لابنه ابى القاسم اونوجور
على جميع القواد آخر ذى القعدة وسار المتقى لله الى بلاد الشام ومعه بنو حمدان فسار الاخشيد لثمان خلون
من رجب سنة اثنتين وثلاثين واستخلف أخاه الحسن فلقى المتقى ثم رجع فنزل البستان لاربع خلون من جمادى
الاولى سنة ثلاث وثلاثين وخلع المتقى وبويع عبد الله المستكفى لسبع خلون من جمادى الآخرة فأقر الاخشيد
وبعث الاخشيد بجانك وكافور فى الجيوش الى الشام ثم خرج لخمس خلون من شعبان سنة ست وثلاثين
واستخلف اخاه الحسن فلقى على بن عبد الله بن حمدان بأرض قنسرين وحاربه ومضى فأخذ منه حلب وخلع
المستكفى ودعى للمطيع لله الفضل بن جعفر فى شوال سنة اربع وثلاثين فاقر الاخشيد الى أن مات بدمشق
يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجة فولى بعده ابنه (اونوجور) ابو القاسم باستخلافه اياه وقبض على ابى بكر
محمد بن على بن مقاتل فى ثالث المحرم سنة خمس وثلاثين وجعل مكانه على الخراج محمد بن على المادرانى وقدم
العسكر من الشام اول صفر فلم يزل اونوجور واليا الى أن مات لسبع خلون من ذى القعدة سنة سبع واربعين
وثلثمائة وحمل الى القدس فدفن عند أبيه وكان كافور متحكما فى أيامه ويطلق له فى السنة اربعمائة الف دينار فلما
مات قوى كافور وكانت ولايته أربع عشرة سنة وعشرة اشهر فأقام كافور أخاه (على بن الاخشيد)
أبا الحسن لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة فاقره المطيع لله على الحرب والخراج بمصر والشام والحرمين
وصار خليفته على ذلك كافور غلام أبيه وأطلق له ما كان يطلق لاخيه فى كل سنة وفى سنة احدى وخمسين
ترفع السعر واضطربت الاسكندرية والبحيرة بسبب المغاربة الواردين اليها وتزايد الغلاء وعز وجود القمح
وقدم القرمطى الى الشام فى سنة ثلاث وخمسين وقل ماء النيل ونهبت ضياع مصر وتزايد الغلاء وسار

ملك النوبة الى اسوان ووصل الى اخميم فقتل ونهب وأحرق واشتد اضطراب الاعمال وفسد ما بين كافور وبين علي بن الاخشيد فمنع كافور من الاجتماع به واعتل علي بعد ذلك علة أخيه ومات لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلثمائة فحمل الى القدس وبقيت مصر بغير أمير أياما ولم يدع بها الا للمطيع لله وحده وكافور يدبر أمورها ومعه ابو الفضل جعفر بن الفرات ثم ولى (كافور) الخصي الاسود مولى الاخشيد من قبل المطيع على الحرب والخراج وجميع امور مصر والشام والحرمين فلم يغير لقبه وانما كان يدعى ويخاطب بالاستاذ وأخرج كتاب المطيع بولايته لاربع بقين من المحرم سنة خمس وخمسين فلم يزل الى أن توفى لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة فولى (احمد بن علي الاخشيد ابو الفوارس) وسنه احدى عشرة سنة في يوم وفاة كافور وجعل الحسين بن عبيد الله بن طغج يخلفه وأبو الفضل جعفر بن الفرات يدبر الامور ويمول الاخشيدي العساكر الى أن قدم جوهر القائد من المغرب بجيوش المعز لدين الله في سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ففر الحسين بن عبيد الله وتسلم جوهر البلاد كما سيأتى ان شاء الله تعالى فكانت مدة الدعاء لبني العباس بمصر منذ ابتدئت دولتهم الى أن قدم القائد جوهر الى مصر مائتى سنة وخمسا وعشرين سنة ومدة الدولة الاخشيدية بها اربعا وثلاثين سنة وعشرة اشهر وأربعة وعشرين يوما ومنذ افتتحت مصر الى أن انتقل كرسي الامارة منها الى القاهرة ثلثمائة سنة وسبع وثلاثون سنة وأشهر والله تعالى أعلم

(ذكر ما كانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة العمارة)

قال ابن يونس عن الليث بن سعد ان حكيم بن ابى راشد حدثه عن ابى سلمة بن عبد الرحمن أنه وقف على جزار فسأله عن السعر فقال بأربعة أفلس الرطل فقال له ابو سلمة هل لك أن تعطينا بهذا السعر ما بدا لنا ويبدو لك قال نعم فأخذ منه ابو سلمة ومر في القصبة حتى اذا أراد أن يوفيه قال بعثنى بدينار ثم قال اصرفه فلوسا ثم وفه وقال الشريف ابو عبد الله محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتاب النقط على الخطط سمعت الامير تأييد الدولة تميم بن محمد المعروف بالضمضام يقول في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وحدثني القاضي ابو الحسين علي بن الحسين الخلعي عن القاضي أبي عبد الله القضاعي قال كان في مصر الفسطاط من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد وثمانية آلاف شارع مسلوك وألف ومائة وسبعون حماما وان حمام جنادة في القرافة ما كان يتوصل اليها الا بعد عناء من الزحام وان قبالتها في كل يوم جمعة خمسمائة درهم * وقال القاضي ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي في كتاب الخطط انه طلب لقطر الندى ابنة خمارويه بن احمد بن طولون الف تكة بعشرة آلاف دينار من أثمان كل تكة بعشرة دنانير فوجدت في السوق في ايسر وقت وبأهون سعي وذكر عن القاضي ابي عبيد أنه لما صرف عن قضاء مصر كان في المودع مائة ألف دينار وان فائقا مولى احمد بن طولون اشترى دارا بعشرين ألف دينار وسلم الثمن الى البائعين وأجلهم شهرين فلما انقضى الاجل سمع فائق صياحا عظيما وبكاء فسأل عن ذلك فقيل هم الذين باعوا الدار فدعاهم وسألهم عن ذلك فقالوا انما نبكي على جوارك فأطرق وأمر بالكتب فردت عليهم ووهب لهم الثمن وركب الى احمد بن طولون فأخبره فاستصوب رأيه واستحسن فعله ويقال انه كان لفائق ثلثمائة فرشة كل فرشة لحظية مثمنة وان دار الحرم بناها خمارويه لحرمه وكان ابوه اشتراها له فقام عليه الثمن وأجرة الصناع والبناء بسبعمائة الف دينار وان عبد الله بن احمد بن طباطبا الحسيني دخل الجامع فلم يجد مكانا في الصف الاول فوقف في الصف الثاني فالتفت ابو حفص بن الجلاب فلما رآه تأخر وتقدم الشريف مكانه فكافأه على ذلك بنعمة حملها اليه ودار ابتاعها له ونقل اهله اليها بعد أن كساهم وحلاهم وذكر غير القضاعي أنه دفع اليه خمسمائة دينار قال ويقال انه اهدى الى ابي جعفر الطحاوي كتبا قيمتها ألف دينار وان رشيقا الاخشيدي استحجبه ابو بكر محمد بن علي المادرانى فلما مضت عليه سنة رفع فيه أنه كسب عشرة آلاف دينار فخاطبه في ذلك فحلف بالايمان الغليظة على بطلان ذلك فأقسم ابو بكر المادرانى بمثل ما أقسم به لئن خرجت سنتنا هذه ولم تكسب هذه الجملة لا تصحبنى ولم يزل في صحبته الى أن صودر ابو بكر فأخذ منه ومن رشيق مال جزيل وذكر أن الحسن بن ابي المهاجر موسى بن اسمعيل بن عبد الحميد بن بحر بن سعد كان

على البريد فى زمن احمد بن طولون وقتله خمارويه وسبب ذلك ما كان فى نفس علىّ بن احمد المادرانى منه فأغرى خمارويه به وقال قد بقى لا بيك مال غير الذى ذكره فى وصيته ولم يقف عليه غير ابن مهاجر فطالبه فلم يزل خمارويه بابن مهاجر الى أن وصف له موضع المال من دار خمارويه فأخرج فكان مبلغه ألف ألف دينار فسلمه الى احمد المادرانى بحمله الى داره وأقبلت توقيعات خمارويه ترد اليه بالصلات والنفقات فيخرجها من فضول اموال الضياع والمرافق وحصلت له تلك الاموال ولم يضع يده عليها الى أن قتل وصودر أبو بكر محمد بن علىّ فى ايام الاخشيد وقبضت ضياعه فعاد الى تلك الالف الف دينار مع ما سواها من ذخائره وأعراضه وعقده فما ظنك برجل ذخيرته ألف ألف دينار سوى ما ذكر عن ابى بكر محمد بن علىّ المادرانى أنه قال بعث الىّ ابو الجيش خمارويه أن اشترى له اردية وأقنعة للجوارى وعمل دعوة خلا فيها بنفسه وبهم وغدوت متعرّفا خبره فقيل لى انه طرب لما هو فيه فنثر دنانير على الجوارى والغلمان وتقدم اليهم أنّ ما سقط من ذلك فى البركة فهو لمحمد بن علىّ كاتبى فلما حضرت وبلغنى ذلك أمرت الغلمان فنزلوا فى البركة فأصعدوا الىّ منها سبعين الف دينار فما ظنك بمال نثر على اناس فتطاير منه الى بركة ماء هذا المبلغ وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب فى حلى المغرب وفى الفسطاط دار تعرف بعبد العزيز يصب فيها لمن بها فى كل يوم اربعمائة راوية ماء وحسبك من دار واحدة يحتاج اهلها فى كل يوم الى هذا القدر من الماء * وقال ابن المتوج فى كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل عن ساحل مصر ورأيت من نقل عن نقل عمن رأى الاسطال التى كانت بالطاقات المطلة على النيل وكان عددها ستة عشر ألف سطل مؤبدة ببكر وأطناب بها ترخى وتملأ اخبرنى بذلك من أثق بثقته قال وكان بالفسطاط فى جهته الشرقية حمام من بناء الروم عامرة زمن احمد بن طولون قال الراوى دخلتها فى زمن خمارويه بن احمد بن طولون وطلبت بها صانعا يخدمنى فلم اجد فيها صانعا متفرّغا لخدمتى وقيل لى ان كل صانع معه اثنان يخدمهم وثلاثة فسألت كم فيها من صانع فأخبرت أن بها سبعين صانعا قلّ من معه دون ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج قال فخرجت ولم ادخلها لعدم من يخدمنى بها ثم طفت غيرها فلم اقدر على من اجده فارغا الا بعد أربع حمامات وكان الذى خدمنى فيها نائبا فانظر رحمك الله ما اشتمل عليه هذا الخبر مع ما ذكره القضاعى من عدد الحمامات وانها ألف ومائة وسبعون حماما تعرف من ذلك كثرة ما كان بمصر من الناس هذا والسعر راخ والقمح كل خمسة ارادب بدينار وبيعت عشرة ارادب بدينار فى زمن احمد بن طولون قال ابن المتوج خطة مسجد عبد الله ادركت بها آثار دار عظيمة قيل انها كانت دار كافور الاخشيدى ويقال ان هذه الخطة تعرف بسوق العسكر وكان به مسجد الزكاة وقيل انه كان منه قصبة سوق متصلة الى جامع احمد بن طولون وأخبرنى بعض المشايخ العدول عن والده وكان من اكابر الصلحاء انه قال عددت من مسجد عبد الله الى جامع ابن طولون ثلثمائة وتسعين قدر حمص مصلوق بقصبة هذا السوق بالارض سوى المقاعد والحوانيت التى بها الحمص فتأمل اعزك الله ما فى هذا الخبر مما يدل على عظمة مصر فان هذا السوق كان خارج مدينة الفسطاط وموضعه اليوم الفضاء الذى بين كوم الجارح وبين جامع ابن طولون ومن المعروف أن الاسواق التى تكون بداخل المدينة اعظم من الاسواق التى هى خارجها ومع ذلك ففى هذا السوق من صنف واحد من المآكل هذا القدر فكم ترى تكون جملة ما فيه من سائر اصناف المآكل وقد كان اذ ذاك بمصر عشرة اسواق كلها او اكثرها اجل من هذا السوق قال ودرب السفافير بنى فيه زقاق بنى الرصاص كان به جماعة اذا عقد عندهم عقد لا يحتاجون الى غريب وكانوا هم وأولادهم نحوا من اربعين نفسا * وقال ابن زولاق فى كتاب سيرة المادرانيين ولما قدم الاستاذ مونس الخادم من بغداد الى مصر استدعى ابو علىّ الحسين بن احمد المادرانى المعروف بابى زنبور الدقاق وهو الذى نسميه اليوم الطحان وقال ان الاستاذ مونسا قد وافى ولى بمشتول قدر ستين الف اردب قمحا فخذ وافى فقم له بالوظيفة فكان يقوم له بما يحتاج اليه من دقيق حوارى مدة شهر فلما كمل الشهر قال كاتب مونس للدقاق كم لك حتى ندفعه اليك فأعلمه الخبر فقال ما احسب الاستاذ يرضى أن يكون فى ضيافة ابى علىّ وأعلم مونسا بذلك فقال انا آكل خبز حسين لا يبرح الرجل حتى يقبض ماله فمضى الدقاق وأعلم ابا زنبور فقام من فوره الى مونس فأكب على رجليه فاحتشم منه وقال والله لا اجيبك الا هذا الشهر الذى مضى ولا تعاود ثم رجع فقال للدقاق قم له بالوظيفة فى المستقبل واعمل ما يريده قال فخبزته وقد فرغ القمح ومعى الحساب وأربعمائة دينار قال ايش هذا فقلت بقية ذلك القمح

فقال اعفنى منه وتركه فتأمّل ما اشتمل عليه هذا الخبر من سعة حال كاتب من كتاب مصر كيف كان له فى قرية واحدة هذا القدر من صنف القمح وكيف صار مما يفضل عنه حتى يجعله ضيافة وكيف لم يعبأ باربعمائة دينار حتى وهبها الدقاق قمح وماذا الا من كثرة المعاش وقس عليه باقى الاحوال وقال عن ابى بكر محمد بن على المادرائى انه حج اثنتين وعشرين حجة متوالية انفق فى كل حجة مائة الف دينار وخمسين الف دينار وانه كان يخرج معه بتسعين ناقة لقبته التى يركبها وأربعمائة لجهازه ومبرته ومعه المحامل فيها احواض البقل واحواض الرياحين وكلاب الصيد وينفق على الاشراف وأولاد الصحابة ولهم عنده ديوان بأسمائهم وانه أنفق فى خمس حجات أخر ألفى ألف دينار ومائتى الف دينار وكانت جاريته تواصل معه الحج ومعها لنفسها ثلاثون ناقة لقبتها ومائة وخمسون عربيا لجهازها وأحصى ما يعطيه كل شهر لحاشيته وأهل الستر وذوى الاقدار جراية من الدقيق الحوارى فكان بضعا وثمانين ألف رطل وكان سنة القرمطى بمكة فمن جملة ماذهب له به ما تناقص ديبقى ثمن كل ثوب منها خمسون دينارا وقال مرة وهو فى عطلته أخذ منى محمد بن طفج الاخشيد عينا وعرضا يبلغ نيفا وثمانين وبيه دنانير فاستعظم من حضر ذلك فقال ابنه الذى أخذ اكثر وانا اوقفه عليه ثم قال لابيه يا مولاى اليس نكبت ثلاث مرات قال بلى قال اليس أخذت ضياعك بالشام قال نعم قال فكم ثمنها قال ألف ألف دينار قال وضياعك بمصر قال قريب منها قال وعرض وعين قال كذلك فأمر بعض الحساب بضبط ذلك فجاء ما ينيف عن ثلاثين اردبا من ذهب فانظر ما تضمنته أخبار المادرائى وقس عليها بقية احوال مصر فما كان سوى كاتب الخراج وهذه امواله كما قد رأيت وقال الشريف الجوانى ان أبا عبد الله محمد بن مفسر قاضى مصر سمع بأن المادرائى عمل فى ايامه الكعك المحشو بالسكر والقرص الصغار المسمى افطن له فأمرهم بعمل الفستق الملبس بالسكر الابيض الفانيد المطيب بالمسك وعمل منه فى اوّل الحال اشياء عوض لبه لب ذهب فى صحن واحد فضى عليه جلة وخطف قدامه فتخاطفه الحاضرون ولم يعد لعمله بل الفستق الملبس وكان قد سمع فى سيرة المادرائيين انه عمل له هذا الافطن له وفى كل واحدة خمسة دنانير ووقف استاذ على السماط فقال لاحد الجلساء افطن له وكان عمل على السماط عدة صحون من ذلك الجنس لكن ما فيه الدنانير صحن واحد فلما رمز الاستاذ لذلك الرجل بقوله افطن له واشار الى الصحن تناول ذلك الرجل منه فأصاب الذهب واعتمد عليه فحصل له جملة وراء الناس وهو اذا اكل يخرج من فمه ويجمع بيده ويحط فى حجره فتنبهوا له وتزاحموا عليه فقيل لذلك من يومئذ افطن له * وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس فى تاريخ مصر حدثنى بعض اصحابنا بتفسير رؤيا رآها غلام ابن عقيل الخشاب عجيبة فكانت حقا كما فسرت فسألت غلام ابن عقيل عنها فقال لى انا اخبرك كان ابى فى سوق الخشابين فأنفق بضاعته وورث ماله ومات فأسلمتنى امى الى ابن عقيل وكان صديقا لابى فكنت اخدمه وأفتح حانوته واكنسها ثم افرش له ما يجلس عليه فكان يجرى علىّ رزقا اتقوت به فأتى يوما فى الحانوت وقد جلس استاذى ابن عقيل فجاء ابن العسال مع رجل من أهل الريف يطلب عود خشب لطاحونة فاشترى من ابن عقيل عود طاحونة بخمسة دنانير فسمعت قوما من اهل السوق يقولون هذا ابن العسال المفسر للرؤيا عند ابن عقيل فجاء منهم قوم وقصوا عليه منامات رأوها ففسرها لهم فذكرت رؤيا رأيتها فى ليلتى فقلت له انى رأيت البارحة فى نومى كذا وكذا فقصصت عليه الرؤيا فقال لى اى وقت رأيتها من الليل فقلت انتبهت بعد رؤياى فى وقت كذا فقال لى هذه رؤيا لست افسرها الا بدنانير كثيرة فألحت عليه فقال استاذى ابن عقيل فرج عنه هذا غلام صغير فقير لا يملك شيأ فقال لست آخذ الا عشرين دينارا فقال له ابن عقيل ان قربت علينا وزنت انا لك ذلك من عندى فلم يزل به ينزله حتى قال والله لا آخذ أقل من ثمن العود الخشب خمسة دنانير فقال له ابن عقيل ان صحت الرؤيا دفعت اليك العود بلا ثمن فقال له يا خذ مثل هذا اليوم الف دينار قال استاذى فاذا لم يصح هذا فقال يكون العود عندك الى مثل هذا اليوم فان كان لم يصح أخذ ما قلت له فى ذلك اليوم فليس لى عندك شئ ولا افسر رؤيا ابدا فقال له استاذى قد أنصفت ومضت الجمعة فلما كان مثل ذلك اليوم غدوت مثل ما كنت اغدو الى دكان استاذى ففتحتها ورششتها واستلقيت على ظهرى افكر فيما قال لى ومن اين يمكن أن يصير الىّ ألف دينار فقلت لعل سقف المكان ينفرج فيسقط منه هذا المال وجعلت اجيل فكرى وانى كذلك الى ضحى اذ وقف علىّ جماعة من اعوان الخراج معهم ناس فقالوا هذه دكان ابن عقيل ثم قالوا لى قم فقلت لهم لست

ابن عقيل انا غلامه فقالوا بل انت ابنه وجبذونى فأخرجونى من الدكان فقلت الى اين فقالوا الى ديوان
الاستاذ أبى على الحسين بن احمد يعنون ابازنبور فقلت وما يصنع بى فقالوا اذا جئت سمعت كلامه وما يريده
منك وكنت بعقب علة ضعيف البدن فقلت ما اقدر أمشى فقالوا اكتر حمارا تركبه ولم يكن معى ما اكترى به
حمارا فنزعت تكة سراويلى من وسطى ودفعتها على درهمين لمن اكرانى الحمار ومضيت معهم فجاؤا بى الى دار أبى
زنبور فلما دخلت قال لى انت ابن عقيل فقلت لا يا سيدى أنا غلام فى حانوته قال أفليس تبصر قيمة الخشب قلت بلى
قال فاذهب مع هؤلاء فقوم لنا هذا الخشب فانظر بحيث لا يزيد ولا ينقص فمضيت معهم فجاؤا بى الى شط
البحر الى خشب كثير من اثل وسنط جاف وغير ذلك مما يصلح لبناء المراكب فقومته تقويم جزع حتى بلغت
قيمته ألفى دينار فقالوا لى انظر هذا الموضع الآخر فيه من الخشب ايضا فنظرت فاذا هوا كثر مما قومت بنحو
مرتين فأعجلونى ولم اضبط قيمة الخشب فردونى الى ابى زنبور فقال لى قومت الخشب كما أمرتك ففزعت فقلت
نعم فقال هات كم قومته فقلت ألفا دينار فقال انظر لا تغلط فقلت هو قيمته عندى فقال لى تخذه انت بألفى دينار
فقلت انا فقير لا املك دينارا واحدا فكيف لى بقيمته قال ألست تحسن تدبيره وبيعه فقلت بلى قال فدبره وبعه
ونحن نصبر عليك بالثمن الى أن تبيع شيأ شيأ وتؤدى ثمنه فقلت أفعل فأمر بكتاب يكتب علىّ فى الديوان
بالمال فكتب علىّ ورجعت الى الشط اعرف عدد الخشب وأوصى به الحراس فوافيت جماعة اهل سوقنا
وشيوخهم قد أتوا الى موضع الخشب فقالوا لى ايش صنعت قومت الخشب قلت نعم قالوا بكم قومته فقلت
بألفى دينار فقالوا لى وأنت تحسن تقوم لا يساوى هذا هذه القيمة فقلت لهم قد كتب علىّ كتاب فى الديوان وهو
عندى يساوى أضعاف هذا فقالوا لى اسكت لا يسمعك احد وكانوا قد قوموه قبلى لابى زنبور بألف دينار
فقال بعضهم لبعض أعطوا هذا ربحه وتسلموه أنتم فقال قائل أعطوه ربحه خمسمائة دينار فقلت لا والله لا آخذ
فقالوا قد رأى رؤيا فزيدوه فقلت لا والله لا آخذ أقل من ألف دينار قالوا فلك ألف دينار فحوّل اسمك من
الديوان نعطك اذا بعنا ألف دينار فقلت لا والله لا افعل حتى آخذ الالف دينار فى وقتى هذا فمضوا الى حوانيتهم
والى منازلهم حتى جاؤنى بألف دينار فقلت لا آخذها الا بنقد الصيرفى ومن انه فمضيت معهم الى صيرفى فى
الناحية حتى وزنوا عنده الالف دينار ونقدتها وأخذتها فشددتها فى طرف رداءى ومضيت معهم الى الديوان
وحوّلت اسماءهم مكان اسمى ووفوا حق الديوان من عندهم ورجعت وقت الظهر الى استاذى فقال لى قبضت
ألف دينار منهم فقلت نعم ببركتك وتركت الدنانير بين يديه وقلت له يا استاذ خذ ثمن العود الخشب
فقال لا والله لا آخذ منك شيأ أنت عندى مقام ابنى وجاء فى الوقت ابن العسال فدفع اليه استاذى العود
الخشب فمضى فهذا خبر رؤياى وتفسيرها فتأمل اعزك الله ما يشتمل عليه من عظم ما كانت عليه مصر وسعة
حال الديوان وكيف فضل فيه خشب يساوى الافا من الذهب ونحن اليوم فى زمن اذا احتيج فيه الى عمارة شئ
من الاماكن السلطانية بخشب اوغيره أخذ من الناس اما بغير ثمن اوبأخس القيم مع ما يصيب مالكه من
الخوف والخسارة للاعوان وكيف لما قوم هذا الخشب لم يكلف المشترى دفع المال فى الحال وفى زمننا اذا
طرحت البضاعة السلطانية على الباعة يكلفون حمل ثمنها بالسرعة حتى ان فيهم من يبيعها بأقل من نصف
ما اشتراها به ويكمل الثمن اما من ماله أويقترضه بربح وكيف لما علم اهل السوق أن الخشب بيع بدون القيمة
لم يمضوا الى الديوان ويدفعون فيه زيادة اما لقلة شره الناس اذ ذاك وتركهم الاخلاق الرذيلة من الحسد
ونحوه اولعلمهم بعدل السلطان وانه لا ينكث ما عقده وفى زمننا لو ادّعى عدوّ على عدوّه أن البضاعة التى كان
اشتراها من الديوان قيمتها اكثر مما اخذها به لقبل قوله وغرم زيادة على ما ادّعاه عدوّه من قلة القيمة جملة اخرى
لا جرم أنه تظاهر سفهاء الناس بكل رذيلة وذميمة من الاخلاق فان الملك سوق يجبى اليه ما نفق به وكيف لما علم
ابن عقيل أن غلامه استفاد على اسمه ألف دينار لم يشره الى أخذها بل دفع عنه خمسة الدنانير وما ذاك الا من
انتشار الخير فى الناس وكثرة اموالهم وسعة حال كل أحد بحسبه وطيب نفوس الكافة ولعمرى لو سمع
فى زمننا أحد من الامراء والوزراء فضلا عن الباعة أن غلاما من غلمانه أخذ على اسمه عشر هذا المبلغ
قامت قيامته وكيف اتسعت احوال الخشابين حتى وزنوا ألف دينار فى ساعة وانه ليعسر اليوم على
الخشابين أن يزنوا فى يوم مائة دينار وهذا كله من وفور غنى الناس بمصر وعظم امرهم وكثرة سعاداتهم وكان

القسطاط نحو ثلث بغداد ومقداره فرسخ على غاية العمارة والخصب والطيبة واللذة وكانت مساكن اهلها خمس طبقات وستا وسبعا وربما سكن فى الدار الواحدة المائتان من الناس وكان فيه دار عبد العزيز بن مروان يصب فيها لمن فيها فى كل يوم أربعمائة راوية ماء وكان فيها خمسة مساجد وحمامان وعدة افران يخبز بها عجين اهلها وقد قال ابو داود فى كتاب السنن شبرت قثاءة بمصر ثلاثة عشر شبرا ورأيت اترجة على بعير قطعتين قطعت وصيرت على مثل عدلين ذكره فى باب صدقة الزرع من كتاب الزكاة قلت وقد ذكر أن هذا كان فى جنان بنى سنان البصرى خارج مدينة القسطاط وكانت بحيث لم ير أبدع منها فلما قدم امير المؤمنين عبد الله المأمون بن هارون الرشيد مصر سنة سبع عشرة ومائتين رأى جنان بنى سنان هذه فأعجب بها وسأل ابراهيم بن سنان كم عليه من الخراج لجنانه فذكر أنه يحمل الى الديوان فى كل سنة عشرين ألف دينار فقال المأمون وكم ترد عليك هذه الجنان قال لا استطيع حصره الا أن ما زاد على مائة الف دينار أتصدق به ولود رهما هذا وله ولدا سمه احمد بن ابراهيم بن سنان يوصف بعلم وزهد والله تعالى اعلم

(ذكر الآثار الواردة فى خراب مصر)

روى قاسم بن اصبغ عن كعب الاحبار قال الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة والكوفة آمنة من الخراب حتى تكون الملحمة ولا يخرج الدجال حتى تفتح القسطنطينية * وعن وهب بن منبه انه قال الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية وأرمينية آمنة من الخراب حتى تخرب مصر ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يدى رجل من بنى هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من قبل الجوع والسيف وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحفرهم حتى لا يستطيعوا أن يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل العراق وخراب الابلة من قبل عدو يحفرهم مرة برا ومرة بحرا وخراب الرى من قبل الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الصين من قبل الهند وخراب اليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من قبل الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وفى رواية وخراب ارمينية من قبل الرجف والصواعق وخراب الاندلس وخراب الجزيرة من سنابك الخيل واختلاف الجيوش * وعن عبد الله بن الصامت قال ان اسرع الارضين خرابا البصرة ومصر فقيل له وما يخربهما وفيهما عيون الرجال والاموال فقال يخربهما القتل الاحمر والجوع الاغبر كأنى بالبصرة كأنها نعامة جاثمة وأما مصر فان نيلها ينضب او قال ييبس فيكون ذلك خرابها وعن الاوزاعى اذا دخل اصحاب الرايات الصفر مصر فليحفر أهل الشام أسرابا تحت الارض * وعن كعب علامة خروج المهدى الوية تقبل من قبل المغرب عليها رجل من كندة اعرج فاذا ظهر أهل المغرب على مصر فبطن الارض يومئذ خير لاهل الشام * وعن سفيان الثورى قال يخرج عنق من البربر فويل لاهل مصر وقال ابن لهيعة عن ابى الاسود عن مولى لشرحبيل بن حسنة اولعمرو بن العاص قال سمعته يوما واستقبلنا فقال ايها الك مصر اذا رميت بالقسى الاربع قوس الاندلس وقوس الحبشة وقوس الترك وقوس الروم * وعن قاسم بن اصبغ حدثنا احمد بن زهير ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة عن الشيبانى قال تهلك مصر غرقا او حرقا * وعن عبد الله بن مغلا أنه قال لابنته اذا بلغك أن الاسكندرية قد فتحت فان كان خمارك بالمغرب فلا تأخذيه حتى تلحقى بالمشرق * وذكر مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس يرفعه قال أنزل الله تعالى من الجنة الى الارض خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل عليه السلام واستودعها الجبال وأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى أصناف معايشهم وذلك قوله عز وجل وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام فرفع من الارض القرءان كله والعلم كله والحجر من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به

لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقدت اهلها خير الدنيا والدين وقال ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الحضرمى عن حيان بن الاعين عن عبد الله بن عمرو قال ان اول مصر خرابا انطابلس وقال الليث بن سعد عن يزيد بن ابى حبيب عن سالم بن أبى سالم عن عبد الله بن عمرو قال انى لاعلم السنة التى تخرجون فيها من مصر قال فقلت له ما يخرجنا منها يا أبا محمد أعدو قال لا ولكن يخرجكم منها نيلكم هذا يغور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه الكثبان من الرمل وتأكل سباع الارض حيتانه

(ذكر خراب الفسطاط)

وكان خراب مدينة فسطاط مصر سببان أحدهما الشدة العظمى التى كانت فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى والثانى حريق مصر فى وزارة شاور بن مجير السعدى *(فاما الشدة العظمى)* فان سببها أن السعر ارتفع بمصر فى سنة ست وأربعين واربعمائة وتبع الغلاء وباء فبعث الخليفة المستنصر بالله ابو تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله أبى الحسن على الى متملك الروم بقسطنطينية أن يحمل الغلال الى مصر فأطلق اربعمائة الف اردب وعزم على حملها الى مصر فأدركه أجله ومات قبل ذلك فقام فى الملك بعده امرأة وكتبت الى المستنصر تسأله أن يكون عونا لها ويمدها بعساكر مصر اذا ثار عليها أحد فأبى أن يسعفها فى طلبتها فحردت لذلك وعاقت الغلال عن المسير الى مصر فحنق المستنصر وجهز العساكر وعليها مكين الدولة الحسن بن ملهم وسارت الى اللاذقية فحاربتها بسبب نقض الهدنة وامساك الغلال عن الوصول الى مصر وامدها بالعساكر الكثيرة ونودى فى بلاد الشام بالغزو فنزل ابن ملهم قريبا من فامية وضايق اهلها وجال فى أعمال انطاكية فسبى ونهب فأخرج صاحب قسطنطينية ثمانين قطعة فى البحر فحاربها ابن ملهم عدة مرار وكانت عليه واسر هو وجماعة كثيرة فى شهر ربيع الاول منها فبعث المستنصر فى سنة سبع وأربعين ابا عبد الله القضاعى برسالة الى القسطنطينية فوافى اليها رسول طغريل السلجوقى من العراق بكتابة يأمر متملك الروم بأن يمكن الرسول من الصلاة فى جامع القسطنطينية فأذن له فى ذلك فدخل اليه وصلى فيه صلاة الجمعة وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسى فبعث القاضى القضاعى الى المستنصر يخبره بذلك فأرسل الى كنيسة قمامة بيت المقدس وقبض على جميع ما فيها وكان شيأ كثيرا من اموال النصارى ففسد من حينئذ ما بين الروم والمصريين حتى استولوا على بلاد الساحل كلها وحاصروا القاهرة كما يرد فى موضعه ان شاء الله تعالى واشتد فى هذه السنة الغلاء وكثر الوباء بمصر والقاهرة وأعمالها الى سنة اربع وخمسين وأربعمائة فحدث مع ذلك الفتنة العظيمة التى خرب بسببها اقليم مصر كله وذلك أن المستنصر لما خرج على عادته فى كل سنة على النجب مع النساء والحشم الى ارض الجب خارج القاهرة جرد بعض الاتراك سيفا وهو سكران على احد عبيد الشراء فاجتمع عليه كثير من العبيد وقتلوه فحنق لقتله الاتراك وساروا بجميعهم الى المستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان من غير رضى أمير المؤمنين فلا نرضى بذلك فتبرأ المستنصر مما جرى وأنكره فتجمع الاتراك لمحاربة العبيد وكانت بينهما حروب شديدة بناحية كوم شريك قتل فيها عدة من العبيد وانهزم من بقى منهم فشق ذلك على ام المستنصر فانها كانت السبب فى كثرة العبيد السود بمصر وذلك انها كانت جارية سوداء فأحبت الاستكثار من جنسها واشترتهم من كل مكان وعرفت رغبتها فى هذا الجنس فجلبت الناس الى مصر منهم حتى يقال انه صار فى مصر اذ ذاك زيادة على خمسين الف عبد أسود فلما كانت وقعة كوم شريك امدت العبيد بالاموال والسلاح سرا وكانت ام المستنصر قد تحكمت فى الدولة وحقدت على الاتراك وحثت على قتلهم مولاها ابا سعد التسترى فقويت العبيد لذلك حتى صار الواحد منهم يحكم بما يختار فكرهت الاتراك ذلك وكان ما ذكر فظفر بعض الاتراك يوما بشئ من المال والسلاح قد بعثت به ام المستنصر الى العبيد تمدهم به بعد انهزامهم من كوم شريك فاجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر واغلظوا فى القول فحلف انه لم يكن عنده علم بما ذكروا وصار الى امه فنكرت ما فعلت وخرج الاتراك فصار السيف قائما ووقعت الفتنة ثانيا فانتدب المستنصر أبا الفرج ابن المغربى يصلح بين الطائفتين فاصطلحا على غل وخرج العبيد الى شبرا دمنهور فكان هذا اول اختلال احوال اهل مصر ودبت عقارب العداوة بين الفئتين الى سنة تسع وخمسين فقويت شوكة الاتراك وضروا على المستنصر وزاد طمعهم

فيه وطلبوا منه الزيادة فى واجباتهم وضاقت احوال العبيد واشتدت ضرورتهم وكثرت حاجتهم وقل مال السلطان واستضعف جانبه فبعثت أم المستنصر الى قواد العبيد تغريهم بالاتراك فاجتمعوا بالجيزة وخرج اليهم الاتراك ومقدمهم ناصر الدين حسين بن حمدان فاقتتلا عدة مرار ظهر فى آخرها الاتراك على العبيد وهزموهم الى بلاد الصعيد فعاد ابن حمدان الى القاهرة وقد عظم امره وقوى جاشه وكبرت نفسه واستخف بالخليفة فجاءه الخبر أنه قد تجمع من العبيد ببلاد الصعيد نحو خمسة عشر الف فارس فقلق وبعث بقدمى الاتراك الى المستنصر فأنكر ما كان من اجتماع العبيد وجفوا فى خطابهم وفارقوه على غير رضى منهم فبعثت أم المستنصر الى من بحضرتها من العبيد تأمرهم بالايقاع على غفلة بالاتراك فهجموا عليهم وقتلوا منهم عدة فبادر ابن حمدان الى الخروج ظاهر القاهرة وتلاحق به الاتراك وبرز اليهم العبيد المقيمون بالقاهرة ومصر وحاربوهم عدة ايام فحلف ابن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه حتى ينفصل الامر اماله أو عليه وجد كل من الفريقين فى القتال فظهرت الاتراك على العبيد وأثخنوا فى قتلهم وأسرهم فعادوا الى القاهرة وتتبع ابن حمدان من فى البلد منهم حتى افنى معظمهم هذا والعبيد ببلاد الصعيد على حالهم وبالاسكندرية أيضا منهم جمع كثير فسار ابن حمدان الى الاسكندرية وحاصرهم فيها مدة حتى سألوه الامان فأخرجهم وأقام فيها من يثق به وانقضت هذه السنة كلها فى قتال العبيد ودخلت سنة ستين وأربعمائة وقد خرق الاتراك ناموس المستنصر واستهانوا به واستخفوا بقدره وصار مقررهم فى كل شهر اربعمائة الف دينار بعد ما كان ثمانية وعشرين ألف دينار ولم يبق فى الخزائن مال فبعثوا يطالبونه بالمال فاعتذر اليهم بعجزه عما طلبوه فلم يعذروه وقالوا بع ذخائرك فلم يجد بدا من اجابتهم واخرج ما كان فى القصر من الذخائر فصاروا يقومون ما يخرج اليهم بأخس القيم وأقل الاثمان ويأخذون ذلك فى واجباتهم وتجهز ابن حمدان وسار الى الصعيد يريد قتال العبيد وكانت شرورهم قد كثرت وضررهم وفسادهم قد تزايد فلقيهم وواقعهم غير مرة والاتراك تنكسر منهم وتعود الى محاربتهم الى أن حمل العبيد عليهم حملة انهزموا فيها الى الجيزة فأخشوا عند ذلك فى أمر المستنصر ونسبوه الى مباطنة العبيد وتقويتهم فأنكر ذلك وحلف عليه فأخذوا فى اصلاح شأنهم ولم شعثهم وساروا لقتال العبيد ومازالوا يلحون فى قتالهم حتى انكسرت العبيد كسرة شنيعة وقتل منهم خلق كثير وفر من بقى فذهبت شوكتهم وزالت دولتهم ورجع ابن حمدان وقد كشف قناع الحياء وجهر بالسوء للمستنصر واستبد بسلطنة البلاد ودخلت سنة احدى وستين وابن حمدان مستبد بالامر مجاف للمستنصر فثقل مكانه على الاتراك وتفرغوا من العبيد والتفتوا اليه وقد استبد بالامور دونهم واستأثر بالاموال عليهم ففسد ما بينهم وبينه وشكوا منه الى الوزير خطير الملك فأغراهم به ولامهم على ما كان من تقويته وحسن لهم الثورة به فصاروا الى المستنصر ووافقوه على ذلك فبعث الى ابن حمدان يأمره بالخروج عن مصر ويهدده ان امتنع فلم يقدر على الامتناع منه لفساد الاتراك عليه وميلهم مع المستنصر فخرج الى الجيزة وانتهب الناس دوره ودور حواشيه فلما جن عليه الليل عاد من الجيزة سرا الى دار القائد تاج الملوك شادى وترامى عليه وقبل رجليه وسأله النصرة على الذكر والوزير الخطير فانهما قاما بهذه الفتنة فأجابه الى ذلك ووعده بقتل المذكورين وفارقه ابن حمدان فلما كان من الغد ركب شادى فى اصحابه وأخذ يسير بين القصرين بالقاهرة وأقبل الوزير الخطير فى موكبه فبادره شادى على حين غفلة وقتله ففر الذكر الى القصر والتجأ بالمستنصر فلم يكن بأسرع من قدوم ابن حمدان وقد استعد للحرب فيمن معه فركب المستنصر بلامة الحرب واجتمع اليه الاجناد والعامة وصار فى عدد لا ينحصر وبرزت الفرسان فكانت بين الخليفة وابن حمدان حروب آلت الى هزيمة ابن حمدان وقتل كثير من اصحابه فمضى فى طائفة الى البحيرة وترامى على بنى سنبس وتزوج منهم فعظم الامر بالقاهرة ومصر من شدة الغلاء وقلة الاقوات لما فسد من الاعمال بكثرة النهب وقطع الطريق حتى اكل الناس الجيف والميتات ووقف ارباب الفساد فى الطريق فصاروا يقتلون من ظفروا به فى أزقة مصر فهلك من اهل مصر فى هذه الحروب والفتن ما لا يمكن حصره وامتد ذلك الى أن دخلت سنة ثلاث وستين فجهز المستنصر عساكره لقتال ابن حمدان بالبحيرة فسارت اليه ولم يوفق فى محاربته فكسرها كلها واحتوى على ما كان معها من سلاح وكراع ومال فتقوى به وقطع الميرة عن البلاد ونهب اكثر الوجه البحرى وقطع منه الخطبة للمستنصر ودعا للخليفة القائم بأمر الله العباسى بالاسكندرية ودمياط وعامة الوجه البحرى فاشتد الجوع وتزايد الموتان بالقاهرة ومصر

حتى انه كان يموت الواحد من اهل البيت فلا يمضى يوم وليلة من موته حتى يموت سائر من فى ذلك البيت ولا يوجد من يستولى عليه ومدّت الاجناد أيديهما الى النهب فخرج الامر عن الحد وتجا اهل القوة بأنفسهم من مصر وساروا الى الشام والعراق وخرج من خزائن القصر ما يجل وصفه وقد ذكر طرف من ذلك فى أخبار القاهرة عند ذكر خزائن القصر فاضطر الاجناد ما هم فيه من شدّة الجوع الى مصالحة ابن حمدان بشرط أن يقيم فى مكانه ويحمل اليه مال مقرّر وينوب عنه شادى بالقاهرة فرضى بذلك وسير الغلال الى القاهرة ومصر فسكن ما بالناس من شدّة الجوع قليلا ولم يكن ذلك الانحو شهر ووقع الاختلاف عليه فقدم من البحيرة الى مصر وحاصرها وانتهبها وأحرق دورا عديدة بالساحل ورجع الى البحيرة فدخلت سنة اربع وستين والحال على ذلك وشادى قد استبدّ بأمر الدولة وفسد ما بينه وبين ابن حمدان ومنعه من المال الذى تقرّر له وشح به عليه فلم يوصله الا القليل فجرد من ذلك ابن حمدان وجمع العربان وسار الى الجيزة وخادع شادى حتى صار اليه ليلا فى عدّة من الاكابر فقبض عليه وعليهم وبعث اصحابه فنهبوا مصر واطلقوا فيها النار فخرج اليهم عسكر المستنصر من القاهرة وهزموهم فعاد الى البحيرة وبعث رسولا الى الخليفة القائم بأمر الله ببغداد باقامة الخطبة له وسأله الخلع والتشاريف فاضمحل امر المستنصر وتلاشى ذكره وتفاقم الامر فى الشدّة من الغلاء حتى هلكوا فسار ابن حمدان الى البلد وليس فى أحد قوّة يمنعه بها فملك القاهرة وامتنع المستنصر بالقصر فسير اليه رسولا يطلب منه المال فوجده وقد ذهب سائر ما كان يعهده من ابهة الخلافة حتى جلس على حصير ولم يبق معه سوى ثلاثة من الخدم فبلغه رسالة ابن حمدان فقال المستنصر للرسول ما يكفى ناصر الدولة أن اجلس فى مثل هذا البيت على هذا الحال فبكى الرسول رقة له وعاد الى ابن حمدان فأخبره بما شاهد من اتضاع امر المستنصر وسوء حاله فكف عنه وأطلق له فى كل شهر مائة دينار وامتدّت يده وتحكم وبالغ فى اهانة المستنصر مبالغة عظيمة وقبض على امه وعاقبها اشدّ العقوبة واستصفى اموالها فحاز منها شيأ كثيرا فتفرق حينئذ عن المستنصر جميع اقاربه واولاده من الجوع فمنهم من سار الى المغرب ومنهم من سار الى الشام والعراق * قال الشريف محمد بن اسعد الجوانى النسابة فى كتاب النقط حل بمصر غلاء شديد فى خلافة المستنصر بالله فى سنة سبع وخمسين واربعمائة واقام الى سنة اربع وستين وأربعمائة وعم مع الغلاء وباء شديد فأقام ذلك سبع سنين والنيل يمدّ وينزل فلا يجد من يزرع وشمل الخوف من العسكرية وفساد العبيد فانقطعت الطرقات برا وبحرا الا بالخفارة الكثيرة مع ركوب الغرر ونزا المارقون بعضهم على بعض واستولى الجوع لعدم القوت وصار الحال الى أن بيع رغيف من الخبز الذى وزنه رطل بزقاق القناديل كبيع الطرف فى النداء بأربعة عشر درهما وبيع اردب من القمح بثمانين دينارا ثم عدم ذلك واكلت الكلاب والقطاط ثم تزايد الحال حتى اكل الناس بعضهم بعضا وكان بمصر طوائف من اهل الفساد قد سكنوا بيوتا قصيرة السقوف قريبة ممن يسعى فى الطرقات ويطوف وقد أعدوا سلبا وخطاطيف فاذا مرّ بهم أحد شالوه فى أقرب وقت ثم ضربوه بالاخشاب وشرّحوا لحمه واكلوه * قال وحدثتنى بعض نسائنا الصالحات قالت كانت لنا من الجارات امرأة ترينا افخاذها وفيها كالحفر فكنا نسألها فتقول انا ممن خطفنى اكلة الناس فى الشدّة فأخذنى انسان وكنت ذات جسم وسمن فأدخلنى الى بيت فيه سكاكين وآثار الدماء وزفرة القتلى فأضجعنى على وجهى وربط فى يدىّ ورجلىّ سلبا الى اوتاد حديد عريانة ثم شرّح من افخاذى شرائح وأنا استغيث ولا أحد يجيبنى ثم اضرم الفحم وشوى من لحمى وأكل اكلا كثيرا ثم سكر حتى وقع على جنبه لا يعرف اين هو فأخذت فى الحركة الى أن انحل أحد الاوتاد وأعان الله على الخلاص وتخلصت وحللت الرباط وأخذت خرقا من داره ولففت بها افخاذى وزحفت الى باب الدار وخرجت ازحف الى أن وقعت الى المأمن وجئت الى بيتى وعرّفتهم بموضعه فمضوا الى الوالى فكبس عليه وضرب عنقه وأقام الدواء فى أفخاذى سنة الى أن ختم الجرح وبقى كذا حفرا وبسبب هذا الغلاء خرب الفسطاط وخلا موضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلى القرافة حيث الكيمان الآن الى بركة الحبش فلما قدم امير الجيوش بدر الجمالى الى مصر وقام بتدبير أمرها نقلت أنقاض ظاهر مصر مما يلى القاهرة حيث كان العسكر والقطائع وصار فضاء وكيمانا فيما بين مصر والقاهرة وفيما بين مصر والقرافة وتراجعت أحوال الفسطاط بعد ذلك حتى قارب ما كان عليه قبل الشدّة * (وأما حريق مصر) * فكان سببه أن الفرنج لما تغلبوا على ممالك الشام واستولوا على السواحل حتى صار بايديهم ما بين ملطية

الى بلبيس الا مدينة دمشق فقط وصار أمر الوزارة بديار مصر لشاور بن مجير السعدى والخليفة يومئذ العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف اسم لا معنى له وقام فى منصب الوزارة بالقوة فى صفر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وتلقب بأمير الجيوش وأخذ أموال بنى رزيك وزراء مصر وملوكها من قبله فلما استبد بالامرة حسده ضرغام صاحب الباب وجمع جموعا كثيرة وغلب شاور على الوزارة فى شهر رمضان منها فسار شاور الى الشام واستقل ضرغام بسلطنة مصر فكان بمصر فى هذه السنة ثلاثة وزراء هم العادل بن رزيك بن طلائع بن رزيك وشاور بن مجير وضرغام فأساء ضرغام السيرة فى قتل أمراء الدولة وضعفت من اجل ذلك دولة الفاطميين بذهاب رجالها الاكابر ثم ان شاور استنجد بالسلطان نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام فأنجده وبعث معه عسكرا كثيرا فى جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وقدم عليه أسد الدين شيركوه على أن يكون لنور الدين اذا عاد شاور الى منصب الوزارة ثلث خراج مصر بعد اقطاعات العساكر وأن يكون شيركوه عنده بعساكره فى مصر ولا يتصرف الا بأمر نور الدين فخرج ضرغام بالعسكر وحاربه فى بلبيس فانهزم وعاد الى مصر فنزل شاور بمن معه عند التاج خارج القاهرة وانتشر عسكره فى البلاد وبعث ضرغام الى اهل البلاد فأتوه خوفا من الترك القادمين معه وأتته الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية فامتنعوا بالقاهرة وتطاردوا مع طلائع شاور بأرض الطبالة فنزل شاور فى المقس وحارب اهل القاهرة فغلبوه حتى ارتفع الى بركة الحبش فنزل على الرصد استولى على مدينة مصر وأقام اياما فمال الناس اليه وانحرفوا عن ضرغام لامور فنزل شاور باللوق وكانت بينه وبين ضرغام حروب آلت الى احراق الدور من باب سعادة الى باب القنطرة خارج القاهرة وقتل كثير من الفريقين واختل أمر ضرغام وانهزم فملك شاور القاهرة وقتل ضرغام آخر جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين فأخلف شيركوه ماوعد به السلطان نور الدين وأمره بالخروج عن مصر فأبى عليه واقتتلا وكان شيركوه قد بعث بابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب الى بلبيس ليجمع له الغلال وغيرها من الاموال فحشد شاور وقاتل الشاميين فجرت وقائع واحترق وجه الخليج خارج القاهرة بأسره وقطعة من حارة زويلة فبعث شاور الى الفرنج واستنجد بهم فطمعوا فى البلاد وخرج ملكهم مرى من عسقلان بجموعه فبلغ ذلك شيركوه فرحل عن القاهرة بعد طول محاصرتها ونزل بلبيس فاجتمع على قتاله بها شاور وملك الفرنج وحصروه بها وكانت اذ ذاك حصينة ذات أسوار فأقام محصورا مدة ثلاثة اشهر وبلغ ذلك نور الدين فأغار على ماقرب منه من بلاد الفرنج وأخذ ها من ايديهم فخافوه ووقع الصلح مع شيركوه على عوده الى الشام فخرج فى ذى الحجة ولحق بنور الدين فأقام وفى نفسه من مصر أمر عظيم الى أن دخلت سنة اثنتين وستين فجهزه نور الدين الى مصر فى جيش قوى فى ربيع الاول وسيره فبلغ ذلك شاور فبعث الى مرى ملك الفرنج مستنجدا به فسار بجموع الفرنج حتى نزل بلبيس فوافاه شاور وأقام حتى قدم شيركوه الى اطراف مصر فلم يطق لقاء القوم فسار حتى خرج من اطفيح الى جهة بلاد الصعيد من ناحية بحر القلزم فبلغ شاور أن شيركوه قد ملك بلاد الصعيد فقط فى يده ونهض للفور من بلبيس ومعه الفرنج فكان من حروبه مع شيركوه ما كان حتى انهزم بالاشمونين وسار منها بعد الهزيمة الى الاسكندرية فملكها وأقر بها ابن اخيه صلاح الدين وخرج الى الصعيد فخرج شاور بالفرنج وحصر الاسكندرية أشد حصار فسار شيركوه من قوص ونزل على القاهرة وحاصرها فرحل اليه شاور وكانت امور آلت الى الصلح وسار شيركوه بمن معه الى الشام فى شوال فطمع مرى فى البلاد وجعل له شحنة بالقاهرة وصارت أسوارها بيد فرسان الفرنج وتقرر لهم فى كل سنة مائة ألف دينار ثم رحل الى بلاده وترك بالقاهرة من يثق به من الفرنج وسار شيركوه الى الشام فتحكم الفرنج فى القاهرة حكما جائرا وركبوا المسلمين بالاذى العظيم وتيقنوا عجز الدولة عن مقاومتهم وانكشفت لهم عورات الناس الى أن دخلت سنة اربع وستين فجمع مرى جمعا عظيما من اجناس الفرنج وأقطعهم بلاد مصر وسار يريد أخذ مصر فبعث اليه شاور يسأله عن سبب مسيره فاعتل بأن الفرنج غلبوه على قصد ديار مصر وأنه يريد ألفى ألف دينار يرضيهم بها وسار فنزل على بلبيس وحاصرها حتى اخذها عنوة فى صفر فسبى اهلها وقصد القاهرة فسير العاضد كتبه الى نور الدين وفيها شعور نسائه وبناته يسأله انقاذ المسلمين من الفرنج وسار مرى من بلبيس فنزل على بركة الحبش وقد انضم الناس من الاعمال الى القاهرة فنادى شاور بمصر أن لا يقيم بها احد وأزعج الناس فى النقلة منها فتركوا اموالهم وأثقالهم ونجوا بأنفسهم واولادهم

وقدماج الناس واضطربوا كانما خرجوا من قبورهم الى المحشر لايعبأ والد بولده ولا يلتفت اخ الى اخيه وبلغ كراء الدابة من مصر الى القاهرة بضعة عشر دينارا وكراء الجمل الى ثلاثين دينارا ونزلوا بالقاهرة فى المساجد والحمامات والازقة وعلى الطرقات فصاروا مطروحين بعيالهم وأولادهم وقد سلبوا سائر أموالهم وينتظرون هجوم العدو على القاهرة بالسيف كما فعل بمدينة بلبيس وبعث شاور الى مصر بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار فرق ذلك فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق الى السماء فصار منظرا مهولا فاستمرت النار تأتى على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر لتمام اربعة وخمسين يوما والنهابة من العبيد ورجال الاسطول وغيرهم بهذه المنازل فى طلب الخبايا فلما وقع الحريق بمصر رحل مرى من بركة الحبش ونزل بظاهر القاهرة مما يلى باب البرقية وقاتل اهلها قتالا كثيرا حتى زلزلوا زلزالا شديدا وضعفت نفوسهم وكادوا يؤخذون عنوة فعاد شاور الى مقاتلة الفرنج وجرت امور آلت الى الصلح على مال فبيناهم فى جبايته اذ بلغ الفرنج مجىء اسد الدين شيركوه بعساكر الشام من عند السلطان نور الدين محمود فرحلوا فى سابع ربيع الآخر الى بلبيس وساروا منها الى فاقوس فصاروا الى بلادهم بالساحل ونزل شيركوه بالمقس خارج القاهرة وكان من قتل شاور واستيلاء شيركوه على مصر ما كان فمن حينئذ خربت مصر الفسطاط هذا الخراب الذى هو الآن كيمان مصر وتلاشى امرها وافتقر اهلها وذهبت اموالهم وزالت نعمهم فلما استبد شيركوه بوزارة العاضد أمر باحضار اعيان اهل مصر الذين خلوا عن ديارهم فى الفتنة وصاروا بالقاهرة وتغمم لمصابهم وسفه رأى شاور فى احراق المدينة وأمرهم بالعود اليها فشكوا اليه مابهم من الفقر والفاقة وخراب المنازل وقالوا الى اى مكان نرجع وفى اى مكان ننزل ونأوى وقد صارت كما ترى وبكوا وأبكوا فوعدهم جميلا وترفق بهم وأمر فنودى فى الناس بالرجوع الى مصر فتراجع اليها الناس قليلا قليلا وعمروا ماحول الجامع الى أن كانت المحنة من الغلاء والوباء العظيم فى سلطنة الملك العادل ابى بكر بن ايوب لسنتى خمس وست وخمسمائة فخرب من مصر جانب كبير ثم تحايا الناس بها واكثروا من العمارة بجانب مصر الغربى على شاطئ النيل لما عمر الملك الصالح نجم الدين ايوب قلعة الروضة وصار بمصر عدة آدر جليلة وأسواق ضخمة فلما كان غلاء مصر والوباء الكائن فى سلطنة الملك العادل كتبغا سنة ست وتسعين وستمائة خرب كثير من مساكن مصر وتراجع الناس بعد ذلك فى العمارة الى سنة تسع واربعين وسبعمائة فحدث الفناء الكبير الذى اقفر منه معظم دور مصر وخربت ثم تحايا الناس من بعد الوباء وصار مايحيط بالجامع العتيق وماعلى شط النيل عامرا الى سنة ست وسبعين وسبعمائة فشرقت بلاد مصر وحدث الوباء بعد الغلاء فخرب كثير من عامر مصر ولم يزل يخرب شيأ بعد شئ الى سنة تسعين وسبعمائة فعظم الخراب فى خط زقاق القناديل وخط النحاسين وشرع الناس فى هدم دور مصر وبيع أنقاضها حتى صارت على ماهى عليه الآن وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا

(ذكر ماقيل فى مدينة فسطاط مصر)

قال ابن رضوان والمدينة الكبرى اليوم بأرض مصر ذات اربعة أجزاء الفسطاط والقاهرة والجزيرة والجيزة وبعد هذه المدينة عن خط الاستواء ثلاثون درجة والجبل المقطم فى شرقيها وبينها وبين مقابر المدينة وقد قالت الاطباء ان أردأ المواضع ما كان الجبل فى شرقيه يعوق ريح الصبا عنه وأعظم اجزائها هو الفسطاط ويلى الفسطاط من الغرب النيل وعلى شط النيل الغربى اشجار طوال وقصار وأعظم أجزاء الفسطاط موضع فى غور فانه يعلوه من المشرق المقطم ومن الجنوب الشرف ومن الشمال الموضع العالى من عمل فوق اعنى الموقف والعسكر وجامع ابن طولون ومتى نظرت الى الفسطاط من الشرق اومن مكان آخر عال رأيت وضعها فى غور وقد بين ابقراط أن المواضع المتسفلة اسخن من المواضع المرتفعة وأردأ هواء لاحتقان البخار فيها ولان ماحولها من المواضع العالية يعوق تحليل الرياح لها وأزقة الفسطاط وشوارعها ضيقة وابنيتها عالية وقد قال روفس اذا دخلت مدينة فرأيتها ضيقة الازقة مرتفعة البناء فاهرب منها لانها وبيئة أراد أن البخار لايتحلل منها كما ينبغى لضيق ازلاقة وارتفاع البناء * ومن شأن اهل الفسطاط أن يرموا مايموت فى دورهم من السنانير

والكلاب ونحوهامن الحيوان الذى يخالط الناس فى شوارعهم وأزقتهم فتعفن وتخالط عفونتها الهواء ومن شأنهم ايضا أن يرموا فى النيل الذى يشربون منه فضول حيواناتهم وجيفها وخرارات كنفهم تصب فيه وربما انقطع جرى الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء وفى خلال الفسطاط مستوقدات عظيمة يصعد منها فى الهواء دخان مفرط وهى أيضا كثيرة الغبار لسخانة أرضها حتى انك ترى الهواء فى ايام الصيف كدرا يأخذ بالنفس ويتسخ الثوب النظيف فى اليوم الواحد واذا مرّ الانسان فى حاجة لم يرجع الا وقد اجتمع فى وجهه ولحيته غبار كثير ويعلوها فى العشيات خاصة فى ايام الصيف بخار كدر أسود وأغبر سيما اذا كان الهواء سليما من الرياح واذا كانت هذه الاشياء كما وصفنا فمن البين انه يصير الروح الحيوانى الذى فيها حاله كهذه الحال فيتولد اذا فى البدن من هذه الاعراض فضول كثيرة واستعدادات نحو العفن الا أنّ الف أهل الفسطاط لهذه الحال وانسهم بها يعوق عنهم اكثر شرّها وان كانوا على كل حال اسرع اهل مصر وقوعا فى الامراض وما يلى النيل من الفسطاط يجب أن يكون ارطب مما يلى الصحراء وأهل الشرق اصلح حالا لتخرق الرياح لدورهم وكذلك عمل فوق والحمراء الا أن اهل الشرف الذى يشربونه أجود لانه يستقى قبل أن تخالطه عفونة الفسطاط فأما القرافة فأجود هذه المواضع لان المقطم يعوق بخار الفسطاط من المرور بها واذا هبت ريح الشمال مرّت بأجزاء كثيرة من بخار الفسطاط والقاهرة على الشرف فغيرت حاله وظاهر أن المواضع المكشوفة فى هذه المدينة هى اصح هواء وكذلك حال المواضع المرتفعة وأردأ موضع فى المدينة الكبرى هو ما كان من الفسطاط حول الجامع العتيق الى ما يلى النيل والسواحل واذا كان فى الشتاء واول الربيع حمل من بحر الملح سمك كثير فيصل الى هذه المدينة وقد عفن وصارت له رائحة منكرة جدّا فيباع فى القاهرة ويأكله اهلها وأهل الفسطاط فيجتمع فى أبدانهم منه فضول كثيرة عفنة فلولا اعتدال امزجتهم وصحة ابدانهم فى هذا الزمان لكان ذلك يولد فى ابدانهم امراضا كثيرة قاتلة الا أن قوّة الاستقرار تعوق عن ذلك وربما انقطع النيل فى آخر الربيع وأوّل الصيف من جهة الفسطاط فيعفن بكثرة ما يلقى فيه الى أن يبلغ عفنه الى أن تصير له رائحة منكرة محسوسة وظاهر أن هذا الماء اذا صار على هذه الحال غير مزاج الناس تغيرا محسوسا قال فمن البين أن اهل هذه المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا فى الامراض من جميع اهل هذه الارض ما خلا اهل الفيوم فانها ايضا قريبة وأردأ ما فى المدينة الموضع الغائر من الفسطاط ولذلك غلب على اهلها الجبن وقلة الكرم وأنه ليس احد منهم يغيث ولا يضيف الغريب الا فى النادر وصاروا من السعاية والاغتياب على امر عظيم ولقد بلغ بهم الجبن الى أن خمسة اعوان تسوق منهم مائة رجل واكثر ويسوق الاعوان المذكورين رجل واحد من أهل البلدان الاخر وممن قد تدرّب فى الحرب فقد استبان اذا العلة والسبب فى أن صار أهل المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا فى الامراض من جميع اهل هذه الارض وأضعف انفسا ولعل لهذا السبب اختار القدماء اتخاذ المدينة فى غير هذا الموضع فمنهم من جعلها بمنف وهى مصر القديمة ومنهم من جعلها بالاسكندرية ومنهم من جعلها بغير هذه المواضع ويدل على ذلك آثارهم * وقال ابن سعيد عن كتاب الكمائم وأما فسطاط مصر فان مبانيها كانت فى القديم متصلة بمبانى مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو ابن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه ثم لما فتحها قسم المنازل على القبائل ونسبت المدينة اليه فقيل فسطاط عمرو وتداولت عليها بعد ذلك ولاة مصر فاتخذوها سريرا للسلطنة وتضاعفت عمارتها فأقبل الناس من كل جانب اليها وقصروا امانيهم عليها الى أن رسخت بها دولة بنى طولون فبنوا الى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع وبها كان مسجد ابن طولون الذى هو الآن الى جانب القاهرة وهى مدينة مستطيلة يمرّ النيل مع طولها ويحط فى ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل وجنوبه بأنواع الفوائد ولها منتزهات وهى فى الاقليم الثالث ولا ينزل فيها مطر الا فى النادر وترابها تثيره الارجل وهو قبيح اللون تتكدر منه ارجاؤها ويسوء بسببه هواؤها ولها أسواق ضخمة الا انها ضيقة ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على طبقة ومذ بنيت القاهرة ضعفت مدينة الفسطاط وفرط فى الاغتباط بها بعد الافراط وبينهما نحو ميلين وأنشد فيها الشريف العقيلى

احنّ الى الفسطاط شوقا واننى * لادعو لها أن لا يحل بها القطر

وهل فى الحيا من حاجة لجنابها * وفى كل قطر من جوانبها نهر
تبدت عروسا والمقطم تاجها * ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

* وقال عن كتاب آخر فالفسطاط هى قصبة مصر والجبل المقطم شرقيها وهو متصل بجبل الزمرذ * وقال عن كتاب ابن حوقل والفسطاط مدينة حسنة ينقسم النيل لديها وهى كبيرة نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو فرسخ على غاية العمارة والطيبة واللذة ذات رحاب فى محالها وأسواق عظام فيها ضيق ومتاجر فخام ولها ظاهر أنيق وبساتين نضرة ومنتزهات على ممر الايام خضرة وفى الفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب اليها كالبصرة والكوفة الا انها أقل من ذلك وهى سبخة الارض غير نقية التربة وتكون بها الدار سبع طبقات وستا وخمسا وربما يسكن فى الدار المائتان من الناس ومعظم بنيانهم بالطوب وأسفل دورهم غير مسكون وبها مسجدان للجمعة بنى أحدهما عمرو بن العاص فى وسط الفسطاط والآخر على الموقف بناه احمد بن طولون وكان خارج الفسطاط أبنية بناها احمد بن طولون ميلا فى ميل يسكنها جنده تعرف بالقطائع كما بنى بنو الاغلب خارج القيروان رقادة وقد خربتا فى وقتنا هذا وأخلف الله بدل القطائع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة * قال ابن سعيد ولما استقررت بالقاهرة تشوقت الى معاينة الفسطاط فسار معى احد أصحاب العزمة فرأيت عند باب زويلة من الحمير المعدة لركوب من يسير الى الفسطاط جملة عظيمة لا عهد لى بمثلها فى بلد فركب منها حمارا وأشار الى أن اركب حمارا آخر فأنفت من ذلك جريا على عادة ما خلفته فى بلاد المغرب فأعلمنى انه غير معيب على اعيان مصر وعاينت الفقهاء وأصحاب البزة والسادة الظاهرة يركبونها فركبت وعندما استويت راكبا اشار المكارى على الحمار فطار بى وأثار من الغبار الاسود ما أعمى عينى ودنس ثيابى وعاينت ما كرهته ولقلة معرفتى بركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعهده وقلة رفق المكارى وقفت فى تلك الظلمة المثارة من ذلك العجاج فقلت

لقيت بمصر أشد البوار ركوب الحمار وكحل الغبار
وخلفى مكار يفوق الريا ح لا يعرف الرفق مهما استطار
أناديه مهلا فلا يرعوى الى أن سجدت سجود العثار
وقد مد فوقى رواق الثرى وألحد فيه ضياء النهار

فدفعت الى المكارى اجرته وقلت له احسانك الى أن تتركنى امشى على رجلى ومشيت الى أن بلغتها وقدرت الطريق بين القاهرة والفسطاط وحققت بعد ذلك نحو الميلين ولما اقبلت على الفسطاط ادبرت عنى المسرة وتأملت اسوارا مثلمة سوداء وآفاقا مغبرة ودخلت من بابها وهو دون غلق مفض الى خراب معمور بمبان سيئة الوضع غير مستقيمة الشوارع قد بنيت من الطوب الادكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة وحول ابوابها من التراب الاسود والازبال ما يقبض نفس النظيف ويغض طرف الظريف فسرت وانا معاين لاستصحاب تلك الحال الى أن سرت فى اسواقها الضيقة فقاسيت من ازدحام الناس فيها بحوائج السوق والروايا التى على الجمال ما لا يفى به الا مشاهدته ومقاساته الى أن انتهيت الى المسجد الجامع فعاينت من ضيق الاسواق التى حوله ما ذكرت بضده فى جامع اشبيلية وجامع مراكش ثم دخلت اليه فعاينت جامعا كبيرا قديم البناء غير مزخرف ولا محتفل فى حصره التى تدور مع بعض حيطانه وتبسط فيه وأبصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معبرا بأوطئة أقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرب عليهم الطريق والبياعون يبيعون فيه اصناف المكسرات والكعك وما جرى مجرى ذلك والناس يأكلون منه فى امكنة عديدة غير محتشمين لجرى العادة عندهم بذلك وعدة صبيان بأوانى ماء يطوفون على من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منهم رزقا وفضلات ما يأكلهم مطروحة فى صحن الجامع وفى زواياه والعنكبوت قد عظم نسجه فى السقوف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون فى صحنه وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة الا أن مع هذا كله على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس ما لا تجده فى جامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذى فى صحنه ولقد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فعلمت انه سر مودع من وقوف الصحابة رضوان الله عليهم فى ساحته عند بنائه واستحسنت ما أبصرته فيه من حلق المتصدرين لاقراء القرآن والفقه والنحو فى عدة اماكن وسألت عن موارد ارزاقهم فأخبرت انها من فروض الزكاة وما اشبه ذلك

ثم أخبرت أن اقتضاءها يصعب الا بالجاه والتعب ثم انفصلنا من هنالك الى ساحل النيل فرأيت ساحلا كدر التربة غير نظيف ولا متسع الساحة ولا مستقيم الاستطالة ولا عليه سور أبيض الا انه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الارزاق التى تصل من جميع أقطار الارض والنيل ولئن قلت انى لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فانى أقول حقا والنيل هنالك ضيق لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعته قد توسطت الماء ومالت الى جهة الفسطاط وبحسن سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون ممتدا من الفسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البر الغربى المعروف ببر الجيزة جسر آخر من الجزيرة اليه وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب لان هذين الجسرين قد احترما بحصولهما فى حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الجزيرة والفسطاط راكبا احتراما لموضع السلطان وبتنا فى ليلة ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل فقلت

نزلنا من الفسطاط احسن منزل * بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جمعت فيه المراكب سحرة * كسرب قطا أضحى يرف على ورد
وأصبح يطغى الموج فيه ويرتمى * ويطغو حنانا وهو يلعب بالنرد
غدا ماؤه كالريق ممن احبه * فمدت عليه حلية من حلى المد
وقد كان مثل الزهر من قبل مده * فأصبح لما زاده المد كالورد

قلت هذا لانى لم أذق فى المياه أحلى من مائه وأنه يكون قبل المد الذى يزيد به ويفيض على اقطاره أبيض فاذا كان عباب النيل صار أحمر * وانشدنى علم الدين فخر الترك ايدمر عتيق وزير الجزيرة فى مدح الفسطاط واهلها

حبذا الفسطاط من والدة * جنبت اولادها درن الجفا
يرد النيل اليها كدرا * فاذا مازج اهليها صفا
لطفوا فالمزن لا يألفهم * خجلا لما رآهم ألطفا

ولم أر فى اهل البلاد ألطف من اهل الفسطاط حتى انهم ألطف من اهل القاهرة وبينهما نحو ميلين وجملة الحال أن اهل الفسطاط فى نهاية من اللطافة واللين فى الكلام وتحت ذلك من الملق وقلة المبالاة برعاية قدم الصحبة وكثرة الممازجة والالفة ما يطول ذكره وأما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندرانى والبحر الحجازى فانه فوق ما يوصف وبها مجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها تجهز الى القاهرة وسائر البلاد وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون ومعظم ما يجرى هذا المجرى لان القاهرة بنيت للاختصاص بالجند كما أن جميع زى الجند بالقاهرة اعظم منه بالفسطاط وكذلك ما ينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من الاشياء الرفيعة السلطانية والخراب فى الفسطاط كثير والقاهرة أجد وأعمر وأكثر زحمة بسبب انتقال السلطان اليها وسكنى الاجناد فيها وقد نفخ روح الاعتناء والنمو فى مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر يعنى ابن سعيد ما بنى على شقة مصر من جهة النيل

(ذكر ما عليه مدينة مصر الآن وصفتها)

قد تقدم من الاخبار جملة تدل على عظم ما كان بمدينة فسطاط مصر من المبانى وكثرتها ثم الاسباب التى أوجبت خرابها وآخر ما رأيت من الكتب التى صنفت فى خطط مصر كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل تأليف القاضى الرئيس تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج الزبيرى رحمه الله وقطع على سنة خمس وعشرين وسبعمائة فذكر من الاخطاط المشهورة بذاتها لعهده اثنين وخمسين خطا ومن الحارات ثنتى عشرة حارة ومن الازقة المشهورة ستة وثمانين زقاقا ومن الدروب المشهورة ثلاثة وخمسين دربا ومن الخوخ المشهورة خمسا وعشرين خوخة ومن الاسواق المشهورة تسعة عشر سوقا ومن الخطط المشهورة بالدور ثلاثة عشر خطا ومن الرحاب المشهورة خمس عشرة رحبة ومن العقبات المشهورة احدى عشرة عقبة ومن الكيمان المسماة ستة كيمان ومن الاقباء عشرة أقباء ومن البرك خمس برك ومن السقائف خمسا وستين سقيفة ومن القياسر

سبع قياسر ومن مطابخ السكر العامرة ستة وستين مطبخا ومن الشوارع ستة شوارع ومن المحارس عشرين محرسا ومن الجوامع التى تقام فيها الجمعة بمصر وظاهرها من الجزيرة والقرافة أربعة عشر جامعا ومن المساجد أربعمائة وثمانين مسجدا ومن المدارس سبع عشرة مدرسة ومن الزوايا ثمانى زوايا ومن الربط التى بمصر والقرافة بضعا وأربعين رباطا ومن الاحباس والاوقاف كثيرا ومن الحمامات بضعا وسبعين حماما ومن الكنائس وديارات النصارى ثلاثين مابين دير وكنيسة وقد باد أكثر ماذكره ودثر وسيرد ماقاله من ذلك فى مواضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (فأقول) انّ مدينة مصر محدودة الآن بحدود أربعة * فحدها الشرقى اليوم من قلعة الجبل وأنت آخذ الى باب القرافة فتمرّ من داخل السور الفاصل بين القرافة ومصر الى كوم الجارح وتمرّ من كوم الجارح وتجعل كيمان مصر كلها عن يمينك حتى تنتهى الى الرصد حيث اول بركة الحبش فهذا طول مصر من جهة المشرق وكان يقال لهذه الجهة عمل فوق * وحدها الغربى من قناطر السباع خارج القاهرة الى موردة الحلفاء وتأخذ على شاطئ النيل الى دير الطين فهذا أيضا طولها من جهة المغرب * وحدها القبلى من شاطئ النيل بدير الطين حيث ينتهى الحدّ الغربى الى بركة الحبش تحت الرصد حيث انتهى الحدّ الشرقى فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التى تسميها اهل مصر الجهة القبلية * وحدها البحرى من قناطر السباع حيث ابتداء الحدّ الغربى الى قلعة الجبل حيث ابتداء الحدّ الشرقى فهذا عرض مصر من جهة الشمال التى تعرف بمصر بالجهة البحرية ومابين هذه الجهات الاربع فانه يطلق عليه الآن مصر فيكون اوّل عرض مصر فى الغرب بحر النيل وآخر عرضها فى الشرق اوّل القرافة وأوّل طولها من قناطر السباع وآخره بركة الحبش فاذا عرفت ذلك ففى الجهة الغربية خط السبع سقايات ويجاوره الخليج وعليه من شرقيه حكر أقبغا ومن غربيه المريس ومنشأة المهرانى ويحاذى المنشأة من شرقى الخليج خط قنطرة السدّ وخط بين الزقاقين وخط موردة الحلفاء وخط الجامع الجديد ومن شرقى خط الجامع الجديد خط المراغة ويتصل به خط الكبارة وخط المعاريج ويجاور خط الجامع الجديد من بحريه الدور التى تطل على النيل وهى متصلة الى جسر الافرم المتصل بدير الطين وماجاوره الى بركة الحبش وهذه الجهة هى أعمر ما فى مصر الآن وأما الجهة الشرقية فليس فيها شئ عامر الا قلعة الجبل وخط المراغة المجاور لباب القرافة الى مشهد السيدة نفيسة ويجاور خط مشهد السيدة نفيسة من قبليه الفضاء الذى كان موضع الموقف والعسكر الى كوم الجارح ثم خط كوم الجارح ومابين كوم الجارح الى آخر حدّ طول مصر عند بركة الحبش تحت الرصد فانه كيمان وهى الخطط التى ذكرها القضاعى وخربت فى الشدّة العظمى زمن المستنصر وعند حريق شاور لمصر كما تقدّم وأما عرض مصر الذى من قناطر السباع الى القلعة فانه عامر ويشتمل على بركة الفيل الصغرى بجوار خط السبع سقايات ويجاور الدور التى على هذه البركة من شرقيها خط الكبش ثم خط جامع احمد بن طولون ثم خط القبيبات وينتهى الى الفضاء الذى يتصل بقلعة الجبل وأما عرض مصر الذى من شاطئ النيل بخط دير الطين الى تحت الرصد حيث بركة الحبش فليس فيه عمارة سوى خط دير الطين وماعدا ذلك فقد خرب بخراب الخطط وكان فيه خط بنى وائل وخط راشدة فأما خط السبع سقايات فانه من جملة الحمراء الدنيا وسيرد عند ذكر الاخطاط ان شاء الله تعالى وماعدا ذلك فانه يتبين من ذكر ساحل مصر

(ذكر ساحل النيل بمدينة مصر)

قد تقدّم أنّ مدينة فسطاط مصر اختطها المسلمون حول جامع عمرو بن العاص وقصر الشمع وأنّ بحر النيل كان ينتهى الى باب قصر الشمع الغربى المعروف بالباب الجديد ولم يكن عند فتح أرض مصر بين جامع عمرو وبين النيل حائل ثم انحسر ماء النيل عن ارض تجاه الجامع وقصر الشمع فابتنى فيها عبد العزيز بن مروان وحاز منه بشر بن مروان لماقدم على اخيه عبد العزيز ثم حاز منه هشام بن عبد الملك فى خلافته وبنى فيه فلما زالت دولة بنى امية قبض ذلك فى الصوافى ثم اقطعه الرشيد السرى بن الحكم فصار فى يد ورثته من بعده يكترونه ويأخذون حكره وذلك أنه كان قد اختط فيه المسلمون شيأ بعد شئ وصار شاطئ النيل بعد انحسار ماء النيل عن الارض المذكورة حيث الموضع الذى يعرف اليوم بسوق المعاريج * قال القضاعى كان ساحل أسفل الارض بازاء المعاريج

القديم وكانت آثار المعاريج قائمة سبع درج حول ساحل البما الى ساحل البورى" اليوم فعرف ساحل البورى" بالمعاريج الجديد يعنى بالمعاريج الجديد . وضع سوق المعاريج اليوم وكان من جملة خطط مدينة فسطاط مصر الحراوات الثلاث فالحراء الاولى من جملتها سوق وردان وكان يشرف بغربيه على النيل ويجاوره الحراء الوسطى ومن بعضها الموضع الذى يعرف اليوم بالكبارة وكانت على النيل ايضا وبجانب الكبارة الحراء القصوى وهى من بحرى" الحراء الوسطى الى الموضع الذى هو اليوم خط قناطر السباع ومن جملة الحراء القصوى خط خليج مصر من حد قناطر السباع الى تجاه قنطرة السد من شرقيها وبآخر الحراء القصوى الكبش وجبل يشكر وكان الكبش يشرف على النيل من غربيه وكان الساحل القديم فيما بين سوق المعاريج اليوم الى دار التفاح بمصر وانت مار" الى باب مصر بجوار الكبارة وموضع الكوم المجاور لباب مصر من شرقيه فلما خربت مصر بحريق شاور بن مجير اياها صار هذا الكوم من حينئذ عرف بكوم المشانيق فانه كان يشنق بأعلاه ارباب الجرائم ثم بنى الناس فوقه دورا فعرف الى يومنا هذا بكوم الكبارة وكان يقال لما بين سوق المعاريج وهذا الكوم لما كان ساحل النيل القالوص * قال القضاعى" رأيت بخط جماعة من العلماء القالوص بألف والذى يكتب فى هذا الزمان القلوص بحذف الالف فأما القلوص بحذف الالف فهى من الابل والنعام الشابة وجمعها اقلص وقلاص وقلائص والقلوص من الحبارى الانثى الصغيرة فلعل هذا المكان سمى بالقلوص لانه فى مقابلة الجمل الذى كان على باب الريحان الذى يأتى ذكره فى عجائب مصر وأما القالوص بالالف فهى كلمة رومية ومعناها بالعربية مرحبابك ولعل الروم كانوا يقفون لراكب هذا الجمل ويقولون هذه الكلمة على عادتهم * وقال ابن المتوج والساحل القديم اوله من باب مصر المذكور يعنى المجاور للكبارة والى المعاريج جميعه كان بحرا يجرى فيه ماء النيل وقيل ان سوق المعاريج كان موردة سوق السمك يعنى ماذكره القضاعى" من أنه كان يعرف بساحل البورى" ثم عرف بالمعاريج الجديد قال ابن المتوج ونقل أن بستان الجرف المقابل لبستان حوض ابن كيسان كان صناعة العمارة وأدركت أنا فيه بابها ورأيت زريبة من ركن المسجد المجاور للحوض من غربيه تتصل الى قبالة مسجد العادل الذى براغة الدواب الآن * (قال مؤلفه رحمه الله) بستان الجرف يعرف بذلك الى اليوم وهو على يمنة من سلك الى مصر من طريق المراغة وهو جار فى وقف الخانقاه التى تعرف بالواصلة بين الزقاقين وحوض ابن كيسان يعرف اليوم بحوض الطواشى تجاه غيط الجرف المذكور بجاوره بستان ابن كيسان الذى صار صناعة وقد ذكر خبر هذه الصناعة عند ذكر مناظر الخلفاء ويعرف بستان ابن كيسان اليوم ببستان الطواشى أيضا وبين بستان الجرف وبستان الطواشى هذا مراغة مصر المسلوك منها الى الكبارة وباب مصر * قال ابن المتوج ورأيت من نقل عمن نقل عمن رآى هذا القلوص يتصل الى آدر الساحل القديم وأنه شاهد ما عليه من العمائر المطلة على بحر النيل من الرباع والدور المطلة وعد الاسطال التى كانت بالطاقات المطلة على بحر النيل فكانت عدتها ستة عشر ألف سطل مؤبدة ببكر مؤبد فيها اطناب ترخى بها وتملأ أخبرنى بذلك من أثق بنقله وقال انه اخبره به من يثق به متصلا بالمشاهد له الموثوق به قال وباب مصر الآن بين البستان الذى قبلى" الجامع الجديد يعنى بستان العالمة وبين كوم المشانيق يعنى كوم الكبارة ورأيت السور يتصل به الى دار النحاس وجميع ما بظاهره شون ولم يزل هذا السور القديم الذى هو قبلى" بستان العالمة موجودا أراه وأعرفه الى أن اشترى أرضه من باب مصر الى موقف المكارية بالخشابين القديمة الامير حسام الدين طرنطاى المنصورى فأجر مكانه للعامة وصار كل من استأجر قطعة هدم ما بها من البناء بالطوب اللبن وقلع الاساس الحجر وبنى به فزال السور المذكور ثم حدث الساحل الجديد * قال مؤلفه رحمه الله وهذا الباب الذى ذكره ابن المتوج كان يقال له باب الساحل واوّل حفر ساحل مصر فى سنة ست وثلاثين وثلثمائة وذلك أنه جف النيل عن بر" مصر حتى احتاج الناس أن يستقوا من بحر الجيزة الذى هو فيما بين جزيرة مصر التى تدعى الآن بالروضة وبين الجيزة وصار الناس يمشون هم والدواب الى الجزيرة فحفر الاستاذ كافور الاخشيدى" وهو يومئذ مقدم امراء الدولة لانوجور بن الاخشيد خليجا حتى اتصل بخليج بنى وائل ودخل الماء الى ساحل مصر ثم انه لما كان قبل سنة ستمائة تقلص الماء عن ساحل مصر القديمة وصار فى زمن الاحتراق يتحول حتى تنحدر الطريق الى المقياس يبسا فلما كان فى سنة ثمان وعشرين وستمائة خاف السلطان الملك الكامل

محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب من تباعد البحر عن العمران بمصر فاهتم بحفر البحر من دار الوكالة بمصر الى صناعة التمر الفاضلية وعمل فيه بنفسه فوافقه على العمل فى ذلك الجم الغفير واستوى فى المساعدة السوقة والامير وقسط مكان الحفر على الدور بالقاهرة ومصر والروضة والمقياس فاستمر العمل فيه من مستهل شعبان الى سلخ شوال مدة ثلاثة اشهر حتى صار الماء يحيط بالمقياس وجزيرة الروضة دائما بعدما كان عند الزيادة يصير جدولا رقيقا فى ذيل الروضة فاذا اتصل بحر بولاق فى شهر ابيب كان ذلك من الايام المشهودة بمصر فلما كانت ايام الملك الصالح وعمر قلعة الروضة اراد أن يكون الماء طول السنة كثيرا فيما دار بالروضة فأخذ فى الاهتمام بذلك وغرق عدة مراكب مملوءة بالحجارة فى بر الجيزة تجاه باب القنطرة خارج مدينة مصر ومن قبلى جزيرة الروضة فانعكس الماء وجعل البحر حينئذ يمر قليلا قليلا وتكاثر أولا فأولا فى بر مصر من دار الملك الى قريب المقس وقطع المنشأة الفاضلية * قال ابن المتوج عن موضع الجامع الجديد وكان فى الدولة الصالحية يعنى الملك الصالح نجم الدين ايوب رملة تمرغ الناس فيها الدواب فى زمن احتراق النيل وجفاف البحر الذى هو أمامها فلما عمر السلطان الملك الصالح قلعة الجزيرة وصار فى كل سنة يحفر هذا البحر بجنده وبنفسه ويطرح بعض رمله فى هذه البقعة شرع خواص السلطان فى العمارة على شاطئ هذا البحر فذكر من عمر على هذا البحر من قبالة موضع الجامع الجديد الآن الى المدرسة المعزية وذكر ما وراء هذه الدور من بستان العالمة المطل عليه الجامع الجديد وغيره ثم قال وانما عرف بالعالمة لانه كان قد حله السلطان الملك الصالح لهذه العالمة فعمرت بجانبه منظرة لها وكان الماء يدخل من النيل لباب المنظرة المذكورة فلما توفيت بقى البستان مدة فى يد ورثتها ثم أخذ منهم وذكر أن بقعة الجامع الجديد كانت قبل عمارته شونا للاتبان السلطانية وكذلك ما يجاورها فلما عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الجامع الجديد كثرت العمائر من حد موردة الحلفاء على شاطئ النيل حتى اتصلت بدير الطين وعمر أيضا ما وراء الجامع من حد باب مصر الذى كان بحرا كما تقدم الى حد قنطرة السد وأدركنا ذلك كله على غاية العمارة وقد اختل منذ الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة فخرب خط بين الزقاقين المطل من غربيه على الخليج ومن شرقيه على بستان الجرف ولم يبق به الا القليل من الدور وموضعه كما تقدم كان فى قديم الزمان غامرا بماء النيل ثم ربى جرفا وهو بين الزقاقين المذكور فعمر عمارة كبيرة ثم خرب الآن وخرب ايضا خط موردة الحلفاء وكان فى القديم غامرا بالماء فلما ربى النيل الجرف المذكور وتربت الجزيرة قدام الساحل القديم الذى هو الآن الكبارة الى المعاريج وأنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الجامع الجديد عمرت موردة الحلفاء هذه واتصلت من بحريها بمنشأة المهرانى ومن قبليها بالاملاك التى تمتد من تجاه الجامع الجديد الى دير الطين وصارت موردة الحلفاء عظيمة تقف عندها المراكب بالغلال وغيرها وعلا منها الناس الروايا وكان البحر لا يبرح طول السنة هنالك ثم صار ينشف فى فصل الربيع والصيف واستمر على ذلك الى يومنا هذا وخرب ما خلف الجامع الجديد أيضا من الاماكن التى كانت بحرا تجاه الساحل القديم ثم لما انحسر الماء صارت مراغة للدواب فعرفت اليوم بالمراغة وهى من آخر خط قنطرة السد الى قريب من الكبارة ويحصرها من غربيها بستان الجرف المقدم ذكره وعدة دور كانت بستانا وشونا الى باب مصر ومن شرقيها بستان ابن كيسان الذى صار صناعة وعرف الآن ببستان الطواشى ولم يبق الآن بخط المراغة الا مساكن يسيرة حقيرة

* (ذكر المنشأة) *

اعلم أن خليج مصر كان يخرج من بحر النيل فيمر بطريق الحمراء القصوى وكان فى الجانب الغربى من هذا الخليج عدة بساتين من جملتها بستان عرف ببستان الخشاب ثم خرب هذا البستان وموضعه الآن يعرف بالمريس فلما كان بعد الخمسمائة من سنى الهجرة انحسر النيل عن أرض فيما بين ميدان اللوق الآتى ذكره فى الاحكار ظاهر القاهرة ان شاء الله تعالى وبين بستان الخشاب المذكور فعرفت هذه الارض بمنشأة الفاضل لان القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى انشأ بها بستانا عظيما كان يمير أهل القاهرة من ثماره وأعنابه وعمر بجانبه جامعا وبنى حوله فقيل لتلك الخطة منشأة الفاضل وكثرت بها العمارة وأنشأ بها موفق الدين محمد بن ابى بكر المهدوى العثمانى الديباجى بستانا دفع له فيه ألف دينار فى ايام الظاهر بيبرس وكان الصرف قد بلغ

كل دينار ثمانية وعشرين درهما ونصفا فاستولى البحر على بستان الفاضل وجامعه وعلى سائر ما كان بمنشأة الفاضل من البساتين والدور وقطع ذلك حتى لم يبق لشئ منه اثر وما برح باعة العنب بالقاهرة ومصر تنادى على العنب بعد خراب بستان الفاضل هذا عدة سنين رحم الله الفاضل يا عنب اشارة لكثرة أعناب بستان الفاضل وحسنها وكان اكل البحر لمنشأة الفاضل هذه بعد سنة ستين وستمائة وكان الموفق الديباجى المذكور يتولى خطابة جامع الفاضل الذى كان بالمنشأة فلما تلف الجامع باستيلاء النيل عليه سأل الصاحب بهاء الدين بن حنا وألح عليه وكان من ألزامه حتى قام فى عمارة الجامع بمنشأة المهرانى ومنشأة المهرانى هذه موضعها فيما بين النيل والخليج وفيها من الحمراء القصوى فوهة الخليج انحسر عنها ماء النيل قديما وعرف موضعها بالكوم الاحمر من اجل انه كان يعمل فيها القمنة الطوب فلما سأل الصاحب بهاء الدين بن حنا الملك الظاهر بيبرس فى عمارة جامع بهذا المكان ليقوم مقام الجامع الذى كان بمنشأة الفاضل اجابه الى ذلك وانشأ الجامع بخط الكوم الاحمر كما ذكر فى خبره عند ذكر الجوامع فأنشأ هنالك الامير سيف الدين بلبان المهرانى دارا وسكنها وبنى مسجدا فعرفت هذه الخطة به وقيل لها منشأة المهرانى فان المهرانى المذكور أول من ابتنى فيها بعد بناء الجامع وتتابع الناس فى البناء بمنشأة المهرانى واكثروا من العمائر حتى يقال انه كان بها فوق الاربعين من امراء الدولة سوى من كان هنالك من الوزراء وأماثل الكتاب وأعيان القضاة ووجوه الناس ولم تزل على ذلك حتى انحسر الماء عن الجهة الشرقية فخربت وبها الآن بقية يسيرة من الدور وتتصل بخط الجامع الجديد خط دار النحاس وهو مطل على النيل * ودار النحاس هذه من الدور القديمة وقد دثرت وصار الخط يعرف بها * قال القضاعى دار النحاس اختطها وردان مولى عمرو بن العاص فكتب مسلمة بن مخلد وهو أمير مصر الى معاوية يسأله أن يجعلها ديوانا فكتب معاوية الى وردان يسأله فيها وعوضه فيها دار وردان التى بسوقه الآن وقال ربيعة كانت هذه الدار من خطة الحجر من الازد فاشتراها عمر بن مروان وبناها فكانت فى يد ولده وقبضت عنهم وبيعت فى الصوافى سنة ثمان وثلثمائة ثم صارت الى شمول الاخشيدى فبناها قيسارية وحماما فصارت دار النحاس قيسارية شمول * وقال ابن المتوج دار النحاس خط نسب لدار النحاس وهو الآن فندق الاشراف ذو البابين أحدهما من رحبة امامة والثانى شارع بالساحل القديم وبآخر هذه الشقة التى تطل على النيل (جسر الافرم) وهو فى طرف مصر فيما بين المدرسة المعزية وبين رباط الآثار كان مطلا على النيل دائما والآن ينحسر الماء عنه عند هبوط النيل وعرف بالامير عز الدين أيدمر الافرم الصالحى النجمى أمير جندار وذلك أنه لما استأجر بركة الشعيبية كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب جعل منها قدانين من غربيها أذن للناس فى تحكيرها فحكرت وبنى عليها عدة دور بلغت الغاية فى اتقان العمارة وتنافس عظماء دولة الناصر محمد بن قلاون من الوزراء وأعيان الكتاب فى المساكن بهذا الجسر وبنوا وتأنقوا وتفننوا فى بديع الزخرفة وبالغوا فى تحسين الرخام وخرجوا عن الحد فى كثرة انفاق الاموال العظيمة على ذلك بحيث صار خط الجسر خلاصة العامر من اقليم مصر وسكانه ارق الناس عيشا وأترف المتنعمين حياة وأوفرهم نعمة ثم خرب هذا الجسر بأسره وذهبت دوره * وأما الجهة الشرقية من مصر ففيها قلعة الجبل وقد أفردنا لها خبرا مستقلا يحتوى على فوائد كثيرة تضمنه هذا الكتاب فانظره ويتصل آخر قلعة الجبل بخط باب القرافة وهو من اطراف القطائع والعسكر ويلى خط باب القرافة الفضاء الذى كان يعرف بالعسكر وقد تقدم ذكره وكان بأطراف العسكر مما يلى كوم الجارح * (الموقف) قال ابن وصيف شاه فى أخبار الريان بن الوليد وهو فرعون نبى الله يوسف صلوات الله عليه ودخل الى البلد فى أيامه غلام من اهل الشام احتال عليه اخوته وباعوه وكانت قوافل الشام تعرس بناحية الموقف اليوم فأوقف الغلام ونودى عليه وهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم فاشتراه أطفين العزيز ويقال ان الذى أخرج يوسف من الجب مالك بن دعر بن حجر بن جزيلة ابن لخم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان * وقال القضاعى كان الموقف فضاء لام عبد الله بن مسلمة بن مخلد فتصدقت به على المسلمين فكان موقفا تباع فيه الدواب ثم ملك بعد وقد ذكرته فى الظاهر يعنى فى خطط اهل الظاهر فان الموقف من جملة خطط أهل الظاهر * وقال ابن المتوج بقعة (خط الصفاء) هذا الخط دثر جميعه ولم يبق له اثر وهو قبلى الفسطاط اوله بجوار المصنع وخط الطحانين

ادركته

أدركته كان صفين طواحين متلاصقة متصلة من درب الصفاء الى كوم الجارح وأدركت به جماعة من أكابر المصريين أكثرهم عدول وكان المار بين هذين الصفين لا يسمع حديث رفيقه اذا حدثه لقوة دوران الطواحين وكان من جملتها طاحون واحد فيه سبعة أحجار دثر جميع ذلك ولم يبق له أثر * قال وبقعة درب الصفاء هو الدرب الذى كان باب مصر وقيل انه كان بظاهره سوق يوسف عليه السلام وكان بابا بصوراعين يعلوهما عقد كبير وهو بعتبة كبيرة سفلى من صوّان وكان بجوار المصنع الخراب الموجود الآن وكان حول المصنع عمد رخام بدائرة حاملة الساباط يعلوه مسجد معلق هدم ذلك جميعه فى ولاية سيف الدين المعروف بابن سلار والى مصر فى دولة الظاهر بيبرس وهذا الدرب يسلك منه الى درب الصفاء والطحانين * (قال مؤلفه رحمه الله) * كان هذا الباب المذكور أحد أبواب مدينة مصر وبابها الآخر من ناحية الساحل الذى موضعه اليوم باب مصر بجوار الكبارة وأنا أدركت آثار درب الصفاء المذكور والمصنع الخراب وكان يصب فيه الماء للسبيل وهو قريب من كوم الجارح وسيأتى ذكر كوم الجارح فى ذكر الكيمان من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * وأما الذى يلى كوم الجارح الى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش فانها الخطط القديمة وأدركتها عامرة لاسيما خط النخالين وخط زقاق القناديل وخط المصاصة وقد خرب جميع ذلك وبعت أنقاضه من بعد سنة تسعين وسبعمائة * وأما الجهة القبلية من مصر فان خط دير الطين حدثت العمارة فيه بعد سنة ستمائة لما أنشأ الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا الجامع هنالك وعمر الناس فى جسر الافرم وكان قبل ذلك آخر عمارة مدينة مصر دار الملك التى موضعها الآن بجوار المدرسة المعزية وأما موضع الجسر فانه كان بركة ماء تتصل بخط راشدة حيث جامع راشدة ومن قبلى هذه البركة البستان الذى كان يعرف ببستان الامير تميم بن المعز ويعرف اليوم بالمعشوق وهو وقف على رباط الآثار ويجاور المعشوق بركة الحبش ومابين خط دير الطين وآخر عرض مصر من الجهة القبلية طرف خط راشدة * وأما الجهة البحرية من مصر فانه يتصل بخط السبع سقايات الدور المطلة على البركة التى يقال لها بركة قارون وهى التى تجاور الآن حدرة ابن قميحة وهى من جملة الحمراء القصوى وبقبلى البركة المذكورة الكوم المعروف بالاسرى وهو من جملة العسكر وسيرد ان شاء الله تعالى ذكره عند ذكر الكيمان ويجاور البركة المذكورة خط الكبش وقد ذكر فى الجبال ويأتى ان شاء الله تعالى له خبر عند ذكر الاخطاط ويلى خط الكبش خط الجامع الطولونى ويلى خط الجامع القبيبات وخط المشهد النفيسى وجميع ذلك الى قلعة الجبل من جملة القطائع

(ذكر ابواب مدينة مصر)

وكان لفسطاط مصر أبواب فى القديم خربت وتجدد لها بعد ذلك ابواب أخر *(باب الصفاء)* هذا الباب كان هو فى الحقيقة باب مدينة مصر وهى فى كمالها ومنه تخرج العساكر وتعبر القوافل وموضعه الآن بالقرب من كوم الجارح وهدم فى ايام الملك الظاهر بيبرس *(باب الساحل)* كان يفضى بسالكه الى ساحل النيل القديم وموضعه قريب من الكبارة *(باب مصر)* هذا الباب هو الذى بناه قراقوش ومنه يسلك الآن من دخل الى مدينة مصر من الطريق التى تعرف بالمراغة وهو مجاور للكوم الذى يقال له كوم المشانيق ويعرف اليوم بالكبارة وكان موضع هذا الباب غامرا بماء النيل فلما انحسر الماء عن ساحل مصر صار الموضع المعروف بالمراغة والموضع المعروف بغيط الجرف الى موردة الحلفاء فضاء لا يصل اليه ماء النيل البتة فأحب السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب أن يدير سورا يجمع فيه القاهرة ومصر وقلعة الجبل فزاد فى سور القاهرة على يد قراقوش من باب القنطرة الى باب الشعرية والى باب البحر يريد أن يمد السور من باب البحر الى الكوم الاحمر الذى هو اليوم حافة خليج مصر تجاه خط بين الزقاقين ليصل ايضا من الكوم الاحمر الى باب مصر هذا فلم يتهيأ له هذا وانقطع السور من عند جامع المقس وزاد فى سور القاهرة أيضا من باب النصر الى قلعة الجبل فلم يكمل له ومد السور من قلعة الجبل الى باب القنطرة خارج مصر فصار هذا الباب غير متصل بالسور *(باب القنطرة)* هذا الباب فى قبلى مدينة مصر عرف بقنطرة بنى وائل التى كانت هنالك وهو أيضا من بناء قراقوش

(ذكر القاهرة قاهرة المعز لدين الله)

اعلم أن القاهرة المعزية رابع موضع انتقل سرير السلطنة اليه من أرض مصر فى الدولة الاسلامية وذلك أن الامارة كانت بمدينة الفسطاط ثم صار محلها العسكر خارج الفسطاط فلما عمرت القطائع صارت دار الامارة الى أن خربت فسكن الامراء بالعسكر الى أن قدم القائد جوهر بعساكر مولاه الامام المعز لدين الله معد فبنى القاهرة حصنا ومعقلا بين يدى المدينة وصارت القاهرة دار خلافة ينزلها الخليفة بحرمه وخواصه الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فسكنها من بعدهم السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وابنه الملك العزيز عثمان وابنه الملك المنصور محمد ثم الملك العادل ابو بكر بن ايوب وابنه الملك الكامل محمد وانتقل من القاهرة الى قلعة الجبل فسكنها بحرمه وخواصه وسكنها الملوك من بعده الى يومنا هذا فصارت القاهرة مدينة سكنى بعدما كانت حصنا يعتقل به ودار خلافة يلتجأ اليها فهانت بعد العز وابتذلت بعد الاحترام وهذا شأن الملوك مازالوا يطمسون آثار من قبلهم ويميتون ذكر أعدائهم فقد هدموا بذلك السبب اكثر المدن والحصون وكذلك كانوا أيام العجم وفى جاهلية العرب وهم على ذلك فى أيام الاسلام فقد هدم عثمان بن عفان صومعة غمدان وهدم الآطام التى كانت بالمدينة وقد هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر وقد هدم بنو العباس مدن الشام لبنى مروان (واذا تأملت البقاع وجدتها * تشقى كما تشقى الرجال وتسعد) وسيأتى من أخبار القاهرة والكلام على خططها وآثارها ماتنتهى اليه قدرتى ويصل الى معرفته علمى وفوق كل ذى علم عليم

(ذكر ما قيل فى نسب الخلفاء الفاطميين بناة القاهرة)

اعلم أن القوم كانوا ينتسبون الى الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما والناس فريقان فى امرهم فريق يثبت صحة ذلك وفريق يمنعه وينفيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزعم انهم أدعياء من ولد ديصان البونىّ الذى ينسب اليه الثنوية وان ديصان كان له ابن اسمه ميمون القدّاح كان له مذهب فى الغلوّ فولد ميمون عبد الله (١
وكان عبد الله عالما بجميع الشرائع والسنن والمذاهب وانه رتب سبع دعوات يتدرج الانسان فيها حتى ينحل عن الاديان كلها ويصير معطلا اباحيا لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ويرى انه وأهل نحلته على هدى وجميع من خالفهم اهل ضلالة وانه قصد بذلك أن يجعل له أتباعا وكان يدعو الى الامام من آل البيت محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وانه كان من الاهواز واشتهر بالعلم والتشيع وصار له دعاة وقصد بالمكروه ففر الى البصرة فاشتهر أمره وسار منها الى سلمية من أرض الشام فولد له ابن بها اسمه احمد ومات فقام من بعده أحمد وبعث بالحسين الاهوازىّ داعية الى العراق فلقى أحمد بن الاشعث المعروف بقرمط فى سواد الكوفة ودعاه الى مذهبه فأجابه وقام هنالك بالامر والى قرمط هذا تنسب القرامطة وولد لاحمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح الحسين ومحمد المعروف بأبى الشعلع فلما مات احمد خلفه ابنه الحسين فى الدعوة حتى مات فقام من بعده أخوه ابو الشعلع وكان لاحمد بن (٢
عبد الله ولد اسمه سعيد فصار تحت حجر عمه وبعث ابو الشعلع بداعيين الى المغرب وهما ابو عبد الله وأخوه ابو العباس فنزلا فى البربر ودعوها واشتهر سعيد بسلمية بعد موت عمه وكثر ماله فطلبه السلطان ففر من سلمية الى مصر يريد المغرب وكان على مصر عيسى النوشرىّ فورد عليه كتاب الخليفة ببغداد بالقبض عليه ففاته وصار بسلجماسة فى زىّ التجار فبعث المعتضد من بغداد فى طلبه فأخذ وحبس حتى اخرجه ابو عبد الله الشيعىّ من محبسه فتسمى حينئذ بعبيد الله وتكنى بأبى محمد وتلقب بالمهدىّ وصار اماما علويا من ولد محمد بن جعفر الصادق وانما هو سعيد بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح بن ديصان البونىّ الاهوازىّ وأصله من المجوس فهذا قول من ينكر نسبهم وبعض منكرى نسبهم فى العلوية يقول ان عبيد الله من اليهود وان الحسين بن احمد المذكور تزوّج امرأة يهودية من نساء سلمية كان لها ابن من يهودىّ حدّاد مات وتركه لها فرباه الحسين وأدبه وعلمه ثم مات عن غير ولد فعهد الى ابن امرأته هذا فكان هو عبيد الله المهدىّ وهذه أقوال ان أنصفت تبين لك انها موضوعة فان بنى علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه قد كانوا اذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة فما الحامل لشيعتهم على الاعراض عنهم والدعاء لابن مجوسىّ اولابن

يهودي فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية في الجهل والسخف وانما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء بني العباس عندما غصوا بمكان الفاطميين فانهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحوا من مائتين وسبعين سنة وملكوا من بني العباس بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم فلاذت حينئذ بتنفير الكافة عنهم باشاعة الطعن في نسبهم وبث ذلك عنهم خلفاؤهم وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم الذين كانوا يحاربون عساكر الفاطميين كي يدفعوا بذلك عن انفسهم وسلطانهم معرة العجز عن مقاومتهم ودفعهم عما غلبوا عليه من ديار مصر والشام والحرمين حتى اشتهر ذلك ببغداد وأسجل القضاة بنفيهم من نسب العلويين وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشريفان الرضي والمرتضى وابو حامد الاسفرايني والقدوري في عدة وافرة عندما جمعوا لذلك في سنة اثنتين وأربعمائة أيام القادر وكانت شهادة القوم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وأهلها انما هم شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب والمتطيرون من بني علي بن أبي طالب الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم الافاعيل القبيحة فنقل الاخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه ورووه حسبما تلقوه من غير تدبر والحق من وراء هذا وكفاك بكتاب المعتضد من خلائف بني العباس حجة فانه كتب في شأن عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة بالقبض على عبيد الله فتفطن اعزك الله لصحة هذا الشاهد فان المعتضد لولا صحة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه اذ القوم حينئذ لا يدعون لمن ادعى البتة ولا يذعنون له بوجه وانما ينقادون لمن كان علويا فخاف مما وقع ولو كان عنده من الادعياء لما مر له بفكر ولا خافه على ضيعة من ضياع الارض وانما كان القوم أعني بني علي بن أبي طالب تحت ترقب الخوف من بني العباس لتطلبهم اياهم في كل وقت وقصدهم اياهم دائما بأنواع من العقاب فصاروا ما بين طريد شريد وبين خائف يترقب ومع ذلك فان لشيعتهم الكثيرة المنتشرة في اقطارهم من المحبة لهم والاقبال عليهم ما لا مزيد عليه وتكرر قيام الرجال منهم مرة بعد مرة والطلب عليهم من ورائهم فلاذوا بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون حتى تسمى محمد بن اسمعيل الامام جد عبيد الله المهدي بالمكتوم سماه بذلك الشيعة عند اتفاقهم على اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم وكانت الشيعة فرقا منهم من كان يذهب الى أن الامام من ولد جعفر الصادق هو اسمعيل ابنه وهؤلاء يعرفون من بين فرق الشيعة بالاسماعيلية من أجل انهم يرون أن الامام من بعد جعفر ابنه اسماعيل وأن الامام بعد اسماعيل بن جعفر الصادق هو ابنه محمد المكتوم وبعد ابنه محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق ومن بعد جعفر الصادق ابنه محمد الحبيب وكانوا اهل غلو في دعاويهم في هؤلاء الائمة وكان محمد بن جعفر هذا يؤمل ظهوره وأنه يصير له دولة وكان باليمن من اهل هذا المذهب كثير بعدن وبافريقية وفي كتامة ونفره تلقوا ذلك من عهد جعفر الصادق فقدم على محمد بن ٢
جعفر والد عبيد الله رجل من شيعته باليمن فبعث معه الحسن بن حوشب في سنة ثمان وستين ومائتين فأظهرا أمرهما باليمن وأشهرا الدعوة في سنة سبعين وصار لابن حوشب دولة بصنعاء وبث الدعاة بأقطار الارض وكان من جملة دعاته ابو عبد الله الشيعي فسيره الى المغرب فلقي كتامة ودعاهم فلما مات محمد بن جعفر عهد لابنه عبيد الله فطلبه المكتفي العباسي وكان يسكن عسكر مكرم فسار الى الشام ثم سار الى المغرب فكان من امره ما كان وكانت رجال هذه الدولة الذين قاموا ببلاد المغرب وديار مصر   عشر رجلا هذه خلاصة أخبارهم في انسابهم فتفطن ولا تغتر بزخرف القول الذي لفقوه من الطعن فيهم والله يهدي من يشاء

هكذا بياض بالاصل ولعله اربعة عشر رجلا كما يؤخذ من بعض التواريخ اه

(ذكر الخلفاء الفاطميين)

وكان ابتداء الدولة الفاطمية أن أبا عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن زكرياء الشيعي سار الى أبي القسم الحسين ابن فرج بن حوشب الكوفي القائم ببلاد اليمن وصار من كبار أصحابه وله علم وعنده دهاء ومكر فورد على ابن حوشب من المغرب خبر موت الحلواني داعيه في المغرب ورفيقه فقال لابي عبد الله الشيعي قد خرب الحلواني وابو يوسف بلاد المغرب وقد ماتا وليس للبلاد الا أنت فانها موطأة ممهدة فخرج ابو عبد الله الى مكة وقصد حجاج كتامة فجلس قريبا منهم وسمعهم يتحدثون بفضائل البيت فحدثهم في معناه فمشوا اليه وسألوه أن يأذن لهم في زيارته فلما زاروه سألوه عن مقصده فلم يخبرهم وأوهمهم أنه يريد مصر فسروا بصحبته ورحلوا وهو رفيقهم

فشاهدوا من عبادته وزهده مازادهم رغبة فيه هذا وهو يسألهم عن احوالهم وقبائلهم حتى صار يعرف جميع امورهم فلما وصلوا مصر هم بمفارقتهم فقالوا اى شئ تطلب من مصر فقال أطلب التعليم بها فقالوا اذا كان قصدك هذا فبلادنا أنفع لك ومازالوا به حتى سار معهم فلما وصلوا بلادهم اقترعوا فيمن يضيفه منهم ومن بقية اصحابهم ووصلوا به أرض كتامة للنصف من ربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائتين وكادوا يحتربون عليه أيهم ينزل عنده فأبى أن ينزل عندهم وقال اين يكون فج الاخيار فعجبوا الذلك اذلم يكونوا ذكروه له قط فدلوه عليه فسار اليه وقال هذا فج الاخيار وماسمى الابكم ولقدجاء فى الآثار للمهدى هجرة عن الاوطان ينصره فيها الاخيار من اهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان وبخروجكم فى هذا الفج سمى فج الاخيار فتسامعت به القبائل وأتوه فعظم أمره وهولايذكر اسم المهدى البتة فبلغ خبره ابراهيم بن احمد بن الاغلب أمير افريقية فبعث يسأل عن خبره وكانت له معه قصص آلت الى قيام ابى عبد الله ومحاربته لمن خالفه فظفر بهم وصارت اليه اموالهم وغلب على مدائن وهزم جيوش ابن الاغلب وقتل كثيرا من اصحابه فمات ابراهيم بن الاغلب وولى زيادة الله بن الاغلب وكان كثير اللهو فقوى أمر أبى عبد الله وانتشرت جنوده فى البلاد وصار يقول المهدى يخرج فى هذه الايام ويملك الارض فياطوبى لمن هاجر الى وأطاعنى ويغرى الناس بزيادة الله بن الاغلب ويعيبه وكان اكثر خواص زيادة الله شيعة فلم يكن يسوءهم ظفر أبى عبد الله واكثر من ذكر كرامات المهدى والارسال الى اصحاب زيادة الله الى أن تمكن فبعث برجال من كتامة الى سلمية من أرض الشام فقدموا على عبيد الله وأخبروه بما فتح الله عليه وكان قد اشتهر هنالك وطلبه الخليفة المكتفى فخرج من سلمية فارا ومعه ابنه ابو القاسم نزار ومعهما اهلهما وموا ليهما فأقاما بمصر مستترين فوردت على عيسى النوشرى أمير مصر الكتب من بغداد بصفة عبيد الله وحليته وانه يأخذ عليه الطريق ويقبضه فبلغ ذلك عبيد الله فخرج والاعوان فى طلبه ويقال ان النوشرى ظفر به فناشده الله فى امره فخلى عنه ووصله فسار الى طرابلس وقدسبق خبره الى زيادة الله فسار الى قسطيلية فقدم كتاب زيادة الله بن الاغلب الى عامل طرابلس بأخذ عبيد الله وقد فاتهم فلم يدركوه فرحل الى سلجماسة وأقام بها وقد اقيمت له المراصد بالطرقات فتلطف باليسع بن مدرار صاحب سلجماسة وأهدى اليه فكف عنه ووافاه كتاب زيادة الله بالقبض على عبيد الله فلم يجد بدا من أن قبض عليه وسجنه واشتغل زيادة الله بجمع العساكر لمحاربة ابى عبد الله وتجهيزهم اليه فغلبهم ابو عبد الله وغنم سائر ما معهم وقتل اكثرهم وبلغه ما كان من سجن عبيد الله فكتب اليه يبشره فوصل اليه الكتاب وهو بالسجن مع قصاب دخل به اليه وهو يبيع اللحم ومازال ابو عبد الله يضايق زيادة الله الى أن فر الى مصر وقام من بعده ابراهيم بن الاغلب فلم يتم له امر وملك ابو عبد الله القيروان ونزل برقادة مستهل رجب سنة ست وتسعين ومائتين فأمر ونهى وبث العمال فى الاعمال وقتل من يخاف شره وأمر فنقش على السكة فى أحد الوجهين بلغت حجة الله وفى الآخر تفرق أعداء الله ونقش على السلاح عدة فى سبيل الله ووسم الخيل على أفخاذها الملك لله وأقام على ما كان عليه من لبس الخشن الدون وتناول القليل الغليظ من الطعام فلما دخل شهر رمضان سار من رقادة فى جيوش عظيمة اهتزلها المغرب بأسره يريد سلجماسة فحاربه اليسع يوما كاملا الى الليل ثم فر فى خاصته فدخل ابو عبد الله من الغد الى البلد وأخرج عبيد الله وابنه ومشى فى ركابهما بجميع رؤساء القبائل وهو يقول للناس هذا مولاكم وهو يبكى من شدة الفرح حتى وصل بهما الى فسطاط ضرب به فى العسكر فأنزلهما فيه وبعث الخيل فى طلب اليسع فأدركته وجاءت به فقتله وأقام عبيد الله بسلجماسة أربعين يوما ثم سار الى افريقية فى ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ونزل برقادة وأمر يوم الجمعة أن يذكر فى الخطبة وتلقب بالمهدى أمير المؤمنين فدعى له فى جميع البلاد بذلك وجلس بعد الصلاة الدعاة ودعوا الناس كافة الى مذهبهم فمن أجاب قبل منه ومن أبى قتل وعرض جوارى زيادة الله واختار منهن لنفسه ولولده وفرق مابقى على وجوه كتامة وقسم عليهم أعمال افريقية ودون الدواوين وجبى الاموال ودانت له البلاد فشق ذلك على أبى عبد الله ونافس المهدى وحسده من اجل انه كف يده ويد أخيه أبى العباس فعظم عليه الفطام عن الامر والنهى والاخذ والعطاء وأقبل ابو العباس يزرى على المهدى فى مجلس أخيه ويؤنب اخاه على مافعل حتى أثر فى نفسه فسأل المهدى أن يفوض اليه الامور ويجلس فى القصر وكان قد بلغ المهدى ما يجهر به ابو العباس

من السوء فى حقه فردّاً باعبد الله ردّا لطيفا وأسرّها فى نفسه واكثر أبو العباس من قوله حتى أغرى المقدّمين بالمهدى وقال ماهذا بالذى كنا نعتقد طاعته وندعو اليه لان المهدى يأتى بالآيات الباهرة فمال اليه جماعة وواجه بعضهم المهدى بذلك وقال له ان كنت المهدى فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك فبعد ما بين المهدى وبين ابى عبد الله وأوجس كل منهما فى نفسه خيفة من الآخر وأخذ ابو العباس يدبر فى قتل المهدى والمهدى يحل ما كان يبرمه ثم رتب رجالا فلما ركب ابو عبد الله وأخوه الى قصر المهدى ثار بهما الرجال فقال ابو عبد الله لا تفعلوا فقالوا له ان الذى امرتنا بطاعته امرنا بقتلك فقتل هو وأخوه للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة فثارت فتنة بسبب قتلهما فركب المهدى حتى سكنت وتتبع جماعة منهم فقتلهم فلما استقام له الامر عهد الى ابنه أبى القاسم وتتبع بنى الاغلب فقتل منهم جماعة وجهز فى سنة احدى وثلثمائة ابنه أبا القاسم بالعساكر الى مصر فأخذ برقة والاسكندرية والفيوم وكانت له مع عساكر مصر وعساكر العراق الواردة الى مصر مع مؤنس الخادم عدة حروب وعاد الى الغرب فجهز المهدى فى سنة اثنتين وثلثمائة حباسة بجيوش الى مصر فغلب على الاسكندرية وكان من امره ما تقدم ذكره وكان للمهدى ببلاد المغرب عدة حروب وكان يوجد فى الكتب خروج أبى يزيد النكارى على دولته فبنى المهدية وأدار عليها سورا جعل فيه ابوابا زنة كل مصراع منها مائة قنطار من حديد وكان ابتداء بنائها فى ذى القعدة سنة ثلاث وثلثمائة وبنى المصلى بظاهرها وقال الى هنا يصل صاحب الحمار يعنى أبا يزيد فكان كذلك وأنشأ صناعة فيها تسعمائة شونة وقال انما بنيت هذه لتعتصم الفواطم بها ساعة من نهار فكان كذلك ثم انه جهز ابنه أبا القاسم فى سنة ست وثلثمائة على جيش الى مصر فأخذ الاسكندرية وملك جزيرة الاشمونين وكثيرا من صعيد مصر وكانت هنالك حروب مع عساكر مصر والعراق ثم عاد الى المغرب وخرج ابو القاسم فى سنة خمس عشرة بالجيوش الى المغرب فحارب قوما وعاد فمات عبيد الله فى ليلة الثلاثاء منتصف شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة بالمهدية من القيروان عن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته اربعا وعشرين سنة وشهرا وعشرين يوما ولما مات اخفى ابنه موته وقام من بعد عبيد الله المهدى ولى عهده (القائم بأمر الله ابو القاسم محمد) * ويقال كان اسمه بالمشرق عبد الرحمن فتسمى فى بلاد المغرب بمحمد وذلك بسلمية فى المحرم سنة ثمانين ومائتين فلما فرغ من جميع ما يريده وتمكن اظهر موت ابيه واستقل بالامر وله سبع واربعون سنة وتبع سيرة أبيه وثار عليه جماعة فظفر بهم وبث جيوشه فى البر والبحر فسبوا وغنموا من بلد جنوة وبعث جيشا الى مصر فملكوا الاسكندرية والاخشيد يومئذ امير مصر فلما كان فى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة خرج عليه أبو يزيد مخلد بن كنداد النكارى الخارجى بأفريقية واشتدت شوكته وكثرت أتباعه وهزم جيوش القائم غير مرة وكان مذهبه تكفير أهل الملة واراقة دمائهم ديانة فملك باجة وحرقها وقتل الاطفال وسبى النسوان ثم ملك القيروان فاضطرب القائم وخاف الناس وهم وابا العقلة من زويلة وقوى أمر ابى يزيد ونازل المهدية وحصر القائم بها وكاد أن يغلب عليها فلما بلغ المصلى حيث أشار المهدى انه يصل هزمه اصحاب القائم وقتلوا كثيرا من أصحابه وكانت له قصص وأنباء الى أن مات القائم لثلاث عشرة خلت من شوال سنة اربع وثلاثين وثلثمائة عن أربع وخمسين سنة وتسعة أشهر ولم يرق منبرا ولا ركب دابة لصيد مدة خلافته حتى مات وصلى مرة على جنازة وصلى بالناس العيد مرة واحدة وكانت مدة خلافته اثنتى عشرة سنة وستة أشهر وأياما وترك ابا الطاهر اسمعيل وأبا عبد الله جعفرا وحمزة وعدنان وعدة أخر وقام من بعده ابنه * (المنصور بنصر الله ابو الطاهر اسمعيل) * وكتم موت أبيه خوفا أن يعلم ابو يزيد فانه كان قريبا منه وأبقى الامور على حالها ولم يتسم بالخليفة ولا غير السكة ولا الخطبة ولا البنود وجد فى حرب أبى يزيد حتى ظفر به وحمل اليه فمات من جراحات كانت به سلخ المحرم سنة ست وثلاثين وثلثمائة ولم يزل المنصور الى أن مات سلخ شوال سنة احدى واربعين وثلثمائة عن احدى وأربعين سنة وخمسة أشهر وكانت مدة خلافته ثمان سنين وقيل سبع سنين وعشرة أيام وقد اختلف فى تاريخ ولادته فقيل ولد أول ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلثمائة بالمهدية وقيل بل ولد فى سنة اثنتين وقيل سنة احدى وثلثمائة وكان خطيبا بليغا يرتجل الخطبة لوقته شجاعا عاقلا وقام من بعده ابنه * (المعز لدين الله ابو تميم معد) * وعمره نحو أربع وعشرين سنة فانه ولد للنصف من رمضان سنة سبع

عشرة وثلثمائة فانقاد اليه البربر وأحسن اليهم فعظم أمره واختص من مواليه بجوهر وكناه بأبي الحسين وأعلى قدره وصيره في رتبة الوزارة وعقد له على جيش كثيف فيهم الامير زيرى بن مناد الصنهاجي فدوخ المغرب وافتتح مدنا وقهر عدة أكابر وأسرهم حتى اتى البحر المحيط فأمر باصطياد سمكة منه وسيرها في قلة من ماء الى المعز اشارة الى أنه ملك حتى سكان البحر المحيط الذى لا عمارة بعده ثم قدم غانما مظفرا فعظم قدره عند المعز ولما كان في بعض الايام استدعى المعز في يوم شات عدة من شيوخ كتامة فدخلوا عليه في مجلس قد فرش باللبود وحوله كساء وعليه جبة وحوله ابواب مفتحة تفضى الى خزائن كتب وبين يديه دواة وكتب فقال يا اخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد فقلت لام الامراء وانها الآن بحيث تسمع كلامى أترى اخواننا يظنون انا في مثل هذا اليوم نأكل ونشرب ونتقلب في المثقل والديباج والحرير والفنك والسمور والمسك والخمر والقباء كما يفعل أرباب الدنيا ثم رأيت أن أنفذ اليكم فأحضرتكم لتشاهدوا حالى اذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم وانى لا افضلكم في احوالكم الا بما لابد لى منه من دنياكم وبما خصنى الله به من امامتكم وانى مشغول بكتب ترد على من المشرق والمغرب اجيب عنها بخطى وانى لا اشتغل بشيء من ملاذ الدنيا الا بما يصون أرواحكم ويعمر بلادكم ويذل اعداءكم ويقمع اضدادكم فافعلوا يا شيوخ في خلواتكم مثل ما افعله ولا تظهروا التكبر والتجبر فينزع الله النعمة عنكم وينقلها الى غيركم وتحننوا على من وراءكم ممن لا يصل الى كتحننى عليكم ليتصل في الناس الجميل ويكثر الخير وينتشر العدل وأقبلوا بعدها على نسائكم والزموا الواحدة التى تكون لكم ولا تشرهوا الى التكثر منهن والرغبة فيهن فيتنغص عيشكم وتعود المضرة عليكم وتنهكوا أبدانكم وتذهب قوتكم وتضعف نحائزكم فحسب الرجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون الى نصرتكم بأبدانكم وعقولكم واعلموا أنكم اذا لزمتم ما آمركم به رجوت أن يقرب الله علينا امر المشرق كما قرب امر المغرب بكم انهضوا رحمكم الله ونصركم فخرجوا عنه واستدعى يوما أبا جعفر حسين بن مهذب صاحب بيت المال وهو في وسط القصر قد جلس على صندوق وبين يديه ألوف صناديق مبددة فقال له هذه صناديق مال وقد شذ عنى ترتيبها فانظرها ورتبها قال فأخذت اجمعها الى أن صارت مرتبة وبين يديه جماعة من خدام بيت المال والفراشين فأنفذت اليه أعلمه فأمر برفعها في الخزائن على ترتيبها وأن يغلق عليها ويختم بخاتمه وقال قد خرجت عن خاتمنا وصارت اليك فكانت جملتها أربعة وعشرين ألف ألف دينار وذلك في سنة سبع وخمسين وثلثمائة فأنفقها أجمع على العساكر التى سيرها الى مصر من سنة ثمان وخمسين الى سنة اثنتين وستين وثلثمائة * ولما أخذ في تجهيز جوهر بالعساكر الى أخذ ديار مصر حتى تهيأ امره وبرز للمسير بعث المعز خفيفا الصقلبى الى شيوخ كتامة يقول يا اخواننا قد رأينا أن ننفذ رجالا الى البلدان كتامة يقيمون بينهم ويأخذون صدقاتهم ومراعيهم ويحفظونها عليهم في بلادهم فاذا احتجنا اليها انفذنا خلفها فاستعنا بها على ما نحن بسبيله فقال بعض شيوخهم لخفيف لما بلغه ذلك قل لمولانا والله لا فعلنا هذا أبدا كيف تؤدى كتامة الجزية ويصير عليها في الديوان ضريبة وقد أعزها الله قديما بالاسلام وحديثا معكم بالايمان وسيوفنا بطاعتكم في المشرق والمغرب فعاد خفيف الى المعز بذلك فأمر باحضار جماعة كتامة فدخلوا عليه وهو راكب فرسه فقال ما هذا الجواب الذى صدر عنكم فقالوا هذا جواب جماعتنا ما كان مولانا بالذى يؤدى جزية تبقى علينا فقام المعز في ركابه وقال بارك الله فيكم فهكذا اريد أن تكونوا وانما أردت أن اختبركم فأنظر كيف أنتم بعدى فسار جوهر وأخذ مصر كما قد ذكر في ترجمته عند ذكر سور القاهرة من هذا الكتاب * فلما ثبت قدم جوهر بمصر كتب اليه المعز جوابا عن كتابه وأما ما ذكرت يا جوهر من أن جماعة بنى حمدان وصلت اليك كتبهم يبذلون الطاعة ويعدون بالمسارعة في المسير اليك فاسمع لما اذكره لك احذر أن تبتدئ احدا من آل حمدان بمكاتبة ترهيبا له ولا ترغيبا ومن كتب اليك كتابا منهم فأجبه بالحسن الجميل ولا تستدعه اليك ومن ورد اليك منهم فأحسن اليه ولا تمكن احدا منهم من قيادة جيش ولا ملك طرف فبنو حمدان يتظاهرون بثلاثة أشياء عليها مدار العالم وليس لهم فيها نصيب يتظاهرون بالدين وليس لهم فيه نصيب ويتظاهرون بالكرم وليس لواحد منهم كرم في الله ويتظاهرون بالشجاعة وشجاعتهم للدنيا لا للآخرة فاحذر كل الحذر من الاستناد الى أحد منهم * ولما عزم المعز على المسير الى مصر أجال فكره فيمن يخلفه في بلاد المغرب فوقع اختياره على جعفر بن على الامير فاستدعاه وأسر اليه أنه يريد استخلافه بالمغرب

فقال

فقال تترك معي أحد أولادك او اخوتك يجلس فى القصر وأنا ادبر ولا تسألنى عن شئ من الاموال لانى ما أجبيه يكون بازاء ما انفقه من الاموال واذا أردت امرا فعلته من غير أن أنتظر ورود أمرك فيه لبعد ما بين مصر والمغرب ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره الى فغضب المعز وقال يا جعفر عزلتنى عن ملكى وأردت أن تجعل لى فيه شريكا فى امرى واستبددت بالاعمال والاموال دونى قم فقد أخطأت حظك وما اصبت رشدك فخرج عنه ثم انه استدعى يوسف بن زيرى الصنهاجى وقال له تأهب لخلافة المغرب فأكبر ذلك وقال يا مولانا أنت وآباؤك الائمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب فكيف يصفو لى وأنا صنهاجى بربرى قتلتنى يا مولانا بغير سيف ولا رمح فما زال به المعز حتى اجاب بشريطة أن المعز يولى القضاء والخراج لمن يراه ويختاره ويجعل الخبر لمن يثق به ويجعله قائما بين ايدى هؤلاء فمن استعصى عليهم يأمره هؤلاء به حتى يعمل به ما يجب ويكون الامر لهم ويصير كالخادم بين اولئك فأحب المعز ما قال وشكره فلما انصرف قال ابو طالب بن القائم بأمر الله المعز يا مولانا وتثق بهذا القول من يوسف وانه يقوم بوفاء ما ذكر فقال المعز يا عمنا كم بين قول يوسف وقول جعفر فاعلم يا عم أن الامر الذى طلبه جعفر ابتداء هو آخر ما يصير اليه امر يوسف واذا تطاولت المدة سينفرد بالامر ولكن هذا أولا احسن وأجود عند ذوى العقل وهو نهاية ما يفعله وكانت أم الامراء قد وجهت من المغرب صبية لتباع بمصر فعرضها وكيلها فى مصر للبيع وطلب فيها ألف دينار فحضر اليه فى بعض الايام امرأة شابة على حمار لتقلب الصبية فساومته فيها وابتاعتها منه بستمائة دينار فاذا هى ابنة الاخشيد محمد بن طغج وقد بلغها خبر هذه الصبية فلما رأتها شغفتها حبا فاشترتها لتستمتع بها فعاد الوكيل الى المغرب وحدث المعز بذلك فأحضر الشيوخ وأمر الوكيل فقص عليهم خبر ابنة الاخشيد مع الصبية الى آخره فقال المعز يا اخواننا انهضوا الى مصر فلن يحول بينكم وبينها شئ فان القوم قد بلغ بهم الترف الى أن صارت امرأة من بنات الملوك فيهم تخرج بنفسها وتشترى جارية لتتمتع بها وما هذا الا من ضعف نفوس رجالهم وذهاب غيرتهم فانهضوا لمسيرنا اليهم فقالوا السمع والطاعة فقال خذوا فى حوائجكم فنحن نقدم الاختيار لمسيرنا ان شاء الله تعالى وكان قيصر ومظفر الصقلبيان قد بلغا رتبة عظيمة عند المنصور والد المعز وكان المظفر يدل على المعز من اجل أنه علمه الخط فى صغره فحرد عليه مرة وولى فسمعه المعز يتكلم بكلمة صقلبية استراب منها ولقنها منه وأنف نفسه من السؤال عن معناها فأخذ يحفظ اللغات فابتدأ بتعلم اللغة البربرية حتى احكمها ثم تعلم الرومية والسودانية حتى اتقنهما ثم أخذ يتعلم الصقلبية فمرت به تلك الكلمة فاذا هى سب قبيح فأمر بمظفر فقتل من اجل تلك الكلمة وبلغه امر الحروب التى كانت بين بنى حسن وبنى جعفر بالحجاز حتى قتل من بنى حسن اكثر ممن قتل من بنى جعفر فأنفذ مالا ورجالا فى السر مازالوا بالطائفتين حتى اصطلحا وتحمل الرجال عن كل منهما الحمالات فجاء الفاضل فى القتلى لبنى حسن عند بنى جعفر نحو سبعين قتيلا فأدوا عنهم وعقدوا بينهم الصلح فى الحرم تجاه الكعبة وتحملوا عنهم الديات من مال المعز وكان ذلك فى سنة ثمان وأربعين وثلثمائة فصارت هذه الفعلة يدا عند بنى حسن للمعز فلما ملك جوهر مصر بادر حسن بن جعفر الحسنى بالدعاء للمعز فى مكة وبعث الى جوهر بالخبر فسير الى المعز يعرفه باقامة الدعوة له بمكة فأنفذ اليه بتقليده الحرم وأعماله وسار المعز بعساكره من المغرب حتى نزل بالجيزة فعقد له جوهر جسرا جديدا عند المختار بالجزيرة فسار عليه وقد زينت له مدينة الفسطاط فلم يشقها ودخل الى القاهرة بجميع أولاده واخوته وسائر اولاد عبيد الله المهدى وبتوابيت آبائه وذلك لسبع خلون من رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة فعندما دخل القصر صلى ركعتين فاقتدى به من حضر وبات به ثم اصبح فجلس للهناء وأمر فكتب فى سائر مدينة مصر خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم امير المؤمنين على بن ابى طالب وأثبت اسم المعز لدين الله واسم أبيه عبد الله الامير وجلس فى القصر على السرير الذهب وصلى بالناس صلاة عيد الفطر فى المصلى فسبح فى كل ركعة وفى كل سجدة ثلاثين تسبيحة ثم خطب بعد الصلاة وركب لفتح خليج مصر يوم الوفاء وعمل عيد غدير خم ومات بعض بنى عمه فصلى عليه وكبر سبعا وكبر على ميت آخر خمسا وقدمت القرامطة الى مصر فسير اليهم الجيوش وهزموهم وما زال الى أن توفى من علة اعتلها بعد دخوله الى القاهرة بسنتين وسبعة اشهر وعشرة ايام وعمره خمس وأربعون سنة وستة اشهر تقريبا فان مولده بالمهدية فى حادى عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة ووفاته بالقاهرة لاربع عشرة خلت من ربيع

الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة وكانت مدة خلافته بالمغرب وديار مصر ثلاثا وعشرين سنة وعشرة ايام وهو أول الخلفاء الفاطميين بمصر واليه تنسب القاهرة المعزية لان عبده جوهرا القائد بناها حسب مارسم له كما ذكر في خبر بنائها * وكان المعز عالما فاضلا جوادا احسن السيرة منصفا للرعية مغرما بالنجوم اقيمت له الدعوة بالمغرب كله وديار مصر والشام والحرمين وبعض أعمال العراق * وقام من بعده ابنه (العزيز بالله ابو منصور نزار) * فأقام في الخلافة احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفا ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما في الثامن والعشرين من رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة بمدينة بلبيس وحمل الى القاهرة * وقام من بعده ابنه (الحاكم بأمر الله ابو علي منصور) * وكانت مدة خلافته الى أن فقد خمسا وعشرين سنة وشهرا وفقد وعمره ست وثلاثون سنة وسبعة أشهر في ليلة السابع والعشرين من شوال سنة احدى عشرة واربعمائة وقد بسطت خبر العزيز والحاكم عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب * وقام من بعده ابنه (الظاهر لاعزاز دين الله ابو الحسن علي) بن الحاكم بأمر الله ولد بالقاهرة يوم الاربعاء لعشر خلون من رمضان سنة خمس وتسعين وثلثمائة وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة احدى عشرة وأربعمائة وعمره ست عشرة سنة فخرج الى صلاة العيد وعلى رأسه المظلة وحوله العساكر وصلى بالناس في المصلى وعاد فكتب بخلافته الى الاعمال وشرب الخمور رخص فيه للناس وفي سماع الغناء وشرب الفقاع وأكل الملوخيا وجميع الاسماك فأقبل الناس على اللهو ووزر له الخطير رئيس الرؤساء ابو الحسن عمار بن محمد وكان يلي ديوان الانشاء وغيره واستوزره الحاكم الى أن فقد فتولى البيعة للظاهر ثم قتل بعد سبعة اشهر في ربيع الاول سنة اثنتي عشرة فاستوزر بعده بدر الدولة أبا الفتوح موسى بن الحسين وكان يتولى الشرطة ثم ولي ديوان الانشاء بعد ابن خيران وصرف عن الوزارة في المحرم سنة ثلاث عشرة وقبض عليه في شوال وقتل فوجد له من العين ستمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار وولي بعده الوزارة الامير شمس الملوك المكين مسعود بن طاهر * وفي سنة أربع عشرة قلد منتخب الدولة الدربري متولي قيسارية ولاية فلسطين فكانت له مع حسان ابن مفرج بن جراح الطائي حروب وفيها نزع السعر بمصر وتعذر وجود الخبز وفي المحرم سنة خمس عشرة لقب الخادم الاسود معضاد بالقائد عز الدولة وسناها ابي الفوارس معضاد الظاهر وخلع عليه وثار رجل من بني الحسين ببلاد الصعيد فقبض عليه وأقر أنه قتل الحاكم بأمر الله ووجد معه قطعة من جلد رأسه وقطعة من الفوطة التي كانت عليه فسئل عن سبب قتله اياه فقال غرت لله وللاسلام ثم قتل نفسه بسكين كانت معه فقطعت رأسه وسيرت الى القاهرة وفيها اشتد الغلاء بمصر وكثر نقص النيل * وفيها اقرّ الشريف الكبير العجمي والشيخ نجيب الدولة الجرجراي والشيخ العميد محسن بن بدوس مع القائد معضاد أن لا يدخل على الظاهر أحد غيرهم وكانوا يدخلون كل يوم خلوة ويخرجون فيتصرفون في سائر أمور الدولة والظاهر مشغول بلذاته وصار شمس الملوك مظفر صاحب المظلة وابن خيران صاحب الانشاء وداعي الدعاة ونقيب نقباء الطالبيين وقاضي القضاة يعاد خلوا على الظاهر في كل عشرين يوما مرة ومن عداهم لا يصل الى الظاهر البتة والثلاثة الاول هم الذين يقضون الاشغال ويمضون الامور بعد الاجتماع عند القائد معضاد ومنع الناس من ذبح الابقار لقلتها وعزت الاقوات بمصر وقلت البهائم كلها حتى بيع الرأس البقر بخمسين دينارا وكثر الخوف في ظواهر البلد وكثر اضطراب الناس وتحدث زعماء الدولة بمصادرة التجار فاختلف بعضهم على بعض وكثر ضجيج طوائف العسكر من الفقر والحاجة فلم يجابوا وتحاسد زعماء الدولة فقبض على العميد محسن وضرب عنقه واشتد الغلاء وفشت الامراض وكثر الموت في الناس وفقد الحيوان فلم يقدر على دجاجة ولا فروج وعز الماء لقلة الظهر فعم البلاء من كل جهة وعرض الناس امتعتهم للبيع فلم يوجد من يشتريها وخرج الحاج فقطع عليهم الطريق بعد رحيلهم من بركة الجب وأخذت اموالهم وقتل منهم كثير وعاد من بقي فلم يحج أحد من اهل مصر وتفاقم الامر في شدة الغلاء فصاح الناس بالظاهر الجوع الجوع يا أمير المؤمنين لم يصنع بنا هذا ابوك ولا جدك فالله الله في امرنا وطرقت عساكر ابن جراح الفرما ففر اهلها الى القاهرة وأصبح الناس بمصر على اقبح حال من الامراض والموتان وشدة الغلاء وعدم الاقوات وكثر الخوف من الذعار التي تكبس حتى انه لما عمل سماط عيد النحر بالقصر كبس العبيد على السماط وهم يصيحون الجوع ونهبوا سائر ما كان عليه

ونهبت الارياف وكثر طمع العبيد ونهبهم وجرت امور من العامة قبيحة واحتاج الظاهر الى القرض فحمل بعض اهل الدولة اليه مالا وامتنع آخرون واجتمع نحو الالف عبد لتنهب البلد من الجوع فنودى بأن من تعرض له أحد من العبيد فليقتله وندب جماعة لحفظ البلد واستعد الناس فكانت نهبات بالساحل ووقائع مع العبيد احتاج الناس فيها الى أن خندقوا عليهم خنادق وعملوا الدروب على الازقة والشوارع وخرج معضاد فى عسكر فطردهم وقبض على جماعة منهم ضرب أعناقهم وأخذ العبيد فى طلب الجرجراى وغيره من وجوه الدولة فحرسوا انفسهم وامتنعوا فى دورهم وانقضت السنة والناس فى أنواع من البلاء * وفى سنة ست عشرة امر الظاهر فأخرج من بمصر من الفقهاء المالكية وغيرهم وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الاسلام ومختصر الوزير وجعل لمن حفظ ذلك مالا * وفى سنة سبع عشرة ثار بمصر رعاف عظيم بالناس وكثرت زيادة النيل عن العادة وتصدق الظاهر بمائة الف دينار من أجل أنه سقط عن فرسه وسلم * وفى سنة ثمان عشرة وقعت الهدنة مع صاحب الروم وخطب للظاهر فى بلاده وأعاد الجامع بقسطنطينية وعمل فيه مؤذنا فأعاد الظاهر كنيسة قمامة بالقدس وأذن لمن اظهر الاسلام فى أيام الحاكم أن يعود الى النصرانية فرجع اليها كثير منهم وصرف الظاهر وزيره عميد الدولة وناصحها أبا محمد الحسن بن صالح الروذبادى وأقام بدله ابا القاسم على بن احمد الجرجراى * وفى سنة عشرين كانت فتنة بين المغاربة والاتراك قتل فيها كثير * وفى سنة احدى وعشرين بويع لابن الظاهر بولاية العهد وعمره ثمانية اشهر وأنفق على ذلك فى خلع لاهل الدولة وطعام ونثار للعامة ما يجل وصفه * وفى سنة اثنتين وعشرين تحرك السعر لنقص ماء النيل ثم زاد بعد أوانه بأربعة أشهر * وفى سنة ثلاث وعشرين قتل الظاهر أحد الدعاة فاضطربت الرعية والجند وتحدث الناس بخلعه ثم سكنت الفتنة بعد انفاق مال جزيل * وفى سنة أربع وعشرين ركب ولى العهد من القاهرة الى مصر وقد زينت الطرقات فكان اذا مر بقوم قبلوا له الارض ونثر يومئذ على العامة مبلغ خمسة آلاف دينار فكان يوما عظيما * وفى سنة خمس وعشرين بث الظاهر دعاته ببغداد عند اختلاف الاتراك بها فكثرت دعاته هناك واستجاب لهم خلق كثير فلما كان فى سنة ست وعشرين كثر الوباء بمصر ومات الظاهر للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة عن اثنتين وثلاثين سنة الا اياما فكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية اشهر وأياما وكان مشغوفا باللهو محبا للغناء فتأنق الناس فى ايامه بمصر واتخذوا المغنيات والرقاصات وبلغوا من ذلك مبلغا عظيما واتخذ حجرا لمماليكه وعلمهم انواع العلوم وسائر فنون الحرب واتخذ خزانة البنود وأقام فيها ثلاثة آلاف صانع وراسل الملوك واستكثر من شراء الجواهر وكانت مملكته بافريقية ومصر والشام والحجاز وغلب صالح بن مرداس على حلب فى أيامه واستولى على مايليها وتغلب حسان بن جراح على اكثر بلاد الشام فتضعضعت الدولة * وقام من بعده ابنه ولى العهد وبويع له وهو (المستنصر بالله ابو تميم معد) * ومولده فى السادس عشر من جمادى الآخرة سنة عشرين واربعمائة وبويع بالخلافة للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وعمره يومئذ سبع سنين فأقام ستين سنة وأشهرا فى الخلافة كانت فيها أنباء وقصص شنيعة بديار مصر منها أن امه كانت امة سوداء لتاجر يهودى يقال له ابو سعد سهل بن هرون التسترى فابتاعها منه الظاهر واستولدها المستنصر فلما أفضت الخلافة اليه استدنت امه أبا سعد ورقته درجة علية وكان الوزير يومئذ ابا القاسم الجرجراى فلم يتمكن ابو سعد من اظهار ما فى نفسه حتى مات الجرجراى وتولى ابو منصور صدقة بن يوسف العلاجى الوزارة فانبسطت يد أبى سعد وصار العلاجى يأتمر بأمره فعمل عليه وقتله كما ذكر فى خبر خزانة البنود فحقدت أم المستنصر على العلاجى وصرفته عن الوزارة واستقر ابو البركات صفى الدين الحسين بن محمد بن احمد الجرجراى فى الوزارة * وفى سنة اربعين سار ناصر الدولة الحسين بن حمدان متولى دمشق بالعساكر الى حلب وحارب متوليها ثمال بن صالح بن مرداس ثم رجع بغير طائل فتقلد مظفر الصقلبى دمشق وقبض على ابن حمدان وصادره واعتقله بصور ثم بالرملة وخرج امير الامراء رفق الخادم على عسكر تبلغ عدته نحو الثلاثين الفا بلغت النفقة عليه اربعمائة ألف دينار يريد الشام ومحاربة بنى مرداس * وفى المحرم سنة احدى واربعين صرف قاضى القضاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان عن القضاء بعد ما باشره ثلاث عشرة سنة وشهرا وأربعة ايام وتقلد وظيفة القضاء بعده القاضى الاجل خطير الملك ابو محمد البازورى * وفيها

حارب رفق بنى مرداس فظفروا به وأسروه فمات بقلعة حلب فأفرج عن ابن حمدان وبقى بالحضرة وقبض على الوزير أبى البركات الجرجراى ونفى الى الشام وعمل ابو المفضل صاعد بن مسعود واسطة لا وزيرا ثم قلد قاضى القضاة ابو محمد البازورى الوزارة مع وظيفة القضاء ولقب بسيد الوزراء * وفى سنة اثنتين واربعين كانت حروب البحيرة واخراج بنى قرة منها وانزال بنى سنبس بعدهم بها وفيها دعا على بن محمد الصليحى باليمن للمستنصر وبعث اليه بمال التجوة والهدن * وفى سنة أربع واربعين كتب ببغداد محاضر بالقدح فى نسب الخلفاء المصريين ونفيهم من الانتساب الى على بن ابى طالب وسيرت الى الآفاق وقصر مد النيل فتحرك السعر بمصر ثم قصر أيضا مد النيل فى سنة ست وأربعين فقوى الغلاء وكثر الموت فى الناس * وفى سنة ثمان وأربعين خرج ابو الحارث البساسيرى من بغداد منتميا للمستنصر فسيرت اليه الاموال والخلع * وفى سنة ثمان وأربعين عادت حلب الى مملكة المستنصر * وفى سنة خمسين قبض على الوزير الناصر للدين ابى محمد البازورى وتقلد بعده الوزارة ابو الفرج محمد بن جعفر المغربى بن عبد الله بن محمد وولى القضاء بعد البازورى ابو على احمد بن عبد الحكم ثم صرف بعبد الحاكم المليحى وفيها أخذ البساسيرى بغداد وأقام فيها الخطبة للمستنصر وفر الخليفة القائم بأمر الله العباسى الى قريش بن بدران فبعث به الى عانة وسيرت ثياب القائم وعمامته وغير ذلك من الاموال الى مصر وفيها سار ناصر الدولة الى دمشق أميرا عليها * وفى سنة احدى وخمسين اقيمت دعوة المستنصر بالبصرة وواسط وجميع تلك الاعمال فقدم طغريل الى بغداد وأعاد الخليفة القائم بعد ما خطب للمستنصر ببغداد أربعون خطبة وقتل البساسيرى وفيها قطعت خطبة المستنصر أيضا من حلب فسار اليها ابن حمدان وحارب اهلها فانكسر كسرة شديدة شنيعة وعاد الى دمشق وفيها صرف ابو الفرج بن المغربى عن الوزارة وعبد الحاكم عن القضاء وأعيد الى الوزارة ابو الفرج البابلى واستقر فى وظيفة القضاء احمد بن ابى زكرى * وفى سنة ثلاث وخمسين كثر صرف الوزراء والقضاة وولايتهم لكثرة مخالطة الرعاع للخليفة وتقدم الاراذل بحيث كان يصل اليه فى كل يوم ثمانمائة رقعة فيها المرافعات والسعايات فاشتبهت عليه الامور وتناقضت الاحوال ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدة كل منهم وخربت الاعمال وقل ارتفاعها وتغلب الرجال على معظمها مع كثرة النفقات والاستخفاف بالامور وطغيان الاكابر الى أن آل الامر الى حدوث الشدة العظمى كما قد ذكر فى موضعه من هذا الكتاب وكان من قدوم أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ست وستين وأربعمائة وقيامه بسلطنة مصر ما ذكر فى ترجمته عند ذكر أبواب القاهرة فلم يزل المستنصر مدة أمير الجيوش ملجما عن التصرف الى أن مات فى سنة سبع وثمانين فأقام العسكر من بعده فى الوزارة ابنه الافضل شاهنشاه فباشر الامور يسيرا ومات المستنصر ليلة الخميس للبلتين بقيتا من ذى الحجة سنة سبع وثمانين عن سبع وستين سنة وخمسة اشهر منها فى الخلافة ستون سنة وأربعة اشهر وثلاثة ايام مرت فيها اهوال عظيمة وشدائد آلت به الى أن جلس على نخ وفقد القوت فلم يقدر عليه حتى كانت امرأة من الاشراف تتصدق عليه فى كل يوم بقعب فيه فتيت فلا يأكل سواه مرة فى كل يوم وقد مر فى غير موضع من هذا الكتاب كثير من أخباره فلما مات المستنصر أقام الافضل بن امير الجيوش فى الخلافة من بعده ابنه (المستعلى بالله ابا القاسم احمد) * وكان مولده فى العشرين من المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة فخالف عليه اخوه نزار وفر الى الاسكندرية وكان القائم بالامور كلها الافضل فحاربه حتى ظفر به وقتله كما تقدم فى خبر أفتكين عند خزائن القصر * وفى سنة تسعين وقع بمصر غلاء ووباء وقطعت الخطبة من دمشق للمستعلى وخطب بها للعباسى وخرج الفرنج من قسطنطينية لاخذ سواحل الشام وغيرها من ايدى المسلمين فملكوا انطاكية * وفى سنة احدى وتسعين خرج الافضل بعسكر عظيم من القاهرة فأخذ بيت المقدس من الارمن وعاد الى القاهرة * وفى سنة اثنتين وتسعين ملك الفرنج الرملة وبيت المقدس فخرج الافضل بالعساكر وسار الى عسقلان فسار اليه الفرنج وقاتلوه وقتلوا كثيرا من اصحابه وغنموا منه شيأ كثيرا وحصروه فنجا بنفسه فى البحر وصار الى القاهرة * وفى سنة ثلاث وتسعين عم الوباء اكثر البلاد فهلك بمصر عالم عظيم * وفى سنة اربع وتسعين خرج عسكر مصر لقتال الفرنج وكانت بينهما حروب كثيرة * وفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة مات المستعلى بالله لثلاث عشرة بقيت من صفر وعمره سبع وعشرون سنة وسبعة وعشرون يوما ومدة خلافته سبع سنين وشهران وفى ايامه اختلت الدولة

واقطع

وانقطعت الدعوة من اكثر مدن الشام فانها صارت بين الاتراك والفرنج وصارت الاسماعيلية فرقتين فرقة نزارية تطعن فى امامة المستعلى وفرقة ترى صحة خلافته ولم يكن للمستعلى مع الافضل امر ولا نهى ولا نفوذ كلمة وقيل انه سم وقيل بل قتل سرّا * فلما مات أقام الافضل من بعده فى الخلافة ابنه (الآمر بأحكام الله اباعلى منصورا) * وعمره خمس سنين وشهر وايام فقتل الافضل فى ايامه واقام فى الخلافة تسعا وعشرين سنة وثمانية اشهر ونصفا وقد ذكرت ترجمته عند ذكر الجامع الاقمر فى ذكر الجوامع من هذا الكتاب ولما قتل الآمر بأحكام الله اقيم من بعده (الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد) ابن الامير أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله وكان قد ولد بعسقلان فى المحرم سنة سبع وقيل فى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة لما اخرج المستنصر ابنه اباالقاسم مع بقية اولاده فى ايام الشدة فلذلك كان يقال له فى ايام الآمر بأحكام الله الامير عبد المجيد العسقلانى ابن عمّ مولانا * ولما قتل النزارية الخليفة الآمر أقام برغش وهزار الملوك الامير عبد المجيد فى دست الخلافة ولقباه بالحافظ لدين الله وانه يكون كفيلا لمنتظر فى بطن أمه من اولاد الآمر واستقر هزار الملوك وزيرا فثار العسكر وأقاموا أباعلى بن الافضل وزيرا وقتل هزار الملوك ونهب شارع القاهرة وذلك كله فى يوم واحد فاستبد ابو على بالوزارة يوم السادس عشر من ذى القعدة سنة اربع وعشرين وخمسمائة وقبض على الحافظ وسجنه مقيدا فاستمر الى أن قتل ابو على فى سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين فأخرج من معتقله وأخذ له العهد على انه ولى عهد كفيل لمن يذكر اسمه فاتخذ الحافظ هذا اليوم عيدا سماه عيد النصر وصار يعمل كل سنة ونهبت القاهرة يومئذ وقام يانس صاحب الباب بالوزارة الى أن هلك فى ذى الحجة منها بعد تسعة اشهر فلم يستوزر الحافظ بعده أحدا وتولى الامور بنفسه الى سنة ثمان وعشرين فأقام ابنه سليمان ولى عهده مقام وزير فلم تطل أيامه سوى شهرين ومات فجعل مكانه ابن حيدرة فحنق ابنه حسن وثار بالفتنة وكان من أمره ما ذكر فى خبر الحارة اليانسية من هذا الكتاب فلما قتل حسن قام بهرام الارمنى وأخذ الوزارة فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وكان نصرانيا فاشتد ضرر المسلمين من النصارى وكثرت أذيتهم فسار رضوان بن ولخشى وهو يومئذ متولى الغربية وجمع الناس لحرب بهرام وسار الى القاهرة فانهزم بهرام ودخل رضوان القاهرة واستولى على الوزارة فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين فأوقع بالنصارى وأذلهم فشكره الناس الا أنه كان خفيفا عجولا فأخذ فى اهانة حواشى الخليفة وهمّ بخلعه وقال ما هو بامام وانما هو كفيل لغيره وذلك الغير لم يصح فتوحش الحافظ منه ومازال يدبر عليه حتى ثارت فتنة انهزم فيها رضوان وخرج الى الشام فجمع وعاد فى سنة اربع وثلاثين فجهز له الحافظ العساكر لمحاربته فقتلهم وانهزم منهم الى الصعيد فقبض عليه واعتقل فلم يستوزر الحافظ أحدا بعده الى أن كانت سنة ست وثلاثين فغلت الاسعار بمصر وكثر الوباء وامتد الى سنة سبع وثلاثين فعظم الوباء * وفى سنة اثنتين وأربعين خلص رضوان من معتقله بالقصر وخرج من نقب وثار بجماعة وكانت فتنة آلت الى قتله * وفى سنة أربع واربعين ثارت فتنة بالقاهرة بين طوائف العسكر فمات الحافظ ليلة الخامس من جمادى الآخرة عن سبع وسبعين سنة منها مدة خلافته ثمانى عشرة سنة وأربعة اشهر وتسعة عشر يوما اصابته فيها شدائد كثيرة وكان حازما سيوسا كثير المداراة عارفا جماعا للمال مغرى بعلم النجوم يغلب عليه الحلم * فلما مات والفتنة قائمة اقيم ابنه (الظاهر بأمر الله ابو منصور اسمعيل) * ومولده للنصف من ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة فأقام فى الخلافة اربع سنين وثمانية اشهر الاخمسة ايام وكان محكوما عليه من الوزارة وفى ايامه أخذت عسقلان فظهر الخلل فى الدولة وقد ذكرت أخباره فى خط الخشيبة عند ذكر الخطط من هذا الكتاب * فلما قتل اقيم من بعده ابنه (الفائز بنصر الله ابو القاسم عيسى) * أقامه فى الخلافة بعد مقتل ابيه الوزير عباس وعمره خمس سنين فقدم طلائع بن رزيك والى الاشمونين بجموعه الى القاهرة ففر عباس واستولى طلائع على الوزارة وتلقب بالصالح وقام بأمر الدولة الى أن مات الفائز لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين عن احدى عشرة سنة وستة اشهر ويومين منها فى الخلافة ست سنين وخمسة اشهر وأيام لم ير فيها خيرا فانه لما اخرج ليقام خليفة رأى اعمامه قتلى وسمع الصراخ فاختل عقله وصار يصرخ حتى مات * فأقام الصالح بن رزيك فى الخلافة بعده (العاضد لدين الله أبا محمد عبد الله) * ابن الامير يوسف بن الحافظ لدين الله ومولده لعشر بقين من المحرم سنة ست وأربعين

وخمسمائة وكان عمره يوم بويع نحو احدى عشرة سنة وقام الصالح بتدبير الامور الى أن قتل فى رمضان سنة
ست وخمسين كما ذكر فى خبره عند ذكر الجوامع فقام من بعده ابنه رزيك بن طلائع وحسنت سيرته فعزل
شاور بن مجير السعدى عن ولاية قوص فلم يقبل العزل وحشد وسار على طريق الواحات فى البرية الى تروجة
فجمع الناس وسار الى القاهرة فلم يثبت رزيك وفر فقبض عليه باطفيح واستقر شاور فى الوزارة لايام خلت من
صفر سنة ثمان وخمسين فأقام الى أن ثار ضرغام صاحب الباب ففر منه الى الشام واستبد ضرغام بالوزارة
فقتل امراء الدولة وأضعفها بسبب ذهاب اكابرها فقدم الفرنج ونازلوا مدينة بلبيس مدة ودافعهم المسلمون
عدة مرار حتى عادوا الى بلادهم بالساحل ورجع العسكر الى القاهرة وقد قتل منهم كثير فوصل شاور بعساكر
الشام فى جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين فحاربه ضرغام على بلبيس بعساكر مصر وكانت لهم منه معارك
انهزموا فى آخرها وغنم شاور ومن معه سائر ما خرجوا به وكان شيأ جليلا فسروا بذلك وساروا الى القاهرة
فكانت بين الفريقين حروب آلت الى هزيمة ضرغام وقتله فى شهر رمضان منها فاستولى شاور على الوزارة مرة
ثانية واختلف مع الغز القادمين معه من الشام وكانت له معهم حروب آلت الى أن شاور كتب الى مرى ملك
الفرنج يستدعيه الى القاهرة ليعينه على محاربة شيركوه ومن معه من الغز فحضر وقد صار شيركوه فى مدينة
بلبيس فخرج شاور من القاهرة ونزل هو ومرى على بلبيس وحصرا شيركوه ثلاثة أشهر ثم وقع الصلح فسار
شيركوه بالغز الى الشام ورحل الفرنج وعاد شاور الى القاهرة فى سنة ستين وخمسمائة فلم يزل الى أن قدم
شيركوه من الشام بالعساكر مرة ثانية فى ربيع الآخر فخرج شاور من القاهرة الى لقائه واستدعى مرى ملك
الفرنج فسار شيركوه على الشرق وخرج من اطفيح فسار اليه شاور بالفرنج وكانت له معه الوقعة المشهورة فسار
شيركوه بعد الوقعة من الاشمونين وأخذ الاسكندرية وعاد شاور الى القاهرة وخرج شيركوه من الاسكندرية
بعد أن استخلف عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب ولم يزل يسير من الاسكندرية الى قوص وهو يجبى
البلاد فخرج شاور من القاهرة بالفرنج ونازل الاسكندرية فبلغ شيركوه ذلك فعاد من قوص الى القاهرة
وحصرها ثم كانت امور آخرها مسير شيركوه واصحابه من ارض مصر الى الشام فى شوال وقد طمع الفرنج
فى البلاد وتسلموا اسوار القاهرة وأقاموا فيها شحنة معه عدة من الفرنج لمقاسمة المسلمين ما يتحصل من مال البلد
وفحش امر شاور وساءت سيرته وكثر تجريه على الدماء واتلافه للاموال فلما كان فى سنة اربع وستين قوى
تمكن الفرنج فى القاهرة وجاروا فى حكمهم بها وركبوا المسلمين بأنواع الاهانة فسار مرى يريد اخذ القاهرة ونزل
على مدينة بلبيس وأخذها عنوة فكتب العاضد الى نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام يستصرخه
ويحثه على نجدة الاسلام وانقاذ المسلمين من الفرنج فجهز أسد الدين شيركوه فى عسكر كثير وجهزهم وسيرهم الى
مصر وقد أحرق شاور مدينة مصر كما تقدم ونزل مرى ملك الفرنج على القاهرة وألح فى قتال اهلها حتى كاد أن
يأخذها عنوة فسير اليه شاور وخادعه حتى رضى بمال يجمعه له فشرع فى جبايته واذا بالخبر ورد بقدوم شيركوه
فرحل الفرنج عن القاهرة فى سابع ربيع الآخر ونزل شيركوه على القاهرة بالغز ثالث مرة فخلع عليه العاضد
وأكرمه فأخذ شاور يفتك بالغز على عادته فكان من قتله ما ذكر فى موضعه وذلك فى سابع عشر ربيع الآخر
المذكور وتقلد شيركوه وزارة العاضد وقام بالدولة شهرين وخمسة ايام ومات فى الثانى والعشرين من جمادى
الآخرة ففوض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن ايوب فساس الامور ودبر لنفسه فبذل الاموال
وأضعف العاضد باستنفاد ما عنده من المال فلم يزل امره فى ازدياد وأمر العاضد فى نقصان وصار يخطب من
بعد العاضد للسلطان محمود نور الدين وأقطع اصحابه البلاد وأبعد اهل مصر وأضعفهم واستبد بالامور ومنع
العاضد من التصرف حتى تبين للناس ما يريده من ازالة الدولة الى أن كان من واقعة العبيد ما ذكرنا فأبادهم
وأفناهم ومن حينئذ تلاشى العاضد وانحل امره ولم يبق له سوى اقامة ذكره فى الخطبة فقط هذا وصلاح
الدين يوالى الطلب منه فى كل يوم ليضعفه فأتى على المال والخيل والرقيق وغير ذلك حتى لم يبق عند العاضد غير
فرس واحد فطلبه منه وألجأه الى ارساله وأبطل ركوبه من ذلك الوقت وصار لا يخرج من القصر البتة وتتبع
صلاح الدين جند العاضد وأخذ دور الامراء واقطاعاتهم فوهبها لاصحابه وبعث الى أبيه واخوته وأهله فقدموا
من الشام عليه فلما كان فى سنة ست وستين ابطل المكوس من ديار مصر وهدم دار المعونة بمصر وعمرها

مدرسة

مدرسة للشافعية وانشأ مدرسة اخرى للمالكية وعزل قضاة مصر الشيعة وقلد القضاء صدر الدين عبد الملك ابن درباس الشافعى وجعل اليه الحكم فى اقليم مصر كله فعزل سائر القضاة واستناب قضاة شافعية فتظاهر الناس من تلك السنة بمذهب مالك والشافعى رضى الله عنهما واختفى مذهب الشيعة الى أن نسى من مصر وأخذ فى غزو الفرنج فخرج الى الرملة وعاد فى ربيع الاول ثم سار الى ايلة ونازل قلعتها حتى أخذها من الفرنج فى ربيع الآخر ثم سار الى الاسكندرية ولم شعث سورها وعاد وسير توران شاه فأوقع بأهل الصعيد وأخذ منهم ما لا يمكن وصفه كثرة وعاد فكثر القول من صلاح الدين وأصحابه فى ذم العاضد وتحدثوا بخلعه واقامة الدعوة العباسية بالقاهرة ومصر ثم قبض على سائر من بقى من امراء الدولة وأنزل اصحابه فى دورهم فى ليلة واحدة فأصبح فى البلد من العويل والبكاء ما يذهل وتحكم اصحابه فى البلد بأيديهم واخرج اقطاعات سائر المصريين لاصحابه وقبض على بلاد العاضد ومنع عنه سائر مواده وقبض على القصور وسلمها الى الطواشى بهاء الدين قراقوش الاسدى وجعله زمامها فضيق على اهل القصر وصار العاضد معتقلا تحت يده وأبطل من الاذان حى على خير العمل وأزال شعار الدولة وخرج بالعزم على قطع خطبة العاضد فمرض ومات وعمره احدى وعشرون سنة الاعشرة ايام منها فى الخلافة احدى عشرة سنة وستة اشهر وسبعة ايام وذلك فى ليلة يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة بعد قطع اسمه من الخطبة والدعاء للمستنجد العباسى بثلاثة ايام وكان كريما لين الجانب مرت به مخاوف وشدائد وهو آخر الخلفاء الفاطميين بمصر وكانت مدتهم بالمغرب ومصر منذ قام عبيد الله المهدى الى أن مات العاضد مائتى سنة واثنتين وسبعين سنة واياما بالقاهرة منها مائتان وثمانى سنين فسبحان الباقى

(ذكر ما كان عليه موضع القاهرة قبل وضعها)

اعلم أن مدينة الاقليم منذ كان فتح مصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه كانت مدينة الفسطاط المعروفة فى زماننا بمدينة مصر قبلى القاهرة وبها كان محل الامراء ومنزل ملكهم واليها تجبى ثمرات الاقاليم وتأوى الكافة وكانت قد بلغت من وفور العمارة وكثرة الناس وسعة الارزاق والتفنن فى انواع الحضارة والتأنق فى النعيم ما اربت به على كل مدينة فى المعمور حاشا بغداد فانها كانت سوق العالم وقد زاحمتها مصر وكادت أن تساميها الا قليلا ثم لما انقضت الدولة الاخشيدية من مصر واختل حال الاقليم بتوالى الغلوات وتواتر الاوباء والفنوات حدثت مدينة القاهرة عند قدوم جيوش المعز لدين الله ابى تميم معد امير المؤمنين على يد عبده وكاتبه القائد جوهر فنزل حيث القاهرة الآن وأناخ هنالك وكانت حينئذ رملة فيما بين مصر وعين شمس يمر بها الناس عند سيرهم من الفسطاط الى عين شمس وكانت فيما بين الخليج المعروف فى أول الاسلام بخليج امير المؤمنين ثم قيل له خليج القاهرة ثم هو الآن يعرف بالخليج الكبير وبالخليج الحاكمى وبين الخليج المعروف باليحاميم وهو الجبل الاحمر وكان الخليج المذكور فاصلا بين الرملة المذكورة وبين القرية التى يقال لها أم دنين ثم عرفت الآن بالمقس وكان من يسافر من الفسطاط الى بلاد الشام ينزل بطرف هذه الرملة فى الموضع الذى كان يعرف بمنية الاصبغ ثم عرف الى يومنا بالخندق وتمر العساكر والتجار وغيرهم من منية الاصبغ الى بنى جعفر على غيفة وسلمنت الى بلبيس وبينها وبين مدينة الفسطاط أربعة وعشرون ميلا ومن بلبيس الى العلاقة الى الفرما ولم يكن الدرب الذى يسلك فى وقتنا من القاهرة الى العريش فى الرمل يعرف فى القديم وانما عرف بعد خراب تنيس والفرما وازاحة الفرنج عن بلاد الساحل بعد تملكهم له مدة من السنين وكان من يسافر فى البر من الفسطاط الى الحجاز ينزل بجب عميرة المعروف اليوم ببركة الجب وببركة الحاج ولم يكن عند نزول جوهر بهذه الرملة فيها بنيان سوى أماكن هى بستان الاخشيد محمد بن طغج المعروف اليوم بالكافورى من القاهرة ودير للنصارى يعرف بدير العظام تزعم النصارى أن فيه بعض من أدرك المسيح عليه السلام وبقى الآن بئر هذا الدير وتعرف ببئر العظام والعامة تقول بئر العظمة وهى بجوار الجامع الاقمر من القاهرة ومنها ينقل الماء اليه وكان بهذه الرملة أيضا مكان ثالث يعرف بقصير الشوك بصيغة التصغير تنزله بنو عذرة فى الجاهلية وصار موضعه عند بناء القاهرة يعرف بقصر الشوك من جملة القصور الزاهرة هذا الذى اطلعت عليه انه كان فى موضع القاهرة قبل بنائها بعد الفحص والتفتيش وكان النيل حينئذ بشاطئ المقس يمر من موضع الساحل القديم بمصر الذى هو الآن

سوق المعاريج وحمام طن والمراغة وبستان الجرف وموردة الحلفاء ومنشأة المهرانى على ساحل الحمراء وهى موضع قناطر السباع فيمرّ النيل بساحل الحمراء الى المقس موضع جامع المقس الآن وفيما بين الخليج وبين ساحل النيل بساتين الفسطاط فاذا صار النيل الى المقس حيث الجامع الآن مرّ من هناك على طرف الارض التى تعرف اليوم بأرض الطبالة من الموضع المعروف اليوم بالجرف وصار الى البعل ومرّ على طرف منية الاصبغ من غربىّ الخليج الى المنية وكان فيما بين الخليج والجبل مما يلى بحرىّ موضع القاهرة مسجد بنى على رأس ابراهيم ابن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن ابى طالب ثم مسجد تبر الاخشيدى فعرف بمسجد تبر والعامة تقول مسجد التبن ولم يكن الممرّ من الفسطاط الى عين شمس والى الحوف الشرقىّ والى البلاد الشامية الا بحافة الخليج ولا يكاد يعرّ بالرملة التى فى موضعها الآن مدينة القاهرة كثير جدا ولذلك كان بها دير للنصارى الا أنه لما عمر الاخشيد البستان المعروف بالكافورىّ أنشأ بجانبه ميدانا وكان كثيرا ما يقيم به وكان كافور أيضا يقيم به وكان فيما بين موضع القاهرة ومدينة الفسطاط مما يلى الخليج المذكور أرض تعرف فى القديم منذ فتح مصر بالحمراء القصوى وهى موضع قناطر السباع وجبل يشكر حيث الجامع الطولونى وما داربه وفى هذه الحمراء عدّة كنائس وديارات للنصارى خربت شيأ بعد شئ الى أن خرب آخرها فى أيام الملك الناصر محمد ابن قلاون وجميع ما بين القاهرة ومصر مما هو موجود الآن من العمائر فانه حادث بعد بناء القاهرة ولم يكن هنالك قبل بنائها شئ البتة سوى كنائس الحمراء وسيأتى بيان ذلك مفصلا فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

(ذكر حدّ القاهرة)

قال ابن عبد الظاهر فى كتاب الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة الذى استقرّ عليه الحال أنّ حدّ القاهرة من مصر من السبع سقايات وكان قبل ذلك من المجنونة الى مشهد السيدة رقية عرضا اه والآن تطلق القاهرة على ما حازه السور الحجر الذى طوله من باب زويلة الكبير الى باب الفتوح وباب النصر وعرضه من باب سعادة وباب الخوخة الى باب البرقية والباب المحروق ثم لما توسع الناس فى العمارة بظاهر القاهرة وبنوا خارج باب زويلة حتى اتصلت العمائر بمدينة فسطاط مصر وبنوا خارج باب الفتوح وباب النصر الى أن انتهت العمائر الى الريدانية وبنوا خارج باب القنطرة الى حيث الموضع الذى يقال له بولاق حيث شاطئ النيل وامتدّوا بالعمارة من بولاق على الشاطئ الى أن اتصلت بمنشأة المهرانى وبنوا خارج باب البرقية والباب المحروق الى سفح الجبل بطول السور فصار حينئذ العامر بالسكنى على قسمين أحدهما يقال له القاهرة والآخر يقال له مصر فاما مصر فانّ حدّها على ما وقع عليه الاصطلاح فى زمننا هذا الذى نحن فيه من حدّ أوّل قناطر السباع الى طرف بركة الحبش القبلى مما يلى بساتين الوزير وهذا هو طول حدّ مصر وحدّها فى العرض من شاطئ النيل الذى يعرف قديما بالساحل الجديد حيث فم الخليج الكبير وقنطرة السدّ الى أوّل القرافة الكبرى *وأما حدّ القاهرة فانّ طولها من قناطر السباع الى الريدانية وعرضها من شاطئ النيل ببولاق الى الجبل الاحمر ويطلق على ذلك كله مصر والقاهرة وفى الحقيقة قاهرة المعز التى اختطها القائد جوهر عند قدومه من حضرة مولاه المعز لدين الله أبى تميم معدّ الى مصر فى شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة انما هى ما دار عليه السور فقط غير أن السور المذكور الذى أداره القائد جوهر تغير وعمل منذ بنيت الى زمننا هذا ثلاث مرّات ثم حدثت العمائر فيما وراء السور من القاهرة فصار يقال لداخل السور القاهرة ولما خرج عن السور ظاهر القاهرة وظاهر القاهرة أربع جهات الجهة القبلية وفيها الآن معظم العمارة وحدّ هذه الجهة طولا من عتبة باب زويلة الى الجامع الطولونى وما بعد الجامع الطولونى فانه من حدّ مصر وحدّها عرضا من الجامع الطيبرسى بشاطئ النيل غربىّ المريس الى قلعة الجبل وفى الاصطلاح الآن أن القلعة من حكم مصر والجهة البحرية وكانت قبل السبعمائة من سنى الهجرة وبعدها الى قبيل الوباء الكبير فيها اكثر العمائر والمساكن ثم تلاشت من بعد ذلك وطول هذه الجهة من باب الفتوح وباب النصر الى الريدانية وعرضها من منية الامراء المعروفة فى زمننا الذى نحن فيه بمنية الشيرج الى الجبل الاحمر ويدخل فى هذا الحدّ مسجد تبر والريدانية والجهة الشرقية فانها حيث ترب أهل القاهرة ولم تحدث بها العمائر من التربة الا بعد سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وحدّ هذه الجهة طولا

من باب القلعة المعروف بباب السلسلة الى ما يحاذى مسجد تبر فى سفح الجبل وحدّها عرضا فيما بين سور القاهرة والجبل والجهة الغربية فأكثر العمائر بها لم يحدث أيضا الا بعد سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وانما كانت بساتين وبحرا وحدّ هذه الجهة طولا من منية الشيرج الى منشأة المهرانى بحافة بحر النيل وحدّها عرضا من باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة الى ساحل النيل وهذه الاربع جهات من خارج السور يطلق عليها ظاهر القاهرة * وتحوى مصر والقاهرة من الجوامع والمساجد والربط والمدارس والزوايا والدور العظيمة والمساكن الجليلة والمناظر البهجة والقصور الشامخة والبساتين النضرة والحمامات الفاخرة والقياسر المعمورة بأصناف الانواع والاسواق المملوءة مما تشتهى الانفس والخانات المشحونة بالواردين والفنادق الكاظة بالسكان والترب التى تحكى القصور ما لا يمكن حصره ولا يعرف ما هو قدره الا أن قدر ذلك بالتقريب الذى يصدقه الاختبار طولا بريدا أو ما يزيد عليه وهو من مسجد تبر الى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش وعرضا يكون نصف بريد فما فوقه وهو من ساحل النيل الى الجبل ويدخل فى هذا الطول والعرض بركة الحبش وما دار بها وسطح الجرف المسمى بالرصد ومدينة الفسطاط التى يقال لها مدينة مصر والقرافة الكبرى والصغرى وجزيرة الحصن المعروف اليوم بالروضة ومنشأة المهرانى وقطائع ابن طولون التى تعرف الآن بحدرة ابن قميحة وخط جامع ابن طولون والرميلة تحت القلعة والقبيبات وقلعة الجبل والميدان الاسود الذى هو اليوم مقابر أهل القاهرة خارج باب البرقية الى قبة النصر والقاهرة المعزية وهو ما دار عليه السور الحجر والحسينية والريدانية والخندق وكوم الريش وجزيرة الفيل وبولاق والجزيرة الوسطى المعروفة بجزيرة اروى وزربية قوصون وحكر ابن الاثير ومنشأة الكاتب والاحكار التى فيما بين القاهرة وساحل النيل وأراضى اللوق والخليج الكبير الذى تسميه العامّة بالخليج الحاكمى والحبانية والصليبة والتبانة ومشهد السيدة نفيسة وباب القرافة وأرض الطبالة والخليج الناصرى والمقس والدكة وغير ذلك مما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وقد أدركنا هذه المواضع وهى عامرة والمشيخة تقول هى خراب بالنسبة لما كانت عليه قبل حدوث طاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة الذى يسميه اهل مصر الفناء الكبير وقد تلاشت هذه الاماكن وعمها الخراب منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة ولله عاقبة الامور

(ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه فى الدولة الفاطمية)

وذلك أن القائد جوهرا الكاتب لما قدم الجيزة بعساكر مولاه الامام المعز لدين الله ابى تميم معدّ أقبل فى يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وسارت عساكره بعد زوال الشمس وعبرت الجسر أفواجا وجوهر فى فرسانه الى المناخ الذى رسم له المعز موضع القاهرة الآن فاستقر هناك واختط القصر وبات المصريون فلما اصبحوا حضروا للهناء فوجدوه قد حفر أساس القصر بالليل وكانت فيه ازورارات غير معتدلة فلما شاهدها جوهر لم يعجبه ثم قال قد حفر فى ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله وأدخل فيه دير العظام ويقال ان القاهرة اختطها جوهر فى يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين واختطت كل قبيلة خطة عرفت بها فزويلة بنت الحارة المعروفة بها واختطت جماعة من اهل برقة الحارة البرقية واختطت الروم حارتين حارة الروم الآن وحارة الروم الجوانية بقرب باب النصر وقصد جوهر باختطاط القاهرة حيث هى اليوم أن تصير حصنا فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقاتلهم من دونها فأدار السور اللبن على مناخه الذى نزل فيه بعساكره وأنشأ من داخل السور جامعا وقصرا وأعدها معقلا يتحصن به وتنزله عساكره واحتفر الخندق من الجهة الشامية ليمنع اقتحام عساكر القرامطة الى القاهرة وما وراءها من المدينة وكان مقدار القاهرة حينئذ أقل من مقدارها اليوم فان أبوابها كانت من الجهات الاربعة ففى الجهة القبلية التى تفضى بالسالك منها الى مدينة مصر بابان متجاوران يقال لهما بابا زويلة وموضعهما الآن بحذاء المسجد الذى تسميه العامّة بسام بن نوح ولم يبق الى هذا العهد سوى عقده ويعرف بباب القوس وما بين باب القوس هذا وباب زويلة الكبير ليس هو من المدينة التى اسسها القائد جوهر وانما هى زيادة حدثت بعد ذلك وكان فى جهة القاهرة البحرية وهى التى يسلك منها الى عين شمس بابان أحدهما باب النصر وموضعه بأول الرحبة التى قدام الجامع

الحاكمى الآن وادركت قطعة منه كانت قدام الركن الغربى من المدرسة القاصدية ومابين هذا المكان وباب النصر الآن مما زيد فى مقدار القاهرة بعد جوهر والباب الآخر من الجهة البحرية باب الفتوح وعقده باق الى يومنا هـذا مع عضادته اليسرى وعليه اسطر مكتوبة بالقلم الكوفى وموضع هـذا الباب الآن بآخر سوق المرحلين وأول رأس حارة بهاء الدين مما يلى باب الجامع الحاكمى وفيمابين هـذا العقد وباب الفتوح من الزيادات التى زيدت فى القاهرة من بعد جوهر وكان فى الجهة الشرقية من القاهرة وهى الجهـة التى يسلك منها الى الجبـل بابان أحـدهما يعرف الآن بالباب المحروق والآخر يقال له باب البرقية وموضعهما دون مكانهما الآن ويقال لهذه الزيادة من هذه الجهة بين السورين وأحد البابين القديمين موجود الى الآن اسكفته وكان فى الجهة الغربية من القاهرة وهى المطلة على الخليج الكبير بابان أحدهما باب سعادة والآخر باب الفرج وباب ثالث يعرف بباب الخوخة أظنه حدث بعد جوهر وكان داخل سور القاهرة يشتمل على قصرين وجامع يقال لاحـد القصرين القصر الكبير الشرقى وهو منزل سكنى الخليفة ومحل حرمه وموضع جلوسه لدخول العساكر وأهل الدولة وفيه الدواوين وبيت المال وخزائن السلاح وغير ذلك وهو الذى أسسه القائد جوهر وزاد فيه المعز ومن بعـده من الخلفاء والآخر تجاه هذا القصر ويعرف بالقصر الغربى وكان يشرف على البستان الكافورى ويتحول اليه الخليفة فى ايام النيل للنزهة على الخليج وعلى ما كان اذ ذاك بجانب الخليج الغربى من البركة التى يقال لها بطن البقرة ومن البستان المعروف بالبغدادية وغيره من البساتين التى كانت تتصل بأرض اللوق وجنان الزهرى وكان يقال لمجموع القصرين القصور الزاهرة ويقال للجامع جامع القاهرة والجامع الازهر * فأما القصر الكبير الشرقى فانه كان من باب الذهب الذى موضعه الآن محراب المدرسة الظاهرية التى انشأها الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وكان بعلو عقد باب الذهب منظرة يشرف الخليفة فيها من طاقات فى اوقات معروفة وكان باب الذهب هذا هو أعظم ابواب القصر ويسلك من باب الذهب المذكور الى باب البحر وهو الباب الذى يعرف اليوم بباب قصر بشتاك مقابل المدرسة الكاملية وهو من باب البحر الى الركن المخلق ومنه الى باب الريح وقد أدركنا منه عضادتيه واسكفته وعليها أسطر بالقلم الكوفى وجميع ذلك مبنى بالحجر الى أن هدمه الامير الوزير المشير جمال الدين يوسف الاستادار وفى موضعه الآن قيسارية انشأها المذكور بجوار مدرسته من رحبة باب العيد ويسلك من باب الريح المذكور الى باب الزمرذ وهو موضع المدرسة الحجازية الآن ومن باب الزمرذ الى باب العيـد وعقده باق وفوقه قبة الى الآن فى درب السلامى بخط رحبة باب العيد وكان قبالة باب العيد هذا رحبة عظيمة فى غاية الاتساع تقف فيها العساكر الكثيرة من الفارس والراجل فى يومى العيدين تعرف برحبة العيد وهى من باب الريح الى خزانة البنود وكان يلى باب العيد السفينة وبجوار السفينة خزانة البنود ويسلك من خزانة البنود الى باب قصر الشوك وأدركت منه قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه الحمام التى عرفت بحمام الايدمرى ثم قيل لها فى زمننا حمام يونس بجوار المكان المعروف بخزانة البنود وقد عمل موضع هذا الباب زقاق يسلك منه الى المارستان العتيق وقصر الشوك ودرب السلامى وغيره ويسلك من باب قصر الشوك الى باب الديلم وموضعه الآن المشهد الحسينى وكان فيمابين قصر الشوك وباب الديلم رحبة عظيمة تعرف برحبة قصر الشوك اولهـا من رحبـة خزانة البنود وآخرها حيث المشهد الحسينى الآن وكان قصر الشوك يشرف على اصطبل الطارمة ويسلك من باب الديلم الى باب تربة الزعفران وهى مقبرة اهل القصر من الخلفاء وأولادهم ونسائهم وموضع باب تربة الزعفران فندق الخليلى فى هذا الوقت ويعرف بخط الزراكشة العتيق وكان فيمابين الديلم وباب تربة الزعفران الخوخ السبع التى يتوصل منها الخليفة الى الجامع الازهر فى ليالى الوقدات فيجلس بمنظرة الجامع الازهر ومعه حرمه لمشاهـدة الوقيد والجمع وبجوار الخوخ السبع اصطبل الطارمة وهو برسم الخيـل الخاص المعدّة لركاب الخليفة وكان مقابل باب الديلم ومن وراء اصطبل الطارمة الجامع المعدّ لصلاة الخليفة بالناس أيام الجمع وهو الذى يعرف فى وقتنا هذا بالجامع الازهر ويسمى فى كتب التاريخ بجامع القاهرة وقدّام هـذا الجامع رحبة متسعة من حدّ اصطبل الطارمة الى الموضع الذى يعرف اليوم بالاكفانيين ويسلك من باب تربة الزعفران الى باب الزهومة وموضعه الآن باب سر قاعة مدرسة الحنابلة من المدارس الصالحية وفيمابين تربة الزعفران وباب الزهومة دراس العلم وخزانة الدرق ويسلك

من باب الزهومة الى باب الذهب المذكور أولا وهذا هو دور القصر الشرقى الكبير وكان بحذاء رحبة باب العيد دار الضيافة وهى الدار المعروفة بدار سعيد السعداء التى هى اليوم خانقاه للصوفية ويقابلها دار الوزارة وهى حيث الزقاق المقابل لباب سعيد السعداء والمدرسة القراسنقرية وخانقاه بيبرس وما يجاورها الى باب الجوانية وماوراء هذه الاماكن وبجوار دار الوزارة الحجر وهى من حذاء دار الوزارة بجوار باب الجوانية الى باب النصر القديم ومن وراء دار الوزارة المناخ السعيد ويجاوره حارة العطوفية وحارة الروم الجوانية وكان جامع الخطبة الذى يعرف اليوم بجامع الحاكم خارجا عن القاهرة وفى غربيه الزيادة التى هى باقية الى اليوم وكانت أهراء لخزن الغلال التى تدخر بالقاهرة كما هى عادة الحصون وكان فى غربى الجامع الازهر حارة الديلم وحارة الروم البرانية وحارة الاتراك وهى تعرف اليوم بدرب الاتراك وحارة الباطلية وفيما بين باب الزهومة والجامع الازهر وهذه الحارات خزائن القصر وهى خزانة الكتب وخزانة الاشربة وخزانة السروج وخزانة الخيم وخزائن الفرش وخزائن الكسوات وخزائن دار افتكين ودار الفطرة ودار التعبية وغير ذلك من الخزائن هذا ما كان فى الجهة الشرقية من القاهرة * وأما القصر الصغير الغربى فانه موضع المارستان الكبير المنصورى الى جوار حارة برجوان وبين هذا القصر وبين القصر الكبير الشرقى فضاء متسع يقف فيه عشرة آلاف من العساكر ما بين فارس وراجل يقال له بين القصرين وبجوار القصر الغربى الميدان وهو الموضع الذى يعرف بالخرنشف واصطبل الطارمة وبحذاء الميدان البستان الكافورى المطل من غربيه على الخليج الكبير ويجاور الميدان دار برجوان العزيزى وبحذائها رحبة الافيال ودار الضيافة القديمة ويقال لهذه المواضع الثلاثة حارة برجوان ويقابل دار برجوان المنحر وموضعه الآن يعرف بالدرب الاصفر ويدخل اليه من قبالة خانقاه بيبرس وفيما بين ظهر المنحر وباب حارة برجوان سوق أمير الجيوش وهو من باب حارة برجوان الآن الى باب الجامع الحاكمى ويجاور حارة برجوان من بحريها اصطبل الحجرية وهو متصل بباب الفتوح الاول وموضع باب اصطبل الحجرية يعرف اليوم بخان الوراقة والقيسارية تجاه الجلون الصغير وسوق المرحلين وتجاه اصطبل الحجرية الزيادة وفيما بين الزيادة والمنحر درب الفرنجية وبجوار البستان الكافورى حارة زويلة وهى تتصل بالخليج الكبير من غربيها وتجاه حارة زويلة اصطبل الجميزة وفيه خيول الخليفة أيضا وفى هذا الاصطبل بئر زويلة وموضعها الآن قيسارية معقودة على البئر المذكورة يعلوها ربع يعرف بقيسارية يونس من خط البندقانيين فكان اصطبل الجميزة المذكور فيما بين القصر الغربى من بحريه وبين حارة زويلة وموضعه الآن قبالة باب سر المارستان المنصورى الى البندقانيين وبحذاء القصر الغربى من قبليه مطبخ القصر تجاه باب الزهومة المذكور والمطبخ موضعه الآن الصاغة قبالة المدارس الصالحية وبجوار المطبخ الحارة العدوية وهى من الموضع الذى يعرف بحمام خشيبة الى حيث الفندق الذى يقال له فندق الزمام وبجوار العدوية حارة الامراء ويقال لها اليوم سوق الزجاجين وسوق الحريريين الشراربيين ويجاور الصاغة القديمة حبس المعونة وهو موضع قيسارية العنبر وتجاه حبس المعونة عقبة الصباغين وسوق القشاشين وهو يعرف اليوم بالخراطين ويجاور حبس المعونة دكة الحسبة ودار العيار ويعرف موضع دكة الحسبة الآن بالابزاريين وفيما بين دكة الحسبة وحارتى الروم والديلم سوق السراجين ويقال له الآن الشوايين وبطرف سوق السراجين مسجد ابن البناء الذى تسميه العامة سام ابن نوح ويجاور هذا المسجد باب زويلة وكان من حذاء حارة زويلة من ناحية باب الخوخة دار الوزير يعقوب بن كلس وصارت بعده دار الديباج ودار الاستعمال وموضعها الآن المدرسة الصالحية وماوراءها ويتصل بدار الديباج بالحارة الوزيرية والى جانب الوزيرية الميدان الآخر الى باب سعادة وفيما بين باب سعادة وباب زويلة اهراء أيضا وسطاح هذا ما كانت عليه صفة القاهرة فى الدولة الفاطمية وحدثت هذه الاماكن شيأ بعد شئ ولم تزل القاهرة دار خلافة ومنزل ملك ومعقل قتال لا ينزلها الا الخليفة وعساكره وخواصه الذين يشرفهم بقربه فقط *(وأما ظاهر القاهرة من جهاتها الاربع)* فانه كان فى الدولة الفاطمية على ما اذكر * أما الجهة القبلية وهى التى فيما بين باب زويلة ومصر طولا وفيما بين الخليج الكبير والجبل عرضا فانها كانت قسمين ما حاذى يمينك اذا خرجت من باب زويلة تريد مصر وما حاذى شمالك اذا خرجت منه نحو الجبل فأما ما حاذى يمينك وهى المواضع التى تعرف اليوم بدار التفاح وتحت الربع والقشاشين وقنطرة باب الخرق وما على حافتى الخليج من جانبيه

طولا الى الحمراء التى يقال لها اليوم خط قناطر السباع ويدخل فى ذلك سويقة عصفور وحارة الجزيرين وحارة بنى سوس الى الشارع وبركة الفيل والهلالية والمحمودية الى الصليبة ومشهد السيدة نفيسة فان هذه الاماكن كلها كانت بساتين تعرف بجنان الزهرى وبستان سيف الاسلام وغير ذلك ثم حدث فى الدولة هنالك حارات السودان وعمر الباب الجديد وهو الذى يعرف اليوم بباب القوس من سوق الطيور فى الشارع عند رأس وحدثت الحارة الهلالية والحارة المحمودية وأما ما حاذى شمالك حيث الجامع المعروف

هكذا بياض فى الاصل

بجامع الصالح والدرب الاحمر الى قطائع ابن طولون التى هى الآن الرميلة والميدان تحت القلعة فان ذلك كان مقابر أهل القاهرة * وأما جهة القاهرة الغربية وهى التى فيها الخليج الكبير وهى من باب القنطرة الى المقس وما جاور ذلك فانها كانت بساتين من غربيها النيل وكان ساحل النيل بالمقس حيث الجامع الآن فيمرّ من المقس الى المكان الذى يقال له الجرف ويمضى على شمالى أرض الطبالة الى البعل وموضع كوم الريش الى المنية ومواضع هذه البساتين اليوم أراضى اللوق والزهرى وغيرها من الحكورة التى فى برّ الخليج الغربى الى بركة قرموط والخور وبولاق وكان فيما بين باب سعادة وباب الخوخة وباب الفرج وبين الخليج فضاء لا بنيان فيه والمناظر تشرف على ما فى غربى الخليج من البساتين التى وراءها بحر النيل ويخرج الناس فيما بين المناظر والخليج للنزهة فيجتمع هنالك من ارباب البطالة واللهو ما لا يحصى عددهم ويمرّ لهم هنالك من اللذات والمسرّات ما لا تسع الاوراق حكايته خصوصا فى ايام النيل عندما يتحوّل الخليفة الى اللؤلؤة ويتحوّل خاصته الى دار الذهب وما جاورها فانه يكثر حينئذ الملاذ بسعة الارزاق وادرار النعم فى تلك المدة كما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى * وأما جهة القاهرة البحرية فانها كانت قسمين خارج باب الفتوح وخارج باب النصر أما خارج باب الفتوح فانه كان هنالك منظرة من مناظر الخلفاء وقدامها البستانان الكبيران وأولهما من زقاق الكحل وآخرهما منية مطر التى تعرف اليوم بالمطرية ومن غربى هذه المنظرة فى جانب الخليج الغربى منظرة البعل فيما بين أرض الطبالة والخندق وبالقرب منها مناظر الخمس وجوه والتاج ذات البساتين الانيقة المنصوبة لتنزه الخليفة وأما خارج باب النصر فكان به مصلى العيد التى عمل من بعضها مصلى الاموات لا غير والفضاء من المصلى الى الريدانية وكان بستانا عظيما ثم حدث فيما خرج من باب النصر تربة أمير الجيوش بدر الجمالى وعمر الناس الترب بالقرب منها وحدث فيما خرج عن باب الفتوح عمائر منها الحسينية وغيرها * وأما جهة القاهرة الشرقية وهى ما بين السور والجبل فانه كان فضاء ثم أمر الحاكم بأمر الله أن تلقى أتربة القاهرة من وراء السور لتمنع السيول أن تدخل الى القاهرة فصار منها الكيمان التى تعرف بكيمان البرقية ولم تزل هذه الجهة خالية من العمارة الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فسبحان الباقى بعد فناء خلقه

(ذكر ما صارت اليه القاهرة بعد استيلاء الدولة الايوبية عليها)

قد تقدم أن القاهرة انما وضعت منزل سكنى للخليفة وحرمه وجنده وخواصه ومعقل قتال يتحصن بها ويلتجأ اليها وانها ما برحت هكذا حتى كانت السنة العظمى فى خلافة المستنصر ثم قدم أمير الجيوش بدر الجمالى وسكن القاهرة وهى يباب دائرة خاوية على عروشها غير عامرة فأباح للناس من العسكرية والملحية والارمن وكل من وصلت قدرته الى عمارة بأن يعمر ما شاء فى القاهرة مما خلا من فسطاط مصر ومات اهله فأخذ الناس ما كان هنالك من أنقاض الدور وغيرها وعمروا به المنازل فى القاهرة وسكنوها فمن حينئذ سكنها اصحاب السلطان الى أن انقرضت الدولة الفاطمية باستيلاء السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادى فى سنة سبع وستين وخمسمائة فنقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها مبتذلة لسكن العامة والجمهور وحط من مقدار قصور الخلافة واسكن فى بعضها وتهدم البعض وازيلت معالمه وتغيرت معاهده فصارت خططا وحارات وشوارع ومسالك وأزقة ونزل السلطان منها فى دار الوزارة الكبرى حتى بنيت قلعة الجبل فكان السلطان صلاح الدين يتردد اليها ويقيم بها وكذلك ابنه الملك العزيز عثمان وأخوه الملك العادل ابو بكر فلما كان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب تحول من دار الوزارة الى القلعة وسكنها ونقل سوق الخيل والجمال والحمير الى الرميلة تحت القلعة فلما خرب المشرق والعراق بهجوم عساكر التتر منذ كان جنكزخان فى اعوام بضع عشرة وستمائة الى أن قتل الخليفة المستعصم ببغداد فى صفر سنة ست وخمسين وستمائة كثر قدوم المشارقة

الى

الى مصر وعمرت حافتى الخليج الكبير وما دار على بركة الفيل وعظمت عمارة الحسينية فلما كانت سلطنة الملك
الناصر محمد بن قلاون الثالثة بعد سنة احدى عشرة وسبعمائة واستجد بقلعة الجبل المبانى الكثيرة من
القصور وغيرها حدثت فيما بين القلعة وقبة النصر عدة ترب بعد ما كان ذلك المكان فضاء يعرف بالميدان
الاسود وميدان القبق وتزايدت العمائر بالحسينية حتى صارت من الريدانية الى باب الفتوح وعمر جميع ما حول
بركة الفيل والصليبة الى جامع ابن طولون وما جاوره الى المشهد النفيسى وحكر الناس أرض الزهرى وما قرب
منها وهو من قناطر السباع الى منشاة المهرانى ومن قناطر السباع الى البركة الناصرية الى اللوق الى المقس
فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى اتسعت الخطة فيما بين المقس والدكة الى ساحل النيل وأنشأ
الناس فيها البساتين العظيمة والمساكن الكثيرة والاسواق والجوامع والمساجد والحمامات والشون وهى من
المواضع التى من باب البحر خارج المقس الى ساحل النيل المسمى ببولاق ومن بولاق الى منية الشيرج ومنه فى
القبلة الى منشأة المهرانى وعمر ما خرج عن باب زويلة يمنة ويسرة من قنطرة الخرق الى الخليج ومن باب زويلة الى
المشهد النفيسى وعمرت القرافة من باب القرافة الى بركة الحبش طولا ومن القرافة الكبرى الى الجبل عرضا
حتى انه استجد فى ايام الناصر بن قلاون بضع وستون حكرا ولم يبق مكان يحكر واتصلت عمائر مصر والقاهرة
فصارا بلدا واحدا يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والدور والرباع والقياسر والاسواق والفنادق
والخانات والحمامات والشوارع والازقة والدروب والخطط والحارات والاحكار والمساجد والجوامع
والزوايا والربط والمشاهد والمدارس والترب والحوانيت والمطابخ والشون والبرك والخلجان والجزائر
والرياض والمتنزهات متصلا جميع ذلك بعضه ببعض من مسجد تبر الى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش ومن شاطئ
النيل بالجيزة الى الجبل المقطم وما زالت هذه الاماكن فى كثرة العمارة وزيادة العدد تضيق بأهلها لكثرتهم
وتختال عجبا بهم لما بالغوا فى تحسينها وتأنقوا فى جودتها وتنميقها الى أن حدث الفناء الكبير فى سنة تسع
وأربعين وسبعمائة فخلا كثير من هذه المواضع وبقى كثير أدركناه فلما كانت الحوادث من سنة ست
وثمانمائة وقصر جرى النيل فى مدة وخربت البلاد الشامية بدخول الطاغية تيمورلنك وتحريقها وقتل اهلها
وارتفاع اسعار الديار المصرية وكثرة الغلاء فيها وطول مدته وتلاف النقود المتعامل بها وفسادها وكثرة
الحروب والفتن بين اهل الدولة وخراب الصعيد وجلاء اهله عنه وتداعى أسفل ارض مصر من البلاد الشرقية
والغربية الى الخراب واتضاع امور ملوك مصر وسوء حال الرعية واستيلاء الفقر والحاجة والمسكنة على الناس
وكثرة تنوع المظالم الحادثة من ارباب الدولة بمصادرة الجمهور وتتبع ارباب الاموال واحتجاب ما بأيديهم
من المال بالقوة والقهر والغلبة وطرح البضائع مما يتجر فيه السلطان وأصحابه على التجار والباعة بأغلى الاثمان
الى غير ذلك مما لا يتسع لاحد ضبطه ولا تسع الاوراق حكايته كثر الخراب بالاماكن التى تقدم ذكرها وعم
سائرها وصارت كيمانا وخرائب موحشة مقفرة يأويها البوم والرخم ومستهدمة واقعة او آيلة الى السقوط
والدثور سنة الله التى قد خلت فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا

* (ذكر طرف مما قيل فى القاهرة ومنتزهاتها) *

قال ابو الحسن على بن رضوان الطبيب ويلى الفسطاط فى العظم وكثرة الناس القاهرة وهى فى شمال الفسطاط
وفى شرقيها أيضا الجبل المقطم يعوق عنها ريح الصبا والنيل منها ابعد قليلا وجميعها مكشوف للهواء وان كان
عمل فوق ربما عاق عن بعض ذلك وليس ارتفاع الابنية بها كارتفاع الفسطاط لكن دونها كثيرا وأزقتها
وشوارعها بالقياس الى ازقة الفسطاط وشوارعها انظف وأقل وسخا وأبعد عن العفن واكثر شرب أهلها من
مياه الآبار واذا هبت ريح الجنوب أخذت من بخار الفسطاط على القاهرة شيأ كثيرا وقرب مياه آبار القاهرة
من وجه الارض مع سخافتها موجب ضرورة أن تكون يصل اليها بالرشح من عفونة الكنف شئ ما وبين القاهرة
والفسطاط بطائح تمتلئ من رشح الارض فى ايام فيض النيل ويصب فيها بعض خرارات القاهرة ومياه البطائح
هذه رديئة وسخة أرضها وما يصب فيها من العفونة يقتضى أن يكون البخار المرتفع منها على القاهرة والفسطاط
زائدا فى رداءة الهواء بهما وما يطرح فى جنوب القاهرة قذر كثير نحو حارة الباطلية وكذلك يطرح فى وسط حارة

العبيد الا انه اذا تاملنا حال القاهرة كانت بالاضافة الى الفسطاط أعدل وأجود هواء وأصلح حالا لان اكثر عفوناتهم ترمى خارج المدينة والبخار يتحلل منها اكثر وكثير أيضا من اهل القاهرة يشرب من ماء النيل وخاصة فى ايام دخوله الخليج وهذا الماء يستقى بعد مروره بالفسطاط واختلاطه بعفوناتها قال وقد اقتصر أمر الفسطاط والجيزة والجزيرة فظاهر أن اصح اجزاء المدينة الكبرى القرافة ثم القاهرة والشرف وعمل فوق مع الحمراء والجيزة وشمال القاهرة أصح من جميع هذه لبعده عن بخار الفسطاط وقربه من الشمال وأرق موضع فى المدينة الكبرى هو ما كان من الفسطاط حول الجامع العتيق الى مايلى النيل والسواحل والى جانب القاهرة من الشمال الخندق وهو فى غور فهو يتغير أبدا لهذا السبب فاما المقس فمجاورته للنيل تجعله أرطب * وقال ابن سعيد فى كتاب المعرب فى حلى المغرب عن البيهقى وأما مدينة القاهرة فهى الحالية الباهرة التى تفنن فيها الفاطميون وأبدعوا فى بنائها واتخذوها وطنا لخلافتهم ومركزا لارجائها فنسى الفسطاط وزهد فيه بعد الاغتباط قال وسميت القاهرة لانها تقهر من شذ عنها ورام مخالفة أميرها وقدروا أن منها يملكون الارض ويستولون على قهر الامم وكانوا يظهرون ذلك ويتحدثون به قال ابن سعيد هذه المدينة اسمها اعظم منها وكان ينبغى أن تكون فى ترتيبها ومبانيها على خلاف ماعاينته لانها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبيديين وكان سلطانه قد عم جميع طول المغرب من أول الديار المصرية الى البحر المحيط وخطب له فى البحرين من جزيرة عند القرامطة وفى مكة والمدينة وبلاد اليمن وماجاورها وقد علت كلمته وسارت مسير الشمس فى كل بلدة وهبت هبوب الريح فى البر والبحر لاسيما وقد عاين مبانى أبيه المنصور فى مدينة المنصورية التى الى جانب القيروان وعاين المهدية مدينة جده عبيد الله المهدى لكن الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة وهى ناطقة الى الآن بألسن الآثار ولله در القائل

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم شأنه * أضحى يدل على عظيم الشان

واهتم من بعد الخلفاء المصريون بالزيادة فى تلك القصور وقد عاينت فيها ايوانا يقولون انه بنى على قدر ايوان كسرى الذى بالمدائن وكان يجلس فيه خلفاؤهم ولهم على الخليج الذى بين الفسطاط والقاهرة مبان عظيمة جليلة الآثار وأبصرت فى قصورهم حيطانا عليها طاقات عديدة من الكلس والجبس ذكر لى انهم كانوا يجددون تبييضها فى كل سنة والمكان المعروف فى القاهرة ببين القصرين هو من الترتيب السلطانى لان هنالك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين مابين القصرين ولو كانت القاهرة عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية ولكن ذلك أمد قليل ثم تسير منه الى أمد ضيق وتمر فى ممر كدر حرج بين الدكاكين اذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجالة كان ذلك مما تضيق منه الصدور وتسخن منه العيون ولقد عاينت يوما وزير الدولة وبين يديه امراء الدولة وهو فى موكب جليل وقد لقى فى طريقه عجلة بقر تحمل حجارة وقد سدت جميع الطريق بين يدى الدكاكين ووقف الوزير وعظم الازدحام وكان فى موضع طباخين والدخان فى وجه الوزير وعلى ثيابه وقد كاد يهلك المشاة وكدت اهلك فى جملتهم واكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والازبال والمبانى عليها من قصب وطين مرتفعة قد ضيقت مسلك الهواء والضوء بينهما ولم أر فى جميع بلاد المغرب أسوء حالا منها فى ذلك ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدرى ويدركنى وحشة عظيمة حتى اخرج الى بين القصرين * ومن عيوب القاهرة انها فى أرض النيل الاعظم ويموت الانسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها واذا احتاج الانسان الى فرجة فى نيلها مشى فى مسافة بعيدة بظاهرها بين المبانى التى خارج السور الى موضع يعرف بالمقس وجوها لايبرح كدرا بما تثيره الارجل من التراب الاسود وقد قلت فيها حين اكثر على رفاقى من الحض على العود فيها

يقولون سافر الى القاهره * ومالى بها راحة ظاهره
زحام وضيق وكرب وما * تثير بها أرجل السائره

وعند ما يقبل المسافر عليها يرى سورا أسود كدرا وجوا مغبرا فتنقبض نفسه ويفر أنسه وأحسن موضع فى ظواهرها للفرجة ارض الطبالة لاسيما ارض القرط والكتان فقلت

سقى الله ارضا كلما زرت ارضها * كساها وحلاها بزينته القرط
تجلت عروسا والمياه عقودها * وفى كل قطر من جوانبها قرط

وفيها خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافى

مازالت الاشحال تأخذه * حتى غدا كذؤابة النجم

وقلت فى نوار الكتان على جانبى هذا الخليج

انظر الى النهر والكتان يرمقه * من جانبيه بأجفان لها حدق
رأته سيفا عليه للصبا شطب * فقابلته بأحداق بها أرق
واصبحت فى يد الارواح تنسجها * حتى غدت حلقا من فوقها حلق
فقم وزرها ووجه الافق متضح * او عند صفرته ان كنت تغتبق

واعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل لانها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل وتسرج اصحاب المناظر على قدر هممتهم وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب وفيها اقول

انظر الى بركة الفيل التى اكتنفت * بها المناظر كالاهداب للبصر
كأنما هى والابصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت

انظر الى بركة الفيل التى نحرت * لها الغزالة نحرا من مطالعها
وخل طرفك مجنونا ببهجتها * تهيم وجدا وحبا فى بدائعها

والفسطاط اكثر أرزاقا وأرخص اسعارا من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط فالمراكب التى تصل بالخيرات تحط هنالك ويباع مايصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك فى ساحل القاهرة لانه بعيد عن المدينة والقاهرة هى اكثر عمارة واحتراما وحشمة من الفسطاط لانها أجل مدارس وأضخم خانات وأعظم ديارا لسكنى الامراء فيها لانها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها فأمور السلطنة كلها فيها ايسر واكثر وبها الطراز وسائر الاشياء التى تتزين بها الرجال والنساء الا أن فى هذا الوقت لما اعتنى السلطان الآن ببناء قلعة الجزيرة التى أمام الفسطاط وصيرها سرير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل اليها كثير من الامراء وضخمت اسواقها وبنى فيها السلطان أمام الجسر الذى للجزيرة قيسارية عظيمة تنقل اليها من القاهرة سوق الاجناد التى يباع فيها الفراء والجوخ وما اشبه ذلك ومعاملة القاهرة والفسطاط بالدراهم المعروفة بالسوداء كل درهم منها ثلث من الدرهم الناصرى وفى المعاملة بها شدة وخسارة فى البيع والشراء ومخاصمة مع الفريقين وكان بها فى القديم الفلوس فقطعها الملك الكامل فبقيت الى الآن مقطوعة منها وهى فى الاقليم الثالث وهواء هاردى لاسيما اذا هب المريسى من جهة القبلة وأبصارمد العين فيها كثير والمعايش فيها متعذرة نزرة لاسيما اصناف الفضلاء وجوامك المدارس قليلة كدرة واكثر مايتعيش بها اليهود والنصارى فى كتابة الخراج والطب والنصارى بها يمتازون بالزنار فى أوساطهم واليهود بعلامة صفراء فى عمائمهم ويركبون البغال ويلبسون الملابس الجليلة وماكل اهل القاهرة الدميس والصير والصحناة والبطارخ ولا تصنع النيدة وهى حلاوة القمح الابها وبغيرها من الديار المصرية وفيها جوار طباخات أصل تعلمهن من قصور الخلفاء الفاطميين لهن فى الطبخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة ومطابخ السكر والمطابخ التى يصنع فيها الورق المنصورى مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة ويصنع فيهما من الانطاع المستحسنة مايسفر الى الشام وغيرها ولهما من الشروب الدمياطية وأنواعها ما اختصت به وفيها صناع للقسى كثيرون متقدمون ولكن قسى دمشق بها يضرب المثل واليها النهاية ويسفر من القاهرة الى الشام مايكون من انواع الكمرانات وخرائط الجلد والسيور وما اشبه ذلك وهى الآن عظيمة آهلة يجبى اليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال مالا يحيط بجملته وتفصيله الا الخالق الكل جل وعلا وهى مستحسنة للفقير الذى لايخاف على طلب زكاة ولا ترسيما وعذابا ولا يطلب برفيق له اذا مات فيقال له ترك عندك مالا فربما سجن فى شأنه اوضرب وعصر والفقير المجرد فيها مستريح من جهة رخص الخبز وكثرته ووجود السماعات والفرج فى ظواهرها ودواخلها وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب اليه نفسه

يحكم فيها كيف شاء من رقص فى السوق اوتجريد أوسكر من حشيشة اوغيرها اوصحبة المردان وما اشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب وسائر الفقراء لا يعترضون بالقبض للاسطول الا المغاربة فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة البحر فقد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لا يعرف وهم فى القدوم عليها بين حالين ان كان المغربى غنيا طولب بالزكاة وضيقت عليه أنفاسه حتى يفر منها وان كان مجردا فقيرا حمل الى السجن حتى يجى وقت الاسطول وفى القاهرة ازاهير كثيرة غير منقطعة الاتصال وهذا الشان فى الديار المصرية تفضل به كثيرا من البلاد وفى اجتماع النرجس والورد فيها اقول

من فضل النرجس وهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ يرأس
أما ترى الورد غدا قاعدا * وقام فى خدمته النرجس

واكثر مافيها من الثمرات والفواكه الرمان والموز والتفاح وأما الاجاص فقليل غال وكذلك الخوخ وفيها الورد والنرجس والنسرين والنينوفر والبنفسج والياسمين والليمون الاخضر والاصفر وأما العنب والتين فقليل غال ولكثرة مايعصرون العنب فى أرياف النيل لا يصل منه الا القليل ومع هذا فشراؤه عندهم فى نهاية الغلاء وعامتها يشربون المزر الابيض المتخذ من القمح حتى ان القمح يطلع عندهم سعره بسببه فينادى المنادى من قبل الوالى بقطعه وكسر أوانيه ولا ينكر فيها اظهار أوانى الخمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها من بلاد المغرب وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر ومعظم عمارته فيما يلى القاهرة فرأيت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فمنع فيه الشرب وذلك فى بعض الاحيان وهو ضيق عليه فى الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والمخالعة حتى ان المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به فى مركب وللسرج فى جانبيه بالليل منظر فتان وكثيرا ما يتفرج فيه اهل الستر بالليل وفى ذلك اقول

لا تركبن فى خليج مصر * الا اذا أسدل الظلام
فقد علمت الذى عليه * من عالم كلهم طغام
صفان للحرب قد أطلا * سلاح ما بينهم كلام
ياسيدى لا تسر اليه * الا اذا هوم النيام
والليل ستر على التصابى * عليه من فضله لثام
والسرج قد بددت عليه * منها دنانير لا ترام
وهو قد امتد والمبانى * عليه فى خدمة قيام
لله كم دوحة جنينا * هناك اثمارها الاثام

انتهى

وفيه تحامل كثير * وقال زكى الدين الحسين من رسالة كتبها من مصر فى شهر رجب سنة اثنتين وستين وسبعمائة الى اخيه وهو بدمشق يتشوق اليها ويذكر مافيها من المواضع والمتنزهات ويذم من مصر بقوله فكيف يبقى لمن حل فى جنة النعيم ورياضها ورتع فى ميادين المسرات وغياضها تلفت الى من سلمته يد الاقدار الى ارض ليست بذات قرار وبدلوا بجنتهم ذات البان المتفاوح والورق المتصادح والنشر المتسادح والماء المطلق المسلسل والنسيم الصحيح العليل جنتين ذواتى اكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل وتقصدتهم يد القضاء فأخذتهم بالباساء والضراء واوقعتهم بمصر وشموسها وحميها وغمومها وحزونها ووعورها وحرورها وزفيرها وسعيرها وكيمانها ونيرانها وسودانها وفلاحيها وملاحيها ومشاربها ومساربها ومسالكها ومهالكها وصحنائها وعصفورها وبوريها وعقورها ومخاوف نوروزها وحرارة تموزها ودارس طاولها ورائس اسطولها وتعكر مائها وتكدر هوائها فلو تراهم فى أرجائها القصوى كالاباعر الهمل وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل * فأجابه من دمشق بكتاب من جملته على لسان دمشق كأنها تخاطبه ويا ايها الولد العزيز كيف سمحت فطرتك السليمة ومروءتك الكريمة وسيرتك المستقيمة وصبرك المحافظ ودينك المراقب الملاحظ بذم من جنيت نعمها وسكنت حرمها وقلت مصر وشموسها وسقت عليها القول من كل جانب واستعرت لها التكدير حتى فى المشارب والمسارب وهلا ذكرتها وقد باكرها نيل النعيم بحفيه بليل

التسيم بكاس من تسنيمه وطما البحر عليها زاخرا فأغناها عن بكاء السحاب وتجهمه وعم معظم أرضها وعب عبابه في طولها وعرضها حتى كاد يعلو رفيع قصورها ويتسور بسورته شامخ سورها ومع ذا الاتراه جسورا على ضعاف جسورها قد طبق التهائم والانجاد وغرق الآكام والوهاد وعلا اعلى الصعيد والصعاد وأعاد البر سلطانه بحرا بالازدياد فاذا ارتوى أوام أكباد البلاد وروى السهل والوعر والهضاب والوهاد وذهب املاق الارض بكل ملقة وخليج وانجاب عنها فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج بدت روضة نضرة بأملاق مقطعة كزمردة خضراء بلآل مرصعة فكم من غدير مستدير كبدر منير ودقيق مستطيل كسيف صقيل وكم من قليب قلاب بماء كجلاب وكم من عظيم بركة حركها النسيم بلطفه وطيبها عبير عنبرها فضمخها بكفه وزهت بزهو نيلوفرها فعرفها بعرفه وكم ترى من ملقة لبقة عليها عيون النرجس محدقة كعين خد عروس محققة والنوار قد دارت بمدام الندى كؤوسه وجالت في مراح الافراح نفوسه ونجم نجمه وابتسم عروسه وسامره الرذاذ المنهل وباكره الطل فكلله بلؤلؤه وقلده وزاره النسيم المعتل فأقامه وأقعده ونمق أرضه وروضه فذهبه وفضضه قد تاهت برياضها الغناء وزهت بزخرفها وزينتها الحسناء وامتد بساطها الزمردي وانبسط مدادها الزبرجدي فلا يدرك أقصاه ناظر مسافر ولا يحيط بمنتهاه خيال ولا خاطر فلله درها من روضة مزن وكعبة حسن ومقطعات بماء غير آسن وحوم بحر لجاج طيره امن آتاها حجيج الطير من كل فج عميق ملبيا داعي حسنها من كل مكان سحيق قد امتطى وركبها متون الرياح وعلا بجثمانها عالم الارواح ووصلن الادلاج بالصباح وقطعن اجناح الليل بخفاق الجناح كانهن الدراري السواري او المنشآت الجواري او المطايا المهاري

تواصل من جو حوانض نيله * صعود على حكم الطريق نزول

رفاق تعاهدن على الوفاء وتحالفن على النعماء والبلاء خرجن مهاجرات من الاوطان ألوفا وقدمن صافات كالمصلين صفوفا يقدمهن دليل كانه امام قد قتل طرق الآفاق خبرا واستوى لديه الاضواء والاظلام أبصر من زرقاء اليمامه وأطير من الورقاء والهامه وأهدى من النجم وأشد من السهم يتناجين بلغات أعجميات مسجعات بألحان مطربات فطفن في حرمها الآمن واعقرن تلك المحاسن فتراها عند اقبال نوئها وحومها في جوها ماتستقيم خطا مستقيما وان كانت تصطف صفا عظيما فمنها مايستهل هلالا ومنها مايحكي بنات نعش حالا ومنها مايثني بادلاله دالا ومنها مايخط نونا نونا فيحكي حاجبا مقرونا ومنها مايكتب زينا فيعيدها عينا ومنها مايصور ميم الهجاء فيشاهد مبسم السماء ومنها مايأتي زرافات ووحدانا فيبدع في اعجابه حسنا واحسانا فكم من حبل اوز معلق بالسماء يحلق الى ذلك الماء وأوانس عز يسات انيسات كيسات وصور صور كأمثال حور وطير لغلغ مكتس بديباج مصبغ وجليل حبرج كعلج متوج وكركي عريض طويل كبعير كبير جميل وغرير غز مغزز متغير وسبيطر شديد شويطر وكم ضخم الدسيعة جوال ككوهي بالقوة المنيعة صوال ورخام مرزم كذي امرة محتشم وجلالة نسر في الشائع الذائع والحاضر الواقع أبهى من النسر الطائر والواقع وعظم عقاب تم الحسن بحسنه وكل الصيد في ضمنه وكم من خضاري وحرمان وبلشون وشهرمان صنوان وغير صنوان وكم من بط على شط وخلط وقطقط منقط وغز وغرنوق وكرسوغ ممشوق ونورس مستأنس وقد امتلأت بهن الآفاق وتكللت بنجومهن الاملاق وشربن من جريالها فأسكرهن الاصطباح والاغتباق فكم من مسود كغال بجد وأزرق كلازورد وأشقر كزهر ورد أحمر ناصع وأصفر فاقع وابيض ذي خضاب عندمي بلطيف منقار بقمي ومبرقش ومبقع ومعمم ومقنع وأشقر منقش وارقش مرشش وعودي وهندي وصيني مسني وعينين كياقوتتين قد رصعتا في لجين وكم من طائر ابهى من قمر سائر بفرق مثل صبح سافر فتراهن في الماء صموتا وقوفا صفوفا عكوفا كصور أصنام او حجارة مبددة في آكام وكم من اطيار ظراف ملاح لطاف ذوات ألحان ونضرة وألوان وخلق وأخلاق ونطق وأطواق وايناس مع شماس قد ازدانت الارض بأصواتها واختلاف لغاتها وعجائب صفاتها فبرزت بأنواع الاعاجيب وتجلت بأجل الجلابيب وابدعت في صور الاحسان وتصورت في بدائع الالوان فابدت زرقا في زهر كأنها مذهبة بأزهار لدنانها

مفضضة بنجوم اقحوانها خلعت السماء عليها خلعة جيل أردانها واذا فاح نشر نوار رطبها شممت المسك الذكى من مرطها ورأيت لآلئ سمطها مبسوطة على خضر بسطها ومغالاتها بغالية نور فولها وهزاتها اذا رفل النسيم فى ذيولها قد رصعت اغصانه بفصوص لجينها ونقطته من حسنها بسواد عينها فعيونه كعيون غزلانها فى فتكها وأحداقه كأحداق ولدانها من تركها وكم لها من طرّة معتبرة وجبهة منوّرة ووجنة مزعفرة وملاءة منشورة معصفرة وخد مورّد وطرف مهند ولماها صيغ من عقيق الشقيق وسكرها من ذلك الريق على التحقيق واين بزوغ بشنينها وامتداد يقطينها وأين حلاوة عرائس نخلاتها وطلاوة أوانس قاماتها بمشابهتها فى صفاتها وغرائس فسيلاتها واين نضيد طلعها وجيد فرعها ومديد جذعها وفرّ جمارها عن غرّة جمارها واخضرار اكمامها واحمرار لثامها وبنان بسرها المطرف وبنان ثمرها المشرف وانتظام سرورها بابتسام منثورها وورد واديها ومخضاها وندى ندها وتمر حناها وآس آسها وطيب طيب أنفاسها وتبرّج جها بأترجها وتبهرجها بنارنجها وتختمها بمختمها وتبرمها عن بلسمها وتشقق أبرادها عن نهود كبادها وتضاعف أرجها بمضعف بنفسجها وجلالة مقدارها اذا فضت أزرارها عن جلنارها وطيب شميمها من اشمومها ونسيمها ووسيمها بأوسيمها وجنان قليوبها وخرمان قليبها وأحواضها بيهنها ورياضها وطربتها بطريتها ونفيس انسها بمقسها وغريب غرسها بيلقسها وعظيم آسها بحلق مقياسها وكريم تحيتها من قبل اليمن هبوب أنفاسها واجتماع اسعدها وارتفاع رصدها وسواقيها الحنانة فى مجمعها الهتانة بسكبها من دمعها وجنة لوقها ولجة بولاقها وبركة فيلها من بركة نيلها وجزيرة ذهبها وقلعة الجزيرة بذهبها من عجبها حكت فلكها فى بحرها واحكمت مملكتها فى برّها وعظم جللها بقلعة جبلها واعتلاء أعلامها بعلاء أهرامها واذا انظرت الى سعود صعودها الى سعيد صعيدها واغتباطها بانحطاطها الى صوب سكندريتها ودمياطها ألهتك عن حسن الثريا ومناطها ولاتنس الجوارى المنشآت فى البحر كالاعلام التى تسبق عند طياب الرياح مفوّقات السهام واعجابها بغربانها البحرية وحراقاتها الحربية وشوانيها وهول مبانيها وجلال شكلها وجمال معانيها تبدو موشاة بالنضار الاحمر منقشة باللون الانضر فهى كالارقم المنمر او كتلوّن النمر او الطاوس الذكر او الناوس لبنى الاصفر معمرة ببأس الحديد والاحجار محمولة على سيح الماء التيار مشحونة بالرجال منصورة عند القتال مصونة بالجن والنبال تبرز مذكرة بالآية النوحية وتضمن احراز الهمة العلية الفتحية حصون امنع من اعز قلاع تطير اذا فتح لها جناح القلاع فتسبق وفد الريح عند الاسراع وتفوق سرعة السحاب عند الاتساع فهن مع العقبان فى النيق حوّم وهن مع النينان فى البحر عوّم لو اقسم من رآها ولو قال مشاهد معناها ان الله نفخ فيها الروح فأحياها لبرّ فى يمينه التى اقسم وتلاها وكم من مركب لحسنه معجب وكم من سفين قوى امين وخضارى جليل وعشارى طويل ومسمارى طويل جميل وفستراوى عكاوى ولكة ودرمونه ومعدية مكينه وسلورد قيق وشختور رشيق وقرقور رقيق وزورق ذى زواريق وطريدة بخيل الطراد معمورة دهماء بحمل الجياد والاجناد مشهورة ومخلوف فى الآفاق بالمعروف معروف وما احلى بنان رطبها المخضب ورشيق قامة قصبها المقصب وبهجة فوزها بطلع موزها وخضر أعلام اوراقها وصفر كرام اعلاقها فلا البلاغة تبلغ من احصاء فضلها مراما ولا الفصاحة تسوغ لوصف تشبيهها كلاما فنسأل الله تعالى أن يكنفها بركنه الذى لا يرام ويحرسها بعينه التى لا تنام بمنه وكرمه * وقال الرئيس شهاب الدين احمد بن محيى الدين يحيى بن فضل الله العمرى كاتب السرّ

لمصر فضل باهر * بعيشها الرغد النضر
فى كل سفح يلتقى * ماء الحياة والخضر

وقال ابراهيم بن القاسم الكاتب الملقب بالرشيق يتشوّق الى مصر وقد خرج عنها فى سنة ست وثمانين وثلمائة من قصيدة

هل الريح ان سارت مشرقة تسرى * تؤدّى تحياتى الى ساكنى مصر
فما خطرت الا بكيت صبابة * وحملتها ماضاق عن حمله صدرى

لانى اذاهبت قبولا بنشرهم * شممت نسيم المسك من ذلك النشر
فكم لى بالاهرام اوديرنهية * مصايد غزلان المطايد والقفر
الى جيزة الدنيا وماقد تضمنت * بجزيرتها ذات المواخر والجسر
وبالمقس والبستان للعين منظر * انيق الى شاطى الخليج الى القصر
وفى بئر دوس مستراد وملعب * الى دير مرحنا الى ساحل البحر
فكم بين بستان الامير وقصره * الى البركة النضراء من زهر نضر
تراها كمرآة بدت فى رفارف * من السندس الموشى تنشر للتجر
وكم ليلة لى بالقرافة خلتها * لما نلت من لذاتها ليلة القدر

وقال احمد بن رستم بن اسفهسلار الديلمى يخاطب الوزير نجم الدين ابا يوسف بن الحسين المجاور وتوفى فى رابع عشر ذى الحجة سنة احدى وعشرين وستمائة

حى الديار بشاطئ مقياسها * فالمقسم الفياح بين دهاسها
فالروضتين وقد تضوع عرفها * ارج البنفسج فى غضارة آسها
فمنازل العين المنيفة أصبحت * يغنى سناها عن سنا نبراسها
فخليجها لذاته مطلوبة * تسمو محاسنه علا بأناسها
حافاته محفوفة بمنازل * نزلت بها الآرام دون كناسها

وقال العلامة جلال الدين محمد الشيرازى المعروف بامام منكلى بغا

حيا الحيا مصرا وسكانها * وباكرا لو سمى كثبانها
وجاد صوب المزن من ارضها * معاهد الانس وأوطانها
معاهد بالانس معمورة * لم انس مهما عشت احسانها
كم ايقظتنى فى ذرا دوحها * عجماء لا تفقه ألحانها
وكم نعيم قد تخيلته * فيها وكم غازلت غزلانها
وعاينت عينى بها اغيدا * منعس المقلة وسنانها
تسحر بالتفتير ألحاظه * كأن من بابل شيطانها
وكم شجت قلبى بها غادة * قد كحلت بالغنج أجفانها
اذا دعت صبا الى حبها * لا يستطيع الصب عصيانها
وكم ليال لى بها قد مضت * تسحب بالاعجاب أردانها
والهف نفسى كيف شطت بها * حوادث قوضن بنيانها
فارقتها لا عن قلى صدنى * عنها فراق الروح جسمانها
واعتضت عن غزلانها والمها * نعاج جيرون وثيرانها
ياسائلى عن حالتى بعدها * ها انا ذا اذكر عنوانها
ما حال من فارق اصحابه * وفارق الدنيا وجيرانها
تقلب فوق الجمر أحشاؤه * تؤجج الاشواق نيرانها
والعين لا تنفك من عبرة * ترسل فوق الخد طوفانها
ياسائق النوق يبث الثرى * كمثل بث السحب تهتانها
حى ربا مصر وجناتها * وحورها العين وولدانها
ودورها الزهر وساحاتها * وبين قصريها وميدانها
وأرضها المخصب أرجاؤها * ونيلها الزاهى وخلجانها
والروضة الفيحاء تلك التى * تجلو عن الانفس أحزانها
ومنية السيرج لا تنسها * وقرطها الاحوى وكتانها

والتاج والخمس وجوه التى * اضحت من الاعين انسانها
وحى يابرق وجد بالحيا * جزيرة الفيل وغيطانها
وبانها الغض ونسرينها * ووردها البكر وريحانها
وظلها الضافى وأزهارها * وماءها الصافى وغدرانها
والمعهد المأنوس من ربعها * وحى اهليها وسكانها
لم انس لاانسى اصطباحى بها * ولا اغتباقاتى وابانها
ولااويقات التصابى ولا * تلك الخلاعات وأزمانها
ايام لا انفك من صبوة * اهوى اللذاذات واعلانها
اخطر تيها فى رياض الصبا * مرخى الاعطاف كسلانها
وخيل لهوى فى ميادينها * تجر جرا الصبوة أرسانها
ودوحتى ناضرة غضة * تعطف ريح اللهو أغصانها
حاشاى أن انقض عهدالها * حاشاى أن اصبح خوانها
حاشاى أن أهجرها قاليا * حاشاى أن احدث سلوانها
حاشاى أن أرضى بديلا بها * ورابى الشام وقيعانها
وماءها الثج وحصباءها * وصخرها الصلد وصوانها
قد تاقت النفس الى الفها * وحنت الاشواق أظعانها
واذكرت فى البعد أحبابها * فهيج التبريح أشجانها
وما لها غيرك من ملتجا * ياأوحد الدنيا وانسانها

(ذكر ماقيل فى مدة بقاء القاهرة ووقت خرابها)

قال العارف محيى الدين محمد بن العربى الطائى الحاتمى فى الملحمة المنسوبة اليه قاهرة تعمر فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وتخرب سنة ثمانين وسبعمائة ووقفت لها على شرح لم اعرف تصنيف من هو فانه لم يسم فى النسخة التى وقفت عليها وهو شرح لطيف قليل الفائدة فانه ترك كلام المصنف فيما مضى على ماهو معروف فى كتب التاريخ ولم يبين مراده فيما يستقبل وكانت الحاجة ماسة الى معرفة مايستقبل اكثر من المعرفة بحال ما مضى لكن اخبرنى غير واحد من الثقات انه وقف لهذه الملحمة على شرح كبير فى مجلدين قال هذا الشارح كانت بداية عمارة القاهرة والنيران فى شرفهما الشمس فى برج الحمل والقمر فى برج الثور وهو برج ثابت قال فعمر القاهرة ومدتها اربعمائة واحدى وستون سنة قال فى الاصل واذا نزل زحل برج الجوزاء عزت الاقوات بمصر وقل اغنياؤهم وكثر فقراؤهم ويكون الموت فيهم ويخرج اهل برقة عن أوطانهم لا سيما اذا قارن زحل الجوزهر فان الحال يكون أشد وأقوى قال الشارح كان ذلك فى سنة اربع وستين وستمائة فى ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس فانه نزل زحل برج الجوزاء فوقع الغلاء وفى آخر سنة اربع واول سنة خمس وتسعين وستمائة فى ايام الملك العادل كتبغا حل زحل فى برج الجوزاء وكان معه الجوزهر فكانت اشد وأقوى وكثر الغلاء والوباء قال سئل المعز عن الترك ماهم فقال قوم مسلمون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الحدود والواجبات ويقاتلون فى سبيل الله اعداء الله فقيل له اتطول مدتهم قال لاتطول مدتهم قيل فكيف يكون زوالهم قال يكون هكذا وكان الى جانبه طبق كيزان فحركه حركة شديدة فتكسرت الكيزان فقال هكذا يكون زوالهم يقتل بعضهم بعضا قال

احذر بنى من القران العاشر * وارحل بأهلك قبل نقر الناقر

قال الشارح اول القران العاشر فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة وفيه تكون حالات رديئة بارض مصر وهذا يوافق مافى القول عن القاهرة وتخرب فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة يعنى بداية انحطاطها من سنة خمس وثمانين وسبعمائة التى فيها القران العاشر ويثبت فى عشرين سنة التى هى ايام القران وقد ذكر فى الربع

الآخر أربعمائة وإحدى وستين سنة وقد تخيلت أنها مدّة عمر القاهرة فإذا زدتها على تاريخ عمارتها بلغ ذلك ثمانمائة وتسع عشرة سنة وفي ذلك الوقت يكون زوالها وهو ما بين سنة ثمانين وسبعمائة الى سنة تسع عشرة وثمانمائة ويكون ذلك سببه قحط عظيم وقلة خير وكثرة شر حتى تخرب ويضعف أهلها قال قران زحل والمريخ في برج الجدي يكون في سنة سبعين وسبعمائة تقدمة لكل مائة سنة من سني الهجرة ثلاث سنين فيكون ثلاثا وعشرين سنة تزيدها على سبعمائة وسبعين سنة تبلغ سبعمائة وثلاثا وتسعين سنة فني مثلها من سني الهجرة يكون أول أوقات خراب القاهرة انتهى * وتهذيب هذا القول أن زحل كلما حل برج الجوزاء اتضعت أحوال مصر وقلت أموالهم وكثر الغلاء والفناء عندهم بحسب الاوضاع الفلكية وزحل يحل في برج الجوزاء كل ثلاثين سنة شمسية فيقيم فيه نحوا من ثلاثين شهرا وانت اذا اعتبرت أمور العالم وجدت الحال كما ذكرنا فانه كما حل زحل برج الجوزاء وقع الغلاء بمصر وذكر ان القران العاشر تتضع فيه أحوال القاهرة ورأينا الامر كما ذكرنا فان القران العاشر كان في سنة ست وثمانين وسبعمائة ومدة سنيه عشرون سنة شمسية آخرها سابع عشر رجب سنة سبع وثمانمائة وفي هذه المدة اتضح حال القاهرة وأهلها اتضاعا قبيحا ومن الاوقات المحذورة لها أيضا اقتران زحل والمريخ في برج السرطان ويكون ذلك في كل ثلاثين سنة شمسية ويقترنان في سنة ثمان عشرة وثمانمائة وفي مدته تنقضي الاربعمائة والاحدى والستون سنة التي ذكر أنها عمر القاهرة في سنة تسع عشرة وثمانمائة وشواهد الحال اليوم تصدق ذلك لما عليه أهل القاهرة الآن من الفقر والفاقة وقلة المال وخراب الضياع والقرى وتداعي الدور للسقوط وشمول الخراب أكثر معمور القاهرة واختلاف أهل الدولة وقرب انقضاء مدتهم وغلاء سائر الاسعار ولقد سمعت عمن يرجع اليه في مثل ذلك أن العمارة تنتقل من القاهرة الى بركة الحبش فيصير هناك مدينة والله تعالى أعلم

(ذكر مسالك القاهرة وشوارعها على ما هي عليه الآن)

وقبل أن نذكر خطط القاهرة فلنبتدئ بذكر شوارعها ومسالكها المسلوك منها الى الازقة والحارات لتعرف بها الحارات والخطط والازقة والدروب وغير ذلك مما ستقف عليه ان شاء الله تعالى * فالشارع الاعظم قصبة القاهرة من باب زويلة الى بين القصرين عليه باب الخرنفش أو الخرنشف ومن باب الخرنفش يتفرق من هنالك طريقان ذات اليمين ويسلك منها الى الركن المخلق ورحبة باب العيد الى باب النصر وذات اليسار ويسلك منها الى الجامع الاقمر والى حارة برجوان الى باب الفتوح فاذا ابتدأ السالك بالدخول من باب زويلة فانه يجد يمنة الزقاق الضيق الذي يعرف اليوم بسوق الخلعيين وكان قديما يعرف بالخشابين ويسلك من هذا الزقاق الى حارة الباطلية وخوخة حارة الروم البرانية ثم يسلك الداخل أمامه فيجد على يسرته سجن متولي القاهرة المعروف بخزانة شمايل وقيسارية سنقر الاشقر ودرب الصفيرة ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته حمام الفاضل المعدة لدخول الرجال وعلى يسرته تجاه هذه الحمام قيسارية الامير بهاء الدين رسلان الدوادار الناصري الى أن ينتهي بين الحوانيت والرباع فوقها الى بابي زويلة الاول ولم يبق منهما سوى عقد أحدهما ويعرف الآن بباب القوس ثم يسلك أمامه فيجد على يسرته الزقاق المسلوك فيه الى سوق الحدادين والجبارين المعروف اليوم بسوق الاغاطيين وسكن الملاهي والى المحمودية والى سوق الاخفافيين وحارة الجودرية والصوافين والقصارين والفحامين وغير ذلك ويجد تجاه هذا الزقاق عن يمينه المسجد المعروف قديما بابن البناء وتسميه العامة الآن بسام بن نوح وهو في وسط سوق الغرابليين والمناخليين ومن معهم من الضببيين ثم يسلك أمامه فيجد سوق السراجين ويعرف اليوم بالشوايين وفي هذا السوق على يمينه الجامع الظافري المعروف بجامع الفكاهين وبجانبه الزقاق المسلوك منه الى حارة الديلم وسوق القفاصين وسوق الطيوريين والاكفانيين القديمة المعروفة الآن بسكني دقاقي الثياب ويجد على يسرته الزقاق المسلوك منه الى حارة الجودرية ودرب كركامة ودكة الحسبة المعروفة قديما بسوق الحدادين وسوق الوراقين القديمة والى سوق الفامين المعروف اليوم بالابازرة والى غير ذلك ثم يسلك أمامه الى سوق الحلاويين الآن فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك فيه الى سوق الكعكيين المعروف قديما بالقطانين وسكني الاساكفة والى بابي قيسارية جهاركس وعن يسرته قيسارية الشرب ثم يسلك

أمامه الى سوق الشرابشيين المعروف قديما بسكن الحالقيين وعن يمينه درب قيطون ثم يسلك أمامه شاقا في
سوق الشرابشيين فيجد عن يمينه قيسارية امير علي ويجد عن يسرته سوق الجملون الكبير المسلوك فيه الى
قيسارية ابن قريش والى سوق العطارين والوراقين والى سوق الكفتيين والصيارف والاخفافيين والى بئر زويلة
والبندقانيين والى غير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك فيه الى سوق القرابين الآن وكان يعرف
اولا بدرب البيضاء والى درب الاسواني والى الجامع الازهر وغير ذلك ويجد عن يسرته قيسارية بني اسامة
ثم يسلك أمامه شاقا في سوق الجوخيين والجميين فيجد عن يمينه قيسارية السروج وعن يسرته قيسارية

هكذا بياض بالاصل

ثم يسلك أمامه الى سوق السقطيين والمهامزيين فيجد عن يمينه درب الشمسي ويقابله باب قيسارية الامير علم الدين
الخياط وتعرف اليوم بقيسارية العصفر ثم يسلك أمامه شاقا في السوق المذكور فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك
فيه الى سوق القشاشين وعقبة الصباغين المعروف اليوم بالخراطين والى سوق الخيميين والى الجامع الازهر وغير
ذلك ويجد قبالة هذا الزقاق عن يسرته قيسارية العنبر المعروفة قديما بحبس المعونة ثم يسلك أمامه فيجد على يسرته
الزقاق المسلوك فيه الى سوق الوراقين وسوق الحريريين الشرابيين المعروف قديما بسوق الصاغة القديمة والى
درب شمس الدولة والى سوق الحريريين والى بئر زويلة والبندقانيين والى سويقة الصاحب والحارة الوزيرية والى
باب سعادة وغير ذلك ثم يسلك أمامه شاقا في بعض سوق الحريريين وسوق المتعيشين وكان قديما سكنى الدجاجين
والكعكيين وقبل ذلك اولا سكنى السيوفيين فيجد عن يمينه قيسارية الصنادقيين وكانت قديما تعرف بفندق
الدبابليين ويجد عن يسرته مقابلها دار المأمون البطائحي المعروفة بمدرسة الحنفية ثم عرفت اليوم بالمدرسة
السيوفية لانها كانت في سوق السيوفيين ثم يسلك أمامه في سوق السيوفيين الذي هو الآن سوق المتعيشين
فيجد عن يمينه خان مسرور ويجري الرقيق ودكة المماليك بينهما ولم تزل موضعا لجلوس من يعرض من المماليك
الترك والروم ونحوهم للبيع الى اوائل ايام الملك الظاهر برقوق ثم بطل ذلك ويجد عن يسرته قيسارية الرماحين
وخان الحجر ويعرف اليوم هذا الخط بسوق باب الزهومة ثم يسلك أمامه فيجد عن يسرته الزقاق والساباط المسلوك
فيه الى حمام خشيبة ودرب شمس الدولة والى حارة العدوية المعروفة اليوم بفندق الزمام والى حارة زويلة وغير
ذلك ويجد بعد هذا الزقاق قريبا منه في صفه درب السلسلة ومن هنا ابتداء خط بين القصرين وكان قديما في ايام
الدولة الفاطمية مراحا واسعا ليس فيه عمارة البتة يقف فيه عشرة آلاف فارس والقصران هما موضع سكنى
الخليفة احدهما شرقي وهو القصر الكبير وكان على يمنة السالك من موضع خان مسرور طالبا باب النصر وباب
الفتوح وموضعه الآن المدارس الصالحية النجمية والمدرسة الظاهرية الركنية وما في صفها من الحوانيت
والرباع الى رحبة العيد وما وراء ذلك الى البرقية ويقابل هذا القصر الشرقي القصر الغربي وهو القصر الصغير
ومكانه الآن المارستان المنصوري وما في صفه من المدارس والحوانيت الى تجاه باب الجامع الاقمر فاذا
ابتدأ السالك بدخول بين القصرين من جهة خان مسرور فانه يجد على يسرته درب السلسلة ثم يسلك أمامه
فيجد على يمينه الزقاق المسلوك فيه الى سوق الامشاطيين المقابل لمدرسة الصالحية التي للحنفية والحنابلة والى
الزقاق الملاصق لسور المدرسة المذكورة المسلوك فيه الى خط الزراكشة العتيق حيث خان الخليلي وخان منجك
والى الخوخ السبع حيث الآن سوق الابارين والى الجامع الازهر والى المشهد الحسيني وغير ذلك ثم يسلك
أمامه شاقا في سوق السيوفيين الآن فيجد على يساره دكاكين السيوفيين وعلى يمينه دكاكين النقليين ظاهر
سوق الكتبيين الآن وعلى يساره سوق الصيارف برأس باب الصاغة وكان قديما مطبخ القصر قبالة باب
الزهومة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه باب المدارس الصالحية تجاه باب الصاغة ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه
القبة الصالحية وبجوارها المدرسة الظاهرية الركنية ويجد على يساره باب المارستان المنصوري وفي داخله
القبة المنصورية التي فيها قبور الملوك وتحت شبابيكها دكك القفصيات التي فيها الخواتيم ونحوها فيما بين القبة
المذكورة والمدرسة الظاهرية المذكورة وفي داخله أيضا المدرسة المنصورية وتحت شبابيكها أيضا دكك
القفصيات فيما بين شبابيكها وشبابيك المدرسة الصالحية التي للشافعية والمالكية وتحتها خيمة الغلمان بجوار
قبة الصالح وفي داخله أيضا المارستان الكبير المنصوري المتوصل من باب سره الى حارة زويلة والى الخرنشف
والى الكافوري والى البندقانيين وغير ذلك ثم يسلك من باب المارستان فيجد على يمينه سوق السلاح والنشابين

الآن تحت الربع المعروف بوقف امير سعيد ويجد على يسرته المدرسة الناصرية الملاصقة لمئذنة القبة المنصورية ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته خان بشتاك وفوقه الربع وعرف الآن هذا الخان بالمستخرج ويجد على يسرته المدرسة الظاهرية الجديدة بجوار المدرسة الناصرية وكانت قبل انشائها مدرسة فندقا يعرف بخان الزكاة ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته باب قصر بشتاك ويجد على يسرته المدرسة الكاملية المعروفة بدار الحديث وهي ملاصقة للمدرسة الظاهرية الجديدة ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته الزقاق المسلوك فيه الى بيت امير سلاح المعروف بقصر امير سلاح وهو الامير فخر الدين بكتاش الفخري الصالحي النجمي والى دار الامير سلار نائب السلطنة والى دار الطواشي سابق الدين ومدرسته التي يقال لها المدرسة السابقية وكان في داخل هذا الزقاق مكان يتوصل اليه من تحت قبو المدرسة السابقية يعرف بالسودوس فيه عدة مساكن صارت كلها اليوم دارا واحدة انشاء الامير جمال الدين الاستادار وكان تجاه باب المدرسة السابقية ربع تحته فرن ومن ورائه عدة مساكن يعرف مكانها بالحدرة فهدم الامير جمال الدين المذكور الربع وماوراءه وحفر فيه صهريجا وأنشأ به عدة آدر هي الآن جارية في اوقافه وكان يسلك من باب السابقية على باب الربع والفرن المذكورين الى دهليز طويل مظلم ينتهي الى باب القصر تجاه سور سعيد السعداء ومنه يخرج السالك الى رحبة باب العيد والى الركن المخلق فهدمه الامير جمال الدين وجعل مكانه قيسارية وركب على رأس هذا الزقاق تجاه حمام البيسري دربا في داخله دروب ليصون امواله وانقطع التطرق من هذا الزقاق وصار دربا غير نافذ ويجد السالك عن يسرته قبالة هذا الزقاق وصار دربا مدربا باب قصر البيسرية وقد بني في وجهه حوانيت بجانبها حمام البيسري ومن هنا ينقسم شارع القاهرة المذكور الى طريقين احداهما ذات اليمين والاخرى ذات اليسار فأما ذات اليسار فانها تتمة القصبة المذكورة فاذا مر السالك من باب حمام الامير بيسري فانه يجد على يسرته باب الخرنشف المسلوك فيه الى باب سر البيسرية والى باب حارة برجوان الذي يقال له ابو تراب والى الخرنشف واصطبل القطبية والى الكافوري والى حارة زويلة والى البندقانيين وغير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد سوقا يعرف أخيرا بالوزازين والدجاجين يباع فيه الاوز والدجاج والعصافير وغير ذلك من الطيور وادركناه عامرا سوقا كبيرا من جملته دكان لا يباع فيها غير العصافير فيشتريها الصغار للعب بها وفي هذا السوق على يمنة السالك قيسارية يعلوها ربع كانت مدة سوقا يباع فيه الكتب ثم صارت لعمل الجلود وكانت من جملة اوقاف المارستان المنصوري فهدمها بعض من كان يتحدث في نظره عن الامير ايتمش في سنة احدى وثمانمائة وعمرها على ماهي عليه الآن وعلى يسرة السالك في هذا السوق ربع يجري في وقف المدرسة الكاملية وكان هذا السوق يعرف قديما بالتبانين والقماحين ثم يمر سالكا أمامه فيجد سوق الشماعين متصلا بسوق الدجاجين وكان سوقا كبيرا فيه صفان عن اليمين والشمال من حوانيت باعة الشمع ادركته عامرا وقد بقي منه الآن يسير وفي آخر هذا السوق على يمنة السالك الجامع الاقمر وكان موضعه قديما سوق القماحين وقبالته درب الخضري وبجانب الجامع الاقمر من شرقيه الزقاق الذي يعرف بالمحايريين ويسلك فيه الى الركن المخلق وغيره وقبالة هذا الزقاق بئر الدلاء ثم يسلك المار أمامه فيجد على يمنته زقاقا ضيقا ينتهي الى دور ومدرسة تعرف بالشرابشية يتوصل من باب سرها الى الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس ثم يسلك أمامه في سوق المتعيشين فيجد على يسرته باب حارة برجوان ثم يسلك أمامه شاقا في سوق المتعيشين وقد أدركته سوقا عظيما لا يكاد يعدم فيه شئ مما يحتاج اليه من المأكولات وغيرها بحيث اذا طلب منه شئ من ذلك في ليل اونهار وجد وقد خرب الآن ولم يبق منه الا اليسير وكان هذا السوق قديما يعرف بسوق امير الجيوش وبآخره خان الرواسين وهو زقاق على يمنة السالك غير نافذ ويقابل هذا الزقاق على يسرة السالك الى باب الفتوح شارع يسلك فيه الى سوق يعرف اليوم بسويقة امير الجيوش وكان قبل اليوم يعرف بسوق الخروقيين ويسلك من هذا السوق الى باب القنطرة في شارع معمور بالحوانيت من جانبيه ويعلوها الرباع وفيما بين الحوانيت دروب ذات مساكن كثيرة ثم يسلك أمامه من رأس سويقة امير الجيوش فيجد على يمنته الجلون الصغير المعروف بجملون ابن صيرم وكان سكنا للبزازين فيه عدة حوانيت عامرة باصناف الثياب ادركتها عامرة وفيه مدرسة ابن صيرم المعروفة بالمدرسة الصيرمية وفي آخره باب زيادة الجامع الحاكمي وكان على بابها عدة حوانيت تعمل فيها الضبب التي

برسم الابواب ويخرج من هذا الجملون الى طريقين احداهما يسلك فيها الى درب الفرنجية والى دار الوكالة وشارع باب النصر والاخرى الى درب الرشيدى النافذ الى درب الجوانية ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه شباك المدرسة الصيرمية ويقابله باب قيسارية خوند اردكين الاشرفية ثم يسلك أمامه شاقا فى سوق المرحلين وكان صفين من حوانيت عامرة فيها جميع ما يحتاج اليه فى ترحيل الجمال وقد خرب وبقى منه قليل وفى هذا السوق على يسرة السالك زقاق يعرف بحارة الوراقة وفيه احد ابواب قيسارية خوند المذكورة وعدة مساكن وكان مكانه يعرف قديما باصطبل الحجرية ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه احد أبواب الجامع الحاكمى وميضأته ويجد باب الفتوح القديم ولم يبق منه سوى عقدته وشئ من عضادته وبجواره شارع على يسرة السالك يتوصل منه الى حارة بهاء الدين وباب القنطرة ثم يسلك أمامه شاقا فى سوق المتعيشين فيجد على يمينه بابا آخر من ابواب الجامع الحاكمى ثم يسلك أمامه فيجد عن يسرته زقاقا بساباط ينفذ الى حارة بهاء الدين فيه كثير من المساكن ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه باب الجامع الحاكمى الكبير ويجد عن يساره فندق العادل ويشق فى سوق عظيم الى باب الفتوح وهو آخر قصبة القاهرة وأما ذات اليمين من شارع بين القصرين فان المار اذا سلك من الدرب الذى يقابل حمام البيسرى طالبا الركن المخلق فانه يشق فى سوق القصاصين وسوق الحصريين الى الركن المخلق ويباع فيه الآن النعال وبه حوض فى ظهر الجامع الاقمر لشرب الدواب تسميه العامة حوض النبى ويقابله مسجد يعرف ببراك موسى وينتهى هذا السوق الى طريقين احداهما الى بئر العظام التى تسميها العامة بئر العظمة ومنها ينقل الماء الى الجامع الاقمر والحوض المذكور بالركن المخلق ويسلك منه الى المحايريين والطريق الاخرى تنتهى الى الفندق المعروف بقيسارية الجلود وبعلوه ربع انشأت ذلك خوند بركة ام الملك الاشرف شعبان بن حسين وبجوار هذه القيسارية بوابة عظيمة قد سترت بحوانيت يتوصل منها الى ساحة عظيمة هى من حقوق المنحر كانت خوند المذكورة قد شرعت فى عمارتها قصرا لها فماتت دون اكماله ثم يسلك أمامه فيجد الرباع التى تعلو الحوانيت والقيسارية المستجدة فى مكان باب القصر الذى كان ينتهى الى مدرسة سابق الدين وبين القصرين وكان احد ابواب القصر ويعرف بباب الريح وهذه الرباع والقيسارية من جملة انشاء الامير جمال الدين الاستادار وكانت قبله حوانيت ورباعا فهدمها وأنشأها على ما هى عليه اليوم ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه مدرسة الامير جمال الدين المذكور وكان موضعها خانا وظاهره حوانيت فى مكانها مدرسة وحوض السبيل وغير ذلك ويقال لهذه الاماكن رحبة باب العيد ويسلك منها الى طريقين احداهما ذات اليمين والاخرى ذات اليسار فأما ذات اليمين فانها تنتهى الى المدرسة الحجازية والى درب قراصيا والى حبس الرحبة والى درب السلامى المسلوك منه الى باب العيد الذى تسميه العامة باب القاهرة والى المارستان العتيق والى قصر الشوك ودار الضرب والى باب سر المدارس الصالحية والى خزانة البنود ويسلك من رأس درب السلامى هذا فى رحبة باب العيد الى السفينة وخط خزانة البنود ورحبة الايدمرى والمشهد الحسينى ودرب الملوخيا والجامع الازهر والحارة الصالحية والحارة البرقية الى باب البرقية والباب المحروق والباب الجديد وأما ذات اليسار من رحبة باب العيد فان المار يسلك من باب مدرسة الامير جمال الدين الى باب زاوية الخدام الى باب الخانقاه المعروفة بدار سعيد السعداء فيجد عن يمينه زقاقا بجوار سور دار الوزارة يسلك فيه الى خرائب تتر والى خط الفهادين والى درب ملوخيا وغير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه المدرسة القراسنقرية وخانقاه ركن الدين بيبرس وهما من جملة دار الوزارة وما جاور الخانقاه الى باب الجوانية وتجاه خانقاه بيبرس الدرب الاصفر وهو المنحر الذى كانت الخلفاء تنحر فيه الاضاحى ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه دار الامير قزمان بجوار خانقاه بيبرس وبجوارهما دار الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير وقد عرفت الآن بدار خوند طولوباى زوجة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وبجوارها حمام الاعسر المذكور وجميع هذا من دار الوزارة ويجد على يسرته درب الرشيدى تجاه حمام الاعسر المسلوك فيه الى درب الفرنجية وجملون ابن صيرم ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه الشارع المسلوك فيه الى الجوانية والى خط الفهادين والى درب ملوخيا والى العطوفية وقد خربت هذه الاماكن ويجد على يسرته الوكالة المستجدة من انشاء الملك الظاهر برقوق ثم يسلك أمامه فيجد على يسرته زقاقا يسلك فيه الى جملون ابن صيرم والى درب الفرنجية ثم يسلك

أمامه فيجد على يمنته دار الامير شهاب الدين احمد ابن خالة الملك الناصر محمد بن قلاون ودار الامير علم الدين سنجر الجاولى وهما من حقوق الحجر التى كانت بها مماليك الخلفاء وأجنادهم ويجد على يسرته وكالة الامير قوصون ثم يسلك من باب الوكالة فيجد مقابل باب قاعة الجاولى خان الجاولى وبعدها باب النصر القديم وادركت فيه قطعة كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى وقد زال ويسلك منه الى رحبة الجامع الحاكمى فيجد على يمنته المدرسة القاصدية وعلى يسرته بابى الجامع الحاكمى وتجاه احدهما الشارع المسلوك فيه الى حارة العبدانية وحارة العطوفية وغير ذلك ومن باب الجامع الحاكمى ينتهى الى باب النصر فيما بين حوانيت ورباع ودور فهذه صفة القاهرة الآن وستقف ان شاء الله تعالى على كيفية ابتداء وضع هذه الاماكن وما صارت اليه وذكر التعريف بمن نسبت اليه او عرفت به على ما التقطت ذلك من كتب التواريخ ومجاميع الفضلاء ووقفت عليه بخطوط الثقات وأخبرنى بذلك من ادركته من المشيخة وماشاهدته من ذلك سالكا فيه سبيل التوسط فى القول بين الاكثار والاختصار والله الموفق بمنه وكرمه لا اله غيره

(ذكر سور القاهرة)

اعلم أن القاهرة مذ أسست عمل سورها ثلاث مرات الاولى وضعه القائد جوهر والمرة الثانية وضعه امير الجيوش بدر الجمالى فى ايام الخليفة المستنصر والمرة الثالثة بناه الامير الخصى بهاء الدين قراقوش الاسدى فى سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب اول ملوك القاهرة * السور الاول كان من لبن وضعه جوهر القائد على مناخه الذى نزل به هو وعساكره حيث القاهرة الآن فأداره على القصر والجامع وذلك انه لما سار من الجيزة بعد زوال الشمس من يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة بعساكره وقصد الى مناخه الذى رسمه له مولاه الامام المعز لدين الله ابو تميم معد واستقرت به الدار اختط القصر وأصبح المصريون يهنونه فوجدوه قد حفر الاساس فى الليل فأدار السور اللبن وسماها المنصورية الى أن قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب الى مصر ونزل بها فسماها القاهرة ويقال فى سبب تسميتها ان القائد جوهرا لما أراد بناءها احضر المنجمين وعرفهم انه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقيم بها الجند وأمرهم باختيار طالع سعيد لوضع الاساس بحيث لا يخرج البلد عن نسلهم ابدا فاختاروا طالعا لوضع الاساس وطالعا لحفر السور وجعلوا بدائر السور قوائم خشب بين كل قائمتين حبل فيه أجراس وقالوا للعمال اذا تحركت الاجراس فارموا ما بأيديكم من الطين والحجارة فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك فاتفق أن غرابا وقع على حبل من تلك الحبال التى فيها الاجراس فتحركت كلها فظن العمال أن المنجمين قد حركوها فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة وبنوا فصاح المنجمون القاهر فى الطالع فمضى ذلك وفاتهم ما قصدوه ويقال ان المريخ كان فى الطالع عند ابتداء وضع الاساس وهو قاهر الفلك فسموها القاهرة واقتضى نظرهم انها لا تزال تحت القهر وأدخل فى دائر هذا السور بئر العظام وجعل القاهرة حارات للواصلين صحبته وصحبة مولاه المعز وعمر القصر بترتيب ألقاه اليه المعز ويقال ان المعز لما رأى القاهرة لم يعجبه مكانها وقال لجوهر لما فاتك عمارة القاهرة بالساحل كان ينبغى عمارتها بهذا الجبل يعنى سطح الجرف الذى يعرف اليوم بالرصد المشرف على جامع راشدة ورتب فى القصر جميع ما يحتاج اليه الخلفاء بحيث لا تراهم الاعين فى النقلة من مكان الى مكان وجعل فى ساحاته الحجرة والميدان والبستان وتقدم بعمارة المصلى بظاهر القاهرة وقد ادركت من هذا السور اللبن قطعا وآخر ما رأيت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية ودرب بطوط هدمها شخص من الناس فى سنة ثلاث وثمانمائة فشاهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه فى زمننا حتى ان اللبنة تكون قدر ذراع فى ثلثى ذراع وعرض جدار السور عدة اذرع يسع أن يمر به فارسان وكان بعيدا عن السور الحجر الموجود الآن وبينهما نحو الخمسين ذراعا وما احسب انه بقى الآن من هذا السور اللبن شئ * (وجوهر) هذا مملوك رومى رباه المعز لدين الله ابو تميم معد وكناه بأبى الحسن وعظم محله عنده فى سنة سبع واربعين وثلثمائة وصار فى رتبة الوزارة فصيره قائد جيوشه وبعثه فى صفر منها ومعه عساكر كثيرة فيهم الامير زيرى بن مناد الصنهاجى وغيره من الاكابر فسار الى تاهرت وأوقع بعدة اقوام وافتتح مدنا وسار الى فاس فنازلها مدة ولم ينل منها شيأ فرحل عنها الى سجلماسة وحارب ثائرا فاسره بها وانتهى فى مسيره الى

البحر المحيط واصطاد منه سمكا وبعثه فى قلة ماء الى مولاه المعز واعلمه انه قد استولى على مامر به من المدائن والامم حتى انتهى الى البحر المحيط ثم عاد الى فاس فألح عليها بالقتال الى أن اخذها عنوة واسر صاحبها وحمله هو والثائر بسجلماسة فى قفصين مع هدية الى المعز وعاد فى أخريات السنة وقد عظم شأنه وبعد صيته ثم لما قوى عزم المعز على تسيير الجيوش لاخذ مصر وتهيأ امرها فقدم عليها القائد جوهرا وبرز الى رمادة ومعه ما ينيف على مائة ألف فارس وبين يديه اكثر من ألف صندوق من المال وكان المعز يخرج اليه فى كل يوم ويخلو به واطلق يده فى بيوت امواله فأخذ منها ما يريد زيادة على ما حمله معه وخرج اليه يوما فقام جوهر بين يديه وقد اجتمع الجيش فالتفت المعز الى المشايخ الذين وجههم مع جوهر وقال والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر ولتدخلن الى مصر بالاردية من غير حرب ولتنزلن فى خرابات ابن طولون وتبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا وأمر المعز بافراغ الذهب فى هيئة الارحية وحملها مع جوهر على الجمال ظاهرة وأمر اولاده واخوته الامراء وولى العهد وسائر أهل الدولة أن يمشوا فى خدمته وهو راكب وكتب الى سائر عماله يأمرهم اذا قدم عليهم جوهر أن يترجلوا مشاة فى خدمته فلما قدم برقة افتدى صاحبها من ترجله ومشيه فى ركابه بخمسين ألف دينار ذهبا فأبى جوهر الا أن يمشى فى ركابه ورد المال فمشى ولما رحل من القيروان الى مصر فى يوم السبت رابع عشر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أنشد محمد بن هانى فى ذلك

رأيت بعينى فوق ما كنت اسمع * وقد راعنى يوم من الحشر أروع
غداة كأن الافق سد بمثله * فعاد غروب الشمس من حيث تطلع
فلم ادر اذ ودعت كيف أودع * ولم ادر اذ شيعت كيف اشيع
الا ان هذا حشد من لم يذق له * غرار الكرى جفن ولا بات يهجع
اذا حل فى ارض بناها مدائنا * وان سار عن ارض غدت وهى بلقع
تحل بيوت المال حيث محله * وجم العطايا والرواق المرفع
وكبرت الفرسان لله اذ بدا * وظل السلاح المنتضى يتقعقع
وعب عباب الموكب الفخم حوله * ورق كما رق الصباح الملمع
رحلت الى الفسطاط أول رحلة * بأيمن فال بالذى انت تجمع
فان يك فى مصر ظماء لمورد * فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع
ويممهم من لا يغار بنعمة * فيسلبهم لكن يزيد فيوسع

ولما دخل الى مصر واختط القاهرة وكتب بالبشارة الى المعز قال ابن هانى

تقول بنو العباس قد فتحت مصر * فقل لبنى العباس قد قضى الامر
وقد جاوز الاسكندرية جوهر * تصاحبه البشرى ويقدمه النصر

ولم يزل معظما مطاعا وله حكم ما فتح من بلاد الشام حتى ورد المعز من المغرب الى القاهرة وكان جعفر بن فلاح يرى نفسه أجل من جوهر فلما قدم معه الى مصر سيره جوهر الى بلاد الشام فى العساكر فأخذ الرملة وغلب الحسن بن عبد الله بن طغج وسار فملك طبرية ودمشق فلما صارت الشام له شمخت نفسه عن مكاتبة جوهر فأنفذ كتبه من دمشق الى المعز وهو بالمغرب سرا من جوهر يذكر فيها طاعته ويقع فى جوهر ويصف ما فتح الله للمعز على يده فغضب المعز لذلك ورد كتبه كما هى مختومة وكتب اليه قد أخطأت الرأى لنفسك نحن قد أنفذنا لك مع قائدنا جوهر فاكتب اليه فما وصل منك الينا على يده قرأناه ولا تتجاوزه بعد فلسنا نفعل لك ذلك على الوجه الذى اردته وان كنت اهلاً عندنا ولكنا لا نستفسد جوهرا مع طاعته لنا فازداد غضب جعفر بن فلاح وانكشف ذلك لجوهر فلم يبعث ابن فلاح لجوهر يسأله نجدة خوفا أن لا ينجده بعسكر وأقام مكانه لا يكاتب جوهرا بشئ من أمره الى أن قدم عليه الحسن بن احمد القرمطى وكان من أمره ما قد ذكر فى موضعه * ولما مات المعز واستخلف من بعده ابنه العزيز وورد الى دمشق هفتكين الشرابى من بغداد ندب العزيز بالله جوهرا القائد الى الشام فخرج اليها بخزائن السلاح والاموال والعساكر العظيمة فنزل على دمشق لثمان بقين من ذى القعدة سنة خمس وستين وثلثمائة فأقام عليها وهو يحارب اهلها الى أن قدم الحسن بن احمد القرمطى من الاحساء

الى الشام فرحل جوهر فى ثالث جمادى الاولى سنة ست وستين فنزل على الرملة والقرمطى فى اثره فهلك وقام من بعده جعفر القرمطى فحارب جوهرا واشتد الامر على جوهر وسار الى عسقلان وحصره هفتكين بها حتى بلغ من الجهد مبلغا عظيما فصالح هفتكين وخرج من عسقلان الى مصر بعد أن اقام بها وبظاهر الرملة نحوا من سبعة عشر شهرا فقدم على العزيز وهو يريد الخروج الى الشام فلما ظفر العزيز بهفتكين واصطنعه فى سنة ثمانين وثلثمائة واصطنع منجوتكين التركى أيضا اخرجه راكبا من القصر وحده فى سنة احدى وثمانين والقائد جوهر وابن عمار ومن دونهما من اهل الدولة مشاة فى ركابه وكانت بيد جوهر فى يد ابن عمار فزفر ابن عمار زفرة كاد أن ينشق لها وقال لا حول ولا قوة الا بالله فنزع جوهر يده منه وقال قد كنت عندى يا ابا محمد أثبت من هذا فظهر منك انكار فى هذا المقام لاحدثنك حديثا عسى يسليك عما انت فيه والله ما وقف على هذا الحديث احد غيرى لما خرجت الى مصر وانفذت الى مولانا المعز من اسرته ثم حصل فى يدى آخرون اعتقتهم وهم نيف على ثلثمائة اسير من مذكوريهم والمعروفين فيهم فلما ورد مولانا المعز الى مصر أعلمته بهم فقال اعرضهم على واذكر فى كل واحد حاله ففعلت وكان فى يده كتاب مجلد يقرأ فيه فجعلت آخذ الرجل من يد الصقالبة وأقدمه اليه وأقول هذا فلان ومن حاله وحاله فيرفع رأسه وينظر اليه ويقول يجوز ويعود الى قراءة ما فى الكتاب حتى احضرت له الجماعة وكان آخرهم غلاما تركيا فنظر اليه وتأمله ولما ولى أتبعه بصره فلما لم يبق أحد قبلت الارض وقلت يا مولانا رأيتك فعلت لما رأيت هذا التركى ما لم تفعله مع من تقدمه فقال يا جوهر يكون عندك مكتوما حتى ترى انه يكون لبعض ولدنا غلام من هذا الجنس تتفق له فتوحات عظيمة فى بلاد كثيرة ويرزقه الله على يده ما لم يرزقه أحد منا مع غيره وأنا اظن انه ذلك الذى قال لى مولانا المعز ولا علينا اذا فتح الله لموالينا على ايدينا أو على يد من كان يا أبا محمد لكل زمان دولة ورجال أريد نحن أن نأخذ دولتنا ودولة غيرنا لقد أرجل لى مولانا المعز لما سرت الى مصر أولاده واخوته وولى عهده وسائر أهل دولته فتعجب الناس من ذلك وها أنا اليوم امشى راجلا بين يدى منجوتكين أعزونا وأعزوا بنا غيرنا وبعد هذا فأقول اللهم قرب أجلى ومدتى فقد أنفت على الثمانين او أنا فيها فمات فى تلك السنة وذلك انه اعتل فركب اليه العزيز بالله عائدا وحمل اليه قبل ركوبه خمسة آلاف دينار ومرتبة مثقل وبعث اليه الامير منصور بن العزيز بالله خمسة آلاف دينار وتوفى يوم الاثنين لسبع بقين من ذى القعدة سنة احدى وثمانين وثلثمائة فبعث اليه العزيز بالحنوط والكفن وأرسل اليه الامير منصور بن العزيز أيضا الكفن وارسلت اليه السيدة العزيزية الكفن فكفن فى سبعين ثوبا ما بين مثقل ووشى مذهب وصلى عليه العزيز بالله وخلع على ابنه الحسين وحمله وجعله فى مرتبة ابيه ولقبه بالقائد ابن القائد ومكنه من جميع ما خلفه ابوه وكان جوهر عاقلا محسنا الى الناس كاتبا بليغا فمن مستحسن توقيعاته على قصة رفعت اليه بمصر سوء الاجترام أوقع بكم حلول الانتقام وكفر الانعام اخرجكم من حفظ الذمام فالواجب فيكم ترك الايجاب واللازم لكم ملازمة الاحتساب لانكم بدأتم فأسأتم وعدتم فتعديتم فابتداؤكم ملوم وعودكم مذموم وليس بينهما فرجة الا تقتضى الذم لكم والاعراض عنكم ليرى امير المؤمنين صلوات الله عليه رأيه فيكم ولما مات رثاه كثير من الشعراء *(السور الثانى)* بناه امير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ثمانين وأربعمائة وزاد فيه الزيادات التى فيما بين بابى زويلة وباب زويلة الكبير وفيما بين باب الفتوح الذى عند حارة بهاء الدين وباب الفتوح الآن وزاد عند باب النصر أيضا جميع الرحبة التى تجاه جامع الحاكم الآن الى باب النصر وجعل السور من لبن وأقام الابواب من حجارة وفى نصف جمادى الآخرة سنة ثمانى عشرة وثمانمائة ابتدئ بهدم السور الحجر فيما بين باب زويلة الكبير وباب الفرج عندما هدم الملك المؤيد شيخ الدور ليبنى جامعه فوجد عرض السور فى الاماكن نحو العشرة اذرع *(السور الثالث)* ابتدأ فى عمارته السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فى سنة ست وستين وخمسمائة وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله فلما كانت سنة تسع وستين وقد استولى على المملكة انتدب لعمل السور الطواشى بهاء الدين قراقوش الاسدى فبناه بالحجارة على ما هو عليه الآن وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر والقلعة سورا واحدا فزاد فى سور القاهرة القطعة التى من باب القنطرة الى باب الشعرية ومن باب الشعرية الى باب البحر وبنى قلعة المقس وهى برج كبير وجعله على النيل بجانب جامع المقس وانقطع السور من هناك وكان فى املة امتداد السور من المقس الى أن يتصل

بسور مصر وزاد فى سور القاهرة قطعة مما يلى باب النصر ممتدة الى باب البرقية والى درب بطوط والى خارج باب الوزير ليتصل بسور قلعة الجبل فانقطع من مكان بقرب الآن من الصوة تحت القلعة لموته والى الآن آثار الجدر ظاهرة لمن تأملها فيما بين آخر السور والى جهة القلعة وكذلك لم يتهيأ له أن يصل سور قلعة الجبل بسور مصر وجاء دور هذا السور المحيط بالقاهرة الآن تسعة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة ذراع وذراعين بذراع العمل وهو الذراع الهاشمى من ذلك ما بين قلعة المقس على شاطئ النيل والبرج بالكوم الاحمر بساحل مصر عشرة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ومن قلعة المقس الى حائط قلعة الجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلثمائة واثنان وتسعون ذراعا ومن جانب حائط قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة الى البرج بالكوم الاحمر سبعة آلاف ومائتا ذراع ومن وراء القلعة بجبال مسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتان وعشرة اذرع وذلك طول قوسه فى ابراجه من النيل الى النيل وقلعة المقس المذكورة كانت برجا مطلا على النيل فى شرقى جامع المقس ولم تزل الى أن هدمها الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسى عندما جدد الجامع المذكور فى سنة سبعين وسبعمائة وجعل فى مكان البرج المذكور جنينته وذكر أنه وجد فى البرج مالا وانه انما جدد الجامع منه والعامة تقول اليوم جامع المقسى بالاضافة وكان يحيط بسور القاهرة خندق شرع فى حفره من باب الفتوح الى المقس فى المحرم سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكان أيضا من الجهة الشرقية خارج باب النصر الى باب البرقية وما بعده وشاهدت آثار الخندق باقية ومن ورائه سور بابراج له عرض كبير مبنى بالحجارة الا أن الخندق انطم وتهدمت الاسوار التى كانت من ورائه وهذا السور هو الذى ذكره القاضى الفاضل فى كتابه الى السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فقال والله يحيى المولى حتى يستدير بالبلدين نطاقه ويمتد عليهما رواقه فما عقيلة ما كان معصمها ليترك بغير سوار ولا خصرها ليتحلى بغير منطقة نضار والآن قد استقرت خواطر الناس وأمنوا به من يد تتخطف ومن يد مجرم يقدم ولا يتوقف

(ذكر ابواب القاهرة)

وكان للقاهرة من جهتها القبلية بابان متلاصقان يقال لهما بابا زويلة ومن جهتها البحرية بابان متباعدان احدهما باب الفتوح والآخر باب النصر ومن جهتها الشرقية ثلاثة ابواب متفرقة أحدها يعرف الآن بباب البرقية والآخر بالباب الجديد والآخر بالباب المحروق ومن جهتها الغربية ثلاثة ابواب باب القنطرة وباب الفرج وباب سعادة وباب آخر يعرف بباب الخوخة ولم تكن هذه الابواب على ما هى عليه الآن ولا فى مكانها عند ما وضعها جوهر

(باب زويلة)

كان باب زويلة عند ما وضع القائد جوهر القاهرة بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم بسام ابن نوح فلما قدم المعز الى القاهرة دخل من احدهما وهو الملاصق للمسجد الذى بقى منه الى اليوم عقد ويعرف بباب القوس فتيامن الناس به وصاروا يكثرون الدخول والخروج منه وهجروا الباب المجاور له حتى جرى على الالسنة أن من مر به لا تقضى له حاجة وقد زال هذا الباب ولم يبق له أثر اليوم الا انه يفضى الى الموضع الذى يعرف اليوم بالحجارين حيث تباع آلات الطرب من الطنابير والعيدان ونحوهما والى الآن مشهور بين الناس أن من يسلك من هنالك لا تقضى له حاجة ويقول بعضهم من اجل أن هنالك آلات المنكر وأهل البطالة من المغنين والمغنيات وليس الامر كما زعم فان هذا القول جار على ألسنة اهل القاهرة من حين دخل المعز اليها قبل أن يكون هذا الموضع سوقا للمعازف وموضعا لجلوس اهل المعاصى * فلما كان فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى امير الجيوش بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر بالله باب زويلة الكبير الذى هو باق الى الآن وعلى أبراجه ولم يعمل له باشورة كما هى عادة ابواب الحصون من أن يكون فى كل باب عطف حتى لا تهجم عليه العساكر فى وقت الحصار ويتعذر سوق الخيل ودخولها جملة لكنه عمل فى بابه زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيمة بحيث اذا هجم عسكر على القاهرة لا تثبت قوائم الخيل على الصوان فلم تزل هذه الزلاقة باقية الى ايام السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب فاتفق مروره من هنالك فاختل فرسه وزلق به

وأحسبه سقط عنه فأمر بنقضها فنقضت وبقى منها شئ يسير ظاهر فلما بنى الامير جمال الدين يوسف الاستادار المسجد المقابل لباب زويلة وجعله باسم الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق ظهر عند حفره الصهريج الذى به بعض هذه الزلاقة وأخرج منها حجارة من صوان لا تعمل فيها العدة الماضية وأشكالها فى غاية من الكبر لا يستطيع جرها الا اربعة ارؤس بقر فأخذ الامير جمال الدين منها شيأ والى الآن حجر منها ملقى تجاه قبو الخرنشف من القاهرة * ويذكر أن ثلاثة اخوة قدموا من الرها بنائين بنوا باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح كل واحد بنى بابا وأن باب زويلة هذا بنى فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة وأن باب الفتوح بنى فى سنة ثمانين وأربعمائة * وقد ذكر ابن عبد الظاهر فى كتاب خطط القاهرة أن باب زويلة هذا بناه العزيز بالله نزار بن المعز وتممه أمير الجيوش وأنشد لعلى بن محمد النيلى

ياصاح لو أبصرت باب زويلة * لعلمت قدر محله بنيانا
باب تأزر بالمجرة وارتدى الـ * شعرى ولاث برأسه كيوانا
لو أن فرعونا بناه لم يرد * صرحا ولا اوصى به هامانا اهـ

* وسمعت غير واحد يذكر أن فردتيه يدوران فى سكرجتين من زجاج * وذكر جامع سيرة الناصر محمد بن قلاون أن فى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة رتب ايدكين والى القاهرة فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاون على باب زويلة خليلية تضرب كل ليلة بعد العصر * وقد أخبرنى من طاف البلاد ورأى مدن المشرق انه لم يشاهد فى مدينة من المدائن عظم باب زويلة ولا يرى مثل بدنتيه اللتين عن جانبيه ومن تأمل الاسطر التى قد كتبت على اعلاه من خارجه فانه يجد فيها اسم امير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه وقد كانت البدنتان اكبر مما هما الآن بكثير هدم اعلاهما الملك المؤيد شيخ لما انشأ الجامع داخل باب زويلة وعمر على البدنتين منارتين ولذلك خبر تجده فى ذكر الجوامع عند ذكر الجامع المؤيدى

(باب النصر)

كان باب النصر أولا دون موضعه اليوم وأدركت قطعة من احد جانبيه كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى بحيث تكون الرحبة التى فيما بين المدرسة القاصدية وبين باب جامع الحاكم القبليين خارج القاهرة ولذلك تجد فى أخبار الجامع الحاكمى انه وضع خارج القاهرة فلما كان فى ايام المستنصر وقدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا وتقلد وزارته وعمر سور القاهرة نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر الى حيث هو الآن فصار قريبا من مصلى العيد وجعل له باشورة ادركت بعضها الى أن احتفرت اخت الملك الظاهر برقوق الصهريج السبيل تجاه باب النصر فهدمته وأقامت السبيل مكانه وعلى باب النصر مكتوب بالكوفى فى أعلاه لا اله الا الله محمد رسول الله على ولى الله صلوات الله عليهما

(باب الفتوح)

وضعه القائد جوهر دون موضعه الآن وبقى منه الى يومنا هذا عقده وعضادته اليسرى وعليه اسطر من الكتابة بالكوفى وهو برأس حارة بهاء الدين من قبليها دون جدار الجامع الحاكمى وأما الباب المعروف اليوم بباب الفتوح فانه من وضع أمير الجيوش وبين يديه باشورة قد ركبها الآن الناس بالبنيان لما عمر ما خرج عن باب الفتوح *(امير الجيوش)* ابو النجم بدر الجمالى كان مملوكا ارمنيا لجمال الدولة بن عمار فلذلك عرف بالجمالى وما زال يأخذ بالجد من زمن سبيه فيما يباشره ويوطن نفسه على قوة العزم ويتنقل فى الخدم حتى ولى امارة دمشق من قبل المستنصر فى يوم الاربعاء ثالث عشرى ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة ثم سار منها كالهارب فى ليلة الثلاثاء لاربع عشرة خلت من رجب سنة ست وخمسين ثم وليها ثانيا يوم الاحد سادس شعبان سنة ثمان وخمسين فبلغه قتل ولده شعبان بعسقلان فخرج فى شهر رمضان سنة ستين وأربعمائة فثار العسكر وأخربوا قصره وتقلد نيابة عكا فلما كانت الشدة بمصر من شدة الغلاء وكثرة الفتن والاحوال بالحضرة قد فسدت والامور قد تغيرت وطوائف العسكر قد شغبت والوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الامر والنهى والرخاء قد أيس منه والصلاح لا مطمع فيه ولواتة قد ملكت الريف والصعيد بايدى العبيد والطرقات قد

انقطعت برا وبحرا الا بالخفارة الثقيلة فلما قتل بلدكوش ناصر الدولة حسين بن حمدان كتب المستنصر اليه يستدعيه ليكون المتولى لتدبير دولته فاشترط أن يحضر معه من يختاره من العساكر ولا يبقى أحدا من عسكر مصر فأجابه المستنصر الى ذلك فاستخدم معه عسكرا وركب البحر من عكا فى اول كانون وسار بمائة مركب بعد أن قيل له ان العادة لم تجر بركوب البحر فى الشتاء لهيجانه وخوف التلف فأبى عليهم وأقلع فمادى الصحو والسكون مع الريح الطيبة مدة اربعين يوما حتى كثر التعجب من ذلك وعد من سعادته فوصل الى تنيس ودمياط واقترض المال من تجارها ومياسيرها وقام بأمر ضيافته وما يحتاج اليه من الغلال سليمان اللواتى كبير أهل البحيرة وسار الى قليوب فنزل بها وأرسل الى المستنصر يقول لا ادخل الى مصر حتى تقبض على بلدكوش وكان احد الامراء وقد اشتد على المستنصر بعد قتل ابن حمدان فبادر المستنصر وقبض عليه واعتقله بخزانة البنود فقدم بدر عشية الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة خمس وستين وأربعمائة فتهيأ له أن قبض على جميع امراء الدولة وذلك أنه لما قدم لم يكن عند الامراء علم من استدعائه فما منهم الا من اضافه وقدم اليه فلما انقضت نوبهم فى ضيافته استدعاهم الى منزله فى دعوة صنعها لهم وبيت مع اصحابه أن القوم اذا أجنهم الليل فانهم لا بد يحتاجون الى الخلاء فمن قام منهم الى الخلاء يقتل هنالك ووكل بكل واحد واحدا من أصحابه وأنعم عليه بجميع ما يتركه ذلك الامير من دار ومال واقطاع وغيره فصار الامراء اليه وظلوا نهارهم عنده وباتوا مطمئنين فما طلع ضوء النهار حتى استولى اصحابه على جميع دور الامراء وصارت رؤسهم بين يديه فقويت شوكته وعظم امره وخلع عليه المستنصر بالطيلسان المقور وقلده وزارة السيف والقلم فصارت القضاة والدعاة وسائر المستخدمين من تحت يده وزيد فى ألقابه أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين وتتبع المفسدين فلم يبق منهم أحدا حتى قتله وقتل من اماثل المصريين وقضاتهم ووزرائهم جماعة ثم خرج الى الوجه البحرى فأسرف فى قتل من هنالك من لواتة واستصفى اموالهم وأزاح المفسدين وأفناهم بانواع القتل وصار الى البر الشرقى فقتل منه كثيرا من المفسدين ونزل الى الاسكندرية وقد ثار بها جماعة مع ابنه الاوحد فحاصرها اياما من المحرم سنة سبع وسبعين وأربعمائة الى أن اخذها عنوة وقتل جماعة ممن كان بها وعمر جامع العطارين من مال المصادرات وفرغ من بنائه فى ربيع الاول سنة تسع وسبعين وأربعمائة ثم سار الى الصعيد فحارب جهينة والثعالبة وأفنى اكثرهم بالقتل وغنم من الاموال ما لا يعرف قدره كثرة فصلح به حال الاقليم بعد فساده ثم جهز العساكر لمحاربة البلاد الشامية فسارت اليها غير مرة وحاربت اهلها ولم يظفر منها بطائل واستناب ولده شاهنشاه وجعله ولى عهده * فلما كان فى سنة سبع وثمانين وأربعمائة مات فى ربيع الآخر وقيل فى جمادى الاولى منها وقد تحكم فى مصر تحكم الملوك ولم يبق للمستنصر معه أمر واستبد بالامور فضبطها احسن ضبط وكان شديد الهيبة وافر الحرمة مخوف السطوة قتل من مصر خلائق لا يحصيها الا خالقها منها انه قتل من اهل البحيرة نحو العشرين ألف انسان الى غير ذلك من اهل دمياط والاسكندرية والغربية والشرقية وبلاد الصعيد واسوان وأهل القاهرة ومصر الا انه عمر البلاد وأصلحها بعد فسادها وخرابها باتلاف المفسدين من اهلها وكان له يوم مات نحو الثمانين سنة وكانت له محاسن منها انه اباح الارض للمزارعين ثلاث سنين حتى ترفهت احوال الفلاحين واستغنوا فى ايامه ومنها حضور التجار الى مصر لكثرة عدله بعد انتزاحهم منها فى ايام الشدة ومنها كثرة كرمه وكانت مدة ايامه بمصر احدى وعشرين سنة وهو اول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر * ومن آثاره الباقية بالقاهرة باب زويلة وباب الفتوح وباب النصر وقام من بعده بالامر ابنه شاهنشاه الملقب بالافضل بن امير الجيوش وبه وبابنه الافضل أبهة الخلفاء الفاطمية بعد تلاشى امرها وعمرت الديار المصرية بعد خرابها واضمحلال احوال اهلها وأظنه هو الذى اخبر عنه المعز فيما تقدم من حكاية جوهر عنه فانه لم يتفق ذلك لاحد من رجال دولتهم غيره والله يعلم وانتم لا تعلمون

(باب القنطرة)

عرف بذلك لان جوهرا القائد بنى هناك قنطرة فوق الخليج الذى بظاهر القاهرة ليمشى عليها الى المقس عند مسير

القرامطة الى مصر فى شوال سنة ستين وثلثمائة

(باب الشعرية)

يعرف بطائفة من البربر يقال لهم بنو الشعرية هم ومزانة وزيارة وهوارة من أحلاف لواتة الذين نزلوا بالمنوفية

(باب سعادة)

عرف بسعادة بن حيان غلام المعز لدين الله لانه لما قدم من بلاد المغرب بعد بناء القائد جوهر القاهرة نزل بالجيزة وخرج جوهر الى لقائه فلما عاين سعادة جوهرا ترجل وسار الى القاهرة فى رجب سنة ستين وثلثمائة فدخل اليها من هذا الباب فعرف به وقيل له باب سعادة ووافى سعادة هذا القاهرة بجيش كبير معه فلما كان فى شوال سيره جوهر فى عسكر مجر عند ورود الخبر من دمشق بمجيء الحسين بن احمد القرمطى المعروف بالاعصم الى الشام وقتل جعفر بن فلاح فسار سعادة يريد الرملة فوجد القرمطى قد قصدها فانحاز بمن معه الى يافا ورجع الى مصر ثم خرج الى الرملة فملكها فى سنة احدى وستين فأقبل اليه القرمطى ففر منه الى القاهرة وبها مات لخمس بقين من المحرم سنة اثنتين وستين وثلثمائة وحضر جوهر جنازته وصلى عليه الشريف ابو جعفر مسلم وكان فيه برّ واحسان

(الباب المحروق)

كان يعرف قديما باب القراطين فلما زالت دولة بنى ايوب واستقل بالملك الملك المعز عز الدين ايبك التركمانى اول من ملك من المماليك بمملكة مصر فى سنة خمسين وستمائة كان حينئذ اكبر الامراء البحرية مماليك الملك الصالح نجم الدين ايوب الفارس اقطاى الجدار وقد استفحل امره وكثرت اتباعه ونافس المعز أيبك وتزوج بابنة الملك المظفر صاحب حماه وبعث الى المعز بأن ينزل من قلعة الجبل ويخليها له حتى يسكنها بامرأته المذكورة فقلق المعز منه وأهمه شأنه وأخذ يدبر عليه فقرر مع عدة من مماليكه أن يقفوا بموضع من القلعة عينه لهم واذا جاء الفارس اقطاى فتكوا به وأرسل اليه وقت القائلة يستدعيه ليشاوره فى أمر مهم فركب فى قائلة يوم الاثنين حادى عشرى شعبان سنة اثنتين وخمسين وستمائة فى نفر من مماليكه وهو آمن مطمئن بما صار له فى الانفس من الحرمة والمهابة وبما يثق به من شجاعته فلما صار بقلعة الجبل وانتهى الى قاعة العواميد عوق من معه من المماليك عن الدخول معه ووثب به المماليك الذين أعدهم المعز وتناولوه بالسيوف فهلك لوقته وغلقت ابواب القلعة وانتشر الصوت بقتله فى البلد فركب اصحابه وحشد اشيته وهم نحو السبعمائة فارس الى تحت القلعة وفى ظنهم أن الفارس اقطاى لم يقتل وانما قبض عليه السلطان وانهم يقاتلونه حتى يطلقه لهم فلم يشعروا الا برأس الفارس اقطاى وقد ألقيت عليهم من القلعة فانفضوا الوقتهم وتواعدوا على الخروج من مصر الى الشام واكابرهم يومئذ بيبرس البندقدارى وقلاون الالفى وسنقر الاشقر وبيسرى وسكر وبرامق فخرجوا فى الليل من بيوتهم بالقاهرة الى جهة باب القراطين ومن العادة أن تغلق ابواب القاهرة بالليل فألقوا النار فى الباب حتى سقط من الحريق وخرجوا منه فقيل له من ذلك الوقت الباب المحروق وعرف به وأما القوم فانهم ساروا الى الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب الشام فقبلهم وأنعم عليهم وأقطعهم اقطاعات واستكثر بهم وأصبح المعز وقد علم بخروجهم الى الشام فأوقع الحوطة على جميع اموالهم ونسائهم واولادهم وعامة تعلقاتهم وسائر أسبابهم وتتبعهم ونادى عليهم فى الاسواق بطلب البحرية وتحذير العامة من اخفائهم فصار اليه من اموالهم ما ملأ عينه واستمرت البحرية فى الشام الى أن قتل المعز أيبك وخلع ابنه المنصور وتسلطن الامير قطز فتراجعوا فى أيامه الى مصر وآلت احوالهم الى أن تسلطن منهم بيبرس وقلاون ولله عاقبة الامور

(باب البرقية)

(ذكر قصور الخلفاء ومناظرهم والالماع بطرف من مآثرهم وماصارت اليه احوالها من بعدهم)

اعلم انه كان للخلفاء الفاطميين بالقاهرة وظواهرها قصور ومناظر منها القصر الكبير الشرقى الذى وضعه القائد

هكذا بيض له فى الاصل

جوهر عندما أناخ فى موضع القاهرة ومنها القصر الصغير الغربى والقصر النافعى وقصر الذهب وقصر الاقبال وقصر الظفر وقصر الشجرة وقصر الشوك وقصر الزمرد وقصر النسيم وقصر الحريم وقصر البحر وهذه كلها قاعات ومناظر من داخل سور القصر الكبير ويقال لها القصور الزاهرة ويسمى مجموعها القصر وكان بجوار القصر الغربى الميدان والبستان الكافورى وكان لهم عدة مناظر ودور سلطانية غير هذه القصور منها دار الضيافة ودار الوزارة ودار الوزارة القديمة ودار الضرب والمنظرة بالجامع الازهر والمنظرة بجوار الجامع الاقمر ومنظرة اللؤلؤة على الخليج بظاهر القاهرة ومنظرة الغزالة ودار الذهب ومنظرة المقس ومنظرة الدكة والبعل والخمس وجوه والتاج وقبة الهواء والبساتين الجيوشية والبستان الكبير ومنظرة السكرة والمنظرة ظاهر باب الفتوح ودار الملك بمدينة مصر ومنازل العز والمنظرة الصناعة بالساحل ومنظرة بجوار جامع القرافة الكبرى المعروف اليوم بجامع الاولياء والاندلس بالقرافة والمنظرة ببركة الحبش وسأذكر من أخبار هذه الاماكن فى مدة الدولة الفاطمية ومآل اليه حالها بحسب ما انتهى الى علمه ان شاء الله تعالى

(القصر الكبير)

هذا القصر كان فى الجهة الشرقية من القاهرة فلذلك يقال له القصر الكبير الشرقى ويسمى القصر المعزى لان المعز لدين الله ابا تميم معد اهو الذى أمر عبده وكاتبه جوهرا ببنائه حين سيره من رمادة احد بلاد افريقية بالعساكر الى مصر وألقى اليه ترتيبه فوضعه على الترتيب الذى رسمه له ويقال ان جوهرا لما أسسه فى الليلة التى اناخ قبلها فى موضعه وأصبح رأى فيه ازورارات غير معتدلة لم تعجبه فقيل له فى تغييرها فقال قد حفر فى ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله * وكان ابتداء وضعه مع وضع اساس سور القاهرة فى ليلة الاربعاء الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وركب عليه بابان يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين ثم انه ادار عليه سورا محيطا به فى سنة ستين وثلثمائة وهذا القصر كان دار الخلافة وبه سكن الخلفاء الى آخر ايامهم فلما انقرضت الدولة على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب اخرج اهل القصر منه وأسكن فيه الامراء ثم خرب اولا فأولا * وذكر ابن عبد الظاهر فى كتاب خطط القاهرة عن مرهف بواب باب الزهومة أنه قال أعلم هذا الباب المدة الطويلة وما رأيته دخل اليه حطب ولا رمى منه تراب قال وهذا أحد أسباب خرابه لوقود اخشابه وتكويم ترابه قال ولما أخذه صلاح الدين وأخرج من كان به كان فيه اثناعشر ألف نسمة ليس فيهم فحل الا الخليفة وأهله وأولاده فأسكنهم دار المظفر بحارة برجوان وكانت تعرف بدار الضيافة قال ووجد الى جانب القصر بئر تعرف ببئر الصنم كان الخلفاء يرمون فيها القتلى فقيل ان فيها مطلبا وقصد تغويرها فقيل انها معمورة بالجان وقتل عمارها جماعة من أشياعه فردمت وتركت انتهى وكان صلاح الدين لما أزال الدولة أعطى هذا القصر الكبير لامراء دولته وأنزلهم فيه فسكنوه وأعطى القصر الصغير الغربى لاخيه الملك العادل سيف الدين ابى بكر بن ايوب فسكنه وفيه ولد له ابنه الكامل ناصر الدين محمد وكان قد أنزل والده نجم الدين ايوب بن شادى فى منظرة اللؤلؤة ولما قبض على الامير داود ابن الخليفة العاضد وكان ولى عهد أبيه وينعت بالحامد لله اعتقله وجميع اخوته وهم ابو الامانة جبريل وأبو الفتوح وابنه ابو القاسم وسليمان بن داود بن العاضد وعبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد واسماعيل بن العاضد وجعفر بن ابى الطاهر ابن جبريل وعبد الظاهر بن ابى الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجماعة فلم يزالوا فى الاعتقال بدار المظفر وغيرها الى أن انتقل الكامل محمد بن العادل من دار الوزارة بالقاهرة الى قلعة الجبل فنقل معه ولد العاضد واخوته وأولاد عمه واعتقلهم بها وفيها مات داود بن العاضد ولم يزل بقيتهم معتقلين بالقلعة الى أن استبد السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فأمر فى سنة ستين بالاشهاد على كمال الدين اسمعيل بن العاضد وعماد الدين ابى القاسم ابن الامير ابى الفتوح بن العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد أن جميع المواضع التى قبلى المدارس الصالحية من القصر الكبير والموضع المعروف بالتربة باطنا وظاهرا بخط الخوخ السبع وجميع الموضع المعروف بالقصر النافعى بالخط المذكور وجميع الموضع المعروف بالجباسة بالخط المذكور وجميع الموضع المعروف بخزائن السلاح السلطانية وما هو بخطه وجميع الموضع المعروف بسكن اولاد شيخ

الشيوخ وغيرهم من القصر الشارع بابه قبالة دار الحديث النبوى الكاملية وجميع الموضع المعروف بالقصر الغربى وجميع الموضع المعروف بدار القنطرة بخط المشهد الحسينى وجميع الموضع المعروف بدار الضيافة بحارة برجوان وجميع الموضع المعروف بدار الذهب بظاهر القاهرة وجميع الموضع المعروف باللؤلؤة وجميع قصر الزمرذ وجميع البستان الكافورى ملك لبيت المال بالنظر المولوى السلطانى الملكى الظاهرى من وجه صحيح شرعى لا رجعة لهم فيه ولا لواحد منهم فى ذلك ولا فى شئ منه ولاء ولا شبهة بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه كلها خلا ما فى ذلك من مسجد لله تعالى او مدفن لآبائهم فأشهدوا عليهم بذلك وورخوا الاشهاد بالثالث عشر من جمادى الاولى سنة ستين وستمائة وأثبت على يد قاضى القضاة الصاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعى وتقرر مع المذكورين أنه مهما كان قبضوه من اثمان بعض الاماكن المذكورة التى عاقد عليها وكلاؤهم واتصلوا اليه يحاسبوا به من جملة ما تحرر ثمنه عند وكيل بيت المال وقبضت ايدى المذكورين عن التصرف فى الاماكن المذكورة وغيرها مما هو منسوب الى آبائهم وبهم بيع ذلك فباعه وكيل بيت المال كمال الدين ظافر شيأ بعد شئ ونقضت تلك المبانى وابتنى فى مواضعها على غير تلك الصفة من المساكن وغيرها كما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وكان هذا القصر يشتمل على مواضع منها *(قاعة الذهب)* وكان يقال لقاعة الذهب قصر الذهب وهو أحد قاعات القصر الذى هو قصر المعز لدين الله معد وبنى قصر الذهب العزيز بالله نزار بن المعز وكان يدخل اليه من باب الذهب الذى كان مقابلا للدار القطبية التى هى اليوم المارستان المنصورى ويدخل اليه أيضا من باب البحر الذى هو الآن تجاه المدرسة الكاملية وجدد هذا القصر من بعد العزيز الخليفة المستنصر فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وبهذه القاعة كانت الخلفاء تجلس فى الموكب يوم الاثنين ويوم الخميس وبها كان يعمل سماط شهر رمضان للامراء وسماط العيدين وبها كان سرير الملك *(هيئة جلوس الخليفة بمجلس الملك)* قال الفقيه ابو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق فى كتاب سيرة المعز وكان وصول المعز لدين الله الى قصره بمصر فى يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة ولما وصل الى قصره خر ساجدا ثم صلى ركعتين وصلى بصلاته كل من دخل معه واستقر فى قصره بأولاده وحشمه وخواص عبيده والقصر يومئذ يشتمل على ما فيه من عين وورق وجوهر وحلى وفرش وأوان وثياب وسلاح وأسفاط وأعدال وسروج ولجم وبيت المال بحاله بما فيه وفيه جميع ما يكون للملوك وللنصف من رمضان جلس المعز فى قصره على السرير الذهب الذى عمله عبده القائد جوهر فى الايوان الجديد وأذن بدخول الاشراف اولا ثم اذن بعدهم للاولياء ولسائر وجوه الناس وكان القائد جوهر قائما بين يديه يقدم الناس قوما بعد قوم ثم مضى القائد جوهر وأقبل بهديته التى عباها ظاهرة يراها الناس وهى من الخيل مائة وخمسون فرسا مسرجة ملجمة منها مذهب ومنها مرصع ومنها معنبر واحدى وثلاثون قبة على نوق بخاتى بالديباج والمناطق والفرش منها تسعة بديباج مثقل وتسع نوق مجنوبة مزينة بمثقل وثلاثة وثلاثون بغلا منها سبعة مسرجة ملجمة ومائة وثلاثون بغلا للنقل وتسعون نجيبا وأربعة صناديق مشبكة يرى ما فيها وفيها أوانى الذهب والفضة ومائة سيف محلى بالذهب والفضة ودرجان من فضة مخرقة فيها جوهر وشاشية مرصعة فى غلاف وتسعمائة ما بين سفط وتخت فيها سائر ما أعدله من ذخائر مصر * وفى يوم عرفة نصب المعز الشمسية التى عملها للكعبة على ايوان قصره وسعتها اثنا عشر شبرا فى اثنى عشر شبرا وأرضها ديباج أحمر ودورها اثنا عشر هلال ذهب فى كل هلال أترجة ذهب مشبك جوف كل اترجة خمسون درة كبار كبيض الحمام وفيها الياقوت الاحمر والاصفر والازرق وفى دورها كتابة آيات الحج بزمرذ أخضر قد فسر وحشو الكتابة در كبير لم ير مثله وحشو الشمسية المسك المسحوق يراها الناس فى القصر ومن خارج القصر لعلو موضعها وانما نصبها عدة فراشين وجروها لثقل وزنها * وقال فى كتاب الذخائر والتحف وما كان بالقصر من ذلك ان وزن ما استعمل من الذهب الابريز الخالص فى سرير الملك الكبير مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال ووزن ما حلى به الستر الذى انشأه سيد الوزراء ابو محمد البازورى من الذهب أيضا ثلاثون ألف مثقال وانه رصع بألف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر ألوانه وذكر أن فى الشمسية الكبيرة ثلاثين ألف مثقال ذهبا وعشرين ألف درهم مخرقة وثلاثة الاف وستمائة قطعة جوهر من سائر ألوانه وأنواعه وان فى الشمسية التى لم تتم من الذهب

سبعة عشر ألف مثقال * وقال المرتضى ابو محمد عبد السلام بن محمد بن الحسن بن عبد السلام بن الطوير القهرى القيسرانى الكاتب المصرى فى كتاب نزهة المقلتين فى اخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية الفصل العاشر فى ذكر هيئتهم فى الجلوس العام بمجلس الملك ولا يتعدى ذلك يومى الاثنين والخميس ومن كان أقرب الناس اليهم ولهم خدم لا تخرج عنهم وينتظر لجلوس الخليفة أحد اليومين المذكورين وليس على التوالى بل على التفاريق فاذا تهيأ ذلك فى يوم من هذه الايام استدعى الوزير من داره صاحب الرسالة على الرسم المعتاد فى سرعة الحركة فيركب فى ابهته وجماعته على الترتيب المقدم ذكره يعنى فى ذكر الركوب اول العام وسيأتى ان شاء الله تعالى فى موضعه من هذا الكتاب فيسير من مكان ترجله عن دابته بدهليز العمود الى مقطع الوزارة وبين يديه اجلاء أهل الامارة كل ذلك بقاعة الذهب التى كان يسكنها السلطان بالقصر وكان الجلوس قبل ذلك بالايوان الكبير الذى هو خزائن السلاح فى صدره على سرير الملك وهو باق فى مكانه الى الآن من هذا المكان الى آخر ايام المستعلى ثم ان الآمر نقل الجلوس الى هذا المكان واسمه مكتوب بأعلى باذهنجه الى اليوم ويكون المجلس المذكور معلقا فيه ستور الديباج شتاء والدبيقى صيفا وفرش الشتاء بسط الحرير عوضا عن الصوف مطابقا لستور الديباج وفرش الصيف مطابقا للستور الدبيقى ما بين طبرى وطبرستانى مذهب معدوم المثل وفى صدره المرتبة المؤهلة لجلوسه فى هيئة جليلة على سرير الملك المغشى بالقرقوبى فيكون وجه الخليفة عليه قبالة وجوه الوقوف بين يديه فاذا تهيأ الجلوس استدعى الوزير من المقطع الى باب المجلس المذكور وهو مغلق وعليه ستر فيقف بحذائه وعن يمينه زمام القصر وعن يساره زمام بيت المال فاذا انتصب الخليفة على المرتبة وضع امين الملك مفلح أحد الاستاذين المحنكين الخواص الدواة مكانها من المرتبة وخرج من المقطع الذى يقال له فرد الكم فاذا الوزير واقف أمام باب المجلس وحواليه الامراء المطوقون ارباب الخدم الجليلة وغيرهم وفى خلالهم قرّاء الحضرة فيشير صاحب المجلس الى الاستاذين فيرفع كل منهم جانب الستر فيظهر الخليفة جالسا بمنصبه المذكور فتستفتح القرّاء بقراءة القرآن الكريم ويسلم الوزير بعد دخوله اليه فيقبل يديه ورجليه ويتأخر مقدار ثلاثة اذرع وهو قائم قدر ساعة زمانية ثم يؤمر بأن يجلس على الجانب الايمن وتطرح له مخدة تشريفا ويقف الامراء فى اماكنهم المقررة فصاحب الباب واسفهسلار العساكر من جانبى الباب يمينا ويسارا ويليهم من خارجه لاصقا بعتبته زمام الآمرية والحافظية كذلك ثم بترتيبهم على مقاديرهم فكل واحد لا يتعدى مكانه هكذا الى آخر الرواق وهو الافريز العالى عن أرض القاعة ويعلوه الساباط على عقود القناطر التى على العهد هنالك ثم ارباب القصب والعماريات يمنة ويسرة كذلك ثم الاماثل والاعيان من الاجناد المترشحين للتقدمة ويقف مستندا للصدر الذى يقابل باب المجلس نوّاب الباب والحجاب ولصاحب الباب فى ذلك المحل الدخول والخروج وهو الموصل عن كل قائل ما يقول فاذا انتظم ذلك النظام واستقر بهم المقام فأول ماثل للخدمة بالسلام قاضى القضاة والشهود المعروفون بالاستخدام فيجيز صاحب الباب القاضى دون من معه فيسلم متأدبا ويقف قريبا ومعنى الادب فى السلام انه يرفع يده اليمنى ويشير بالمسبحة ويقول بصوت مسموع السلام على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فيتخصص بهذا الكلام دون غيره من اهل السلام ثم يسلم بالاشراف الاقارب زمامهم وهو من الاستاذين المحنكين وبالاشراف الطالبيين نقيبهم وهو من الشهود المعدلين وتارة يكون من الاشراف المميزين فيمضى عليهم كذلك ساعتان زمانيتان اوثلاث ويخص بالسلام فى ذلك الوقت من خلع عليه لقوص اوالشرقية اوالغربية اوالاسكندرية فيشرفون بتقبيل القبة فان دعت حاجة الوزير الى مخاطبة الخليفة فى أمر قام من مكانه وقرب منه منحنيا على سيفه فيخاطبه مرة اومرتين ثم يؤمر الحاضرون فيخرجون حتى يكون آخر من يخرج الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله ويخرج فيركب على عادته الى داره وهو مخدوم باولئك ثم يرخى الستر ويغلق باب المجلس الى يوم مثله فيكون الحال كما ذكر ويدخل الخليفة الى مكانه المستقر فيه ومعه خواص استاذيه وكان أقرب الناس الى الخلفاء الاستاذون المحنكون وهم اصحاب الانس لهم ولهم من الخدم ما لا يتطرق اليه سواهم ومنهم زمام القصر وشاد التاج الشريف وصاحب بيت المال وصاحب الدفتر وصاحب الرسالة وزمام الاشراف الاقارب وصاحب المجلس وهم المطلعون على أسرار الخليفة وكانت لهم طريقة محمودة فى بعضهم بعضا منها انه متى ترشح استاذ للتحنيك وحنك حمل اليه كل

واحد من المحنكين بدلة من ثياب ومنديلا وفرشا وسيفا فيصبح لاحقابهم وفي يديه مثل ما في ايديهم وكان لا يركب أحد في القصر الا الخليفة ولا ينصرف ليلا ونهارا الا كذلك وله في الليل شدادات من النساء يخدمن البغلات والحمير الاناث للجواز في السراديب القصيرة الاقبيه والطلوع على الزلاقات الى أعالي المناظر والاماكن وفي كل محلة من محلات القصر فسقية مملوءة بالماء خيفة من حدوث حريق في الليل

(كيفية سماط شهر رمضان بهذه القاعة)

قال ابن الطوير فاذا كان اليوم الرابع من شهر رمضان رتب عمل السماط كل ليلة بالقاعة بالقصر الى السادس والعشرين منه ويستدعى له قاضي القضاة ليالي الجمع توقيرا له فأما الامراء ففي كل ليلة منهم قوم بالنوبة ولا يحرمونهم الافطار مع أولادهم وأهاليهم ويكون حضورهم بمسطور يخرج الى صاحب الباب واسفهسلاره فيعرف صاحب كل نوبة ليلته فلا يتأخر ويحضر الوزير فيجلس صدره فان تأخر كان ولده أو أخوه وان لم يحضر أحد من قبله كان صاحب الباب ويهتم فيه اهتماما عظيما تاما بحيث لا يفوته شئ من أصناف المأكولات الفائقة والاغذية الرائقة وهو مبسوط في طول القاعة مادّ من الرواق الى ثلثي القاعة المذكورة والفرّاشون قيام لخدمة الحاضرين وحواشي الاستاذين يحضرون الماء المبخر في كيزان الخزف برسم الحاضرين ويكون انفصالهم العشاء الآخرة فيعمهم ذلك ويصل منه شئ الى أهل القاهرة من بعض الناس لبعض ويأخذ الرجل الواحد ما يكفي جماعة فاذا حضر الوزير أخرج اليه مما هو بحضرة الخليفة وكانت بيده فيه تشريفا له وتطييبا لنفسه وربما حمل لسحوره من خاص ما يعين لسحور الخليفة نصيب وافر ثم يتفرق الناس الى اماكنهم بعد العشاء الآخرة بساعة أو ساعتين قال ومبلغ ما ينفق في شهر رمضان لسماطه مدة سبعة وعشرين يوما ثلاثة آلاف دينار

(عمل سماط عيد الفطر بهذه القاعة)

قال الامير المختار عز الملك بن عبيد الله بن احمد بن اسمعيل بن عبد العزيز المسبحي في تاريخه الكبير وفي آخر يوم منه يعني شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة حمل يانس الصقلبي صاحب الشرطة السفلى السماط وقصور السكر والتماثيل وأطباقا فيها تماثيل حلاوى وحمل أيضا علي بن سعد المحتسب القصور وتماثيل السكر * وقال ابن الطوير فأما الاسمطة الباطنة التي يحضرها الخليفة بنفسه ففي يوم عيد الفطر اثنان ويوم عيد النحر واحد فأما الاول من عيد الفطر فانه يعبن في الليل بالايوان قدام الشباك الذي يجلس فيه الخليفة فيمد ما مقداره ثلثمائة ذراع في عرض سبعة اذرع من الخشكنان والفانيذ والبسندود المقدم ذكر عمله بدار الفطرة فاذا صلى الفجر في اول الوقت حضر اليه الوزير وهو جالس في الشباك ومكن الناس من ذلك الممدود فأخذ وحمل ونهب فيأخذه من يأكله في يومه ومن يدخره لغده ومن لا حاجة له به فيبيعه ويتسلط عليه أيضا حواشي القصر المقيمون هنالك فاذا فرغ من ذلك وقد بزغت الشمس ركب من باب الملك بالايوان وخرج من باب العيد الى المصلى والوزير معه كما وصفنا في هيئة ركوب هذا العيد في فصله مخليا القاعة الذهب لسماط الطعام فينصب له سرير الملك قدام باب المجلس في الرواق وينصب فيه مائدة من فضة ويقال لها المدورة وعليها اواني الفضيات والذهبيات والصيني الحاوية للاطعمة الخاص الفائحة الطيب الشهية من غير خضراوات سوى الدجاج الفائق المسمن المعمول بالامزجة الطيبة النافعة ثم ينصب السماط أمام السرير الى باب المجلس قبالته ويعرف بالمدوّر طول القاعة وهو اليوم الباب الذي يدخل منه اليها من باب البحر الذي هو باب القصر اليوم والسماط خشب مدهون شبه الدكك اللاطية فيصير من جمعه للاواني سماطا عاليا في ذلك الطول وبعرض عشرة اذرع فيفرش فوق ذلك الازهار ويرص الخبز على حافتيه سواميذ كل واحد ثلاثة ارطال من نقي الدقيق ويدهن وجهها عند خبزها بالماء فيحصل لها بريق ويحسن منظرها ويعمر داخل ذلك السماط على طوله باحد وعشرين طبقا في كل طبق احد وعشرون ثنا سمينا مشويا وفي كل من الدجاج والفراريج وفراخ الحمام ثلثمائة وخمسون طائرا فيبقى طائلا مستطيلا فيكون كقامة الرجل الطويل ويسوّر بشرائح الحلواء اليابسة ويزين بألوانها المصبغة ثم يسد خلل تلك الاطباق بالصحون الخزفية التي في كل واحد منها سبع دجاجات وهي مترعة بالالوان الفائقة من الحلواء

المائعة والطباهجة المشققه والطيب غالب على ذلك كله فلا يبعد أن تناهز عدة الصحون المذكورة خمسمائة صحن ويرتب ذلك أحسن ترتيب من نصف الليل بالقاعة الى حين عود الخليفة من المصلى والوزير معه فاذا دخل القاعة وقف الوزير على باب دخول الخليفة لينزع عنه الثياب العيدية التى فى عمامتها السمة ويلبس سواها من خزائن الكسوات الخاصة التى قدمنا ذكرها وقد عمل بدار الفطرة قصران من حلوى فى كل واحد سبعة عشر قنطارا وحملا فيهما واحد يمضى به من طريق قصر الشوك الى باب الذهب والآخر يشق به بين القصرين يحملهما العتالون فينصبان اول السماط وآخره وهما شكل مليح مدهونان بأوراق الذهب وفيهما شخوص نائتة كأنهما مسبوكة فى قوالب لوحا لوحا فاذا عبر الخليفة راكبا ونزل على السرير الذى عليه المدورة الفضة وجلس قام على رأسه أربعة من كبار الاستاذين المحنكين وأربعة من خواص الفراشين ثم يستدعى الوزير فيطلع اليه ويجلس عن يمينه ويستدعى الامراء المطوقين ومن يليهم من الامراء دونهم فيجلسون على السماط كقيامهم بين يديه فيأكل من اراد من غير الزام فان فى الحاضرين من لا يعتقد الفطر فى ذلك اليوم فيستولى على ذلك المعمول الآكلون وينقل الى دار أرباب الرسوم ويباح فلا يبقى منه الا السماط فقط فيعم اهل القاهرة ومصر من ذلك نصيب وافر فاذا انقضى ذلك عند صلاة الظهر انفض الناس وخرج الوزير الى داره مخدوما بالجماعة الحاضرين وقد عمل سماطا لاهله وحواشيه ومن يعز عليه لا يلحق بأيسر يسير من سماط الخليفة وعلى هذا العمل يكون سماط عيد النحر اول يوم منه وركوبه الى المصلى كما ذكرنا ولا يخرج عن هذا المنوال ولا ينقص عن هذا المثال ويكون الناس كلهم مفطرين ولا يفوت أحدا منهم شئ كما ذكرنا فى عيد الفطر قال ومبلغ ما ينفق فى سماطى الفطر والاضحى اربعة آلاف دينار وكان يجلس على اسمطة الاعياد فى كل سنة رجلان من الاجناد يقال لاحدهما ابن فائز والآخر الديلمى يأكل كل واحد منهما خروفا وقاموشيا وعشر دجاجات محلاة وجام حلوى عشرة ارطال ولهما رسوم تحمل اليهما بعد ذلك من الاسمطة لبيوتهما ودنانير وافرة على حكم الهبة وكان أحدهما اسر بعسقلان فى تجريدة جرّد اليها وأقام مدة فى الاسر فاتفق انه كان عندهم عجل سمين فيه عدة قناطير لحم فقال له الذى اسره وهو يداعبه ان اكلت هذا العجل أعتقتك ثم ذبحه وسوّى لحمه وأطعمه حتى أتى على جميعه فوفى له واعتقه فقدم على اهله بالقاهرة ورأيته يأكل على السماط

(الايوان الكبير)

قال القاضى الرئيس محيى الدين عبدالله بن عبد الظاهر الروحى الكاتب فى كتاب الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة الايوان الكبير بناه العزيز بالله ابو منصور نزار بن المعز لدين الله معد فى سنة تسع وستين وثلثمائة انتهى وكان الخلفاء أولا يجلسون به فى يومى الاثنين والخميس الى أن نقل الخليفة الآمر بأحكام الله الجلوس منه فى اليومين المذكورين الى قاعة الذهب كما تقدم وبصدر هذا الايوان كان الشباك الذى يجلس فيه الخليفة وكان يعلو هذا الشباك قبة وفى هذا الايوان كان يمد سماط الفطرة بكرة يوم عيد الفطر كما تقدم وبه أيضا كان يعمل الاجتماع والخطبة فى يوم عيد الغدير وكان بجانب هذا الايوان الدواوين وكان بهذا الايوان ضلع سمكة اذا اقيما واربا الفارس بفرسه ولم يزل الى حتى بعثهما السلطان صلاح الدين يوسف الى بغداد فى هدية *(عيد الغدير)* اعلم أن عيد الغدير لم يكن عيدا مشروعا ولا عمله أحد من سالف الامة المقتدى بهم وأول ما عرف فى الاسلام بالعراق ايام معز الدولة على بن بويه فانه أحدثه فى سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة فاتخذه الشيعة من حينئذ عيدا وأصلهم فيه ما خرجه الامام احمد فى مسنده الكبير من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر لنا فنزلنا بغدير خم ونودى الصلاة جامعة وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد على بن ابى طالب رضى الله عنه فقال ألستم تعلمون أنى اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى قال ألستم تعلمون أنى اولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى فقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فلقيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال هنيأ لك يا ابن ابى طالب اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة *(وغدير خم)* على ثلاثة اميال من الجحفة بسرة الطريق وتصب فيه عين وحوله شجر كثير ومن سنتهم فى هذا العيد وهو أبدا يوم الثامن عشر

من ذى الحجة أن يحيوا ليلته بالصلاة ويصلوا فى صبيحته ركعتين قبل الزوال ويلبسوا فيه الجديد ويعتقوا الرقاب
ويكثروا من عمل البر ومن الذبائح ولما عمل الشيعة هذا العيد بالعراق ارادت عوام السنية مضاهاة فعلهم
ونكايتهم فاتخذوا فى سنة تسع وثمانين وثلثمائة بعد عيد الغدير بثمانية ايام عيدا اكثروا فيه من السرور
واللهو وقالوا هذا يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار هو وأبو بكر الصديق رضى الله عنه وبالغوا فى
هذا اليوم فى اظهار الزينة ونصب القباب وايقاد النيران ولهم فى ذلك أعمال مذكورة فى أخبار بغداد *
وقال ابن زولاق وفى يوم ثمانية عشر من ذى الحجة سنة اثنتين وستين وثلثمائة وهو يوم الغدير تجمع خلق من
اهل مصر والمغاربة ومن تبعهم للدعاء لانه يوم عيد لان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى أمير المؤمنين على
ابن أبى طالب فيه واستخلفه فأعجب المعز ذلك من فعلهم وكان هذا اول ما عمل بمصر * قال المسبحى وفى يوم
الغدير وهو ثامن عشر ذى الحجة اجتمع الناس بجامع القاهرة والقراء والفقهاء والمنشدون فكان جمعا عظيما
اقاموا الى الظهر ثم خرجوا الى القصر فخرجت اليهم الجائزة وذكر أن الحاكم بأمر الله كان قد منع من عمل
عيد الغدير قال ابن الطوير اذا كان العشر الاوسط من ذى الحجة اهتم الامراء والاجناد بركوب عيد الغدير
وهو فى الثامن عشر منه وفيه خطبة وركوب الخليفة بغير مظلة ولا يتيمة ولا خروج عن القاهرة ولا يخرج لاحد
شئ فاذا كان ذلك اليوم ركب الوزير بالاستدعاء الجارى به العادة فيدخل القصر وفى دخوله بروز الخليفة
لركوبه من الكرسى على عادته فيخدم ويخرج ويركب من مكانه من الدهليز ويخرج فيقف قبالة باب القصر
ويكون ظهره الى دار فخر الدين جهاركس اليوم ثم يخرج الخليفة راكبا أيضا فيقف فى الباب ويقال له
القوس وحواليه الاستاذون المحنكون رجالة ومن الامراء المطوّقين من يأمره الوزير باشارة خدمة الخليفة
على خدمته ثم يجوز زى كل من له زى على مقدار همته فأول ما يجوز زى الخليفة وهو الظاهر فى ركوبه فيجد
الجنائب الخاص التى قدمنا ذكرها اولا ثم زى الامراء المطوّقين لانهم غلمانه واحدا فواحدا بعددهم وأسلحتهم
وجنائبهم الى آخر أرباب القصب والعماريات ثم طوائف العسكر أزمتها أمامها وأولادهم مكانهم لانهم فى خدمة
الخليفة وقوف بالباب طائفة طائفة فيكونون اكثر عددا من خمسة آلاف فارس ثم المترجلة الرماة بالقسى
بالايدى والارجل وتكون عدتهم قريبا من ألف ثم الراجل من الطوائف الذين قدمنا ذكرهم فى الركوب فتكون
عدتهم قريبا من سبعة آلاف كل منهم بزمام وبنود ورايات وغيرها بترتيب مليح مستحسن ثم يأتى زى الوزير مع
ولده أو أحد أقاربه وفيه جماعته وحاشيته فى جمع عظيم وهيئة هائلة ثم زى صاحب الباب وهم اصحابه
وأجناده ونوّاب الباب وسائر الحجاب ثم يأتى زى اسفهسلار العساكر بأصحابه وأجناده فى عدة وافرة
ثم يأتى زى والى القاهرة وزى والى مصر فاذا فرغ خرج الخليفة من الباب والوقوف بين يديه مشاة فى ركابه
خارجا عن صبيان ركابه الخاص فاذا وصل الى باب الزهومة بالقصر انعطف على يساره داخلا من الدرب
هناك جائزا على الخوخ فاذا وصل الى باب الديلم الذى داخله المشهد الحسينى فيجد فى دهليز ذلك الباب قاضى
القضاة والشهود فاذا واراهم خرجوا للخدمة والسلام عليه فيسلم القاضى كما ذكرنا من تقبيل رجله الواحدة
التى تليه والشهود أمام رأس الدابة بمقدار قصبة ثم يعودون ويدخلون من ذلك الدهليز الى الايوان الكبير وقد
علق عليه الستور القرقوبية جميعه على سعته وغير القرقوبية سترا فسترا ثم يعلق بدائره على سعته ثلاثة صفوف
الاوسط طوارق فارسيات مدهونة والاعلى والاسفل درق وقد نصب فيه كرسى الدعوة وفيه تسع درجات
لخطابة الخطيب فى هذا العيد فيجلس القاضى والشهود تحته والعالم من الامراء والاجناد والمتشيعين ومن
يرى هذا الرأى من الاكابر والاصاغر فيدخل الخليفة من باب العيد الى الايوان الى باب الملك فيجلس بالشباك
وهو ينظر القوم ويخدمه الوزير عند ما ينزل ويأتى هو ومن معه فيجلس بمفرده على يسار منبر الخطيب ويكون
قد سير للخطيب بدلة حرير يخطب فيها وثلاثون دينارا ويدفع له كراس محرّر من ديوان الانشاء يتضمن نص الخلافة
من النبى صلى الله عليه وسلم الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرّم الله وجهه ورضى عنه بزعمهم فاذا فرغ
ونزل صلى قاضى القضاة بالناس ركعتين فاذا قضيت الصلاة قام الوزير الى الشباك فيخدم الخليفة وينفض
الناس بعد التهانى من الاسماعيلية بعضهم بعضا وهو عندهم أعظم من عيد النحر وينحر فيه اكثرهم قال وكان
الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد لما تسلم من يد أبى على بن الافضل الملقب كتيفات لما وزر له وخرج عليه

عمل عيدا فى ذلك اليوم وهو السادس عشر من المحرم من غير ركوب ولا حركة بل ان الايوان باق على فرشه وتعليقه من يوم الغدير فيفرش المجلس المحول اليوم فى الايوان الذى بابه خورنق وكان يقابل الايوان الكبير الذى هو اليوم خزائن السلاح بأحسن فرش وينصب له مرتبة هائلة قريبا من باذهنجه فيجتمع ارباب الدولة سيفا وقلما ويحضرون الى الايوان الى باب الملك المجاور للشباك فيخرج الخليفة راكبا الى المجلس فيترجل على بابه وبين يديه الخواص فيجلس على المرتبة ويقفون بين يديه صفين الى باب المجلس ثم يجعل قدامه كرسى الدعوة وعليه غشاء قرقوبى وحواليه الامراء الاعيان وأرباب الرتب فيصعد قاضى القضاة ويخرج من كمه كراسة مسطحة تتضمن فصولا كالفرج بعد الشدة بنظم مليح يذكر فيه كل من اصابه من الانبياء والصالحين والملوك شدة وفرج الله عنه واحدا فواحدا حتى يصل الى الحافظ وتكون هذه الكراسة محمولة من ديوان الانشاء فاذا تكاملت قراءتها نزل عن المنبر ودخل الى الخليفة ولا يكون عنده من الثياب أجل مما لبسه ويكون قد حمل الى القاضى قبل خطابته بدلة مميزة يلبسها للخطابة ويوصل اليه بعد الخطابة خمسون دينارا * وقال الامير جمال الدين ابو على موسى بن المامون أبى عبدالله محمد بن فاتك بن مختار البطائحى فى تاريخه واستهل عيد الغدير يعنى من سنة ست عشرة وخمسمائة وهاجر الى باب الاجل يعنى الوزير المأمون البطائحى الضعفاء والمساكين من البلاد ومن انضم اليهم من العوالى والادوان على عادتهم فى طلب الحلال وتزويج الايامى وصار موسما يرصده كل أحد ويرتقبه كل غنى وفقير فجرى فى معروفه على رسمه وبالغ الشعراء فى مدحه بذلك ووصلت كسوة العيد المذكور فحمل ما يختص بالخليفة والوزير وأمر بتفرقة ما يختص بأزمة العساكر فارسها وراجلها من عين وكسوة ومبلغ ما يختص بهم من العين سبعمائة وتسعون دينارا ومن الكسوات مائة وأربع وأربعون قطعة والهيئة المختصة بهذا العيد برسم كبراء الدولة وشيوخها وامرائها وضيوفها والاستاذين المحنكين والمميزين منهم خارجا عن أولاد الوزير واخوته ويفرق من مال الوزير بعد الخلع عليه ألفان وخمسمائة دينار وثمانون دينارا وأمر بتعليق جميع ابواب القصور وتفرقة المؤذنين بالجوامع والمساجد عليها وتقدم بأن تكون الاسمطة بقاعة الذهب على حكم سماط اول يوم من عيد النحر وفى باكر هذا اليوم توجه الخليفة الى الميدان وذبح ماجرت به العادة وذبح الجزارون بعده مثل عدد الكباش المذبوحة فى عيد النحر وأمر بتفرقة ذلك للخصوص دون العموم وجلس الخليفة فى المنظرة وخدمت الرهجية وتقدم الوزير والامراء وسلموا فلما حان وقت الصلاة والمؤذنون على ابواب القصر يكبرون تكبير العيد الى أن دخل الوزير فوجد الخطيب على المنبر قد فرغ فتقدم القاضى ابو الحجاج يوسف بن ايوب فصلى به وبالجماعة صلاة العيد وطلع الشريف بن انس الدولة وخطب خطبة العيد ثم توجه الوزير الى باب الملك فوجد الخليفة قد جلس قاصدا للقائه وقد ضربت المقدمة فأمره بالمضى اليها وخلع عليه خلعة مكملة من بدلات النحر وثوبها احمر بالشدة الداتمية وقلده سيفا مرصعا بالياقوت والجوهر وعندما نهض ليقبل الارض وجده قد أعد له العقد الجوهر وربطه فى عنقه بيده وبالغ فى اكرامه وخرج من باب الملك فتلقاه المقربون وسارع الناس الى خدمته وخرج من باب العيد وأولاده واخوته والامراء المميزون بجبه وخدمت الرهجية وضربت العربية والموكب جميعه بزيه وقد اصطفت العساكر وتقدم الى ولده بالجلوس على اسمطته وتفرقتها برسومها وتوجه الى القصر واستفتح المقرئون فسلم الحاضرون وجرى الرسم فى السماط الاول والثانى وتفرقة الرسوم والموائد على حكم اول يوم من عيد النحر وتوجه الخليفة بعد ذلك الى السماط الثالث الخاص بالدار الجليلة لاقاربه وجلسائه ولما انقضى حكم التعييد جلس الوزير فى مجلسه واستفتح المقرئون وحضر الكبراء وبياض البلدين للتهنىء بالعيد والخلع وخرج الرسم وتقدم الشعراء فأنشدوا وشرحوا الحال وحضر متولى خزائن الكسوة الخاص بالثياب التى كانت على المأمون قبل الخلع وقبضوا الرسم الجارى به العادة وهو مائة دينار وحضر متولى بيت المال وصحبته صندوق فيه خمسة آلاف دينار برسم فكاك العقد الجوهر والسيف المرصع فأمر الوزير المأمون الشيخ أبا الحسن بن أبى اسامة كاتب الدست الشريف بكتب مطالعة الى الخليفة بما حمل اليه من المال برسم منديل الكم وهو ألف دينار ورسم الاخوة والاقارب ألف دينار وتسلم متولى الدولة بقية المال ليفرق على الامراء المطوقين والمميزين والضيوف والمستخدمين

(المحول) قال ابن عبد الظاهر المحول هو مجلس الداعى ويدخل اليه من باب الريح وبابه من باب البحر

ويعرف بقصر البحر وكان فى اوقات الاجتماع يصلى الداعى بالناس فى رواقه * وقال المسبحى وفى ربيع الاول يعنى من سنة خمس وثمانين وثلثمائة جلس القاضى محمد بن النعمان على كرسى بالقصر لقراءة علوم آل البيت على الرسم المعتاد المتقدم له ولاخيه بمصر ولابيه بالمغرب فمات فى الزحمة أحد عشر رجلا فكفنهم العزيز بالله وقال ابن الطوير وأما داعى الدعاة فانه يلى قاضى القضاة فى الرتبة ويتزيا بزيه فى اللباس وغيره ووصفه أنه يكون عالما بجميع مذاهب اهل البيت يقرأ عليه ويأخذ العهد على من ينتقل من مذهبه الى مذهبهم وبين يديه من نقباء المعلمين اثنا عشر نقيبا وله نواب كنواب الحكم فى سائر البلاد ويحضر اليه فقهاء الدولة ولهم مكان يقال له دار العلم ولجماعة منهم على التصدير بها أرزاق واسعة وكان الفقهاء منهم يتفقون على دفتر يقال له مجلس الحكمة فى كل يوم اثنين وخميس ويحضر مبيضا الى داعى الدعاة فينفذه اليهم ويأخذه منهم ويدخل به الى الخليفة فى هذين اليومين المذكورين فيتلوه عليه ان أمكن ويأخذ علامته بظاهره ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين فى مكانين للرجال على كرسى الدعوة بالايوان الكبير وللنساء بمجلس الداعى وكان من اعظم المبانى وأوسعها فاذا فرغ من تلاوته على المؤمنين والمؤمنات حضروا اليه لتقبيل يديه فيمسح على رؤسهم بمكان العلامة أعنى خط الخليفة وله أخذ النجوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالهما لاسيما الصعيد ومبلغها ثلاثة دراهم وثلث فيجتمع من ذلك شئ كثير يحمله الى الخليفة بيده بينه وبينه وأمانته فى ذلك مع الله تعالى فيفرض له الخليفة منه مايعينه لنفسه وللنقباء وفى الاسماعيلية المولين من يحمل ثلاثة وثلاثين دينارا وثلثى دينار على حكم النجوى وصحبة ذلك رقعة مكتوبة باسمه فيتميز فى المحول فيخرج له عليها خط الخليفة بارك الله فيك وفى مالك وولدك ودينك فيدخر ذلك ويتفاخر به وكانت هذه الخدمة متعلقة بقوم يقال لهم بنو عبد القوى أبا عن جد آخرهم الجليس وكان الافضل بن امير الجيوش نفاهم الى المغرب فولد الجليس بالمغرب وربى به وكان يميل الى مذهب اهل السنة وولى القضاء مع الدعوة وادركه أسد الدين شيركوه واكرمه وجعله واسطة عند الخليفة العاضد وكان قد حجر على العاضد ولولاه لم يبق فى الخزائن شئ لكرمه وكانه علم أنه آخر الخلفاء * قال المسبحى وكان الداعى يواصل الجلوس بالقصر لقراءة مايقرأ على الاولياء والدعاوى المتصلة فكان يفرد للاولياء مجلسا وللخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلسا ولعوام الناس والطارئين على البلد مجلسا وللنساء فى جامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر مجلسا وللحرم وخواص نساء القصور مجلسا وكان يعمل المجالس فى داره ثم ينفذها الى من يختص بخدمة الدولة ويتخذ لهذه المجالس كتبا يبيضونها بعد عرضها على الخليفة وكان يقبض فى كل مجلس من هذه المجالس مايتحصل من النجوى من كل من يدفع شيأ من ذلك عينا وورقا من الرجال والنساء ويكتب أسماء من يدفع شيأ على مايدفعه وكذلك فى عيد الفطر يكتب مايدفع عن الفطرة ويحصل من ذلك مال جليل يدفع الى بيت المال شيأ بعد شئ وكانت تسمى مجالس الدعوة مجالس الحكمة وفى سنة اربعمائة كتب سجل عن الحاكم بأمر الله فيه رفع الخمس والزكاة والفطرة والنجوى التى كانت تحمل ويتقرب بها وتجرى على ايدى القضاة وكتب سجل آخر بقطع مجالس الحكمة التى تقرأ على الاولياء يوم الخميس والجمعة انتهى ووظيفة داعى الدعاة كانت من مفردات الدولة الفاطمية وقد لخصت من أمر الدعوة طرفا احببت ايراده هنا *(وصف الدعوة وترتيبها)* وكانت الدعوة مرتبة على منازل دعوة بعد دعوة

(الدعوة الاولى) سؤال الداعى لمن يدعوه الى مذهبه عن المشكلات وتأويل الآيات ومعانى الامور الشرعية وشئ من الطبيعيات ومن الامور الغامضة فان كان المدعو عارفا سلم له الداعى والا تركه يعمل فكره فيما ألقاه عليه من الاسئلة وقال له ياهذا ان الدين لمكتوم وان الاكثر له منكرون وبه جاهلون ولو علمت هذه الامة ماخص الله به الائمة من العلم لم تختلف فيتشوق حينئذ المدعو الى معرفة ماعند الداعى من العلم فاذا علم منه الاقبال أخذ فى ذكر معانى القرآت وشرائع الدين وتقرير أن الآفة التى نزلت بالامة وشتت الكلمة وأورثت الاهواء المضلة ذهاب الناس عن أئمة نصبوا لهم واقيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقيقتها ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها غير أن الناس لما عدلوا عن الائمة ونظروا فى الامور بعقولهم واتبعوا ما حسن فى رأيهم وقلدوا اسفلتهم واطاعوا اسادتهم وكبراءهم اتباعا للملوك وطلبا للدنيا التى هى ايدى متبعى الاثم واجناد الظلمة واعوان الفسقة الذين يحبون العاجلة ويجتهدون فى طلب الرياسة على الضعفاء

ومكايدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امته وتغيير كتاب الله عز وجل وتبديل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة دعوته وافساد شريعته وسلوك غير طريقته ومعاندة الخلفاء الائمة من بعده بختر من قبل ذلك وصار الناس الى انواع الضلالات فان دين محمد صلى الله عليه وسلم ماجاء بالتحلى ولا بأمانى الرجال ولا شهوات الناس ولا بما خف على الالسنة وعرفته دهماء العامة ولكنه صعب مستصعب وامر مستقبل وعلم خفى غامض ستره الله فى حجبه وعظم شأنه عن ابتذال أسراره فهو سر الله المكتوم وأمره المستور الذى لا يطيق حمله ولا ينهض بأعبائه وثقله الا ملك مقرب او نبى مرسل او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للتقوى فاذا ارتبط المدعو على الداعى وأنس له نقله الى غير ذلك * فمن مسائلهم مامعنى رمى الجمار والعدو بين الصفا والمروة ولم كانت الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ومابال الجنب يغتسل من ماء دافق يسير ولا يغتسل من البول النجس الكثير القذر ومابال الله خلق الدنيا فى ستة ايام أعجز عن خلقها فى ساعة واحدة ومامعنى الصراط المضروب فى القرءان مثلا والكاتبين الحافظين ومالنا لانراهما أخاف أن نكابره ونجاحده حتى ادلى العيون وأقام علينا الشهود وقيد ذلك فى القرطاس بالكتابة وماتبديل الارض غير الارض وماعذاب جهنم وكيف يصح تبديل جلد مذنب بجلد لم يذنب حتى يعذب ومامعنى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وما ابليس وما الشياطين وماوصفوا به وأين مستقرهم ومامقدار قدرهم وما يأجوج ومأجوج وهاروت وماروت واين مستقرهم وماسبعة ابواب النار وماثمانية ابواب الجنة وماشجرة الزقوم النابتة فى الجحيم ومادابة الارض ورؤس الشياطين والشجرة الملعونة فى القرءان والتين والزيتون وما الخنس الكنس ومامعنى الم والمص ومامعنى كهيعص وحمعسق ولم جعلت السموات سبعا والارضون سبعا والمثانى من القرءان سبع آيات ولم فجرت العيون اثنتى عشرة عينا ولم جعلت الشهور اثنى عشر شهرا ومايعمل معكم عمل الكتاب والسنة ومعانى الفرائض اللازمة فكروا اولا فى انفسكم أين أرواحكم وكيف صورها واين مستقرها وما اول أمرها والانسان ماهو وماحقيقته وما الفرق بين حياته وحياة البهائم وفضل مابين حياة البهائم وحياة الحشرات وما الذى بانت به حياة الحشرات من حياة النبات ومامعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت حواء من ضلع آدم ومامعنى قول الفلاسفة الانسان عالم صغير والعالم انسان كبير ولم كانت قامة الانسان منتصبة دون غيره من الحيوانات ولم كان فى يديه من الاصابع عشر وفى رجليه عشر أصابع وفى كل اصبع من اصابع يديه ثلاثة شقوق الا الابهام فان فيه شقين فقط ولم كان فى وجهه سبع ثقب وفى سائر بدنه ثقبان ولم كان فى ظهره اثنتا عشرة عقدة وفى عنقه سبع عقد ولم جعل عنقه صورة ميم ويداه حاء وبطنه ميما ورجلاه دالا حتى صار ذلك كتابا مرسوما يترجم عن محمد ولم جعلت قامته اذا انتصب صورة الف واذا ركع صارت صورة لام واذا سجد صارت صورة هاء فكان كتابا يدل على الله ولم جعلت أعداد عظام الانسان كذا وأعداد أسنانه كذا والاعضاء الرئيسة كذا الى غير ذلك من التشريح والقول فى العروق والاعضاء ووجوه منافع الحيوان ثم يقول الداعى الا تتفكرون فى حالكم وتعتبرون وتعلمون أن الذى خلقكم حكيم غير مجازف وانه فعل جميع ذلك لحكمة وله فيها أسرار خفية حتى جمع ماجمع وفرق مافرق فكيف يسعكم الاعراض عن هذه الامور وانتم تسمعون قول الله عز وجل وفى الارض آيات للموقنين وفى انفسكم افلا تبصرون ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق فأى شئ رءاه الكفار فى انفسهم وفى الآفاق حتى عرفوا أنه الحق وأى حق عرفه من جحد الديانة ألا يدلكم هذا على أن الله جل اسمه اراد أن يرشدكم الى بواطن الامور الخفية وأسرار فيها مكتومة لو تنبهتم لها وعرفتموها لزالت عنكم كل حيرة ودحضت كل شبهة وظهرت لكم المعارف السنية ألا ترون انكم جهلتم انفسكم التى من جهلها كان حريا أن لا يعلم غيرها أليس الله تعالى يقول ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى وأضل سبيلا ونحو ذلك من تأويل القرءان وتفسير السنن والاحكام وايراد ابواب من التجويز والتعليل فاذا علم الداعى أن نفس المدعو قد تعلقت بما سأله عنه وطلب منه الجواب عنها قال له حينئذ لا تعجل فان دين الله اعلى وأجل من أن يبذل لغير أهله ويجعل غرضا للعب وجرت عادة الله وسنته فى عباده عند شرع من نصبه أن يأخذ العهد على من يرشده ولذلك قال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا وقال

عزوجل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا وقال جل جلاله يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا وقال لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل ومن أمثال هذا فقد أخبر الله تعالى انه لم يملك حقه الا لمن أخذ عهده فأعطنا صفقة يمينك وعاهدنا بالموكد من أيمانك وعقودك أن لا تفشى لنا سرا ولا تظاهر علينا أحدا ولا تطلب لنا غيلة ولا تكتمنا نصحا ولا توالى لنا عدوا فاذا أعطى العهد قال له الداعى أعطنا جعلا من مالك نجعله مقدمة أمام كشفنا لك الامور وتعريفك اياها والرسم فى هذا الجعل بحسب ما يراه الداعى فان امتنع المدعو أمسك عنه الداعى وان أجاب وأعطى نقله الى الدعوة الثانية وانما سميت الاسماعيلية بالباطنية لانهم يقولون لكل ظاهر من الاحكام الشرعية باطن ولكل تنزيل تاويل *(الدعوة الثانية)* لا تكون الا بعد تقدم الدعوى الاولى فاذا تقرر فى نفس المدعو جميع ما تقدم وأعطى الجعل قال له الداعى ان الله تعالى لم يرض فى اقامة حقه وما شرعه لعباده الا أن يأخذ وا ذلك عن أئمة نصبهم للناس وأقامهم لحفظ شريعته على ما أراده الله تعالى ويسلك فى تقرير هذا ويستدل عليه بامور مقررة فى كتبهم حتى يعلم أن اعتقاد الائمة قد ثبت فى نفس المدعو فاذا اعتقد ذلك نقله الى الدعوة الثالثة *(الدعوة الثالثة)* مرتبة على الثانية وذلك أنه اذا علم الداعى ممن دعاه أن ارتباطه على دين الله لا يعلم الا من قبل الائمة قرر حينئذ عنده أن الائمة سبعة قد رتبهم البارى تعالى كما رتب الامور الجليلة فانه جعل الكواكب السيارة سبعة وجعل السموات سبعا وجعل الارضين سبعا ونحو ذلك مما هو سبع من الموجودات وهؤلاء الائمة السبعة هم على بن أبى طالب والحسن بن على والحسين بن على وعلى بن الحسين الملقب زين العابدين ومحمد بن على وجعفر بن محمد الصادق والسابع هو القائم صاحب الزمان وهم اعنى الشيعة مختلفون فى هذا القائم فمنهم من يجعله محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق ويسقط اسماعيل بن جعفر ومنهم من يعد اسماعيل بن جعفر اماما ثم يعد ابنه محمد بن اسمعيل فاذا تقرر عند المدعو أن الائمة سبعة انحل عن معتقد الامامية من الشيعة القائلين بامامة اثنى عشر اماما وصار الى معتقد الاسماعيلية بأن الامامة انتقلت الى محمد بن اسمعيل بن جعفر فاذا علم الداعى ثبات هذا العقد فى نفس المدعو شرع فى ثلب بقية الائمة الذين قد اعتقد الامامية فيهم الامامة وقرر عند المدعو أن محمد بن اسمعيل عنده علم المستورات وبواطن المعلومات التى لا يمكن أن توجد عند أحد غيره وأن عنده أيضا علم التأويل ومعرفة تفسير ظاهر الامور وعنده سر الله تعالى فى وجه تدبيره المكتوم واتقان دلالته فى كل امر يسأل عنه فى جميع المعدومات وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كله والتأويلات وتأويل التأويلات وأن دعاته هم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة لانهم أخذوا عنه ومن جهته رووا وان احدا من الناس المخالفين لهم لا يستطيع أن يساويهم ولا يقدر على التحقق بما عندهم الا منهم ويحتج لذلك بما هو معروف فى كتبهم مما لا يسع هذا الكتاب حكايته لطوله فاذا انقاد المدعو وأذعن لما تقرر نقله الى الدعوة الرابعة *(الدعوة الرابعة)* لا يشرع الداعى فى تقريرها حتى يتيقن صحة انقياد المدعو لجميع ما تقدم فاذا تيقن منه صحة الانقياد قرر عنده أن عدد الانبياء الناسخين للشرائع المبدلين لاحكامها اصحاب الادوار وتقليب الاحوال الناطقين بالامور سبعة فقط كعدد الائمة سواء وكل واحد من هؤلاء الانبياء لا بد له من صاحب يأخذ عنه دعوته ويحفظها على امته ويكون معه ظهيرا له فى حياته وخليفة له من بعد وفاته الى أن يبلغ شريعته الى أحد يكون سبيله معه كسبيله هو مع نبيه الذى اتبعه ثم كذلك كل مستخلف خليفة الى أن يأتى منهم على تلك الشريعة سبعة اشخاص ويقال لهؤلاء السبعة الصامتون لثباتهم على شريعة اقتفوا فيها اثر واحد هو اولهم ويسمى الاول من هؤلاء السبعة السوس وانه لا بد عند انقضاء هؤلاء السبعة ونفاذ دورهم من استفتاح دور ثان يظهر فيه نبى ينسخ شرع من مضى من قبله وتكون الخلفاء من بعده امورهم تجرى كأمر من كان قبلهم ثم يكون من بعدهم نبى ناسخ يقوم من بعده سبعة صمت ابدا وهكذا حتى يقوم النبى السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع التى كانت قبله ويكون صاحب الزمان الاخير فكان اول هؤلاء الانبياء النطقاء آدم عليه السلام وكان صاحبه وسوسه ابنه شيث وعدوا تمام السبعة الصامتين على شريعة آدم وكان الثانى من الانبياء النطقاء نوح عليه السلام

فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم وكان صاحبه وسوسه ابنه سام وتلاه بقية السبعة الصامتين على شريعة نوح ثم كان الثالث من الانبياء النطقاء ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة نوح وآدم عليهما السلام وكان صاحبه وسوسه فى حياته والخليفة القائم من بعده المبلغ شريعته ابنه اسمعيل عليه السلام ولم يزل يخلفه صامت بعد صامت على شريعة ابراهيم حتى تم دور السبعة الصمت وكان الرابع من الانبياء النطقاء موسى بن عمران عليه السلام فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم ونوح وابراهيم وكان صاحبه وسوسه اخوه هرون ولما مات هرون فى حياة موسى قام من بعد موسى يوشع بن نون خليفة له صمت على شريعته وبلغها فأخذها عنه واحد بعد واحد الى أن كان اخر الصمت على شريعة موسى يحيى بن زكرياء وهو آخر الصمت ثم كان الخامس من الانبياء النطقاء المسيح عيسى ابن مريم صلوات الله عليه فانه نطق بشريعة نسخ بها شرائع من كان قبله وكان صاحبه وسوسه شمعون الصفا ومن بعده تمام السبعة الصمت على شريعة المسيح الى ان كان السادس من الانبياء النطقاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه نطق بشريعة نسخ بها جميع الشرائع التى جاء بها الانبياء من قبله وكان صاحبه وسوسه علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه ثم من بعد علىّ ستة صمتوا على الشريعة المحمدية وقاموا بميراث أسرارها وهم ابنه الحسن ثم ابنه الحسين ثم علىّ بن الحسين ثم محمد بن علىّ ثم جعفر بن محمد ثم اسماعيل بن جعفر الصادق وهو آخر الصمت من الائمة المستورين والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان وعند هؤلاء الاسماعيلية انه محمد بن اسمعيل بن جعفر وانه الذى انتهى اليه علم الاولين وقام بعلم بواطن الامور وكشفها واليه المرجع فى تفسيرها دون غيره وعلى جميع الكافة اتباعه والخضوع له والانقياد اليه والتسليم له لان الهداية فى موافقته واتباعه والضلال والحيرة فى العدول عنه فاذا تقرر ذلك عند المدعوّ انتقل الداعى الى الدعوة الخامسة *(الدعوة الخامسة)* مترتبة على ماقبلها وذلك أنه اذا صار المدعوّ فى الرتبة الرابعة من الاعتقاد أخذ الداعى يقرر أنه لابد مع كل امام قائم فى كل عصر حجج متفرقون فى جميع الارض عليهم تقوم وعدة هؤلاء الحجج ابدا اثنا عشر رجلا فى كل زمان كما أن عدد الائمة سبعة ويستدل لذلك بأمور منها أن الله تعالى لم يخلق شيأ عبثا ولابد فى خلق كل شئ من حكمة والا فلم خلق النجوم التى بها قوام العالم سبعة وجعل أيضا السموات سبعا والارضين سبعا والبروج اثنى عشر والشهور اثنى عشر شهرا ونقباء بنى اسرائيل اثنى عشر نقيبا ونقباء رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار اثنى عشر نقيبا وخلق تعالى فى كف كل انسان أربع اصابع وفى كل اصبع ثلاث شقوق تكون جملتها اثنى عشر شقا على انه فى يد كل ابهام شقان دلالة على أن الانسان بدنه كالارض واصابعه كالجزائر الاربع والشقوق التى فى الاصابع كالحجج والابهام الذى به قوام جميع الكف وسداد الاصابع كالذى يقوّم الارض بقدر مافيها والشقان اللذان فى الابهام اشارة الى أن الامام وسوسه لايفترقان ولذلك صار فى ظهر الانسان اثنتا عشرة خرزة اشارة الى الحجج الاثنى عشر وصار فى عنقه سبع فكان العنق عاليا على خرزات الظهر وذلك اشارة الى الانبياء النطقاء والائمة السبعة وكذلك الاثقاب السبعة التى فى وجه الانسان العالى على بدنه وأشياء من هذا النوع كثيرة فاذا تمهد عند المدعوّ مادعاه اليه الداعى وتقرر نقله حينئذ الى الدعوة السادسة *(الدعوة السادسة)* لاتكون الابعد ثبوت جميع ماتقدم فى نفس المدعوّ وذلك أنه اذا صار الى الرتبة الخامسة أخذ الداعى فى تفسير معانى شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من الفرائض بأمور مخالفة للظاهر بعد تمهيد قواعد تبين فى ازمنة من غير عجلة تؤدّى الى أن هذه الاشياء وضعت على جهة الرموز لمصلحة العامة وسياستهم حتى يشتغلوا بها عن بغى بعضهم على بعض وتصدّهم عن الفساد فى الارض حكمة من الناصبين للشرائع وقوّة فى حسن سياستهم لاتباعهم واتقانا منهم لما رتبوه من النواميس ونحو ذلك حتى يتمكن هذا الاعتقاد فى نفس المدعوّ فاذا طال الزمان وصار المدعوّ يعتقد أن أحكام الشريعة كلها وضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة وأن لها معانى أخر غير مايدل عليه الظاهر نقله الداعى الى الكلام فى الفلسفة وحضه على النظر فى كلام افلاطون وأرسطو وفيثاغورس ومن فى معناهم ونهاه عن قبول الاخبار والاحتجاج بالسمعيات وزين له الاقتداء بالادلة العقلية والتعويل عليها فاذا استقر ذلك

عنده واعتقده نقله بعد ذلك الى الدعوة السابعة ويحتاج ذلك الى زمان طويل *(الدعوة السابعة) لا يفصح بها الداعي ما لم يكثر أنسه بمن دعاه ويتيقن أنه قد تأهل الى الانتقال الى رتبة اعلى مما هو فيه فاذا علم ذلك منه قال ان صاحب الدلالة والناصب للشريعة لا يستغني بنفسه ولا بدله من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما الاصل والآخر عنه كان وصدر وهذا انما هو اشارة العالم السفلي لما يحويه العالم العلوي فان مدبر العالم في اصل الترتيب وقوام النظام صدر عنه اول موجود بغير واسطة ولا سبب نشأ عنه واليه الاشارة بقوله تعالى انما امره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون اشارة الى الاول في الرتبة والآخر هو القدر الذي قال فيه انا كل شئ خلقناه بقدر وهذا معنى ما نسمعه من أن الله اول ما خلق القلم فقال للقلم اكتب فكتب في اللوح ما هو كائن وأشياء من هذا النوع موجودة في كتبهم وأصلها مأخوذ من كلام الفلاسفة القائلين الواحد لا يصدر عنه الا واحد وقد أخذ هذا المعنى المتصوفة وبسطوه بعبارات أخر في كتبهم فان كنت ممن ارتاض وعرف مقالات الناس تبين لك ما ذكرت ولا يحتمل هذا الكتاب بسط القول في هذا المعنى واذا تقرر ما ذكر في هذه الدعوة عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة الثامنة *(الدعوة الثامنة)* متوقفة على اعتقاد سائر ما تقدم فاذا استقر ذلك عند المدعو يسأله قال له الداعي اعلم أن أحد المذكورين اللذين هما مدبر الوجود والصادر عنه انما تقدم السابق على اللاحق تقدم العلة على المعلول فكانت الاعيان كلها ناشئة وكائنة عن الصادر الثاني بترتيب معروف في بعضهم ومع ذلك فالسابق عندهم لا اسم له ولا صفة ولا يعبر عنه ولا يقيد فلا يقال هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك سائر الصفات فان الاثبات عندهم يقتضي شركة بينه وبين المحدثات والنفي يقتضي التعطيل وقالوا ليس بقديم ولا محدث بل القديم امره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته كما هو مبسوط في كتبهم فاذا استقر ذلك عند المدعو قرر عنده الداعي أن التالي يدأب في أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق وأن الصامت في الارض يدأب في أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء وأن الداعي يدأب في أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء وهكذا تجري امور العالم في أكواره وأدواره ولهذا القول بسط كثير فاذا اعتقده المدعو قرر عنده الداعي أن معجزة النبي الصادق الناطق ليست غير أشياء ينتظم بها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة تحوي معاني فلسفية تنبيء عن حقيقة انية السماء والارض وما يشتمل العالم عليه بأسره من الجواهر والاعراض فتارة برموز يعقلها العالمون وتارة بافصاح يعرفه كل أحد فينتظم بذلك للنبي شريعة يتبعها الناس ويقرر عنده أيضا أن القيامة والقرآن والثواب والعقاب معناها سوى ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر الذهن اليه وليس هو الا حدوث ادوار عند انقضاء أدوار من ادوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع كما قد بسطه الفلاسفة في كتبهم فاذا استقر هذا العقد عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة التاسعة *(الدعوة التاسعة) هي النتيجة التي يحاول الداعي بتقرير جميع ما تقدم رسوخها في نفس من يدعوه فاذ تيقن أن المدعو تأهل لكشف السر والافصاح عن الرموز أحاله على ما تقرر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة والعلم الالهي وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية حتى اذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه وقال ما ذكر من الحدوث والاصول رموز الى معاني المبادي وتقلب الجواهر وان الوحي انما هو صفاء النفس فيجد النبي في فهمه ما يلقى اليه ويتنزل عليه فيبرزه الى الناس ويعبر عنه بكلام الله الذي ينتظم به النبي شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الكافة ولا يجب حينئذ العمل بها الا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء بخلاف العارف فانه لا يلزمه العمل بها ويكفيه معرفته فانها اليقين الذي يجب المصير اليه وما عدا المعرفة من سائر المشروعات فانما هي أثقال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة لمعرفة الاعراض والاسباب ومن جملة المعرفة عندهم أن الانبياء النطقاء أصحاب الشرائع انما هم لسياسة العامة وان الفلاسفة انبياء حكمة الخاصة وان الامام انما وجوده في العالم الروحاني اذا صرنا بالرياضة في المعارف اليه وظهوره الآن انما هو ظهور امره ونهيه على لسان اوليائه ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتبهم وهذا حاصل علم الداعي ولهم في ذلك مصنفات كثيرة منها اختصرت ما تقدم ذكره (ابتداء هذه الدعوة) اعلم أن هذه الدعوة منسوبة الى شخص كان بالعراق يعرف بميمون القداح وكان من غلاة الشيعة فولد ابنا عرف بعبد الله بن ميمون اتسع علمه

وكثرت معارفه وكاد أن يطلع على جميع مقالات الخليقة فرتب له مذهبا وجعله فى تسع دعوات ودعا الناس الى مذهبه فاستجاب له خلق وكان يدعوا الى الامام محمد بن اسمعيل وظهر من الاهواز ونزل بعسكر مكرم فصار له مال واشتهرت دعاته فأنكر الناس عليه وهموا به ففرّ الى البصرة ومعه من اصحابه الحسين الاهوازى فلما انتشر ذكره بها طلب فصار الى بلاد الشام وأقام بسلمية وبها ولد له ابنه احمد فقام من بعد ابيه عبد الله بن ميمون فسيّر الحسين الاهوازى داعية له الى العراق فلقى حمدان بن الاشعث المعروف بقرمط بسواد الكوفة فدعاه واستجاب له وأنزله عنده وكان من امره ما هو مذكور فى أخبار القرامطة من كتابنا هذا عند ذكر المعز لدين الله معدّ ثم انه ولد لاحمد بن عبد الله ابنه الحسين ومحمد المعروف بأبى الشلعلع فلما هلك احمد خلفه ابنه الحسين ثم قام من بعده أخوه ابو الشلعلع وكان من امرهم ما هو مذكور فى موضعه فانتشرت الدعاة فى اقطار الارض وتفقهوا فى الدعوة حتى وضعوا فيها الكتب الكثيرة وصارت علما من العلوم المدونة ثم اضمحلت الآن وذهبت بذهاب اهلها ولهذا يقال انّ اصل دعوة الاسماعيلية مأخوذ من القرامطة ونسبوا من اجلها الى الالحاد *(صفة العهد الذى يؤخذ على المدعوّ)* وهو انّ الداعى يقول لمن يأخذ عليه العهد ويحلفه جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمّة رسوله وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسله وما أخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق انك تستر جميع ما تسمعه وسمعته وعلمته وتعلمه وعرفته وتعرفه من امرى وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الامام الذى عرفت اقرارى له ونصحى لمن عقد ذمّته وأمور اخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالصته له من الذكور والاناث والصغار والكبار فلا تظهر من ذلك شيأ قليلا ولا كثيرا ولا شيأ يدل عليه الا ما اطلقت لك أن تتكلم به او أطلقه لك صاحب الامر المقيم بهذا البلد فتعمل فى ذلك بامرنا ولا تتعدّاه ولا تزيد عليه وليكن ما تعمل عليه قبل العهد وبعده بقولك وفعلك أن تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وتشهد أن محمدا عبده ورسوله وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور وتقيم الصلاة لوقتها وتؤتى الزكاة بحقها وتصوم رمضان وتحج البيت الحرام وتجاهد فى سبيل الله حق جهاده على ما أمر الله به ورسوله وتوالى أولياء الله وتعادى اعداء الله وتقوم بفرائض الله وسننه وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ظاهرا وباطنا وعلانية وسرّا وجهرا فانّ ذلك يؤكد هذا العهد ولا يهدمه ويثبته ولا يزيله ويقربه ولا يباعده ويشدّه ولا يضعفه ويوجب ذلك ولا يبطله ويوضحه ولا يعميه كذلك هو الظاهر والباطن وسائر ما جاء به النبيون من ربهم صلوات الله عليهم اجمعين على الشرائط المبينة فى هذا العهد جعلت على نفسك الوفاء بذلك قل نعم فيقول المدعوّ نعم ثم يقول الداعى له والصيانة له بذلك وأداء الامانة على أن لا تظهر شيأ اخذ عليك فى هذا العهد فى حياتنا ولا بعد وفاتنا لا فى غضب ولا على حال رضى ولا على رغبة ولا فى حال رهبة ولا عند شدّة ولا فى حال رخاء ولا على طمع ولا على حرمان تلقى الله على الستر لذلك والصيانة له على الشرائط المبينة فى هذا العهد وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمّته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن تمنعنى وجميع من اسميه لك وأبيّنه عندك مما تمنع منه نفسك وتنصح لنا ولوليك ولىّ الله نصحا ظاهرا وباطنا فلا تخن الله ووليه ولا احدا من اخواننا وأوليائنا ومن تعلم أنه منا بسبب فى اهل ولا مال ولا رأى ولا عهد ولا عقد تتاوّل عليه بما يبطله فان فعلت شيأ من ذلك وانت تعلم انك قد خالفته وانت على ذكر منه فأنت برئ من الله خالق السموات والارض الذى سوّى خلقك وألّف تركيبك وأحسن اليك فى دينك ودنياك وآخرتك وتبرأ من رسله الاوّلين والآخرين وملائكته المقربين الكروبيين والروحانيين والكلمات التامات والسبع المثانى والقرءان العظيم وتبرأ من التوراة والانجيل والزبور والذكر الحكيم ومن كل دين ارتضاه الله فى مقدّم الدار الآخرة ومن كل عبد رضى الله عنه وانت خارج من حزب الله وحزب اوليائه وخذلك الله خذلانا بيّنا يعجل لك بذلك النقمة والعقوبة والمصير الى نار جهنم التى ليس لله فيها رحمة وانت برئ من حول الله وقوّته ملجأ الى حول نفسك وقوّتك وعليك لعنة الله التى لعن الله بها ابليس وحرّم عليه بها الجنة وخلده فى النار ان خالفت شيأ من ذلك ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان ولله عليك أن تحج الى بيته الحرام ثلاثين حجة حجا واجبا ماشيا حافيا لا يقبل الله منك الا الوفاء بذلك وكل ما تملك فى الوقت الذى تخالفه فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم لا يأجرك الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة

وكل

وكل مملوك لك من ذكرا وأنثى فى ملكك او تستفيده الى وقت وفاتك ان خالفت شيأ من ذلك فهم أحرار لوجه الله عز وجل وكل امرأة لك أو تتزوجها الى وقت وفاتك ان خالفت شيأ من ذلك فهن طوالق ثلاثا بتة طلاق الحرج لا مثوبة لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة وكل ما كان لك من اهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام وكل ظهار فهو لازم لك وأنا المستحلف لك لامامك وحجتك وانت الحالف لهما وان نويت او عقدت أو أضمرت خلاف ما احلفك عليه وأحلفك به فهذه اليمين من اولها الى آخرها مجددة عليك لازمة لك لا يقبل الله منك الا الوفاء بها والقيام بما عاهدت بينى وبينك قل نعم فيقول نعم ولهم مع ذلك وصايا كثيرة اضربنا عنها خشية الاطالة وفيما ذكرناه كفاية لمن عقل

(الدواوين)

وكانت دواوين الدولة الفاطمية لما قدم المعز لدين الله الى مصر ونزل بقصره فى القاهرة محلها بدار الامارة من جوار الجامع الطولونى فلما مات المعز وقلد العزيز بالله الوزارة ليعقوب بن كلس نقل الدواوين الى داره فلما مات يعقوب نقلها العزيز بعد موته الى القصر فلم تزل به الى أن استبد الافضل بن امير الجيوش وعمر دار الملك بمصر فنقل اليها الدواوين فلما قتل عادت من بعده الى القصر ومازالت هناك حتى زالت الدولة * قال فى كتاب الذخائر والتحف وحدثنى من اثق به قال كنت بالقاهرة يوما من شهور سنة تسع وخمسين وأربعمائة وقد استفحل امر المارقين وقويت شوكتهم وامتدت ايديهم الى أخذ الذخائر المصونة فى قصر السلطان بغير أمره فرأيت وقد دخل من باب الديلم احد أبواب القصور المعمورة الزاهرة المعروف بتاج الملوك شادى ونفر العرب على بن ناصر الدولة بن حمدان ورضى الدولة بن رضى الدولة وامير الامراء بحتكين ابن بسكتكين وامير العرب بن كيغلغ والاعز بن سنان وعدة من الامراء اصحابهم البغداديين وغيرهم وصاروا فى الايوان الصغير فوقفوا عند ديوان الشام لكثرة عددهم وجماعتهم وكان معهم احد الفراشين المستخدمين برسم القصور المعمورة فدخلوا الى حيث كان الديوان النظرى فى الديوان المذكور وصحبتهم فعلة وانتهوا الى حائط مجير فأمروا الفعلة بكشف الجير عنه فظهرت حنية باب مسدود فأمروا بهدمه فتوصلوا منه الى خزانة ذكر أنها عزيزية من ايام العزيز بالله فوجدوا فيها من السلاح ماروق الناظر ومن الرماح العزيزية المطلية اسنتها بالذهب ذات مهارك فضة مجراة بسواد ممسوح وفضة بياض ثقيلة الوزن عدة رزم اعوادها من الزان الجيد ومن السيوف المجوهرة النصول ومن النشاب الخلنجى وغيره ومن الدرق اللمطى والحجف التبتى وغير ذلك ومن الدروع المكلل سلاح بعضها والمحلى بعضها بالفضة المركبة عليه ومن التخافيف والجواشن والكراعيدات الملبسة ديباجا المكوكبة بكواكب فضة وغير ذلك مما ذكر أن قيمته تزيد على عشرين ألف دينار فحملوا جميع ذلك بعد صلاة المغرب ولقد شاهدت بعض حواشيهم وركابياتهم يكسرون الرماح ويلقون بذلك أعوادها الزان ليأخذوا المهارك الفضة ومنهم من يجعل ذلك فى سراويله وعمامته وجيبه ومنهم من يستوهب من صاحبه السيف الثمين وكان فيها من الرماح الطوال الخطية السمر الجياد عدة حملوا منها ما قدروا عليه وبقى منها ما كسره الركابية ومن يجرى مجراهم كانوا يبيعونه للمغازليين واصناع المرادن حتى كثر هذا الصنف بالقاهرة ولم تعترضهم الدولة ولا التفتت الى قدر ذلك ولا احتفلت به وجعلته هو وغيره فداء لاموال المسلمين وحفظا لما فى منازلهم

(ديوان المجلس)

قال ابن الطوير ديوان المجلس هو أصل الدواوين قديما وفيه علوم الدولة بأجمعها وفيه عدة كتاب ولكل واحد مجلس مفرد وعنده معين او معينان وصاحب هذا الديوان هو المتحدث فى الاقطاعات ويلحق بديوان النظر ويخلع عليه وينشأ له السجل وله المرتبة والمسند والدواة والحاجب الى غير ذلك قال ذكر خدمهم الخاصة المتصلة بهم فأولها دفتر المجلس وصاحبه من الاستاذين المحنكين ثم يتولاه اجل كتاب الدولة ممن يكون مترشحا لرأس الدواوين ويتضمن ذلك الدفتر وله مكان ديوان بالقصر الباطن من الانعام فى العطايا والظاهر من الرسوم المعروفة فى غرة السنة والضحايا والمرتب من الكسوات للاولاد والاقارب والجهات وأرباب الرتب على اختلاف الطبقات ومايرد من ملوك الدنيا من التحف والهدايا ومايرسل اليهم من الملاطفات ومقادير الصلات

للمترسلين بالمكاتبات وما يخرج من الاكفان لمن يموت من ارباب الجهات المحترمات ثم يضبط ما ينفق فى الدولة من المهمات ليعلم ما بين كل سنة من التفاوت فالصرّة المنعم بها فى اول العام من الدنانير والرباعية والقراريط تقرب من ثلاثة آلاف دينار وثمن الضحايا يقرب من ألفى دينار وما ينفق فى دار الفطرة فيما يفرّق على الناس سبعة آلاف دينار وما ينفق فى دار الطراز للاستعمالات الخاص وغيرها فى كل سنة عشرة آلاف دينار وما ينفق فى مهم فتح الخليج غير المطاعم ألف دينار وما ينفق فى شهر رمضان فى سماطه ثلاثة آلاف دينار وما ينفق فى سماطى الفطر والنحر أربعة آلاف دينار وهذا خارج عما يطلق للناس اصنافا من خزائنه من المآكل والمشارب والمواصلة من الهبات وما تخرج به الخطوط من التشريفات والمسامحات وما يطلق من الاهراء من الغلات حتى لا يفوتهم علم شئ من هذه المطلقات وفى هذه الخدمة كاتب مستقل بين يدى صاحب ديوانه الاصلى ومعه كاتبان آخران لتنزيل ذلك فى الدفتر والدفتر عبارة عن جرائد مسطوحات ينزل ذلك فيها فى اوقاته من غير فوات قال واذا انقضى عيد النحر من كل سنة تقدّم بعمل الاستيمار لتلك السنة تمام ذى الحجة منها فيجتمع كتاب ديوان الرواتب عند متوليه وتحمل العروض اليه فاذا تحرّرت نسخة التحرير بيضت بعد أن يستدعى من المجلس اوراق بالادرار الذى يقبض بغير خرج وفى الادرار ما هو مستقر بالوجهين فيضاف هذا المبلغ بجهاته الى المبالغ المعلومة بديوان الرواتب وجهاتها حتى لا يفوت من الاستيمار شئ من كل ما تقرّر شرحه ويعلم مقداره عينا وورقا وغلة وغير ذلك فيحرّر ذلك كله بأسماء المرتزقين وأوّلهم الوزير ومن يلوذ به وعلى ذلك الى أن ينتهى الجميع الى ارباب الضرّ فاذا تكمل استدعى له من خزانة الفرش وطاء حرير لشدّه وشرابة لمسكه امّا خضراء او حمراء ويعمل له صدر من الكلام اللائق بما بعده وهذا كله خارج عن الكسوات المطلقة لاربابها والرسوم المعدّة فى كل سنة وما يحمل من دار الفطرة من الاصناف برسم عيد الفطر وعما يشهد به دفتر المجلس من العطايا الخافية والرسوم وقد انعقد مرّة وأنا اتولى ديوان الرواتب على ما مبلغه نيف ومائة ألف دينار أو قريب من مائتى ألف دينار ومن القمح والشعير على عشرة آلاف اردب فاذا فرغ من مسكه فى الشرابة حمل الى صاحب ديوان النظر ان كان والا فلصاحب ديوان المجلس ليعرضه على الخليفة ان كان يعنى مستبدّا او الوزير لاستقبال المحرّم من السنة الآتية فى اوقات معلومة فيتأخر فى العرض وربما يستوعب المحرّم ليحيط العلم بما فيه فاذا كمل العرض أخرج الى الديوان وقد شطب على بعضه وكانوا يتحرّجون من الاقامات على مال الدولة التى لا اصل لها وعلى غير متوفر وينجزها أربابها بالمستقبلات على الخلفاء والوزراء وينقص قوم للاستكثار ويزاد قوم للاستحقاق ويصرف قوم ويستخدم آخرون على ما تقتضيه الآراء فى ذلك الوقت ثم يسلم لرب هذا الديوان فيحمل الامر على ما شطب عليه وعلامة الاطلاق خروجه من العرض وقيل انه عمل مرّة فى ايام المستنصر بالله فلما استؤذن على عرضه قال هل وقع أحد بما فيه غيرنا قيل له معاذ الله يا مولانا ما تمّ انعام الا لك ولا رزق الامن الله على يديك فقال ما ينقض به امرنا ولا نخطئ وما صرفناه فى دولتنا باذننا وتقدم الى ولىّ الدولة بن جبران كاتب الانشاء بامضائه للناس من غير عرض وحمل الامر على حكمه ووقع عن الخليفة بظاهره الفقر مرّ المذاق والحاجة تذل الاعناق وحراسة النعم بادرار الارزاق فليجروا على رسومهم فى الاطلاق ما عندكم ينفد وما عند الله باق ووقع فى خلافة الحافظ لدين الله على استيمار الرواتب ما نصه أمير المؤمنين لا يستكثر فى ذات الله كثير الاعطاء ولا يكدّره بالتأخير له والتسويف والابطاء ولما انتهى اليه ما ارباب الرواتب عليه من القلق للامتناع من ايجاباتهم وحمل خروجاتهم قد ضعفت قلوبهم وقنطت نفوسهم وساءت ظنونهم شملهم برحمته ورأفته وامنهم مما كانوا وجلين من مخافته وجعل التوقيع بذلك بخط يده تأكيدا للانعام والمنّ وتهنئة بصدقة لا تتبع بالاذى والمنّ فليعتمد فى ديوان الجيوش المنصورة اجراء ما تضمنت هذه الاوراق ذكرهم على ما ألفوه وعهدوه من رواتبهم وايجابها على سياقتها لكافتهم من غير تأوّل ولا تعنت ولا استدراك ولا تعقب وليجروا فى نسبياتهم على عادتهم لا ينقض من أمرهم ما كان مبرما ولا ينسخ من رسمهم ما كان محكما كرما من أمير المؤمنين وفعلا مبرورا وعملا بما أخبر به عزوجل فى قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ولينسخ فى جميع الدواوين بالحضرة ان شاء الله تعالى * وقال فى كتاب كنز الدرر ان فى سنة ست وأربعمائة عرض على الحاكم بأمر الله الاستيمار باسم المتفقهين والقرّاء والمؤذنين بالقاهرة

ومصر وكانت الجملة فى كل سنة أحدا وسبعين ألف دينار وسبعمائة وثلاثة وثلاثين دينارا وثلثى دينار وربع دينار فأمضى جميع ذلك * وقال ابن المأمون وأما الاستيمار فبلغنى عمن اثق به أنه كان فى الايام الافضلية اثنى عشر ألف دينار وصار فى الايام المأمونية لاستقبال سنة ست عشرة وخمسمائة ستة عشر ألف دينار وأما تذكرة الطراز فالحكم فيهما مثل الاستيمار والشائع فيها انها كانت تشتمل فى الايام الافضلية على أحد وثلاثين ألف دينار ثم اشتملت فى الايام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار وتضاعفت فى الايام الآمرية وعرض روزنامج بما انفق عينا من بيت المال فى مدة أولها محرم سنة سبع عشرة وخمسمائة وآخرها سلخ ذى الحجة منها فى العساكر المسيرة لجهاد الفرنج برا والاساطيل بحرا والمنفق فى ارباب النفقات من الحجرية والمصطنعية والسودان على اختلاف قبوضهم وما ينصرف برسم خزانة القصور الزاهرة وما يبتاع من الحيوان برسم المطابخ وما هو برسم منديل الكم الشريف فى كل سنة مائة دينار والمطلق فى الاعياد والمواسم وما ينعم به عند الركوبات من الرسوم والصدقات وعند العود منها وثمن الامتعة المبتاعة من التجار على ايدى الوكلاء والمطلق برسم الرسل والضيوف ومن يصل مستأمنا ودار الطراز ودار الديباج والمطلق برسم الصلات والصدقات ومن يهتدى للاسلام وما ينعم به على الولاة عند استخدامهم فى الخدم ونفقات بيت المال والعمائر وهو من العين اربعمائة ألف وثمانية وستون ألفا وسبعمائة وسبعة وتسعون دينارا ونصف من جملة خمسمائة ألف وسبعة وستين ألفا ومائة وأربعين دينارا ونيف يكون الحاصل بعد ذلك مما يحمل الى الصناديق الخاص برسم المهمات لما يتجدد من تسفير العساكر وما يحمل الى الثغور عند نفاد ما بها ثمانية وتسعين ألفا ومائة وسبعة وتسعين دينارا وربعا وسدسا ولم يكن يكتب من بيت المال وصول ولا مجرى ولا تعرف وذلك خارج عما يحمل مشاهرة برسم الديوان المأمونى والاجلاء اخوته وأولاده وما انعم به على ما تضمنت اسمه مشاهرة من الاصحاب والحواشى وأرباب الخدم والكتاب والاطباء والشعراء والفراشين الخاص والجوق والمؤذنين والخياطين والرقاقين وصبيان بيت المال ونواب الباب ونقباء الرسائل وأرباب الرواتب المستقرة من ذوى النسب والبيوتات والضعفاء والصعاليك من الرجال والنساء عن مشاهرتهم ستة عشر ألفا وستمائة واثنان وثمانون دينارا وثلثا دينار يكون فى السنة مائتى ألف ومائة دينار فتكون الجملة سبعمائة الف وسبعة وستين ألفا ومائتين وأربعة وتسعين دينارا ونصفا * قال وفى هذا الوقت يعنى شوال سنة سبع عشرة وخمسمائة وقعت مرافعة فى ابى البركات بن أبى الليث متولى ديوان المجلس صورتها المملوك يقبل الارض وينهى انه ما واصل انهاء حال هذا الرجل وما يعتمده لانه اهل أن ينال خدمة وانما هى نصيحة تلزمه فى حق سلطانه وقد حصل له من الاموال والذخائر ما لا عدد له ولا قيمة عليه ويضرب المملوك عن وجوه الجناية التى هى ظاهرة لان السلطان لا يرضى بذكرها فى عالى مجلسه ولا سماعها فى دولته وله ولاهله مستخدمون فى الدولة ست عشرة سنة بالجارى الثقيل لكل منهم ويذكر المملوك ما وصلت قدرته الى علمه ما هو باسمه خاصة دون من هو مستخدم فى الدواوين من اهله وأصحابه ويبدأ بما باسمه مياومة ادرارا من بيت المال والخزائن ودار التعبية والمطابخ وشون الحطب وهو ما بين برسم البقولات والتوابل نصف دينار ومن الضأن رأس واحد ومن الحيوان ثلاثة اطيار ومن الحطب حملة واحدة ومن الدقيق خمسة وعشرون رطلا ومن الخبز عشرون وظيفة ومن الفاكهة ثمرة زهرة قصريتان وشمامة وفى كل اثنين وخميس من السماط بقاعة الذهب طيفور خاص وصحن من الاوائل وخمسة وعشرون رغيفا من الخبز المواتى والسميذ وفى كل يوم احد وأربعاء من الاطعمة بالدار المأمونية مثل ذلك وفى كل يوم سبت وثلاثاء من اطعمة الركوبات خروف مشوى وجام حلوى ورباعى عنبا ويحضر اليه فى كل يوم من الاصطبلات بغلة بمركوب محلى وبغلة برسم الراجل وفراشين من الجوق برسم خدمته وتبيت على بابه واذا خرج من بين يدى السلطان فى الليل كان له شمعة من الموكبيات توصله الى داره وزنها سبعة عشر رطلا ولا تعود وبرسم ولده فى كل يوم ثلاثة ارطال لحم وعشرة ارطال دقيق وفى ايام الركوبات رباعى والمشاهرة جارى ديوان الخاص والمجلس برسمه مائة وعشرون دينارا وبرسم ولده راتبا عشرة دنانير وأثبت اربعة غلمان نصارى ونسبهم للاسلام فى جملة المستخدمين فى الركاب ولم يخدموا لا فى الليل ولا فى النهار بما مبلغه سبعة دنانير ومن السكر خمسة عشر رطلا ومن عسل النحل عشرة ارطال ومن قلب الفستق ثلاثة

ازطال وقلب البندق خمسة ارطال وقلب اللوز أربعة ارطال ووزد مربى رطلان زيت طيب عشرة ارطال شيرج خمسة ارطال زيت حار ثلاثون رطلا خل ثلاث جرار أرز نصف ويبة سماق اربعة ارطال حصرم وكشك وحب رمان وقراصيا بالسوية اثناعشر رطلا سدر وأشنان ويبة ومن الكيزان عشرون شربة عزيزية وثليبة واحدة ومن الشمع ست شمعات منهن اثنتان منويات وأربعة رطليات والمسانهة فى بكور الغرة برسم الخاصة خمسة دنانير وخمس رباعية وعشرة قراريط جدد وبرسم ولده دينار ورباعى وثلاثة قراريط وخروف مقموم وخمسة أرؤس وربع قنطار خبز برماذق وصحن ارز بلبن وسكر ومن السماط بالقصر فى اليوم المذكور خروف شواء وزبادى وجام حلوى والخبز وقطعة منفوخ ومن القمح ثلثمائة اردب ومن الشعير مائة وخمسون اردبا وفى المواليد الاربعة اربع صوانى فطرة وكسوة الشتاء برسمه خاصة منديل حريرى وشقة ديبقى حرير وشقة ديباج ورداء اطلس وشقة ديباج دارى وشقتان سقلاطون احداهما اسكندرانية وشقتان عتابى وشقتان خزمغربى وشقتان اسكندرانى وشقتان دمياطى وشقة طلى مرش وفوطة خاص وبرسم ولده شقة سقلاطون دارى وشقة عتابى دارى وشقة خزمغربى وشقتان دمياطى وشقتان اسكندرانى وشقة طلى وفوطة وبرسم من عنده منديلا كم أحدهما خزائنى خاص ونصفى اردية ديبقى وشقة سقلاطون دارى وشقة عتابى وشقة سوسى وشقة دمياطى وشقتان اسكندرانى وفوطة وبرسمه أيضا فى عيد الفطر طيفوران فطرة مشورة ومائة حبة بورى وبدلة مذهبة مكملة ولولده بدلة حرير وبرسم من عنده حلة مذهبة وفى عيد النحر رسمه مثل عيد الفطر ويزيد عنه هبة مائة دينار ولولده مثل عيد الفطر وزيادة عشرة دنانير ويساق اليه من الغنم مالم يكن باسمه وفى موسم فتح الخليج أربعون دينارا وصينية فطرة وطيفور خاص من القصر وخروف شواء وجام حلواء وبرسم ولده خمسة دنانير وللخاصه فى النوروز ثلاثون دينارا وشقة ديبقى حريرى وشقة لاذ ومعجر حريرى ومنديل كم حريرى وفوطة ومائة بطيخة وسبعمائة حبة رمان وأربعة عناقيد موز وفرد بسر وثلاثة أقفاص تمر قوصى وقفصان سفرجل وثلاث بكالى هريسة واحدة بدجاج واخرى بلحم ضان والثالثة بلحم بقرى وأربعون رطلا خبز برماذق ولولده خمسة دنانير وحوائج النوروز بما تقدم ذكره وبرسمه فى الميلاد جام قاهرية ومترد سميد معتصمى وزلابية وست قرابات جلاب وعشر حبات بورى وبرسم الغيطاس خمسمائة حبة ترنج ونارنج وليمون مركب وخمسة عشر طن قصب وعشر حبات بورى وباسمه فى عيد الغدير من السماط بالقصر مثل عيد النحر وله هبة عن رسم الخلع من المجلس المأموني يعنى مجلس الوزارة ثلاثون دينارا ولولده خمسة دنانير ومن تكون هذه رسومه فى اى وجه تنصرف أمواله والذى باسم أخيه نظير ذلك وكذلك صهره فى ديوان الوزارة وابن اخيه فى الديوان التاجى ووجوه الاموال من كل جهة واصلة اليهم والامانة مصروفة عنهم وقد اختصر المأمون فيما ذكر والذى باسمه اكثر واذا امر بكشف ذلك من الدواوين تبين صحة قول المأمون وعلم أنه ممن يتجنب قول المحال ولا يرضاه لنفسه سيما ان رفعه الى المقام الكريم وشنع ذلك بكثرة القول فيهم وعرض بالقبض عليهم وأوجب على نفسه أنه يثبت فى جهاتهم من الاموال التى تخرج عن هذا الانعام ما يجده حاضرا مدخورا عند من يعرفه مائة الف دينار فلم يسمع كلامه الى أن ظهر الراهب فى الايام الآمرية فوجدهو وغيره الفرصة فيهم وكثر الوقائع عليهم فقبض عليهم عن آخرهم ومن يعرفهم وأخذ منهم الجملة الكبيرة ثم بعد ذلك عادوا الى خدمهم بما كان من اسمائهم وتجدد من جاههم واتقامهم من اعدائهم اكثر مما كان اولا انتهى فانظر أعزك الله الى سعة احوال الدولة من معلوم رجل واحد من كتاب دواوينها تبين لك بما تقدم ذكره فى هذه المرافعة من عظم الشأن وكثرة العطاء ما يكون دليلا على باقى احوال الدولة

(ديوان النظر)

قال ابن الطوير أما دواوين الاموال فان أجلها من يتولى النظر عليهم وله العزل والولاية ومن يده عرض الاوراق فى اوقات معروفة على الخليفة او الوزير ولم يرفيه نصرانى الا الاخرم ولم يتوصل اليه الا بالضمان وله الاعتقال بكل مكان يتعلق بنواب الدولة وله الجلوس بالمرتبة والمسند وبين يديه حاجب من امراء الدولة وتخرج له الدواة بغير كرسى وهو يندب المترسلين لطلب الحساب والحث على طلب الاموال ومطالبة ارباب الدولة ولا يعترض

(ديوان التحقيق)

هو ديوان مقتضاه المقابلة على الدواوين وكان لا يتولاه الا كاتب خبير وله الخلع والمرتبة والحاجب ويلحق برأس الديوان يعني متولي النظر ويفتقر اليه في أكثر الاوقات * وقال ابن المأمون وفي هذه السنة يعني سنة احدى وخمسمائة فتح ديوان المجلس قال ولما كثرت الاموال عند ابن أبي الليث صاحب الديوان رغب في التبجح على الافضل بن أمير الجيوش بنهضه ويسأله أن يشاهده قبل حمله وذكر أنه سبعمائة ألف دينار خارجا عن نفقات الرجال فجعلت الدنانير في صناديق بجانب والدراهم في صناديق بجانب وقام ابن أبي الليث بين الصفين فلما شاهد الافضل بن امير الجيوش ذلك قال لابن أبي الليث يا شيخ تفرح مني بالمال وتربة امير الجيوش ان بلغني أن بئرا معطلة أو أرضا بائرة أو بلدا خرابا لاضربن عنقك فقال وحق نعمتك لقد حاشا الله أيامك أن يكون فيها بلد خراب أو بئر معطلة أو أرض بور وفاني أن يكشف عما ذكر انتهى وقتل ابن أبي الليث في سنة ثمان عشرة وخمسمائة

(ديوان الجيوش والرواتب)

قال ابن الطوير أما الخدمة في ديوان الجيوش فتنقسم قسمين الاول ديوان الجيش وفيه مستوف اصيل ولا يكون الا مسلما وله مرتبة على غيره بجلوسه بين يدي الخليفة داخل عتبة باب المجلس وله الطراحة والمسند وبين يديه الحاجب وترد عليه امور الاجناد وله العرض والحلى والثياب ولهذا الديوان خازنان برسم رفع الشواهد واذا عرض احد الاجناد ورضي به عرض دوابه فلا يثبت له الا الفرس الجيد من ذكور الخيل واناثها ولا يترك لاحد منهم برذون ولا بغل وان كان عندهم البراذين والبغال وليس لهم تغيير أحد من الاجناد الا بمرسوم وكذلك اقطاعهم ويكون بين يدي هذا المستوفي نقباء الامراء ينهون اليه متجددات الاجناد من الحياة والموت والمرض والصحة وكان قد فسح للاجناد في مقايضة بعضهم بعضا في الاقطاع بالتوقيعات بغير علامة بل بتخريج صاحب ديوان المجلس ومن هذا الديوان تعمل اوراق ارباب الجرايات وما كان لامير وان علا قدره بلد مقور الا نادرا وأما القسم الثاني من هذا الديوان فهو ديوان الرواتب ويشتمل على اسماء كل مرتزق وجار وجارية وفيه كاتب أصيل بطراحة وفيه من المعينين والمبيضين نحو عشرة انفس والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستمرار من هو مستمر ومباشرة من استجد وموت من مات لوجوب استحقاقه على النظام المستقيم وفي هذا الديوان عدة عروض * العرض الاول يشتمل على راتب الوزير وهو في الشهر خمسة آلاف دينار ومن يليه من ولد وأخ من ثلثمائة دينار الى مائتي دينار ولم يتقرر لولد وزير خمسمائة دينار سوى شجاع بن شاور المنعوت بالكامل ثم حواشيهم على مقتضى عدتهم من خمسمائة الى أربعمائة الى ثلثمائة خارجا عن الاقطاعات * العرض الثاني حواشي الخليفة وأولهم الاستاذون المحنكون على رتبهم وجواري خدمهم التي لا يباشرها سواهم فزمام القصر وصاحب بيت المال وحامل الرسالة وصاحب الدفتر وشاد التاج وزمام الاشراف الاقارب وصاحب المجلس لكل واحد منهم مائة دينار في كل شهر ومن دونهم ينقص عشرة دنانير حتى يكون آخرهم من له في كل شهر عشرة دنانير وتزيد عدتهم على ألف نفس ولطبيبي الخاص لكل واحد خمسون دينارا ولمن دونهما من الاطباء برسم المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير * العرض الثالث يتضمن ارباب الرتب بحضرة الخليفة فاوله كاتب الدست الشريف وجاريه مائة وخمسون دينارا ولكل واحد من كتابه ثلاثون دينارا ثم صاحب الباب وجاريه مائة وعشرون دينارا ثم حامل السيف وحامل الرمح لكل منهما سبعون دينارا وبقية الازمة على العساكر والسودان من خمسين الى أربعين دينارا الى ثلاثين دينارا * العرض الرابع يشتمل على المستقر لقاضي القضاة ومن يلي قاضي القضاة مائة دينار وداعي الدعاة مائة دينار ولكل من قراء الحضرة عشرون دينارا الى خمسة عشر الى عشرة ولخطباء الجوامع من عشرين دينارا الى عشرة وللشعراء من عشرين دينارا الى عشرة دنانير * العرض الخامس يشتمل على ارباب الدواوين ومن يجري مجراهم وأولهم من يتولى ديوان النظر وجاريه سبعون دينارا وديوان التحقيق جاريه خمسون دينارا وديوان المجلس أربعون

دينارا وصاحب دفتر المجلس خمسة وثلاثون دينارا وكاتبه خمسة دنانير وديوان الجيوش وجاريه أربعون دينارا والموقع بالقلم الجليل ثلاثون دينارا ولجميع اصحاب الدواوين الجارى فيها المعاملات لكل واحد عشرون دينارا ولكل معين من عشرة دنانير الى سبعة الى خمسة دنانير * العرض السادس يشتمل على المستخدمين بالقاهرة ومصر لكل واحد من المستخدمين فى ولاية القاهرة وولاية مصر فى الشهر خمسون دينارا والحماة بالاهراء والمناخات والجوالى والبساتين والاملاك وغيرها لكل منهم من عشرين دينارا الى خمسة عشر الى عشرة الى خمسة دنانير * العرض السابع الفراشون بالقصور برسم خدمها وتنظيفها خارجا وداخلا ونصب الستائر المحتاج اليها وخدمة المناظر الخارجة عن القصر فنهم خاص برسم خدمة الخليفة وعدتهم خمسة عشر رجلا منهم صاحب المائدة وحامى المطابخ من ثلاثين دينارا الى ما حولها ولهم رسوم متميزة ويقربون من الخليفة فى الاسمطة التى يجلس عليها ويليهم الرشاشون داخل القصر وخارجه ولهم عرفاء ويتولى أمرهم استاذ من خواص الخليفة وعدتهم نحو الثلثمائة رجل وجاريهم من عشرة دنانير الى خمسة دنانير * العرض الثامن صبيان الركاب وعدتهم تزيد على ألفى رجل ومقدموهم اصحاب ركاب الخليفة وعدتهم اثنا عشر مقدما منهم مقدم المقدمين وهو صاحب الركاب اليمين ولكل من هؤلاء المقدمين فى كل شهر خمسون دينارا ولهم تقباء من جهة المذكورين يعرفونهم وهم مقترون جوقا على قدر جواريهم جوقة لكل منهم خمسة عشر دينارا وجوقة لكل منهم عشرة دنانير وجوقة لكل منهم خمسة دنانير ومنهم من ينتدب فى الخدم السلطانية ويكون لهم نصيب فى الاعمال التى يدخلونها وهم الذين يحملون الملحقات لركوب الخليفة فى المواسم وغيرها وأول من قرر العطاء لغلمانه وخدمه وأولادهم الذكور والاناث ولنسائهم وقرر لهم أيضا الكسوة العزيز بالله نزار بن المعز

(ديوان الانشاء والمكاتبات)

وكان لا يتولاه الا اجل كتاب البلاغة ويخاطب بالشيخ الاجل ويقال له كاتب الدست الشريف ويسلم المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة من بعده وهو الذى يأمر بتنزيلها والاجابة عنها للكتاب والخليفة يستشيره فى اكثر اموره ولا يحجب عنه متى قصد المثول بين يديه وهذا أمر لا يصل اليه غيره وربما بات عند الخليفة ليالى وكان جاريه مائة وعشرين دينارا فى الشهر وهو أول ارباب الاقطاعات وأرباب الكسوة والرسوم والملاطفات ولا سبيل أن يدخل الى ديوانه بالقصر ولا يجتمع بكتابه أحد الا الخواص وله حاجب من الامراء الشيوخ وفراشون وله المرتبة الهائلة والمخاد والمسند والدواة لكنها بغير كرسى وهى من اخص الدوى ويحملها استاذ من استاذى الخليفة

(التوقيع بالقلم الدقيق فى المظالم)

وكان لا بد للخليفة من جليس يذاكره ما يحتاج اليه من كتاب الله وتجويد الخط وأخبار الانبياء والخلفاء فهو يجتمع به فى اكثر الايام ومعه استاذ من المحنكين مؤهل لذلك فيكون الاستاذ ثالثهما ويقرأ على الخليفة ملخص السير ويكرر عليه ذكر مكارم الاخلاق وله بذلك رتبة عظيمة تلحق برتبة كاتب الدست ويكون صحبته للجلوس دواة محلاة فاذا فرغ من المجالسة ألقى فى الدواة كاغد فيه عشرة دنانير وقرطاس فيه ثلاثة مثاقيل ند مثلث خاص ليتبخر به عند دخوله على الخليفة ثانى مرة وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق وله طراحة ومسند وفراش يقدم اليه ما يوقع عليه وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل اليه أحد الا باذن وهو يلى صاحب ديوان المكاتبات فى الرسوم والكساوى وغيرها

(التوقيع بالقلم الجليل)

وهى رتبة جليلة ويقال لها الخدمة الصغرى ولها الطراحة والمسند بغير حاجب بل الفراش لترتيب ما يوقع فيه

(مجلس النظر فى المظالم)

كانت الدولة اذا خلت من وزير صاحب سيف جلس صاحب الباب فى باب الذهب بالقصر وبين يديه النقباء

والحجاب فينادي المنادى بين يديه يا ارباب الظلامات فيحضرون فمن كانت ظلامته مشافهة ارسلت الى الولاة والقضاة رسالة بكشفها ومن تظلم ممن ليس من اهل البلدين احضر قصة بأمره فيتسلمها الحاجب منه فاذا جمعها احضرها الى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحيل الى الموقع بالقلم الجليل فيبسط ما اشار اليه الموقع الاول ثم تحمل فى خريطة الى الخليفة فيوقع عليها ثم تخرج فى الخريطة الى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع لصاحبه فان كان وزيره صاحب سيف جلس للمظالم بنفسه وقبالته قاضى القضاة ومن جانبيه شاهدان معتبران ومن جانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال وبين يديه صاحب الباب واسفهسلار العساكر وبين أيديهما النوّاب والحجاب على طبقاتهم ويكون الجلوس بالقصر فى مجلس المظالم فى يومين من الاسبوع وكان الخليفة اذا رفعت اليه القصة وقع عليها يعتمد ذلك ان شاء الله تعالى ويوقع فى الجانب الايمن منها يوقع بذلك فتخرج الى صاحب ديوان المجلس فيوقع عليها جليلا ويخلى مكان العلامة فيعلم عليها الخليفة وتثبت وكانت علامتهم أبدا الحمد لله رب العالمين وكان الخليفة يوقع فى المسامحة والتسويغ والتحبيس قد انعمنا بذلك وقد أمضينا ذلك وكان اذا أراد أن يعلم ذلك الشئ الذى انهى وقع ليخرج الحال فى ذلك فاذا أحضر اليه اخراج الحال علم عليه فان كان حينئذ وزير وقع الخليفة بخطه وزيرنا السيد الاجل وذكر نعته المعروف به امتعنا الله ببقائه يتقدم بنجاز ذلك ان شاء الله تعالى فيكتب الوزير تحت خط الخليفة يمتثل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ويثبت فى الدواوين

(رتب الامراء)

وكان اجل خدم الامراء ارباب السيوف خدمة الباب ويقال لمتولى هذه الخدمة صاحب الباب وينعت اولا بالمعظم واول من خدم بها المعظم جرتاش فى ايام الخليفة الحافظ وكان من العقلاء وناب عن الحافظ فى مرضه فلما عوفى اراده على الوزارة فامتنع وله نائب يقال له النائب وتسمى الخدمة فيها بالنيابة الشريفة ومقتضاها انها مميزة ولا يليها الا اعيان العدول وأرباب العمائم وينعت أبدا بعدى الملك وهو الذى يتلقى الرسل الواصلة من الدول ومعه نوّاب الباب فى خدمته ويحفظهم وينزلهم بالاماكن المعدّة لهم ويقدمهم للسلام على الخليفة والوزير مع صاحب الباب فيكون صاحب الباب يمينا وهو يسارا ويتولى افتقادهم والحث على ضيافتهم ولا يمكن من التقصير فى حقوقهم واجتماع الناس بهم والاطلاع على ما جاؤا فيه ولا من ينقل الاخبار اليهم ويلى رتبة صاحب الباب الاسفهسلار وهو زمام كل زمام واليه امور الاجناد ثم يليه حامل سيف الخليفة ايام الركوب بالمظلة واليتيمة ثم من يزم طائفتى الحافظية والآمرية وهما وجه الاجناد وهؤلاء ارباب الاطواق ويليهم ارباب القصب والعماريات وهى الاعلام ثم زى الطواق ثم من يترشح لذلك من الاماثل وكانت الدولة لا تسند ذلك الا الى ارباب الشجاعة والنجدة ولهذا دخل فيه أخلاط الناس من الارمن والروم وغيرهم وعلى ذلك كان عملهم لا للزينة والتباهى

(قاضى القضاة)

وكان من عادة الدولة انه اذا كان وزير رب سيف فانه يقلد القضاء رجلا نيابة عنه وهذا انما حدث من عهد أمير الجيوش بدر الجمالى واذا كان الخليفة مستبدا قلد القضاء رجلا ونعته بقاضى القضاة وتكون رتبته اجل رتب ارباب العمائم وأرباب الاقلام ويكون فى بعض الاوقات داعيا فيقال له حينئذ قاضى القضاة وداعى الدعاة ولا يخرج شئ من الامور الدينية عنه ويجلس السبت والثلاثاء بزيادة جامع عمرو بن العاص بمصر على طراحة ومسند حرير فلما ولى ابن عقيل القضاء رفع المرتبة والمسند وجلس على طراحات السامان فاستمر هذا الرسم ويجلس الشهود حواليه يمنة ويسرة بحسب تاريخ عدالتهم وبين يديه خمسة من الحجاب اثنان بين يديه واثنان على باب المقصورة وواحد ينفذ الخصوم اليه وله اربعة من الموقعين بين يديه اثنان يقابلان اثنين وله كرسى الدواة وهى دواة محلاة بالفضة تحمل اليه من خزائن القصور ولها حامل بجامكية فى الشهر على الدولة ويقدم له من الاصطبلات برسم ركوبه على الدوام بغلة شهباء وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون ارباب الدولة وعليها من خزانة السروج سرج محلى ثقيل وراءه دقرفضة ومكان الجلد حرير وتأتيه فى المواسم الاطواق ويخلع عليه

الخلع المذهبة بلا طبل ولا بوق الا اذا ولى الدعوة مع الحكم فان للدعوة فى خلعها الطبل والبوق والبنود الخاص وهى نظير البنود التى يشرف بها الوزير صاحب السيف واذا كان للحكم خاصة كان حواليه القراء رجالة وبين يديه المؤذنون يعلنون بذكر الخليفة والوزير ان كان ثم ويحمل بنواب الباب والحجاب ولا يتقدم عليه أحد فى محضر هو حاضره من رب سيف وقلم ولا يحضر لا ملاك ولا جنازة الا باذن ولا سبيل الى قيامه لاحد وهو فى مجلس الحكم ولا يعدل شاهد الا بأمره ويجلس بالقصر فى يومى الاثنين والخميس أول النهار للسلام على الخليفة ونوابه لا يفترون عن الاحكام ويحضر اليه وكيل بيت المال وكان له النظر فى ديوان الضرب لضبط ما يضرب من الدنانير فكان يحضر مباشرة التعليق بنفسه ويختم عليه ويحضر لفتحه وكان القاضى لا يصرف الا بحجة ولا يعدل أحدا الا بتزكية عشرين شاهدا عشرة من مصر وعشرة من القاهرة ورضى الشهود به ولا يحتمى أحد على الشرع ومن فعل ذلك أدب

(قاعة الفضة)

وهى من جملة قاعات القصر

(قاعة السدرة)

كانت بجوار المدرسة والتربة الصالحية واشتراها قاضى القضاة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى الحنبلى مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية بألف وخمسة وتسعين دينارا فى رابع شهر ربيع الآخر سنة ستين وستمائة من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر وكيل بيت المال ثم باعها شمس الدين المذكور للملك الظاهر بيبرس فى حادى عشرى ربيع الآخر المذكور وكان يتوصل اليها من باب البحر

(قاعة الخيم)

كانت شرقى قاعة السدرة وقد دخلت قاعة السدرة وقاعة الخيم فى مكان المدرسة الظاهرية العتيقة

(المناظر الثلاث)

استجدهن الوزير المأمون البطائحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله احداهن بين باب الذهب وباب البحر والاخرى على قوس باب الذهب ومنظرة ثالثة وكان يقال لها الزاهرة والفاخرة والناضرة وكان يجلس الخليفة فى احداها لعرض العساكر يوم عيد الغدير ويقف الوزير فى قوس باب الذهب

(قصر الشوك)

قال ابن عبد الظاهر كان منزلا لبنى عذرة قبل القاهرة يعرف بقصر الشوك وهو الآن أحد أبواب القصر انتهى والعامة تقول قصر الشوق وأدركت مكانه دارا استجدت بعد الدولة الفاطمية هدمها الامير جمال الدين يوسف الاستادار فى سنة احدى عشرة وثمانمائة لينشئها دارا فمات قبل ذلك وموضعه اليوم بالقرب من دار الضرب فيما بينه وبين المارستان العتيق

(قصر أولاد الشيخ)

هذا المكان من جملة القصر الكبير وكان قاعة فسكنها الوزير الصاحب الامير الكبير معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه فى ايام الملك الصالح نجم الدين ايوب فعرف به وأدركت هذا المكان خطا يعرف بالقصر يتوصل اليه من زقاق تجاه حمام بيسرى وفيه عدة دور ومنها دار الطواشى سابق الدين ومدرسته المعروفة بالمدرسة السابقية وكان يتوصل اليه من الركن المخلق أيضا من الباب المظلم تجاه سور سعيد السعداء المعروف قديما بباب الريح ثم عرف بقصر ابن الشيخ وعرف فى زمننا بباب القصر الى أن هدمه جمال الدين الاستادار كما يأتى ان شاء الله تعالى

(قصر الزمرد)

هو من جملة القصر الكبير وعرف أخيرا بقصر قوصون ثم عرف فى زمننا بقصر الحجازية وقيل له قصر الزمرذ لانه كان بجوار باب الزمرذ أحد أبواب القصر ووجد به فى سنة بضع وسبعين وسبعمائة تحت التراب عمودان عظيمان من الرخام الابيض فعمل لهما ابن عابد رئيس الحراريق السلطانية اساقيل وجرّهما الى المدرسة التى انشأها الملك الاشرف شعبان بن حسين تجاه الطبلخاناة من قلعة الجبل وأدركنا جرّ هذين العمودين وقد وافقنا أيام تجمع الناس فيها من كل اوب لمشاهدة ذلك ولهجوا بذكرهما زمنا وقالوا فيهما شعرا وغناء كثيرا وعملوا انموذجات من ثياب الحرير وطرز المناديل عرفت بجر العمود وكانت الانفس حينئذ منبسطة والقلوب خالية من الهموم وللناس اقبال على اللهو لكثرة نعمهم وطول فراغهم وكان العمودان المذكوران مما ارتدم من أنقاض القصر فسبحان الوارث

(الركن المخلق)

موضعه الآن تجاه حوض الجامع الاقمر على يمنة من اراد الدخول الى المسجد المعروف الآن بمسجد موسى وقيل له الركن المخلق لانه ظهر فى سنة ستين وستمائة فى هذا الموضع حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى عليه السلام فخلق بالزعفران وسمى من ذلك اليوم بالركن المخلق وأخبرنى الامير الوزير ابو المعالى يلبغا السالمى أنه قرأ فى الاسطر المكتوبة بأسكفة باب الجامع الاقمر كلاما من جملته والحوانيت التى بالركن المخوق بواو بعد الخاء فرأيت بعد ذلك فى الامالى للقالى وقال ابو عبيدة عن أبى عمرو الخوقاء الصحراء التى لاماء بها ويقال الواسعة وأخوق واسع فلعله سمى المخوّق بمعنى الاتساع فكان ركنا متسعا وفى بناء واسع او يكون المخلق باللام من قولهم قدح مخلق بضم الميم وفتح الخاء وتشديد اللام وفتحها اى مستو أملس وكل مالين وملس فقد خلق فكل مملس مخلق وسمته العامة بعد ذلك الركن المخلق عندما خلقوه بالزعفران والله اعلم

(السقيفة)

وكان من جملة القصر الكبير موضع يعرف بالسقيفة يقف عنده المتظلمون وكانت عادة الخليفة أن يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين فاذا ظلم احد وقف تحت السقيفة وقال بصوت عال لا اله الا الله محمد رسول الله على ولى الله فيسمعه الخليفة فيأمر باحضاره اليه أو يفوض أمره الى الوزير أو القاضى او الوالى ومن غريب ماوقع أن الموفق بن الخلال لما كان يتحدث فى امور الدواوين ايام الخليفة الحافظ لدين الله وخرج من استدب بعد انحطاط النيل من العدول والنصارى الكتاب الى الاعمال لتحرير ماشمله الرى وزرع من الاراضى وكتابة المكلفات فخرج الى بعض النواحى من يمسحها من شاد وناظر وعدول وتأخر الكاتب النصرانى ثم لحقهم وأراد التعدية الى الناحية فحمله ضامن تلك المعدية الى البر وطلب منه اجرة التعدية فنفر فيه النصرانى وسبه وقال انا ماسح هذه البلدة وتريد منى حق التعدية فقال له الضامن ان كان لى زرع خذه وقلع لجام بغلة النصرانى وألقاه فى معديته فلم يجد النصرانى بدا من دفع الاجرة اليه حين أخذ لجام بغلته فلما تمم مساحة البلد وبيض مكلفة المساحة ليحملها الى دواوين الباب وكانت عادتهم حينئذ كتب الجملة بزيادة عشرين فدانا ترك بياضا فى بعض الاوراق وقابل العدول على المكلفة وأخذ الخطوط عليها بالصحة ثم كتب فى البياض الذى تركه ارض اللجام باسم ضامن المعدية عشرين فدانا قطيعة كل فدان اربعة دنانير عن ذلك ثمانون دينارا وحمل المكلفة الى ديوان الاصل وكانت العادة اذا مضى من السنة الخراجية اربعة اشهر ندب من الجند من فيه حماسة وشدة ومن الكتاب العدول وكاتب نصرانى فيخرجون الى سائر الاعمال لاستخراج ثلث الخراج على ماتشهد به المكلفات المذكورة فينفق فى الاجناد فانه لم يكن حينئذ للاجناد اقطاعات كما هو الآن وكان من العادة أن يخرج الى كل ناحية غير من ذكر من لم يكن خرج وقت المساحة بل يندب قوم سواهم فلما خرج الشاد والكاتب والعدول لاستخراج ثلث مال الناحية استدعوا ارباب الزرع على ماتشهد به المكلفة ومن جملتهم ضامن المعدية فلما حضر الزم بستة وعشرين دينارا وثلثى دينار عن نظير ثلث المال الثمانين دينارا التى تشهد بها المكلفة عن خراج ارض اللجام فانكر الضامن أن تكون له زراعة بالناحية وصدقه اهل البلد فلم يقبل الشاد ذلك وكان عسوفا وأمر به فضرب بالمقارع واحتج بخط العدول على المكلفة ومازال به حتى باع معديته وغيرها وأورد ثلث المال الثابت فى المكلفة

قوله السقيفة هكذا هنا فى النسخ بالقاف والفاء وهو الظاهر المتبادر خلافا لما مر من انها سفينة بالفاء والنون اه مصححه

وسار الى القاهرة فوقف تحت السقيفة وأعلن بما تقدم ذكره فأمر الخليفة الحافظ باحضاره فلما مثل بحضرته قص عليه ظلامته مشافهة وحكى له ما اتفق منه فى حق النصرانى وما كاده به فأحضر ابن الخلال وجميع ارباب الدواوين واحضرت المكلفات التى عملت للناحية المذكورة فى عدة سنين ماضية وتصفحت بين يديه سنة سنة فلم يوجد لارض الجمام ذكر البتة فحينئذ أمر الخليفة الحافظ باحضار ذلك النصرانى وسمر فى مركب وأقام له من يطعمه ويسقيه وتقدم بأن يطاف به سائر الاعمال وينادى عليه ففعل ذلك وأمر بكف ايدى النصرانية كلها عن الخدم فى سائر المملكة فتعطلوا مدة الى أن ساءت احوالهم وكان الحافظ مغرما بعلم النجوم وله عدة من المنجمين من جملتهم شخص صار اليه عدة من اكابر كتاب النصارى ودفعوا اليه جملة من المال ومعهم رجل منهم يعرف بالاخرم بن أبى زكريا وسألوه أن يذكر للحافظ فى أحكام تلك السنة حلية هذا الرجل فانه ان اقامه فى تدبير دولته زاد النيل ونما الارتفاع وزكت الزروع ونتجت الاغنام ودرت الضروع وتضاعفت الاسعار وورد التجار وجرت قوانين المملكة على اجمل الاوضاع فطمع ذلك المنجم فى كثرة ما عاينه من الذهب وعمل ما قرره النصارى معه فلما رأى الحافظ ذلك تعلقت نفسه بمشاهدة تلك الصفة فأمر باحضار الكتاب من النصارى وصار يتصفح وجوههم من غير أن يطلع أحدا على ما يريده وهم يؤخرون الاخرم عن الحضور اليه قصدا منهم وخشية أن يفطن بمكرهم الى أن اشتد الزامهم باحضار سائر من بقى منهم فأحضروه بعد أن وضعوا من قدره فلما رآه الحافظ رأى فيه الصفات التى عينها منجمه فاستدناه اليه وقربه وآل أمره الى أن ولاه امير الدواوين فأعاد كتاب النصارى أوفر ما كانوا عليه وشرعوا فى التجبر وبالغوا فى اظهار الفخر وتظاهروا بالملابس العظيمة وركبوا البغلات الرائعة والخيول المسومة بالسروج المحلاة واللجم الثقيلة وضايقوا المسلمين فى ارزاقهم واستولوا على الاحباس الدينية والاوقاف الشرعية واتخذوا العبيد والمماليك والجوارى من المسلمين والمسلمات وصودر بعض كتاب المسلمين فألجأته الضرورة الى بيع اولاده وبناته فيقال انه اشتراهم بعض النصارى وفى ذلك يقول ابن الخلال

اذا حكم النصارى فى الفروج * وغالوا بالبغال وبالسروج
وذلت دولة الاسلام طرا * وصار الامر فى ايدى العلوج
فقل للاعور الدجال هذا * زمانك ان عزمت على الخروج

وموضع السقيفة فيما بين درب السلامى وبين خزانة البنود يتوصل اليه من تجاه البئر التى قدام دار كانت تعرف بقاعة ابن كتيلة ثم استولى عليها جمال الدين الاستادار وجعلها مسكنا لاخيه ناصر الدين الخطيب وغير بابها

(دار الضرب)

هذا المكان الذى هو الآن دار الضرب من بعض القصر فكان خزانة بجوار الايوان الكبير سجن بها الخليفة الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد ابن الامير أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله ابى تميم معد وذلك أن الآمر لما قتل فى يوم الثلاثاء رابع عشر ذى القعدة سنة اربع وعشرين وخمسمائة قام العادل برغش وهزار الملوك جوامرد وكانا اخص غلمان الآمر بالامير عبد المجيد ونصباه خليفة ونعتاه بالحافظ لدين الله وهو يومئذ اكبر الاقارب سنا وذكر أن الآمر قال قبل أن يقتل باسبوع عن نفسه المسكين المقتول بالسكين وانه اشار الى أن بعض جهاته حامل منه وأنه رأى انها ستلد ذكرا وهو الخليفة من بعده وأن كفالته للامير عبد المجيد فجلس على انه كافل للمذكور وندب هزار الملوك للوزارة وخلع عليه فلم ترض الاجناد به وثاروا بين القصرين وكبيرهم رضوان بن ولخشى وقاموا بأبى على بن الافضل الملقب بكتيفات وقالوا لا نرضى الا أن يصرف هزار الملوك وتفوض الوزارة لاحمد بن الافضل فى سادس عشره فكان اول ما بدأ به أن أحاط على الخليفة الحافظ وسجنه بالقاعة المذكورة وقيده وهم بخلعه فلم يتأت له ذلك وكان اماميا فأبطل ذكر الحافظ من الخطبة وصار يدعو للقائم المنتظر ونقش على السكة الله الصمد الامام محمد فلما قتل فى يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة بالميدان خارج باب الفتوح سارع صبيان الخاص الذين تولوا قتله الى الحافظ وأخرجوه من الخزانة

المذكورة وفكوا عنه قيده وكان كبيرهم يانس وأجلسوه فى الشباك على منصب الخلافة وطيف برأس أحمد ابن الافضل وخلع على يانس خلع الوزارة وما زالت الخلافة فى يد الحافظ حتى مات ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة عن سبع وستين سنة منها خليفة من حين قتل ابن الافضل ثمان عشرة سنة وأربعة اشهر وأيام

(خزائن السلاح)

كانت بالايوان الكبير الذى تقدم ذكره فى صدر الشباك الذى يجلس فيه الخليفة تحت القبة التى هدمت فى سنة سبع وثمانين وسبعمائة كما تقدم وخزائن السلاح المذكورة هى الآن باقية بجوار دار الضرب خلف المشهد الحسينى وعقد الايوان باق وقد تشعث

(المارستان العتيق)

قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمائة فى تاسع ذى القعدة أمر السلطان يعنى صلاح الدين يوسف بن ايوب بفتح مارستان للمرضى والضعفاء فاختير له مكان بالقصر وأفرد برسمه من اجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار وغلات جهاتها الفيوم واستخدم له اطباء وطبائعيين وجرائحيين ومشارف وعاملا وخداما ووجد الناس به رفقا واليه مستروحا وبه نفعا وكذلك بمصر أمر بفتح مارستانها القديم وأفرد برسمه من ديوان الاحباس ما تقدير ارتفاعه عشرون دينارا واستخدم له طبيب وعامل ومشارف وارتفق به الضعفاء وكثر بسبب ذلك الدعاء وقال ابن عبد الظاهر كان قاعة بناها العزيز بالله فى سنة اربع وثمانين وثلثمائة وقيل ان القرآن مكتوب فى حيطانها ومن خواصها أنه لا يدخلها نمل لطلسم بها ولما قيل ذلك لصلاح الدين رحمه الله قال هذا يصلح أن يكون مارستانا وسألت مباشريه عن ذلك فقالوا انه صحيح وكان قديما المارستان فيما بلغنى القشاشين وأظنه المكان المعروف بدار الديلم انتهى والقشاشين المذكورة تعرف اليوم بالخراطين المسلوك فيها الى الخميين والجامع الازهر

(التربة المعزية)

كان من جملة القصر الكبير التربة المعزية وفيها دفن المعز لدين الله آباءه الذين احضرهم فى توابيت معه من بلاد المغرب وهم الامام المهدى عبيد الله وابنه القائم بأمر الله محمد وابنه الامام المنصور بنصر الله اسمعيل واستقرت مدفنا يدفن فيه الخلفاء وأولادهم ونساؤهم وكانت تعرف بتربة الزعفران وهو مكان كبير من جملتها الموضع الذى يعرف اليوم بخط الزراكشة العتيق ومن هناك بابها ولما انشأ الامير جهاركس الخليلى خانه المعروف به فى الخط المذكور أخرج ماشاء الله من عظامهم فألقيت فى المزابل على كيمان البرقية ويمتد من هناك من حيث المدرسة البديرية خلف المدارس الصالحية النجمية وبها الى اليوم بقايا من قبورهم وكان لهذه التربة عوايد ورسوم منها أن الخليفة كلما ركب بمظلة وعاد الى القصر لابد أن يدخل الى زيارة آبائه بهذه التربة وكذلك لابد أن يدخل فى يوم الجمعة دائما وفى عيدى الفطر والاضحى مع صدقات ورسوم تفرق قال ابن المامون وفى هذا الشهر يعنى شوال سنة ست عشرة وخمسمائة تنبه ذكر الطائفة النزارية وتقرر بين يدى الخليفة الآمر بأحكام الله أن يسير رسول الى صاحب الموت بعد أن جمعوا الفقهاء من الاسماعيلية والامامية وقال لهم الوزير المأمون البطائحى مالكم من الحجة فى الرد على هؤلاء الخارجين على الاسماعيلية فقال كل منهم لم يكن لنزار امامة ومن اعتقد هذا فقد خرج عن المذهب وضل ووجب قتله وذكروا حججهم فكتب الكتاب ووصلت كتب من خواص الدولة تتضمن أن القوم قويت شوكتهم واشتدت فى البلاد طمعتهم وانهم سيروا الآن ثلاثة آلاف برسم النجوى وبرسم المؤمنين الذين تنزل الرسل عندهم ويحتفون فى محلهم فتقدم الوزير بالفحص عنهم والاحتراز لتام على الخليفة فى ركوبه ومنتزهاته وحفظ الدور والاسواق ولم يزل البحث فى طلبهم الى أن وجدوا فاعترفوا بأن خمسة منهم هم الرسل الواصلون بالمال فصلبوا وأما المال وهو ألفا دينار فان الخليفة أبى قبوله وأمر أن ينفق فى السودان عبيد الشراء وأحضر من بيت المال نظير المبلغ وتقدم بأن يصاغ به قنديلان من ذهب وقنديلان

من فضة وأن يحمل منها قنديل ذهب وقنديل فضة الى مشهد الحسين بثغر عسقلان وقنديل الى التربة المقدسة تربة الائمة بالقصر وأمر الوزير المأمون باطلاق ألفى دينار من ماله وتقدم بأن يصاغ بها قنديل ذهب وسلسلة فضة برسم المشهد العسقلانى وأن يصاغ على المصحف الذى بخط أمير المؤمنين على بن أبى طالب بالجامع العتيق بمصر من فوق الفضة ذهب وأطلق حاصل الصناديق التى تشتمل على مال النجاوى برسم الصدقات عشرة آلاف درهم تفرق فى الجوامع الثلاثة الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وجامع القرافة وعلى فقراء المؤمنين على ابواب القصور وأطلق من الاهراء ألفى اردب قمحا وتصدق على عدة من الجهات بجملة كثيرة واشتريت عدة جوار من الحجر وكتب عتقهن للوقت وأطلق سراحهن وقال فى كتاب الذخائر ان الاتراك طلبوا من المستنصر نفقة فى ايام الشدة فماطلهم وانهم هجموا على التربة المدفون فيها اجداده فأخذوا ما فيها من قناديل الذهب وكانت قيمة ذلك مع ما اجتمع اليه من الآلات الموجودة هناك مثل المداخن والمجامر وحلى المحاريب وغير ذلك خمسين ألف دينار

(القصر النافعى)

قال ابن عبد الظاهر القصر النافعى قرب التربة يقرب من جهة السبع خوخ كان فيه عجائز من عجائز القصر وأقارب الاشراف انتهى وموضع هذا القصر اليوم فندق المهمندار الذى يدق فيه الذهب وما فى قبليه من خان منجك ودار خواجا عبد العزيز المجاورة للمسجد الذى بحذاء خان منجك وما بجوار دار خواجا من الزقاق المعروف بدرب الحبشى وكان حد هذا القصر الغربى ينتهى الى الفندق الذى بالخميين المعروف قديما بخان منكورس ويعرف اليوم بخان القاضى واشترى بعض هذا القصر لما بيع بعد زوال الدولة الامير ناصر الدين عثمان بن سنقر الكاملى المهمندار الذى يعرف بفندق المهمندار بعد أن كان اصطبلا له واشترى بعضه الامير حسام الدين لاجين الايدمرى المعروف بالدرفيل دوادار الملك الظاهر بيبرس وعمره اصطبلا ودارا وهى الدار التى تعرف اليوم بخواجا عبد العزيز على باب درب الحبشى ثم عمل الاصطبل الخان الذى يعرف اليوم بخان منجك وابتنى الناس فى مكان درب الحبشى الدور وزال اثر القصر فلم يبق منه شىء البتة

(الخزائن التى كانت بالقصر)

وكانت بالقصر الكبير عدة خزائن منها خزانة الكتب وخزانة البنود وخزائن السلاح وخزائن الدرق وخزائن السروج وخزانة الفرش وخزانة الكسوات وخزائن الأدم وخزائن الشراب وخزانة التوابل وخزائن الخيم ودار التعبية وخزائن دار افتكين ودار الفطرة ودار العلم وخزانة الجوهر والطيب وكان الخليفة يمضى الى موضع من هذه الخزائن وفى كل خزانة دكة عليها طراحة ولها فراش يخدمها وينظفها طول السنة وله جار فى كل شهر فيطوفها كلها فى السنة

(خزانة الكتب)

قال المسبحى وذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن احمد فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزائنه نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن احمد وحمل اليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبرى اشتراها بمائة دينار فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبرى منها نسخة بخطه وذكر عنده كتاب الجمهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها وقال فى كتاب الذخائر عدة الخزائن التى برسم الكتب فى سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة وان الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة فى شدة المستنصر ألفان وأربعمائة ختمة قرآن فى ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة وغيرهما وان جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الاتراك فى واجبا تهم ببعض قيمته ولم يبق فى خزائن القصر البرانية منه شىء بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التى لا يتوصل اليها ووجدت صناديق مملوءة أقلاما مبرية من براية ابن مقلة وابن البواب وغيرهما قال وكنت بمصر فى العشر الاول من محرم سنة احدى وستين واربعمائة فرأيت فيها خمسة وعشرين جملا موقرة كتبا محمولة الى

دار الوزير ابى الفرج محمد بن جعفر المغربى فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير ابن الموفق فى الدين بايجاب وجبت لهما عما يستحقانه وعلمانهما من ديوان الجيليين وان حصة الوزير أبى الفرج منها قومت عليه من جارى مماليكه وغلمانه بخمسة آلاف دينار وذكر لى من له خبرة بالكتب انها تساوى أكثر من مائة الف دينار ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر فى صفر من السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبى الفرج وابن أبى كدينة وغيرهم لهذا سوى ما كان فى خزائن دار العلم بالقاهرة وسوى ماصار الى عماد الدولة أبى الفضل بن المحترق بالاسكندرية ثم انتقل بعد مقتله الى المغرب وسوى ماظفرت به لواتة محمولا مع ماصار اليه بالابتياع والغصب فى بحر النيل الى الاسكندرية فى سنة احدى وستين وأربعمائة ومابعدها من الكتب الجليلة المقدار المعدومة المثل فى سائر الامصار صحة وحسن خط وتجليد وغرابة التى أخذ جلودها عبيدهم واماؤهم برسم عمل ما يلبسونه فى أرجلهم وأحرق ورقها تأولا منهم انها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره وان فيها كلام المشارقة الذى يخالف مذهبهم سوى ماغرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقى منها مالم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالا باقية الى اليوم فى نواحى آثار تعرف بتلال الكتب وقال ابن الطوير خزانة الكتب كانت فى أحد مجالس المارستان اليوم يعنى المارستان العتيق فيجيء الخليفة راكبا ويترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر اليه من يتولاها وكان فى ذلك الوقت الجليس بن عبد القوى فيحضر اليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب فان عن له أخذ شئ منها أخذه ثم يعيده وتحتوى هذه الخزانة على عدة رفوف فى دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطعة بحواجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وفيها من اصناف الكتب مايزيد على مائتى ألف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات فمنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخ ومنها النواقص التى ما تممت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة ومافيها من المصاحف الكريمة فى مكان فوقها وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ونظائره كابن البواب وغيره وتولى بيعها ابن صورة فى ايام الملك الناصر صلاح الدين فاذا أراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها وفيها ناسخان وفراشان صاحب المرتبة وآخر فيعطى الشاهد عشرين دينارا ويخرج الى غيرها وقال ابن ابى طى بعد ماذكر استيلاء صلاح الدين على القصر ومن جملة ماباعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا ويقال انه لم يكن فى جميع بلاد الاسلام داركتب اعظم من التى كانت بالقاهرة فى القصر ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتا نسخة من تاريخ الطبرى الى غير ذلك ويقال انها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة اشياء كثيرة انتهى ومما يؤيد ذلك أن القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة فى مدة اعوام فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضى الفاضل منها شئ وذكر ابن أبى واصل أن خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مجلد

(خزانة الكسوات)

قال ابن أبى طى وعمل يعنى المعز لدين الله دارا وسماها دار الكسوة كان يفصل فيها من جميع انواع الثياب والبز ويكسوبها الناس على اختلاف أصنافهم كسوة الشتاء والصيف وكانت لاولاد الناس ونسائهم كذلك وجعل ذلك رسما يتوارثونه فى الاعقاب وكتب بذلك كتبا وسمى هذا الموضع خزانة الكسوة وقال عند ذكر انقراض الدولة ومن أخبارهم انهم كانوا يخرجون من خزائن الكسوة الى جميع خدمهم وحواشيهم ومن يلوذ بهم من صغير وكبير ورفيع وحقير كسوات الصيف والشتاء من العمامة الى السراويل ومادونه من الملابس والمناديل من فاخر الثياب ونفيس الملبوس ويقومون لهم بجميع مايحتاجون اليه من نفيس المطعومات والمشروبات وسمعت من يقول انه حضر كسا القصر التى تخرج فى الصيف والشتاء فكان مقدارها ستمائة ألف دينار وزيادة وكانت خلعهم على الامراء الثياب الديبقى والعمائم بالطراز الذهب وكان طراز الذهب والعمامة من خمسمائة دينار ويخلع على اكابر الامراء الاطواق والاسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على

الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر وقال ابن المأمون وجلس الاجل يعنى الوزير المأمون فى مجلس الوزارة لتنفيذ الامور وعرض المطالعات وحضر الكتاب ومن جملتهم ابن أبى الليث كاتب الدفتر ومعهما كان امر به من عمل جرائد الكسوة للشتاء بحكم حلوله وأوان تفرقتها فكان ما اشتمل عليه المنفق فيها السنة ست عشرة وخمسمائة من الاصناف أربعة عشر ألفا وثلثمائة وخمس قطع وان اكثر ما اتفق عن مثل ذلك فى الايام الافضلية فى طول مدتها السنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثمانية آلاف وسبعمائة وخمس وسبعون قطعة يكون الزائد عنها بحكم ما رسم به فى منفق سنة ست عشرة خمسة آلاف وستمائة وأربعا وثلاثين قطعة ووصلت الكسوة المختصة بالعيد فى آخر الشهر وقد تضاعفت عما كانت عليه فى الايام الافضلية لهذا الموسم وهى تشتمل على ذهوب وسلف دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلل لان الحلل فيه تعم الجماعة وفى غيره للاعيان خاصة فأحضر الامير افتخار الدولة مقدم خزانة الكسوة الخاص ليتسلم ما يختص بالخليفة وهو برسم الموكب بدلة خاص جليلة مذهبة ثوبها موشح مجاوم مذايل عدتها باللفافتين احدى عشرة قطعة السلف عنها مائة وستة وسبعون دينارا ونصف ومن الذهب العالى المغزول ثلثمائة وسبعة وخمسون مثقالا ونصف كل مثقال اجرة غزله ثمن دينار ومن الذهب العراقى ألفان وتسعمائة وأربع وتسعون قصبة * تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا منديل بعمود ذهب السلف سبعون وألفان ومائتان وخمسون قصبة ذهبا عراقيا فان كان الذهب تطير المصرى كان الذى يرقم فيه ثلثمائة وخمسة وعشرين مثقالا لان كل مثقال تطير تسع قصبات ذهبا عراقيا وسط سرب بطانة للمنديل السلف عشرة دنانير وسبعون قصبة ذهبا عراقيا ثوب موشح مجاوم مطرف السلف خمسون دينارا وثلثمائة وأحد وخمسون مثقالا ونصف ذهبا عاليا اجرة كل مثقال ثمن دينار تكون جملة مبلغه وقيمة ذهبه ثلثمائة وأربعة وتسعين دينارا ونصفا ثوب دبيقى حريرى وسطانى السلف اثنا عشر دينارا غلالة دبيقى حريرى السلف عشرون دينارا منديل كم اوّل مذهب السلف خمسة دنانير ومائتان وأربع قصبات ذهبا عراقيا منديل كم ثان حريرى السلف خمسة دنانير مجرة السلف أربعة دنانير عرضى مذهب السلف خمسة دنانير وخمسة عشر مثقالا ذهبا عاليا عرضى لفافة التخت دينار واحد ونصف بدلة ثانية برسم الجلوس على السماط عدتها باللفافتين عشر قطع السلف مائة وأربعة عشر دينارا ومن الذهب العالى خمسة وخمسون مثقالا ومن الذهب العراقى سبعمائة وأربعون قصبة تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا منديل السلف ستون دينارا وستمائة قصبة ذهبا عراقيا شقة وكم السلف ستة عشر دينارا وخمسة وخمسون مثقالا ذهبا عاليا اجرة كل مثقال ثمن دينار شقة دبيقى حريرى وسطانى اثنا عشر دينارا شقة دبيقى غلالة ثمانية دنانير منديل الكم الحريرى خمسة دنانير مجرة أربعة دنانير عرضى خمسة دنانير عرضى برسم التخت دينار واحد ونصف وهذه البدلة لم تكن فيما تقدم فى ايام الافضل لانه لم يكن ثم سماط يجلس عليه الخليفة فانه كان قد نقل ما يعمل فى القصور من الاسمطة والدواوين الى داره فصار يعمل هنالك ما هو برسم الاجل أبى الفضل جعفر أخى الخليفة الآمر بدلة مذهبة مبلغها تسعون دينارا ونصف وخمسة وعشرون مثقالا ذهبا عاليا وأربعمائة وسبعون قصبة ذهبا عراقيا تفصيل ذلك منديل السلف خمسون دينارا وأربعمائة وسبعون قصبة ذهبا عراقيا شقة دبيقى حريرى وسطانى السلف عشرة دنانير شقة غلالة دبيقى السلف ثمانية دنانير مجرة ثلاثة دنانير وثلث عرضى دبيقى ثلاثة دنانير الجهة العالية بالدار الجديدة التى يقوم بخدمتها جوهر حلة مذهبة موشح مجاوم مذايل مطرف عدتها خمس عشرة قطعة سلفها ستة آلاف وثلثمائة وثلاثون قصبة تفصيل ذلك مذهب مكلف موشح مجاوم السلف خمسة عشر دينارا وستمائة وستون قصبة سداسى مذهب السلف ثمانية عشر دينارا ومائتا قصبة معجر أوّل مذهب موشح مجاوم مطرف السلف خمسون دينارا وألف وتسعمائة قصبة معجر ثان حريرى السلف خمسة وثلاثون دينارا ونصف رداء حريرى أوّل السلف عشرة دنانير ونصف رداء حريرى ثان السلف تسعة دنانير دراعة موشح مجاوم مذايل مذهبة السلف خمسة وتسعون دينارا ومن الذهب العراقى ألفان وستمائة وخمس وخمسون قصبة شقة دبيقى حريرى وسطانى السلف عشرون دينارا ونصف شقة دبيقى بغير رقم برسم عجز التفصيل ثلاثة دنانير ملاءة دبيقى السلف أربعة وعشرون دينارا وستمائة قصبة منديل

قوله بدلة خاص الخ ما ذكره فى هذه البدلة وما بعدها من الكسوات والحلل تفصيله فى الغالب لم يوافق اجماله على مقتضى ما بيدى من النسخ ولا يخفى ما فى عباراته فى هذا المقام وأمثاله من القلق ومخالفة العربية اه مصححه

كم

كم اوّل السلف ستة دنانير ومائة وستون قصبة منديل كم ثان السلف خمسة دنانير ومائة وستون قصبة منديل كم ثالث السلف خمسة دنانير حجرة ثلاثة دنانير عرضى ديبقى ثلاثة دنانير جهة مكنون القاضى بمثل ذلك على الشرح والعدّة جهة مرشد حلة مذهبة عدّتها أربع عشرة قطعة السلف مائة وأحد وأربعون دينارا ومن الذهب العراقى ألف وستمائة وتسع وثمانون قصبة جهة عنبر مثل ذلك السيدة جهة ظل مثل ذلك جهة منجب مثل ذلك الامير ابو القاسم عبد الصمد بدلة مذهبة الامير داود مثله السيدة العمة حلة مذهبة السيدة العابدة العمة مثل ذلك الموالى الجلساء من بنى الاعمام وهم ابو الميمون بن عبد المجيد والامير ابو اليسر ابن الامير محسن والامير أبو على ابن الامير جعفر والامير حيدرة ابن الامير عبد المجيد والامير موسى ابن الامير عبد الله والامير أبو عبد الله ابن الامير داود لكل منهم بدلة مذهبة البنون والبنات من بنى الاعمام غير الجلساء لكل منهم بدلة حريرى ست سيدات لكل منهنّ حلة حريرى جهة المولى ابى الفضل جعفر التى يقوم بخدمتها ريحان حلة مذهبة جهة المولى عبد الصمد حلة حريرى ما يختص بالدار الجيوشية والمظفرية فعلى ما كان بأسمائهم المستخدمات بخزانة الكسوة الخاص زين الخزان المقدمة حلة مذهبة ست خزان لكل منهنّ حلة حريرى عشر وقافات لكل منهنّ كذلك المعلمة مقدمة المائدة كذلك رايات مقدمة خزانة الشراب كذلك المستخدمات من أرباب الصنائع من القصوريات وممن انضاف اليهنّ من الافضليات مائة وسبعون حلة مذهبة وحريرى على التفصيل المتقدم المستخدمات عند الجهات العالية جهة جوهر عشرون حلة مذهبة وحريرى وكذلك المستخدمات عند مكنون الامراء الاستاذون المحنكون الامير الثقة زمام القصور بدلة مذهبة الامير نسيب الدولة مرشد متولى الدفتر كذلك الامير خاصة الدولة ريحان متولى بيت المال كذلك الامير عظيم الدولة وسيفها حامل المظلة كذلك الامير صارم الدولة صاف متولى الستر كذلك وفىّ الدولة اسعاف متولى المائدة مثله الامير افتخار الدولة جندب بدلة مذهبة نظير البدلة المختصة بالامير الثقة ولكل من غير هؤلاء المذكورين حلة حريرى أربع قطع ولفافة فوطة مختار الدولة ظل بدلة حريرى ستة استاذين فى خزانة الكسوة الخاص عند الامير افتخار الدولة جندب لكل منهم بدلة مذهبة جوهر زمام الدار الجديدة بدلة حريرى تاج الملك امين بيت المال مثله مفلح برسم الخدمة فى المجلس مثله مكنون متولى خدمة الجهة العالية مثله فنون متولى خدمة التربة مثله مرشد الخاصى مثله النوّاب عن الامير الثقة فى زمام القصور وعدّتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى خسروانى العظمى مقدم خزانة الشراب ورفيقه لكل منهما بدلة كذلك الصقالبة أرباب المداب وعدّتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى وشقة وفوطة نائب الستر مثل ذلك الاستاذون برسم خدمة المظلة وعدّتهم خمسة لكل منهم منديل سوسى وشقة دمياطى وشقة اسكندرانى وفوطة الاستاذون الشدّادون برسم الدواب وعدّتهم ستة كذلك ما حمل برسم السيد الاجل المأمون يعنى الوزير بدلة خاصة مذهبة كبيرة موكبية عدّتها احدى عشرة وما هو برسم جهاته وبرسم اولاده الاجل تاج الرياسة وتاج الخلافة وسعد الملك محمود وشرف الخلافة جمال الملك موسى وهو صاحب التاريخ نظير ما كان باسم اولاد الافضل بن امير الجيوش وهم حسن وحسين واحمد الاجل المؤتمن سلطان الملوك يعنى أخا الوزير عن تقدمة العساكر وزم الازمّة وبرسم الجهة المختصة به وركن الدولة عز الملوك ابو الفضل جعفر عن حمل السيف الشريف خارجا عماله من حماية خزانة الكسوات وصناديق النفقات وما يحمل أيضا للخزائن المأمونية مما ينفق منها على من يحسن فى الرأى من الحاشية المأمونية ثلاثون بدلة الشيخ الاجل ابو الحسن بن ابى اسامة كاتب الدست الشريف بدلة مذهبة عدّتها خمس قطع وكم وعرضى الامير فخر الخلافة حسام الملك متولى حجبة الباب بدلة مذهبة كذلك القاضى ثقة الملك ابن النائب فى الحكم بدلة مذهبة عدّتها أربع قطع وكم وعرضى الشيخ الداعى ولىّ الدولة بن أبى الحقيق بدلة مذهبة الامير الشريف ابو على احمد بن عقيل نقيب الاشراف بدلة حريرى ثلاث قطع وفوطة الشريف انس الدولة متولى ديوان الانشاء بدلة كذلك ديوان المكاتبات الشيخ ابو الرضى ابن الشيخ الاجل أبى الحسن النائب عن والده فى الديوان المذكور بدلة مذهبة عدّتها ثلاث قطع وكم ابو المكارم هبة الله اخوه بدلة مذهبة ثلاث قطع وفوطة ابو محمد حسن أخوهما كذلك أخوهم ابو الفتح بدلة حريرى قطعتان وفوطة الشيخ ابو الفضل يحيى بن سعيد الندمى منشئ ما يصدر عن

ديوان المكاتبات ومحرز رمايؤمر به من المهمات بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم ومنزر ابو سعيد الكاتب بدلة حريرى ابو الفضل الكاتب كذلك الحاج موسى المعين فى الالصاق كذلك وأما الكتاب بديوان الانشاء فلم يتفق وجود الحساب الذى فيه اسماؤهم فيذكروا ومن القياس أن يكونوا قريبا من ذلك الشيخ ولى الدولة ابو البركات متولى ديوان المجلس والخاص بدلة مذهبة عدتها خمس قطع وكم وعرضى ولامر أنه حلة مذهبة الشيخ ابو الفضائل هبة الله بن ابى الليث متولى الدفتر وماجع اليه بدلة ابو المجد ولده بدلة حريرى عدى الملك ابو البركات متولى دار الضيافة بدلة مذهبة وبعدما الضيوف الواردون الى الدولة جميعهم منهم من له بدلة مذهبة ومنهم من له بدلة حريرى وكذلك من يتفق حضوره من الرسل على هذا الحكم مقدموا الركاب عفيف الدولة مقبل بدلة مذهبة القائد موفق والقائد تميم مثل ذلك أربعة من المقدمين برسم الشكيمة لكل منهم بدلة حريرى الرواض عدتهم ثلاثة لكل منهم بدلة حريرى الخاص من الفراشين وهم اثنان وعشرون رجلا منهم أربعة يميزون لكل منهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى الاطباء الشديد ابو الحسن على بن ابى الشديد بدلة حريرى ابو الفضل النسطورى بدلة حريرى وكذلك الفئة المستخدمون برسم الحمام وهم ثمانية مقدمهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى والى القاهرة ووالى مصر لكل منهما بدلة مذهبة المستخدمون فى المواكب الامير كوكب الدولة حامل الرمح الشريف وراء الموكب والدرقة المعزية بدلة حريرى حاملا الرمحين المعزية أيضا أمام الموكب بغير درق لكل منهما منديل وشقة وفوطة وهؤلاء الثلاثة رماح ماهى عربية بل هى خشوت قدم بها المعز من المغرب حاملا لواء الحمد المختصان بالخليفة عن يمينه ويساره لكل منهما بدلة متولى بغل الموكب الذى يحمل عليه جميع العدة المغربية بدلة حريرى متولى حمل المظلة كذلك عشرة نفر من صبيان الخاص برسم حمل العشرة رماح العربية المغشاة بالديباج وراء الموكب لكل منهم منديل وشقة وفوطة حامل السبع وراء الموكب بدلة حريرى المقدمون من صبيان الخاص وهم عشرون لكل منهم بدلة عرفاء الفراشين الذين يحطون عن فراشى الخاص وفراشى المجلس وفراشى خزائن الكسوة الخاص لكل منهم بدلة حريرى الفراشون فى خزائن الكسوات المستخدمون بالايوان وهم الذين يشدون ألوية الحمد بين يدى الخليفة ليلة الموسم فانها لا تشد الا بين يديه ويبدأهو باللف عليها بيده على سبيل البركة ويكمل المستخدمون بقية شدها وما سوى ذلك من القضب الفضة وألوية الوزارة وغيرها وعدتهم سبعة لكل منهم منديل سوسى وشقتان اسكندرانى المستخدمون برسم حمل القضب الفضة ولواءى الوزارة أربعة عشر كذلك مشارف خزانة الطيب وكانت من الخدم الجليلة وكان بها اعلام الجوهر التى يركب بها الخليفة فى الاعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد اليها عند الغنى عنها وكذلك السيف والثلاثة رماح المعزية مشارف خزائن السروج بدلة حريرى مشارف خزائن الفرش وكاتب بيت المال ومشارف خزائن الشراب ومشارف خزائن الكتب كل منهم بدلة حريرى بركات الادمى والمستخدمون بالدولة بالباب وسنان الدولة بن الكركندى عن زم الرهجية والمبيت على ابواب القصور وكانت من الخدم الجليلة والصبيان الحجرية المشدون بلواء الموكب بعد المقربين وعدتهم عشرون لكل منهم الكسوة فى الشتاء والعيدين وغيرهما وعدة الذين يقبضون الكسوة فى العيدين من الفراشين اكثر من صبيان الركاب وذلك انهم يتولون الاسمطة ويقفون فى تقدمتها وينفرد عنهم المستخدمون فى الركاب بما لهم من المتحصل فى الخلفات فى العيدين وهو ما مبلغه ستة آلاف دينار ما لاحد معهم فيها نصيب وكان يكتب فى كل كسوة هى برسم وجوه الدولة رقعة من ديوان الانشاء فمما كتب به من انشاء ابن الصيرفى مقترنة بكسوة عيد الفطر من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ولم يزل امير المؤمنين منعما بالرغائب موليا احسانه كل حاضر من اوليائه وغائب مجزلا حظهم من منائحه ومواهبه موصلا اليهم من الحباء ما يقصر شكرهم عن حقه وواجبه وانك أيها الامير لا ولاهم من ذلك بجسيمه واحراهم باستنشاق نسيمه وأخلقهم بالجزء الاوفى منه عند فضه وتقسيمه اذ كنت فى سماء المسابقة بدرا وفى جرائد المناصحة صدرا وممن أخلص فى الطاعة سرا وجهرا وحظى فى خدمة أمير المؤمنين بما عطر له وصفا وسير له ذكرا ولما أقبل هذا العيد السعيد والعادة فيه أن يحسن الناس هيأتهم ويأخذوا عند كل مسجد زينتهم ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف اوليائه وخدمه فيه وفى المواسم التى تجاريه بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف والجمال ولا يبقى بعدها مطمع للآمال وكنت من

أخص الامراء المقدمين قال ووصلت الكسوة المختصة بغرة شهر رمضان وجمعتيه برسم الخليفة للغرة بدلة كبيرة موكبية مكملة مذهبة وبرسم الجامع الازهر للجمعة الاولى من الشهر بدلة موكبية حريري مكملة منديلها وطيلسانها بياض وبرسم الجامع الانور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها شعرى وماهو برسم أخى الخليفة للغرة خاصة بدلة مذهبة وبرسم له مع جهات الخليفة أربع حلل مذهبات وبرسم الوزير للغرة بدلة مذهبة مكملة موكبية وبرسم الجمعتين بدلتان حريري ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير فى ذلك شئ فيذكر ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهى برسم الخليفة تختان ضمنهما بدلتان احداهما منديلها وطيلسانها طميم برسم المضى والاخرى جميعها حريري برسم العود وكذلك مايختص باخونه وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة فى تخت وبرسم اولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم جهته حلة مذهبة فى تخت وبقية مايخص المستخدمين وابن أبى الرداد فى تخوت كل تخت عدة بدلات وحضر متولى الدفتر واستأذن على مايحمل برسم الخليفة ومايفرق ويفصل برسم الخلع ومايخرج من حاصل الخزائن عن الواصل وهو مايفصل برسم الخاص من الغلمان برسم سبعمائة قباء وخمسمائة وشقين سقلاطون دارى وبرسم رؤساء العشاريات من الشقق الدمياطى والمناديل السوسى والفوط الحرير الحمر وبرسم النواتية التى برسم الخاص من العشارية من الشقق الاسكندرانى والكلوتات وقد تقدم تفصيل الكسوات جميعها وعددها واسماء المستقرين لقبضها * وقال فى كتاب الذخائر وحدثنى من أثق به عن ابن عبد العزيز أنه قال قومنا ما اخرج من خزائن القصر يعنى فى سنى الشدة ايام المستنصر من سائر ألوان الخسروانى مايزيد على خمسين ألف قطعة اكثرها مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال أخرج من الخزائن مما حررت قيمته على يدى وبحضرتى اكثر من ألف قطعة وحدثنى ابو الفضل يحيى بن ابراهيم البغدادى أحد أصحاب الدواوين بالحضرة أن الذى تولى ابو سعيد النهاوندى المعروف بالمعمد بيعه خاصة من مخرج القصر دون غيره من الامناء فى مدة يسيرة ثمانية عشر ألف قطعة من بلور ويحكم منها مايساوى الالف دينار الى عشرة دنانير ونيف وعشرون ألف قطعة خسروانى وحدثنى عميد الملك ابو الحسن على بن عبد الكريم فخر الوزراء بن عبد الحاكم أن ناصر الدولة ارسل يطالب المستنصر بما بقى لغلمانه فذكر أنه لم يبق عنده شئ الا ملابسه فأخرج ثمانمائة بدلة من ثيابه بجميع آلاتها كاملة فقومت وحملت اليه وقال ابن الطوير الخدمة فى خزائن الكسوات لها رتبة عظيمة فى المباشرات وهما خزانتان فالظاهرة يتولاها خاصة اكبر حواشى الخليفة اما استاذ أو غيره وفيها من الحواصل مايدل على اسباغ نعم الله تعالى على من يشاء من خلقه من الملابس الشروب والخاص الدبيقى الملونة رجالية ونسائية والديباج الملونة والسقلاطون واليها يحمل مايستعمل فى دار الطراز بتنيس ودمياط واسكندرية من خاص المستعمل وبها صاحب المقص وهو مقدم الخياطين ولاصحابه مكان لخياطتهم والتفصيل يعمل على مقدار الاوامر وماتدعو الحاجة اليه ثم ينقل الى خزانة الكسوة الباطنة ماهو خاص للباس الخليفة ويتولاها امرأة تنعت بزين الخزان ابدا وبين يديها ثلاثون جارية فلا يغير الخليفة ابدا ثيابه الا عندها ولباسه خافيا الثياب الدارية وسعة اكمامها سعة نصف اكمام الظاهر وليس فى جهة من جهاته ثياب اصلا ولا يلبس الا من هذه الخزانة وكان برسم هذه الخزانة بستان من أملاك الخليفة على شاطئ الخليج يعنى ابدا فيه النسرين والياسمين يحمل فى كل يوم منه شئ فى الصيف والشتاء لا ينقطع البتة برسم الثياب والصناديق فاذا كان اوان التفرقة الصيفية او الشتوية شد لمن تقدم ذكره من اولاد الخليفة وجهاته وأقاربه وأرباب الرواتب والرسوم من كل صنف شدة على ترتيب المفروض من شقق الديباج الملون والسقلاطون الى السوسى والاسكندرانى على مقدار فصول الزمان مايقرب من مائتى شدة فالخواص فى العرانى الدبيقى ودونهم فى اوطية حرير ودونهم فى فوط اسكندرية ويدخل فى ذلك كتاب ديوانى الانشاء والمكاتبات دون غيرهم من الكتاب على مقدارهم وذلك يخرج من الجوارى فى الشهر المطلقات * وقال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة بعد وفاة العاضد وكشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقيل ان الموجود فيها مائة صندوق كسوة فاخرة من موشى ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر عظيمة الخطر وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش

(خزائن الجوهر والطيب والطرائف)

قال ابن المأمون وكان بها الاعلام والجوهر التي يركب بها الخليفة في الاعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد اليها عند الغنى عنها وكذلك السيف الخاص والثلاثة رماح المعزية وقال في كتاب الذخائر والتحف وذكر بعض شيوخ دار الجوهر بمصر أنه استدعى يوما هو وغيره من الجوهريين من اهل الخبرة بقيمة الجوهر الى بعض خزائن القصر يعنى في ايام الشدّة زمن المستنصر فأخرج صندوق كيل منه سبعة أمداد زمرّذ قيمتها على الاقل ثلثمائة ألف دينار وكان هنالك ناصر الدولة... ابو محمد الحسن بن حمدان وابن سنان وابن أبي كدينة وبعض المخالفين فقال بعض من حضر من الوزراء المعطلين للجوهريين كم قيمة هذا الزمرّذ فقالوا انما نعرف قيمة الشئ اذا كان مثله موجودا ومثل هذا لاقيمة له ولا مثل فاغتاظ وقال ابن أبي كدينة لفخر العرب كثير المؤنة وعليه خرج فالتفت الى كتاب الجيش وبيت المال فقال يحسب عليه فيه خمسمائة دينار فكتب ذلك وقبضه وأخرج عقد جوهر قيمته على الاقل من ثمانين الف دينار فصاعدا فتحرّيا فيه فقال يكتب بألفى دينار وتشاغلوا بنظر ماسواه وانقطع سلكه فتناثر حبه فأخذ واحد منهم واحدة فجعلها في جيبه وأخذ ابن ابي كدينة اخرى وأخذ فخر العرب بعض الحب وباقى المخالفين التقطوا ما بقى منه وغاض كأن لم يكن وأخذ ما كان انفذه الصليحى من نفيس الدرّ الرفيع الرائع وكيله على ماذكر سبع ويبات وأخذوا ألفا ومائتى خاتم ذهبا وفضة فصوصها من سائر أنواع الجوهر المختلف الالوان والقيم والاثمان والانواع مما كان لاجداده وله وصار اليه من وجوه دولته منها ثلاثة خواتم ذهب مربعة عليها ثلاثة فصوص احدها زمرّذ والاثنان ياقوت سماقىّ ورمّانىّ بيعت باثنى عشر ألف دينار بعد ذلك وأحضر خريطة فيها نحو ويبة جوهر وأحضر الخبراء من الجوهريين وتقدّم اليهم بقيمتها فذكروا أن لاقيمة لها ولا يشترى مثلها الا الملوك فقوّمت بعشرين ألف دينار فدخل جوهر الكاتب المعروف بالمختار عز الملك الى المستنصر وأعلمه أن هذا الجوهر اشتراه جدّه بسبعمائة ألف دينار واسترخصه فتقدم بانفاقه في الاتراك فقبض كل واحد منهم جزأ بقيمة الوقت وفرّق عليهم قال فأما ما أخذ مما في خزائن البلور والمحكم والمينا المجرى بالذهب والمجرود والبغدادى والخبار والمدهون والخلنج والصينىّ والدهبىّ والامدىّ وخزائن الفرش والبسط والستور والتعاليق فلا يحصى كثرة وحدثنى من أثق به من المستخدمين في بيت المال انه أخرج يوما في جملة ما أخرج من خزائن القصر عدة صناديق وان واحدا منها فتح فوجد فيه على مثال كيزان الفقاع من صافى البلور المنقوش والمجرود شئ كثير وان جميعها مملوء من ذلك وغيره وحدثنى من اثق به انه رأى قدح بلور بيع مجرودا بمائتين وعشرين دينارا ورأى خردادى بلور بيع بثلثمائة وستين دينارا وكوز بلور بيع بمائتين وعشرة دنانير ورأى صحون مينا كثيرة تباع من المائة دينار الى مادونها وحدثنى من اثق بقوله انه رأى بطرابلس قطعتين من البلور الساذج الغاية في النقاء وحسن الصنعة احداهما خردادى والاخرى باطية مكتوب على جانب كل واحدة منهما اسم العزيز بالله تسع الباطية سبعة ارطال بالمصرى ماء والخردادى تسعة وانه عرضهما على جلال الملك ابى الحسن علىّ بن عمار فدفع فيهما ثمانمائة دينار فامتنع من بيعهما وكان اشتراهما بمصر من جملة ما اخرج من الخزائن وان الذى تولى بيعه ابو سعيد النهاوندى من مخرج القصر دون غيره من الامناء في مدة يسيرة ثمانية عشر الف قطعة من بلور ومحكم منها ما يساوى الالف دينار الى عشرة دنانير واخرج من صوانى الذهب المجراة بالمينا وغير المجراة المنقوشة بسائر أنواع النقوش المملوء جميعها من سائر أنواعه وألوانه وأجناسه شئ كثير جدّا ووجد فيما وجد قفص خبار مبطنة بالحرير محلاة بالذهب مختلفة الاشكال خالية مما فيها من الاوانى عدتها سبعة عشر ألف غلاف كان في كل قطعة اما بلور مجرود او محكم او ما يشاكله ووجد اكثر من مائة كاس باد زهر ونصب وأشباهها على اكثرها اسم هارون الرشيد وغيره ووجد في خزائن القصر عدة صناديق كثيرة مملوءة سكاكين مذهبة ومفضضة بنصب مختلفة من سائر الجواهر وصناديق كثيرة مملوءة من انواع الدوى المربعة والمدوّرة والصغار والكبار المعمولة من الذهب والفضة والصندل والعود والابنوس الزنجىّ والعاج وسائر أنواع الخشب المحلاة بالجوهر والذهب والفضة وسائر الانواع الغريبة والصنعة المعجزة الدقيقة بجميع آلاتها فيها ما يساوى الالف دينار والاكثر والاقل سوى ما عليها من الجواهر وصناديق مملوءة مشارب ذهب وفضة مخرقة بالسواد صغار وكبار مصنوعة بأحسن

مايكون من الصنعة وعدة ازيار صيني كبار مختلفة الالوان مملوءة كافورا قيصوريا وعدة من جماجم العنبر الشحري ونوافج المسك التبتي وفواريره وشجر العود وقطعه ووجد للسيدة رشيدة ابنة المعز حين ماتت في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ماقيمته ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار من جملته ثلاثون ثوب خز مقطوع واثنا عشر ألفا من الثياب المصمت ألوانا ومائة قاطرميز مملوءة كافورا قيصوريا ومما وجد لها معممات بجواهرها من ايام المعز وبيت هرون الرشيد الخز الاسود الذي مات فيه بطوس وكان من ولي من الخلفاء ينتظرون وفاتها فلم يقض ذلك الا للمستنصر بالله فحازه في خزائنه ووجد لعبدة بنت المعز أيضا وماتت في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة مالا يحصى حدثني بعض خزان القصر أن خزائن السيدة عبدة ومقاصيرها وصناديقها ومايجب أن يختم عليه ذهب من الشمع في خواتيمه على الصحة والمشاهدة اربعون رطلا بالمصري وان بطائق المتاع الموجود كتبت في ثلاثين رزمة ورق ومما وجد لها ايضا اربعمائة قطرة والف وثلثمائة قطعة مينا فضة مخرقة زنة كل مينا عشرة آلاف درهم وأربعمائة سيف محلي بالذهب وثلاثون الف شقة صقلية ومن الجوهر مالا يحد كثرة وزمرذ كيله اردب واحد وأن سيد الوزراء أبا محمد البازوري وجد في موجوداتها طستا وابريقا فلفرط استحسانه لهما سأل المستنصر فيهما فوهبهما له ووجد مدهن ياقوت احمر وزنه سبعة وعشرون مثقالا واخرج أيضا تسعون طستا وتسعون ابريقا من صافي البلور ووجد في القصر خزائن مملوءة من سائر أنواع الصيني منها اجاجين صيني كبار محلاة كل اجانة منها على ثلاثة ارجل على صورة الوحوش والسباع قيمة كل قطعة منها ألف دينار معمولة لغسل الثياب ووجد عدة اقفاص مملوءة بيض صيني معمول على هيئة البيض في خلقته وبياضه يجعل فيها ماء البيض التيمبرشت يوم الفصاد ووجد حصير ذهب وزنها ثمانية عشر رطلا ذكر أنها الحصير التي جليت عليها بوران بنت الحسن بن سهل على المأمون وأخرج ثمان وعشرون صينية مينا مجرا بالذهب بكعوب كان أرسلها ملك الروم الى العزيز بالله قومت كل صينية منها بثلاثة آلاف دينارا نفذ جميعها الى ناصر الدولة ووجد عدة صناديق مملوءة مراءى حديد من صيني ومن زجاج المينا لا يحصى مافيها كثرة جميعها محلى بالذهب المشبك والفضة ومنها المكلل بالجوهر في غلف الكيمخت وسائر أنواع الحرير والخيزران وغيره مضبب بالذهب والفضة وايها المقابض من العقيق وغيره وأخرج من المظال وقضبها الفضة والذهب شئ كثير وأخرج من خزائن الفضة مايقارب الالف درهم من الآلات المصنوعة من الفضة المجراة بالذهب فيها مازنة القطعة الواحدة منه خمسة آلاف درهم الغريبة النقش والصنعة التي تساوي خمسة دراهم بدينار وان جميعه بيع كل عشرين درهما بدينار سوى ما أخذ من العشاريات الموكبية وأعمدة الخيام وقضب المظال والمحوقات والاعلام والقناديل والصناديق والتوقات والرؤوس والسروج واللجم والمناطق التي للعماريات والقباب وغيرها مثل ذلك وأضعافه واخرج من الشطرنج والنرد المعمولة من سائر أنواع الجوهر والذهب والفضة والعاج والابنوس برقاع الحرير والمذهب مالا يحد كثرة ونفاسة وأخرج آلات فضة وزنها ثلثمائة ألف ونيف وأربعون ألف درهم تساوي ستة دراهم بدينار وأخرج اقفاص مملوءة من سائر آلات مصوغة مجراة بالذهب عدتها أربعمائة قفص كبار سبكت جميعها وفرقت على المخالفين وأخرجت أربعة آلاف نرجسية مجوفة بالذهب يعمل فيها النرجس وألفا بنفسجية كذلك وأخرج من خزانة الطرائف ستة وثلاثون ألف قطعة من محكم وبلور وقوم السكاكين بأقل القيم فجاءت قيمتها على ذلك ستة وثلاثين ألف دينار واخرج من تماثيل العنبر اثنان وعشرون ألف قطعة اقل تمثال منها وزنه اثنا عشر منا واكبره يجاوز ذلك ومن تماثيل الخليفة مالا يحد من جملتها ثمانمائة بطيخة كافور وأخرجت الكلوتة المرصعة بالجوهر وكانت من غريب ما في القصر ونفيسه ذكر أن قيمتها ثلاثون ألف دينار ومائة ألف دينار قومت بثمانين ألف دينار وكان وزن مافيهما من الجوهر سبعة عشر رطلا اقتسمها فخر العرب وتاج الملوك فصار الى فخر العرب منها قطعة بلخش وزنها ثلاثة وعشرون مثقالا وصار الى تاج الدين مما وقع اليه حبات در كل حبة ثلاثة مثاقيل عدتها مائة حبة فلما كانت هزيمتهم من مصر نهبت وأخرج من خزائن الطيب خمسة صواري عود هندي كل واحد من تسعة أذرع الى عشرة أذرع وكافور قيصوري زنة كل حبة من خمسة مثاقيل الى مادونها وقطع عنبر وزن القطعة ثلاثة آلاف مثقال واخرج ستار د صيني محمولة على ثلاثة ارجل مل كل وعاء منها مائتا رطل من الطعام وعدة قطع شب

وبادزهر منها جام سعته ثلاثة اشبار ونصف وعمقه شبر مليح الصنعة وقاطرميز بلور فيه صور نابتة تسع سبعة عشر رطلا وبلوجة بلور مجرود تسع عشر ين رطلا وقصرية نصب كبيرة جدا وطابع ند فيه ألف مثقال كان لفخر الدولة ابو الحسن علي بن ركن الدولة بن بويه الديلمي عمله مكتوب في وسطه فخر الدولة شمس الملة وأبيات منها

ومن يكن شمس اهل الارض قاطبة * فنده طابع من الف مثقال

وطاوس ذهب مرصع بنفيس الجوهر عيناه من ياقوت احمر وريشه من الزجاج المينا المجرى بالذهب على ألوان ريش الطاوس وديك من الذهب له عرف مفروق كأكبر ما يكون من اعراف الديوك من الياقوت الاحمر مرصع بسائر الدر والجوهر وعيناه ياقوت وغزال مرصع بنفيس الدر والجوهر وبطنه أبيض قد نظم من در رائع ومجمع سكارج من بلور تخرج منه وتعود فيه قصته أربعة اشبار مليح الصنعة في غلاف خيزران وبطيخة من الكافور في شباك ذهب مرصعة وزنها خالصة سبعون مثقالا من كافور وقطعة عنبر تسمى الخروف وزنها سوى ما يمسكها من الذهب ثمانون منا وبطيخة كافور أيضا وجد ما عليها من الذهب ثلاثة آلاف مثقال ومائة نصب كبيرة واسعة قوائمها منها وبيضة بلخش وزنها سبعة وعشرون مثقالا اشد صفاء من الياقوت الاحمر وقاطرميز بلور مليح التقدير يسع مروقتين قوم في المخرج بثمانمائة دينار دفع الى تاج الملوك فيه بعد ذلك ألف دينار فامتنع من بيعه ومائة جزع يقعد عليها جماعة قوائمها مخروطة منها ونخلة ذهب مكللة بالجوهر وبديع الدر في اجانة ذهب تجمع الطلع والبلح والرطب بشكله ولونه وعلى صفته وهيأته من الجواهر لا قيمة لها وكوز زير بلور يحمل عشرة ارطال ماء ودارج مرصع بنفيس الجوهر لا قيمة له ومزيرة مكللة بحب لؤلؤ نفيس وقبة العشاري وكارنه وكسوة رحله الذي استعمله علي بن احمد الجرجراي وفيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم نقرة واطلق للصناع عن اجرة صياغته وثمن ذهب للطلاء ألفان وتسعمائة دينار وكان سعر الفضة حينئذ كل مائة درهم بستة دنانير وربع سعر ستة عشر درهما بدينار واخرج العشاري الفضي الذي استعمله علي بن احمد لأم المستنصر وكان فيه مائة الف وعشرون الف درهم نقرة وصرف أجرة صياغة وطلاء ألفان وأربعمائة دينار وكسوة بمال جليل واخرج جميع كسا العشاريات التي برسم البرية والبحرية وعدتها ومناطقها ورؤس منجرفات وأهلة وصفريات وكانت اربعمائة ألف دينار لستة وثلاثين عشاريا وعدة مباكيم فضة فيها ما وزنه مائة وتسعة ارطال فضة وأخرج بستان ارضه فضة مخرقة مذهبة وطينه ند وأشجاره فضة مذهبة مصوغة وأثماره عنبر وغيره وزنه ثلثمائة وستة ارطال وبطيخة كافور وزنها ستة عشر ألف مثقال وقطع ياقوت أزرق زنة كل قطعة سبعون درهما وقطع زمرذ زنة كل قطعة ثمانون درهما ونصاب مرآة من زمرذ له طول وثمن كل ذلك أخذه المخالفون

(خزائن الفرش والامتعة)

قال في كتاب الذخائر وحدثني من اثق به عن ابن عبد العزيز الانماطي قال قومنا ما اخرج من خزائن القصر من سائر الخسرواني ما يزيد على خمسين ألف قطعة اكثرها مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال أخرج من الخزائن ما حررت قيمته على يدي وبحضرتي اكثر من مائة الف قطعة وأخرج مرتبة خسرواني حمراء بيعت بثلاثة الاف وخمسمائة دينار ومرتبة قلموني بيعت بألفين وأربعمائة دينار وثلاثون سندسية بيعت كل واحدة منها بثلاثين دينارا ونيف وعشرون الف قطعة خسرواني في هذه لم يقطع منها شئ وكانت قيمة العرض المبيع بأقل القيم وابزر الاثمان في مدة خمسة عشر يوما من صفر سنة ستين وأربعمائة سوى ما نهب وسرق ثلاثون الف الف دينار قبض جميعها الجند والاتراك ليس لاحد منهم درهم واحد قبضه عن استحقاق وحدثني الامير ابو الحسن علي بن الحسن احد مقدمي الحميين بالقصر أن الفراشين دخلوا الى بعض خزائن الفرش لما اشتدت مطالبة المارقي للمستنصر بالمال الى الخزانة المعروفة بخزانة الرفوف وسميت بذلك لكثرة رفوفها ولكل رف منها سلم مفرد فأنزلوا منها ألفي عدل شقق طميم بهديها من سائر أنواع الخسرواني وغيره لم تستعمل بعد وجميع ما فيها مذهب معمول بسائر الاشكال والصور وأنهم فتحوا عدلا منها فوجدوا ما فيه اجلة معمولة للفيلة من

خسرواني احمر مذهب كاحسن ما يكون من العمل وموضع نزول الخاذ الفيل ورجليه ساذجة بغير ذهب
واخرج من بعض الخزائن ثلاثة آلاف قطعة خسرواني احمر مطرز بأبيض في هدبها لم يفصل من كسا بيوت
كاملة بجميع آلاتها ومقاطعها وكل بيت يشتمل على مسانده ومخاده ومساوره ومراتبه وبسطه وعتبه
ومقاطعه وستوره وكل ما يحتاج اليه فيه قال وأخرج من خزائن الفرش من البيوت الكاملة الفرش من القلموني
والديبقي من سائر ألوانه وأنواعه المخمل والخسرواني والديباج الملكي والمطرز وسائر الحرير من جميع أنواعه
وأنواعه ما لا يحصى كثرة ولا يعرف قدره نفاسة واخرج من الحصر والانخاخ السامان المطرزة بالذهب والفضة
وغير المطرزة من المخرمة والطيور والفيلة المصورة بسائر أنواع الصور شئ كثير والتمس بعض الاتراك من
المستنصر مقرمة يعني ستارة سندس اخضر مذهبة فأخرج عدل منها مكتوب عليه مائة وثمانية وثمانون من
جملة اعداد اعدال فيها من المتاع ووجد من الستور الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف ألوانها وأطوالها
عدة مئين تقارب الالف فيها صور الدول وملوكها والمشاهير فيها مكتوب على صورة كل واحد اسمه ومدة ايامه
وشرح حاله واخرج من خزائن الفرش أربعة آلاف رزمة خسرواني مذهب في كل رزمة فرش مجلس ببسطه
وتعاليقه وسائر آلاته منسوجة في خيط واحد باقية على حالها تمس وصار الى فخر العرب مقطع من الحرير
الازرق التستري القرقوبي غريب الصنعة منسوج بالذهب وسائر ألوان الحرير كان المعز لدين الله امر بعمله
في سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة فيه صورة أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومسالكها شبه
جغرافيا وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه
بالذهب او الفضة او الحرير وفي آخره مما امر بعمله المعز لدين الله شوقا الى حرم الله واشهارا لمعالم رسول الله في
سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة والنفقة عليه اثنان وعشرون ألف دينار وصار الى تاج الملوك بيت أرمني احمر
منسوج بالذهب عمل للمتوكل على الله لا مثل له ولا قيمة وبساط خسرواني دفع اليه فيه ألف دينار فامتنع من
بيعه وقال ابن الطوير خزانة الفرش وهي قريبة من باب الملك يحضر اليها الخليفة من غير جلوس ويطوف فيها
ويستخبر عن احوالها ويأمر بادامة الاستعمال وكان من حقوقها استعمال السامان في اماكن خارجها
بالقاهرة ومصر ويعطى مستخدمها خمسة عشر دينارا يعني يوم يطوف بها الخليفة

(خزائن السلاح)

قال في كتاب الذخائر فأما خزائن السيوف والآلات والسلاح فان بعضها اخذ وقسم بين العشرة الثائرين
على المستنصر وهم ناصر الدولة بن حمدان وأخواه وبلدكوس وابن سبكتكين وسلام عليك وشاور بن حسين
حتى صار ذو الفقار الى تاج الملوك وصمصامة عمرو بن معدي كرب وسيف عبد الله بن وهب الراسبي وسيف
كافور وسيف المعز وسيف ابي المعز الى الاعز بن سنان ودرع المعز لدين الله وكانت تساوي ألف دينار وسيف
الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام ودرقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وسيف جعفر الصادق
رضي الله عنه ومن الخود والدروع والتخافيف والسيوف المحلاة بالذهب والفضة والسيوف الحديدية
وصناديق النصول وجعاب السهام الخلنج وصناديق القسي ورزم الرماح الزان الخطية وشدات القسا الطوال
والزرد والبيض مئين ألوف وكان كل صنف منها مفردا عشرات ألوف * وقال ابن الطوير خزانة السلاح يدخل
اليها الخليفة ويطوفها قبل جلوسه على السرير هنالك ويتأمل حواصلها من الكراغندات المدفونة بالزرد
المغشاة بالديباج المحكمة الصناعة والجواشن المبطنة المذهبة والزرديات السابلة برؤسها والخود المحلاة بالفضة
وكذلك اكثر الزرديات والسيوف على اختلافها من العربيات والقلجوريات والرماح القنا والقنطاريات
المدهونة والمذهبة والاسنة البرصانية والقسي لرماية اليد المنسوبة الى صناعها مثل الخطوط المنسوبة الى
اربابها فيحضر اليه منها ما يجيز به ويتأمل النشاب وكانت نصوله مثلثة الاركان على اختلافها ثم قسي الرجل
والركاب وقسي اللولب الذي زنة نصله خمسة ارطال ويرمى من كل سهم بين يديه فينظر كيف مجراه والنشاب الذي
يقال له الجراد وطوله شبر يرمى به عن قسي في مجار معمولة برسمه فلا يدري به الفارس او الراجل الا وقد نفذ فاذا
فرغ من نظر ذلك كله خرج من خزانة الدرق وكنت في المكان الذي هو خان مسرور وهي برسم الاستعمالات

قوله وهم الخ هكذا في النسخ ولم يستوف العشرة فليحرر اه مصححه

للاساطيل من الكبورة الخرجية والخود الجلودية الى غير ذلك فيعطى مستخدمها خمسة وعشرون دينارا ويخلع على متقدم الاستعمالات جوكانية مزيدة حريرا وعمامة لطيفة

(خزائن السروج)

قال فى كتاب الذخائر اخرج فيما اخرج صناديق سروج محلاة بفضة مجراة بسواد ممسوحة وجد على صندوق منها الثامن والتسعون والثلثمائة وعدة ما فيها زيادة على اربعة آلاف سرج واخرج المستنصر من خزائن السروج خمسة آلاف سرج كان ابو سعد ابراهيم بن سهل التسترى دخرها له فيها وتقدم بحفظها كل سرج منها يساوى من سبعة آلاف دينار الى ألف واكثرها عال سبك جميعها وفرق فى الاتراك كان برسم ركابه منها اربعة آلاف سرج وأخذ من خزائن السيدة والدته أربعة آلاف سرج مثلها ودونها صنع بها مثل ذلك * وقال ابن الطوير خزانة السروج تحتوى على ما لا يحتوى عليه مملكة من الممالك وهى قاعة كبيرة بدورها مصطبة علوها ذراعان ومجالسها كذلك وعلى تلك المصطبة متكآت مخلصة الجانبين على كل متكا ثلاثة سروج متطابقة وفوقه فى الحائط وتد مدهون مضروب فى الحائط قبل تبييضه وهو بارز بروزا متكئا عليه المركبات الحلى على بلجم تلك السروج الثلاثة من الذهب خاصة او الفضة خاصة او الذهب والفضة وقلائدها وأطواقها الاعناق الخيل وهى لخاص الخليفة وأرباب الرتب ما زيد على ألف سرج ومنها لجام هو الخاص ومنها الوسط ومنها الدون وهى خيار غيرها برسم العوارى لارباب الرتب والخدم ومنها ما هو قريب من الخاص فيكون عند المستخدم بشداده الدائم وجاريه على الخليفة ما دام مستخدما والعلف مطلق من الاهراء وأما الصاغة فان فيها منهم ومن المركبين والخرازين عدد اجماد ائمين لا يفترون عن العمل وكل مجلس مضبوط بعدد متكآته وما عليها من السروج والاوتاد واللجم وكل مجلس لذلك عند مستخدميه فى العرض فلا يحتمل عليهم منها شئ وكذلك وسط قاعتها بعدة متوالية أيضا والشدادون مطلوبون بالنقائص منها ايام المواسم وهم يحضرونها اوقيمتها فيعرض ويركب ويحضر اليها الخليفة ويطوفها من غير جلوس ويعطى حاميها المتفرقة فى المستخدمين عشرين دينارا ويقال ان الحافظ لدين الله عرضت له فيها حاجة فجاء اليها مع الحامى فوجد الشاهد غير حاضر وختمه عليها فرجع الى مكانه وقال لا يفك ختم العدل الا هو ونحن نعود فى وقت حضوره انتهى وكان الخليفة الآمر بأحكام الله تحدثه نفسه بالسفر الى المشرق والغارة على بغداد فأعد لذلك سروجا مجوفة القرابيص وبطنها بصفائح من قصدير ليجعل فيها الماء وجعل لها فى خافيه صفارة فاذا دعت الحاجة الى الماء شرب منه الفارس وكان كل سرج منها يسع سبعة ارطال ماء وعمل عدة مخالى للخيل من ديباج وقال فى ذلك

دع اللوم عنى لست منى بموثق * فلا بد لى من صدمة المتحقق
وأسقى جيادى من فرات ودجلة * وأجمع شمل الدين بعد التفرق

وأول من ركب المتصرفين فى دولته من خيوله بالمراكب الذهب فى المواسم العزيز بالله نزار بن المعز

(خزائن الخيم)

قال فى كتاب الذخائر وأخبرنى سماه الرؤساء ابو الحسن على بن احمد بن مدبر وزير ناصر الدولة قال اخرج فيما اخرج من خزائن القصر عدة لم تحص من أعدال الخيم والمضارب والقازات والمسطحات والجركاوات والحصون والقصور والشراعات والمشارع والفساطيط المعمولة من الديبقى والمخمل والخسروانى والديباج الملكى والارمنى والبهنساوى والكردوانى والجيد من الحلبى وما اشبه ذلك من سائر ألوانه وأنواعه ومن السندس والطميم أيضا منها المفيل والمسبع والمخيل والمطوس والمطير وغير ذلك من سائر الوحوش والطير والآدميين من سائر الاشكال والصور البديعة الرائعة ومنها الساذج والمنقوش فى ظاهره بغرائب النقوش بجميع آلاتها من الاعمدة الملبسة انابيب الفضة والثياب المذهبة وغير المذهبة من سائر أنواعها وألوانها والصفريات الفضة على أقدارها والحبال الملبسة القطن والحرير والاوتاد وسائر ما يحتاج اليه من جميع آلاتها وعدتها المبطن جميعها بالديبقى الطميم المذهب والخسروانى المذهب وثياب الحرير الصينى والتسترى والمضبب

والرجيجوالشرفى والشعرى والديباج والمريش وسائرأنواع الحريرمن سائرالالوان وأنواعها كبارا وصغارا منها ما يحمل خرقه وأوتاده وعمده وسائرعدته على عشرين بعيرا ودون ذلك وفوقه فالمسطح بيت مربع له اربع حيطان وسقف بستة اعمدة منها عمودان للحائط الواحد المرفوع للدخول والخروج والخيمة ظهرها حائط مربع وسقيفتها الى الباب حائط مربع وأركانها شوارك من الجانبين على قدر القائم وفيها اربعة اعمدة اثنان فى الباب واثنان فى وسطها وكلما زادت زاد عمدها و سقفها ولها حدان مشروكان من الجانبين والشراع حائط فى الظهر مسقف على الرأس بعمودين من أى موضع دارت الشمس حول الى ناحية الشمس والمشرعة فيه مثل المظلة على عمود واحد تام وشراع سابل خلفها من اى موضع دارت الشمس ادير والقبة على حالها * وحدثنى ابو الحسن على بن الحسن الحبى قال اخرجنا فى جملة ما اخرج من خزائن القصر أيام المارقين حين اشتدت المطالبة على السلطان فسطاطا كبيرا اكبر ما يكون يسمى المدورة الكبيرة يقوم على فرد عمود طوله خمسة وستون ذراعا بالكبير ودائر فلكته عشرون ذراعا وقطرها ستة اذرع وثلثا ذراع ودائره خمسمائة ذراع وعدة قطع خرقه اربع وستون قطعة كل قطعة منها تحزم فى عدل واحد يجمع بعضه الى بعض بعرى وشراريب حتى ينصب يحمل خرقه وحباله وعدته على مائة جمل وفى صفريته المعمولة من الفضة ثلاثة قناطير مصرية يحملها من داخلها قضبان حديد من سائر نواحيها تمتلئ ماء من راوية جمل قد صور فى رفرفه كل صورة حيوان فى الارض وكل عقد مليح وشكل ظريف وفيه باذهنج طوله ثلاثون ذراعا فى اعلاه كان ابو محمد الحسن بن عبد الرحمن البازورى أمر بعمله ايام وزارته فعمله الصناع وعدتهم مائة وخمسون صانعا فى مدة تسع سنين واشتملت النفقة عليه على ثلاثين ألف دينار وكان عمله على مثال القاتول الذى كان العزيز بالله امر بعمله ايام خلافته الا أن هذا أعلى عمودا منه وأوسع وأعظم وأحسن وكان الخليفة انفذ الى متملك الروم فى طلب عمودين للفسطاط طول كل واحد منهما سبعون ذراعا بعد أن غرم عليهما ألف دينار أحدهما فى هذا الفسطاط بعد أن قطع منه خمسة اذرع والآخر حمله ناصر الدولة بن حمدان حين خرج على الخليفة المستنصر بالله الى الاسكندرية وما ادرى ما فعل به قال وأقمنا مدة طويلة فى تفصيل بعضه من بعض وتقطيعه خرقا وشقفا وقومت على المذكورين بأقل القيم وتفرق فى الآفاق وقال لى أيضا أخرجنا مسطحا قلمونيا مخملا موجها من جانبيه عمل بتنيس للعزيز بالله يسمى دار البطيخ وسطه بكنيس على ستة اعمدة اربعة منها فى اركان الكنيس وفى اربعة الاركان أربع قباب ومن القبة الى القبة رواق دائر عليه والقباب دونه وفى كل قبة أربعة أعمدة طول كل عمود من أعمدة الكنيس ثمانية عشر ذراعا وكذلك طول قائم القباب وفعلنا به مثل ما فعلنا فى الاول وقال لى أخرجنا مسطحا عمل للظاهر لاعزاز دين الله بتنيس ذهب فى ذهب طميم قائم على عموده ست صفارى بلور وستة أعمدة فضة انفق عليه أربعة عشر ألف دينار ومسطحا ديقيا كبيرا مذهبا بدائر كردوانى منقوش وأخرجنا قصورا تحيط بالخيام بشرفات من المخمل والقلمونى والديقى والديباج الخسروانى والحرير من سائر أنواعه وألوانه المذهبة المنقوشة بحياضها ودككها ومصاطبها وقدورها وزجاجها وسائر عددها وأخرجنا من الخيام الكردوانى شيأ كثيرا وأخرجنا خيمة كبيرة مدورة كردوانى مليحة النقش والصنعة عدتها قطع كثيرة طول عمودها خمسة وثلاثون ذراعا فعلنا بجميعها مثل ما فعلنا بالاول وأخرج فى جملتها الفسطاط الكبير المعروف بالمدورة الكبيرة المتولى عمله بحلب ابو الحسن على بن احمد المعروف بابن الايسر فى سنى نيف وأربعين وأربعمائة المنفق على خرقه ونقشه وعمله وعدته ثلاثون ألف دينار الذى عموده أطول ما يكون من صوارى درامين الروم البنادقة أربعون ذراعا ودائر فلكة عموده أربعة وعشرون شبرا ويحمل على سبعين جملا ووزن صفريته الفضة قنطاران سوى أنابيب عمده ويتولى اتقان عمده ونصبه مائتا رجل من فراش ومعين وهو شبيه بالقاتول العزيزى وسمى بالقاتول لانه ما نصب قط الا وقتل رجلا أو رجلين ممن يتولى اتقانه من فراش وغيره قال ووجد فى خزائن مملوءة من سائر أنواع الصوانى المدهونة ببغداد المذهبة التى حشيت كل واحدة منها بما دونها فى السعة الى ما سعته دون الدرهم ومن سائر أنواع الاطباق الخلع الرازى فى هذه السعة وفوق ذلك ودونه قد حشيت بطونها بما دونها فى السعة الى ما سعته دون الدينار ومن الموائد القوائمية الصغار والكبار ألوف ومن موائد الكرم وما اشبهها شئ كثير ومن الجفان الحور الواسعة التى قد عملت مقابضها من الفضة وحليت بأنواع

الحلى التى لا يقدر الجمل القوى على حمل جفنتين منها لعظمها تساوى الواحدة منها مائة دينار وفوقها ودونها شئ كثير ووجد من الدكك والمحاريب والاسرّة العود والصندل والعاج والابنوس والبقم شئ كثير مليح الصنعة * وقال ابن ميسر وعمل الافضل بن امير الجيوش خيمة سماها خيمة الفرح اشتملت على ألف ألف واربعمائة ألف ذراع وقائمها ارتفاعه خمسون ذراعا بذراع العمل صرف عليها عشرة آلاف دينار ومدحها جماعة من الشعراء

(خزانة الشراب)

قال ابن المأمون ولم يكن فى الايوان فيما تقدم شراب حلو بل انها قررت لاستقبال النظر المأمونى واطلق لها من السكر مائة وخمسة عشر قنطارا وبرسم الورد المربى خمسة عشر قنطارا وأما ما يستعمل بالكافورى من الحلو الفانيذ والحامض فالمبلغ فى ذلك على ما حصره شاهده فى السنة ستة الاف وخمسمائة دينار وما يحمل للكافورى أيضا برسم كرك الماورد ما يستدعيه متولى الشراب * وقال ابن الطوير خزانة الشراب وهى أحد مجالسه أيضا يعنى القاعة التى هى الآن المارستان العتيق فاذا جلس الخليفة على السرير عرض عليه ما فيها حاصلا وهو من كبار الاستاذين وشاهدها فيحضر اليه فراشوها بين يدى مستخدمها من عيون الاصناف العالية من المعاجين العجيبة فى الصينى والطباقير الخلنج فيذوق ذلك شاهدها بحضرته ويستخبر عن احوالها بحضور أطباء الخاص وفيها من الآلات والازيار الصينى والبرانى عدّة عظيمة للورد والبنفسج والمرسين وأصناف الادوية من الراوند الصينى وما يجرى مجراه مما لا يقدر احد على مثله الاهنالك وما يدخل فى الادوية من آلات العطر الى ذلك ويسأل عن الدرياق الفاروق ويأمرهم بتحصيل اصنافه ليستدرك عمله قبل انقطاع الحاصل منه ويؤكد فى ذلك تأكيدا عظيما ويستأذن على ما يطلق منها برقاع اطباء الخاص للجهات وحواشى القصر فيأذن فى ذلك ويعطى الحاضى للتفرقة فى الجماعة ثلاثين دينارا

(خزانة التوابل)

وقال ابن المأمون فأما التوابل العالى منها والدون فانها جملة كثيرة ولم يقع لى شاهدها بل انى اجتمعت بأحد من كان مستخدما فى خزانة التوابل فذكر أنها تشتمل على خمسين ألف دينار فى السنة وذلك خارج عما يحمل من البقولات وهى باب مفرد مع المستخدم فى الكافورى والذى استقر اطلاقه على حكم الاستيمار من الجرايات المختصة بالقصور والرواتب المستجدة والمطلق من الطيب ويذكر الطراز وما يبتاع من الثغور ويستعمل بها وغير ذلك فأولها جراية القصور وما يطلق لها من بيت المال ادرارا الاستقبال النظر المأمونى ستة آلاف وثمانمائة وثلاثة وأربعون دينارا تفصيله منديل الكم الخاص الآمرى فى الشهر ثلاثة آلاف دينار عن مائة دينار كل يوم اربع جمع الحمام فى كل جمعة مائة دينار أربعمائة دينار وبرسم الاخوة والاخوات والسيدة الملكة والسيدات والامير أبى على واخوته والموالى والمستخدمات ومن استجدّ من الافضليات ألفان وتسعمائة وثلاثة وأربعون دينارا ولم يكن للقصور فى الايام الافضلية من الطيب راتب فيذكر بل كان اذا وصلت الهدية والحاوى من البلاد اليمنية تحمل برمّتها الى الايوان فينتقل منها بعد ذلك للافضل والطيب المطلق للخليفة من جملتها فانفسخ هذا الحكم وصار المرتب من الطيب مياومة ومشاهرة ومساناة على ما يأتى ذكره ما هو برسم الخاص الشريف فى كل شهر ندّ مثلث ثلاثون مثقالا عود صينى مائة وخمسة دراهم كافور قديم خمسة عشر درهما عنبر خام عشرة مثاقيل زعفران عشرون درهما ماء ورد ثلاثون رطلا برسم بخور المجلس الشريف فى كل شهر فى ايام السلام ندّ مثلث عشرة مثاقيل عود صينى عشرون درهما كافور قديم ثمانية دراهم زعفران شعر عشرة دراهم ما هو برسم بخور الحمام فى كل ليلة جمعة عن أربع جمع فى الشهر ندّ مثلث أربعة مثاقيل عود صينى عشرة مثاقيل ما هو برسم السيدات والجهات والاخوة فى كل شهر ندّ مثلث خمسة وثلاثون مثقالا عود صينى مائة وعشرون درهما زعفران شعر خمسون درهما عنبر خام عشرون مثقالا كافور قديم عشرون درهما مسك خمسة عشر مثقالا ماء ورد أربعون رطلا ما هو برسم المائدة الشريفة ما تستلمه المعلمة مسك خمسة عشر مثقالا ماء ورد خمسة عشر رطلا ما هو برسم خزانة الشراب الخاص مسك ثلاثة مثاقيل ندّ

مثات سبعة مثاقيل عود صيفى خمسة وثلاثون درهما ماء ورد عشرون رطلا ماهو برسم بخور المواكب
السنة وهى الجمعتان الكائنتان فى شهر رمضان برسم الجامعين بالقاهرة يعنى الجامع الازهر والجامع الحاكى
والعيدان وعيد الغدير وأول السنة بالجوامع والمصلى ند خاص جملة كثيرة لم تحقق فتذكر ولم يكن للغرتين
غرة السنة وغرة شهر رمضان وفتح الخليج بخور فيذكر وعدة المبخرين فى المواكب ستة ثلاثة عن اليمين وثلاثة
عن الشمال وكل منهم مشدود الوسط وفى كمه سفم برسم تجبيل المدخنة والمداخن فضة وحامل الدرج الفضة الذى
فيه البخور أحد مقدمى بيت المال وهو فيما بين المبخرين طول الطريق ويضع بيده البخور فى المدخنة واذا مات
أحد هؤلاء المبخرين لايخدم عوضا عنه الامن يتبرع بمدخنة فضة لان لهم رسوما كثيرة فى المواسم مع قربهم
فى المواكب من الخليفة ومن الوقت الذى يتبرع فيه بالمدخنة يرجع فى حاصل بيت المال واذا توفى حاملها
لاترجع لورثته وعدة ما يبخر فى الجوامع والمصلى غير هؤلاء فى مداخن كبار فى صوانى فضة ثلاث صوان فى
المحراب احداهن وعن يمين المنبر وشماله اثنتان وفى الموضع الذى يجلس فيه الخليفة الى أن تقام الصلاة
صينية رابعة وأما البخور المطلق برسم المأمون فهو فى كل شهر ند مثات خمسة عشر مثقالا عود صيفى ستون
درهما عنبر خام ستة مثاقيل كافور ثمانية دراهم زعفران شعر عشرة دراهم ماء ورد خمسة عشر رطلا
ومنها مقرر المجامع وماقرر من خزانة التفرقة فى كل يوم اثنا عشر مجمعا كل بيت عياره رطل واحد ولكل مجمع
ثلاثة ارطال جبن قريش وفاكهة بنصف درهم والمستقر لهذه المجامع فى كل يوم من اللبن خمسة وثمانون رطلا
ومنها مقرر الحلوى والفستق ومما استجد ما يعمل فى الايوان برسم الخاص فى كل يوم من الحلوى اثنا عشر
جاما رطبة ويابسة نصفين وزن كل جام من الرطب عشرة ارطال ومن اليابس ثمانية ارطال ومقرر الخشكانج
والبسندود فى كل ليلة على الاستمرار برسم الخاص الآمرى والمأمونى قنطار واحد سكر ومثقالان مسك
ودينارات برسم المؤن لعمل خشكانج وبسندود فى قعبان وسلال صفصاف ويحمل ثلثاذلك الى القصر
والثلث الى الدار المأمونية قال وجرت مفاوضة بين متولى بيت المال ودار الفطرة بسبب الاصناف ومن جملتها
الفستق وقلة وجوده وتزايد سعره الى أن بلغ رطل ونصف بدينار وقد وقف منه لارباب الرسوم ما حصل
شكواهم بسببه فجاوبه متولى الديوان بأن قال ما تم موجب الانفاق لما هو راتب من الديوان وطالع المقام
العالى بأنه لما رسم لهما ذكرا جميع ما اشتمل عليه ما هو مستقر الانفاق من قلب الفستق والذى يطلق من
الخزائن من قلب الفستق ادرارا مستقرا بغير استدعاء ولا توقيع مياومة كل يوم حسابا فى الشهر التام عن ثلاثين
يوما خمسمائة وخمسة وثمانون رطلا وفى الشهر الناقص عن تسعة وعشرين يوما خمسمائة وخمسة وستون رطلا
حسابا عن كل يوم تسعة عشر رطلا ونصف من ذلك ما يستلمه الصناع الحلاويون والمستخدمون بالايوان
مما يصنع به خاص خارجا عما يصنع بالمطابخ الآمرية عن اثنى عشر جام حلوى خاص وزنها مائة وثمانية ارطال
منها رطب ستون رطلا ويابس وغيره ثمانية وأربعون رطلا مما يحمل فى يومه وساعته منها ما يحمل مختوما برسم
المائدتين الآمريتين بالباذهنج والدار الجديدة اللتين ما يحضرهما الا من كبرت منزلته وعظمت وجاهته
جامان رطبا ويابسا وما يفرق فى العوالى من الموالى والجهات على اوضاع مختلفة تسع جامات وما يحمل الى الدار
المأمونية برسم المائدة بالدار دون السماط جام واحد تتمة المياومة المذكورة ما يتسلمه مقدم الفراشين فى
خدمة المائدة الشريفة التى تولاها المعلمة بالقصور الزاهرة أربعة ارطال فستق ما يتسلمه الشاهد والمشارف
على المطابخ الآمرية مما يصنع فيها برسم الجامات الحلوى وغيره مما يكون على المدورة فى الاسمطة المستمرة بقاعة
الذهب فى ايام السلام وفى ايام الركوبات وحلول الركاب بالمناظر أربعة ارطال وما يتسلمه الحاج مقبل الفراش
برسم المائدة المأمونية مما يوصله لزمام الدار دون المطابخ الرجالية رطلان الحكم الثانى يطلق مشاهرة بغير
توقيع ولا استدعاء باسماء كبراء الجهات والمستخدمين من الاصحاب والحواشى فى الخدم المميزة وهو
فى الشهر ثلاثة عشر رطلا والديوان شاهد باسماء أربابه وما يطلق من هذه الخزائن السعيدة بالاستدعاآت
والمطالعات ويوقع عليه بالاطلاق من هذا الصنف فى كل سنة على ما يأتى ذكره وما يستدعى برسم
التوسعة فى الراتب عند تحويل الركاب العالى الى اللؤلؤة مدة ايام النيل المبارك فى كل يوم رطلان وما يستدعى
برسم الصيام مدة تسعة وخمسين يوما رجب وشعبان حسابا عن كل يوم رطلان مائة وثمانية عشر رطلا

ومايستدعى لما يصنع بدار الفطرة فى كل ليلة برسم الخاص خشكانج لطيفة وبسندود وجوارشات ونواطف ويحمل فى سلال صفصاف لوقته عن مدة أولها مستهل رجب وآخرها سلخ رمضان عن تسعة وثمانين يوما مائة وثمانية وسبعون رطلا لكل ليلة رطلان ويسمى ذلك بالتعبية ومايستدعيه صاحب بيت المال ومتولى الديوان فيما يصنع بالايوان الشريف برسم الموالد الشريفة الاربعة النبوى والعلوى والفاطمى والآمرى مما هو برسم الخاص والموالى والجهات بالقصور الزاهرة والدار المأمونية والاصحاب والحواشى خارجا عما يطلق مما يصنع بدار الوكالة ويفرق على الشهود والمتصدرين والفقراء والمساكين مما يكون حسابه من غير هذه الخزائن عشرون رطلا قلب فستق حسابا لكل يوم مولد منها خمسة ارطال مايستدعى برسم ليالى الوقود الاربع الكائنات فى رجب وشعبان مما يعمل بالايوان برسم الخاصين والقصور خاصة عشرون رطلا لكل ليلة خمسة ارطال وأما ما ينصرف فى الاسمطة والليالى المذكورات فى الجامع الازهر بالقاهرة والجامع الطاهرى بالقرافة فالحكم فى ذلك يخرج عن هذه الخزائن ويرجع الى مشارف الدار السعيدة وكذلك مايستدعيه المستخدمون فى المطابخ الآمرية من التوسعة من هذا الصنف المذكور فى جملة غيره برسم الاسمطة المدة تسعة وعشرين يوما من شهر رمضان وسلخه لاسماط فيه وفى الاعياد جميعها بقاعة الذهب ومايستدعيه النائب برسم ضيافة من يصرف من الامراء فى الخدم الكبار ويعود الى الباب ومن يرد اليه من جميع الضيوف ومايستدعيه المستخدمون فى دار الفطرة برسم فتح الخليج وهى الجلنتان الكبيرتان فجميع ذلك لم يكن فى هذه الخزائن محاسبته ولاذكر جملته والمعاملة فيه مع مشارف الدار السعيدة وأما ما يطلق من هذا الصنف من هذه الخزائن فى هذه الولائم والافراح وارسال الانعام فهو شئ لم تتحقق اوقاته ولا مبلغ استدعائه أنهى المملوكان ذلك والمجلس فضل السمو والقدرة فيما يأمر به ان شاء الله تعالى

(دار التعبية)

قال ابن المأمون دار التعبية كانت فى الايام الافضلية تشتمل على مبلغ يسير فانتهى الامر فيها الى عشرة دنانير كل يوم خارجا عما هو موظف على البساتين السلطانية وهو النرجس والنينوفر ان الاصفر والاحمر والنخل الموقوف برسم الخاص ومايصل اليه من الفيوم وثغر الاسكندرية ومن جملتها تعبية القصور للجهات والخاص والسيدات ولدار الوزارة وتعبية المناظر فى الركوبات الى الجمع فى شهر رمضان خارجا عن تعبية الحامات ومايحمل كل يوم من الزهرة وبرسم خزانة الكسوة الخاص وبرسم المائدة وتفرقة الثمرة الصيفية فى كل سنة على الجهات والامراء والمستخدمين والحواشى والاصحاب ومايحمل لدار الوزارة والضيوف وحاشية دار الوزارة

(خزانة الادم)

قال وأما الراتب من عند بركات الادمى فانه فى كل شهر ثمانون زوجا اوطيسة من ذلك برسم الخاص ثلاثون زوجا برسم الجهات أربعون زوجا برسم الوزارة عشرة أزواج خارجا عن السباعيات فانها تستدعى من خزانة الكسوة وفى كل موسم تكون مذهبة

(خزائن دار افتكين)

قال ابن الطوير وكانت لهم دار كبرى يسكنها نصر الدولة أفتكين الذى رافق نزار بن المستنصر بالاسكندرية جعلوها برسم الخزن فقيل خزائن دار أفتكين وتحتوى على أصناف عديدة من الشمع المحمول من الاسكندرية وغيرها وجميع القلوب المأكولة من الفستق وغيره والاعسال على اختلاف أصنافها والسكر والقند والشيرج والزيت فيخرج من هذه الخزائن بيد حاميها وهو من الاستاذين المميزين ومشارفها وهو من المعدلين راتب المطابخ خاصا وعاما اليوم اولايام ينفق منها للمستخدمين ثم لارباب التوقيعات من الجهات وأرباب الرسوم فى كل شهر من ارباب الرتب حتى لايخرج عما يحتاجونه فيها الا اللحم والخضراوات فهى أبدا معمورة بذلك انتهى

(خبر نزار وأفتكين) لما مات الخليفة المستنصر بالله ابو تميم معدّ بن الامام الظاهر لاعزاز دين الله أبي الحسن على بن الحاكم بأمر الله أبي على منصور في ليلة الخميس الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة بادر الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي الى القصر وأجلس أبا القاسم احمد بن المستنصر في منصب الخلافة ولقبه بالمستعلي بالله وسير الى الامير نزار والامير عبد الله والامير اسماعيل اولاد المستنصر فجاؤا اليه فاذا اخوهم أحمد وهو أصغرهم قد جلس على سرير الخلافة فامتعضوا لذلك وشق عليهم وأمرهم الافضل بتقبيل الارض وقال لهم قبلوا الارض لمولانا المستعلي بالله وبايعوه فهو الذي نص عليه الامام المستنصر قبل وفاته بالخلافة من بعده فامتنعوا من ذلك وقال كل منهم ان أباه قد وعده بالخلافة وقال نزار لو قطعت ما بايعت من هو أصغر مني سنا وخط والدي عندي بأني ولي عهده وأنا احضره وخرج مسرعا ليحضر الخط فمضى لا يدري به أحد وتوجه الى الاسكندرية فلما أبطأ مجيئه بعث الافضل اليه ليحضر بالخط فلم يعلم له خبرا فانزعج لذلك انزعاجا عظيما وكانت نفرة نزار من الافضل لامور منها أنه خرج يوما فاذا بالافضل قد دخل من باب القصر وهو راكب فصاح به نزار انزل يا أرمني الجنس فحقدها عليه وصار كل منهما يكره الآخر ومنها أن الافضل كان يعارض نزارا في ايام أبيه ويستخف به ويضع من حواشيه واسبابه ويبطش بغلمانه فلما مات المستنصر خافه لانه كان رجلا كبيرا وله حاشية واعوان فقدم لذلك احمد بن المستنصر بعد ما اجتمع بالامراء وخوفهم من نزار ومازال بهم حتى وافقوه على الاعراض عنه وكان من جملتهم محمود بن مصال فسير خفية الى نزار وأعلمه بما كان من اتفاق الافضل مع الامراء على اقامة أخيه احمد وادارته لهم عنه فاستعد الى المسير الى الاسكندرية هو وابن مصال فلما فارق الافضل ليحضر اليه بخط أبيه خرج من القصر متنكرا وسار هو وابن مصال الى الاسكندرية وبها الامير نصر الدولة أفتكين أحد مماليك امير الجيوش بدر الجمالي ودخلا عليه ليلا وأعلماه بما كان من الافضل وتراميا عليه ووعده نزار بأن يجعله وزيرا مكان الافضل فقبلهما أتم قبول وبايع نزارا وأحضر أهل الثغر لمبايعته فبايعوه ونعته بالمصطفى لدين الله فبلغ ذلك الافضل فأخذ يتجهز لمحاربتهم وخرج في آخر المحرم سنة ثمان وثمانين بعساكره وسار الى الاسكندرية فبرز اليه نزار وأفتكين وكانت بين الفريقين عدة حروب شديدة انكسر فيها الافضل ورجع بمن معه منهزما الى القاهرة فقوى نزار وأفتكين وصار اليهما كثير من العرب واشتد امر نزار وعظم واستولى على بلاد الوجه البحري وأخذ الافضل يتجهز ثانيا الى المسير لمحاربة نزار ودس الى اكابر العربان ووجوه اصحاب نزار وافتكين وصاروا الى الاسكندرية فنزل الافضل اليها وحاصرها حصارا شديدا وألح في مقاتلتهم وبعث الى اكابر اصحاب نزار ووعدهم فلما كان في ذي القعدة وقد اشتد البلاء من الحصار جمع ابن مصال ماله وفرّ في البحر الى جهة بلاد المغرب ففت ذلك في عضد نزار وتبين فيه الانكسار واشتد الافضل وتكاثرت جموعه فبعث نزار وأفتكين اليه يطلبان الامان منه فأمنهما ودخل الاسكندرية وقبض على نزار وافتكين وبعث بهما الى القاهرة فأما نزار فانه قتل في القصر بان اقيم بين حائطين بنيا عليه فمات بينهما وأما افتكين فانه قتله الافضل بعد قدومه ودار افتكين هذه كانت خارج القصر وموضعها الآن حيث مدرسة القاضي الفاضل وآدره بدرب ملوخيا

(خزانة البنود)

البنود هي الرايات والاعلام ويشبه أن تكون هي التي يقال لها في زمننا العصائب السلطانية وكانت خزانة البنود ملاصقة للقصر الكبير ومن حقوقه فيما بين قصر الشوك وباب العيد بناها الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ابو هاشم على بن الحاكم بأمر الله وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين في سائر الصنائع وكانت ايام الظاهر هذا سكونا وطمأنينة وكان مشتغلا بالاكل والشرب والتنزه وسماع الاغاني وفي زمانه تأنق اهل مصر والقاهرة في اتخاذ الاغاني والرقاصات وبلغ من ذلك المبالغ العجيبة واتخذت له حجرة المماليك وكانوا يعلمونهم فيها أنواع العلوم وأنواع آلة الحرب وصنوف حيلها من الرماية والمطاعنة والمسابقة وغير ذلك * وقال في كتاب الذخائر والتحف والمواهب السلطان يعني الخليفة المستنصر لسعد الدولة المعروف بسلام عليك ما في خزانة البنود من جميع المتاع والآلات وغير ذلك في اليوم السادس من صفر سنة احدى وستين وأربعمائة حمل جميعه ليلا وكان فيما وجد

سعد الدولة فيها ألفا وتسعمائة درقة الى ماسوى ذلك من آلات الحرب وماسواه وغير ذلك من القضب الفضة والذهب والبنود وماسواه وفى خلال ذلك سقط من بعض الفراشين مقط شمع موقد نارا فصادف هنالك اعدال كتان ومتاعا كثيرا فاحترق جميعه وكانت لتلك غلبة عظيمة وخوف شديد فيما يليها من القصر ودور العامة والاسواق وأعلمنى من له خبرة بما كان فى خزانة البنود أن مبلغ ما كان فيها من سائر الآلات والامتعة والذخائر لايعرف له قيمة عظما وان المتفق فيها فى كل سنة من سبعين ألف دينار الى ثمانين ألف دينار من وقت دخول القائد جوهر وبناء القصر من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة الى هذا الوقت وذلك زائد عن مائة سنة وان جميعه باق فيها على الايام لم يتغير وان جميعه احترق حتى لم يبق منه باقية ولا اثر وانه احترق فى هذه الليلة من قربات النفط عشرات الوف ومن زراقات النفط أمثالها فأما الدرق والسيوف والرماح والنشاب فلا تحصى بوجه ولا سبب مع مافيها من قضب الفضة وثيابها المذهبة وغيرها والبنود المجلدة وسروج ولجم وثياب الفرجية المصبغات والبنادين وغيرها بعد أن أخذوا ماقدروا عليه حتى لواء الحمد وسائر البنود وجميع العلامات والالوية وحدثنى من اثق به أيضا انه احترق فيها من السيوف عشرات ألوف ومالا يحصى كثرة وان السلطان بعد ذلك بمدة طويلة احتاج الى اخراج شئ من السلاح لبعض مهماته فاخرج من خزانة واحدة مما بقى وسلم خمسة عشر ألف سيف مجوهرة سوى غيرها حدثنى بجميعه الاجل عظيم الدولة متولى الستر الشريف انتهى * وجعلت خزانة البنود بعد هذا الحريق حبسا وفيها يقول القاضى المهذب بن الزبير لما اعتقل بها وكتب بها للكامل ابن شاور

ايا صاحبى سجن الخزانة خليا * نسيم الصبا يرسل الى كبدى نفحا
وقولا لضوء الصبح هل أنت عائد * الى نظرى ام لا أرى بعدها صبحا
ولا تيأسا من رحمة الله أن أرى * سريعا بفضل الكامل العفو والصفحا

وقال

ايا صاحبى سجن الخزانة خليا * من الصبح مايبدو سناه لناظرى
فوالله ماأدرى اطرفى ساهر * على طول هذا الليل ام غير ساهر
ومالى من اشكو اليه اذا كما * سوى ملك الدنيا شجاع بن شاور

واستمرت سجنا للامراء والوزراء والاعيان الى أن زالت الدولة فاتخذها ملوك بنى ايوب أيضا سجنا تعتقل فيه الامراء والمماليك * ومن غريب ماوقع بها أن الوزير أحمد بن على الجرجرائى لما توفى طلب الوزارة الحسن بن على الانبارى فاجيب اليها فتعجل من سوء التدبير قبل تمامه مافوته مراده وضيع ماله ونفسه وذلك انه كان قد نبغ فى ايام الحاكم بأمر الله أخوان يهوديان يتصرف أحدهما فى التجارة والآخر فى الصرف وبيع مايحمله التجار من العراق وهما ابو سعد ابراهيم وأبو نصر هرون ابنا سهل التسترى واشتهر من أمرهما فى البيوع واظهار مايحصل عندهما من الودائع الخفية لمن يفقد من التجار فى القرب والبعد ما ينشأ به جميل الذكر فى الآفاق فاتسع حالهما لذلك واستخدم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله أبا سعد ابراهيم بن سهل التسترى فى ابتياع مايحتاج اليه من صنوف الامتعة وتقدم عنده فباع له جارية سوداء فتحظى بها الظاهر وأولدها ابنه المستنصر فرعت لابى سعد ذلك فلما أفضت الخلافة الى المستنصر ولدها قدمت اباسعد وتخصصت به فى خدمتها فلما مات الوزير الجرجرائى وتكلم ابن الانبارى فى الوزارة قصده ابو نصر اخو أبى سعد فجبهه أحد اصحابه بكلام مؤلم فظن ابو نصر أن الوزير ابن الانبارى اذا بلغه ذلك ينكر على غلامه ويعتذر اليه فجاء منه خلاف ماظنه وبلغه عنه أضعاف ماسمعه من الغلام فشكا ذلك الى أخيه أبى سعد وأعلمه بأن الوزير متغير النية لهما فلم يفتر أبو سعد عن ابن الانبارى وأغرى به ام المستنصر مولاته فتحدثت مع ابنها الخليفة المستنصر فى أمره حتى عزله عن الوزارة فسعى أبو سعد عند أم المستنصر لابى نصر صدقة بن يوسف الفلاحى فى الوزارة فاستوزره المستنصر وتولى ابو سعد الاشراف عليه وصار الوزير الفلاحى منقادا لابى سعد تحت حكمه وأخذ الفلاحى يعمل على ابن الانبارى ويغرى به ويصنع عليه ديونا ويذكر عنه مايوجب الغضب عليه حتى تم له مايريد فقبض عليه وخرج عليه من الدواوين اموالا كثيرة مما كان يتولاه قديما وألزمه بحملها ونوع له اصناف العذاب واستصفى أمواله وهو معتقل

بخزانة البنود ثم قتل في يوم الاثنين الخامس من المحرم سنة أربعين وأربعمائة بها فاتفق أن الفلاحي لما صرف عن الوزارة اعتقل بخزانة البنود حيث كان ابن الانبارى ثم قتل بها وحفر له ليدفن فظهر في الحفر رأس ابن الانبارى قبل أن يمضى فيه القتل فقال لا اله الا الله هذا رأس ابن الانبارى أنا قتلته ودفنته ههنا وأنشد

رب لحد قد صار لحدا مرارا ٭ ضاحكا من تزاحم الاضداد

فقتل ودفن في تلك الحفرة مع ابن الانبارى فعد ذلك من غرائب الاتفاق ٭ ثم ان خزانة البنود جعلت منازل للاسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية ايام كانت محاربة المسلمين لهم فأنزل بها الملك الناصر محمد بن قلاون الاسارى بعد حضوره من الكرك وأبطل السجن بها فلم يزالوا فيها بأهاليهم واولادهم في ايام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فصار لهم فيها افعال قبيحة وأمور منكرة شنيعة من التجاهر ببيع الخمر والتظاهر بالزنا واللياطة وحماية من يدخل اليها من أرباب الديون وأصحاب الجرائم وغيرهم فلا يقدر أحد ولو جل على أخذ من صار اليهم واحتمى بهم والسلطان يغضى عنهم لما يرى في ذلك من مراعاة المصلحة والسياسة التى اقتضاها الحال من مهادنة ملوك الفرنج وكان يسكن بالقرب منها الامير الحاج آل ملك الجوكندار ويبلغه ما يفعله الفرنج من العظائم الشنيعة فلا يقدر على منعهم وفحش امرهم فرفع الخبر الى السلطان وأكثر من شكايتهم غير مرة والسلطان يتغافل عن ذلك الى أن كثرت مفاوضة الحاج آل ملك السلطان في امرهم فقال له السلطان انتقل أنت عنهم يا امير فلم يسعه الا الاعراض عن ذلك وعمر داره التى بالحسينية والاصطبل والجامع المعروف بآل ملك والحمام والفندق وانتقل من داره التى كان فيها بجوار خزانة البنود وسكن بالحسينية الى أن مات السلطان الملك الناصر في اخريات سنة احدى وأربعين وسبعمائة وتنقل الملك في اولاده الى أن جلس الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاون وضرب شورى على من يكون نائب السلطنة بالديار المصرية يدبر أحوال المملكة كما كانت العادة في ذلك مدة الدولة التركية فأشير بتولية الامير بدر الدين جنكل بن البابا فتنصل من ذلك وأبى قبوله فعرضت النيابة على الامير الحاج آل ملك فاستبشر وقال لى شروط اشرطها على السلطان فان أجابنى اليها فعلت ما رسم به وهى أن لا يفعل شئ في المملكة الا برأيى وأن يمنع الناس من شرب الخمر ويقام منار الشرع ولا يعترض على أمر من الامور فأجيب الى ما سأل وأحضرت التشاريف فأفيضت عليه بالجامع من قلعة الجبل في يوم الجمعة الثانى عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وسبعمائة وأصبح يوم السبت جالسا في دار النيابة من القلعة وحكم بين الناس وأول ما بدأ به أن أمر والى القاهرة بالنزول الى خزانة البنود وأن يحتاط على جميع ما فيها من الخمر والفواحش ويخرج الاسرى منها ويهدمها حتى يجعلها دكا ويسوى بها الارض فنزل اليها ومعه الحاجب في عدة وافرة وهجموا على من فيها وهم آمنون وأحاطوا بسائر ما تشتمل عليه وقد اجتمع من العامة والغوغاء ما لا يقع عليه حصر فأراقوا منها خمورا كثيرة تتجاوز الحد في الكثرة وأخرج من كان فيها من النساء البغايا وغيرهن من الشباب وأرباب الفساد وقبض على الفرنج والارمن وهدمها حتى لم يبق لها اثر ونودى في الناس فحكروها وبنوا فيها الدور والطواحين على ما هى عليه الآن وأمر بالاسرى فأنزلوا بالقرب من المشهد النفيسى بجوار كيمان مصر فهم هناك الى الآن وأنزل من كان منهم أيضا بقلعة الجبل فأسكنوا معهم وطهر الله تلك الارض منهم وأراح العباد من شرهم فانها كانت شر بقعة من بقاع الارض يباع فيها لحم الخنزير على الوضم كما يباع لحم الضأن ويعصر فيها من الخمور في كل سنة ما لا يستطيع أحد حصره حتى يقال انه كان يعصر بها في كل سنة اثنان وثلاثون ألف جرة خمر ويباع فيها الخمر نحو اثنى عشر رطلا بدرهم الى غير ذلك من سائر انواع الفسوق

٭(دار الفطرة)٭

قال ابن الطوير دار الفطرة خارج القصر بناها العزيز بالله وهو أول من بناها وقرر فيها ما يعمل مما يحمل الى الناس في العيد وهى قبالة باب الديلم من القصر الذى يدخل منه الى المشهد الحسينى ويكون مبدأ الاستعمال فيها وتحصيل جميع اصنافها من السكر والعسل والقلوب والزعفران والطيب والدقيق لاستقبال النصف الثانى من شهر رجب كل سنة ليلا ونهارا من الخشكانج والبسندود وأصناف الفانيذ الذى يقال له كعب

الغزال والبرماورد والفستق وهو شوابير مثال الصنج والمستخدمون يرفعون ذلك الى اماكن وسيعة مصونة فيحصل منه فى الحاصل شئ عظيم هائل بيد مائة صانع للحلاوة وبين مقدم وللخشكانيين آخر ثم يندب لها مائة فراش لحمل طيافير التفرقة على ارباب الرسوم خارجا عمن هو مرتب لخدمتها من الفراشين الذين يحفظون رسومها ومواعينها الحاصلة بالدائم وعدتهم خمسة فيحضر اليها الخليفة والوزير معه ولا يصحبه فى غيرهما من الخزائن لانها خارج القصر وكلها التفرقة فيجلس على سريرها ويجلس الوزير على كرسى ملين على عادته فى النصف الثانى من شهر رمضان ويدخل معه قوم من الخواص ثم يشاهد ما فيهما من تلك الحواصل المعمولة المعباة مثل الجبال من كل صنف فيفرقها من ربع قنطار الى عشرة ارطال الى رطل واحد وهو اقلها ثم ينصرف الخليفة والوزير بعد أن ينعم على مستخدميها بستين دينارا ثم يحضر الى حاميها ومشارفها الادعية المعمولة المخرجة من دفتر المجلس كل دعو لتفريق فريق من خاص وغيره حتى لا يبقى أحد من ارباب الرسوم الا واسمه وارد فى دعو من تلك الادعية ويندب صاحب الديوان الكتاب المسلمين فى الديوان فيسيرهم الى مستخدميها فيسلم كل كاتب دعوا أو دعوين او ثلاثة على كثرة ما يحتويه وقلته ويؤمر بالتفرقة من ذلك اليوم فيقدمون أبدا ما ثتى طيفور من العالى والوسط والدون فيحملها الفراشون برقاع من كتاب الادعية باسم صاحب ذلك الطيفور علا أو دنا وينزل اسم الفراش بالدعو أو عريفه حتى لا يضيع منها شئ ولا يختلط ولا يزال الفراشون يخرجون بالطيافير ملائى ويدخلون بها فارغة فبمقدار ما تحمل المائة الاولى عبيت المائة الثانية فلا يفتر ذلك طول التفرقة فأجل الطيافير ما عدد خشكانه مائة حبة ثم الى سبعين وخمسين ويكون على صاحب المائة طرحة فوق قوارته ثم الى خمسين ثم الى ثلاث وثلاثين ثم الى خمس وعشرين ثم الى عشرين ونسبة منثور كل واحد على عدد خشكانه ثم العبيد السودان بغير طيافير كل طائفة يتسلمه لها عرفاؤها فى أفراد الخواص لكل طائفة على مقدارها الثلاثة الافراد والخمسة والسبعة الى العشرة فلا يزالون كذلك الى أن ينقضى شهر رمضان ولا يفوت أحدا شئ من ذلك ويتهاداه الناس فى جميع الاقليم قال وما ينفق فى دار الفطرة فيما يفرق على الناس منها سبعة آلاف دينار * وقال ابن عبد الظاهر دار الفطرة بالقاهرة قبالة مشهد الامام الحسين عليه السلام وهى الفندق الذى بناه الامير سيف الدين بهادر الآن فى سنة ست وخمسين وستمائة اول من رتبها الامام العزيز بالله وهو أول من سنها وكانت الفطرة قبل أن ينتقل الافضل الى مصر تعمل بالايوان وتفرق منه وعند ما تحوّل الى مصر نقل الدواوين من القصر اليها واستجدّ لها مكانا قبالة دار الملك بايوانى المكاتبات والانشاء فانهما كانا بقرب الدار ويتوصل اليهما من القاعة الكبرى التى فيها جلوسه ثم استجدّ للفطرة دارا عملت بعد ذلك وراقة وهى الآن دار الامير عز الدين الافرم بمصر قبالة دار الوكالة وعملت بها الفطرة مدّة وفرّق منها الا ما يخص الخليفة والجهات والسيدات والمستخدمات والاستاذين فانه كان يعمل بالايوان على العادة ولما توفى الافضل وعادت الدواوين الى مواضعها انهى خاصة الدولة ريحان وكان يتولى بيت المال ان المكان بالايوان يضيق بالفطرة فأمر المأمون أن يجمع المهندسين ويقطع قطعة من اصطبل الطارمة يبنيه دار الفطرة فانشأ الدار المذكورة قبالة مشهد الحسين والباب الذى بمشهد الحسين يعرف بباب الديلم وصار يعمل بها ما استجدّ من رسوم المواليد والوقودات وعقدت لها جلتان احداهما وجدت فسطرت وهى عشرة آلاف دينار خارجا عن جوارى المستخدمين والجلة الثانية فصلت فيها الاصناف وشرحها دقيق ألف حملة سكر سبعمائة قنطار قلب فستق ستة قناطير قلب لوز ثمانية قناطير قلب بندق أربعة قناطير تمر أربعمائة اردب زبيب ثلثمائة أردب خل ثلاثة قناطير عسل نحل خمسة عشر قنطارا شيرج مائتا قنطار حطب ألف ومائتا حملة سمسم أردبان آنيسون أردبان زيت طيب برسم الوقود ثلاثون قنطارا ماء ورد خمسون رطلا مسك خمس نوافج كافور قديم عشرة مثاقيل زعفران مطحون مائة وخمسون درهما وبيد الوكيل برسم المواعين والبيض والسقائين وغير ذلك من المؤن على ما يحاسب به وبرفع المحازم خمسمائة دينار * ووجدت بخط ابن ساكن قال كان المرتب فى دار الفطرة ولها ما يذكر وهو زيت طيب برسم القناديل خمسة عشر قنطارا مقاطع سكندرى برسم القوارات ثلثمائة مقطع طيافير جدد برسم السماط ثلثمائة طيفور شمع برسم السماط وتوديع الامراء ثلاثون قنطارا أجرة الصناع ثلثمائة دينار جارى الحامى مائة وعشرون دينارا جارى العامل والمشارف مائة

وثمانون دينارا وشقة ديبقى بياض حريرى ومنديل ديبقى كبير حريرى وشقة سقلاطون اندلسى يلبسها قدام الفطرة يوم حملها ليفرق طيافير الفطرة على الامراء وأرباب الرسومات وعلى طبقات الناس حتى يعم الكبير والصغير والضعيف والقوى ويبدأ بها من اول رجب الى آخر رمضان * (ذكر ما اختص من صفة الطيافير) * الاعلى منها طيفور فيه مائة حبة خشكنانج وزنها مائة رطل وخمسة عشر قطعة حلاوة زنتها مائة رطل سكر سليمانى وغيره عشرة ارطال قلوبات ستة ارطال بسندود عشرون حبة كعك وزبيب وتمر قنطار جملة الطيفور ثلاثة قناطير وثلث الى مادون ذلك على قدر الطبقات الى عشر حبات * وقال ابن أبى طى وعمل المعز لدين الله دارا سماها دار الفطرة فكان يعمل فيها من الخشكنانج والحلواء والبسندود والقاهنذ والكعك والتمر والبندق شئ كثير من اول رجب الى نصف رمضان فيفرق جميع ذلك فى جميع الناس الخاص والعام على قدر منازلهم فى اوان الاستعاد وكان قبل ليلة العيد يفرق على الامراء الخيول بالمراكب الذهب والخلع النفيسة والطراز الذهب والثياب برسم النساء

(المشهد الحسينى)

قال الفاضل محمد بن على بن يوسف بن ميسر وفى شعبان سنة احدى وتسعين وأربعمائة خرج الافضل بن أمير الجيوش بعساكرجمة الى بيت المقدس وبه سكمان وايلغازى ابنا ارتق فى جماعة من اقاربهما ورجالهما وعساكر كثيرة من الاتراك فراسلهما الافضل يلتمس منهما تسليم القدس اليه بغير حرب فلم يجيباه لذلك فقاتل البلد ونصب عليها المجانيق وهدم منها جانبا فلم يجدا بدا من الاذعان له وسلماه اليه فخلع عليهما وأطلقهما وعاد فى عساكره وقد ملك القدس فدخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما فأخرجه وعطره وحمله فى سفط الى اجل دار بها وعمر المشهد فلما تكامل حمل الافضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشيا الى أن احله فى مقره وقيل ان المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالى وكمله ابنه الافضل وكان حمل الرأس الى القاهرة من عسقلان ووصوله اليها فى يوم الاحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها كان والقاضى المؤتمن بن مسكين مشارفها وحصل فى القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور * ويذكر أن هذا الرأس الشريف لما أخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجف وله ريح كريح المسك فقدم به الاستاذ مكنون فى عشارى من عشاريات الخدمة وأنزل به الى الكافورى ثم حمل فى السرداب الى قصر الزمرذ ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة فكان كل من يدخل الخدمة يقبل الارض أمام القبر وكانوا ينحرون فى يوم عاشوراء عند القبر الابل والبقر والغنم ويكثرون النوح والبكاء ويسبون من قتل الحسين ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم * وقال ابن عبد الظاهر مشهد الامام الحسين صلوات الله عليه قد ذكرنا أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج وبنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك الا عندنا فعمدوا الى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخام اليه وذلك فى خلافة الفائز على يد طلائع فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة * وسمعت من يحكى حكاية يستدل بها على بعض شرف هذا الرأس الكريم المبارك وهى أن السلطان الملك الناصر رحمه الله لما أخذ هذا القصر وشى اليه بخادم له قدر فى الدولة المصرية وكان زمام القصر وقيل له انه يعرف الاموال التى بالقصر والدفائن فأخذ وسئل فلم يجب بشئ وتجاهل فأمر صلاح الدين نوابه بتعذيبه فأخذه متولى العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشد عليها قرمزية وقيل ان هذه أشد العقوبات وان الانسان لا يطيق الصبر عليها ساعة الا تنقب دماغه وتقتله ففعل ذلك به مرارا وهو لا يتأوه وتوجد الخنافس ميتة فعجب من ذلك وأحضره وقال له هذا سر فيك ولا بد أن تعرفنى به فقال والله ماسبب هذا الا أنى لما وصلت رأس الامام الحسين حملتها قال وأى سر أعظم من هذا وراجع فى شأنه فعفا عنه * ولما ملك السلطان الملك الناصر جعل به حلقة تدريس وفقهاء وفوضها للفقيه البهاء الدمشقى وكان يجلس للتدريس عند المحراب الذى الضريح خلفه فلما وزر معين الدين حسين بن شيخ

الشيوخ بن حمويه وردّ اليه أمر هذا المشهد بعد اخوته جمع من أوقافه ما بنى به ايوان التدريس الآن وبيوت الفقهاء العلوية خاصة واحترق هذا المشهد فى الايام الصالحية فى سنة بضع وأربعين وستمائة وكان الامير جمال الدين بن يعمور نائبا عن الملك الصالح فى القاهرة وسببه أن أحد خزان الشمع دخل ليأخذ شيأ فسقطت منه شعلة فوقف الامير جمال الدين المذكور بنفسه حتى طفئ وأنشدته حينئذ فقلت

قالوا تعصب للحسين ولم يزل * بالنفس للهول المخوف معرضا

حتى انضوى ضوء الحريق وأصبح الـ *** مسود من تلك المخاوف أبيضا

ارضى الاله بما أتى فكأنه * بين الانام بفعله موسى الرضى

قال ولحفظة الآثار وأصحاب الحديث ونقلة الاخبار ما اذا طولع وقف منه على المسطور وعلم منه ما هو غير المشهور وانما هذه البركات مشاهدة مرئية وهى بصحة الدعوى ملية والعمل بالنية * وقال فى كتاب الدر النظيم فى أوصاف القاضى الفاضل عبد الرحيم ومن جملة مبانيه الميضأة قريب مشهد الامام الحسين بالقاهرة والمسجد والساقية ووقف عليها أراضى قريب الخندق ظاهر القاهرة ووقفها دار جار والانتفاع بهذه المثوبة عظيم ولما هدم المكان الذى بنى موضعه مئذنة وجد فيه شئ من طلسم لم يعلم لاى شئ هو فيه اسم الظاهر بن الحاكم واسم امه رصد * (خبر الحسين) * هو الحسين بن على بن أبى طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى أبو عبد الله وامه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع وقيل سنة ثلاث وعق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سابعه بكبش وحلق رأسه وأمر أن يتصدق بزنته فضة وقال أرونى ابنى ما سميتموه فقال على بن أبى طالب حربا فقال بل هو حسين وكان أشبه الناس بالنبى صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من صدره وكان فاضلا دينا كثير الصوم والصلاة والحج وقتل يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم يوم عاشوراء سنة احدى وستين من الهجرة بموضع يقال له كربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع أيضا بالطف قتله سنان بن انس النخعى وقيل قتله رجل من مذحج وقيل قتله شمر بن ذى الجوشن وكان أبرص وأجهز عليه خولى بن يزيد الاصبحى من حمير حز رأسه واتى عبيد الله بن زياد وقال

اوقر ركابى فضة وذهبا * انى قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس اما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون نسبا

وقيل قتله عمرو بن سعد بن أبى وقاص وكان الامير على الخيل التى أخرجها عبيد الله بن زياد الى قتل الحسين وأمر عليهم عمرو بن سعد ووعده أن يوليه الرى ان ظفر بالحسين وقتله وقال ابن عباس رضى الله عنهما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت بابى أنت وأمى ما هذا قال هذا دم الحسين لم ازل التقطه منذ اليوم فوجدته قد قتل فى ذلك اليوم وهذا البيت زعموا قديما لا يدرى قائله

اترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

وقتل مع الحسين سبعة عشر رجلا كلهم من ولد فاطمة وقيل قتل معه من أهل بيته واخوته ثلاثة وعشرون رجلا * وكان سبب قتله انه لما مات معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فى سنة ستين وردت بيعة اليزيد على الوليد بن عتبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها فأرسل الى الحسين بن على والى عبد الله بن الزبير ليلا فأتى بهما فقال بايعا فقالا مثلنا لا يبايع سرا ولكنا نبايع على رؤس الناس اذا أصبحنا فرجعا الى بيوتهما وخرجا من ليلهما الى مكة وذلك ليلة الاحد لليلتين بقيتا من رجب فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة بكتب أهل العراق اليه فلما بلغ عبيد الله بن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن تميم التميمى صاحب شرطته فنزل القادسية ونظم الخيل ما بينها وبين جبل لعلع فبلغ الحسين الحاجز له عن البلاد فكتب الى أهل الكوفة يعرفهم بقدومه مع قيس بن مسهر فظفر به الحصين وبعث به الى ابن زياد فقتله وأقبل الحسين يسير نحو الكوفة فأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل وخبر قتل أخيه من الرضاعة فقام حتى اعلم الناس بذلك وقال قد خذلنا شيعتنا فمن أحب أن ينصرف فلينصرف فليس عليه ذمام منا فتفرقوا حتى بقى فى أصحابه الذين

جاؤا معه من مكة وسار فأدركته الخيل وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ونزل الحسين فوقفوا تجاهه وذلك في نحر الظهيرة فسقى الحسين الخيل وحضرت صلاة الظهر فأذن مؤذنه وخرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انها معذرة الى الله واليكم انى لم آتكم حتى أتتنى كتبكم ورسلكم أن اقدم علينا فليس لنا امام لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى وقد جئتكم فان تعطونى ما أطمئن اليه من عهودكم أقدم مصركم وان لم تفعلوا وكنتم لمقدمى كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذى أقبلت منه فسكتوا وقال للمؤذن أقم فأقام وقال الحسين للحر أتريد أن تصلى أنت بأصحابك قال بل صل أنت ونصلى بصلاتك فصلى بهم ودخل فاجتمع اليه أصحابه وانصرف الحر الى مكانه ثم صلى بهم العصر واستقبلهم فحمد الله وأثنى عليه وقال يا ايها الناس انكم ان تتقوا الله وتعرفوا الحق لاهله يكن أرضى لله ونحن أهل البيت اولى بولاية هذا الامر من هؤلاء المدعين ماليس لهم السائرين فيكم بالجور والعدوان فان أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتنى به كتبكم انصرفت عنكم فقال الحر انا والله ماندرى ماهذه الكتب والرسل التى تذكر فأخرج خرجين مملوءين صحفا فنشرها بين أيديهم فقال الحر انا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا اليك وقد أمرنا اذا نحن لقيناك أن لانفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد فقال الحسين الموت ادنى اليك من ذلك ثم أمر أصحابه لينصرفوا فركبوا فمنعهم الحر من ذلك فقال له الحسين ثكلتك امك ماتريد فقال له والله لو كان غيرك من العرب يقولها ماتركت ذكر أمه بالثكل كائنا من كان والله مالى الى ذكر أمك من سبيل الا بأحسن مانقدر عليه فقال له الحسين ماتريد قال أريد أن أنطلق بك الى ابن زياد وترادا الكلام فقال له الحر انى لم أومر بقتالك وانما أمرت أن لاأفارقك حتى أدخلك الكوفة فخذ طريقا لاتدخلك الكوفة ولاتردك الى المدينة حتى أكتب الى ابن زياد وتكتب انت الى يزيد أو الى ابن زياد فلعل الله أن يأتى بأمر يرزقنى فيه العافية من أن ابتلى بشئ من أمرك فتياسر عن طريق العذيب والقادسية والحر يسايره فلما كان يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة احدى وستين قدم عمرو بن سعد بن أبى وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف وبعث الى الحسين رسولا يسأله ما الذى جاء به فقال كتب الى أهل مصركم هذا أن أقدم عليهم فاذا كرهونى فأنا أنصرف عنهم فكتب عمرو الى ابن زياد يعرفه ذلك فكتب اليه أن يعرض على الحسين بيعة يزيد فان فعل رأينا فيه رأينا والا فامنعه ومن معه الماء فأرسل عمرو بن سعد خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتله بثلاثة أيام ونادى مناد يا حسين ألا تنظر الماء لاترى منه قطرة حتى تموت عطشا ثم التقى الحسين بعمرو بن سعد مرارا فكتب عمرو بن سعد الى عبيد الله بن زياد أما بعد فان الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وقد أعطانى الحسين أن يرجع الى المكان الذى أتى منه أو أن نسيره الى أى ثغر من الثغور شاء أو أن يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده وفى هذا لكم رضى وللامة صلاح فقال ابن زياد لشمر بن ذى الجوشن اخرج بهذا الكتاب الى عمرو فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمى فان فعلوا فليبعث بهم وان ابوا فليقاتلهم فان فعل فاسمع له وأطع وان أبى فأنت الامير عليه وعلى الناس واضرب عنقه وابعث الى برأسه وكتب الى عمرو بن سعد أما بعد فانى لم أبعثك الى الحسين لتكف عنه ولا لتمنيه ولا لتطاوله ولا لتقعد له عندى شافعا انظر فان نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم الى سلما وان أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون فان قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فانه عاق شاق قاطع ظلوم فان أنت مضيت لامرنا جزيناك جزاء السامع المطيع وان أنت ابيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر وبين العسكر والسلام فلما أتاه الكتاب ركب والناس معه بعد العصر فأرسل اليهم الحسين مالكم فقالوا جاء أمر الامير بكذا فاستمهلهم الى غدوة فلما أمسوا قام الحسين ومن معه الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون فلما صلى عمرو بن سعد الغداة يوم السبت وقيل يوم الجمعة يوم عاشوراء خرج فيمن معه وعبى الحسين أصحابه وكان معه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا وركب ومعه مصحف بين يديه وضعه أمامه واقتتل أصحابه بين يديه وأخذ عمرو بن سعد سهما فرمى به وقال اشهدوا انى أول من رمى الناس وحمل أصحابه فصرعوا رجالا وأحاطوا بالحسين من كل جانب وهم يقاتلون قتالا شديدا حتى انتصف النهار ولا يقدرون يأتونهم الا من وجه واحد وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين وحضر وقت الصلاة فسأل الحسين أن يكفوا عن القتال حتى يصلى ففعلوا ثم اقتتلوا بعد الظهر أشد قتال ووصل الى الحسين وقد صرعت أصحابه ومكث طويلا

من النهار كلما انتهى اليه رجل من الناس رجع عنه وكره أن يتولى قتله فأقبل عليه رجل من كندة يقال له مالك فضربه على رأسه بالسيف فقطع البرنس وأدماه فأخذ الحسين دمه بيده فصبه فى الارض ثم قال اللهم ان كنت حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم من هؤلاء الظالمين واشتد عطشه فدنا ليشرب فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع فى فمه فتلقى الدم بيده ورمى به الى السماء ثم قال بعد حمد الله والثناء عليه اللهم انى أشكو اليك ما يصنع بابن بنت نبيك اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا فأقبل شمر فى نحو عشرة الى منزل الحسين وحالوا بينه وبين رحله وأقدم عليه وهو يحمل عليهم وقد بقى فى ثلاثة ومكث طويلا من النهار ولو شاؤا أن يقتلوه لقتلوه ولكنهم كان يتقى بعضهم ببعض ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء فنادى شمر فى الناس ويحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم امكم فحملوا عليه من كل جانب فضرب زرعة بن شريك التميمى كفه الايسر وضرب عاتقه وهو يقوم ويكبو فحمل عليه فى تلك الحال سنان بن انس النخعى فطعنه بالرمح فوقع وقال لخولى بن يزيد الاصبحى احتز رأسه فأرعد وضعف فنزل عليه وذبحه وأخذ رأسه فدفعه الى خولى وسلب الحسين ما كان عليه حتى سراويله ومال الناس فانتهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وأربعون ضربة ونادى عمرو بن سعد فى أصحابه من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه فانتدب عشرة فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره وكان عدة من قتل معه اثنين وسبعين رجلا ومن أصحاب عمرو بن سعد ثمانية وثمانين رجلا غير الجرحى ودفن أهل العاصرية من بنى اسد الحسين بعد قتله بيوم وبعد أن أخذ عمرو بن سعد رأسه ورؤس أصحابه وبعث بها الى ابن زياد فأحضر الرؤس بين يديه وجعل ينكت بقضيب ثنايا الحسين وزيد بن ارقم حاضر وأقام ابن سعد بعد قتل الحسين يومين ثم رحل الى الكوفة ومعه بنات الحسين واخواته ومن كان معه من الصبيان وعلى بن الحسين مريض فأدخلهم على زياد ولما مرت زينب بالحسين صريعا صاحت يا محمداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الاعضاء يا محمد بناتك سبايا وذريتك مقتلة فأبكت كل عدو وصديق وطيف برأسه بالكوفة على خشبة ثم ارسل بها الى يزيد بن معاوية وأرسل النساء والصبيان وفى عنق على بن الحسين ويديه الغل وحملوا على الاقتاب فدخل بعض بنى أمية على يزيد فقال أبشر يا امير المؤمنين فقد أمكنك الله من عدو الله وعدوك قد قتل ووجه برأسه اليك فلم يلبث الا اياما حتى جىء برأس الحسين فوضع بين يدى يزيد فى طشت فأمر الغلام فرفع الثوب الذى كان عليه فحين رآه خمر وجهه بكمه كأنه شم منه رائحة وقال الحمد لله الذى كفانا المؤنة بغير مؤنة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله قالت ريا حاضنة يزيد فدنوت منه فنظرت اليه وبه ردغ من حناء والذى أذهب نفسه وهو قادر على أن يغفر له لقد رأيته يقرع ثناياه بقضيب فى يده ويقول أبياتا من شعر ابن الزبعرى ومكث الرأس مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام ثم انزل فى خزائن السلاح حتى ولى سليمان بن عبد الملك فبعث اليه فجىء به وقد محل وبقى عظما أبيض فجعله فى سفط وطيبه وجعل عليه ثوبا ودفنه فى مقابر المسلمين فلما ولى عمر بن عبد العزيز بعث الى خازن بيت السلاح أن وجه الى برأس الحسين بن على فكتب اليه ان سليمان أخذه وجعله فى سفط وصلى عليه ودفنه فلما دخلت المسودة سألوا عن موضع الرأس الكريمة الشريفة فنبشوه وأخذوه والله أعلم ما صنع به * وقال السرى لما قتل الحسين بن على بكت السماء عليه وبكاؤها حمرتها وعن عطاء فى قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قال بكاؤها حمرة أطرافها وعن على بن مسهر قال حدثتنى جدتى قالت كنت أيام الحسين جارية شابة فكانت السماء اياما كأنها علقة وعن الزهرى بلغنى انه لم يقلب حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين الا وجد تحته دم عبيط ويقال ان الدنيا أظلمت يوم قتل ثلاثا ولم يمس أحد من زعفرانهم شيأ فجعله على وجهه الا احترق وانهم اصابوا ابلا فى عسكر الحسين يوم قتل فنحروها وطبخوها فصارت مثل العلقم فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيأ وروى أن السماء أمطرت دما فأصبح كل شئ لهم ملآن دما

(ما كان يعمل فى يوم عاشوراء)

قال ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز لدين الله فى يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثلثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم الى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين عليه السلام وكسروا أوانى السقائين فى الاسواق وشققوا الروايا وسبوا من ينفق فى هذا

اليوم

اليوم ونزلوا حتى بلغوا مسجد الريح وثارت عليهم جماعة من رعية أسفل فخرج أبو محمد الحسين بن عمار وكان يسكن هناك فى دار محمد بن أبى بكر وأغلق الدرب ومنع الفريقين ورجع الجميع فحسن موقع ذلك عند المعز ولولا ذلك لعظمت الفتنة لان الناس قد غلقوا الدكاكين وأبواب الدور وعطلوا الاسواق وانما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر وقد كانت مصر لا تخلو منهم فى أيام الاخشيدية والكافورية فى يوم عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة وكان السودان وكافور يتعصبون على الشيعة وتتعلق السودان فى الطرقات بالناس ويقولون للرجل من خالك فان قال معاوية اكرموه وان سكت لقى المكروه وأخذت ثيابه وما معه حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج * وقال المسبحى وفى يوم عاشوراء يعنى من سنة ست وتسعين وثلثمائة جرى الامر فيه على ما يجرى كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المنشدين الى جامع القاهرة ونزولهم مجتمعين بالنوح والنشيد ثم جمع بعد هذا اليوم قاضى القضاة عبد العزيز بن النعمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح والنشيد وقال لهم لا تلزموا الناس أخذ شئ منهم اذا وقفتم على حوانيتهم ولا تؤذوهم ولا تتكسبوا بالنوح والنشيد ومن أراد ذلك فعليه بالصحراء ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة فى الجامع العتيق بعد الصلاة وأنشدوا وخرجوا على الشارع بجمعهم وسبوا السلف فقبضوا على رجل ونودى عليه هذا جزاء من سب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه * وقال ابن المأمون وفى يوم عاشوراء يعنى من سنة خمس عشرة وخمسمائة عبى السماط بمجلس العطايا من دار الملك بمصر التى كان يسكنها الافضل بن أمير الجيوش وهو السماط المختص بعاشوراء وهو يعبى فى غير المكان الجارى به العادة فى الاعياد ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من أدم والسماط يعلوها من غير مرافع نحاس وجميع الزبادى اجبان وسلائط ومخللات وجميع الخبز من شعير وخرج الافضل من باب فرد الكم وجلس على بساط صوف من غير مشورة واستفتح المقرئون واستدعى الاشراف على طبقاتهم وحمل السماط لهم وقد عمل فى الصحن الاول الذى بين يدى الافضل الى آخر السماط عدس اسود ثم بعده عدس مصفى الى آخر السماط ثم رفع وقدمت صحون جميعها عسل نحل ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشرة وخمسمائة جلس الخليفة الآمر بأحكام الله على باب الباذهنج يعنى من القصر بعد قتل الافضل وعود الاسمطة الى القصر على كرسى جريد بغير مخدة متلثما هو وجميع حاشيته فسلم عليه الوزير المأمون وجميع الامراء الكبار والصغار بالقراميز وأذن للقاضى والداعى والاشراف والامراء بالسلام عليه وهم بغير مناديل ملثمون حفاة وعبى السماط فى غير موضعه المعتاد وجميع ما عليه خبز الشعير والحواضر على ما كان فى الايام الافضلية وتقدم الى والى مصر والقاهرة بأن لا يمكنا أحدا من جمع ولا قراءة مصرع الحسين وخرج الرسم المطلق للمتصدرين والقراء الخاص والوعاظ والشعراء وغيرهم على ما جرت به عادتهم قال وفى ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة وخمسمائة اعتمد الاجل الوزير المأمون على السنة الافضلية من المضى فيها الى التربة الجيوشية وحضور جميع المتصدرين والوعاظ وقراء القرءان الى آخر الليل وعوده الى داره واعتمد فى صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك وجلس الخليفة على الارض متلثما يرى به الحزن وحضر من شرف بالسلام عليه والجلوس على السماط بما جرت به العادة * قال ابن الطوير اذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس فاذا علا النهار ركب قاضى القضاة والشهود وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم ثم صاروا الى المشهد الحسينى وكان قبل ذلك يعمل فى الجامع الازهر فاذا جلسوا فيه ومن معهم من قراء الحضرة والمتصدرين فى الجوامع جاء الوزير فجلس صدرا والقاضى والداعى من جانبيه والقراء يقرؤن نوبة بنوبة وينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة شعرا يرثون به اهل البيت عليهم السلام فان كان الوزير رافضيا تغالوا وان كان سنيا اقتصدوا ولا يزالون كذلك الى أن تمضى ثلاث ساعات فيستدعون الى القصر بنقباء الرسائل فيركب الوزير وهو بمنديل صغير الى داره ويدخل قاضى القضاة والداعى ومن معهما الى باب الذهب فيجدون الدهاليز قد فرشت مصاطبها بالحصر بدل البسط وينصب فى الاماكن الخالية من المصاطب دكك لتلحق بالمصاطب لتفرش ويجدون صاحب الباب جالسا هناك فيجلس القاضى والداعى الى جانبه والناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضا ثم يفرش عليها سماط الحزن مقدار ألف زبدية من العدس والملوحات والمخللات والاجبان والالبان الساذجة والاعسال النحل والفطير والخبز المغير لونه بالقصد فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل

الناس للاكل منه فيدخل القاضى والداعى ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمذكوران الى جانبه وفى الناس من لايدخل ولايلزم أحد بذلك فاذا فرغ القوم انفصلوا الى أماكنهم ركبانا بذلك الزى الذى ظهروا فيه وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم وأغلق البياعون حوانيتهم الى جواز العصر فيفتح الناس بعد ذلك ويتصرفون

(ذكر أبواب القصر الكبير الشرقى)

وكان لهذا القصر الكبير الشرقى تسعة أبواب أكبرها وأجلها باب الذهب ثم باب البحر ثم باب الريح ثم باب الزمرذ ثم باب العيد ثم باب قصر الشوك ثم باب الديلم ثم باب تربة الزعفران ثم باب الزهومة

(باب الذهب) وهو باب القصر الذى تدخل منه العساكر وجميع أهل الدولة فى يومى الاثنين والخميس للموكب المقدم ذكره بقاعة الذهب قال ابن أبى طىء عن المعز لدين الله انه لما خرج من بلاد المغرب أخرج اموالا كانت له ببلاد المغرب وأمر بسبكها ارحية كأرحية الطواحين وأمر بها حين دخل الى مصر فألقيت على باب قصره وهى التى كان الناس يسمونها الخشرات ولم تزل على باب القصر الى أن كان زمن الغلاء فى أيام الخليفة المستنصر بالله فلما ضاق بالناس الامر أذن لهم أن يبردوا منها ببمبارد فاتخذ الناس مباردحادة وغرهم الطمع حتى ذهبوا بأكثرها فأمر بحمل الباقى الى القصر فلم تر بعد ذلك * وقال ابن ميسر ان المعز لما قدم الى القاهرة كان معه مائة جمل عليها الطواحين من الذهب وقال غيره كانت خمسمائة جمل على كل جمل ثلاثة ارحية ذهبا وانه عمل عضادتى الباب من تلك الارحية واحدة فوق اخرى فسمى باب الذهب

(جلوس الخليفة فى المولد بالمنظرة علو باب الذهب) قال ابن المأمون فى أخبار سنة ست عشرة وخمسمائة وفى الثانى عشر من المحرم كان المولد الآمرى واتفق كونه فى هذا الشهر يوم الخميس وكان قد تقرر أن يعمل أربعون صينية خشكنانج وحلوى وكعك وأطلق برسم المشاهد المحتوية على الضرائح الشريفة لكل مشهد سكر وعسل ولوز ودقيق وشيرج وتقدم بأن يعمل خمسمائة رطل حلوى وتفرق على المتصدرين والقراء والفقراء للمتصدرين ومن معهم فى صحون و للفقراء على ارغفة السميذ ثم حضر فى الليلة المذكورة القاضى والداعى والشهود وجميع المتصدرين وقراء الحضرة وفتحت الطاقات التى قبلى باب الذهب وجلس الخليفة وسلموا عليه ثم خرج متولى بيت المال بصندوق مختوم ضمنه عينا مائة دينار وألف وثمانمائة وعشرون درهما برسم أهل القرافة وساكنيها وغيرهم وفرقت الصوانى بعد ما حمل منها للخاص وزمام القصر ومتولى الدفتر خاصة والى دار الوزارة والاجلاء الاخوة والاولاد وكاتب الدست ومتولى حجبة الباب والقاضى والداعى ومفتى الدولة ومتولى دار العلم والمقرئين الخاص وأئمة الجوامع بالقاهرة ومصر وبقية الاشراف قال وخرج الآمر يعنى فى سنة سبع عشرة وخمسمائة باطلاق مايخص المولد الآمرى برسم المشاهد الشريفة من سكر وعسل وشيرج ودقيق ومايصنع مما يفرق على المساكين بالجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وبالقرافة خمسة قناطير حلوى وألف رطل دقيق ومايعمل بدار الفطرة ويحمل للاعيان والمستخدمين من بعد القصور والدار المأمونية صينية خشكانج وحضر القاضى والداعى والمستخدمون بدار العبد والشهود فى عشية اليوم المذكور وقطع سلوك الطريق بين القصرين وجلس الخليفة فى المنظرة وقبلوا الارض بين يديه والمقرؤن الخاص جميعهم يقرؤن القرآن وتقدم الخطيب وخطب خطبة وسع القول فيها وذكر الخليفة والوزير ثم حضر من انشد وذكر فضيلة الشهر والمولود فيه ثم خرج متولى بيت المال ومعه صندوق من مال النجاوى خاصة مما يفرق على الحكم المتقدم ذكره قال واستهل ربيع الاول وبدأ بما شرف به الشهر المذكور وهو ذكر مولد سيد الاولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم لثلاث عشرة منه وأطلق ماهو برسم الصدقات من مال النجاوى خاصة ستة آلاف درهم ومن الاصناف من دار الفطرة أربعون صينية فطرة ومن الخزائن برسم المتولين والسدنة للمشاهد الشريفة التى بين الجبل والقرافة التى فيها أعضاء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم سكر ولوز وعسل وشيرج لكل مشهد ومايتولى تفرقته سنا الملك ابن ميسر أربعمائة رطل حلاوة وألف رطل خبز قال وكان الافضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الموالد الاربعة النبوى والعلوى والفاطمى والامام الحاضر ومايهتم به وقدم العهد به حتى نسى

ذكرها فأخذ الاستاذون يجددون ذكرها الخليفة الآمر بأحكام الله ويرددون الحديث معه فيها ويحسنون له معارضة الوزير بسببها واعادتها واقامة الجوارى والرسوم فيها فأجاب الى ذلك وعمل ماذكر وقال ابن الطوير ذكر جلوس الخليفة فى الموالد الستة فى تواريخ مختلفة ومايطلق فيها وهى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومولد فاطمة عليها السلام ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد الخليفة الحاضر ويكون هذا الجلوس فى المنظرة التى هى أنزل المناظر وأقرب الى الارض قبالة دار فخر الدين جهاركس والفندق المستجد فاذا كان اليوم الثانى عشر من ربيع الاول تقدم بأن يعمل فى دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر اليابس حلواء يابسة من طرائفها وتعبى فى ثلثمائة صينية من النحاس وهو مولد النبى صلى الله عليه وسلم فتفرق تلك الصوانى فى أرباب الرسوم من أرباب الرتب وكل صينية فى قوارة من أول النهار الى ظهره فأول أرباب الرسوم قاضى القضاة ثم داعى الدعاة ويدخل فى ذلك القراء بالحضرة والخطباء والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة وقومة المشاهد ولا يخرج ذلك عما يتعلق بهذا الجانب بدعو يخرج من دفتر المجلس كما قدمناه فاذا صلى الظهر ركب قاضى القضاة والشهود بأجمعهم الى الجامع الازهر ومعهم أرباب تفرقة الصوانى فيجلسون مقدار قراءة الختمة الكريمة ثم يستدعى قاضى القضاة ومن معه فان كانت الدعوة مضافة اليه والا حضر للداعى معه بنقباء الرسائل فيركبون ويسيرون الى أن يصلوا الى آخر المضيق من السيوفيين قبل الابتداء بالسلوك بين القصرين فيقفون هنالك وقد سلكت الطريق على السالكين من الركن المخلق ومن سويقة أمير الجيوش عند الحوض هنالك وكنست الطريق فيما بين ذلك ورشت بالماء رشا خفيفا وفرش تحت المنظرة المذكورة بالرمل الاصفر ثم يستدعى صاحب الباب من دار الوزارة ووالى القاهرة ماض وعائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر الخليفة فيكون بروز صاحب الباب من الركن المخلق هو وقت استدعاء القاضى ومن معه من مكان وقوفهم فيقربون من المنظرة ويترجلون قبل الوصول اليها بخطوات فيجتمعون تحت المنظرة دون الساعة الزمانية بسمت وتشوف لانتظار الخليفة فتفتح احدى الطاقات فيظهر منها وجهه وماعليه من المنديل وعلى رأسه عدة من الاستاذين المحنكين وغيرهم من الخواص منهم ويفتح بعض الاستاذين طاقة ويخرج منها رأسه ويده اليمنى فى كمه ويشير به قائلا أمير المؤمنين يرد عليكم السلام فيسلم بقاضى القضاة أولا بنعوته وبصاحب الباب بعده كذلك وبالجماعة الباقية جملة جملة من غير تعيين احد فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة ويكونون قياما فى الصدر وجوههم للحاضرين وظهورهم الى حائط المنظرة فيقدم خطيب الجامع الانور المعروف بجامع الحاكم فيخطب كما يخطب فوق المنبر الى أن يصل الى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فيقول وان هذا يوم مولده الى مامن الله به على ملة الاسلام من رسالته ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة ثم يؤخر ويقدم خطيب الجامع الازهر فيخطب كذلك ثم خطيب الجامع الاقمر فيخطب كذلك والقراء فى خلال خطابة الخطباء يقرؤن فاذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الاستاذ رأسه ويده فى كمه من طاقته ورد على الجماعة السلام ثم تغلق الطاقتان فتنفض الناس ويجرى أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام الى حين فراغها على عدتها من غير زيادة ولانقص انتهى وهذا الباب صار بعد زوال الدولة الفاطمية يقابل دار الامير فخر الدين جهاركس الصلاحى التى عرفت بعد ذلك بالدار القطبية وهى الآن المارستان المنصورى وصار موضع هذا الباب محراب مدرسة الظاهر ركن الدين بيبرس

(باب البحر) هو من انشاء الحاكم بأمر الله أبى على منصور وهدم فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وشوهد فيه أمر عجيب *قال جامع السيرة الظاهرية لما كان يوم عاشوراء يعنى من سنة اثنتين وسبعين وستمائة رسم بنقض علو أحد أبواب القصر المسمى بباب البحر قبالة المدرسة دار الحديث الكاملية لاجل نقل عمد فيه لبعض العمائر السلطانية فظهر صندوق فى حائط مبنى عليه فلوقت أحضرت الشهود وجماعة كثيرة وفتح الصندوق فوجد فيه صورة من نحاس أصفر مفرغ على كرسى شبه الهرم ارتفاعه قدر شبر له أربعة أرجل تحمل الكرسى والصنم جالس متورك وله يدان مرفوعتان ارتفاعا جيدا يحمل صحيفة دورها قدر ثلاثة أشبار وفى هذه الصحيفة أشكال ثابتة وفى الوسط صورة رأس بغير جسد ودائرة مكتوب كتابة بالقلم الطبى وبالقلفطيريات والى جانبها فى الصحيفة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة والى الجانب الآخر

شكل آخر وعلى رأسه صليب والآخر في يده عكاز وعلى رأسه صليب وتحت أرجلهم أشكال طيور وفوق رؤس الاشكال كتابة ووجد مع هذا الصنم في الصندوق لوح من ألواح الصبيان التي يكتبون فيها بالمكاتب مدهون وجهه الواحد أبيض ووجهه الواحد احمر وفيه كتابة قد تكشط أكثرها من طول المدة وقد بقي اللوح وما بقيت الكتابة تلتئم ولا الخط يفهم وهذا نص ما فيه وأخليت مكان كتابته التي تكشطت وأما الوجه الابيض فهو مكتوب بقلم الصحيفة القبطي والمكتوب في الوجه الاحمر على هذه الصورة السطر الاول بقي منه مكتوبا الاسكندر السطر الثاني الارض وهياله السطر الثالث وجوب لكل السطر الرابع أصحاب السطر الخامس وهو يحرس السطر السادس واحترازه بقوة السطر السابع الملك مرجو وأبواب السطر الثامن غريبته سبعة السطر التاسع عالم حكيم عالم في عقله السطر العاشر وصفها فلا تفسد السطر الحادي عشر طارد كل سوء والذي صاغها النساء السطر الثاني عشر سد أيضا كل آثار اسدية بيبرس وهي احد السطر الثالث عشر بيبرس ملك الزمان والحكمة كلمة الله عزوجل هذا صورة ما وجد في اللوح مما بقي من الكتابة والبقية قد تكشط وقيل ان هذا اللوح بخط الخليفة الحاكم وأعجب ما فيه اسم السلطان وهو بيبرس ولما شاهد السلطان ذلك أمر بقراءته فعرض على قراء الاقلام فقرئ وذلك بالقلم القبطي ومضمونه طلسم عمل للظاهر بن الحاكم واسم أمه رصد وفيه أسماء الملائكة وعزائم ورقى وأسماء روحانية وصور ملائكة أكثره حرس لديار مصر وثغورها وصرف الاعداء عنها وكفهم عن طروقهم اليها وابتهال الى الله تعالى بأقسام كثيرة لحماية الديار المصرية وصونها من الاعداء وحفظها من كل طارق من جميع الاجناس وتضمن هذا الطلسم كتابة بالقلفطيريات وأوفاقا وصورا وخواص لا يعلمها الا الله تعالى وحمل هذا الطلسم الى السلطان وبقي في ذخائره قال ورأيت في كتاب عتيق رث سماه مصنفه وصية الامام العزيز بالله والد الامام الحاكم بأمر الله لولده المذكور وقد ذكر فيه الطلسمات التي على أبواب القصر ومن جملتها ان أول البروج الحمل وهو بيت المريخ وشرف الشمس وله القوة على جميع سلطان الفلك لانه صاحب السيف واسفهسلارية العسكر بين يدي الشمس الملك وله الامر والحرب والسلطان والقوة والمستولي لقوة روحانيته على مدينتنا وقد أقنا طلسما ساعته ويومه لقهر الاعداء وذل المنافقين في مكان أحكمناه على اشرافه عليه والحصن الجامع لقصر مجاورا لاول باب بنيناه هذا نص ما رأيته انتهى ولعل معنى كتابة بيبرس في هذا اللوح اشارة الى أن هدم هذا الباب يكون على زمان بيبرس فان القوم كانت لهم معارف كثيرة وعنايتهم بهذا الفن وافرة كبيرة والله أعلم وموضع باب البحر هذا اليوم يعرف بباب قصر بشتاك قبالة المدرسة الكاملية

(باب الريح) كان على ما أدركته تجاه سور سعيد السعداء على يمنة السالك من الركن المخلق الى رحبة باب العيد وكان بابا مربعا يسلك فيه من دهليز مستطيل مظلم الى حيث المدرسة السابقية ودار الطواشي سابق الدين وقصر أمير السلاح وينتهي الى ما بين القصرين تجاه حمام البيسري وعرف هذا الباب في الدولة الايوبية بباب قصر ابن الشيخ وذلك أن الوزير الصاحب معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب كان يسكن بالقصر الذي في داخل هذا الباب ثم قيل له في زمننا باب القصر وكان على حاله له عضادتان من حجارة ويعلوه اسكفة حجر مكتوب فيها نقرا في الحجر عدة أسطر بالقلم الكوفي لم يتهيأ لي قراءة ما فيها وكان دهليز هذا الباب عريضا يتجاوز عرضه فيما أقدر العشرة أذرع في طول كبير جدا ويعلو هذا الباب دور للسكنى تشرف على الطريق ومازال على ذلك الى أن أنشأ الامير الوزير المشير جمال الدين يوسف الاستادار مدرسته برحبة باب العيد واغتصب لها أملاك الناس وكان مما اغتصب ما بجوار المدرسة المذكورة من الحوانيت والرباع التي فوقها وما جاور ذلك وهدمها ليبنيها على ما يريد فهدم هذا الباب في صفر سنة احدى عشرة وثمانمائة وبني في مكانه ومكان الدهليز المظلم الذي كان ينتهي بالسالك فيه من هذا الباب الى المدرسة السابقية هذه القيسارية الكبيرة ذات الحوانيت والسقيفة والابواب الجديدة ودخل فيها بعض مما كان بجانبي هذا الباب من الحوانيت وعلوها ولما هدم هذا الباب ظهر في داخل بنيانه شخص وبلغني ذلك فسرت الى الامير المذكور وكان بيني وبينه صحبة لأشاهد هذا الشخص المذكور والتمست منه احضاره فأخبرني انه أحضر اليه شخص من حجارة قصير القامة احدى عينيه أصغر من الاخرى فقلت لا بد لي من مشاهدته فأمر

باحضاره الموكل بالعمارة وأناسعه اذذاك فى موضع الباب وقدهدم ما كان فيه من البناء فذكر أنه وماء بين احجار العمارة وأنه تكسر وصار فيما بينها ولايستطيع تمييزه منها فأغلظ عليه وبالغ فى الفحص عنه فأعياهم احضاره فسألت الرجل حينئذ عنه فقال لى انهم لما انتهوا فى الهدم الى حيث كان هذا الشخص اذابدائرة فيها كتابة وبوسطها شخص قصير صغيرا احدى العينين من حجارة وهذه كانت صفة جمال الدين فانه كان قصير القامة احدى عينيه أصغر من الاخرى ويشبه والله أعلم أن يكون قدعين فى تلك الكتابة التى كانت حول الشخص أن هذا الباب يهدمه من هذه صفته كما وجد فى باب الجراسم بيبرس الذى هدم على يديه وبأمره وقد ظفر جمال الدين هذا بأموال عظيمة وجدهافى داخل هذا القصر لما أنشأ داره الاولى فى الحدرة من داخل هذا الباب فى سنة ست وتسعين وسبعمائة وكان لكثرة هذا المال لايستطيع كتمانه ومن شدة خوفه يومئذ من الظاهر برقوق أن يظهر عليه لايقدر أن يصرح به فكان يقول لاصحابه وخواصه وجدت فى هذا المكان سبعين قفة من حديد أخبرنى اثنان رئيسان من أعيان الدولة عنه انه قال لهما هذا القول وكنت اذ ذاك أيام عمارته لهذه القاعة أتردد لشيخنا سراج الدين عمر بن الملقن رحمه الله تعالى بالمدرسة السابقية وبها كان يسكن فتعرفت بجمال الدين منه وكان يومئذ من عرض الجند ويعرف باستادار نحاس فاشتهر هنالك انه وجد حال هدمه وعمارته القاعة والرواق بالحدرة مكانامبنيا تحت الارض مبيض الحيطان فيه مال فما كان عندى شك انه من أموال خبايا الفاطميين فانه قد ذكر غيرواحد من الاخباريين أن السلطان صلاح الدين لما استولى على القصر بعد موت العاضد لم يظفر بشئ من الخبايا وعاقب جماعة فلم يوقفوه على أمرها

(باب الزمرذ) سمى بذلك لانه كان يتوصل منه الى قصر الزمرذ وموضعه الآن المدرسة الحجازية بخط رحبة باب العيد

(باب العيد) هذا الباب مكانه اليوم فى داخل درب السلامى بخط رحبة باب العيد وهو عقد محكم البناء ويعلوه قبة قد عملت مسجدا وتحتها حانوت يسكنه سقاء ويقابله مصطبة وأدركت العامة وهم يسمون هذه القبة بالقاهرة ويزعمون أن الخليفة كان يجلس بها ويرخى كه فتأتى الناس وتقبله وهذا غير صحيح وقيل لهذا الباب باب العيد لان الخليفة كان يخرج منه فى يومى العيد الى المصلى بظاهر باب النصر فيخطب بعد أن يصلى بالناس صلاة العيد كما ستقف عليه عند ذكر المصلى ان شاء الله تعالى وفى سنة احدى وستين وستمائة بنى الملك الظاهر بيبرس خانا للسبيل بظاهر مدينة القدس ونقل اليه باب العيد هذا فعمله بابا له وتم بناؤه فى سنة اثنتين وستين

(باب قصر الشوك) وهو الذى كان يتوصل منه الى قصر الشوك وموضعه الآن تجاه حمام عرفت بحمام الايدمرى ويقال لها اليوم حمام يونس عند موقف المكارية بجوار خزانة البنود على يمنة السالك منها الى رحبة الايدمرى وهو الآن زقاق ينتهى الى بئر يستقى منها بالدلاء ويتوصل من هنالك الى المارستان العتيق وغيره وأدركت منه قطعة من جانبه الايسر

(باب الديلم) وكان يدخل منه الى المشهد الحسينى وموضعه الآن درج ينزل منها الى المشهد تجاه الفندق الذى كان دار الفطرة ولم يبق لهذا الباب اثر البتة

(باب تربة الزعفران) مكانه الآن بجوار خان الخليلى من بحريه مقابل فندق المهمندار الذى يدق فيه ورق الذهب وقد بنى بأعلاه طبقة ورواق ولايكاد يعرفه كثير من الناس وعليه كتابة بالقلم الكوفى وهذا الباب كان يتوصل منه الى تربة القصر المذكورة فيما تقدم

(باب الزهومة) كان فى آخر ركن القصر مقابل خزانة الدرق التى هى اليوم خان مسرور وقيل له باب الزهومة لان اللحوم وحوائج الطعام التى كانت تدخل الى مطبخ القصر الذى للحوم انما يدخل بها من هذا الباب فقيل له باب الزهومة يعنى باب الزفر وكان تجاهه ايضا درب السلسلة الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وموضعه الآن باب قاعة الحنابلة من المدارس الصالحية تجاه فندق مسرور الصغير ومن بعد باب الزهومة المذكور باب الذهب الذى تقدم ذكره فهذه ابواب القصر الكبير التسعة

(ذكر المنحر)

وكان بجوار هذا القصر الكبير المنحر وهو الموضع الذى اتخذه الخلفاء لنحر الاضاحى فى عيد النحر وعيد الغدير وكان تجاه رحبة باب العيد وموضعه الآن يعرف بالدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس وصار موضعه ما فى داخل هذا الدرب من الدور والطاحون وغيرها وظاهره تجاه رأس حارة برجوان يفصل بينه وبين حارة برجوان الحوانيت التى تقابل باب الحارة ومن جملة المنحر الساحة العظيمة التى عملت لها خوند بركه ام السلطان الملك الاشرف شعبان بن حسين البوّابة العظيمة بخط الركن المخلق بجوار قيسارية الجلود التى عمل فيها حوانيت الاساكفة وكان الخليفة اذا صلى صلاة عيد النحر وخطب ينحر بالمصلى ثم يأتى المنحر المذكور وخلفه المؤذنون يجهرون بالتكبير ويرفعون أصواتهم كلما نحر الخليفة شيأ وتكون الحربة فى يد قاضى القضاة وهو بجانب الخليفة ليناوله اياها اذا نحر واول من سنّ منهم اعطاء الضحايا وتفرقتها فى اولياء الدولة على قدر رتبهم العزيز بالله نزار *(ما كان يعمل فى عيد النحر)* قال المسبحى وفى يوم عرفة يعنى من سنة ثمانين وثلثمائة حمل يانس صاحب الشرطة السماط وحمل أيضا على بن سعد المحتسب سماطا آخر وركب العزيز بالله يوم النحر فصلى وخطب على العادة ثم نحر عدّة نوق بيده وانصرف الى قصره فنصب السماط والموائد وأكل ونحر بين يديه وأمر بتفرقة الضحايا على اهل الدولة وذكر مثل ذلك فى باقى السنين وقال ابن المأمون فى عيد النحر من سنة خمس عشرة وخمسمائة وأمر بتفرقة عيد النحر والهبة وجملة العين ثلاثة آلاف وثلثمائة وسبعون دينارا ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الامراء المطوّقين والاستاذين المحنكين وكاتب الدست ومتولى حجبة الباب وغيرهم من المستخدمين وعدّة ماذبح ثلاثة ايام النحر فى هذا العيد وعيد الغدير ألفان وخمسمائة وأحد وستون رأسا تفصيله نوق مائة وسبعة عشر رأسا بقر أربعة وعشرون رأسا جاموس عشرون رأسا هذا الذى ينحره ويذبحه الخليفة بيده فى المصلى والمنحر وباب الساباط ويذبح الجزارون من الكباش ألفين وأربعمائة رأس والذى اشتملت عليه نفقات الاسمطة فى الايام المذكورة خارجا عما يعمل بالدار المأمونية من الاسمطة وخارجا عن اسمطة القصور عند الحرم وخارجا عن القصور الحلواء والقصور المنفوخ المصنوعة بدار الفطرة ألف وثلثمائة وستة وعشرون دينارا وربع وسدس دينار ومن السكر برسم القصور والقطع المنفوخ أربعة وعشرون قنطارا تفصيله عن قصرين فى اول يوم خاصة اثناعشر قنطارا المنفوخ عن ثلاثة الايام اثناعشر قنطارا وقال فى سنة ست عشرة وخمسمائة وحضر وقت تفرقة كسوة عيد النحر ووصل ما تأخر فيها بالطراز وفرّقت الرسوم على من جرت عادته خارجا عما أمر به من تفرقة العين المختص بهذا العيد وأضحيته وخارجا عما يفرّق على سبيل المناخ ومن باب الساباط مذبوحا ومنحورا ستمائة دينار وسبعة عشر دينارا وفى التاسع من ذى الحجة جلس الخليفة الآمر بأحكام الله على سرير الملك وحضر الوزير وأولاده وقاموا بما يجب من السلام واستفتح المقرئون وتقدّم حامل المظلة وعرض ما جرت عادته من المظال الحسنة التى جميعها مذهب وسلم الامراء على طبقاتهم وختم المقرئون وعرضت الدواب جميعها والعماريات والوحوش وعاد الخليفة الى محله فلما أسفر الصبح خرج الخليفة وسلم على من جرت عادته بالسلام عليه ولم يخرج شئ عما جرت به العادة فى الركوب والعود وغير الخليفة ثيابه ولبس ما يختص بالنحر وهى البدلة الحمراء بالشدّة التى تسمى بشدّة الوقار والعلم الجوهر فى وجهه بغير قضيب ملك فى يده الى أن دخل المنحر وفرشت الملاءة الدبيقى الحمراء وثلاث بطائن مصبوغة حمر ليتقى بها الدم مع كون كل من الجزارين بيده مكبة صفصاف مدهونة يلقى بها الدم عن الملاءة وكبر المؤذنون ونحر الخليفة أربعا وثلاثين ناقة وقصد المسجد الذى آخر صف المنحر وهو مغلق بالشروب والفاكهة المعباة فيه بمقدار ما غسل يديه ثم ركب من فوره وجملة ما نحره وذبحه الخليفة خاصة فى المنحر وباب الساباط دون الاجل الوزير المأمون وأولاده واخوته فى ثلاثة الايام ما عدّته ألف وتسعمائة وستة وأربعون رأسا تفصيله نوق مائة وثلاث عشرة ناقة نحر منها فى المصلى عقيب الخطبة ناقة وهى التى تهدى وتطلب من آفاق الارض للتبرك بلحمها ونحر فى المناخ مائة ناقة وهى التى يحمل منها للوزير وأولاده واخوته والامراء والضيوف والاجناد والعسكرية والمميزين من الراجل وفى كل يوم يتصدّق منها على الضعفاء والمساكين بناقة واحدة وفى اليوم الثالث من العيد تحمل ناقة منحورة للفقراء فى القرافة وينحر فى باب الساباط ما يحمل الى من حوته القصور والى دار الوزارة والى الاصحاب والحواشى اثنتاعشرة ناقة وثمانى عشرة بقرة

وخمس عشرة جاموسة ومن الكباش ألف وثمانمائة رأس ويتصدق كل يوم في باب الساباط بسقط مايذبح من النوق والبقر وأما مبلغ المنصرف على الاسمطة في ثلاثة الايام خارجا عن الاسمطة بالدار المأمونية فألف وثمانمائة وستة وعشرون دينارا وربع وسدس دينار ومن السكر برسم قصور الحلاوة والقطع المنفوخ المصنوعة بدار الفطرة خارجا عن المطابخ ثمانية وأربعون قنطارا * وقال ابن الطوير فاذا انقضى ذو القعدة وأهل ذو الحجة اهتم بالركوب في عيد النحر وهو يوم عاشره فيجرى حاله كما جرى في عيد الفطر من الزى والركوب الى المصلى ويكون لباس الخليفة فيه الاحمر الموشح ولا يخرم منه شئ وركوبه ثلاثة أيام متوالية فأولها يوم الخروج الى المصلى والخطابة كعيد الفطر وثاني يوم وثالثه الى المنحر وهو المقابل لباب الريح الذى في ركن القصر المقابل لسور دار سعيد السعداء الخانقاه اليوم وكان براحا خاليا لا عمارة فيه فيخرج من هذا الباب الخليفة بنفسه ويكون الوزير واقفا عليه فيترجل ويدخل ماشيا بين يديه بقربه هذا بعد انفصالهما من المصلى ويكون قد قيد الى هذا المنحر احد وثلاثون فصيلا وناقة أمام مصطبة مفروشة يطلع عليها الخليفة والوزير ثم اكابر الدولة وهو بين الاستاذين المحنكين فيقدم الفراشون له الى المصطبة رأسا ويكون بيده حربة من رأسها الذى لا سنان فيه ويد قاضى القضاة في اصل سنانها فيجعله القاضى في نحر النحيرة ويطعن بها الخليفة وتجر من بين يديه حتى يأتى على العدة المذكورة فأول نحيرة هي التى تقدد وتسير الى داعى اليمن وهو الملك فيه فيفرقها على المعتقدين من وزن نصف درهم الى ربع درهم ثم يعمل ثانى يوم كذلك فيكون عدد ما ينحر سبعا وعشرين ثم يعمل في اليوم الثالث كذلك وعدة ماينحر ثلاث وعشرون هذا وفي مدة هذه الايام الثلاثة يسير رسم الاضحية الى أرباب الرتب والرسوم كما سيرت الغرة في اول السنة من الدنانير بغير رباعية ولا قراريط على مثال الغرة من عشرة دنانير الى دينار وأما لحم الجزور فانه يفرق في أرباب الرسوم للتبرك في أطباق مع ادوان الفراشين واكثر ذلك تفرقة قاضى القضاة وداعى الدعاة للطلبة بدار العلم والمتصدرين بجوامع القاهرة ونقباء المؤمنين بها من الشيعة للتبرك فاذا انقضى ذلك خلع الخليفة على الوزير ثيابه الحمر التى كانت عليه ومنديلا آخر بغير السمة والعقد المنظوم من القصر عند عود الخليفة من المنحر فيركب الوزير من القصر بالخلع المذكورة شاقا القاهرة فاذا خرج من باب زويلة انعطف على يمينه سالكا على الخليج فيدخل من باب القنطرة الى دار الوزارة وبذلك انفصال عيد النحر * وقال ابن أبى طى عدة مايذبح في هذا العيد في ثلاثة ايام النحر وفي يوم عيد الغدير ألفان وخمسمائة وأحد وستون رأسا تفصيله نوق مائة وسبعة عشر رأسا بقر أربعة وعشرون رأسا جاموس عشرون رأسا هذا الذى ينحره الخليفة ويذبحه بيده في المصلى والمنحر وباب الساباط ويذبح الجزارون بين يديه من الكباش ألفا وأربعمائة رأس * وقال ابن عبد الظاهر كان الخليفة ينحر بالمنحر مائة رأس ويعود الى خزانة الكسوة فيغير قماشه ويتوجه الى الميدان وهو الخرنشف بباب الساباط للنحر والذبح ويعود بعد ذلك الى الحمام ويغير ثيابه للجلوس على الاسمطة وعدة مايذبحه ألف وسبعمائة وستة وأربعون رأسا مائة وثلاث عشرة ناقة والباقى بقر وغنم * قال ابن الطوير وثمن الضحايا على ما تقرر ما يقرب من ألفى دينار وكانت تخرج المخلقات الى الاعمال بشائر بركوب الخليفة في يوم عيد النحر فمما كتب به الاستاذ البارع ابو القسم على بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفى المنعوت بتاج الرياسة أما بعد فالحمد لله الذى رفع منار الشرع وحفظ نظامه ونشر راية هذا الدين وأوجب اعظامه وأطلع بخلافة امير المؤمنين كواكب سعوده وأظهر للموالف والمخالف عزة أحزابه وقوة جنوده وجعل فرعه ساميا ناميا واصله ثابتا راسخا وشرفه على الاديان باسرها وكان لعراها فاصما ولاحكامها ناسخا يحمده أمير المؤمنين أن الزم طاعته الخليقة وجعل كراماته الاسباب الجديرة بالامامة الخليقة ويرغب اليه في الصلاة على جده محمد الذى حاز الفخار أجمعه وضمن الجنة لمن آمن به واتبع النور الذى انزل معه ورفعه الى اعلى منزلة تخير له منها المحل وأرسله بالهدى ودين الحق فزهق الباطل وخمدت ناره واضمحل صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب خير الامة وامامها وحبر الملة وبدر تمامها والموفى يومه في الطاعات على ماضى امسه ومن اقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المباهلة مقام نفسه واختصه بأبعد غاية في سورة براءة فنادى في الحج بأولها ولم يكن غيره ينفذ نفاذه ولا يسد مكانه لانه قال لايبلغ عنى الا رجل من أهل بيتى عملا في ذلك بما أمر الله به سبحانه وعلى

الائمة من ذريتهما خلفاء الله فى أرضه والقائمين فى سياسة خلقه بصريح الايمان ومحضه والمحكمين من أمر الدين مالاوجه لحله ولا سبيل الى نقضه وسلم عليهم أجمعين سلاما يتصل دوامه ولا يخشى انصرامه ومجد وكرم وشرف وعظم وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الاحد عيد النحر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة الذى تبلج فجره عن سيئات محصت ونفوس من آثار الذنوب خلصت ورحمة امتدت ظلالها وانتشرت ومغفرة هنأت ونشرت وكان من خبر هذا اليوم أن أمير المؤمنين برز للكافة من بحضرته من اوليائه متوجها لقضاء حق هذا العيد السعيد وأدائه فى عترة راسخة قواعدها متمكنه وعساكر جمة تضيق عنها ظروف الامكنه ومواكب تتوالى كتوالى السيل وتهاب هيبة مجيئه فى الليل بأسلحة تحسر لها الابصار وتبرق وتراع الافئدة منها وتفرق بين مشرفى اذا ورد تورد ومن سمهرى اذا قصد تقصد ومن عمد اذا عمدت تبرأت المغافر من ضمانها ومن قسى اذا ارسلت بنانها وصلت الى القلوب بغير استئذانها ولم يزل سائرا فى هدى الامامة وأنوارها وسكينة الخلافة ووقارها الى أن وصل الى المصلى قدام المحراب وأدى الصلاة اذلم يكن بينه وبين التقبيل حجاب ثم علا المنبر فاستوى على ذروته ثم هلل الله وكبر وأثنى على عظمته وأحسن الى الكافة بتبليغ موعظته وتوجه الى ما اعدّ من البدن فنحره تكميلا لقربته وانتهى فى ذلك الى ما امر الله عز وجل وعاد الى قصوره المكرمة ومنازله المقدسة قد رضى الله عمله وشكر فعله وتقبله اعلمك امير المؤمنين بذلك لتشكر الله على النعمة فيه وتذيعه قبلك على الرسم مما تجاريه فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

(ذكر دار الوزارة الكبرى)

وكان بجوار هذا القصر الكبير الشرقى تجاه رحبة باب العيد دار الوزارة الكبرى ويقال لها الدار الافضلية والدار السلطانية * قال ابن عبد الظاهر دار الوزارة بناها بدر الجمالى أمير الجيوش ثم لم يزل يسكنها من يلى امرة الجيوش الى أن انتقل الامر عن المصريين وصار الى بنى أيوب فاستقر سكن الملك الكامل بقلعة الجبل خارج القاهرة وسكنها السلطان الملك الصالح ولده ثم أرصدت دار الوزارة لمن يرد من الملوك ورسل الخلفة الى هذا الوقت وكانت دار الوزارة قديما تعرف بدار القباب واضافها الافضل الى دور بنى هريسة وعمرها دارا وسماها دار الوزارة انتهى والذى تدل عليه كتب ابتياعات الاملاك القديمة التى بتلك الخطة انها من بناء الافضل لا من عمارة ابيه بدر والدار التى عمرها أمير الجيوش بدر هى داره بحارة برجوان التى قيل لها دار المظفر ومازال وزراء الدولة الفاطمية ارباب السيوف من عهد الافضل بن أمير الجيوش يسكنون بدار الوزارة هذه الى أن زالت الدولة فاستقر بها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب وابنه من بعده الملك العزيز عثمان ثم ابنه الملك المنصور ثم الملك العادل ابو بكر بن ايوب ثم ابنه الملك الكامل وصاروا يسمونها الدار السلطانية وأول من انتقل عنها من الملوك وسكن بالقلعة الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن ايوب وجعلها منزلا للرسل فلما ولى قطز سلطنة ديار مصر وتلقب بالملك العادل فى سنة سبع وخمسين وستمائة وحضر اليه البحرية وفيهم بيبرس البندقدارى وقلاون الالفى من الشام خرج الملك العادل قطز الى لقائهم وأنزل الامير ركن الدين بيبرس بدار الوزارة فلم يزل بها حتى سافر صحبة قطز الى الشام وقتله وعاد الى مصر فتسلطن وسكن بقلعة الجبل * وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة لما قتل الاشرف خليل بن قلاون فى واقعة بيدرا ثم قتل بيدرا وأجلس الملك الناصر محمد على تخت الملك وثارت الاشرفية من المماليك على الامراء وقتل من قتل منهم خاف بقية الامراء من شر المماليك الاشرفية فقبض منهم على نحو الستمائة مملوك وأنزل بهم من القلعة وأسكن منهم نحو الثلثمائة بدار الوزارة وأسكن منهم كثير فى مناظر الكبش واجريت عليهم الرواتب ومنعوا من الركوب الى أن كان من أمرهم ما هو مذكور فى موضعه من هذا الكتاب * ولما كانت سنة سبعمائة أخذ الامير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب السلطنة فى ايام الملك المنصور حسام الدين لاجين قطعة من دار الوزارة فبنى بها الربع المقابل خانقاه سعيد السعداء ثم بنى المدرسة المعروفة بالقراسنقرية ومكتب الايتام فلما كانت دولة البرجية بنى الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية والرباط بجانبها من جملة دار الوزارة وذلك فى سنة

نسع

تسع وسبعمائة ثم استولى الناس على مابقى من دار الوزارة وبنواغيها فمن حقوقها الربع تجاه الخانقاه الصلاحية دار سعيد السعداء والمدرسة القراسنقرية وخانقاه ركن الدين بيبرس ومابجوارها من دار قرمان ودار الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير المعروفة بدار خوند طولوباى الناصرية جهة الملك الناصر حسن ابن محمد بن قلاون وحمام الاعسر التى بجانبها والحمام المجاورة لها وماوراء هذه الاماكن من الآدر وغيرها وهى الفرن والطاحون التى قبلى المدرسة القراسنقرية ومن الآدر والخربة التى قبلى ربع قراسنقر وماجاور باب سر المدرسة القراسنقرية من الآدر وخربة اخرى هنالك والدار الكبرى المعروفة بدار الامير سيف الدين برلغى الصغير صهر الملك المظفر بيبرس الجاشنكير المعروفة اليوم بدار الغزاوى وفيها السرداب الذى كان رزيك ابن الصالح رزيك فتحه فى ايام وزارته من دار الوزارة الى سعيد السعداء وهو باق الى الآن فى صدر قاعتها وذكر أن فيه حية عظيمة ومن حقوق دار الوزارة المناخ المجاور لهذه القاعة وكان على دار الوزارة سور مبنى بالحجارة وقد بقى الآن منه قطعة فى حد دار الوزارة الغربى وفى حدها القبلى وهو الجدار الذى فيه باب الطاحون والساقية تجاه باب سعيد السعداء من الزقاق الذى يعرف اليوم بخرائب تتر ومنه قطعة فى حدها الشرقى عند باب الحمام والمستوقد بباب الجوانية وكان بدار الوزارة هذا الشباك الكبير المعمول من الحديد فى القبة التى دفن تحتها بيبرس الجاشنكير من خانقاهه وهو الشباك الذى يقرأ فيه القراء وكان موضوعا فى دار الخلافة ببغداد يجلس فيه الخلفاء من بنى العباس فلما استولى الامير أبو الحرث البساسيرى على بغداد وخطب فيها للخليفة المستنصر بالله الفاطمى أربعين جمعة وانتهب قصر الخلافة وصار الخليفة القائم بأمر الله العباسى الى عانة وسير البساسيرى الاموال والتحف من بغداد الى المستنصر بالله بمصر فى سنة سبع وأربعين وأربعمائة كان من جملة مابعث به منديل الخليفة القائم بامر الله الذى عممه بيده فى قالب من رخام قد وضع فيه كما هو حتى لا تتغير شدته ومع هذا المنديل رداؤه والشباك الذى كان يجلس فيه ويتكئ عليه فاحتفظ بذلك الى أن عمرت دار الوزارة على يد الافضل بن أمير الجيوش فجعل هذا الشباك بها يجلس فيه الوزير ويتكئ عليه ومازال بها الى أن عمر الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية وأخذ من دار الوزارة أنقاضا منها هذا الشباك فجعله فى القبة وهو شباك جليل وأما العمامة والرداء فمازالا بالقصر حتى مات العاضد وتملك السلطان صلاح الدين ديار مصر فسيرهما فى جملة مابعث من مصر الى الخليفة المستضىء بالله العباسى ببغداد ومعهما الكتاب الذى كتبه الخليفة القائم على نفسه وأشهد عليه العدول فيه أنه لاحق لبنى العباس ولا له من جملتهم فى الخلافة مع وجود بنى فاطمة الزهراء عليها السلام وكان البساسيرى ألزمه حتى أشهد على نفسه بذلك وبعث بالاشهاد الى مصر فأنفذه صلاح الدين الى بغداد مع ماسيره من التحف التى كانت بالقصر وأخبرنى شيخ معمر يعرف بالشيخ على السعودى ولد فى سنة سبع وسبعمائة قال رأيت مرة وقد سقط من ظهر الرباط المجاور لخانقاه بيبرس من جملة مابقى من سور دار الوزارة جانب ظهرت منه علبة فيها رأس انسان كبير وعندى أن هذا الرأس من جملة رؤس الامراء البرقية الذين قتلهم ضرغام فى ايام وزارته للعاضد بعد شاور فانه كان عمل الحيلة عليهم بدار الوزارة وصار يستدعى واحدا بعد واحد الى خزانة بالدار ويوهم أنه يخلع عليهم فاذا صار واحد منهم فى الخزانة قتل وقطع رأسه وذلك فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكانت دار الوزارة فى الدولة الفاطمية تشتمل على عدة قاعات ومساكن وبستان وغيره وكان فيها مائة وعشرون مقسما للماء الذى يجرى فى بركها ومطابخها ونحو ذلك

(ذكر رتبة الوزارة وهيئة خلعهم ومقدار جاريهم ومايتعلق بذلك)

أما المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بديار مصر فانه لم يوقع اسم الوزارة على أحد فى ايامه وأول من قيل له الوزير فى الدولة الفاطمية الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله أبى منصور نزار بن المعز واليه تنسب الحارة الوزيرية كما ستقف عليه عند ذكر الحارات من هذا الكتاب فلما مات ابن كلس لم يستوزر العزيز بالله بعده أحدا وانما كان رجل يلى الوساطة والسفارة فاستقر فى ذلك جماعة كثيرة بقية أيام العزيز وسائر أيام ابنه أبى على منصور الحاكم بأمر الله ثم ولى الوزارة احمد بن على الجرجراى فى ايام الظاهر أبى هاشم على بن

الحاكم ومازال الوزراء من بعده واحدا بعد واحد وهم أرباب اقلام حتى قدم أمير الجيوش بدر الجمالى * قال
ابن الطوير وكان من زى هؤلاء الوزراء انهم يلبسون المناديل الطبقيات بالاحناك تحت حلوقهم مثل العدول
الآن ويتفردون بلبس ثياب قصار يقال لها الدراريع واحدها دراعة وهى مشقوقة أمام وجهه الى قريب من
رأس الفؤاد بأزرار وعرى ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك ومنهم من أزراره لؤلؤ وهذه علامة
الوزارة ويحمل له الدواة المحلاة بالذهب ويقف بين يديه الحجاب وأمره نافذ فى أرباب السيوف من الاجناد
وأرباب الاقلام وكان آخرهم الوزير ابن المغربى الذى قدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا ووزر
للمستنصر وزير سيف ولم يتقدمه فى ذلك أحد انتهى وترتيب وزارته بأن تكون وزارته وزارة صاحب سيف
بأن تكون الامور كلها مردودة اليه ومنه الى الخليفة دون سائر خدمه فعقد له هذا العقد وأنشئ له السجل ونعت
بالسيد الاجل امير الجيوش وهو النعت الذى كان لصاحب ولاية دمشق وأضيف اليه كافل قضاة المسلمين
وهادى دعاة المؤمنين وجعل القاضى والداعى نائبين عنه ومقلدين من قبله وكتب له فى سجله وقد قلدك
أمير المؤمنين جميع جوامع تدبيره وناط بك النظر فى كل ماوراء سريره فباشر ماقلدك أمير المؤمنين من ذلك مدبرا
للبلاد ومصلحا للفساد ومدمرا اهل العناد وخلع عليه بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق وزيد له الحنك مع
الذؤابة المرخاة والطيلسان المقور زى قاضى القضاة وذلك فى سنة سبع وستين وأربعمائة فصارت الوزارة
من حينئذ وزارة تفويض ويقال لمتوليها أمير الجيوش وبطل اسم الوزارة فلما قام شاهنشاه بن أمير الجيوش
من بعد أبيه ومات الخليفة المستنصر وأجلس ابن بدر فى الخلافة احمد بن المستنصر ولقبه بالمستعلى صار يقال له
الافضل ومن بعده صار من يتولى هذه الرتبة يتلقب به أيضا وأول من لقب بالملك منهم مضافا الى بقية الالقاب
رضوان بن ولخشى عندما وزر للحافظ لدين الله فقيل له السيد الاجل الملك الافضل وذلك فى سنة ثلاثين
وخمسمائة وفعل ذلك من بعده فتلقب طلائع بن رزيك بالملك المنصور وتلقب ابنه رزيك بن طلائع بالملك العادل
وتلقب شاور بالملك المنصور وتلقب آخرهم صلاح الدين يوسف بن ايوب بالملك الناصر وصار وزير السيف
من عهد أمير الجيوش بدر الى آخر الدولة هو سلطان مصر وصاحب الحل والعقد واليه الحكم فى الكافة من
الامراء والاجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية وهو الذى يولى أرباب المناصب الديوانية والدينية وصار حال
الخليفة معه كما هو حال ملوك مصر من الاتراك اذا كان السلطان صغيرا والقائم بأمره من الامراء وهو الذى
يتولى تدبير الامور كما كان الامير يلبغا الخاصكى مع الاشرف شعبان وكما أدركنا الامير برقوق قبل سلطنته مع
ولدى الاشرف وكما كان الامير أيتمش مع الملك الناصر فرج بعد موت الظاهر برقوق * قال ابن أبى طى
وكانت خلعهم يعنى الخلفاء الفاطميين على الامراء الثياب الديبقى والعمائم القصب بالطراز الذهب وكان
طراز الذهب والعمامة من خمسمائة دينار ويخلع على أكابر الامراء الاطواق الذهب والاسورة والسيوف
المحلاة وكان يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر * قال ابن الطوير وخلع عليه يعنى على امير
الجيوش بدر الجمالى بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق وزيد له الحنك مع الذؤابة المرخاة والطيلسان المقور
زى قاضى القضاة وهذه الخلع تشابه خلع الوزراء وأرباب الاقلام فى زمننا هذا غير أنه لقصور أحوال الدولة
جعل عوض العقد الجوهر الذى كان للوزير ويفك بخمسة آلاف مثقال ذهبا قلادة من عنبر مغشوش يقال لها
العنبرية وتميز بها الوزير خاصة ويلبس أيضا الطيلسان المقور ويسمى اليوم بالطرحة ويشاركه فيها جميع أرباب
العمائم اذا خلع عليهم فانه تكون خلعهم بالطرحة وترك أيضا اليوم من خلعة الوزير وغيره الذؤابة المرخاة وهى
العذبة وصارت الآن من زى القضاة فقط وهجرها الوزراء ويشبه والله أعلم أن يكون وضعها فى الدولة
الفاطمية للوزير فى خلعه اشارة الى انه كبير أرباب السيوف والاقلام فانه كان مع ذلك يتقلد بالسيف
وكذلك ترك فى الدولة التركية من خلع الوزارة تقليد السيف لانه لاحكم له على أرباب السيوف ولما قام الافضل
ابن أمير الجيوش خلع ايضا عليه بالسيف والطيلسان المقور وبعد الافضل لم يخلع على أحد من الوزراء كذلك الى
أن قدم طلائع بن رزيك ولقب بالملك الصالح عندما خلع عليه للوزارة وجعل فى خلعته السيف والطيلسان
المقور * قال ابن المامون وفى يوم الجمعة ثانيه يعنى ثانى ذى الحجة يعنى سنة خمس عشرة وخمسمائة خلع على
القائد ابن فاتك البطائحى من الملابس الخاص الشريفة فى فردكم مجلس الكعبة وطوق بطوق ذهب مرصع

وسيف ذهب كذلك وسلم على الخليفة الآمر بأحكام الله وأمر الخليفة الاستاذين المحنكين بالخروج بين يديه وأن يركب من المكان الذى كان الافضل بن امير الجيوش يركب منه ومشى فى ركابه القواد على عادة من تقدمه وخرج بتشريف الوزارة يعنى من باب الذهب ودخل من باب العيد راكبا وجرى الحكم فيه على ما تقدم للافضل ووصل الى داره فضاعف الرسوم وأطلق الهبات ولما كان يوم الاثنين خامس ذى الحجة اجتمع امراء الدولة لتقبيل الارض بين يدى الخليفة الآمر على العادة التى قررها مستجدة واستدعى الشيخ أبا الحسن بن أبى أسامة فلما حضر امر باحضار السجل للاجل الوزير المأمون من يده فقبله وسلمه زمام القصر وامر الخليفة الوزير المأمون بالجلوس عن يمينه وقرئ السجل على باب المجلس وهو اول سجل قرئ فى هذا المكان وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالايوان ورسم للشيخ ابى الحسن أن ينقل النسبة للامراء والمحنكين من الامراء الى المأمونى للناس اجمع ولم يكن أحد منهم يتسب للافضل ولا لامير الجيوش وقدمت الدواة للمأمون فعلم فى مجلس الخليفة وتقدمت الامراء والاجناد فقبلوا الارض وشكروا على هذا الاحسان وأمر الخليفة باحضار الخلع لحاجب الحجاب حسام الملك وطوق بطوق ذهب وسيف ذهب ومنطقة ذهب ثم أمر بالخلع للشيخ أبى الحسن ابن أبى أسامة باستمراره على ما بيده من كتابة الدست الشريف وشرفه بالدخول الى مجلس الخليفة ثم استدعى الشيخ أبا البركات بن ابى الليث وخلع عليه بدلة مذهبة وكذلك ابو الرضى سالم ابن الشيخ أبى الحسن وكذلك ابو المكارم أخوه وأبو محمد أخوهما ثم ابو الفضل بن الميدعى ووهبه دنانير كثيرة بحكم أنه الذى قرأ السجل وخلع على الشيخ أبى الفضائل بن أبى الليث صاحب دفتر المجلس ثم استدعى عدى الملك سعيد بن عماد الضيف متولى امور الضيافات والرسل الواصلين الى الحضرة من مجلس الافضل ولا يصل لعتبته أحد لا حاجب الحجاب ولا غيره سوى عدى الملك هذا فانه كان يقف من داخل العتبة وكانت هذه الخدمة فى ذلك الوقت من أجل الخدم وأكبرها ثم عادت من أهون الخدم وأقلها فعند ذلك قال القاضى ابو الفتح بن قادوس يمدح الوزير المأمون عند مثوله بين يديه وقد زيد فى نعوته

قالوا أتاه النعت وهو السيد الـ ـمأمون حقا والاجل الاشرف
ومغيث امة احمد ومجيرها * مازادنا شيأ على ما نعرف

قال ولما استقر حسن نظر المأمون للدولة وجميل أفعاله بلغ الخليفة الآمر بأحكام الله فشكره واثنى عليه فقال له المأمون ثم كلام يحتاج الى خلوة فقال الخليفة تكون فى هذا الوقت وأمر بخلو المجلس فعند ذلك مثل بين يدى الخليفة وقال له يا مولانا امنتنا الامر صعب ومخالفته أصعب وما يتسع خلافه قدام امراء دولته وهو فى دست خلافته ومنصب آبائه وأجداده وما فى قواى ما يرومه منى ويكفينى هذا المقدار وهيهات أن أقوم به والامر كبير فعند ذلك تغير الخليفة وأقسم ان كان لى وزير غيرك وهو فى نفسى من ايام الافضل وهو مستمر على الاستعفاء الى أن بان له التغير فى وجه الخليفة وقال ما اعتقدت انك تخرج عن أمرى ولا تخالفنى فقال له المأمون عند ذلك لى شروط وأنا أذكرها فقال له مهما شئت اشترط فقال له قد كنت بالامس مع الافضل وكان قد اجتهد فى النعوت وحل المنطقة فلم أفعل فقال الخليفة علمت ذلك فى وقته قال وكان أولاده يكتبون اليه بما يعلمه مولاى من كونى قد خنته فى المال والاهل وما كان والله العظيم ذلك منى يوما قط ثم مع ذلك معاداة الاهل جميعا والاجناد وارباب الطيالس والاقلام وهو يعطينى كل رقعة تصل اليه منهم وما سمع كلام أحد منهم فى فعند ذلك قال له الخليفة فاذا كان فعل الافضل معك ما ذكرته ايش يكون فعلى انا فقال المأمون يعرفنى المولى ما يأمر به فأمتثله بشرط أن لا يكون عليه زائد فأول ما بدأ به أن قال اريد الاموال لا تجبى الا بالقصر ولا تصل الكسوات من الطراز والثغور الا اليه ولا تفرق الامنه وتكون اسمطة الاعياد فيه ويوسع فى رواتب القصور من كل صنف وزيادة رسم منديل الكم فعند ذلك قال له المأمون سمعا وطاعة أما الكسوات والجباية من الاسمطة فما تكون الا بالقصور وأما توسعة الرواتب فما ثم من يخالف الامر وأما زيادة رسم منديل الكم فقد كان الرسم فى كل يوم ثلاثين دينارا يكون فى كل يوم مائة دينار ومولانا سلام الله عليه يشاهد ما يعمل بعد ذلك فى الركوبات وأسمطة الاعياد وغيرها فى سائر الايام ففرح الخليفة وعظمت مسرته ثم قال المأمون اريد بهذا مسطورا بخط أمير المؤمنين ويقسم لى فيه بآبائه الطاهرين أن لا يلتفت لحاسد ولا مبغض ومهما ذكر

فى يطلعنى عليه ولا يأمرنى بأمر سرًّا ولا جهرا يكون فيه ذهاب نفسى وانحطاط قدرى وهذه الايمان باقية
الى وقت وفاتى فاذا توفيت تكون لاولادى ولمن اخلفه بعدى فحضرت الدواة وكتب ذلك جميعه واشهد الله تعالى
فى آخرها على نفسه فعندما حصل الخط بيد المأمون وقف وقبل الارض وجعله على رأسه وكان الخط بالايمان
نسختين احداهما فى قصبة فضة قال فلما قبض على المأمون فى شهر رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة
أنفذ الخليفة الآمر بأحكام الله يطلب الايمان فنفذله التى فى القصبة الفضة فخرقها لوقتها وبقيت النسخة
الاخرى عندى فعدمت فى الحركات التى جرت * وقال ابن ميسر فى حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة وفيها
تشرف القائد ابو عبد الله محمد ابن الامير نور الدولة أبى شجاع فاتك ابن الامير منجد الدولة أبى الحسن مختار
المستنصرى المعروف بابن البطائحى فى الخامس من ذى الحجة وكان قبل ذلك عند الافضل استاداره وهو الذى
قدمه الى هذه المرتبة واستقرت نعوته فى سجله المقرّ على كافة الامراء والاجناد بالاجل المأمون تاج الخلافة
وجيه الملك فخر الصنائع ذخر امير المؤمنين ثم تجدد له من النعوت بعد ذلك الاجل المأمون تاج الخلافة عز
الاسلام فخر الانام نظام الدين والدنيا ثم نعت بما كان ينعت به الافضل وهو السيد الاجل المأمون أمير
الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ولما كان يوم الثلاثاء
التاسع من ذى الحجة وهو يوم الهناء بعيد النحر جلس المأمون فى داره عند أذان الصبح وجاء الناس لخدمته
للهناء على طبقاتهم من أرباب السيوف والاقلام ثم الامراء والاستاذون المحنكون والشعراء بعدهم فركب
الى القصر وأتى باب الذهب فوجد المرتبة المختصة بالوزارة قد هيئت له فى موضعها الجارى به العادة وأغلق
الباب الذى عندها على الرسم المعتاد لوزراء السيوف والاقلام وهذا الباب يعرف بباب السرداب فعند
ماشاهد الحال فى المرتبة توقف عن الجلوس عليها لانها حالة لم يجر معه حديث فيها ثم ألجأته الضرورة لاجل
حضور الامراء الى الجلوس فجلس عليها وجلس اولاده الثلاثة عن يمينه وأخواه عن يساره والامراء المطوّقون
خاصة دون غيرهم قيام بين يديه فانه لايصل أحد الى هذا المكان سواهم فلم يكن بأسرع من أن فتح الباب وخرج
عدة من الاستاذين المحنكين بسلام أمير المؤمنين وخرج اليه الامير الثقة متولى الرسالة وزمام القصور فعند
حضوره وقف له أولاد المأمون وأخواه فطلع عند خروجه قبالة المرتبة وقال أمير المؤمنين يردّ على السيد
الاجل المأمون السلام فوقف عند ذلك المأمون وقبل الارض وعاد فجلس مكانه وتأخر الامير الى أن نزل من
المصطبة وقبل الارض وقبل يد المأمون ودخل من فوره من الباب وأغلق الباب على حاله على ما كان عليه
الافضل وكان الافضل يقول ماأزال أعدّ نفسى سلطانا حتى أجلس على تلك المرتبة والباب يغلق فى وجهى
والدخان فى انفى فان الحمام كانت من خلف الباب فى السرداب ثم فتح الباب وعاد الثقة وأشار بالدخول الى
القصر فدخل الى المكان الذى هيئ له وعاد لمجلس الوزارة وبقى الامراء بالدهاليز الى أن جلس الخليفة واستفتح
القرّاء واستدعى المأمون فحضر بين يديه وسلم عليه أولاده واخوته وأحلّ الامراء على قدر طبقاتهم أولهم
أرباب الاطواق ويليهم أرباب العماريات والاقصاب ثم الضيوف والاشراف ثم دخل ديوان المكاتبات
وسلم بهم الشيخ ابو الحسن بن أبى اسامة ثم ديوان الانشاء وسلم بهم الشريف ابن انس الدولة ثم بقية الطالبيين
من الاشراف ثم سلم القاضى ابن الرعينى بشهوده والداعى ابن عبد الحق بالمؤمنين ثم سلم القائد مقبل مقدم
الركاب الآمرى بجميع المقدمين الآمرية ثم سلم بعدهم الشيخ ابو البركات بن أبى الليث متولى ديوان المملكة
ثم دخل الاجناد من باب البحر وسلم كل طائفة بمقدمها فلما انقضى ذلك دخل والى القاهرة ووالى مصر وسلم
كل منهما بأعيان اهل البلدين ثم دخل البطرك بالنصارى وفيهم كتاب الدولة من النصارى ورئيس اليهود ومعه
الكتاب من اليهود ثم سلم المقربون وقد قارب القصر ودخل الشعراء على طبقاتهم وأنشد كل منهم ما سمحت ٢
به قريحته قال فكان هذا رتبة الوزير المأمون قال ابن المأمون وأما ما قرّر للوزارة عينا فى الشهر بغير
ايجاب بل يقبض من بيت المال فهو ثلاثة آلاف دينار تفصيلها ما هو على حكم النيابة فى العلامة ألف
دينار وما هو على حكم الراتب ألف وخمسمائة دينار وما هو عن مائة غلام برسم مجلسه وخدمته لكل غلام خمسة
دنانير فى الشهر فأما الغلمان الركابية وغيرهم من الفراشين والطباخين فعلى حكم مايرغب فى اثباته وفى السنة من
الاقطاعات خمسون ألف دينار منها دهشور وجزيرة الذهب وبقية الجلة صفقات ومن البساتين ثلاثة بستان

الامير

الامير تميم وبستانان بكوم أشفين ومن القوت يعني القمح ومن القضم يعني الشعير والبرسيم في السنة عشرون ألف اردب قمحا وشعيرا ومن الغنم برسم مطابخه ساقة من المراحات ثمانية آلاف رأس وأما الحيوان والاحطاب وجميع التوابل العال منها والدون فهما استدعاه متولي المطابخ يطلق من دار أفتكين وشون الاحطاب وغيرذلك وقد تقدم مقرر كسوة الوزارة في العيدين وفصلي الشتاء والصيف وموسم عيد الغدير وفتح الخليج وغيرذلك من غرتي شهر رمضان وأول العام وغيره كما سيرد في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد استقصيت سير الوزراء في كتابي الذي سميته تلقيح العقول والآراء في تنقيح أخبار الجلة الوزراء فانظره

✱(ذكر الحجر التي كانت برسم الصبيان الحجرية)✱

وكان بجوار دار الوزارة مكان كبير يعرف بالحجر جمع حجرة فيها الغلمان المختصون بالخلفاء كما أدركنا بالقلعة البيوت التي كان يقال لها الطباق وكانت هذه الحجر من جانب حارة الجوانية والى حيث المسجد الذي يعرف بمسجد القاصد تجاه باب الجامع الحاكمي الذي يفضي الى باب النصر فمن حقوق هذه الحجر دار الامير بهادر اليوسفي السلاحدار الناصري التي تجاور المسجد الكائن على يمنة من سلك من باب الجوانية طالبا باب النصر ومنها الحوض المجاور لهذه الدار ودار الامير أحمد قريب الملك الناصر محمد بن قلاون والمسجد المعروف بالنخلة وما بجواره من القاعتين اللتين تعرف احداهما بقاعة الامير علم الدين سنجر الجاولي وما في جانبها الى مسجد القاصد وماوراء هذه الدور وكان لهؤلاء الحجرية اصطبل برسم دوابهم سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى ومازالت هذه الحجر باقية بعد انقضاء دولة الخلفاء الفاطميين الى ما بعد السبعمائة فهدمت وبنى الناس مكانها الاماكن المذكورة ✱ قال ابن أبي طي عن المعز لدين الله وجعل كل ماهر في صنعة صانعا للخاص وأفرد لهم مكانا برسمهم وكذلك فعل بالكتاب والافاضل وشرط على ولاة الاعمال عرض اولاد الناس بأعمالهم فمن كان ذا شهامة وحسن خلقة أرسله ليخدم في الركاب فسيروا اليه عالما من اولاد الناس فأفرد لهم دورا وسماها الحجر ✱ وقال ابن الطوير وكوتب الافضل ابن أمير الجيوش من عسقلان باجتماع الفرنج فاهمه التوجه اليها فلم يبق ممكنا من مال وسلاح وخيل ورجال واستناب أخاه المظفر أبا محمد جعفر بن امير الجيوش بدر بين يدي الخليفة مكانه وقصد استنقاذ الساحل من يد الفرنج فوصل الى عسقلان وزحف عليها بذلك العسكر فخذل من جهة عسكره وهي نوبة النصة وعلم أن السبب في ذلك من جنده ولما غلب حرق جميع ما كان معه من الآلات وكان عند الفرنج شاعر منجم اليهم فقال يخاطب صنجيل ملك الفرنج

نصرت بسيفك دين المسيح ✱ فلله درك من صنجيل
وما سمع الناس فيما رووه ✱ بأقبح من كسرة الافضل

فتوصل الافضل الى ذبح هذا الشاعر ولم ينتفع بعد هذه النوبة أحد من الاجناد بالافضل وحظر عليهم النعوت ولم يسمع لاحد منهم كلمة وأنشأ سبع حجر واختار من اولاد الاجناد ثلاثة آلاف راجل وقسمهم في الحجر وجعل لكل مائة زماما ونقيبا وزم الكل بأمير يقال له الموفق وأطلق لكل منهم ما يحتاج اليه من خيل وسلاح وغيره وعني بهؤلاء الاجناد فكان اذا دهمه أمر مهم جهزهم اليه مع الزمام الاكبر ✱ وقال ابن المأمون وكان من جملة الحجرية الذين يحضرون السماط رجل يعرف بابن زحل وكان يأكل خروفا كبيرا مشويا ويستوفيه الى آخره ثم يقدم له صحن كبير من القصور المعمولة بالسكر وجميع صنوف الحيوانات على اختلاف أجناسها ما لم يعمل قط مثله من الاطعمة فيأكل معظمه وكان يقعد في طرف المدورة حتى يكون بالقرب من نظر الخليفة لاالميزنه وكان من الاجناد وأسر في ايام الافضل وقيده الفرنجي الذي أسره وعذبه وطالت مدته في الاسر وكان فقيرا فاتفق ان ذكر للفرنجي كثرة أكله فأراد أن يمتحنه فقال له أحضر لي عجلا أكبر عجل عندكم آكله الى آخره فضحك منه الفرنجي ونقص عقله وأتاه بعجل كبير ويقال بخنزير فقال له اذبحه واشوه وائتني معه بجرة خل ثم قال اذا اكلته ما يكون لي عندك فغلط الفرنجي وقال له اطلقك تمضي الى اهلك فاستحلفه على ذلك وغلظ عليه اليمين وأحضر الفرنجي عدة من اصحابه ليشاهدوا فعله فلما استوفى العجل جميعه صلب كل من الحاضرين على وجهه

وتعجب من فعله وأطلقه فقال أخاف من أن يعتقد انى هربت فأرد اليكم فأحضر الفرنجى من العربان من سلمه اليهم ولم يشعر به الايباب عسقلان فطلع منها وأعفى بعد ذلك من السفر وبقى برسم الاسمطة * وقال ابن عبد الظاهر الحجر قريب من باب النصر وهو مكان كبير فى صف دار الوزارة الى جانبه باب القوس الذى يسمى باب النصر قديما على يمنة الخارج من القاهرة كان تربى فيه جماعة من الشباب يسمون صبيان الحجر يكونون فى جهات متعددة وهم يناهزون خمسة آلاف نسمة ولكل حجرة اسم تعرف به وهى المنصورة والفتح والجديدة وغير ذلك مفردة لهم وعندهم سلاحهم فاذا جردوا خرج كل منهم لوقته لا يكون له ما يمنعه وكانوا فى ذلك على مثال الذؤابة والاستاذ وكانوا اذا سمى الرجل منهم بعقل وشجاعة خرج من هناك الى الامرة او التقدمة مثل على بن السلار وغيره ولا يأوى أحد منهم الا بحجرته بفرسه وعدته وقماشه وللصبيان الحجرية حجرة مفردة عليهم استاذون يبيتون عندهم وخدام برسمهم

(ذكر المناخ السعيد)

وكان من وراء القصر الكبير فيما يلى ظهر دار الوزارة الكبرى والحجر المناخ وهو موضع برسم طواحين القمح التى تطحن بجرايات القصور وبرسم مخازن الاخشاب والحديد ونحو ذلك * قال ابن الطوير وأما المناخات ففيها من الحواصل مالا يحصره الا القلم من الاخشاب والحديد والطواحين النحدية والغشيمة وآلات الاساطيل من الاسلحة المعمولة بيد الفرنج القاطنين فيه والقنب والكتان والمجنيقات المعدة والطواحين الدائرة برسم الجرايات المقدم ذكرها والرفت فى المخازن الذى عليه الاتربة ولا يقطع الا بالمعاول وقد أدركت هذه الدولة يعنى دولة بنى أيوب منه شيئا كثيرا فى هذا المكان انتفع به واليه يأوى الفرنج فى بيوت برسمهم وكانت عدتهم كثيرة ففيه من النجارين والجزارين والدهانين والخبازين والخياطين والفعلة ومن العجانين والطحانين فى تلك الطواحين والفرانين فى أفران الجرايات وفى هذا المكان مادة أكثر اهل الدولة وحاميه أمير من الامراء ومشارفه من العدول وفيه أيضا شاهد النفقات وعامل يتولى التنفيذ مع المشارف وعامل برسم نظم الحساب من تعلقاتهما بجار غير جواريهم لان أوقاتهم مستغرقة فى مباشرة الاطلاقات وغيرها وذكر ابن الطوير أن المأمون بن البطائحى استجد طواحين برسم الرواتب

(ذكر اصطبل الطارمة)

الطارمة بيت من خشب وهو دخيل وكان بجوار القصر الكبير تجاه باب الديلم من شرقى الجامع الازهر اصطبل * قال ابن الطوير وكان لهم اصطبلان أحدهما يعرف بالطارمة يقابل قصر الشوك والآخر بحارة زويلة يعرف بالجيزة وكان للخليفة الحاضر ما يقرب من ألف رأس فى كل اصطبل النصف من ذلك منها ما هو برسم الخاص ومنها ما يخرج برسم العوارى لارباب الرتب والمستخدمين دائما ومنها ما يخرج أيام المواسم وهى التغيرات المتقدم ذكر ارسالها لارباب الرتب والخدم والمرتب لكل اصطبل منها لكل ثلاثة أرؤس سائس واحد لازم ولكل واحد منها شداد برسم تسييرها وفى كل اصطبل بئر بساقية تدور الى احواض ومخازن فيها الشعير والاقراط اليابسة المحمولة من البلاد اليها ولكل عشرين رجلا من السواس عريف يلتزم دركهم بالضمان لانهم الذين يتسلمون من خزائن السروج المركبات بالحلى ويعيدونها اليها كما تقدم ذكره فى خزائن السروج ولكل من الاصطبلين رائض كامير اخور ولهما ميرة وجامكية متسعة والعرفاء على السواس ميرة وللجماعات الجرايات من القمح والخبز خارجا عن الجامكيات فاذا بقى لايام المواسم التى يركب فيها الخليفة بالمظلة مدة اسبوع أخرج الى كل رائض فى الاصطبل مع استاذ مظلة ديبقى مركبة على قنطارية مدهونة ويختص الرائض على ما يركبه الخليفة اما فرسين او ثلاثة وعليهما المركبات الحلى التى يركبها الخليفة فيركبها الرائض بحائل بينه وبين السرج ويركب الاستاذ بغلة مظلة ويحمل تلك المظلة ويسير فى براح الاصطبل وفيه سعة عظيمة مارا وعائدا وحولها البوق والطبل فيكرر ذلك عدة دفعات فى كل يوم مدة ذلك الاسبوع ليستقر ما يركبه الخليفة من الدواب على ذلك ولا ينفر منه فى حال الركوب عليه فيعمل كذلك فى كل اصطبل من الاصطبلين والدواب والبغلة التى تتهيأ هى التى يركبها الخليفة وصاحب المظلة يوم الموسم ولا يحتمل ذلك ويقال انه ما راثت دابة

ولابالث والخليفة راكبها ولابغلة صاحب المظلة أيضا الى حين نزولهما عنهما وكان فى الساحل بطريق مصر من القاهرة فى البساتين المنسوبة الى ملك صارم الدين حللبا شونتان مملوءتان تبنا معيتان كتعبيته فى المراكب كالجبلين الشاهقين ولهما مستخدمون حام ومشارف وعاملى بجامكية جيدة تصل بذلك المراكب التبانية الموهلة له من موظف الاتبان بالبلاد الساحلية وغيرها مما يدخل اليه فى ايام النيل ولها رؤساء وأمرها جار فى ديوان العمائر والصناعة والانفاق منها بالتوقيعات السلطانية للاصطبلات المذكورة وغيرها من الاواسى الديوانية وعوامل بساتين الملك واذا جرى بين المستخدمين خلف فى الشنف التبن المعتبر عادوا الى قبضه بالوزن فيكون الشنف التبن ثلثمائة وستين رطلا بالمصرى نقصا واذا أنفقوا دريسا قد تغيرت صورته فكان عن القتة اثناعشر رطلا ولم يزل ذلك كذلك الى آخر وقته ومما يخبر عنهم أنهم لم يركبوا حصانا أدهم قط ولا يرون اضافته الى دوابهم بالاصطبلات وقال ابن عبد الظاهر اصطبل الطارمة كان اصطبلا للخليفة فلما زالت تلك الايام اختط وبنى آدرا

(ذكر دار الضرب وما يتعلق بها)

وكان بجوار خزانة الدرق التى هى اليوم خان مسرور الكبير دار الضرب وموضعها حينئذ كان بالقشاشين التى تعرف اليوم بالخراطين وصار مكان دار الضرب اليوم درب يعرف بدرب الشمسى فى وسط سوق السقطيين المهامزيين وباب هذا الدرب تجاه قيسارية العصفر فاذا دخلت هذا الدرب فما كان على يسارك من الدور فهو موضع دار الضرب وبجوارها دار الوكالة الحافظية فجعلت الحوانيت التى على يمنة من سلك من رأس الخراطين تجاه سوق العنبر طالبا الجامع الازهر فى ظهر دار الضرب وانشأ هذه الحوانيت وما كان يعلوها من البيوت الامير المعظم خمرتاش الحافظى وجعلها وقفا وقال فى كتاب وقفها وحد هذه الحوانيت الغربى ينتهى الى دار الضرب والى دار الوكالة وقد صارت هذه الحوانيت الآن من جملة أوقاف المدرسة الجمالية مما اغتصب من الاوقاف ومازالت دار الضرب هذه فى الدولة الفاطمية باقية الى أن استبد السلطان صلاح الدين فصارت دار الضرب حيث هى اليوم كما تقدم ذكره وكان لدار الضرب المذكورة فى ايامهم أعمال ويعمل بها دنانير الغرة ودنانير خميس العدس ويتولاها قاضى القضاة لجلالة قدرها عندهم * قال ابن المأمون وفى شوال منها وهى سنة ست عشرة وخمسمائة أمر الاجل ببناء دار الضرب بالقاهرة المحروسة لكونها مقر الخلافة وموطن الامامة فبنيت بالقشاشين قبالة المارستان وسميت بالدار الآمرية واستخدم لها العدول وصار دينارها أعلى عيارا من جميع ما يضرب بجميع الامصار انتهى وكانت دار الضرب المذكورة تجاه المارستان فكان المارستان بجوار خزانة الدرق فما عن يمينك الآن اذا سلكت من رأس الخراطين فهو موضع دار الضرب ودار الوكالة هكذا الى الحمام التى بالخراطين وما وراءها وما عن يسارك فهو موضع المارستان * قال ابن عبد الظاهر فى ايام المأمون بن البطائحى وزير الآمر بأحكام الله بنيت دار الضرب فى القشاشين قبالة المارستان الذى هنالك وسميت بالدار الآمرية

(دار العلم الجديدة) وكان بجوار القصر الكبير الشرقى دار فى ظهر خزانة الدرق من باب تربة الزعفران لما أغلق الافضل بن أمير الجيوش دار العلم التى كان الحاكم بأمر الله فتحها فى باب التبانين اقتضى الحال بعد قتله أعادة دار العلم فامتنع الوزير المأمون من اعادتها فى موضعها فأشار الثقة زمام القصور بهذا الموضع فعمل دار العلم فى شهر ربيع الاول سنة سبع عشرة وخمسمائة وولاها لابى محمد حسن بن آدم واستخدم فيها مقرئين ولم تزل دار العلم عامرة حتى زالت الدولة الفاطمية * قال ابن عبد الظاهر رأيت فى بعض كتب الاملاك القديمة ما يدل على انها قريبة من القصر النافعى وكذا ذكر لى السيد الشريف الحلبى أنها دار ابن أزدمر المجاورة لدار سكنى الآن خلف فندق مسرور الكبير وكذلك قال لى والدى رحمه الله وقد بناها جمال الدين الاستادار الحلبى دارا عظيمة غرم عليها مائة ألف وأكثر من ذلك على ما ذكره انتهى وموضع دار العلم هذه دار كبيرة ذات زلاقة بجوار درب ابن عبد الظاهر قريبا من خان الخليلى بخط الزراكشة العتيق

(موسم اول العام) قال ابن المأمون واسفرت غرة سنة سبع عشرة وخمسمائة وبادر المستخدمون

فى الخزائن وصناديق الانفاق بحسمل ما يحضر بين يدى الخليفة من عين وورق من ضرب السنة المستجدة ورسم جميع من يختص به من اخوته وجهاته وقراباته وأرباب الصنائع والمستخدمات وجميع الاستاذين العوالى والادوان وثنوا بحمل ما يختص بالاجل المأمون وأولاده واخوته واستأذنوا على تفرقة ما يختص بالاجل المأمون وأولاده والاصحاب والحواشى والامراء والضيوف والاجناد فأمروا بتفرقته والذى اشتمل عليه المبلغ فى هذه السنة نظير ما كان قبلها وجلس المأمون باكرا على السماط بداره وفرقت الرسوم على أرباب الخدم والمميزين من جميع اصنافه على ما تضمنته الاوراق وحضرت التعاشير والتشريفات وزى الموكب الى الدار المأمونية وتسلم كل من المستخدمين المداريج بأسماء من شرف بالجبة ومصفات العساكر وترتيب الاسمطة وأصعد كل منهم الى شغله وتوجه لخدمته ثم ركب الخليفة واستدعى الوزير المأمون ثم خرج من باب الذهب وقد نشرت مظلته وخدمت الرهجية ورتب الموكب والجنائب ومصفات العساكر عن يمينه وشماله وجميع تجار البلدين من الجوهريين والصيارف والصاغة والبزازين وغيرهم قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة وخرج من باب الفتوح والعساكر فارسها وراجلها بتجملها وزيها وأبواب حارات العبيد معلقة بالستور ودخل من باب النصر والصدقات تعم المساكين والرسوم تفرق على المستقرين الى أن دخل من باب الذهب فلقيه المقرؤن بالقرآن الكريم فى طول الدهاليز الى أن دخل خزانة الكسوة الخاص وغير ثياب الموكب بغيرها وتوجه الى تربة آبائه للترحيم على عادته وبعد ذلك الى ما رآه من قصوره على سبيل الراحة وعبيت الاسمطة وجرى الحال فيها وفى جلوس الخليفة ومن جرت عادته وتهيئة قصور الخلافة وتفرقة الرسوم على ما هو مستقر وتوجه الاجل المأمون الى داره فوجد الحال فى الاسمطة على ما جرت به العادة والتوسعة فيها اكثر مما تقدمها وكذلك الهناء فى صبيحة الموسم بالدار المأمونية والقصور وحضر من جرت العادة بحضوره للهناء وبعدهم الشعراء على طبقاتهم وعادت الامور فى ايام السلام والركوبات وترتيبها على المعهود وأحضر كل من المستخدمين فى الدواوين ما يتعلق بديوانه من التذاكر والمطالعات مما تحتاج اليه الدولة فى طول السنة وينعم به ويتصدق ويحمل الى الحرمين الشريفين من كل صنف على ما فصل فى التذاكر على يد المندوبين ويحمل الى الثغور ويخزن من سائر الاصناف ما يستعمل ويباع فى الثغور والبلاد والاستيمار وجريدة الابواب وتذكرة الطراز والتوقيع عليها * وقال ابن الطوير فاذا كان العشر الاخير من ذى الحجة فى كل سنة انتصب كل من المستخدمين بالاماكن لاخراج آلات الموكب من الاسلحة وغيرها فيخرج من خزائن الاسلحة ما يحمله صبيان الركاب حول الخليفة من الاسلحة وهو الصماصم المصقولة المذهبة مكان السيوف المحدبة والدبابيس الكيمخت الاحمر والاسود ورؤسها مدورة مضرسة والتوت كذلك ورؤسها مستطيلة مضرسة أيضا وآلات يقال لها المستوفيات وهى عمد حديد من طول ذراعين مربعة الاشكال بمقابض مدورة فى ايديهم بعدة معلومة من كل صنف فيتسلمها نقباؤهم وهى فى ضمانهم وعليهم اعادتها الى الخزائن بعد تقضى الخدمة بها ويخرج للطائفة من العبيد الاقوياء السودان الشباب ويقال لهم أرباب السلاح الصغر وهم ثلثمائة عبد لكل واحد حربتان بأسنة مصقولة تحتها جلب فضة كل اثنتين فى شرابة وثلثمائة درقة بكوامخ فضة يتسلم ذلك عرفاؤهم على ما تقدم فيسلمونه للعبيد لكل واحد حربتان ودرقة ثم يخرج من خزانة التجمل وهى من حقوق خزائن السلاح القصب الفضة برسم تشريف الوزير والامراء أرباب الرتب وأزمة العساكر والطوائف من الفارس والراجل وهى رماح ملبسة بأنابيب الفضة المنقوشة بالذهب الاذرعين منها فيشد فى ذلك الخالى من الانابيب عدة من المعاجر الشرب الملونة ويترك أطرافها المرقومة مسبلة كالصناجق وبرؤسها رمامين منفوخة فضة مذهبة واهلة مجوفة كذلك وفيها جلاجل لها حس اذا تحركت وتكون عدتها ما يقرب من مائة ومن العماريات وهى شبه الكجاوات من الديباج الاحمر وهو أجلها والاصفر والقرقوبى والسقلاطون مبطنة مضبوطة بزنانير حرير وعلى دائر التربيع منها مناطق بكوامخ فضة مسمورة فى جلد نظير عدد القصب فيسير من القصب عشرة ومن العماريات مثلها من الحرخاصة ويخرج للوزير خاصة لواآن على رمحين طويلين ملبسين بمثل تلك الانابيب ونفس اللواء ملفوف غير منشور وهذا التشريف يسير أمام الوزير وهو للامراء من ورائهم ثم يسير للامراء أرباب الرتب فى الخدم وأولهم صاحب الباب وهو أجلهم خمس قصبات وخمس عماريات ويرسل لاسفهسلار

العساكر

العساكر أربع قصبات وأربع عماريات من عدة ألوان ومن سواهما من الامراء على قدر طبقاتهم ثلاث ثلاث واثنتان اثنتان وواحدة واحدة ثم يخرج من البنود الخاص الدبيقي المرقوم الملون عشرة برماح ملبسة بالانابيب وعلى رؤسها الرمامين والاهلة للوزير خاصة ودون هذه البنود مما هو من الحرير على رماح غير ملبسة وروسها ورمامينها من نحاس مجوف مطلى بالذهب فتكون هذه أمام الامراء المذكورين من تسعة الى سبعة اذرع برأسها طلعة مصقولة وهي من خشب القنطاريات داخلة في الطامة وعقبها حديد مدور أسفل فهي في كف حاملها الايمن وهو يفتلها فيه فتلا متداركا الدوران وفي يده اليسرى نشابة كبيرة يخطر بها وعدتها ستون مع ستين رجلا يسيرون رجالة في الموكب يسيرون يمنة ويسرة ثم يخرج من النقارات حمل عشرين بغلا على كل بغل ثلاث مثل نقارات الكوسات بغير كوسات يقال لها طبول فيتسلمها صناعها ويسيرون في الموكب اثنين اثنين ولها حس مستحسن وكان لها ميزة عندهم في التشريف ثم يخرج لقوم متطوعين بغير جار ولا جراية تقرب عدتهم من مائة رجل لكل واحد درقة من درق اللمط وهي واسعة وسيف ويسيرون أيضا رجالة في الموكب هذا وظيفة خزائن السلاح ثم يحضر حامي خزائن السروج وهو من الاستاذين المحنكين اليهامع مشارفها وهو من الشهود المعدلين فيخرج منها برسم خاص الخليفة من المركبات الحلي ما هو برسم ركوبه وما يجنب في موكبه مائة سرج منها سبعون على سبعين حصانا ومنها ثلاثون على ثلاثين بغلة كل مركب مصوغ من ذهب أو من ذهب وفضة أو من ذهب منزل فيه المينا او من فضة منزلة بالمينا وروادفها وقرابيسها من نسبتها ومنها ما هو مرصع بالجواهر الفائقة وفي اعناقها الاطواق الذهب وقلائد العنبر وربما يكون في أيدي وأرجل اكثرها خلاخل مسطوحة دائرة عليها ومكان الجلد من السروج الديباج الاحمر والاصفر وغيرهما من الالوان والسقلاطون المنقوش بألوان الحرير قيمة كل دابة وما عليها من العدة ألف دينار فيشرف الوزير من هذه بعشرة حصن لركوبه وأولاده واخوته ومن يعز عليه من اقاربه ويسلم ذلك لعرفاء الاصطبلات بالعرض عليهم من الجرائد التي هي ثابتة فيها بعلاماتها في أماكنها وأعدادها وعدد كل مركب منقوش عليه مثل اول وثان وثالث الى آخرها كما هو مسطور في الجرائد فيعرف بذلك قطعة قطعة ويسلمها العرفاء للشدادين بضمان عرفائهم الى أن تعود وعليهم غرامة ما نقص منها واعادتها برمتها ثم يخرج من الخزائن المذكورة لارباب الدواوين المرتبين في الخدم على مقاديرهم مركبات أيضا من الحلي دون ما تقدم ذكره ما تقرب عدته من ثلثمائة مركب على خيل وبغلات وبغال يتسلمها العرفاء المتقدم ذكرهم على الوجه المذكور وينتدب حاجب يحضر على التفرقة لفلان وفلان من أرباب الخدم سيفا وقلما فيعترف كل شداد صاحبه فيحضر اليه بالقاهرة ومصر سحر يوم الركوب ولهم من الركاب رسوم من دينار الى نصف دينار الى ثلث دينار فاذا تكمل هذا الامر وسلم أيضا الجالون بالمناخات اغشية العماريات ويكون اراحة في ذلك كله الى آخر الثامن والعشرين من ذي الحجة وأصبح اليوم التاسع والعشرون من سلخه على رأى القوم عزم الخليفة على الجلوس في الشباك لعرض دوابه الخاص المقدم ذكرها ويقال له يوم عرض الخيل فيستدعى الوزير بصاحب الرسالة وهو من كبار الاستاذين المحنكين وفصحائهم وعقلائهم ومحصليهم فيمضي الى استدعائه في هيئة المسرعين على حصان دهراج امتثالا لامر الخليفة بالاسراع على خلاف حركته المعتادة فاذا عاد مثل بين يدي الخليفة وأعلمه باستدعائه الوزير فيخرج راكبا من مكانه في القصر ولا يركب أحد في القصر الا الخليفة وينزل في السدلا بدهليز باب الملك الذي فيه الشباك وعليه من ظاهره للناس ستر فيقف من جانبه الايمن زمام القصر ومن جانبه الايسر صاحب بيت المال وهما من الاستاذين المحنكين فيركب الوزير من داره وبين يديه الامراء فاذا وصل الى باب القصر ترجل الامراء وهو راكب ويكون دخوله في هذا اليوم من باب العيد ولا يزال راكبا الى اول باب من الدهاليز الطوال فينزل هناك ويمشي فيها وحواليه حاشيته وغلمانه وأصحابه ومن يراه من أولاده وأقاربه ويصل الى الشباك فيجد تحته كرسيا كبيرا من كراسي ابلق الجيد فيجلس عليه ورجلاه تطأ الارض فاذا استوى جالسا رفع كل استاذ الستر من جانبه فيرى الخليفة جالسا في المرتبة الهائلة فيقف ويسلم ويخدم بيده الى الارض ثلاث مرات ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس ويستفتح القراء بالقراءة قبل كل شيء بآيات لائقة بذلك الحال مقدار نصف ساعة ثم يسلم الامراء ويسرع في عرض الخيل والبغال الخاص المقدم ذكرها دابة دابة وهي هادئة كالعرائس بأيدي شداديها الى ان يكمل

عرضها فيقرأ القراء نختم ذلك الجلوس ويرخى الاستاذان الستر فيقدم الوزير ويدخل اليه ويقبل يديه ورجليه وينصرف عنه الى داره فيركب من مكان نزوله والامراء بين يديه لوداعه الى داره ركبانا ومشاة الى قريب المكان فاذا صلى الخليفة الظهر بعد انفضاض ما تقدم جلس لعرض ما يلبسه فى عيد تلك الليلة وهو يوم افتتاح العام بخزائن الكسوات الخاص ويكون لباسه فيه البياض غير الموشح فيعين على منديل خاص وبدلة فأما المنديل فيسلم لشاد التاج الشريف ويقال له شدة الوقار وهو من الاستاذين المحنكين وله ميزة لمماسة ما يعلو تاج الخليفة فيشدها شدة غريبة لا يعرفها سواه شكل الاهليلجة ثم يحضر اليه اليتيمة وهى جوهرة عظيمة لا يعرف لها قيمة فتنظم هى وحواليها ما دونها من الجواهر وهى موضوعة فى الحافر وهو شكل الهلال من ياقوت أحمر ليس له مثال فى الدنيا فتنظم على خرقة حرير أحسن وضع ويخيطها شاد التاج بخياطة خفيفة ممكنة فتكون بأعلى جبهة الخليفة ويقال ان زنة الجوهرة سبعة دراهم وزنة الحافر أحد عشر مثقالا وبدائرها قصبة زمرذ ذبابى له قدر عظيم ثم يؤمر بشد المظلة التى تشابهها تلك البدلة المحضرة بين يديه وهى مناسبة للثياب ولها عندهم جلالة لكونها تعلو رأس الخليفة وهى اثنا عشر شوركا عرض سفل كل شورك شبر وطوله ثلاثة اذرع وثلث وآخر الشورك من فوق دقيق جدا فيجتمع ما بين الشوارك فى رأس عودها بدائره وهو قنطارية من الزان ملبسة بأنابيب الذهب وفى آخر أنبوبة تلى الرأس من جسمه فلكة بارزة مقدار عرض ابهام فيشد آخر الشوارك فى حلقة من ذهب ويترك متسعا فى رأس الرمح وهو مفروض فتلتق تلك الفلكة فتمنع المظلة من الحدور فى العمود المذكور ولها اضلاع من خشب الخلنج مربعات مكسوة بوزن الذهب على عدد الشوارك خفاف فى الوزن طولها طول الشوارك وفيها خطاطيف لطاف وحلق يمسك بعضها بعضا وهى تنضم وتنفتح على طريقة شوكات الكيزان ولها رأس شبه الرمانة ويعلوه رمانة صغيرة كلها ذهب مرصع بجوهر يظهر للعيان ولها رفرف دائر يفتحها من نسبتها عرضه اكثر من شبر ونصف وسفل الرمانة فاصل يكون مقداره ثلاث أصابع فاذا ادخلت الحلقة الذهب الجامعة لآخر شوارك المظلة فى رأس العمود ركبت الرمانة عليها ولفت فى عرض ديبقى مذهب فلا يكشفها منه الا حاملها عند تسليمها اليه اول وقت الركوبة ثم يؤمر بشد لواءى الحمد المختصين بالخليفة وهما رمحان طويلان ملبسان بمثل أنابيب عمود المظلة الى حد نصفهما وهما من الحرير الابيض المرقوم بالذهب وغير منشورين بل ملفوفين على جسم الرمحين فيشدان ليخرجا بخروج المظلة الى أميرين من حاشية الخليفة برسم حملهما ويخرج احدى وعشرون راية لطاف من الحرير المرقوم ملونة بكتابة تخالف ألوانها من غيره ونص كتابتها نصر من الله وفتح قريب على رماح مقومة من القنا المنتقى طول كل راية ذراعان فى عرض ذراع ونصف فى كل واحدة ثلاث طرازات فتسلم لاحد وعشرين رجلا من فرسان صبيان الخاص ولهم بشارة عود الخليفة سالما عشرون دينارا ثم يخرج رمحان رؤسهما اهلة من ذهب صامتة فى كل واحد سبع من ديباج أحمر وأصفر وفى فمه طارة مستديرة يدخل فيها الريح فينفتحان فيظهر شكلهما ويتسلمهما فارسان من صبيان الخاص فيكونان أمام الرايات ثم يخرج السيف الخاص وهو من صاعقة وقعت على ما يقال وحليته ذهب مرصعة بالجوهر فى خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر الا رأسه ليسلم الى حامله وهو أمير عظيم القدر وهذه عندهم رتبة جليلة المقدار وهو اكبر حامل ثم يخرج الرمح وهو رمح لطيف فى غلاف منظوم من اللؤلؤ وله سنان مختصر بحلية ذهب ودرقة بكوامخ ذهب فيها سعة منسوبة الى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فى غشاء من حرير لتخرج الى حاملها وهو أمير مميز ولهذه الخدمة وصاحبها عندهم جلالة ثم تشعر الناس بطريق الموكب وسلوكه لا يتعدى دورتين احداهما كبرى والاخرى صغرى أما الكبرى فمن باب القصر الى باب النصر مارا الى حوض عز الملك نبا ومسجده هنالك وهو أقصاها ثم ينعطف على يساره طالبا باب الفتوح الى القصر والاخرى اذا خرج من باب النصر سار حافا بالسور ودخل من باب الفتوح فيعلم الناس بسلوك احداهما فيسيرون اذا ركب الخليفة فيهما من غير تبديل للموكب ولا تشويش ولا اختلال فلا يصبح الصبح من يوم الركوب الا وقد اجتمع من بالقاهرة ومصر من أرباب الرتب وأرباب التميزات من ارباب السيوف والاقلام فيما بين القصرين وكان براحا واسعا خاليا من البناء الذى فيه اليوم فيسع القوم لانتظار الخليفة ويبكر الامراء الى الوزير الى داره فيركب الى القصر من غير استدعاء لانها خدمة لازمة للخليفة فيسير أمامه تشريفه المتقدم ذكره والامراء بين يديه ركبانا ومشاة وأمامه اولاده واخوته

وكل منهم مرخى الذؤابة بلا حنك وهو فى أبهة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل وهو بالحنك ويتقلد بالسيف المذهب فاذا وصل القصر ترجل قبله اهله فى أخص مكان لا يصل الامراء اليه ودخل من باب القصر وهو راكب دون الحاضرين الى دهليز يقال له دهليز العمود فيترجل على مصطبة هنالك ويمشى بقية الدهليز الى القاعة فيدخل مقطع الوزارة هو وأولاده واخوته وخواص حاشيته ويجلس الامراء بالقاعة على دكك معدة لذلك مكسوة فى الصيف بالحصر السامان وفى الشتاء بالبسط الجهرمية المحفورة فاذا دخلت الدابة لركوب الخليفة وأسندت الى الكرسى الذى يركب عليه من باب المجلس أخرجت المظلة الى حاملها فيكشفها مما هى ملفوفة فيه غير مطوية فيتسلمها باعانة أربعة من الصقالبة برسم خدمتها فيركزها فى آلة حديد متخذة شكل القرن وهو مشدود فى ركاب حاملها الايمن بقوة وتأكيد فيمسك العمود بحاجز فوق يده فيبقى وهو منتصب واقف ولم يذكر قط انها اضطربت فى ريح عاصف ثم يخرج بالسيف فيتسلمه حامله فاذا تسلمه أرخيت ذؤابته مادام حاملا له ثم تخرج الدواة فتسلم لحاملها وهو من الاستاذين المحنكين وكان الوزراء حملوها القوم من الشهود المعدلين وهى الدواة التى كانت من أعاجيب الزمان وهى فى نفسها من الذهب وحليتها مرجان وهى ملفوفة فى منديل شرب بياض مذهب وقد قال فيها بعض الشعراء يخاطب الخليفة التى صنعت حلية المرجان فى وقته وهذا من أغرب ما يكون ذكر ذلك فى بيتين وهما

ألين لداود الحديد كرامة * فقدر منه السرد كيف يريد

ولان لك المرجان وهو حجارة * ومقطعه صعب المرام شديد

فيخرج الوزير ومن كان معه من المقطع وتنضم اليه الامراء ويقفون الى جانب الراية فيرفع صاحب المجلس الستر فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة منهم وفى اثرهم يبرز الخليفة بالهيئة المشروح حالها فى لباسه الثياب المعروضة عليه والمنديل الحامل لليتيمة بأعلى جبهته وهو محنك مرخى الذؤابة مما يلى جانبه الايسر ويتقلد بالسيف المغربى وبيده قضيب الملك وهو طول شبر ونصف من عود مكسو بالذهب المرصع بالدر والجوهر فيسلم على الوزير قوم مرتبون لذلك وعلى اهله وعلى الامراء بعدهم ثم يخرج اولئك اولا فأولا والوزير يخرج بعد الامراء فيركب ويقف قبالة باب القصر بهيئته ويخرج الخليفة وحواليه الاستاذون ودابته ماشية على بسط مفروشة خيفة من زلقها على الرخام فاذا قارب الباب وظهر وجهه ضرب رجل ببوق لطيف من ذهب معوج الرأس يقال له الغربية بصوت عجيب يخالف اصوات البوقات فاذا سمع ذلك ضربت الابواق فى الموكب ونشرت المظلة وبرز الخليفة من الباب ووقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب الاستاذين المحنكين وغيرهم من أرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة للخدمة وسار الخليفة وعلى يساره صاحب المظلة وهو يبالغ أن لا يزول عنه ظلها ثم يكتنف الخليفة مقدمو صبيان الركاب منهم اثنان فى الشكيمة واثنان فى عنق الدابة من الجانبين واثنان فى ركابه فالايمن مقدم المقدمين وهو صاحب المقرعة التى يتناولها ويناولها وهو المؤدى عن الخليفة مدة ركوبه الاوامر والنواهى ويسير الموكب بالحث فأوله فروع الامراء وأولادهم وأخلاط بعض العسكر الاماثل الى أرباب القصب ثم أرباب الاطواق الى الاستاذين المحنكين الى حامل اللواءين من الجانبين الى حامل الدواة وهى بينه وبين قربوس السرج الى صاحب السيف وهما فى الجانب الايسر كل واحد ممن تقدم ذكره بين عشرة الى عشرين من اصحابه ويحجبه اهل الوزير المتقدم ذكرهم من الجانب الايمن بعد الاستاذين المحنكين ثم يأتى الخليفة وحواليه صبيان الركاب المذكورة تفرقة السلاح فيهم وهم أكثر من ألف رجل وعليهم المناديل الطبقيات ويتقلدون بالسيوف وأوساطهم مشدودة بمناديل وفى أيديهم السلاح مشهور وهم من جانبى الخليفة كالجناحين الماديين وبينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها أحد وبالقرب من رأسها الصقلابيان الحاملان للمذبتين وهما مرفوعتان كالنخلتين لما يسقط من طائر وغيره وهو سائر على تؤدة ورفق وفى طول الموكب من اوله الى آخره والى القاهرة مار وعائد يفسح الطرقات ويسير الركبان فيلتقى فى عوده الاسفهسلار كذلك مارا وعائدا يحث الاجناد فى الحركة والانكار على المزاحمين المعترضين ويلتقى فى عوده صاحب الباب ومروره فى زمرة الخلافة الى أن يصل الى الاسفهسلار فيعود لترتيب الموكب وحراسة طرقات الخليفة وفى يد كل منهم دبوس وهو راكب خيرة دوابه وأسرعها هذا من أمام الموكب ثم يسير خلف دابة الخليفة قوم من صبيان الركاب لحفظ أعقابه ثم عشرة يحملون

عشرة سيوف فى خرائط ديباج احمر وأصفر بشراريب غزيرة يقال لها سيوف الدم برسم ضرب الاعناق ثم يسير بعدهم صبيان السلاح الصغير أرباب الفرنجيات المقدم ذكرهم اولا ثم يأتى الوزير فى هيبة وفى ركابه من اصحابه قوم يقال لهم صبيان الزرد من اقوياء الاجناد يختارهم لنفسه ما مقداره خمسمائة رجل من جانبيه بفرجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة وكأنه على وفز من حراسة الخليفة ويجتهد أن لا يغيب عن نظره وخلفه الطبول والصنوج والصفافير وهو مع عدة كثيرة تدوى بأصواتها وحسها الدنيا ثم يأتى حامل الرمح المقدم ذكره ودرقته حمراء ثم طوائف الراجل من الركابية والجيوشية وقبلهما المصامدة ثم الفرنجية ثم الوزيرية زمرة زمرة فى عدة وافرة تزيد على أربعة آلاف فى الوقت الحاضر وهم أضعاف ذلك ثم اصحاب الرايات والسبعين ثم طوائف العساكر من الآمرية والحجرية الكبار والحافظية والحجرية الصغار المنقولين والافضلية والجيوشية ثم الاتراك المصطنعون ثم الديلم ثم الاكراد ثم الغز المصطنعة وقد كان تقدم هؤلاء الفرسان عدة وافرة من المترجلة أرباب قسى البدو قسى الرجل فى اكثر من خمسمائة وهم المعدون للاساطيل ويكون من الفرسان المقدم ذكرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف وهذا كله بعض من كل فاذا انتهى الموكب الى المكان المحدود عادوا على أدراجهم ويدخلون من باب الفتوح ويقفون بين القصرين بعد الرجوع كما كانوا اقبله فاذا وصل الخليفة الى الجامع الاقمر بالقماحين اليوم وقف وقفة بجملته فى موكبه وانفرج الموكب للوزير فتحرك مسرعا ليصير أمام الخليفة حتى يدخل بين يديه فيمر الخليفة ويسكع له سكعة ظاهرة فيشير الخليفة بالسلام عليه اشارة خفية وهذه أعظم مكارمة تصدر عن الخليفة ولا تكون الا للوزير صاحب السيف وسبقه الى دخول باب القصر راكبا على عادته الى موضعه ويكون الامراء قد نزلوا قبله لانهم فى اوائل الموكب فاذا وصل الخليفة الى باب القصر ودخله ترجل الوزير ودخل قبله الاستاذون المحنكون وأحد قوابه والوزير أمام وجه الفرس مكان ترجله الى الكرسى الذى ركب منه فينزل عليه ويدخل الى مكانه بعد خدمة المذكورين له فيخرج الوزير ويركب من مكانه الجارى به على عادته والامراء بين يديه وأقاربه حواليه فيركبون من أماكنهم ويسيرون صحبته الى داره فيدخل وينزل أيضا الى مكانه على كرسى فتخدمه الجماعة بالوداع وتتفرق الناس الى أماكنهم فيجدون قد أحضر اليهم الغرة وهو أنه يقدم الخليفة بأن يضرب بدار الضرب فى العشر الاخر من ذى الحجة بتاريخ السنة التى ركب اولها فى هذا اليوم جملة من الدنانير والرباعية والدراهم المدورة المقسلة فيحمل الى الوزير منها ثلثمائة وستون دينارا وثلثمائة وستون رباعيا وثلثمائة وستون قيراطا والى اولاده واخوته من كل صنف من ذلك خمسون والى أرباب الرتب من اصحاب السيوف والاقلام من عشرة دنانير وعشر رباعيات وعشرة قراريط الى دينار واحد ورباعى واحد وقيراط واحد فيقبلون ذلك على حكم البركة من مبلغ الخليفة قال ومبلغ الغرة التى يتم بها فى اول العام المقدم ذكرها من الدنانير والرباعيات والقراريط ما يقرب من ثلاثة آلاف دينار والله تعالى أعلم

(ذكر ما كان يضرب فى خميس العدس من خراريب الذهب)

قال ابن المأمون وأحضر الاجل المأمون كاتب الدفتر وأمره بالكشف عما كان يضرب برسم خميس العدس من الخراريب الذهب وهو خمسمائة دينار عن عشرين ألف خروبة واستدعى كاتب بيت المال ووقع له باطلاق ألف دينار وأمره باحضار مشارف دار الضرب وسلمها اليه فاعتمد ذلك وضربت عشرون ألف خروبة وأحضرها فأمر بحملها الى الخليفة فسير الخليفة منها الى المأمون ثلثمائة دينار وذكر أنها لم تضرب فى مدة خلافة الحافظ لدين الله غير سنة واحدة ثم بطل حكمها ونسى ذكرها قال وصار ما يضرب باسم الخليفة يعنى الآمر بأحكام الله فى ستة مواضع القاهرة ومصر وقوص وعسقلان وصور والاسكندرية * وقال ابن عبد الظاهر خميس العدس كان يضرب فيه خمسمائة تعمل عشرة آلاف خروبة كان الافضل بن أمير الجيوش يحمل منها للخليفة مائتى دينار والبقية برسمه ثم جعلت فى الايام المأمونية ألف دينار وربما زادت أو نقصت يسيرا وقد تقدم أن قاضى القضاة كان يتولى عيار دار الضرب ويحضر التغليق بنفسه ويختم عليه ويحضر للموعد الآخر لفتحه

(ذكر دار الوكالة الآمرية)

كانت

كانت دار الوكالة المذكورة بجانب دار الضرب وموضعها الآن على يمنة السالك من رأس الخراطين الى سوق الخيميين والجامع الازهر * قال ابن المامون فى شوال سنة ست عشرة وخمسمائة ثم أنشأ يعنى المأمون بن البطائحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله دار الوكالة بالقاهرة المحروسة لمن يصل من العراقيين والشاميين وغيرهما من التجار ولم يسبق الى ذلك

(ذكر مصلى العيد)

وكان فى شرقى القصر الكبير مصلى العيد من خارج باب النصر وهذا المصلى بناه القائد جوهر لاجل صلاة العيد فى شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثم جدده العزيز بالله وقد بقى الى الآن بعض هذا المصلى واتخذ فى جانب منه موضع مصلى الاموات اليوم

(ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها)

قال ابن زولاق وركب المعز لدين الله يوم الفطر لصلاة العيد الى مصلى القاهرة التى بناها القائد جوهر وكان محمد ابن أحمد بن الادرع الحسنى قد بكر وجلس فى المصلى تحت القبة فى موضع فجاء الخدم وأقاموه وأقعدوا موضعه أبا جعفر مسلما واقعدوه هو دونه وكان أبو جعفر مسلم خلف المعز عن يمينه وهو يصلى واقبل المعز فى زيه وبنوده وقبابه وصلى بالناس صلاة العيد تامة طويلة قرأ فى الاولى بأم الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية ثم كبر بعد القراءة وركع فأطال وسجد فأطال انا سبحت خلفه فى كل ركعة وفى كل سجدة نيفا وثلاثين تسبيحة وكان القاضى النعمان بن محمد يبلغ عنه التكبير وقرأ فى الثانية بأم الكتاب وسورة والضحى ثم كبر أيضا بعد القراءة وهى صلاة جده على بن أبى طالب عليه السلام وأطال أيضا فى الثانية الركوع والسجود أنا سبحت خلفه نيفا وثلاثين تسبيحة فى كل ركعة وفى كل سجدة وجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى كل سورة وأنكر جماعات يتوسمون بالعلم قراءته قبل التكبير لقلة علمهم وتقصيرهم فى العلوم حدثنا محمد بن أحمد قال حدثنا عمر بن شبية ثنا عبد الله ورجاء عن اسرائيل عن أبى اسحق عن الحارث عن على عليه السلام انه كان يقرأ فى صلاة العيد قبل التكبير فلما فرغ المعز من الصلاة صعد المنبر وسلم على الناس يمينا وشمالا ثم ستر بالسترين اللذين كانا على المنبر فخطب وراءهما على رسمه وكان فى أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل فجلس عليها بين الخطبتين واستفتح الخطبة ببسم الله الرحمن الرحيم وكان معه على المنبر القائد جوهر وعمار بن جعفر وشفيع صاحب المظلة ثم قال الله أكبر الله أكبر واستفتح بذلك وخطب وأبلغ وأبكى الناس وكانت خطبة بخشوع وخضوع فلما فرغ من خطبته انصرف فى عساكره وخلفه أولاده الاربعة بالجواشن والخود على الخيل بأحسن زى وساروا بين يديه بالفيلين فلما حضر فى قصره أحضر الناس فأكلوا وقدمت اليهم السمط ونشطهم الى الطعام وعتب على من تأخر وهدد من بلغه عنه صيام العيد * وقال المسبحى فى حوادث آخر يوم من رمضان سنة ثمانين وثلثمائة وبقيت مصاطب ما بين القصور والمصلى الجديدة ظاهر باب النصر عليها المؤذنون حتى يتصل التكبير من المصلى الى القصر وفيه تقدم أمر القاضى محمد بن النعمان باحضار المتفقهة والمؤمنين يعنى الشيعة وأمرهم بالجلوس يوم العيد على هذه المصاطب ولم يزل يرتب الناس وكتب رقاعا فيها أسماء الناس فكانت تخرج رقعة رقعة فيجلس الناس على مصطبة مصطبة بالترتيب وفى يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الجنائب والقباب الديباج بالحلى والعسكر فى زيه من الاتراك والديلم والعزيزية والاخشيدية والكافورية وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق الذهب وعلى الجنائب السروج الذهب بالجوهر والسروج بالعنبر وبين يديه الفيلة عليها الرجالة بالسلاح والزرافة وخرج بالمظلة الثقيلة بالجوهر وبيده قضيب جده عليه السلام فصلى على رسمه وانصرف * وقال ابن المأمون ولما توفى أمير الجيوش بدر الجمالى وانتقل الامر الى ولده الافضل بن أمير الجيوش جرى على سنن والده فى صلاة العيد ويقف فى قوس باب داره الذى عند باب النصر يعنى دار الوزارة فلما سكن بمصر صار يطلع من مصر باكرا ويقف على باب داره على الحالة الاولى حتى تستحق الصلاة فيدخل من باب العيد الى الايوان ويصلى به القاضى ابن الرسعنى ثم يجلس بعد الصلاة على المرتبة الى أن تنقضى الخطبة فيدخل من باب الملك ويسلم على الخليفة بحيث لا يراه أحد غيره ثم يخلع عليه ويتوجه الى داره بمصر فيكون

السماط بهامدى الاعياد فلما قتل الافضل واستقر بعده المأمون بن البطائحى فى الوزارة قال هذا نقص فى حق العبد ولا يعلم السبب فى كون الخليفة لا يظهر فقال له الخليفة الآمر باحكام الله فما تراه أنت فقال يجلس مولانا فى المنظرة التى استجدت بين باب الذهب وباب البحر فاذا جلس مولانا فى المنظرة وفتحت الطاقات وقف المملوك بين يديه فى قوس باب الذهب وتجوز العساكر فارسها وراجلها وتشملها بركة نظر مولانا اليها فاذا حان وقت الصلاة توجه المملوك بالموكب والزى وجميع الامراء والاجناد واجتاز بأبواب القصر ودخل الايوان فاستحسن ذلك منه واستصوب رأيه وبالغ فى شكره ثم عاد المأمون الى مجلسه وأمر بتفرقة كسوة العيد والهبات يعنى فى عيد النحر سنة خمس عشرة وخمسمائة وجملة العين ثلاثة آلاف وثمانمائة دينار وسبعة دنانير ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الامراء المطوقين والاستاذين المحنكين وكاتب الدست ومتولى حجبة الباب وغيرهم قال ووصلت الكسوة المختصة بالعيد فى آخر شهر رمضان يعنى من سنة ست عشرة وخمسمائة وهى تشتمل على دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلل لان الحلل فيه تعم الجماعة وفى غيره للاعيان خاصة وقد تقدم تفصيلها عند ذكر خزانة الكسوة من هذا الكتاب قال ولما كان فى التاسع والعشرين من شهر رمضان خرجت الاوامر بأضعاف ماهو مستقر للمقرئين والمؤذنين فى كل ليلة برسم السحور بحكم انها ليلة ختم الشهر وحضر المأمون فى آخر النهار الى القصر للفطور مع الخليفة والحضور على الاسمطة على العادة وحضر اخوته وعمومته وجميع الجلساء وحضر المقرؤن والمؤذنون وسلموا على عادتهم وجلسوا تحت الروشن وحمل من عند معظم الجهات والسيدات والمميزات من أهل القصور بلاحى وموكبيات مملوءة ماء ملفوفة فى عراضى دبيقى وجعلت أمام المذكورين ليشملها بركة ختم القرآن واستفتح المقرؤن من الحمد الى خاتمة القرآن تلاوة وتطريبا ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ودعا فأبلغ ورفع الفراشون ما أعدوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا فى الصوفيات الى أن نثر عليهم من الروشن دراهم ودنانير ورباعيات وقدمت جفان القطائف على الرسم مع الحلوى فجروا على عادتهم وملؤا أكمامهم ثم خرج استاذ من باب الدار الجليلة بخلع خلعها على الخطيب وغيره ودراهم تفرق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين ورسم أن تحمل الفطرة الى قاعة الذهب وأن تكون التعبية فى مجلس الملك وتعبى الطيافير المشورة الكبار من السرير الى باب المجلس وتعبى من باب المجلس الى ثلثى القاعة سماطا واحدا مثل سماط الطعام ويكون جميعه سدا واحدا من حلاوة الموسم ويزين بالقطع المنفوخ فامتثل الامر وحضر الخليفة الى الايوان واستدعى المأمون وأولاده واخوته وعرضت المظال المذهبة المحاومة وكان المقرؤن يلوحون عند ذكرها بالآيات التى فى سورة النحل والله جعل لكم مما خلق ظلالا الى آخرها وجلس الخليفة ورفعت الستور واستفتح المقرؤن وجدد المأمون السلام عليه وجلس على المرتبة عن يمينه وسلم الامراء جميعهم على حكم منازلهم لا يتعدى أحد منهم مكانه والنواب جميعهم يستدعونهم بنعوتهم وترتيب وقوفهم وسلم الرسل الواصلون من جميع الاقاليم ووقفوا فى آخر الايوان وختم المقرؤن وسلموا وخدمت الرهجية وتقدم متولى كل اصطبل من الرواض وغيرهم يقبل الارض ويقف ودخلت الدواب من باب الديلم والمستخدمون فى الركاب بالمناديل يتسلونها من الشدادين ويدورون بها حول الايوان ودواب المظلة متميزة عن غيرها يتسلمها الاستاذون والمستخدمون فى الركاب ويعلون بها الى قريب من الشباك الذى فيه الخليفة وكلما عرض دواب اصطبل قبل الارض متوليه وانصرف وتقدم متولى غيره على حكمه الى أن يعرض جميع ما أحضروه وهو ما يزيد على ألف فرس خارجا عن البغال وما تأخر من العشاريات والجور والمهارة ولما عرضت الدواب أبطلت الرهجية وعاد استفتاح المقرئين وكانوا محسنين فيما ينتزعونه من القرآن الكريم مما يوافق الحال مثل الآية من آل عمران زين للناس حب الشهوات الى آخرها ثم بعدها قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الى آخرها وعرضت الوحوش بالاجلة الديباج والدبيقى بقباب الذهب والمناطق والاهلة وبعدها النجب والبخاتى بالاقتاب الملبسة بالدبيقى الملون المرقوم وعرض السلاح وآلات الموكب جميعها ونصبت الكسوات على باب العيد وضربت طول الليل وحملت الفطرة الخاص التى يفطر عليها الخليفة باصناف الجوارشات بالمسك والعود والكافور والزعفران والتمور المصبغة التى يستخرج ما فيها وتحشى بالطيب وغيره وتسد وتختم وسلمت للمستخدمين فى القصور وعبيت

في

فى مواعين الذهب المكللة بالجواهر وخرجت الاعلام والبنود وركب المأمون فلما حصل بقاعة الذهب أخذ فى مشاهدة السماط من سرير الملك الى آخرها وخرج الخليفة لوقته من الباذهنج وطلع الى سرير ملكه وبين يديه الصوانى المقدم ذكرها واستدعى بالمأمون فجلس عن يمينه بعد أداء حق السلام وأمر باحضار الامراء المميزين والقاضى والداعى والضيوف وسلم كل منهم على حكم ميزته وقدمت الرسل وشرفوا بتقبيل الارض والمقرئون يتلون والمؤذنون يهللون ويكبرون وكشفت القوارات الشرب المذهبات عما هو بين يدى الخليفة فبدأ وكبر وأخذ بيده تمرة فأفطر عليها وناول مثلها الوزير فاظهر الفطر عليها وأخذ الخليفة فى أن يستعمل من جميع ما حضر ويناول وزيره منه وهو يقبله ويجعله فى كمه وتقدمت الاجلاء اخوة الوزير وأولاده من تحت السرير وهو يناولهم من يده فيجعلونه فى اكمامهم بعد تقبيله وأخذ كل من الحاضرين كذلك ويومئ بالفطور ويجعله فى كمه على سبيل البركة فمن كان رأيه الفطور أفطر ومن لم يكن رأيه أومأ وجعله فى كمه لا ينتقد على أحد فعله ثم قال المأمون بعد ذلك ما على من يأخذ من هذا المكان نقيصة بل له به الشرف والميزة ومد يده وأخذ من الطيفور الذى كان بين يديه عود نبات وجعله فى كمه بعد تقبيله وأشار الى الامراء فاعتمد كل من الحاضرين ذلك وملأوا أكمامهم ودخل الناس فأخذوا جميع ذلك ثم خرج الوزير الى داره والجماعة فى ركابه فوجد التعبية فيها من صدر المجلس الى آخره على ما أمر به ولم يعدم مما كان بالقصر غير الصوانى الخاص فجلس على مرتبته والاجلاء أولاده واستدعى بالعوالى من الامراء والقاضى والداعى والضيوف فحضروا وشرفوا بجلوسهم معه وحصل من مسرتهم بذلك ما بسطهم ورفعوا اليسير مما حضر على سبيل الشرف ثم انصرفوا وحضرت الطوائف والرسل على طبقاتهم الى أن حل جميع ما كان بالدار بأسره وانقضى حكم الفطور وعاد للتنفيذ فى غيره وضربت الطبول والابواق على أبواب القصور والدار المأمونية وأحضرت التغايير وفرقت على أربابها من الاجناد والمستخدمين وخرجت أزمة العساكر فارسها وراجلها وندب الحاجب الذى بيده الدعو لترتيب صفوفها من باب القصر الى المصلى ثم حضر الى الدار المأمونية الشيوخ المميزون وجلس المأمون فى مجلسه وأولاده بهيئة العيد وزينته ورفعت الستور وابتدأ المقرئون وسلم متولى الباب والشيوخ ولم يدخل المجلس غير كاتب الدست ومتولى الحجبة وبالغ كل منهما فى زيه وملبوسه وجروا على رسمهم فى تقبيل الارض وعتبة المجلس ووصل الى الدار المأمونية التجمل الخاص الذى برسم الخليفة جميعه القصب الفضة والاعلام والمنجوقات والعقبات والعماريات ولواآ الوزارة لركوب الخليفة بالمظلة بالطميم والمراكب الذهب المرصعة بالجوهر وغير ذلك من التجملات وركب المأمون من داره وجميع التشاريف الخاص بين يديه وخدمت الرهجية ومن جملتهم الغربية وهى أبواق لطاف عجيبة غريبة الشكل تضرب كل وقت يركب فيه الخليفة ولا تضرب قدام الوزير الا فى المواسم خاصة وفى أيام الخلع عليه والامراء مصطفون عن يمينه وعن شماله ويليهم اخوته وبعدهم أولاده ودخل الى الايوان وجلس على المرتبة المختصة به وعن يمينه جميع الاجلاء والمميزون وقوف أمامه ومن انحط عنهم من باب الملك الى الايوان قيام ويخرج خاصة الدولة ريحان فى المصلى بالفرش الخاص وآلات الصلاة وعلق المحراب بالشروب المذهبة وفرش فيه ثلاث سجادات متراكبة وأعلاها السجادة اللطيفة التى كانت عندهم معظمة وهى قطعة من حصير ذكر أنها كانت من جملة حصير لجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يصلى عليها وفرش الارض جميعها بالحصر المحاريب ثم علق على جانبى المنبر وفرش جميع درجه وجعل أعلاه المخاد التى يجلس عليها الخليفة وعلق اللواآن عليه وقعد تحت القبة خاصة الدولة ريحان والقاضى وأطلق البخور ولم يفتح من أبوابه الا باب واحد وهو الذى يدخل منه الخليفة ويقعد الداعى فى الدهليز ونقباء المؤمنين بين يديه وكذلك الامراء والاشراف والشيوخ والشهود ومن سواهم من أرباب الحرف ولا يمكن من الدخول الا من يعرفه الداعى ويكون فى ضمانه واستفتحت الصلاة وأقبل الخليفة من قصوره بغاية زيه والعلم الجوهر فى منديله وقضيب الملك بيده وبنو عمه واخوته واستاذوه فى ركابه وتلقاه المقرئون عند وصوله والخواص واستدعى بالمأمون فتقدم بمفرده وقبل الارض وأخذ السيف وازرح من مقدمى خزائن الكسوة والرهجية تخدم وحمل لواء الحمد بين يديه الى أن خرج من باب العيد فوجد المظلة قد نشرت عن يمينه والذى بيده الدعو فى ترتيب الحجبة لمن شرف بها لا يتعدى أحد حكمه وسائر المواكب بالجنائب

الخاص وخيل التخافيف ومصفات العساكر والطوائف جميعها بزيها ورايانها وراء الموكب الى أن وصل الى قريب المصلى والعماريات والزرافات وقد شد على الفيلة بالاسرة مملوءة رجالا مشيكة بالسلاح لا يتبين منهم الا الاحداق وبأيديهم السيوف المجردة والدرق الحديد الصينى والعساكر قد اجتمعت وترادفت صفوفا من الجانبين الى باب المصلى والنظارة قد ملأت الفضاء لمشاهدة مالم يبلغوه والموكب سائر بهم وقد أحاط بالخليفة والوزير صبيان الخاص وبعدهم الاجناد بالدروع المسبلة والزرديات بالمغافر ملثمة والبرولة الحديد بالصماصم والدبابس ولما طلع الموكب من بوة المصلى ترجل متولى الباب والحجاب ووقف الخليفة بجمعه بالمظلة الى أن اجتاز المأمون راكبا من حول ركابه وردّ الخليفة السلام عليه بكمه وصار أمامه وترجل الامراء المميزون والاستاذون المحنكون بعدهم وجميع الاجلاء وصار كل منهم يبدأ بالسلام على الوزير ثم على الخليفة الى أن صار الجميع فى ركابه ولم يدخل من باب المصلى راكبا غير الوزير خاصة ثم ترجل على بابه الثانى الى أن وصل الخليفة اليه فاستدعى به فسلم وأخذ الشكيمة بيده الى أن ترجل الخليفة فى الدهليز الآخر وقصد المحراب والمؤذنون يكبرون قدامه واستفتح الخليفة فى المحراب وسامته فيه وزيره والقاضى والداعى عن يمينه وشماله ليوصلوا التكبير لجماعة المؤذنين من الجانبين ويتصل منهم التكبير الى مؤذنى مصلى الرجال والنساء الخارجين عن المصلى الكبير وكاتب الدست وأهله ومتولى ديوان الانشاء يصلون تحت عقد المنبر ولا يمكن غيرهم أن يكون معهم ولما قضى الخليفة الصلاة وهى ركعتان قرأ فى الاولى بفاتحة الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية وكبر سبع تكبيرات وركع وسجد وفى الثانية بالفاتحة وسورة والشمس وضحاها وكبر خمس تكبيرات وهذه سنة الجميع ومن ينوب عنهم فى صلاة العيدين على الاستمرار وسلم وخرج من المحراب وعطف عن يمينه والحرص عليه شديد ولا يصل اليه الامن كان خصيصا به وصعد المنبر بالخشوع والسكينة وجميع من بالمصلى والتربة لا يسأم نظره ويكثرون من الدعاء له ولما حصل فى أعلى المنبر أشار الى المأمون فقبل الارض وسارع فى الطلوع اليه وأدّى ما يجب من سلامه وتعظيم مقامه ووقف بأعلى درجة وأشار الى القاضى فتقدم وقبل كل درجة الى أن يصل الى الدرجة الثالثة وقف عندها وأخرج الدعو من كمه وقبله ووضعه على رأسه وأعلى بما تضمنه وهو ما جرت به العادة من تسمية يوم العيد وسنته والدعاء للدولة وكانت الحال فى أيام وزراء الاقلام والسيوف اذا حصل الخليفة فى أعلى المنبر بقى الوزير مع غيره وأشار الخليفة الى القاضى فيقبل الارض ويطلع الى الدرجة الثالثة ويخرج الدعو من كمه ويقبله ويضعه على رأسه ويذكر يوم العيد وسنته والدعاء للدولة ثم يستدعى بالوزير بعد ذلك فيصعد بعد القاضى فرأى الخليفة ذلك الامر فى حق الوزير فجعل الاشارة منه اليه أوّلا ورفعه عن أن يكون مأمورا مثل غيره وجعلها له ميزة على غيره ممن تقدمه واستمرت فيما بعد واستفتح الخليفة بالتكبير الجارى به العادة فى الفطر والخطبتين الى آخرهما وكبر المؤذنون ورفع اللواآن وترجل كل أحد من موضعه كما كان ركوبه وصار الجميع فى ركاب الخليفة وجرى الامر فى رجوعه على ما تقدم شرحه ومضى الى تربة آبائه وهى سنتهم فى كل ركبة بمظلة وفى كل يوم جمعة مع صدقات ورسوم تفرق وأما الوزير المأمون فانه توجه وخرج من باب العيد والامراء بين يديه الى أن وصل الى باب الذهب فدخل منه بعد أن أمر ولده الاكبر بالوصول الى داره والجلوس على سماط العيد على عادته ولما دخل المأمون بقاعة الذهب وجد الشروع قد وقع من المستخدمين بتعبية السماط فأمر بتفرقة الرسوم على أربابها وهو ما يحمل الى مجلس الوزارة برسم الحاشية ولكل من حاشية أولاده واخوته وكاتب الدست ومتولى حجبة الباب ومتولى الديوان وكاتب الدفتر والنائب لكل منهم رسم يصرف قبل جلوس الخليفة وعند انقضاء الاسمطة لغير المذكورين على قدر منزلة كل منهم ثم حضر أبو الفضائل ابن أبى الليث واستأذن على طيافير الفطرة الكبار التى فى مجلس الخليفة فأمره الوزير بأن يعتمد فى تفرقتها على ما كان يعتمده فى الايام الافضلية وهو لكل من يصعد المنبر مع الخليفة طيفور فلما أخذ الخليفة راحة بعد مضيه الى التربة جلس على السرير وبين يديه المائدة اللطيفة الذهب بالمينا معباة بالزبادى الذهب واستدعى الوزير واصطف الناس من المدورة الى آخر السماط من الجانبين على طبقاتهم ورفعت الستور واستفتح المقرئون ورفى الدولة اسعاف متولى المائدة مشدود الوسط ومقدم خزانة الشراب بيده شربة فى مرفع ذهب وغطاء مرصعين بالجوهر والياقوت ومتولى خزائن الانفاق بيده خريطة مملوءة دنانير لمن يقف يطلب صدقة وانعاما فيؤمر بما يدفع

اليه وتفرقة الرسوم الجارى بها العادة ولعبت المنافقون والحصارية وتناوب القراء والمنشدون وأرخيت ٢،
الستور وعبى السماط ثانيا على ما كان عليه أولا ثم رفعت الستور وجلس على المدورة والسماط من بحرت
العادة به وفرقت الدنانير على المقرئين والمنشدين والحصارية والمنافقين ومن هو معروف بكثرة الاكل ونهبت ٢،
قصور الخليفة وفرق من الاصناف ما جرت به العادة وأرخيت الستور وأحضر متولى خزانة الكسوة الخاص
للخليفة بدلة الى أعلى السرير حسبما كان أمره فلبسها وخلع الثياب التى كانت عليه على الوزير بعد ما بالغ فى
شكره والثناء عليه وتوجه الى داره فوصل اليه من الخليفة الصوانى الخاص المكللة معباة على ما كانت بين
يديه وغيرها من الموائد وكذلك الى أولاده واخوته صينية صينية ولكاتب الدست ومتولى حجبة الباب مثل ذلك
ويكبر الوزير بجلوسه فى داره معلنا وتسارع الناس على طبقاتهم بالعيد والخلع وبما جرى فى صعود المنبر وحضر
الشعراء وأسنيت لهم الجوائز وجرى الحال يومئذ فى جلوس الخليفة وفى السلام لجميع الشيوخ والقضاة
والشهود والامراء والكتاب ومقدمى الركاب والمتصدرين بالجوامع والفقهاء والقاهريين والمصريين واليهود
برئيسهم والنصارى بيطريقهم على ما جرت به عادتهم وختم المقرئون وقدمت الشعراء على طبقاتهم الى آخرهم
وجدد لكل من الحاضرين سلامه وانكفأ الخليفة الى الباذهنج لاداء فريضة الصلاة والراحة بمقدار ما عبيت
المائدة الخاص واستحضر المأمون وأولاده واخوته على عادتهم واستدعى من شرف بحضور المائدة وهم
الشيخ أبو الحسن كاتب الدست وأبو الرضى سالم ابنه ومتولى حجبة الباب وظهير الدين الكنانى على ما كان عليه
الحال قبل الصيام وانقضى حكم العيد * وقال ابن الطوير اذا قرب آخر العشر الاخر من شهر رمضان
خرج الزى من أماكنه على ما وصفنا فى ركوب أول العام ولكن فيه زيادات يأتى ذكرها وركب فى مستهل
شوال بعد تمام شهر رمضان وعدته عندهم أبدا ثلاثون يوما فاذا تهيأت الامور من الخليفة والوزير والامراء
وأرباب الرتب على ما تقدم وصار الوزير بجماعته الى باب القصر ركب الخليفة بهيئة الخلافة من المظلة واليتيمة
والآلات المقدم ذكرها ولباسه فى هذا اليوم الثياب البياض الموشحة المحومة وهى أجل لباسهم والمظلة
كذلك فانها أبدا تابعة لثيابه كيف كانت الثياب ويكون خروجه من باب العيد الى المصلى والزيادة ظاهرة
فى هذا اليوم فى العساكر وقد انتظم القوم له صفين من باب القصر الى باب المصلى ويكون صاحب بيت المال
قد تقدم على الرسم لفرش المصلى فيفرش الطراحات على رسمها فى المحراب مطابقة ويعلق سترين يمنة ويسرة فى
الايمن البسملة والفاتحة وسبح اسم ربك الأعلى وفى الايسر مثل ذلك وهل أتاك حديث الغاشية ثم يركز فى
جانب المصلى لواءين مشدودين على رمحين ملبسين بأنابيب الفضة وهما مستوران مرخيان فيدخل الخليفة من
شرقى المصلى الى مكان ليستريح فيه دقيقة ثم يخرج محفوظا كما يحفظ فى جامع القاهرة فيصير الى المحراب ويصلى
صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة والوزير وراءه والقاضى ويقرأ فى كل ركعة ما هو مرقوم فى السترين فاذا
فرغ وسلم صعد المنبر للخطابة العيدية يوم الفطر فاذا جلس فى الذروة وهناك طراحة سامان أو ديبقى على قدرها
وباقيه بستر بياض على مقداره فى تقطيع درجه وهو مضبوط لا يتغير فيراه أهل ذلك الجمع جالسا فى الذروة
ويكون قد وقف أسفل المنبر الوزير وقاضى القضاة وصاحب الباب اسفهسلار العساكر وصاحب السيف
وصاحب الرسالة وزمام القصر وصاحب دفتر المجلس وصاحب المظلة وزمام الاشراف الاقارب وصاحب
بيت المال وحامل الرمح ونقيب الاشراف الطالبيين ووجه الوزير اليه فيشير اليه فيصعد ويقرب وقوفه
منه ويكون وجهه موازيا رجليه فيقبلهما بحيث يراه العالم ثم يقوم ويقف على يمينه فاذا وقف أشار الى قاضى
القضاة فيصعد الى سابع درجة ويتطلع اليه صاغيا لما يقول فيشير اليه فيخرج من كمه مدرجا قد أحضر اليه أمس
من ديوان الانشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير فيعلن بقراءة مضمونه ويقول بسم الله الرحمن الرحيم ثبت
بمن شرف بصعوده المنبر الشريف فى يوم كذا وهو عيد الفطر من سنة كذا من عبيد أمير المؤمنين صلوات الله
عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الاكرمين بعد صعود السيد الاجل ونعوته المقررة ودعائه المحرر فان أراد
الخليفة أن يشرف أحدا من أولاد الوزير واخوته استدعاه القاضى بالنعت المذكور ثم لولده ذكر القاضى
وهو القارئ فلا يتسع له أن يقول عن نفسه نعوته ولا دعاءه بل يقول المملوك فلان بن فلان وقرأ مرة القاضى
ابن أبى عقيل فلما وصل الى اسمه قال العبد الذليل المعترف بالصنع الجميل فى المقام الجليل أحمد بن عبد الرحمن بن

أبى عقيل فاستحسن ذلك منه ثم حذا حذوه الاعز بن سلامة وقد استقضى فى آخر الوقت فقال المملوك فى محل الكرامه الذى عليه من الولاء أصدق علامه حسن بن على بن سلامه ثم يستدعى من ذكرنا وقوفهم على باب المنبر بنعوتهم وذكر خدمهم ودعائهم على الترتيب فاذا اطلع الجماعة وكل منهم يعرف مقامه فى المنبر يمنة ويسرة أشار الوزير اليهم فأخذ من هو من كل جانب بيده نصيبا من اللواء الذى بجانبه فيستر الخليفة ويسترون وينادى فى الناس بأن ينصتوا فيخطب الخليفة من المسطور على العادة وهى خطبة بليغة موافقة لذلك اليوم فاذا فرغ ألقى كل من فى يده من اللواء شئ خارج المنبر فينكشفون وينزلون أولا فأولا الاقرب فالاقرب الى القهقرى فاذا خلا المنبر منهم قام الخليفة هابطا ودخل الى المكان الذى خرج منه فلبث يسيرا وركب فى زيه المفخم وعاد من طريقه بعينها الى أن يصل الى قريب القصر فيتقدمه الوزير كما شرحنا ثم يدخل من باب العيد فيجلس فى الشباك وقد نصب منه الى فسقية كانت فى وسط الايوان مقدار عشرين قصبة سماط من الخشكنان والبسندود والبرماورد مثل الجبل الشاهق وفيه القطعة وزنها من ربع قنطار الى رطل فيدخل ذلك الجمع اليه ويفطر منه من يفطر وينقل منه من ينقل ويباح ولا يحجر عليه ولا مانع دونه فيتر ذلك بأيدى الناس وليس هو مما يعتد به ولا يعبى مما يفرق للناس ويحمل الى دورهم ويعمل فى هذا اليوم سماط من الطعام فى القاعة يحضر عليه الخليفة والوزير فاذا انقضى ذو القعدة وهل هلال ذى الحجة اهتم بركوب عيد النحر فيجرى حاله كما جرى فى عيد الفطر من الزى والركوب الى المصلى ويكون لباس الخليفة فيه الاحمر الموشح ولا يخرم منه شئ انتهى * وصعد مرة الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد المنبر يوم عيد فوقف الشريف ابن انس الدولة بازائه وقال مشيرا الى الحاضرين

خشوعا فان الله هذا مقامه * وهمسا فهذا وجهه وكلامه

وهذا الذى فى كل وقت بروزه * تحياته من ربنا وسلامه

فضرب الحافظ الجانب الايسر من المنبر فرقى اليه زمام القصر فقال له قل للشريف حسبك قضيت حاجتك ولم يدعه يقول شيأ آخر وكانت تكتب المخلقات بركوب أمير المؤمنين لصلاة العيد ويبعث بها الى الاعمال فمما كتب به من انشاء ابن الصيرفى * أما بعد فالحمد لله الذى رفع بامير المؤمنين عماد الايمان وثبت قواعده وأعز بخلافته معتقده وأذل بمهابته معانده وأظهر من نوره ما انبسط فى الآفاق وزال معه الاظلام ونسخ به ما تقدمه من الملل فقال ان الدين عند الله الاسلام وجعل المعتصم بحبله مفضلا على من يفاخره ويباهيه وأوجب دخول الجنة وخلودها لمن عمل بأوامره ونواهيه وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذى اصطفى له الدين وبعثه الى الاقربين والابعدين وأيده فى الارشاد حتى صار العاصى مطيعا ودخل الناس فى التوحيد فرادى وجميعا وغدوا بعروته الوثقى متمسكين وأنزل عليه قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وعلى أخيه وابن عمه أبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب امام الائمة وكاشف الغمة وأوجه الشفعاء لشيعته يوم العرض ومن الاخلاص فى ولائه قيام بحق وأداء فرض وعلى الائمة من ذريتهما سادة البريه والعادلين فى القضيه والعاملين بالسيرة المرضيه وسلم وكرم وشرف وعظم وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الثلاثاء عيد الفطر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة وقد كان من قيام أمير المؤمنين بحقه وأدائه وجريه فى ذلك على عادته وعادة من قبله من آبائه ما ننبئك به ويطلعك على مستوره عنك ومغيبه وذلك أن دنس ثوب الليل لما بيضه الصباح وعاد المحرم المحظور بما أطلقه المحلل المباح توجهت عساكر أمير المؤمنين من مظانها الى بابه وأفطرت بين يديه بعد ما حازته من أجر الصيام وثوابه ثم انثنت الى مصافها فى الهيآت التى يقصر عنها تجريد الصفات وتغنى مهابتها عن تجريد المرهفات وتشهد أسلحتها وعددها بالتنافس فى الهمم وتقلق مواضيها فى أغمادها شوقا الى الطلى والقمم وقد امتلأت الارض بازدحام الرجل والخيل وثار العجاج فلم ير اغرب من اجتماع النهار والليل وبرز أمير المؤمنين من قصوره وظهر للابصار على انه محتجب بضيائه ونوره وتوجه الى المصلى فى هدى جده وأبيه والوقار الذى ارتفع فيه عن النظير والشبيه ولما انتهى اليه قصد المحراب واستقبله وأدى الصلاة على وضع رضيه الله وتقبله وأجرى أمرها على أفضل المعهود ووفاها حقها من القراءة والتكبير والركوع والسجود وانتهى الى المنبر فعلاه وكبر

الله

الله وهاله على ما أولاه وذكر الثواب على اخراج الفطرة وبشر به وان المسارعة اليه من وسائل المحافظة على الخير وقربه ووعظ وعظا ينتفع قابله فى عاجلته ومنقلبه ثم عاد الى قصوره الزاهرة مشمولا بالوقايه مكنوفا بالكفايه منتهيا فى ارشاد عبيده ورعاياه اقصى الغاية أعلمك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتعلم منه ماتسكن اليه وتعلن بتلاوته على الكافة ليشتركوا فى معرفته ويشكروا الله عليه فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى * وكان من أهل برقة طائفة تعرف بصبيان الخلف لها اقطاعات وجرايات وكسوات ورسوم فاذا ركب الخليفة فى العيدين مدّ واحبلين مسطوحين من أعلى باب النصر الى الارض حبلا عن يمين الباب وحبلا عن شماله فاذا عاد الخليفة من المصلى نزل على الحبلين طائفة من هؤلاء على أشكال خيل من خشب مدهون وفى أيديهم رايات وخلف كل واحد منهم رديف وتحت رجليه آخر معلق بيديه ورجليه ويعملون أعمالا تذهل العقول ويركب منهم جماعة فى الموكب على خيول فيركضون وهم يتقلبون عليها ويخرج الواحد منهم من تحت ابط الفرس وهو يركض ويعود ديركب من الجانب الآخر ويعود وهو على حاله لا يتوقف ولا يسقط منه شئ الى الارض ومنهم من يقف على ظهر الحصان فيركض به وهو واقف

(ذكر القصر الصغير الغربى)

وكان تجاه القصر الكبير الشرقى الذى تقدّم ذكره فى غربيه قصر آخر صغير يعرف بالقصر الغربى ومكانه الآن حيث المارستان المنصورى وما فى صفه من المدارس ودار الامير بيسرى وباب قبو الخرنشف وربع الملك الكامل المطل على سوق الدجاجين اليوم المعروف قديما بالتبانين وما يجاوره من الدرب المعروف اليوم بدرب الخضيرى تجاه الجامع الاقمر وماوراء هذه الاماكن الى الخليج وكان هذا القصر الغربى يعرف أيضا بقصر البحر والذى بناه العزيز بالله نزار بن المعز * قال المسبحى ولم يبن مثله فى شرق ولا فى غرب * وقال ابن أبى طى فى أخبار سنة سبع وخمسين وأربعمائة فيها تمم الخليفة المستنصر بناء القصر الغربى وسكنه وغرم عليه ألفى ألف دينار وكان ابتداء بنيانه فى سنة خمسين وأربعمائة وكان سبب بنائه انه عزم على أن يجعله منزلا للخليفة القائم بأمر الله صاحب بغداد ويجمع بنى العباس اليه ويجعله كالمجلس لهم فخانه أمله وتممه فى هذه السنة وجعله لنفسه وسكنه * وقال ابن ميسر ان ست الملك أخت الحاكم كانت أكبر من أخيها الحاكم وان والدها العزيز بالله كان قد أفردها بسكنى القصر الغربى وجعل لها طائفة برسمها كانوا يسمون بالقصرية وهذا يدلك على أن القصر الغربى كان قد بنى قبل المستنصر وهو الصحيح وكان هذا القصر يشتمل أيضا على عدة أماكن

(الميدان) وكان بجوار القصر الغربى ومن حقوقه الميدان ويعرف هذا الميدان اليوم بالخرنشف واصطبل القطبية

(البستان الكافورى) وكان من حقوق القصر الصغير الغربى البستان الكافورى وكان بستانا أنشأه الامير أبو بكر محمد بن طغج بن جف الاخشيد أمير مصر وكان مطلا على الخليج فاعتنى به الاخشيد وجعل له أبوابا من حديد وكان ينزل به ويقيم فيه الايام واهم بشأنه من بعد الاخشيد ابناه الامير أبو القاسم أونوجور بن الاخشيد والامير أبو الحسن على بن الاخشيد فى أيام امارتهما بعد أبيهما فلما استبدّ من بعدهما الاستاذ أبو المسك كافور الاخشيدى بامارة مصر كان كثيرا ما يتنزه به ويواصل الركوب الى الميدان الذى كان فيه وكانت خيوله بهذا الميدان فلما قدم القائد جوهر من المغرب بجيوش مولاه المعز لدين الله لاخذ ديار مصر أناخ بجوار هذا البستان وجعله من جملة القاهرة وكان منتزها للخلفاء الفاطميين مدة أيامهم وكانوا يتوصلون اليه من سراديب مبنية تحت الارض ينزلون اليها من القصر الكبير الشرقى ويسيرون فيها بالدواب الى البستان الكافورى ومناظر اللؤلؤة بحيث لا تراهم الاعين ومازال البستان عامرا الى أن زالت الدولة فحكر وبنى فيه فى سنة احدى وخمسين وستمائة كما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الحارات والخطط من هذا الكتاب وأما الاقباء والسراديب فانها عملت أسربة للمراحيض وهى باقية الى يومنا هذا تصب فى الخليج

(القاعة) وكان من جملة القصر الغربى قاعة كبيرة هى الآن المارستان المنصورى حيث المرضى كانت سكن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله وكانت أحوالها متسعة جدا — قال فى كتاب الذخائر والتحف وأهدت

السيدة الشريفة ست الملك أخت الحاكم بأمر الله الى أخيها يوم الثلاثاء التاسع من شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة هدايا من جملتها ثلاثون فرسا بمراكبها ذهبا منها مركب واحد مرصع ومركب من حجر البلور وعشرون بغلة بسروجها ولجمها وخمسون خادما منهم عشرة صقالبة ومائة تخت من أنواع الثياب وفاخرها وتاج مرصع بنفيس الجوهر وبديعه وشاشية مرصعة وأسفاط كثيرة من طيب من سائر أنواعه وبستان من الفضة مزروع من أنواع الشجر قال وخلفت حين ماتت فى مستهل جمادى الآخرة من سنة خمس وعشرين وأربعمائة مالا يحصى كثرة وكان اقطاعها فى كل سنة يغل خمسين ألف دينار ووجد لها بعد وفاتها ثمانية آلاف جارية منها بنيات ألف وخمسمائة وكانت سمحة نبيلة كريمة الاخلاق والفعل وكان فى جملة موجودها نيف وثلاثون زيراصينيا مملوء جميعها مسكا مسحوقا ووجد لها جوهر نفيس من جملته قطعة ياقوت ذكر أن فيها عشرة مثاقيل * قال المسبحى ولدت بالمغرب فى ذى القعدة سنة خمس وثلثمائة ولما زالت الدولة عرفت هذه الدار بالامير فخر الدين جهاركس   موسك ثم بالملك المفضل قطب الدين   بن الملك العادل فلما كان فى شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين وستمائة شرع الملك المنصور قلاون الالفى فى بنائها مارستانا ومدرسة وتربة وتولى عمارتها الامير علم الدين سنجر الشجاعى مدبر الممالك ويقال ان ذرع هذه الدار عشرة آلاف وستمائة ذراع

هكذا بياض فى الأصل

(أبواب القصر الغربى)

كان لهذا القصر عدة أبواب منها باب الساباط وباب التبانين وباب الزمرد

(باب الساباط) هذا الباب موضعه الآن باب سر المارستان المنصورى الذى يخرج منه الآن الى الخرنشف وكان من الرسم أن يذبح فى باب الساباط المذكور مدة أيام النحر وفى عيد الغدير عدة ذبائح تفرق على سبيل الشرف * قال ابن المامون فى سنة ست عشرة وخمسمائة وجملة مانحره الخليفة الآمر بأحكام الله وذبحه خاصة فى المنحر وباب الساباط دون المأمون وأولاده واخوته فى ثلاثة الايام ألف وسبعمائة وستة وأربعون رأسا فذكر ماكان بالمنحر قال وفى باب الساباط مما يحمل الى من حوته القصور والى دار الوزارة والاصحاب والحواشى اثنتا عشرة ناقة وثمانية عشر رأس بقر وخمسة عشر رأس جاموس ومن الكباش ألف وثمانمائة رأس ويتصدق كل يوم فى باب الساباط بسقط مايذبح من النوق والبقر * وقال ابن عبد الظاهر كان فى القصر باب يعرف بباب الساباط كان الخليفة فى العيد يخرج منه الى الميدان وهو الخرنشف الآن لينحر فيه الضحايا

(باب التبانين) هذا الباب مكان باب الخرنشف الآن وجعل فى موضعه دار العلم التى بناها الحاكم الآتى ذكرها ان شاء الله تعالى

(باب الزمرد) كان موضع اصطبل القطبية قريبا من باب البستان الكافورى الموجود الآن

(ذكر دار العلم)

وكان بجوار القصر الغربى من بحريه دار العلم ويدخل اليها من باب التبانين الذى هو الآن يعرف بقبو الخرنشف وصار مكان دار العلم الآن الدار المعروفة بدار الخضيرى الكائنة بدرب الخضيرى المقابل للجامع الاقمر ودار العلم هذه اتخذها الحاكم بأمر الله فاستمرت الى أن أبطلها الافضل بن أمير الجيوش * قال الامير المختار عز الملك محمد بن عبد الله المسبحى وفى يوم السبت هذا يعنى العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها الفقهاء وحملت الكتب اليها من خزائن القصور المعمورة ودخل الناس اليها ونسخ كل من التمس نسخ شئ مما فيها ما التمسه وكذلك من رأى قراءة شئ مما فيها وجلس فيها القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والاطباء بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع ابوابها وممراتها الستور وأقيم قوام وخدام وفراشون وغيرهم وسموا بخدمتها وحصل فى هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التى أمر بحملها اليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة مالم ير مثله مجتمعا لاحد قط من الملوك وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها فكان

ذلك

ذلك من المحاسن المأثورة أيضا التى لم يسمع بمثلها من اجراء الرزق السنى لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره وحضرها الناس على طبقاتهم فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعلم وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والاقلام والورق والمحابر وهى الدار المعروفة بمختار الصقلى * قال وفى سنة ثلاث وأربعمائة أحضر جماعة من دار العلم من اهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء منهم عبد الغنى بن سعيد وجماعة من الاطباء الى حضرة الحاكم بأمر الله وكانت كل طائفة تحضر على انفرادها للمناظرة بين يديه ثم خلع على الجميع ووصلهم ووقف الحاكم بامر الله أماكن فى فسطاط مصر على عدة مواضع وضمنها كتابا ثبت على قاضى القضاة مالك بن سعيد وقد ذكر عند ذكر الجامع الازهر وقال فيه وقد ذكر دار العلم ويكون العشر وثمن العشر لدار الحكمة لما يحتاج اليه فى كل سنة من العين المغربى مائتان وسبعة وخمسون دينارا من ذلك لثمن الحصر العبدانى وغيرها لهذه الدار عشرة دنانير ومن ذلك لورق الكاتب يعنى الناسخ تسعون دينارا ومن ذلك للخازن بها ثمانية وأربعون دينارا ومن ذلك لثمن الماء اثنا عشر دينارا ومن ذلك للفراش خمسة عشر دينارا ومن ذلك للورق والحبر والاقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثنا عشر دينارا ومن ذلك لمرمة الستارة دينار واحد ومن ذلك لمرمة ما عسى أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها اثنا عشر دينارا ومن ذلك لثمن لبود للفرش فى الشتاء خمسة دنانير ومن ذلك لثمن طنافس فى الشتاء أربعة دنانير * وقال ابن المأمون وفى هذا الشهر يعنى شهر ذى الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة جرت نوبة القصار وهى طويلة وأولها من الايام الافضلية وكان فيهم رجلان يسمى أحدهما بركات والآخر حميد بن مكى الاطفيحى القصار مع جماعة يعرفون بالبديعية وهم على الاسلام والمذاهب الثلاثة المشهورة وكانوا يجتمعون فى دار العلم بالقاهرة فاعتمد بركات من جملتهم أن استفسد عقول جماعة وأخرجهم عن الصواب وكان ذلك فى ايام الافضل فأمر للوقت بغلق دار العلم والقبض على المذكور فهرب وكان من جملة من استفسد عقله بركات المذكور استاذان من القصر فلما طلب بركات المذكور واستتر دقق الاستاذان الحيلة الى أن أدخلاه عندهما فى زى جارية اشترياها وقاما بحقه وجميع ما يحتاج اليه وصار أهله يدخلون اليه فى بعض الاوقات فمرض بركات عند الاستاذين فخارا فى أمره ومداواته وتعذر عليهما احضار طبيب له واشتد مرضه ومات فأعملا الحيلة وعرفا زمام القصر أن احدى عجائزهما قد توفيت وأن عجائزهما يغسلنها على عادة القصور ويشيعنها الى تربة النعمان بالقرافة وكتبا عدة من يخرج فسح لهما فى العدة وأخذا فى غسله وألبساه ما أخذا من أهله وهو ثياب معلمة وشاشية ومنديل وطيلسان مقور وادرجوه فى الديبقى وتوجه مع التابوت الاستاذان المشار اليهما فلما قطعوا به بعض الطريق أراد تكميل الاجرة على قدر عقولهما فقالا للحمالين هو رجل تربيته عندنا فنادوا عليه نداء الرجال واكتموا الحال وهذه أربعة دنانير لكم فسر الحمالون بذلك فلما عادوا الى صاحب الدكان عرفوه بما جرى وقاسموه الدنانير فخافت نفسه وعلم انها قضية لا تخفى فمضى بهم الى الوالى وشرح له القضية فأودعهم فى الاعتقال وأخذ الذهب منهم وكتب مطالعة بالحال فمن اول ما سمع القائد أبو عبد الله بن فاتك الذى قيل له بعد ذلك المأمون بالقضية وكان مدبر الامور فى الايام الافضلية قال هو بركات المطلوب وامر باحضار الاستاذين والكشف عن القضية واحضار الحمالين والكشف عن القبر بحضورهم فاذا تحققوا امرهم بلعنه فمن أجاب الى ذلك منهم اطلقوه ومن أبى أحضروه فحققوا امعرفته فمنهم من بصق فى وجهه وتبرأ منه ومنهم من هم بتقبيله ولم يتبرأ منه فجلس الافضل واستدعى الوالى والسياف واستدعى من كان تحت الحوطة من اصحابه فكل من تبرأ منه ولعنه أطلق سبيله وبقى من الجماعة ممن لم يتبرأ منه خمسة نفر وصبى لم يبلغ الحلم فأمر بضرب رقابهم وطلب الاستاذين فلم يقدر عليهما وقال للصبى من لفظه تبرأ منه وأنعم عليك واطلق سبيلك فقال له الله يطالبك ان لم تلحقنى بهم فانى مشاهد ما هم فيه وأخذ بسيفه على الافضل فأمر بضرب عنقه فلما توفى الافضل أمر الخليفة الآمر بأحكام الله وزيره المأمون بن البطائحى باتخاذ دار العلم وفتحها على الاوضاع الشرعية ثم عاد حميد القصار المثنى بذكره وظهر وسكن مصر يدق الثياب بها ويطلع الى دار العلم وأفسد عقل استاذ وخياط وجماعة وادعى الربوبية فحضر الداعى ابن عبد الحقيق الى الوزير المأمون وعرفه بان هذا قد تعرف بطرف من علم الكلام على مذهب أبى الحسن الاشعرى ثم انسلخ عن الاسلام وسلك طريق الحلاج فى التمويه

فاستهوى من ضعف عقله وقلت بصيرته فانّ الحلاج فى اوّل أمره كان يدّعى أنه داعية المهدىّ ثم ادّعى انه المهدىّ ثم ادّعى الالهية وأنّ الجنّ تخدمه وانه أحيي عدّة من الطيور وكان هـذا القصار شيعىّ الدين وجرت له امور فى الايام الافضلية ونفى دفعة واعتقل اخرى ثم هرب بعد ذلك ثم حضر وصار يواصل طلوع الجبل واستصحب من استهواه من اصحابه فاذا أبعد قال لبعضهم بعد أن يصلى ركعتين نطلب شيأ تأكله اصحابنا فيمضى ولا يلبث دون أن يعود ومعه ما كان أعدّه مع بعض خاصته الذين يطلعون على باطنه فكانوا يهابونه ويعظمونه حتى انهم يخافون الاثم فى تأمّل صورته فلا يزالون مطرقين بين يديه وكان قصيرا دميم الخلقة وادّعى مع ذلك الربوبية وكان ممن اختص بصحبته رجل خياط وخصىّ فرسم المأمون بالقبض على المذكور وعلى جميع اصحابه فهرب الخياط وطلب فلم يوجد ونودى عليه وبذل لمن يحضر به مال فلم يقدر عليه واعتقل القصار وأصحابه وقرّروا فلم يقرّوا بشئ من حاله وبعد أيام تماوت فى الحبس فلما استؤمر عليه أمر بدفنه فلما حمل ليدفن ظهر أنه حىّ فأعيد الى الاعتقال وبقى كل من لم يتبرّأ منه معتقلا ما خلا الخصىّ فانه لم يتبرّأ منه وذكر أن القتل لا يصل اليه فأمر بقطع لسانه ورمى قدّامه وهو مصرّ على ما فى نفسه فأخرج القصار والخصىّ ومن لم يتبرّأ منه من أصحابه فصلبوا على الخشب وضربوا بالنشاب فماتوا لوقتهم ثم نودى على الخياط ثانيا فاحضر وفعل به ما فعل بأصحابه بعد أن قيل له ها أنت تنظره فلم يتبرّأ منه وصلب الى جانبه وذكر أن بعض اصحاب هـذا القصار ممن لم يعرف أنه كان يشترى الكافور ويرميه بالقرب من خشبته التى هو مصلوب عليها فيستقبل رائحته من سلك تلك الطريق ويقصد بذلك أن يربط عقول من كان القصار قد أضله فأمر المأمون أن يحطوا عن الخشب وأن تخلط رممهم ويدفنوا متفرّقين حتى لا يعرف قبر القصار من قبورهم وكان قتلهم فى سنة سبع عشرة وخمسمائة وابتداء هذه القضية سنة ثلاث عشرة وخمسمائة قال وكان الشريف عبد الله يحدّث عن صديق له مأمون القول أنه أخبره أنه لما شاع خبر هذا القصار وما ظهر منه أراد أن يمتحنه فتسبب الى أن خالطه وصار فى جملة أصحابه ومن يعظمه ويطلع معه الى الجبل فافسد عقله وغير معتقده وأخرجه عن الاسلام وانه لامه على ذلك وردعه فحدّثه بعجائب منها أنه قال والله ما من الجماعة الذين يطلعون معه الى الجبل أحد الا ويسأله ويستدعيه ما يريد على سبيل الامتحان فيحضره اليه لوقته وان بيده سكينا لا تقطع الا بيده واذا أمسك طائرا وقبضه أحد من الحاضرين يدفع السكين التى معه له ويقول له اذبحه فلا تمشى فى يده فيأخذها هو ويذبحه بها ويجرى دمه ثم يعود ويمسكه بيده ويسرّحه فيطير ويقول ان الحديد لا يعمل فيه ويوسع القول فيما يشاهده منه ويسمعه فلما اعتقل القصار بقى هذا الرجل مصرّا على اعتقاده فلما قتل وخرج اليه وشاهده وتحقق موته علم أن ما كان فيه سحر وزور وافك فتصدّق بجملة من ماله وعاد الى مذهبه وصح معتقده * وقال ابن عبد الظاهر دار العلم كان الافضل بن أمير الجيوش قد أبطلها وهى بجوار باب التبانين وهى متصلة بالقصر الصغير وفيها مدفون الداعى المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى الاعجمىّ وكان لابطالها امور سببها اجتماع الناس والخوض فى المذاهب والخوف من الاجتماع على المذهب النزارىّ ولم يزل الخدّام يتوصلون الى الخليفة الآمر باحكام الله حتى تحدّث فى ذلك مع الوزير المأمون فقال اين تكون هـذه الدار فقال بعض الخدّام تكون بالدار التى كانت اوّلا فقال المأمون هذا لا يكون لانه باب صار من جملة ابواب القصر وبرسم الحوائج ولا يمكن الاجتماع ولا يؤمن من غريب يتحصل به فأشار كل من الاستاذين بشئ فأشار بعضهم أن تكون فى بيت المال القديم فقال المأمون يا سبحان الله قد منعنا أن تكون متاخمة للقصر الكبير الذى هو سكن الخليفة نجعلها ملاصقة فقال الثقة زمام القصور فى جوارى موضع ليس ملاصقا للقصر ولا مخالطا له يجوز أن يعمر ويكون دار العلم فأجاب المأمون الى ذلك وقال بشرط أن يكون متوليها رجلا دينا والداعى الناظر فيها ويقام فيها متصدّرون برسم قراءة القرآن فاستخدم فيها ابو محمد حسن ابن آدم فتولاها بشرط عليه ما تقدّم ذكره واستخدم فيها مقرؤن

(ذكر دار الضيافة)

خرّج مالك فى الموطأ عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه قال كان ابراهيم عليه السلام اوّل من ضيف الضيف واوّل من اتخذ دار ضيافة فى الاسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سنة

سبع عشرة وأعدّ فيها الدقيق والسمن والعسل وغيره وجعل بين مكة والمدينة من يحمل المنقطعين من ماء الى ماء حتى يوصلهم الى البلد فلما استخلف عثمان بن عفان رضى الله عنه أقام الضيافة لابناء السبيل والمتعبدين فى المسجد وأول من بنى دار الضيافة بمصر للناس عثمان بن قيس بن أبى العاص السهمى أحد من شهد فتح مصر من الصحابة وكان ميدان القصر الغربى الذى هو الآن الخرنشف دار الضيافة بحارة برجوان وكانت هذه الدار أولا تعرف بدار الاستاذ برجوان وفيها كان يسكن حيث الموضع المعروف بحارة برجوان ثم لما قدم أمير الجيوش بدر الجمالى فى ايام الخليفة المستنصر من عكا واستبدّ بأمر الدولة انشأ هنالك دارا عظيمة وسكنها ولم يسكن بدار الديباج التى كانت دار الوزارة القديمة فلما مات أمير الجيوش بدر واستولى سلطنة ديار مصر ابنه الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش وانشأ دار القباب التى عرفت بدار الوزارة الكبرى قريبا من رحبة باب العيد أقر أخاه أبا محمد جعفرا المنعوت بالمظفر ابن أمير الجيوش بدار أمير الجيوش من حارة برجوان فعرفت بدار المظفر ومازال بها حتى مات وقبر بها والى اليوم قبره بها وتسميه العامة جعفرا الصادق ولما مات المظفر اتخذت داره المذكورة دار ضيافة برسم الرسل الواردين من الملوك واستمرت كذلك الى أن انقرضت الدولة فأنزل بها السلطان صلاح الدين اولاد العاضد الى أن نقلهم الى قلعة الجبل الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فلما كان فى سنة تسع وسبعين وستمائة تقدم امر الملك المنصور قلاون لوكيل بيت المال القاضى مجد الدين عيسى بن الخشاب ببيع دار المظفر فباع القاعة الكبرى وماهو من حقوقها وبيعت دار المظفر الصغرى وهدمها الناس وبنوا فى مكانها دورا وموضعها الآن دار قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى الحنفى وما بجوارها الى الدار التى بها سكنى اليوم وهى من حقوق دار المظفر الصغرى على ما فى كتبها القديمة ولما انشأ قاضى القضاة شمس الدين المذكور داره فى سنة سبع أو سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ظهر من تحت الارض عند حفر الاساس حجر عظيم قيل انه عتبة دار المظفر الكبرى وكان اذ ذاك الامير جهاركس الخليلى يتولى عمارة مدرسة الملك الظاهر برقوق التى فى خط بين القصرين فلما بلغه خبر هذا الحجر بعث اليه وأمر بجره الى العمارة فعمل عتبة باب المزملة التى للمدرسة وكان من وراء هذه الدار رحبة الافيال أدركتها ساحة ثم عمر فيها * قال ابن الطوير الخدمة المعروفة بالنيابة للقاء المرسلين وهى خدمة جليلة يقال لمتوليها النائب وينعت بعدى الملك وهو ينوب عن صاحب الباب فى لقاء الرسل الوافدين على مسافة وانزال كل واحد فى دار تصلح له ويقيم له من يقوم بخدمته وله نظر فى دار الضيافة وهو يسمى اليوم مهمندار ويرتب لهم ما يحتاجون اليه ولا يمكن أحدا من الاجتماع بهم ويذكر صاحب الباب بهم ويبالغ فى نجاز ما وصلوا فيه وهو الذى يسلم بهم أبدا عند الخليفة والوزير وينفذ بهم ويستأذن عليهم ويدخل الرسول وصاحب الباب قابض على يده اليمنى والنائب بيده اليسرى فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم ويجتهد فى انفصالهم على احسن الوجوه وبين يديه من الفراشين المقدم ذكرهم عدة لاعانته واذا غاب أقام عنه نائبا الى أن يعود وله من الجارى خمسون دينارا فى كل شهر وفى اليوم نصف قنطار خبز وقد يهدى اليه المرسلون طرفا فلا يتناولها الا باذن انتهى * وفى هذه الدولة التركية يقال لمتولى هذه الوظيفة مهمندار ولا يليها عندهم الا صاحب سيف من الامراء العشراوات وكانت فى الدولة الفاطمية على ماذكره ابن الطوير لا يليها الا اعيان العدول وأرباب العمائم وينعت أبدا بعدى الملك وأصل هذه الكلمة بالفارسية مهمان دار (ومعناها ملتقى الضيوف)

(ذكر اصطبل الحجرية)

وكان بجوار دار الضيافة اصطبل الصبيان الحجرية المقدم ذكرهم وموضع هذا الاصطبل اليوم يعرف بخان الوراقة داخل باب الفتوح القديم بسوق المرحلين على يسرة من اراد الخروج من باب الفتوح القديم تجاه زيادة الجامع الحاكمى ومن حقوق هذا الاصطبل ايضا الموضع الذى فيه الآن القيسارية المعروفة بقيسارية الست التى هى اليوم تجاه المدرسة الصيرمية والجلون الصغير وكانت بهذا الاصطبل خيول الصبيان الحجرية احدى طوائف العساكر فى زمن الخلفاء الفاطميين

(ذكر مطبخ القصر)

وكان بجوار القصر الغربى قبالة باب الزهومة من القصر الكبير مطبخ القصر وموضعه الآن الصاغة تجاه المدارس الصالحية ولما كانت مطبخا كان يخرج اليه من باب الزهومة وذكر ابن عبد الظاهر أنه كان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان ألف ومائتا قدر من جميع ألوان الطعام تفرق كل يوم على أرباب الرسوم والضعفاء

(درب السلسلة) وكان بجوار مطبخ القصر درب السلسلة قال ابن الطوير ويبيت خارج باب القصر فى كل ليلة خمسون فارسا فاذا أذن بالعشاء الآخرة داخل القاعة وصلى الامام الراتب بها بالمقيمين فيها من الاستاذين وغيرهم وقف على باب القصر أمير يقال له سنان الدولة بن الكركندى فاذا علم بفراغ الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق ولواتقهما من عدة وافرة بطرائق مستحسنة مدة ساعة زمانية ثم يخرج بعد ذلك استاذ برسم هذه الخدمة فيقول أمير المؤمنين يرد على سنان الدولة السلام فيصقع ويغرس حربة على الباب ثم يرفعها بيده فاذا رفعها أغلق الباب وسار حوالى القصر سبع دورات فاذا انتهى ذلك جعل على الباب البياتين والفراشين المقدم ذكرهم وانصرف المؤذنون الى خزانتهم هناك وترمى السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين فينقطع المار من ذلك المكان الى أن تضرب النوبة سحرا قرب الفجر فتنصرف الناس من هناك بارتفاع السلسلة * وقال ابن عبد الظاهر درب السلسلة الذى هو الآن الى جانب السيوفيين كانت عنده سلسلة منه الى قبالته تعلق كل يوم من الظهر حتى لا يعبر راكب تحت القصر وهذا الدرب يعرف بسنان الدولة بن الكركندى وهذا الدرب هو المختص بالتقفيزة وهذه التقفيزة أمرها مستظرف لا من قبل الحسن بل من قبل التعجب من العقول ولها خمسة أوقات وهى ليالى العيدين وغرة السنة وغرة شهر رمضان ويوم فتح الخليج وهو أنه يقف راكبا فى وسط الزلاقة التى لباب الذهب قبالة الدار القطبية فيخرج اليه السلام من الخليفة ثم يخدم الرهجية ثم يصعد على كندرة باب الزهومة وقدامه دواب المظلة يمنة ويسرة والرهجية تخدم وارباب الضوء ومستخدموا الطرق على السلسلة فاذا كان الطرف وصلوا اليه واجتمعت الرهجية كلهم وركب فرسا وعليه ثياب حسنة وكشف عن راياته وأخذ بيده رمحا واجتمعت الرهجية حوله ويعبر مشوراوأولئك خلفه بالصراخ والصياح بشعار الامام ثم يسير بذلك الجمع وخيل المظلة الى أبواب القصر فيقف عند كل باب تخدم الرهجية الى أن يعودوا الى باب الذهب ثم الى دار الوزارة للهناء فلم يزالوا كذلك الى ولاية ابن الكركندى فبطلت هذه السنة فى الايام الآمرية وصاحب التقفيزة ممن وصل آباؤه صحبة المعز لدين الله من بلاد المغرب فكانت هذه سنتهم

(ذكر الدار المأمونية)

وكان بجوار درب السلسلة الدار المأمونية وهى المدرسة السيوفية وكانت هذه الدار سكن المأمون ابن البطائحى وعرفت قديما بقوام الدولة حبوب ثم جددها المأمون محمد بن فاتك

(المأمون البطائحى) هو ابو عبد الله محمد ابن الامير نور الدولة ابى شجاع فاتك بن الامير منجد الدولة أبى الحسن مختار المستنصرى اتصل بخدمة الافضل بن أمير الجيوش فى شهر شوال سنة احدى وخمسمائة عند ما تغير على تاج المعالى مختار الذى كان اصطنعه وفخم أمره وسلم اليه خزائن امواله وكسواته وسلم ما كان بيده من الخدمة لمحمد بن فاتك فتصرف فيها وقرر له الافضل ما كان باسم مختار من العين خاصة دون الاقطاع وهو مائة دينار فى كل شهر وثلاثون دينارا عن جارى الخزائن مضافا الى الاصناف الراتبة مياومة ومشاهرة ومسانهة فحسن عند الافضل موقع خدمته فاعتمد عليه وسلم له جميع اموره وصرفه فى كل احواله فلما كثر عليه الشغل استعان بأخويه أبى تراب حيدرة وأبى الفضل جعفر فأطلق الافضل لهما ماوسع به عليهما من المياومة والمشاهرة والمسانهة ونعته الافضل بالقائد فصار يخاطب بالقائد ويكاتب به وصار عنده بمنزلة الاستادار فلما قتل الافضل ليلة عيد الفطر من سنة خمس عشرة وخمسمائة قام القائد ابو عبد الله بن فاتك لخدمة الخليفة الآمر بأحكام الله وأطلعه على أموال الافضل وبالغ فى مناصحته حتى لقد اتهم أنه هو الذى دبر فى قتل الافضل باشارة الخليفه

تخلع عليه الآمر في مستهل ذي القعدة بمجلس اللعبة من القصر وهو المجلس الذي يجلس فيه الخليفة ولم يخلع قبله على أحد فيه وحل المنطقة من وسطه وخلع على ولده وحل منطقته وخلع على اخوته واستقرت تنفيذ الامور اليه الى أن استهل ذو الحجة ففي يوم الجمعة ثانيه خلع عليه من الملابس الخاص في فرد كم بمجلس اللعبة طوق ذهب مرصع وسيف ذهب كذلك وسلم على الخليفة وتقدم الامر للامراء وكافة الاستاذين المحنكين بالخروج بين يديه وأن يركب من المكان الذي كان الافضل يركب منه ومشى في ركابه القواد على عادة من تقدمه وخرج بتشريف الوزارة ودخل من باب العيد راكبا ووصل الى داره فضاعف الرسوم وأطلق الهبات فلما كان يوم الاثنين خامسه اجتمع الامراء بين يدي الخليفة وأحضر السجل في لفافة خاص مذهبة فسلمه الخليفة له من يده فقبله وسلمه لزمام القصر فأمره الخليفة بالجلوس الى جانبه عن يمينه وقرئ السجل على باب المجلس وهو أول سجل قرئ هنالك وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالايوان ورسم للشيخ أبي الحسن بن أبي اسامة كاتب الدست أن ينقل نسبة الامراء والمحنكين من الآمري الى المأموني وكذا الناس أجمع ولم يكن أحد ينتسب الى الافضل ولا لامير الجيوش وقدمت له الدواة فعلم في مجلس الخليفة ونعت بالسيد الاجل المأمون تاج الخلافة ووجيه الملك فخر الصنائع ذخر أمير المؤمنين عز الاسلام فخر الانام نظام الدين أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين وكان يجلس بداره في يومي الاحد والاربعاء للراحة والنفقة في العسكر البساطية الى الظهر ثم يرفع النفقة ويمد السماط ويجلس بعد العصر والكتاب بين يديه فينفق في الراجل الى آخر النهار وفي يوم الجمعة يطلق للمقرئين بحضرته خمسة دنانير ولكل من هو مستمر القراءة على بابه من الضعفاء والامراء مما هو ثابت بأسمائهم خمسمائة درهم وابقية الضعفاء والمساكين خمسمائة درهم اخرى فاذا توجه يوم الجمعة الى القرافة يكون المبلغ المذكور مستقرا لاربابه ولم يزل الى ليلة السبت الرابع من رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة فقبض الآمر المذكور عليه وعلى اخوته الخمسة مع ثلاثين رجلا من خواصه وأهله واعتقله ثم صلبه مع اخوته في سنة اثنتين وعشرين * قيل ان سبب القبض عليه ما بلغ الآمر عنه أنه بعث الى الامير جعفر بن المستعلي يغريه بقتل أخيه ليقيمه مكانه في الخلافة وكان الذي بلغ الآمر ذلك الشيخ أبا الحسن بن أبي اسامة وبلغه ايضا عنه أنه سير نجيب الدولة أبا الحسن الى اليمن ليضرب سكة عليها الامام المختار محمد بن نزار وذكر عنه انه سم شيأ ودفعه لفصاد الخليفة فنم عليه الفصاد وكان مولد المأمون في سنة ثمان وسبعين واربعمائة وكان من ذوي الآراء والمعرفة التامة بتدبير الدول كريما واسع الصدر سفاكا للدماء كثير التحرز والتطلع الى معرفة أحوال الناس من العامة والجند فكثر الوشاة في ايامه

(حبس المعونة) وكان بجوار الدار المأمونية حبس المعونة وموضعه اليوم قيسارية العنبر قال ابن المأمون في سنة سبع عشرة وخمسمائة تقدم أمر المأمون الى الواليين بمصر والقاهرة باحضار عرفاء السقائين وأخذ الحجج على المتعيشين منهم بالقاهرة بحضورهم متى دعت الحاجة اليهم ليلا ونهارا وكذلك يعتمد في القربيين وأن يبيتوا على باب كل معونة ومعهم عشرة من الفعلة بالطواري والمساحي وأن يقوم لهم بالعشاء من أموالهما بحكم فقرهم انتهى وكان حبس المعونة هذا يسجن فيه أرباب الجرائم كما هو اليوم السجن المعروف بخزانة شمائل وأما الامراء والاعيان فيسجنون بخزانة البنود كما تقدم ولم يزل هذا الموضع سجنا مدة الدولة الفاطمية ومدة دولة بني ايوب الى أن عمره الملك المنصور قلاون قيسارية أسكن فيها العنبرانيين في سنة ثمانين وستمائة

(ذكر الحسبة ودار العيار)

وكان بجوار حبس المعونة دكة الحسبة ومكانها اليوم يعرف بالابازرة ومكسر الحطب بجوار سوق القصارين والفحامين * قال ابن الطوير وأما الحسبة فانه من تسند اليه لا يكون الا من وجوه المسلمين وأعيان المعدلين لانها خدمة دينية وله استخدام النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة كنواب الحكم وله الجلوس بجامعي القاهرة ومصر يوما بعد يوم ويطوف نوابه على أرباب الحرف والمعايش ويأمر نوابه بالختم على قدور الهراسين وتطر لحمهم ومعرفة من جزاره وكذلك الطباخون ويتبعون الطرقات ويمنعون من المضايقة فيها ويلزمون رؤساء المراكب أن لا يحملوا اكثر من وسق السلامة وكذلك مع الحمالين على البهائم

ويامرون السقائين بتغطية الروايا بالاكسية ولهم عيار وهو أربعة وعشرون دلوا كل دلو أربعون رطلا وأن يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم وهى زرق وينذرون معلمى المكاتب بأن لا يضربوا الصبيان ضربا مبرحا ولا فى مقتل وكذلك معلموا العوم بتحذيرهم من التغرير بأولاد الناس ويقفون على من يكون سيء المعاملة فينهونه بالردع والادب وينظرون المكاييل والموازين وللمحتسب النظر فى دار العيار ويخلع عليه ويقرأ سجله بمصر والقاهرة على المنبر ولا يحال بينه وبين مصلحة اذا رآها والولاة تشد معه اذا احتاج الى ذلك وجاريه ثلاثون دينارا فى كل شهر انتهى * وكان للعيار مكان يعرف بدار العيار تعير فيه الموازين بأسرها وجميع الصنج وكان ينفق على هذه الدار من الديوان السلطانى فيما تحتاج اليه من الاصناف كالنحاس والحديد والخشب والزجاج وغير ذلك من الآلات واجر الصناع والمشارفين ونحوهم ويحضر المحتسب اونائبه الى هذه الدار ليعير المعمول فيها بحضوره فان صح ذلك أمضاه والا امر باعادة عمله حتى يصح وكان بهذه الدار أمثلة يعتبر بها العيار فلا تباع الصنج والموازين والاكيال الا بهذه الدار ويحضر جميع الباعة الى هذه الدار باستدعاء المحتسب لهم ومعهم موازينهم وصنجهم ومكاييلهم فتعير فى كل قليل فان وجد فيها الناقص استهلك وأخذ من صاحبه لهذه الدار وألزم بشراء نظيره مما هو محرر بهذه الدار والقيام بثمنه ثم سومح الناس وصار يلزم من يظهر فى ميزانه أو صنجه خلل باصلاح ما فيها من فساد فقط والقيام باجرته فقط ومازالت هذه الدار باقية جميع الدولة الفاطمية فلما استولى صلاح الدين على السلطنة أقر هذه الدار وجعلها وقفا على سور القاهرة مع ما كان جاريا فى أوقاف السور من الرباع والنواحى الجارية فى ديوان الاسوار ومازالت هذه الدار باقية

*(اصطبل الجيزة) * وكان بجوار القصر الغربى من قبليه اصطبل الجيزة من جانب باب الساباط الذى هو الآن باب سر المارستان المنصورى وقيل له اصطبل الجيزة من أجل انه كان فى وسطه شجرة جيز كبيرة وكان موضع هذا الاصطبل تجاه من يخرج من باب الساباط فينزل من الحدرة التى هى الآن تجاه باب سر المارستان المتوصل منها الى حارة زويلة ويمتد فيما حاذاه يسارك اذا وقفت باول هذه الحدرة حيث الطاحون الكبيرة التى هى الآن فى اوقاف المارستان وماوراءها ويحاذيها الى الموضع المعروف اليوم بالبندقانيين وكانت بئره تعرف ببئر زويلة وعليها ساقية تنقل الماء لشرب الخيول وموضع هذا البئر اليوم قيسارية تعرف بقيسارية يونس تجاه درب الانجب وقد شاهدت هذه البئر لما أنشأ الامير يونس الدوادار هذه القيسارية والربع علوها فرأيت بئرا كبيرة جدا وقد عقد على فوهتها عقد ركب فوقه بعض القيسارية وترك منها شيء ومنها الآن الناس تسقى بالدلاء ومازال هذا الاصطبل باقيا الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فحكر وبنى فى مكانه الآدر التى هى موجودة الآن وحكره جار فى أوقاف الصلاح الازبكى وقد تقدم ذكر هذا الاصطبل عند ذكر اصطبل الطارمة فانظر رسومه هناك

*(دار الديباج) * وكان بجوار اصطبل الطارمة من غربيه دار الديباج وهى حيث المدرسة الصاحبية بسويقة الصاحب وماجاورها من جانبها وما خلفها الى الوزيرية وكانت هى دار الوزارة القديمة واول من أنشأها الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس وزير العزيز بالله ثم سكنها الوزير الناصر للدين قاضى القضاة وداعى الدعاة علم المجد ابو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن البازورى ومازالت سكن الوزراء الى أن قدم امير الجيوش بدر الجمالى من عكا ووزره المستنصر وصار وزيرا مستبدا فأنشا داره بحارة برجوان وسكنها وسكن من بعده ابنه الافضل ابن أمير الجيوش بدار القباب التى عرفت بدار الوزارة الكبرى وصارت هذه الدار تعرف بدار الديباج لانه يعمل فيها الحرير الديباج ويتولاها الاماثل والاعيان فممن وليها ابو سعيد بن قرقة الطبيب متولى خزائن السلاح وخزائن السروج والصناعات فلما انقرضت الدولة الفاطمية بنى الناس فى مكان دار الديباج المدرسة السيفية وماوراءها من المواضع التى تعرف اماكنها اليوم بدرب الحريرى وماجاور هذا الدرب الى المدرسة الصاحبية وما بجوارها وما هو فى ظهرها فصار يعرف خط دار الديباج فى زمننا بخط سويقة الصاحب

*(الاهراء السلطانية) * وكانت اهراء الغلال السلطانية فى دولة الخلفاء الفاطميين حيث المواضع التى فيها الآن خزانة شمائل وماوراءها الى قرب الحارة الوزيرية * قال ابن الطوير وأما الاهراء فانها كانت فى عدة

أماكن بالقاهرة هي اليوم اصطبلات ومناخات وكانت تحتوي على ثلثمائة ألف اردب من الغلات وأكثر من ذلك وكان فيها مخازن يسمى أحدها بغداى وآخر القول وآخر القرافة واليها الحاة من الامراء والمشارفين من العدول والمراكب واصلة اليها بأصناف الغلات الى ساحل مصر وساحل المقس والحمالون يحملون ذلك اليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأمنائها من كل ناحية سلطانية واكثر ذلك من الوجه القبلي ومنها اطلاق الاقوات لارباب الرتب والخدم وأرباب الصدقات وأرباب الجوامع والمساجد وجرايات العبيد السودان بتعريفات وما ينفق في الطواحين برسم خاص الخليفة وهي طواحين مدارها سفل وطواحينها علو حتى لا تقارب زبل الدواب ويحمل دقيقها الخاص وما يختص بالجهات في خرائط من شقق حلبية ومن الاهراء تخرج جرايات رجال الاسطول وفيها ما هو قديم يقطع بالمساحي ويخلط في بعض الجرايات بالجديد بجرايات المذكورين وجرايات السودان ومنها ما يستدعى بدار الضيافة لاخباز الرسل ومن يتبعهم وما يعمل من القمح برسم الكعك لزاد الاسطول فلا يفتر مستخدموها من دخل وخرج ولهم جامكية مميزة وجرايات برسم أقواتهم وشعير لدوابهم وما يقبض من الواصلين بالغلال الا بعيار العيون المختومة معهم والاذرى وطلب العجز بالنسبة * وذكر ابن المأمون أن غلات الوجه القبلي كانت تحمل الى الاهراء وأما الاعمال البحرية والبحيرة والجزيرتان والغربية والكفور والاعمال الشرقية فيحمل منها اليسير ويحمل باقيها الى الاسكندرية ودمياط وتنيس ليسير الى ثغر عسقلان وثغر صور وانه كان يسير اليهما في كل سنة مائة وعشرون ألف اردب منها العسقلان خمسون ألفا ولصور سبعون ألفا فيصير هناك ذخيرة ويباع منها عند الغنى عنها قال وكان متحصل الديوان في كل سنة ألف ألف اردب * وذكر جامع السيرة البازورية أن المتجر كان يقام به للديوان من الغلة وأن الوزير أبا محمد البازوري قال للخليفة المستنصر وهو يومئذ يتقلد وظيفة قاضي القضاة وقد قصر النيل في سنة أربع وأربعين وأربعمائة ولم يكن بالمخازن السلطانية غلال فاشتدت المسغبة بأمير المؤمنين ان المتجر الذي يقام بالغلة فيه اوفى مضرة على المسلمين وربما انحط السعر من مشتراها ولا يمكن بيعها فتتغير في المخازن وتتلف وانه يقام متجر لا كلفة فيه على الناس ويفيد أضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغير في المخازن ولا انحطاط سعر وهو الصابون والخشب والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك فأمضى الخليفة ما رآه واستمر ذلك ودام الرخاء على الناس وتوسعوا

(ذكر المناظر التي كانت للخلفاء الفاطميين ومواضع نزههم وما كان لهم فيها من امور جميلة)

وكان للخلفاء الفاطميين مناظر كثيرة بالقاهرة ومصر والروضة والقرافة وبركة الحبش وظواهر القاهرة وكانت لهم عدة متنزهات أيضا فمن مناظرهم التي بالقاهرة منظرة الجامع الازهر ومنظرة اللؤلؤة على الخليج ومنظرة الدكة ومنظرة المقس ومنظرة باب الفتوح ومنظرة البعل ومنظرة التاج والخمس وجوه ومنظرة الصناعة بمصر ودار الملك ومنازل العز والهودج بالروضة ومنظرة بركة الحبش والاندلس بالقرافة وقبة الهواء ومنظرة السكرة وكان من متنزهاتهم كسر خليج ابى المنجا وقصر الورد بالخرقانية وبركة الجب

(منظرة الجامع الازهر) وكان بجوار الجامع الازهر من قبليه منظرة تشرف على الجامع الازهر يجلس الخليفة فيها للمشاهدة ليالى الوقود

(ذكر ليالى الوقود) قال المسبحي في حوادث شهر رجب من سنة ثمانين وثلثمائة وفيه خرج الناس في لياليه على رسمهم في ليالى الجمع وليلة النصف الى جامع القاهرة يعني الجامع الازهر عوضا عن القرافة وزيد فيه في الوقيد على حافات الجامع وحول صحنه التنانير والقناديل والشمع على الرسم في كل سنة والاطعمة والحلوى والبخور في مجامر الذهب والفضة وطيف بها وحضر القاضي محمد بن النعمان في ليلة النصف بالمقصورة ومعه شهوده ووجوه البلد وقدمت اليه سلال الحلوى والطعام وجلس بين يديه القراء وغيرهم والمنشدون والناحة واقام الى نصف الليل وانصرف الى داره بعد أن قدم الى من معه اطعمة من عنده وبخرهم * وقال في شعبان وكان الناس في كل ليلة جمعة وليلة النصف على مثل ما كانوا عليه في رجب وأزيد وفي ليلة النصف من شعبان كان

للناس جمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء والقراء والمنشدين وحضر القاضي محمد بن النعمان في جميع شهوده ووجوه البلد ووقدت التنانير والمصابيح على سطح الجامع ودور صحنه ووضع الشمع على المقصورة وفي مجالس العلماء وحمل اليهم العزيز بالله الاطعمة والحلوى والبخور فكان جمعا عظيما * قال وفي شهر رجب سنة اثنتين وأربعمائة قطع الرسم الجارى من الخبز والحلوى الذى يقام فى هذه الثلاثة الاشهر لمن يبيت بجامع القاهرة فى ليالى الجمع والانصاف وحضر قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقى الى جامع القاهرة ليلة النصف من رجب واجتمع الناس بالقرافة على ماجرت به رسومهم من كثرة اللعب والمزاح * روى الفاكهى فى كتاب مكة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يصيح فى اهل مكة ويقول يا اهل مكة أوقدوا ليلة هلال المحرم فأوضحوا لحجاجكم لحاج بيت الله واحرسوهم ليلة هلال المحرم حتى يصبحوا وكان الامر على ذلك بمكة فى هذه الليلة حتى كانت ولاية عبد الله بن محمد بن داود على مكة فأمر الناس أن يوقدوا ليلة هلال رجب فيحرسوا عمار اهل اليمن ففعلوا ذلك فى ولايته ثم تركوه بعد * وفى ليلة النصف من رجب سنة خمس عشرة وأربعمائة حضر الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ابو هاشم على بن الحاكم بأمر الله ومعه السيدات وخدم الخاصة وغيرهم وسائر العامة والرعايا فجلس الخليفة فى المنظرة وكان فى ليلة شعبان أيضا اجتماع لم يشهد مثله من أيام العزيز بالله وأوقدت المساجد كلها أحسن وقيد وكان مشهدا عظيما بعد عهد الناس بمثله لان الحاكم بأمر الله كان أبطل ذلك فانقطع عمله * وقال ابن المأمون ولما كانت ليلة مستهل رجب يعنى من سنة ست عشرة وخمسمائة عملت الاسمطة الجارى بها العادة وجلس الخليفة الآمر بأحكام الله عليها والاجل المأمون الوزير ومن جرت عادته بين يديه وأظهر الخليفة من المسرة والانشراح ما لم تجر به عادته وبالغ فى شكر وزيره واطرائه وقال قد أعدت لدولتى بهجتها وجددت فيها من المحاسن مالم يكن وقد أخذت الايام نصيبها من ذلك وبقيت الليالى وقد كان بها مواسم قد زال حكمها وكان فيها توسعة وبر ونفقات وهى ليالى الوقود الاربع وقد آن وقتهن فأشتهى نظرهن فامتثل الامر وتقدم بأن يحمل الى القاضى خمسون دينارا يصرفها فى ثمن الشمع وأن يعتمد الركوب فى الاربع الليالى وهى ليلة مستهل رجب وليلة نصفه وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه وأن يتقدم الى جميع الشهود بأن يركبوا بصحبته وأن يطلق للجوامع والمساجد توسعة فى الزيت برسم الوقود ويتقدم الى متولى بيت المال بأن يهتم برسم هذه الليالى من أصناف الحلاوات مما يجب برسم القصور ودار الوزارة خاصة * وقال فى سنة سبع عشرة وخمسمائة وفى الليلة التى صبيحتها مستهل رجب حضر القاضى ابو الحجاج يوسف بن ايوب المغربى ووقع له بما استجد اطلاقه فى العام الماضى وهو خمسون دينارا من بيت المال لابتياع الشمع برسم اوّل ليلة من رجب واستدعى ماهو برسم التعبيتين احداهما للمقصورة والاخرى للدار المامونية بحكم الصيام من مستهل رجب الى سلخ رمضان مايصنع فى دار الفطرة خشكانج صغير وبسندود فى كل يوم قنطار سكر ومثقالان مسكا ودیناران مؤنة وكان يطلق فى اربع ليالى الوقود برسم الجوامع الستة الازهر والاقمر والانور بالقاهرة والطولونى والعتيق بمصر وجامع القرافة والمشاهد التى تضمنت الاعضاء الشريفة وبعض المساجد التى لاربابها وجاهة جملة كبيرة من الزيت الطيب ويختص بجامع راشدة وجامع ساحل الغلة بمصر والجامع بالمقس يسير قال ولقد حدثنى القاضى المكين بن حيدرة وهو من أعيان الشهود أن من جملة الخدم التى كانت بيده مشارفة الجامع العتيق وأن القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود بمدّة الى أن يكملوا ثمانية عشر ألف فتيلة وأن المطلق برسمه خاصة فى كل ليلة برسم وقوده أحد عشر قنطارا ونصف قنطار زيت طيب وذكر ركوب القاضى والشهود فى الليلة المذكورة على جارى العادة قال وتوجه الوزير المأمون يوم الجمعة ثانى الشهر بموكبه الى مشهد السيدة نفيسة ومابعده من المشاهد ثم الى جامع القرافة وبعده الى الجامع العتيق بمصر وقد عمّ معروفه جميع الضعفاء وقومة المساجد والمشاهد وصلى الجمعة وعند انقضاء الصلاة أحضر اليه الشريف الخطيب المصحف الذى بخط أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فوقع بإطلاق ألف دينار من ماله وأن يصاغ عليه فوق حلية الفضة حلية ذهب وكتب عليه اسمه وفى الخامس عشر من الشهر المذكور ليلة الوقود جرى الحال فى ركوب القاضى وشهوده على الترتيب الذى تقدم فى اوّل الشهر ولما وصل الى الجامع وجده قد عبى فى الرواق الذى عن يمين الخارج منه سماط كعك وخشكنانج وحلوى فجلس عليه بشهوده

ونهبه

ونهبه الفقراء والمساكين وتوجه بعده الى ماسواه من جامع القرافة وغيره فوجد فى رواق الجامع المذكور سماطا مثل السماط المذكور فاعتمد فيه على ماذكره وله أيضا رسم صدقة فى هذا النصف للفقراء واهل الربط مما يفرقه القاضى عشرة دنانير يفرقها القاضى * وقال ابن الطوير اذا مضى النصف من جمادى الآخرة وكان عدده عندهم تسعة وعشرين يوما أمر أن يسبك فى خزائن دار أفتكين ستون شمعة وزن كل شمعة منها سدس قنطار بالمصرى وحملت الى دار قاضى القضاة لركوب ليلة مستهل رجب فاذا كان بعد صلاة العصر من ذلك اليوم اهتم الشهود أيضا فيهم من يركب بثلاث شمعات الى ثنتين الى واحدة ويمضى أهل مصر منهم الى القاهرة فيصلون المغرب فى الجوامع والمساجد ثم ينتظرون ركوب القاضى فيركب من داره بهيئته وأمامه الشمع المحمول اليه موقودا مع المسندوين لذلك من الفراشين من الطبقة السفلى من كل جانب ثلاثون شمعة وبينهما المؤذنون بالجوامع يذكرون الله تعالى ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقدر محفوظ وبندب فى صحبته ثلاثة من نواب الباب وعشرة من الحجاب من خارجا عن حجاب الحكم المستقرين وعدتهم خمسة فى زى الامراء وفى ركابه القراء يطربون بالقراءة والشهود وراءه على الترتيب فى جلوسهم بمجلس الحكم الاقدم فالاقدم وحوالى كل واحد ماله من شمع فيشقون من اول شارع فيه دار القاضى الى بين القصرين وقد اجتمع من العالم فى وقت جوازهم مالا يحصى كثرة رجالا ونساء وصبيانا بحيث لا يعرف الرئيس من المرءوس وهو مار الى أن يأتى هو والشهود باب الزمرذ من أبواب القصر فى الرحبة الوسيعة تحت المنظرة العالية فى السعة العظيمة من الرحبة المذكورة وهى التى تقابل درب قراصيا فيحضر صاحب الباب ووالى القاهرة والقراء والخطباء كما شرحنا فى الموالد الستة ويترجلون تحتها ريثما يجلس الخليفة فيها وبين يديه شمع وبين شخصه ويحضر بين يديه الخطباء الثلاثة ويخطبون كالموالد ويذكرون استهلال رجب وأن هذا الركوب علامته ثم يسلم الاستاذ من الطاقة الاخرى استفتاحا وانصرافا كما ذكرنا ثم يركب الناس الى دار الوزارة فيدخل القاضى والشهود الى الوزير فيجلس لهم فى مجلسه ويسلمون عليه ويخطب الخطباء أيضا بأخف من مقام الخليفة ويدعون له ويخرجون عنه فيشق القاضى والجماعة القاهرة وينزل على باب كل جامع بها ويصلى ركعتين ثم يخرج من باب زويلة طالبا مصر بغير نظام ووالى القاهرة فى خدمته اليوم مستكثرا من الاعوان والحفظة فى الطرقات الى جامع ابن طولون فيدخل القاضى اليه للصلاة فيجد والى مصر عنده للقاء القوم وخدمتهم فيدخل المشاهد التى فى طريقه أيضا فاذا وصل الى باب مصر ترتب كما ترتب فى القاهرة وسار شاقا الشارع الاعظم الى باب الجامع من الزيادة التى يحكم فيها فيوقد له التنور الفضة الذى كان معلقا فيه وكان مليحا فى شكله وتعليقه غير منافر فى الطول والعرض واسع التدوير فيه عشر مناطق فى كل منطقة مائة وعشرون براقة وفيه سروات بارزة مثل النخل فى كل واحدة عدة براقات تقرب عدة ذلك من ثلثمائة ومعلق بدائر سفله مائة قنديل نجومية ويخرج له الحاكم فان كان ساكنا بمصر استقر بها وان كان ساكنا بالقاهرة وقف له والى القاهرة بجامع ابن طولون فيودعه والى مصر ويسير معه والى القاهرة الى داره فاذا مضى من رجب أربعة عشر يوما ركب ليلة الخامس عشر كذلك وفيه زيادة طلوعه بعد صلاته بجامع مصر الى القرافة ليصلى فى جامعها والناس يجتمعون له لينظروه ومن معه فى كل مكان ولا يعاولون من ذلك فاذا انقضت هذه الليلة استدعى منه الشمع ليكمل بعضه حتى يركب به فى اول شعبان ونصفه على الهيئة المذكورة والاسواق معمورة بالحلواء ويتفرغ الناس لذلك هذه الاربع الليالى

(منظرة اللؤلؤة) وكان للخلفاء الفاطميين منظرة تعرف بقصر اللؤلؤة وبمنظرة اللؤلؤة على الخليج بالقرب من باب القنطرة وكان قصرا من أحسن القصور وأعظمها زخرفة وهو أحد منتزهات الدنيا المذكورة فانه كان يشرف من شرقيه على البستان الكافورى ويطل من غربيه على الخليج وكان غربى الخليج اذ ذاك ليس فيه من المبانى شئ وانما كان فيه بساتين عظيمة وبركة تعرف ببطن البقرة فيرى الجالس فى قصر اللؤلؤة جميع أرض الطبالة وسائر أرض اللوق وماهو من قبليها ويرى بحر النيل من وراء البساتين * قال ابن ميسر هذه المنظرة بناها العزيز بالله ولما ولى برجوان وزارة الحاكم بأمر الله بعد أمين الدولة بن عمار الكتامى سكن بمنظرة اللؤلؤة فى جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة الى أن قتل وفى السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم اللؤلؤة ونهبها فهدمت ونهبت وبيع مافيها * وقال المسبحى

وفى سادس عشرى ربيع الآخر يعنى سنة اثنتين وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم الموضع المعروف باللؤلؤة على الخليج موازاة المقس وأمر بنهب أنقاضه فنهبت كلها ثم قبض على من وجد عنده شئ من نهب أنقاض اللؤلؤة واعتقلوا * وقال ابن المأمون ولما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام فيها مدة النيل على الحكم الاول يعنى قبل وزارة أمير الجيوش بدر وابنه الافضل امر بازالة مالم تكن العادة جارية به من مضايقها بالبناء ولما بدت زيادة النيل وعوّل الخليفة الآمر بأحكام الله على السكن باللؤلؤة أمر الاجل الوزير المأمون بأخذ جماعة الفراشين الموقوفين برسم خدمتها بالمبيت بها على سبيل الحراسة لا على سبيل السكن بها وعند مابلغ النيل ستة عشر ذراعا أمر باخراج الخيم وعند ما قارب النيل الوفاء تحوّل الخليفة فى الليل من قصوره بجميع جهاته واخوته واعمامه والسيدات كرائمه وعماته الى اللؤلؤة وتحوّل المأمون الى دار الذهب وأسكن الشيخ اباالحسن محمد بن أبى أسامة الغزالة على شاطئ الخليج وسكن حسام الملك حاجب الباب داره على الخليج وأمر متولى المعونة أن يكشف الادر المطلة على الخليج قبلى اللؤلؤة ولا يمكن أحدا من السكن فى شئ منها الامن كان له ملك ومن كان ساكنا بالاجرة ينقل ويقام بالاجرة لرب الملك ليسكن بها حواشى الخليفة مدة سنة وقرر من التوسعة فى النفقات ومايكون برسم المستخدمين فى المبيتات مايختص برواتب القصور مدة المقام فى اللؤلؤة فى ايام النيل مياومة من الغنم والحيوان وجميع الاصناف وهى جملة كبيرة وأمر متولى الباب أن يندب فى كل يوم خروف شواء وقنطار خبز وكذلك جميع الدروب من يحرسها ويطلق لهم برسم الغداء مثل ذلك وتكون نوبة دائرة بينهم وبقية مستخدمى الركاب ملازمون لابواب القصر على رسمهم وفى يومى الركوب يجتمعون للخدمة الامن هو فى نوبته فيما رسم له وأمر متولى زمام المماليك الخاص أن يكونوا بأجمعهم حيث يكون الخليفة وفى الليل يبيت منهم عدة برسم الخدمة تحت اللؤلؤة ولهم فى كل يوم مثل ماتقدم والرهجية تقسم قسمين أحدهما على ابواب القصور والآخر على ابواب اللؤلؤة واصحاب الضوء مثل ذلك وقرر للجماعة المقدم ذكرها فى الليل عن رسم المبيت وعن ثمن الوقود مايخرج اليهم مختوما بأسماء كل منهم ويعرضهم متولى الباب فى كل ليلة بنفسه عند رواحه وعوده وكذلك مايختص بدار الذهب من الحرس عليها من باب سعادة ومن باب الخوخة ولهم رسوم كما تقدم لغيرهم والمتفرجون يخرجون كل ليلة للنزهة عليهم ويقيمون الى بعض الليل حتى ينصرفوا من غير خروج فى شئ من ذلك عما يوجبه الشرع وفى يومى السلام يمضى الخليفة من قصوره بحيث لا يراه الا استاذوه وخواصه الى قاعة الذهب من القصر الكبير الشرقى ويحضر الوزير على عادته اليه فيكون السلام بها على مستقر العادة والاسمطة بها فى يومى الاثنين والخميس وتكون الركوبات من اللؤلؤة فى يومى السبت والثلاثاء الى المنتزهات * وقال فى سنة سبع عشرة وخمسمائة ولما جرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعا أمر باخراج الخيام والمضارب الديبقى والديباج وتحوّل الخليفة الآمر بأحكام الله الى اللؤلؤة بحاشيته وأطلقت التوسعة فى كل يوم لما يختص الخاص والجهات والاستاذين من جميع الاصناف وانضاف اليها مايطلق كل ليلة عينا وورقا وأطعمة للبساتين بالنوبة برسم الحرس بالنهار والسهر فى طول الليل من باب القنطرة عادا الى مسجد الليمونة من التزين من صبيان الخاص والركاب والرهجية والسودان والحجاب كل طائفة بنقيبها والعرض من متولى الباب واقع بالعدة فى طرفى كل ليلة ولا يمكن بعضهم بعضا من المنام والرهجية تخدم على الدوام وتحوّل الوزير المأمون الى دار الذهب وأطلقت التوسعة والحال فى اطلاق الاسمطة لهم فى الليل والنهار مستمر * وقال ابن عبد الظاهر المنظرة المعروفة باللؤلؤة على بر الخليج بناها الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاكم يعنى بعد ماهدمها ابوه الحاكم وكانت معدة لنزهة الخلفاء وكان التوصل اليها من القصر يعنى القصر الغربى من باب مراد وأظنه فيما ذكره لى علم الدين بن مماتى الوراق أنه شاهد فى كتب دار ابن كوخيا العتيقة أنه بابها وكانت عادة الخلفاء أن يقيموا بها أيام النيل ولما حصل التوهم من النزارية والحشيشية قبل تصرفهم لاسيما الصغر سن الخليفة وقلة حواشيه أمر بسد باب مراد المذكور الذى يتوصل منه الى الكافورى والى اللؤلؤة وأسكن فى بعضها فراشين لحفظها فاذا كان فى صبيحة كسر الخليج استؤذن الافضل ابن أمير الجيوش فى فتح باب مراد الذى يتوصل منه الى اللؤلؤة وغيرها فيفتح ويروح الخليفة ليتفرج هو وأهله من النساء ثم يعود ويسد الباب هذا الى آخر أيام الافضل فلما راجع الوزير المأمون فى ذلك سارع

اليه

اليه فأصلحت وأزيل ما كان أنشئ قبالتها على ما سيذكر فى مكانه ان شاء الله تعالى اه ومات بقصر اللؤلؤة من خلفاء الفاطميين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله والفائز وحملوا الى القصر الكبير الشرقى من السراديب ولما قدم نجم الدين أيوب بن شادى من الشام على ولده صلاح الدين يوسف وخرج الخليفة العاضد لدين الله الى لقائه بصحراء الهليلج بآخر الحسينية عند مسجد تبر أنزل بمنظرة اللؤلؤة فسكنها حتى مات فى سنة سبع وستين وخمسمائة واتفق أن حضر يوما عنده الفقيه نجم الدين عمارة اليمنى والرضى ابو سالم يحيى الاحدب بن أبى حصيبة الشاعر فى قصر اللؤلؤة بعد موت الخليفة العاضد فأنشد ابن أبى حصيبة نجم الدين ايوب فقال

يا مالك الارض لا أرضى له طرفا * منها وما كان منها لم يكن طرفا
قد عجل الله هذى الدار تسكنها * وقد أعد لك الجنات والغرفا
تشرفت بك عمن كان يسكنها * فالبس بها العز ولتلبس بك الشرفا
كانوا بها صدفا والدار لؤلؤة * وأنت لؤلؤة صارت لها صدفا

فقال الفقيه عمارة يرد عليه

أثمت يا من هجا السادات والخلفا * وقلت ما قلته فى ثلبهم سخفا
جعلتهم صدفا حلوا بلؤلؤة * والعرف ما زال سكنى اللؤلؤ الصدفا
وانما هى دار حل جوهرهم * فيها وشف فأسناها الذى وصفا
فقال لؤلؤة عجبا ببهجتها * وكونها حوت الاشراف والشرفا
فهم بسكناهم الآيات اذ سكنوا * فيها ومن قبلها قد أسكنوا الصحفا
والجوهر الفرد نور ليس يعرفه * من البرية الا كل من عرفا
لولا تجسمهم فيه لكان على * ضعف البصائر للابصار مختطفا
فالكلب يا كلب أسنى منك مكرمة * لان فيه حفاظا دائما ووفا

فلله در عمارة لقد قام بحق الوفاء ووفى بحسن الحفاظ كما هى عادته لا جرم أنه قتل فى واجب من يهوى كما هى سنة المحبين فالله يرحمه ويتجاوز عنه

(منظرة الغزالة) وكان بجوار منظرة اللؤلؤة منظرة تعرف بالغزالة على شاطئ الخليج تقابل حمام ابن قرقة وقد خربت هذه المنظرة أيضا وموضعها الآن تجاه باب جامع ابن المغربى الذى من ناحية الخليج وقد خربت أيضا حمام ابن قرقة وصار موضعها فندقا بجوار حمام السلطان التى هنالك يعرف بفندق عماد وموضع منظرة الغزالة اليوم ربع يعرف بربع غزالة الى جانب قنطرة الموسكى فى الحد الشرقى وكان يسكن بهذه المنظرة الامير ابو القاسم ابن المستنصر والد الحافظ لدين الله ثم سكنها ابو الحسن بن أبى أسامة كاتب الدست وكان بعد ذلك ينزلها من يتولى الخدمة فى الطراز أيام الخلفاء * قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الآمر بأحكام الله الى اللؤلؤة وأسكن الشيخ ابا الحسن بن أبى أسامة كاتب الدست الغزالة التى على شاطئ الخليج ولم يسكن أحد فيها قبله ممن يجرى مجراه ولا كانت الا سكن الامير أبى القاسم ولد المستنصر والد الامام الحافظ قال وأما ما يذكره الطراز فالحكم فيه مثل الاستعمار والشائع فيها أنها كانت تشتمل فى الايام الافضلية على أحد وثلاثين ألف دينار فمن ذلك السلف خاصة خمسة عشر ألف دينار قيمة الذهب العراقى والمصرى ستة عشر ألف دينار ثم اشتملت فى الايام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار وتضاعفت فى الايام الآمرية * وقال ابن الطوير الخدمة فى الطراز ونعت بالطراز الشريف ولا يتولاه الا الاعيان المستخدمين من أرباب العمائم والسيوف وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين ومقامه بدمياط وتنيس وغيرهما وجاريه أمير الجوارى وبين يديه من المندوبين مائة رجل لتنفيذ الاستعمالات بالقرى وله عشارى دقاس مجرد معه وثلاثة مراكب من الدكاسات ولها رؤساء ونواتية لا يبرحون ونفقاتهم جارية من مال الديوان فاذا وصل بالاستعمالات الخاصة التى منها المظلة وبدلتها والبدنة واللباس الخاص الجمعى وغيره هيئ بكرامة عظيمة وندب له دابة من مراكب الخليفة لا تزال تحته حتى يعود الى خدمته وينزل فى الغزالة على شاطئ الخليج وكانت من المناظر السلطانية وجددها شجاع بن شاور ولو كان لصاحب الطراز فى القاهرة عشرة دور لا يمكن من نزوله الا بالغزالة وتجرى عليه الضيافة كالغرباء الواردين على الدولة فيتمثل

بين يدى الخليفة بعد حل الاسفاط المشدودة على تلك الكساوى العظيمة ويعرض جميع ما معه وهو ينبه على شئ شئ بيد فراشى الخاص فى دار الخليفة مكان سكنه ولهذا حرمة عظيمة ولاسيما اذا وافق استعماله غرضهم فاذا انقضى عرض ذلك بالمدرج الذى بحضره سلم لمستخدم الكسوات وخلع عليه بين يدى الخليفة باطنا ولا يخلع على أحد كذلك سواه ثم ينكفئ الى مكانه وله فى بعض الاوقات التى لا يتسع له الانفصال نائب يصل عنه بذلك غير غريب منه ولا يمكن أن يكون الاولاداً أو أخاً فان الرتبة عظيمة والمطلق له من الجامكية فى الشهر سبعون دينارا ولهذا النائب عشرون دينارا لانه يتولى عنه اذا وصل بنفسه ويقوم اذا غاب فى الاستعمال مقامه ومن أدواته أنه اذا دعى ذلك فى الاسفاط استدعى والى ذلك المكان ليشاهده عند ذلك ويكون الناس كلهم قياما الحاول نفس المظلة وما يليها من خاص الخليفة فى مجلس دار الطراز وهو جالس فى مرتبته والوالى واقف على رأسه خدمة لذلك وهذا من رسوم خدمته وميزتها

(دار الذهب) * وكان بجوار الغزالة دار الذهب وموضعها الآن على يسرة الخارج من باب الخوخة فيما بينه وبين باب سعادة وكانت مطلة على الخليج وفى مكانها اليوم دار تعرف ببهادر الاعسر وبقى منها عقد بجوار دار الاعسر يعرف الآن بقبو الذهب من خطة بين السورين * قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الآمر بأحكام الله الى اللؤلؤة ثم أحضر الوزير المأمون وكيله أبا البركات محمد بن عثمان وأمره أن يمضى الى دارى الفلك والذهب اللتين على شاطئ الخليج فالدار الاولى التى من حيز باب الخوخة بناها فلك الملك وذكر أنه من الاستاذين الحاكمية ولم تكن تعرف الابدار الفلك والثانى الافضل بن أمير الجيوش الدار الملاصقة لها التى من حيز باب سعادة وسماها دار الذهب غلب الاسم على الدارين ويصلح ما فسد منهما ويضيف اليهما دار الشابورة وذكر أن هذه الدار لم تسم بهذا الاسم الالان جزأ منها بيع فى ايام الشدة فى زمن المستنصر بشابورة قال وعندما قارب النيل الوفاء تحول الخليفة فى الليل من قصوره بجميع جهاته واخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماته الى اللؤلؤة وتحول الاجل المأمون بالاجلاء أولاده الى دار الذهب وما اضيف اليها * وقال ابن عبد الظاهر دار الذهب بناها الافضل بن امير الجيوش وكانت عادة الافضل أن يستريح بها اذا كان الخليفة باللؤلؤة يكون هو بدار الذهب وكذلك كان المامون من بعده وكان حرس دار الذهب يسلم للوزيرية من باب سعادة يسلم لهم ومن باب الخوخة للمصامدة أرباب الشعور وصبيان الخاص وكان المقرر لهم فى كل يوم سماطين أحدهما بقاعة الفلك للممالك الخاص والحاشية وأرباب الرسوم والآخر على باب الدار برسم المصامدة حتى انه من اجتاز ورأى انه يجلس معهم على السماط لا يمنع والضعفاء والصعالك يقعدون بعدهم وفى اول الليل يعمل ذلك ولكل منهم رسم لجميع من يبيت من أرباب الضوء الى الاعلى

*(منظرة السكرة) * وكان من جملة مناظر الخلفاء منظرة تعرف بمنظرة السكرة فى بر الخليج الغربى يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج وكان لها بستان عظيم بناها العزيز بالله بن المعز وقد دثرت هذه المنظرة ويشبه أن يكون موضعها فى المكان الذى يقال له اليوم المريس قريبا من قنطرة السد وكانت السكرة من جنات الدنيا المزخرفة وفيها عدة أماكن معدة لنزول الوزير وغيره من الاستاذين

*(ذكر ما كان يعمل يوم فتح الخليج) *

قال ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز لدين الله وفى ذى القعدة يعنى من سنة اثنتين وستين وثلثمائة وهى السنة التى قدم فيها الخليفة المعز لدين الله الى القاهرة من بلاد المغرب ركب المعز لدين الله عليه السلام لكسر خليج القنطرة فكسر بين يديه ثم سار على شاطئ النيل حتى بلغ الى بنى وائل ومر على سطح الجرف فى موكب عظيم وخلفه وجوه اهل الدولة ومعه ابو جعفر أحمد بن نصر يسير معه ويعرّفه بالمواضع التى يجتاز عليها وضجت له الرعية بالدعاء ثم عطف على بركة الحبش ثم على الصحراء على الخندق الذى حفره القائد جوهر ومر على قبر كافور وعلى قبر عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسنى وعرّفه به ثم عاد الى قصره * وذكر الامير المسبحى فى تاريخه الكبير ركوب العزيز بالله بن المعز وركوب الحاكم بأمر الله بن العزيز وركوب الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم فى كل سنة لفتح الخليج * وقال ابن المأمون فى سنة ست عشرة وخمسمائة وعندما بلغ النيل ستة عشر ذراعا أمر باخراج الخيم وأن يضرب الثوب الكبير الافضلى المعروف بالقاتول وهو أعظم ما فى الحاصل بأربعة دهاليز

وأربع قاعات خارجاعن القاعة الكبيرة ومساحته على ماذكر ألف ألف ذراع وأربعمائة ذراع بالذراع الكبير خارجاعن سرادقه وعمود القاعة الكبيرة منه ارتفاعه خمسون ذراعا ولما كمل استعماله فى ايام الافضل ونصب تأذى منه جماعة ومات رجلان فسمى بالقاتول لاجل ذلك ومازال لايضرب الابحضور المهندسين وتنصب له أساقيل عدة بأخشاب كثيرة والمستخدمون يكرهون ضربه ويرغبون فى ضرب أحد الثوبين الجيوشيين وان كانا عظيمين الا انهما لايصلان بجملتهما الى مقايسته ولا مؤنته ولاصنعته وأقام هذا الثوب فى الاستعمال عدة سنين مع جمع الصناع عليه ومايضرب منه سوى القاعة الكبيرة لاغير واربعة الدهاليز وبعض السرادق الذى هو سور عليه لضيق المكان الذى يضرب فيه وكونه لايسعه بجملته قال ووصلت كسوة موسم فتح الخليج وهى مايختص بالخليفة وأخيه وبعض جهاته والوزير * فأما مايختص بالخليفة خاصة فبدلة شرحها بدنة طميم منديل سلفه مائة وعشرون دينارا وأحد طرفيه ثلاثة عشر ذراعا ذهبا عراقيا دمجا لوحا واحدا والثانى ثلاثة أذرع سلفه أربعة وعشرون دينارا ثوب طميم سلفه خمسون دينارا والذهب الذى فى الثوب والمنديل والحنك ألف دينار وخمسة دنانير فتكون جملتها بالسلف ألف دينار ومائة وخمسة وسبعين دينارا شاشية طميم للسلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا فتكون جملة سلفها وقيمة ذهبها ثمانية دنانير منديل سلام سلفه ديناران وسبعون قصبة قيمته كذلك وسط برسم المنديل بخوص ذهب سلفه اثناعشر دينارا وسبعون قصبة قيمة ذلك عشرون دينارا شقة ديبقى وسطانى حريرى السلف اثناعشر دينارا غلالة ديبقى حريرى السلف عشرة دنانير منديل كم مذهب السلف خمسة دنانير ومائتاقصبة وأربع قصبات ذهبا عراقيا قيمة ذلك خمسة وعشرون دينارا منديل كم ثان حريرى خمسة دنانير حجره أربعة دنانير عرضى لفافة خاص خمسة دنانير وستة عشر مثقالا ذهبا مصريا فتكون سلفه وذهبه خمسة وعشرين دينارا عرضى ثان برسم تغطية التخت دينار واحد ونصف تخت ثان ضمنه بدلة خاص حريرى برسم العود من السكرة شرحها منديل حريرى سلفه ستون دينارا وسط شرب رسمه اثناعشر دينارا شقة ديبقى وكم عشرون دينارا شقة وسطانى اثناعشر دينارا غلالة خمسة عشر دينارا غلالة عشرة دنانير منديل سلام ديناران منديل كم خمسة دنانير منديل كم ثان أيضا خمسة دنانير شاشية حريرى ديناران حجره أربعة دنانير عرضى لفافة خمسة دنانير عرضى ثان برسم لفافة التخت دينار واحد ونصف * قال ورأيت شاهدا أن قيمة كل حلة من هذه الحلل وسلفها اذا كانت حريرى ثلثمائة وستة دنانير واذا كانت مذهبة ألف دينار واختصر مابإسم أبى الفضل جعفر أخى الخليفة وأربع جهات * وأما مايختص بالوزير فبدلة مذهبة شرحها منديل سلفه سبعون دينارا وخمسمائة وسبعون قصبة عراقى جملة سلفه وذهبه مائة وأربعة عشر دينارا شقة ديبقى وكم السلف ستة عشر دينارا وثمانية وعشرون مثقالا ذهبا عاليا تكون جملة ذلك خمسين دينارا نصف شقة ديبقى وسطانى اثناعشر دينارا ونصف شقة وسطانى برسم العود ثلاثة دنانير غلالة ديبقى سبعة دنانير ونصف شقة برسم الغلالة ديناران ونصف منديل كم سبعة دنانير واثناعشر مثقالا ذهبا تكون قيمته تسعة عشر دينارا حجره ثلاثة دنانير عرضى أربعة دنانير وأحد عشر مثقالا تكون سلفه وذهبه سبعة عشر دينارا ثم ذكر بعد ذلك مايكون لجهة الوزير ومايكون برسم صبيان الحمام ومايفصل برسم المماليك الخاص صبيان الرايات والرماح خمسمائة شقة سقلاطون دارى تكون قيمتها سبعمائة وخمسين قباء يحمل منها برسم غلمان الوزير مائة قباء ويفرق جميع ذلك قال ولم يكن لاحد من الاصحاب والحواشى وغيرهم فى هذا الموسم شئ فيذكر بل لهم من الهبات العين والرسوم الخارجة عن ذلك مايأتى ذكره فى موضعه وفى صبيحة هذا الموسم خلع على ابن أبى الرداد وعلى رؤساء المراكب وغيرهم وحمل الى المقياس برسم المبيت وركوب الخليفة بتجمله وموا كبه الى السكرة مما فصله وبينه مما يطول ذكره * وقال فى سنة سبع عشرة وخمسمائة ولما جرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعا أمر باخراج الخيام والمضارب الديبقى والديباج وتحول الخليفة الى اللؤلؤة بحاشيته وتحول المأمون الى دار الذهب ووصلت كسوة الموسم المذكور من الطراز وان كانت يسيرة العدة فهى كثيرة القيمة ولم تكن للعموم من الحاشية والمستخدمين بل للخليفة خاصة واخوته وأربع من خواص جهاته والوزير وأولاده وابن أبى الرداد فلما وفى النيل ستة عشر ذراعا ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ورميت العشاريات بين ايديهما ثم عديا فى احداها الى المقياس وصليا ونزل الثقة صدقة بن أبى

الرّداد منزلته وخلق العمود وعاد الخليفة على فوره وركب البحر فى العشارى الفضى والوزير صحبته والرهجية تخدم برّا وبحرا والعساكر طول البرّ قبالته الى أن وصل الى المقس ورتب الموكب وقدم العشارى بالخليفة الآمر بأحكام الله والوزير المأمون وسار الموكب والرهجية تخدم والصدقات والرسوم تفرّق ودخل من باب القنطرة وقصد باب العيد واعتمد ما جرت به العادة من تقديم الوزير وترجله فى ركابه الى أن دخل من باب العيد الى قصره وتقدّم بالخلع على ابن أبى الرّداد بدلة مذهبة وثوب ديبقى حريرى وطيلسان مقوّر وبياض مذهب وشقة سقلاطون وشقة تحتانى وشقة خز وشقة ديبقى وأربعة اكياس دراهم ونشرت قدّامه الاعلام الخاص الديبقى المحاومة بالالوان المختلفة التى لاترى الاقدّامه لانها من جملة تجمل الخليفة وأطلق له برسم المبيت من البخور والشموع والاغنام والحلاوات كثير * قال وهيئت المقصورة فى منظرة السكرة برسم راحة الخليفة وتغيير ثيابه وقد وقعت المبالغة فى تعليقها وفرشها وتعبيتها وقدّم بين يديه الصوانى الذهب التى وقع التناهى فيها من همم الجهات من أشكال الصور الآدمية والوحشية من الفيلة والزرافات ونحوها المعمولة من الذهب والفضة والعنبر والمرسين المشدود والمظفور وعليها المكلل باللؤلؤ والياقوت والزبرجد من الصور الوحشية ما يشبه الفيلة جميعها عنبر معجون كخلقة الفيل ونابا ه فضة وعيناه جوهرتان كبيرتان فى كل منهما مسمار ذهب مجرى سواده وعليه سرير مخرور من عود بمتكآت فضة وذهب وعليه عدّة من الرجال ركبان وعليهم اللبوس تشبه الزرديات وعلى رؤسهم الخود وبأيديهم السيوف المجرّدة والدرق وجميع ذلك فضة ثم صور السباع مخرورة من عود وعيناه ياقوتتان حمراوان وهو على فريسته وبقية الوحوش وأصناف تشدّ من المرسين المكلل باللؤلؤ شبه الفاكهة * قال ومن جملة ما وقع الاهتمام به فى هذا الموسم ما صار يستعمل فى الطراز وان لم يتقدّم نظيره للولائم التى تتخذ برسم تغطية الصوانى عدّة من عراضى ديبقى ثم قوارات شرب تكون من تحت العراضى على الصوانى مفتح كل قوارة منهنّ دون اربعة أشبار سلف كل واحدة منهنّ خمسة عشر دينارا ورقم فى كل منهنّ سجف ذهب عراقى ثمنه من أربعين الى ثلاثين دينارا تكون الواحدة بخمسين دينارا ويستعمل أيضا برسم الطرح من فوق القوّارات الاسكندرانى التى تشدّ على الموائد التى تحمل من عند كل جهة قوّارات ديبقى مقصور من كل لون محاومة بالرقم الحريرى مفتح كل قوّارة أربعة اذرع يكون الثمن عن كل واحدة أربعين دينارا ولقد بيعت عدّة من القوّارات الشرب فسارع التجار العراقيون الى شرائها ونهاية ما بلغ ثمن كل واحدة منهن ستة عشر دينارا وسافروا بها الى البلاد فلم يبع لهم منها سوى اثنتين وعادوا بالبقية الى الديار المصرية فى سنة ست وثمانين وخمسمائة وحفظوا منهنّ شيأ عن السوق فلم يحفظ لهم رأس مالهنّ قال وكان ما تقدّم من الزبادى فى الطيافير من الصينى الى آخر أيام الافضل بن أمير الجيوش وأيام المأمون وانما استجدّت الاوانى الذهب فى أواخر الايام الآمرية والذى يعبى بين يدى الخليفة قوائمية ضمنها عدّة من الطيافير المحمولة بالمرافع الفضة برسم الاطباق الحارة وليس فى المواسم مائدة بغير سماط للامراء ويجلس عليها الخليفة غير هذا الموسم وان كان يجرى مجرى الاعياد وله البخور مطلق مثلها وينفرد بالجلوس معه الجلساء المميزون والمستخدمون وعند كمال تعبيتها وبخورها جلس الخليفة عليها عن يمينه وزيره وعن يساره أخوه ومن شرّف بحضوره وفى آخرها فرّق منها ما جرت به العادة على سبيل البركة * وقال فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهى برسم الخليفة تحتان ضمنهما بدلتان احداهما منديلها وثوبها طميم برسم المضى والاخرى جميعها حريرى برسم العود وكذلك ما يخص اخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة فى تخت وبرسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم جهته حلة مذهبة فى تخت وهؤلاء المميزون لكل منهم تخت وبقية ما يخص المستخدمين وابن أبى الرّداد فى تخوت كل تخت فيه عدّة بدلات وحضر متولى الدفتر واستأذن على ما يحمل برسم الخليفة وما يفرّق وما يفصل برسم الخلع وما يخرج من حاصل الخزائن غير الواصل وهو ما يفصل برسم الغلمان الخاص عن سبعمائة قباء خمسمائة وشقتان سقلاطون دارى وبرسم رؤساء العشارى من الشقق الدمياطى والمناديل السوسى والفوط الحرير الاحمر وبرسم النواتية التى برسم الخاص من العشارية من الشقق الاسكندرانى والكلوتات فوقع باتفاق جميع ذلك وتفصيل ما يجب منه ثم اتبع ذلك بمطالعة ثانية برسم ما هو مستقرّ العموم من النقد العين والورق للموسم المذكور وهو من العين أربعة آلاف وخمسمائة

دينار

دينار ومن الورق خمسة عشر ألف درهم فرقع باطلاق ذلك وذكر تفصيل الكسوات والهبات بأسماء أربابها وحضر متولى المائدة الآمرية بمطالعة يستدعى ما جرت به العادة فى هذا الموسم من الحيوان والضان والبقر وغير ذلك من الاصناف برسم التفرقة والاسمطة وحضر متولى دار التعبية يستدعى ما يبتاع به الثمرة والزهرة وهيئة المتعينين لتعبية السكرة لاجل حلول الركاب بها ومقامه فيها وتعبية جميع مقاصيرها التى برسم الاستاذين والاصحاب والحواشى وهو مائة دينار فوقع باطلاقها وفى العاشر من الشهر المذكور يعنى شهر رجب وفى النيل ستة عشر ذراعا فتوجه المأمون الى صناعة العمائر بمصر ورميت العشاريات بين يديه وقد جددت وزينت جميعها بالستور الديبقى الملونة والكواخ والاهلة الذهب والفضة وشمل الانعام أرباب الرسوم على عادتهم وعدى فى احدى العشاريات الى المقياس وخلق العمود بما جرت به عادتهم من الطيب وفرقت رسوم الاطلاق وانكفا الى دار الذهب وأمر باطلاق ما يخص المبيت فى المقياس بجميع الشهود والمتصدرين وهى العشرات من الخبز عشرة قناطير وعشرة خراف شوى وعشر جامات حلوى وعشر شمعات وأول من يحضر المبيت الشريف الخطيب سيد المقربين وامام المتصدرين وله وللجماعة من الدراهم التى تفرق أوفى نصيب قال وخرج الخليفة بزى الخلافة ووقارها وناموسها بالثياب الطميم التى تذهل الابصار والمنديل بالشدة العربية التى تنفرد بلباسها فى الاعياد والمواسم خاصة لاعلى الدوام وكانت تسمى عندهم شدة الوقار مرصعة بغالى الياقوت والزمرذ والجوهر وعند لباسها تحقق لها الاعلام وتجنب الكلام ويهاب ولا يكون سلام قريب منه وخلل غير الوزير الا بتقبيل الارض من بعيد من غير دنو ثم بين يديه من مقدمى خزائنه من يحمل سيفه ورمحه المرصعين بأفخر ما يكون ثم المذاب التى كل منها عود هاذهب وتنفرد بحملها الصقالبة ويمشى بين الصفين المرتبين راجلا على بسط حرير فرشت له وكل من الصفين يتناهى فى مواصلة تقبيل الارض الى أن وصل الى مجلس خلافته وصعد على الكرسى المغشى بالديباج المنصوب برسم ركوبه وقد صفت الرواض وأزمة الاصطبلات خيل المظلة بعد أن أزالت الاغشية الحرير والشقق الديبقى المذهبة عن السروج وبقيت كما وصفها الله تعالى فى كتابه فقدم اليه ما وقع اختياره عليه وأمر بأن يجنب البقية فى الموكب بين يديه ولما علا ما قدم اليه استفتح مقرئوا الحضرة وتسلم جميع مقدمى الركاب ركابه والرواض الشكيمة وزال حكم الاستاذين المستخدمين فى الركاب وعادت الموالى والاقارب الى محالهم واستدعى بالوزير بجميع نعوته فواصل تقبيل الارض الى أن قبل ركابه وشرفه بتقبيل يده بحكم خلوها من قضيب الملك فى هذه المواسم ولما أدى ما يجب من فرض السلام أخذ السيف من الامير افتخار الدولة أحد الامراء الاستاذين المميزين المحنكين متولى خزانة الكسوة الخاص وسلمه بعد أن قبله لاخيه الذى يتولى حمله فى الموكب بعد أن أرخيت عذبته تشريفا له مدة خاصة وترفع بعد ذلك وشد وسطه بالمنطقة الذهب تأدبا وتعظيما لما معه وسلم الرمح والدرقة لمن يتولى حملهما بلواء الموكب ولم يكن للخدمة المذكورة عذبة مرخاة ولا منطقة واستدعى ركوب الوزير وأولاده من عند باب قاعة الذهب وخرج الخليفة من القاعة المذكورة الى اول دهليز فتلقته جماعة صبيان ركابه العشرة المقدمين أرباب الميمنة والميسرة وصبيان وراء صبيان الرسائل وصبيان السلام كل منهم فى الخدمة المعينة لايخرج عنها لسواها وجميعهم بالمناديل الشروب المعلمة وبأوساطهم العراض الديبقى المقصورة وليس الجميع عبيدا بشراء ولا سودان بل مولدة وأولاد أعيان وأهل فهم ولسان ثم احتاط بركابه بعدهم من هو على غير زيهم بل بالقنابيز المفرجة والمناديل السوسى وهم المتولون لحمل السلاح الخاص الذى لا يكون الا فى موكبه خاصة على الاستمرار من الصوارى والفرنجيات والدبابيس والمنوت والصماصم بالدرق الصينى والمبنى بالكواخ الفضة والذهب ويحصل الاستدعاء من صبيان السلام فى مسافة الدهاليز لكل من هو مستخدم فى الموكب ركوبه من محل جهته الى أن خرج الخليفة من باب الذهب وقد ضربت الغربية وأبواق السلام واجتمع الرهج من كل مكان ونشرت المظلة فاجتمع اليها الزويلية بالعدد الغريبة وظلل بها وسارت بسيره والقرآن الكريم عن يمينه ويساره والجرية الصبيان المشدودون واجتمع الموكب بجملته على ما ذكر أولا والترتيب أمامه لمتولى الباب وحجابه وتلوه لمتولى الستر وكل منهم على حكم المدارج التى وصلت اليه لاسبيل الى الخروج عما رسم فيها وسار بجملة موكبه على ترتيب أوضاعه بين حصنين مانعين من طوارق عساكره فارسها وراجلها

كل طائفة يقدمها زمامها وقد ازدحموا فى المصفات بالعدد المذهبة الحربية والآلات المانعة المضيئة وليس بينهم طريق لسالك وقد زين لهم جميع ما يكون أمامهم من الطرق جميعها حوانيتها وآدرها وجميع مساكنها وأبواب حاراتها بانواع من الستور والديباج والدبيقى على اختلاف اجناسها ثم بأصناف السلاح وملاءت النظارة الفجاج والبطاح والوهاد والربا والصدقات والرسوم تم أهل الجانبين من أرباب الجوامع والمساجد وبوابى الابواب والسقائين والفقراء والمساكين فى طول الطريق الى أن أظل على الخيام المنصوبة فوقف بموكبه واستدعى الوزير بعده من مقدمى ركابه فاجتاز راكبا بمفرده وجمع حاشيته بسلاحهم رجالة فى ركابه بعد أن بالغ فى الايماء بتقبيل الارض أمامه فردّ عليه بكمه السلام وعاد الخليفة فى سيره بالموكب بعد أن حصل الوزير أمامه وترجل جميع من شرف بحجبته فى ركابه وآخرهم متولى حمل سيفه ورمحه وصبيان السلام يستدعون كل منهم الى تقبيل الارض بجميع نعوته اكبارا له وتميزا واحتاطوا بركابه ووصل الى المضارب فى الحرس الشديد على ابوابها وسرادقاتها من كل جانب وقد تبين وجاهة من حصل بها ومكن من الدخول اليها وترجل الوزير فى الدهليز الثالث من دهاليزها وتقدم الى الخليفة وأخذ شكيمة الفرس من يد الرواض وشق به الخيام التى جمعت جميع الصور الآدمية والوحشية وقد فرشت جميعها بالبسط الجهرمية والاندلسية الى أن وصل الى القاعة الكبرى فيها وترجل على سرير خلافته وجلس فى محل عظمته وأجلس وزيره على الكرسى الذى اعدّله واحتاط به المستخدمون حملة السلاح المنتصب جميعه وحجبوا العيون عن النظر اليه وصف بين يديه الامراء والضيوف والمشرفون بحجبته وختم المقرئون القرآن العظيم وقدم عدى الملك النائب شعراء المجلس على طبقاتهم وعند انقضاء خدمة آخرهم عادت المستخدمون والرواض مقدمة ما أمروا به من الدواب فعلاه الخليفة والوزير يمسك الشكيمة بيده وانتظم موكبا عظيما والقراء عوض الرهجية والجماعة فى ركابه رجالة على حكم ما كانوا عليه أولا وصعد من القاعة التى فى دهاليز الباب القبلى منها فخرج منه وانفصلت خدمة جميع الامراء والضيوف من ركابه بأحسن وداع من تقبيل الارض وصعد الخليفة ووزيره وأولاده واخوته والاصحاب والحواشى الى السكرة وهى من جنات الدنيا المزخرفة وتلقاه أخوه بعظمة سلامه وتقبيل الارض بين يديه وجلس لوقته وفتحت الطاقات التى فى المنظرة وعن يمينه وزيره وعن يساره أخوه جالسان واعتمد الناس جميعهم عند مشاهدته تقبيل الارض له وادامة النظر نحوه والمستخدمون جميعهم على السد مشدودى الاوساط واقفين عليه فلما أمرهم الوزير أن يكسروه قبلوا الارض جميعا وانصرفوا عنه وتولته الفعلة فى البساتين السلطانية بالفتح من الجانبين والقرآن والتكبير من الجانب الغربى حيث الخليفة والرهج واللعب من الجانب الشرقى ولما كمل فتحه انحدرت العشاريات عن آخرها اللطيف منها يقدم الكبير والجميع مزينة بالذهب والفضه والستور المرقومة ورؤساؤهم وخدامهم بالكسوات الجميلة وبعد ذلك غلقت الطاقات وحل الخليفة بالمقصورة التى لراحته وكذلك الوزير وأولاده واخوته وجميع الامراء الاستاذين والاصحاب والحواشى واستدعى للوقت والى مصر من البر الشرقى وخلع عليه بدلة منديلها وثوبها مذهبان وثوبان عتابى وسقلاطون وقبل الارض من تحت المنظرة وعدى فى البحر الى حفظ مكانه ثم استدعى بعده حامى البساتين ومشارفها فخلع عليهما بدلتين حريرى وثوبين سقلاطون وعتابى ثم متولى ديوان العمائر كذلك ثم مقدمى الرؤساء كذلك واعتمد كل من سلم اليه الاثباتات المشتملة على أصناف الانعام من العين والورق وصوانى الفطرة والموائد التى يتم بها جميع الجهات والخراف المشوية والجامات الحلواء تفرقة ذلك على ما رسم وهو شامل غير مخصص من أخى الخليفة والوزير الى الاصحاب والحواشى من أرباب السيوف والاقلام ثم الامراء المستخدمين والضيوف المميزين من الاجناد وغيرهم من الادوان ممن يتعلق به خدمة تختص بالموسم من البحارة وأرباب اللعب وغيرهم وعبيت الاسمطة فى المسطحات المنصوبة لها بالجانب من الباب الغربى من الخيام وأمر الوزير أخاه بالمضى اليها والجلوس عليها فتوجه وبين يديه متولى حجبة الباب ونوابه والمعروفية والحجاب واستدعت الامراء والضيوف بالسقاة من خيامهم وأجلس كل منهم على السماط فى موضعه على عادتهم وتلاهم العساكر على طبقاتهم ولم يمنع حضورهم ما يسر لكل منهم من جميع ما ذكر على حكم ميزته ولما انقضى حكم الاسمطة المختصة بالامراء الكبار عاد أخو الوزير الى حيث مقر الخلافة وبقى متولى الباب

جالسا لاسمطة العبيد وجميع المستخدمين من الراجل والسودان وعبيت المائدة الخاص بالسكرة التى ما يحضرها الا العوالى الخاص المستخدمون فى الخدم الكبار ويجمع له حالتان حضوره فى أشرف مقام وجلوسه فى محل يحصل له به حرمة وذمام وجلس الخليفة عليها وأخوه على شماله ووزيره على يمينه بعد أن أدى كل منهم ما يجب من سلامه وتعظيمه وحضر أولاد الوزير واخوته والشيخ أبو الحسن كاتب الدست وابنه سالم ومن الاستاذين المحنكين أرباب الخدم وجرى الحال فى المائدة الشريفة على ماهو مألوف وفرق من جلتها الكل من أرباب الخدم الذين لم يحضروا عليها ماهو لكل منهم على سبيل الشرف وتميز فى ذلك اليوم خاصة ما يختص بالقاضى وشهوده والداعى وابن خاله الذين يختصون عن سواهم بمقامهم دون غيرهم فى قاعة الخيمة الكبرى أمام سرير الخلافة المنصوب مدة النهار مع ما يحمل اليهم من الموائد وغيرها مما هو بأسمائهم فى الاثباتات مذكور ولما تكامل وضع المائدة وانقضى حكمها قبل كل من الحاضرين الارض وانصرف بعد أن استصحب منها ما تقتضيه نفسه على حكم الشرف والبركة ويقضى بعد ذلك الفرائض الواجبة فى وقتها ولابد من راحة بعدها وحضر مقدما الركاب وحاسبا كاتب الدفتر على ما معهما برسم تفرقة الرسوم والصدقات فى مسافة الطريق فكمل اهما على ما بقى معهما مثل ما كان اولا ولما استحق العود عاد كل من المستخدمين الى شغله من ترتيب الموكب ومصفات العساكر وترتيب من يشرف بالحضرة من الامراء والضيوف وفرقت الصوانى الخاص التى تكون بين يدى الخليفة مدة النهار الجامعة للثروة من كل جهة والزينة من كل معنى والغرابة من كل صنف وقد جمعت ملاذ بجميع الحواس والعدة منها يسيرة وليس ذلك لتقصير من هم الجهات التى تتنوع فيها بالغرائب بل للتعب الشديد عليها ثم لضيق الزمان لان كلا منها الامندوحة أن يكون فيه زهرة وثمرة وطول المكث كذلك يتلف ما فيها واذا شملت مع قلتها من له الوجاهة العالية من أخى الخليفة والوزير لم يكن له غير صينية واحدة وأخذ كل من الحاشية أهبة تجمله لموضع ميزته وغير الخليفة ثيابه بما يقتضيه الموكب وهو بدلة حريرى بشدة الوقار وعلم الجوهر وسير الى الوزير صحبة مقدم خزانة الكسوة الخاص على يد المستخدمين عنده من الاستاذين من جملة بدلات الجمع التى يتوجه منها الى زيه ما يؤمر به من يسعى اليه بدلة مكملة حريرى ومنديلها بياض بالشدة الدانية غير العربية ولما البس ما سير اليه وحضر بين يديه لشكر نعمته أمره بركوب أخيه فى احدى العشاريات فامتثل أمره وتوجه صحبته من السكرة بجميع خواصه وحواشيه وفتح لهم الباب الذى هو منها بشاطئ الخليج وقدم له احدى العشاريات الموكبية وفيها مقدم رياسة البحرية فركب فيها بجمعه والوزير واقف راجل على شاطئ الخليج خدمة له الى أن انحدرت العشاريات جميعها قدامه ومراكب اللعب بغير أحد من أرباب الرهج والمستخدمون فى البرين يمنعون من يقاربه والمتفرجون لا يصدهم ويردهم ما يحل بهم بل يرمون أنفسهم من على الدواب ويسيرون بسيره وعاد الوزير الى السكرة فلما شاهد الخليفة الدواب الخاص التى برسم ركوبه أمره بما وقع عليه اختياره منها وعلاه فاحتاط بركابه مقدموا الركاب واستفتح القراء وخرج من باب السكرة ودخل من باب الخليفة القبلى وشق قاعتها على سرير مملكته وخص بالسلام فيها شيوخ الكتاب العوالى والقاضى والداعى ومن معهما ولهم بذلك ميزة عظيمة يختصون بها دون غيرهم وخرج منها الى البستان المعروف بنزار وسار فى ميدانه وجميعه من الجانبين سور معقود من شجر نارنج اصولها مفترقة وفروعها مجتمعة وظللت الطريق وعليها من الثمرة التى أخرجها من وقته الى هذا اليوم وقد خرجت بهجتها عن المعتاد وحصل عليها ثمرة سنتين احداهما انتهت والاخرى فى الابتداء وهو بهيئته وزيه وترتيب عساكره وأمرائه وخرج من الباب بعد أن عم من له رسم بانعامه وعاد الرهج والموكب على ما كان عليه فلما وصل الى السد الذى على بركة الحبش كسر بين يديه *(وقال فى كتاب الذخائر)* ان مما اخرج من القصر فى سنة احدى وستين وأربعمائة فى خلافة المستنصر قبة العشارى وقاربه وكسوة رحله وهو مما استعمله الوزير أحمد بن على الجرجراى فى سنة ست وثلاثين وأربعمائة وكان فيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم فضة نقرة وان المطلق لصناع الصاغة عن اجرة ذلك وفى ثمن ذهب لطلائه خاصة ألفان وسبعمائة دينار وعمل ابو سهل التسترى لوالدة المستنصر عشاريا يعرف بالفضى وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ولزم ذلك اجرة الصناعة وللطلاء بعضه ألفان وأربعمائة دينار واستعمل كسوة برسمه

بمال جليل وأنفق على العشاريات التى برسم النزه البحرية التى عدّتها ستة وثلاثون عشاريا بالتقدير بجميع آلاتها وكساها وحلاها من مناطق ورؤس منجوقات وأهلة وصفريات وغير ذلك أربعمائة ألف دينار * وقال ابن الطوير اذا أذن الله سبحانه وتعالى بزيادة النيل المبارك طالع ابن أبى الرداد بما استقر عليه أذرع القاع فى اليوم الخامس والعشرين من بؤونة وأرخه بما يوافقه من أيام الشهور العربى فعلم ذلك من مطالعته وأخرجت الى ديوان المكاتبات فنزلت فى السير المرتب بأصل القاع والزيادة بعد ذلك فى كل يوم تؤرخ بيومه من الشهر العربى وما وافقه من ايام الشهر القبطى لايزال كذلك وهو محافظ على كتمان ذلك لايعلم به أحد قبل الخليفة وبعده الوزير فاذا انتهى فى ذراع الوفاء وهو السادس عشر الى أن يبقى منه اصبع أو اصبعان وعلم ذلك من مطالعته أمر أن يحمل الى المقياس فى تلك الليلة من المطابخ عشرة قناطير من الخبز السميذ وعشرة من الخراف المشوية وعشرة من الجامات الحلواء وعشر شمعات ويؤمر بالمبيت فى تلك الليلة بالمقياس فيحضر اليه قرّاء الحضرة والمتصدّرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجرى مجراهم فيستعملون ذلك ويقدون الشمع عليهم من العشاء الآخرة وهم يتلون القرآن برفق ويطرّبون بمكان التطريب فيختمون الختمة الشريفة ويكون هذا الاجتماع فى جامع المقياس فيوفى الماء ستة عشر ذراعا فى تلك الليلة ولوفاء النيل عندهم قدر عظيم ويبتهجون به ابتهاجا زائدا وذلك لانه عمارة الديار وبه التئام الخلق على فضل الله فيحسن عند الخليفة موقعه ويهتم بأمره اهتماما عظيما اكثر من كل المواسم فاذا أصبح الصبح من هذا اليوم وحضرت مطالعة ابن أبى الرداد اليه بالوفاء ركب الى المقياس لتخليقه فيستدعى الوزير على العادة فيحضر الى القصر فيركب الخليفة بزى أيام الركوب من غير مظلة ولا ما يجرى مجراها بل فى هيئة عظيمة من الثياب والوزير تابعه فى الجمع الهائل على ترتيب الموكب ويخرج شاقا من باب زويلة وسالكا الشارع الى آخر الركن من بستان عباس المعروف اليوم بسيف الاسلام فينعطف سالكا على جامع ابن طولون والجسر الاعظم بين الركنين الى الساحل بمصر الى الطريق المسلوكة على طرف الخشابين الشرقى على دار الفاضل الى باب الصاغة بجوارها وله دهليز ماد بمصاطب مفروشة بالحصر العبدانى بسطا وتأزيرا فيشقها والوزير تابعه فيخرج منها منعطفا على الصناعة الاخرى وكانت برسم المكس الى السيوفيين ثم على منازل العز التى هى اليوم مدرسة ثم الى دار الملك فيدخل من الباب المقابل لسلوكه فيترجل الوزير عنده للدخول بين يديه ماشيا الى المكان المعدّ له ويكون قد حمل أمس ذلك اليوم من القصر البيت المتخذ للعشارى الخاص وهو بيت مثمن من عاج وأبنوس عرض كل جزء ثلاثة أذرع وطوله قامة رجل تام فيجمع بين الاجزاء الثمانية فيصير بيتا دوره أربعة وعشرون ذراعا وعليه قبة من خشب محكم الصناعة وهو بقبته ملبس بصفائح الفضة والذهب فيتسلمه رئيس العشاريات الخاص ويركبه على العشارى المختص بالخليفة ويجعل باكر ذلك اليوم الذى يركب فيه الخليفة على الباب الذى يخرج منه للركوب الى المقياس فاذا استقر الخليفة بالمنظرة بدار الملك التى يخرج من بابها الى العشارى وأسند اليه استدعى الوزير من مكانه فيحضر اليه ويخرج بين يديه الى أن يركب فى العشارى فيدخل البيت المذهب وحده ومعه من الاستاذين المحنكين من يأمره من ثلاثة الى أربعة ثم يطلع فى العشارى خواص الخليفة خاصة ورسم الوزير اثنان أو ثلاثة من خواصه وليس فى العشارى من هو جالس سوى الخليفة باطنا والوزير ظاهرا فى رواق من باب البيت الذى هو بعرانيس من الجانبين قائمة مخروطة من أخف الخشب وهى مدهونة مذهبة وعليها من جانبيها ستور معمولة برسمها على قدرها فاذا اجتمع فى العشارى من جرت عادته بالاجتماع اندفع من باب القنطرة طالبا باب المقياس العالى على الدرج التى يعلوها النيل فيدخل الوزير ومعه الاستاذون بين يدى الخليفة الى الفسقية فيصلى هو والوزير ركعات كل واحد بمفرده فاذا فرغ من صلاته أحضرت الآلة التى فيها الزعفران والمسك فيديفها بيده بآلة ويتناولها صاحب بيت المال فيناولها لابن أبى الرداد فيلقى نفسه فى الفسقية وعليه غلالته وعمامته والعمود قريب من درج الفسقية فيتعلق فيه برجليه ويده اليسرى ويخلقه بيده اليمنى وقرّاء الحضرة من الجانب الآخر يقرؤن القرآن نوبة بنوبة ثم يخرج على فوره راكبا فى العشارى المذكور وهو بالخيار اما أن يعود الى دار الملك ويركب منها عائدا الى القاهرة أو ينحدر فى العشارى الى المقس فيتبعه الموكب الى القاهرة ويكون فى البحر فى ذلك اليوم ألف قرقورة مشحونة بالعالم فرحا بوفاء النيل وبنظر

الخليفة

الخليفة فاذا استقر بالقصر اهتم بركوب فتح الخليج وفيه همة عظيمة ظاهرة للابتهاج بذلك ثم يصير ابن أبى الرداد باكر ثانى ذلك اليوم الى القصر بالايوان الكبير الذى فى الشباك الى باب الملك بجواره فيجد خلعة معباة هناك فيؤمر بلبسها ويخرج من باب العيد شاقا بها بين القصرين من اوله قصد الاشاعة ذلك فان ذلك من علامة وفاء النيل ولاهل البلاد الى ذلك تطلع وتكون خلعة مذهبة وكان من العدول المحنكين فيشرف فى الخلعة بالطيلسان المقور ويندب له من التغييرات ولمن يريد مخمس تغييرات مركبات بالحلى ويحمل أمامه على أربع بغال مع أربعة من مستخدمى بيت المال أربعة اكياس فى كل كيس خمسمائة درهم ظاهرة فى اكفهم وبصحبته أقاربه وبنو عمه وأصدقاؤه ويندب له الطبل والبوق ويكتنف به عدة كثيرة من المتصرفين الرجالة فيخرج من باب العيد ويركب احدى التغييرات وهى أميزها وشرف أمامه بجملين من النقارات التى تقدم ذكرها يعنى فى ركوب اول العام من زى الموكب فيسير شاقا القاهرة والابواق تضرب أمامه كبارا وصغارا والطبل وراءه مثل الامراء وينزل على كل باب يدخل منه الخليفة ويخرج من باب القصر فيقبله ويركب وهكذا يعمل كل من يخلع عليه من كبير وصغير من الامراء المطوقين الى من دونهم سيفا وقلما ويخرج من باب زويلة طالبا مصر من الشارع الاعظم الى مسجد عبد الله الى دار الانماط جائزا على الجامع الى شاطئ البحر فيعدى الى المقياس بخلعه واكياسه وهذه الاكياس معدة لارباب الرسوم عليه فى خلعه ولنفسه ولبنى عمه بتقرير من اول الزمان فاذا انقضى هذا الشان شرع فى الركوب الى فتح الخليج ثانى يوم وقد كان وقع الاهتمام به منذ دخلت زيادة النيل ذراع الوفاء اهتماما عظيما فيعمل فى بيت المال من التماثيل شكل الوحوش من الغزلان والسباع والفيلة والزرافات عدة وافرة منها ماهو ملبس بالعنبر ومنها ماهو ملبس بالصندل ثم شكل التفاح والاترج اللطيف والوحوش مفسرة الاعين والاعضاء بالذهب الى غير ذلك ثم تخرج الخيمة التى يقال لها القاتول لان فراشا سقط من أعلى عمودها فمات فسميت بذلك وطوله سبعون ذراعا واعلاه صفرية فضة تسع راوية ماء وعليه الفلكة التى كانت فى الايوان الى قريب الوقت ثم يعمل فى اول العمود شقة دائرة ثم اوسع منها ويتوالى ذلك الى احدى عشرة شقة فتصير سعة الخيمة ما يزيد على فدانين مستديرة وتنصب فى بر الخليج الغربى على حافته مكان بستان الحلى اليوم وكانت ثم منظرة يقال لها السكرة برسم جلوس الخليفة لفتح الخليج فى مثل هذا اليوم وينصب أرباب الرتب من الامراء من بحرى تلك الخيمة الكبرى خياما كثيرة ويتبارزون فيها على قدر هممهم وضربهم اياها فى الاماكن الاقرب فالاقرب على قدر رتبهم فاذا تم ذلك وعزم الخليفة على الركوب ثالث يوم التخليق أو رابعه أخرج كل من المستخدمين فى المواضع المتقدم ذكرها فى ركوب اول العام آلات الموكب على عادته ويزاد فيه اخراج أربعين بوقا عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة ويكون بواقوها ركبانا وأرباب الابواق النحاس مشاة ومن الطبول الكبار التى مكان خشبها فضة عشرة فاذا حضر الوزير الى باب القصر خرج الخليفة فى هيئة عظيمة وهمة عالية وقد تضاعفت همم الاجناد فى ذلك اليوم فارسها وراجلها ويخرج زى الخليفة من المظلة والسيف والرمح والالوية والدواة وغير ذلك من الاستاذين المحنكين ويركب فى ذلك اليوم من الاقارب المقيمين بالقصر عشرون أو ثلاثون وهم بالنوبة فى كل سنة فيتقدمون الى المنظرة فى مكان لهم صحبة استاذين لخدمتهم وحفظهم ويكون قد لف عمود الخيمة الكبرى المشار اليها اما بديباج أبيض أو أحمر أو أصفر من أعلاه الى أسفله وينصب مسندا اليه سرير الملك ويغشى بقرقوبى وعرانيسه ذهب ظاهرة فيخرج الخليفة للركوب ويركب فيخرج من باب القصر وعليه ثوب يقال له البدنة وهو كله ذهب وحرير مرقوم والمظلة من شكله ولا يلبس هذا الثوب فى غير هذا اليوم ويسير بالموكب الهائل شاقا القاهرة من الطريق التى ركب منها لتخليق المقياس الا انه لا يدخل طرق مصر من الخشابين بل خارجها من طريق الساحل فاذا جاز على جامع ابن طولون وجد قد ربط من رأس المنارة من مكان العشارى النحاس حبل طويل قوى موضوع آخره فى الطريق وفيه قوم يقال لهم النختبارية واحد فى زى فارس على شكل فرس وفى يده رمح وبكتفه درقة فينحدر على بكرة وفى رجليه آخر يمسكها وهو يتقلب فى الهواء بطنا وظهرا حتى يصل الى الارض ويكون قاضى القضاة وأعيان الشهود جلوسا فى باب الجامع من هذه الجهة فاذا رآهم الخليفة وكانوا قد ركبوا اوقف لهم وقفة فيسلم على القاضى ثم يدخل فيقبل الرجل التى من جانبه لا غير ويدخل بالشهود

فى الفرجة أمام وجه الدابة بمقدار قصبة المساحة فيسلم عليهم ويرجعون الى دوابهم فيركبون ويكون قد نصب لهم بالقرب من الخيمة الكبرى خيمتان احداهما ديباج أحمر والاخرى ديبقى أبيض بصفارى فضة لكل واحدة فيتم الخليفة بهيئته الى أن يدخل من باب الخيمة ويكون الوزير قد تقدمه على العادة ليخدمه فيجده راجلا على باب الخيمة فيمشى بين يديه الى سرير الملك فينزل ويجلس على المرتبة المنصوبة فيه ويحيط به الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون بعدهم ويوضع للوزير الكرسى الجارى به عادته فيجلس عليه ورجلاه تحك الارض ويقف أرباب الرتب صافين من ناحية سرير الملك الى ناحية الخيمة والقراء يقرؤن القرآن ساعة زمانية فاذا ختموا قراءتهم استاذن صاحب الباب على حضور الشعراء للخدمة بما يطلق هذا اليوم فيؤمر بتقديمهم واحدا بعد واحد ولهم منازل على مقدار أقدارهم فالواحد يتقدم الواحد بخطوة فى الانشاد وهو أمر معروف عند مستخدم يقال له النائب وتقدم شاعر يقال له ابن جبر وأنشأ قصيدة منها

فتح الخليج فسال منه الماء * وعلت عليه الراية البيضاء
فصفت موارده لنا فكانه * كف الامام فعرفها الاعطاء

فانتقد الناس عليه فى قوله فسال منه الماء وقالوا اى شئ يخرج من البحر غير الماء فضيع ما قاله بعد هذا المطلع وتقدم شاعر يقال له مسعود الدولة بن جرير وأنشد

مازال هذا السد ينظر فتحه * اذن الخليفة بالنوال المرسل
حتى اذا برز الامام بوجهه * وسطا عليه كل حامل معول
يجرى كأن قد ديف فيه عنبر * يعلوه كافور بطيب المندل

فانتقدوا عليه ايضا قوله فى البيت الثانى وقالوا أهلك وجه الامام بسطوات المعاول عليه وان كان قصد فتح السد بالمعاول لكنه ما نظمه الا قلقا ثم تقدم له شاعر شاهد يقال له كافى الدولة ابو العباس احمد وأنشد قصيدة شهد له جماعة منهم القاضى الاثير بن سنان فانه عملها بحضوره بديها

لمن اجتماع الخلق فى ذا المشهد * للنيل أم لك يا ابن بنت محمد
أم لاجتماعكما معا فى موطن * وافيتما فيه لاصدق موعد
ليس اجتماع الخلق الا للذى * حاز الفضيلة منكما فى المولد
شكروا لكل منكما لوفائه * بالسعى لكن ميلهم للاجود
ولمن اذا اعتمد الوفاء فعله * بالقصد ليس لمن لم يقصد
هذا يفى ويعود ينقص تارة * وتسد أنت النقص ان لم يردد
وقواه ان بلغ النهاية قصرت * واذا بلغت الى النهاية تبتدى
فالآن قد ضاقت مسالك سعيه * بالسد فهو به بحال مقيد
فاذا أردت صلاحه فافتح له * ليرى جنابا مخصبا وترى ندى
وأمر بفصد العرق منه فاشتكا * جسم فصح الجسم ان لم يفصد
واسلم الى امثال يومك هكذا * فى عيش مغبوط وعز مخلد

فأمر له على الفور بخمسين دينارا وخلع عليه وزيد فى جاريه ثم يقوم الخليفة عن السرير راكبا والوزير بين يديه حتى يطلع على المنظرة المعروفة بالسكرة وقد فرشت بالفرش المعدة لها فيجلس فيها ويتهيأ أيضا للوزير مكان يجلس فيه ويحيط بالسد حامى البساتين ومشارفها لانه من حقوق خدمتهم ما فتفتح احدى طاقات المنظرة ويطل منها الخليفة على الخليج وطاقة تقاربها يتطلع منها استاذ من الخواص ويشير بالفتح فيفتح بأيدى عمال البساتين بالمعاول ويخدم بالطبل والبوق من البرين فاذا اعتدل الماء فى الخليج دخلت العشاريات اللطاف ويقال لها السماويات وكانها خدم بين يدى العشارى الذهبى المقدم ذكره ثم العشاريات الخاص الكبار وهى ستة الذهبى المذكور والفضى والاحمر والاصفر واللازوردى والصقلى وكان أنشأه نجار من رؤساء الصناعة صقلى وزاد فيه على الانشاء المعتاد فنسب اليه وهذه العشاريات لا تخرج عن خاص الخليفة فى أيام النيل وتحوله الى اللؤلؤة للفرجة وسارت فى الخليج وعلى بيت كل منهما الستور الديبقى الملونة وبرؤسها وفى أعناقها الاهلة وقلائد من

الخرز فتسند الى البر الذى فيه المنظرة الجالس فيها الخليفة فاذا استقر جلوس الخليفة والوزير بالمنظرة ودخل قاضى القضاة والشهود الخيمة الدبيقى البيضاء وصلت المائدة من القصر فى الجانب الغربى من الخليج على رؤس الفراشين صحبة صاحب المائدة وعدتها مائة شدة فى الطيافير الواسعة وعليها القوارات الحرير وفوقها الطراحات ولها رواء عظيم ومسك فائح فتوضع فى خيمة واسعة منصوبة لذلك ويحمل للوزير ما هو مستقر له بعادة جارية ومن صوانى التماثيل المذكورة ثلاث صوان ويخصص منها أيضا لاولاده واخوته خارجا عن ذلك أكراما وافتقادا ويحمل الى قاضى القضاة والشهود شدة من الطعام الخاص من غير تماثيل توقيرا للشرع ويحمل الى كل أمير فى خيمته شدة طعام وصينية تماثيل ويصل من ذلك الى الناس شئ كثير ولا يزالون كذلك الى أن يؤذن بالظهر فيصلون ويقيمون الى العصر فاذا أذن به صلى وركب الموكب كله لانتظار ركوب الخليفة فيركب لابسا غير البدنة بل بهيئته والمظلة مناسبة لثيابه التى عليه واليتيمة والترتيب بأجمعه على حاله ويسير فى البر الغربى من الخليج شاقا البساتين هنالك حتى يدخل من باب القنطرة الى القصر والوزير تابعه على الرسم المعتاد ويعز فيه للقوم أحسن الايام ويمضى الوزير الى داره مخدوما على العادة * وقال فى كتاب الذخائر والتحف ان المستعمل من الفضة قبة العشارى المعروف بالمقدم وقاربه وكسوة رحله فى سنة ست وثلاثين وأربعمائة فى وزارة على ابن أحمد الجرجراى مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم نقرة وان المطلق للصناع عن أجرة الصناعة وفى ثمن ذهب لطلائه خاصة ألفان وتسعمائة دينار وسبعون وكانت الفضة فى ذلك الوقت كل مائة درهم بستة دنانير وربع سعر ستة عشر درهما بدينار ولما تولى أبو سعيد سهل التسترى الوساطة سنة ست وثلاثين وأربعمائة استعمل لام المستنصر عشاريا يعرف بالفضى وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ولزم ذلك أجرة الصناعة ولطلاء بعضه ألفان وأربعمائة دينار سوى كسوته بمال جليل والمنفق على ستة وثلاثين عشاريا برسم النزه البحرية لآلاتها وحلاها من مناطق ورؤس منجوقات وأهلة وصفريات وغير ذلك أربعمائة ألف دينار وكانت العادة عندهم اذا حصل وفاء النيل أن يكتب الى العمال فمما كتب من انشاء تاج الرياسة أبى القاسم على بن منجب بن سليمان الصيرفى * أما بعد فان أحق ما وجبت به التهنئة والبشرى وغدت المسار منتشرة تتوالى وتترى وكان من اللطائف التى غمرت بالمنة العظمى والنعمة الجسيمة الكبرى ما استدعى الشكر لموجد العالم وخالقه وظلت النعمة به عامة لصامت الحيوان وناطقه وتلك الموهبة بوفاء النيل المبارك الذى يسره الله تعالى وله الحمد يوم كذا فان هذه العطية تؤدى الى خصب البلاد وعمارتها وشمول المصالح وغزارتها وتفضى بتضاعف المنافع والخيرات وتكاثر الارزاق والاقوات ويتساهم الفائدة فيها جميع العباد وتنتهى البركة بها الى كل دان وناء وكل حاضر وباد فأذع هذه النعمة قبلك وانشرها فى كل من يتدبر عملك وحثهم على مواصلة الشكر لهذه الالطاف الشاملة لهم ولك فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى وكتب أيضا ان اولى ما تضاعف به الابتهاج والجذل وانفسح فيه الرجاء واتسع الأمل ما عم نفعه صامت الحيوان وناطقه وأحدث لكل احد اغتباطا لازمه وآلى أن لا يفارقه وذلك ما من الله به من وفاء النيل المبارك الذى تحيى به كل أرض موات وتكتسى بعد اقشعرارها حلة النبات ويكون سببا لتوافر الاقوات فانه وفى المقدار الذى يحتاج اليه فلتذع هذه المنة فى القاصى والدانى لتستعمل الكافة بينهم ضروب البشائر والتهانى ان شاء الله تعالى وكتب أيضا من لطف الله الواجب حمده اللازم شكره وفضله الذى لا يمل بشره ولا يسأم ذكره ومنه الذى استبشر به الانام وتضاعف فيه الانعام ومثل الله الحياة به فى قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام أمر النيل المبارك الذى يعم النجود والتهائم وتنتفع به الخلائق وترتع فيما يظهره البهائم وقد توجه اليك بهذا الكتاب بهذه البشرى فلان فأجره على رسمه فى اظهاره مجملا وايصاله الى رسمه مكملا واذاعة هذه النعمة على الكافة ليتساهموا الاغتباط بها ويبالغوا فى الشكر لله سبحانه وتعالى بمقتضاها وعلى حسبها فاعلم ذلك واعمل به ان شاء الله تعالى

* (منظرة الدكة) * وكان من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين منظرة تعرف بالدكة لها بستان عظيم بجوار المقس فيما بينه وبين أراضى اللوق ومازالت باقية حتى زالت الدولة وحكر مكان البستان وصار خطة تعرف الى اليوم

بخط الدكة خربت المنظرة وزال أثرها قال ابن عبد الظاهر الدكة بالمقس كانت بستانا وكان الخليفة اذا ركب من كسر الخليج من السكرة بمظلته يسير في البر الغربي ومضارب الناس والامراء وخيمهم عن يمينه وشماله الى أن يصل الى هذا البستان المعروف بالدكة وقد غلقت أبوابه ودهاليزه فيدخل اليه بمفرده ويبقى منه الفرس الذي تحته وهي قضية ذكرها المؤرخ للسيرة المأمونية انهم كانوا يعتمدونها الى آخر وقت ولم يعلم سببها ثم يخرج ويسير الى أن يقف على الترعة الآتي ذكرها ويدخل من باب القنطرة وينزل الى القصر والدكة الآن آدر وحارات شهرتها تغني عن وصفها فسبحان من لا يتغير * وقال ابن الطوير عن الظاهر لاعزاز دين الله أبي هاشم علي بن الحاكم بأمر الله كان بمنظرة يقال لها الدكة بساحل المقس يعني انه مات بها .

(منظرة المقس) وكان من جملة مناظرهم أيضا منظرة بجوار جامع المقس الذي تسميه العامة اليوم جامع المقسي وكانت هذه المنظرة بحري الجامع المذكور وهي مطلة على النيل الاعظم وكان حينئذ ساحل النيل بالمقس وكانت هذه المنظرة معدة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الاسطول الى غزو الفرنج فتحضر رؤساء المراكب بالشواني وهي مزينة بأنواع العدد والسلاح ويلعبون بها في النيل حيث الآن الخليج الناصري تجاه الجامع وماوراء الخليج من غربيه قال ابن المأمون وذكر تجهيز العساكر في البر عند ورود كتب صاحبي دمشق وحلب في سنة سبع عشرة وخمسمائة مايحث على غزو الفرنج ومسيرها مع حسام الملك وركب الخليفة الآمر بأحكام الله وتوجه الى الجامع بالمقس وجلس بالمنظرة في أعلاه واستدعى مقدم الاسطول الثاني وخلع عليه وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدد والآلات والاسلحة واعتمد ماجرت العادة به من الانعام عليهم وعاد الخليفة الى البستان المعروف بالبعل الى آخر النهار وتوجه الى قصره بعد تفرقة جميع الرسوم والصدقات والهبات الجاري بها العادة في الركوبات * وقال ابن الطوير فاذا تكملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل المقس وكان هنالك على شاطئ البحر بالجامع منظرة يجلس فيها الخليفة برسم وداعه يعني الاسطول ولقائه اذا عاد فاذا جلس هو والوزير للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر الى هنالك للعركات في البحر بين يديه وهي مزينة بأسلحتها ولبوسها وفيها المنجنيقات تلعب فتنحدر وتقلع بالمجاذيف كما يفعل في لقاء العدو بالبحر الملح ويحضر بين يدي الخليفة المقدم والرئيس فيوصيهما ويدعو للجماعة بالنصرة والسلامة ويعطي المقدم مائة دينار والرئيس عشرين دينارا وتنحدر الى دمياط وتخرج الى البحر الملح فيكون لها ببلاد العدو صيت وهيبة فاذا وقع لهم مركب لا يسألون عما فيه سوى الصغار والرجال والنساء والسلاح وماعدا ذلك فللاسطول واتفق مرة أن قدم على الاسطول سيف الملك الجمل فكسب بطشة عظيمة فيها ألف وخمسمائة شخص بعد أن بعث عليهم بالقتال وقتل منهم نحو ابن مائة وعشرين رجلا وحضر الى القاهرة ففرح الخليفة وركب الى المقس وجلس بالمنظرة للقائهم وأطلقوا الاسرى بين يديه تحت المنظرة من جانب البر فاستدعت الجمال لركوبهم وشق بهم القاهرة ومصر وهم كل اثنين على جمل ظهرا لظهر وعاد الخليفة الى القصر لجلس في احدى مناظره لنظرهم في جوازهم فلما عادوا بهم من مصر صاروا بهم الى المناخات فصح منهم ألف رجل فانضافوا الى من في المناخ وأما النساء والصبيان فانهم دخلوا بهم الى القصر بعد أن حمل منهم للوزير نصيب وافر وأخذ الجهات والاقارب بقيتهن فيستخدمونهن ويعلمونهن الصنائع ويتولى الاستاذون تربية الصبيان وتعليمهم الخط والرماية ويقال لهم الترابي ومن استريب به من الاسرى ونبه عليه بقوة أوقع به والشيخ الذي لا ينتفع به يمضي فيه حكم السيف بمكان يقال له بئر المناسة في الخراب قريب مصر ولم يسمع على الدولة قط انها فادت أسيرا بمال ولا بأسير مثله وهذه الحال في كل سنة آخذة في الزيادة لا النقص وقدم على الاسطول مرة أمير يقال له حرب بن فور صاحب الحاجب لؤلؤ فكسب بطشة حصل فيها خمسمائة رجل انتهى وقد خربت هذه المنظرة وكان موضعها برج كبير صار يعرف في الدولة الايوبية بقلعة المقس مشرف على النيل فلما جدد الصاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسي جامع المقس على ماهو عليه الآن في سنة سبعين وسبعمائة هدم هذا البرج وجعل مكانه جنينة شرقي الجامع وتحدث الناس انه وجد فيه مالا والله أعلم

(منظرة البعل) وكان من مناظرهم بظاهر القاهرة منظرة في بستان انيق يعرف بالبعل أنشأه الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي وموضع هذا البستان الى اليوم يعرف بالبعل وصارت أرضه مزرعة

في جانب الخليج الغربي بحري أرض الطبالة في كوم الريش مقابل قناطر الاوز وقد خربت المنظرة وبقي منها آثار أدركتها يعطن بها الكتان تدل على عظمها وجلالتها في حال عمارتها وكانت منظرة البعل من أجل منتزهاتهم وكان لهم بها أوقات عمة المبرات جليلة الخيرات * قال ابن المأمون فأما يوم السبت والثلاثاء فيكون ركوب الوزير من داره بالرهجية ويتوجه الى القصر فيركب الخليفة الى ضواحي القاهرة للنزهة في مثل الروضة والمشتهى ودار الملك والتاج والبعل وقبة الهواء والخمسة وجوه والبستان الكبير وكان لكل منظرة منهن فرش معلوم مستقر فيهما من الايام الافضلية للصيف والشتاء وتفرق الرسوم ويسلم لمقدمي الركاب اليمين والشمال لكل واحد عشرون دينارا وخمسون رباعيا ولتالي مقدم الركاب اليمين مائة كاغدة في كل كاغدة ثلاثة دراهم ومائة كاغدة في كل كاغدة درهمان ولتالي مقدم الشمال مثل ذلك فأما الدنانير فلكل باب يخرج منه من البلد دينار ولكل باب يدخل منه دينار ولكل جامع يجتاز عليه دينار ما خلا جامع مصر فان رسمه خمسة دنانير ولكل مسجد يجتاز عليه رباعي ولكل من يقف ويتلو القرآن كاغدة والفقراء والمساكين من الرجال والنساء لكل من يقف كاغدة ولكل من يركب الخليفة ديناران ويكون مع هذا متولي صناديق الانفاق بجيب الخليفة وبيده خريطة ديباج فيها خمسمائة دينار لما عساه يؤمر به فاذا حصل في احدى المناظر المذكورة فرق من العين ما مبلغه سبعة وخمسون دينارا ومن الرباعية مائة وستة وثمانون دينارا للعواشي والاستاذين وأصحاب الدواوين والشعراء والمؤذنين والمقرئين والمنجمين وغيرهم ومن الخراف الشواء خمسون رأسا منها طبقان حارة مكملة مشورة برسم المائدة الخاص مضافا لما يحضر من القصور من الموائد الخاص والحلاوات وطبق واحد برسم مائدة الوزير وبقية ذلك بأسماء أربابه ورأسا بقر برسم الهرائس فاذا جلس الخليفة على المائدة استدعى الوزير وخواصه ومن جرت العادة بجلوسه معه ومن تأخر عن المائدة ممن جرت عادته بحضورها حمل اليه من بين يدي الخليفة على سبيل التشريف وعند عود الخليفة الى القصر يحاسب متولي الدفتر مقدمي الركاب على ما أنفق عليه في مسافة الطريق من جامع ومسجد وباب ودابة وأما تفرقة الصدقات فهم فيها على حكم الامانة قال واذا وقع الركوب الى الميادين جرى الحال فيها على الرسم المستقر من الانعام ويؤمر متولي خزائن الخاص وصناديق الانفاق أن يكون معه خريطة في السرج ديباج تسمى خريطة الموكب فيها ألف دينار معدة لمن يؤمر بالانعام عليه في حال الركوب

(منظرة التاج) هي من جملة المناظر التي كانت الخلفاء تنزلها للنزهة بناها الافضل بن أمير الجيوش وكان لها فرش معد لها للشتاء والصيف وقد خربت ولم يبق لها سوى أثر كوم تحته الحجارة الكبار وما حول هذا الكوم صار مزارع من جملة أراضي منية الشيرج قال ابن عبد الظاهر وأما التاج فكان حوله البساتين عدة وأعظم ما كان حوله قبة الهواء وبعدها الخمس وجوه التي هي باقية

(منظرة الخمس وجوه) كانت أيضا من مناظرهم التي يتنزهون فيها وهي من انشاء الافضل بن أمير الجيوش وكان لها فرش معد لها وبقي منها آثار بناء جليل على بئر متسعة كان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التي تنقل الماء لسقي البستان العظيم الوصف البديع الزي البهيج الهيئة والعامة تقول التاج والسبع وجوه الى الآن ٢
وموضعها الى وقتنا هذا من أعظم متفرجات القاهرة ويثبت هناك في أيام النيل عند ما يعم تلك الاراضي البشنين فتفتن رؤيته وتبهج النفوس نضارته وزينته فاذا نضب ماء النيل زرعت تلك البسطة قرطا وكتانا يقصر الوصف عن تعداد حسنه وأدركت حول الخمس وجوه غروسا من نخل وغيره تشبه أن تكون من بقايا البستان القديم وقد تلاشت الآن ثم ان السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي الظاهري جدد عمارة منظرة فوق الخمس وجوه ابتدأ بناءها في يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

(منظرة باب الفتوح) وكان للخلفاء الفاطميين منظرة خارج باب الفتوح وكان يومئذ ما خرج عن باب الفتوح براحا فيما بين الباب وبين البساتين الجيوشية وكانت هذه المنظرة معدة لجلوس الخليفة فيها عند عرض العساكر ووداعها اذا سارت في البر الى البلاد الشامية قال ابن المأمون وفي هذا الشهر يعني المحرم سنة سبع عشرة وخمسمائة وصلت رسل ظهير الدين طغدكين صاحب دمشق وآق سنقر صاحب حلب بكتب

الى الخليفة الآمر باحكام الله والى الوزير المأمون الى القصر فاستدعوا التقبيل الارض كما جرت العادة من اظهار التجمل وكان مضمون الكتب بعد التصدير والتعظيم والسؤال والضراعة أن الاخبار تظافرت بقلة الفرنج بالاعمال الفلسطينية والثغور الساحلية وأن الفرصة قد أمكنت فيهم والله قد أذن بهلاكهم وأنهم ينتظرون انعام الدولة العلوية وعوايد افضالها ويستنصرون بقوتها ويحثون على نصرة الاسلام وقطع دابر الكفر وتجهيز العساكر المنصورة والاساطيل المظفرة والمساعدة على التوجه نحوهم لتلا يتواصل مددهم وتعود الى القوة شوكتهم فقوى العزم على النفقة فى العساكر فارسها وراجلها وتجريدها وتقدم الى الازمة باحضار الرجال الاقوياء وابتدئ بالنفقة فى الفرسان بين يدى الخليفة فى قاعة الذهب وأحضر الوزانون وصناديق المال وأفرغت الاكياس على البساط واستمر الحال بعد ذلك فى الدار المأمونية وتردد الرأى فيمن يتقدم فوقع الاتفاق على حسام الملك البرنى وأحضر مقدم الاساطيل الثانية لان الاساطيل توجهت فى الغزو وخلع عليه وأمر بأن ينزل الى الصناعتين بمصر والجزيرة وينفق فى أربعين شينيا ويكمل نفقاتها وعددها ويكون التوجه بها صحبة العسكر وأنفق فى عشرين من الامراء المتوجه صحبته فكملت النفقة فى الفارس والراجل وفى الامراء السائرين وفى الاطباء والمؤذنين والقراء وندب من الحجاب عدة وجعل لكل منهم خدمة فمنهم من يتولى خزانة الخيام وسير معه من حاصل الخزائن برسم ضعفاء العسكر ومن لا يقدر على خيمة خيم ومنهم حاجب على خزائن السلاح وأنفق فى عدة من كتاب ديوان الجيش لعرض العساكر وفى كتاب العربان وأحضر مقدمو الحراسين بالخفار وتقدم اليها بأنه من تأخر عن العرض بعسقلان وقبض النفقة فلا واجب له ولا اقطاع وكتبت الكتب الى المستخدمين بالثغور الثلاثة الاسكندرية ودمياط وعسقلان باطلاق وابتياع ما يستدعى برسم الاسمطة على ثغر عسقلان للعساكر والعربان من الاصناف والغلال ووقع الاهتمام بنجاز أمر الرسل الواصلين وكتبت الاجوبة عن كتبهم وجهز المال والخلع المذهبات والاطواق والسيوف والمناطق الذهب والخيل بالمراكب الحلى الثقال وغير ذلك من التجملات وخلع على الرسل وأطلق لهم التغيير وسلمت اليهم الكتب والتذاكر وتوجهوا صحبة العسكر وركب الخليفة الآمر بأحكام الله الى باب الفتوح ونظر بالمنظرة واستدعى حسام الملك وخلع عليه بدلة جليلة مذهبة وطوقه بطوق ذهب وقلده ومنطقه بمثل ذلك ثم قال الوزير المأمون للامراء بحيث يسمع الخليفة هذا الأمير مقدمكم ومقدم العساكر كلها وما وعد به انجزته وما قرره امضيته فقبلوا الارض وخرجوا من بين يديه وسلم متولى بيت المال وخزائن الكسوة لحسام الملك الكتب بما ضمنته الصناديق من المال وأعدال الكسوات وحملت قدامه وفتحت طاقات المنظرة فلما شاهد العساكر الخليفة قبلوا الارض فأشار اليهم بالتوجه فساروا بأجمعهم وركب الخليفة وتوجه الى الجامع بالمقس وجلس بالمنظرة واستدعى مقدم الاسطول وخلع عليه وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدة

(منظرة الصناعة) وكان من جملة مناظر الخلفاء منظرة بالصناعة فى الساحل القديم من مصر يجلس بها الخليفة تارة حتى تقدم له العشاريات فيركبها ويسير للمقياس حتى يخلق بين يديه عند الوفاء وكان بهذه الصناعة ديوان العمائر وأنشأ هذه المنظرة والصناعة التى هى فيها الوزير المأمون ولم تزل الى آخر الدولة ودهليزها ماد بمصاطب مفروشة بالحصر العبدانى بسطا وتأزيرا وقد خربت هذه الصناعة والمنظرة وصار موضعهما الآن بستانا كان يعرف ببستان ابن كيسان ويعرف فى زمننا هذا الذى نحن فيه الآن ببستان الطواشى وهو بأول مراغة مصر تجاه غيط الجرف على يسرة من يسلك من المراغة يريد الكبارة وباب مصر قال ابن المامون وكانت جميع مراكب الاساطيل ما تنشأ الا بالصناعة التى بالجزيرة فأنكر الوزير المامون ذلك وأمر بان يكون انشاء الشوانى وغيرها من المراكب النيلية الديوانية بالصناعة بمصر وأضاف اليها دار الزبيب وأنشأ المنظرة بها واسمه باق الى الآن عليها وقصد بذلك أن يكون حلول الخليفة يوم تقدمة الاساطيل ورميها بالمنظرة المذكورة وأن يكون ما ينشأ من الحرانى والشلنديات فى الصناعة بالجزيرة قال ولما وفى النيل ستة عشر ذراعا ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ورميت العشاريات بين أيديهما ثم عديا فى احداها الى المقياس وقال ابن الطوير الخدمة فى ديوان الجهاد ويقال له ديوان العمائر وكان محله بصناعة الانشاء بمصر للاسطول والمراكب الحاملة للغلات السلطانية والاحطاب وغيرها وكانت تزيد على خمسين عشاريا ويليها عشرون ديماسا

منها

منها عشرة برسم خاص الخليفة أيام الخليج وغيرها ولكل منها رئيس ونواتى لا يبرحون ينفق فيهم من مال هذا الديوان وبقية العشاريات الدواميس برسم ولاة الاعمال المميزة فهى تجرّلهم وينفق فى روسائها ورجالها أينما كانوا من مال هذا الديوان وتقيم مع أحدهم مدة مقامه فاذا اصرف عادفيه وخرج المتولى الجديد فى العشاوى المرسى بالصناعة ولا يخرج الاتوقيع باطلاقه والانفاق فيه وللمشارفين بالاعمال عشاريات دون هذه وفى هذا الديوان برسم خدمة ما يجرى فى الاساطيل نائبان من قبل مقدم الاسطول وفيه من الحواصل لعمارة المراكب شئ كثير واذا لم يف ارتفاعه بما يحتاج اليه استدعى له من بيت المال ما يسدّ خلله قال وكان من أهم أمورهم احتفالهم بالاساطيل والاجناد ومواصلة انشاء المراكب بمصر والاسكندرية ودمياط من الشوانى الحربية والشلنديات والمسطحات الى بلاد الساحل حين كانت بأيديهم مثل صور وعكا وعسقلان وكانت جريدة قواده أكثر من خمسة آلاف مدوّنة منهم عشرة أعيان تصل جامكية كل منهم الى عشرين دينارا ثم الى خمسة عشر ثم الى عشرة دنانير ثم الى ثمانية ثم الى دينارين وهى أقلها ولهم اقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بما فيه من النطرون فيصل دينارهم بالمناسبة الى نصف دينار وحواليه ويعين من هؤلاء القوّاد العشرة من يقع الاجماع عليه لرياسة الاسطول المتوجه للغزو فيكون معه الفانوس وكلهم يهتدون به ويقلعون باقلاعه ويرسون بارسائه ويقدم على الاسطول أمير كبير من أعيان الامراء وأقواهم جنانا ويتولى النفقة فيهم للغزو الخليفة بنفسه بحضور الوزير فاذا أراد النفقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة وكانت آخر وقت تزيد على خمسة وسبعين شينيا وعشر مسطحات وعشر حمالة فيتقدم الى النقباء باحضار الرجال ويسمع بذلك من هو خارج مصر والقاهرة فيدخل اليها ولهم المشاهرة والجرايات المتقررة مدة أيام السفر وهم معروفون عند عشرين نقيبا ولا يعترض أحد أحدا الا من رغب فى ذلك من نفسه فاذا اجتمعت العدة المغلقة للمراكب المطلوبة أعلم المقدم بذلك الوزير فطالع الخليفة بالحال وقرر يوم للنفقة فحضر الوزير بالاستدعاء على العادة فيجلس الخليفة على هيئته فى مجلس ويجلس الوزير فى مكانه ويحضر صاحبا ديوان الجيش وهما المستوفى وهو أميرهما ويجلس داخل عتبة المجلس وهذه رتبة له مميزة وكاتب الجيش الاصل ويجلس بجانبه تحت العتبة على حصر مفروشة بالقاعة ولا يخلو المستوفى أن يكون عدلا أو من أعيان الكتاب المسلمين وأما كاتب الجيش فيهودى فى الاغلب ويفرش أمام المجلس أنطاع تصب عليها الدراهم ويحضر الوزانون ببيت المال لذلك فاذا تهيأ الانفاق أدخل القابضون مائة مائة ويقفون فى آخر الوقوف بين يدى الخليفة من جانب واحد نقابة نقابة وتكون أسماؤهم قد رتبت فى أوراق لاستدعائهم بين يدى الخليفة ويستدعى مستوفى الجيش من تلك الاوراق واحدا واحدا فاذا خرج اسمه عبر من الجانب الذى هو فيه الى الجانب الخالى فاذا تكمل عشرة رجال وزن الوزانون لهم النفقة وكانت لكل واحد خمسة دنانير صرف كل دينار ستة وثلاثون درهما فيتسلمها النقيب وتكتب بيده وباسمه وتمضى النفقة كذلك الى آخرها فاذا تم ذلك اليوم ركب الوزير من بين يدى الخليفة وانفض ذلك الجمع فيحمل من عند الخليفة مائدة يقال لها غداء الوزير وهى سبع مجيفات أوساط احداها بلحم دجاج وفستق والبقية من شواء وهى مكمورة بالازهار وتكون هذه عدة أيام تارة متوالية وتارة متفرّقة فاذا تكملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل المقس وذكر ابن أبى طى أن المعز لدين الله أنشأ ستمائة مركب لم ير مثلها فى البحر على مدينة وعمل دار صناعة بالمقس

(دار الملك) وكان من جملة مناظرهم دار الملك بمصر وهى من انشاء الافضل بن أمير الجيوش ابتدأ فى بنائها وانشائها فى سنة احدى وخمسمائة فلما كملت تحوّل اليها من دار القباب بالقاهرة وسكنها وحوّل اليها الدواوين من القصر فصارت بها وجعل فيها الاسمطة واتخذ بها مجلسا سماه مجلس العطايا كان يجلس فيه فلما قتل الافضل صارت دار الملك هذه من جملة منتزهات الخلفاء وكان بها بستان عظيم ومازالت عظيمة الى أن انقرضت الدولة فجعلها الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب دار متجر ثم عملت فى أيام الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى دار وكالة وموضع دار الملك ماوراء حبة الخروب بجوار المدرسة المعزية وبقى منها جدار يجلس تحته بياعوا الحناء * قال ابن المأمون ومن جملة ما قرره القائد أبو عبد الله من تعظيم المملكة وتفخيم أمر السلطنة أن

المجلس الذى يجلس فيه الافضل بدار الملك يسمى مجلس العطايا فقال القائد مجلس يدعى بهذا الاسم ما يشاهد فيه دينار يدفع لمن يسأل وأمر بتفصيل ثمان ظروف ديباج أطلس من كل لون اثنين وجعل فى سبعة منها خمسة وثلاثين ألف دينار فى كل ظرف خمسة آلاف دينار سكب وبطاقة بوزنه وعدده وشرابة حرير كبيرة من ذلك ستة ظروف دنانير بالسوية عن اليمين والشمال فى مجلس العطايا الذى برسم الجلوس وعند مرتبة الافضل بقاعة اللؤلؤة ظرفان أحدهما دنانير والآخر دراهم جدد فالذى فى اللؤلؤة برسم ما يستدعيه الافضل اذا كان عند الحرم وأمّا الذى فى مجلس العطايا فانّ جميع الشعراء لم يكن لهم فى الايام الافضلية ولا فيما قبلها على الشعر جار وانما كان لهم اذا اتفق طرب السلطان واستحسانه لشعر من أنشد منهم ما يسهله الله على حكم الجائزة فرأى القائد أن يكون ذلك من بين يديه من الظروف وكذلك من يتضرّع ويسأل فى طلب صدقة أو ينم عليه ابتداء بغير سؤال يخرج ذلك من الظروف واذا انصرف الحاضرون نزل القائد المبلغ بخطه فى البطاقة ويكتب عليه الافضل بخطه صح ويعاد الى الظرف ويختم عليه فلما استهل رجب من سنة اثنى عشرة وخمسمائة وجلس الافضل فى مجلس العطايا على عادته وحضر الاجلّ المظفر أخوه للهناء وجلس بين يديه وشاهد الظروف والقائد وولده وأخوه قيام على رأسه وتقدّمت الشعراء على طبقاتهم أمر لكل منهم بجائزة وشاع خبر الظروف وكثر القول فيها واستعظم أمرها وضوعف مبلغها واتسع هذا الانعام بالصدقات الجارى بها العادة فى مثل هذا الشهر لفقهاء مصر والرباطات بالقرافة وفقرائها * وقال ابن الطوير وقد ذكر ركوب الخليفة فى أوّل العام وحضور الغرّة وينقطع الركوب بعد هذا اليوم الذى هو أوّل العام فيركبون فى آحاد الايام الى أن يكمل شهر ولا يتعدّى ذلك يومى السبت والثلاثا فاذا عزم الخليفة على الركوب فى احد هذه الايام اعلم بذلك وعلامته انفاق الاسلحة فى صبيان الركاب من خزانة السلاح خاصة دون ما سواها واكثر ذلك الى مصر ويركب الوزير صحبته من ورائه على اخصر من النظام المتقدّم يعنى فى ركوب أوّل العام وأقل جمع فيخرج شاقا القاهرة وشوارعها على الجامع الطولونى على المشاهد الى درب الصفاء ويقال له الشارع الاعظم الى دار الانماط الى الجامع العتيق فاذا وصل الى بابه وجد الشريف الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها محراب مفروشة بحصر معلق عليها سجادة وفى يده المصحف المنسوب خطه الى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وهو من حاصله فاذا وازاه وقف فى موضعه وناوله المصحف من يده فيتسلمه منه ويقبله ويتبرك به مرارا ويعطيه صاحب الخريطة المرسومة للصلات ثلاثين دينارا وهى رسمه متى اجتاز به فيوصلها الشريف الى مشارف الجامع فيكون نصيبه ما منها خمسة عشر دينارا والباقى للقومة والمؤذنين دون غيرهم ويسير الى أن يصل دار الملك فينزلها والوزير معه ومنذ يخرج من باب القصر الى أن يصل الى دار الملك لا يمرّ بمسجد الا أعطى قيمه من الخريطة دينارا فلا يزال بدار الملك نهاره فتأتيه المائدة من القصر وعدّتها خمسون شدّة على رؤس الفرّاشين مع صاحب المائدة وهو أستاذ جليل غير محنك وكل شدّة فيها طيفور فيها الاوانى الخاص وفيها من الاطعمة الخاص من كل نوع شهىّ وكل صنف من المطاعم العالية ولها رواء ورائحة المسك فائحة منها وعلى كل شدّة طرحة حرير تعلوا القوّارة التى هى الشدّة فيحمل الى الوزير منها جزء وافر ولمن صحبه وللامراء ولكافة الحاضرين فى الخدمة ويصل منها الى الناس بمصر من بعضهم بعضا شئ كثير ولا يزال الى أن يؤذن عليه بالعصر فيصلى ويتحرك الى العود الى القاهرة والناس فى طريقه لنظره فيركب وزيه فى هذه الايام انه يلبس الثياب المذهبة البياض والملوّنة والمنديل من النسبة وهو مشدود شدّة مفردة عن شدّات الناس وذؤابته مرخاة من جانبه الأيسر ويتقلد بالسيف العربى المجوهر بغير حنك ولا مظلة ولا يتيمة فانّ ذلك فى أوقات مخصوصة ولا يمرّ أيضا بمسجد فى سلوكه فى هذه الطريق بالساحل الا ويعطى قيمه دينارا أيضا كما جرى فى الرواح وينعطف من باب الخرق ويدخل من باب زويلة شاقا القاهرة حتى يدخل القصر فيكون ذلك من المحرّم الى شهر رمضان امّا أربع مرّات أو خمس مرّات ومن شعر الاسعد اسعد بن مهذب بن زكريا بن أبى مليح مما فى دار الملك هذه

حلت بدار الملك والنيل آخذ * بأطرافها والموج يوسعها ضربا
نخيلته قد غار لما وطئتها * عليها فأضحى عند ذاك لها حربا

(منازل العز)

بنتها السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز ولم يكن بمصر أحسن منها وكانت مطلة على النيل لا يحجبها شئ عن نظره ومازال الخلفاء من بعد المعز يتداولونها وكانت معدة لنزههم وكان بجوارها حمام ولها منها باب وموضعها الآن مدرسة تعرف بالمدرسة التقوية منسوبة للملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى

(الهودج) وكان من منتزهاتهم العظيمة البناء العجيبة البديعة الزى بناء فى جزيرة الفسطاط التى تعرف اليوم بالروضة يقال له الهودج بناه الخليفة الآمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية التى غلب عليه حبها بجوار البستان المختار وكان يتردد اليه كثيرا وقتل وهو متوجه اليه ومازال منتزها للخلفاء من بعده قال ابن سعيد فى كتاب المحلى بالاشعار قال القرطبى فى تاريخه تداكر الناس فى حديث البدوية وابن مياح من بنى عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الآمر حتى صارت رواياتهم فى هذا الشأن كأحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال ان الآمر كان قد بلى بعشق الجوارى العربيات وصارت له عيون بالبوادى فبلغه أن جارية بالصعيد من أكمل العرب وأظرفهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيا بزى بداة الاعراب وكان يجول فى الاحياء الى أن انتهى الى حيها وبات هنالك فى ضيافة وتحيل حتى عاينها هنالك فما ملك صبره ورجع الى مقر ملكه وأرسل الى أهلها يخطبها وتزوجها فلما وصلت صعب عليها مفارقة ما اعتادته وأحبت أن تسرح طرفها فى الفضاء ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور فى جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج وكان غريب الشكل على شط النيل وبقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه من قصر الآمر

يا ابن مياح اليك المشتكى * مالك من بعدكم قد ملكا
كنت فى حيى مطاعا آمرا * نائلا ما شئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر مرصد * لا أرى الا خبيثا ممسكا
كم تثنينا كاغصان اللوا * حيث لا نخشى علينا دركا

فأجابها

بنت عمى والتى غذيتها * بالهوى حتى علا واحتبكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفها * لو غدا ينفع منا المشتكى
مالك الامر اليه اشتكى * مالك وهو الذى قد ملكا

قال وللناس فى طلب ابن مياح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طى فى قصر الآمر طراد بن مهلهل السنبسى فبلغته هذه القضية فقال

ألا بلغوا الآمر المصطفى * مقال طراد ونعم المقال
قطعت الاليفين عن ألفة * بها سمر الحى بين الرجال
كذا كان آباؤك الاكرمون * سالت فقل لى جواب السؤال

فقال الخليفة الآمر لما بلغته الابيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله وطلب فى أحياء العرب فلم يوجد فقالت العرب ما أخسر صفقة طراد باع أبيات الحى بثلاثة أبيات وكان بالاسكندرية مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن احمد بن الحسن بن حديد له مروءة عظيمة ويحتذى أفعال البرامكة وللشعراء فيه أمداح كثيرة مدحه ظافر الحداد وأمية بن أبى الصلت وغيرهما وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام وهو قطعة واحدة وينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من كبره وكان يجد فى نفسه برؤيته زيادة على أهل التنعم والمباهاة فى عصره فوشى به للبدوية محبوبة الآمر فسألت الخليفة الآمر فى حمل الجرن اليها فأرسل الى ابن حديد باحضار الجرن فلم يجد بدا من حمله من البستان فلما صار الى الآمر أمر بعمله فى الهودج فقلق ابن حديد وصارت فى قلبه حرارة من أخذ الجرن فأخذ يخدم البدوية ومن يلوذ بها بانواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد فى الكثرة حتى قالت البدوية هذا الرجل أخجلنا بكثرة تحفه ولم يكلفنا قط امرا نقدر عليه عند الخليفة مولانا فلما قيل له هذا القول عنها قال مالى حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول حياتها فى عز غير رد الفسقية التى قلعت من دارى التى بنيتها

فى أيامهم من نعمتهم تردّ الى مكانها فتعجبت من ذلك وردّتها عليه فقيل له حصلت فى حدّ أن خبرتك البدوية فى جميع المطالب فنزلت همتك الى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسي ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب فى أخذ ذلك الحجر من مكانه وقد بلغها الله أملها وكان هذا المكين متولى قضاء الاسكندرية ونظرها فى أيام الآمر وبلغ من علوّ همته وعظم مروءته أن سلطان الملوك حيدرة أخا الوزير المأمون بن البطائحى لما قلده الآمر ولاية ثغر الاسكندرية فى سنة سبع عشرة وخمسمائة وأضاف اليه الاعمال البحرية ووصل الى الثغر ووصف له الطبيب دهن شمع بحضور القاضى المذكور فأمر فى الحال بعض غلمانه بالمضى الى داره لاحضار دهن شمع فما كان أكثر من مسافة الطريق الا أن أحضر حقا مختوما ففك عنه فوجد فيه منديل لطيف مذهب على مداف بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر بيت دهن بمسك وبيت دهن بكافور وبيت دهن بعنبر طيب ولم يكن فيه شئ مصنوع لوقته فعندما أحضره الرسول تعجب المؤتمن والحاضرون من علوّ همته فعندما شاهد القاضى ذلك بالغ فى شكر انعامه وحلف بالحرام ان عاد الى ملكه فكان جواب المؤتمن قد قبلته منك لا لحاجة اليه ولا لنظر فى قيمته بل لاظهار هذه الهمة واذاعتها وذكر أن قيمة هذا المداف وما عليه خمسمائة دينار فانظر رحمك الله الى من يكون دهن الشمع عنده فى اناء قيمته خمسمائة دينار ودهن الشمع لا يكاد أكثر الناس يحتاج اليه البتة فماذا تكون ثيابه وحلى نسائه وفرش داره وغير ذلك من التجملات وهذا انما هو حال قاضى الاسكندرية ومن قاضى الاسكندرية بالنسبة الى أعيان الدولة بالحضرة وما نسبة أعيان الدولة وان عظمت أحوالهم الى أمر الخلافة وأبهتها الا يسير حقير وما زال الخليفة الآمر يتردد الى الهودج المذكور الى أن ركب يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة يريد الهودج وقد كمن له عدّة من النزارية فى فرن عند رأس الجسر من ناحية الروضة فوثبوا عليه وأثخنوه بالجراحة حتى هلك وحمل فى العشارى الى اللؤلؤة فمات بها وقيل قبل أن يصل اليها وقد خرب هذا الهودج وجهل مكانه من الروضة ولله عاقبة الامور

(قصر القرافة) وكان لهم بالقرافة قصر بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز فى سنة ست وستين وثلثمائة على يد الحسين بن عبد العزيز الفارسى المحتسب هو والحمام الذى فى غربيه وبنت البئر والبستان وجامع القرافة وكان هذا القصر نزهة من النزه من أحسن الآثار فى اتقان بنيانه وصحة اركانه وله منظرة مليحة كبيرة محمولة على قبو مادّ تجوز المارّة من تحته ويقيل المسافرون فى ايام القيظ هنالك ويركب الراكب اليه على زلاقة وكان كأحسن ما يكون من البناء وتحته حوض لسقى الدواب يوم الحلول فيه وكان مكانه بالقرب من مسجد الفتح ولما كان فى سنة عشرين وأربعمائة جدّده الخليفة الآمر وعمل تحته مصطبة للصوفية وكان يجلس فى الطاق بأعلى القصر ويرقص أهل الطريقة من الصوفية والمجامر بالالوية موضوعة بين ايديهم والشموع الكثيرة تزهر وقد بسط تحتهم حصر من فوقها بسط ومدّت لهم الاسمطة التى عليها كل نوع لذيذ ولون شهى من الاطعمة والحلوى أصنافا مصنفة فاتفق أن تواجد الشيخ ابو عبد الله بن الجوهرى الواعظ ومزق مرقعته وفرّقت على العادة خرقا وسأل الشيخ ابو اسحاق ابراهيم المعروف بالقارح المقرى خرقة منها ووضعها فى راسه فلما فرغ التمزيق قال الخليفة الآمر بأحكام الله من طاق بالمنظرة يا شيخ أبا اسحق قال لبيك يا مولانا قال اين خرقتى فقال مجيبا له فى الحال ها هى على رأسى يا أمير المؤمنين فاستحسن الآمر ذلك وأعجبه موقعه فأمر فى الساعة والوقت فأحضر من خزائن الكسوات ألف نصفية ففرّقت على الحاضرين وعلى فقراء القرافة ونثر عليهم متولى بيت المال من الطاق ألف دينار فتخاطفها الحاضرون وتعاهد المغربلون الارض التى هنالك اياما لاخذ ما يواريه التراب وما برح قصر الاندلس بالقرافة حتى زالت الدولة فهدم فى شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمسمائة

(المنظرة ببركة الحبش) وكانت لهم منظرة تشرف على بركة الحبش قال الشريف ابو عبد الله محمد الجوانى فى كتاب النقط على الخطط ان الخليفة الآمر بأحكام الله بنى على المنظرة التى يقال لها بتردكة الحركة منظرة من خشب مدهونة فيها طاقات تشرف على خضرة بركة الحبش وصوّر فيها الشعراء كل شاعر وبلده واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر فى المدح وذكر الحركاة وكتب ذلك عند رأس كل شاعر وبجانب صورة

كل منهم رف لطيف مذهب فلما دخل الآخر وقرأ الاشعار أمر أن يحط على كل رف صرة مختومة فيها خمسون دينارا وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرته بيده ففعلوا ذلك وأخذوا صررهم وكانوا عدة شعراء

(البساتين) وكان للخلفاء عدة بساتين يتنزهون بها منها البساتين الجيوشية وهما بستانان كبيران أحدهما من عند زقاق الكحل خارج باب الفتوح الى المطرية والآخر يمتد من خارج باب القنطرة الى الخندق وكان لهما شأن عظيم ومن شدة غرام الافضل بالبستان الذى كان يجاور بستان البعل عمل له سورا مثل سور القاهرة وعمل فيه بحرا كبيرا وقبة عشارى تحمل ثمانية أرادب وبنى فى وسط البحر منظرة محمولة على اربع عواميد من احسن الرخام وحفها بشجر النارنج فكان نارنجها لا يقطع حتى يتساقط وسلط على هذا البحر أربع سواق وجعل له معبرا من نحاس مخروط زنته قنطار وكان يملأ فى عدة أيام وجلب اليه من الطيور المسموعة شيأ كثيرا واستخدم للحمام الذى كان به عدة مطيرين وعمر به أبراجا عدة للحمام والطيور المسموعة وسرح فيه كثيرا من الطاوس وكان البستانان اللذان على يسار الخارج من باب الفتوح بينهما بستان الخندق لكل منهما اربعة ابواب من الاربع جهات على كل منها عدة من الارمن وجميع الدهاليز مؤزرة بالحصر العبدانى وعلى أبوابها سلاسل كثيرة من حديد ولا يدخل منها الا السلطان وأولاده وأقاربه * قال ابن عبد الظاهر واتفقت جماعة على أن الذى يشتمل عليه مبيعهما فى السنة من زهر وثمر نيف وثلاثون ألف دينار وانها لا تقوم بمؤنتهما على حكم اليقين لا الشك وكان الحاصل بالبستان الكبير والمحسن الى آخر الايام الآمرية وهى سنة اربع وعشرين وخمسمائة ثمانمائة وأحد عشر رأسا من البقر ومن الجمال مائة وثلاثة رؤس ومن العمال وغيرهم ألف رجل وذكر أن الذى دار سور البستانين من سنط وجميز وأثل من اول حدهما الشرقى وهو ركن بركة الارمن مع حدهما البحرى والغربى جميعا الى آخر زقاق الكحل فى هذه المسافة الطويلة سبعة عشر ألف ألف وما ئتا شجرة وبقى قبليهما جميعا لم يحصن وان السنط تغصن حتى لحق بالجميز فى العظم وان معظم قرظه يسقط الى الطريق فيأخذه الناس وبعد ذلك يباع بأربعمائة دينار وكان به كل ثمرة لها دوبرة مفردة وعليها سياج وفيها نخل منقوش فى ألواح عليها برسم الخاص لا تجنى الا بحضور المشارف وكان فيهما ليمون تفاحى يؤكل بقشره بغير سكر وأقام هذان البستانان بيد الورثة الجيوشية مع البلاد التى لهم مدة ايام الوزير المأمون لم تخرج عنهم وكشف ذلك فى ايام الخليفة الحافظ فكان فيهما ستمائة رأس من البقر وثمانون جملا وقوم ما عليهما من الاثل والجميز فكانت قيمته مائتى ألف دينار وطلب الامير شرف الدين وكانت له حرمة عظيمة من الخليفة الحافظ قطع شجرة واحدة من سنط فأبى عليه فتشفع اليه وقومت بسبعين دينارا فرسم الخليفة ان كانت وسط البستان تقطع والا فلا ولما جرى فى آخر ايام الحافظ ما جرى من الخلف ذبحت ابقاره وجماله ونهب ما فيه من الآلات والانقاض ولم يبق الا الجميز والسنط والاثل لعدم من يشتريه انتهى وكان هذان البستانان من جملة الحبس الجيوشى وهو أن أمير الجيوش بدرا الجمالى حبس عدة بلاد وغيرها منها فى البر الشرقى بناحية بهتيت والاميرية والمنية وفى البر الغربى ناحية سفط ونهيا ووسيم مع هذين البستانين المذكورين على عقبه فاستأجر هذا الحبس الوزراء مدة سنين بأجرة يسيرة وصار يزرع فى الشرقى منه الكتان ومنه ما تبلغ قطيعته ثلاثة دنانير ونصفا وربعا عن كل فدان فتناولوا فيه ربحا جزيلا لا تقسم فلما بعد العهد انقرضت أعقابه ولم يبق من ذريته سوى امرأة كبيرة فأفتى الفقهاء بأن هذا الحبس باطل فصار للديوان السلطانى يتصرف فيه ويحمل متحصله مع اموال بيت المال وتلاشت البساتين وبنى فى اماكنها ما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وبنى العزيز بالله بستانا بناحية سردوس

(قبة الهواء) وكان من احسن متنزهات الخلفاء الفاطميين قبة الهواء وهى مستشرف بهج بديع فيما بين التاج والخمس وجوه يحيط به عدة بساتين لكل بستان منها اسم ولهذه القبة فرش معدة فى الشتاء والصيف ويركب اليها الخليفة فى ايام الركوبات التى هى يوم السبت والثلاثاء

(بحر أبى المنجا) وكان من متنزهات الخلفاء يوم فتح بحر أبى المنجا قال ابن المامون وكان الماء لا يصل الى الشرقية الا من السردوسى ومن الصماصم ومن المواضع البعيدة فكان اكثرها يشرق فى اكثر السنين وكان ابو المنجا اليهودى مشارف الاعمال المذكورة فتضرر المزارعون اليه وسألوا فى فتح ترعة يصل الماء منها فى ابتدائه اليهم فابتدأ بحفر خليج أبى المنجا فى يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسمائة وركب الافضل بن أمير

الجيوش ضحى وصحبته القائد أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي وجميع اخوته والعساكر تحاذيه فى البر وجمعت شيوخ البلاد وأولادها وركبوا فى المراكب ومعهم حزم البوص فى البحر وصار العشارى والمراكب تتبعها الى أن رماها الموج الى الموضع الذى حفروا فيه البحر وأقام الحفر فيه سنتين وفى كل سنة تتبين الفائدة فيه ويتضاعف من ارتفاع البلاد ما يهون الغرامة عليه * ولما عرض على الافضل جملة ما أنفق فيه استعظمه وقال غرمنا هذا المال جميعه والاسم لابى المنجا فغير اسمه ودعى بالبحر الافضلى فلم يتم ذلك ولم يعرف الا بأبى المنجا ثم جرى بين أبى المنجا وبين ابن أبى الليث صاحب الديوان بسبب الذى انفق خطوب أدت الى اعتقال أبى المنجا عدة سنين ثم نفى الى الاسكندرية بعد أن كادت نفسه تتلف ولم يزل القائد أبو عبد الله بن فاتك يتلطف بحاله الى تضاعف من عبرة البلاد ما سهل أمر النفقة فيه ورأيت بخط ابن عبد الظاهر وهذا ابو المنجا هو جد بنى صفير الحكماء اليهود والذين أسلموا منهم ولما طال اعتقال أبى المنجا فى الاسكندرية فى مكان بمفرده مضيقا عليه تحيل فى تحصيل مصحف وكتب ختمة وكتب فى آخرها كتبها ابو المنجا اليهودى وبعثها الى السوق ليبيعها فقامت قيامة اهل الثغر وطولع بأمره الى الخليفة فأخرج وقيل له ما حملك على هذا فقال طلب الخلاص بالقتل فأدب وأطلق سبيله وقيل انه كان فى محبسه حية عظيمة فأحضر اليه فى بعض الايام لبن فرأى الحية وقد شربت منه ودخلت جحرها فصار فى كل يوم يحضر لها اللبن فتخرج وتشرب منه وتدخل مكانها ولم تؤذه ولما ولى المأمون البطائحى وزارة الآمر بأحكام الله بعد الافضل بن أمير الجيوش تحدث الآمر معه فى رؤية فتح هذا الخليج وأن يكون له يوم كخليج القاهرة فندب الآمر معه عدى الملك أبا البركات بن عثمان وكيله وأمره بأن يبنى على مكان السد منظرة متسعة تكون من بحرى السد وشرع فى عمارتها بعد كمال النيل ومازال يوم فتح سد هذا البحر يوما مشهودا الى أن زالت الدولة الفاطمية فلما استولى بنو أيوب من بعدهم على مملكة مصر أجروا الحال فيه على ما كان قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمائة وركب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب لفتح بحر أبى المنجا وعاد قال وفى سنة تسعين وخمسمائة كسر بحر أبى المنجا بعد أن تأخر كسره عن عيد الصليب بسبعة ايام وكان ذلك لقصور النيل فى هذه السنة ولم يباشر السلطان الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين بنفسه وركب أخوه شرف الدين يعقوب الطواشى لكسره وبدت فى هذا اليوم من مخايل القبوط ما يوجبه سوء الافعال من المجاهرة بالمنكرات والاعلان بالفواحش وقد افرط هذا الامر واشترك فيه الآمر والمأمور ولم ينسلخ شهر رمضان الا وقد شهد ما لم يشهده رمضان قبله فى الاسلام وبدا عقاب الله فى الماء الذى كانت المعاصى على ظهره فان المراكب كان يركب فيها فى رمضان الرجال والنساء مختلطين مكشفات الوجوه وأيدى الرجال تنال منها ما تنال فى الخلوات والطبول والعيدان مرتفعات الاصوات والصيحات واستنابوا فى الليل عن الخمر بالماء والجلاب ظاهرا وقيل انهم شربوا الخمر مستورا وقربت المراكب بعضها من بعض وعجز المنكر عن الانكار الا بقلبه ورفع الامر الى السلطان فندب حاجبه فى بعض الليالى ففرق منهم من وجده فى الحالة الحاضرة ثم عادوا بعد عوده وذكر أنه وجد فى بعض المعادى خمرا فأراقه ولما استهل شوال وهو مطموع فيه تضاعف هذا المنكر وفشت هذه الفاحشة ونسأل الله العفو والعافية عن الكبائر والتجاوز عما تسقط فيه المعاذر * وقال فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كسر بحر أبى المنجا وباشر العزيز كسره وزاد النيل فيه اصبعا وهى الاصبع الثامنة عشرة من ثمانى عشر ذراعا وهذا الخليج يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى وقد تلاشى فى زمننا امر الاجتماع فى يوم فتح سد بحر أبى المنجا وقل الاحتفال به لشغل الناس بهم المعيشة

(قصر الورد بالخاقانية) وكان من ايام منتزهات الخلفاء يوم قصر الورد بناحية الخاقانية وهى قرية من قرى قليوب كانت من خاص الخليفة وبها جنان كثيرة للخليفة وكانت من أحسن المنتزهات المصرية وكان بها عدة دويرات يزرع فيها الورد فيسير اليها الخليفة يوما ويصنع له فيها قصر عظيم من الورد ويخدم بضيافة عظيمة * قال ابن الطوير عن الخليفة الآمر بأحكام الله وعمل له بالخاقانية وكانت من خاص الخليفة قصر من ورد فسار اليها يوما وخدم بضيافة عظيمة فلما استقر هناك خرج اليه أمير يقال له حسام الملك من الامراء الذين كانوا مع المؤتمن أخى المأمون البطائحى وتخاذلوا عنه فوصل الى الخاقانية وهو لابس لامة حربه

والتمس المثول بين يديه يعنى الخليفة فاستقل ماجاء به فى ذلك الوقت مما ينافى مافيه الخليفة من الراحة والنزهة وحيل بينه وبين مقصوده فقال لجماعة من حواشى الخليفة انتم منافقون على الخليفة ان لم اصل اليه فانه يعاقبكم بذلك فأطلعوا الخليفة على أمره وحليته بالسلاح وقوله فأمر باحضاره فلما وقعت عينه عليه قال يامولانا لمن تركت اعداءك يعنى الوزير المأمون البطائحى وأخاه وكان الآخر قد قبض عليهما واعتقلهما هذا والعهد قريب غير بعيد أأمنت الغدر فأجابه الاوهو على الرها ويج من الخيل فلم تمض ساعة الاوهو بالقصر فمضى الى مكان اعتقال المأمون وأخيه فزادهما وثاقا وحراسة وفى أثناء ذلك وصل ابن نجيب الدولة الذى كان سيره المأمون فى وزارته الى اليمن لتحقيق نسبه أنه ولد من جارية نزار بن المستنصر لما خرجت من القصر وهى به حامل ويدعو اليه بقية الناس وأحضر الى القاهرة على جمل مشهوراً فأدخل خزانة البنود وقتل هو والمأمون وجماعة فى تلك الليلة وصلبوا ظاهر القاهرة

(بركة الجب) هى بظاهر القاهرة من بحريها وتسميها العامة فى زمننا هذا الذى نحن فيه بركة الحاج لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة الى الحج فى كل سنة ونزولهم عند العود بها ومنها يدخلون الى القاهرة ومن الناس من يقول جب يوسف وهو خطأ وانما هى أرض جب عميرة وعميرة هذا هو ابن تميم بن جزء التجيبى من بنى القرناء نسبت هذه الارض اليه فقيل لها أرض جب عميرة ذكره ابن يونس وكان من عادة الخليفة المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر بن الحاكم فى كل سنة أن يركب على النجب مع النساء والحشم الى جب عميرة هذا وهو موضع نزهة بهيئة أنه خارج الى الحج على سبيل اللعب والمجانة وربما حمل معه الخمر فى الروايا عوضا عن الماء ويسقيه من معه وأنشده مرة الشريف ابو الحسن على بن الحسين بن حيدرة العقيلى فى يوم عرفة

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء * ولا تضح ضحى الا بصهباء
وادرك حجيج الندامى قبل نفرهم * الى منى قصفهم مع كل هيفاء
وعج على مكة الروحاء مبتكرا * فطف بها حول ركن العود والناى

قال ابن دحية فخرج فى ساعته بروايا الخمر تزجى بنغمات حداة الملاهى وتساق حتى أناخ بعين شمس فى كبكبة من الفساق فأقام بها سوق الفسوق على ساق وفى ذلك العام أخذه الله تعالى واهل مصر بالسنين حتى بيع فى ايامه الرغيف بالثمن الثمين وعاد ماء النيل بعد عذوبته كالغسلين ولم يبق بشاطئيه أحد بعد أن كانا محفوفين بحور عين وقال ابن ميسر فلما كان فى جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وأربعمائة خرج المستنصر على عادته الى بركة الجب فاتفق أن بعض الاتراك جرد سيفا فى سكر منه على بعض عبيد الشراء فاجتمع عليه طائفة من العبيد وقتلوه فاجتمع الاتراك بالمستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان عن غير رضاك فلا نرضى بذلك فأنكر المستنصر ما وقع وتبرأ مما فعله العبيد فتجمع الاتراك لحرب العبيد وبرز بعضهم الى بعض وكان بين الفريقين قتال شديد على كوم شريك انهزم فيه العبيد وقتل منهم عدد كثير وكانت أم المستنصر تعين العبيد وتمدهم بالاموال والاسلحة فاتفق فى بعض الايام أن بعض الاتراك ظفر بشئ مما تبعث به أم المستنصر الى العبيد فأعلم بذلك اصحابه وقد قويت شوكتهم بانهزام العبيد فاجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر وخاطبوه فى ذلك وأغلظوا فى القول وجهروا بما لا ينبغى وصار السيف قائما والحروب متتابعة الى أن كان من خراب مصر بالغلاء والفتن ما كان وكان من قبل المستنصر يترددون الى بركة الجب قال المسبحى ولاثنتى عشرة خلت من ذى القعدة سنة أربع وثمانين وثلثمائة عرض العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة عند سطح الجب فنصب له مضرب ديباج رومى فيه ألف ثوب بصفرية فضة ونصبت له فازة منقل وقبة منقل بالجوهر وضرب لابنه الامير أبى على منصور مضرب آخر وعرضت العساكر وكان عدتها مائة عسكرى وأقبلت أسارى الروم وعدتهم مائتان وخمسون فطيف بهم وكان يوما عظيما حسنا لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوة النهار الى صلاة المغرب ومازالت بركة الجب منتزها للخلفاء والملوك من بنى ايوب وكان السلطان صلاح الدين يبرز اليها للصيد ويقيم فيها الايام وفعل ذلك الملوك من بعده واعتنى بها الملك الناصر محمد بن قلاون وبنى بها احواشا وميدانا كما سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى وبركة الجب ومايليها فى درك بنى صبرة وهم ينسبون الى صبرة

ابن بطيع بن مغالة بن دعجان بن عنب بن الكليب بن أبي عمرو بن دمية بن جدس بن اريش بن اراش بن جزيلة ابن لخم فهم أحد بطون لخم وفيهم بنو جذام بن صبرة بن بصرة بن غنم بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام أخى لخم

(المشتهى) وكان من مواضعهم التى أعدت للنزهة المشتهى

(ذكر الايام التى كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادا ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم)

وكان للخلفاء الفاطميين فى طول السنة أعياد ومواسم وهى موسم رأس السنة وموسم اول العام ويوم عاشوراء ومولد النبى صلى الله عليه وسلم ومولد على بن أبى طالب رضى الله عنه ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام ومولد الخليفة الحاضر وليلة اول رجب وليلة نصفه وليلة اول شعبان وليلة نصفه وموسم ليلة رمضان وغرة رمضان وسماط رمضان وليلة الختم وموسم عيد الفطر وموسم عيد النحر وعيد الغدير وكسوة الشتاء وكسوة الصيف وموسم فتح الخليج ويوم النوروز ويوم الغطاس ويوم الميلاد وخميس العدس وأيام الركوبات

(موسم رأس السنة) وكان للخلفاء الفاطميين اعتناء بليلة اول المحرم فى كل عام لانها اول ليالى السنة وابتداء أوقاتها وكان من رسومهم فى ليلة رأس السنة أن يعمل بمطبخ القصر عدة كثيرة من الخراف المقموم والكثير من الرؤس المقموم وتفرق على جميع أرباب الرتب واصحاب الدواوين من العوالى والادوان أرباب السيوف والاقلام مع جفان اللبن والخبز وأنواع الحلواء فيعم ذلك سائر الناس من خاص الخليفة وجهاته والاستاذين المحنكين الى أرباب الضوء وهم المشاعلية وينتقل ذلك فى ايدى اهل القاهرة ومصر

(موسم اول العام) وكان لهم باول العام عناية كبيرة فيه يركب الخليفة بزيه المفخم وهيئته العظيمة كما تقدم ويفرق فيه دنانير الغرة التى مر ذكرها عند ذكر دار الضرب ويفرق من السماط الذى يعمل بالقصر لاعيان أرباب الخدم من أرباب السيوف والاقلام بتقرير مرتب خرفان شواء وزبادى طعام وجامات حلواء وخبز وقطع منفوخة من سكر وأرز بلبن وسكر فيتناول الناس من ذلك ما يجل وصفه ويتبسطون بما يصل اليهم من دنانير الغرة من رسوم الركوب كما شرح فيما تقدم

(يوم عاشوراء) كانوا يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الاسواق ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسينى فانظره وكان يصل الى الناس منه شئ كثير فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بنى أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم ويتبسطون فى المطاعم ويصنعون الحلاوات ويتخذون الاوانى الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جريا على عادة أهل الشام التى سنها لهم الحجاج فى ايام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة على بن أبى طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن على لانه قتل فيه وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو ايوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط وكلا الفعلين غير جيد والصواب ترك ذلك والاقتداء بفعل السلف فقط * وما أحسن قول أبى الحسين الجزار الشاعر يخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الاهراء وكتب بها اليه ليلة عاشوراء عندما اخرعنه ما كان من جاريه فى الاهراء

قل لشهاب الدين ذى الفضل الندى * والسيد بن السيد بن السيد
أقسم بالفرد العلى الصمد * ان لم يبادر لنجاز موعدى
لاحضرن للهناء فى غد * مكحل العينين مخضوب اليد

يعرض للشريف بما يرمى به الاشراف من التشيع وانه اذا جاءه بهيئة السرور فى يوم عاشوراء غاظه ذلك لانه من أفعال الغضب وهو من أحسن ما سمعته فى التعريض فلله دره

(عيد النصر) وهو السادس عشر من المحرم عمله الخليفة الحافظ لدين الله لانه اليوم الذى ظهر فيه من محبسه ويفعل فيه ما يفعل فى الاعياد من الخطبة والصلاة والزينة والتوسعة فى النفقة وكتب فيه ابو القاسم على ابن الصيرفى الى بعض الخطباء عيد النصر وهو أفضل الاعياد وأسناها وأعلاها وأدلها على تقصير الواصف

اذا بلغ وتناهى ونحن نأمرك أن تبرز فى يوم الاحد السادس عشر من المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة على الهيئة التى جرت العادة بمثلها فى الاعياد وتوعد بأن تقرأ على الناس الخطبة التى سيرناها اليك قرين هذا الامر بشرح هذا اليوم وتفصيله وذكر ما خصه الله به من تشريفه وتفضيله وتعتمد فى ذلك ما جرى الرسم فيه فى كل عيد وتنتهى فيه الى الغاية التى ليس عليها مزيد فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

*(المواليد الستة) كانت مواسم جليلة يعمل الناس فيها ميزات من ذهب وفضة وخشكنانج وحلواء كما مرّ ذلك

(ليالى الوقود الاربع) كانت من أبهج الليالى وأحسنها يحشر الناس لمشاهدتها من كل اوب وتصل الى الناس فيها انواع من البرّ وتعظم فيها ميزة أهل الجوامع والمشاهد فانظره فى موضعه تجده

(موسم شهر رمضان) وكان لهم فى شهر رمضان عدّة أنواع من البرّ منها كشف المساجد قال الشريف الجوّانى فى كتاب النقط كان القضاة بمصر اذا بقى لشهر رمضان ثلاثة ايام طافوا يوما على المشاهد والمساجد بالقاهرة ومصر فيبدؤن بجامع المقس ثم بجوامع القاهرة ثم بالمشاهد ثم بالقرافة ثم بجامع مصر ثم بمشهد الرأس لنظر حصر ذلك وقناديله وعمارته وازالة شعثه وكان اكثر الناس ممن يلوذ بباب الحكم والشهود والطفيليون يتعينون لذلك اليوم والطواف مع القاضى لحضور السماط

(ابطال المسكرات) قال ابن المأمون وكانت العادة جارية من الايام الافضلية فى آخر جمادى الآخرة من كل سنة أن تغلق جميع قاعات الخمارين بالقاهرة ومصر وتختم ويحذر من بيع الخمر فرأى الوزير المأمون لما ولى الوزارة بعد الافضل بن أمير الجيوش أن يكون ذلك فى سائر أعمال الدولة فكتب به الى جميع ولاة الاعمال وأن ينادى بأنه من تعرّض لبيع شئ من المسكرات أو لشرائها سرّا اوجهرا فقد عرّض نفسه لتلافها وبرئت الذمة من هلاكها

(ومنها غرّة رمضان) وكان فى اوّل يوم من شهر رمضان يرسل لجميع الامراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم لكل واحد طبق ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه حلواء وبوسطه صرّة من ذهب فيعم ذلك سائر أهل الدولة ويقال لذلك غرّة رمضان

(ومنها ركوب الخليفة فى اوّل شهر رمضان) قال ابن الطوير فاذا انقضى شعبان اهتمّ بركوب اوّل شهر رمضان وهو يقوم مقام الرؤية عند المتشيعين فيجرى أمره فى اللباس والآلات والاسلحة والعرض والركوب والترتيب والموكب والطريق المسلوكة كما وصفناه فى اوّل العام لا يختل بوجه ويكتب الى الولاة والنوّاب والاعمال بمساطير مخلقة يذكر فيها ركوب الخليفة

(ومنها سماط شهر رمضان) وقد تقدّم ذكر السماط فى قاعة الذهب من القصر

(سحور الخليفة) قال ابن المأمون وقد ذكر أسمطة رمضان وجلوس الخليفة بعد ذلك فى الروشن الى وقت السحور والمقرؤن تحته يتلون عشرا ويطربون بحيث يشاهدهم الخليفة ثم حضر بعدهم المؤذنون واخذوا فى التكبير وذكر فضائل السحور وختموا بالدعاء وقدّمت المخادّ للوعاظ فذكروا فضائل الشهر ومدح الخليفة والصوفيات وقام كل من الجماعة للرقص ولم يزالوا الى أن انقضى من الليل اكثر من نصفه فحضر بين يدى الخليفة استاذ بما انعم به عليهم وعلى الفرّاشين وأحضرت جفان القطائف وجرار الجلاب برسمهم فأكلوا وملؤا اكمامهم وفضل عنهم ما تخطفه الفرّاشون ثم جلس الخليفة فى السدلا التى كان بها عند الفطور وبين يديه المائدة معباة جميعها من جميع الحيوان وغيره والقعبة الكبيرة الخاص مملوءة أوساطه بالهمة المعروفة وحضر الجلساء واستعمل كل منهم ما اقتدر عليه وأومأ الخليفة بأن يستعمل من القعبة فيفرّق الفرّاشون عليهم اجمعين وكل من تناول شيأ قام وقبل الارض وأخذ منه على سبيل البركة لاولاده واهله لان ذلك كان مستفاضا عندهم غير معيب على فاعله ثم قدمت الصحون الصينى مملوءة قطائف فأخذ منها الجماعة الكفاية وقام الخليفة وجلس بالباذهنج وبين يديه السحورات المطيبات من لبنين رطب ومخض وعدّة انواع عصارات وافطلوات وسويق ناعم وجريش جميع ذلك بقلوبات وموز ثم يكون بين يديه صينية ذهب مملوءة سفوفا وحضر الجلساء وأخذ كل منهم فى تقبيل الارض والسؤال بما ينعم عليه منه فتناوله المستخدمون والاستاذون

وفرقوه فأخذه القوم فى أكمامهم ثم سلم الجميع وانصرفوا

*(ومنها الختم فى آخر رمضان) * وكان يعمل فى التاسع والعشرين منه * قال ابن المأمون ولما كان التاسع والعشرون من شهر رمضان خرج الامر بأضعاف ماهو مستقر للمقرئين والمؤذنين فى كل ليلة برسم السحور بحكم انها ليلة ختم الشهر وحضر الاجل الوزير المأمون فى آخر النهار الى القصر للفطور مع الخليفة والحضور على الاسمطة على العادة وحضر اخوته وعمومته وجميع الجلساء وحضر المقرئون والمؤذنون وسلموا على عادتهم وجلسوا تحت الروشن وحل من عند معظم الجهات والسيدات والمميزات من اهل القصور ثلاجى وموكبيات مملوءة ماء ملفوفة فى عراضى ديبقى وجعلها أمام المذكورين لتشملها بركة ختم القرآن الكريم واستفتح المقرئون من الحمد الى خاتمة القرآن تلاوة وتطريبا ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ودعا فأبلغ ورفع الفراشون ماأعدوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا فى الصوفيات الى أن نثر عليهم من الروشن دنانير ودراهم ورباعيات وقدمت جفان القطائف على الرسم مع البسندود والحلواء فجروا على عادتهم وملؤا أكمامهم ثم خرج استاذ من باب الدار الجديدة بخلع خلعها على الخطيب وغيره ودراهم تفرق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين

*(ذكر مذاهبهم فى أول الشهور) *

اعلم أن القوم كانوا شيعة ثم غلوا حتى عدوا من غلاة أهل الرفض والشيعة فى اثناء الشهور وعمل أحسن مارأيت فيه ماحكاه ابو الريحان محمد بن أحمد البيرونى فى كتاب الآثار العافية عن القرون الخالية قال وفى سنين من الهجرة نجمت ناجمة لاجل أخذهم بالتأويل الى اليهود والنصارى فاذا لهم جداول وحسبانات يستخرجون بها شهورهم ويعرفون منها صيامهم والمسلمون مضطرون الى رؤية الهلال وتفقد ماأكتساه القمر من النور وجدوهم شاكين فى ذلك مختلفين فيه مقلدين بعضهم بعضا فى عمل رؤية الهلال بطريق الزيجات فرجعوا الى اصحاب علم الهيئة فألفوا زيجاتهم مفتتحة بمعرفة اوائل مايراد من شهور العرب بصنوف الحسبانات فظنوا أنها معمولة لرؤية الاهلة فأخذوا بعضها ونسبوه الى جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وزعموا أنه سر من أسرار النبوة وتلك الحسبانات مبنية على حركات التدبير الوسطى دون المعدلة ومعمولة على سنة القمر التى هى ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس يوم وسدس يوم وأن ستة أشهر من السنة تامة وستة أشهر ناقصة وان كل ناقص منها فهو تال لتام فلما قصدوا استخراج الصوم والفطر بها خرجت قبل الواجب بيوم فى اغلب الاحوال فأولوا قوله عليه السلام صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وقالوا معنى صوموا لرؤيته اى صوموا اليوم الذى يرى فى عشيته كما يقال تهيؤا لاستقباله فيتقدم التهيؤ على الاستقبال قال ورمضان لاينقص عن ثلاثين يوما أبدا

قوله وفى سنين الخ هكذا هذه العبارة موجودة فى جميع النسخ التى بيدى ولايخفى مافيها من الركاكة والسقامة فلتحرر بمراجعة اصلها اه مصححه

*(قافلة الحاج) * قال فى كتاب الذخائر والتحف ان المنفق على الموسم كان فى كل سنة تسافر فيها القافلة مائة ألف وعشرين ألف دينار منها ثمن الطيب والحلواء والشمع راتبا فى كل سنة عشرة آلاف دينار ومنها نفقة الوفد الواصلين الى الحضرة أربعون ألف دينار ومنها فى ثمن الجمايات والصدقات واجرة الجمال ومعونة من يسير من العسكرية وكبير الموسم وخدم القافلة وحفر الآبار وغير ذلك ستون ألف دينار وان النفقة كانت فى ايام الوزير البازورى قد زادت فى كل سنة وبلغت الى مائتى ألف دينار ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك فى دولة من الدول

*(موسم عيد الفطر) * وكان لهم فى موسم عيد الفطر عدة وجوه من الخيرات منها تفرقة الفطرة وتفرقة الكسوة وعمل السماط وركوب الخليفة لصلاة العيد وقد تقدم ذكر ذلك كله فيما سبق

*(عيد النحر) * فيه تفرقة الرسوم من الذهب والفضة وتفرقة الكسوة لارباب الخدم من اهل السيف والقلم وفيه ركوب الخليفة لصلاة العيد وفيه تفرقة الاضاحى كما مر ذلك مبينا فى موضعه من هذا الكتاب

*(عيد الغدير) * فيه تزويج الايامى وفيه الكسوة وتفرقة الهبات لكبراء الدولة ورؤسائها وشيوخها وامرائها وضيوفها والاستاذين المحنكين والمميزين وفيه النحر أيضا وتفرقة النحائر على أرباب الرسوم وعتق

الرقاب

الرقاب وغير ذلك كما سبق بيانه فيما تقدم

(كسوة الشتاء والصيف) وكان لهم فى كل من فصلى الشتاء والصيف كسوة تفرّق على أهل الدولة وعلى أولادهم ونسائهم وقدمرّ ذكر ذلك

(موسم فتح الخليج) وكانت لهم فى موسم فتح الخليج وجوه من البرّ منها الركوب لتخليق المقياس ومبيت القرّاء بجامع المقياس وتشريف ابن أبى الرداد بالخلع وغيرها وركوب الخليفة الى فتح الخليج وتفرقة الرسوم على أرباب الدولة من الكسوة والعين والمأكل والتحف وقد تقدم تفصيل ذلك

(ذكر النوروز)

وكان النوروز القبطى فى أيامهم من جملة المواسم فتتعطل فيه الاسواق ويقل فيه سعى الناس فى الطرقات وتفرّق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسائهم والرسوم من المال وحوائج النوروز * قال ابن زولاق وفى هذه السنة يعنى سنة ثلاث وستين وثلثمائة منع المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز فى السكك ومن صب الماء يوم النوروز وقال فى سنة أربع وستين وثلثمائة وفى يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف أهل الاسواق وعملوا فيلة وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام وأظهروا السماجات والحلى فى الاسواق ثم أمر المعز بالنداء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء وأخذ قوم فحبسوا وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال وقال ابن ميسر فى حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة وفيها أراد الآمر بأحكام الله أن يحضر الى دار الملك فى النوروز الكائن فى جمادى الآخرة فى المراكب على ما كان عليه الافضل بن أمير الجيوش فأعاد المأمون عليه أنه لا يمكن فان الافضل لا يجرى مجراه مجرى الخليفة وحمل اليه من الثياب الفاخرة برسم النوروز للجهات ماله قيمة جليلة وقال ابن المأمون وحل موسم النوروز فى التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة به من الطراز وثغر الاسكندرية مع ما يبتاع من المذاب المذهبة والحريرى والسوادج وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها واسماء أربابها وأصناف النوروز البطيخ والرمان وعراجين الموز وأفراد البسر وأقفاص التمر القوصى وأقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ولحم الضأن ولحم البقر من كل لون بكلة مع خبز برّ مارق قال وأحضر كاتب الدفتر الاثباتات بما جرت العادة به من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها فى يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو أربعة آلاف دينار وخمسة عشر ألف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة من شقق ديبقى مذهبات وحريريات ومعاجر وعصائب مشاومات ملونات وشقق لاذ مذهب وحريرى ومشفع وفوط ديبقى حريرى فأما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عن تحوزه القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والحواشى والمستخدمون ورؤساء العشاريات وبحارتها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم فى ذلك نصيب وأما الاصناف من البطيخ والرمان والبسر والتمر والسفرجل والعناب والهرائس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم فى ذلك جميع الامراء أرباب الاطواق والاقصاب وسائر الاماثل وقد تقدم شرح ذلك فوقع الوزير المأمون على جميع ذلك بالاتفاق وقال القاضى الفاضل فى تعليق المتجددات لسنة أربع وثمانين وخمسمائة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطى وهو مستهل توت وتوت اول سنتهم وقد كان بمصر فى الايام الماضية والدولة الخالية يعنى دولة الخلفاء الفاطميين من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه والفواحش صريحة فى يومه ويركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس فى طلب رسم رتبه على دور الاكابر بالجمل الكبار ويكتب مناشير ويندب مترسمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقنع بالميسور من الهبات ويجمع المؤنثون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملاهى وترتفع الاصوات وتشرب الخمر والمزر شربا ظاهرا بينهم وفى الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء ممزوجا بالاقذار فان غلط مستور وخرج من داره لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بحرمته فاما فدى نفسه واما فضح ولم يجر

الحال فى هذا النوروز على هذا ولكن قد رش الماء فى الحارات وأحيى المنكر فى الدور أرباب الحسارات وقال فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وجرى الامر فى النوروز على العادة من رش الماء واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفر به فى الطريق رش بمياه نجسة وخرق به * قال مؤلفه رحمه الله تعالى ان اول من اتخذ النوروز جشيد ويقال فى اسمه أيضا جمشاد أحد ملوك الفرس الاول ومعناه اليوم الجديد وللفرس فيه آراء وأعمال على مصطلحهم غير أنه فى غير هذا اليوم وقد صنف على بن حمزة الاصفهانى كتابا مفيدا فى أعياد الفرس وذكر الحافظ ابو القاسم بن عساكر من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة قال كان اليوم الذى ردّ الله فيه الى سليمان بن داود خاتمه يوم النوروز فجاءت اليه الشياطين بالتحف وكانت تحفة الخطاطيف أن جاءت بالماء فى مناقيرها فرشته بين يدى سليمان فاتخذ الناس رش الماء من ذلك اليوم وعن مقاتل بن سليمان قال سمى ذلك اليوم نيروزا وذلك أنه وافق هذا اليوم الذى يسمونه النيروز فكانت الملوك تتيمن بذلك اليوم واتخذوه عيدا وكانوا يرشون الماء فى ذلك اليوم ويهدون كفعل الخطاف ويتيمنون بذلك ولله در القائل

كيف ابتهاجك بالنوروز ياسكنى * وكل مافيه يحكينى وأحكيه
فناره كلهيب النار فى كبدى * وماؤه كتوالى دمعتى فيه

وقال آخر

نورز الناس ونورز * ت ولكن بدموعى
وذكت نارهم والنار مابين ضلوعى

وقال غيره

ولما أتى النوروز ياغاية المنى * وأنت على الاعراض والهجر والصد
بعثت بنار الشوق ليلا الى الحشى * فنورزت صبحا بالدموع على الخد

(الميلاد) * وهو اليوم الذى ولد فيه عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم والنصارى تتخذ ليلة يوم الميلاد عيدا وتعمله قبط مصر فى التاسع والعشرين من كيهك ومابرح لاهل مصر به اعتناء وكان من رسوم الدولة الفاطمية فيه تفرقة الجامات المملوءة من الحلاوات القاهرية والمثارد التى فيها السمك وقرابات الجلاب وطيافير الزلابية والبورى فيشمل ذلك أرباب الدولة اصحاب السيوف والاقلام بتقرير معلوم على ماذكره ابن المأمون فى تاريخه

(الغطاس) * ومن مواسم النصارى بمصر عمل الغطاس فى اليوم الحادى عشر من طوبة * قال المسعودى فى مروج الذهب ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لاينام الناس فيها وهى ليلة احدى عشرة من طوبة ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج فى داره المعروفة بالمختار فى الجزيرة الراكبة على النيل والنيل مطيف بها وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ماأسرج اهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر النيل فى تلك الليلة مئو ألوف من الناس من المسلمين والنصارى منهم فى الزواريق ومنهم فى الدور الدانية من النيل ومنهم على الشطوط لايتناكرون كل مايمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهى والعزف والقصف وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس اكثرهم فى النيل ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ونشرة للداء وقال المسبحى فى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة كان غطاس النصارى فضربت الخيام والمضارب والاشرعة فى عدة مواضع على شاطئ النيل فنصبت اسرة للرئيس فهد بن ابراهيم النصرانى كاتب الاستاذ برجوان وأوقدت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والملهون وجلس مع أهله يشرب الى أن كان وقت الغطاس فغطس وانصرف * وقال فى سنة خمس عشرة وأربعمائة وفى ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى فجرى الرسم من الناس فى شراء الفواكه والضأن وغيره ونزل أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم لقصر جده العزيز بالله بمصر لنظر الغطاس ومعه الحرم ونودى أن لايختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم الى البحر فى الليل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود متولى الشرطتين خيمة عند الجسر

وجلس فيها وأمر الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله بأن توقد المشاعل والنار فى الليل فكان وقيدا كثيرا وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقسسوا هنالك طويلا الى أن غطسوا وقال ابن المأمون انه كان من رسوم الدولة أنه يفرّق على سائر أهل الدولة الترنج والنارنج والليمون المراكبى وأطنان القصب والسمك والبورى برسوم مقرّرة لكل واحد من أرباب السيوف والاقلام

(خميس العهد) ويسميه أهل مصر من العامّة خميس العدس ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام ويتهادون فيه وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية فى خميس العدس ضرب خمسمائة دينار ذهبا عشرة آلاف خروبة وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم كما تقدّم

(ايام الركوبات) وكان الخليفة يركب فى كل يوم سبت وثلاثاء الى متنزهاته بالبساتين والتاج وقبة الهواء والخمس وجوه وبستان البعل ودار الملك ومنازل العز والروضة فيعمّ الناس فى هذه الايام من الصدقات أنواع ما بين ذهب وما كل وأشربة وحلاوات وغير ذلك كما تقدّم بيانه فى موضعه من هذا الكتاب

(صلاة الجمعة) وكان الخليفة يركب فى كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس فى جامع القاهرة الذى يعرف بالجامع الازهر مرّة وفى جامع الخطبة المعروف بالجامع الحاكمى مرّة وفى جامع عمرو بن العاص بمصر اخرى فينال الناس منه فى هذه الجمع الثلاث رسوم وهبات وصدقات كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر الجامع الازهر * ولله درّ الفقيه عمارة اليمنى فقد ضمن مرثيته اهل القصر جملا مما ذكر وهى القصيدة التى قال ابن سعد فيها ولم يسمع فيما يكتب فى دولة بعد انقراضها أحسن منها

رميت يا دهر كف المجد بالشلل * وجيده بعد حسن الحلى بالعطل
سعيت فى منهج الراى العثور فان * قدرت من عثرات الدهر فاستقل
جدعت مارنك الاقنى فأنفك لا * ينفك ما بين قرع السن والخجل
هدمت قاعدة المعروف عن عجل * سعيت مهلا أما تمشى على مهل
لهفى ولهف بنى الآمال قاطبة * على فجيعتها فى اكرم الدول
قدمت مصر فأولتنى خلائفها * من المكارم ما أربى على الامل
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن * كمالها أنها جاءت ولم أسل
وكنت من وزراء الدست حين سما * رأس الحصان بهاديه على الكفل
ونلت من عظماء الجيش مكرمة * وخلة حرست من عارض الخلل
يا عاذلى فى هوى أبناء فاطمة * لك الملامة ان قصرت فى عذلى
بالله در ساحة القصرين وابك معى * عليهما لا على صفين والجمل
وقل لاهليهما والله ما التحمت * فيكم جراحى ولا قرحى بمندمل
ماذا عسى كانت الافرنج فاعلة * فى نسل آل أمير المؤمنين على
هل كان فى الامر شئ غير قسمة ما * ملكتم وا بين حكم السبى والنفل
وقد حصلتم عليها واسم جدكم * محمد وأبوكم غير منتقل
مررت بالقصر والاركان خالية * من الوفود وكانت قبلة القبل
فملت عنها بوجهى خوف منتقد * من الاعادى ووجه الود لم يمل
أسلت من أسف دمعى غداة خلت * رحابكم وغدت مهجورة السبل
أبكى على ما تراءت من مكارمكم * حال الزمان عليها وهى لم تحل
دار الضيافة كانت أنس وافدكم * واليوم أوحش من رسم ومن طلل
وفطرة الصوم اذ أضحت مكارمكم * تشكو من الدهر حيفا غير محتمل
وكسوة الناس فى الفصلين قد درست * ورث منها جديد عندهم وبلى
وموسم كان فى يوم الخليج لكم * يأتى تجملكم فيه على الجمل
وأول العام والعيدين كم لكم * فيهن من وبل جود ليس بالوشل

والارض تهتز فى يوم الغدير كما * يهتز مابين قصريكم من الاسل
والخيل تعرض فى وشى وفى شية * مثل العرائس فى حلى وفى حلل
ولا حملتم قرى الاضياف من سعة الاطباق الاعلى الاكتاف والعجل
وما خصصتم ببر اهل ملتكم * حتى عممتم به الاقصى من الملل
كانت رواتبكم للذمتين وللضيف المقيم وللطارى من الرسل
ثم الطراز بتنيس الذى عظمت * منه الصلات لاهل الارض والدول
وللجوامع من احسانكم نعم * لمن تصدر فى علم وفى عمل
وربما عادت الدنيا فمعقلها * منكم وأضحت بكم محلولة العقل
والله لافاز يوم الحشر مبغضكم * ولا نجا من عذاب الله غير ولى
ولا سقى الماء من حر ومن ظمأ * من كف خير البرايا خاتم الرسل
ولا رأى جنة الله التى خلقت * من خان عهد الامام العاضد ابن على
ائمتى وهداتى والذخيرة لى * اذا ارتهنت بما قدمت من عملى
تالله لم اوفهم فى المدح حقهم * لان فضلهم كالوابل الهطل
ولو تضاعفت الاقوال واتسعت * ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل
باب النجاة هم دنيا وآخرة * وحبهم فهو اصل الدين والعمل
نور الهدى ومصابيح الدجى ومحل الغيث ان ربت الانواء فى المحل
أئمة خلقوا نورا فنورهم * من محض خالص نور الله لم يغل
والله مازلت عن حبى لهم أبدا * ما اخر الله لى فى مدة الاجل

وبسبب هذه القصيدة قتل عمارة رحمه الله وتمحلت له الذنوب انتهى ماذكره رحمه الله تعالى

(ذكر ما كان من امر القصرين والمناظر بعد زوال الدولة الفاطمية)

ولما مات العاضد لدين الله فى يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة احتاط الطواشى قراقوش على اهل العاضد وأولاده فكانت عدة الاشراف فى القصور مائة وثلاثين والاطفال خمسة وسبعين وجعلهم فى مكان أفرد لهم خارج القصر وجمع عمومته وعشيرته فى ايوان بالقصر واحترز عليهم وفرق بين الرجال والنساء لئلا يتناسلوا وليكون ذلك أسرع لانقراضهم وتسلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القصر بما فيه من الخزائن والدواوين وغيرهما من الاموال والنفائس وكانت عظيمة الوصف واستعرض من فيه من الجوارى والعبيد فأطلق من كان حرا ووهب واستخدم باقيهم وأطلق البيع فى كل جديد وعتيق فاستمر البيع فيما وجد بالقصر عشر سنين وأخلى القصور من سكانها وأغلق أبوابها ثم ملكها امراءه وضرب الالواح على ما كان للخلفاء وأتباعهم من الدور والرباع وأقطع خواصه منها وباع بعضها ثم قسم القصور فأعطى القصر الكبير للامراء فسكنوا فيه وأسكن أباه نجم الدين أيوب بن شادى فى قصر اللؤلؤة على الخليج وأخذ أصحابه دور من كان ينسب الى الدولة الفاطمية فكان الرجل اذا استحسن دارا أخرج منها سكانها ونزل بها قال القاضى الفاضل وفى ثالث عشريه يعنى ربيعا الآخر سنة سبع وستين كشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقيل ان الموجود فيه مائة صندوق كسوة فاخرة من موشح ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر جمة الخطر وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش وبيان وأخليت أمكنة من القصر الغربى سكن بها الامير موسك والامير أبو الهيجاء السمين وغيره من الغز وملئت المناظر المصونة عن الناظر والمنتزهات التى لم يخطر ابتذالها فى الخاطر فسبحان مظهر العجائب ومحدثها ووارث الارض وموربها قال ومقدار ما يحدس أنه خرج من القصر ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وملبوس وأثاث وقماش وسلاح مالا يفى به ملك الاكاسرة ولا تتصوره الخواطر الحاضرة ولا يشتمل على مثله الممالك العامرة ولا يقدر على حسابه الا من يقدر على حساب الخلق فى الآخرة * وقال الحافظ جمال الدين يوسف البغمورى وجدت بخط المهذب أبى طالب محمد بن على بن الخيمى

حدث

حدثني الامير عضد الدين مرهف بن مجد الدين سويد الدولة بن منقذ أن القصر أغلق على ثمانية عشر ألف نسمة عشرة آلاف شريف وشريفة وثمانية آلاف عبد وخادم وأمة ومولدة وتربية * وقال ابن عبد الظاهر عن القصر لما أخذه صلاح الدين وأخرج من به كان فيه اثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم فحل الا الخليفة وأهله وأولاده فلما اخرجوا منه اسكنوا فى دار المظفر وقبض أيضا [redacted] الدين على الامير داود بن العاضد وكان ولى العهد ونعت بالحامد لله واعتقل معه جميع اخوته الامير ابو الامانة جبرئيل و[redacted] ابنه ابو القاسم وسليمان بن داود وعبد الظاهر حيدرة بن العاضد وعبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد واسماعيل بن [redacted] وجعفر بن أبي الظاهر بن جبريل وعبد الظاهر بن أبي الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجماعة من بني أعمامه فلم يزالوا فى الاعتقال بدار الافضل من حارة برجوان الى أن انتقل الملك الكامل محمد بن العادل بن أبي بكر بن ايوب من دار الوزارة بالقاهرة الى قلعة الجبل فنقل معه ولد العاضد واخوته وأولاد عمه واعتقلهم بالقلعة وبها مات العاضد واستمر البقية حتى انقرضت الدولة الايوبية وملك الاتراك الى أن تسلطن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري فلما كان فى سنة ستين وستمائة أشهد على من بقي منهم وهم كمال الدين اسماعيل بن العاضد وعماد الدين ابو القاسم ابن الامير أبي الفتوح بن العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد أن جميع المواضع التي قبلي المدارس الصالحية من القصر الكبير والموضع المعروف بالتربة ظاهرا وباطنا بخط الخوخ السبع وجميع الموضع المعروف بالقصر اليافعي بالخط المذكور وجميع الموضع المعروف بسكن اولاد شيخ الشيوخ وغيرهم من القصر الشارع بابه قبالة دار الحديث النبوي الكاملية وجميع الموضع المعروف بالقصر الغربي وجميع الموضع المعروف بدار القطبية بخط المشهد الحسيني وجميع الموضع المعروف بدار الضيافة بحارة برجوان وجميع الموضع المعروف باللؤلؤة وجميع قصر الزمرذ وجميع البستان الكافوري ملك لبيت المال المولوي السلطاني الملكي الظاهري من وجه صحيح شرعي لا رجعة لهم فيه ولا لواحد منهم فى ذلك ولا فى شيء منه ولا مثوبة بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه كلها خلا ما فى ذلك من مسجد لله تبارك وتعالى أو مدفن لآبائهم وورخ ذلك الاشهاد بثالث عشر ربيع الاول سنة ستين وستمائة وأثبت على قاضي القضاة الصاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعي رحمه الله تعالى وتقرر مع المذكورين أن مهما كان قبضوه من اثمان بعض الاماكن المذكورة التي عاقد عليها وكلاؤهم واتصلوا اليه يحاسبوا به من جملة ما يحرز ثمنه عند وكيل بيت المال وقبضت ايدي المذكورين عن التصرف فى الاماكن المذكورة وغيرها ورسم ببيعها فباعها وكيل بيت المال كمال الدين ظافر أولا فأولا ونقضت شيأ فشيأ وبني فى اماكنها ما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى واشترى قاعة السدرة بجوار المدرسة والتربة الصالحية قاضي القضاة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد بن علي بن مسرور المقدسي الحنبلي مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية بألف وخمسة وسبعين دينارا فى رابع جمادى الآخرة سنة ستين وستمائة من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر وكيل بيت المال ثم باعها المذكور للملك الظاهر بيبرس فى حادي عشري جمادى الآخرة المذكور وقاعة السدرة هذه قد صارت هي وقاعة الخيم أصل المدرسة الظاهرية الركنية البيبرسية البندقدارية قال القاضي الفاضل وفي يوم الاثنين سادس شهر رجب يعني من سنة أربع وثمانين وخمسمائة ظهر تسحب رجلين من المعتقلين فى القصر أحدهما من أقارب المستنصر والآخر من أقارب الحافظ واكبرهما سنا كان معتقلا بالايوان حدث به مرض وأثخن فيه ففك حديده ونقل الى القصر الغربي فى اوائل سنة ثلاث وثمانين واستمر لما به ولم يستقل من المرض وطلب ففقد واسمه موسى بن عبد الرحمن أبي حمزة بن حيدرة بن أبي الحسن أخي الحافظ واسم الآخر موسى بن عبد الرحمن بن أبي محمد بن أبي اليسر بن محسن بن المستنصر وكان طفلا فى وقت الكائنة بأهله وأقام بالقصر الغربي مع من أسر به الى أن كبر وشب قال وذكر أن القصر الغربي قد استولى عليه الخراب وعلا على جدرانه التشعث والهدم وانه يجاور اصطبلات فيها جماعة من المفسدين وربما تسلق اليه للتطرق للنساء المعتقلات والمتسلق منه اذا قويت نفسه على التسحب لم تكن عقلته فى القصر المذكور مانعة من التسحب قال وعدد من بقي من هذه الذرية بدار المظفر والقصر الغربي والايوان مائتان واثنان وخمسون شخصا ذكور ثمانية وتسعون واناث مائة وأربعة وخمسون تفصيله المقيمون بدار المظفر أحد وثلاثون

ذكور أحد عشر كلهم أولاد العاضد لصلبه اناث عشرون بنات العاضد خمسة لخوته أربع جهات العاضد أربع بنات الحافظ ثلاث جهات يوسف ابنه وجبريل ابن عمه أربع المعتقلون بالايوان خمسة وخمسون رجلا منهم الامير أبو الظاهر بن جبريل بن الحافظ المقيمون بالقصر الغربي مائة وستة وستون شخصا ذكور اثنان وثلاثون اكبرهم عمره عشرون سنة وأصغرهم عمره سبع عشرة سنة اناث مائة وأربع وثلاثون بنات أربع وستون اخواتهم عمات وزوجات سبعون * قال وفي جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة كانت عدة من في دار المظفر بحارة برجوان والقصر الغربي والايوان من أولاد العاضد وأقاربه ومن معهم مضافا اليهم ثلثمائة واثنتين وسبعين نفسا دار المظفر أحرار ومماليك مائة وست وستون نفسا القصر الغربي اسواد مائة وأربعون نفسا الايوان تسعة وسبعون رجلا بالغون وأما منازل العز فاشتراها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين ايوب بن شادي في نصف شعبان سنة ست وستين وخمسمائة وجعلها مدرسة للفقهاء الشافعية واشترى الروضة وجعلها وقفا على المدرسة المذكورة والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

تم الجزء المبارك بحمد الله وعونه ويتلوه الجزء الثاني الحارات